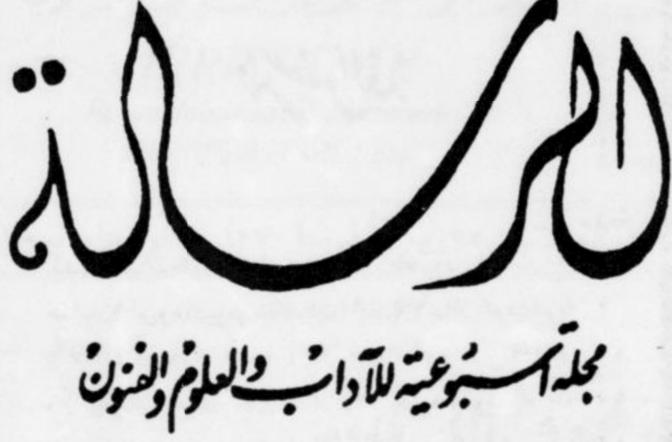
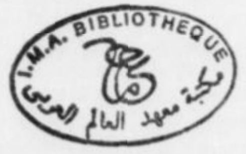


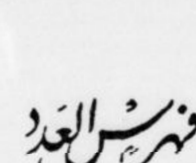




عدد ممتاز

العدد ٩١٣ — أول يناير ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة





فهرس العدد

صفحة


19me ; annéeNo 913

Le Caire - 1 — 1 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

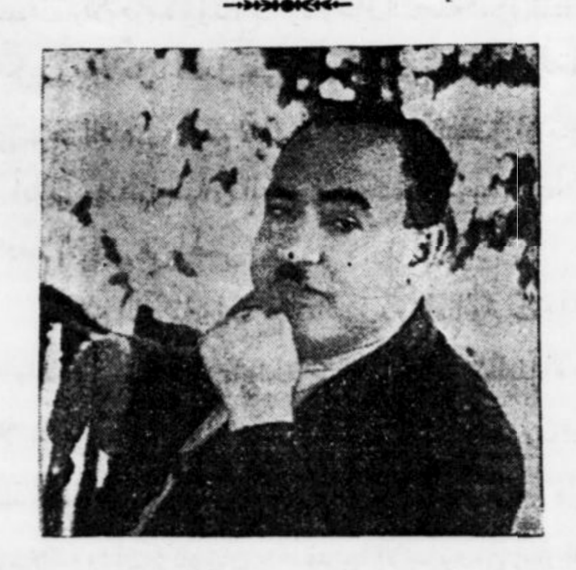
الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٣٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩١٣ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٠ — أول يناير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

كيف أعلن محمد حقوق الإنسان



في شهر ديسمبر من عام ١٩٤٩ ، وفي فورة من فورات النفاق الدولي ، أعلن الساسة في (هيئة الأمم المتحدة) حقوق الإنسان ؛ ثم احتفلوا واحتفل معهم الناس بالذكرى الأولى لهذا الاعلان منذ عشرين يوما، فبشروا بالنعيم المقيم والخير العميم والسلام الدائم . ومن قبل هؤلاء الساسة (الإنسانيين) أعلن قادة الثورة الفرنسية هذه الحقوق عام ١٧٨٩ وصاغوها في سبع عشرة مادة جعلوها ديباجة لدستور سنة ١٧٩١ .

ومن السهل على الذهن الاجتماعي أن يعلل صيحة الثوار الفرنسيين بحقوق الإنسان بعد أن كابدوا ما كابدوا من استعباد النبلاء واستبداد القسس ، وأن يفسر احتضان هيئة الأمم المتحدة لهذه الحقوق بعد أن رأت الحوت الشيوعي معترضاً في خضم الحياة وقد فغر فاه الهائل المروع ليلتهم الديمقراطية الرأسمالية وما تسيطر عليه من أرزاق الناس وأسواق العالم بالاستعمار أو بالنفوذ . ولكن من الصعب على الذهن المنطقي أن يدرك ما يريده الأوربيون والأمريكيون من لفظ (الإنسان) الذي أعلنوا له هذه الحقوق وظاهروا عليه هذا العطف . أغلب الظن أنهم يريدون بانسان هذه الحقوق ذلك الإنسان الأبيض المترف الذي تحدر من أصلاب اللاتين أو السكسون أو التوتون ؛ أما الانسان الأحمر في أمريكا فهو في رأي أبناء العم سام ضرب مهين من الخلق عليه كل واجب وليس له أي حق ؛ ولكن وجوده المدوم في بلاد الديمقراطيين الأحرار لا يزال في رأي المسلمين أغلظ كذبة في دستور الديمقراطية بواشنطون ، وأكبر لعنة على تمثال الحرية بنيويورك ! وأما الانسان الأسمر والأسود في أفريقا ، أو الأخضر والأصفر في آسيا ، فهو في نظر الفرنسيين والانجليز نوع من بهيمة الأنعام ، وجنس من المواد الخام ، يولد ليسخر ، ويروَّض ليستثمر ، ويفتَح ليستهلك ؛ وهو موضوع الخصومة في السلم ، ومادة الغنيمة في الحرب ؛ ولكن حقه المهضوم بين أمم العلم والدستور لا يزال في نظر المسلمين اتهاماً لصحة الثقافة في جامعات فرنسا ،

وإنكارا لحقيقة العدل فى برلمان انجلترا ! ومن هذا التفسير المزور لمعنى الانسان فى القديم والحديث اضطرب الأساس وفسد القياس واختلف التقدير ؛ فلكل جنس وزنه ، ولكل لون قيمته ، ولكل دين حسابه . ومدار الوزن والتقويم والحساب على قدرة الانسان وعجزه ، لا على انسانيته وفضله . فالعلم والغنى والقوة سبيل السيادة ، والجهل والفقر والضعف سبيل العبودية . والسيادة حق ليس بإزائه واجب ، والعبودية واجب ليس بإزائه حق

المسلمون وحدهم هم الذين يفهمون الانسان بمعناه الصحيح لأنهم أتباع محمد . ومحمد وحده هو الذى أعلن حقوق الانسان بهذا المعنى لأنه رسول الله . والله وحده هو الذى ألهم رسوله هذه الحقوق لأنه أرسله رحمة للعالمين كافة

أرسله رحمة للذين استضعفوا فى الأرض لقلة المال كالمساكين ، أو لفقد العشير كالموالى ، أو لضعف النصير كالأرقاء ، أو لطبيعة الخلقة كالنساء ، فكفل الرزق للفقير بالزكاة ، وضمن العز للذليل بالعدل ، ويسر الحرية للرقيق بالعتق ، وأعطى الحق للمرأة بالمساواة

والمستضعفون الذين رحمهم الله برسالة محمد لم يكونوا من جنس مبين ولا من وطن معين ؛ إنما كانوا أمة من أشتات الخلق وأنحاء الأرض اجتمع فيها العربى والفارسى والرومى والتركى والهندى والصينى والبربرى والحبشى على شرع واحد هو الاسلام ، وتحت تاج واحد هو الخلافة . والاسلام الذى يقول شارعه العظيم « ولقد كرمنا بنى آدم » لم يخص بالتكريم لوناً دون لون ، ولا طبقة دون طبقة . إنما ربأ ببنى آدم جميعاً أن يسجدوا لحجر أو شجر أو حيوان ، وأن يخضعوا مكرهين لجبروت كاهن أو سلطان

كان اليهود يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه وسائر الناس سوائم والدم ! وكان الرومان يدعون أنهم حكام الأرض وما سواهم خدم ! وكان العرب يقولون إنهم أهل البيان وما عداهم عجم ! وكان الهنود يعتقدون أن الله خلق البراهمة من فمه والراجيوت من عضده والمنبوذين من رجله ولا يستوى الأمر بين رأس وكتف وقدم ! وكان النظام الاجتماعى كله قائماً على الامتياز بالجنس أو بالدين ، وعلى السيادة بالنسب أو بالمال ، حتى جاء محمد اليتيم الفقير الأمى بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ؛ فأعلن المساواة بقول الله عز اسمه : « إنما المؤمنون إخوة » « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وأكدها بقوله صلوات الله عليه : « الناس سواسية كأسنان المشط » « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، كلكم لآدم وآدم من تراب »

ثم كان الرقيق والمرأة شيئين من الأشياء لا يملكان ولا يتصرفان ، فضيق الإسلام حدود الرق ، وجعل كفارة الذنوب فى الصدقة والعتق ، وسوى بين الرجال والنساء فى الحق والواجب

ثم أعلن حرية العقيدة بقول الله تعالى : « لا اكراه فى الدين وقد تبين الرشد من الغى » « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين؟ » واحترم عقائد أهل الكتاب ، وضمن لهم حرية العبادة وأمان العيش وعدل القضاء ، وأمر الولاة أن يرعوهم ويعطفوا عليهم ، وأوصى المسلمين أن يبروهم ويقسطوا إليهم ثم أعلن الإسلام حرية الفكر والرأى فلم يقبل إيمان المقلد ولا حكم المستبد ، وأمر بالنظر فى ملكوت السموات والأرض ، ووسع صدره لأهل السياسة حتى تعددت الأحزاب ، ولأهل الجدل حتى كثرت الفِرق ، ولرجال الفقه حتى تنوعت المذاهب . وسمح لأهل الذمة وأصحاب النحَل أن يدعوا إلى أديانهم ويدفعوا عنها فى المدارس والمجالس والبيع ، ونهانا ألا نجادلهم إلا بالتى هى أحسن

ثم احترم الملكية وثبت لها الأصول ، ونظم المواريث ورتب عليها التعامل . وهذه هى جماع الحقوق الطبيعية التى كفلها الاسلام للانسان على اختلاف ألوانه وأوطانه وألسنته . أعلنها محمد بن عبد الله منذ ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن ، والأمر يومئذ للجهالة ، والرأى للضلالة ، والحكم للطغيان ، فأنقذ بها الانسانية من إسار المادية والعصبية والأثرة ، ثم أكرمها ونعمها وهداها الطريق المستقيم إلى نظام أكمل وعالم أفضل وحياة أسعد . ولكن الانسانية وا أسفاه أضلت هذه السبيل ! أضلها أولئك المنافقون الذين يعلنون لها اليوم هذه الحقوق ، وهم يسرون فى أنفسهم تأكيد الامتيازات وتأييد الفروق !

احمد حسن الزيات

هذا بيان للناس

وهدى وموعظة للمتقين

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمود شلتوت

« وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »



يقاسى العالم اليوم ألواناً من الشرور والمفاسد، ويكابد أصنافاً من الآلام والمتاعب ، تقض عليه مضاجع الأمن والاستقرار ، وتزلزل كيان الطمأنينة والسعادة فى الأفراد والجماعة . وما مثل الناس فى هـذا الزمان إلا كمثل قوم فى سفينة أخذتها الأعاصير من كل جانب ، واضطربت فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، يكاد اليم يبتلعها بمن فيها ؛ أو كمثل قوم حوصروا بالنار ذات الوقود فى بيت مغلق النوافذ وقد تقطعت بهم الأسباب ، وجمدوا فى أماكنهم شاخصة أبصارهم يشهدون التهام النار لمتاعهم ونفائسهم وأموالهم وأبنائهم وأنفسهم ، ثم لا يستطيعون أن يحركوا ساكناً ، ولا يلتمسوا طريقاً للخلاص ، سوى الصياح والعويل والاستغاثة من الخطر الذى داهمهم وحل بدارهم ! !

وليس لهـذه النكبة فيما يرى عقـلاء العالم من مرسوى انسياق الناس فى حياتهم مع نظم وضعها الإنسان وأملتها عليه الشهوات والنزعات ، لم تبن على مصالح البشر ولم يلاحظ فيها مقتضى الطبيعة الإنسانية التى تفترض المساواة فى الحقوق والواجبات، فجاءت مختلفة باختلاف بواعثها ، مضطربة باضطراب ألوانها وغاياتها ، متنازعة بالعصبية لها ، والتناحر عليها ، كل أمة تعمل جاهدة على أن يسود نظامها ، وتعلو كلمتها ، ويستقر فى العالم سلطانها ، وتصبح ذات السيادة المطلقة ، والكلمة النافذة ، فن نازية إلى فاشيـة إلى شيوعية إلى رأسمـالية إلى ديمقراطية ، إلى اشتراكية ، إلى غير ذلك من ألوان ما أنزل الله بها من سلطان

فن الطبيعى وهذا شأنها وشأن واضعيها والمتعصبين لها أن تفضى بالعالم إلى هذا الشر المتفاقم ، وأن توقد نيران الحروب فى جميع أرجائه ، ما بين حرب تصلى الشعوب نيرانها ، وتدمر البلاد والديار أسلحتها ، وحرب باردة تأتى على الهدوء والسكينة، فتزلزل الأمن والقرار من القلوب ، وتثير الخوف والفزع فى النفوس، وتهيج فى المجتمع ألوان النفاق والأخلاق الفاسدة، وتحل عرى الجماعة ؛ فيصبح الأخ عدوا لأخيه ، والأمة شيعاً وأحزاباً يتربص كل بالآخرين دوائر السوء ، ويقدر كل منهم أن خيره كله فى نجاته هو ، وشر الآخرين . وأنه ليس عليه لوطنه ، ولا لمواطنيه وبنى جنسه شىء من الحقوق ينبعث بها الشعور من قلبه ، ويتحقق بها معنى التعاطف والتراحم

ولعمرى أن العالم سيظل فى هذه الحيرة ، وهذا الاضطراب بل فى هذا البحر اللجى من الشرور والمفاسد، لا يجد راحة مادية، ولا يحس راحة روحية ، ولا يتنسم شيئاً من النسيم الذى يبشر بالخلاص والنجاة ، سيظل كذلك ما ظل متمسكا بأهداب هذه النظم التى افتجرها الانسان ، واتخذها أساساً لحياته فما ذاق منها إلا الخوف والجوع ، والظلم والطغيان

طريق الخلاص :

وقد أقلقت هذه الحالة كثيراً من مفكرى الأمم فى الشرق والغرب ومدعى حب السلام والأمن فى العالم ، ولم يبق أحد له

فكر سليم وقلب رحيم إلا أشفق على الإنسانية من عواقب ما تتخبط فيه من ظلمات، وأخذوا يفكرون في طريق الخلاص فتفتقت بعض الأذهان عن وسائل زعموها طريقاً للسلم العالمي المنشود ، وما هي في واقعها إلا تلبية لنزعات الطغيان الكامن في النفوس الذي يدين بالأثرة ولا يعبأ بمصالح الأمم، ولا يكترث بما يصيب الإنسانية من ويلات

وهذا هو سلامهم لا يزال بعد اتخاذ هذه الصور يتعثر في خطواته ، ويلتوي في مشيته ، والشر يتكون ويقوى في خلال خطواته : تنطلق أبواق الدعاية وتعقد المؤتمرات ،وتوضع المبادئ وتعقد المجالس ، ثم لا تلبث الدعاية أن تخفق ، والمؤتمرات أن تنفض ، والمبادئ أن تتبخر ، والمجالس أن تنحل ، وتصبح ردهات هذه المنشآت ميداناً للارعاد ، والإبراق . وتتطاير شرر الطغيان على الضعفاء . والويل كل الويل لمن لا تحميه قوة، أو يرى بنفسه في أحضان قوي مستعبد . ولا عجب فإن الطغيان الذي تندلع به نيران الحروب الفتاكة هو الذي يتسلط على تلك الرءوس التي حاولت أن تستر طغيانها باسم التفكير في وسائل السلم العالمي؛ فهو سلم تذوق الإنسانية من مرارته مثل ما ذاقت وتذوق من مرارة الحرب، فكلاهما وليد الطغيان ، وكلاهما وسيلة من وسائل التخريب والتدمير والقلق والاضطراب .

ومحال أن تجد الإنسانية علاج هذا الطغيان فيما وضعه الإنسان أو يضعه بروح الأثرة والزهو والغرور؛ إنما العلاج الحق في الرجوع إلى ذلك العلاج الإلهي الخالد الذي يستند في صدوره وتنظيمه وإبداعه إلى العليم بخفيات النفوس ، الخبير باتجاهات القلوب ، وذلك هو الإسلام وحده الذي مهما تعددت مبادئه وتنوعت إرشاداته يرجع إلى كلمتين اثنتين : إيمان، وعمل صالح « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »

« والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »

لقد مرت على الانسانية حقب انتابها فيها مثل ما انتابها في هذه الحقبة من شرور وآثام وطغيان ، وما أنقذها من شر تلك الويلات إلا هذا العلاج الالهي، زكاها وطهرها وعلمها الكتاب والحكمة ، وحولها من مجاري الشر والشقاء إلى سبيل الخير والفلاح ، والانسانية هي الانسانية ، والويلات هي الويلات ، والعلاج هو العلاج ؛ فليكن علاج الآخرين هو علاج الأولين

لهذا وبمناسبة ذكرى ميلاد مسدد هذا العلاج ، محمد بن عبد الله رأيت أن أتقدم على صفحات الرسالة بموجز بين واضح عن جملة العقاقير التي تتألف منها ذلك العلاج رجاء أن يتعرفه الناس ويقبلوا عليه فيكون في تناوله الشفاء والانقاذ ، والصحة والعافية .

« وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا. وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا »

الإسلام :

ليس الاسلام — كما يظن الذين يجهلون حقيقته — دين نسك وعبادة فقط ، تقتصر مهمته على تنظيم علاقة الانسان بربه، وإنما هو — كما ينطق كتابه — دين عملي ، عام ، خالد . ينظم علاقة الانسان بربه ، وعلاقته بمواطنيه وبني جنسه ، ويرسم للجميع طريق السعادة في الدارين : الدنيا والآخرة « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيرا ، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليما » ٩ ، ١٠ الاسراء

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » ٢٤ الانفال

« ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » ٦٦ المائدة

« فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها، وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » ١٢٣ — ١٢٧ سورة طه

أساس التنظيم الإسلامي للحياة

شرع الله الإسلام، وجعل منه نظاما يكفل سعادة الفرد والجماعة فى الدنيا والآخرة، لم يترك عنصرا من عناصر الخير والفلاح، عناصر الحياة الطيبة والسعادة الخالدة إلا أمر به ودعا إليه، وحث عليه، ولم يترك عنصرا من عناصر الشر والفساد، عناصر الحياة الذليلة والشقاء المقيم إلا نهى عنه، وحذر ونفر منه

ذلك أن الإسلام بنى تنظيمه للعالم على الواقع وهو: أن الإنسان جسم وروح، وأن للجسم حظا ومتعة، وأن للروح حظا ومتعة، وأن للانسان شخصية مستقلة عن بنى جنسه، وشخصية يكون بها لبنة فى المجتمع الوطنى والإنسانى، وأن له بكل من هاتين الشخصيتين حقوقا وعليه واجبات

ولا تتحقق سعادة الإنسان إلا باستكماله حظ الجسم والروح، وتنظيم حقوقه وواجباته فى نفسه وفى مجتمعه دون إفراط ولا تفريط

وكل ما جاء به الإسلام من عقائد وعبادات وآداب وتشريعات لا يخرج عن هذه الدائرة، دائرة رعاية حظ الجسم وحظ الروح للانسان منفردا ومجتمعا

المبادئ العامة للإسلام

وفى ظل هذا المبدإ العام الواقعى، وفى سبيل الوصول إلى غايته السامية، وضع الإسلام المبادئ الآتية:

أولا: طلب الإيمان بمصدر الوجود والخير، والرجوع إليه فى كل شئ، وإفراده بالعبادة والتقديس، والدعاء والإستغاثة، حتى لا يذل مخلوق لمخلوق، وحتى يشعر الإنسان بعزة نفسه، ولا يضل باتخاذ الوسائط والشفعاء من دون الله، وطلب الإيمان بيوم الحساب والجزاء، والإيمان بمعرفة طريق الحق الذى ارتضاه الله لعباده، وربط به سعادتهم فى الدنيا والآخرة. ذلك الطريق هو: ملائكة الله الذين يتلقون عنه الشرائع والأحكام، وأنبياؤه الذين يتلقون عن الملائكة ويبلغون الناس ما أمروا بتبليغه، والكتب السماوية التى هى رسالة الله لعباده. وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين» صدر الآية ١٧٧ سورة البقرة

ثانيا: رسم طرق العبادة وفرض منها جملة أنواع ما بين بدنية ومالية، جعلها مددا للإيمان بالخالق، وسبيلا لمراقبته، واعترافا بشكره فرض خمس صلوات فى اليوم والليلة يتكرر بها وقوف الإنسان بين يدى خالقه ومولاه يناجيه، ويستشعر عظمته، ويخلص بها من سلطان الحياة المادية المظلمة

وفرض صوم شهر فى السنة — وهو شهر رمضان — شكرا على نعمة نزول القرآن، وتدريبا على خلق الصبر الذى لابد منه فى احتمال الحياة

وفرض الزكاة وهى إخراج جزء معين من ماله فى سبيل الله شكرا على نعمة المال وقياما بحق الجماعة

وفرض الحج إظهارا لشمار الإيمان العام وهو الاتجاه إلى الله مع جماعة المؤمنين متجردين عن المال والأهل والولد والمساكن الطيبة ابتغاء مرضاة الله وتذكرا ليوم المعاد، وجمعاً لكلمة الموحدين وإحياء لذكرى المصلحين الأولين الذين اصطفاهم الله لإنقاذ عباده من هوة الضلال والمآثم

فرض هذه العبادات وبين على لسان رسوله كيفياتها ومقاديرها وأوقاتها، ووحد بين الناس فى كل ذلك حتى لا تتشعب أهواؤهم ولا تختلف أنظارهم، وحتى يكون ذلك سبيلا لجمع القلوب وائتلاف الأرواح، والشعور بوحدة الغاية والمقصد

الثالث: حث على العلم والمعرفة، وفك عن العقل البشرى أغلال التقليد والجمود، ودفع به إلى معرفة أسرار الله فى خلقه: أرضه وسمائه، مائه وهوائه، وذلك ليقوى الإيمان بالله، وليسعد الناس باستخدام ما يدركون من أسرار هذا الكون الذى أخضعه الله للانسان وسخره له فى حياته، ومن هنا علا شأن العلماء الذين خاضوا غمار هذا الكون وانتفع الناس بما أدركوا.

«قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون»

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »

« إنما يخشى الله من عباده العلماء »

الرابع : أمر الإسلام بتحصيل الأموال وقرر أنها قوام الناس ، وعصب حياتهم ، وجعل السعي في تحصيلها من الطرق المشروعة، وهي الزراعة ، والصناعة ، والتجارة؛ عديلا لعبادة الله « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » ١٠ سورة الجمعة

« هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » ١٥ . سورة الملك

وأمر بحفظها ، ونهى عن تبذيرها واغتيالها . وجعل فيها حقا للفقير الذي لا يستطيع العمل وللمصالح العامة « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا — ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » ٢٦ ــ ٢٩ سورة الاسراء

« وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » ١٩٥ سورة البقرة

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » ١٨٨ البقرة

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » ٢٧٨ — ٢٨٠ البقرة

وبجانب هذا قرر الإسلام أن الترف منبع شر يقضي على أخضر العالم ويابسه

« وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ، وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين » ٣٤ ، ٣٥ سورة سبأ

وبذلك حارب في القائمين على الأموال ، والذين لهم فيها حق التصرف — مالكين أو مشرفين — حارب فيهم الترف والبذخ والتبذير فيما لا يعود بخير على الأمة ، وجعل للحاكمين الحق في أن يقفوا المسرفين المبذرين بالمرصاد حتى يحتفظوا بأموال الله التي استخلفهم فيها ، والتي هي قوام الحياة للفرد والجماعة ، وحتى تسلم صدور المقلين من الحقد الذي تولده وتنميه مظاهر الترف والإسراف التي تحيط بهم وتقع عليها أبصارهم وهم محرومون من حاجتهم الضرورية ، والمعيشة المطمئنة المريحة

وبهذا المبدإ الذي قرره الاسلام إزاء المال تحل المشكلة المالية التي ولدها الجشع فهددت العالم في حياته وأمنه ، فهو يقضي على الطغيان المالي ، ويصون المجتمع من الشيوعية الهدامة ، ويحتفظ بالحقوق والجهود ، ويوفر ثمرة العمل ، ويفتح باب التنافس في عمارة الكون وتقدم الحياة والفضائل الانسانية السامية

أمر الاسلام بحفظ العرض احتفاظا بعنوان الشرف والكرامة ، واقتلاعا لبذور الفوضى الجنسية التي تقضي على نظام الأسر والأنساب ، وتجعل الأفراد لبنات مبعثرة لا يجمعها رباط ولا يظللها قبيل . وقرر أن الاختصاص في الحياة الجنسية كالاختصاص في الملكية الشخصية كلاهما عنصر من عناصر الحياة الآمنة الشريفة ، وبفقدهما أو أحدهما تنفصم العرى وتنقطع الروابط ، ويصير الانسان إلى إباحية مطلقة أو قسوة وحشية ، وجدير به حينئذ أن يرحل من قصور الحضارة إلى غابات الوحوش وفلوات الذئاب

أمر الاسلام بحفظ الصحة وحارب المرض ، فأمر بالوقاية ، وحذر من العدوى ، وحث على التداوي ، وأباح للمريض والخائف من المرض إذا توضأ — أن يتيمم — وا كتفى بهطهارة له. وأباح الفطر في المرض والسفر ، والحيض والنفاس ، والحمل والارضاع والشيخوخة ؛ كل ذلك عناية بالصحة ووقاية من المرض.

والاسلام يبني أمره كما قلنا على الواقع ، والواقع أنه لا علم إلا بالصحة ، ولا جهاد إلا بالصحة ، ولا عمل إلا بالصحة ، فالصحة هي رأس مال الانسان وأساس سعادته ، وقد استقر ذلك في نفوس المسلمين حتى اشتهر على ألسنتهم : إن صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان

السابع : أمر بحفظ العقل الذى هو ميزان الخير والشر فى هذه الحياة، فحرم كل ما يفسده أو يضعفه «يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » ٩٠ المائدة

وجاء على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم : كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام

الثامن : أمر الاسلام حفظا لكيان الدولة ورداً لغائلة المعتدين بتحصيل القوة واتخاذ العدة التى يكافح بها الأعداء

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون» ٦٠ سورة الأنفال

وقد أرشدت الآية الكريمة إلى أن القوة ليست فى نظر الإسلام إلا طريقاً من طرق الاصلاح وسبيلاً من سبل السلم بإرهاب المفسدين ، ورد المغيرين ، وتقوية جانب الخير بشد أزر المصلحين ، وأنه لا يقرها طريقا للاذلال والتخريب ، وإخراج الناس من ديارهم وسلب أموالهم والتضييق عليهم فى الحياة ، ولا يريدها إكراهاً للناس على اعتناق الدين « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم . ٢٥٦ سورة البقرة »

« ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ٩٦ . سورة يونس

التاسع : قرر الإسلام المساواة بين الناس ، وقضى فى الحقوق والواجبات على الفوارق بين بنى الإنسان ، وأعلنهم فى صراحة لا تعرف المواربة أنهم جميعا من نفس واحدة ، وأنهم ما جعلوا شعوباً وقبائل للتفاضل أو للتناحر والتقاتل ؛ ولكن للتعارف والتعاون

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ١٣ الحجرات

العاشر : وضع الإسلام الأحكام وأصول التشريعات المنظمة لحياة الناس ، وكان سبيله فى ذلك أنه لم يترك الناس يشرعون لأنفسهم فى كل شئ ، ولم يقيدهم بتشريع معين فى كل شئ ، وإنما نص وفوض : نص على أحكام مالا تستقل العقول بإدراك الخير فيه وما لا يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص ، وفوض فيما وراء ذلك معرفة ما تقضى به المصلحة لأرباب النظر والاجتهاد فى حدود أصوله العامة ، وبذلك حفظ الاسلام للعقل الانسانى كرامته ، وحمايته فى الوقت نفسه من الاضطراب والفوضى تبعاً للأهواء والنزعات

الحادى عشر : مكن الإنسان من حظ الجسم وأباح له التمتع بالطيبات ، فى مأكله ومشربه ، فى ملبسه ومسكنه بحسب وسعه وقدرته دون إسراف أو تبذير ، وأباح له التمتع بحاجة نفسه من الزوجة والمال والولد ، ومكنه من متعة الروح بالعلم عن طريق التصفية والرياضة ، وعن طريق الفكر والتدبر فى جلال الله وجماله وما خلق الله من آيات وعجائب

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين — قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق — قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون» ٣١ ـ ٣٣ سورة الأعراف

« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون . ٨٧ ، ٨٨ المائدة »

الثانى عشر : منح الإسلام الإنسان باعتباره فرداً — شخصية مستقلة وجعله فى الوقت نفسه — لبنة فى بناء المجتمع ، وبالاعتبار الأول أثبت له حق الملكية لماله ودمه ، وحق الهيمنة على نفسه وولده ، ومنحه فى هذه الدائرة حق التصرف بما يكون

مصلحة له وسبيلاً مقوماً لحياته دون مساس بحق الغير

وبالاعتبار الثانى أوجب عليه للمجتمع حقا فى نفسه يرشد الضال ، ويمين الضعيف ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويخرج للغزو والجهاد فى سبيل رد العدوان ، ويساهم فى كل ما يستطيع فى مرافق الحياة ووسائل رفاهيتها ، وأوجب عليه حقا فى ماله بالبذل والإنفاق فى سبيل الله بما يفضل عن حاجته وحاجة من يمونهم ويلى عليهم ولاية خاصة ، كما حثه على أن يعمل — لو كان قادراً — على إيجاد النسل القوى الصالح الذى يرفع بقوته وصلاحيته صرح المجتمع على كاهله

وفى مقابلة هذه الواجبات التى فرضها الإسلام على الفرد للمجتمع أثبت له أيضا حقوقا أخرى على المجتمع فكلف المجتمع الممثل فى الحاكم وأولى الأمر بحفظ دمه وماله وعرضه ، وشرع لحماية ذلك العقوبة من قصاص وحد وتعزير . وبذلك تبادل الفرد مع المجتمع — فى الوضع الإسلامى — الحقوق والواجبات ، وجعلت سعادة الحياة منوطة بالتعادل بين الجانبين دون طغيان من أحدهما على الآخر ؛ فلو ضن الفرد بنفسه أو ماله ، أو بلسانه أو بامتناعه عن الزواج والنسل مع قدرته عليه — ساءت حالة الأمة وانقلبت حياتها جحيما واستوجب الفرد عذاب الله وغضبه . وكذا لو ضن المجتمع بقوته وسلطانه عن حماية الفرد وكفالته ساءت الحال وانقلبت الحياة جحيما واستوجب الحاكم وولاة الأمر الممثلين للأمة سخط الله وغضبه

شد الاسلام أزر هذه المبادئ التى لا بد منها فى أصل الحياة ، وحفظها بجملة من الآداب الفردية والاجتماعية تخلع على الانسان فى شخصه ومجتمعه حلة البهاء الانسانى والجمال النفسى ، وتقيه شر التدهور والانحلال

ففى أدب التواضع والمشية والنداء واشتغال الانسان بما لا يعنيه وجريه وراء الظنون الفاسدة والخواطر السيئة يقول الله تعالى « ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك واغضض من صوتك » ١٨ سورة لقمان

ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ، ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ، كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها » ٣٦ — ٣٨ الاسراء

« يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا » ١٢ الحجرات

وفى أدب الزيارة للبيوت : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم » ٢٨ سورة النور

وفى سد أبواب الفتنة الجنسية « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن » ٣٠ ، ٣١ النور

وفى أدب المجالس « يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا ، » ١١ سورة المجادلة

وفى أدب تلقى الأخبار وإذاعتها : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » ٦ سورة الحجرات

وفى أدب اجتماعى خطير « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » ١١ الحجرات

وفى معاملة المسالمين المخالفين فى الدين « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » ٨ الممتحنة

الرابع عشر : هذه جملة المبادئ الأصلية التي وضعها الاسلام سبيلا للحياة الطيبة ، وقد صانها الاسلام فوضع العدل والشورى أساسين للحكم فيها وبين مصادر التشريع التي يتجه إليها المشرعون فيما يحتاجون إليه من أحكام « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا ، (وشاورهم فى الأمر)(وأمرهم شورى بينهم) (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى »

وفى بيان مصادر التشريع يقول (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » ٥٨ ، ٥٩ النساء

ثم أمر الناس بتقوى الله فيها والتزام حدودة منها وحذرهم مخالفتها ودعاهم إلى الاعتصام بحبلها ، والتضامن فيها ، والتواصى بها حاكمين ومحكومين ، رعاة ورعايا

وفى ذلك يقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم . ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »

« والعصر إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »

أما بعد : فهذا هو الاسلام وهو دين الله الذى ارتضاه لعباده، ينظمون به حياتهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، وقد بعث بأصوله الرسل ، وبينها فى الكتب ثم أكملها بما يناسب رقى الانسانية فى آخر الكتب المنزلة وهو القرآن ، وعلى لسان خاتم الأنبياء والمرسلين وهو محمد عليه الصلاة والسلام . أجملناه فى هذه المجالة ليكون مناراً يسترشد به المسترشدون، وليكون تبصرة وذكرى لأولى الألباب ، وليكون حدا فاصلا بين الحقيقة التى أنزلها الله ودعا الناس إليها ، وربط بها سعادتهم، وبين الانحراف الذى وقع فيه العالم ، وتفكك به المسلمون

والسلام على من اتبع الهدى

محمود شلتوت

ابتهال الى الله
يا محمد

للأستاذ محمود حسن اسماعيل



يا هادم ظـــلم الأيام   ومذل جباه الأصنـام
ومبدد أكوان ركعت   لسيـاط قوى ظـلام
يغـريه سراب للبـأس
فيقول أنا رب الناس
ويظل يتيه بما عزفت   لخطـاه أكف الأوهـام
حتى أقبلت بإلهام
لا سيف ولا حـد حسام
ولطمت علاه بما حملت   يمناك من الألق السـامي
فاندك إله الأرجاس
بشعـاع من نور محمـد .

• • •

يا مطفئ نار مجميه   في الموقد لاحت أبديه
عجماء لها نغم سكبت   بيديه صلاة الوثنيـه
فجثـا لقداستهـا كسرى
والناس لها ظلوا أسرى
حتى أشرقت . . فما سمعت   إلا برياح أزليه
تحدوها شهب قدسيه
زأرت بسماء عربيـه
فانصعق لظاها واحتضرت   أم الأرباب الهمجيه
ورماد الشرك غـدا عطراً
يتسابق شوقاً « لمحمد » ..

• • •

يا حامل شرع للأمم   سـوّى القيمان مع القمم
الأرض بمن فيها سلـكت   ليلا يتراشق بالظلم
فالعدل بها عشيت سبله
والحق بها شقيت حيله
والجـد لركاع صلبت   كتفـاه بذل في القـدم
والظلم قرير بالصمم
والمهد نعوش للذمم
ونفاق الوجه كما اختلجت   حـولاء بضـوء منقسـم
والـكون يناديه خجـله
يارب أجرنا « بمحمد » ..

• • •

يا راقئ دمـع البـاكينا   ومشفع ذنب العاصينـا
جئناك حيارى قد نفرت   أعمـاق الجرح بوادينـا
حـدنا عن نور الإيمـان
ففقـــدونا عبر الأزمان
وطن الإسلام به فتكت   أطماع القـوم الطـاغينا
قد مزقناه بأيدينا
وجبهنا الغرب مسـاكينا
فرقنا الأنفس ، واختلفت   حتى في الروع أمانينـا
يارب أعـدنا لـكهـان
أبدي في ظل « محمد » . .

محمود حسن اسماعيل

دين ودولة

للأستاذ محمود تيمور بك



يخوض الناس فى حديث الدين متنازعين يتساءلون :

هل هو عقيدة روحانية وشريعة عمرانية معا ؟

أينظم الدين علاقة المرء بربه ، وينظم كذلك علاقة الناس بعضهم ببعض فيما يضطربون فيه من وسائل العيش وشؤون الاجتماع ؟

والناس قاطبة مؤمنون بأن الدين عقيدة تسمو بالنفوس إلى الله ، ولكنهم مختلفون فى أنه مع ذلك قانون للمجتمع ودستور للدولة

والهاتفون بأن الدين شريعة ودستور يلتمسون برهان ذلك فيما سن الدين من أوضاع تحكم مرافق الناس ومصالحهم جميعا ، ويرون فى هذه الأوضاع قواعد جامعة صالحة لكل زمان ومكان ، خليقة أن تقوم عليها سائر القوانين والأحكام

والقائلون بقصر الدين على معانى التعبد ، يريدون للناس أن يكونوا أحرارا فيما يتخذون من أنظمة للتعايش ، مستهدين فى ذلك حاجة العصر ، وطابع الزمن ؛ مسايرين موكب المجتمع البشرى فى تطوره الفكرى

والرأى عندى أن مثل هذا النزاع لا يقوم فى أمة إلا إذا كانت من أمر نفسها على قلق ... لا هى متدينة موصولة بدينها فتسكن إليه ، وتهتدى فى عامة شأنها به ؛ ولا هى قد تخلت عن الدين جملة ، فتركن إلى أن تتخذ لعلاقاتها الاجتماعية ضوابط من قانون مصنوع

لا خلاف على أن الأمة المثالية هى التى تكون مصدر السلطات ، وهى التى تحكم نفسها بقانون مستمد من خصائصها ملائم لما يشيع فيها من عادة وعرف ، محقق لرغبة مجموعها فيما يعتقدون أنه خير وبر وصلاح . فإذا لم يكن قانون الأمة على هذا النحو من موافقته لنفسيتها ، ومطابقته لمصلحتها ، فهو قانون مفترى عليها ، لا بقاء له فيها

وإذن فالقانون لا منبع له إلا الأمة فيما يكون لها من مستوى فكرى واقتصادى واجتماعى ، وفيما يكون لها من صبغة نفسية وطابع شخصى ، وفى هذا القانون الذى يحكمها تتجمع صفوة ما تتميز به من أخلاق وعادات وتقاليد ، فإذا هو مرآة لها ، تجلو وجهة نظرها فى الحياة ، ومبلغ فهمها لما هو خير وحق وعدل

ومما لا مرية فيه أن الإيمان إذا استبطن النفوس ، لم يلبث أن يوطنها على هداه ، ومتى رسخ الاعتقاد انقادت العقول طوعا له . وليست مظاهر الحياة فى كل أمة إلا ميزانا أمينا لما يعمر جوانبها من إيمان ، ومقياسا دقيقا لما يرسخ فيها من اعتقاد

وما دام الدين إيمانا عميقا وعقيدة روحانية تأخذ الناس بألوان من تقاليد وأوضاع ، وما دامت هذه الأوضاع والتقاليد ذات أثر بالغ فى سلوك الناس أفرادا وجماعات ، فلا منجاة للقانون من التأثر بالدين ، والاصطباغ بصبغته ؛ فإن قانونا يتشكل بروح الأمة لا بد أن يسرى إليه ما يسرى فى جوانب تلك الأمة من خصائص التدين ، فبقدر ما يسكن فى النفوس من هذه الخصائص يظهر الأثر واضحا فى روح القانون

فإذا نقم الناقمون من قوانيننا التى يجرى بها العمل فى المجتمع الحاضر أنها تجانب تعاليم الدين بقدر يسير أو بقدر جسيم ، وإذا طمح الطامحون إلى تضييق دائرة الفروق بين الدولة

والدين ، فلينظروا بادئ بدء :

أفي هذه القوانين تمثيل صحيح لحاجات البيئة التي يندرج فيها مجموع الأمة ؟ وهل هي تطبيق سليم للمبادئ العامة التي يزكيها أهل الرأي ، وتنزل من موافقتهم منزلة الإجماع ؟

فإن استبان لهم أن القوانين منقوصة الحظ من صحة التمثيل ، وسلامة التطبيق ، فليمهدوا إلى تعديلها وإصلاحها بالوسائل المشروعة التي يجري بها التعديل والإصلاح

وأما إن وجدوها سليمة صحيحة ، من حيث مسايرتها لحاجات الأمة ، وطبائع المجتمع الحاضر ، فليعلموا إذن أن هذه القوانين لا تجانب تعاليم الدين بغيا وعدوانا ، ولكن لأن الأمة هي التي بضعف استشعارها لهذه التعاليم ، فهي تجانبها على عمد أو على غير عمد

فليقولوا في غير مواربة إننا نحن الذين أخذنا من الدين قشوراً وظواهر ، وإننا نحن الذين آمنا به رسوما وأسماء ، فأما أغلب مبادئ الدين وتعاليمه الوثيقة الصلة بنواميس العيش وحقائق الاجتماع ، فقد ظلت بعيدة عنا ، أو خافية علينا ، فلم نشعر لها في مجموعنا بذلك الأثر الذي ينفض صبغته على حياتنا العملية ، ولم يكن لنا إلهام منها فيما نتخذ من دستور ، وما نصطنع من قانون

ولعل السر في ذلك أن أغلب المبادئ والتعاليم التي رسمها الدين ، لينتظم بها المجتمع في أسواق الحياة ، يستأثر بعلمها نفر من رجال الشرع ، ويتخذونها موضوع درس وتلقين في حلقات الدرس والتلقين ، فهي محجوزة لهم ، مخصوصة بهم ، يتعالمونها فيما بينهم لأغراض دراسية محضة لا صلة بينها وبين دنيا الواقع ومشهود الناس . فكأن هذا الدين قسمة بين أهليه : فهو للجمهور عقيدة يتعبدون بها وحسب ، وهو لبعض الناس شريعة دراسية يتلقاها تلميذ عن أستاذ في مقام التعليم

فمن شاء أن يكون للدين سلطان على القانون ، فليجعل للدين سلطانا على الأمة في مجموعها ، وليبث في نفسيتها العامة مبادئ الشريعة وتعاليمها ، حتى يستشعر الناس أن هذا الدستور الديني أنظمة حيوية عملية يقوم على دعائمها صرح المجتمع ، وحتى تطمئن العقول والقلوب إلى أن اصطناع هذه الأنظمة لا يصد عن مسايرة الحضارة في ركبها السيار . ويومئذ لا تكون القوانين إلا ظلا لهذا الإيمان والاطمئنان على نحو طبيعي لا تكلف فيه ولا افتئات ولا استكراه

والدولة في جوهرها يتمثل كيانها في قوانينها التي هي نابعة من عرف الأمة وروحها وخصائصها ، والتي هي صورة صادقة لمبلغ ما تنطوي عليه نفسية الأمة من إيمان بالدين ، وفهم لمبادئه ، واستشعار لتعاليمه ، ولكل أمة مقدار كبير أو صغير من ذلك الإيمان والفهم والاستشعار . وإذن لا بد أن تتأثر الدولة بقدر ما تتأثر به تلك القوانين ، فإنه لا دين بلا دولة ، ولا دولة بلا دين

محمود تيمور

عمر وكبرياء قريش!

للأستاذ أنور المعداوى



فيلسوف من فلاسفة الحكم .. ولا نعنى أنه كان من أصحاب المذاهب والنظريات ، أولئك الذين يضعون للدولة نظاما فلسفيا تعمل به ، ومنهجا مدروسا تسير عليه ، وفقا لميولهم الفكرية الخاصة فى محيط السياسة والإدارة والاقتصاد

لم يكن عمر بن الخطاب واحدا من فلاسفة الحكم بمعنى هذه الفلسفة فى العصر الحديث ، حين تفهم على أنها طريقة معينة لنظم الإدارة لا تصلح بغيرها الإدارة ، وخطة مفصلة لإقامة نوع من الحكومة لا تنجح بغيره الحكومة ، على نحو ما يفكر الفلاسفة الإداريون من أشياع الفاشية أو الشيوعية أو الاشتراكية فى هذه الأيام .. لم يكن واحدا من هؤلاء بهذا المعنى المفهوم ، وإنما كان واحدا من فلاسفة الحكم حين تكون الفلسفة خبرة بدخائل النفوس ، ودراية بأحوال الناس ، وبصرا بما تتجه إليه منهم شتى العواطف والنزعات ، وعلى هذه الأسس جميعا قامت فلسفة عمر الإدارية حين يرجى صلاح الأمور بين الحاكم والمحكوم

هو فيلسوف بهذا المعنى الأخير إذا كانت الفلسفة فكرا صائبا يلمس مواطن الضعف فى أخلاق الرعية ، ونظرا ثاقبا يلمح مواضع العلل فى كيان الدولة ، ورأيا نافذا يقرن الصرامة بالعدل وهو يواجه المرض وملء جعبته فنون من العلاج !

ولا نريد هنا أن نعرض لمختلف الجوانب فى فلسفة عمر الحكومية فهى متعددة المعالم متنوعة الأهداف ، ولكن الذى نريده من هذه الكلمة هو جانب واحد يدل به المثل الفرد على غيره من الأمثال .. هذا الجانب الواحد الذى يصور لنا الطبيعة العمرية فى تصريف الأمور ، بما عرف عنها من عبقرية القائد وحنكة الحاكم وكياسة المدير . هناك فى مواقفه الحازمة من كبرياء قريش ، أو من تلك الأرستقراطية القرشية التى لم يهذب من جموحها إنسانية محمد ولا سماحة الصديق !!

لقد كان عمر يعلم من أمر قريش ما قد يعلمه غيره من الناس . وليس فى هذا العلم بطبيعة الظواهر النفسية ما يبهر أو يروع حين يقف العقل بعلمه عند هذا الحد ولا يزيد ، لأنه قسط مشترك من المعرفة قد يتساوى فيه كل صاحب حظ من الألمعية أو كل صاحب قدر من الذكاء .. ولكن امتياز عمر فى هذا المجال يتمثل فى تخطى المنظور إلى ما وراء المنظور ، وانتقال الوعى من رؤية العين إلى رؤية الفكر ، واحتشاد العقل لتفسير الظواهر النفسية فى ضوء ما يصحبها من أعمال وما يعقبها من أحداث!

هنا يتركز امتياز عمر ؛ فهو يعرف عن قريش أمورا لا تخفى على أمثاله من البصراء : يعرف عنها تلك الكبرياء الموروثة عن مكانها فى الجاهلية ، ويعرف عنها هذا الصلف المكتسب من سيادتها فى الإسلام ، ومن هاتين الزاويتين قدر كل ما يمكن أن تتسم به الأرستقراطية القرشية من أسباب الزهو ومظاهر الخيلاء . لقد كان هذا الحى من أحياء العرب هو صاحب الكلمة الأولى قبل أن يظهر فى الأفق محمد . كان له المجد الذى يأتيه من عزة الدنيا وزعامة الدين : فهو القائم على مناسك الحج يستأثر بها من دون العرب جميعا ، ويتسلط بها من دون العرب جميعا ، على القبائل كافة ، ويستمد من هذه السلطة الدينية كل منابع القوة والرفعة والتفوق على غيره من الأحياء .. وهو صاحب التجارة الضخمة والمال الوفير ، وما يتبعهما من سعة الشهرة ونفاذ الكلمة ودوافع السيطرة والغلبة والاقتحام . كان له هذا كله قبل أن تسطع أضواء الرسالة المحمدية فى سماء الجزيرة العربية ، وحين سطعت هذه الأضواء كان لقريش حق آخر لا يزاحمها فيه مزاحم ولا يجادلها فيه إنسان ، وهو شرف الانتساب إلى محمد الزعيم وشرف القرابة من محمد الرسول ..

وحسبها من هاتين الناحيتين أن تغلو وتمعن فى الغلو ، وأن تطمع وتسرف فى الطمع ، وأن تطمح وتغرق فى الطموح ؛ ولا عجب إن عادت الأرستقراطية القرشية فيما ورثته من معانى الصلف ومعالم الكبرياء ، ولا عجب أيضا إن مضت فى طريقها جامحة لا يكاد يهذب من جوحها إنسانية محمد ولا سماحة الصديق !

نعم ، لم يهذب من جوحها هـذا الذى قلناه . وإننا لنرمز للأرستقراطية القرشية فى عهد النبى وأبى بكر بمثل واحد هو خالد بن الوليد .. لقد كان خالد مثلا صادقا ووجهـا سافرا لتلك الأرستقراطية المتميزة بالألوان من الغطرسة والاستعلاء ، ولعل ما كان يثير من غلوائه أنه كان واحـدا من قريش ، يقبس من أمجادها مجده ثم يضيف إليه مجد القائد الظفر لجيوش المسلمين . وكل هذا قد دفع ابن الوليد إلى شيء من الازدراء للغـير وإلى أشياء من الزهو عليه ، كأن يكون هذا المزدرى رجلا كعمار بن ياسر على سبيل المثال .. عمار الذى لاقى فى سبيل الدعوة من صنوف الذل وضروب الهوان ما لم يلقه إنسان ، عمار الذى عاش مجاهدا ومات شهيدا وعطر صفحات التـاريخ بمداد التضحية وسطور الفداء ؛ عمار هذا يخاصمه خالد فى حياة محمد ثم ينسى جهاده فى سبيل الله وفضله فى نصرة الإسلام ، ولا يذكر له غير شيء واحد وهو يغلظ فى القول ويشتد فى الخصومة ، لا يذكر لعمار غير أن أمه « سمية » كانت أمة من إماء مخزوم ، وأن أباه « ياسرا » كان عتيقا من عتقاء مخزوم ، وهى حى من أحياء قريش كان من فتيانه خالد بن الوليد .. ومعنى هذا كله فى منطق الأرستقراطية القرشية أن العبيد لا يحق لهم أن يرفعوا الرءوس أمام السادة !!

وينطلق عمار إلى الرسول ليحتكم إليه شاكيـا ابن الوليد ، ويقبل خالد فى موكب من كبريائه القرشية ليواجه عمارا أمام النبى بمثل ما واجهه به ، فيصمت عمار ويطرق محمـد .. وحين تنتهى الأرستقراطية المتعالية من تهجمها على ابن ياسر وابن سمية ، يرفع رأسه الرسول الـكريم وينطق الإنسـان العظيم ، ينطق بعبارته الخالدة خلود الحق ، الباقية بقاء العدل ، الراسخة رسوخ اليقين : « من عادى عمارا فقد عادانى » !.. قالها محمد ولم يزد ، ولـكن العبارة الموجزة كان فيها من الزجر ، وكان فيها من الردع ، وكان فيها من التأنيب والتثريب ، كان فيها من هذا كله ما أشعر خالدا بالخجل وما جعله يطلب الصفح من الرسول ويلتمس العفو من عمار !

ولـكن هل رجع خالد عن طبعه وهل عدل عن سيرته بعد وفاة الرسول ؟ إن سماحة الصديق بعد إنسانية محمد ، لم تستطع أن تخفف من حدة تلك الغلواء القرشية أو توقف من اندفاعها فى طريق .. وهاهو التاريخ ينقل إلينـا موقف خالد بن الوليد من مالك بن نويرة حين قتله بغير حق ليتزوج من امرأته الحسناء . وها هو ينقل إلينا مرة أخرى كيف ثار عمر من أعماقه على هذا العمل الذى لا يقره العدل ولا يرضاه الضمير ، وكيف خذله أبو بكر حين طلب إليه أن يعزل ابن الوليد حتى لا يكون قدوة سيئة لمن هم تحت إمرته من قواد المسلمين . لقد كان أبو بكر رجلا سمح النفس لين العريـكة موطأ الأكناف يعمل بهدى محمد ، وما دام محمد فى رأيه قد وضع خالدا على رأس الجيش ثقة بقدرته واعترافا بمكانه ، فلا يحق لابن أبى قحافة أن يخرج على تلك الثقة الغالية فيعزل قائدا رضى عنه الرسـول ..ويسكت ابن الخطاب على مضض ويسرها فى نفسه إلى حين !

كان عمر كما قلت لك يعرف من أمر قريش ما قد يعرفه غيره من الناس ، ولـكنه كحاكم فيلسوف خبير طبائع النفوس ، كان يدرك أن قريشا كالطفل المدلل لا تنفع معه كلمات الزجر ولا تحول دون رغباته ألفاظ التـأنيب ، وإنما يصلح أمره بالحـكم الحازم واللقاء الصارم ، و« الدرة » التى لا تفرق حين تعلو الرءوس بين كبير وصغير . كان يخشى الفتنة وينشد العدل ويطمع فى مرضاة الله ، وكانت الفتنة التى يخشاها هى ما يعرفه عن قريش من حب للسيطرة ورغبة فى الاستعلاء ، وطموح لا يقف عند حد فى سبيل فرض الـكلمة على غيرها من الناس . وأى فتنة أشد خطرا وأبعد أثرا من أن تلغى الأرستقراطية القرشية شعـار الدعوة ودستور الإسلام : وهما لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، وأن أكرم الناس عند الله أتقاهم ؟ إن الإسلام لم يعترف بفضل غير فضل الجهاد ، ولا بمنزلة غير منزلة التقوى ، ولا بجاه غير جاه الدين ، ولا بسلطان غير سلطان العدل والمساواة .. فإذا كانت قريش لا تريد أن تعترف إلا بعزتها فى الجاهلية ومكانتها فى الإسلام وقرابتها من الرسول ، فهذه هى الفتنة التى كان يخشاها عمر ويقدر عواقبها فى

تشتيت الشمل وتفريق الكلمة وتصدع البناء . ومن هنا وقف ابن الخطاب فى وجهها بكل ما أوتى من حزم الحاكم وحكمة الفيلسوف : الدرة فى يمينه تأديب وتهذيب ، والكلمة على لسانه تشريع وقانون !!

بهذه الفلسفة الحاكمة وبعد وفاة أبى بكر ، واجه عمر كبرياء السادة من قريش .. عزل خالدا من القيادة والمعركة دائرة ليضع فى مكانه أبا عبيدة بن الجراح ، لأنه لم ينس لابن الوليد تلك الهفوة التى أقدم عليها يوما مطمئنا إلى سماحة الصديق ، وحتى لا يكون كما سبق أن قلت قدوة سيئة لمن هم تحت إمرته من قواد المسلمين ، ولعله قد أراد أن يكبح جماحه ليكون عبرة لأمثاله من الجامحين . ولم يكتف بهذا بل أخذ يراقبه ليقضى على البقية الباقية فيه من زهو الكبرياء القرشية ، وليجعل منها آخر الأمر قوة منهوكة لا تكاد تؤمر حتى تطيع . ويقص علينا التاريخ أن عمر دخل المسجد ذات يوم فوقعت عيناه على خالد وقد رشق فى قلنسوته عددا من السهام ، مختالا كما يختال بريشه المنفوش كل طاووس من الطواويس .. وتمتد يمين عمر بالدرة ليعلو بها رأس هذا الطائر المختال ، وتمتد شماله لتنزع السهام ملقية بها إلى خارج المسجد دون أن يسمع كلمة اعتراض ، ويهتف الجبار العادل فى صرخة خالدة : إن الله لا يحب كل مختال فخور ، ولن تزهى قريش وفى ابن الخطاب عرق ينبض !!

ويقص علينا التاريخ مرة أخرى أن عمر كان قد حدد يوما ليقسم فيه الغنائم على المسلمين ، وحين أقبل اليوم المرتقب تجمع الناس من حوله وازدحموا عليه ، حتى لم يبق مكان لقدم . ونظر عمر إلى رجل يدفع الناس بمنكبيه ويشق طريقه فى عنف حتى بلغ موضعه من الطليعة ، وكان هذا الرجل هو سعد بن أبى وقاص ، سعد الذى كان أول من رمى بسهم فى سبيل الله ، والذى فداه النبى بأبويه يوم أحد ، والذى رآه مقبلا ذات يوم فأشار إليه وقال لمن حوله : هذا خالى . سعد هذا رآه عمر يزاحم الناس يوم تقسيم الغنائم فلم يكن منه إلا أن علاه بالدرة وهو يصرخ فى وجهه : لم تهب سلطان الله فى الأرض فأردت أن أعلمك أن سلطان الله لا يهابك !!

ويقص علينا التاريخ مرة ثالثة وما أكثر ما يروى لنا التاريخ من أنباء عمر ، يقص علينا أن عبد الرحمن بن عوف قد أقبل يوما على الجبار العادل ومعه فتى من بنيه قد لبس قميصا من حرير ، فينظر إليه عمر غاضبا ويقول له : ما هذا الذى أراه يا ابن عوف ؟ لباس من حرير وابن الخطاب قائم على أمر هذه الأمة ؟ ثم يدخل يده فى جيب القميص فيشقه إلى أسفله . ويقول له عبد الرحمن وقد أذهلته المفاجأة : ألم تعلم أن رسول الله (ص) قد أذن لى فى لبس الحرير ؟ فيجيب عمر مصدقا له منكرا لمن عداه : بلى ! الحكاة شكوتها .. أما لبنيك فلا !!

وهكذا كان عمر حيال الأرستقراطية القرشية . يريد أن يسوى بين قريش وبين غيرها من العرب فى كل شأن من شؤون الحياة ، فلا فضل ولا تفوق ولا امتياز ، ولا شىء يمكن أن يفرق بين الناس فى مظهر من المظاهر ولا فى قيمة من القيم ولا فى حق من الحقوق . ولهذا أدارد فة الحكم كما سبق أن قلت ، بما عرف عنه من عبقرية القائد وحنكة الحاكم وكياسة المدبر .. وبقيت حقيقة تقف من هذه المقدمات المادية موقف النتيجة النفسية ، وهى أن تلك الكبرياء المقهورة فى نفوس قريش قد تنفست الصعداء بعد موت عمر ، فانطلقت فى عهد عثمان كما تنطلق الأسود السجينة قد أفلتت من قبضة السجان . ووقعت الفتنة التى كان يخشاها الحاكم الفيلسوف ، وهى أن يخلى بين قريش وبين ما تطمع فيه من سيطرة على العرب ، وما تطمح إليه من تحكم فى رقاب الناس ؟ وقعت الفتنة التى أودت بعثمان فيما أودت به من استقرار الأمور فى جيل من بعده أجيال . ويالها من نتيجة طبيعية تلك التى ترتبت على انقضاء عهد كان فيه ابن الخطاب كما صورناه : الدرة فى يمينه تأديب وتهذيب ، والكلمة على لسانه تشريع وقانون

يا درة عمر ، إن لك مكانا فى التاريخ .. ويا عدل عمر ، إن لك مكانا عند الله !!

أنور المعداوى

دين الفطرة

للأستاذ محمد احمد الغمراوى



عدت إلى الشرق الإسلامى عدوى من الغرب فى أمر الدين لم تكن لتنتقل إليه لو كان يدرى ما الدين الذى بيده ، أو كان يدرى فرق ما بين الدين فى الغرب وبين الاسلام

لقد حاول الغرب كثيراً أن يوفق بين دينه وبين العلم فلم يستطع، لا لجمود رجال الدين فيه هذه المرة ، ولكن لنصوص فى كتابه ناقضت ما أثبته العلم واستعصت على التأويل ، كالنص على عمر للدنيا محدود لا يتجاوز بضعة آلاف من السنين فى حين أن العلم اليقينى يقدر عمرها بالملايين . وكان من شأن ذلك أن حمل بعض كتابه مثل ماثيو أرنولد وبعض قسيسيه على أن ظنوا أن الدين قد خذله الواقع فلم يبق ما يستند إليه إلا الشعر ، أى إلا ما يتمثل فى ذلك الدين من معان شعرية وقيم أخلاقية لا غنى للانسانية عنها بحال . وقرأ ذلك وشبهه بعض مقلدة الغرب من المسلمين الذين يحتطبون فى حبل الغرب كيفما احتطب،فظنوا أن ما ينطبق على الدين هناك ينطبق على الدين هنا من غير أن يكلفوا أنفسهم مؤونة البحث عن الدينين هل هما مشتركان فى مخالفة اليقينى من العلم حتى يشتركا أيضاً فيما يترتب على تلك المخالفة من حكم . ومن هنا نجمت هذه الناجمة التى تحاول أن تطفئ نور الله بأفواهها حين تدعو من ناحية إلى اعتبار القصص القرآنى فنا يرمز إلى قيم أخلاقية من غير أن يقوم على حقيقة تاريخية ، ومن ناحية أخرى إلى تأويل نصوص الدين وأحكامه وتقييدها وتخصيصها بما لم يقيدها أو يخصصها به الله ولا رسوله ولا جماعة المسلمين من لدن أن نزل القرآن إلى هذا العصر الذى فقد الشرق فيه اتزانه ، وكاد أن يبيع بأبخس الثمن إيمانه

ومن العجيب أن الإسلام الذى يرمونه بداء غيره فينسبون إليه معاداة العلم أحياناً ومنافاة العقل أحياناً ومجافاة الفطرة أحياناً، هو وحده من بين الأديان السماوية الذى احتضن العلم وحاكم إلى العقل وميز الحق بخصائصه . وما عليك إلا أن تردد النظر فى القرآن الكريم وفى السنة المطهرة لترى الدليل تلو الدليل على أن الاسلام هو دين العلم والعقل والحق. وهو وحده من بين الأديان السماوية الذى عرف الفطرة وسماها باسمها ووصفها بأوصافها وشهد لنفسه أنه دين الفطرة ، بل أنه نفس الفطرة التى فطر الله عليها الناس . وآية ذلك قوله تعالى من سورة الروم

(فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التى فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

وقد غفل المسلمون عن هذه الآية بأنظارها غفلة يعجب منها كل ذى لب حتى يضرب كفا بكف ! فلا هم أطاعوا أولها ، ولا هم استمدوا التثبيت من آخرها ، ولا هم فقهوا ما بين ذلك منها ليتخذوا منه هادياً ودليلا وحجة تقوم وتدحض كل ما افترى أو يفترى الخصوم :

(فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله) : كلمات كل منها حجة قائمة وقوة قاصمة تصدع وتدفع كل من يرمى الإسلام بما لا يليق بدين الله

إن فكرة الفطرة وحدها لا يمكن أن تخطر ببال بشر من عند نفسه فى العصر الذى نزلت فيه الآية الكريمة ولا فى القرون الكثيرة بعده ، لأنها لم تنشأ بعد الإسلام إلا بنشوء العلم الحديث فى الغرب . ومن يدرى ! لعل الغرب استوحاها مما نقل إليه فى القرون الوسطى من كتب الاسلام

ونسبة الفطرة إلى الله الحق جل جلاله تشريف أى تشريف وإكبار أى إكبار للفطرة كلها ولفطرة الانسان على الأخص علها المقصودة هنا بالذات . وهى كفكرة الفطرة لا يمكن أن تخطر ببال بشر من عند نفسه ، لا فى عصر نزول الآية الكريمة ولا فيما

بعدها من العصور ؛ فإن الانسانية حتى فى عصر العلم الحديث هذا لم تهتد بعد إلى أن فطرة الانسان هى من عند فاطر الكون، وأنها جزء من الفطرة عامة لها حكمها وإحكامها . فكما أن الكون قد فطره فاطره على سنن وقوانين لا تتخالف ولا تتخلف كشف عن بعضها العلم الطبيعى الحديث ، كذلك الانسان فطره فاطر الكون على سنن وقوانين لا تتخلف ولا تتخالف لا مع نفسها ولا مع غيرها من سنن الله فى الخلق . وفى نسبة فطرة الانسان إلى فاطرها سبحانه يتمثل الفرق بين الانسان وبين دين الغرب الذى يقول بأن الانسان مفطور على الأثم . فالاسلام بتلك النسبة الكريمة يرفع الانسانية وفطرتها إلى الأوج ، ويفتح أمامها الباب واسعاً إلى السعادة والترقى الذاتى ، فى حين أن نسبة الفطرة الانسانية إلى الاثم توصد هذا الباب أمام الانسان وتنزل بفطرته إلى الحضيض

ومن عجائب تلك الآية الكريمة ودلائلها الباهرة وصفها الفطرة بأخص أوصافها وهى الاطراد والثبوت وعدم التخلف : (لا تبديل لخلق الله) . ووصف فطرة الانسان خاصة بأخص خصائص فطرة الكون عامة من الاتساق والاطراد والثبوت ، هو برهان على برهان أن القرآن من عند فاطر الفطرة سبحانه ؛ فإن الانسانية بعلومها الطبيعية الحديثة إذا كانت قد اهتدت إلى اطراد الفطرة فى المادة والطاقة ، فإنها لما تهتد إلى الفطرة ولا إلى اطرادها فى الاجتماعيات . فهى فى فلسفاتها ومذاهبها الاجتماعية فى البلبلة والاضطراب الذى ترى ، والذى لا ترى له مثيلا فى الطبيعى من العلوم

وقوله تعالى (لا تبديل لخلق الله) فى موضعها من الآية ليس فقط وصفا للفطرة التى فطر الحق سبحانه عليها الانسان وغير الانسان من حيث اطراد السنن وثبوتها ، ولكنه أيضاً أمر وتشريع ألا يبدل الانسان دين الله بتشريع من عنده كما فعل المسلمون ويفعلون منذ اتصالهم بأوروبا فى القرن التاسع عشر حين اتخذوا ويتخذون منها إماما ، ومن قوانينها ونظمها الاجتماعية بديلا من أحكام الله . ثم هو أيضا توكيد ، أى توكيد لما أمر الله به فى صدر الآية الكريمة من إقامة الوجه للدين فى تصميم وعزم ، وانصراف كلى إليه ، وميل عن كل ما سواه ، وإلا تعرض فى روحه واجتماعياته لكل ما يتعرض له ممن يخالف قوانين الفطرة وسننها فى المادة وما إليها.

ومن العجيب أن الإنسان مقبل كل الإقبال على الانصياع لما يعلم من قوانين الفطرة فى المادة والطاقة لا يجترئ على مخالفتها فى معامله ولا فى مصانعه ، فنال بذلك ما نال من القوة المادية الهائلة التى حملته وتحمله على الغرور والاغترار ، ثم هو منصرف انصرافا كبيراً عن الانصياع لقوانين الفطرة فى الروح والاجتماع بانصرافه عن الإسلام دين الفطرة : دين الله ، واجترائه عليه بالشك والتشكيك ، والاهمال والتجريح ، أو بالتأويل والتبديل ، والتحريف والتعديل ، كيفما شاء هواه فكان عاقبته أن صار قزما فى الروح عملاقا فى المادة ، أو قزما فى الناحيتين الروحية والمادية كلتيهما وكان عاقبة المسلمين بتركهم الدين وانخداعهم عنه ما نرى من الضعف والمهانة حتى اجترأ عليهم من لم يكن يدفع عن نفسه، وكان عاقبة الغرب حين لم تجد قوته المادية قوة روحية تكبح جماحها أن تعاورته الخطوب ودمرته الحروب وفرقته المذاهب والأهواء شيئا لا اتفاق لها ولا أمل فى اتفاق

ومن أعجب عجائب تلك الآية الكريمة وأكبرها وأبهرها وصفها الاسلام بأنه نفس الفطرة التى فطر الله عليها الناس. وهذا شىء فوق العقل البشرى أن يتصوره ، فضلا عن أن يسبق إليه فى القديم وفى الحديث . والانسانية إلى الآن لا تعقل حتى إمكان تحقيقه ؛ فلا فلاسفتها ولا مشرعوها يحدثون أنفسهم بالوصول يوما ما إلى نظام ينطبق على الفطرة من جميع الوجوه . والمسلمون فى شغل بما ينبذ إليهم الغرب من الآراء والمذاهب ، غافلين عن الكنز الذى فى أيديهم والنور الذى فوق أبصارهم ، وعن النعمة الكبرى التى من الله عليهم بها فى الاسلام

وليس وصف الاسلام بأنه نفس الفطرة التى فطر الله عليها الناس من باب المبالغة كما قد يظن بعض الناس ، فليس فى الآية الكريمة من أدوات المبالغة ولا من قرائنها شىء . بل هو وصف دقيق للدين الذى أنزله وكمله وأمر الناس بإقامة الوجه له مائلين عما سواه . فهو وصف محيط شامل لتمام انطباق دين الله على الفطرة التى فطر عليها الناس حتى كأنما هو هى ، لا تخالفه فى شىء ولا يند عنه منها شىء وفرق بين المبالغة وبين هذا التعبير الدقيق

عن عام تطابق الاسلام والفطرة . إن المبالغة فيها دائما تزيد عن الواقع ولو قليلا ، لكن الوصف هنا طبق الواقع من غير زيادة ولا نقصان مادام الواصف هو الله الحق سبحانه الذى فطر الفطرة وأنزل الاسلام لاسعاد الناس

ويمنع أيضا من احتمال المبالغة فى ذلك الوصف الالهى المعجز أن مجرد القول بها يجعل الدين مقصرا تقصيراً ما عن حاجة الانسان بفطرته ، وعندئذ ينفتح باب من جواز تطلب سد تلك الحاجة فى غير ما شرع الله للانسان من دين . وهو باب إن انفتح أوشك لما يحيط به من إبهام أن يؤدى إلى التحلل حتى من أساسيات الدين وأصوله كما يحاول بعض الأفاكين أن يلقى فى روع المسلمين اليوم . لكن الله برحمته وحكمته ، وهو أعلم بما خلق وأعلم بما نزل وشرع ، قد سد هذا الباب من الاحتمال إلى الأبد حين وصف الاسلام لتمام التطابق بينه وبين فطرة الانسان بأنه هو نفس الفطرة . وأرقى ما يمكن أن يطمح إليه الانسان من الرقى الروحى أن يحقق لنفسه فطرتها ، وأن يبلغ فى الترقى أقصى ما تسمح به فطرته . وليس إلى هذا سبيل إلا تمام الاستمساك بدين الفطرة الذى وصفه منزله وفاطرها بأنه هو نفس الفطرة : الاسلام

محمد أحمد الغمراوى

نجوى الرسول الأعظم

للأستاذ جورج سلستى

أقبلت كالفجر وضاح الأسارير   يفيض وجهك بالنعماء والنور !

على جبينك فجر الحق منبلج   وفى يديك مقاليد المقادير !

فرحت ، والليل ليل الكفر معتكر   تفرى بهديك أسداف الدياجير !

وعطر البيد آلاء ، وعرعها   يغنا يدوم إلى دهر الدهارير !

ما أنت بالمصطفى يا بيد مجدبة   كلا ! ولا أنت يا صحراء بالبور !

أبيت إلا سمو الحق حين أبى   سواك إلا سمو البطل والزور !

أطلعت من تاهت الدنيا بطلعته   ونافست فيه حتى موئل الحور !

أطلعت أكرم خلق الله كلهم   وخاتم الرسل الصيد المغاوير !

بوركت أرضاً تبث الطهر تربتها   كالطيب بثته أفواه القوارير ،

الدين ما زال يزكو فى مرابعها   والنبل ما انفك فيها جد موفور ،

والفضل والحلم والأخلاق ما فتئت   تحظى لديها بإجلال وتوقير !

قدك افتخاراً على الأكوان قاطبة   بما حبوت الورى يا بيد من نور !

فليس كالدين نور يستضاء به   فى عالم بظلام الجهل مغمور ،

يغزو بنوه هوى ، إلا أقلهمو ،   نزو البغايا بأكناف المواخير ،

ضلوا ، فما إن أرى فيهم أخا بصر   إلا نكبت بآلاف من العور !

. . .

يا سيدى ، يا رسول الله ، معذرة   إذا كبا فيك تبيانى وتعبيرى

ما ذا أوفيك من حق وتكرمة   وأنت تعلو مدى ظنى وتقديرى؟!

وأنت رب الأداء الفذ فى لغة   تشأو (١) اللغى حسن تنميق وتصوير

. . .

على لسانك ، ماجن البيان به ،   وأقصد الشعر يرنو شبه مسحور!

آى من الله ، ما ينفك معجزها   يعيى على الدهر أعلام التحارير !

تلوتها فسرت كالنور مؤتلقا   يطوى الدنى بين مأهول ومهجور!

ولفت الناس من بدو ومن حضر   كما تلف الثرى هوج الأعاصير

فلان من كان فظا ، واستكان لها   مستكبر ، وعنا طاغوت شرير !

وكنت عفا رقيق القلب متسما   بكل زاه من الأخلاق منضور

تستل بالحلم حقد الحاقدين وتحتل القلوب بلطف عنك مأثور ،

الله أكبر ! كم فى اللين من عظة   لعلق (٢) شر غليظ القلب مغرور

فاللين مقدرة ، والحلم مأثرة ،   والعطف مكرمة تنبيك عن خير (٣)

وأنت من أنت فى دنيا الخصال ألا   بوركت من مرسل بالطهر مفطور

تنهى وتأمر بالحسنى ، ورائدك الدين الحنيف بما ألهمت من سور (٤) !

. . .

يا ممرع البيد بالإيمان ، مرحمة   فقد تناءى الهدى من صفوة الدور

وجامع الشمل بالتقوى لقد صفرت   منها النفوس فتاهت كاليحامير (٥)

أشكو إليك دياراً كنت مرشدها ،   ومرشدوها استكانوا اليوم للنير !

---

١) تشأو : تسبق وتفوق ، واللغى جمع لغة ، وتجمع على لغات ولغون :

٢) يقال هو علق شر لمن يحب الشر ويتبعه

٣) الخير بالكسر : الأصل والشرف

٤) سور : جمع سورة ، وتجمع على سور وسورات كذلك

٥) اليحامير : جمع يحمور وهو حمار الوحش ، وصفرت : خلت

وأصبحوا تبعاً (٥) للأجنبي ، فما زادوا وحقك إلا سوء تدبير !
وكان بالأمس حب الله يجمعهم ، فبات يجمعهم حب الدنانير !
وذى فلسطين أولى القبلتين ، لقد بيعت على يدهم بيع الجآذير !
والشعب — واحربا للشعب ساعة تقودها فى الفياق كف مأجور
قد باع تقواه بالدنيا ، وقال لها : سيرى كما شئت عمياء الهوى سيرى

. . .

يا سيدى ، يا نجى الله ، روعنا صرف الزمان بشر منه مسعور
وامتد بالعرب ليل النائبات ، أما للفجر بعد الدياجى من تباشير ؟ !
وطال منا السرى فى مهمه درست فيه الصوى قاتم الأرجاء مسجور
فاشفع فإنك أدنى المرسلين إلى البارى ، فنسلم من ذل وتمبير
ويرجع العز معقود اللواء لنا وحقنا مستحير غير منزور (٧)
واكلأ عليك صلاة الله ، أمتنا حيال ربك حتى نفخة الصور

بيروت **جورج سلستى**

---

٥) التبع : جمع تابع كخادم وخدم

٦) الصوى : جمع صوة وهى الحجر يكون هادياً للمسافر يغنيه عن الدليل ومسجور : فارغ ، ساكن — والموقد .

٨) المستحير : المكتمل ، والدائم الذى لا ينقطع

الإسلام نظام عالمى

للأستاذ عباس خضر

شاع بيننا — منذ غزتنا أوربا بجيوشها وحضارتها — أن الحياة الدينية شيء آخر غير الحياة العملية ، وحرص الغزاة على أن يقروا هذا الوهم فى نفوسنا ، وأردنا نحن ذلك وسعينا إليه وعملنا له ، عند ما رأينا الحياة الأوربية نفسها قائمة على ذلك الوضع ، إذا بدا لنا أن ننهض كما نهضت أوربا ، وقد قامت النهضة الأوربية بمعزل عن الحياة الدينية بعد أن اجتازت دور الصراع بينها وبين الكنيسة ، ذلك الصراع الذى انتهى إلى جعل الدين فى وضع صلاحى يتفق مع مبادئ المسيحية التى تنحصر فى شعائر العبادة والتهذيب الروحى وتدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، ولم نهتم بأن نلائم بين نهضتنا الحديثة وبين شريعتنا الإسلامية ، وساعد على ذلك جمود علماء الإسلام ونفورهم أو توجسهم الشر من دخول الحضارة الأوربية إلى حياتنا ، وكان التيار — ولا يزال — جارفا ، ولم تكن مقاومته مستطاعة ، ولم تكن من الخير لتقدمنا ، وكان الخير كله أن نتقبله ونحيله إلى ما يوافقنا ، وكان هذا يقتضى نشاطاً عقلياً متجدداً ، وكان أيضاً يقتضى جواً من الحرية خالصاً من أغراض الاستعمار

ولندع ما كان وما كان يمكن أن يكون ، لنعود إلى ما جرنا إليه ، وهو تقليد الأوربيين فى التفرقة بين الدين والمجتمع . الحقيقة التى يعرفها كل متبصر فى الإسلام أن هذا الدين نظام كامل للحياة من نواحيها المختلفة ، وهو ينظر إليها على أنها « مركب » — كما يعبر الكيمائيون — فليس هناك ناحية روحية منفصلة عن ناحية مادية ، وليست هناك سلطة زمنية لا تعرف الدين إلا على سبيل التبرك به ، وليس للدين رجال معينون دون سائر المسلمين ، فكل مسلم رجل دين ، وقد جرى المجتمع الاسلامى — قبل تقليد الأوربيين — على تسمية الدارسين للشريعة الاسلامية بأسماء مختلفة ليس من بينها « رجال الدين » كانوا : أئمة ، علماء ، فقهاء ، الخ وكان لفظ « الاسلام » لا « الدين » هو الذى يطلق غالباً على هذه الشريعة الكاملة التى تشمل نواحى الحياة جميعا ، كما تطلق الآن كلمة « الديمقراطية » أو « الاشتراكية » أو « الشيوعية » لتدل على مبادئها ووسائلها فى تنظيم الحياة

كنا إذن « إسلاميين » ثم تحولنا عن « الاسلامية » فى أكثر نظمنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وأرضينا ضميرنا الدينى أو خدعناه بأنه يكفى لاسلامنا أن نؤدى بعض الشعائر ونخضع للكثير من الأباطيل والخرافات التى تلتبس بشعائر الدين ، وضربنا سوراً حول المشتغلين بالدراسات الاسلامية وعرفناهم بزى خاص وسيماء معينة وسميناهم روحانيين ثم سمينا أنفسنا « ديمقراطيين » وأخيراً حلا لنا لفظ « الاشتراكية » فاتخذناه أو ادعيناه كما

ادعينا الديمقراطية من قبل

ولنفرض أننا الآن أردنا أن نعود إلى الاسلام بمعناه الحقيقى الكامل ، مع استمرار سيرنا فى ركب الحضارة العالمى ، فهل يمكن ذلك ؟ وماذا ينبغى أن نفعل ؟

أعتقد أولا أنه لا يقف فى سبيل ذلك إلا فهمنا المخطئ لحقيقة الإسلام ، وأول شىء هو أن نصلح هذا الخطأ فى عقولنا ، ثم نعمل بمقتضى هذا الاصلاح

والعجيب أن كثيراً منا يدافعون عن الإسلام بما لا يجعله صالحاً لمسايرة التقدم الانسانى ، فيثلبون النظم الغربية لأنها مادية وأما نحن فقد صفت قلوبنا من المادية لأننا روحانيون . . ! فهل نحن كذلك ، أو هل ينبغى لنا أن نكون كذلك ؟ لقد أشرت فيما تقدم إلى أن الاسلام ينظر إلى الحياة كوحدة كاملة ، حياة تسودها الضرورات المادية ويحكمها الضمير أو الوازع الذى ينظم التكافل الاجتماعى ويربطه برباط مكين

إن الإسلام لم يهمل الجانب العملى فى الحياة ، بل حث عليه ودعا إليه ، قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع . ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون. فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده »

بل إن الإسلام قدم الجانب العملى فى الحياة على الجانب التعبدى ، ورفع الأول على الثانى فى بعض المواطن . روى أنس : كنا مع النبى فى سفر ، فمنا الصائم ومنا المفطر ، قال: فنزلنا منزلا فى يوم حار، أكثرنا ظلا صاحب الكساء ، فمنا من يتقى الشمس بيده ، قال : فسقط الصوام ، وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب، فقال الرسول صلوات الله عليه وسلامه : ذهب المفطرون اليوم بالأجر كله

وذكر للنبى صلى الله عليه وسلم رجل كثير العبادة فقال : من يقوم به ؟ قالوا : أخوه . قال : أخوه أعبد منه

وشهد شاهد عند عمر بن الخطاب ، فقال : ائتنى بمن يعرفك ، فأتاه برجل ، فأثنى عليه خيراً ، فقال له عمر : أنت جاره الأدنى الذى يعرف مدخله ومخرجه ؟ قال : لا . قال : كنت رفيقه فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ قال : لا . قال : أظنك رأيته قائماً فى المسجد يهمهم بالقرآن ، يخفض رأسه تارة ويرفعه أخرى ؟ قال : نعم . فقال : اذهب فلست تعرفه . وقال للرجل : اذهب فائتنى بمن يعرفك

هذا هو الإسلام فى حقيقته ، يحض على العمل ، ويقدر القيم بالنتائج العملية ، ويعرف أقدار الناس بأعمالهم وسلوكهم فى المجتمع لا بمظاهر النسك والعبادة . وهو يقيس هذه الأقدار أيضا بكفايات أصحابها وما يحسنون من أعمال . كتب أبو بكر إلى أبى عبيدة ما يلى :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله بن أبى قحافة إلى أبى عبيدة بن الجراح . سلام الله عليك ، أما بعد فقد وليت خالداً قتال العدو فى الشام ، فلا تخالفه واسمع له وأطع ، فإنى وليته عليك وأنا أعلم أنك خير منه وأفضل دينا ، ولكن ظننت أن له فطنة فى الحرب ليست لك ، أراد الله بنا وبك سبيل الرشاد »

وهكذا فرق أبو بكر بين الورع والتقوى وبين الكفاية الحربية، وهو فى ذلك يصدر عن روح الإسلام العملية ، فهو مع إكباره لأبى عبيدة وتقديره لديانته وتقواه ، يسند العمل لمن يراه أهلاً له وأقدر على القيام به ، وهذا يدل على أن رجال الحكومة فى الإسلام لا يصطبغون بالصبغة الدينية المقدسة ، فإن الإسلام يقضى بأن يتولى الأمر من يحسنه لا من هو أعلم وأتقى ، ومن هنا تبطل دعوى من يصف الحكومات الاسلامية بأنها دينية لا تصلح للقيام بالأمور ، لأنها تتسلح بالقداسة الدينية وتمتنع بها على النقد

وذلك لأن الحكومة التى تسير على نهج الاسلام لا تتصف بالصفة الدينية على النحو الذى يصفونه ، وإنما هى حكومة تستمد سلطتها من الأمة لا من حق إلهى ، وتعمل برقابة من الأمة ، وكلنا يعلم ما قاله عمر بن الخطاب ، وهو واقف على المنبر : من رأى فى اعوجاجا فليقومه ، ورد أحد المسلمين عليه بقوله : والله يا عمر لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد سيوفنا

أما التكافل الاجتماعى بين الناس فقد بلغ فيه الاسلام الغاية حتى إنه جعل الأمة الاسلامية كلها جسماً واحداً، قال النبى صلى

غزوة بدر، بين القرآن والشعر

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ١ —

بين القرآن

لغزوة بدر أثر كبير فى حياة الدولة الإسلامية الناشئة ففيها جمع المكيون أمرهم ، وحشدوا قوتهم ، وأقبلوا بجموعهم ، يريدون القضاء على هذه الجماعة التى عابت دينهم ، وسفهت أحلامهم ، ووجدوا أن الفرصة التى طالما تمنوها قد واتتهم بمهاجمة محمد وصحبه ، فربما أمكنهم فى هذه المعركة قتل الرسول ، فيمضى دينه معه ، ويعودون إلى ما كانوا عليه من قبل ، لا ينغص عليهم حياتهم دعوة إلى نبذ ما ألفوه ، وطرح ما ورثوه عن آبائهم من عقائد وعادات



ولكن الدائرة دارت عليهم ، على غير ما كانوا يؤملون ، وانتصر المسلمون انتصاراً مؤزراً ، فقتلوا فيه جمعاً من رجالات قريش ، وأسروا طائفة أخرى ، وعاد الرسول وصحبه فرحين بانتصارهم ، مبتهجين بما أفاء الله عليهم ، ورجع المكيون يحرقون الأرم على ما نزل بهم من هزيمة نكراء

وقد نزل من القرآن الكريم فى هذه الغزوة المباركة سورة كاملة ، هى سورة الأنفال ، تنوع فيها القول بين حديث عن المؤمنين ، وحديث عن المشركين ، وسن أحكام جديدة يقتضيها هذا العهد الجديد من عهود الجهاد

تحدثت السورة عن هذه الغزوة ، فتغلغلت إلى أعماق نفسية المؤمنين ، فحدثتنا عن كراهة

الله عليه وسلم « المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما فى الرأس » والأحاديث الواردة فى هذا المعنى كثيرة مستفيضة . وقد محت الرابطة الاسلامية الفوارق بين الناس ، فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى فلا جنسية ولا لون ولا إقليمية ولا شىء مما إلى ذلك يفرق بين الناس ، وقف سلمان الفارسى يقسم الغنائم بين المسلمين فى إحدى الوقائع بين المسلمين والفرس ، وفى الغنائم جواهر فارس وتيجان كسرى ، فنظر إليه أحد زعماء الفرس مغيظاً وقال : يا سلمان إنها أمجاد قومك تسلمها لهؤلاء العرب ! فقال سلمان : لست من أبناء الفرس ، وإنما أنا ابن الاسلام

وقد كفلت المبادئ الاسلامية السعادة لجميع أفراد المجتمع ، وإن كانت هذه المبادئ تحتاج فى هذا العصر إلى اجتهاد وتنظيم لتوافق روح العصر وتساير الركب ؛ وهى حافلة بالذخائر التى يجب أن نكد فى استخراجها ونحسن تطبيقها . هذا هو الضمان الاجتماعى التى تقوم به الآن وزارة الشؤون الاجتماعية ، ليس جديداً على الاسلام ، فقد كان يعمل به فى العصور الاسلامية المتقدمة . ومما يتصل بذلك ما حكى عن عمر أنه مر بشيخ كبير يسأل الناس فسأله عن حاله ، فلما عرف ضعفه وحاجته ، قال له : لقد ظلمناك ، أخذنا منك الجزية فى شبابك ولم ننصفك فى كهولتك وأمر له بدينارين كل شهر من بيت المال

وأحب أن أنبه إلى نقطة مهمة فى هذا الموضوع ، وهى أن الاسلام لا يقصد بتشريعه المسلمين وحدهم ، وإنما هو يعتبر المواطنين من أهل الأديان الكتابية الأخرى كالمسلمين ، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم فهم أفراد من الأمة يظلهم النظام الاسلامى كما يظل المسلمين ، وهم أحرار فى عباداتهم ، ولكنهم يشاركون المسلمين فى الحقوق والواجبات ، فكل نظام إسلامى يشمل من يعايش المسلمين فى بلادهم من أهل الكتاب ، فهو يعتبرهم « إسلاميين » فالاسلام يجمعهم والمسلمين ، وإن كان لكل عبادته ، وهذه نقطة أخرى تدحض من يصف الدولة الاسلامية بأنها دينية على معنى أنها تقوم على صالح من ينتمى إلى الدين الاسلامى فقط

الإسلام ذخيرتنا ، وفيه كل ما نحتاج إليه ، لتقدمنا وإصلاح أحوالنا ، وهو نظام عالمى يكفل للناس الحرية والاخاء والمساواة ، ويجب أن نحرص عليه وندعو إليه ، لا أن نتركه ونستجيب لدعوات النظم الأخرى .

عباس خضر

بعضهم للخروج إلى القتال كراهة مليئة بالخوف والجزع، وقد دفعهم ذلك إلى جدال الرسول جدالا عنيفا، برغم ما يسوقه الرسول من حجج، يؤيد بها ما يريده من الخروج إلى حرب القرشيين، ويصور القرآن في صراحة جزع هؤلاء إذ يقول: «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، وإن فريقا من المؤمنين لكارهون، يجادلونك في الحق بعد ما تبين، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون» ولعل قلة المسلمين يومئذ هي التي دفعت هذا الفريق إلى الجدال، وإلى الرغبة في أن يستولوا على أموال المكيين، ويعودوا المدينة بلا قتال. وهنا يذكر القرآن أن الله لم يخرجهم من ديارهم رغبة في مغنم يحصلون عليه، ولكن يريد أن يثبت بهم دعائم هذا الدين الجديد، وينصر الحق «ويقطع دابر الكافرين»

وتصور السورة المؤمنين، وقد وصلوا إلى ميدان المعركة، شاعرين بضعفهم، لاجئين إلى الله أن يمدهم بقوة من عنده، فيمضي الرسول مقويا من روحهم المعنوية، ويعدهم بأن الله سيمدهم بالملائكة ينصرونهم، حتى تطمئن قلوبهم، ويملأ التفاؤل أنفسهم، وكان لذلك أثره، فثبتوا في المعركة ثباتا أذهل أعداءهم، وملأ قلبهم بالوهن والرعب، حتى تمكن المسلمون من ضرب أعناقهم وبتر أعضائهم، «إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم، فثبتوا الذين آمنوا، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب، فاضربوا فوق الأعناق، واضربوا منهم كل بنان»

ويرسم القتال ميدان القتال، وقد اتخذ فيه المسلمون أماكنهم بالعدوة الدنيا من وادي بدر، واتخذ الأعداء أماكنهم بالعدوة القصوى منه، وكأنما يريد القرآن ألا ينسوا هذا الموقف، وأن يذكروا ما كان يخالطهم فيه من مشاعر وإحساسات، ويسجل شعور الطائفتين عندما تراءى الجمعان، فقد خيل للمسلمين أن أعداءهم قلة، فأقبلوا مستميتين في القتال حتى هزموهم، وخيل للمشركين أن أصحاب محمد قلة، فخاضوا غمار المعركة مستهينين، وقد ألقى في نفس الطائفتين هذا الشعور، ليتم ما أراده الله من انتهاء المعركة بما انتهت به، انتهاء أوحى إلى نفوس المسلمين الشعور بقوتهم ماداموا ينصرون الحق، ويذودون عن الدين الصحيح، حتى لكأن الله يدافع عنهم، ويذود دونهم، «إذ أنتم بالعدوة الدنيا، وهم بالعدوة القصوى، والركب أسفل منكم، ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد، ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، وإن الله لسميع عليم، إذ يريكهم الله في منامك قليلا، ولو أراكهم كثيرا لفشلتم، ولتنازعتم في الأمر، ولكن الله سلم، إنه عليم بذات الصدور، وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا، ويقللكم في أعينهم، ليقضي الله أمرا كان مفعولا، وإلى الله ترجع الأمور». وهو عندما يذكرهم بالله وقوته، حين يقول: «فلم تقتلوهم، ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت، ولكن الله رمى» — يملأ قلوبهم ثقة بالله، واطمئنانا إلى نصره لهم، فتقوى روحهم المعنوية، ويقدمون على القتال بلا خوف ولا رهبة

وتحدثت السورة عن المؤمنين، وأخذت تحثهم على طاعة الرسول، بعد أن تبينوا عن رأيه، والنجاح فيما دعاهم إليه، وهنا ينفر من العصيان، مخرجا العاصين من عداد بني الإنسان، مذكرا إياهم بهذه النعمة الشاملة التي أسبغها عليهم، وهي نعمة أمنهم بعد الخوف، ونصرهم بعد الضعف، فجدير بهم أن يستجيبوا لله وللرسول وألا يخونوهما، وألا يدعوا أموالهم وأولادهم تحول بينهم وبين هذه الطاعة، «يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، ... واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس، فآواكم، وأيدكم بنصره، ورزقكم من الطيبات، لعلكم تشكرون، يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول، وتخونوا أماناتكم، وأنتم تعلمون، واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة، وأن الله عنده أجر عظيم». وإذا كانت السورة قد عنيت بصفة الطاعة هنا، تحث المؤمنين عليها، فلأن صفة الطاعة أهم صفات الجندي، وأول خلة تطلب فيه، وبدونها لا يمكن كسب معركة، ولا الانتصار في قتال، والسورة تعدهم للجندية، فلا غرو أن دعتهم إلى الاستمساك بأهم صفاتها

كما تحدثت حديثا طويلا عن المشركين، وصفت فيه موقفهم

من الرسول ، وموقفهم من القرآن ، وموقفهم من الدين الجديد وتعاليمه :

أما موقفهم من رسول الله ، فقد دبروا له المكايد ، يريدون أن يحبسوه ، أو يقتلوه أو يخرجوه ، وكان موقفهم من هذا الدين الجديد موقف السفهاء الذين يدفعهم سوء تفكيرهم إلى أن يطلبوا آية تؤذيهم . وكان موقفهم من الصلاة سخرية واستهزاء ، ويصف القرآن بذلهم الأموال لهدم هذا الدين الجديد ، ويسخر من ضياعها سدى ، قال سبحانه . « وإذ يمكر بك الذين كفروا ، ليثبتوك (١) ، أو يقتلوك ، أو يخرجوك ، ويمكرون ، ويمكر الله والله خير الماكرين ، وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا : قد سمعنا ، لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم ، ... وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء (٢) وتصدية (٣) ، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ، إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ، ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ، ثم تكون عليهم حسرة ، ثم يغلبون ، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون »

والقرآن في هذه السورة يصور نفسيتهم عندما جاءوا إلى المعركة ، فقد كان الغرور يملأ أفئدتهم ، وكانوا يرغبون رغبة ملحة في أن يطير ذكر خروجهم في العرب ، وأن يخنقوا هذا الدين الجديد ، وقد أصغوا إلى ما غرهم به الشيطان وما وعدهم من النصر ولكنه لم يلبث أن تركهم وحدهم في ميدان المعركة لمصيرهم المشئوم . لقد طار غرورهم تحت شدة وطأة الضربات القوية التي كالها المسلمون لهم ، والقرآن يصور ذلك في أسلوب أخاذ ، فيقول « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ، ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط ، وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم ، وقال : لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإني جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه ، وقال : إني بريء منكم ، إني أرى ما لا ترون ، إني أخاف الله ، والله شديد العقاب »

ومع تهديد القرآن للمشركين ، وتوعده لهم قائلا : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ، وإن تنتهوا فهو خير لكم ، وإن تعودوا نعد ، ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت ، وأن الله مع المؤمنين » — يفتح أمامهم باب الأمل ، ويمهد أمامهم السبيل للعودة إلى الحق ، فوعدهم بأن يغفر لهم الآثام الماضية إن هم عادوا إلى الحق وتركوا اللجاج في الطغيان ، « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ، وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين » وذكرهم القرآن بآل فرعون ومصيرهم عندما « كفروا بآيات الله ، فأخذهم الله بذنوبهم ، إن الله قوي شديد العقاب » ؛ وصور لهم المصير المؤلم الذي ينتظرهم ، إذا هم أصروا على عنادهم ، وعادوا في كفرهم ، فإن الملائكة يستقبلونهم شر استقبال ، ويدفعونهم إلى عذاب أليم ، « ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت أيديكم ، وأن الله ليس بظلام للعبيد » ؛ وكل ذلك يدفعهم إلى التفكير العميق ، ويثير فيهم غريزة المحافظة على الذات كي لا يلقوا بأيديهم إلى التهلكة ، وكي يعدوا منذ اليوم عدتهم للنجاة من هذا المصير .

ولما كانت معركة بدر أولى المعارك الكبرى ، فقد ضمت سورتها تعاليم يسير المسلمون عليها في حروبهم المقبلة

وأول هذه التعاليم الثبات المستميت في الجهاد ، وهو يتوعد شديد الإيعاد من يفر من المعركة ، لما للفرار من الأثر في تحطيم وحدة الجيش والذهاب بماله من قوة معنوية ، فقال سبحانه : « يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ، ومأواه جهنم ، وبئس المصير »

ومن تلك التعاليم ألا يسمحوا للنزاع بأن يدب بينهم ، وأن تكون الطاعة لله وللرسول شعارهم ، « يأيها الذين آمنوا ، إذا لقيتم فئة فاثبتوا ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ، إن الله مع الصابرين »

ومنها أن تكون العقيدة هي التي تدفعهم إلى الجهاد ، لا محبة الاعتداء ، ولا الغرور والرياء ، وقد سبق أن بينا كيف نعى على المشركين غرورهم وبطرهم

---

(١) أثبته حبسه (٢) صفير (٣) تصفيق

من شئون المساكن وتخطيط البلدان

في النظم الاسلامية

للأستاذ لبيب السعيد



لما انعقدت بالقاهرة أخيراً حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية ناقشت مشكلة المساكن وتخطيط القرى في الريف ، وفي رأينا أنه كان يجمل بالمؤتمرين — وهم مندوبو دول عربية إسلامية — أن يلتفتوا إلى آراء النظم الاسلامية في هذا الشأن ، ولكنهم لم يفعلوا . والظن أنهم في غمرة التقدير المسرف لنظم الغرب وأفكاره وتشريعاته شغلوا عن الافادة من النظر في تضاعيف التاريخ الاسلامي وما يحوى من ثروات اجتماعية فكرية وتشريعية ، وهي ثروات يمكن الانتفاع منها في الطب للمشكلة والملاءمة عند الاقتضاء بين بعضها وبين الزمن . وربما كان من دواعي هذا الاغفال أن نظمنا الاسلامية لم يستخرج بعد الكثير من غرائب نصوصها ، ولم تدرس بعد على نحو علمي عميق يجلوها نصوصاً وروحاً ومعقولا

• • •

وفي موضوع المساكن ، تسبق النظم الاسلامية إلى مبدأ بالغ الأهمية هو إلزام الدولة بتدبير مساكن للفقراء ، ذلك أن الشريعة تقتضي أغنياء كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، وأن يجبرهم السلطان

وللعقيدة أثرها في الروح المعنوية ، حتى لقد جعل القرآن الرجل المؤمن ذا العقيدة يساوي عشرة من المسلمين في ميدان القتال ، ثم خفف الله عنهم وجعله يضارع رجلين

ومنها الحزم في معاملة العدو ، وعدم الظهور بمظهر الضعف ، لئلا يظن العدو فيهم وهنا ، فهؤلاء الذين لا يحترمون عهودهم إذا عقدوا عهدا — جدير ، إذا حوربوا ، أن يكونوا عظة لغيرهم ، وأولئك الذين يضمرون الخيانة حريون بأن ينبذ إليهم عهدهم ؛ ويوصى القرآن بإعداد القوة والعناية بأمرها ، لما طبعت عليه النفوس البشرية من خوف القوة والحذر منها ، فقال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم ، لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم ، وأنتم لا تظلمون »

وتحدثت السورة كذلك عن تقسيم الغنائم ومعاملة الأسرى ، وختمت بالثناء على هؤلاء الذين جاهدوا في تلك الغزوة ، وأبلوا فيها أحسن البلاء من المهاجرين والأنصار ، ووعدتهم بأكرم الوعود ، قال سبحانه : « والذين آمنوا ، وهاجروا ، وجاهدوا في سبيل الله ، والذين آووا ونصروا ، أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم مغفرة ورزق كريم »

أرأيت كيف تنوعت أغراض السورة ، بين وصف لنفسية الفريقين المتقاتلين ، وعمل على تقوية الروح المعنوية في نفوس المؤمنين ، وتحطيم هذه القوة عند المشركين ، وكيف يقف الدين الجديد إزاء هؤلاء المشركين موقف الحزم المشوب بالرحمة وفتح باب الأمل ، وكيف كانت الغزوة سببا في سن تعاليم جديدة توطد للدين الناشئ أقدامه ، وتهدم ما بناه المشركون من أوهام وخرافات وكيف أثنى على من أقدموا على الجهاد ثناء يوحد بين قوى المهاجرين والأنصار ، ويؤلف بين قلوبهم

للكلام بقية

احمد احمد بدوي

على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم . والقيام بالفقراء لا يكون بتدبير القوت وكسوة الشتاء والصيف فحسب ، ولكن أيضاً بتجهيز مساكن لهم يصفها ابن حزم بأنها « تكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة » [١]

وتوفير المساكن أمر عمراني تستهدفه النظم الإسلامية ؛ فليس للمالك دار أن يهدمها إذا كان في ذلك — كما يعبر المفتون — « ضرر لأهل السكة بخراب المحلة » [٢]

والمسلمون في سياستهم المسكنية يعنون بقوانين الصحة الوقائية ، فهم مثلا لا يغفلون عن وجوب نقاء ماء الشرب ، ويعرفون للماء خطره في توفير النظافة ، ولذلك فهم حين تواتيهم الفرصة بفضل الظروف الطبيعية يزودون البيوت كبيرها وصغيرها بالمياه النقية . يتحدث المرحوم الأستاذ أمير علي عن مياه الشرب في دمشق أيام الأمويين . فيقول : « ومع أن نهر (بردى) كان يجهز المدينة ولا شك بالمياه الكافية إلا أن الأمويين أبدوا مهارة منقطعة النظير في تجهيز حتى أحقر دور المدينة بأحواض خاصة تنبثق منها المياه الصافية ، كما حفروا سبعة جداول رئيسية تنساب في أنحاء المدينة ، علاوة على المجاري العديدة الأخرى التي كانت تربط كل منزل بالمجرى الرئيسي . » [٣] ولقد زار ناصر خسرو المسجد الأقصى فرأى هناك « ميازيب من الرصاص ينزل منها الماء إلى أحواض حجرية تحتها ، وقد ثقبت هذه الأحواض ليخرج منها الماء ويصب في الصهاريج بواسطة قنوات بينها غير ملوث أو عفن » [٤]

ويبدو أن العناية بالمرافق العامة كانت مبذولة في مختلف البلاد الاسلامية صغيرها وكبيرها ، فمن وصف ناصر خسرو لمسجد (ميافارقين) في فارس أن « لميضأته أربعين مرحاضاً عر

١ — المحلى ﺣ ٦ ص ١٥٦

٢ — الفتاوي الأنقرية ﺣ ١ ص ٣٦٦

٣ — مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي: ترجمة رياض رأفت ص ١٦٨

٤ — سفرنامه ترجمة يحيى الخشاب ص ٢٦

أمامها قناتان كبيرتان : الأولى ظاهرة ليستعمل ماؤها ، والثانية تحت الأرض لحمل الثفل والصرف » [١] . ومن وصفه لمسجد (آمد) « أن به ميضأة عظيمة جميلة الصنع بحيث لا يوجد أحسن منها » [٢] . وكذلك من وصفه لسوق طرابلس الشام أن فيها مشرعة ذات خمسة صنابير يخرج منها ماء كثير ، ويأخذ منه الناس حاجتهم » [٣] . ويذكر ابن دقاق عن وزير لآل طولون أنه « عمل المجاري في سنة ٣٠٤ أو ٣٠٣ هـ » [٤] . وكشفت حفريات الفسطاط عن كثرة المعدات الصحية وانتشارها فيها ؛ يقول صاحبا هذه الحفريات المرحوم علي بك بهجت والمسيو ألبير جبريل في هذا الشأن : « يستدل من كثرة المعدات الصحية وانتشارها على زيادة العناية بأمور الصحة العمومية لأنا لم نر داراً خلت من وجود مجارير للمراحيض متسلطة على بيارة تنصرف إليها أيضاً مياه الدار » [٥] . وقد وصف هذان الأثريان تفصيلا نظم بناء المراحيض والمجاري بالفسطاط ونظم توزيع الماء في هذا البلد ، سواء بالآبار أو بالقنوات والأنابيب أو بالفساقي وأحواض غسل الأيدي فنستدل من هذا الوصف على تقدم في الهندسة الصحية [٦]

ونقل المؤلفان عن مخطوط في الحسبة بمكتبة الجامعة الفرنسية ببيروت نصا مؤداه أنه لا يجوز لأحد إخراج كل ما فيه أذية وأضرار على السالكين في الشوارع كمجاري الأوساخ الخارجة من الدار في زمن الصيف إلى وسط الطريق [٧] ، كما نقلا أيضاً نصا يفيد أن على من ينقلون السماد إلى ظاهر البلد أن يحفروا له حفائر ، فإذا نقل إليها يطم عليه حتى تنقطع رائحته ، فلا يتأذى منه أحد ، ويمنعون من نقل ذلك إلى الماء وطرحه فيه أو ما حوله [٨]

ومن القواعد الشرعية الاسلامية أنه إذا كان لدار مسيل قذر

١ — نفس المصدر ص ٨

٢ — نفس المصدر ص ٩

٣ — نفس المصدر ص ١٣

٤ — الانتصار لواسطة عقد الأمصار ﺣ ٤ ص ٥٦

٥ — حفريات الفسطاط ص ١٠٦

٦ — راجع نفس المصدر ص ٤٨ و ٦١ و ٧٢ ومن ١١٣ إلى ١١٦

٧ — نفس المصدر ص ١٠٦

٨ — نفس المصدر ص ١١١

فى الطريق العام ، وكان مضرا بالعامة، أو حتى فى الطريق الخاص وكان مضرا بأهله ، يرفع ضرره ولو كان قديماً ولا يعتبر قدمه [١]

وهكذا تتظاهر أدلة التاريخ والآثار والشريعة فى الشهادة بأن النظم الاسلامية أولت الصحة الوقائية عناية تامة

وتلتفت النظم الاسلامية إلى الأماكن الموصوفة فى مصطلح وزارة الصحة الآن بأنها « مقلقة للراحة أو ضارة بالصحة » وتتصرف تلقاءها على نحو يشبه ما تجرى عليه اللوائح المتعارفة حاليا

فلا يجوز مثلا إقامة مخبز أو مطحن أو مدق فى (الحيطان) التى كانت وقتئذ بمثابة مرافق صحية [٢] . ويمنع نصب المنوال لاستخراج الحرير من دود القز إذا تضرر الجيران بالدخان ورائحة الديدان [٣] . بل إن من حق الجيران منع من يتخذ داره حماماً إذا تأذوا من دخانه [٤] . ويمنع دقاق الذهب من دقه بعد العشاء إلى طلوع الفجر إذا تضرر الجيران من ذلك . وليس لأحد أن ينشئ بستاناً فى أرض رخوة يتعدى ضررها إلى جدار الجيران ، وكذا يمنع من يجعل دكانه طاحونة أو معصرة أو حماما أو اسطبلا، وليس لأحد أن يقيم تنوراً فى وسط تجار الأقمشة إذا كان يضرهم دخانه [٥]

وقد كان المسلمون أول الأمر يكرهون المغالاة فى البنيان والاسراف فيه ، ولكنهم بعد سايروا مقتضيات الزمن : كتب عمر بن الخطاب إلى عتبة بن مروان وأصحابه بالبصرة لما بنوا باللبن : قد كنت أكره لكم ذلك ، فإذ فعلتم ما فعلتم فعرضوا الحيطان وارفعوا السمك وقاربوا بين الخشب . »[٦]

والاجتماع الإسلامى يعرف راشداً ما تجب مراعاته فى أوضاع البلدان . يقول ابن خلدون : « ومما يراعى فى ذلك للحماية على الآفات السماوية طيب الهواء للسلامة من الأمراض ، فإن الهواء إذا كان راكداً خبيثاً أو مجاوراً للمياه الفاسدة أو مناقع متعفنة أو مروج خبيثة أسرع إليها العفن من مجاورتها ، فأسرع المرض

١ ــ راجع مثلا مرشد الحيران لقدرى باشا ص ١٢ و١٣

٢ ــ الفتاوى الانقروية حـ ١ ص ٣٦٤

٣ ــ نفس المصدر

٤ ــ نفس المصدر حـ ١ ص ٢٦٦

٥ ــ نفس المصدر حـ ١ ص ٣٦٤

٦ ــ البيان والتبيين للجاحظ حـ ٢ ص ١٨٦

للحيوان الكائن فيه لا محالة ... والمدن التى لم يراع فيها طيب الهواء كثيرة الأمراض فى الغالب » [١] . ويمضى ابن خلدون فيتحدث عن المرافق العامة التى يستلزمها نفع البلد ودفع المشقة عن أهله ، فيشير إلى أهمية قرب الماء وطيب المرعى للسائمة [٢]

وعناية النظم الإسلامية باتساع الطرق عناية بالغة . يذكر الماوردى — وهو بسبيل تعداد مواضع ولاية القاضى — أن منها « النظر فى مصالح عمله من الكف عن التعدى فى الطرقات والأفنية وإخراج ما لا يستحق من الأجنحة والأبنية » ، ويذكر أن للقاضى أن ينفرد بالنظر فيها وإن لم يحضره خصم لأنها من حقوق الله تعالى التى يستوى فيها المستعدى وغير المستعدى ، فكان تفرد الولاية بها أخص » [٣]

وآية نضج ذوق وتقدم حضارى أن من أوقاف المسلمين ما كان على تعديل الطرق ورصفها [٤]

وعند الماوردى أنه إذا بنى قوم فى طريق سابل منع والى الحسبة من ذلك وإن اتسع الطريق ، « ويأخذهم بهدم ما بنوه ولو كان المبنى مسجداً ، لأن مرافق الطرق للسلوك لا للأبنية » [٥]

والفقه يحرص حرصاً بعيد المثالية على حق الجمهور فى الانتفاع بالطرق العامة ، فليس لأهل سكة أن يسدوا رأسها ، ولا أن يبيعوها ولو كانوا أصحابها وأنفقوا عليها ، ولا أن يقتسموها فيما بينهم ، ذلك أن الطريق الأعظم — كما يقول أبو حنيفة — « إذا كثر فيه الناس كان لهم أن يدخلوا هـــذه السكة حتى يخف الزحام » [١] وإخراج مصاطب الدكاكين إلى ممر الجمهور عدوان على المارة يجب على المحتسب وإزالته والمنع من فعله [٢] . ولا يجوز لأحد أن يبنى ظلة تضر الطريق ، « ومن خاصمه من المسلمين قبل البناء فله أن يمنعه ، وبعد البناء له أن يهدمه [٣]

ويمضى الحسبة الإسلامية فى النهوض بما تنهض به الآن

١ ــ المقدمة ص ٣٨٩

٢ ــ ص ٣٩٠

٣ ــ الأحكام السلطانية ص ٢٤٣

٤ ــ رحلة ابن بطوطة حـ ١ ص ٦٠

٥ ــ الأحكام السلطانية ص ٢٤٤

مصلحة التنظيم والمجالس البلدية ، فالميازيب الظاهرة من الحيطان في زمن الشتاء يأمر المحتسب أصحابها « أن يجعلوا عوضها مسيلاً محفوراً في الحائط مكلساً يجرى فيه ماء السطح ؛ وكل من كان في داره مخرج للوسخ إلى الطريق فإنه يكلف سده » [٤]

وعلى المحتسب أن يأمر أهل الأسواق بكنسها وتنظيفها من الأوساخ والطين المجتمع وغير ذلك مما يضر بالناس [٥]

ومن قول الرسول : إماطة الأذى عن الطريق صدقة ، وهو — صلوات الله عليه — يقرر أن من قضى حاجته تحت شجرة مثمرة أو على طريق للسير أو على حافة النهر فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين [٦] . والمسلمون بعده يتناهون عن توسيخ الطرقات ، فالسمرقندى مثلا يقول: « ولا ينبغى للعاقل أن يتمخط أو يبزق في ممر الناس لكيلا يصيب أقدامهم » [٧]

لذلك ، كانت نظافة الطرقات لافتة ، وقد رأى ناصر خسرو شوارع طرابلس الشام وأسواقها من الجمال والنظافة بحيث ظن أن كل سوق قصر مزين [٧] . وفي صيدا رأى سوقا جميلة نظيفة ظن أنها زينت لقدم السلطان أو بمناسبة بشرى سعيدة ، ثم ما لبث أن عرف أنها عادة المدينة دائما [٩]

ومن اللفتات الفقهية الكبيرة الدلالة أن شغل البائع للطريق الضيق على نحو يتضرر منه الناس يوجب عدم الشراء منه « لأن القعود على الطريق بغير عذر مكروه . ولهذا لو عثر به إنسان وهلك كان ضامنا ، فالشراء منه يكون حملاً له على المعصية وإعانة له على ذلك » [١٠]

---

١ — منية المفتى ليوسف بن أبى سعيد السجستانى (مسائل الطرق والأبواب ... الخ) مخطوط بدار الكتب الملكية رقم ٤٤٢ فقه حنفى وجامع الفصولين حـ ٢ ص ١٩٧
٢ — الشيزرى : كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١١
٣ — الفتاوى الأنقروية حـ ١ ص ٣٦٧
٤ — الشيزرى ص ١٤
٥ — نفس المصدر
٦ — بستان العارفين للسمرقندى ص ١٨١
٧ — نفس المصدر ص ١٢١
٨ — سفرنامه ص ١٣
٩ — نفس المصدر
١٠ — الفتاوى الأنقروية حـ ١ ص ٣٣

والمرور في الطرق له قواعده ، فيستحب للراجل مشيه في جانب الطريق ، وللراكب في وسطه إذا كان في مصر ، وإن كان في الفضاء فوسط الطريق للراجل وحافتاه للراكب . ويستحب المتنقل أن يوسع للحافى عن سهل الطريق [١] . وقد أشار ابن بطوطة إلى أن أزقة دمشق لكل واحد منها رصيفان في جنبيه يمر عليها المترجلون ويمر الركبان بين ذلك [٢]

وترى الشريعة الإسلامية أن المنافع العامة كالقناطر والطرق النافذة والشوارع العامة التى ليست بملك لمعين لا يجوز لأحد أن يختص بها ولا أن يمنع غيره الانتفاع بها بل تبقى لمنفعة عامة [٣]

وشطوط الأنهار — وبا طالما نراها الآن مخصوصة بمبانى الأغنياء — ينعقد الإجماع في الإسلام على منع البناء فيها

ولا شك أن الشريعة تستهدف من هذا أن يكون نفع الشطوط ومتعتها مشاعاً بين الأهلين غنيهم وفقيرهم . وقد ذكر ابن إياس في أخبار سنة ٨٦٦ هـ أن الشيخ جلال الدين الأسيوطى أفتى بأنه لا يجوز البناء على ساحل الروضة بناء على ذلك الإجماع ، وأن ما ذكر من جواز ذلك في مذهب الشافعى باطل وليس له صحة في كتب الشافعية قاطبة [٤]

والبيوت لا تترك الحرية المطلقة لأصحابها في تعليتها على حساب مصلحة الجيران . قيل : يا رسول الله ، ما حق الجار على الجار ؟ قال : — وعد أموراً — . . وأن لا تطيل بناءك عليه إلا بطيبة من نفسه [٥]

* * *

ولا يفوت النظم الإسلامية أن تهتم بمطارح الحصائد أو ما نسميه الأجران ، فهى تقر حاجة القرية إليها وتعدها « بمنزلة الطريق والنهر ، ولذلك لا تعتبر مواتا ، بل تعتبر تبعاً للعامر لأنها من مرافقه » [١]

* * *

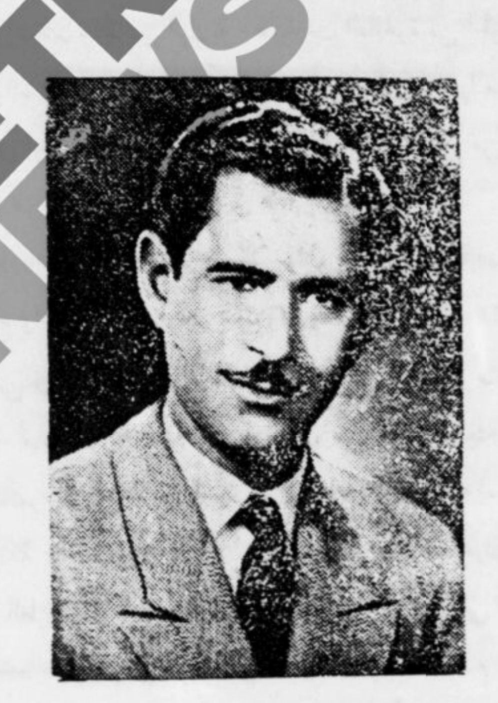
بقي أن نسأل استيفاء للبحث : كيف كانت حال المساكن وتخطيط البلدان في حواضر أوربا بله في ريفها ؟ سندع العلامة

---

١ — بستان العارفين للسمرقندى ص ١٢١
٢ — رحلة ابن بطوطة حـ ١ ص ٦٠
٣ — مرشد الحيران ص ٣
٤ — بدائع الزهور حـ ٢ ص ٢٧١
٥ — تنبيه الغافلين للمرقندى ص ٧٠

عهود الظلام

للأستاذ ابراهيم الوائلي



من قصور رحيبة الأفياء   وليال مجنونة حمراء
فتنة الحالمين والندماء   نهزة العابثين في الظلماء
من كؤوس تمج بالصهباء   وثغور مُرغت بالدماء
من ثياب ترف بالأشذاء   تتحدى النجوم بالأضواء
من صدور محمومة الأهواء   ونحور تموج باللألاء
ونهود عربيدة خرساء   تتنزى على رؤى الخيلاء

كان هزء الطبيعة الحمقاء
بالجماهير من بني الإنسان

...

من بقايا هياكل جوفاء   نحتت من حجارة صماء
في حياة مجنونة رعناء   تحسب المجد في فتون المرائي

Draper يجيب عن هذا وهو يصف أوربا إبان القرون الوسطى ، يقول وقوله واضح الدلالات : « كانت القـارة مغطاة تقريبا بالغابات الكثيفة (يقصد لطول ما أهمل الناس الزراعة) ، وكانت المستنقعات تحيط بالمدائن والأديرة ، وكانت تتصاعد منها روائح مهلكة ترمي الناس بالموت . وفي باريس ولندن كانوا يتخذون المساكن من الخشب والطين المخلوط بالتبن والقصب . ولم تكن فيها نوافذ ، وحتى بعد اختراع آلات النشر الميكانيكية لم تكن أرضيات المساكن من الخشب . أما البسط فلم يكونوا يعرفونها ، وكانوا يستعيضون عنها بالقش يفرشونه على الأرض . ولم تكن المداخن معروفة لديهم ، فكان الدخان يتصاعد من ثقب في سقف الدار بعد أن يجوس خلالها معرضا أهلها لكل خطر . ولم يكن الناس يعرفون النظافة ما معناها ، وكانوا يلقون بأحشاء الحيوان وفضلات الخضر تجاه بيوتهم في أكوام تنبعث منها ريح متلفة . وكان الرجال والنساء والأطفال يحتشدون للنوم في حجرة واحدة ومعهم في حالات كثيرة حيواناتهم المنزلية ، ووسط هـذه الفوضى الأسرية كان من المستحيل أن تظفر الفضيلة والحياء بشيء من الاهتمام » [2] ويمضي المؤلف في وصفه مشيراً إلى عدم وجود المجاري وكيف كانت تلقى المياه والأقذار فتصيب المارة ، وكيف كانت الشوارع متربة ضيقة مظلمة [3]

وبعد ، فلسنا نكتم أننا شديدو الإيمان بالأثر الصالح الذي تستتبعه إحاطتنا بأساليب الغرب في علاج مشكلاته الاجتماعية ، ولكننا مع ذلك نلح في الدعوة إلى التوفر على دراسة الحضارة الاسلامية ، وبخاصة في جوانبها الاجتماعية . ندعو إلى ذلك لا ابتغاء معلومات فحسب ، فالمعلومات وحدها قد تكون ميتة ، ولكن استيحاء التراث أثبت حيويته وفاعليته ، ولا ندعو إلى ذلك بدافع من عصبية وإنما قضاء لواجب العلم والتاريخ والانسانية معاً

لبيب السعيد

---

١ ــ اللباب في شرح مختصر القدوري ص ٢٠٢
٢ ــ Les conflits de las Seience et de la Religion P109, 191
٣ ــ نفس المصدر

في وســام مذهب ورداء وضروب النعوت والأسماء
من صروح منيعــة شمــاء ساخرات بالبؤس والبؤساء
من نفوس حقيرة سوداء ورؤوس مريضة بلهــاء
خلقتها سياسة الدخــلاء من هباء وذاك شر بلاء

لم يعد في الحياة أي رجاء
لشعوب تعيش كالديدان

...

من بروج تشاد فوق الجماجم حافلات بكل غض وباسم
غرف كالخيال في رأس حالم وأفانين من حصيد المغانم
هي في موكب الحسان الكرائم وهج الشمس ذوبته النسائم
تتحلى به (العذارى) النواعم في نحور رقيقة ومعاصم
وأكف ندية ومبــاسم كزهور ترف بين الكمائم
تحسب الطهر من بقايا المــآثم وتخال النهى خرافات واهم

عصفت بالضعاف شتى المظالم
كالأعاصير في بقايا دخان

...

من قوانين شرعت ومحاكم وحدود تنوعت وعواصم
وزعامات مستبد وآثم سابح في قرارة الشر هائم
فإذا الحق أن تداس المحارم بين مستضعف على الذل جاثم
ومقيم على استلاب الغنائم من عراة على الرمال سوائم
أثقلتهم حياتهم بالمغارم بالتي لا يردها سخط ناقم
من شيوخ تدثروا بالعمائم لم يهيموا بغير حل الطلاسم

كان أفق الحياة أسود قاتم
في شعوب تنوء بالحرمان

...

من وحوش مجنونة الخطوات تتشهى حتى بقايا الرفات
لم تدع في الخرائب الموحشات غير أشباح أعظم نخرات
من جياع على الصخور حفاة كقبور تمج بالأموات
فإذا بالجنــان كالفــلوات وإذا بالحياة مثــل الممات
من جنــاة مدمرين غزاة وطغاة مخربين قســاة

سلطتهم سياسة الفلتات في عهود الظلام والكبوات
قد ركسنا فكان عهد سبات
وأفقنا فكان عهد هوان

...

من ضلالات أحمق مأفون مستهين بكل شرع ودين
وضراعات أبــله مسكين يتخطى السنين بعد السنين
وهو في صمته الطويل المهين من سياط تئن فوق المتون
وسجون تقام حول سجون ليس فيها سوى الظلام الحزين
وانطلاقات زفرة وأنين يتلاقى بها دخان الجفون
من قوى ببطشه مفتون وأسير مكبل موهون

جن ظلم الحياة شر جنون
بالألى يركعون للأوثان

...

من أراجيف عالم محمــوم يتغنى بنافثات الجحيم
حامل في يد قوى التحطيم وبكف مخدرات السموم
بين وعد مزيف موهوم وغد غامض الخطا مزعوم
من مدل بطيشه المذموم تزدهيه مواكب التفخيم
فهو في نشوة الخيال الأثيم يحسب الشمس من صغار النجوم
من شقي معذب محروم مستغيث بصمته المكلوم

مزق العدل كل عات غشوم
فتلاشى كضحكة النشوان

...

أيها الركب طال عهد الحداء والسرى والطريق والظلمات
أنت تطوي مجاهل الصحراء بين عصف الرياح والأنواء
أترى تستريح بعد عنــاء ونضال مكلل بالدماء
فلقد طال منك في البيداء تعب لم يزدك غير بلاء
أيها الركب رب ليل شقاء يتوارى بلمحة من ضياء

فترقب لعل في الأجواء
قبسا يستجيب للحيران

القاهرة ابراهيم الوائلي

صلواتي

للأستاذ كامل محمود حبيب

من أعماق قلبي أناديك يا ربي!

فهل يستطيع صوتي الضعيف أن يبلغ موطئ عرشك؟

إنني أخشى أن يتلاشى صوتي في ظلمات ذنوبي فلا تنفتح له أبواب رحمتك

ولكن عظمة اسمك الكريم تزلزل قوتي وتعصف بجلدي فأخر ساجداً وقد أخذتني الرهبة وغمرني الخشوع واغرورقت عيناي بالدموع في توسل عليّ أستطيع بضعفي أن ألج بابك ... باب الرحمة والغفران

فلا تغلق من دوني باب رحمتك وأنا أناديك من أعماق قلبي: يا ربي!

...

إن حبي لك، يا إلهي — يتغلغل، أبداً، في أغوار روحي فتصفو من كدر

وإن روحي تصفو أبداً لأنني لا أتعبد إلا لك أنت وحدك، يا إلهي

وحين تصفو روحي تسمو فوق هذا العالم الأرضي

فأرى من خلال حبي عظمتك الخالدة نوراً يسطع فيضيء العالم كله

وأتنشقها أنفاساً ندية عطرة تنتشي لها خواطري

وأسمعها لحناً موسيقياً سماويا يتطرب له فؤادي

وأحسها حياة طاهرة نقية تتدفق في دمي

وأشعر بهـا تضمني إليها في رفق فأخر ساجداً في خشوع وقد اغرورقت عيناي بالدموع في توسل وأنا أناديك من أعماق قلبي: يا ربي!

...

يا إلهي، لا تدع شواغل الحياة الأرضية تجذبني إليها بأمراس غلاظ، فأنا أطمع أن أكون إلى جانبك أبداً

واصرفني عن الأمل الخلاب الزائل الذي لا يجذب إلا النفوس المتداعيـة ليسمها بميسم التراب ... اصرفني عنه إلى الفكرة السامية التي تخلق الخلود

ولا تدع وساوس الدنيا تطوف حوالي فتصرفني عنك لحظة واحـدة

ولا تدع نفسي تدنسها الخواطر الوضيعة أو تلطخها الأكاذيب التافهة

ولا تدع قلبي يخطفه ألق الرذيلة أو يشغله بريق المتعة

ولا تدع روحي تسيطر عليها شيطانية المـارة فتنتزعها من صفاء السماء

فأنا أطمع أن أكون إلى جانبك أبداً

لأنني أخشى أن يتلاشى صوتي الضعيف في ظلمات ذنوبي فلا تنفتح له أبواب رحمتك حين أناديك من أعماق قلبي: يا ربي!

...

أنا — يا سيدي — لا أخشى البطشة الكبرى لأنني أطمع في رحمتك العظمى

ولا أخاف الثورة العاتية لأنني أرنو إلى بسمتك الرقيقة

ولا أتهيب العاصفة الهوجاء لأنني أهفو إلى صفائك الرقراق

ولا أفرق من كسف الظلام لأنني أنظر في شغف إلى فلق الإصباح

فأنت علمتني أن القوى لا يعبأ بالضعيف، وأن العظيم لا يتحدى الضئيل

وأنت علمتني أنني شعاع من فيض نورك الذي يغمر العالم

وأنني نغمة من اللحن الساحر الذي ينبعث — دائماً — من بابك الخالد

وأنت لم تعلمني الدين الذي يبذر في القلب الرهبة ويغرس في النفس الخنوع وينفث في الروح الخوف ويقيد الهمة بالاستسلام،

بل علمتني الدين الذي يبذر في القلب الجرأة ويغرس في النفس المظمة وينفث في الروح الشجاعة ويدفع الهمة إلى القمة

فدعنى أحس مس عطفك فى أوتار قلبى حين أجلس إليك فى خلوة

فأنا أخشى ألا يبلغ صوتى الضعيف موطئ عرشك حين أناديك من أعماق قلبى : ياربى !

***

أزح عنى خبث الطمع الذى يستلب الانسان من الانسانية

ونقنى من شوائب الأمانى الزائفة التى تطفئ من النفس الأنوار الروحانية

وادفع عنى نزوة الكبرياء التى تسم الروح بالغرور

ونجنى من الخديعة التى تنحط بالرجل عن معانى الرجولة

واجعلنى — فى أخلاقى — طفلا لم تدنسه الحياة

فالطفل لا يعرف المعانى الشيطانية فى العداوة والبغضاء والغيظ، ولا يعرف الأحقاد التى تحيل الحياة الناعمة إلى جحيم يتلظى

اجعلنى — فى أخلاقى — طفلا لم تدنسه الحياة ثم لا تثقلنى بأعباء الرجل الذى يتمرغ دائما فى الثرى الأرضى

فأنا أطمع أن أكون إلى جانبك أبداً ليرق إليك صوتى الضعيف حين أناديك من أعماق قلبى يا ربى !

***

لقد قضيت عمراً طويلا أنطوى على نفسى ، وأخلو إلى عبادتى وأسكن إلى تسابيحى وانطوت سنوات وصوت السماء ينادينى : يا عبد ؛ إن الألوهية لا تعيش بين الجدران ، فانطلق فى فجاج الأرض لترى العظمة وتلمس القوة وتسمع الألحان العذبة .. ولتجد الحقيقة

ولكن ذنوبى كانت قد طمت على روحى فلم أعد أسمع الحق

فلما صفت روحى من الخبث وتطهرت نفسى من الرجس ، طرت من خلوتى لأراك — يا إلهى — وألمسك وأسمعك

حينذاك ، عرفت أننى ضيعت عمرى فى شئ لا غناء فيه ، فاغفر لى — يا إلهى — جهلى وغفلتى

آه ، يا قلبى ، إن إيمان الراهب هو إيمان شيطانى أبله

فدعنى يا إلهى أكفر عن رهبانيتى الحمقاء بالكد والجهاد فى لظى الحر وزمهرير البرد ، لأكون إلى جانبك أبدا فيرق إليك صوتى الضعيف حين أناديك من أعماق قلبى : يا ربى !

...

امنحنى — يا إلهى — القوة لأحمل آلامك العظام

وامنحنى الهدوء الذى يسع حماقة أهلى وجهل أخى

وامنحنى العقل الذى يغفر زلات أقاربى ويغضى عن أخطاء رفاقى

وامنحنى القدرة على أن أقيل عثرات جارى

وامنحنى العزة التى تترفع عن تفاهات الحياة

وامنحنى الكبرياء التى تسمو فوق النزوات الطائشة

وامنحنى الخضوع الذى لا أتعبد به إلا لك أنت وحدك فأعيش فوق الناس جميعاً؛ ثم امنحنى العطف الذى يتدفق من لدنك ليمس أوتار قلبى فى رقة وأنا أناديك من أعماق قلبى : يا ربى

...

كلما ذكرتك يا إلهى — أحسست بالراحة والهدوء والسعادة

فعلمنى كيف أناديك نداء رقيقاً تنفتح له أبواب رحمتك

وعلمنى كيف أنطلق فى هدوء إلى محرابك أنتظر فيض نورك

وألهمنى النشيد الإلهى العذب لأوقعه على أوتار قلبى فى خشوع فيملأ حياتى بالسعادة ويفعم روحى بالطمأنينة

ثم احبنى بالقيثارة السماوية لأعزف عليها النشيد الإلهى العذب كلما ذكرتك عسى أن تبلغ نغماتى موطئ عرشك كلما ناديتك من أعماق قلبى: يا ربى !

...

وإذا شئت — يا إلهى — أن تقطف هذه الزهرة الغضة النضيرة — حياتى — لتطهرها من الدنس الأرضى وتضمها إلى أزاهير جنتك الوارفة ، فلا تقطفها حين تعصف بها لأواء الحياة وشدة الأسى وغلاظة اليأس ؛ ولكن اقطفها وهى غضة تمرح بين ندى الصباح وبسمات الفجر ، وقد هزها الطرب وأفعمها النشاط وتأرج منها العطر وتألق فيها النور ، لتعيش فى جنتك فتية زاهية تقوى على أن تناديك من أعماق قلبها : يا ربى !

كامل محمود حبيب

الغزالي أعجب شخصية في تاريخ الإسلام

للأستاذ قدري حافظ طوقان



الغزالي حجة الإسلام وزين الدين ومن أكبر أعلام الفكر الذين يعتز بهم الإسلام ويفخر . ظهر في القرن الخامس للهجرة في عصر سادت فيه آراء الشك والاختلافات وعمت أوساطه الفوضى في المعتقدات والمذاهب . وكان لهذا أثر على حياة الغزالي كما كان لنشأته الصوفية والروحية أثر كبير عليها . فنزع إلى الانتصار للدين وسلك في ذلك مسلكا جديداً لم يسلكه أحد من قبله ، حتى قال (رينان) : « ... إن الغزالي هو الوحيد بين الفلاسفة المسلمين الذي انتهج لنفسه طريقاً خاصا في التفكير ... »

واجه الغزالي في أول حياته مذاهب مختلفة من كلام وباطنية وفلسفة وتصوف وساورته نزعات التشكيك والتحليل المنطقي ، واحتار في أمره ولم يدر أيها يتبع . وقد لجأ إلى دراسة هذه المذاهب واختبار حسنا تها وسيئاتها رائده في ذلك الوصول إلى الحقيقة التي تروي النفس وتنير العقل ، فخاض بحار التفكير وتوغل في كل مظلمة واقتحم كل مشكلة وورطة ، وتفحص الفرق والعقائد ليميز بين محق ومبطل ومتسنن ومبتدع . درس الفلسفة ليقف على كنهها ، ودرس علم الكلام ليطلع على غايات المتكلمين ومحاولاتهم ، ودرس الصوفية ليعثر على سرها . وكان في دراساته واسع الصدر سما بتفكيره وحلق ، وقد أدرك أنه لا يمكن المحقق أو الباحث عن الحقيقة المتعطش لها أن يستوعب سبلها بغير الجمع بين سائر مظاهرها مما يقال للشيء أو عليه

إن هذا الطريق الذي سار عليه الغزالي يدل على قوة شخصيته وعلى إيمانه بنفسه وثقته بمواهبه ومزاياه مما ساعده في الانتصار على خصومه وعلى الفلاسفة .

والغزالي يمتاز على غيره من علماء الكلام في كونه قرب الدين من العقل الاعتيادي وكشف دقائقه أمام أذهان العامة ، في حين أن الكثيرين من الفقهاء ، ورجال الدين في عصره والعصور التي سبقته ساروا في تفكيرهم على أساس من الغموض وفي بحار من المعميات والأسرار ، وذلك مخافة على شخصياتهم من بروزها على حقيقتها ضعيفة واهية ، وخشية من نفوذهم أن يتلاشى إذا وضحت الأمور وزال الغموض .

والغزالي حين قرب الدين لم ينزل به ، بل استطاع بما أوتي من قوة العارضة وصفاء التفكير وسعة الاطلاع ؛ أن يرفع الإيمان من « حضيض السذاجة إلى قوة التفكير العالي مما جعل المفكرين في الشرق والغرب يرون فيه المثل الأعلى للتفكير الإلهي والنور المبدد لروح الشك والتشاؤم ... » وقد قال سارطون في هذا الشأن : « إن أثر الغزالي في العلم الإلهي أعظم من أثر القديس توما ... »

***

درس الغزالي الفلسفة « ... ولم يكن الذي حمله على دراستها مجرد شغف بالعلم بل كان يتطلع إلى مخرج من الشكوك التي كان يثيرها عقله ... » ليطمئن قلبه ويتذوق الحقيقة العليا . وخرج من دراساته هذه وسياحاته وتنقلاته بكتب قيمة نفيسة أهمها كتاب تهافت الفلاسفة ، وهو عمل عظيم لا يخلو من قيمة فلسفية إذ هو « ثمرة دراسة محكمة وتفكير طويل ، يبين المسائل الكبرى التي كانت محل خلاف بين الدين والفلسفة ... » مما يدل على طول نظر في الفلسفة ودراسة وافية لها . وقد بلغ فيه أقصى حدود الشك فسبق زعيم الشكيين (دافيد هيوم) بسبعة قرون في الرد على نظرية العلة والمعلول

لقد وصل الغزالى من دراساته الفلسفية وغيرها إلى ما وصل إليه (كانت) فيما بعد ، من أن العقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ولا كاشفاً الغطاء عن جميع المعضلات ، وإنه لابد من الرجوع إلى القلب وهو الذى يستطيع أن يدرك الحقائق الالهية بالذوق والكشف وذلك بعد تصفية النفس بالعبادات والرياضات الصوفية . وهو بذلك حاول أن يخضع العلم والعقل للوحى والدين لكى يصل إلى الحقيقة العليا وعلى الرغم من محاولاته إخضاع العلم والعقل للوحى والدين كان يمجد العقل ويرى فيه (كما جاء فى كتاب إحياء علوم الدين) منبع العلم ومطلعه وأساسه وإن العلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس وقد أتى بجملة أحاديث نبوية تشير إلى مقام العقل وشرفه .

والغزالى لم يأخذ بأقوال فلاسفة اليونان ، بل كان يعرضها ويسلط عليها العقل فيخرج بنقد صائب ورأى عبقرى . لقد اعترض على قول (جالينوس) اليونانى « ... إن الشمس لا تقبل الانعدام » ويستدل على ذلك بأن الارصاد لم تدل على أى تبدل فى حرارة الشمس أو حجمها . وهنا يأخذ الغزالى هذا القول ، ويرى فيه خطأ وخروجا عن الصواب . فأرصاد القدماء ليست إلا على التقريب ، والشمس قد تخف حرارتها ، وينقص حجمها دون أن يلاحظ الناس ذلك فى مدة قصيرة ، وعلى ذلك يخرج الغزالى برأى صحيح هو ماتوصل علماء الفلك الحديث . فلقد توصل العلم إلى أن الشمس تحتضر على حد تعبير السير جيمز جينز وأنها فى تناقص . وقد حسبوا ما ينقص منها (على الرغم من القوى والذخيرة التى تصل إليها بعوامل شتى) فوجدوا أنها تفقد مادتها عن طريق الاشعاع (٣٦٠) ألف مليون طن فى كل يوم .

وللغزالى آراء تدل على حسن إيمانه بالبشرية وصفاء نظره إلى الخليقة الانسانية وهو لم يأخذ بأقوال الذين يجعلون الشر مركباً فى طبع الانسان ، بل أنه أحسن اعتقاده فى النشأة فجعله خيراً . ويرى أن الفطرة الانسانية قابلة لكل شىء فالخير يكتسب بالتربية وكذلك الشر . وفى رأيه أن الانسان لا يميل بفطرته إلى إحدى الجهتين وإنما هو يسعد ويشقى تبعاً لعوامل عديدة تتعلق بالأبوين والمحيط غير حاسب أى حساب للوراثة وما إليها

وأورد الغزالى فى كتاب الاحياء قواعد ومبادىء ليسير عليها المعلم والمتعلم . ويجد المتصفح لها أنها سامية الغايات فيها تحليل نفسى دقيق يدل على النضج وخصب القريحة وعلى معرفته التامة بنفسية المعلم والمتعلم . ويرى فيها المؤرخون أنها لا تقل عن النظريات الحديثة فى علم التربية وكذلك وضع الغزالى مبادىء جليلة فى آداب المناظرة هى فى الواقع الدستور الذى يجب أن يسلكه المتناظرون وأصحاب الجدل والبحث . وفى رأى الغزالى أن الخروج على هذه الآداب قد أشاع الخصومات وأنشأ المداوات لأن الغاية من الجدل والمناظرة لم تكن فى الحقيقة كما يجب أن يكون ، بل كانت التغلب على الخصم والتفوق على المناظر

والغزالى لم يذهب مذهب المعتزلة فى أن العمل يكون حسناً أو قبيحاً لأنه حسن أو قبيح بحكم العقل . كما أنه لم يقل أنه حسن أو قبيح بحكم الشرع ، لكنه قال أن الحسن والقبح يرجعان إلى العقل والشرع معاً . فالعمل خير إذا وافق العقل والشرع ، وشر إذا خالف العقل والشرع . وهكذا قاس الخير والشر بمقياس العقل والشرع

وتوفر الغزالى على بحث الأخلاق فأجاد فى هذا الباب وترك أبقى الآثار وأرفعها شأناً ضمنها كتابه الشهير (احياء علوم الدين) لقد نهج الغزالى فى فلسفة الأخلاق الناحية الدينية من حيث النظر والتقدير والناحية التحليلية النفسية من حيث التناول والوصف والتفسير

والغزالى يجعل للعلم منطقة وللدين منطقة . ولكل مزاياها وأحوالها الخاصة والنفس البشرية تتصل بالمنطقتين ، فهى تتصل بالعالم الحسى عن طريق المعرفة والبرهان وبالعالم الروحى عن طريق الاختبار الشخصى والكشف

ويرى أن السعادة الروحية لا تأتى من الايمان الفلسفى بل بالعمل المؤدى إلى الاتصال بالروح الأعلى . ومن هنا يتبين أن الغزالى حين يتناول الصوفية والروحيات فانه يحررها من سخافات غلاتها ، وحين يتناول الدين فإنه يحرره من أطمار الكلاميين ثم « يمزج حيوية الأول بحيوية الثانى ويولد منهما مذهباً روحياً يقبله العقل ولا يدحضه البرهان ... »

وقد أعرض الغزالى عن معرفة هذا العالم عن طريق العقل « ولكنه أدرك المسألة الدينية إدراكا أعمق من إدراك فلاسفة عصره ... » فقد كان هؤلاء الفلاسفة عقليين شأن أسلافهم اليونان فاعتبروا أن أمور الدين ثمرة لتصور الشارع ووهمه ، بل هو ثمرة لهواه . واعتبروا الدين انقياداً أعمى أو ضرباً من المعرفة فيه حقائق أدنى من حقائق الفلسفة . وقد عارض الغزالى هذا الرأى واعتبر الدين ذوقاباطنيا لامجرد أحكام شرعية أوعقائد، بل هوشىء أكثر من ذلك ، وأنه شىء تتذوقه الروح . ويعلق (دى بور) على هذا فيقول « ... ولايتاح لكل إنسان أن يبلغ فى هذا الأمر مبلغ الغزالى ، والذين لايستطيعون متابعته إذ يعرج فى مدارج السالكين متخطياً المعارف الكتبية كلها ، لا محيص لهم عن الاقرار بأن محاولاته فى الوصول إلى الله ليست أقل شأناً فى تاريخ العقل الانسانى من مذاهب فلاسفة عصره ، وإن بدت هذه المذاهب أدنى إلى اليقين ، لأن أصحابها إنما ساروا فى بلاد قد كشفها غيرهم من قبل ... »

وجاء فى كتاب نهاية الميزان ما يشير إلى أن الشك هو طريق اليقين لأن الشكوك هى الموجبة للحق ، فمن لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقى فى العمى والضلال . ولم يفت الغزالى أن ينبه فى مواطن عديدة من كتبه إلى أنه : « ... يجب على العلم أن يتجنب كل ما يثير الشك فى نفوس الضعفاء ، وخص الرشد على الاقتصار مع العامة على المتداول المألوف ... » فهو يرى أن يستعمل الشك بمقدار محدود وهذا المنهج « ... يبين أن الغزالى يحرص على وحدة الهيئة الاجتماعية، وينفر من كل ما يقربها من الانحلال ... »

والمجال لا يتسع لعرض الآراء المختلفة التى أوردها الغزالى فى كتبه فى الأخلاق والآداب والحقوق والواجبات. ولكن يمكن القول أنه ترك تراثاً ضخماً فى كتبه وتآليفه تجعله من الخالدين وهو يعد بحق إمام أهل البيان فى الأسلوب العلمى والأسلوب الاجتماعى ومزاج من علوم شتى « ... أنضجها البحث وصقلها التفكير وأضفتها تجاربه وشكوكه القاسية التى عاناها فى نشأته ... »

وأخيراً نعرض لمقام الغزالى عند الغربيين فنقول : كان للغزالى قيمة ومقام عند الغربيين وقد أحلوه المكان اللائق ودرسوا مؤلفاته ورسائله وكتبه وكتبوا عنه المؤلفات الطوال . ومنهم من يتعصب له ويرى فيه واحداً من أربعة . يقول الدكتور (زويمر) : « ... كل باحث فى تاريخ الإسلام يلتقى بأربعة من أولئك الفطاحل العظام وهم : محمد نبى المسلمين والبخارى والأشعرى والغزالى . . » ويرى (دى بور) أن الغزالى أعجب شخصية فى تاريخ الإسلام . وكتب (كارادى فو) عن الغزالى وقد أنصفه بعض الانصاف . وهناك رسائل كثيرة كتبت عن الغزالى بالانكليزية والافرنسية والألمانية ، وهى تدل على أنه شغل الباحثين والمستشرقين أمثال الدكتور مولتر ، وما كدونالد ، وستيفيلد وشمولدز ودى بور والأب بوبج وماسينيون وجولدزيهر وغيرهم ، فكان محل اهتمامهم وعنايتهم ، كما تدلل على فضله وأثره الكبيرين فى العلوم وخاصة فى العلوم الالهية والصوفية والأخلاق

نابلس قدرى حافظ طوقان

الهجرة الكبرى في سبيل السلام

للأستاذ محمد محمود زيتون

« . والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . . »

قرآن كريم



لم تكن هجرة النبي عليه السلام إلا مرحلة من مراحل الدعوة إلى السلام ، فقد دعا العرب إلى الحق والخير، بالحكمة والموعظة الحسنة ، فآذوه فى شخصه وأهله وصحبه ، وطوى الزمن ثلاثة عشر عاما ، وهم بين مضروب ومشجوج ومعذب بالرمضاء تارة ، وبالحديد والنار تارة أخرى واحتل المعذبون مكانهم فى التاريخ ، وتلألأت صفحاته بآل ياسر وبلال وخباب وزنيرة ، أولئك الذين ابتلوا فصبروا ، وامتحنوا فشكروا ، وهل الإيمان إلا الشكر والصبر

وإنها لكبيرة على النفس أن تحتمل من العنت والرهق ما لا تطيق ، وأكبر من ذلك أن يغير عشرات الرجال وقليل من النساء معهم ، مجاهل الجزيرة فى سنوات : فإذا الوجه العباس يرتد بساما ضحوكا ، والقلب المتحجر يرفض بالرحمة والرقة ، والعقل البليد يتفتح لنور الحق ، ويستجيب لصوت السماء

وكان طبيعيا أن يكون الجهر بالإسلام بمثابة إعلان الثورة على جميع الأوضاع المألوفة ، ولكن لم يؤلف عن العربى سكوته على الضيم والهوان ، فكيف بهؤلاء الصفوة المستنيرة يفتنون فى دينهم ، ويستضعفون فى وطنهم !

تلك المشكلة التى تتطلب الحل المعقول ، وإن كان الوقت لم يعطلها بالتردد والتخير كالمعهود فى أشباهها ونظائرها ، فقد تم إعداد الحل المسعف ، ومرعان ما نزل من السماء على لسان محمد ، ومضى أتباعه فى الطريق المستقيم

ذلك بأن دعوة الإسلام ليس لها أن تنحدر إلى مخلفات الجاهلية فتقاوم الإساءة بالإساءة ، وتقابل العدوان بمثله ، وإلا كان دين الاسلام متناقضا مع نفسه : يتنزى الدم من يديه ، وتتساقط الأشلاء من بين شدقيه

والحل الذى يستقيم مع روح هذا الدين هو « الهجرة » المرسومة فى بدئها وختامها المليئة بدخراتها للتاريخ إذا أعوزه الكشف عن مواطن العبرة ، ومظان الفخار ، وليس بدعا من الأحداث أن يهاجر محمد ، فقد سبقه لوط إذ هاجر بأهله ونزل بهم بالمؤتفكة . ولكن ما أصعب الهجرة من الوطن على المواطن الضيم

فما بال محمد وتابعيه تهون عليهم مكة ، وفيها بيت الله الحرام وبها الأهل والولد ؟ ألم يقف محمد فى وسط المجلس يوم خرج مهاجراً ، والتفت إلى الكعبة فقال : « إنى لأعلم ما وضع الله بيتا أحب إلى الله منك ، وما فى الأرض بلد أحب إليه منك ، وما خرجت منك رغبة ، ولكن الذين كفروا أخرجونى »

وأمعنت قريش فى الأذى والفتنة من كل وجه ، ولما شكا المسلمون إلى نبيهم وقد ضاقوا ذرعاً قال لهم « تفرقوا فى الأرض فإن الله تعالى سيجمعكم » وأمرهم بالخروج إلى الحبشة « فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد » وخرج حزب الله

وتهامس الأعرار : إنه فرار، واستدرك الدهاة: بل استنصار. حقا، إنه فرار بالأمانة خشية الضياع ، لهذا قال النبي الرسول « من فر بدينه، من أرض إلى أرض ، وإن كان شبراً من الأرض استوجب له الجنة ، وكان رفيق أبيه إبرهيم خليل الله ، ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم » ، وحقا إنه استنصار للدعوة من أتباعها فيما وراء الحدود ، ولكن هل سكنت ثائرة من قال إنه فرار ، وهل

أجدى دهاء القائلين بأنه استنصار

وفر أبو بكر بدينه يعبد الله بأرض اليمن ، لولا أن أخذ ابن الدغنة له الجوار من (القارة) شارطين عليه أن يتعبد بداره ولا يستعلن ، ولان أبو بكر فقبل ورجع فابتنى فى داره مسجدا أخذ يصلى فيه ويقرأ القرآن وبرفع صوته ، والبكاء يغالبه ، والناس يتهافتون عليه مسلمين من كل صوب ، فلما كلمه صاحب الجوار قال له : « رددت عليك جوارك ، ورضيت جوار ربى »

وضربت قريش الحصار على شعب أبى طالب فلم يتمكن أهل النبى من البيع والشراء والمصاهرة ، وأضر الجوع بهم ، ولاسيما بزوجه خديجة ، وكادوا يهلكون من عند آخرهم ، وبعد موت خديجة وأبى طالب اشتد الأذى ، وأخذت المؤامرات تدبر فى الظلام لاغتيال محمد .

هذا وهو ماض فى سبيل الدعوة ، لا يمل من لقاء الحجيج فى المواسم ، والاستكثار من القبائل ، بينما فراعنة قريش يحاربونه بكل ما يسعفهم به قلوب مريضة ، ونفوس منحلة ، ومفاسد مستحكمة ، والأصنام تستبد بعقولهم أيما استبداد

وما يكون لنبى السلام أن يهدم السلام ، وما ينبغى لمنطق الغريزة القاتلة أن تستثار فلا تستجيب ، ولكن التسامى بها هو للطلب الكريم ، والأمنية الكبرى ، فما هو إلا أن تراكض المسلمون مهاجرين إلى يثرب تاركين المال والعيال ، لم يجردوا سيفاً ، ولم يتنكبوا رمحاً ، بل تجردوا للسلام ، إلى حين ينتظم السلاح فى أيدى الخصوم ، وحاشا لأهل الإيمان أن يطلبوا الثأر على نحو لا يشرف أقدارهم

لهذا قال أبو أحمد بن جحش فى هجرته :

فكم قد تركنا من حميم مناصح
وناصحة تبكى بدمع وتندب
ترى أن وتراً نائياً عن بلادنا
ونحن نرى أن الرغائب تطلب

واجتمعت بدار الندوة نزعات إبليس بنزوات الجبت والطاغوت ، وانطفأت فى الحال جذوة التدبير ، وانقطع حبل التفكير ، فما كان اجتماع قريش هناك إلا لاغتيال محمد ، وذلك أيسر ماينتظر من أصحاب الفراغ ، بل هو الشىء الذى لاتسعفهم الغريزة بما فوقه

ولا أقل من أن يجد العدو مصرفاً للضغينة المكتومة فيما دون غرضه المأمول ، أما إذا تركوا محمداً فى وجهه إلى يثرب ، فإن له بها أنصاراً ، وإنهم لناصروه ، وإنه لفاتح بهم مكة على أهلها عاجلا أو آجلا

ياله من يوم ! كلما تمكن من خيالهم وتحدى كيدهم ، لايستطيعون له صرفا ، ولا يزيدون معه إلا تضييقاً على محمد وتنكيلا بمن سلك سبيله

خرج صهيب الرومى بماله فخيروه بين نفسه وماله، فهجر المال، وهاجر بالنفس ، وربح صهيب على كل حال ، وخسر هنالك المبطلون . وخرج أبو سلمة ، ولما أرادت صاحبته أن تلحق به ومعها طفلها ، خيروها بين ابنها ونفسها ، فتركت فلذة من كبدها فى أيديهم ، وخرجت مؤمنة بأنه وديعة فى يد الله ، وفتنوا من فتنوا، وحبسوا من حبسوا، ولو لم يكونوا قد انشغلوا بهذا القليل لتبددت الهجرة تحت هاتيك الضغوط، ولفظت الدعوة آخر أنفاسها

وأطلع الله رسوله على دار هجرته ، فأخبر بها صاحبه أبا بكر الصديق الذى طالما كان يستأذنه فيستأجله النبى حتى أراد الله لهما « صحبة » فى الهجرة الكبرى إلى الله ، وأعد أبو بكر ماله كله ليهاجر معه ، وتواعد مع النبى على ساعة الخروج من الليلة الفارقة بين العدوان والأمان ، الفاصلة بين الشر المهجور والخير المراد

وتسجى على بالبردة الحضرمية الخضراء ، ولزم حزب الضلال باب الدار ، وسهدوا أجفانهم ، وكدوا أذهانهم، فما هى إلا الخيبة التى لابعدها ، على الرغم من الصفوف والسيوف، وما هو إلا نصر السماء (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)

ولبثا ثلاثا بغار ثور ، والطلب لا ينقطع ، وكان أبو بكر يسمع القوم يتهامسون ويتخافتون ، فيأخذه الخوف من كل سبيل، ولكن الذى أعمى بصائر الكفار عند خروج النبى من الدار هو الذى ضلل حدسهم وهو فى الغار (ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا)

وخرجا من غار الخفاء إلى نهار الجلاء ، ومضيا على راحلتيهما بين تصويب وتصعيد ، وكلما رأى أهل البادية أبا بكر سألوه عن هذا الرجل الذى معه فيقول لهم فى تورية صادقة (هذا الرجل يهدينى السبيل) ، فلما وصلا إلى الجحفة تحرك الحنين إلى مكة

فى جوانح نبى الوطنية ، فتذكر ما كان من قريش معه وهو يدعوهم إلى ربهم ، ومن ثمَّ نزل عليه جبريل بقول ربه (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد)

ولم يمض على رحيلهما ثمانية أيام حتى أشرف النبى على المدينة فقابله أهلها ، والبشر تندى به وجوه الرجال ، وبالغناء تتجاوب دفوف الجوارى ، وبالشعر تتعالى أناشيد الفتيان ، وبالحراب تتنوع ألعاب الأحباش

والأنصار يتسابقون إلى خطام الناقة ويقولون : «هلم يارسول الله إلى المنعة والقوة» وهو يقول لهم «خلوا سبيلها فإنها مأمورة»

ولم تلبث إلا قليلا حتى أناخت ، لا فى (المنعة والقوة) ولكن فى مبرك «الأمن» ومناخ «السلام» حيث المربد الذى لسهل وسهيل ابنى عمرو والذى اختاره نبى السلام ليكون منذ الساعة الأولى له بالمدينة دار السلام

وتفرق المهاجرون على دور الأنصار ، ونزل النبى مع رحله عند أبى أيوب الأنصارى ، واجتمع بهم جميعا بدار سعد بن خيثمة ، وأعلن «دستور السلام» منذ اللحظة الأولى فقال :

«يأيها الناس ، أفشوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»

وأسرع إلى موادعة يهود المدينة ليستل السخيمة من نفوسهم فلا يمكروا صفو السلام ، وعقد معهم معاهدة كتب فى ختامها «وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وإنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم ، وإن الله جار لمن بر واتقى ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم» فكان له الأمان ولليهود التأمين ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه

ثم التفت إلى الجماعة ينظم أمرها ، ويجمع شملها ، ويؤلف وحدتها ، فابتنى «المسجد» ليكون بمثابة دار السلام لطلاب السلام ، وكان بناؤه نقطة التقاء الهجرة والنصرة ، فسرعان ما أصلح النبى فيه الملاقات بين الأوس والخزرج ، وعجلان ما نزل فيه التأييد من السماء «لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين»

ودوى صوت بلال بالأذان للصلاة فكان دعاية لانتصار الهجرة وإذاعة لانتشار التوحيد ، ومتى جلجلت البطاح بصوت «الله أكبر» وتجاوبت بصوت «لا إله إلا الله» عرف كل من لا يعرف أن هذه الهجرة الكبرى إنما جاءت لتوحيد الصفوف ، ووحدانية المعبود ، ووحدة الكلمة ، وتلك هى العناصر الأساسية التى لابد من أن يتألف منها السلام

وتتابع المهاجرون أرسالا ، والمسجد يغص بهم يوما بعد يوم والمسلمون والمؤمنون أخوين أخوين سواء فى الهجرة أو النصرة وإنه ليوم خالد إذ يجتمع بهم نبيهم فى هذا المسجد المبارك ، ويسأل عنهم ، فلم يزل يتفقدهم ويبعث إليهم حتى انتظم شملهم ، ثم قال لهم :

— «إنى محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه وحدثوا به من بعدكم ، إن الله تعالى اصطفى من خلقه خلقا ، ثم تلا (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) وإنى أصطفى منكم من أحب أن أصطفيه ، وأؤاخى بينكم كما آخى الله تعالى بين ملائكته.. قم ياأبا بكر .. » ، وقام أبو بكر فجثا بين يديه فقال له

— : إن لك عندى يدا ، الله يجزيك بها ، ولو كنت متخذا خليلا لا تخذتك خليلا ، ولكن أخوة الإسلام أفضل ، فأنت منى بمنزلة قميصى من جسدى » . وحرك النبى قميصه بيده . — «إدن ياعمر ..» فدنا ، فقال له النبى :

— : «كنت شديد البأس علينا يا أبا حفص فدعوت الله أن يعز بك الدين أو بأبى جهل ، ففعل الله ذلك بك ، وكنت أحبهما إلى الله ، فأنت معى فى الجنة ثالث ثلاثة من هذه الأمة. »
وآخى بينه وبين أبى بكر فى المسجد الذى أصبح بيت المحبة والتعارف ، وصار المسلمون أرواحا مجندة : إلى الله أسلمت الوجوه ، وإلى الكعبة توجهت القلوب ، وخلف رسول الله انتظمت الصفوف

وأقبل سعد بن الربيع على عبد الرحمن بن عوف وقال له : يا أخى إنى من أكثر الأنصار مالا ، فأنا مقاسمك ، وعندى امرأتان فأنا مطلق إحداهما ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها فقال له عبد الرحمن وقد هاجر ولا مال ولا أهل : يا أخى بارك الله لك فى أهلك ومالك

كل ذلك من إشعاع الإيمان الذى انبثقت عنه الهجرة ، ومن وحى المسجد الذى قال فيه النبى الكريم «من ألف المسجد ألفه

الله » ، وقال « إن للمساجد أوتادا : الملائكة جلساؤهم ، إن غابوا افتقدوهم ، وإن مرضوا عادوهم ، وإن كانوا فى حاجة أعانوهم ، جليس المسجد على ثلاث خصال ، أخ مستفاد ، أو كلمة حكمة ، أو رحمة منتظرة »

وتفيأ النبى ظلال السلام وارفة منذ نزل بين الأنصار ، لذلك قال فى مقام الذكر والشكر « لولا الهجرة لكنت من الأنصار » الذين نصروه وأكرموا من معه « والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .. »

ويتأكد هنا لكل منصف أن الهجرة الكبرى لم تكن إلا إسراء بالأرواح قبل أن تكون انتقالا بالأشباح ، وبذلك تميزت « الهجرة الكبرى » إذ ارتفعت فيها الإنسانية من الهاوية إلى العالية ، وخلفت فيما وراءها غريزة الوحش ، وشريعة الغاب ، ومضت فى تصعيدها إلى القمة ، وصدق الشاعر

إذا ما علا المرء رام العلا ويقنع بالدون من كان دونا

وسئل النبى : ما أفضل الإيمان ؟ فقال : « الهجرة » . فسئل وما الهجرة ؟ قال : « أن تهجر السوء » . لهذا هجر المسلمون عناصر السوء قبل أن يهاجروا من الضلال والعدوان فى بلد أراد الله فيه للناس الأمن والسلام ، وفيه البيت الحرام ، (ومن دخله كان آمنا)

وظل النبى يحرس السلام ، فى يقظة وحكمة ، فقد قتل قتيل بالمدينة ولم يعرف قاتله ، فصعد النبى المنبر وقال « يا أيها الناس يقتل قتيل وأنا فيكم ولا يعلم من قتله ، لو اجتمع أهل السماء والأرض على قتل امرئ لعذبهم الله إلا أن يفعل ما يشاء »

ومر شاس بن قيس حبر اليهود بالأوس والخزرج وقد اجتمعت كلمتهم ، فغاظه ذلك الائتلاف بينهم فقال : قد اجتمع بنو قيلة ، والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار ، وأمر فتى من اليهود بالدس بين الأنصار ، وإثارة ما كان بينهم من مقاولة ومصاولة يوم بعاث ، وظل بهم حتى تنازعوا وتواعدوا على الحرب ، وخرجوا بالسلاح واصطفوا للقتال

وعلم بذلك حارس الأمن وحامى السلام ، فخرج إليهم فيمن كان معه من المهاجرين وقال : « يا معشر المسلمين ، الله الله ، اتقوا الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد أن هداكم الله إلى الإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بينكم .. »

فعرفوا أنها من نزغ الشيطان وكيد العدو ، فبكوا وتعانقوا ثم انصرفوا مع النبى وقد نزل عليه (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ، يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » وإذ يقول نبى الرحمة « لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم وجوه بعض » إنما يدل على أن الكفر هو العدوان وأن الإخاء هو السلام بل الاسلام الذى هو أن يسلم لله قلبك وأن يسلم الناس من لسانك ويدك »

ومضى على النبى عامان نشر فيهما لواء السلام على أهل المدينة واطمأنت فيها النفوس ، وأصبحت آيات القرآن تخاطبهم (يأيها الذين آمنوا) وقد كان الخطاب بمكة « يأيها الناس » فما كان هذا التغير إلا عقب الهجرة التى تصافت فيها الصدور ، وتوارت الشرور

فلما تألب اليهود والمنافقون والمشركون على دعوة السلام ، لم يكن بد من أن يتنزل على محمد الإذن بالجهاد (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . وإن الله على نصرهم لقدير) فكان الجهاد من لزوم ما يلزم السلام ، شأنه فى ذلك شأن الصفاء لا يرتجى إلا فى غمرة العواصف والأعاصير ، ولابد دون الشهد من إبر النحل

واليوم ونحن على باب سبعين عاما بعد ثلثمائة من هذه الهجرة الكبرى ، نرى أن فيها للعالم كله العبرة كل العبرة ، فما أحوج الانسانية إلى هجرة السوء من كل لون ، ونصرة الحق فى كل حين ، ودفع الشر والخصام بنشر الخير والسلام

محمد محمود زيتون

أبو دجانة

للأستاذ محمد طلبه رزق



يطيب المسلمين في ذكرى مولد الرسول أن يذكروا روائع أحداث الجهاد الأولى التي صاحبت الدعوة للاسلام والمقرونة بآيات من العبقرية أو التضحية أو البطولة. ولعل حياة أبي دجانة البطل الفدائي من أخلد هذه الروائع وأبعدها أثراً في القلوب والنفوس

وعلى أن تاريخ الجهاد الاسلامي ملئ بالبطولات الفذة والتضحيات العظمى والمواقف النبيلة. فإنني أشهد أن حياة أبي دجانة كانت من أعظم ما استهواني وملأ نفسي وقلبي روعة وتمجيداً لهذا البطل الذي أعتقد جازماً – إن حقاً أو غيره – أن التاريخ قد ظلمه وهضمه إلى درجة تكاد تكون كالنسيان، وهو الرجل الذي حفظ المسلمين جميعاً دينهم، والذي لولاه ولولا فدائيته وبطولته لما تمت رسالة الاسلام. ولرب قائل يقول: وكيف لأبي دجانة هذا أن يحفظ ذلك الدين العظيم ويكون سببا في إتمام رسالته؟ أكان أبو دجانة هذا شريكا للرسول في تلقي تعاليم الدين؟ أكان ينزل عليه الوحي كما ينزل على الرسول؟ أكان الأمين الأوحد والنائب المفرد للرسول يؤثره بأسرار الدعوة ويأمنه عليها؟

والواقع أن أبا دجانة كان مسلماً من عامة المسلمين تفتح قلبه للدعوة الاسلامية وأشربت نفسه حبها، وتعلقت روحه بأهدابها. كان أنصاريا من أهل يثرب لبي دعوة الحق ودخل في الدين بعد يقين صادق وإيمان عميق، وأحب الرسول حبا لا يوصف لفرط صدقه وشدته وإخلاصه. وهو قبل ذلك وبعد ذلك فارس بارع، خفيف الحركة، سريع الوثبة، يجيد المبارزة واللعب بالسيف والخنجر كما يجيد فنون الحرب الأخرى التي عرفها العرب آنذاك. وحين قرر النبي صلوات الله عليه. العمل على نشر الدعوة بقوة السيف ومقابلة عدوان جاحديها بمثله، كان أبو دجانة من المسلمين الذين خفوا لتلبية دعوة الجهاد ونفروا سراعا إلى ميادينه، لا تقعدهم امرأة ولا ولد، ولا تلهيهم تجارة أو بيع، ولا يعوقهم تردد أو خور، ولا يخذلهم ضعف أو وهن

وتسجل هذه الغزوات وتلك الحروب ألواناً من المجد والبطولة والفدائية المجاهدين المؤمنين وإذا أبو دجانة في طليعة هؤلاء المجاهدين المؤمنين الأحرار، يمتاز ببسالة نادرة وشجاعة فذة. ولم الحديث ولم الوصف وهذه وقعة أحد الخالدة تنطق شاهدة بما لهذا البطل الفدائي العظيم من صفات، هذه الواقعة التي أعدت لها قريش ما استطاعت من قوة وبأس وحشدت لها ثلاثة آلاف من المشركين، انتأر لقتلاها في غزوة بدر، في حين كانت قوات المسلمين ألفاً من الجنود تخذل منهم من المنافقين والضعفاء ما يقرب من ثلثهم

وينظم النبي جنوده ويجعل منهم رماة يحمون مؤخرة الجيش ويجعل مكانهم على الجبل ويقول لهم: (قوموا على مصافكم هذه، انضحوا الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا، فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا قد هزمنا القوم وظهرنا عليهم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم). ثم يلتفت القائد الأعظم والزعيم المقدس إلى جنوده الآخرين يبثهم روح الإقدام والتضحية، ويزودهم بنصائحه ويملي عليهم توجيهاته وإرشاداته

ولا يدع سبيلا إلى حفزهم وتشجيعهم إلا سلكها ؛ فهذا هو صلى الله عليه وسلم يرفع سيفه بيمينه ويعرضه على جنوده قائلا : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ ويتهافت المؤمنون عليه ، كل يبغى هذا الشرف الرفيع ، حتى ينبرى له أبو دجانة متحمساً مندفعاً فيقول عمر : هذا أبو دجانة الشجاع يقوم إليه ،فيقول أبو دجانة: نعم أنا أقوم إليه ، ما حقه يا رسول الله ؟ . ويجيبه النبي العظيم : أن تضرب به حتى ينحنى . فتزداد حماسة البطل ويردد أنا آخذه يا رسول الله بحقه . ويسر النبي لهذه الحماسة ولا يملك إلا أن يناوله السيف . ويتناول الفارس الشجاع السيف في فرح وثورة ويهزه في يده مردداً :

أنا الذى عاهدنى خليلى وبحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر فى الكبول أضرب بسيف الله والرسول

ويخرج من جيبه عصابة حمراء يعصب بها رأسه ويختال بين الصفوف كأنما هو يرقص؛ ويعجب المسلمون لنشوة الفارس وفرحته بسيف الرسول

وتبدأ المعركة بمبارزات فردية يكون صرعاها جميعاً من قريش الباغية ، ثم ما يلبث الجيشان أن يلتحما ، وما تلبث قوات المسلمين أن تتقدم منتصرة مثخنة في جيوش العدو وأبو دجانة فى فرسان المؤمنين يتغنى بشعره ، ويضرب بسيف الرسول يمنة ويسرة ما تنبو له ضربة ، ولا تخيب له طعنة ،صرعاه يتجندلون ويخرون عن يمين وشمال . . وتتراجع قوات قريش مروعة منهزمة متخاذلة وترى نساء المشركين تراجع رجالهن وهزيمتهم فيصحن فيهم محمسات حافزات تتزعمهن هند بنت عتبة الموتورة فى أبيها أحد قتلى بدر :

نحن بنات طارق نمشى على النمارق
إن تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

وأبو دجانة يصول ويجول فى الصفوف يصرع المشركين ويروى بدمهم الأرض ، وتعترضه هند هاتفة محرضة المشركين ويهاً بنى عبد الدار ويهاً حماة الأدبار ضرباً بكل بتار

ولا يكاد يميزها إن كانت رجلا أو امرأة فيهم بقتلها ، فتصيح مذعورة : ويلاه . وما إن يتميزها أبو دجانة حتى ينحيها عن سبيله قائلا : أمى أنى اذهبى تبحك الله . ويقول له الزبير : بل اقتلها يا أبا دجانة ، فيرد أبو دجانة الفارس الباسل أو ترد رجولته الكريمة : إنى أكرم سيف رسول الله أن أضرب به امرأة

وتسير المعركة قوية ملتهبة نحو غايتها ،وتكاد تنجلى عن نصر للمؤمنين مبين ، وفوز لهم محقق ، ولا يكاد يشك ذو عقل أو بصر فى أن الهزيمة الساحقة الماحقة ستحل على جيوش الملحدين؛ وتؤيد جميع الشواهد والقرائن هذا النصر وتقره ، ويتضخم هذا الشعور بالنصر فى قلوب المسلمين ويؤمنون به ،ويتأذى المشركون وتمتلئ قلوبهم بالحسرات واللوعات بعد أن رأوا معركتهم التى تأهبوا لها واتخذوا لها أعظم العدة ووطدوا عزائمهم على أن يجعلوها انتقاما ومحوا للعار الذى لحقهم فى بدر ، تدور عليهم وتنقلب ضدهم

ولكن . ولكن — ولعن الله لكن هذه — هاهى فصيلة الرماة المسلمين التى ناط بها قائد المسلمين وزعيمهم الرسول حماية المؤخرة يرى أفرادها انتصار إخوانهم وتقهقر المشركين أمامهم تاركين متاعهم وعددهم غنائم وأسلابا . وهاهى الغنائم والأسلاب تلمع فى أعين هؤلاء الرماة فتسيل لعابهم وتجملهم يفكرون فيها وفى موقفهم هذا الثابت ، وفى تلك الأوامر الحاسمة الصارمة الموجهة إليهم بضرورة ثباتهم مهما رأوا من انتصار جيشهم وتقهقر عدوهم . ولكن أية نفوس تلك التى ترى هذه الغنائم والأسلاب الكثيرة الوفيرة وترى هذا التقهقر ، وترى أكثر من هذا وذاك إغراء الشيطان ، وتراء الحياة يساق هينا لينا ليس بينهم وبينه إلا أن يتحركوا وينقضوا لتحفظ لهم حقوقهم وأنصبتهم من أن يغتالها رفاقهم المنتصرون أو أن يبخسوهم بعضها . وما هى إلا أن تضعف نفوسهم وينتصر الشيطان وتبرق الدنيا فى عينى أحدهم فيصيح من أعماقه: الغنيمة .. وتهز صيحته بقية الرماة .. وإذا هؤلاء الرماة حماة المؤخرة ، يخالفون عن أمر قيادتهم ، لا رغبة فى العصيان والمخالفة ، وإنما إيمانا خاطئا بأن النصر قد صار فى جانبهم

ويندفعون جاعلين همهم جمع الغنـائم والأسلاب من متروكات جيش المشركين المنهزم

وفى المشركين يقظة وحسرة ، وفى قلوبهم نار تأجج حقدا وحفاظا لأهليهم وعشيرتهم الذين ذهبوا فى بدر ، وإذا هذه اليقظة وذلك الحقد يبصرانهم بالثغرة الجديدة التى انفتحت فى مؤخرة المسلمين المنتصرين ، وإذا فلولهم تتجمع وتحتشد وتتجه نحو الثغرة !

ويريد الله أن يمتحن المسلمين ويبـلوهم ، وأن يجزيهم جزاء مخالفتهم ، ويريهم عاقبة عصيـانهم لأوامر قائدهم ورسولهم ، ويبصرهم بخطئهم وطمعهم فى عرض الدنيـا الذى رجوه ، وهم المؤمنون الذين خرجوا من ديارهم وأهليهم قد بايعوا الله ورسوله أن ينصروا دينه وباعوه أرواحهم بأن لهم الجنة وليس أسلاب الحرب وغنائمها .. يريد الله ذلك ، ويشاء الله إلا أن تكون إرادته تلك رائعة قاسية بعيدة الأثر فى نفوس المسلمين جميعا ، ويتمثل كل ذلك فى أن يمكن لفلول قريش المتجمعة من أن تنفذ فى جيوش المسلمين من الثغرة التى كشفها الرماة فى المؤخرة ، وأن تنال قريش الباغية المشركة منهم وتثخن فيهم

ويرى النبي صلى الله عليه وسلم هجمة الأعداء الفاجئة من الخلف ، فيدرك سريعا خطيئة الرماة ويعرف من أين أتى الشر ، وكيف انهارت الخطة الحـكيمة التى وضعها وأمر بها . ويرتاع المسلمون ويأخذهم الروع والجزع ويظنون أن جيوشا أخرى جديدة للمشركين قـد أخذتهم من خلف فيضعفون ويضطربون ويدب الفزع بينهم ، فيفر منهم من يفر ، ويتخاذل منهم من يتخاذل ، والنبي العظيم يستنفرهم ويثبتهم ويعـدهم النصر ، وينادى فيهم أن اثبتوا وكافحوا ، ولا يدع سبيـلا لحفزهم ودفعهم للصمود والجلاد دون أن يسلـكها ! .

ويكثر عدد القتلى والجرحى من المسلمين ويسقط فيهم أعلام من فرسانهم الصناديد ويشاء الله إلا أن تبلغ العظة والعبرة أعظم مبلغ وأروعه حين يبقى الرسول فى عشرة من صحبه ينافحون معه وهو يرمى بسهمه حتى يصير شظايا .. ويقترب المشركون منه ودونه اثنان سعد بن أبى وقاص ومصعب بن عمير يذودان عنه

وأم عمارة المسلمة المؤمنة تقبل فترى ذلك فترمى سقاءها وتنتزع سهم أحد القتلى وتنفح به عن الرسول العظيم .. ويقبل أبو دجانة فأى إقبال هذا ؟ إنه إقبـال البطل الذى حارب بسيف الرسول وأدى حقه فقـاتل به حتى تقوس ، وحتى امتلأ جسمه بالجراح والطعنات .. ويرى أبو دجانة النبي الـكريم فى هذا الموقف العسير ويرى أحد المشركين الأنذال وهو يضرب أم عمارة المرأة المسلمة على عاتقها فيرديها ! .. ويهم أبو دجانة لينـافح عن الرسول ، وكيف له ذلك وسيفه قد انحنى وتقوس ، وجسمه قد تمزق وتجرح ، ولـكنه يرى النبي الـكريم هدفا لنبل الـكافرين الفاجرين ، ولكنه يريد أن يسجل أروع أمثـال التضحية والفدائية أعظم تسجيل وأدقه ، فها هو يندفع نحو النبي العظيم وينكفئ عليه حاميا له بجسده متوسلا إليه بقوله : دعنى يارسول الله أترس دونك بنفسى ، لقد ولى الناس عنك وهـذا نبل العدو يصل إليك . ويقول له الرسول العظيم مشفقا : إن النبل يقع فى ظهرك . ولـكن أبا دجانة المسلم الصادق الإيمان والفدائى الذى باع روحه ونفسه لله لا يحس ألما للرميات الـكافرة المجنونة ويستعذبهـا ويرد على النبي العظيم بآخر ألفاظه : لا بأس . ويظل ظهر أبى دجانة يتلقى النبل حتى يمتلئ ، وحتى لا تبقى فيه نقطة واحدة دون إصابة قاتلة ! ..

ويتأذن الله أن تمر المحنة القاسية والدرس الرادع ، وتنجلى معركة أحد الخالدة وقد نجا النبي العظيم من القتل فسلم للمسلمين بنجاته دينهم ، وتمت بذلك للمؤمنين رسالتهم ، وكمل دينهم ، وبلغ الـكتاب أجله بعد العظة الرهيبة العميقة التى كان من أعظم آثارها فدائية هذا الإنسـان الفذ أبو دجانة ..

قلت لصاحبي وهو يتحدث كالسيل المنهمر وحديثه يفيض من أعماقه : حسبك ياصديقى فقد والله بلغت بحديثك هـذا من نفسى ومن قلبى أعظم وأبلغ وأروع ما يمكن أن يبلغه أكبر الدروس وأخطر العظات ، وما أرى إلا أنك محق فى لومك للقائمين على شؤون التعليم والتثقيف والتجنيد أكبر اللوم لنسيانهم تخليد ذكر هذا البطل الفدائى والمثل الحى الذى يظل حيا مدى الدهور ...

محمد طاهر رزق

مطبعة الرسالة

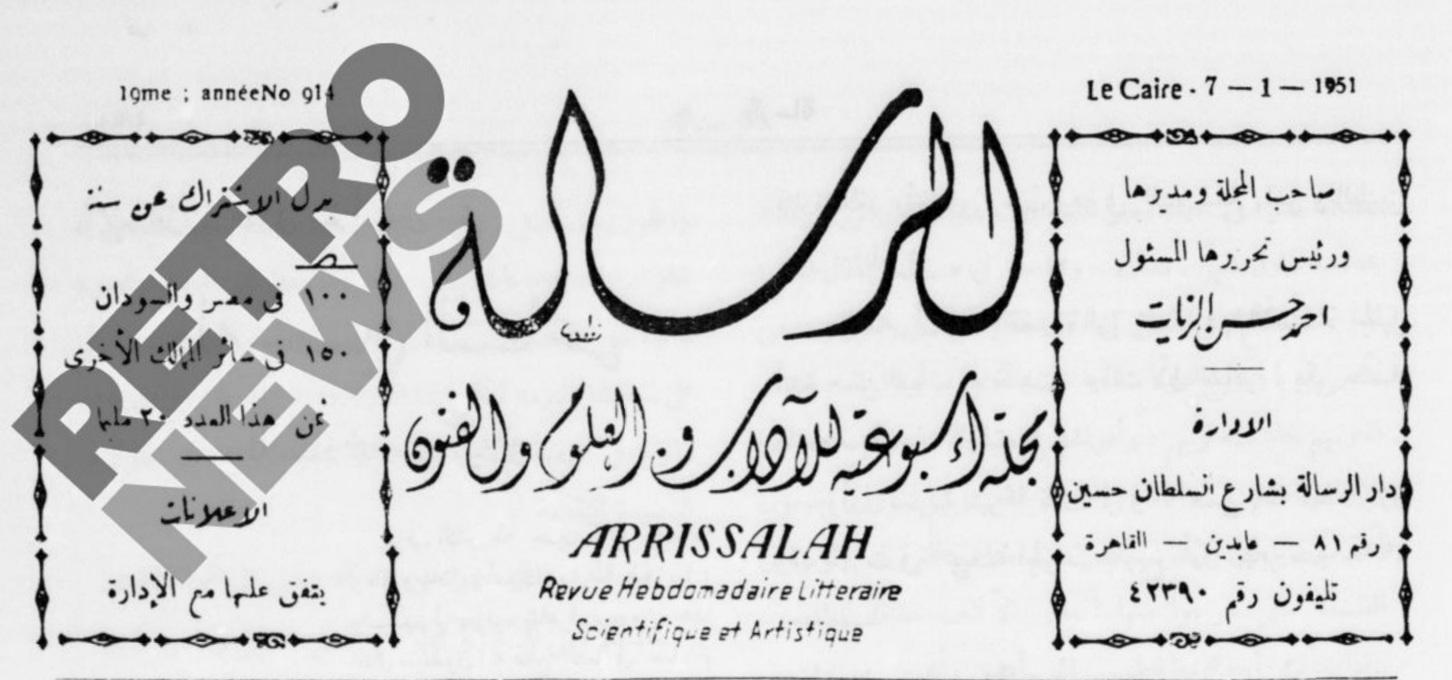




فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS



العدد ٩١٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٠ — ٨ يناير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

طه حسين باشا

رجلان في مصر كلما جاءتهم الباشوية بعد أن كبرا عليها وضاقت عليهما : طلعت حرب وطه حسين !

رفع طلعت حرب قواعد الاقتصاد المصري على أربعة عشر أساً من بنك مصر وشركاته ، فارتفعت مكانته في نفوس الناس حتى تهيبوه في اللقاء والخطاب، ورأوا لقب (البك) قد نزل عن قدره فاحتالوا على تعظيمه بشتى الألقاب فقالوا : منقذ مصر العظيم، وزعيم الاستقلال الاقتصادي، وبطل النهضة القومية فلما أتته الباشوية آخر الأمر كانت أشبه بثوب الصبي الناشئ على جسم الرجل المكتمل.

ووثب طه حسين بالتعليم في مختلف درجاته وثبة وجد كل مصري أثرها ، في نفسه إن كان معلماً أو تلميذاً ، وفي أسرته ان كان أباً أو ولياً ، وفي بيئته ان كان جاراً أو صديقاً . ثم رحل إلى أوربا رحلة في سبيل الوطن والعلم كانت أجدى على مصر من أعمال أكثر الوزارات في الداخل ، ومن أقوال أكثر السفارات في الخارج ! كان في تنقله المبارك الموفق من بلد إلى قطر، و من معهد إلى جامعة، ومن عالم إلى وزير، ومن حديث إلى خطبة، ومن خطبة إلى محاضرة، دعاية لمصر من نوع فريد صححت ما افتراه على كفايتها العدو ، وأصلحت ماجناه على كرامتها الصديق ، وسمت بحكومتها القائمة من الأفق المنخفض للمفاوضة في الأرصدة الأسترلينية والمطالب القومية ، إلى الأفق المرتفع للمعاونة على توثيق العلائق الإنسانية ، وتعميم الثقافة العالمية ؛ فرأى الناس في الوزير الذي جعل وزارته مبدأ تاريخ ، وفي الجامعي الذي خلق لنا من مهرجان الجامعة أوسع دعاية ، وفي الأديب الذي هيأ للأدب أعظم نهضة ، رجلا لا يسامت قدره لقب (البك) ، فتوجوا اسمه الغني عن التتويج بالألقاب المختلفة فقالوا : عميد الأدب العربي ، وأبو التعليم ، وحامي المعلمين ، وبطل الثورة الفكرية . فلما أتته الباشوية آخر الأمر كانت أشبه بطوق عمرو حين شب عنه وربا عليه !

لم يكتسب طه حسين من الرتبة ما يكتسبه عادة فقير المجد أو غني الحرب من ورم في المنى وانتفاخ في الذات ؛ وإنما اكتسب منها دلالتها السامية على تكريم مليكه وتقدير أمته . وتكريم صاحب الجلالة الفاروق لذوي الفضل شيمة من شيمه ، وفيض من كرمه ، فلا غرابة فيه ولا عجب منه . ولكن تقدير الأمة لرجل من رجالها على هذه الصورة الرائعة وبهذا الاجماع النادر أمر فيه الغرابة ومنه العجب

لقد كان الانعام السامي على صاحب المعالي طه حسين باشا لفتة كريمة من صاحب الجلالة أعلن بها رضاه عن وزير من وزرائه نفذ أمره في خطاب العرش ، وأمضى رأيه في سياسة الدولة ؛ كما كان فرصة مواتية لهذا الشعب الكريم عبر فيها عن اعترافه بالجميل لرجل من رجاله عمل فأخلص العمل ، ووعد فأنجز الوعد ، وقاد فأحسن القيادة !

احمد حسن الزيات

عميد الأدب العربي منذ أربعين سنة

طه حسين الشاعر

للأستاذ محمد سيد كيلاني

عرف الناس طه حسين كاتبا وقصاصا وعالما وباحثا وأستاذا ومربيا ووزيرا، ولكنهم لم يعرفوه شاعرا، ومن هذا المقال سيعلمون أنه عالج الشعر فى صباه ثم انصرف عنه فى شبابه. فلو ظل يعالجه لظفر بالأولية فيه كما ظفر بها فى كل شئ.

بدأ معالى الدكتور طه حسين باشا حياته الأدبية شاعرا لا كاتبا. فلهج بالشعر وهو صبي وكان الدافع له على ذلك وفاة أخيه فى وباء الكوليرا فى صيف عام ١٩٠٢ وقد ذكر ذلك فى الجزء الأول من كتاب الأيام فقال إنه كان ينفق وقتا طويلا فى نظم القصائد يرثى بها أخاه ويختم كل قصيدة بالصلاة على النبي واهبا ثواب هذه الصلاة إلى أخيه. ولم يدون لنا هـــذا الشعر فلا نعرف عنه شيئا

ولما جاء القاهرة ظل ينظم القصائد من حين إلى حين. وقد حدث ذات مرة أن الشيخ المرصفى كلف تلاميذه بالكتابة فى موضوع من الموضوعات شعرا ونثرا. قال الشيخ أحمد حسن الزيات أستاذ الآداب العربية بكلية الفرير بالقاهرة من خطبة ألقاها فى حفل تكريم الدكتور طه بنيل الدكتوراه من الجامعة المصرية القديمة ونشرت بصحيفة الجريدة فى ٢٦ مايو سنة ١٩١٤ ما نصه « ... فأخذنا نعمل موقنين أن الفتى (يعنى الدكتور طه حسين) لن يبزنا فى نثر الكلام ونظمه، وإن بزنا فى حفظه وفهمه. ولكن ما تقولون وقد غدا على الشيخ بقصيدة حماسية الموضوع جاهلية الأسلوب تمثل ما انطبع فى خاطره من صور الشعر القديم؟

« سمعنا تلك القصيدة فازدرينا أنفسنا وسترنا ما قلنا وشعرنا بالضعف أمام تلك القوة النادرة. فأحللناه منا محل الإنسان من العين والسواد من القلب ومضينا على أثره نخوض بحور الشعر فتارة نطفو وأخرى نرسب وهو فى السباحة ماهر وبالطريق خبير ... الخ »

والظاهر أن هذه القصيدة التى يحدثنا عنها الأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات قد ضاعت وذلك لأن الشاعر لم يكن متصلا بالصحف فى ذلك الوقت فلم تنشر

وأول قصيدة نشرها كانت فى رثاء حسن باشا عبد الرازق وقد ظهرت فى صحيفة الجريدة بتاريخ أول يناير سنة ١٩٠٨ ومطلعها

أفى الحق ما أسمعتنا أم توهما ... تبين فقد بدلت أدمعنا دما

والحب بين الشاعر وبين آل عبد الرازق قديم. وقد توثقت أواصر المودة والإخاء بينه وبينهم على ممر الأيام. ولما وقف منذ أعوام يرثى المغفور له مصطفى باشا عبد الرازق كان رثاؤه مؤثرا إلى حد بعيد

وفى عام ١٩٠٩ رأينا الشاعر قد مال إلى جانب الحزب الوطنى وأخذ ينشر فى صحيفة مصر الفتاة قصائد حماسية تارة تحت عنوان « حديث مع النيل » وتارة تحت عنوان « فى القاهرة » وفى بعض هذه القصائد يظهر فى مظهر رجل الدين الذى ملئ قلبه يقينا وإيمانا فتراه يعظ ويرشد، ويذكر ويحذر، ويبصر وينذر، ويدعو الناس إلى التمسك بآداب الدين وأحكام الشريعة الغراء، انظر إليه حين يقول من قصيدة نشرت فى صحيفة مصر الفتاة بتاريخ ٢٦ أغسطس سنة ١٩٠٩

أنفذوا حكمه على كل جان ... لا ينلكم من دون هذا فتور

ارجموا واجلدوا كما أمر الله ... ـه بجانبكمو الخنا والفجور

إن من يهدر الفضيلة يهدر ... ليس كفئاً لذنبه التعزير

طرب النيل ثم قال لمصر الل ... ـه قد كان يردهينى السرور

أمحب للدين من أهل مصر ... أنت والله للنجاة بشير

نسيت مصر دينها فعداها ... كل خير وحلها الشرور

أهملت فيكم الفضيلة من أه ... ـل فيكم كتابها المسطور

لن ترى بين أهل مصر وفيا ... بمقتضيه الوفاء إلا البدور

عهدنا بالوفاء أيام كان الد ... ـين غضا تلين منه الصدور

وكان يكتب مقالات تدور حول هذه المعانى. ومن أمثلة

ذلك ما نشره فى صحيفة مصر الفتاة تحت عنوان « ويحى من غد » بمناسبة حلول شهر رمضان . ومما جاء فى هـــذا المقال قوله :

« ... فستطلع علينا شمس الغد لا محالة ونحن بين رجلين ، مذعن لأمر ربه ، وخارج عليه . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقلوبهم خاشعـة لربهم ، وأفواههم ملجمة إلا عن ذكره ، ناطقة إلا بلغو الحديث . وأما الجـاحدون لأمر ربهم فغررون يتبعون أئمة من شياطين الإنس يهيجون بهم مناهج الغى قد ضربوا فى الفلسفة حتى خرجوا منها أصفار الأكف خفاف العياب . وإذا سألت أحدهم ماخطبـــك أهذر وأهجر ، وتشدق وتفيهق ، لاتأخذه رهبة من الله ، ولا يردعه حياء من نفسه ، ليس بدعا من أعمال الناس أن يزع الإنسان نفسه عن الطعام والشراب ساعات معدودات فكثيرا ما نضطر إلى شئ من ذلك ؛ وإنما المشقة كل المشقة فى أن نؤدى به حقا لله أونقضى به له واجبا

« ضعف فى الإيمان وتزعزع فى العقيدة . ولو أن هناك يقينا صادقا أو قلوبا مطمئنة لهان علينا الإذعان لله والقيام بحقوقه وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين . ليصم من شاء وليفطر من شاء فلسنا من أمرهم فى شئ . ولـكن أقبل أيها الشهر الكريم فستلقاك وجوه باشة وصدور رحبة ، ولئن كنت موسم نسك لقوم فإنك موسم لهو لآخرين »

والشئ الذى لا ريب فيه أن الشاعر حينما نظم هذه القصائد وكتب هذه المقالات لم يكن متكلفا ولا متصنعا ، وإنما كان يرسل القول شعرا أو نثرا — عقيدة ثابتة فى قرارة نفسه ، ممتزجة بدمه ولحمه لذلك انتفعت فى دراستى لتطوره الفكرى بما نظم ونثر فى ذلك الوقت

ومن قوله فى هذه القصيدة

حسبكم فى الآداب ما قاله فلـ   تير أو ما أتى به فيكتور

نعم ما قال ذا وما قال هـذا   ونعما قال العليم الخمـــير

فخـذوا من كليهما بنصيب   وتوخوا هداهما تستنيروا

. . .

والظاهرة الغالبة على شاعرنا هى الدعوة إلى الجد وترك اللهو والخمول والـكسل . وهو يدعو إلى العمل المتواصل المنتج على أن تقلل من الـكلام ما أمكن . وكان ساخطا على المجتمع المصرى لما فيه من عيوب كانت سببا فى تخلف الأمة وتأخرها . ولـكن على سخطه وتبرمه لم يكن متشائما ولا يائسا . بل كان الأمل يحدو والرجاء فى نهضة الأمة يملأ فؤاده . انظر إليه حين يقول من القصيدة المتقدمة

كثر المدعون فى مصر حتى   كاد يقضى على البلاد الغرور

حسبكم يابنى الكنانة عجبا   كسل مخجل وفخر كثير

ليكن قولـكم أقل من الفعـ   ـل فلن يبلغ العلاء فخور

أجمعوا إن أردتم السير للسؤ   دد والمجد أمركم ثم سيروا

أو يقول من قصيدة أخرى نشرت فى الصحيفة المذكورة بتاريخ ١٨ مايو سنة ١٩٠٩

كاتب نائم وذو الشعر لاه   وأديب سبته كأس الشمول

شاعر النيل لا عدتك العوادى   هل لهذا السكوت من تأويل

أسلموا دارهم وعقوك يانيـ   ـل فما إن لهم سوى التنكيل

فض فأغرقهمو فأنت حليم   غض فأهلكهمو وغير بخيل

فظاهرة السخط الشديد هذه لن نجدها عند أحد من شعراء ذلك العصر فما لا ريب فيه أن الطالب طه حسين قد انفرد بها دون سواه . لا يزال محتفظا بها

والدكتور طه حسين لا يعرف القناعة بل يعتبرها ضعفاً وخوراً . وقد نشأ على تلك العقيدة كما ترى من شعره فهو من غير شك صاحب روح قد بلغ الأوج فى السمو والرفعة . فجدير بنا أن نسلك سبيله ونهتدى بهديه . وإنى بهـذا أقرر حقيقة من الحقائق

. . .

قلنا إن الطالب طه حسين انضم إلى الحزب الوطنى وأصبح داعياً من دعاته . وقد ظهر أثر ذلك فى شعره فنراه يحمـل على المحتلين حملة شعواء ويهاجمهم هجوماً عنيفاً ، ويدعو إلى كفاحهم وجهادهم ، ويظهر مقته وحقده على الأجانب الذين يمتصون دماء المصريين ويستنزفون أموالهم . ومما نظمه فى ذلك قصيدة قيمة نشرت بمصر الفتاة بتاريخ ٥ نوفبر سنـة ١٩٠٩ تحت

عنوان « هم جاتش » .

تيمموا غيروادى النيل وانتجعوا   فليس فى مصر للأطماع متسع
كفوا مطامعكم عنا أليس لكم   مما جنيتم وما تجنونه شبع
يا للكنانة من منكود طالعها   ماذا يجر عليها النوم والطمع
من مثل أبنائها فى سوء صفقتهم   منها إذا ما اجتنوا من غرسهم وزعوا

هم الذين ابتنوا بالأمس واحتفروا   فما لهم إن أرادوا حقهم دفعوا
لا يصنع الله للمستعمرين فكم   يلقى بنو النيل من جراء ما صنعوا
أكلما جاع غربى تيممنا   حتى إذا اكتظ أغراه بنا الجشع
لاجاد مصر حيا . لا أخصبت أبدا   لحظ أبنائها من خصبها الضرع
يا نيل إن سفت المستعمرين ولم   تطب لأبنائك العلات والجرع
فلا جريت ولا رويت ذا ظمأ   ولا أمدك غيث واكف همع

ومنها :

الذنب ذنب بنى مصر فإنهم   هم الذين إذا ما استخضعوا خضعوا
هم الذين استبدت فى حقوقهم   يد الدخيل فما ذادوا ولا منعوا
هم الذين يقول الناس إنهم   إن صادفوا ملهيا عن جوعهم قنعوا
لا أكذب الله كم فينا ذوو شمم   إذا أربدت بهم مكروهة فزعوا

هذه القصيدة قيلت فى أيام الوزارة البطرسية ، وقد كان شعور السخط عليها شديداً . ولما كانت هى مجرد آلة فى يد المحتلين كانت حملات الشعراء والكتاب موجهة فى الحقيقة إلى السياسة البريطانية وإلى الأجانب الذين يسندون هذه السياسة ويشدون أزرها ولاشك فى أن روح الشاعر قد بدأ سامياً . ومما لاشك فيه أن وجوده فى محيط الحزب الوطنى قد أثر فيه وطبعه بهذا الطابع .

وقد هنأ الشيخ عبد العزيز جاويس حينما خرج من السجن بقصيدة نشرت فى مصر الفتاة بتاريخ ٢٣ نوفبر سنة ١٩٠٩ نذكر منها :

الآن حق لك الثناء   فلتحي وليحى اللواء
ولتحى مصر وحقها   شاء العدى أو لم يشاءوا
تعلو بها أصواتنا   حتى ترددها السماء

ومنها :

إن كان ذكرك للجلا   ء يسوء فليكن الجلاء
أو كان صوت الشعب عنـ   ـدهم هو الداء العياء
فليمل صوت الشعب حـ   ـتى يرجعوا من حيث جاءوا

سيرون أن الحق يأ   بى أن يدوم له خفاء
سيرون أن الحق مهـ   ـما يهتضم فله العلاء
لم يسجنوك وإنما   ردوا الأمور كما تشاء
ما إن أصابتك الإسا   ءة بل لأنفسهم أساءوا

. . .

هذا هو الجانب السياسى فى شعر الطالب الشاب طه حسين . وهو جانب مشرق ، ترى فيه الشجاعة والإقدام والدعوة إلى التضحية بالمال والروح فى سبيل الوطن والذود عن حياضه .

ولما عاد الخديو عباس من الحجاز نظم الشاعر قصيدة نشرت فى الجريدة بتاريخ ٢٦ يناير سنة ١٩١٠ تحت عنوان « رجاء الدستور بعد الحج المبرور » ومما جاء فيها قوله :

أنت والدستور فى الحـ   ـب لديها أخوان
وترى حجك باليمـ   ـن لها نعم البشير
كن لوادى النيل حصنا   من عوادى الحدثان
وامنح الدستور مصرا   أنت إن شئت قدير

. . .

هل سمعت الصوت يدعو   ك من القبر الكريم
إنما أنت على النا   س وصى وأمين
لا تذدهم عن صراط الـ   ـحق والنهج القويم
أرض بالدستور مصراً   ترض رب العالمين

وقد حاول الشاعر أن يخاطب الخديو عن طريق العاطفة الدينية . فذكر القبر النبوى الكريم وأن النبى دعا الخديو قائلا له إنما أنت وصى وأمين على الناس فاجعلهم يسلكون الصراط المستقيم ولايكون هذا بغير الحكم الدستورى . فإن أنت منحت شعبك الدستور فقد رضى الله عنك ، وإن حلت بينهم وبين ما يشتهون فقد عرضت نفسك لغضب الله ولا ينفعك حج ولا صلاة .

ننتقل بعد ذلك إلى الشعر الوجدانى الذى نظمه الشاعر وصور فيه خلجات نفسه وما يتردد بين جوانحه من مشاعر مختلفة وأحاسيس متباينة كالرضى والسخط ، والحزن والفرح ، والتفاؤل والتشاؤم ، والحب والبغض . فمن ذلك قصيدة نشرت فى مصر الفتاة فى ١٥ يناير سنة ١٩١٠ تحت عنوان « يوم القران » وقدم لها بقوله : « دعيت إلى حفل أقامه صديقى الأديب الأستاذ

الشيخ أحمد حسن الزيات مساء الخميس الماضى لعقد قرانه . فلما أجبت الدعوة راقنى ما كان فى الحفل من جمال ولاسيما ذلك النوع من الغناء القديم الذى طالما اشتقت إلى سماعه »

قال :

يا خليلى سلامى   حبذا يوم القران
حبذا أمس فقد أد   نى نوالا غير دان
حبذا ليلة أمس   راق لى فيها زمانى
ليلة قد نلت فيها   من حظوظى ما شفانى
أنا لا أجحد منها   حسن توقيع الأغانى
إنما أحمد منها   حسن أنسى بفلان
لم أزل أقصف حتى   خلت أنى فى الجنان
بينما نحن على ذ   لك زف القمران
آه يا زيات ما أجـ   ـمل ساعات الأمانى
هن قد هجن لنفسى   ذكر سحر وعنان
أنا لولا سوء حظى   لم أكن إلا ابن هانى
يا شقيق النفس ضاق   الشعر عن نظم التهانى
لا تلمنى إن دعوت   الشعر والشعر عصانى
جل حبى لك يا زيات   عن وصف البيان

. . .

ومن الظواهر التى نقف عليها فى شعره الشكوى من البؤس وهذا النوع من الشكوى كان مألوفا بين الشعراء فى تلك الأيام . ومما قاله فى هذا الصدد قصيدة نشرت فى مصر الفتاة بتاريخ ٢٧ نوفبر سنة ١٩٠٩ تحت عنوان « شكاة الأديب » وقد جاء فيها :

إذا شكا البؤس كل ندب   فقد نجا منه شاعران
بينما نمانيه كان شوقى   يقصف فى كرمة ابن هانى
وحافظ فى القطار يلهو   مشرد الهم غير عانى
أذاك أم مسه شقاء   فانتجع الواصل المدانى
ثم انثنى وهو بالصفايا   من صلف الدهر فى ضمان
فليطب الشاعران نفسا   إنا رضينا بما نمانى
ما سرنى ساعة كبؤسى   والأدب الغض صاحبان

ويقول فى قصيدة أخرى نشرت بمصر الفتاة بتاريخ أول أكتوبر سنه ١٩٠٩ .

علم الله أن حظى فى البؤ   س كبير لكننى غير عانى
كل حظى من السعادة أنى   رضت نفسى على خطوب الزمان

وغشى الشاعر أحد الملاهى مرة فكتب فى الجريدة بتاريخ ٣١ يوليو سنة ١٩١١ فقال « كنت منذ أيام فى ملهى من الملاهى العامة التى يجب أن تتخذ مثالا صادقا لذوق الجمهور ، وقد يكون هذا التصريح خطراً جدا ، فإن الجمهور لا يقبل من كاتب مثلى أن يزج نفسه بين صفوفه فى المراقص وأندية الغناء ، بل إن أسرتى نفسها قد تنكر على ذلك أشد الإنكار لأنها لا ترضى منى إلا أن أسلك سبيلا واحدا هو ما بين البيت والمدرسة . »

وله شعر فى الغزل يغلب على الظن أنه من وحى الخيال كقوله من قصيدة نشرت فى مصر الفتاة فى ٢٧ نوفبر سنة ١٩٠٩

كم جحد الغيد من بلائى   مذ كان لى بالهوى يدان
تحكم الغيد فى دهرا   ثم انثنى عنهم عنانى
لا أكذب الله إن عاما   مضى حثيثا بلا توانى
إذا تذكرته استهلت   دموع عينى كالجمان
إذ أنا فى لذة وأمن   أباكر اللهو غير وانى
أرضيت بالطيبات نفسى   فى غير إثم ولا افتتان
ما أخذ الكاتبان سوءا   يذودنى عن ربى الجنان
إن كان فى قبلة جناح   فإننى منه فى أمان
لم أستبح نيلها فجورا   بل قال بالحل (مفتيان)
قد نلتها واستزدت منها   لو بمض ما نلته كفانى
ثم طوى الدهر ذاك عنا   ليت الردى قبلها طوانى

وهو حتى فى هذه القصائد التى يتغنى فيها بالحب والجمال ويتحدث عن الحسان كان يدعو إلى التمسك بأهداب للفضيلة انظر إليه حين يقول من قصيدة نشرت بالجريدة فى ١٤ فبراير سنة ١٩١٠ تحت عنوان « زلة فى الحياة »

أى هذا العاشق الد   نف حب الحق أولى
دونك العشق إذا شئت ولكن للفضيله
أنا أنهاك من الأهواء عما كان جهلا
إنما أربأ بابن النيل عن حب الرذيله

وكثيراً ما دعا فى شعره إلى هذا النوع من الغرام وتراه يدافع ويناضل عن مذهبه الغرامى ويرد على من ينكر عليه ذلك

مسفهاً رأيه ، ومثال ذلك قوله من قصيدة نشرت فى مصر الفتاة بتاريخ ٧ يناير سنة ١٩١٠ تحت عنوان « ليت للحب قضاة »

سيقولون حرام … قلت ليست بحرام
إنما حرم ربى … فى الهوى ما كان رجسا
أى دين أو كتاب … لم يبح ورد الغرام
لا شفى الله لأهل الـ … ـدين والتضليل نفسا

ثم يستمر الشاعر فى قصيدته فيبين لنا الحب الطاهر والحب الدنس ؛ فالأول لا يحرمه دين من الأديان ، أما الثانى فحرام قطعا . وهو إن تغنى بالحب فإنما يقصد ذلك الحلال المباح . ثم أخذ يحذرنا من خداع النساء تحذيراً زعم أنه صادر عن تجربة واختبار قال :

إن للغيد خداعا … ربما فات الفطن
أنا قد جربت منه … إن تصدقنى صنوفا
ليس يكفى غدرات الـ … ـغيد قوال لسن
إنما يأمن مكر الغيـ … ـد من كان شريفا

ولم أر لصاحبنا شعراً فى غير الأغراض المتقدمة ، اللهم إلا قصيدة واحدة فى الهجاء نشرت فى الجريدة بتاريخ ٢٨ نوفبر سنة ١٩١١ تحت عنوان « إلى عبد الرحمن شكرى » وهى :

قل لشكرى فقد غلا وتمادى … بعض ما أنت فيه يشفى الفؤادا
بعض هذا فأنت فى الشعر والنـ … ـثر أديب لا يعجز النقادا
لو تفهمت قولنا لم يكلفـ … ـك هوى نقدنا الضنى والسهادا
عد إليه تجـد شفاءك فيه … إنما عقت الحديث المعادا
واقتصد فى الغلو إن لدينا … إن تسائل بنا نصالا حدادا
خل عنك القريض إذ لست أمضى … فيه سهما ولا بأورى زنادا
إن تكن مكثرا فرب مقل … حاول القول مرة فأجادا
كن إذا شئت آمناً مطمئنا … لم نحاول لما تقول انتقادا

ذلك شعر طه حسين أيام كان طالبا بالأزهر منذ أربعين سنة وهو يدل على أنه نشأ شاعراً بالفطرة وقال الشعر وهو صبى ، وأخذت شاعريته تنمو نمواً مطرداً مريعاً يصاحبها إحساس فياض وعواطف حارة وشعور متدفق . وقد شهد له إخوانه فى الأزهر بذلك وأقروا له بالسبق واعترفوا بفضله وتفوقه عليهم . وكثيراً ما نجد فى نثره سمات الشعر

أما شعره فقد كان فيه مجدداً مبتكراً . قال الأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات فى خطبته المتقدمة « بعد عامين من هذا التاريخ (يقصد بعد عام ١٩٠٥) استطاع بطلنا أن ينزل الشعر على حكمه ويروضه لذوقه فصاغ الشعر الحضرى العصرى فى مختلف الأوضاع ، لأنه وإن كان محافظاً فى اللغة فإنه حر فى الشعر ؛ رأى ما يثقل الشعر العربى من قيود القافية يوقع فى نفسه أن ينفس عنه فاخترع له الأضرب المختلفة والقوافى المتنوعة على نحو ما يصنع الإفرنج فى شعرهم ، إلا أن شعره أجمل وأكمل لاحتفاظه بالذوق العربى والطابع الشرقي . » وهكذا أراد الشاعر الناشئ أن يخفف من قيود الشعر العربى وأن يجعله سهلا مرنا لا يحتاج إلى عناء وتعب . وقد شاع هذا المذهب عند بعض الشعراء فى تلك الأيام

وشعر الطالب طه حسين يفيض رقة وعذوبة ، وقصائده الغرامية أشبه بالأدوار الموسيقية والمقطوعات الغنائية ، عليها مسحة فنية جميلة ، فكأنها قيلت للغناء . انظر إلى قوله :

شادن عطف … عطفه الحبيب
بعد أن صدف … صدفة الملول
كم سبى العقول … قوله الخلوب
يملك القلوب … ثم لا ينيل

• • •

كل ذى بهاء … يمقت الوصال
يظهر الحياء … وهو فى صدود
من لذى السهود … منه بالنوال
إن فى الجمال … عثرة الجدود

فأنت ترى شعراً غنائيا جميلا ، ينبعث منه صوت حنون نكاد نرقص منه طربا . وقد ظهر الشاعر أمامنا ممسكا بقيثارته ليحرك مشاعرنا ويهز عواطفنا ويملك قلوبنا بهذه الأنغام العذبة

• • •

والشئ الذى نأسف له هو أن الشاعر الشاب قد اضطرته الحياة الجامعية إلى التخلى عن صوغ الشعر . فبعد عام ١٩١٠ لا نجد له من القصائد إلا النادر . ولكنه ظل محتفظا بشهرته كشاعر إلى عام ١٩١٤ وهو العام الذى سافر فيه إلى أوربا . وقد رأينا الأستاذ الزيات يقول فى خطبته التى ألقاها فى صيف ذلك العام ما نصه

الجامعة فى ربع قرن

للأستاذ محمد محمد على

تحتفل جامعة فؤاد الأول بمرور ربع قرن على مولدها الرسمى السعيد. وربع قرن أمد بعيد فى عمر الأفراد، ولكنه ليس كذلك فى حياة الجامعات. فقد احتفلت جامعة مونبلييه بعيدها الألفى ولماذا نذهب بعيداً وأمامنا الأزهر الشريف؟

وليس من شك فى أن الجامعة عنوان تقدم المجتمع، وأن أثرها بعيد فى إعداد الشباب لخدمة الوطن والمساهمة فى حل مشكلاته والتحمس لإصلاحه

وقد اتخذت الجامعة لها مقرا على الضفة الغربية للنيل. وفى ذلك - كما رأى الدكتور زكى مبارك - رمز لما تسمو إليه من نقل عقل الغرب إلى روح الشرق

أنشئت الجامعة «الأميرية» فى عام ١٩٢٥ بلا أهداف واضحة ومن غير رسالة محددة. وهنا يواجهنا أستاذنا الدكتور عباس عمار بتلك الحقيقة المرة؛ وهى أن النظام الجامعى يبدو أنه فرض علينا فرضا، فلم يأت كما حدث فى كثير من بلدان العالم الغربى نتيجة تطور طبيعى، وما دعت إليه وتشتد حاجة ماسة. «وليس أدل على ذلك من غموض النص على اختصاص الجامعة فى اللائحة التأسيسية لها. فمن اختصاصها مهمة تشجيع البحوث العلمية والعمل على ترقية الآداب والعلوم فى البلاد

ذلك أن النظام الجامعى - ككل نظام اجتماعى - لكى يؤتى أكله ويستسيغه الأفراد، لا بد أن يعبر عن الاتجاهات الحديثة التى يتجه إليها المجتمع.، وأن ينسجم مع النظم الاجتماعية الأخرى ويتفق مع وجهة المجتمع. ولقد أثار الأستاذ الكبير فريد بك أبو حديد مشكلة على جانب كبير من الأهمية (١)، وهى: هل كان نشر التعليم حقا هو العامل على نهضة الأمم فى الماضى؟ وهل كان تطور التعليم فى البلاد هو الباعث على تقدم البلاد، أم أن تطوره كان نتيجة تطور الحياة فى المجتمع

وانتهى الأستاذ فى بحثه إلى أن تطور الحياة فى المجتمع هو الباعث على نشر التعليم. بيد أنه إذا كان الكثير من مظاهر نهضتنا الحديثة لم يكن نتيجة تطور طبيعى، فإن التعرض لهذه الناحية فيه زعزعة لأركان هذه النهضة. فهل كان ينبغى أن نعيش بمعزل عن التيارات العالمية ونتخلف عن الركب؟ إننا لا نستطيع، فالعالم وحدة متشابكة المصالح معقدة الروابط. والرأى السليم هو أن يوفق أولو الأمر بين الجامعة (الجديدة) وبين ما تتطلبه الحياة المصرية، وألا يغفلوا عن مكانة الجامعة فى المجتمع، وما تؤديه من رسالة خطيرة

حلت كليات الجامعة محل المدارس العليا القديمة وسارت فى عملها. ومع ذلك فقد ظهرت لها مآثر جليلة وآثار عظيمة. وقد كان فى مقدمة ما قامت به من جلائل الأعمال هو إيقاظ الوعى القومى وشحذ العزائم والهمم. كما كانت الجامعة - ولا تزال - مبعث النور والعرفان، ومصدر أصوات الحرية والاستقلال، فحملت ألوية الجهاد فى سبيل مصر العزيزة، ولم تبخل فى كفاحها فروت أرض الوطن بدماء الشهداء الأبرار من أبنائها الأطهار

وما ينبغى أن ينكر الباحث صولات الجامعة وجولاتها فى النهضة الأدبية والعلمية والفنية؛ إذ ازدهرت الدراسات العليا فى مختلف النواحى والشؤون، فلم تعد مصر تعيش عالة على ما تجود به الحضارة الغربية بل نبغ من بين جدران الجامعة من نزوا رجال الغرب ونافسوهم؛ فئة تعتز بهم الجامعة وتفخر، ويكفى أن نذكر اسم العالم الأشهر (المرحوم) مشرفة باشا، والوزير الأديب طه حسين باشا، والبروفيسير الأثرى سليمان حزين، والأنثروبولوجى الاجتماعى عباس عمار، لتخر أشهر الجامعات ساجدة تشيد بفضل صاحبة أقدم حضارة نقلت العالم من الظلمات إلى النور، وتعترف بأنه يصعب عليها أن تخرج أمثال هؤلاء الرجال ...

ومما لوحظ على الجامعة خروجها من عزلتها، فظهرت نمار

(١) راجع صحيفة التربية - السنة الأولى.

«.. ولولا أن شعره مشهور مذكور لأوردت منه المعجب المطرب..»

ولكن الشاعر منذ سافر إلى أوربا فى عام ١٩١٤ لم نر له ولا بيتا واحدا. فقد هجر القريض هجرا تاما. ونسى الناس هذا الشاعر الموهوب، بل ربما يكون هو نفسه قد نسى شعره

محمد سيد كيلانى

النشاط الشعبي للجامعيين والجامعيات في إقبال الطبقات المختلفة على طلب العلم ، وفي نشر الآداب وتبسيط العلوم والفنون . ولعل من أروع مناحي الجامعة من ظاهرات: ظاهرتين خطيرتين هما : اختلاط الجنسين وما نتج عنه من تدعيم أركان النهضة النسائية ، ثم تطور الصحافة وتنوير الرأي العام

أما اختلاط الجنسين فإن كلية الآداب قد سبقت الكليات في إباحته ، وذلك بحكم أن دراساتها من أكثر الدراسات الجامعية ملاءمة للفتيات ...

والاختلاط قد يرضى عنه قوم ويسخط عليه آخرون . وفي الواقع إن الاختلاط — كأي ظاهرة اجتماعية — له فوائد ومضار. ولم يكن في الإمكان تفادي حدوثه تلبية لدعوى المحافظين ، ما دمنا قد وافقنا على أنه ليس في استطاعة أمة أن تعيش بمعزل عن العالم ، بل لابد من التأثير والتأثر . فمن مزايا الاختلاط أنه يقلل من « خشونة » الجنس الخشن (إن جاز أن نكون كذلك) ثم أهم من ذلك وهو الحد من سيطرة الغريزة الجنسية وتخفيف وطأتها عند كل من الجنسين . وقد دلت الأبحاث النفسية على أن الجنسية المثلية Homosexuality عند الجنسين ، وكراهية المرأة misogynism عند الذكور ، وكثيراً من الأمراض النفسية والعصبية سببها الحيلولة دون اختلاط الجنسين ووقوف كل منهما بمنأى عن الآخر . ونجد أحيانا أن الاختلاط يهدف إلى أغراض شريفة أو ينتهي الأمر بإقامة دعائم الأسرة . . ومهما قيل عن الاختلاط فإن الجامعة ليست هي المكان الوحيد الذي يسمح بالاختلاط ، ثم إن ظروفها قلما تساعد على التفكير في الفساد ... على أن الاختلاط لا يخلو من مضار ، لا مندوحة عن تلافيها أول الأمر كما قدمنا . . وينبغي أن نعترف بوجودها

وقد كان فتح الجامعة أبوابها للفتيات عاملا هاما في تدعيم أركان النهضة النسائية والعناية بتعليم الفتاة ، وانتشال المرأة المصرية مما كانت تغط فيه من جهالة جهلاء وضلالة عمياء ... حتى رأينا المصرية المتعلمة تشغل مناصب الدولة الرفيعة وتصل إلى « الدرجة الأولى » ، وتخوض غمار الحياة الاجتماعية والسياسية وتؤلف أحزابا ثلاثة : بنت النيل والحزب النسائي والاتحاد النسائي، إلى جانب الجمعيات والمنظمات النسائية

أما الصحافة فإننا نسجل لكلية الآداب مأثرة كبيرة ، إذ أفادت صاحبة الجلالة فائدة عظيمة ، وغذتها بغذاء دسم سمين ، بإنشائها معهد التحرير والترجمة والصحافة . فظهرت آثار ذلك في تنوير الرأي العام وإيقاظ الوعي القومي . وقد خطت الصحافة خطوة واسعة في خدمة الوطن وتعددت أنواعها

ومما هو جدير بالذكر ظهور الصحافة النسائية كعامل فعال في النهضة الحديثة

ويمكن إرجاع ظهور هذه الصحافة إلى عام ١٨٩٢ حين أصدرت « هند بنت نوفل » صحيفة « الفتاة » (١) على أن الجامعة هي صاحبة الفضل في نصرتها ونموها ، وهنا ينبغي أن نشيد بجهود الدكتورة درية شفيق في هذا الميدان

بيد أن الجامعة — مع قيامها بهذه الجلائل من الأعمال — فإنها قد أخفقت في تأدية رسالات كثيرة ، وفي هذا الإخفاق مآخذ يحق لأبنائها أن يأخذوها عليها

فلم تنجح الجامعة في تعميم الدراسة باللغة العربية في جميع الكليات ، وما كان لها أن تتغافل عن هذا العمل ونحن في مستهل نهضتنا القومية

ثم مسألة الصلة بين الجامعة والخريجين ، وهي أروع مظاهر الحياة الجامعية لم تعمل الجامعة شيئاً في هذا الاتجاه ، واقتصرت على الصلة بينها وبين طلبتها . بل إنه أحيانا نجد الصلة بين الأستاذ والطالب لا تتعدى ساعة المحاضرة لكن لا ينبغي أن نفكر ما في قسم الجغرافيا بكلية الآداب من نظم الحياة الجامعية الحقة ، إذ ساعدت قلة العدد على توثيق عرى الروابط بين الطلبة والطالبات والأساتذة ، هذا إلى جانب الرحلات أدى إلى تكوين « الأسرة الجغرافية »

ولا تزال ظاهرة الحفظ والتقيد « ببعض » ما جاء في كتب معينة ، واضحة في بعض الكليات ، مما يجعل شبه استمرار للمدرسة الثانوية ، ويبلد الذهن ويزيد من أمية المتعلمين

والنقطة الهامة هي تأثر الجامعة بالسياسة الحزبية ، فقد فشلت الجامعة فشلا ذريعا في تحصين أبنائها وبناتها ضد عبث الأحزاب المختلفة، فأصبح من السهل على قلة من المهرجين وفئة

(١) راجع « المرأة الجديدة » بالعدد ٧٧٢ من الرسالة ، السنة ١٦ للكاتب

غزوة بدر بين القرآن والشعر

بين الشعر

للاستاذ أحمد أحمد بدوى

— ٢ —

أما موقف الشعر من هذه الغزوة فلم يستطع شعراء المسلمين أن يصوروا جلالها، وما امتلأت به نفوس المسلمين من غبطة وابتهاج إزاء هذا النصر المؤزر، فما روى لنا من شعر قيل فى تلك الغزوة لا يناسب مالها من جلال؛ وإن المرء ليحار فى تعليل هذه الظاهرة:

فقد يكون من أسبابها أن الفخر والتباهى والزهو مما كان مألوفا عند العرب، قد حد الدين الجديد منه، فلم يستطع الشعراء أن ينطلقوا على سجيتهم الأولى فى حرية غير محدودة

وقد يكون من أسبابها عقيدتهم بأن هذا النصر إنما أمدهم به الله، فلم يكن من نوع هذه الانتصارات التى كانوا يحرزونها فى الجاهلية، يعتقدون أن شجاعتهم هى التى أحرزتها

وقد يكون من أسباب ذلك أن هذا النصر المؤزر ربما كان وراءه فى قرارة نفوسهم ألم عميق على ما أصاب بعض أقاربهم فى هذه المعركة من القتل أو الأسر، فإنه مهما تغلغلت العقيدة فى النفس لا يسلم المرء من تذكر هذه الصلة الطبيعية، ورحم الله البحترى إذ يقول:

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها ... تذكرت القربى ففاضت دموعها

شعر المسلمين فى هذه المعركة ليس بقوى فى جملته، وقد انتحى فيه الشعراء مناحى شتى: فحينا يتجهون إلى عقيدة المشركين، يعيرونهم بها، كما قال حسان بن ثابت:

جحدت بنو جمح بشقوة جدهم ... إن الذليل موكل بذليل

جحدوا الكتاب وكذبوا بمحمد ... والله يظهر دين كل رسول

وتأثر بعض الشعراء بالقرآن الذى نزل فى تلك الغزوة، فتحدث عن الشيطان الذى غر المشركين وأغراهم، حتى إذا وجد الدائرة قد دارت عليهم ولى، تاركا جنده للهزيمة والأسر، وتحدث عن الملائكة الذين أمد الله بهم جند المسلمين، قال حمزة:

أولئك قوم قتلوا فى ضلالهم ... وخلوا لواء غير محتضر النصر

لواء ضلال قاد إبليس أهله ... نخاس بهم، إن الخبيث إلى غدر

فقال لهم، إذ عاين الأمر واتحا ... برئت إليكم، مابى اليوم من صبر

فإنى أرى مالا ترون، وإننى ... أخاف عقاب الله، والله ذو قسر

فقدمهم للحين، حتى تورطوا ... وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر

وفينا جنود الله حين يمدنا ... بهم فى مقام ثم مستوضح الذكر

فشد بهم جبريل تحت لوائنا ... لدى مأزق فيه مناياهمو تجرى

وألم ببعض هذا المعنى حسان بن ثابت فقال:

سرنا وساروا إلى بدر لحينهمو ... لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

دلاهمو بغرور، ثم أسلمهم ... إن الخبيث لمن والاه غرار

وقال: إنى لكم جار، فأوردهم ... شر الموارد، فيه الخزى والعار

كما سجل حسان ما قاله الرسول الكريم، يوم وقف على القليب، وقد طرح فيه قتلى المشركين، فقال: «يا أهل القليب، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا» فقال له أصحابه: «يا رسول الله، أتكلم قوما موتى؟» فقال لهم: «لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق». سجل ذلك حسان فى قصيدة يقول فيها:

يناديهم رسول الله لما ... قذفناهم كباكب (١) فى القليب

١ — جمع كبكبة وهى الجماعة من الناس.

من الديماجوجيين أن يسمموا أفكار الشباب وأن يجرفوهم فى تياراتهم. لم تخط الجامعة خطوات حاسمة فى تعويد أبنائها التفكير الحر، ولم تبث فيهم روح التحمس الجدى للاصلاح، ولا يغرب عن البال ما دسته هذه الأحزاب من أفكار سامة لوثت التعليم الجامعى إذ تدور حول الحقد والطمع والطعن فى الغير بالحق وبالباطل

ومع ذلك فقد لاح فى الأفق بصيص من الأمل بتولى الدكتور طه حسين باشا أمور التعليم، وأصبح لجامعة فؤاد الأول أخوات ثلاث، نرجو أن تعمل كلها على تحقيق رسالة الجامعة فى المجتمع، وأن توجه عنايتها للكيف لا للكم

فإنا نعلق على همة الوزير الأديب آمالا كبارا ونرجو على يديه خيرا كثيرا.

محمد محمد على

مدرس بمدرسة مغاغة الثانوية

ألم تجدوا حديثى كان حقا ... وأمر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ، ولو نطقوا لقالوا ... صدقت ، وكنت ذا رأى مصيب

ومضى شعر المسلمين يسجل على قريش بغيها ، وبطرها الذى سجله القرآن من قبل ، فقال كعب بن مالك :

عجبت لأمر الله ، والله قادر ... على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقى معشرا ... بغوا ، وسبيل البغى بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم ... من الناس ، حتى جمعهم متكاثر

وقال حمزة :

ألم تر أمراً كان من عجب الدهر ... وللحين أسباب مبينة الأمر
وما ذاك إلا أن قوماً أفادهم [1] ... فحانوا – تواص بالعقوق وبالكفر

ويسخر بهم وبدعاويهم التى يبعثها الرياء والغرور ، قال أحد شعراء المسلمين :

وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم ... وماء بدر ، زعمتم ، غير مورود
وقد وردنا ولم نسمع لقولكم ... حتى شربنا رواء غير تصريد [2]

وقال حمزة ساخراً :

عشية راحوا نحو بدر بجمعهم ... فكانوا رهونا للركية من بدر

أما من فر من المشركين يوم بدر فقد اشتفى منه شعر المسلمين بالتعيير والهزء والزراية ، ومن أوجع ما قيل فى ذلك ما أنشأه حسان بن ثابت فى قصيدة تعد من أقوى ما قيل من الشعر فى غزوة بدر ، وسجل فيها فرار الحارث بن هشام ، وتركه أخاه عمرا (أبا جهل) يقتل فى ميدان القتال ، فبعد غزل بدأه حسان بقوله :

تبلت فؤادك فى المنام خريدة ... تسقى الضجيع ببارد بسام

وتخلص من الغزل قائلا :

إن كنت كاذبة الذى حدثتنى ... فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرة [3] ولجام
وبنو أبيه ورهطه فى معرك ... نصر الإله به ذوى الإسلام
لولا الإله وجريها لتركنه ... جزر السباع ، ودسنه بحوامى [4]

ولم يحتمل الحارث بن هشام هذا التعيير وأوجعه ، واضطر أن يبرر فراره أمام القوم ، فقال :

الله يعلم ما تركت قتالهم ... حتى علوا فرسى بأشقر مزبد [1]
وشممت ريح الموت من تلقائهم ... فى مأزق والخيل لم تتبدد
وعلمت أنى إن أقاتل واحداً ... أقتل ، ولا يضرر عدوى مشهدى
فصددت عنهم ، والأحبة فيهم ... طمعاً لهم بعقاب يوم مرصد

وكان لهذا الحادث أثره ولا ريب فى نفس الحارث ، فأكثر من الشعر يتهدد به المسلمين ويتوعد ، كأنما ينفس به عن نفسه

ومن أكثر ما ردده شعراء المسلمين يومئذ تمديدهم عظماء صرعى قريش ووصف هوانهم ، ملقين على أرض المركة ، ينتظرهم مصير مؤلم فى نار جهنم ، ووصفهم الأسرى وقد شدوا بالأغلال وقيدوا بالأصفاد ، وها هو ذا حسان يصف دائرة المركة التى دارت على المشركين ، فيقول :

طحنتهمو والله ينفذ أمره ... حرب يشب سعيرها بضرام
من كل مأسور يشد صفاده ... صقر إذا لاقى الكتيبة حامى
ومجدل ، لا يستجيب لدعوة ... حتى تزول شوامخ الأعلام
بالعار والذل المبين إذ رأوا ... بيض السيوف تسوق كل همام

ويقول كعب بن مالك :

بهن أبدنا جمعهم ، فتبددوا ... وكان يلاقى الحين من هو فاجر
فخر أبو جهل صريعاً لوجهه ... وعتبة قد غادرنه وهو عاثر
وشيبة والتيمى غادرن فى الوغى ... وما منهم إلا بذى العرش كافر
فأمسوا وقود النار فى مستقرها ... وكل كفور فى جهنم صائر
تلظى عليهم ، وهى قد شب حميها ... بزبر الحديد والحجارة ساجر

وأشاد حسان وكعب بن مالك بموقف الأوس والخزرج من نصرة الرسول ، ولم يشيروا إلى بلاء المهاجرين فى تلك المركة ، على عكس القرآن ، فإنه مدح المهاجرين والأنصار معاً ، كما ذكرنا ، ولعل ذلك راجع إلى أن جمهرة الجيش كانت من الأنصار ، قال كعب بن مالك :

وفينا رسول الله ، والأوس حوله ... له معقل منهم عزيز وناصر
وجمع بنى النجار تحت لوائه ... يمشون فى الماذى [2] ، والنقع ثائر

وصمت الشعر عن دور المهاجرين ، الذين فضلوا العقيدة على

---

١ – أهلكهم ٢ – التصريد فى السقى دون الرى
٣ – فرس كثير الجرى ٤ – حوافر

١ – الأشقر المزبد : الدم ، يريد أن فرسه جرح
٢ – كل سلاح من الحديد

المال والأهل ، بل حاربوا الأهل عن رضا ، فى سبيل هذه العقيدة، ولكن القرآن سجل لهم إعانهم الحق ، ووعدهم بأكرم الوعود

وظهرت روح الإسلام فى شعر المسلمين، فرأينا فخراً بالالتفاف حول الرسول وطاعته والائتمار بأمره ، وتصديق دينه، قال شاعرهم

مستعصمين بحبل غير منجذم   مستحكم من حبال الله ممدود
فينا الرسول ، وفينا الحق نتبعه   حتى الممات ونصر غير محدود
واف وماض شهاب يستضاء به   بدر أنار على كل الأماجيد

ورأينا اعتماداً على الله واستناداً إلى قوته فى قول حسان :

فما نخشى بحول الله قوماً   وإن كثروا ، وأجمعت الزحوف
إذا ما ألبوا جمعاً علينا   كفانا حدهم رب رءوف

ولم ينس المسلمون ما هددهم به المشركون من الإغارة عليهم والأخذ بالثأر ، فهون شعراء المسلمين من ذلك ، بل أكدوا أن سيأتى يوم يغزون فيه مكة ، ويستولون عليها ، قال كعب ابن مالك :

فلا تعجل أبا سفيان ، وارقب   جياد الخيل تطلع من كداء [1]

* * *

أما موقف شعراء المشركين من تلك الغزوة ، فيظهر أن قريشا تواصت على أن تخفى حزنها فى صدرها، وألا تبوح بآلامها، روى أن قريشا ناحت على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا، فيبلغ محمداً وأصحابه ، فيشمتوا بكم ، فكف الشعراء عن البكاء، برغم ما كان يعتلج فى صدورهم من الهم والأسى

يروى أن الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده : زمعة وعقيل والحارث ؛ وكان يحب أن يبكى على بنيه ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له : انظر ، هل أحل النحب ؟ هل بكت قريش على قتلاها ؟ لعلى أبكى على أبى حكيمة (يعنى زمعة) ، فإن جوفى قد احترق ، فلما رجع إليه الغلام قال: إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته ، فعند ذلك قال الأسود :

أتبكى أن يضل لها بعير   ويمنعها البكاء من الهجود
فلا تبكى على بكر ،ولكن   على بدر تقاصرت الجدود
وبكى إن بكيت على عقيل   وبكى حارثاً أسد الأسود
وبكيهم ، ولا تسمى جميعاً   فما لأبى حكيمة من نديد

١ ــ جبل بأعلى مكة

ألا قد ساد بعدهم رجال   ولولا يوم بدر لم يسودوا

ولكن لم يلبث الشعر أن انطلق من عقاله ، ومضى الشعراء يتحدثون عما يجيش فى صدورهم من الألم والغيظ معاً ، فمضى بعض الشعراء يبكى فى حزن ومرارة من لقى مصرعه فى وادى بدر ، ويعدد عظماء هؤلاء القتلى ، ويصف ما نال مكة من الأسى لقتالهم ، فهذا شداد بن أوس يقول :

تحيى بالسلامة أم بكر   وهل لى بعد قومى من سلام
فماذا بالقليب قليب بدر   من القينات والشرب الكرام
وماذا بالقليب قليب بدر   من الشيزى [1] تكلل بالسنام

وهذا أمية بن أبى الصلت يبكيهم ، ويثنى عليهم ، ويصف هم مكة بهم ، فيقول :

ألا بكيت على الكرا   م بنى الكرام أولى الممادح
ماذا ببدر فالعقنقل من مرازبة جحاجح
شمط وشبان بها   ليل مغاوير وحاوح
ألا ترون كما أرى   ولقد أبان لكل لامح
أن قد تغير بطن مكة ، فهى موحشة الأباطح

ومضى بعض الشعراء يبكون مصابهم الخاص ، أو يندبون بنى قبيلهم ، أو يرثون بعض عظمائهم ، ومن أمثلة ذلك رثاء الحارث بن هشام لأخيه أبى جهل ، إذ يقول فيه :

ألا يالقومى للصبابة والهجر   وللحزن منى والحرارة فى الصدر
وللدمع من عينى جواداً ، كأنه   فريد هوى من سلك ناظمه يجرى
على البطل الحلو الشمائل إذ ثوى   رهين مقام للركية من بدر

ورثاء أمية بن أبى الصلت لصرعى بنى أسد ، وهو يمثل الحزن الدفين فى صدورهم :

فبنو عمهم إذا حضر البأ   س عليهم أكبادهم وجعة

ولم يبك أبا جهل أخوه الحارث فحسب ، ولكن بكاه غيره من الشعراء ، فقد كان رأساً من رؤوس قريش ، فرثاه بعضهم بشعره كهذه القصيدة التى تنسب إلى ضرار بن الخطاب الفهرى ، والتى يقول فيها :

فآليت لا تنفك عينى بعبرة   على هالك بعد الرئيس أبى الحكم
على هالك أشجى لؤى بن غالب   أتته المنايا يوم بدر ، فلم ترم

وأخذ بعضهم يتوعد ، وينذر الأوس والخزرج بالانتقام

١ ــ خشب أسود للقصاع .

والأخـــذ بالثأر ، وبخفف من غلواء الأنصار ، فيما ملأ قلوبهم من الابتهـاج بالنصر ، ويدعو المكيين دعوة حارة إلى ألا يناموا على الضيم ، وأن يجمعوا أمرهم على أن يأخذوا بثأرهم ، وتسمع النزعة القبلية صارخة ، والفخر بالنسب قويا ، حين يوازنون بينهم وبين الأوس والخزرج ، ويدعون إلى الدفاع عن معتقداتهم وآلهتهم التي ورثوا عبادتها عن آبائهم ، وامتلأ بذلك كله شعر المشركين من أهل مكة ، فترى الحارث بن هشام يقول :

فإن لا أمت يا عمرو أتركك ثائراً (١)
ولا أبق بقيا في إخاء ولا صهر

وأقطع ظهرا من رجال بمعشر كرام عليهم مثل ما قطعوا ظهري
أغرهم ما جمعوا من وشيظة (٢) ونحن الصميم في القبائل من فهر
فيال لؤي ، ذببوا عن حريمكم وآلهة لا تتركوها ... تورثها آباؤكم ، وورثتمو
أواسيها (٣) والبيت ذا السقف والستر
وجدوا لمن عاديتم ، وتوازروا
وكونوا جميعاً في التأسي وفي الصبر

ويقول ضرار بن الخطاب :

عجبت لفخر الأوس ، والحين دائر عليهم غداً ، والدهر فيه بصائر
وفخر بني النجار أن كان معشر أصيبوا ببدر ، كلهم ثم صابر
فإن يك قتلى غودرت من رجالنا فإن رجالا بعدهم سنغادر
وتترك صرعى تعصب الطير حولهم وليس لهم إلا الأماني ناصر
وتبكيهم من أهل يثرب نسوة لهن بها ليل عن النوم ساهر

ولم ينس بعضهم أن يفتخر بما أبلى في ذلك اليوم من دفاع عن الصحب ، وإقدام في هذا الموطن الذي اعترف الشاعر بقسوته عليهم وشدته ، ترى ذلك في شعر أبي أسامة معاوية بن زهير إذ يقول معترفا بفرارهم ، وقتل الكثير من رجالاتهم :

ولما أن رأيت القوم خفوا وإن شالت نعامتهم لنفر
وأن تركت سراة القوم صرعى كأن خيارهم (٤) أذباح عتر (٥)
وكانت جمة (٦) وافت حماما ولقينا المنايا يوم بدر
نصد عن الطريق وأدركونا كأن زهاءهم (٧) غيطان (٨) بحر

وقال القائلون : من ابن قيس فقلت : أبو أسامة غير فخر
فأبلغ مالكا لما غشينا وعندك مال ، إن نبئت ، خبري
بأني إذ دعيت إلى أفيد كررت ، ولم يضق بالكر صدري
عشية لا يكر على مضاف ولا ذي نعمة منهم وصهر

وشاركت المرأة المشركة الرجل في البكاء على صرعى بدر ، وروى ابن هشام بعض شعر شاعراتهم ، كهند بنت عتبة ، وصفية بنت مسافر ، وهند بنت أثاثة ، فمما يروى لأولاهن قولها :

أعيني جودا بدمع سرب على خير خندف لم ينقلب
تداعى له رهطه غدوة بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حد أسيافهم يعلونه بعد ما قد عطب
يجرونه وعفير التراب على وجهه عاريا قد سلب

ومن أجمل ما قالته المرأة من الشعر في هذه الغزاة ما أنشأته قتيلة بنت الحارث ، تبكي أخاها النضر ، وتعاتب الرسول :

يا راكبا ، إن الأثيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتاً بأن تحية ما إن تزال بها النجائب تخفق
مني إليك وعبرة مسفوحة جادت بوا كفها ، وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر إن ناديته أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد ، يا خير ضنء كريمة في قومها ، والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من أسرت وسيلة وأحقهم إن كان عتق يعتق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه لله أرحام هناك تشقق

ويروى أن رسول الله لما بلغه هذا الشعر قال : «لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه » .

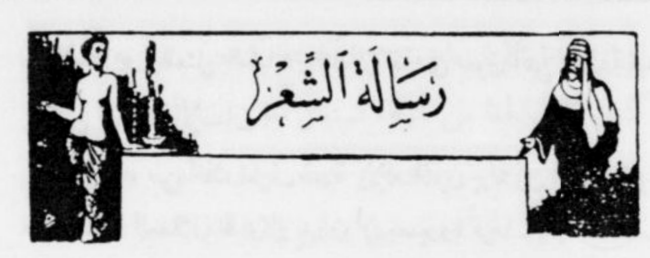
كان شعر المشركين في جملته أقوى في تلك الغزوة من شعر المسلمين ولا غرو فإنهم كانوا موتورين ، وكانت ريح الانتقام والغضب تفوح من شعرهم ، حتى ليخيل إليك أنهم قد مضوا إلى الأخذ بثأرهم :

ويلاق قرن قرنه مشي المصافح للمصافح

وبعد فقد صور القرآن الغزوة تصويراً إلهيا ، يتخذ منها دروساً وعظات لهداية البشر وإصلاح أمورهم ، أما الشعر فقد تحدث عن عواطف شخصية ليس لها طابع إنساني عام .

أحمد أحمد بدوي
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

١ ـ أي آخذ بالثأر ٢ ـ الوشيظة : الدخلاء في القوم .
٣ ـ الأسية من البناء الدعامة ٤ ـ جمع ذبح ٥ ـ اسم صنم
٦ ـ الطائفة من القوم ٧ ـ منظرهم المعجب ٨ ـ فيضان .



صلوات روح

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

سموت بالروح إلى خالق   فى ليلة نشوى بخمر الضياء
ذابت بها الظلمة حتى غدت   أسطورة طال عليها العفاء
ورق فيها النور مسترسلا   كهمس ناى هائم فى الفضاء
ما زلت أسمو ، والمنى فى يدى   رفافة مثل النجوم الوضاء
وفى شعورى نشوة حلوة   تسكب فى نفسى أرق الغناء
وملء نفسى فتنة ترتوى   من روعة الليل، وسحر المساء
حتى انتهت روحى بأشواقها   لمنهل الغيب الذى فى السماء
كما انتهى للنبع بعد السرى   فى البيد ركب الحائرين الظماء
فانتفضت فيها ضراعاتها   وأطلقت فى الصمت هذا النداء :
يا منهل الغيب ... اسقنى قطرة   من ذلك النور ، وهذا الصفاء
تجعل حياتى نغما شاديا   فى عالم يهفو إليه الرجاء
أحسه صوتاً عميق الصدى   يهز أعماقى بسحر الدعاء
وصورة طال عليها المدى   وما خبا فيها رفيف الرواء
يا منهل الغيب ... وبى حيرة   قد صيرتنى أستحق الرثاء
كطائر أبعد عن عشه   فهام فى إحدى ليالى الشتاء
وبى حنين يتحدى الثرى   ويرتقى بى طائراً حيث شاء
ولى قيود تتمنى سدى   لو أننى أنسى سبيل العلاء
لبستها ثوبا إله الورى   قد صاغه لى من تراب وماء
حتى يحين الأجل المرتجى   فأنزع القيد ، وألقى الرداء
يا منهل الغيب ... وبى غربة   تنبت فى عمرى هموم البقاء !
لا الأرض دارى، لا، ولا أهلها   أهلى، فكيف الصبر؟ كيف العزاء
غريبة بالحب فى عالم   الحب فيه خدعة أو رياء
نسجته ظلا به يحتمي   وصغته نوراً به يستضاء
وطفت فى دنياى مسحورة   تغمرنى إشراقة وانتشاء
أبحث عن روح أرى طيفه   يفتن أيامى بحلم اللقاء
فلم أجده ، فألفت المنى   حتى جفتنى ، فألفت البكاء !
غريبة بالصمت ... من نايه   بثير إلهامى أرق الحداء
أراه ظلا سابحاً فى السنا   كطيف عطر سابح فى الهواء
وأحتسيه خمرة عتقت   فى الغيب ... يدرى سرها الأنبياء
والصمت سر هائم فى الدجى   يهفو إلى الغيب ، ويبغى الخفاء
صاغت حياتى منه أسرارها   فاستغرقت فى عزلة وانطواء
والصمت سحر همت فى جوه   على جناحى لهفة واشتهاء
والصمت بحر موجه نائم   يحلم بالمودة من حيث جاء
عبرته وحدى على زورق   يود لو يسرى لغير انتهاء
وعدت منه بشهى الرؤى   وفى الرؤى رى ، وفيها غذاء
فالصمت عندى بالرؤى حافل   وعند غيرى حافل بالهباء
غريبة بالحزن ... نيرانه   تلقى على ضونى ظلال الفناء
وسره فى داخلى كامن   محجب بالصمت والكبرياء
يدرى أساه من رمانى به   ومن تولانى بطول العناء
إليه أشكو وحده غربتى   وحيرتى فى الأرض. أرض الشقاء
ولهفتى الكبرى إلى موطنى   فى عالم يهفو إليه الرجاء
أبعدت عنه ، فعرفت الأسى   ولست أدرى سر هذا الجزاء !
خطيئة الجنة من آدم   علام تكوى نارها الأبرياء ؟

* * *

وأطرقت روحى بأشجانها   لعلها تسمع صوت القضاء
فاهتز فى أعماقها هاتف   يشع مثل البارق المستضاء
وقال فى صوت عميق الصدى   ممازج الرقة فيه المضاء :
يا هذه الروح التى تشتكى   من دائها ، والداء فيه الدواء !
من يحمل الآلام يقصد بها   إن لم يحملها بروح الفداء
فلتحملى الآلام فى قوة   فإنها تخشع للأقوياء
ولا تضيقى بحياة الورى   وتهربى مما بها من بلاء
وجاهدى الليل بهذا السنا   وكافحى الشر بهذا النقاء
فالبدر لا تظهر أنواره   إن لم يرقها فى ظلام المساء
والخير ما جدواه ؟ إن لم يكن   قد الجأ الشر إلى الانزواء
ورقرقى نورك من نبعه   لكل ظمآن إلى الاهتداء
فالدر فى الأصداف مثل الحصا   ما دام لا يكشف عنه الغطاء
والبقلة الخضراء فى أرضها   خير من البستان بين العراء
حتى إذا ناداك رب الورى   وكنت قد أبليت خير البلاء
دخلت دنيا الغيب مزهوة   لتغنمى فيها دوام البقاء
هذا قضاء الله فى خلقه   لكل شىء محنة وابتلاء

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

صرخة أخرى من العراق :

ما أطيب قلبك ، وما أكرم معدن نفسك .. لشد ما يعجبنى فيك إخلاصك للفن ، وتمسكك بالمثل العليا ، وتفانيك فى سبيل أنبل الغايات .. تخال الدنيا خلقت كما تشتهيها : نبل فى الطبع ، وحب للخير ، وعبادة للجمال !

لقد أثارت فى كلمتك عن « الفن الشهيـــد فى العراق » عواطف كثيرة .. وكنت فى كل لقاء لى معك أهم بأن أقول لك أنت صرخت صرختك المدوية لإنصاف شاعر واحد ، فى حين أن هناك عشرات من الأدباء والشعراء يتصارعون مع الحياة القاسية ، ويكافحون فى سبيل الحرية المسلوبة ، ويلاقون فى سبيل ذلك أشد العنت وأفظع التنكيل والاضطهاد !

يا أخى : إن المسألة ليست إنصاف شاعر أو ترضية أديب .. بل هى أعم من ذلك وأوسع شمولا . إنها مسألة الحق المهدور ، والمقاييس الخاطئة ، والضمائر التى أصابها الفساد فلم تشعر بالتبعة ، ولم تعبأ بالمسئولية ! إنهـا قصة كل بلد عربى ، المحسوبية فيه فوق كل قانون ، والعدالة فى أرضه ضرب من الأفلاطونية التى لا تطبق ، ومواطنوه درجات ورتب كعهود الرقيق !!

وحين تكون ذا ضمير نقى ونفس أبية ، فقد حكمت على نفسك بالإعـدام فى أرض غريب عنها نقاء الضمير ، عزيز فيها إباء النفس .. إن نقاء الضمير ، وإباء النفس ، ووفاء القلب ، والإخلاص للمثل العليا ، عملة زائفة فى سوق أثمن بضاعة فيه أخس صفات الإنسان !

ولابد من أنك تعرف قصة الإله الذين يريدون أن يمسخوه عبدا ، أو العملاق الذى يريدون أن يصيروه قزما .. إنه صاحب القلم ! ذلك الذى يقف فى بدء حياته فى مفترق طريقين : إحداهما قصيرة مليئة بالرياحين ، وارفة الظلال غنية بالعطور .. إنهـا الطريق التى يصل فيها الحمق وفقراء الذمة والمدقعين فى الشرف إلى قمة المجد الزائف ، حين تدفعهم الجرأة إلى أن يسموا الأبيض أسود ، والحق باطلا ، والظلم عـدالة ، والنخاسة ديمقراطية ، والرذيلة فضيلة ، إلى غير ذلك من قلب للأوضاع وعبث بالقيم .. ولا شك فى أنك تجد فى كل بلد عربى جمهرة كبيرة من أولئك المهرجين الذين استبدلوا حياءهم بوقاحة ، ووضعوا مكان قلوبهم قطعة من النقود !! وإنك لن تجد أديبا صرفها تقبل عليه الحياة مبتسمة ، وتظلله السعادة بجناحيها النورانيين إلا من هـــذه الطبقة ...

أما الطريق الثانية فتلك التى تقود سالكها شيئا فشيئا إلى الموت البطىء .. تلك التى تجعله دائما فى عداء مع الحياة ! تلك التى تحرمه مما تحل الرأفة للحيوان الأعجم من قوت ومأوى .. وما تستوجبه الطبيعة من رعاية ! آه ما أقسى الظروف .. لقـد عاهدت نفسى ألا أتحدث عن نفسى .. وأرانى اليوم مرغماً على نقض العهد لأن الإناء قد فاض ، وامتلأ صدرى بما يشبه القيح !

أغلب الظن أنك تعرف قصة حياتى فى مصر .. أو قل طرفا منها . وأغلب الظن كذلك أنك تعرف كيف كنت أكافح وحيداً قسوة الحياة الجافية ومرارة الدنيا العبوس .. وكيف كنت أجهد جهدى لا لأستمتع بنعيم الحياة أو لأنال وطراً من عهد الشباب ، بل أقنع بالكفاف لمواصلة دراستى الجامعية .. وكنت دائمـاً تتهمنى بالنشاط .. عجيب أمرك والله ! .. كأنك لا تعرف أن القلم مهما خط وسطر وملأ الصفحات فلا يفى بحظ يسير من أعباء الحياة !! إذا تنزه القلم عن أن يكون مأجورا ، وأبى الضمير إلا أن يكون أبيض الجبين ، وأخلص القلب للثالوث المقدس : الحق والعدالة والحرية !!

إننى لأذكر تلك الأيام والدموع تمـلأ قلبى ؛ فقد كانت شديدة القسوة ، ثقيلة الوطأة ، عظيمة التكاليف .. وفى سماء

* * *

وخيم الصمت سوى نبأة من الصدى قد آذنت باختفاء
فأذعنت روحى ، وعادت إلى دنيا الشقاء البكر والأشقياء
ولم تزل تعجب مما رأت فى ليلة نشوى بخمر الضياء
أكان وهما شاعرى الرؤى أم كان حلماً ساحرى البهاء ؟

ابراهيم محمد نجا

حياتي الحالكة تسطع مصر الكريمة كنجم منور : فإنني مهما كنت قليل الحظ من الوفاء فستظل لمصر منزلة أعظم بها من منزلة ، فقد أخذت بيدي من حيث نبذني وطني ، وأشفقت على من حيث لم أعرف من وطني إلا غلظة القلب ، وخشونة الجانب !

وطني ! .. تلك الأغنية الحبيبة التي كنت أرددها في ليالي السهاد .. وتلك الكأس التي تنعش روحي كلما أصابها جفاف الحياة .. لقد كنت أذكر وطني دائما ، وأجاهد لأرفع سمعته ، وأعرف الناس بالشعب الذي أنا منه .. ومع ذلك فوطني شحيح على ، ضنين بكل ما يثبت أن العراقيين متساوون في الحقوق !!

وفي كل سنة أذهب إلى بغداد لأنال ما يقره القانون لي من حق كطالب علم ، غير أن الأبواب تغلق في وجهي ، ويحال بيني وبين حكم القانون ، وأرجع إلى مصر خاوي الوفاض إلا من تلك العزيمة على مجابهة الحياة ومجالدة الأيام !

إن الحيرة لتشدد على الخناق ! أأنا لا أستحق مقداراً ضئيلا من المال أستعين به على طلب العلم ، في الوقت الذي تتدفق فيه الأموال من غير حساب لغير وجه الحق ؟! .. وهل أنا دون أولئك الذين تتدفق عليهم الأموال باسم العلم وهم بين كؤوس الطلى ومهرجان الرذيلة ؟! أحق أنني لا أستحق بعض ما يناله أصحاب الكروش والذين يحسبون الحياة امتلاء معدة حتى التخمة ، وإراقة الأموال على أقدام الغانيات وتفريغ الجيوب على الموائد الخضراء ؟!

لا يا صديق .. لقد أثرت شجني وملأت صدري بكوامن الهموم ، أنا الذي أحاول دائما أن أنظر إلى الحياة على أنها فصل قصير من رواية ساخرة .. لا أطيق اليوم أن ابتسم وقلبي يشرق بالدمع ، وصدري يعصف فيه الألم الحاد ، ونفسي فريسة للاحزان !

إني أكتب إليك هذه الرسالة لا لترفعها إلى معالي وزير المعارف في العراق .. بل هي هزة ألم اعترت كياني فسطرتها لك . لأن المرء قد يجد نفسه في بعض الأحيان أمام قوة هائلة تدفعه من الداخل إلى أن يقول .. إلى أن ينشد لحناً حزينا .. إلى أن يفضي ببعض ما في نفسه !

إني جئت إليك لا لأتظلم عن نفسي .. فغدا سوف أدخل المستشفى ، ومن يدرى ؟! .. فقد أشهد خاتمة المهزلة ... مهزلة الحياة .. وأنا معلق بين السماء والأرض .. ولكن جئت لأتظلم عن كثير ممن يقضون حياتهم على مضض ، بعيداً عن رحمة الحكومة وحماية القانون !!

يا صديق .. إنها قصة الظلم واستشكاة الثائر ، لأن النقمة تتحول في نفسي إلى معدن كريم .. هو الجهاد ! ذلك الغذاء الروحي لنفوس حرمها الناس من الغذاء المادى .. وهو أدنى درجات الحياة !!

وتقبل من أخيك كل احترام وتقدير ؟

«القاهرة» غائب طعمه فرمان

أنا من الذين يتقبلون الظلم راضين عنه مطمئنين إليه ، إذا كان فيه شيء من المساواة بين الناس .. إنك حين تظلمني وتظلم سواي ولو بغير حق ، فظلمك للجميع إن لم يكن في منطق الفكر عدلا فهو عدل في منطق الشعور والوجدان ! وفي مثل هذه اللحظات التي تروع بأسر القيد وتلوع بوخز الجراح ، تكون المشاعر الإنسانية هي صاحبة الحكم الأول على رواسب الظلم في قرار النفوس .. أريد أن أقول لك إننا نحتكم في مثل هذه اللحظات إلى العقل أقل مما نحتكم إلى العاطفة ، ولنا الكثير من العذر إذا نحن خضعنا لمنطق الشعور وسرنا حسب هواه ، وفهمنا الظلم على أنه عدل مطلق ما دام مقترناً بالمساواة !

أتقبل الظلم على هذا الأساس راضياً عنه مطمئناً إليه ، ما دمت أنظر إلى من حولي على أنهم أقران لي ونظراء : كانا في الضيم قلب إلى قلب ، وكلنا في الظلم روح إلى روح .. أما أن تفرق بيننا في الحقوق فتعطى باليمين حين تسلب بالشمال ، فهذه هي اللحظات الأخرى التي تنحدر فيها الضمائر وتنطمس المشاعر ، وتنمحي من سفر الإنسانية أجمل ما فيه من سطور وأفضل ما فيه من كلمات !!

أقول هذا وأنا أقدم إليك هذه الرسالة التي أوقدت بين جنبي شعلة الأسى والحبت بين يدى شباة القلم .. وترنح الألفاظ على فمي وأنا أستعرض مرحلة أخرى من مراحل الكفاح ، الكفاح المقدس في سبيل العلم . نعم ، مرحلة أخرى .. فقد

كانت المرحـــلة الأولى هى تلك التى حدثتك عنها على صفحات الرسالة : إنها محنة تتبعها محنة ، وصرخة تعقبها صرخة ، ومأساة تلحق بها مأساة .. ويا رنة الأسف للعراق الشقيق ويا رحمة الله للشباب الشهيد !

بالأمس عاش «الناصرى» غريباً فى وطنه وغريباً فى باريس، واليوم يستشعر « غائب » لذع الغربة فى القاهرة بعـد أن لفحته بنارها فى بغداد . . وذنب الأديب والشاعر أن كليهما آثر العلم وآمن به ، وأحب العراق وأخلص له ، وأراد أن يقبس من وهج المعرفة ليعكسها على وطنه فنونا من الضياء . ولـكن رياح الظـلم قد اطفأت مصباح الأديب فبقى فى الظلام ، وطوت جناح الشاعر فـكف عن التحليق . . وذلك هو حكم العراق العادل حين يتطلع المخلصون إلى عدالة الأوطان !

وبعد هذا تسمع من يقول لك إن الشباب قد كفروا بالقيم، وسخروا من المثل ، وانحرفوا عن الطريق .. وماذا يفعل الشباب وهم يرون القيم الفاضلة تداس بالأقـدام ، والمثل العالية تمرغ فى التراب ، والطريق القويم يملأ بالصخور والأشواك ؟ماذا يفعلون وقد عصفت الأهواء بـكل ما بقى فى نفوسهم من أمن وبكل ما استقر بين جوانحهم من إيمان ! هذا الشاعر المكافح يحـال بينه وبين العلم لأنه ليس من أصحاب الثراء ، وهذا الأديب المجاهد تغلق فى وجهه الأبواب لأنه ليس من أقارب الوزراء .. ويصل الذين قد عمرت منهم الجيوب وأقفرت العقول ، وقضوا حياتهم وهم ضيوف على موائد الملق والجهل والنفاق !!

أنا والله أكاد أكفر بالضمير الإنسانى لولا بقية من أمل .. بقية أحتفظ بهـا للغد القريب أو الغد البعيد ، الغد الذى قلت عنه من قبل إنه قد يزف الربيع إلى جفاف الغصون ، ويطلق الأحرار من زوايا السجون، ويحمل خمرة السلوان إلى ندامى الشجن .. الغد الذى قد يأتى بقلوب غير القلوب ، وعقول غير العقول ، وقادة غير القادة ، وعندئذ يجد الشباب المحيرون ذلك الظل الوريف الذى يحميهم من وقدة القيظ ولفح الهجير !

ماذا أقول لهذا الصديق الذى كنت أرقب خطواته فى طريق العلم ، وجهاده فى ميدان الأدب ، وصبره على تجهم الأيام ؟ ماذا أقول له وقد ترك الجامعة إلى المستشفى ، وحـرم رؤية الأستاذ ليشقى برؤية الطبيب ، وهجر دنيا القلم ليصبح وهوطريح الفراش يا أخى صبرا .. صبرا ولو كان هناك إنصاف وإجحاف ، ورعاية وإهمال ، وإغداق وحرمان ! حسبك أن النقمة تتحول فى نفسك إلى معدن كريم هو الجهاد ، وحسبى أن أسمع منك هذه الـكلمة وهى صادقة ، وهى درع الأمان لـكل محارب يتلقى الضربات ، وهى شاطئ النجاة لـكل زورق يواجه العاصفة !!

عود الى مشكلة القراء :

تتبعت تعقيباتك عن أزمة القراء وإنها – والصدق يقال – لعين اليقين . إن قراء الـكتاب فى هذه الأيام فئة قابلة للنقصان لا للزيادة، ولن بمرعدد من السنين – مع بقاء الأحوال الأخرى ثابتة كما يقول الاقتصاديون – إلا ويصبحون فى خبر كان .. أما عن قراء المقالة المحترمة ياسيدى فنظرتى إليهم أيضـا سوداء ، والفئة الوافرة العدد هم قراء المقالة التافهة التى تنشر مذكرات فلانة الممثلة بقلم الكاتب التافه فلان ، وكأن مثل هذه السفاسف ومثل هذا المجون خليق بأن ينشر فيقرأ !

إن ذلك الذى هجر تجارة عصير الأذهان إلى تجارة عصير الفواكه لرجل ذكى بعيد النظر ، لأنه لم يجد فى الجو بارقة أمل لاستصلاح القراء فى مصر ، وإلا فما رأيك أننى لم أر فى كلية التجارة بجامعة فاروق طالبا يحمل كتابا أدبيا طوال ثلاث سنوات قضيتها فى هذه الكلية وكأن حرمها حرام على الـكتاب ؟! وقد يقول قائل إن أبحاث الاقتصاد قد سدت من دونه المسالك ، ولـكن للأسف فهى الأخرى مسجونة فى المـكتبة لا تجد المخلص الذى يزورها إلا ما قد ندر !

الطلبة ياسيدى يريدون الحصول على الشهادة بأقصر طريق مشروع ، فالـكتب تختصر، والمذكرات تختزل ، وهكذا دواليك إلى تنتهى إلى البرشامة الشهيرة .. إن رؤيتى أحمل كتابا أدبيا لـكفيل باسترعاء أنظار الطلبة ، ما بين ساخر منى وبين مشفق على لإضاعة الوقت فى هذا الهراء ، بدلا من التمتع به متسكعا فى محطة الرمل على سبيل المثال .. وإنى لأعرف من الجامعيين من لا يشترى حتى الجريدة اليومية ، فبـأى سلاح يتوجه هؤلاء إلى الحياة ؟ !

ولـكنى لا أحملهم وحدهم عبء الاتهـام ، بل أشرك معهم المدرس الابتدائى والثانوى فى تحمل التبعة ، فأغلب المدرسين ولا أقول كلهم قد هجروا الـكتاب وتركوه ظهرياو كر..وا وقتهم

وجهدهم فى إعطاء الدروس الخصوصية التى هى كارثة التعليم بلا مراء . إن الطالب مرآة أستاذه وما تلقاه من الطالب فهو إرث انتهى إليه من الأستاذ !

أي مستقبل حالك السواد ينتظر الثقافة عموما فى مصر ، ولكن ماذنب عشاق العلم والأدب الذين يحرمون دون ما ذنب اقترفوه من مؤلفات كاتب مثلك ، يعلم الله مكانته فى قلبى وقلوب قرائه ؟! . إنك لا تتصور ياسيدى لهفتى ليوم الأحد من كل أسبوع كى أحصل على الرسالة ويكون أول باب أقرؤه هو « التعقيبات » !

ولكن ياسيدى ألا تضيف إلى فئة القراء فئة متعمدى النشر فى تعقيد هذا المشكل ؟ وما رأيك فى أننى ذهبت لشراء « رسائل الرافعى » للأستاذ محمود أبو رية فوجدته بأربعين قرشا ، مع العلم بأن ثمنه المعروف فى كل مكان هو ثلاثون قرشا ؟!.. أروى لك هذا منتظرا منك التعليق

« الاسكندرية » **كمال عبد المنياوى**

كلية التجارة جامعة فاروق

هذه الظواهر العجيبة التى يذكرها الأديب الفاضل حول مشكلة القراء ، قد عرضت لها بالبحث والمراجعة فيما كتبته قبل ذلك من فصول ، وبخاصة عندما تحدثت عن ثقافة الطلبة الجامعيين فى هذه الأيام .. وإذا كان الأديب الفاضل يقص علينا بعض مشاهداته فى جامعة فاروق ، فأود أن أقول له إن الحال لا تختلف كثيرا فى جامعة فؤاد . ولا فى جامعة ابراهيم ، ولن تختلف فى جامعة محمد على إن شاء الله !

إن ثقافة الجيل بوجه عام أمر يدعو إلى الأسف ويبعث على الرثاء ، ولست أدرى ما هى المعجزة التى يمكن أن تحدث حتى يقرأ الناس فى مصر ، سواء أكانوا جامعيين أم غير جامعيين .. أشهد أن لى صديقا يشتغل بمهنة التدريس فى جامعة فؤاد ، لايكاد يكف عن الشكوى مما يلقاه من جهل الطلبة بفنون العلم وشئون الحياة ، ولا يكاد ينتهى من سرد الأدلة وضرب الأمثال وهو يحدثنى عن طلبة الجامعة ، هؤلاء الذين صدموه بالواقع المر بعد أن عاد إليهم دكتورا من جامعة باريس .. ويخبط الصديق كفا بكف وهو ينظر إلى ثائرا ويقول : يا أخى أقسم لك أننى كنت أعرف أسرة فرنسية صديقة ، وما من مرة أزور فيها هذه الأسرة إلا وتقع عيناى على منظر فريد ، منظر الخادمة وبين يديها كتاب مفتوح ، لا تكاد تلقى به إلا إذا دعيت لمطلب من مطالب البيت أو لأمر من أمور المائدة . وإذا حدثتك عن شغف الخادمة بالقراءة وولعها بالاطلاع ، فلست بحاجة إلى أن أحدثك عن ثقافة السادة فهى فى غنى عن كل حديث ! الخادمات فى فرنسا يقرأن ، وطلبة الجامعة فى مصر لا يقرأون .. ألا تعذرنى إذا ما ضقت ذرعا بمكانى فى كلية الآداب ؟!

لقد عذرته بالطبع .. وبقى أن يعذرنى الأديب الفاضل إذا ما أرجأت طبع كتبى حتى تحدث المعجزة الثانية ، وهى أن ترفع وزارة المالية هذه الحواجز السخيفة التى تحول بين الكتاب المصرى وبين البلاد العربية .. إن الكاتب الذى يعتمد على مصر وحدها فى توزيع كتبه يجب أن يكون من الأثرياء ، ليستطيع أن يتحمل الخسارة المادية وهو يواجه أزمة القراء ! أما عن بعض الكتب التى تباع بأكثر من ثمنها المحدد فهى ظاهرة لم أسمع بها من قبل . لقد كنت أفهم مثلا أن يسلك الناشرون هذا الطريق إذا ما ساعدهم الجمهور القارئ وأقبل على آثار الكتاب ، أما أن يلجأوا إلى هذه الوسيلة وقراؤنا « الأفاضل » يؤثرون عصير البرتقال على عصارة الأذهان ، فهذا هو الغباء الذى يفوق كل غباء !!

وللأديب المنياوى أصدق الشكر على كريم تقديره ، وأخلص التهنئة على أن دراسة الأدب فى حياته لم تشغله عنها دراسة الاقتصاد !

مع صفحة البريد :

بين يدى كثير من الشعر ، وكثير من النثر ، وكثير من الأسئلة التى تدور فى محيط الأدب والفن . وأستعرض هذا الفيض من الرسائل لأقول لحضرات الشعراء والكتاب والسائلين ، إن « الرسالة » لن تحجم عن نشر ما يستحق أن ينشر ، وإذا كان هناك شىء من الإرجاء فرده إلى كثرة مايصلنا من نفحات الأقلام ، ولن تغلق الرسالة أبوابها يوما فى وجه أصحاب المواهب والملكات .. أما هؤلاء الذين يبعثون إلى بأسئلتهم الأدبية ، فموعدى معهم فى الأعداد المقبلة إن شاء الله

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

معالي الدكتور طه حسين باشا :

أبدأ بتهنئتكم بالإنعام السامي الذي شمل به جلالة الملك الأدب والفضل والهمة في شخصكم الكريم ، إذ منحكم رتبة الباشوية ، فقدر بذلك أعمالكم الجليلة ونشاطكم الدائب في خدمة هذا الوطن المحبوب ، وتوج به ما تلتمسوه من محبة أهل هذه البلاد وتقدير البلاد الأجنبية لشخصيتكم المتفردة ، لما تملؤون به الدنيا وتشغلون الناس من سعي مثمر في خير الإنسانية ونشر العلم والثقافة .

وقد اعتدت — يا معالي الباشا — أن أقصر في السعي مع الساعين إليكم في المناسبات المختلفة ، مؤثراً أن ألقاكم وأتحدث إليكم في هذا الركن الهادىء من « الرسالة » على أن أزحم ساحتكم مع الزاحمين ، أبتغي بذلك لنفسي تجنب الزحام وما يلابسه من أذى ، والبعد عمن يستأذنون عليكم وما يبدونه من جفوة لأمثالي غير ذوي النفوذ والسلطان ! وأبتغي بذلك أيضاً لكم الراحة من واحد ، وإن كان واحداً من آلاف . أقول هذا لأعتذار من تقصيري ، ثم أخلص إلى ما أحببت أن أحدثكم به في هذا الكتاب الذي أوجهه إليكم على صفحات الرسالة كي أشرك قراءها في الموضوع ، وأزعم أني أتكلم باسمهم فيه ، فهم إما أدباء يهمهم الأمر أو محبون للأدباء لما يطالعون من انتاجهم فيودون لهم الجزاء الحسن على ما يسكبون من أرواحهم على الصفحات

نذكر يا معالي الباشا ، وأنتم تذكرون ، بلاءكم الحسن في المحنة التي وقعت فيها أسرة الأديب الكبير المرحوم الأستاذ المازني ، فقد كتبتم وعاودتم الكتابة ، مطالبين — قبل أن تلوا الوزارة — بتقرير معاش للأسرة الكريمة يكفل لها حياة كريمة ، وتوجهتم إلى الأدباء أن يتضامنوا « ويجمعوا أمرهم على أن ينقضوا على رئيس الوزراء ووزير المعارف أمرهما كله ، وأن يؤرقوا ليلهما ويجعلوا يومهما عسيرا ، حتى يفرغا من هذه القصة ، ويفرغا منها على النحو الذي نريده لا على غيره من الأنحاء » وشددتم في ذلك والححتم فيه حتى قلتم : إن لم تهتم الحكومة بهذا الأمر فإني أتوجه به إلى جلالة الملك . ثم توليتم وزارة المعارف بعد قليل وحققتم ما ناديتم به ، إذ تقدمتم إلى مجلس الوزراء ، فقرر لولدي المازني وزوجته معاشاً شهرياً قدره ثلاثون جنيها . وقد حمدنا لك اهتمامك كاتبا ناقداً ، وشكرنا لك همتك وزيراً عاملا .

ولا شك أن عملكم في ذلك ، كان له أطيب الأثر ، لا لأنه خاص بأسرة أديب بعينه ، وإنما لما يقرره من مبدأ وما يهدف إليه من خير لسائر الأدباء ولأسرهم من بعد العمر الطويل الذي يثمر أدبا ينفع ويمتع ، ولكنه لا يغني من جوع .

هذا مثل آخر يا معالي الباشا وعميد الأدباء ، أسرة الشاعر الراوية والأديب المحقق المرحوم الأستاذ أحمد الزين ، لست بحاجة إلى أن أعرفكم بشعره وجهده في خدمة الأدب بإخراج مراجعه وتحقيق روائعه ، غادر هذه الحياة منذ أكثر من ثلاث سنوات وترك وليداً تكفله أيم ، وهما منذ ذلك الحين يعيشان في كفالة الضياع والإهمال . . ! كان الرجل قانعاً بكفاف العيش وبصيانة كرامته وأدبه عما يمس الكرامة ويشين الأدب ولو جلب نفعاً ومالاً كثيرا . ولكن الأسرة الآن بعد فقد عائلها لا تجد غير العقوق والحرمان .

خدم الزين الحكومة نحو خمس وعشرين سنة ، قضاها في دار الكتب المصرية ، يكد ويشقى في إخراج نفائس الكتب ، ويجازي بالأجر البخس يحسب له قروشاً في اليوم ... لم ينصفه أحد حتى جاء « الإنصاف » فأنصف شهادته .. ! إذ وضعه من أجلها في الدرجة السادسة !

وليت أسرته تلقى الآن مثل ذلك ! كل ما كافأتها به الدولة « مكافأة » لم تبلغ مائة جنيه قاسمتها الحكومة إياها . . وتركتها تعاني ما تعاني من الحزن والبؤس والحرمان .

هذه محنة أخرى يا معالي الباشا وعميد الأدباء ، ليس أمرها الآن عسيراً عليكم ، ولست أنا في حاجة إلى أن أدعو الأدباء إلى

التضامن وإجماع الأمر على التنغيص عليكم وتأريق ليلكم وجعل يومكم عسيراً ... ولو احتجنا إلى أن نفعل لما ترددنا ...

ولكن الأدباء مطمئنون لأن واحداً منهم ، وهو طه حسين بالذات ، يلى الأمر ، وأنا واثق من أن هذه المحنة ستنال عنايتكم ، فأنتم ولا شك لم تعلموا بها حتى الساعة .

ذلك يا عميد الأدباء ، وللأدباء عندك حقوق أخرى سكتوا عنها إلى الآن ، لأنهم كن يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ... يؤثرون أن تفرغوا لمسائل التعليم وتيسيره وإنصاف أهله ، ولكنهم يتوقعون من عميدهم عملا يذكى الأدب ويشجع المشتغلين به ، وأنتم من أعلم الناس بما يلاق الأدباء الذين لا يستظلون بحماية أحد ، من عنت وعقوق فى هذا البلد .

وتفضلوا معاليكم بقبول فائق التحية ووافر الاحترام .

الشعر المعاصر فى رأى الدكتور ناجى :

قيل إن الدكتور إبراهيم ناجى سيلقى محاضرة عن «الشعر العربى المعاصر» بنادى الخريجين المصرى . وذهبنا نستمع إليه هناك ، فألقى علينا محاضرة ، أو ـ بتعبير أوفق ـ حدثنا حديثاً ، لا يصح أن نعتبره فى «الشعر العربى المعاصر» إلا إذا اعتبرنا أن هذا الشعر هو الدكتور إبراهيم ناجى وشعره لا غير ..

فقد بدأ بأن النقاد لا يحفلون بشعر المعاصرين ، إذ لا يكتبون إلا عمن فارقوا الحياة ، وهو يرى أن الشعر المعاصر ما قيل منذ عشرين سنة إلى الآن بخلاف الحديث الذى يرجع إلى خمسين سنة .. وأن الشعراء الأحياء «المعاصرين» لا يهتم بهم نقادنا .. بخلاف المستشرقين الذين عنوا بدراستهم .. وذلك أن أحد الناشرين الإنجليز أخرج كتابا جمع فيه مختارات من أشعار هؤلاء الشعراء ، والذى يهمنا مما احتواه هذا الكتاب ـ فى حديث الدكتور ناجى ـ هو قصيدته «العودة» التى ترجمت إلى الإنجليزية وإلى الفرنسية فجاءت فى الترجمة أحسن منها فى الأصل العربى ! كما قال الدكتور .. لماذا ؟ لأن الشعر الإنسانى هو الذى يصلح للترجمة ، وليس كذلك سائر الشعر ، فمثلا : دعت جريدة «الأهرام» فى وقت ما الأدباء إلى ترجمة قصيدة «يا نائح الطلح أشباه عوادينا»

كشكول الأسبوع

□ خلا كرسى جديد فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية بوفاة المغفور له الأستاذ احمد حافظ عوض بك

□ اجتمع معالى السيد فضل الرحمن وزير المعارف فى الباكستان ، بممثلى الصحف المصرية يوم الجمعة الماضى ، فتحدث إليهم عن الشؤون التعليمية فى بلاده ، فقال : إن نظام التعليم فى الباكستان يقوم على أساس المذاهب الإسلامية ، وإن الباكستان تعمل على أن تصبح اللغة العربية وسيلة التفاهم بينها وبين سائر البلاد الإسلامية . وقد كان مما لا يتفق مع هذا الغرض أن دار الحديث فى هذه الجلسة باللغة الانجليزية

□ اعتاد الدكتور زكى مبارك أن يشرح بعض الكلمات ثم يوجه الخطاب إلى رئيس المجمع اللغوى ويطالب بأن يكون عضواً فى المجمع ، وقد رأيته أخيراً يعتز ـ كدأبه ـ بالتنبيه على أن كلمة «استغراب» لها معنى آخر غير التعجب ، وهو أن يضحك الرجل حتى تبدو غروب أسنانه . قال الفتى الصغير : لقد قرأت هذه الكلمة بهذا المعنى كثيراً فى قصص الأستاذ كامل كيلانى للأطفال

□ صدر أخيراً ديوان «إصرار» للشاعر الشاب الأستاذ محمد كمال عبد الحليم ، وهو لون جديد من الشعر القوى ، يستمد قوته من الصدق والحرية فى التعبير عن آلام المواطنين وأهدافهم . ولو نظرنا إلى ما يشيع فى شعر هذه المجموعة من روح قوى ، فإننا نراها بداية موفقة لهذا الشاعر الناشىء تدل على ما بعدها

□ ألقى الأستاذ عبد السلام شريف محاضرة فى نقابة الصحفيين موضوعها «الفن يصنع أوربا الحديثة» ذهب فيها إلى أن الأشياء والمناظر الجميلة فى الحياة اليومية ـ فى المسكن والأثاث وزخرفة الأطباق وما إليها ـ تعتبر من الفنون التى ترقى أذواق الناس وتسعد حياتهم النفسية ، وكان مدار كلامه على مشاهداته فى البلاد الأوربية

□ استرعى انتباهى بين وكلاء النيابة الذين يقومون بالتحقيق فى قضية الجيش ، اسم الأستاذ احمد فتحى مرسى ، وهو شاعر مجيد كانت الرسالة تنشر له كثيراً من الروائع ، من نحو عشر سنين ، ثم انقطع عن النشر ، ولم نعد نسمع عنه أو نقرأ له شيئاً ، فإلى هذا الصديق الكريم وإلى أدبه وفنه أطيب التحية

□ حدث سقط مطبعى فى بعض اسم الأستاذ أنور فتح الله مترجم مسرحية «قلوب الأمهات» فى نقد هذه المسرحية بالعدد الأسبق

لشوق ، فلم يستطع أحد أن يترجمها ، والدكتور ناجى ممن حاولوا ذلك ، لأنها — كما قال — لا تصلح للترجمة !

وهكذا سقط أمير الشعراء فى الميدان أمام الدكتور ناجى فى الجولة الأولى ! وبقى أن يجول جولات أخرى يسقط فيها الباقين.

هناك أولاشعراء تنشر لهم «الرسالة» فيجب التخلص منهم ، قال : لكى نعرف قيمة ما ينشر من الشعر « المعاصر » ننظر فى المجلات الأدبية التى هى أهم مايهتم به ، وأهم هذه المجلات «الرسالة» فى مصر و « الأديب » فى لبنان ، فلنقارن بين هاتين المجلتين من حيث ما ينشر بهما من شعر ، قال ذلك ولم يقارن . . إذ بدا له أن يقصر المقارنة على « الرسالة » من حيث ما كان ينشر فيها من قبل وما ينشر الآن ، وكل ما قاله فى ذلك ، أن الرسالة كانت فيما مضى تنشر للشعراء « الـكويسين » أما الآن فإنه لم يبق شاعر تافه إلا ينشر بها ! ولم يمن الدكتور بذكر أسماء من كانت تنشر لهم الرسالة ، فليس هو منهم . . أما الذين ينشرون بها الآن فهم فى طريق الغارة التى يشنها بهذا الحديث على « الشعر المعاصر » والرسالة نفسها عقدة فى نفس الدكتور ... ولذلك فإنه ليس فى البلد نقد . . ألم يخرج ديوان ناجى فلم تـكتب عنه الرسالة ! ولعله لا يذكر سبب ذلك ، فقد أتى إلى دار الرسالة يحمل نسخة من هذا الديوان مشترطا ألا يطلع عليها نقاد الرسالة . وشكرنا له هـذا الفضل ! وليست الرسالة وحدها — فالحق يقال — هى التى أهملت ديوان ناجى (عملا بوصيته !) بل كذلك جميع الصحف والمجلات ، خلا «عمود فقرى» فى إحدى الصحف .. و «العمود الفقرى » من لفظه على سبيل النـكتة . . ويذكر أن الدكتورة بنت الشاطئ هى التى كتبت عنه «عمودا» فى الأهرام . ولم يفت الدكتور — فى هـذه النقطة — أن ينبه على أن العباقرة لا يلتفت إليهم فى زمانهم ، فشكسبير مثلا لم يعبأ به الإنجليز فى حياته ، ثم كشف عنه الألمان ، ولـكننا نرى أن الدكتور إبراهيم ناجى ليس كذلك . . فالناس يلتفتون إليه ويهتم كثير منهم بشعره ، حتى لقد استنفد ما يستحق من ذلك .

ويتابع الدكتور إبراهيم ناجى حديثه عن « الشعر المعاصر » أو حملته عليه ليقضى على البقية الباقية ، وليثبت فى النهاية أنه هو الشعر المعاصر . . فيقول : يتجه الشعر العربى الآن اتجاهين رئيسيين ، يسير فى الاتجاه الأول طبقا للمذاهب الأدبية المعروفة ، والثانى يتمثل فى محاولة خلق شعر حديث اجتماعى يوافق العصر الجديد ويتصل بالجماهير . فالمذاهب التى يسلـكها الاتجاه الأول هى التقليدية اللفظية (الـكلاسيكية) التى تعنى بالألفاظ «القاموسية» والدلالة المباشرة للـكلمات دون التفات إلى روح الـكلمة وظلالها ، ويمثل هذه (الـكلاسيكية) الآن فى مصر ، الأسمر ، وأتى ببعض شعره الذى لا تجد فيه إلا « الـكليشيهات » المرددة التى لاروح فيها .

ثم المذهب الخيالى (الرومانسية) المشبع بروح المراهقة ولم يذكر لهذا المذهب أحداً من شعراء مصر ، بل قال إنه يتمثل فى شعراء الشام لتأثرهم بالأدب الفرنسى .

ثم الرمزية (السمبولزم) التى يمثلها فى مصر الدكتور بشر فارس ، وقال إن الدكتور بشر نقل غموض الرمزية إلى مصر ولم ينقل جوهرها .

ثم الواقعية (الريالزم) التى جرى عليها العقاد فأخرج الشعر عن طبيعته ، إذ جرده من الانفعال وجنح به إلى الفكر والمنطق .

وأخيراً (السريالزم) الذى يقوم على استيحاء العقل الباطن فى غيبة الشعور الواعى ، فتظهر فيه البدائيات الانسانية مختلطة ، كما فى شعر محمود حسن اسماعيل الذى يذخر بما كان يملأ عقل الإنسان الأول ، من مثل الـكوخ والراهب والناى والمزمار . . الخ

وهكذا جبر الدكتور ناجى خاطر « الشعر المعاصر » المسكين الذى لا يجد أحداً يتحدث عنه . . فتحدث هو عنه بذلك الأسلوب ، ولم يفته أن ينبه الأذهان — تلميحاً وتصريحا — إلى أنه (الدكتور ناجى) هو الذى يقول « الشعر المعاصر » الذى فسره بأنه إنسانى خالد . . وهو يصف الشعر الإنسانى بأنه معاصر كيلا يشركه فيه القدماء ، وقد فرغ من الأحياء ! وقد قال إنه يتجه فى شعره إلى الجمع بين المذاهب المعروفة كلها ، ومرة أخرى قال إنه هو صاحب الاتجاه الاجتماعى الجديد الذى يعنى بالجماهير ، وكأنه ترك من يمثل (الرومانسية) فى مصر (على بياض) لأضعه أنا فى هذا البياض .. ومما يدل على (رومانسيته) أن المراهقة وخيالاتها تبدو واضحة فى شعره رغم كبره ، ولعله

يوافقني — وهو من المشتغلين بالدراسات النفسية — على أن المراهقة ليست خاصة بالشباب ؛ فهي فيهم بالفعل ، وهي أيضاً في الشيوخ بالقوة . .

الضمان الاجتماعي في الإسلام :

ألقت الدكتورة بنت الشاطىء محاضرة في القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية يوم السبت الماضي ، موضوعها « تطبيق الضمان الاجتماعي في الإسلام » قالت فيها : لا أزعم أن تشريع الضمان الاجتماعي الذي تقوم به الآن وزارة الشؤون الاجتماعية كان موجوداً في الإسلام بصورته الحالية ، وإنما أقول إن الإسلام وضع مبادئه وترك تفصيلاته للمجتهدين بما يوافق الأحوال والأزمان ، وذلك أن الإسلام خصص جزءاً مما يتجمع في بيت مال المسلمين من الأوجه المختلفة كخمس الغنائم والتركات التي لاوارث لها — خصص جزءاً من ذلك للفقراء والعجزة والمحتاجين ، وجعل ذلك حقاً لهم ، كما حث الأغنياء على التطوع بالصدقات . وذلك كله تحقيق للوحدة الاجتماعية التي يحث عليها الإسلام . وقد اختلف الأئمة فيما عدا الأموال المنصوص على وجوبها ، كإعانة المحتاجين والإحسان إلى المعوزين ، فقال بعضهم إنها صدقة تطوع ، وذهب آخرون منهم ابن حزم إلى أنها واجبة وأن على كل من عنده فضلة مال أن يمين بها من هو في حاجة إليها ، ويجب على أغنياء البلد أن يعولوا كل من فيها من الفقراء العاجزين عن الكسب

وعرضت بعد ذلك لتطبيق تلك المبادىء في الحياة الإسلامية فذكرت بعض ما جاء في تاريخ الخلفاء كالوليد بن عبد الملك ، من اهتمامهم بأمر العاجزين عن الكسب وترتيب الأرزاق لهم ثم تحدثت عن قضية وقعت في صعيد مصر سنة ١٩٢٠ ، تتلخص في أن امرأة غاب زوجها غيبة منقطعة وتركها هي ووليدها الصغير دون مال أو عقار ، فتقدمت إلى محكمة نجع حمادي الشرعية طالبة الحكم لها ولابنها بنفقة على زوجها الغائب والحكم لها بالاستدانة ، على أن تدفع وزارة المالية باعتبارها بيت مال المسلمين النفقة المطلوبة وتعتبرها ديناً على المحكوم عليه تستقضيه إياه حينما يظهر . . . وحكم لها القاضي بذلك ، وكان القاضي هو فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أحمد فرج السنهوري . وجاء في حيثيات الحكم أن وزارة المالية هي بيت مال المسلمين الذي تجب فيه نفقة هذه المرأة الضعيفة وولدها الصغير العاجز عن الكسب ، لو لم يكن لهما عائل ، وجزعت وزارة المالية من هذا الحكم لأنه يفتح باباً ينفذ منه جميع من في القطر المصري من أرامل وعجزة وأيتام وغيرهم من المحتاجين العاجزين ، واهتمت وزارة الحقانية بالأمر فمهدت إلى تفتيش المحاكم الشرعية أن يبحثه .. وبحث « التفتيش » المسألة وأصدر منشوراً إلى المحاكم الشرعية ألا تنظر في أمثال هذه الدعوى لأن القضاء غير مختص بها ، وأمر « التفتيش » بعدم تنفيذ ذلك الحكم لأن تنفيذه ، مع ما يستجد ، يؤدي إلى إفلاس بيت مال المسلمين

وبعد انتهاء المحاضرة أجابت الدكتورة على عدة أسئلة وجهت إليه منها هذا السؤال : ألا يعتبر الإحسان إلى الفقير إذلالا له ؟ قالت : إنه حق . وليس معنى الإحسان الاذلال ، قال الله تعالى « وبالوالدين إحسانا » وقال : « فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن باحسان »

عباس خضر

رسالة الفن

اخراج رواية «ابن جلا»

تعليق على تعقيب

للاستاذ أحمد رمزى بك

المدير العام لمصلحة الاقتصاد الدولى

أشكر للأستاذ البارودى الكلمة التى تفضل بالتعليق بها على كلمتى حول إخراج رواية «ابن جلا»

وأبادر بأن أعلمه أن قصدى من النقد هو إبداء الرأى رغبة فى الاصلاح لا فى الهدم، ثم أعلمه بأننى أعد عمل عزيز أباظة باشا وعمل محمود تيمور بك فى كتابة «شجرة الدر» نظما وتأليف «ابن جلا» نثرا، فتحا جديداً للمسرح العربى، لا يقل بحال عن الفتح الذى بدأ به أمير الشعراء، رحمه الله. ولذا أطلب المزيد من إخراج حوادث وأيام ومظاهر تاريخنا العظيم ...

وليسمح لى الأستاذ بأن أصارحه أننى أجل الصديق العزيز زكى طليمات بك وأقدر علمه وفنه وأعرف تماما ما بذل من جهد فى التمثيل والتخريج والاخراج، وأنا على يقين من المصاعب والعقبات التى واجهته فى كل ذلك، ولذا أهنئه من كل قلبى

ولى الحق بعد هذا أن أقول له بإخلاص: إن أخبار الحجاج معروفة فى كتب الأدب والتاريخ وأعماله مشهورة ومشهودة، وقد كنت أنتظر منه ومن تلامذته وطلابه الرجوع إلى امهات الكتب العربية لا إلى كتب المدارس الثانوية لكى يتعرفوا على روح العصر ولكن يتصلوا بالحجاج وأقواله وشخصيته وزمنه اتصالا وثيقا

وما أقوله عن رواية «ابن جلا» ينطبق على رواية «شجرة الدر» كنت أؤمل فى أن يتهدل المثلون ورجال الفن بالعصر الذى دارت فيه ظروف هذه الرواية وأن يعيشوا حقبة وسط أدواره وأيامه

أقول هذا لأن الصورة التى ظهر بها صديق زكى طليمات بك فى دور الحجاج ليست صورة الحجاج «رغم ما كان يعتمل ويحتدم فى باطنه من استعلاء»

ثم أقول إن الصورة التى ظهر بها بيبرس فى «شجرة الدر» لا تمت بصلة إلى شخصية بيبرس

إننى لن أتكلم عن التأليف التاريخى فى المسرح العربى، لأن الكتاب والشعراء لا يزالون يجاهدون فى الخطوات الأولى وهى ليست هينة، ويصعب على ابداء رأى قاطع وان كنت أقرر أن التأليف التاريخى يحتم الاستعانة بأهل الخبرة والاطلاع، ولا يسعنا أن نطالب من المؤلف أن يلم بكل تفاصيل التاريخ ولكن لا ندع هذه الفرصة تمر دون أن نشير عليه بأن يلم بروح العصر وبالعوامل النفسية التى كانت تختلج فى صدور أبطاله

وأعود إلى الإخراج فأقرر بأننى أعد الإخراج بدائيا، إذا لم يكن منطبقا على أصول الإخراج المعروفة، بصرف النظر عن فكرة هل فى وسع المخرج ماديا مراعاة هذه الأصول أم لا ...

لأننا نطالب من المخرج حينما يتعرض لإخراج الروايات التاريخية شرائط يلزم نفسه باتباعها، فإما أن تكون بين يديه فيحصل على تحقيق نهاية ما يمكنه من الإخراج الصحيح أو ما يقرب من الصحيح، وإما أن يعتذر عن الإخراج الذى لم تستعد له البلاد بعد

ولا أزال على رأيى من أن الإخراج التاريخى لا يزال بدائيا فى مصر، وهذه حقيقة ثابتة ملموسة واضحة منذ أيام الشيخ سلامة حجازى إلى اليوم. والأدلة على ما أقول كثيرة ولا محل لتكرارها

أما الإخراج فى غير هذه الروايات التاريخية، وأقصد بالتاريخية ما تمس تاريخنا وعصورنا، أقول إنه حينما وجدنا المثل أمامنا، فى التمثيل والتخريج والإخراج، جاء تقليدنا موفقاً بقدر يقظتنا واهتمامنا بالنقل عن المسرح الأوروبى والتأثر بمناظره وحركاته وإشاراته

وكنا نشعر بأن تخريج شخصية لويس الحادى عشر بواسطة الأستاذ الجليل جورج أبيض بك كان موفقا جدا، بل إننى لا أجد شائبة واحدة على إخراج الملابس والأثاث والمناظر لهذه الرواية

لا من الناحية التاريخية ولا من جهـة مطابقة المناظر والأثاث والملابس للحقيقة التى كانت سائدة فى عصر لويس الحادى عشر لماذا لازم المسرح العربى هذا التوفيق ؟

لأن القائمين بالتمثيل والاخراج فى مثل هذه الروايات وجدوا المشق والصورة والنموذج أمامهم فى كل شئ ، فـلم يكن أمامهم سوى التقليد فى إخراج الرواية وتخريج الشخصية ومحاكاة التمثيل فى الالقاء والاشارة

ولذا أعد مهمة المخرج العربى ورسـالته محصورة مؤقتا فى الأخذ بالروايات الكلاسيكية أو الأوروبية المشهورة التى سبق للمسارح العالمية إخراجها ، وذلك حرصا منى على الخطوات التى سار فيها المسرح المصرى ، ولـكى لا نتعثر فى الأخطاء الـكثيرة التى وقعنا فيها فى رواية « شجرة الدر » و« ابن جلا »

وليس ذلك من قبل تثبيط الهمم أو الدعوة إلى إهمال الروايات التى تمثل أزهى عصورنا التاريخية ولـكنى أقولها بصراحة وفى مواجهة المسئولين والمختصين اننى أحرص على تراثنا التاريخى حرصا لامزيد عليه ، وأريد أن أعيش لأرى هذا التراث على المسرح ، بمظهر القوة والعظمة فى التمثيل والاخراج ، الذى يرتاح اليه ضميرى ويطمئن له قلبى ويرضى عنه شعورى وإحساسى بقدسية هذا الماضى الذى يملأ كل جوانب نفسى

وإني كرجل يقدر رسالة المسرح العربى وأثره فى يقظة الشعور القومى والوعى التاريخى لا يسعنى إلا أن أشير إلى مايصاحب هذه الفكرة من عقبات تتعلق بالبحث والدرس والتدقيق وما يلزم كل ذلك من ابتكار وابتداع وخيال وصناعة ، فنحن الذين نقلب صفحات كتب التاريخ القديمة لا نعطى لأنفسنا أكثر مما نستحق أو أبعد مما نعلم إذ لـكل جهد غاية ونهاية ، وقد تقف بنا الجهود عند رأى أو فـكرة وقد نعلم أشياء عن عصر معين ، ونجهل أشياء كثيرة عن عصور أخرى ، فمقدار علمنا فى كثير من هذه الأمور محدود ، ومقدار تشبعنا بأى عصر من العصور قاصر عليـه قد لا يتعداه .

فإذا طلب إلى المسرح بفرقه المختلفة إخراج بعض الروايات التى تمثل عصر الحجاج أو شجرة الدر أو صلاح الدين أو العصر العباسى يجب أن نتدبر الأمر وأن نفكر فيـه ، حتى لا نقع فى المتناقضات والأخطاء التى يصح أن تـكون موضع انتقاد الغير وانتقاصه لسمعتنا .

وعليه أعتقد ـ ولا جناح علىّ فى ذلك ـ إن جهود المسرح العربى يجب أن تتوافر على إخراج رواية تاريخية فى العام الواحد ، وأن يكون الاستعداد لها ـ ماديا ـ بعد دراستها دراسة علمية : تستند على ثقافة وافرة واطلاع عميق على النصوص التاريخية وعلى علم الآثار ، وعلى تفهم ميزات كل عصر فى كل ما يتعلق بالملابس وشارات الملك والأسلحة والأثاث والمهار ، ولا يسع عالما واحداً أن يقوم بكل ذلك بل أن هـذا العمل يستلزم تعاون طائفة من أهل الفن والعلم والاختصاص .

وأظن أن الأستاذ البارودى لا يخالفنى فى هذا الرأى ... أما قوله إن الروايات التاريخية يجوز إخراجها بملابس ومناظر عصرية فرأى له أنصاره وهو تمـكين الجمهور من الاستماع إلى رنين الألفاظ واداء المعنى المقصود من عبـارات المؤلف ، ولو أخذنا فى إخراج « شجرة الدر » « والحجاج » بهذا الرأى لم يكن لمثلى أن يتـكلم منتقداً ملابس العصر وشواهده ...

أما وقد أخذ المسرح بالإخراج التاريخى لا العصرى فأنا عند رأيى الأول من أن إخراج الجند الشامى فى رواية الحجاج بملابس القرن العشرين جاء مضحكا ، وأ كثر منه إمعاناً فى التسلية إلباس أحد قواد الحجاج ملابس القائد الإيرانى لعهد مظفر شاه ...

وحيث أننا انتقلنا من المذهب المصرى إلى الإخراج التاريخى وجب علينا التقيد بالرأى القـائل بأن يكون الإخراج مطابقاً فى مناظره وملابسـه للحقيقة التاريخية .

وإلا جاز إخراج رواية لويس الحادى عشر بملابس نابليون ، وإلباس لويس الرابع عشر ملابس عهد الثورة الفرنسية . أؤكد للقارئ أن أى مسرح أوروبى يقدم على هـذا الخلط والمزج الغريب يسقط فى فرنسا سقوطا فاحشا ...

ولقـد استشهد األأستاذ البارودى ببعض روايات برناردشو فى كلامه ، ولـكن ما رأيه فى أن برناردشو حينما أشرف على كتابة محاورات رواية كيلو بطرة ، اهتم بالإخراج اهتماما بالغاً ، فتتبع حياة يوليوس قيصر ، وعكف على دراسة مختلف ملابس العصر والألوان التى كان يلبسها ويعجب بها قيصر ، وأن تدقيقه فى أسلحة ذلك الزمن ، دفعه إلى استعراض كل ما كتب عنهـا وتصفح صور المجموعات العالمية لها ، حتى وفق إلى لون الدروع

المحببة إلى قيصر والتي كان يحملها في الحفلات

ولقد حاولت ومن غيري أن أجد في الرواية منظرا نابيا أو أجد خطأ في ملابس القواد والجند والخدم والحاشية ، أو تساهلا في الأثاث والمباني ، أو شيئا يمت إلى عصر لاحق لعصر قيصر فلم أجـــد شيئا من ذلك ، فعرفت حقا أن الإخراج التاريخي لمانة ...

إنني أصدقه ، في أن الإخراج الواقعي أي محاولة تمثيل الواقع حرفيا أمر صعب ، بل إذا قصـــد به إخراج الواقع في الحياة وما يلازمها تماما كصورة طبق الأصل ، أصبح الاخراج أدعى إلى ضجر الجمهور ، لأن التمثيل والاخراج يحتاجان إلى الخروج عن قاعدة مجاراة الحقيقه التي يعيشها الانسان في حياته العادية

ولكن الأمر هنا يتعلق بمعرفة القدر اللازم إدخاله من المغالاة في التعبير والاشارة ، ثم إلى حسن الاختيار . وهنا يبرز خيال المخرج ليلتقي مع صناعته وذوقه في صعيد واحد وهذا هو الفن ، ولكن اتساءل هل هذا المذهب يبرر القول بأن استعمال الخط النسخ بدل الكوفي مسألة ثانوية ، إذ ما ذنب الجمهور الذي يتلقى درسا خاطئا في حقيقة تاريخية ثابتة كان يسهل جدا على المخرج تلافيها ؟ وما أسهل ذلك عليه ، بوضع الكتابة على الأعلام كوفية في رواية « ابن جلا » وبالنسخ في «شجرة الدر» .

إن المجهود الذي بذله الأستاذ زكي طليمات بك في التمثيل رائع حقا ، وفي الإخراج عظيم . وقد شرح لي عزته المصاعب التي كانت أمامه ، ولكني كرجل حريص على تاريخنا الإسلامي الذي ننحدر من أيامه وتتكون شخصيتنا من مواقفه وعظمته الخالدة ، أقول إن الشخصية التي ظهر بها على المسرح ليست شخصية الحجاج ، إنها أقرب ما تكون إلى تيمور لنك أو شخصية « أورسون ويلز » في روايته السينمائية لما فمل بورجيا أو القائد الاسيوي بايان في « الوردة السوداء » .

الحجاج وهو سيف بني مروان يحتاج إلى دراسة أعمق من هذا لكي نظهره كما قال الأستاذ البارودي « أداة سياسية في المجتمع أو خادما ساهرا على مصلحة الجماعة » أو لكي يظهر « بطلا تاريخيا تنمحي فرديته أمام عنصره السياسي التي عنى إلى الجماعة بصفة عامة » .

إن تقمص شخصية الحجاج تحتم أولا تفهم عصر الحجاج ، كما أن إبراز المعاني الكامنة والغامضة تستدعي تكشف الدوافع النفسية ، وكل هذا يتطلب أن يعيش الإنسان في عصر الحجاج ولو فترة بين المراجع . كنت أنتظر أكثر من هذا ولكني لا أزال اؤمل وأنتظر من الصديق زكي طليمات بك ما هو أعظم وما يتفق مع « ما يعتمل ويحتدم » بين جنبين من آمال كبيرة ورغبة للوصول إلى آفاق بعيدة ...

أحمد رمزي

مسرحية ابن جلا

لما نشرت الرسالة الغراء نقد مسرحية « ابن جلا » للأستاذ أنور فتح الله ، رأيت في نقده تحاملا ظاهرا على المؤلف لا يستند إلى حقيقة ولا يرمي إلى غاية بريئة وهو نفس الأمر الذي لاحظه أستاذنا الزيات فعلق عليه بقوله « إن الناقد قد نظر إلى المسرحية بعين السخط فرأى المساوئ »

والأستاذ الناقد من خريجي قسم النقد بمعهد التمثيل الذي أقوم بالتدريس فيه ، وهو في نفس الوقت ناقد ناشئ مجتهد ، ومن هنا وجدت تشجيعا له وتكريما أن أعقب على نقده وليس بيني وبينه سوى هذا ، فلم يكن هناك داع أن يجار الناقد في مقاله بأني تعديت الناحية الموضوعية للنقد إلى التعريض بشخص الناقد الذي لم أذكره بخير أو بشر إلا في حدود ما خطه قلمه ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن معرفتي بصاحب المسرحية أستاذنا تيمور بك هي عن طريق مؤلفاته إذ أني لم أتشرف بمعرفته أو لقائه حتى اليوم لظهر أن تعقيبي على مقال الناقد كان بريئا خالصا لوجه الفن والحقيقة وأنه لم يكن مستساغا هذا الغمز

ويأبى اليوم ناقدنا البصير وردد ماقاله في نقده الأول ويهرب من مآخذي بتصوير دوافع شخصية خيالية تحويها . وهــذا أمر لا يليق بناقد في مستهل حياته أفسحت له مجلة كبيرة صدرها . وإني لأنصح له مخلصا أن يلتزم جانب الحق وأن يرجع إليه دائما وليس بضاره هذا بل إنه لأكرم وأجدى. أما إذا كان يرى أن في تسفيه



أمنية كبرى تحققت

كنت وإخوانى المصريون ، فى السنوات التى قضيناها نطلب العلم بباريس ، نلاقى من كثير ممن نتصل بهم ، من الفرنسيين وغير الفرنسيين الذين تجمعنا بهم صلة الدرس أو السكن ، جهلا عجيبا بالإسلام وتقاليده . وكذلك وجدت الأمر بالنسبة لمن اتصلت بهم وتحدثت إليهم من المسلمين بانجلترا وأسبانيا فى رحلتى إليهما عام ١٩٤٨ وحين زرنا ألمانيا صيف ذلك العام نفسه ، باعتبارنا أعضاء بمؤتمرات الشباب العالمى الذى انعقد بمونيخ فى شهر يونية ، وجدنا نفس الشيء فى شباب ألمانيا ، وربما على نسبة أكثر ومدى أوسع

وفى هذا المؤتمر كان من حظى وحظ أخى وصديقى الدكتور أحمد مسلم المدرس الآن بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول ، أن وقع علينا عبء البحث والنقاش فى اللجنة التى عهد إليها بحث مشكلة زيادة عدد النساء عن عدد الرجال فى ألمانيا بعد الحرب التى أكلت الشبان . وكان أن عرض كثير من المؤتمرين ، وهم من أجناس وأمم ودول مختلفة من جميع أقطار الأرض ، حلولا غير ناجحة لهذه المشكلة ، وحسبنا أن نذكر أنه كان منها إباحة «المخالة» رسميا وجعلها فى منزلة الزواج منزلة واعتبارا !

وكان أن عرضنا ، زميلى وأنا ، الحل الوحيد الذى يعالج هذه المشكلة علاجا طبيعيا شريفا دائما ، نعنى به إباحة تعدد الزوجات فى التشريع الألمانى وغيره من تشاريع البلاد الأخرى التى تعانى نفس المشكلة . وهنا وجدت كثيرا من العيون تسلقنا بنظرات

أعمال كبار الكتاب سبيلا إلى التقدم نحو الصفوف الأولى فهو لاشك يخطئ خطأ جسيما فى حق نفسه وفى حق قرائه . وأخيراً فإنى أعتبر عجزه الواضح فى تعقيبه إقراراً منه بأنه قد أساء فهم المسرحية التى نقدها وأكتفى بهذا إذ ليس من شيمتى أن أجادل فى غير طائل

إسماعيل رسلان

حداد . وكثيرا من الشفاه تنفرج عن كلمات عدم الموافقة بل استهجان الاقتراح ، وحين طلبنا السبب فى كل هذا ، عرفنا أن جمهور المؤتمرين لا يعرفون عن الإسلام شيئا طيبا يجعلهم يقبلون بعض تقاليده ، وبخاصة مسألة تعدد الزوجات . وبعد لأى ، وبعد شرح منا لوجهة نظر الإسلام فى هذه المسألة وأن الحل الذى يراه هو الوحيد الذى يمكن معالجة هذه المشكلة به هذه الأيام ، ابتدأت الأسارير تنفرج ، وابتدأ المؤتمرون يقبلون مناقشة الاقتراح ويقبلون بجد على تقليب وجوه الرأى فيه

ثم عدنا إلى الوطن ، وشرعت ألمانيا الغربية تعد دستورها الجديد ، وإذا بمدينة « بون » العاصمة يقترح أهلها — كما نشرت الصحف هنا — يقترحون أن ينص فى الدستور على إباحة تعدد الزوجات علاجاً للمشكلة التى يحسها كل ألمانى إحساسا شديدا !

كان من أمانى إذا ، وقد عدت للوطن ، واستقررت فيه من جديد ، أن يكتب كتاب عن الإسلام عقيدة ، وأخلاقا ، وتشريعاً ، ونظاما اجتماعيا ، ومذهبا اقتصاديا ، إلى سائر نواحيه المختلفة حتى الدولى منها . موقنا أن هذا العمل يجعل التفاهم بيننا وبين المسيحيين غير الشرقيين أمراً سهلا ميسورا ، ما دام كل منا سيصبح وقد فهم غيره حق الفهم . وقد قدمت فى ذلك أكثر من تقرير لمشيخة الأزهر . وكتبت فيه أكثر من مقال فى مجلة الرسالة الغراء وغيرها . وكان مما ذكرته فى الرسالة فى عدد يناير سنة ١٩٥٠ ما يأتى :

«علينا إذا أن نقرب هذا الدين ، وأن نجلوه للطالبين : عقيدة وأخلاقا ونظاما اجتماعيا ، فى كتاب قريب التناول نترجمه للغات جميعا فى الغرب والشرق ، ثم نوزعه فى أقطار الأرض كلها . بهذا وحده يستطيع أن يعرف الإسلام من يريد ، وبهذا نكون أدينا واجباً لهؤلاء الحائرين وما أكثرهم ، وللانسانية كلها ، لأن أكثر ما كتب عن الإسلام تعوزه الدقة أو الإنصاف » . وكانت هذه الكلمة موجهة لفضيلة الأستاذ الأكبر ، الشيخ الشناوى حينذاك

وفى العدد الصادر بتاريخ ١٣ / ١١ / ١٩٥٠ م كتبت كلمة أخرى عن الأزهر ووجوه الإصلاح فيه ليؤدى رسالته فى مصر وغير مصر ، وقلت فى آخرها : لماذا لا يعمل الأزهر على تقريب

الإسلام بوضع كتاب عنه فى نواحيه المختلفة ، ثم يترجم هـذا الـكتاب بكل لغات العالم ويوزع فى أقطار الأرض كلها ؟ »

ولم أكتف بمـا قدمت من تقارير وكتبت من مقالات ، دعاوة لمـا أرى وتأييداً له ، بل تحدثت بذلك إلى غير قليل من رجالات الأزهر مراراً عديدة ، وشرعت فى إعداد نفسى لهذا العمل بمـا أخذت أجمع من نصوص ووثائق وأسانيد ، تمهيداً لوضع الـكتاب المرجو بالعربية أولا ثم لترجمته ثانياً

لهذا كله ، رأيت نفسى أشد الناس فرحا بما نشرت الصحف من توفيق الله تعالى مولانا صاحب الجلالة الملك إلى الإشارة بوضع رسالة عن الإسلام تبين فضله ومزاياه ، ثم تترجم للغات الحية ، ومن أن فضيلة أستاذنا الأكبر شيخ الأزهر عهد بهـذا العمل الجليل إلى فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود شلتوت . حينئذ أحسست برد الراحة التى يحسها من يجد أنه وصل إلى ما كان يتمنى ، من آكد الطرق وعلى أحسن الوجوه . ويقيننا أن الله قد كتب التوفيق لفضيلة الأستاذ الـكبير الشيخ محمود شلتوت فى هذا المهم الجليل الذى له ما بعده والله الهادى إلى سواء السبيل

الدكتور محمد يوسف موسى
أستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر

شكر لا بد منه

قبل أن أقدم جزيل شكرى وعظيم امتنانى إلى إخوانى أدباء العرب فى كافة أقطارهم ، على موقفهم النبيل الذى وقفوه تجاه محنتى من وزارة المعارف العراقية العمومية وتصلب وزيرها الصحفى معالى السيد خليل كنه ، أود أن أتريث قليلاً لأزف أسمى آيات الإخلاص إلى أستاذنا الجليل أحمد حسن الزيات الذى فسح صدر «رسالته» الغراء لى ، وأعمق عبارات الود والأخوة إلى كاتب التعقيبات الأستاذ الناقد الفذ أنور المعداوى على شعوره الطيب تجـاه أخيه الشاعر ، حيث قد وقف قلمه على نصرتى ، وهذه رنة لا ينساها إلا من فقد معانى الوفاء وتنكر للجميل ! كما أرجو أن أكون عند حسن ظن الجميع ، وختاماً أود أن أرفع شكرى أيضاً إلى الذين وصلتنى منهم رسائل وبرقيات ولم أستطع أن أرد عليها فى حينه لجهلى عناوينهم ، وأن تـكون هذه الـكلمة بمثابة رد للجميع ، وأسأل الله أن تبقى مصر أم الثقافة وزعيمة البلاد العربية ، منارا يهتدى بنوره المدلجون ...

بغداد — أمانة العاصمة **عبد القادر رشيد الناصرى**

عودة

للاستاذ ثروت أباظه

عشر سنين أحمل الداء فى هذه الزائدة التى أبقاها الله فى الانسان ليغض من كبره كلما تـكبر ، ويذل من عتوه حينما يعتو . .

عشر سنين أحمل الداء وأتشبه بالقوم فأروح وأغدو لا يعلم أحـد علام أقفل هذا الصندوق الآدمى ، ويروننى فيرش المحب الملح فوق رأسى خشية الحسد ، ويكتم الحقود الحقد فى نفسه أو يبديه فى ألفاظ مادحة وأنا أتلوى ساعات فى اليوم حتى لقد ظن الأهل أننى أبالغ ثم أقوم من تلك الأزمة اليومية لأشكر الملح للصديق ولأتظاهر بالفرح للحسود

عشر سنين ودعانى إلى الله كلما أقبل اليوم أن يخف فيه العذاب ، ثم أفكر فيما أنا فيه فلا أجد لى غير الأطباء مخرجا وما أزال بهم أو ما يزالون هم بى حتى أصبح صديقهم جميعاً وحتى أصبحت أفهم فى مرضى أكثر مما يفهم بعضهم . لقد كنت مجتمع آرائهم وحقل ثقافتهم فمن حق هذا المـكان الآدمى أن يفهم وأن يفهم كل ما يقولونه وقد فهمته فشقيت به وأسلمت أمرى معهم إلى الله

عشر سنين لا يضع طبيب يده على مكان العلة منى بل هو دائماً فى المـكان الخاطئ وعلى الرأى اليائس . وأنا أسلم أمرى إلى الله وأشكر نعمته التى وهب فما أقل ما كنت فيه إذا نظرت إلى غيرى ، وما أهون ما لاقيته من شر إذا ذكرت ما يسكبه علىّ سبحانه من خير

عشر سنوات ثم يشاء الرب الـكريم أن يتم النعمة ويكشف عن الطب الغشاوة عن تلك الزائدة التى أمر الله أن تظل فى الانسان بقية من حيوانيته . . ويشاء الله أن ينكشف الغشاء وأنا فى أوج الخير الذى يسكبه على فأغض من كبر كاد أن يركبنى وأذكر أننى ما زلت هذا الحيوان صاحب تلك الزائدة التى تألم لتذكر !

سبحانك رب هل أنا أهل لكل هذا الخير الذى تحيطنى به ... تسكب على النعم حتى لتتولانى الخشية ويكاد الـكبر أن يداخلنى ، وحينئذ وحينئذ فقط تشاء حكمتك الرحيمة أن تكشف عن علتى فيزول بها مرض الجسم ومرض النفس ... سبحـانك رب ...



قلب الابن ...

للاستاذ كمال رستم

مهداة الى سعادة الأستاذ محمد كامل
البهنساوى بك صاحب الأقاصيص المأثورة

.. رق إبراهيم إلى العربة وقال مخاطباً الحوذى

— عيادة الدكتور رأفت

وساط الحوذى جواده فتحامل الحيوان الجاهد على نفسه وجرر أقدامه فى تثاقل وبطء وهو يكاد أن يتكفأ من التعب والأنين . . .

وتنهد إبراهيم تنهدة عميقة وهو يرقب العربة تتحرك فى هينة ورفق كأنما قد خرج بها إلى نزهة وليس إلى أمر ذى بال . . وهمه أن رأى العربات تمضى بمربته سريعاً كأنما جيادها شياطين جن وأزمع أن يصرخ فى الحوذى ليحث جواده المتهالك على السير. ولكن الرجل كان قد برق فى ذهنه نفس الخاطر وأهوى سوطه على ظهر الحيوان فى قسوة وعنف فحث خطاه وأنفاسه حشرجة محتضر ...

ولكن الجواد وقد حسره السير تباطأت خطاه مرة أخرى وتقاربت فعاد الحوذى يلهب بالسوط ظهره والسباب يطفح من فمه وانصرف إبراهيم بذهنه عن الرجل وجواده وأوى إلى أفكاره يمايشها . . انه ترك أمه فى البيت طريحة الفراش . . وقد تمناها المرض وتحلل بها حتى ليوشك أن يوردها موارد الموت ...

وبدا له غريباً أن يحدث هذا لأمه . . وأن تفارق روحها بدنها الناحل وهى مسمرة به . . وومضت صورتها لحظة فى ذهنه . هذه الأم التى علت بها السن وهى بعد موثقة الخلق شديدة الأسر كفتاة فى العشرين، فاستكثر أن تعنو هذه الحياة الكبيرة لمرض فوت . ولكن الحقيقة أن أمه كانت تعانى المرض . . وأنه أقعدها لأول مرة فى حياتها عن أداء واجبها . . وذكر أنها كانت وهى مدنفة تشرف على البيت مملكتها الصغيرة تناقش الزوجة وتراجع الخادم كما تفعل كل يوم . . دون أن تترك للمرض الوافد فرصة للتغلب عليها ...

كان البيت بيتها، هى ربته تدبر حركته وتصرف أموره على النحو الذى ترضاه، وتأبى على الزوجة أن تطلق يدها فى شأن من شؤونه . . كانت تنهض من فراشها فى الصباح الواعد فتبعث بالخادم إلى السوق لشراء حاجات الطعام، فاذا عادت من السوق وقد امتلأت سلتها بالخضر والطماطم واللحم دار بينهما بادئ الأمر حديث هادئ كان لا يلبث صوت أمه بعده أن يرتفع فى ثورة وغضب، لأن الخادم — فى وهمها — سرقت نصف قرش...

وحينما تتهيأ لطهو الطعام ويعلو صوت « وابور الغاز » كانت تتمشى على شفتيها بسمة الرضا والسعادة ، فصوت الوابور يحكى عندها صوت الموسيقى تنتشى له وتطرب . . وعندما كان ابنها يعود من عمله مجهداً مكدوداً كانت تستقبله بابتسامة حلوة وتقول له

— أعددت لك اليوم فاصوليا تأكل معها أصابعك ...

وكان يحييها وهو يربت على كتفها قائلا :

— نعم الطعام طعامك يا أمى! لاعدمنا يديك ...

وتنثنى راجعة إلى المطبخ وقد استغرقتها السعادة لمديحه وإطرائه . . بينما يدلف هو إلى غرفته ينضو عنه ثيابه . وكانوا يجلسون ثلاثتهم إلى المائدة يتناولون الطعام ويشققون الأحاديث ...

وعندما كانوا يفرغون من تناول طعامهم كانوا يأوون إلى أسرتهم يغفون القيلولة ولا يبارحونها إلا على أذان العصر

وهل يملك هذا المخلوق الحقير الا أن يسبح باسمك ويسبح، ثم يريد النبى أن يشكر فاذا أنت سبحانك تسكب عليه الخير مرة أخرى فتهبه له النعيم والبركة فهو منقلب من خير لك إلى خير منك أوسع! سبحانك رب ! وهل الطبيب إلا برك يسعى على الأرض يستعين بك فتعينه ، ويستلهم وحيك فتلهمه سبحانك

ثروت اباظة

فتجهز له أمه القهوة، وبعد أن يتناولها كان يرتدي ملابسه وينطلق إلى الطريق ...

ولكن هذا لم يكن يحدث في كل وقت .. فالغالب ألا يمضي اليوم هكذا هادئاً دون أن يعكر صفوه نزاع أو شجار يقوم بين زوجه وبين أمه ... ولقد اعتاد أن ينصت إلى شكايتهما .. ويحاول جهده أن يصلح بينهما دون أن يتحيز إلى إحداهما .. ولكن موقفه هذا كان لا ينجيه من غضب الاثنتين جميعاً . فأمه ترميه بمحاباة الزوجة .. والزوجة تتهمه بمظاهرة الأم .. ويمضي به اليوم أيأس ما يكون اليوم ... ولم يكن هذا النزاع بين زوجه وأمه لينتهي أبداً .. وأنهكت هذه الحال أعصابه .. وأمضته فكان ينفر من البيت وينطلق إلى الطريق يقتل وقته في المقاهي والمشارب يسلو ويتعزى .. وكان يعود متأخراً إلى البيت فيجد في انتظاره زوجته غضبى .. تشكو له أمه وتنعى عليها أنها سبب شقائهما في حياتهما كزوجين .. إنها تعرف أن أمه لا تحمل لها إلا البغض . وهي لا تنسى أنها عارضت في زواجه منها ... لأنها كانت تأمل أن تزوجه من ابنة أختها ... ولكن إبراهيم ركب رأسه وأصر على أن يتزوج منها هي لأنهما كانا متحابين ... وأنها لذلك تسعى إلى تعكير ما بينهما من صفو لتحملهـــا على مغادرة البيت ... ولقد تبينت خطأها آخر الأمر ... فما كان ينبغي أن تقبل أن تبني به وأمه لا تبارك زواجهما ... وكان ينهض من فراشه في الصباح خائراً مكدوداً فيمضي إلى أمه يقرئها تحية الصباح فتردها عليه فاترة ... وتقول له إن زوجه أدارت رأسه ... وأنها تعمل على افساد ما بينهما ... وتذكره بأنها أمه ... أمه التي حملته في بطنها ... وقامت على تربيته إلى أن غدا رجلا ... إنها أعدته للزمن أمناً لها في شيخوختها ... ولكن امرأة لم تتعب في تربيته ... امرأة أجنبية ... تبعث في قلبه العقوق وتنفره منها وهو صامت لا يتكلم ... إنها تعلم أن زوجه تريد أن تقسرها بعنادها على مبارحة البيت ليصبح لها على اتساعه ... وستفعل هي ذلك يوماً ما دام أنه يظاهر زوجه عليها ... وستمضي إلى شقيقها تقضي عنده ما تبقى من أيامها وإنها لقلائل وتدعه لزوجه تهنأ به ... وحينما ينطلق إلى الطريق محتضناً أفكاره كان يفكر في حياته الشقية هذه ... انه لا يذكر أنه شعر بالهدوء يوماً ولا بالراحة منذ أن تزوج ...

إن أمه كان يعز عليها أن يشركها في حبها زوجته . وكثيراً ما كان يهم بأن يطلب منها أن تعدل أسلوب معاملتها لزوجه، ولكنه كان لا يلبث أن يضعف ويستخذي ويقنع نفسه بأنها ستفعل ذلك من تلقاء نفسها حالما تدرك أن سلوكها هذا يتعسه ويشقيه ... ولكنها لم تشأ أبداً أن تقدم على هذه الخطوة من جانبها . وبات النزاع بينها وبين زوجه لا ينفض إلا ريث أن يعود من جديد ... وآخر مرة هددته زوجه بأنه إن لم يوقف أمه عند حدها فإنها ستغادر بيته إلى الأبد ... ولكن ها هي ذي أمه — طريحة الفراش لا تقوى على حركة ... واندس خاطر جرى بين خواطره له همس حبيب ... « لو أن أمه تموت! » . نعم فإنه يود أن يتحرر من إسار بنوته ويخلص إلى زوجه التي لم ينعم بحبهـا لحظة واحدة ... وومضت في خياله صورة زاهية لمستقبله الهانئ مع زوجته ... إنهما يعيشان في البيت وحدهما ... يتذاكران الماضي ويستعيدان مشاهده ... ثم انتقلت خواطره إلى أن وقفت به عند أمه ... فأقنع نفسه بأنها أخذت حظها من الحياة، وأن الخير في أن تمضي عن الدنيا الآن وقبل أن يعتد بها المرض ...

وأخرجه من تأملاته صوت الخوذي يقول

— عيادة الدكتور رأفت ببابك ..

فهبط معجلا ...

ولما عاد إلى المنزل مع الطبيب تقدمتهما زوجه إلى غرفة المريضة ...

هنالك رأى أمه ممددة على الفراش منهوكة القوى مهدومة ...

وكانت عيناها مغلقتين ... وصدرها المسيح يخفق وأنفاسها الحارة تتلاحق ...

وبدا وجهها المعروق وقد زايلته حمرته ... وشاعت فيه بدلا منها صفرة الموت ...

وتقدم الطبيب من مهادها وأمسك بمجمع يده ... يدها المتقدة، ففتحت عينين أنهكهما المرض وكحلهما السهد ... وفحصها ... ووصف الدواء ...

وخلا إلى الزوجين وقال لهما :

— لا معدى من إجراء جراحة فهي الأمل الوحيد لإنقاذها ... وليس من الأطباء من أضمن أن يقوم بإجرائها بنجاح إلا الجراح الكبير

« محمود باشا سامى » ... فإذا أمكن أن تنقلاها غداً إلى مستشفاه بالقاهرة فلا تترددا ... وإلا ضاع الأمل فى إنقاذها إلى الأبد ...

وصافحهما ومضى ...

وقالت زوجه:

— لتحضر لها الدواء ... وليفعل الله بعد ذلك ما يشاء ... إنك لا طاقة لك بنفقات جراحة لا طائل تحتها ... وأنت تعلم من هو محمود باشا سامى ...

وأمن الزوج على قولها وقال:

— نعم ليفعل الله ما يشاء ...

وخرج يحضر الدواء ...

وراح ذهنه طول الطريق يبرق بشتى ألوان التفكير ...

وفجأة ... أحس بشعور جديد وافد ... يطرق قلبه ...

إنه الألم ... الألم الذى راح يغلف روحه فى غير هوادة...

بدا له أن أمه عزيزة عليه ... وأنه يحبها كما لم يحبها من قبل... وتراءت له صورتها الحبيبة ... يوم أن كانت تملأ حركتها البيت ...

وراح يقابلها بصورتها وهى مسجاة على الفراش ... لا تقوى على حركة ... فزخرت بالألم نفسه ... وناش الحزن صدره، وخيل إليه لحظة أنه لا يطيق العيش بعدها ... هذه الأم التى أحبته من أعمق قلبها ...

وشعر بالخزى والعار لأنه تمنى لها الموت ...

وكان قد بلغ الصيدلية فابتاع لهـا الدواء وانقلب عائداً إلى البيت محتضنا أفكاره ...

ودخل غرفتها ...

وكانت أمه مسترخية على الفراش وقد تآلف جفناها ... وتباطأت دقات قلبها ... ووهنت أنفاسها...

وكاد مشهدها أن يستل روحه من بين أضالعه

ووسد راحته جبينها الصلت ... وقال فى صوته الخفيض

— أماه! ألا تزالين نائمة ...

وفتحت جفنيها المطبقين ... وكما لو كانت الحياة دبت فيها من جديد ... عشت على شفتيها بسمة واهنة وهمست

— إبراهيم؟

— نعم يا أماه ... لقد أحضرت لك الدواء ... وسيمسح الله ما بك ... وتعودين إلى طهو الطعام لأنى لا أسيغه من غير يديك ...

ووهنت ابتسامتها حتى كادت أن تتلاشى وقالت فى صوتها الهامس ...

— لقد ضعفت يا إبراهيم ... لا بأس ... إننى أحس بأن حياتى انتهت ...

وخنقته العبرات وهو يقول

— لا تقولى ذلك يا أماه. إنك فى خير وعافية

... ولم تتكلم ... وراح ابنها يحدق فيها ... فى وجهها الحبيب الذى طالما طالعته ابتسامته ... وخيل إليه فى لحظة واحدة أنه على استعداد لأن يضحى كل شئ فى سبيل أن تبقى ... أن تعيش ... أن يراها مرة أخرى تملأ البيت ... وأن تستقبله بابتسامتها المريضة... وأن تجلس إلى المائدة تطرى الطعام الذى صنعته له ...

وفكر فى غمرة ألمه وحزنه أن يفعل شيئاً سريعاً لإنقاذها ... إنه سيسحب فى الغد من صندوق التوفير نقوده كلها ويوقفها على شفاء أمه ... على برئها...

وانحنى فوق وجهها الناحل يقبله فى حنين وهو يقول:

— أماه ... سنسافر غداً إلى القاهرة ... وسأقوم إلى جانبك إلى أن يتم إجراء الجراحة لك وتبرئى من مرضك ...

وعشت على شفتيها ظلال ابتسامة ... وبدا له أنهـا متعبة مكدودة ... إذ تآلف جفناها فجأة ... فتراجع إلى غرفته ... والدموع ملء عينيه ...

كمال رستم



رحلات

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر فى الباكستان

ثمن هذا المجلد ثلاثون قرشا عدا أجرة البريد * وهو يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

النشر فى مطبوعات ومحطات المصلحة

لقد نجحت المصلحة فى ابتكار أحدث الوسائل وانتقاء أبرز الأماكن المعدة للنشر فأولت اهتماماً خاصاً بمحطاتها فنسقتها وغرست حولها الحدائق فزادت من حسن منظرها وبديع رونقها حتى أصبحت تضارع أعظم محطات العالم مما حدا إلى إقبال الجمهور والشركات على اختلاف أنواعها وأصحاب البيوتات التجارية إلى الإعلان فيها بأسعار غاية فى الاعتدال .

هذا فضلا عن المطبوعات والنشرات المختلفة التى تصدرها المصلحة من وقت لآخر وتوزعها داخل وخارج القطر ولا يخفى أن الإعلان فى تلك المطبوعات لا يقدر بثمن لأهميته وجليل فائدته .

ولزيادة الاستعلام خابروا — قسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة



العدد ٩١٥ — ١٥ يناير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد



اعلان مناقصة

وزارة الاشغال العمومية

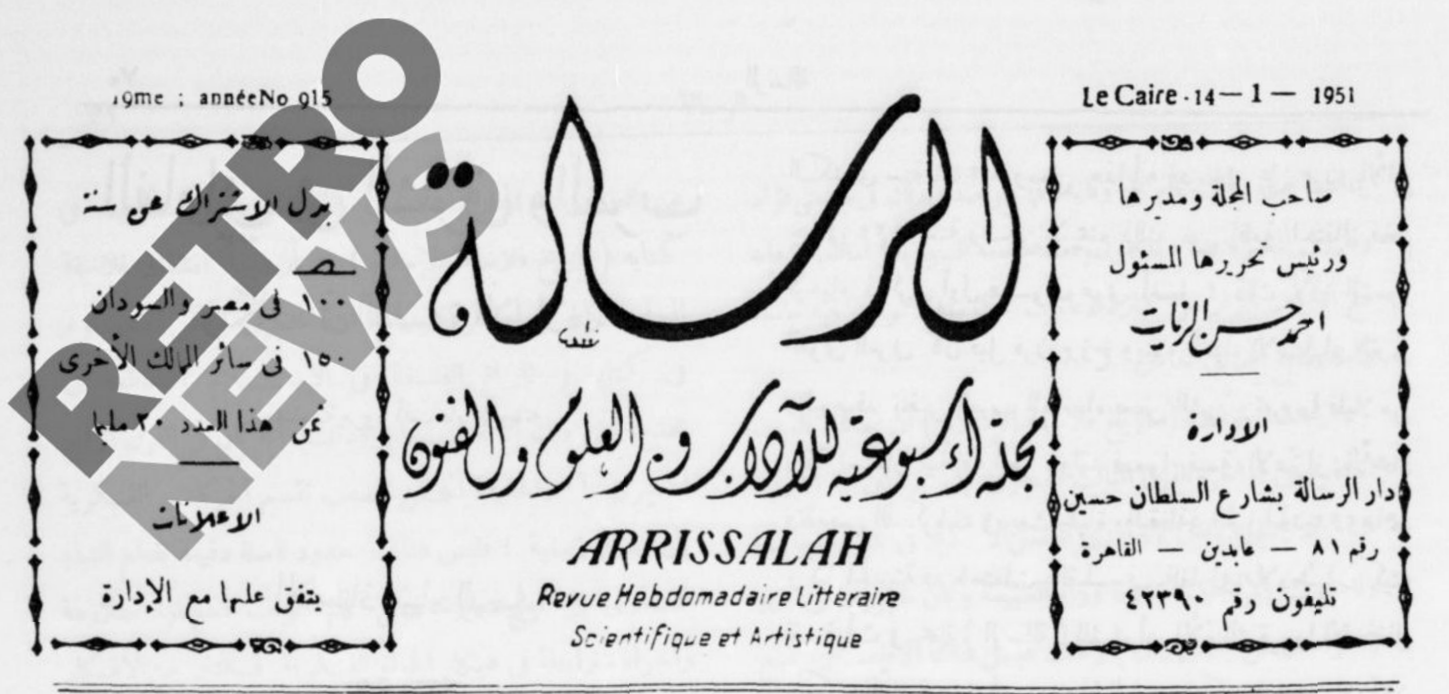
مصلحة تفتيش النيل فرع دمياط

تقبل العطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة مفتش النيل فرع دمياط بالمنصورة لغـــاية ظهر يوم الاثنين الموافق ٥ فبراير سنة ١٩٥١ عن مشروع تحسين واجهات البلاد (شربين وطلخا)

ويمكن الحصول على أورنيك العطاء نظير مبلغ ٧٥٠ مليما باليد أو ٨٥٠ مليما بالبريد ويجب أن يكون العطاء مصحوباً بتأمين ابتدائى قدره (٢ ٪ اثنان فى المائة) من القيمة الحقيقية للعطاء وإلا فسيصير عـدم النظر بتاتا فى هذا العطاء .

وتقدم الطلبات على ورقة دمغة من فئة الثلاثين مليما .

٧٢٣٠


19me ; année No 915 — Le Caire - 14 — 1 — 1951

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩١٥ « القاهرة في يوم الاثنين ٦ ربيع الثاني سنة ١٣٧٠ — ١٥ يناير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

ثوروا على الفقر قبل أن يثور

سادتي وزراء الشؤون الاجتماعية والاقتصاد الوطني والتموين والتجارة والأوقاف! نصيحة خالصة لوجه الله يدفعني الاشفاق عليكم أن أقدمها إليكم :

ثوروا على الفقر قبل أن يثور ، واستعدوا للدائرة قبل أن تدور! إن زميلكم وزير المعارف يؤلب عليكم الأمة! لقد صمم على أن يعلم الشعب. وتعليم الشعب معناه أن تزول الغشاوة عن عينه فيبصر، وأن تنجلي الغشاوة عن قلبه فيفقه ، وأن تذهب البلادة عن عصبه فيحس. ومتى يبصر الشعب ويفقه ويحس، يدرك الاختلاف بين حال وحال، ويميز الفرق بين طبقة وطبقة، ويقرأ العدد الأخير من مجلة (آخر ساعة) مثلا فلا يكتفي منه بالصور تلهيه، ولا بالأخبار تسليه؛ وإنما يوازن موازنة الواعي المفكر بين ما صورته من عيد رأس السنة الميلادية وما أقيم فيه من مآدب ومراقص فاضت بالنعيم، وتلألأت بالجواهر، وازدهت بالحلل، والتحمت بالرقص، وطفحت بالخمر، وضجت بالجاز، والتهبت بالقبل، وعرضت على الأنظار الطامحة ألوفاً مؤلفة من الجنيهات المصرية تمثلت على الأجساد المترفة البضة حللا وفراء وعقوداً ومشابك وخواتم مما يجلبه الغنى الفاحش من كنوز أوربا!

يوازن بين هذا وبين ما صورت المجلة في العدد نفسه من بؤس الفلاح في قرية (مناوهلة) بالمنوفية وما يكابده من كرب العيش، وغصص الفاقة، ومض الأمراض، وعنت الملاك، وهبوط دنياه إلى دنيا البهيم، فيأكل أخشب الطعام ولا يغتذي، ويلبس أخشن الثياب ولا يستتر، ويعمل أشق الأعمال ولا يكافأ، وينتج أعظم الإنتاج ولا يشارك، فتصدمه الموازنة لأنه علم، وتؤلمه النتيجة لأنه أحس. ويومئذ يسألكم يا أصحاب المعالي هذا السؤال: « ماذا تصنعون على الكراسي التي وضعتكم عليها بيدي، وكافأتكم على الحركة فيها بمالي ؟ »

ولعلكم تدركون يا أصحاب الجاه والسلطان، أن الجواب عن سؤال الشعب غير الجواب عن سؤال البرلمان!

أعداؤنا الثلاثة يا أصحاب المعالي لا يعرفون هوادة ولا يقبلون هدنة. فأما الجهل فالصراع بينه وبين وزير المعارف شديد. والعالم كله يرقب هذه المعركة الشعواء بعين الإعجاب والثقة والنصر ولا ريب مكفول لزميلكم العظيم لأنه لا يقبل النكوص ولا يرضى الهزيمة. وأما الفقر والمرض فقد تركتموهما يعيثان في القرى والمدن، يبذران الشقاء والوباء، ويسخران من وعودكم التي تعلن ولا تنجز، ومن مشروعاتكم التي توضع ولا تنفذ. وإذا أنجز منها وعد أو أنفذ مشروع، كان لمصلحة الأغنياء ومنفعة الأصحاء على حساب الفقراء والمرضى!

احمد حسن الزيات

الفارابي فى الشرق والغرب

ومكانته فى الفلسفة الاسلامية

بمناسبة مرور ألف عام على وفاته

— ١ —

للاستاذ ضياء الدخيلى

نشرت جريدة (العــالم العربى) البغدادية بتاريخ ١٣ / ١٢ / ١٩٥٠ تحت عنوان الدعوة للاحتفــال بذكرى الفيلسوف الفارابى : تقول صحف الشام إن السيد فخرى البارودى أحد المعروفين بالاشتغال بالقضايا العامة ، والذى انصرف مؤخراً إلى رعاية الجمعيات المنقطعة لخدمة الموسيقى العربية قد رفع إلى وزارة المعارف السورية كتاباً يقترح فيه أن تدعو ممثلى الدول العربية للاشتراك فى مهرجان لتخليد ذكرى الفيلسوف الموسيقار أبى نصر الفارابى بمناسبة مرور ألف سنة على وفاته ودفنه فى دمشق أسوة بالمهرجان الذى قررت الجامعة العربية إقامته فى بغداد خلال الربيع القادم لذكرى ابن سينا . وقد أخبرنى الدكتور جواد على سكرتير المجمع العلمى العراقي عندما عرضت عليه هذا الخبر أن أول من احتفل بذكرى الفارابي الألفية إحدى جامعات النمسا، وقد شهد الاحتفال أحد العرب فتحمس وتألم لنسيان بلاده هذا الفيلسوف العظيم الذى أنتجته المدرسة العربية فى بغداد على حين يبعث الوفاء لعبقريته الأوربيين للاحتفال بعيده الألفى. وأردف سكرتير المجمع العلمى العراقى حديثه بقوله لماذا لا يحتفل العرب بالفيلسوف العربى يعقوب الـكندى وهو عربى أصيل؟ وبعد مفارقتى الدكتور جواد على راجعت كتاب أخبار الحـكماء للقفطى وكتاب طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة وكتاب فهرست ابن النديم وقد ذكر هؤلاء ترجمة الـكندى إلا أن الغريب أنهم لم يذكروا تاريخ وفاته غير أنى وجدت الأستاذ الزيات يذكر فى كتابه القيم تاريخ الأدب العربى أن وفاة يعقوب بن إسحاق الـكندى سنة ٢٤٦ هـ ومعنى هذا أنه قد مضى على عيده الألفى حوالى ١٢٤ سنة ولـكن لا يمنع ذلك من إقامة احتفال فخم لإحياء ذكرى أول فيلسوف عربى أصيل ؛ ذلك لأن الشعور القومى العربى كان قبل قرن يرزح وينوء بأعباء الاضطهاد التركى واليوم قد تنفس العرب الصعداء بعض الشئ وتحرروا قليلا من ربقة استعمار ليخلفه آخر . ولقد فهموا قيمة الاعتزاز بالأمجاد وتقديس الذكريات فى بعث الحياة واليقظة فى الجيل الجديد، وهاهى تركيا الحديثة قد احتفلت بالفيلسوف الفارابى لادعائها تركيته فقد قرأت فى مجلة (الرسالة) الغراء أن الأتراك قرروا الاحتفال بذكراه الألفية فى نوفمبر من هذا العام. ولـكن الفارابى إن كان تركيا فى قوميته فهو عربى فى دراسته وثقافته ولغته العلمية فمن واجب العرب أن يحتفلوا بأحد كبار معلمى مدرستهم الفلسفية ومن كان قبل من عباقرة طلابها وها أنى أول من يلبى دعوة ابن الشام للاحتفال بالفارابى على صفحات مجلة (الرسالة) الغراء ومن أولى من (الرسالة) بالاحتفال بذكرى فيلسوف إسلامى كالفارابى، فالرسالة هى المجلة التى حملت فى بلاد العرب والإسلام مشعل اليقظة وأنارت السبيل للجيل الجديد إلى كنوز الثقــافة العربية وبعثت فى النفوس الراكدة نهضة وحياة خليقتين بالإجلال والإكبار وأقبلت على تراث العرب والإسلام تتلمسه لتظهر معالمه للضالين ؛ فأشرقت أنوار ذكريات ذلك المجد الزاهر الذى أضمناه نحن أبناؤه واحتفظ بتقديسه الغربيون الذين بقوا يجلون ويكبرون الفارابى وابن سينا وابن رشد والـكندى وأخوانهم ويحيطونهم بهالة من الإكبار كوقف الفـكر العربى اليوم تجاه أفلاطون وأرسطو وسقراط اليونانيين . من أولى من (الرسالة) فى أن تخصص الصفحات المشرقة من أعدادها الغراء للاحتفال بذكرى المعلم الثانى و« الرسالة » هى التى علمت شباب العرب والإسلام اليوم كيف يقدسون تراث السلف الصالح ... فلتحتفل هى بالفارابى أسوة بجامعتى النمسا واستنبول

فقد نشرت جريدة (العزة) البغدادية بتاريخ ١٨ كانون الأول سنة ١٩٥٠ أن وزارة المعارف العراقية تلقت أمس دعوة من جامعة استنبول لاشتراك الحـكومة العراقية فى الاحتفال بذكرى الفارابى التى ستقوم بها الجامعة المذكورة يوم ٢٩ من الشهر الحالى

بمناسبة مرور ألف عام على وفاته؛ فما هو صدى ذلك فى جامعتى فؤاد وفاروق المصريتين؟ وما هو موقف الجامعة السورية؟ أما العراق فإنه مع الأسف بالرغم من كثرة ادعاءات حكومته لا توجد فيه جامعة ذات طابع عراقى خاص

يحدثنا مؤلف (تاريخ فلاسفة الإسلام) أن حكماء العرب انشقوا فى أواخر القرن الثالث الهجرى إلى فرقتين: الأولى فرقة المتكلمين، وكان للكندى الفضل الأكبر فى تمهيد سبيلها واختصت بالإلاهيات وما وراء الطبيعة وكان ظهورها فى مرو (خراسان من بلاد إيران) وكانت قبل ذلك الانفصال تتبع فيثاغورس ثم تنحت عنه وعن أتباعه وتعلقت بأرسطو بعد أن لبست تعاليمه ثوب مبادئ الأفلاطونية الحديثة (نيوبلاتونيزم) وكانت هذه الفرقة تبحث الأشياء فى مبادئها وتتحرى المعنى والفكرة والروح ولا تصف الله بالحكمة فى الخلق أو بالعلة الأولى ولكن بأنه واجب الوجود. وكانت تقدر الأشياء بوجودها فتسمى فى إثبات ذلك أولا. وكان الفارابى رئيس هذه الفرقة وزعيمها والمقدم فيها وإليه المرجع وعليه الاعتماد (راجع تاريخ العرب لنيكولسن). أما الفرقة الثانية فهى فلاسفة الطبيعة وكان ظهورها بحران والبصرة وقصرت بحثها على ظواهر الطبيعة المادية المحسوسة مثل تخطيط البلدان وأحوال الشعوب، ثم ترقت فى البحث فلم تتعد النظر فى الأثر الذى تحدثه الأشياء فى عالم الحس، ثم تجاوزت البحث فى ذلك إلى النفس والروح فالقوة الإلاهية فعرفتها بالعلة الأولى أو الخالق الحكيم الظاهرة حكمته فى مخلوقاته. وكان أبو بكر محمد بن زكريا الرازى زعيمها، وكان طبيباً حاذقاً وفيلسوفاً طبيعيا

فالفرق ظاهر بين الفرقتين؟ فالفرقة الثانية التى زعيمها الرازى كانت تبحث فيما هو ظاهر للعيان وملموس بالحس وتقنع بصفاته وقوة أثره فى غيره من الموجودات. أما الفرقة الأولى فرقة المتكلمين التى كان رئيسها الفارابى فكانت تقدر الأشياء بوجودها فتسمى فى إثبات ذلك الوجود أولا، فالفارابى كان إذن زعيم أكبر فرقة فلسفية فى عصره[1]. لقد قال الأستاذ محمد لطفى جمعة فى مقال له عن الفارابى فى المجلد (٧٥) من المقتطف ونشر مضامينه فى كتابه (تاريخ فلاسفة الإسلام) - أن مبدأ انشقاق فلاسفة المسلمين كان فى أواخر القرن الثالث الهجرى لكن دى بوير فى كتابه (تاريخ الفلسفة فى الإسلام) خالفه فى تحديد زمن ذلك الانقسام فحدثنا أنه كان فى القرن الرابع الهجرى[2] والحقيقة أنه من الصعب تقسيم الحركات الفكرية إلى فصول زمنية؛ فليس هنالك حدود فاصلة دقيقة تقطع التيار الفكرى إلى قطع متمايزة، فهى كلها تؤلف أحجاراً متلازمة وأجزاء مترابطة فى هيكل الحياة الفكرية. فكثير من الأفكار والمبادئ الشائعة اليوم والمهيمنة على القسم المعمور من الأرض نجد جذوره ممتدة إلى أقدم العهود التاريخية، فلو تصفحت (جمهورية أفلاطون) مثلا لوجدت فيها طائفة من الأفكار الحديثة التى يعتقد الناس خطأ أنها وليدة العصر الحديث وأنها من نتاج أبناء اليوم؛ وكذلك القول فى (رسائل إخوان الصفا) ...

على أن هناك من ينكر هذا الانشقاق فى اتجاه الفلاسفة. وإنى عند ما درست شرح إشارات ابن سينا للطوسى والشوارق اللاهجى وشرح منظومة السبزوارى فى الفلسفة ودرست حاشية الملا عبد الله وشرح الشمسية وشرح منظومة الشيخ هادى شليله فى علم المنطق وغيرها من كتب الفلسفة الإسلامية ودرست فى علم الكلام شرح تجريد الطوسى للعلامة الحلى؛ أقول عندما درست هذه الكتب الفلسفية فى مدارس النجف الأشرف الإسلامية لم أجد أساتذتنا يقسمون فلاسفة المسلمين إلى هاتين الطائفتين، وكانوا رحمهم الله يخلطون بين أقوالهم جميعاً فى مزيج واحد؛ ولكن دى بوير يصر على هذا التقسيم فيقول فى كتابه (تاريخ الفلسفة فى الإسلام) أخذ أصحاب المنطق أو أصحاب ما بعد الطبيعة يتميزون فى القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) عن الفلاسفة الطبيعيين. والأولون يسلكون فى أبحاثهم منهجاً أكثر دقة وصرامة من منهج المتكلمين (ومنهجهم يقوم على استنباط الأشياء من أصولها على طريقة برهانية دقيقة) وقد رغبوا عن مذهب فيثاغورس وانقادوا لأرسطو الذى وصلت إليهم فلسفته فى ثوب من المذهب الأفلاطونى الجديد

---

(١) تاريخ فلاسفة الاسلام للاستاذ محمد لطفى جمعة ص ٥ وأيضا فى المجلد ٧٥ من المقتطف مقال له حول الفارابى

٢ — تاريخ الفلاسفة فى الاسلام تأليف المستشرق دى بوير

وهنا نجدنا أمام اتجاهين فى العلم عنى بكل منهما فريق ، فالفلاسفة الطبيعيون عنوا — على تفاوت فيما بينهم — بدراسة مافى الطبيعة من ظواهر مادية كثيرة كما هو الحال فى علم الجغرافيا وشأن الأمر الجزئى فى نظرهم ثانوى وهو لا يزيد عن كونه مندرجا تحت كلى ويمكن استنباطه من هذا الكلى . وعلى حين أن الفلاسفة الطبيعيين يجعلون دراسة آثار الأشياء أساساً لأبحاثهم فإن أصحاب المنطق يحاولون إدراك الأشياء باستنباطها من أصول. وهم فى كل أبحاثهم يتلمسون ماهيات الأشياء وحقائقها. وقد جاء أهل المنطق بعد الطبيعيين فى الزمان كما أن متكلمى المعتزلة نظروا أولا فى المخلوقات ثم نظروا فى ذات الخالق بعد ذلك . وقد عرفنا أن الرازى الطبيب المشهور المتوفى عام ٣٢٠ ه كان أكبر ممثل للفلسفة الطبيعية ، أما مباحث ما بعد الطبيعة التى يستعمل فيها المنهج المنطقى والتى مهد الكندى وغيره إليها السبيل فهى تبلغ أوجها ممثلة فى رجل معاصر للرازى وأصغر منه سنا هو الفارابى

وقد كان الفارابى رجلا ممن يخلدون إلى السكينة والهدوء ؛ وقد وقف حياته على التأمل الفلسفى يظله الملوك بسلطانهم ؛ ثم ظهر فى آخر الأمر فى زى أهل التصوف ويقال إن والد الفارابى كان قائد جيش وأصله فارسى وإن الفارابى نفسه ولد فى وسيج وهى قرية حصينة تقع فى ولاية فاراب من بلاد الترك فيما وراء النهر. هذا ما يقوله دى بور فهو يعتبر الفارابى ممن يمثل مباحث ما بعد الطبيعة فى أوجها، ونجده قد اعتبر فيلسوفنا فارسيا فى قوميته ولكن كارادفو فى البحث الذى كتبه لدائرة المعارف الإسلامية عن الفارابى يقول: كان الفارابى أعظم فلاسفة الإسلام قبل ابن سينا. ولد فى عائلة تركية فى أواخر القرن السابع الميلادى فى وسيج وهى مدينة صغيرة محصنة فى مقاطعة فاراب. فتراه يعتبره فى الأتراك ، وهذا ماحدا بحكومة الأناضول التركية أن تحتفل بعيده الألفى فى جامعة استنبول فى ٢٩ كانون الأول سنة ١٩٥٠

وقال كارادفو فى دائرة المعارف الإسلامية (المجلد الثانى ص ٥٣) إن الفارابى درس فى بغداد على طبيب مسيحى اسمه يوحنا ابن حيلان واشتغل أيضا عند أبى بشر متى وهو مسيحى نسطورى اشتهر بكونه معربا لكتب اليونان . وقد ذهب الفارابى إلى حلب بعد ذلك واتصل ببلاط سيف الدولة الحمدانى وعاش فى ظله فى حياة الصوفية

واشتهر الفارابى كشارح لفلسفة أرسطو وأكسبته جهوده فى ذلك لقب (المعلم الثانى) باعتباره ثانيا للمعلم الأول أرسطو . وقد شرح كتبا لليونان فى ما وراء الطبيعة والفلسفة والعلم ولم يقتصر على شرح كتب اليونانيين بل إنه ألف كتبا كثيرة مستقلة وقد طبع له تسع رسائل صغيرة من أشهرها (فصول الحكمة) وهذه الرسالة تحوى آراء عديدة بشكل مختصر . وقد تداولت فى كل مدارس الشرق وشرحها إسماعيل الحسينى الفارابى (من القرن الخامس وطبعت فى المطبعة الأميرية . وطبع له أيضا رسالته المثالية (رسالة فى آراء أهل المدينة الفاضلة) وهى رسالة مهمة فى ٣٤ فصلا وفيها أوضح ذلك الفيلسوف المسلم المشبع بفلسفة أفلاطون ما يتصوره فى تنظيم المدينة الكاملة التى يجب أن يحكمها عقلاؤها، وأن يكون هدفها أن تقتدى فى العالم السفلى الأرضى بعدن الفردوس فى كمالها، وأن تهيئ سكانها الغبطة وسعادة سكان مدن الجنة المثالية »[١]

يقول كارادفو إن هذه النظرية ضئيلة المنفعة من الوجهة العملية ولكن فيها بعض الأهمية من وجهة علم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) وكانت غاية الفارابى ومراميه كسائر فلاسفة المدرسة التى ينتمى إليها — أن يحيط بدائرة جميع العلوم . ويظهر أنه كان رياضيا ممتازاً وطبيباً فاضلا . وألف فى علوم السحر والتنجيم ، وكان موسيقاراً . هذا رأى كارادفو فى الفارابى

ويحدثنا[٢] صاعد الأندلسى المتوفى سنة ٤٦٢ ه لاعن إعجابه بمؤلفات الفارابى فيقول: ألف الفارابى كتاباً فى إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها وله كتاب فى أغراض فلسفة أفلاطون وأرسطاطاليس اطلع فيه على أسرار العلوم وثمارها علماً علماً وبين كيفية التدرج من بعضها إلى بعض شيئاً فشيئاً ثم بدأ بفلسفة أفلاطون فعرف بغرضه منها وسمى تآليفه فيها، ثم أتبع ذلك

١ ـ دائرة المعارف الاسلامية المجلد الثانى ص ٥٣ من النسخة الانجليزية
٢ ـ طبقات الأمم لصاعد الأندلسى

بفلسفة أرسطاطاليس فقدم له مقدمة جليلة عرف فيها بتدرجه إلى فلسفته ثم بدأ بوصف أغراضه فى تآليفه المنطقية والطبيعية كتاباً كتاباً. قال صاعد فلا أعلم كتاباً أجدى على طالب الفلسفة منه ؛ قال وللفارابى فى ما وراء الطبيعة وفى العلم المدنى كتابان لا نظير لهما، أحدهما المعروف بالسياسة المدنية ، والثانى المعروف بالسيرة الفاضلة، كتبهما وفق مذهب أرسطاطاليس اليونانى . وقد عقد أستاذ فى الجامعة الأمريكية ببيروت هو الدكتور أمين أسعد — مقارنة فى كتابه (الطب العربى) [١] بين الكندى والفارابى وابن سينا فقال إن أساس الفلسفة العربية مأخوذ من اليونانية بعد تعديله ليوافق تعاليم الإسلام وذوق الشرقيين وقد اعتبر العرب أن تعاليم أرسطاطاليس تمثل الفلسفة اليونانية والدين الإسلامى . وكانت طريقة الكندى فى بحثه انتخابية غايتها التوفيق بين فلسفة أفلاطون وأرسطاطاليس من جهة وبين التعاليم الإسلامية من جهة أخرى. أما الفارابى فقد جمع بين الفلسفة الأفلاطونية والأرسطوطاليسية والتعاليم الصوفية معاً. وفى كتابه (السياسة المدنية) صور المدينة الفاضلة مقتدياً بجمهورية أفلاطون وسياسة أرسطاطاليس . وقد تأثر ابن سينا تأثراً بالغاً بفلسفة الفارابى ووضع قانوناً للفلسفة اليونانية كما وضع قانونا للطب اليونانى وأهداه إلى العالم فى قالب بسيط ومقبول . ونجد هذا الأستاذ يعتبر الفارابى متبعاً لأفلاطون ومتأثراً بخطى أرسطاطاليس فى كتابيهما (الجمهورية) و (السياسة) والحق أن الفارابى قد اتسع خياله فبنى مجتمعاً ودولة كما يريدها على وجه الأرض لا كما تريده الطبيعة، فان الواقع كثيراً ما كان بجانب الدجال المراوغ على جهله وكان ضد العاقل الحكيم. وعليه فإن أحلام الفارابى لن تتحقق فى هذا العالم الدنيوى وإن بقيت شهوة لذيذة تصبو لتحقيقها نفوس الحكماء . وقد ذكره الأستاذ سلامه موسى فى كتابه (أحلام الفلاسفة) واستعرض كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة إلى جنب جمهورية افلاطون. ولا نجرأ أن نرى الفارابى بتقليد أفلاطون فإنه من المبتكرين ولكنه حاكى الفيلسوف اليونانى القديم بطريقة التأليف .

وقد درج القدماء والمتأخرون على اعتبار ابن سينا تلميذاً للفارابى فى حين أن هذا قد توفى عام ٣٣٩ هـ أما ابن سينا فقد مات عام ٤٢٨ هـ وكان عمره إذ ذاك (٥٨) سنة . وعليه فإن ولادته كانت حوالى سنة ٣٧٠ هـ أى أن ابن سينا ولد بعد وفاة الفارابى بواحد وثلاثين (٣١) عاماً فما معنى اعتباره تلميذاً للفارابى ؟ الجواب أنهم اعتبروه تلميذاً له لأنه فهم الفلسفة من كتب الفارابى ، فهذا ابن خلكان يقول فى وفيات الأعيان (إن الفارابى كان أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبته فى فنونه وأن الشيخ الرئيس ابن سينا بكتبه تخرج وبكلامه فى تصانيفه انتفع) [١]

وقد أعترف ابن سينا نفسه بفضل الفارابى عليه فقال فى ترجمة حياته التى أملاها على أحد تلاميذه (الجوزجانى) لما سأله (... حتى أحكمت علم المنطق والطبيعى والرياضى ثم عدت إلى العلم الإلاهى وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة فما كنت أفهم ما فيه والتبس على غرض واضعه حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لى محفوظا وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا أعرف المقصود به وأيست فى نفسى وقلت هذا كتاب لا سبيل إلى فهمه وإذا أنا فى يوم من الأيام حضرت وقت العصر فى الوراقين وبيد دلال مجلد ينادى عليه فعرضه على فرددته رد متبرم معتقد أن لا فائدة فى هذا العلم ، فقال لى اشتر منى هذا فإنه رخيص أبيعكه بثلاثة دراهم وصاحبه محتاج إلى ثمنه. فاشتريته فإذا هو كتاب لأبى نصر الفارابى فى أغراض كتاب ما بعد الطبيعة فرجعت إلى بيتى وأسرعت فى قراءته فانفتح على فى الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه صار لى على ظهر القلب وفرحت بذلك وتصدقت ثانى يوم بشىء كثير على الفقراء شكراً لله تعالى) [٢]

ولكن بعض المؤرخين يسرف فى تحدثه عن هذه العلاقة الفكرية بين الفارابى وابن سينا فهل سمعت بالتهمة الشنعاء التى يفهم منها ضمنا أن ابن سينا سرق أتعاب الفارابى الفكرية وانتحلها وادعاها ؟ قال حاجى خليفة فى كشف الظنون (ج ٣ ص ٩٨ — ٩٩ طبعة ليبتزج) نقلا عن كتاب حاشية المطالع (وقد نقل هذا أيضا الأستاذ مصطفى عبد الرازق فى رسالته عن الفارابى (المعلم الثانى) — نقلا عن كتاب

---

١ — الطب العربى للدكتور أمين أسعد الأستاذ فى جامعة بيروت

١ — وفيات الأعيان لابن خلكان

٢ — طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة الجزء الثانى

بمناسبة انتصاف القرن العشرين:

حياة العلم بين منهجين

للاستاذ حامد حفنى داود الجرجاوى

كان أرسطو الفيلسوف اليونانى أول من انتزع العلوم من الفلسفة . وهو وإن لم يخرجها عن إطارها القديم فقد نزل بها من عالم المثل الذى لا يحس إلى عالم الواقع . وهكذا أخرج أرسطو العلوم من دائرة الوهمية عند أفلاطون إلى دائرة الواقع المحس

رأى أرسطو أن العلوم على اختلافها قائمة على مجموعات من الأفكار وأن كل علم يشبه مجموعة خاصة من الأفكار ، يربط بين أجزائها وجوه شبه معينة . فهدته الأجزاء وأوجه الشبه وأوجه الاختلاف إلى ربط كل مجموعة فى دائرة معينة فنشأت فكرة العلوم المختلفة التى أخذ يسلخها الواحدة تلو الأخرى من سديم الفلسفة الواسع وهيولا الأفكار . فلما تم له ذلك سمى هذه البديهيات التى اصطنعها فى التفرقة بين علم وآخر «المنطق» أو المدخل إلى العلوم

. . .

وقد ظل منطق أرسطو مقياس العلماء فى العصور الوسطى يكشفون بفضله عن مكنون العلوم ويربطون به بين الأفكار المتشابهة . وهم فى ذلك يصدقون ما صدقه المنطق ويكذبون ما كذبه

ولم يحرم رجال الدين فى هذه الآونة من اتخاذه فى البرهنة على قضايا الدين والاستدلال على وحدانية الله ووجوده . وقالوا كل صنعة لا بد لها من صانع . والعالم صنعة ولا بد له من صانع أعظم وهو الله سبحانه وتعالى

. . .

وفى أوائل القرن السابع عشر تبدل وجه الفلسفة مسفراً عن فلسفة حديثة حمل مشعلها فرنسيس بيكون المتوفى سنة (١٦٢٦ م)

أبجد العلوم لحسن صديق خان عن حاشية المطالع) أن مترجمى المأمون أتوا بتراجم مخلوطة لا توافق ترجمة أحدهم ترجمة الآخر فبقيت تلك التراجم هكذا غير محررة بل أشرف أن عفت رسومها إلى زمن الحكيم الفارابى ثم إنه التمس منه ملك زمانه منصور بن نوح السامانى أن يجمع تلك التراجم ويجعل من بينها ترجمة ملخصة محررة مهذبة مطابقة لما عليه الحكمة فأجاب الفارابى وفعل كما أراد وسمى كتابه (التعليم الثانى)

فلذلك لقب (المعلم الثانى) . ثم يذكر حاجى خليفة أن هذا الكتاب ظل مسوداً بخط الفارابى فى خزانة المنصور (أضاف إلى هذه العبارة كتاب أبجد العلوم الفقرة التالية — : إلى زمان السلطان مسعود من أحفاد المنصور وكان غير مخرج إلى البياض إذ الفارابى غير ملتفت إلى جمع تصانيفه ، وكان الغالب عليه السياحة على زى القلندرية . وكانت تلك الخزانة بأصفهان وتسمى (صوان الحكمة) وكان الشيخ أبو على بن سينا وزيراً لمسعود وتقرب إليه بسبب الطب حتى استوزره وسلم إليه خزانة الكتب فأخذ الشيخ الحكمة من هذه الكتب ووجد فيما بينها التعليم الثانى ولخص منه كتاب (الشفاء) ثم إن الخزانة أصابتها آفة فاحترقت تلك الكتب فاتهم أبو على بأنه أخذ من تلك الخزانة الحكمة ومصنفاته ثم أحرقها لئلا تنتشر ويطلع عليه) حتى اطلع عليه ابن سينا ولخص منه كتاب (الشفا) قال صاحب كشف الظنون ويفهم فى كثير من مواضع الشفاء أنه تلخيص للتعليم الثانى [١] انتهى كلام حاجى خليفة . وقد عرضنا عليك الزيادة على الخبر التى وردت فى أبجد العلوم . وعلى كل حال إذا صح ما ذكر ابن خلدون فى مقدمته من أن أرسطو سمى بالمعلم الأول لأنه هذب وجمع ما تفرق من مباحث المنطق ومسائله فأقام بناءه متماسكا وجعله أول العلوم الحكمية وفاتحتها [٢] فإن ما قام به الفارابى من تأليف كتاب يجمع ويهذب ما ترجم قبله يجعله مشبها لأرسطو ولذلك سمى المعلم الثانى .

للكلام بقية

ضياء الدخيلى

١ — كشف الظنون لحاج خليفة وأبجد العلوم وحاشية المطالع ورسالة الأستاذ مصطفى عبد الرازق عن المعلم الثانى

٢ — مقدمة ابن خلدون

وأتباعه . وقد كان بيكون أشدهم ثورة على فلسفة أرسطو ، فالفكرة في نظر بيكون أيا كان نوعها لا تصدق إلا إذا برهنت له عليها واقتنع بصحتها . وجعل « التجربة » شرطا في التصديق (١)

وهكذا ضيق بيكون مجرى العلم بعد أن كان واسعاً لأن الكون مليء بالأفكار التي لم تخضع للتجربة ، ويتعسر إجراء التجربة على أكثرها . وسرعان ما اصطدم المذهب التجريبي الذي استنه بيكون بالأفكار الدينية . وهي أفكار نقلية عقيدية لا يجيز رجال الدين البحث فيها . كما أنها لا تجرب كما تجرب المواد الخام في المعمل . وكانت صدمة عنيفة صدم بها بيكون وصدم بها منهجه التجريبي الذي عجز عن تفسير قضايا الدين وأخفق إخفاقاً تاما في تناولها

إذاً لم يستطع مذهب بيكون أن ينهض للقيام بخدمة العلوم الدينية كما نهض بخدمة العلوم الطبيعية

وعند ذلك انبرى بعض الوسطاء من الفلاسفة ليوفقوا بين منهج أستاذهم بيكون وبين قضايا الدين التي استعصت على التجربة وكان توماس هوبز المتوفى سنة (١٦٧٩) أشدهم حماساً ، فاعتبر أن هناك شعبتين هما « المادة » و « الوحي » وذكر أن القوانين الطبيعية تصح عليها التجربة لأنها (مادة) وأن قضايا الدين وكل ما وصل إلينا بالنقل عن رجال الدين إنما هو (وحي) أو من قبيل الوحي ؛ ويجب تصديقه لأنه وحي ، ولكنه لم يعلل ذلك

وهكذا أخفق وسطاء بيكون كما أخفق بيكون لما في منهجهم من ضعف وضيق حال بينه وبين الاتساع لشمول المسائل الدينية النقلية ، فلم يستطع تفسيرها

وكان هذا الإخفاق سبباً في تشكك الفلاسفة . فمنهم من ترك فلسفة المادة والروح جانباً كجون لوك . ومنهم من أنكر المادة إصالة ليتقي شرها ويصدق بالوحي كما فعل : بركلي وهيوم

وأذكر أني ناقشت أستاذنا بود الأمريكي عام ١٩٤٥ م بمعهد التربية العالي للمعلمين ، في فكرة الأخلاق والتربية الدينية ، وكيف نوفق بين الأهداف الدينية والأهداف الدنيوية ، فكان مما أجاب به قوله : « إن الأخلاق نسبية لا مطلقة ، وإن الفلسفة تتعارض مع الدين . » . وهكذا أبى الفيلسوف التربوي إلا أن يعطيني صورة عن عجز الفلاسفة المعاصرين في مناهجهم

. . .

هذه حيرة ! ! !

فكيف نوفق بين قضايا المادة التي تخضع للتجربة وقضايا الروح التي يعسر علينا إقامة التجربة عليها ؟

فكرت طويلا وقد هداني البحث إلى منهج يستطيع أن يحل مشاكل المادة والروح

وقد قلت : نعم . إن طبيعة «المادة» تخالف طبيعة «الروح» ونستطيع أن نصدق بظاهر « المادة » بإقامة التجربة عليها في المعمل فنعرف ـ مثلا ـ تمدد المعادن بالحرارة وتقلصها بالبرودة

ثم قلت : وحيث أن « الروح » والمسائل الدينية النقلية : كحساب القبر وسؤال منكر ونكير وغيرها لا تدخل تحت دائرة حسنا ولا يمكن وضعها في معملنا ـ أعتبرها صادقة مالم تقم التجربة يوماً ما ـ على إثبات ضدها ، وبمعنى أوضح : إن حساب القبر صحيح ما لم يثبت بالتجربة ضده

وهكذا نستغني عن إقامة التجربة على الأمور الروحية بقولنا للمنكر أو المكابر : أقم التجربة على ضدها أو أثبت ضدها

وهكذا تكون تجربة الأمور الروحية صحيحة بطريق عكسي يتفق مع طبيعتها . وحيث أن المنكرين للأمور الروحية والمسائل العقلية يعجزون عن إقامة التجربة على ضدها ، فإني أعتبر إنكارهم لها من قبيل إنكار الفروض العلمية . ومن أنكر الفروض العلمية فقد أنكر العلم كله . لأن الأصول الأولى للتجربة أيا كان نوعها هو الفرض الذي يسبق التجربة

. . .

هذا هو «المنهج العلمي الحديث» الذي وصفت ، واستطعت أن أوفق فيه بين قوانين « المادة » وقوانين « الوحي » حيث

---

١ — ومن هنا سمي مذهب بيكون بالمذهب التجريبي واعتبر رئيس المدرسة التجريبية .

أخفق الفلاسفة فى التوفيق بينهما .

ولعل هذا المنهج الذى رأيت أنفع لحياة العلم ، لأنه لا يجعل من الدين والفلسفة عدوين يحارب أحدهما الآخر . وشعاره : « يجب التصديق بالقضايا العلمية المروية عن أسلافنا ما لم يقم الدليل المادى على بطلانها — سواء بالنص العارض ، أو بتمحيص عدم تقبل العقل المنصف لها . » أما منهج بيكون فقضلا عن عجزه وعجز أتباعه عن التوفيق بين قضايا المادة والوحى ، يضيق دائرة العلم حيث يقول : « يجب إبطال كل شئ ما لم يقم الدليل التجريبى على صحة المبطل . » وهو قانون خطأ لأن التجربة غير ميسورة فى كل وقت

وأنت ترى بعد هذا . أن « المنهج العلمى الحديث » الذى رأيته يوسع دائرة العلم ويرفع الشك عن الإنسان ، بينما ترى منهج بيكون يضيق دائرة العلم ويقف بك موقف الشاك المرتاب . وشتان ما بين المنهجين . فالفرق بينهما — كما ترى — كالفرق بين من يبنى ومن يهدم

حامد حفنى داود الجرجاوى
دبلوم معهد الدراسات العليا
وأستاذ التربية بمدرسة المعلمات الراقية بباب اللوق .

الغزل عند الصوفية

للأستاذ محمد منصور خضر

للكلام الموزون اللفى سيطرة كبيرة على النفوس ، تنفعل له وتترنح تحت تأثيره وتطرب له ، يحس بذلك كل ذى حس مرهف وذوق سليم ونفس فياضة بالعواطف ، فتتردد فى جنبات الفكر روح اللفظ والمعنى ، فتنبعث النفس المتثاقلة ويبسم الوجه العبوس ، وتتفاعل موجات الفكر صاخبة مدوية ، فيتولد عن ذلك إحساس رقيق يهب الصفاء ونقاء السريرة . ويذهب بالنفس إلى عالمها السماوى الأعلى

نعم يشعر بذلك كل من سمع لفظا دقيقا رقيقا ومعنى ساميا ، ولذا نحا أدباء التصوف تلك الناحية وهى ناحية القلب وما يحسه فى أداء العبارات من رضا وشوق وصفاء ونور ! ولقد ضرب شعراء التصوف على هذا الوتر الحساس فأقبل الناس عليهم يشبعون رغبتهم ، ويحيون نفوسهم ، وقد أماتتها أمانى الحياة وآمالها ، فتراهم ملكوا زمام القيادة ، وبهرت منزلتهم السامية عامة الناس وخاصتهم ، وتألفت منزلتهم فى حب الله ورسوله من أقصر طريق ؛ حتى أصبحوا منارات هدى يهتدى بهم الضال والحائر ، إذ أن قصائدهم الفريدة الفائقة تفصح عن تبحر فى اللغة وسعة فى الملكة ، وإيضاح تام عما يجول فى الخاطر ، وإحاطة تامة فى معارج الطريق

ولشعراء التصوف طابع خاص يمتازون به فى منظومهم ، فهم زيادة عن ولعهم الشديد بالغزل الذى قلما يحيدون عنه يستعملون الرمز والتورية كثيراً ، فهم بحق ينظمون نظما دقيقا فيه عاطفة رقيقة وإن خرجوا على الأساليب المألوفة ففيه القوة والحرارة والإيمان !

ومنظوم المتصوفة فى مجموعه يرمى إلى أغراض علوية فى أساليب غزلية ليسهل قبوله ، فتنفعل له النفوس والمشاعر ، ولذا نراهم يقدمون لنا ألوانا من أذواقهم على تفاوت درجاتهم فى الطريق ، فنهم سافر يظهر على لسانه بعض مايجده من وجد يريد أن يبوح به فيأتى بألفاظ يوهم ظاهرها معنى غير مراد ، وهذا من الأسباب القوية التى ساعدت بعض الفقهاء على الوقوف ضدهم ، ومنهم محجب أراح نفسه وغيره ، وهذا الصنف قليل عندهم .

وأثناء عرضنا لمنظوم هؤلاء الصوفية تبدو لنا ظواهر طيبة من صادق الألفاظ والمعانى ، وترك المغالاة فى الوصف وحبكة التعبير وقوته وسهولته معاً ؛ حتى ليحار الباحث فى قوة هذا الشعر وحرارته مما يدل دلالة صادقة على تفجره من قلوب هائمة فى بحار المعانى وأنهار المبانى غير مقيدة بقيود الشعر الهزيل الكاذب الذى نراه فى العصور المختلفة . وما أحسن قول محيى الدين بن عربى :

إذا حل ذكركم خاطرى ... فرشت خدودى مكان التراب
وأقعد ذلا على بابكم ... قعود الأسارى لضرب الرقاب .

فهل تجد أيها القارئ العزيز أسهل وأصدق من هذا النظم الخارج من القلب ليعمل عمله فى القلوب الميسرة لقبول الأنوار الإلهية ؟

ولشعراء التصوف ذوق خاص ، فهم يجعلون نصب أعينهم موافقة أشعارهم لروح الشرع الحكيم . ومن دقتهم فى هذا السبيل إنكارهم الخروج عن المألوف شرعا وذوقا مثل قول القائل .

عازجت الحقائق بالمعانى فصرنا واحداً روحاً ومعنى !

وأنشد ابن عربى الشاعر :

يا من يرانى ولا أراه كم ذا أراه ولا يرانى

فقال له بعض إخوانه : كيف تقول إنه لا يراك وأنت تعلم أنه يراك ؟ فقال مرتجلا :

يا من يراني مجرما ولا أراه آخذا
كم ذا أراه منعما ولا يرانى لائذا

ويدخل فى إنكارهم تحريمهم سماع قول المتنبى :

لوكان ذوالقرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شموسا
أو كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جازفيه موسى
أو كان للنيران ضوء جبينه عبدت فصار العالمون مجوسا

وقوله أيضاً :

أنا فى أمة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود

أو قول ابن هانئ الأندلسى :

ماشئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

وقد حكى أن سبب توبة أبى العتاهية عن الشعر أنه أنشد مرة :

الله بينى وبين مولانى أبدت لى الصد والملالات

فقيل له فى المنام أما وجدت من تجمل بينك وبين امرأة فى الحرام إلا الله تعالى ؟ فاستيقظ وتاب فلم ينظم بعد ذلك بيتا إلا فى الزهد والترغيب فى الطاعات !

وفى رأينا أن القصيدة التى ينظمها الصوفى تعتبر كوحدة تامة آخذ بعضها بزمام بعض يكمل آخرها أولها ، وربما تكلم فى نظمه على لسان الحق سبحانه وتعالى ، وربما تكلم على لسان رسول الله، فيظن بعض الباحثين أن ذلك على لسانه هو فيبادر إلى الإنكار. وقد لقى شعراء التصوف فى كل عصر عنتا ومشقة فى سبيل تأويل أشعارهم على وضوحها لمن درس حياتهم بإمعان وأحكم التعبير عنها ، فطالما رموا بالكفر والزندقة ، وما يتبع ذلك من المذاهب الباطلة كالاتحاد والحلول ، وقد دافعنا عنهم دفاعاً حارا وكان بحمد الله النصر حليفنا .

ومن أنفس القصائد الغزلية تائية عمر بن الفارض رضى الله عنه وهى تزيد على سبعمائة بيت ، مطلعها :

سقتنى حميا الحب راحة مقلتى وكأس محيامن عن الحسن جلت
فأوهمت صحبى أن شرب شرابهم به سر سرى فى انتشائى بنظرة
وبالحدق استغنيت عن قدحى ومن شمائلها لا من شمائل نشوتى

وقصيدة السيد إبراهيم الدسوقى صاحب المقام المشهور :

تجلى لى المحبوب فى كل وجهة فشاهدته فى كل معنى وصورة
وخاطبنى منى بكشف سرائرى فقال أتدرى من أنا ؟ قلت منيتى
خبأت له فى جنة القلب منزلا ترفع عن دعد وهند وعلوة

وقصيدة الشاعر الصوفى عبد الغنى النابلسى :

أطوف على ذاتى بكاسات جامتى وأستمع الألحان فى حان حضرتى
وأنفخ مزمارى وأصغى لصوته وأضرب دفى حين ترقص قينتى
وأنشق من روضى نسيم حقائقى ويسرح طرفى فى حدائق نشأتى

وقصيدة « البردة » للامام البوصيرى وقد بدأها بالغزل :

أمن تذكر جيران بذى سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق فى الظلماء من إضم
فما لعينيك إن قلت اكففا همتا وما لقلبك إن قلت استفق يهم !

وقصيدة أمير الشعراء شوقى « نهج البردة » وقد بدأها بالغزل :

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم
رمى القضاء بعينى جؤذر أسدا ياساكن القاع أدرك ساكن الأجم
لما رنا حدثتنى النفس قائلة ياويح جنبك بالسهم المصيب رمي !

ويدخل فى هذا السبيل قصائد أخرى قصيرة نقتطف من أزاهير روضها بعض أبيات تدل على ما لها من آثار بليغة فى طريق القوم ، فطالما يستعملونها إنشاداً فى حلقات الذكر ، إذ أنها تؤثر فى القلوب تأثيراً قويا يجعل الروح تحن إلى عالمها السماوى وتقتفى آثار من مضى من الأولياء والصالحين !

ومن هذه القصائد :

نسيم الوصل هب على الندامى فأسكرهم وما شربوا مداما
ومالت منهم الأعناق شوقا لأن قلوبهم ملئت غراما
ولما شاهدوا الساقى تجلى وأيقظ فى الدجى من كان ناما

وقصيدة الرفاعى رضى الله عنه :

إذا جن ليلى هام قلبى بذكركم أنوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقى سحاب يمطر الهم والأسى وتحتى بحار بالأسى تتدفق

وقول القائل :

بجانب مرونة تنشر

عصر الحـــرية

للأستاذ ابراهيم البطراوى

التحرر نزعة فطرية تلازم الإنسان والحيوان فى مختلف أطوار حياته بدرجات تتفاوت قوة وضعفاً تبعاً لتفاوت مداركه ونوع سلوكه بالنسبة للبيئة التى يعيش فيها . تولد هذه النزعة مع الطفل وتبدأ فى التعبير عن وجودها بالقدر الذى تستطيعه أعضاؤه من التلبية : فهو حين يمتنع عن ثدى أمه لحظات ألمه أو عدم انسجامه رغم جوعه ، وهو حين يركل الغطاء برجله ويحاول التخلص من ملابسه ومن كل حاجز يكنه أو يحد من حركته ونشاطه ، فإنما يستجيب بهذا السلوك لنزعة الحرية فيه . والحيوان

— (الرسالة) للكاتب مؤلف نشر بالاسبانية بهذا العنوان

حين يفلت من القفص أو الربقة وينطلق مسرعاً فى طيرانه أو جريه ، والوحش حين يفترس مريضه إنما يستجيب بهذا السلوك لنزعة الحرية فيه كذلك

تبلغ هذه النزعة أشدها فى أوقات نضوج القوى الجسمية والعقلية بالنسبة للأفراد ، وفى أوقات نضوج العمران والمدنية بالنسبة للأمم ؛ ولذا نجد دعاة الحرية وممتنقيها والمتحمسين لها بين الشباب والكهول أكثر ما يكونون ، ونجد أن هذه النزعة فى الأمم الراقية المتمدينة أظهر ما تكون أيضاً

ولكن شيئاً واحداً قد فات دعاة الحرية وممتنقيها على مر العصور منذ طفولة التاريخ إلى يومنا هذا وأقصد به الفهم الصحيح لمعنى الحرية ، ولهذا كان وجودهم فى كل عهد وجدوا فيه مظهراً من مظاهر التفكك والفوضى ، ومقدمة لنهاية عهد وبداية عهد جديد

الحرية حريتان: حرية طبيعية وحرية ترفية ؛ فالحرية الطبيعية هى تلك التى تدفع الإنسان دفعاً قويا لالتزام كل سلوك من شأنه أن يحفظ لذلك الإنسان ذاته ودينه وتقاليده وعاداته وكل متعلقاته من تحكم الأجنبى واستعباده ؛ فهى نوع من الحفاظ أو الدفاع عن الذات لا أكثر

أما الحرية الترفية فعلى النقيض من ذلك ، إذ هى مغالاة فى سلوك المحافظة على الذات وانحراف بهذا السلوك بقصد النيل من الغير واستباحة ذاته وانتهاك حرمته والتحكم فى تقاليده وعاداته ، فهى نوع من الهجوم واسترقاق الآخرين كما يبدو ، أو هى نوع من ترف الأقوياء بعبارة أخرى

والناس على اختلاف الأزمنة والأمكنة — يخلطون بين هذين النوعين من الحرية خلطاً عجيباً يدلنا على جهل تام بمعنى الحرية ، ولهذا كانت هذه (الحرية) مرادفة للفوضى والإباحية والثورات والانقلابات على نحو ما قدمنا . ولم تجد الحرية الطبيعية سبيلها للظهور إلا نادراً وبين قوم أقوياء سرعان ما تعصف برؤوسهم حميا القوة فتنزو بهم نحو الحرية الترفية ، ومن هنا — كما يغلب الظن — جاء حكم ابن خلدون يوم قرر فى مقدمة تاريخه أن ازدهار المدنية وزيادة الترف فى أمة من الأمم أو عصر من العصور — إيذان بانهيار تلك الأمة ونهاية ذلك العصر . ومن

سلبت ليلى منى العقلا
قلت ياليلى ارحمى القتلا

ولا يفوتنا أن ننوه بأن الغزل الرقيق سممه حملت الرسول عليه السلام من الشاعر كعب بن زهير بعد أن أهدر دمه لشدة هجائه المسلمين فقد بدأ كعب قصيدته المعروفة بهذا الغزل اللطيف :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طول

هذا وللغزل المنيف سيطرة كبيرة على النفس يسمو بها فى سماء المعانى بما يحويه من نصائح غالية وتوجيهات سديدة فى قالب من الألفاظ العذبة القوية

على أن استجابة القلوب للغزل شئ قديم كقدم دواعيه ، وليس من سبيل إلى إنكار آثاره الأدبية فى حياتنا بل فى معالجة القلوب المريضة والأفكار البعيدة عن طريق الحق والحياة .

شطانوف محمد منصور خضر

هنا أيضاً كانت مصلحة المغلوبين فى الاستقامة الخلقية والتمسك بما لديهم من تقاليد ونظم، وتقديس ما ورثوه من دين ومثل. وبعبارة أخرى فى العمل على تحقيق الحرية الطبيعية . ومصلحة الغالبين تجئ على العكس من ذلك بالنسبة للمغلوبين وحدهم ، أما بالنسبة للغالبين أنفسهم فلابد لهم من تقديس نظمهم وتقاليدهم وأديانهم إذا أرادوا لذاتهم بقاء ، ولهذا رأينا ساسة الدول الديمقراطية الكبرى — على اختلاف نزعاتهم — فى هذه الأيام يكررون نداءاتهم بوجوب المحافظة على الفضيلة والتمسك بالأديان حتى تتحقق لهم بذلك القوة التى تتمكن من مواجهة الشيوعية والصمود أمام طغيانها

وفى هذه الأيام أيضاً نجد الصهيونيين يبذرون بذور الفساد والإباحة والإلحاد باسم الحرية فى مختلف البقاع حتى يكتسبوا من ضعف الناس قوة يعيشون بها ومدداً يحقق لهم أمانيهم فى أرض الميعاد ؛ وما هذه الأرض إلا العالم أجمع كما يفهم من « تلمودهم » المقدس . ونظرة واحدة إلى تحكمهم فى سياسة دولة كأمريكا، وإلى نوع حياة أبناء صهيون وبناتهم فيها ، وكيف يغرون الأمريكان ويردونهم إلى هذه الحياة الماجنة الداعرة ثم يوجهونهم بعد ذلك كيف يشاؤون إلى ما يشاؤون ، ونظرة أخرى إلى الأدوار المماثلة التى يقوم بها بناتهم وأبناؤهم فى فرنسا وفى إيطاليا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا بل وفى إنجلترا نفسها وغيرها من الدول ترينا خطر سياستهم على العالم أجمع ومقدار أثرها السيئ فى توجيه السياسة العالمية وفى التأثير على كثير من النفوس

وقد اتخذ هؤلاء الصهاينة لأنفسهم فى الأيام الأخيرة اسما تنكريا آخر ظهروا به فى عالم الفكر والفلسفة وصارت لهم دولة فى هذا العالم عرفت باسم (الوجودية) ونعنى بها الوجودية السارترية فى فرنسا تلك التى تعد أخطر مذهب صهيونى ظهر إلى الوجود حتى الآن، وأية خطورة على المجتمع الإنسانى بل وأى جنون أدهى من أن يفسر ذلك الزعيم الفرنسى الوجودية بأنها (الحرية) ويفسر الحرية فى (وجوده وعدمه) ، وفى مواضع عدة من مؤلفاته بأنها « التلبية المطلقة التى يتلاشى عندها كل شعور بالاثم »

كل شخص يصادفك فى هذه الأيام لا تجد له حديثا سوى (الحرية) وضرورة الحرب من أجل هذه الحرية سواء أكان هذا الشخص موظفا أم تاجرا أم صانعا أم صحفيا أم مزارعا أم سياسيا أم رجل دين ؛ لأن لكل كائن حى رغباته وأطماعه وحاجاته التى لا تنقضى كما يقول الشاعر العربى القديم ، ولكل فهمه الخاص لهذه الحرية ، ولكل شرعته الخاصة فى تحقيقها . حتى المرأة النوكاء بلغ بها هوس طنطنة التحرر المعاصرة حدا أوهمها أن الأمومة والتدبير وشؤون الزوجية والبيت كلها قيود وعبودية فرضتها عليها قوة الرجال، وأن الحرية فى أن تنبذ هذه القيود ليحملها الرجل طوعا أو كرها كى تتزيا بزيه وتتفرغ هى للأحداث الدولية والشؤون العالمية ووضع القانون الذى به تلى القضاء والإفتاء ، وتسوس الرعية وتمل ما تشاء ...

كل شيء يفعل باسم الحرية فى هذا العصر : فاللص يسرق باسم الحرية ، والمجور والدعارة يروج لهما باسم الحرية ، والتاجر يطفف ويغش باسم الحرية ، والموظف يدلس ويهمل ويضرب باسم الحرية ، والطالب يخرب معهده ويتسكع فى الطرقات باسم الحرية، والفتاة تغشى الندوات وتتخذ الأخدان وتفعل المجون باسم الحرية، ورجل الدين يسكت عن المنكر أو يلحد هو فى الدين باسم الحرية، والصحفى يستبيح الحرمات ويهدم التقاليد باسم الحرية ، وهكذا كل محرم يؤتى باسم الحرية ، والأمر فى حقيقته لا يعدو كونه انحلالا واستباحة وهدما، وفى كلمة واحدة لا يعدو كونه (انتحارا)

وإنك حين تدقق النظر فى هذه الحرية الترفية تجد لها جانبين فى غاية الخطورة : أحدهما سلبى يقوم بصنائع الاستعمار فى الأمم التى يراد القضاء عليها بترويج تلك المفاسد وتزييف هذه الأسماء مما يفت فى عضد هذه الأمم ويقوض أركان تقاليدها ومجتمعاتها ، والآخر إيجابى فيه ينقض المستعمر على هذه الأمم بحجة تقويمها وإصلاحها أو الذود عن الهيئة الحاكمة فيها . وما إلى ذلك من مبررات لا حصر لها، ولكل منهم عذره أو كذبه الجميل المستساغ. فالإنجليز يحتلون مصر دفاعا عن الخديو ، ويظلون فى الهند حماية للطوائف ، ويستأثرون بالسودان رحمة بأهله ، ويستعبدون مع الفرنسيس أفريقيا لنشر العلم والمدنية ، والأمريكان يقحمون أنفسهم فى كوريا دفاعا عن جنوبها ، والروس يحتلون شرق أوربا ويحاولون احتلال العالم كله لنشر الحضارة والسلام فى ربوعه . . وهكذا كل أمة تجهد أن تسود العالم وتتحكم فى أرزاقه وأنفاسه

قتيبة بن مسلم

للاستاذ حمدى الحسينى

دهم شبيب بن يزيد الكوفة فهب الحجاج لدفعه . وعقد مجلساً حربيا من قواد الجيش، أبطال الحرب وأركان الإدارة، وأخذ يشاورهم فيما يجب أن يعمل لدفع جيوش شبيب الجتاحة للكوفة والمهددة للسلطة الأموية فى العراق وإران بأشد الأخطار وأفتك الأضرار، فقام من بين الصفوف رجل عليه جلال ووقار وفيه صيد وخيلاء ، أخذ كرسيه ووضعه أمام الحجاج وقال له : إن الأمير والله ما راقب الله ، ولا حفظ أمير المؤمنين ولا نصح الرعية . فغضب الحجاج وقال من المتكلم ؟ فقام قتيبة بن مسلم وأعاد كلامه فقال الحجاج فما الرأى؟ قال قتيبة: الرأى أن تخرج أنت إلى شبيب فتقاتل حتى يرتد . قال الحجاج فارتد لى معسكراً واغد إلى . ولما أصبح القوم غدوا إلى الحجاج فجعل رسوله يخرج ساعة بعد ساعة يسأل عن قتيبة وقتيبة لما يأت بعد .

جاء قتيبة عليه قباء هروى أصفر وعمامة خز أحمر متقلداً سيفاً عريضاً ففتح له الباب فدخل بغير استئذان، ولبث عند الحجاج طويلا ثم خرج وأخرج معه لواء منشوراً . وركب فرساً أغر محجلا كميتاً . وركب الحجاج على بغلته وسار الاثنان وسار الناس وراءهما إلى السبخة حيث يعسكر شبيب. وهناك دارت المعركة الحاسمة فانهزمت الخوارج ورجع الحجاج وقتيبة ومن معهما من أبطال الدفاع ظافرين منتصرين .

وخشى الحجاج على سلطانه من يزيد بن المهلب والى خراسان

ما استطاعت إلى ذلك سبيلا باسم الحرية ولا شئ غير الحرية ،حتى تلك الشرذمة المستخذية من اليهود تحاول ذلك وتعمل له فى كل بقعة توجد فيها بشتى الوسائل والأساليب الملتوية فى السر والعلن باسم الحرية أيضا ، ولكل منهم عذره أو كذبه الجيل المستساغ لأنه لا يقدم على شئ إلا (بتضحية) من أجل السلام والعرفان والحرية ! !

لقد استعبدت الأمم الضعيفة لأنها لم تفهم من الحرية إلا أضدادها التى أراد لها السادة من خيانة وفجور وفساد وفوضى والتى أدت بهم إلى هذه الدركات الدنيئة من العبودية ، فهل تراها تستفيد من الماضى وتعمل على تحقيق نصيبها من الحرية الطبيعية الصحيحة التى يحرص عليها السادة المستعمرون كل الحرص ويقيمونها فيما بينهم ؟ أم تراها تؤثر دعة الخنوع والفقر والعبودية على مرارة الكفاح الصادق من أجل الخلاص والحرية عملا بالخرافة القائلة « إن للأقدار وحدها أن تجعل من تشاء سيدا وتجعل من تشاء مسودا؟

والآن يلوح أن العصر الحديث بمدنياته وعلومه وفلسفاته لم يرق بالإنسانية درجة واحدة نحو الكمال المنشود والفهم الصحيح لحقيقة الحياة ، فالإنسان فى كل زمان ومكان لم تستطع المدنيات المتعاقبة ولا المعارف المتعددة أن تهذب من طباعه أو غرائزه شيئا وإنما زاده هذا الشعاع الضئيل من سراب المعرفة تيها وعجبا وأنانية ووحشية ورجع به القهقرى نحو عصور الهمجية الأولى ، فهو لا يكاد يفرغ من ظلم إلا ليبدأ ظلمات ، وهو لا يكاد يشبع شهوة إلا لتصرخ فيه شهوات ، وهو لا يكاد يستجيب لأنانية حتى تستبد به أطماع وأحقاد وأنانيات تؤزه أزا نحو حرب تفضى إلى حروب تفضى به إلى فناء

ترى هل هنالك من عناية تنقذ هذا العصر من شره وتشعر الإنسان بقيمته فيدرك أنه روح وقلب قبل أن يكون جسدا وشهوة ، ويعرف أنه خلق لغاية وحياة أعقل من جهالة الشهوات وأسمى من ظلام الفناء ؟ أم تراه عصرا قد مات ضميره وفقد إنسانيته وتخلى عن دينه فركبه الهوى ومكن من أزمة قياده الشهوات فهو — فى جهله وعماه — لا يرى الحرية فى غير شهوته ولا يرى العالم قد خلق إلا لتلبية هذه الشهوة أو(الحرية) كما يشاء أن يضلل نفسه النعامية بتسميتها ، وليس يرى هذا المسكين شيئا يعادل إخفاقه غير الانتحار والفناء . لهذا نجد قادته يصيح كل منهم هذه الأيام بملء فيه ـ وبين يديه ذرة وإيدروجينة قائلا « أنا ! أنا ! أنا ! إما أن أكون مالك كل شىء ، وسيد كل شئ ورب كل شئ ،وإلا فويل منى لكل شئ » ! ولا يستحى هؤلاء (العقلاء) أن التاريخ سيؤنبهم يوما فيقول فيهم « ياله من عصر مجنون، عصر الشهوة ذلك الذى كان يعيشه آخرون !»

ابراهيم البطراوى

ومن آل المهلب الكرماء الشجعان فعزم على التخلص منهم وانقاء ما قد يحدث من عرامهم . ولكن من يدخل خراسان بعد يزيد ابن المهلب وخراسان عرين يزيد ومسبعة آل المهلب ؟

ليس لهذا الأمر الخطير إلا قتيبة، فقتيبة أسد وفى استطاعته أن يدخل عرين الأسود

وعلى هذا أقدم الحجاج على عزل يزيد بن المهلب عن خراسان فعزله وولى مكانه قتيبة بن مسلم ؛ فطار قتيبة إلى خراسان فوجد المفضل بن المهلب (الوالى الموقت) يعرض الجند لغزوة يريد أن يغزوها فأزاحه عن موقفه وحل مكانه واستعرض الجند وخطب فيهم حاثا على الجهاد . ثم رتب شؤون الإدارة والحكم واستعرض الجند فى السلاح وطار بهم إلى غزو أعدائه وفتح بلادهم للاسلام والمسلمين فكان التوفيق يحفه فى روحانه وغدوانه، والنصر يرافقه فى وثباته وغزواته

ولنتتبع الآن خطوات هذا الفاتح العربى العظيم الواسعة . فى الأقطار الشرقية الشاسعة ، لنرى خطوات ثابتة متزنة فى تسيير الجيوش وتوجيهها ، ووثبات قوية سريعة فى ساحات الكر والإقدام، وغزوات موفقة ظافرة فى ميادين الغزو والفتح مما يذكرنا بخطوات الإسكندر ووثبات خالد وغزوات نابليون

تحرك قتيبة لنشر دين الله فى الأرض رحمة للعالمين ، وكانت هيبته قد سبقته إلى قلوب أعدائه فخرجت إليه ملوك الترك والصغد يسلمون إليه مفاتيح بلادهم ومقاليد أمورهم، تارة يصالحهم على فدية . ويقفون فى وجهه يقاومون تارة أخرى فيدخل بلادهم فى حرب . عشر سنين قضاها قتيبة غازياً فاتحاً لم تقف له حركة ولم تبرد له همة ولم تطفأ لحربه نار

لم يعجب الحجاج من قتيبة خطة المصالحة التى اتبعها فى بعض الممالك فلامه وعنفه لأنه ليس القصد من الفتح أخذ الفدية وتكديس المال والمتاع بل الغرض من الفتح نشر الدين وإنقاذ المشركين من عماية الضلال . فأخذ قتيبة يستعد لفتح بخارى رغم ما يكلف فتحها من تضحية فاستنصرت بمن حولها من ملوك الترك والصغد فتأهبوا لنصرتها ولكن عين قتيبة اليقظة لمحت إباء بخارى وامتناعها ونصرة جيرانها لها فوثب وثبته القوية السريعة فوصل قبل أن يصل أنصارها فألقى عليها الحصار وكانت بين المسلمين وأهل بخارى وأنصارهم معركة حامية الوطيس كان موقف المسلمين فيها غير موفق فى أول الأمر فانتفض قتيبة فى جيشه انتفاضة الأسد وأخذ يصب مافى نفسه من جرأة وشجاعة وثبات فى نفوس أصحابه حتى ذكت الحماسة فى الصدور فاندفع المسلمون على خصومهم اندفاع السيل الجارف غير آبهين بالأخطار المدمرة التى تقف أمامهم ، فلاح لهم النصر بغرته الجميلة فدخلوا بخارى ظافرين غانمين

اشتدت شوكة الجيش الإسلامى بهذا النصر المبين وازداد شعور قتيبة بقوته ازدياداً عظيما وأحس بأن هذه الليونة التى يظهرها له هؤلاء الملوك الذين صالحهم ويصالحهم على الفدية إنما هى فرص يغتنمونها ليتكتلوا ضده وينتقضوا عليه . ولهذا فقد سلك سلوكاً آخر فأخذ يغزو ويفتح ولا يصالح إلا إذا قضت الضرورة الحربية بالصلح . ولذا رأيناه يلتفت إلى هؤلاء الصالحين الذين انتقضوا عليه فى غيابه ورموه فى ظهره فيكتسح بلادهم ويقتل ملوكهم جزاء خيانتهم وغدرهم ويثبت سلطانه فى تلك البلاد تثبيتاً لا مجال فيه للخيانة والغدر

وقف قتيبة أمام سمرقند يناجى نفسه قائلا : يمشش فيك الشيطان؛ أما والله لئن أصبحت لأحاولن من أهلك أقصى غاية . سمع هذا القول أحد خاصة قتيبة فقال لبعض أصحابه كم من نفس أبية ستموت غداً منا ومنهم ! أجل لقد أصبح قتيبة والحمد لله سليما معافى، ولا بد من البر باليمين فأصدر أمره للجيش بالتقدم نحو سمرقند فسار الجيش الظافر المنصور نحو المدينة والله يعلم كم من النفوس الأبية قد ذهبت على أبواب سمرقند، ولكن على كل حال فقد فتحت سمرقند فدخلها قتيبة والسيف فى يده يقطر دماً فوقف على جبل سمرقند ونظر إلى الناس متفرقين فى المروج فتمثل قول طرفة : —

وأرتع أقوام ولولا محلنا بمخشية ردوا الجمال فقوضوا

ارتحل قتيبة عن سمرقند بعد أن استخلف عليها أخاه عبد الله وترك له جنداً كثيفاً وعتاداً حربيا وقال له : لا تدعن مشركاً يدخل باباً من أبواب سمرقند إلا مختوم اليد، وإن جفت الطينة قبل أن يخرج فاقتله. وإن وجدت معه سلاحاً فاقتله. وإن أغلقت أبواب المدينة فوجدت فيها أحداً منهم فاقتله

غزا قتيبة كل هذه المغازي وفتح كل هذه الفتوح فلم تقف به همته عند هذا الحد بل دفعه الإيمان بالله والرغبة في نشر دين الله في أوسع بقعة من الأرض ما دام ذلك في إمكانه . إذاً لا بد لقتيبة من فتح كشغر تمهيداً لفتح الصين ، ففتح كشغر ليتخذها قاعدة حربية له في غزوته للصين . ولكنه فوجئ بموت الوليد ابن عبد الملك بعد موت الحجاج . والحجاج والوليد هما اللذان يثق بهما قتيبة ويعتمد عليهما ويستمد قوته منهما . إذاً فقد تغير الموقف وأصبح قتيبة يخشى سليمان بن عبد الملك ، لأن قتيبة كان قد سعى في بيعة عبد العزيز بن الوليد مع الحجاج، ولأن سليمان كان صديقاً ليزيد بن المهلب خصم قتيبة الألد . وما دام قتيبة يخشى سليمان فعليه أن يحتاط للأمر فينقل أهله وعياله إلى سمرقند ليكونوا بالقرب منه، حتى إذا بدا من سليمان ما يريب اعتصم دونه بهذه البلاد التي فتحها بسيفه . ولكن مع كل هذا لا بد من غزو الصين ما دام قد احتل كشغر وأصبح من الصين على الحدود

علم ملك الصين بعزم قتيبة على فتح بلاده فلم ير أمامه إلا المطاولة والمصابرة بالمفاوضة والمخابرة على أمل أن يكون في حادث الدهر ما يغني عن القتال . فأرسل ملك الصين إلى قتيبة أن ابعث إلينا رجلا من أشراف من معكم يخبرنا عنكم ونسائله عن دينكم. فانتخب قتيبة من عسكره اثني عشر رجلا لهم جمال وأجسام وألسنة وبأس، وجهز لهم أحسن جهاز وقال لهم إذا دخلتم عليه فأعلموه أنني حلفت أن لا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبي خراجهم . وصل الوفد إلى الصين فدعاهم الملك فلبوا الدعوة ودخلوا عليه وهم في ثياب بيض تحتها الغلائل تنبعث من أردانهم رائحة الطيب فلم يكلمهم الملك، فنهضوا، فقال لمن حضر كيف رأيتم هؤلاء. قالوا رأينا قوماً ما هم إلا نساء . ولما كان الغد أرسل إليهم فلبسوا الوشي وعمائم الخز. فلما دخلوا قيل لهم ارجعوا، فقال لأصحابه كيف رأيتم؟ قالوا هذه الهيئة أشبه بهيئة الرجال. فلما كان اليوم الثالث أرسل إليهم فشدوا عليهم سلاحهم ولبسوا البيض والمغافر وتقلدوا السيوف وأخذوا الرماح وتنكبوا القسي وركبوا خيولهم وغدوا، فنظر إليهم ملك الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة، فلما دنوا ركزوا رماحهم ثم أقبلوا مشمرين فقيل لهم ارجعوا ، فركبوا خيولهم واختلجوا رماحهم ثم دفعوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها . فقال الملك لأصحابه كيف ترون؟ قالوا ما رأينا مثل هؤلاء قط . فلما أمسى الملك طلب زعيم الوفد فدخل عليه فقال له الملك . لم صنعتم ما صنعتم في الأيام الثلاثة؟ فقال له أما زينا في اليوم الأول فلباسنا في أهالينا، وأما اليوم الثاني فزينا إذا أتينا أمراءنا، وأما اليوم الثالث فزينا لعدونا. قال ما أحسن ما دبرتم؟ انصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له ينصرف. إني عرفت حرصه وقلة أصحابه وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه. قال له: كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون؟ وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا وراءه قادراً عليها وغزاك؟ وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالا إذا حضرت فأكرمها القتل . قال فما الذي يرضي صاحبك؟ قال إنه حلف أن لا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويعطى الجزية . قال فإنا نخرجه من يمينه ، نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطأها ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ونبعث إليه بجزية يرضاها. دعا الملك بصحاف من ذهب فيها تراب وبعث بحرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ثم أجاز الوفد وسرحه إلى قتيبة فقبل قتيبة الجزية وختم الغلمة وردهم ووطئ التراب

رجع قتيبة إلى خراسان وكان سليمان قد ولي الخلافة فما لبث سليمان حتى عزل قتيبة عدوه وعدو صديقه يزيد بن المهلب، ولكن هيهات أن يذعن قتيبة لأمر سليمان دون أن تشرق هذه الأقطار بالقنا والصوارم والدماء والأشلاء تخلع قتيبة سليمان وأراد أن يملأها عليه خيلا ورجالا؛ ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه فقد حدثت فتنة عمياء صماء ذهب قتيبة وأهل بيته ضحيتها . قال رجل من عجم خراسان: يامعشر العرب قتلتم قتيبة؛ والله لو كان قتيبة منا فمات فينا جعلناه في تابوت فكنا نستفتح به إذا غزونا . والله ما صنع أحد قط بخراسان ماصنع قتيبة. وقال آخر: يامعشر العرب قتلتم قتيبة ويزيد بن المهلب وهما سيدا العرب. فقال له أحدهم أيهما كان أعظم عندكم وأهيب؟ قال : - لو كان قتيبة بالمغرب بأقصى حجر بالأرض مكبلا بالحديد ويزيد ممنا في بلادنا وال علينا لكان قتيبة أهيب في صدورنا وأعظم من يزيد

رحم الله قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان، وقاهر الشرك في إيران والأفغان والتركستان ، ومرغم ملوك الصين على التسليم والإذعان ، وجزاه عن العروبة والعرب والإسلام والمسلمين خير الجزاء وجعل الجنة مأواه

محمد الحسيني

في الرحلة إلى الحجاز

الوميض

للآنسة عزيزة توفيق

هناك لحظات لامعة تومض في حياة المرء وقد أحلكتها ظروف الحدثان . وفى فيض من نور تلك اللحظة التى لمت فى حياتى وقفت أرقب الجموع المحتشدة المودعة لقطار الحجاج الذى يقلهم إلى السويس . ابتعد القطار رويدا واستلقيت على مقعد من ورائى أنظر إلى الباكيات أمامى ، وأدير عينى فى الملوحين بمناديلهم وقد اغرورقت أعينهم بدموع بدت من ورائها لهفة الفراق : كنت أشعر بفيض من سعادة شاملة لا تؤثر فيها تلك المناظر الحزينة : فعجبت لنفسى اليوم وكم رثيت من قبل للباكى وشاركت المحزون الملتاع !

وصلنا إلى ميناء السويس وانشغلت بملاحظة الحمال وهو يحمل حقائبى وأمتعتى وأسرعت وراءه أعتلى سلم الباخرة وتركته لأبحث عن قرنى ، حتى إذا اهتديت إليها تركت حاجاتى وخرجت إلى ظهر الباخرة لأراقب الجموع من جديد وأسمع للتنهدات وأرى الإشارات ولأبتسم فى سكون . ترى لم كل هذا الحزن ؟أولا يعلم القوم أنهم ذاهبون إلى حيث السعادة الكبرى ؟يصلون ويبتهلون لله فى أوقات معلومة ، وقد ابتعدوا عن زيف الحياة وأغراضها المتعبة ، فيغسلهم من أدرانها ويغفر لهم ما تقدم من ذنبهم ؟ لقد تركت أهلى وعشيرتى وعلى رأسهم أمى فى بلدتى وحضرت القاهرة وحيدة لأستقل القطار إلى الباخرة وكلى فرح وابتهاج : روح تسيرها السعادة ، تسبح وراء شعاعها الذى برق فى حياتى فحقق أمنية طالما خفق بها فؤادى وترعت بها روحى فى صلاتى

ودوى البوق واهتزت الباخرة لتسير فى تؤدة ، وارتفع بجانبى صوت شجى حنون من حاجة ريفية :

يابحر يارايق « رائق » لاموج يعوق ولا ريح بضايق
يا بحـــر يا كبير لا موج يغرق ولا ريح يغير

وزادت نشوتى ووقفت أطيل النظر إلى موجات البحر الزرقاء وقد بدت منتشرة على صفحة الماء ، وظهرت وهى تتسابق وتتلاحق كوشى براق خلاب . وكأنما اجتذب هذا المنظر الساحر الأسماك فقفزت لاهية لاعبة مع الموج وقـــد بدا لونها الأحمر المزركش مكملا للمجموعة اللونية المكونة من انسجام ألوان المياه الزرقاء البنفسجية وقد علاها وشى الموج الأبيض .وتحركت شهوة الإنسان فى صبى طباخ الباخرة فأسرع بشصه ليصطاد من جموع السمك ما سوف يجهز لنا به وجبة العشاء . وأيقظنى من تأملى صوت أجش متسائلا : « لم لم تغادرى الباخرة حتى الآن؟ لقد تحركت فى تؤدة وعما قليل ستسرع ولن تتمكنى من النزول » فتطلعت إلى صاحب الصوت فى استغراب كأنما أوقظت من حلم بعيد ، وللمرة الثانية يكرر قوله موضحا « لقد نزل جميع المودعين ما عداك » فتبسمت ضاحكة من قوله وأخبرته بأننى « حاجة » ، وسرى هذا اللفظ « حاجة » فى روحى متعة ولذة . وإذ دخلت قرنى وطالعنى وجهى فى المرآة ولاحظت شعرى المصفف ألهمت أن الشرطى كان على حق ؛ فما ينبغى أن أذهب عارية الرأس إلى البيت الحرام . ومن ثم أسرعت بخلع ملابس المدينة وارتديت الجلباب الأبيض الفضفاض وأسدلت خمارى على جبينى . وشعرت إذ ذاك كأن وجهى قد ازداد نورا ، وروحى قد اكتسب صفاء، وخرجت إلى ظهر الباخرة من جديد ، لأمتزج بالحجاج فوجدت أن أغلبهم لم يخلع بعد ملابسه

ووافانى الشرطى معتذرا بأنه ما كان يظن أن صغيرة مثلى تقدم على الحج . وللمرة الثانية نظرت إليه فى تعجب وذهول ، وتركته لأجلس مع صاحباتى وكلماته ما زالت تدور فى فكرى . كيف ينظر الناس إلى الحج على أنه واجب الشيوخ وقد أثقلتهم ذنوب أعمالهم التى سطرتها سنو حياتهم ليتطهروا منها ؟أوكانت الفريضة وتأديتها وقفا على الشيوخ دون الشباب ؟ — وكأنما كان ينتظرنى عجب آخر إذ سمعتهن وسمعتهم فى أحاديثهم وهى تعلو على هدير الموج يتذاكرون فيما تركوه من شؤون ،وبدت فى أحاديثهم الشجون ؛ فمن شاكية زوجها وهو منها على خطوات ، وأخرى ساخطة على جارتها وما تركتها إلا من ساعات ، ومن باك على حبيب فقده ، وحاقد على أخ اغتصب حقه من الميراث ، وأنا

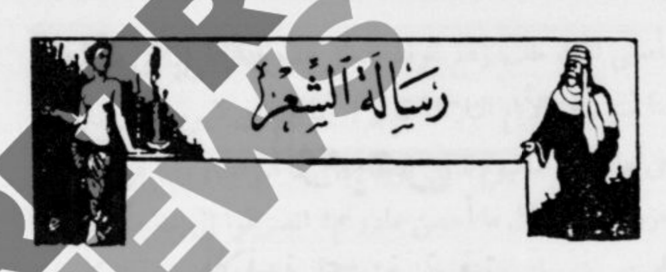
أطل عليهم من تفكيرى الشارد

أو هؤلاء هم الحجاج يارب : الناس هم الناس فى كل مكان حتى فى الطريق إلى بيتك المعظم !

ومر يوم وكاد الثانى ينقضى ، وشاء الله أن يريح فكرى ، فدوى البوق واختلطت بدويه الزغاريد ، واستيقظت على نغمات القطعة الموسيقية التى كونتها تلك المقاطع المتوافقة ممتزجة بتصفيق الأمواج ، ونظرت إلى ساعتى فإذا بها تشير إلى الثمانية عشرة مساء ، ومر فى أذنى صوت يتحدث قائلا بأننا قد وصلنا «رابغ» وأن علينا أن نبدأ الإحرام ، وأسرع الجميع إلى الحمام وأنا فيهم لنستحم على ترانيم الزغاريد ونلبس ثياب الإحرام . واجتمعنا على ظهر الباخرة ، وكانت تلك هى اللحظة الخالدة التى تبعث الرهبة فى القلوب ، وتحرك أقسى النفوس صلابة . الجميع فى ابتهال وخشوع « لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك » وقد بدا الرجال عراة إلا من مئزر أبيض « بشكير » يدور حول وسطهم وآخر يغطى كتفهم الأيسر . وارتدت النساء الملابس البيضاء الواسعة ، والخمر وقد بدت مثل هالات جميلة حول وجوههن ، وضربنها على صدورهن فظهرن فى أبدع زى وأكمل زينة . عمت الفرحة واشتركنا فى التلبية ؛ السيدات فى صوت خافت يمتزج بترديد مرتفع قليلا ومتآلف من الرجال « لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك » . هانحن قد وقفنا ملبين وجئنا ساعين ، نلبى نداءك أيها الإله المعظم . هذا النداء الذى يسرى فى روح كل مؤمن، ويحرك قلبه فى كل حين حتى إذا ماوافى ميقات الحج بعث فيه شوقاً ينطلق ناراً ونورا ليذهب بمن استطاع إليه سبيلا حيث يلبى النداء ، وفاء بوعدك الذى وعدته لإبراهيم ؛ فلقد رددت الجبال والوديان أذانه فى الناس بالحج ، وحملته الأثير ووجد مجالا فى قلوب المؤمنين ممن استنشقوه من البشر

ولاحت معالم « جدة » من بعيد فزاد التهليل والتكبير

عزيزة توفيق
كلية الآداب



فى الشعر المطلق

التوبة الكبرى :

للأستاذ عبد اللطيف الشهابى

« مهداة إلى أخى الأستاذ أنور المعداوى »

هو :

لا تفزعى . . أختاه فالفجر لاح
على نثـار من بقايا الجراح
غسلها المطر
كفنها الزهر
قبلها الطـل بثغر الصباح
ساخرة . . تزرى بهوج الرياح

هى :

طافت بنا الأرواح فى أسرها
مخبولة تنـدب فى سرها !
مغلولة اليـد
فى قسوة القيد
لتغـرق الآلام فى خمرهـا
وتدفن الآمال فى قبرهـا

هو :

لا تجزعى . . أختاه لا تجزعى
هيـا معى . سيرى ولا ترجعى
نجتاز وادى الشقاء
إلى مروج الرجاء
نعيـد ذكرى حبنا الممرع ! !
ونغسـل الآثام بالأدمع !

هي :

هدت وفي قلبي صدى الهائر

كالحلم ، عند الشفق الساحر

في نوبتي الكبرى

وأدمعي الحرى

فاغفر لي الآثام ياشاعري

ولا تكن كالغاضب الثائر !

هو :

لا ترهبي . فالشمس عند المغيب

تحدث الأفق بسر الغيوب ،

سر الهوى والأنين

فصدق عن يقين :

إني بهذا الكون طيف غريب

كآهة عبر الفضاء الرحيب

هي :

هيا معي ، نعب صفو الرحيق

نعطر المرج بعطرك فتيق

ننشد في الزهر

أنشودة الأعصر :

لم يسمع الكون صراخ الغريق

فامتدت الأيدي لغل وثيق ! .

هو :

ومن وراء الأفق الأزرق !

رفت طيوف الأمل المونق

على سنى الضياء

ما بين ظل وماء

فهدهدت بالحمد قلب الشقي

في غفوة « عذراء » لم تخلق !

العراق — الحلة عبد اللطيف الشهابي

الشعر والطفولة

صديقي الصغير

للاستاذ محمد علي مخلوف

غداً سيتيه بك المنصب وتلك النبوءة لا تكذب

هو القول يلهمه شاعر إلى الوحي في صدقه أقرب

كأني أراك بلحظ الغيوب يحف بك الجند والموكب

فهذا يحيي الرئيس العظيم وذاك بمظهره يعجب !

عداك التقى وغذاك العفاف فلله منبتك الطيب ! !

فما مثل أمك في الطهر أم ولا كأبيك لعمري أب .

* * *

ستوفد يوماً إلى معهد رحيق العلوم به يسكب

فتلقى لدانك في ظله وذاك يثور وذا يصخب

وثمت راع غريب العصا يهش عليهم ولا يضرب

يسوق القطيع إلى مورد عذاب الهوى عنده يعذب

وحلم الطفولة إن خف لا ملام هناك ولا معتب

أهازيج صوتك حول الربى بغام الطلا شاقه الربرب

ومن مقلتيك يشع الذكاء كما شع في الظلمة الكوكب

وأسنانك المرهفات الحدا د خير سلاحك إذ تغضب

فيا لاعباً بحسان الدمى تراك بألبابنا تلعب . .

وكم ذا تطارد من هرة وما من يديك لها مهرب

فآونة ممسكا ذيلها . . وآونة رجلها تسحب

وليس يردك عنها المواء ولم يحمها الناب والمخلب

وكم مزقت من كتاب يداك وما نالك اللوم إذ تذنب

ولو علم الكاتبون الكرا م ما سوف تأتيه لم يكتبوا

حكيم لعمري فيما فعلت وإن لم تجرب كما جربوا

فما ينفع الناس يبقى وما يضر فأولى به يذهب

أخالد يا ابن الحسيب الكريم وضنء النجيبة إذ تنسب

لأنت هلال بدا طالعاً ونبع من الظرف لا ينضب

دار الأهرام محمد علي مخلوف

تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوى

محمد والعصبية الاقليمية:

أنت أدرى بخلجات الأديب ، وبهذه التيارات العجيبة من الأحاسيس الغامضة التى تدفعه ليمسك بالقلم ويكتب .. أى شىء ! وما قرأتك مرة من المرات إلا هاجت النفس ، وثارت بى شهوة الكتابة ، الكتابة إليك ، لأنى أدرك تماماً أن مكانك من أدبنا العربى ، هو مكان « سانت بيف » من أدب الفرنسيين .. وحتى تعلم أنى لا أجامل — إذ لست بحاجة إلى المجاملة — بل لأدفع عن شخصى الضعيف هذه التهمة ، حتى تعلم ذلك أقول : إنى لم أمراك — وهذا يؤسفنى — إلا فى تعقيباتك التى أنتظرها كما ينتظرها الكثيرون . أما « أداؤك النفسى » ، ووفاؤك لشاعر مصر العظيم ، فلم أقرأ منه إلا مقالا ونصف مقال ، إى وربى مقالا ونصف مقال . . وهذا يبدو عجيبا ممن أخذ بك و « تيم » بآرائك ، ولكن يا سيدى إذا عرف السبب بطل العجب كما يقولون !

قبل أن تطلع علينا بهذا المذهب النفسى الجليل، كنت أتوق وأتمنى لو أن فى أدبنا العربى مثل هذا المنهج فى دراسة الأدب ونقد الشعر ، هذا المنهج الذى أراه فى بعض الأحيان — متناثراً — عند هذا أو ذاك من الكتاب . فلما قرأت مقالك الأول، وأخذت فى قراءة الثانى ، أمسكت عن القراءة وعزمت على أمر .. عزمت على أن انتظرك حتى تتم هذه المقالات أو هذا المنهج فى مقالاتك النفيسة ، فتضع بذلك حجر الزاوية فى بناء النقد العربى الحديث، لأنى أردتها قراءة مترابطة آخذا بعضها بعرى بعض . ولا إخالنى بحاجة إلى أن أصف شعورى يوم كففت عن نشر مقالاتك ، واعداً بنشرها فى كتاب يظهر فى المستقبل ، ويعلم الله متى يظهر !!

إلى هنا ياسيدى وأنا أوافقك على كل ما ترى ، وأذهب معك إلى أن « الأداء النفسى » هو المنظار الأفضل الذى يجب أن ننظر منه إلى نتاج القرائح وفيض العقول . ولكن يظهر — واسمح لى بهذه — أنى أخالفك فيمن طبق عليه هذا المذهب ذلك التطبيق الواسع ، أو فيمن يجوز أن نجده فى شعره بصورة واضحة . ومن يقرأ تعقيباتك وردودك ، ودممة الذكرى على الشاعر الراحل ، ويضيف إلى ذلك (المقال ونصف المقال) ، يعرف أنك تقصر هذا المذهب على نابغة المنصورة ، وإن اضطررت — لسبب ما — ألا تغفل بعض من يسكنون الشام !

وأستطيع أن أخرج من هذا بأن المنصورية فى الأدب ما زال لها مكان مرموق وصوت مسموع ، حتى عند أئمة النقد وحاملى لوائه .. حقاً إن راية الشعر ظلت مرفوعة فى مصر ردحا من الزمن : بدأت عند البارودى ولكنها انتهت عند شوقى، ثم حدث ما يحدث فى كل العصور ، فإن الشمس لا تشرق دائما على مكان واحد ، وهى الآن تعم أرجاء الشام نوراً وبهجة ، وتحلق فى سماء حلب ومصدرها الشاعر الفحل : عمر أبو ريشة

ولست أحب فى هذا المجال القصير أن أتحدث عن عمر شاعراً عبقريا ، وهبه الله سمة فى الخيال وامتيازاً فى « النفس » ورفاهة فى الشعور ، مما جعله شاعراً بكل مافى الكلمة من حياة وروح وشعر ... ولعل من الفضول أن أسألك قبل أن أودعك ، عما إذا كنت ياسيدى قد نظرت إلى شعر عمر بنفس العين ، ونفس الاهتمام الذى نظرت به إلى شعر على محمود طه ، ويقينى أن الأستاذ المعداوى سيغير من « قلة الاهتمام » بهذا الشاعر العظيم لو أعاد النظر فى ديوانه الأخير وقرأ : طلل ، امرأة وتمثال ، مصرع الفنان ، الروضة الجائعة ، كان لى ، فراق ، نسر ، شاعر وشاعر

لو قرأ هذه القصائد الممتازة لغير من نظرته ، ولطلع علينا بكتاب عظيم يكون درة يضمها إلى تاجه الأدبى .. وبعد ، فلعله يسعدك أنك أسعدت إنسانا بالكتابة إليك

« القاهرة » محمد بدر الدين الحاضرى

الشىء الوحيد الذى لم أكن أنتظره أو أفكر فيه ، هو أن يتهمنى قارىء فاضل بالعصبية الإقليمية ، أنا الذى حاربت هذه العصبية بكل ما أملك من جهد على صفحات الرسالة ، كلما أطلت برأسها من قلم كاتب أو لسان أديب . ومع ذلك فقد فوجئت بالقارىء الذى اتهمنى على غير ترقب وانتظار !

وأعود إلى هذا الاتهام السافر فأجده قد خلا من «الحيثيات»، وظهرت فيه النتائج واختفت المقدمات . . إن الأديب الفاضل بدر الدين الحاضرى أشبه بوكيل النيابة الذى يوجه التهمة وهو لم يقرأ من «ملف» القضية غير صفحتين . . أما تراه يخالفنى فيمن طبق عليه مذهب الأداء النفسى هذا التطبيق الواسع ، منتهيا إلى أن هذا الأداء لا يتمثل فى شعره بصورة واضحة ، وهو لم يقرأ من تطبيق مذهبنا على شعر على محمود طه غير مقال ونصف مقال ؟! ما هذا أيها القارئ الصديق؟.. لقد كنت أرجو أن تراجع نفسك بعد أن تكون قد رجعت إلى التطبيق فى صورته الكاملة ، حتى تستطيع أن تهيئ لحكمك من الأدلة ما يقف به على قدميه !

إن تلك النماذج الفنية التى استشهدت بها من شعر على محمود طه ، هى الحكم الفاصل بينى وبين كل معترض على أمانة النقد وسلامة التطبيق . . ولن أضيق أبداً بأى قارئ يجادلنى فيما كتبت ، ما دام نقده قائماً على أسس واعية من الفهم والذوق والمراجعة . أما أن يعترف الأديب الفاضل بأنه أرجأ النظر فى بقية الفصول طلبا للوحدة الموضوعية ، فقد كان يجدر به خضوعاً لهذا المنطق أن يرجئ اتهامه لنا بالتعصب للإقليمية ! !

إن إيليا أبا ماضى الذى أضمه فى الطبقة الأولى من الشعراء ليس شاعراً مصريا ، ولعل القراء يذكرون أن أول تطبيق لمذهب الأداء النفسى على صفحات الرسالة كان منصباً على شعر هذا الشاعر ، حتى لقد دفعته الدهشة من أن يحتفل ناقد «مصرى» بشعره ، إلى أن يبعث إلينا بتحيته الصادقة وشكره الخالص ، على لسان صديقنا وصديقه الأستاذ محمد على الحومانى . . ماذا أقول بعد هذه اللفتة التى أذكرها لأول مرة حين دعت إليها المناسبة واقتضاها المقام ؟ !

إننى أقول للأديب الفاضل رداً على تلك التعريجة فى منعطف الطريق : صدقنى أنه لا يضيرنا أن تخفق راية الشعر فوق أرض سورية أو لبنانية أو عراقية ، ما دامت هذه الأرض قطعة عزيزة من هذا الثرى الحبيب ، ترى البلاد العربية حين تجمع بينها حدود واحدة هى حدود الوطن الكبير . . ولكن القول بأن راية الشعر قد ظلت مرفوعة فى مصر فترة من الزمن انتهت بانتهاء أمير الشعراء ، يعد فى رأينا شطحة من شطحات الرأى العابر والحكم الطائر حين يعوزهما قوة الدليل والبرهان . . لقد نودى بمثل هذا الرأى فى مصر بعد أن مات شوقى ، وحين ظهر فى الأفق ذلك الشاعر الذى ملأ المكان الشاغر ، تريثت موازين النقد فى إصدار الأحكام النهائية على إنتاج المعاصرين !

أما عن إشارة الأديب الحاضرى إلى شعر أبى ريشة ، فلا أذكر أنه قد أخرج ديوانا دون أن أقف عند كل قصيدة من قصائده ، بل دون أن أرسل الذوق وراء كل بيت من أبياته . وياطالما وضعت ديوانه الأول «شعر» ، وديوانه الثانى الذى أخرجته مجلة «الأديب» وضم بين دفتيه كل ما قال ، يا طالما وضعتهما فى بوتقة النقد وكفة الميزان . تريد رأيى فى شعره ؟ إن كل قصيدة من قصائده تذكرنى بروعة الجمال الآسر فى (جاليتيا) تمثال بجماليون . لقد أدرك بجماليون الفنان أن تمثاله الجميل تنقصه الحركة ، تنقصه الروح ، تنقصه الحياة .. ومن هنا راح يتوسل إلى الآلهة أن تحيل الرخام الصامت إلى كيان ناطق ، أو الجسد الهامد إلى حياة نابضة . واستجابت الآلهة لبجماليون المثال ، ولكنها حتى الآن لم تستجب لأبى ريشه الشاعر . إن شعره يا صديقى يزخر بالجمال والخيال ، ولكنه يفتقر إلى الروح والعاطفة ! !

كلمة إلى صديق :

تلقيت رسالتك الأولى كما تلقيت من بعدها رسالتك الثانية . . ترى هل تبلغ من الثراء هذا الحد الذى يتيح لك أن تطبع ديوانا من الشعر لتوزعه على الناس بالمجان ؟ ! إنه ليسعدنى أن تكون صادقا فيما اعتزمت ، لأن فى ذلك حلا لأزمة القراء . . ولقد طلبت إلى أن أقوم بطبع هذا الديوان والتقديم له ، ثم رأيت أن تختار له عنوانا هو «منعطف النهر» . . عنوان جميل من غير شك ، ولكن لم تؤثر أن يظهر الديوان وهو يحمل اسماً مستعاراً بدلا من اسمك الصريح ؟ صدقنى أننى أضيق بكل شىء مستعار ، لأننى تعودت أن أعيش فى وضح النهار .. ثم لا تنس أن النقاد سيسألوننى عن اسمك الحقيقى إذا ما كتبت مقدمة ديوانك ، وأنا لا أحب أن أتعرض لمثل هذا الإحراج !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

الاستاذ عباس خضر

أشرت في عدد مضى من « الرسالة » إلى المحاضرة التي ألقاها الدكتور أحمد أمين بك في حفلة افتتاح مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وموضوعها « جمع اللغة العربية » ووعدت بتلخيصها تلخيصاً يتضمن فكرتها كاملة . واليوم أذكر هذه الخلاصة ، ثم أعقب عليها ببعض الملاحظات

بدأ الدكتور بأن المثقفين كانوا في العهد الأول وصدر من الدولة العباسية يأخذون اللغة من أفواه العرب ، وكان بعضهم يذهب إلى البادية ويقيم فيها ليتعلم فصيح اللغة من أهلها ، فلما جاءت موجة التدوين اهتم قوم بجمع اللغة ، فجمعوها أولا من لغة القرآن الكريم والأحاديث التي صحت عندهم، ثم تنقلوا بين القبائل العربية يجمعون كل ما يسمعون . ثم جد المؤلفون بعد ذلك في حذوهم حذو أهل الحديث ، فقسموا اللغة إلى متواتر وآحاد . وبين المحاضر معنى كل من المتواتر والآحاد،وعنى خاصة بالاعتراض على الطرق المختلفة لجمع اللغة ، ووصل من ذلك إلى أنها كانت بدائية غير منتظمة ، إذ قال : إنما كان عملهم في الجمع بدائيا غير منظم ، إذ كانوا يلتقطون ما يسمعون من الألفاظ ويدونونها ولم ينصوا في الأعم الأغلب على القبيلة الواحدة التي جمعوا منها ألفاظهم

وأعبر تلك المقدمة عبراً ، فالمحاضر – فيما يبدو لي – يبغي من عرض طرق جمع اللغة وما أدت إليه من الكثرة وتضخم المعاجم ، الوصول إلى « الترادف » ليفنده ويبسط فيه رأيه . فالترادف أصله جمع الألفاظ من القبائل المختلفة لتكون كلها لغة عربية ويقع فيها تعدد الكلمات لمعنى واحد آتياً من استعمال كل قبيلة لكلمة منها ، يقول الدكتور : والقبائل كانت أعقل من أن تضع كل قبيلة لفظين لمسمى واحد ، فالقبيلة التي تستعمل كلمة « السكين » لا تستعمل كلمة « المدية » والقبيلة التي كانت تستعمل « البئر » لا تستعمل كلمة « القليب » فلما كان الجمع بدائيا، وجدت ألفاظ كثيرة مترادفة ، ومن ثم كانت المعاجم مملوءة بالمترادفات . وفي رأيي أن المترادفات مع إعانتها للشاعر خصوصاً في الشعر العربي الذي يلتزم القافية وخصوصاً في الملاحم الطويلة التي تشتمل على أبيات كثيرة يحتاج معها إلى مترادفات كثيرة. وقد أنكرها ابن فارس وثعلب ، فقد روى أن ابن خالويه قال في حضرة سيف الدولة بن حمدان : إني أعرف للسيف خمسين اسماً. فقال ابن فارس إني لا أعرف له إلا اسماً واحداً وهو السيف . فقال ابن خالويه : وماذا تقول في المهند والصمصام والبتار ؟ قال إنها صفات . يعني بذلك أنها اختلفت لدلالتها على صفات غير الاسم ، وذلك كأسماء الله الحسنى فإنها تدل على صفات أكثر مما تدل على ذوات . والترادف في نظري ليس مزية من مزايا اللغات ، بل هو عيب من عيوبها ، فإن كان موجوداً في اللغات الحية كالإنجليزية والفرنسية فهو أثر من آثار اللغات القديمة . والمثل الأعلى للغة : لفظ واحد لكل مسمى ، فلا ترادف ولا اشتراك ، ولذلك كانت المترادفات في اللغات القديمة أكثر منها في اللغات الحديثة . ومع أن ألفاظا كثيرة عدت مترادفات وإن لم تكن مترادفة لدقة الفروق بينها مما أدى إلى عناية بعض العلماء من مستشرقين وعرب إلى تأليف كتب في الفروق ، كما فعل أبو هلال العسكري وكما فعل بعض الآباء اليسوعيين — إلا أنها مع ذلك من غير شك كثيرة في اللغة العربية ، مما ملأ المعاجم بالمترادفات وضخمها ضخامة كاذبة

وأخيراً قال الدكتور : ماذا نستنتج من كل ذلك ؟ نستنتج منه أن اللغة قد تضخمت تضخماً مزيفاً كثيراً ، وكانت نتيجة ذلك تضخم المعاجم تضخماً أيضاً مزيفاً ، وقد كان يقبل هذا لو لم تدهمنا الحضارة الغربية بكثير من المسميات والمعاني تحتاج لها إلى ألفاظ كثيرة ، وهي تغمرنا كل يوم بمئات المصطلحات التي كثيراً ما نعجز عن مسايرتها ، فكان المعقول أن نتخفف من كثير من الكلمات ، لنفسح مكاناً لها في المعاجم . وقد فعلت قريش خيراً مما فعله جامعو اللغة العربية ومؤلفو معاجمها ، فإنهم صفوا اللغات المختلفة ونقوا خيرها واستعملوه لغة لهم وبها نزل القرآن ، فلم يجمعوا كل ما قيل عن القبائل بل نخلوه واقتصروا

على ما حسن وقعه فى أسماعهم وراق فى أذواقهم . بقى سؤالان هامان ، وهما : ألم يرد فى القرآن الكريم مترادفات لنثبت أن قريشاً اختارت من اللغات أحسنها ، والسؤال الثانى : أيهما خير ، أنضحى بوحدة القافية فى الشعر لتنقية اللغة من المترادفات ، أم نبقى عليها للابقاء على الشعر العربى فى شكله القديم ؟ ومن رأينا فى الإجابة عن السؤال الأول أن ليس فى القرآن مترادفات ، وإنما كلمات متقاربة المعنى وقفت الفروق بينها أو على الأقل اختلف وقع الكلمة باختلاف موضعها ، فقد تكون كلمة أوقع فى محلها ، وتكون الأخرى أوقع فى محلها الآخر ، وقد أدرك الجرجانى فى دلائل الاعجاز ذلك إذ قال إن كلمة أيضاً ليست من الكلمات التى تستحسن فى الشعر ولكن وردت جميلة فى بيت شعر وهو :

غير أنى بالجوى أعرفها   وهى أيضاً بالجوى تعرفنى

وأما عن السؤال الثانى فيمكننا أن نهدر المترادفات ونهدر معها ورود القصيدة على قافية واحدة ، ويمكن فى الملاحم وأمثالها أن نغير القافية فى كل عدة أبيات كما اضطر البستانى أن يفعل فى ترجمة الإلياذة ، وبذلك كله نفسح مكاناً واسماً فى المعاجم للكلمات الحديثة والمصطلحات الحديثة . وإذا لم تتح لنا فرصة الإجادة فى الشعر المرسل كما حدث فى بعض اللغات ، فليس أقل من أن نغير القافية بين جملة من الأبيات وأخرى ، وليست وحدة القافية بالأمر المقدس الذى لا يصح أن نخرج عنه ، ولكنه أمر اعتيادى وتقليدى ، مرده كله إلى الأذن الموسيقية

تعقيب

نرى أن النتيجة العملية التى يستخلصها الدكتور أحمد أمين بك من ذلك البحث الذى يعتبر حلقة فى سلسلة بحوثه اللغوية التجديدية التى يلقيها فى مؤتمرات المجمع — هى إعادة النظر فى ذلك التراث اللغوى المتضخم دون فائدة لنحذف منه المترادفات كى تحل محلها فى المعاجم الكلمات والمصطلحات الحديثة ، ويرى الأستاذ أن المثل الأعلى للغة أن يستعمل فيها لفظ واحد للمعنى الواحد وأن لا حاجة إلى المترادفات إلا فى قافية الشعر التى يمكن أن نستغنى عنها . وأنا أوافق الأستاذ الكبير على أن قافية الشعر ليست مقدسة وأنها لا تبرر ذلك التضخم الذى وصفه ، بل إننى أذهب إلى أبعد من ذلك ، فأعجب كيف ثرنا على القافية فى النثر المسجوع وأقررناها فى الشعر ، والأمر فيهما واحد من حيث القيد الصناعى الذى يرجع إلى الأذن الموسيقية

ولكن هل كل الغرض من الترادف الإعانة على القافية ؟ لقد جاء فى تعبير الدكتور بالمحاضرة قوله : « فإنهم صفوا اللغات ونقوا خيرها » ترى لماذا استعمل « نقوا » بدل « اختاروا » ؟ إنه فعل ذلك لأن عبارة « اختاروا خيرها » يثقلها اجتماع الخاءين وهنا أسعفه الترادف بالفعل « نقى » الذى لا يثقل فى النطق والسمع مع « خيرها » ، وقال أيضاً : « واقتصروا على ما حسن وقعه فى أسماعهم وراق فى أذواقهم » ولو أنه كرر « حسن » مكان « راق » لما حسن وقع الكلام فى الأسماع وراق فى الأذواق . . ولو أنه أخذ باقتراحه فى صياغة المحاضرة فقرر الاكتفاء بالفعلين اختار وحسن دون مرادفاتهما لوقع فى حرج من ثقل التعبير . ومثل هذا ما قاله الأستاذ نفسه عند نفى المترادفات فى القرآن ، فقد رأى أن ما فيه كلمات تختلف باختلاف موضعها فقد تكون كلمة أوقع فى محلها وتكون أخرى أوقع فى محلها الآخر والتأمل فى هذا لا يراه خارجاً عن الترادف وإنما هو استعانة به على استعمال الشىء فى موضعه

وقد تعرض الأستاذ لرأى ابن فارس فى الترادف إذ أنكر ابن فارس وجوده فى اللغة ووجه الكلمات المتعددة التى تطلق على شىء واحد بأن واحداً منها هو الاسم والباقى صفات كأسماء الله الحسنى ، ولم يعن الأستاذ بتفنيد هذا الرأى مع أنه يتفق وفكرته من حيث رأى أن اللغة تثقلها مترادفات كثيرة يجب التخلص منها . وفى نظرى أن تلك الكلمات وإن كان قد لوحظ فى استعمالها الأول ما بينها من فروق إلا أن هذه الفروق قد ذهبت مع الزمن وصارت الكلمات ذات دلالة واحدة ، فالشاعر — مثلا — إنما يأتى بكلمة « مهند » لأن القصيدة دالية ، ولو كانت ميمة لأتى بلفظ « صمصام » من غير شك

ولو فرضنا أن هناك لغة ينطبق عليها المثل الأعلى الذى ذكره الأستاذ ، فإن الإنسان لا يتصور لهذه اللغة أدبا ، فقد كفى بحاجة

التعبير الملى واليومى ، ولكنها تكون بعيدة جداً عن الاعتبارات التى تلاحظ فى حسن وقع الكلام ، وفضل كلمة على أخرى فى موضعها ، وفى الظلال التى يضيفها لفظ دون آخر ... إلى آخر هذا الذى يحتاج إلى بحث وحده

على أننى أوافق أستاذنا الكبير الدكتور أحمد أمين بك إذا كانت خلاصة موضوعه : الضيق بالكثرة المتضخمة من المترادفات فى لغتنا وأكثرها ألفاظ حوشية وكلمات ميتة ، والدعوة إلى تصفية اللغة منها مع الإبقاء على المترادفات الحية المأنوسة وذلك كما فعلت قريش ، فإنهم لم يهدروا المترادفات كلها ، وما أظن الأستاذ يقول بذلك ، وإنا نراه يحتاط فى التعبير إذ قال إنهم اختاروا من اللغات أحسنها ، وهذا ما نريد

شكر الاستعمار :

أعلنت نقابة الصحفيين — يوم الخميس الماضى — عن محاضرة تلقيها زوجة أحد الزملاء موضوعها « أسرار المهنة فى رحلتى بشمال إفريقية » وامتلأت قاعة فاروق الأول للمحاضرات فى نادى النقابة ، بجمهور من الجنسين وقدمت السيدة على أنها صحفية ، ولذلك ستتحدث عن « أسرار المهنة » وتحدثت السيدة فقالت إنها ليست صحفية ثم أيدت هذا القول بعدم تعرضها للمهنة وأسرارها ...

كثيراً ما سمعت محاضرات أو (شربتها) كما يقولون فى اللغة الدارجة عما يقع فيه المرء وهو غافل . . فلم أرد أن أشرك قراء « الأدب والفن » فى بلوته !

وكنت أغضى على هذه المحاضرة ، لو اقتصر الأمر فيها على فراغها من شىء ذى بال ، أو اقتصر على اللغة التى تحدثت بها السيدة إذ جانبت الفصيحة وكسرت العامية . . وكنت أستطيع أن أغضى أيضاً عن تهاون نقابة الصحفيين فى اختيار ما تجمع من أجله الناس فى قاعتها الفخمة

ولكن الذى لم أستطع له كتماناً ، وهو الذى حدا بى إلى كتابة هذا ، أن السيدة الفاضلة ، وهى تتحدث عن رحلتها بشمال إفريقية ، شكرت فرنسا ... لا على ما قام به الحكام الفرنسيون هناك من تسهيلات أو حفاوة بالزملاء فى رحلتهم ... وإنما شكرت « المحاضرة » فرنسا على ما قامت وتقوم به من أعمال لتقدم أهل شمال إفريقية ورقيهم . . ! أى أنها تشكرها على الاستعمار !

وقد علمت أن فى النقابة برنامجاً لأحاديث فى سلسلة أسرار المهنة فى رحلات ببلاد مختلفة ، وكل الذى أرجوه ألا يحدثنا أحد عن رحلة فى مصر يشكر فيها إنجلترا ...

الموسيقى والدين :

يقول الأديب « حافظ عبد السميع عمران » فى رسالة إلى :

« قرأت كلمة طريفة بجريدة المصرى مؤداها أن نستعين بالموسيقى فى جميع تراتيلنا الدينية . ويسأل صاحب المقال ويسأل معه مؤيدوه : لماذا لا نرتل القرآن والأذان وخطبنا الدينية على نغمات الموسيقى ؟ إن الموسيقى تنقلنا إلى عالم الانتشاء الحسى والاستمتاع الروحى فلماذا لا نتخذها وسيلة لتذوق ديننا ؟ ! » ثم يقول : « ونحن لا نرتاب فى أن الموسيقى تحرك الغرائز وتثير الشهوات وتبعثها على الهوى وتدفعها إلى السيطرة على العقول والإرادة الإنسانية ، فما فائدتها إذن للدين ؟ » ويمضى هكذا حاملا على الموسيقى لأنها — فى رأيه — تثير الغرائز والرغبات الشهوانية إلى أن يتساءل : وأين قداسة الدين فى جو تسوده الإباحية والتحلل الخلق ... فى جو يسيطر عليه المجون والخلاعة ؟ أيريدون أن نهبط بالدين إلى الهاوية التى صرنا إليها ونجعله أداة لهو إشباعا لرغباتنا الشهوانية الوضيعة ؟

ولا شك أننا لا نرى الموسيقى بتلك المثابة ، فالموسيقى فن رفيع ، وقد أصبح بيان أهميته وأثره فى الإمتاع الروحى وترقية النفوس وما إلى ذلك ، من الكلام المقرر المعاد . أما استخدام الموسيقى فى اللهو الرخيص من حيث ما يصاحبها من غناء مبتذل ورقص مثير ، فهو أمر آخر لا ينبغى أن نخلط بينه وبين الفن الموسيقى العالى

أما ما كتب عن اتخاذ الموسيقى فى ترتيل القرآن والخطب الدينية والأذان فهو كلام يعمد إليه بعض زملائنا الصحفيين لإطراف القراء وإتحافهم بما يلفت الأنظار ويجدد النشاط للقراءة . . وإذا كان الكاتبون الداعون إلى ذلك جادين فى دعوتهم فإنهم ولا شك بعيدون كل البعد عن روح الإسلام وثقافته ، وليس



كتاب كريم

أرسل صاحب المعالى الدكتور طه حسين باشا هذا الكتاب الكريم إلى الأستاذ محمد سيد كيلانى يشكره على مقاله طه حسين الشاعر الذى نشر فى العدد الماضى من الرسالة

سيدى الكريم :

قرأت الآن فى القناطر الخيرية مقالك الممتع الذى نشرته الرسالة ، فأشكرلك أجل الشكر أنك ذكرتنى شيئا كنت أنسيته حتى كنت أشعر أثناء قراءة هذا المقال أنك تتحدث عن شخص غيرى .

وعفا الله عما سلف، فقد كانت تلك المحاولات فى آخر الصبا وأول الشباب لجزاً كاذبا لم يمح شكا ولم يحل يقينا .

كل ما يعمل فى الأديان الأخرى يلائم ديننا ، وإن آفتنا الكبرى هى التقليد ... وكما جانب الأديب صاحب الرسالة الصواب فى طمنه على الوسيق ، كذلك بعد عنه أولئك الدعاة كل البعد ، فإن النصوص الإسلامية من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأذان وخطب وغيرها — لا يقصد بها الانتشاء والاستمتاع ، كما يقولون ؛ إنما هو كلام موجه إلى العقول والأفهام لتعى ما يرمى إليه وتعمل بمقتضاه ، فإذا صاحبته الموسيقى نحيفت الانتباه إليه وشغلت عن مراميه . ولعل شيئا من ذلك واقع بالفعل إزاء ما يصنعه الآن أكثر قراء القرآن من تكسر وتطريب باسم التجويد ، حتى أصبحت غاية الناس من سماع القرآن أن يطربوا لأنغام القارئين . وأما أبشع الأصوات المنكرة التى نسمعها من الحفلات المذاعة ، تلك الأصوات التى تتعالى بالاستحسان فتنطق بعبارات عجيبة ولهجات غير لائقة ، كذلك الذى يجأر فى خطاب القارئ : ياحلو : ياحلو !

وما ذلك إلا للاتجاه بالقراءة نحو التنغيم والتطريب ، فمابالك إذا صحبها العزف والطرب . . إن القرآن لم ينزل لمثل هذا ، إنما أنزل لإبلاغ ما تضمنه إلى الأفهام ، فهل نحيد به إلى الأنغام و « الانسجام » ؟

عباس خضر

والحمد لله على الخير والشر والبراءة إليه من الكذب والغرور .

أما بعد فإنى أرجو أن تقبل تحيتى وشكرى مجددا .

طه حسين

حول نقد مسرحية ابن جلا :

نشرت فى الرسالة نقداً لمسرحية « ابن جلا » ، وتعرض للتعقيب على هذا النقد معقبان ... وقد لمحت فى ردى على التعقيبين إلى الدافع لأحدهما إلى التعقيب ... وقد تصدى الثانى للتعقيب على ردى فى العدد الماضى من الرسالة ... وأبى إلا أن يبتعد عن الموضوع ، بعد أن أثبت تناقضه ، وتخبطه ... وراح يتحدث فى غرور عن الشرف الذى أضفاه علينا بتعقيبه على نقدنا ... ونحمد الله على أننا تخرجنا فى قسم النقد بمعهد التمثيل قبل أن يدخله الأستاذ إسماعيل رسلان تلميذاً ... فلم نتشرف حتى بزمالته ... ولعل فى تحمسه للرد على نقدناو فى تطاوله علينا ، مايفصح عن الوسيلة التى وصل بها إلى هذه الأستاذية . على أننا لا ننكر أن المعقب معيد فى المعهد منذ شهرين ، وقد تخرج فيه هذا العام ، وثار حول نجاحه جدل ، لا أريد إكراماً لهذا المعهد أن أسرد تفصيله .. وأريد زيادة فى التعريف به أن أذكر أن ما نشرته الرسالة له من تعقيبات هو كل ما جادت به قريحته فى حياته الفنية

وليس من الغريب أن ينكر المعقب معرفته بمؤلف المسرحية، فهذا هو المنتظر ؛ ولكنه لا يستطيع أن ينكر علاقته بالمسئول عن اختيارها .

وليعلم المعقب أن قارئ الرسالة ممتاز ، ومن المتعذر تضليله . فهو يعرف من المتحامل ومن المأجور ومن الذى هرب من الموضوع ، ومن الذى كتب بأذنه لا بعقله هذا ... وللمعقب أن يحتفظ لنفسه بنصائحه التى ألبس فيها الضلال ثوب الحق ، والإثم ثوب الطهر .. ولست أدرى متى عرف الأستاذ مايليق حتى ينهى عما لا يليق ، ومتى عرف الحق حتى ينصح بالتزامه ؟. .

وإذا كان النقد المنزه عن الهوى يعد فى نظره تسفيها لأعمال الكتاب ... فهل يبتغى منا أن نسير معه فى الركاب ؟ ! ... وهل من ينقد أعمال الكبار، فى هذا العصر، هو الذى يبتغى الوصول ؟

وبعد ... فأحب أن أقول للسيد رسلان إنه قد حقق الكثير

من آماله ... ولكن النقد أسمى من أن يكون فى متناول هذه الوسائل ، لارتباطه بالمثل والقيم التى لا تستجيب لغير الحق !

وإذا كان الأستاذ يريد أن يذكر كل الحق فقد كان حريا به أن يشير إلى ما كتبه الأستاذ أنور المعداوى فى هذا الصدد حيث قال معقباً على نقدنا للمسرحية ، وعلى ما كتبه هو وزميله : « لقد كنت أوثر للناقدين اللذين تعرضا للأستاذ فتح الله أن يبتعدا عن مواطن الاتهام ، إتهام القراء لهما بأن حماستهما فى نفى المآخذ الفنية عن مسرحية الأستاذ تيمور ، قد زادت كثيراً عن الحد المألوف ! ... لقد كان يجدر بكل منهما أن يسمو بقلمه فوق مستوى الاتهام الموجه إليه ، بدلا من توجيه مثل هذا الاتهام إلى الأستاذ فتح الله ، وهو الرجل الذى لا تربطه بالأستاذ تيمور علاقة من العلاقات ؟ . لقد حاول الأستاذ أن يكتب نقداً نزيهاً لا أثر فيه للمصانعة ، فكان جزاؤه أن رمى بالتحامل ، لأنه لا يجامل ! لفتة أخيرة أود أن أختم بها هذه الكلمة ، وهى أننى أقدر فن الأستاذ تيمور ... وأحترم نقد الأستاذ فتح الله »

... وأعتقد أن فى هذا التعقيب ، أكرم تعويض للناقد الحر فى هذا البلد .

أنور فتح الله

كلمة غريبة عن مقال :

اطلعت مؤخراً – بسبب تعطيل المواصلات فى السودان – على مجلة الرسالة ، فقرأت كلمة لأديب عراقى يعقب فيها على بعض ما جاء فى كلمتى (دم الحسين) ويقول إن فيما كتبته خزعبلات وأباطيل ، وأن نخبة من الشباب المثقف – على ما زعم – استهجنوا بعض ما سطرت

ونصيحتى للأديب أن يكون عف اللسان ، مطلعا ، مميزاً بين ما يجوز أن يكون وما لا يجوز . استبعد المعترض أن يكون الرجل الذى منع الحسين الماء قد أصيب بداء يشرب معه ولا يروى لأن النبى صلى الله عليه وسلم نفى أن تكون الشمس كسفت لموت إبراهيم . فمن ناحية الوقوع ما أظن أن أحدا ينكر أن يبتلى الله من شاء بمرض لا يرويه الماء معه ، ومن ناحية القياس فهو قياس غريب عجيب ، فانكساف الشمس أو القمر آية كونية ، ونحن مؤمنون بأن هذه الآيات الكونية لا تكون لموت أحد ولا لحياته ، ولكن هل يمنع العقل أو المشاهدة أن ينتقم الله من معتد فيصيبه ببعض الأمراض ، أما أنا فقد شاهدت ذلك كثيراً فى قرانا الريفية ، وقرأت وسمعت

وأما أن هذا الكلام تكذبه الرواية فحسبى أن أقول لحضرة (العلامة) إننى نقلت هذه الروايات من تاريخ الطبرى ، وناهيك به تاريخا ، وبصاحبه شيخا

(وبعد) فالمثقف لا يعترض حتى يعلم ، ولا يستهجن حتى يبلغ فى العقل مبلغ من يفرق بين ما يقع وما لا يقع .

على العمارى

كلمة طيبة لنائب محترم :

كان للكلمة الكريمة التى نشرها المصرى لحضرة النائب المحترم حسين بك بدراوى حول الخلاف بين هيكل باشا ونشأت باشا وقعها الطيب فى النفوس بعد هذا الخلاف المتشعب الأطراف بين علمين من أعلام السياسة والأدب ، وما كان لهما أن يسلكا هذا الطريق والبلد فى أشد الحاجة إلى اتفاق الرءوس وصفاء النفوس وتوحيد الكلمة

. . .

إن ما نحن فيه من محن ومشكلات ، وما تنذر به الحالة الدولية من خطوب وصعوبات ، ليدعو بالعقول المدبرة والرؤس المفكرة والأقلام المعبرة البريئة أن تقف من هذا كله موقف الداعى الناصح والمرشد الموجه

اتقوا الله يا سادة وانتقلوا إلى جدول الأعمال فالدول جميعا لا هم لها الآن غير التفكير والتدبير والعمل

(فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين)

حسن عبد العزيز الدالى

سؤال :

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا » . وقال جل شأنه « فإذا جاء أجلهم

لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » . وكتب الدكتور الأستاذ حامد الغوابى مقالا فى الرسالة الغراء عدد (٩١١) بعنوان « الخمر بين الطب والإسلام » جاء فيه « وإذا اطلعتم على إحصائيات شركات التأمين على الحياة وجدتم أن استعمال الخمر ولو بمقدار متوسط يقصر العمر » ! قلت : كيف يمكن التوفيق بين ما قررته الآيات البينات ، وبين إحصائيات شركات التأمين على الحياة ؟!

أما أنا فلا أفهم إلا لغة القرآن ، وأفهم أن العمر لا يقصر ولا يطول ولا يمكن أن يقصر أو يطول لسبب أو لآخر ، فالنباتين والفيتامين لا يطيلان العمر كما لا يقصره الزرنيخ والنفتالين . . فما قول الدكتور الغوابى صاحب المقال فى الجواب على صاحب السؤال ؟

لو كان فى الخمر أعمار يعجلها
اقصر الموت أعماراً يؤجلها !

« الزيتون » عدنان

(الرسالة)

قال الله تعالى : « وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب »

حذف وتحريف :

نشرت مجلة (الألواح) البيروتية فى عددها الثامن الصادر فى منتصف الشهر الماضى قصيدة لى بعنوان (بين الأعاصير) وهى القصيدة التى نشرتها الرسالة قبل ثلاثة أسابيع وقد أتيح لهذه القصيدة أن تخرج بها الألواح عن التقاليد الصحفية فحذفت منها وحرفت فيها . وقد تناول الحذف بعض الأبيات فى أول القصيدة وفى آخرها فأساء هذا الحذف إلى التسلسل بين أجزائها والترابط فى موضوعها وفكرتها ، كما أدى التحريف إلى الخروج عن المعانى المقصودة وقواعد اللغة ، وإذا كان الحذف قد يفسر بغفلة طارئة من المنضد أو المصحح ، أو بضيق الصفحة الواحدة عن استيعاب القصيدة كلها فان تحريف (كبابل) إلى (أى بابل) فى البيت الآتى :

كبابل وسميراميس شامخة ... تقول للدهر : ماذا أنت صانعه

وتحريف (مدافعه) إلى (يدافعه) فى البيت :

وقيل جاء حليف الشرق منتصرا ... يحرر الشرق من رق مدافعه

وتحريف (فى) إلى (من) فى البيت :

وغره أن هـذا الليل ما فتئت ... تمتد فى مشرق الدنيا سوافيه

كل هـذا يؤدى إلى مسخ المعنى وتشويه القصد ، وقد يفسر هذا أيضا بغفلة المصحح ولـكن الذى يدعو إلى الدهشة أن تأتى كلمة (الدروب) بدل (المتيه) فى البيت :

حتى إذا بات فى الظلماء رائدها ... يطوى المتيه وتحويه شواسمه

لأن ضمير (شواسمه) لا يقصد به إلا المتيه فـكيف يعود إلى الدروب وهى جمع ؛ يضاف إلى هذا أن كلمة (المتيه) لا تنكرها اللغة وإن أنـكرتها فلا ينـكرها القياس الصرفى ، على أن هـذه القصيدة قد نشرها الأستاذ الزيات ولم يقل فيهـا شيئاً وهو من أئمة اللغة والأدب .

لقد كنت أود أن تمتـد يد التصحيح إلى القصائد والقطع الأخرى التى نشرت فى العدد نفسه فتعيدها إلى حظيرة النحو والصرف والعروض قبل أن تمتد إلى قصيدتى فتحرف وتحذف بدون مسوغ .

وإذا كان هناك شئ أقوله لصاحب الألواح فهو أن اللقب الجامعى لا يضاف إلى الشاعر فى قصيدة أو مقطوعة إذ لم يكن من التقاليد الصحفية أن يضاف هـذا اللقب ما لم يكن صفة ملازمة للشاعر كلقب (الدكتور) . إن اللقب الجامعى لا يذكر عادة إلا فى البحوث التى تتناول تربية الطفل وعلم النفس وما شابه ذلك ؛ أما الشعر فهو بعيد كل البعد عن الألقاب

حقا أن صاحب (الألواح) صديق قديم وصحفى أثير المـكانة ولـكن الصداقة شئ والدفاع عن كرامة الشعر شئ آخر .

القاهرة ابراهيم الوائلى



من بلاغة القرآن

تأليف الأستاذ أحمد أحمد بدوى

المدرس بكلية دار العلوم

للأستاذ الظاهر أحمد مكى

عن الحزئية صدر الأستاذ أحمد أحمد بدوى عنوان كتابه وكان موفقا ، فإن التصدى لبلاغة القرآن كلا ، شيء فوق طاقة الفرد وجهد العقل ولهذا الكتاب قصة بدأت في يوم من العام الماضى بدار العلوم ، حين اختط الأستاذ لنفسه منهجا جديداً في تدريس البلاغة لطلابه ، فقد آثر الناحية التطبيقية ، على تدريس القواعد البلاغية ، كما تركها لنا القدامى ، ممزوجة بالفلسفة ، أو متأثرة بالمنطق ، وقد أصاب فيما ارتأى وما ابتدع ، فإن البلاغة ذوق وفن ، ومران وصقل ، وملكة وحاسة ، وهى عدد تنميها القراءة الرشيدة ، والدراسة الحرة ، والاطلاع الواسع ، والعزوف عما قنن لهــا من قواعد ونظم لا يتصل أغلبها بالذوق السليم

فالأستاذ أحمد بدوى إذن أراد أن يدرس لطلابه البلاغة فى القرآن ، ولم يفرضه عليهم ، وإنما استشارهم فيه ، وكان لكاتب هذه السطور رأى يخالفه ، مؤثراً دراسة شاعر أو نتاج أديب ، ليكون مجال العقل أوسع ، وميدان النقد أرحب ، وتطبيقا لمناهج البحث الحديثة ، من تناول الموضوع خلوا عن أى فكرة سابقة ، وما فى استطاعة مسلم أن يجرد نفسه من العاطفة ، ومن ظلال القدسية ، حين يعرض لدراسة القرآن الكريم !

وثمت أمر آخر أشد خطورة ، هو أن القرآن ليس نتاجا عاديا ، فيخضع لقوانا وأبحاثنا وإمكانياتنا ، فمن الخير أن ندعه فى عليائه ، نحسه بمواطفنا ووجداننا ، ونغذى به حواسنا وشعورنا ، ونستلهمه فيما نكتب أو نفكر ، دون أن نحاول البحث عن السبل التى سلكها أو القواعد التى نهجها ، ولكن أستاذنا الفاضل ، رأى غير ما ارتأينا ، فدرس لنا الموضوع فعلا ، وأخرج نتائج بحثه مؤلفا ضخما ، بذل فيه مجهوداً كبيراً كنا نشفق عليه منه ، فقد تصدى لحمل رسالة ينوء بها أعظم الناس عقلا ، وأكثرهم تفرغا لذات الموضوع ، فما بالك وهو يشارك فى أكثر من ميدان علمى ، دارسا أو مؤلفا أو محققا ، وله أكثر من كتاب صدر فى نفس العام ، تحمل دراسات قيمة ، توج واحداً منها مجمع فؤاد الأول للغة العربية . وهو دراسة عن (رفاعة بك الطهطاوى) فنال عنه الجائزة الأولى فى المسابقة الأدبية التى أقامها لعام ١٩٥٠

ولكن إلى أى حد نجح أستاذنا فى محاولاته ؟ ... إنه عرض علينا صورا طيبة ، لدراسة عالية فى أساليب (القرآن) تحمل العمق والجدة ، والإحاطة والشمول ، والإلمام الواسع باللغة فى شتى مناحيها ، أما النتائج التى قصدنا إليها فلم نبلغ منها إلا القليل ، ذلك أن قاعدة واحدة من قواعد النقد الأدبى أو النحو أو البلاغة ، أو حتى الصرف ، تستطيع أن تطبقها على القرآن أو تستخرجها منه ، دون أن تصطدم بما ينقضها فى مكان آخر . لأن القرآن لا يلتزم فى نهجه طريقا واحدا ، حين يغزو المشاعر والأحاسيس ، مادحا أو قادحا ، مهاجما أو دافعا ، مرغبا أو مزهدا ، واعدا أو موعداً . ومن ثم فقد اضطر أستاذنا إلى نفس الطريقة التى لجأ إليها أسلافنا من التأويل والتخريج ، وصرف الكلام عن ظاهره ، وهى طريقة إن صحت فى ميدان التشريع والتفسير ، فلا تحمد فى ميدان البلاغة بحال

على أن للكتاب أهمية قصوى ، لا تتأتى من عرضه لصحائف من القرآن فى صورة جديدة فحسب ، وإنما لإثارته أكثر من قضية أدبية ، فهو يحدثنا عن هدف الأدب (ص ١٢) فيقول (والحق أننا نقف بهذا الهدف ، عند حد الإثارة الوجدانية ، فلا نطلب منه أن يمدنا بأفكار صادقة عن الحياة) وهو كلام يستدعى النظر طويلا . أما أن الأدب إثارة وجدانية فأمر لا مراء فيه ، وأما عدم اشتراط الصدق ، فأمر يرفضه الأدب بمعناه الحديث ؛

لأن البساطة والصدق هما أخص مميزاته ، أما الأدب المنافق المرائى الذى شهدته العربية وتشهده، فى عصور الضعف والاستعباد فرهون بظروفه ، وسينتهى يوم تشيع الحرية والكرامة فى أرجاء هذا الوطن العزيز …

ثم ، ماهو التعبير الإباحى الذى لا يعده الأستاذ من الأدب أو الفن الجيل (ص ١٨) وما الفرق بين الإثارة الروحية والإثارة الجنسية ؟ إن الكاتب قد يعرض لموضوع جنسى ، محللا فى قصة ، أو مبحوثاً فى مقال ، فيقرأه من سمت تربيته فلا يراه إلا روحيا خالصاً ، ويقرأه من عاش فى بيئة متحللة ، فلا يلمس فيه إلا استفزازاً جنسيا ، فليس هناك تعبير جنسى وتعبير روحى ، وإنما هناك قابلية روحية وقابلية جنسية ، وهو يحدثنا عن المنهج الأدبى فى القرآن (ص ٣٧) « وأعنى بالمنهج الأدبى هذا الذى يتجه إلى إثارة وجدان القارىء ، إثارة روحية رفيعة » ثم يستشهد له بما لا يمت إلى الروحية إلا بسبب واهن ضعيف ، فى آية « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً … » لأن صحبة الأنبياء ورفقائهم هنا ، ليست مرغوبة لذاتها ، وإنما لأن هؤلاء مأواهم أعلى درجات الجنة ، فمن صحبهم كان معهم . والجنة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فالإثارة هنا مادية لا روحية فيها …

والحق إن إثارة القرآن كلها من النوع المادى ، فقد نزل يخاطب قوما ماديين ، ومن ثم فقد أصحب كل وعوده ومواعيده ، الجنة بما فيها من خيرات ، والنار بما فيها من عذاب ، فهو يدعوهم إلى الخير ، لا لأنه فضيلة فى ذاته ، وينهاهم عن الشر لا لأنه رذيلة فى ذاته ، ولو فعل ذلك لما وجد سميعا ، وإنما يدعوهم إلى الخير لأنه يؤدى إلى الجنة ، وينهاهم عن الشر لأنه يؤدى إلى النار ، والقرآن حين يحدث مخاطبيه عن الجنة ، لا يحدثهم عن أى جنة وكفى ، وإنما يقول « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات … » ثم بعد ذلك « … ومغفرة من ربهم » فهل هناك إثارة مادية أبلغ من هذا ؟ ولم يفت أستاذنا هذا الوضع ، فراح يستثنيه مع أنه الأصل ، ويؤوله ليستقيم مع حكمه الأول ، من أن إثارات القرآن كلها وجدانية روحية خالصة

والقرآن معجز ، وإخفاق العرب عن الاتيان بشبيه له أو ضريب — وإن قل — حديث مستفاض ، ولكن وراء هذه القضية أكثر من علامة استفهام ، فإن الذين رماهم القرآن نفسه بلددهم وشدة خصومتهم ، لم يحفظ لنا التاريخ من حججهم شيئاً ، ماذا كان ردهم على القرآن ؟ . . ماهى أنماط المحاولات التى فشلت ؟ على أى أسلوب جرت ؟ . . من هم الذين قاموا بها ؟ . التاريخ يصمت ، ونحن نتابعه فى صمته مسوقين ، وأستاذنا يخطىء مذهب الصرفة (ص ٤٩) « إنه لو عجز العرب عن المعارضة بالصرفة ، لما استعظموا من بلاغة القرآن ، وتعجبوا من فصاحته ، كما أثر عن الوليد بن المغيرة حيث قال : « إن أعلاه لمورق ، وإن أسفله لمغدق ، وإن له لطلاوة ، وإن عليه لحلاوة » وقصة الوليد هذه نصطدم بها فى كل كتاب وكل بحث ، وقد نجد لها شبيهاً فى قصة إسلام عمر ، ولكنك لن تجد للقصتين ثالثة ، ترى هل كان الوليد بن المغيرة كل شىء فى مكة حتى يؤخذ سوادها برأى ارتآه ؟ قضية علمية كانت تستلزم أكثر من هذا المرور السريع !

ثم هذه الآية التى عرض لها (ص ٦٢) ثم غفل عن المشكلة التى صحبتها ، من يوم أن قرأها المسلمون حتى اليوم ، آية « إن هذان لساحران » ماذا وراء هذا الرفع المنصوب ؟ أهى لغة ؟ أهى لهجة ؟ إنها لم ترد فى القرآن على هذه الصورة إلا مرة واحدة ، وما كنت أريد بتعرضه لها أن يعيد على أسماعنا تأويلات النحاة الفجة ، وإنما كنت أريد لها تفسيراً جديداً فى ظلال الإمكانيات الواسعة التى يتمتع بها العالم الآن !

وفى فصل « الفاصلة » بحث قيم مفيد ، ونهج جديد مشكور ، ولكن محاولة إخضاع الفواصل فى طريقتها لقاعدة ، أجهدت الأستاذ كثيراً ، ثم انتهينا إلى لا قاعدة ، ففى (ص ٧٧) « وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم » فهو عليم بخيانتهم ، حكيم فى التمكن منهم . ترى لو استبدلنا العلم بالعزة ، فقلنا « والله عزيز حكيم » عزيز لا ينال ، حكيم فى التمكن ، هل يحدث ارتباك ما ؟ هل يشعر القارىء أن هنا لفظاً مضطرباً ؟ أو كلمة قلقة ، أو معنى غير موائم ؟ …

وفى فصل « الغريب » جملة تحتاج إلى شىء من التقدير

(ص ٨٩) « فكان العرب فى عصر نزول القرآن يمضون إلى كبار الصحابة ، يسألونهم عن معانى هذه الألفاظ الغريبة ، فيجيبونهم ويقربون لهم هذه المعانى ، مستشهدين بأبيات الشعر .

والواقع أن قدرة الصحابة على فهم القرآن لم تكن فى درجة واحدة : فكان منهم المثقف ثقافة أدبية ممتازة ،ولم يكن ما نسميه الآن غريبا بغريب عند هؤلاء الذين تحداهم القرآن ، فلم يكن استخدامه حينئذ معيباً ولا مستكرها ، ومثال ذلك استعمال عباقرة الشعراء ألفاظاً يعرفها جمهور المتأدبين ، ويتذوقون جمالها ، وإن كانت غير دائرة على ألسنة العامة » فكيف كان بعض العرب يمضون إلى الصحابة يسألونهم عن الغريب ، وكيف أن ما نسميه غريباً لم يكن بغريب عند هؤلاء الذين تحداهم القرآن ؟ ويستشهد أستاذنا لقضيته بما يستعمله عباقرة الشعراء ، وهو قياس مع الفارق الكبير ، فلم تكن هناك فوارق شاسعة بين لغة الأدب ولغة المحادثة ، ولم تكن هناك لغة خاصة وأخرى دارجة ، وحين نفترض الفرق الشاسع بين اللغتين ، تكون المشكلة التى تعرض لنا أضخم وأعرض وأدق ، لأن هؤلاء العامة الذين لم يكونوا يلمون بالعربية حقا ليسوا أهلا لأن يتحداهم القرآن ، لأنهم لا يملكون وسائله

وفصل « الزائد » « ص ٩٥ » ، ولكن ، من الذى قال إن هذه الكلمات زائدة ؟ ... النحاة ، ومن الذى أوصل النحاة إلى ذلك ؟ وضعوا قواعد ، فلما اصطدمت هذه الكلمات بما قصدوا ، لم يعترفوا بعجز أو تقصير ، وإنما نسبوا إلى القرآن ما ليس فيه ، ثم أتى البلاغيون يدفعون قولهم ، قضية مفترضة لا تحتاج إلى جهد أو عناء ... القرآن فى ذروة البلاغة ، هذه قضية نسلم بها جميعاً ،فعلى النحاة حين يريدون أن يخضعوا القرآن لقواعدهم أن يعدلوها بما يسايره ، دون أن يضطرونا إلى التأويل والتخريج ، وإلا فهم الواهمون! ...

أما « التشبيه فى القرآن » « ص ١٨٧ » فأغنى ما فى الكتاب وأجدر فصوله بالاطلاع والتدبر والقراءة ، فلم يشأ أستاذنا أن يجارى البلاغيين القدماء فيما استنوه للتشبيه من قواعد ، فمضى يهدمها فى رفق وهدوء وأناة ، ولكنه لم يذر لهم مما قننوا شيئاً . فليس صحيحاً أن أبلغ التشبيه أغربه ، وإن أقواه أندره ، وإنما مرد القوة والحسن وقع التشبيه على النفس وشعورها به مسروراً أو ألماً ، وهو كلام صحيح قوى إلى حد بعيد !

وشبيه بهذا « التصوير بالاستعارة ص ٢١٧ » « ومجازات القرآن ص ٢٢٣ » « والأسلوب القرآنى ص ٢٤٤ » وفى كل منها دراسة قيمة موفقة وعرض جذاب لم يسبق إليه ! ...

ثم تأتى « القصة فى القرآن ص ٢٦٧ » عرضها لنا الأستاذ الفاضل تفسيراً ، لم يعرض لمشكلة القصة ذاتها من قريب أو بعيد ، قصة صدقها حرفيا ، هل هى وقائع حدثت كما صورها القرآن تماماً ؛ فلم يتصرف فيها بحذف أو زيادة ، وفقا لما يهدف إليه من عظة واعتبار ؟ ..

هذه هى المشكلة ! ...

وأخيراً يعرض « لبعض صور الحياة الجاهلية » فى القرآن « ص ٣٧٩ » ونحن نعلم أن الإسلام جاء فشوه وهدم كل ما هو عربى وثنى ، وكان نقده وتقريعه منصبا على رءوس المسائل الكبرى وأصولها ، أما جزئياتها ، أما تفصيلاتها ، أما حسنات هؤلاء القوم ، فقد سكت عنها القرآن سكوتاً تاما ، لا ... بل يبدو أن الإسلام كان عاملا فى القضاء على التاريخ الجاهلى بحسناته وسيئاته على السواء ، فلم يعرف عنه أى شىء ، وظل العرب الأول والمعاصرون لمولد الإسلام ، شعبا بلا تاريخ والعقبة الكبرى هى الوصول إلى هذه الحقائق ، وعلى ضوء ما يتكشف منها ، يكون التفسير للآيات القرآنية التى عرضت للحياة الجاهلية ، وتبين ما فيها من بلاغة وإعجاز ، أما السماع للحجج من طرف واحد ، فيجعلنا عاجزين عن فهم كل شىء

وبعد ... فقد نختلف فى الرأى ، ونتباعد فى النظرة ، ولكنا نلتقى دواماً عند هدف واحد ، علمنا أستاذنا إياه ، هو أن نقول كل ما نعتقد حين نعرض لشىء جديد ، وبالروح السمحة التى كنا نلتقى بها فى الدرس ، قد عرضت لمؤلفه الجديد ، ولن يقعد بى مرض فى الرأى ، أو غرض فى القصد ، عن الإشادة بهذا الكتاب ، فهو دراسة عميقة حديثة ، لموضوع قد تعرض له الكتب القديمة ، ولكنه لم يحظ فى دراستنا الحديثة بأى نصيب ، وهو يتسم – ككل ما كتب الأستاذ أحمد بدوى – بالعبارة الرصينة ، والأسلوب الجزل ، والعرض البارع ، والدرس العميق ...

وإلى اللقاء مع أستاذنا فى مؤلفه الجديد القادم ، وسيصدر عما قريب !

الطاهر أحمد مكى
كلية دار العلوم – جامعة فؤاد الأول

الأسس المبتكرة

لدراسة الأدب الجاهلي

تأليف الأستاذ عبد العزيز مزروع الأزهري

هـذا الـكتاب من الـكتب الأدبية المصرية التي تستحق أن يطلع عليها الأدباء ، فهو محاولة موفقة لتحديد الأزمان الجاهلية عند العرب ، وربط كل أثر من آثار الأدب الجاهلي بجيل معين محدود بالتاريخ الهجري والميلادي معاً .

وقد استطاع المؤلف بهذا أن يبرهن على أن من الآثار الأدبية عند العرب ما سبق الهجرة بأكثر من سبعة قرون ، في الوقت الذي يكاد يجمع رواد الأدب العربي على أن أقدم الآثار العربية التي بين أيدينا لا تتجاوز الهجرة بأكثر من قرن ونصف قرن

ومما يجعل لنظريته آثاراً خطيرة أن من الأدلة التي اعتمد عليها بعض النقوش الأثرية التي يرجع تاريخها إلى سنة ٣ ٣ ق هـ

لقـد اعتمد المؤلف على سلاسل الأنساب العربية ، وتحديد المتوسط لعدد الأشخاص الذين انتظمتهم سلاسل النسب من عصر النبوة إلى (عدنان) عند العدنانيين وإلى (قحطان) عند القحطانيين ؛ وقد وجد متوسط الأجيال العدنانية بين هذين الطرفين ٢٢٫٦٥٠ جيلا ، ومتوسط الأجيال القحطانية بينهما ٣١ جيلا ؛ ثم تابع البحث فرأى أن هذين المتوسطين لا جدوى منهما مالم يقدر العمر المتوسط لـكل جيل في تلك السلاسل ، فظل يبحث وينقب أكثر من عشر سنوات ، اطلع في خلالها على مئات من المراجع غربية وشرقية حتى اهتدى بعد طول العناء إلى أن أنسب عدد لعمر الجيل هو ٤٠ سنة وقد ذكر من أدلته على هـذا التحديد في كتابه ١٢ دليلا جعل آخرها مشتقا من قوله تعـالى في القرآن في سيرة بني إسرائيل الذين نزحوا من مصر مع موسى :

(فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض) ورجع إلى المفسرين فوجدهم قد أجمعوا على أن السبب في تحديد هذا العدد هو انقراض الجيل السابق الذي طبع على الذلة والمسكنة في مصر؛ ورجع إلى التوراة فوجده مصدقا لما بين يديه من القرآن ونصه هذا:

وبذا صار في مكنته كل أديب ـ بعد اليوم ـ أن يعرف تاريخ أي أثر أدبي للجاهليين إذا نسبت إلى قائله ، وقد طبق نظريته على كثير جداً من الشخصيات البارزة في تلك الأحقاب ، وكان من أمثلته التي سأكتفي بها هنا حكيم العرب المشهور (عامر بن الطرب العدواني العدناني) وقد سار في تحديد زمانه هكذا :

(١) من عامر إلى عدنان ١٢ جيلا

(٣) وبطرحها من المتوسط العام لأجيال العدنانيين من عصر النبوة إلى عدنان تجد الباقي ٩ أجيال

(٣) و ٩ و ٤٠ يساوي ٣٦٠ سنة هي التي تدل على عمر عامر في سن الأربعين

(٤) مكان ميلاده كان حوالي ٤٠٠ ق هـ (٢٣٤ م)

وقد قسم الـكتاب إلى أربعة أقسام تطبيقا لنظريته :

١ — (القسم الأول) أثبت فيـه أن الأمثال المنسوبة إلى أصحابهـا أقدم الآثار العربية ؛ لأن البسيط أقدم من المركب ؛ والأمثال أبسط من المقطوعات ومن القصائد ، لهذا بسط القول فيها بهذا الترتيب وقد حقق في هـذا القسم أن أقدم ما عثر عليه من الأمثال قول (الأفعى الجرهمي) إن العصا من العصية

(٣) والقسم الثاني (المقطوعات الشعرية) وقد حقق فيه أن أقدم المقطوعات التي عثر عليها منسوبة لطي بن أدد القحطاني ، فاتخذ من هذا وسيلة إلى تحديد الزمن الذي ذابت فيه لغة القحطانيين في لغة العدنانيين أصحاب هذه اللهجة وقد أرجع تاريخ هذا الأثر حوالي سنة ٧٠٠ ق هـ (٥٧ ق م)

٣ ـ والقسم الثالث شعراء القصائد في الجاهلية وآثارهم وقد أثبت فيه أن أقدمهم الشاعر التميمي (ذؤيب) وحقق أنه كان في سن الميلاد حوالي ٤٣٥ق هـ ويليه (لقيط الايادي) صاحب أطول قصيدة وصلت الينا وأقدمها وأن تاريخها يرتد إلى ٣٠٦ ق هـ

٤ — والقسم الرابع وهو الأخير أثبت فيه بأدلة ثمانية أن اللهجة التي نزل بها القرآن ليست لقريش ! وقد توج أدلته (بنقش النمارة) المشهور المنقوش سنة ٣٠٣ ق هـ (٣٢٨م) وهي السنة التي توفي فيها صاحب الملك امرؤ القيس بن عمرو ، فيرى من هذا أن الـكتاب ظريف ممتع ، جديد في موضوعه ، وفي أسلوبه ، وفي الاستدلال على ما فيه من نظريات

ولا يضير الـكتاب بعد هذا أن بعض مباحثه مضغوط إلى درجة قريبة من الأحاجي

م . ع

مطبعة الرسالة



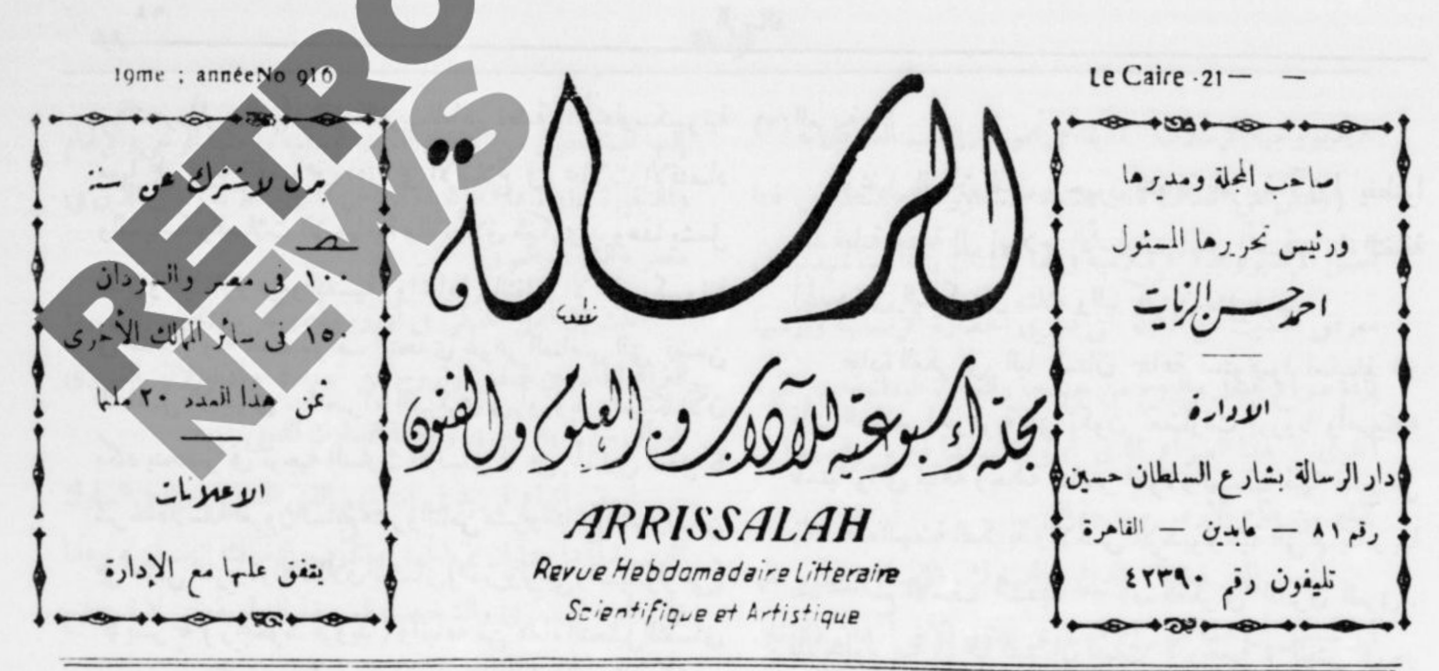
العدد ٩١٦ — ٢٢ يناير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون




19me ; annéeNo 916 — Le Caire -21— —
صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠
الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique
بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة
العدد ٩١٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ ربيع الآخر سنة ١٣٧٠ — ٢٢ يناير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

الدين والسلوك الانسانى

للاستاذ عمر حليق

— ١ —

توطئة :

يواجه الدين فى العالم المعاصر موجتين من التحدى : إحداهما إلحادية لا ترى فى الدين إلا « تخلصا من الواقع » ولجوءا إلى التخديرات الروحية التى أبرز ما فيها أنها توجه السلوك الإنسانى توجيها سلبيا إزاء مشاكل الحياة، ومن ثم إزاء عناصر التقدم والسعادة البشرية. «١» هذه الموجة هى محور الهجوم الماركسى على الحياة الدينية

والموجة الأخرى لا تمت إلى الفلسفة الماركسية إلا بصلة غير مباشرة ولكنها تماثلها فى الابتعاد عن الحقيقة الدينية . أعنى بها موجة التحلل من القيم الدينية التى ابتدأت فى أوروبا الغربية فى القرن الماضى والتى تتزعمها الآن الحضارة الأمريكية وتنقلها إلى سائر بقاع الأرض مواصلات فكرية أتقن الأمريكيون وسائلها إتقانا بارعا فى الأفلام السينمائية والصور الفوتغرافية والصحافة ومؤسسات الإعلان والدعاية والقصص الحديثة، وألف نوع ونوع من وسائل الاتصال الفكرى الذى يهيمن الآن على القسم الأعظم من محافة العالم وإنتاجه الأدبى والفنى

ووجه الخطورة فى الموجة الثانية أنها فى حل من أن تتهم بالدعوة إلى التفسير المادى للتاريخ على النحو الذى يدعو إليه الشيوعيون . ولكنها فى الواقع تفعل ذلك ، وفوقه عنصر من أخطر العناصر فى السلوك الإنسانى وهو تركيز النشاط الفكرى والنفسانى فى حرية الغريزة والعاطفة والاهواء

ومن أوجه الخطورة كذلك فى هذه الموجة التى تتزعمها الحضارة الأمريكية المعاصرة إحاطتها بهالة من التقدير والإعجاب بدعوى أنها من الشواهد الأصلية على التقدم الحضرى وتوجيه السلوك الإنسانى نحو قسط وافر من السعادة والهناء

لحرية الغريزة وانطلاق الشهوات والأهواء التى تمخضت عنها حضارة فرنسا اللاتينية فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر والتى تحمل الآن لواء الدعوة لها الحضارة الأنجلوسكسونية، هذه الحرية أصبحت الآن جزءا جوهريا من مبادئ التحرر السياسى والفكرى الذى هو بحق أفضل ما فى الحضارة الغربية من تراث

«١» — راجع بوخارين الكاتب السوفييتى فى كتابه Marxisms and Modern thought

فالتحرر (ليبيرالزم) فى ثقافة الغرب المعاصرة عامة والأنجلوسكسونية منها على وجه الخصوص علم على الإصلاح فى مجالات الاقتصاد والسياسة والصلات الاجتماعية والانطلاق الفكرى . وهذا يشمل الدين والحياة الروحية والنفسية، واتجاهات الثقافة الأنجلوسكسونية فى هذه الآونة تقف موقف التحدى لجوهر المناصر التى تضمن التكافل الاجتماعى . فالصراع الفكرى فى أوروبا وأمريكا الآن يكاد ينحصر فى توجيه السلوك الإنسانى لا على أساس العقل كما شرحه فلاسفة القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ولكن على أساس الغريزة والانطلاق النفسانى (الفيزيولوجى والسيكولوجى) كما بشر به (زيجموند فرويد) وأتباعه من علماء التحليل النفسانى والمدارس الفكرية والأدبية والفنية العديدة التى تأثرت به وتفرعت عنه، وكما تدعو إليه «هوليوود» وكتاب القصة الحديثة وبعض أئمة الفن فى أوروبا وأمريكا

فإذا حق لحضارة الغرب أن تفتخر بأنها خلال القرون الأخيرة الماضية قد أسدت إلى تراث الفكر وانطلاقه من قيود الجمود والبلادة العقلية، فإن هذه المثل الآن تواجه حملة عاصفة تدفع بالسلوك الإنسانى نحو فلسفة بدائية فى جوهرها ومضمونها تمجد الغريزة النظرية وتناقض العقل وهدوءه وحكمته فتستهوى بذلك الجماعات التى تعيش على الصحف السيارة ووسائل التسلية الرخيصة واللهو والمتعة ممثلة فى الأفلام والقصص الحديثة . وهذه الألوان من الفنون والآداب التى تجد سبيلها إلى صميم دور العلم ومعاقله الراقية فى كثير من بقاع الأرض منها العالم العربى؛ وذلك لأن هذه الديكتاتورية الفكرية التى تفرضها الحضارات الأخرى لا تقتصر على أنصاف المتعلمين ، بل إن سلطانها يمتد فيؤثر تأثيراً فعالا فى الاتجاهات الفكرية والعاطفية لكثير من المثقفين الممتازين الذين يخلقون حضارات جديدة كما هو الحال فى حاضر الثقافة العربية

وأحب ألا يساء الفهم فى هذا الصدد . فالتعاون الفكرى أمر لامفر منه ، بل هو فى الواقع من الدعائم الجوهرية لبناء الحضارات الحديثة أو إحيائها والنهوض بها . ولكن المشكلة ليست فى مبدإ التعاون الفكرى ولكنها فى تفهم العناصر الجوهرية فى الحضارات التى تفرض نفسها -خيرا أم شرا- على حاضر الثقافة العربية .[٢]

ويخيل إلى أن الذين يوجهون الثقافة العربية الآن لم يفطنوا بعد فطنة جدية إلى إصلاح الأسلوب الذى اتخذه بناة الثقافة الجديدة فى الباكستان مثلا، والباكستان مثل فريد

فقادة الفكر فى الباكستان جماعة استوعبوا استيعابا غير قليل العناصر الجوهرية التى تكون حضارات أوروبا وأمريكا، فاستبانوا فى نباهة وحكمة عناصر القوة والضعف فيها فنتج عن ذلك هذه النهضة الفكرية والأسس الإيديولوجية التى لم يتأثر بها بعد — مع الأسف الشديد — قادة الفكر فى الشرق العربى . فالايديولوجية فى الباكستان ليست « رجعية » تعيش فى جو من القرون الوسطى كما يصمها بذلك بعض المغرضين من أعداء الشرق وبعض أبنائه . وإنما هى أسلوب فى الحياة والفكر استوحى التوجيه من تراث الإسلام ومبادئه ومن روح الشرق ونظمه الاجتماعية والمتأصل فيه من الاتجاهات العاطفية والتكوين النفسى . فحين تبين لمحمد إقبال وغيره من جهابذة الفكر من القارة الهندية أن الإسلام كمذهب وكنظام للحياة الدنيوية برئ من هذا الجمود وهذه التفسيرات الخاطئة وهذا السلوك الشائن الذى كاد يؤدى بالمسلمين إلى الذلة والانحطاط وبثقافتهم إلى الانحلال والموت — حين تبين لمسلمى الهند والباكستان ذلك لم يقفوا عند حد الوعظ والإرشاد والنفخ فى أبواق لا تؤثر دعوتها فى صميم النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإحياء الفكرى والعملى ، وإنما استعاروا من الغرب مناهجه فى البحث والتوجيه واقتبسوا عنه أساليب العمل والإنتاج وصاغوا تعاليم الدين الإسلامى فى قالب لا يحيد عن جوهر العقيدة المحمدية، وإنما يتميز بأنه لا يختلف عن القوالب التى ولدت حضارات عصور النهضة من إيطاليا وفرنسا والبلاد الانجلوسكسونية . وتبين لمسلمى الهند والباكستان كذلك بأن إنتاج الفكر الأوربى فى الحياة الدستورية وفى التنظيم الاقتصادى وفى التكافل الاجتماعى لا يمكن أن يكون مناقضا للنظم التى شرعها الإسلام ، وإنما هو فى الواقع متمم له . وجاء ميلاد الدولة الباكستانية فدمج الفكر بالعمل وحقق الأسس المجرية

---

(٢) — راجع بحثا لكاتب هذه السطور « دفاع عن الثقافة العربية » فى أعداد الرسالة ٨٩٧-٨٩٨-٨٩٩ (شهر سبتمبر ١٩٦٠)

للايديولوجية الإسلامية الحديثة على نحو أثار إعجاب العارفين به (٣)

وليس من أهداف كاتب هذه السطور أن يستعرض هنا أسس الإيديولوجية الإسلامية فى الباكستان وإنما استشهد بها فى معرض الحديث عن البلبلة التى تعترى الحضارة الإنسانية وأزمتها إزاء صراع العقل والروح من جهة، والغريزة البدائية من جهة أخرى ، هذا الصراع الذى أوجد تشويشا فكريا واجتماعيا فى كثير من بقاع الأرض منها عالم الغرب

ولنعد إلى قضية الدين والسلوك الإنسانى لنقرر حتما فى المستهل أن هذا الصراع الفكرى يشغل الآن أذهان المثقفين فى الغرب وفى أمريكا على وجه الخصوص

فقد نشأ العالم الجديد أول ما نشأ على مذهب التحرر من القيود الثقيلة التى فرضت على العقيدة والسلوك الدينى فى أوربا . فحملت سفينة (مايفلور) فى القرن السادس عشر هؤلاء المضطهدين من القارة الأوربية إلى أرض كولومبوس لتدفع عنهم شر هذه القيود . فأسس الحضارة الأمريكية إذن أسس روحية للدين فيها شأن كبير لا تزال عناصره الأصلية تناضل موجات الإلحاد والانطلاق الغريزى الذى ولده نشوء النظم الاقتصادية الحديثة فى أمريكا على النحو الذى شرحه فى عمق وبلاغة الكاتب الألمانى الكبير (ماكس ويبر)(٤)، وكذلك تسرب الايدلوجية اليهودية وتركزها فى صميم الحضارة الأمريكية وعبثها فيه فسادا (٥)

وحرى بالدين استخفوا واستهجنوا دفاع رجال الأزهر الشريف وعلمائه ورجال الدين المسيحيين فى مصر عن الفضيلة والقيم الدينية فى حملتهم الأخيرة (٦) بأن مثل هذا الدفاع هو من أهم ما يشغل العلماء وقادة الفكر فى معاقل الثقافة الغربية التى يتطلع إليها المستخفون من المثقفين العرب ليستمدوا منها الوحى والإلهام والذخيرة لمناوأة هذا الإحياء الروحى الذى نشط له رجال الدين فى مصر والشرق العربى

قلت إن أهل الفكر فى أوروبا وأمريكا يشغلون الآن بهذا النزاع الحاد بين العقل والروح من جهة ؛ والانطلاق الغريزى البدائى من جهة أخرى وعلاقة السلوك الدينى بهما

فبعض أتباع فرويد فى إنتاجهم الفنى العلمى يرون فى السلوك الدينى شاهداً ودليلا على الجهل والخوف والتفكك النفسانى، وعلما على الجمود الفكرى والشخصية الضعيفة المنطوية التى لا تستطيع ولا تود مواجهة الواقع

ثم هناك وليام جيمس البروتستانتى وغيره من فلاسفة الكنيسة الكاثوليكية الذين يقولون بأن السلوك الدينى القويم ليس رمزا لهذه العقد النفسية؛ وذلك لأن فى الفرد غريزة دينية متأصلة تشوب سلوكه دون أن يكون عرضة لكل هذه العقد أو لبعضها. وأن النفس المطمئنة والشخصية الكاملة الناجحة (بمعناها السيكولوجى) لم يتوفر لها هذه الطمأنينة وهذا الكمال إلا لأنها لمست مبلغ القوة فى غريزتها الدينية فهذبتها بالتروى والتبصر، وأبقتها سليمة مستقرة آمنة لا تزعزعها هذه المشاكل الدنيوية النفسية التى لا يخلو منها مجتمع ما بدائيا كان أم حضريا . وتقول مدرسة وليام جيمس (٧) — ولها اتباع من أئمة علماء النفس المعاصرين — (٨) إن الخوف والبلبلة النفسانية ومشكلة السلوك السيكوباتى ليست إلا وليدة إنكار الفرد على غريزته الدينية حقها ووظيفتها وتجاهله لأهميتها والدور الذى تلعبه فى السلوك الإنسانى ونفوره من إغنائها ورعايتها خالصة مطهرة

ولنقف هنيهة هنا ولنحاول فى أعداد الرسالة القادمة إن شاء الله أن ندرس مسألة الدين والسلوك الإنسانى على أضواء هذا النزاع لعلنا بذلك نساهم فى تفهم هذه المشكلة الاجتماعية التى أخذت حدتها تتخذ طورا مخيفا فى حاضر الأمة العربية

« للبحث صلة » نيويورك عمر حليق

---

٣ — راجع التقرير السنوى للجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لآسيا والشرق الأقصى (القسم الخاص بالباكستان

The united Nations Economic Survey for Asia & the far East 164.8 1949

Max Weber, The protestant Ethics and the Rise of Capitalism
De Toeqville, American Democracy.

(٥) راجع

The Jews in American Civilization A Symosium

٦ — راجع عدد جريدة المصرى فى ١٢-٦-١٩٥٠

William James. Varieties of religious Experience.
G.W.Allport, The Individual and his religion.

الألفاظ الأيوبية

في كتاب تقويم النديم

لصاحب المعالي الدكتور محمد رضا الشبيبي
عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

كتاب (تقويم النديم، وعقبى النعيم المقيم)، وبهذا الإسم ورد ذكره في كشف الظنون وفي غيره من فهارس الكتب، كتاب غير غريب عن المؤتمر، فقد ورد ذكره في معرض البحث عن المصطلحات الحرفية، في مؤتمر السنة الماضية، وهو البحث الذي عالجه الأستاذ ماسينيون في محاضرة لطيفة أشار فيها إلى عناية بعض علماء الشرق بوضع معجم في ألفاظ الحرف والصناعات، وكانت لي كلمة في التعقيب على المحاضرة قلت فيها إن أول من طرق هذا الباب أديب مصري من أعلام القرن السابع ومن وزراء الدولة الأيوبية في عصر الكامل بن الملك الصالح أيوب، وهو الأمير فخر الدين يوسف بن حمويه الجويني، في كتاب له سماه « تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم، » ضمنه جملة صالحة من المصطلحات الحرفية الشائعة في عصره. وما من شك أن الشربيني في كتاب هز القحوف، والشيخ قاسم الدمشقي في معجمه نسجا على منوال فخر الدين بن حمويه. فهو أقدم أديب عالج هذا الموضوع على كل حال. وقد قلت فيما قلت في تلك الجلسة إني لعلى استعداد لإهداء نسختي التي ظفرت بها من الكتاب إلى مكتبة المجمع أو إلى وزارة المعارف المصرية لأن مصر بهذا الكتاب أولى من العراق. هذا ولما قفلت إلى بلدي بعد انفضاض المؤتمر الماضي بعثت بالنسخة المذكورة فوراً إلى الوزارة المشار إليها ضمن كتاب أرسلت نسخة منه إلى مكتب المراقب الإداري في هذا المجمع، فوزارة المعارف هي التي تملك حق التصرف في الكتاب الآن.

إلى هذا الحين كنت وكان غير واحد من المعنيين بالبحث عن الأصول القديمة يرون أن نسختنا العراقية هي النسخة الوحيدة من هذا الكتاب، بيد أني مازلت منذ نزلت القاهرة في منتصف الشهر الماضي حتى الأيام الأخيرة، في سبيل التنقيب عن أصول الكتاب في دور الكتب هنا وهناك، إلى أن ظفرت بنسختين جديدتين، توجد إحداهما في دار الكتب، والثانية وهي أقدم خطا وأدق ضبطا في المكتبة الأزهرية، وإن كانت ناقصة قليلا ولعلها نسخت في عصر المؤلف، أو قريباً منه، فهي أصل يعتمد عليه، لأن كلا من النسختين العراقية، ونسخة دار الكتب، سقيمة لا يوثق بكل ما جاء فيها، وفيهما ما فيهما من النسخ والتحريف والتصحيف.

مؤلف الكتاب مؤلف كتاب تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم، هو الأمير الصاحب فخر الدين يوسف بن صدر الدين محمد شيخ الشيوخ بن حمويه الجويني، من أعلام مصر في صدر القرن السابع، ووزير بني أيوب، ومقدم جيوشهم في عصر الملك الكامل. وآل حمويه بيت مشهور يمت إليه عدد من الأعلام، وحملة السيوف والأقلام؛ ويراجع عن سيرة المؤلف وأهل بيته كتب التاريخ والطبقات بين أواخر القرن السادس وصدر القرن السابع. وممن ترجم لمنشئ هذا الكتاب السبكي في طبقاته وترجمته ضافية مستوفاة، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة، وابن أبي شامة في الذيل على الروضتين. وجل المؤرخين المصريين والشاميين الذين عنوا بتاريخ الحروب التي دارت رحاها في مصر بين الأيوبيين والفرنسيين في منتصف القرن السابع وهي حروب طاحنة في بعض وقائعها أسر ملك فرنسة، وفي واقعة منها وقعت سنة ٦٤٧ قتل مؤلف هذا الكتاب.

قال ابن أبي شامة في حوادث السنة المذكورة مانصه: « فيها قتل فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ وهو آخر أخوته موتا »، وفي حوادث السنة عينها من النجوم الزاهرة ما نصه: « توفي الصاحب فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ أبي الحسن محمد بن حمويه الجويني كان عاقلا جوادا ممدحا خليقا بالملك محبوبا إلى الناس. ولما مات الملك الصالح نجم الدين أيوب على دمياط، ندب إلى الملك فامتنع ولو أجاب لما خالفوه، واستشهد على دمياط » وقال أيضا « ومن الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، الأمير مقدم الجيوش فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ صدر الدين الجويني في ذي القعدة شهيداً يوم وقعة المنصورة » وفي تاريخ أبي الفداء وابن الوردي مثل ذلك.

موضوع الكتاب موضوع الكتاب أدبي بل هو سلسلة

نص المحاضرة التي ألقاها الأستاذ بجلسة المؤتمر التي عقدها مجمع فؤاد الأول في يوم الإثنين ١٥ يناير سنة ١٩٥١

طويلة من المنظوم والمنثور ، ولك أن تقول إنه مقامة واحدة من هذه المقامات الأدبية ، لم يراع فيهـا التنويع والتقسيم ، فلا عجب إذا اعترى قارئ الكتاب ضرب من السأم ، وإنما قلنا «مقامة» لأن المؤلف استهل الكتاب بقوله «حكى السرور ابن اللذة قال : كنت وشمبة جنون شبابى فى عنفوانها ، وصحيفة عمرى لم أقرأ منها غير عنوانها » وهذه العبارة شبيهة ببعض عبارات الحريرى وغيره من أصحاب المقامات . والمقامة طافحة من أولها إلى آخرها ، بضروب من الإحماض والفحش والمجون الذى لا يستساغ نشره فيما أرى وإن نشر الناشرون ماهو أسوأ منه . وقد حاول المؤلف فى مواضع عدة من الكتاب تأكيد سلامة نيته ، وحسن قصده فى مجونه وعبثه الفاحش ، وأن ذلك مجرد أقوال لم تقترن بأعمال وأفرد فصولا أخرى فى أول الكتاب وآخره للدفاع عن نفسه والاعتذار عن شطحاته وبدواته ، وعرض ببعض خصومه الذين نسبوا إليه الجد ، ورموه بسوء القصد؛ وزعم أنه نسج على منوال البلغاء ، فيما وضعوه من الكلام منسوبا إلى الجمادات أو ما عزوه من الحكم إلى الحيوانات مثل ما جاء فى كتاب كليلة ودمنة وكثير من المقامات؛ وقد يكون هذا العذر مقبولا لولا أن الجوبنى أسرف والحق يقال وأفرط فى مجونه وخلاعته من هذا القبيل ، ومع ذلك فإن وجه الانتفاع بنشر جانب من هذا الكتاب ظاهر لعناية المؤلف بتدوين المصطلحات الحرفية الشائعة فى عصره على وجه لم يسبق له مثيل .

فى مطاوى كتاب تقويم النديم مجموعة ألفاظ ومصطلحات كانت تدور على ألسنة المصريين فى عصر الدولة الأيوبية ، وقد عنى المؤلف عناية خاصة بتدوين هذه الألفاظ أو المصطلحات الأيوبية وإنما قلنا « ألفاظ أيوبية » مع أنها لا تخلو من ألفاظ عباسية أو فاطمية من باب التغليب ، أو لأنها أوضاع شاع استعمالها فى العصر المذكور بطريقة الاشتقاق أو التوليد أو التعريب أو بطريق من طرق المجاز أو الاستعارة .

قد يكون حفظ هذه المصطلحات وإضافتها إلى تراثنا اللغوى إحدى غايات هذا الأديب من إنشاء هذه المقامة ، كما كان حفظ أوابد العربية إحدى غايات الحريرى من إنشاء المقامات ، وبعض هذه الألفاظ أو المصطلحات من أوضاع المصريين فى اللغة أو من مصطلحاتهم المولدة .

والقريض فى هذا الكتاب كثير وأكثره من إنشاء المؤلف وهو مدمج فى النثر . فالجوبنى شاعر وشعره فى طبقة نثره ، وله طريقة خاصة فى اختيار شواهده الشعرية شرحها فى آخر كتابه ولا يخلو أسلوبه من تصنع فى المنظوم والمنثور .

المصطلحات الحرفية فى الكتاب

تصفحت الكتاب فعثرت فيه على مجموعة من المصطلحات والألفاظ الحرفية التى شاع استعمالها فى دواوين الدولة الأيوبية ، وعلى ألسنة الجمهور والكتاب فى مصر وما إليها من البلاد . وقد وجدت أن أصول كثير منها فصيحة بل عريقة فى الفصاحة فى تلك العصور ، ولم أجد لبعض ألفاظه ذكراً فى المعجمات ، إما لأنها ألفاظ مولدة ، أو أوضاع حادثة فى العصور الأيوبية ، ولم أنقل كل الألفاظ أو المصطلحات الواردة فى الكتاب ، لكثرة المسخ والتحريف فى نسختى منه ، وليس فى وقتى الآن متسع للمقابلة والتحقيق ، ولذلك عنيت بنقل نموذج من ألفاظ الكتاب مع شرح موجز وإيضاح لمعانيها أحياناً . وأما البحث فى أصول تلك الكلمات ونقل مذاهب اللغويين وأحكامهم فيها وفى جواز استعمالها فإن له وقتا آخر والأمور مرهونة بأوقاتها ، وهذه هى مصطلحات الكتاب .

الفلاحة والزراعة وما يتصل بالملاحة

جران ، مشاق ، قلفاط ، جسار ، مرابع ، فلاح ريس قرقورة ، طراح ، منزك ودقاق ، قفاص ، قفاف ، خواص ، تبان ، علاف ، ناخوذاه ربان

جران ـ صانع الأجران

مشاق وقلفاط ـ من الألفاظ الداخلة فى صناعة السفن

جسار ـ القيم على الجسر ، وهى شائعة إلى اليوم فى العراق فيقولون ، جسار للقيم على الجسر أى (الكورى) باصطلاح المصريين اليوم ، والكوبرى تركية ولا تستعمل فى العراق والشام .

مرابع وفلاح : الفلاح معلوم وأما المرابع فالغالب أنه الفلاح أو الأجير الذى يأخذ ربع الغلة ولا أدرى هل هى شائعة فى مصر اليوم أم لا

ربس قرقورة وطراح : قال الخفاجى فى شفاء الغليل قرقور ضرب من السفن تكلموا به قديماً . هذا كل ما ورد فى شفاء الغليل. وقال الجواليقى فى المعرب من كلام المعجم « القرقور ضرب من السفن أعجمى وقد تكلمت به العرب » وزاد ابن دريد أنه ضرب من السفن كبار » وفى اللسان «قيل هى السفينة العظيمة الطويلة. والقرقور أطول السفن وجمعه قراقير. أما الطراح فالأغلب أنهم كانوا يستعملونها فى العصر الأيوبى بمعنى الملاح وما إلى ذلك

مفرك ودقاق . المفرك هو الذى يفرك الحب، قال فى القاموس أفرك الحب آن له أن يفرك، واستفرك فى السنبلة سمن واشتد ، وفرك السنبــــل دلكه فانفرك . وأما الدقاق فهو بائع الدقيق قال الفيروزآبادى : الدقيق الطحين وبائعه دقاق ، ومن ذلك يعلم أن أفصح الألفاظ والمصطلحات كانت تدور على ألسنة جمهور المصريين فى عصر الدولة الأيوبية

قفاص . قفاف . خواص : القفاص صانع الأقفاص والواحد قفص وهو الذى يحفظ به الطير وغيره. والقفص أيضاً أداة زراعية ينقل بها البر إلى الكدس، والقفاف صانع القفاف أو بائعها واحدتها قفه بالضم وهى معروفة كهيئة القرعة تتخذ من الخوص. قال المجد الفيروزابادى : الخوص بالضم ورق النخل ، والخواص بائعه . ومما يستدرك عليه إناء مخوص فيه على أشكال الخوص

تبان وعلاف : التبــان بائع التبن والعلاف بائع العلف قاله فى القاموس وهما لفظان شائعان فى مصر الآن

ناخوذاه وربان : ناخوذاه فارسـية معربة استعمالها شائع فى العراق من القديم إلى اليوم بمعنى ربان السفينة ولكنهم يقولون الآن « نوخذه » والظاهر أنها كانت معروفة فى مصر أيضاً بالمعنى المذكور على عهد الأيوبيين ، قال المجد الفيروزابادى فى مادة « نخذ » : « النواخذة » ملاك سفن البحر أو وكلاؤهم معربة الواحدة « ناخذاه » اشتقوا منها الفعل وقالوا تنخذ كترأس

الفاكهة والمأكول والمشروب

من ألفاظ الكتاب فى هذا الباب مواز وقماح وعكار ورزاز لباعة الموز والقمح والتمر والرز ومن ذلك لبان وسماك وجبان وسمان وهراس وشواء وقلاء والألفاظ الأخيرة شائعة فى أقطار الشرق العربى إلى اليوم

قراب : الغالب أنه صانع القرب جمع قربة أو من يمتهن سق الماء من القربة وهى صيغة مولدة؛ وجائز أن يكون المقصود به صانع الغمد أو القراب

مزار : بائع المزر نبيذ الذرة أو الشعير

عكار : لبائع العكر وهو الحثالة

بداد : العامل فى البد وهى معصرة الزيت قيل إنها مصرية

البناؤون وما يتصل بالبناء

طواب. مجان خراط جباس. مبلط. مرخم. مصور. دهان

طواب : صانع الطوب والطوبة لغة شامية أو مصرية بمعنى اللبن عندنا فى العراق وهو هذا الطين المضروب للبناء

مجان : ورد فى الكتاب مرادفاً لكلمة طواب وقد يرد به من يمجن الطين أو غيره من مواد البناء

خراط : من خرط العود إذا قشره وسواه وحرفته الخراطـة وهى معروفة بهذا المعنى الآن

جباس وجبال : الجباس هو العامـل بالجبس أى الجص والجبال فى العراق هو الذى يجبل الجص ويحمله إلى البناء والكلمة شائعة على ألسنة العراقيين اليوم

المبلط : عامل حرفته فرش الدار بالبلاط؛ والبلاط الحجارة التى تفرش بالدار وكل أرض فرشت بها أو بالآجر، يقـال بلط الدار وأبلطها وبلطها فرشها به . والكلمة معروفـة الآن فى البلاد المصرية

المرخم : وزان المبلط وهو الذى يعمـل فى البناء بالرخام ولا يوجد فى المعجمات، وفى مصر الآن يقولون المرخماتى ـ للمعنى المذكور

مصور ودهان معروفان

حرف الجوهريين والمعدنيين

ذهبي . مداد . سكاكيني . براد . مبيض . نحاس . صيرفي . نقاد . مرصص . سباك . حجار . طلاع . نشار . حكاك . قفال

الذهبي : بائع الذهب أو الحلي الذهبية

مداد : هو الذي يمد الذهب أو يبسطه ويسويه، من الأوضاع اللغوية المولدة في عصر الأيوبيين

قفال : صانع الأقفال أو بائعها

البراد : من حرفته برد المعادن من ذهب وفضة وحديد، وبردها عبارة عن قشرها أو نحتها، والمبرد آلته والبرادة هي سحالة المعادن المبرودة

صيرفي ونقاد : معروفان

مرصص : عامل حرفته طلي الأشياء بالرصاص ، قال المجد الفيروزابادي شيء مرصص مطلي بالرصاص

سباك : أصله من سبك المعدن أذابه وأفرغه وهي معروفة الآن

مبيض : أصله من بيض ضد سود والمراد به طلي الأكثر مبيض المساكن والبيوت بالجص والبورق. وفي العراق يطلقون هذه الكلمة الآن على الماهن الذي يبيض الأواني بالقصدير

الحكاك : يطلق في العراق على من يسوى فصوص الخواتم والقلائد وما إلى ذلك ، ولا يعلم المراد منه في هذا الكتاب

الحرب والسلاح

رماح . زراد . نشابي . قواس . تراس . سياف . صيقل . مشاعلي . نفاط .

رماح : الرماح متخذ الرمح وحرفته ارماحة قاله المجد الفيروزابادي في القاموس ؛ والرماحة أيضاً فرقة عسكرية تحمل الرماح

زراد : الزراد صانع الزرد والزرد هي الدرع المزرودة

النشابي : نسبة إلى النشاب، والنشاب النبل والنشاب بالفتح متخذه وقوم نشابة يرمون به

القواس : صانع القوس أو الذي يتخذ القوس سلاحا له

تراس : صاحب الترس أو صانعه والتراسة صنعته

الحيوان

فهاد . دباب . قراد . اسائس الفهود والدببة والقرود

كباش . حمار : صاحبا الكباش والحمير . قال في القاموس الحارة أصحاب الحمير كالحامرة وهي شائعـة في أقطار الشرق العربي اليوم

الطير . طيوري : الذي يلعب بالطيور والصيغة الأولى شائعة في العراق اليوم

البراج : القيم على الأبراج . والمقصود بهـا هنا الأبراج التي تتخذ للطيور

كلابزي : قال في شفاء الغليـل الكلابزة هي معرفة حال الكلاب السلوقية منسوبة إلى سلوق بأرض اليمن . . قيل إن الكلمة مصرية

بزدار : صاحب البازي أو الخبير بطباعه وإعداده للصيد معرب كما في الصحاح؛ ويقال بيزار وجمعه بيازرة . قال في الشفاء تصرف فيه المولدون حتى قالوا لصناعتـه (بيزرة) أو (بزدرة) كما فعلوا في البيطرة وقد وضعت في هذا الفن كتب بعضها يسمى (كتاب البيزرة) وعندي شيء منها ؛ ويراجع عن هذه المادة كتاب المعرب للجواليقي والتذكرة للانطاكي

ألقاب الخدم

البلان : أصل هذه الكلمة من مادة البلل وكانت شائعة قديماً بمعنى الحمام ذكرت مرتين في القاموس في حرف اللام وفي مادة (البلل) قال المجد الفيروزابادي: البلان كشداد الحمام جمعه بلانات، وقال أيضاً في حرف النون البلان كشداد الحمام وذكر في اللام. ومحمل القول أن أصل هذه المادة من البلل ولكن المجد الفيروزابادي لم يخلص إلى رأى معين في أصالة النون أو زيادتها؛ بيد أن الشارح تدارك ما أهمله الماتن. وهاك ما قاله الزبيدي في التاج « البلان » كشداد الحمام جمعه بلانات والألف والنون زائدتان وإنما يقال دخلنا البلانات عن أبي الأزهر ولأنه يبل بمائه أو بعرقه من دخله ولا فعل له. وفي حديث ابن عمر ستفتحون أرض العجم وستجدون فيها بيوتاً يقال لها البلانات من دخلها ولم يستتر فليس منا. قلت

تحقيقات تاريخية

الأمير سيف الدين
تغري بردى الاتابكى
والد الأمير جمال يوسف المعروف بابن تغرى بردى المؤرخ المصرى

للاستاذ أحمد رمزى بك

حينما قدمت دار الكتب الجزء الأول من كتاب « النجوم الزاهرة » ، وضعت للمؤرخ ثلاث تراجم نقلا عن القدماء. الأولى من وضع تلميذه أحمد بن حسين التركمانى المعروف بالمرجى ، والثانية عن الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع للسخاوى ، والثالثة عن شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى وهو متأخر عن ذلك العصر وقد جاء فى الأولى :

« هو يوسف بن تغرى بردى الأمير جمال أبو المحاسن بن الأمير الكبير سيف الدين تغرى بردى اليشبغاوى الظاهرى أتابك العساكر المصرية ثم كافل الممالك الشامية »

وجاء فى الثانية :

« يوسف بن تغرى بردى الجمال أبو المحاسن الأتابكى بالديار المصرية ثم نائب الشام اليشبغاوى الظاهرى القاهرى الحنفى »

وجاء فى الترجمة الثالثة :

« جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن الأمير الكبير سيف الدين تغرى بردى »

فيفهم من هذا أن والده كان أميراً معروفاً من كبار أمراء الدولة المصرية ، والمطلع على تاريخه يستخلص منه أنه شغل أعلى وظائف الدولة ، من يوم أن عين على رأس نوبة الجدارية ثم نقل منها إلى نيابة حلب، ثم حصل على رتبة أمير مائة فأمير مجلس فأمير سلاح ومنها عين واليا أو نائبا للسلطنة فى دمشق ، ثم رفع

والقول للزبيدى — وأطلق الآن البلان على من يخدم فى الحمام وهى عامية

وعاد الزبيدى شارح القاموس إلى شرح الكلمة مرة أخرى فى باب النون فقال: «البلان» كشداد أهمله الجوهرى . وقال ابن الأثير هو الحمام ومنه الحديث : ستفتحون بلاداً فيها بلانات أى حمامات قال والأصل بلالات فأبدلت اللام نوناً »

هذا وفى عصر المؤلف وهو عصر بنى أيوب شاع استعمال هذه الكلمة بمعنى خادم الحمام أو الدلاك. ومن رأى بعضهم أن أصل الكلمة من اليونانية وإلى هذا ذهب اللغوى العراقى انستاس الكرملى وليس بشىء؛ إذ لا يخامرنى أدنى شك فى عروبة هذه الكلمة. وفى مصر اليوم يقال للماشطة التى تزين العروس ليلة البناء (بلانة) على ما رواه لى بعض أدباء القاهرة

الوقاف : تطلق هذه الكلمة فى العراق اليوم على الرقيب الذى يقف مع الأجير وهو معناها على الظاهر فى عصر مؤلف الكتاب فهى كلمة مولدة وكلة (الوهين) فى الفصحى تسد مسد هذه الكلمة. قال الفيروزابادى: الوهين رجل يكون مع الأجير فى العمل يحثه عليه

هذا طرف من الألفاظ والمصطلحات اللغوية التى وجدتها فى كتاب تقويم النديم ولم آت على كل ما يوجد فى تضاعيف الكتاب من هذا القبيل أو من الأوضاع اللغوية التى كانت شائعة فى عصر الدولة الأيوبية . فالكتاب مفيد كل الفائدة لمن يعنى بالبحث عن المصطلحات والألفاظ الحرفية فى العربية الفصحى أو فى اللهجات العربية الشائعة فى أقطار الشرق العربى الآن؛ يستفيد منه مضافاً إلى ذلك من يعنى بتاريخ العمران والحضارة فى مصر الإسلامية

هنا ومن رأيى أن وزارة المعارف تحسن صنعاً إذا عهدت بنشر هذا الكتاب بعد تحقيقه وتهذيبه إلى لجنة من اللجان المعنية بنشر المخطوطات النادرة . والغالب أن الوزارة المشار إليها تعنى الآن بالنظر فى وجوه الاستفادة من هذا الكتاب

إلى رتبة الأتابكية ومات وهو على نيابة السلطنة بالشام

واسم «تغرى بردى» عربق فى تركيبته، ومعناه «الله أعطى» أو «عطية الله» وهو مأخوذ من طارى فيردى

وقول المؤرخين الظاهرى نسبة إلى أستاذه العظيم الملك الظاهر برقوق

وجاء فى الضوء اللامع نقلا عن ابن خطيب الناصرية أنه «كان عنده عقل وحياء وسكون» ثم ذكر السخاوى أنه انضم إلى الأمير «ايتمش» فى خروجه بالشام، وأرجح أنه انضم إليه بحكم الجنسية التركية على رغم قرابته لبيت الظاهر برقوق

ولقد دهشت لما قرأت فى ترجمة ابنه صاحب المنهل الصافى والنجوم الزاهرة، وفى كتب الإفرنج والمشتغلين بالتاريخ الإسلامى من المتأخرين، تفسيرهم لكلمة الرومى باليونانى

١ — فقد ورد فى كتاب تاريخ المماليك للسير وليم موير فى مقدمة المؤلف صفحة ٧ ما يأتى:

«أما أبو المحاسن فقد عاش بعد المقريزى ثلاثين سنة وهو ابن الأمير تغرى بردى الذى كان مملوكا يونانيا للسلطان برقوق»

٢ — وذكر الأستاذ أنور زقلمة فى كتابه عن تاريخ المماليك «أن الأمير تغرى بردى كان مملوكا يونانيا»

٣ — كما جاء فى الصفحة ٢٦ من كتاب الدكتور محمد مصطفى زيادة عن مؤرخى القرن الخامس عشر عند كلامه عن صاحب النجوم الزاهرة لفظ يونانى بين قوسين

وتكلم عن بعض سلاطين دولة الأمراء الجراكسة فى محاضرة له بجمعية الدراسات التاريخية فنسب بعضهم إلى أصل يونانى

وتحميل لفظ الرومى على أنه يونانى لا يتفق مع ما هو متداول فى ذلك العصر لأن أرض الروم هى آسيا الصغرى، وكان يطلق على سلطان السلمين هناك ملك الروم، هكذا ورد فى أيام السلاجقة وآل عثمان

ويظهر لنا جليا أن آسيا الصغرى كانت منذ القدم موطنا للشعوب الأسيوية لا الروم، وفى العهود التى عاش فيها تغرى بردى، كانت آهلة بالعناصر التركية والتركمانية، حتى قبل مجىء العثمانيين واستيلائهم على ربوعها وأقطارها، وكان يطلق على المسلمين من سكانها أهل الروم وهم ليسوا بروم، وإلا كان جلال الدين الرومى بمجرد نسبته للروم يونانيا، وآباؤه وأجداده فى أواسط آسيا، ومكانته فى الشعر الصوفى وأثره فى العالم معروفان

أما تغرى بردى فيكفى استعراض تاريخه واسمه للحكم على تركيته الصافية، ولا صلة له بالإغريق واليونان

ويظهر من تتبع أحواله أنه كان على صلة وثيقة بالملك الظاهر برقوق، لأن المؤرخين ذكروا أن برقوق تزوج الأميرة شيرين الطويلة الرومية، وهى ابنة عم تغرى بردى، وقد ولدت له ولده الذى أسماه (بلغ ق) ومعناه كما فهمت بالتركية «فتنة» ويظهر أنه ولد فى إبان محنة ألمت بوالده فلما زالت أسماه «فرجا» بالعربية وهو الذى تولى السلطنة بعده تحت اسم السلطان فرج

وقد صاهر السلطان فرج ابن عم والدته أى الأمير تغرى بردى على ابنته الكبرى، أما بناته الأخر فقد صاهره عليهن الأمير آقبغا التمرازى الذى جمع بين الأتابكية ونيابة السلطنة، وصاهره الأمير يشبك بن أزدمر الظاهرى على إحدى بناته الصغار، والذى وصل إلينا عن زوجاته اثنتان

الأولى ابنة الأمير عربای الحسنى الذى تولى نيابة سيس ثم حجوبية الحجاب وتوفى سنة ٧٩٢ والثانية ابنة الملك المنصور ناصر الدين أبى المعالى محمد بن حاجى بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون

فأنت ترى علاقات المصاهرة والقرابة والنسب بين الأتابكى تغرى بردى وكبار البيوتات التى كانت فى عصره، لتحكم على منزلته العالية وأن مكانته فى الصفوف الأمامية، ولا يمكن أن نسلم أتابكية العساكر الإسلامية لمن لم يكن فى أرومته، والكلام عنه لا ينفى أن نذكر كلمة عن ابنة عمه الأميرة شيرين زوجة السلطان برقوق، وهى التى اشتهرت بجمالها وعفتها وكانت الخوند الكبرى فى عصرها ولذلك أسكنها السلطان قاعة العواميد بقلعة

مصر ، كما اتفق أصحاب السير على أنها سارت فى حياتها سيرة محمودة مقترنة بالحشمة والرياسة والكرم مع التواضع الزائد والخير والتمسك بالدين ، وهى ذكرى تملفنا الكثير عن طيب عنصر أصلها وأصل الأمير تغرى بردى والد صاحب النجوم الزاهرة

ولا يشبع الباحث من سيرة هذه الأميرة الجليلة ، بل إن الحديث عن مآثرها وأياديها على الفقراء وما قامت به من أعمال البر وتجديد الرباطات على طريق مكة وما وقفته من الأوقاف وما أصلحته من المبانى ، طويل لا يتسع له المجال

أما تشعب عائلة تغرى بردى واتصالها بالناس فأمر طويل يحتاج إلى تتبعها وقيد الكثير من السير فى مختلف المراجع ، وأهمها الضوء اللامع الذى أرخ لبعض أفراد العائلة حتى عهد قايتباى إذ ذكر محمد بن سنقر القادرى ابن عمة أبى المحاسن ، وأرخ وفاة ابنة الأتابكى آقبغا التمرازى وهى ابنة أخت المؤرخ

ويظهر من كلام السخاوى أن جامع السلطان برقوق بالصاغة يحتوى على رفات عدد من أولاده وأحفاده غير أولئك الذين دفنوا بمدرسته المشهورة بالصحراء بجوار تربته : كما تبين لنا صلة بيت برقوق بعائلة تغرى بردى وإن كانت أسرة برقوق تنحدر من أصل جركسى عريق والثانية من أصل تركى فى آسيا الصغرى

والذى أقلقنى فى ترجمة الأمير سيف الدين تغرى بردى النسبة الآتية التى جاءت على ثلاثة أوجه : اليشبغاوى الكمشبغاوى والقشبغاوى

والذى أعرفه أنه لم يرد تحت نسبة كش بغا ومعناها « الثور النفضى » غير الأمير سيف الدين يعقوب شاه الكمشبغاوى الظاهرى وترجمته فى المنهل الصافى وكان أمير ألف وقتل سنة ٨٠٢ كما له ترجمة فى الضوء اللامع وكان تركى الأصل مقداما جميل الصورة ، حسن القامة ، انضم إلى « ايتمش » وآل أمره إلى أن قتل بقلعة دمشق ، أى بعد أن انضم إلى الحزب الذى كان فيه تغرى بردى ولولا علاقة الأخير بالبيت المالك لكان نصيبه نصيب هذا الأمير أى القتل . ولذا استبعد موضوع النسبة إلى كشبغا هذا .

ولكن ابن الفرات الذى استعمل أولا لفظ كشبغا عاد فاستعمل لفظ قشبغا وإليك النصوص :

عند خروج السلطان برقوق إلى الريدانية ترك بالقلعة من مماليكه نحو السمائة مملوك عندهم الأمير تغرى بردى من كمشبغا رأس نوبة . صفحة ٢٥٩ جزء ٨

أنعم الملك الظاهر على الأمير تغرى بردى من قشبغا ص ٣٠٦ أحد أمراء الطبلخانات بتقدمة ألف

جاءت الأخبار فى ذى الحجة سنة ٧٩٦ إلى الديار المصرية بأن السلطان الظاهر خلع على الأمير سيف الدين تغرى بردى من قشبغا واستقر فى السلطنة بحلب عوضا عن الأمير سيف الدين الكمشبغاوى صفحة ٣٧٨ جزء

فاشتراك الأميرين الكبيرين تحت اسم سيف الدين جعل المؤرخين يخلطون بينهما وينسبون كلا منهما إلى أنه الكمشبغاوى

ويستمر ابن الفرات لغاية ٨ رجب ٧٩٧ حيث يقول خلع المالك الظاهر على الأمير سيف الدين نوروز الحافظى واستقر رأس نوبة صغير ثانى عوضا عن الأمير سيف الدين تغرى بردى من قشبغا

وإلى أن نجد اسم كش بغا الذى نسب إليه أو يشبغا تبقى هذه الشخصية غامضة

أحمد رمزى

المدير العام
لمصلحة الاقتصاد الدولى

الفارابي فى الشرق والغرب

ومكانته فى الفلسفة الاسلامية

بمناسبة مرور ألف عام على وفاته

— ٢ —

الاستاذ ضياء الدخيلى

بقيت هذه التهمة الشنعاء التى ألصقت بابن سينا؛ فإن الناقدين يرتابون فى صحتها وينزهون ابن سينا عنها . والظاهر أنها من نسيج خصومه وحساده ، وقد علق على الخبر ناقله وأظنه صاحب أبجد العلوم — بأنه بهتان وإفك لأن الشيخ مقر لأخذه الحكمة من تلك الخزانة كما صرح به فى بعض رسائله ، وأيضاً يفهم فى كثير من مواضع الشفاء أنه تلخيص التعليم الثانى . وعلق الأستاذ مصطفى عبد الرازق بأن فى هذا الخبر خطأ تاريخيا؛ فإن منصور ابن نوح السامانى إنما ولى أمر خراسان بعد سنة ٣٤٣ هـ بعد موت الفارابى ، ومع هذا كيف يدعى أنه كلف الفارابى (١)

— وأقول إن الفارابى درس فى بغداد وعاش فى سورية وزار مصر ولم يعرف أنه أقام فى أصفهان وشرقى المملكة الإسلامية بعد نبوغه وتألق نجمه فى الفلسفة وإن قال العقاد فى رسالته عن الفارابى (على أنه يبدو من كتاب الموسيقى أن فيلسوفنا جاس أيضاً خلال خراسان قبل أن يهبط العراق) (٢) فإن الظاهر أن ذلك قبل بزوغ شمس مجده فى سماء الفلسفة. أما ما رواه البيهقى ونقله عنه الشهرزورى من أن الفارابى ذهب إلى الرى استقدمه إليها كافى الكفاة الصاحب بن عباد وبعث إليه هدايا وصلات واستحضره واشتاق إلى ارتباطه وأبو نصر يتعفف وينقبض ولا يقبل منه شيئاً حتى ضرب الدهر ضربانه ووصل أبو نصر إلى الرى وعليه قباء وسخ وقلنسوة بلقاء ودخل مجلس الصاحب متنكراً وكان المجلس غاصا بالندامى والظرفاء وأرباب اللهو فأضافوا الجرم إلى البواب ورموا إليه أسهم العتاب واستهزأ بأبى نصر كل من كان فى ذلك المجلس وهو يحتمى أذى الأيدى ويغضى على قذى الأذى والاستهزاء حتى اطمأنت أنفسهم لمجالسته وأنساهم الشراب ذكره ودارت الكؤوس ومالت الرؤوس وطربت النفوس وحمل أبو نصر مزهراً واستخرج لحناً مع وزن نوم المستمعين وصار كل واحد كالذى يغشى عليه من الموت وكتب على البربط (١) زاركم أبو نصر الفارابى واستهزأتم به فنومكم، ثم خرج من الرى متنكراً مع رفقة متوجهاً إلى بغداد) (٢) فهذه الأقصوصة إن صحت فإنها تدل على أنه لم يمكث فى تلك الجهات مكث تأليف وكتابة، وقد علق العقاد فى رسالته عن الفارابى — على القصة بأن ابن خلكان يروى قصة قريبة من هذه على أنها حدثت بين الفارابى وسيف الدولة، ثم قال ولا شبهة لدينا فى أن قصة البيهقى أسطورة تمثل خيال الكاتب وفنه دون أن تمت إلى الحقيقة بنسب . ودليلنا على هذا أن الصاحب إسماعيل بن عباد ولد سنة ٣٠٦ هـ فهو عند موت الفارابى فى سنة ٣٣٩ هـ كان صبيا صغيراً ولم يكن له بعد مجلس يضم الندامى والظرفاء.

وجاء الأستاذ (أبوريده) من جامعة فؤاد الأول بمصر مملناً ارتيابه وشكه فى صحة هذه الطمنة النجلاء الموجهة من خصوم ابن سينا إلى مقامه الجليل — فقال ولا شك أن ما يقوله حاجى خليفة كلام ينبغى أن نتلقاه بالتردد والحذر (٣)

وقد نقل القصة السابقة أيضاً المولى أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٢ هـ على الصورة التالية إذ قال (ج ١ ص ٢٤١) فى مفتاح السعادة — : إن أرسطو بعد ما دون المنطق صارت كتبه مخزونة فى أثنه (أثينا) من ولاية موره (شبه جزيرة الموره من بلاد اليونان) من بلاد الروم عند ملك من ملوك اليونان ، ولما رغب الخليفة فى علوم الأوائل أرسل

---

١ — رسالة الأستاذ مصطفى عبد الرازق (المعلم الثانى)

٢ — رسالة العقاد عن الفارابى

---

١ — البربط هو العود والمزهر على وزن عجد وجوهر

٢ — البيهقى فى تاريخ حكماء الاسلام مخطوط فى دار الكتب المصرية

٣ — تعليقات أبو ريده على كتاب دى بوير (تاريخ الفلسفة فى الاسلام)

الأمون إلى الملك المذكور وطلب الكتب فلم يرسلها فغضب
المأمون وجمع العساكر وبلغ الخبر الملك فجمع البطاريق
والرهابين (١) وشاورهم فى الأمر فقالوا إن أردت الكسر
فى دين المسلمين زلزلة عقائدهم فلاتمنعهم عن الكتب . فاستحسن
الملك ذلك وأرسلها إلى المأمون فجمع المأمون مترجمى مملكته
كحنين بن إسحاق، وثابت بن قرة وغيرهما وترجموها بتراجم
متخالفة لا توافق ترجمة أحدهم ترجمة الآخر فبقيت التراجم غير
محررة إلى أن التمس منصور بن نوح السامانى من أبى نصر الفارابى
أن يحررها ويلخصها ففعل كما أراد ولهذا لقب بالمعلم الثانى وكانت
كتبه فى خزانة الكتب المبنية بأصبهان المسماة بصوان الحكمة
إلى زمان السلطان مسعود، لكن كانت غير مبيضة لأن الفارابى
كان غير ملتفت إلى جمع التصانيف ونشرها بل غلب عليه السياحة.
ثم إن الشيخ أبا على تقرب عند السلطان مسعود بسبب الطب
حتى استوزره واستولى على تلك الخزانة وأخذ مافى تلك الكتب
ولخص منها كتاب الشفاء وغير ذلك من تصانيفه. وقد اتفق أن
احترقت تلك الكتب فاتهم من يتعصب على أبى على بأنه أحرقها
لينقطع انتساب تلك العلوم عن أربابها ويختص بنفسه، لكن
هذا الكلام للحساد الذين ليس لهم هاد (٢) . . انتهى كلام
طاش كبرى زاده وقد اختتمه بارتيابه فى هذه التهمة أعنى احراق
ابن سينا للمكتبة ليحتكر علومها ولم ينف أخذ ابن سينا من
كتاب التعليم الثانى . قال العقاد فى رسالته عن الفارابى
أما طاشكبرى زاده فلا يصدق هذه الرواية ويقرر أن منشأها
حسد الحاسدين لأبى على وينفى حاج خليفة أيضاً عن ابن سينا
تهمة حرق الخزانة لأن الشيخ أى ابن سينا مقر بأخذه الحكمة
من تلك الخزانة كما صرح فى بعض رسائله ؛ وأيضاً يفهم من
مواضع فى كتابه الشفاء أنه تلخيص التعليم الثانى

يقول العقاد وفى الحق أن ابن سينا تقرب إلى نوح بن منصور
وطببه واستأذنه فى الاطلاع على دار كتبه فأذن له. وابن سينا
يصرح أيضاً بأنه كان يقرأ كتاب (ما بعد الطبيعة) لأرسطو
دون أن يفهم مافيه حتى ألقت المقادير بين يديه كتاب الفارابى

١ ـ مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده

فى أغراض كتاب ما بعد الطبيعة فاستطاع حين ذاك أن يفهم
كتاب أرسطو . وهو يصرح أيضاً فى كتاب الشفاء بأنه يلخص
آراء القدماء . ولكنا مع هذا نجد فى روايتى مفتاح السعادة
وكشف الظنون كثيراً من الأغلاط ؛ فمنصور بن نوح لم يكن
ملكا قبل سنة ٣٥٠هـ أى بعد وفاة الفارابى بأحدى عشرة سنة
ولم يكن السلطان مسعود من أحفاده ولم يستوزر ابن سينا وإنما
استوزره شمس الدولة فى همذان، ولم تكن خزانة الكتب فى
أصفهان وإنما كانت فى بخارى . ومما يرجح الشك فى صحة هذه
الرواية أيضاً أننا لانجد عند المؤرخين المتقدمين كتاباً للفارابى
باسم التعليم الثانى ١.

والذى يهمنا من كل ماتقدم هو الحقيقة الثابتة التالية التى
لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها وهى أن ابن سينا
تخرج بكتب الفارابى. والظاهر أن آثار المعلم الثانى بقيت المعين
الصافى الذى ورد منه جم غفير من رواد الفلسفة ، فقد جاء فى
كتاب (دروس فى تاريخ الفلسفة) ٢) عرض لأثر الفارابى
فى رواد المعرفة فى الأجيال الإسلامية، قال المؤلفان فيه (وهناك
تلاميذ آخرون اهتدوا بهدى الفارابى واستمسكوا بتعاليمه دون
أن يروه أو يعاصروه وعلى رأس هؤلاء الأستاذ الرئيس أبو على
الحسين بن عبدالله بن سينا المتوفى سنة ١٠٣٧ م

ولا غرابة فابن سينا نفسه يعترف بتأثره به وفضله عليه ولقد
بلغ من تعلقه بنظرياته أن بذل كل مجهود فى تفهمها وأفاض فى
شرحها وتوضيحها بحيث منحها نفوذاً وسلطاناً لم تنله على يد
واضعها ومبتكرها، ولئن كان للفارابى فضل السبق فلتلميذه فضل
البيان والإيضاح . ولكن (كارل بروكلمان) فى كتابه (تاريخ
الشعوب الإسلامية) فى القسم الثانى الباحث عن الإمبراطورية
الإسلامية وانحلالها لم يرض أن يقصر ما دونه ابن سينا على
مهمة البيان والإيضاح لأفكار الفارابى بل أعطى كتاباته من

١ ـ الفارابى للعقاد من سلسلة أعلام الاسلام
٢ ـ تأليف الدكتور ابراهيم بيومى مدكور ويوسف افندى كرم المدرسين فى
كلية الآداب بمصر ـ ص ١٥٧

المكانة العليا ما دفعه لأن يدعى أنها اكتسحت وجرفت مؤلفات الفارابي من سوق التداول الفكري فقال (ولم تقتصر الحركة الفكرية في بلاط سيف الدولة على الشعر والأدب بل عدتهما إلى العلم أيضاً بروح ملؤها التفهم والإدراك فلمع في سمائه أحد تلامذة أرسطو الكبار أبو نصر الفارابي التركي الأصل الذي أتم دروسه في بغداد . ومع أن مؤلفات ابن سينا استطاعت أن تحظى بسلطان دائم في العالم الإسلامي فالواقع أن هذا الرجل (الفارابي) ليمثل بوصفه أحد تلامذة الفلسفة اليونانية الأكثر استقلالا — ظاهرة بارزة جدا في تاريخ الحضارة الإسلامية) [١]

ولا ننكر أن انسحار ابن سينا بآراء الفارابي واجتذابها له خلفا أثراً سيئاً على مؤلفات الفارابي إذ أن ابن سينا شرح أفكار الفارابي بإسهاب وعرضها للناس بثوب جذاب ومظهر أخاذ فأدى ذلك إلى نسيان الناس مؤلفات الفارابي نفسها وانذهالهم عنها بما كتبه ابن سينا حتى قال العقاد في رسالته عن الفارابي (وكان من سوء حظ الفارابي أن جاء بعده الرئيس ابن سينا أو الشيخ الرئيس وتألق نجمه في ميدان الفلسفة كما سطع في سماء السياسة وأفاض الشيخ الرئيس في التأليف وصنف كتباً مطولة اشتملت على مذهب الفارابي في الفلسفة ، وأغنت الناس عن رسائل الفارابي الموجزة وألقت على تاريخه ظلالا من النسيان) [٢]

وقد قدمت أن ابن سينا ولد بعد وفاة الفارابي بـ ٣١ عاماً ولكن من الغريب أني وجدت في (الوافي بالوفيات) يقول مؤلفه صلاح الدين بن أيبك الصفدي قال ابن سينا «سافرت في طلب الشيخ أبي نصر وما وجدته وليتني وجدته فكانت حصلت إفادة» [٣] وإني أعلق على هذا الخبر الذي أرتاب في صحته بأن ابن سينا تعلم الفلسفة وهو شاب يافع فقد كان عمره حين تعلمها حوالى الستة عشر عاماً ؟ قال الأستاذ محمد لطفي جمعة في (تاريخ فلاسفة الإسلام) ولم يبلغ أبو علي — السادسة أو السابعة عشرة من عمره حتى طبقت شهرته الخافقين لحذقه في الطب، وقد دعاه نوح بن منصور أمير بخارى لعيادته في مرض ألم به وأعيا حيل الأطباء فعالجه إلى أن عوفي فانبسط له وأسبغ عليه ذيل الرضى وأسبل عليه ثوب النعمة وفتح له خزانة كتبه فوجد بها الطبيب الحكيم خير مجال لرغبة الدرس وأرحب ميدان لطالب العلم واستقى من تلك الينابيع العذبة ماشاء إقباله عليها. وقد حدث أن احترقت خزانة الكتب فاتهم ابن سينا بأنه حرقها رغبة في أن يتفرد بما وعته من الحكمة وخشية أن ينتفع بما حوته سواه. وقد مات الأمير نوح بعد ذلك بقليل عام ٣٨٧ هـ وفي هذا العهد كان قد مضى على وفاة الفارابي حوالى (٤٨) عاما فكيف يسعى ابن سينا للقياه ؟ وهل موت الفارابي حادثة طفيفة يتوقع أن لا تصل إلى مسامع ابن سينا وهو عاشق الفلسفة الدؤوب لتحصيلها؟ ومع ذلك فإننا لا نغلق باب الاحتمال ونجوز صدق الرواية ولا نكذب احتمال عدم اطلاع ابن سينا على وفاة الفارابي الأمر الذي حمله على أن يعقد عزمه على الاتصال به؛ ذلك لأن ابن سينا في هذا العهد كان يعيش في شرق البلاد الإسلامية في بخارى ، أما الفارابي فقد توفي في دمشق ، فإذا أضفنا إلى بعد المسافة تقطع الأسفار لوعورة الطرق ووحشتها مضافاً إلى ذلك أنه لم يكن الفارابي الفيلسوف المتصوف المنقطع عن الناس بذائع الصيت حينئذ — كل ذلك مما يجوز صدق أقصوصة عزم ابن سينا على الاستمتاع بفضل الفارابي عن كثب وسفره في طلب الشيخ العميق التفكير والقصة على كل حال وحتى مع تقدير كذبها تدل على سمو مكانة الفارابي في أذهان المؤلفين في تلك العصور فهم ينقلون خبر عزم ابن سينا على شد الرحال أو قيامه بالسفر حقيقة للاستفادة من علمه ولا يجدون في ذلك غرابة؛ بل إن فضل الفارابي في رأيهم يستحق أن يقصده رواد العلم من أمثال ابن سينا من أقاصي البلاد فضلا عن أدناها

للكلام بقية

ضياء الدخيلي

---

١ — البطريق جمعه بطاريق كلاهما بالقاف وهو القائد من قواد الروم والبطريك وجمعه بطاريك كلاهما بالكاف وهو رئيس رؤساء الأساقفة على أقطار معينة والظاهر هو المقصود بقرينة الرهابين الذي هو جمع رهبان بمعنى الراهب ولكن صاحب مفتاح السعادة أورده بالقاف خطأ

٢ — تاريخ الشعوب الاسلامية لكارل بروكلمان

٣ — الفارابي للعقاد

٤ — الوافي بالوفيات

بمناسبة المولد النبوى :

نشأة البديعيات

في مدح الرسول

للاستاذ حامد حفنى داود الجرجاوى

لم ينعم نبي فى أمته بمثل ما نعم به محمد صلى الله عليه وسلم . ولم ينل نبي من الرضا عنه والثناء عليه مثل ما ناله النبى الأعظم من الثناء والإجلال ، وليس ذلك بعجيب أو مستعظم بعد أن سجل الله له ذلك فى محكم كتابه « وإنك لعلى خلق عظيم » .

ومدائح النبى الأعظم لا يحصيها عد ولا يشتملها كتاب فرد كائناً ما كان : وقد حاول العلامة الشيخ يوسف النبهانى أن يحصيها فى كتابه « المدائح النبوية » ـ فعجز ـ مشكوراً ـ عن إدراك غايته * .

ولو تتبعنا فن (مديح الرسول الأعظم) منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا لوجدناه نوعين : مديح تقيد فيه ناظموه ببحر معين وقافية خاصة ونمط مصطلح عليه . ومديح لا يتقيد فيه ناظمه ببحر معين ولا بقافية خاصة أو نمط مصطلح عليه وقد سمى النوع الأول « البديعيات » أما النوع الثانى فهو من « المدائح النبوية » العامة.

ولو تتبعنا تاريخ « البديعيات » لوجدناها كلها نوعاً واحداً . التزم فيها ناظموها بحر (البسيط) وقافية (الميم) واشترطوا فى كل بيت من أبياتها محسناً من المحسنات البديعية المعروفة على عهدهم ، وقصدوا بذلك تطريز هذا الصنف من المدائح بجميع الصور البلاغية .

* أوضحت هذا العجز فى كتابى « تاريخ البديع من القرن الثانى الى أواخر القرن الرابع عشر » .

ولعل أول بديعية استكملت هذه الشروط كلها « بديعية صفى الدين الحلى » المتوفى عام ٧٥٠ هـ . وقد استهلها بقوله :

أن جئت سلعاً فسل عن جيرة العلم واقر السلام على عرب بذى سلم
فقد ضمنت وجود الدمع من عدم لهم ولم أستطع من ذاك منع دمى (١)

وهى بديعية طويلة تقع فى مائة وخمسة وأربعين بيتاً .

ومن ثم جرى الشعراء على منواله منذ القرن الثامن وهم لا يزالون كذلك إلى اليوم الذى أنشأ فيه أمير الشعراء أحمد شوقي بك « بديعية نهج البردة » التى أولها :

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

فكل ما قيل فى مدح الرسول ـ منذ القرن الثامن إلى اليوم ـ من قصائد منظومة فى هذا البحر والقافية ، وذلك النمط الذى يلزم فيه الناظم استخدام المحسنات البديعية يسمى « البديعيات » وواحدتها « بديعية » . ولعلهم لم يختاروا لها هذا الاسم إلا لاستخدام المحسنات البديعية فى كل بيت من أبياتها .

فكيف نشأت البديعيات فى تاريخ الأدب ؟ الحق أن صفى الدين الحلى لم يكن أمة وحده فى اختراع « البديعيات » وإن كان له فضل اختراع التسمية واشتراط قافية الميم واصطناع البديع فيها

ولو أنك استعرضت معى المدائح النبوية كلها لرأيت الجذور الأولى للبديعيات واضحة فى جميع المدائح النبوية القديمة التى نظمها أصحابها من بحر البسيط

ولعل « قصيدة كعب بن زهير » المتوفى عام ٢٦ هـ هى أول قصيدة كلاسيكية من هذا النوع أنشدها صاحبها وبين يدى الرسول الأعظم

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يجز مكبول
وما سعاد غداة البين إذ برزت إلا أغن غضيض الطرف مكحول

وفى القرن الخامس نظم العارف بالله عبد الرحيم بن أحمد البرعى اليمنى المتوفى عام ٤٨٠ هـ قصيدة من هذا النوع أولها :

(١) بديعية صفى الدين الحلى (نسخة مخطوطة رقم ١٢٨ بلاغة بدار الكتب المصرية) .

خل الغرام لصب دمعه دمه حيران توجده الذكرى وتعدمه
وامنح له بملاقات علقن به لو اطلعت عليه كنت ترحمه .

واختتمها بقوله مصلياً :

عليك منى صلاة الله أكلها ياما جداً عمت الدارين أنعمه
تبدى عبيراً ومسكاصوب عارضها ويبدأ الذكر ذاكرها ويختمه .
ما رنح الريح أغصان الأراك وما حامت على أبرق الحنان حومه .
وينثنى فيهم الآل جانبــه
بكل عارض فضل فاض مسجمه (١)

• • •

وفى القرن السادس نظم جمال الدين بن يحيى الصرصرى المتوفى عام ٦٥٦ قصيدته ، ولو تأملتها لوجدتها عين ماقاله البرعى بحراً وقافية ورويا وافتتاحاً واختتاماً . وقد أثبت المنهج العلمى بعد البحث والاستقراء أنه عارضه بها ، حيث افتتحها بما اختتم به البرعى قصيدته :

أغرى المحب بذات الستر لومه فبان سر غرام كان يكتمــه
أنى يلام على التذكار ذو شغف متيم بسهام القلب مغرمه

واختتمها بما اختتم بها البرعى قصيدته :

عليك منى صلاة الله أطيبها ومن سلام إله العرش أدومه
وعم بالفضل من واساك فى عسر وذب عنك غداة الروع مخدمه
من آلك الغر والأصحاب إنهم أفلاك دين الهدى فينا وأنجمه
ومن تلاهم بإحسان فأنت له ذخراً بجاهك رب العرش يرحمه (٢)

فلما كان أواخر القرن السابع نظم الإمام شرف الدين محمد ابن سعيد الصنهاجى الدلاصى المشهور بالبوصيرى المتوفى عام ٦٩٤ هـ قصيدته الخالدة المشهورة باسم « البردة » فلم يزد على ما سبقه إليه كعب بن زهير والبرعى والصرصرى سوى (قافية الميم) كما ترى :

أمن تذكر جيران بذى سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق فى الظلماء من إضم

وقد كان لسقوط بغداد فى منتصف هذا القرن (عام ٦٥٦ هـ) هزة عنيفة ، كانت من أكبر الهزات التى انتابت جوانب الإسلام فكان لها أكبر الأثر فى الحياة الأدبية . والنفوس دائماً تأبى إلا أن تنتمى إلى قوة قادرة مدبرة تدبرها وتدير شؤونها وترعى حقوقها . وهى لم ترض فى ذلك العصر بهذا الفاتح الغاشم ولا بهذا السلطان الجديد — التتار — الذى كان مخالفاً للكثير من تعاليم الإسلام وتقاليده الراسخة فى النفوس . فلم يكن بد لهذه النفوس المظلومة على أمرها من أن تسلك دوراً جديداً ، يحقق لها معانى الاتزان النفسى ، وليس لتلك النفوس بد من أن تجدد عهودها مع القوة الروحية القديمة لتأنس إليها وتستمد منها قواها الدنيوية وآمالها الأخروية .

وهكذا كان هذا الأثر أسبق إلى نفوس الشعراء قبل غيرهم ، وهم أولى الناس بإظهار أحاسيسهم وإبداء عواطفهم والتعبير عن مشاعرهم المرهفة القوية . ولم يكن هناك بد من أن يهرعوا إلى مدح المصلح الأول (٢) فنظم الصرصرى (٦٥٦ هـ) والوترى (٦٦٢ هـ) والبوصيرى (٦٩٤ هـ) والمزازى (٧١٠ هـ) مدائحهم الخالدة . فلما جاء الشعراء من بعدهم نسجوا على منوالهم قصائد تشبهها فى الوزن والقافية مراعاة لهذا التقليد الكريم .

ثم جاء صفى الدين الحلى فى منتصف القرن الثامن ودفعه ما فى « بردة البوصيرى » من محسنات بديعية أن يجمل قصيدته ذاخرة بالبديع فسمى مانظمه « بديعية » واختار لها هذا الاسم ، فأصبح علماً تقليديا على كل قصيدة ينظمها صاحبها فى مدح الرسول الأعظم محتذياً الوزن والقافية والمحسنات البديعية ٥

حامد حفنى داود الجرجاوى
دبلوم معهد الدراسات العليا
وأستاذ العربية والتربية بمدرسة المعلمات الراقية بباب اللوق

---

(١) ديوان البرعى
(٢) المجموعة النبهانية ج ٤ ص ٤٠ وما بعدها

(١) انظر تشطير « بردة البوصيرى » لأستاذنا أحمد الشرقاوى ص ٢٢ س ٩
(٢) تاريخ البديع من القرن الثانى إلى أواخر القرن الرابع عشر « لصاحب هذا المقال » ج ١ ص ٩٩
٥ إن كان فى العمر بقية فموضوعنا فى العام القادم « بلاغة البديعيات »

أنطون الجميل باشا

بمناسبة الذكرى الثالثة لوفاته

للأستاذ منصور جاب الله

كانت الرزأة في المغفور له الأستاذ أنطون الجميل باشا أليمة ، إذ قضى نحبه فجر اليوم الثالث عشر من يناير عام ١٩٤٨ ولم يكن بين منصرفه من عمله ووجيمته إلا ساعة وبعض ساعة ، ولم يكن بين وجيمته واحتضاره إلا دقيقة وبعض دقيقة ، وكذلك لم يشأ القدر لهذا الرجل المتزن الرزين العامل الناصب أن يشكو دنفاً أو يضيق به أحد من أهله ومريديه ، فمضى في صمت إلى دنيا غير هذه الدنيا ، ووجد الله فلقاه حسابه .

ولقد وصف أنطون الجميل في حياته وبعد موته بأنه رجل رزين متزن ، والذين لم تكن لهم خلطة بالفقيد يحسبون أن رزانة الرجل إنما كانت مصروفة في زم اللسان والهدوء ، فلا يتكلم إلا بمقدار ، وأنه تجوز به الأحداث الجسام فلا يتحرك لها ولا ينبض له عرق وما هكذا كان أنطون الجميل الذي عرفنا وسعدنا بعشرته وتتلمذنا عليه ، وإني لأشهد أني عرفت منه رجلا ثائرا لا يهدأ إلا على مضض ، يهدر كالفحل إذا مست كرامته أو نال أحد من نزاهته ، وسيأتي الكلام بعد عن موقفه من أحد رؤساء الوزارة ليدرك الناس أي رجل كان هذا الرجل بين الرجال .

ولقد كان فقيدنا أديبا رقيقا قبل أن يكون صحفيا بعيد الصوت والشهرة ، والذين علت بهم السن من أمثال كاتب هذه السطور يدركون المكانة الأدبية التي كانت عليها مجلة « الزهور » لمنشئها « أنطون افندي الجميل » كما كان يدعى في ذياك الحين .

ولعل أشهر كتبه وأحظاها عند القارئين كتابه عن شوقي ، فقد كان الجميل أثيرا عند أمير الشعراء ، وكان من جلسائه الذين يأنس بهم ويصطفيهم ، إذ كان بالرجل وحشة فلا يأنس بكثير من الأناسي ، وإنما ينبو به المقام في كل مكان فلا ينطلق في الحديث إلا إذا خلا له وجه صديق أو صديقين كما حدثنا بذلك فقيد البيان المرحوم الشيخ عبد العزيز البشري .

وكان له باع في الترجمة من الفرنسية خاصة إلى اللغة العربية ومنذ ثلاثين عاما نقل إلى العربية كتاب « الفتاة والبيت » ووضع له مقدمة شيخ الشعراء المغفور له إسماعيل صبري باشا ، وكتب مؤخرته شيخ الأدباء السيد مصطفى لطفي المنفلوطي وعرفت وزارة المعارف لهذا الكتاب قدره فأقرته لمدارس البنات

والأدب عند أنطون الجميل غاية لا وسيلة فما كان يدور بخلده يوما من الأيام أن يتكسب منه ، وكذلك قنع أن يكون مترجما في وزارة المالية لقاء أجر صغير ، ثم سما به المنصب حتى استقال من خدمة الحكومة وهو « سكرتير » للجنة المالية

ولتركه خدمة الحكومة قصة طريفة لا بأس من إيرادها فقد قصها علينا بنفسه في مجلس من مجالسه المونقة إذ غدا عليه ضحى يوم من الأيام المغفور له جبرائيل تقلا باشا وطلب إليه أن يستقيل من وزارة المالية ليعمل رئيسا لتحرير صحيفة الأهرام خلفا للمرحوم داود بركات . فأجاب الجميل : وأين أنا من داود بركات ؟ دعني في عملي هذا ولا تحاول أن « تكشفني » ولا تفضحني بين الناس ! ودام الجدل بينهما ساعة وبعض ساعة بغير إقناع ولا اقتناع ، وإذ سقط في يد تقلا باشا قال لصاحبه : أعطني ورقة بيضاء . ثم مضى يكتب فيها شيئا لم يتبينه أنطون ، وبعدئذ استأذنه في الانصراف فلما سأله عن غايته أجاب بأنه يريد لقاء وزير المالية ، وألحف عليه في الرجاء عن الغاية التي يريد من أجلها لقيا الوزير ، فأجاب تقلا باشا في انفعال شديد : أريد أن أقدم إليه استقالة « أنطون بك الجميل » فذعر أنطون بك وقال لصاحبه ولكنني لم أقدم استقالتي ولم أكتبها . وعندئذ صارحه صاحبه بقوله : لقد كتبت الاستقالة ووقعتها باسم « أنطون » الجميل وسأرفعها بنفسي إلى الوزير ، وما عليك إلا أن تطعن بالتزوير وتطالب محاكمتي لأني مزور !

وبكى عندها أنطون الجميل كما لم يبك في حياته ومضى مع صاحبه إلى وزير المالية حيث رفع إليه استقالته ليتولى من غده العمل في الصحافة حتى أودت به الصحافة !

والحق أن أنطون الجميل سما بالصحافة وأحدث بها تقاليد بقيت ما بقي حيا ، فلما انتقل إلى الدار الآخرة انتقلت معه — وا أسفاه — إلى الدار الآخرة !

ومن هذه التقاليد ألا تتعرض صحيفة لما تكتبه صحيفة أخرى

بالتكذيب أو التفنيد ، وأن ينشر الخبر على علاته دون تذييل أو تعليق وللقارئ أن يفهم منه ما يشاء ، وأن تقدم لمصلحة العامة على السبق الصحفي فما يضير الصحيفة المتزنة التي تحترم نفسها أن تروج يوما وتبور يوما مادامت المصلحة العامة لم تمس في قليل ولا كثير . وأذكر في هذا السبيل أني كنت أزوره في ليلة من الليالي إبان أزمة سياسية حادة وجيء له ببرقية مطولة أرسلها مراسل الصحيفة من لندن ، فتصفحها طويلا ، ثم ألقاها إلى قائلا : اقرأ ، فلما أتممت تلاوتها سألني رأيي فيها فقلت « برقية خطيرة جدا » فسألني : أترى من المصلحة نشرها ؟ قلت : لا . فألقى بها جانبا ولم تنشر ، وعلمت فيما بعد أن نفقات هذه البرقية جاوزت مئة جنيه ، وأنها لو نشرت لكان لها شأن أي شأن .

ومن هذه التقاليد ألا تستغني صحيفة من الصحف عن محرر يعمل بها وإن أمسك عن العمل أياما فقد يكون له عذر ، ولكن هذه التقاليد جميعا صارت مع الحسرة والألم في خبر كان !

واختير أنطون الجميل عضوا في المجمع اللغوي ، فتهيب الاختيار بادئ الرأي ، ثم لم يلبث أن خب في أعمال المجمع ووضع ، وكان من أشد الأعضاء مواظبة ومن أشدهم جلداً على العمل وأكثرهم إنجازاً لما يطلب منه .

ولما عين عضواً لمجلس الشيوخ رأى فيه أعضاء « المجلس الأعلى » لونا جديداً من البرلمانيين ، فهو رجل لا يسف ولا يهاتر ولا يعمد إلى المناورة أو المداورة ثم هو يخالط الأدب بالسياسة فيرتل الشعر في أثناء مناقشة الاستجوابات والبحث في الميزانيات ، ويدعو الوزراء إلى التشبه بأبي الدوانيق أو أبي جعفر المنصور !

بيد أن أنطون الجميل لم يطق البقاء في مجلس الشيوخ زمنا طويلا ، فقد رأى أن عمله البرلماني يتعارض وعمله الصحفي ، وإذ تضارب العملان وتناقضا ، كان لا مناص له من ترك أحدهما ، ولو كان جبرائيل تقلا باشا حيا وقتئذ لترك العمل الصحفي غير آسف ، ولكن صاحبه مات وترك الأمانة في يده ، فلامندوحة له من الاستقالة من مجلس الشيوخ ، وارتج المجلس الأعلى لاستقالة الرجل وأبى عليه قبولها وبذل عنده الشفاعات والوساطات ، وذهب إليه رئيس الشيوخ يسعى كي يعدل عن استقالته ورجاه - مع هذا - أن يرغم نفسه فلا يحضر كل جلسة ولكن الرجل العظيم أبى هذا قائلا : إما أن أؤدي العمل على وجهه وإما أن أدعه لغيري .

وأنعم عليه بالباشوية إثر استقالته من مجلس الشيوخ ، وقال خصومه إنه إنما استقال لينعم عليه بالباشوية وأحدث هذا القول موجدة في نفسه ، وأحسب أنه حدثني في ذلك فقلت له : لا عليك من كلام الناس . فلو لم تكن رجلا ذا شأن ما تحدث عنك أحد !

أما الموقف الذي أذكره له مع أحد رؤساء الوزارة ، فقد مضى عليه أكثر من عشر سنين ، وغيب الذين شهدوه في عالم غير هذا العالم ، ونحن اليوم في حل من إيراده بشيء من الإيجاز

فقد جاء أحد « المخبرين » لأنطون « بك » الجميل بنبأ في شهر سبتمبر عام ١٩٤٠ مؤداه أن الجيش الإيطالي اقتحم الحدود المصرية من جهة الغرب . وتريث الجميل كعادته ، فلم يشأ نشر الخبر لوقته وإنما أرجأه يوما أو يومين ، ثم عرضه على وزير الحربية ، وأجازته الرقابة فنشره ، وإذ بصر به رئيس الوزارة حينئذ - وهو المغفور له حسن صبري باشا - هاج هائجه ونسى الصداقة الوثيقة التي تربطه بأنطون الجميل وكتب بلاغا « رسميا » قاسي اللهجة لاذع الأسلوب يرمى فيه كاتب الخبر بالتزيد وإثارة الخواطر .

ولم يفعل أنطون الجميل شيئا إزاء هذا التحدي إلا أن أشهد وزير الحربية على صحة الخبر ، ثم بدأ تحديه لرئيس الوزارة فمنع نشر أنباء مقابلاته وحفلاته ، وكان ينشر خبر اجتماع مجلس الوزراء مجرداً من ذكر اسم رئيس الوزراء ، ويطوف رئيس الحكومة في البلاد فلا يذكر عنه شيئا ، وتنشر صور الوزراء جميعا وتحذف صورة كبيرهم !

وهكذا ، وهكذا ، حتى ضاق المغفور له حسن صبري باشا ذرعا ، وبذل الوساطات والشفاعات لدى أنطون الجميل ، حتى أنه أرسل إليه يقول : أرجو أن تشتمني في جريدتك وتقول في ما قال مالك في الخمر ، أما أن تهمل ذكر اسمي مرة واحدة فهذا ما لا طاقة لي باحتماله

وتدخل المرحوم عبد الحميد سليمان باشا في المصالحة ، وشرط

لا يهم

الأستاذ ثروت أباظة

جلف غليظ النفس غليظ الجسم .. حقير ساقط الأصل ساقط التفكير .. ولكنه عظيم يجثو له من يراه، وينحنى لقدمه من يقدم عليه .. فهو غنى واسع الغنى، وليس لمن يعرفونه عقل ذا كر يذكرهم ما كان عليه وما صار إليه — هو غنى، وهو ذو مكان وجاه، وهو أيضاً ذو عقل مجرم قاس يشرى بماله وجبروته حياة كل من يجرؤ فيمد إليه طرفا من عداوة .. أو من يرمقه بنظرة لا ترضيه.

إن رأيته رأيت وجها كالحا تعاهدت قسمات الإجرام أن تتخذ منه مسكنا ؛ وهى فى هذا المسكن أو فى هذا الوجه تنمو مع الزمن وتتكاثر، لا تترك البيت ولا بريم، تملأ ذا النفس الحقيرة من الرائين رعبا وذا النفس الكبيرة احتقارا واشمئزازا .. وما تلازم الرعب والحقارة فى وجه قدر تلازمهما فى وجه ذلك الرجل .. يعلو ذلك رأس خلا من الشعر حتى لا تكاد تبين جبهته من رأسه ولا أحب أن يثب إلى ما قد يثب من أنه أصيب بالصلع فإن تفكيره الإجرامى لم يكن من العمق بحيث يساقط الشعر كما يقول علماء الجلد من الأطباء. لم يكن صلعا ما بالرجل ولكنه مرض آخر أصابه وهو لم يزل بعد جرثومة لم تكبر لتصبح مرضاً.. وقد حاول بماله الدنس أن يتغلب على ما برأسه من خزى فأخفق. لقد لمسه المرض لمسة فنان تكمل ما أودع الله فى رأسه من شر .. كان المرض أشبه بالعنوان للكتاب الصادر من حكومة عادلة تحافظ على الآداب العامة. هو يغطى رأسه بالطربوش إذا أصبح وبالأغطية الكثيفة إذا أمسى؛ ولكن الأغطية جميعا عاجزة عن ستر ما يريد ستره

هذا هو رأسه إن شئت أن تسمى هذا الشىء رأساً ، ولا بد لك أن تعرف علام ركب هذا الرأس … لنتجاوز العنق اذ يبدو لى أنه لا يريد أن يبديه لعله يخفى بعض الشىء من رأسه الحقير، أيا كان الأمر ليس لهذا الشىء عنق ولكن له انبعاجا ضخما شاء الله أن يكون جسما فكان. والعجب أن هذا الانبعاج يزداد فى غير انتقاص وما يضنيه وصاحبه مجبول على الشر … إن ضايقه شخص قتله؛ وما ينقصه وصاحبه خالق ولا ضمير له

تلك هى صورته اليوم فلندع القلم يقذف به إلى ما وراء تلك السنين .. لندعه يقذف به إلى تلك الأيام التى كان لم يزل بها جرثومة صغيرة لم تصل بعد إلى تلك الخطورة التى صارت إليها … ماذا كان … جربوع أجرب يلهث وراء حمار أبيه بعد أن خاب فى كل شىء ، فإن زار الوالد قريبا له بقيت الجرثومة خارج المنزل لا تجسر على الاقتراب الا ساحبة المطية ثم هى تنطلق خلفها مثلها فكان الركب ليس والدا وكأن اللاهث ليس ولده .. وكان الأقارب يوم ذاك يأنفون منه ويزورون عنه بجانبهم إذا أتيح له أن يروه وكان من من فى طوره أولاد عمومته يكادون لا يعرفون من أمره شيئا وإن عرفوا فهو لهم لا يصلح لشىء إلا أن يعدو وراء الحمار حمارا بتشديد او تخفيف كما تشأ كان الغلام اولاد العم او من بنى قرابته يعرف هذا اذا عرفه فيخفيه ولا ينبس بطرف منه الى أحد فإذا شاء للجرثومة حظ سعيد وذكرت فى مجلس لهم فالنكر والاستنكار

أنطون الجميل باشا أن يعد بنفسه بلاغا « رسميا » يدحض فيه البلاغ الأول ، وكان ، وأعاد أنطون الجميل نشر اسم حسن صبرى باشا رئيس الوزارة بعد أن أهمله ثمانية عشر يوما !

* * *

ومات أنطون الجميل فى حدود الخامسة والستين عزبا لم يتزوج ، وقيل إنه كان مبخلا ، أو هكذا رماه خصومه ، وقال لنا واحد ممن يجمعه به آصرة القربى إنه خلف ثروة تتجاوز مئتى ألف جنيه ، ولا نعلم مبلغ الصندوق فى ذلك فقد كنا نعرف أنطون الجميل أنه يعيش كما كان يعيش المتصوفة الأوائل يأكل بمقدار ويشرب بمقدار ، لا يسرف على نفسه ، وإنما يضيق عليها .

وكان هذا سر احتفاظه بصحته ، وسر احتفاظه باتزانه ، ذلك الاتزان الذى جمله بوجه الطمنة النجلاء فلا يخطئ الهدف ويضرب الضربة الموجعة فتصمى الخصوم .

فنى ذمة الأدب والصحافة ، وفى ذمة التاريخ .

منصور جاب الله

والهزء الذى ليس مثله هزؤ ثم يتعجل أحدهم فينقل موضوع الحديث قبل أن يدخل غريب فينكشف من أمر أسرتهم مايرجون له الستر. لقد كان منذ ذلك اليوم لصا فى ذكره مجلبة للعار. فليس أبشع من سارق على شبع . لقد كان ذكره مفسدة للخلق، فترى الأمهات اذا ما ذكره أمامهن أحد الخدم قد رفعن أيديهن إلى أفواههن حذرا من أن يسمع الولد الحديث فيفسد خلقه ويشذ عن طريقه ... كان يذكر إذا ذكر خفية فكأنه كلمة لا تقال أمام كبير خشية أن يظن بقائلها سوء الأدب

كان كذلك . . ثم نمت الجرثومة كالداء يترك بغير علاج . . نمت فإذا هى المرض لا يشفيه تطبيب . . نمت فأصبح اللص الصغير سفا كا لا قبل للمجتمع به ... ومات أبوه قبل أن يعرف ما انضمت عليه ضلوع الابن من الشر الكبير ... مات الأب فخلا الابن بالحمار واعتسف ما كان لأبيه من أبيه وجمع من حوليه المجرمين من كل ضعيف النفس جائع الشهوة يريد أن يحتمى بالسفاك الأكبر ... وهكذا انقلب الحمار سيارة، وأصبحت تقاد له بعد أن كان يشتهى أن يقود

ازداد المال لديه . وأصبح (بيكا) وهو الجربوع . واشتهر من أمر اللص ما حاول أقرباؤه أن يخفوه، ولكن سرعان ما تبين للأقرباء أنهم جانبوا العدل فى معاملتهم لابن عمهم . هاهو ذا اسمه يجرى بينهم جريئا لا أحد ينقل الحديث إلى غيره ولا أحد يرفع يده إلى فمه : لقد أصبح الخفاء صريحا وجهر بما كان يهمس به : ها هو ذا أحدهم يقول « والله إنه لخفيف الظل ! لم لا نذهب إليه نسلم ونهنىء ببيته الجديد » ولم يكن المنزل جديداً ولكنهم ذهبوا هاهم أولاء فى منزله وها هو ذا يرحب بهم فرحا أن قصد إليه من كان يزور عن لقائه ، ولكن الأقرباء لم يجدوا أنفسهم منفردين بل وجدوا معهم وجوه البلاد وأعيانها من حكام وأقطاب باسم الله ما شـاء الله ! وغمز أحدهم للآخر « قم فعجل بالقهوة » فأجابه الآخر « وانت معى قم فعجل بالطعام » وقام : ومالهما لا يقومان ؟ لقد أصبح الفقير غنيا ! أما كيف كان الغنى فانه لا يهم ... لا يهم

٣٦٠٩

ثروت أباظه



خواطر لاجئة

للآنسة إلهام يوسف

تحت حرارة الشمس .. ورحمة الرياح.. مرت بى .. وأنا أنتظر ، وأنظر فى صحيفة السيارة لأعود فى معسكر المهاجرين .. إلى البلدة « غزة » وكان بيننا حديث . فإليها وإلى طفلها الرضيع . هذه الأنات ...

إلهام

قالت .. تسائلنى .. وفى ألحاظهـا ما يؤلم
ترنو إلى بنظـرة وكأنهـا تتـكلم
وعلى يديها قطعـة .. منها بصمت تحلم
قالت : أرجع .. أخـبرينى .. إننى أتضرم
والشوق يحـرقنى إلى وطنى الحبيب .. ويهتم
والذكريات تهـزنى بحنينها .. وترتم
أمسى هناك .. وهل سوى أمسى الذى يتبسم !
ألمرج يدعونى إليـه والذرا .. والأنجـم
والشاطئ الباكى على صخر الأمى يتحطم
والمنزل المهجور .. غـير رؤى الخيال تهوم
كل ينـادينى .. يقول متى نعود .. وننعم؟

* * *

قالت .. ولم أسمع لهـا .. وكأننى لا أفهـم
ورنت إلى .. بلهفـة وعيونها تستفهـم
ومضت .. ومل مسامعى منها .. صراخ مبهم

غزة إلهام يوسف

«أغنيـــة جركسية»

اللازمة { بلاد الأديجة ... بلادنا الجميله
لا تتخلى عنا ... يا أمنا المحبوبه }

بلاد الأديجـه تقدمت البلدان ...
نظامهـــا يفوق كل الأنظمة ...
جبالها بالثلوج البيضاء معممة ...
أهلها رقاق الأجسام – رشيقو القوام ...

* * *

غاباتهـــا كالبحـــار غـــزيرة ...
أنهـارها صافية روق العيون ...
سماؤهـا وأرضها في الجود متساويتان ...

* * *

ذكورنا وإناثنا يتعاملون بالتقاليد ...
يأخذون الآداب عن الطاعنين في السن ...
هكذا كانت حياتنا يحترم بعضنا بعضا ويحترمنا الغير
وهكذا كان عنصرنا مثاليا في — الأخلاق ...

* * *

من ينزل عندنا ضيفاً نبالغ في إكرامه ...
ومن يؤلمنا نشهر السيف في وجهه ...
ولقد حاربنا عدونا الأكبر مائة عام ...

* * *

آباؤنا لمـــا هاجـــروا ...
تركوا وراءهم وجاقات «مداق» البيوت ...
ولمـــا أبقونا صفـــر الأيدي ...
أصبحنا نتخبط على وجه الأرض ...

* * *

لما كنا في بلاد الأديجه ...
ولما كنا متجمعين غير موزعين ...
بقاؤنا فيها بهذه الكيفية كان جل فخارنا ...
نظامنا كان يسمو على العالمين ...

نورز باكير

١ – أمة الأديجة هي الأمة الجركسية.. والجراكسة فيما بينهم يعرفون بالأديجه

تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوى

مشكلتي مع الأستاذ الزيات :

في الأسبوع الماضي ظهرت التعقيبات في صفحتين ، وكان من المقرر أن تظهر في صفحات ثلاث . ومعنى هذا أن الصفحة الثالثة قد تعرضت لقلم الرقيب ، والرقيب هنا ليس إدارة المطبوعات . . ولكنه الصديق الكريم الأستاذ الزيات !

كانت الكلمة التي حذفها قلم الرقيب هجوماً عنيفاً على أحد الوزراء . ومن الطرائف التي تدخل في باب المفارقات ، أن الأستاذ الجليل صاحب الرسالة قد أنكر علي أن أهاجم وزيراً واحداً ، في الوقت الذي أباح لنفسه أن يهاجم خمسة وزراء . . خبطة واحدة ! !

لماذا أباح لنفسه أن يحاسب عدداً وافراً من أصحاب المعالي ثم حال بيني وبين صاحب معال واحد ؟ ! هنا تكمن المشكلة ، مشكلتي مع الأستاذ الزيات ، أو مشكلة وضعه الذي يفترق عن وضعي في محيط الأدب أو محيط الحياة . . إن الصديق الكريم رجل آثر الحرية فابتعد عن الوظائف الحكومية ، وفي مثل هذا المجال الحر يستطيع الأديب أن يقول ما يشاء ، وأن يهاجم من يشاء ، وهو مطمئن إلى أن مركزه الاجتماعي لن يتعرض يوما لعصف الرياح . . أما أنا ، أنا الموظف الرسمي في الدولة ، فياطالما أشفق علي الصديق الكريم من حماسة الشباب وفورة الشباب وما يترتب عليهما من عنف القلم وجيشان العاطفة . يا طالمـــا أشفق علي من قيد الوظيفة حيناً كالخه بجرأة القول وحرية الرأي وثورة الضمير . . ناسياً أن صداقته الغالية ، تلك التي تحرص على التقاط الشوك من جوانب الطريق ، طريقي الذي أفضل أن أسير فيه ، هي وحدها القيد الذي يحد في من قوة التحفز وحرارة التوثب ومتعة الانطلاق !

إنها مشكلة لن تحل . . وكيف تحل والأستاذ الزيات مشفق مما قد يحدث لى وأنا غير مشفق منه ، حريص على مستقبلى الرسمى وأنا غير حريص عليه ؟ ! إن كل موظف يقرأ الرسالة سيسمح لألف علامة من علامات الدهشة أن ترتسم على وجهه ، وهو يسمع هذا التصريح العجيب من موظف مثله يقاسمه حظاً من حظوظ الحياة . . وليس من شك فى أنه سيقول لنفسه بلغة الواثق المطمئن : لو كان صاحب التعقيبات محتاجاً إلى الوظيفة لما جهر بهذا الذى جهر به ، ولما أذن لقلمه فى أن يعبر كما يريد .. ومن يدرى ، فقد يحلق الزميل القارىء فى كل أفق من آفاق الظنون بكل جناح من أجنحة الخيال ، ثم يتصورنى واحداً من أصحاب الضياع والقصور .لست والله ياصديقى واحداًمن هؤلاء .. ولكن إذا اتفقت معى على أن حرية الفكر ثروة، فلاضير من أن تسلكنى فى عداد الأثرياء ! !

لقد حدثتك بالأمس عن مشكلة الأداء النفسى فى الشعر ، وحدثتك عن مشكلة الفن والحياة ، وحدثتك عن مشكلة الفن والقيود ، وبقى أن أحدثك اليوم عن مشكلتى مع الأستاذ الزيات.. ولست أدرى أى خاطر طريف هذا الذى يلح على كمقدمة تسمى إلى نتيجة ، أو كبداية ترمى إلى نهاية : ماذا يحدث مثلا لو تركت أصحاب المعالى وهاجمت الأستاذ الزيات ، مدافعاً عن حريتى التى ظلمتها دوافع الود وأواصر الصداقة وروابط الوفاء ؟ماذا يحدث؟ ترى هل سيشفق الصديق الكريم على مستقبلى كمحرر فى الرسالة، بعد أن أشفق عليه وعلى كموظف فى الحكومة؟! هذا هو السؤال الذى ينتظر الجواب . ومع ذلك تبقى النهاية الطريفة المتخيلة التى لم تخطر ببال الزيات ، وهى أن إشفاقه على سيدفعنى يوماً إلى أن أتحرر من أسر الوظيفة ، وما كان أحراه أن يفكر طويلا قبل أن يشفق على ، أن يفكر طويلا فى عواقب هذا الإشفاق !

هذه لفتة أرجو ألا تغيب عن فطنة الأستاذ الزيات . . ولا أحسبنى غالياً إذا قلت له إن مسلكه هذا سيرغمنى يوما على أن أودع مكتبى فى وزارة المعارف لأحتل مكتبه فى إدارة الرسالة؛ وأستطيع إذا ما أقبل هذا اليوم المنتظر أن أفعل كما فعل فأهاجم خمسة وزراء خبطة واحدة ، وليس بعيداً أن تلهبنى الحرية أكثر مما ألهبته فأهاجم عشرة من أصحاب المعالى بدلا من خمسة .

ويا ويل الوزراء من الأدباء الأحرار ! !

نحن والدعفر الطبة الأدبية :

أنتم معشر الأدباء لستم إلا السراج الذى يقود الأجيال نحو الحياة الروحية الرفيعة ، وأنتم حداة القافلة فى كل عصر ، تجنبونها مواطن الزلل ،وتباعدون بينها وبين موارد الفتن ومزالق الأقدام

هذه هى رسالة الأدباء فى كل جيل ، حتى أننا نقرأ فى الأدب القديم فنجد أن كل أديب كانت له مدرسة تجمع حوله هواة أدبه وعشاق أفكاره ، فيفيض عليهم من أدبه الجم ويغدق عليهم من علمه الخصب ، ويغرس فيهم طريقته فى الكتابة واتجاهه فى الرأى هكذا كان أجدادنا رحمهم الله — أما أدباء اليوم فيكفيهم أن يطل الواحد منهم من خلال سطور يكتبها بين الحين والحين ، أما أن يتحدث إلى الناس ، وأما أن يجتمع حوله الشباب فهذا أمر دونه فرط القتاد !

لقد انصرف الشباب ياسيدى إلى ما نسميه بالحزبية،يشغلون بذلك فراغ أوقاتهم ، ويملأون به جدب أذهانهم ، حتى أنك لو جلت جولة قصيرة فى حرم الجامعة لوجدت هذا التطاحن العجيب ، ولشاهدت ذلك الجدل البغيض . وليته كان حول مسألة علمية أو مشكلة فنية أو حقيقة فلسفية . . كلا ، بل هو حول الأحزاب والحزبية !!

لم لا تجمعون الشباب حولكم ياسيدى ، فيكون لكل أديب ناد ولكل عالم قاعة ؟ لم لا يكون لكل أديب تلامذة فى الأدب يتعهدهم بنفسه لا بكتبه ، ويرعاهم بعنايته لا بمقالته ؟ ويأخذون عن شفتيه لا عن قلمه ؟ لم لا يكون هذا حتى ينزح إليكم الشباب من كل بيئة ، ويقبلون عليكم من كل مكان ؟ وحتى نرى بجانب هذا النقاش الحزبى نقاشاً آخر من نوع جديد،نقاشاً يدور حول الأدب ومذاهبه أو حول النقد واتجاهاته ؟ !

لم لا تعقدون اجتماعات أسبوعية أو شهرية ياسيدى، تجمعون فيها هواة الأدب من الشباب ؟ إنكم لو فعلتم ذلك لقدمتم للشباب أجل الخدمات ، لأن الناس لا يقنعون منكم بالتآليف فحسب ، بل هم متشوقون إلى مجالستكم والاستماع إليكم والأخذ عنكم.. نريد منكم أن تفتحوا أبوابكم وصدوركم حتى تخلقوا شباباً

يتعصب للأدب كما يتعصب للمبدأ ، ويشرد من أجل الفكرة كما يشرد من أجل الحزبية ، ويؤمن برسالة الأديب كما يؤمن برسالة الزعيم ؛ أما أن تكتبوا لنا وبينكم وبين الناس حجب وأستار ، فسيان عندهم قراءتهم للحديث وقراءتهم للقديم .. ولا عجب أن تكون شكوا كم حارة من قلة القراء !

محمد محجوب عمر

كلية دار العلوم

نريد منكم أن تفتحوا أبوابكم وصدوركم حتى تخلقوا شبابا يتعصب للأدب كما يتعصب للمبدأ ، ويشرد من أجل الفكرة كما يشرد من أجل الحزبية ، ويؤمن برسالة الأديب كما يؤمن برسالة الزعيم .. بهذه الكلمات الجميلة الصادقة يختم الأديب الفاضل رسالته ، وينتظر من هذا القلم رداً يقوم مقام التعقيب .

إن ردى على الأديب الفاضل هو أن أقول له : إننى أومن بهذا الذى تؤمن به ، وأدعو الله أن يملأ بمثل هذا الإيمان نفس كل أديب .. إن الأدب الحق يا صديقى لا يعرف الأبراج العاجية ، تلك التى تقطع كل صلة بين صاحبها وبين الناس . وما هى رسالة الفن إذا لم تكن مشاركة وجدانية بين الفكر وبين مشاهد الحياة ، وبين النفس وبين مشاعر الأحياء ؟ وما هى قيمته إذا عجز عن أن يربط بين القلوب بتلك الخيوط الإلهية غير المنظورة ، تلك الخيوط التى تنسج أثواب الحق والخير والجمال ؟ ! إن الأدب ديمقراطى عند الذين يحسنون فهم الديمقراطية ، ويقدرونها على أنها لون فريد من الألفة والتعاطف والإيثار . وهكذا أفهم الأدب وهكذا أقدر رسالته ، وما تعودت يوما أن أغلق منافذ السمع والشعور فى وجه كل صيحة تهز فجاج النفس وتزحم مسارب العاطفة .

إن لى فى « الرسالة » بابا هو باب التعقيبات ، كم فتحته على مصراعيه لكل قارىء وكل أديب ، ولى فى « وزارة المعارف » باب آخر كم فتحته لكل طارق وكل غريب ، ولى فى « الجيزة » ندوة أدبية يقصدها هواة الفن وعشاق الأدب من هنا وهناك .. وما أكثر زوار الندوة وطراق البابين من القراء والأدباء ! أنا يا صديقى لست من أصحاب الأرستقراطية الأدبية حين ألقى الناس وجهاً لوجه أو حين ألقاهم بين السطور والكلمات ، وإذا كان غيرى يميل إلى هذه النزعة فهو ميل مركب النقص حين يسعى وراء شىء من مركب التعويض . ولست من متصنعى الأستاذية المظهرية حين يجلس إلى أديب زائر دون معرفة بيننا ولا سابق لقاء ، لأن الأستاذية لا تكتسب بالمظهر المتكلف ولا بالسمت الزيف ولا بالوقار المصنوع ، وإنما تكتسب بالملمحة الواعية والفكرة الخالقة والذهن اللماح !

على الأديب الفاضل إذن أن يطمئن إلى هذه الحقيقة ، وهى أن ديمقراطية الأدب بعيدة كل البعد عن تلك الحجب الصفيقة وما يشبهها من أستار ، وأنها إذا تقبلت الأستاذية فإنما تتقبلها مدثرة بوشاح التواضع العلمى حين يكون هدفه البحث الصادق والتوجيه الأمين . أما عن تساؤله لماذا لا يكون لكل أديب ندوة ولكل عالم قاعة ، فلأن الحياة الأدبية والعلمية فى مصر لم تبلغ من النضج واكتمال الأداة ما بلغته فى بعض البلاد الأوربية ، سواء أكان ذلك فى ميدان الأدب أو العلم من ناحية أقطابه أم من ناحية طلابه ، وليس من شك فى أن تعادل الكفتين هو الكفيل بتحقيق هذا الأمل الذى يداعب خيال الأدباء ، والذى نرجو مخلصين أن يتحقق فى مقبل الأيام !

شكاة من الأزهر :

إن أحزن على شىء فلا أحزن إلا على نفسى كأزهرى يحلم بمستقبل بسام ، ويرنو إلى مدارج العزة التى يريد الوصول إليها بوسيلة علمية مفيدة !

وكيف لا أحزن يا صديقى وأنا صديان لا أجد الورد العذب الذى يشفى غلتى ، وأنا ناقص البناء أبحث عن اللبنة التى تتمم هيئتى فلا أجدها ، وأنا حائر بين مفترق الطرق وعواصف الآراء لا أدرى إلى أين المفر ؟ !

نعم ، لا تعجب يا صديقى . فأنا طالب بكلية أصول الدين أدرس العقيدة دراسة أشد تعقداً من ذنب الضب .. لا أكاد أصل إلى نتيجة فى بحث إلا وأجدها مهددة باعتراضات بيزنطية أشد فتكا بالعقول من القنابل الذرية ! ثم ماذا ؟ لا شىء ، لا ذخيرة ، لا علم يساير العصر ولا فكرة تستطيع أن تقف على قدميها لترد كيد الطوائف ، تلك التى وجدت لتنخر فى عظام الإسلام ..

فهنالك طائفة الوهابية وطائفة الإسماعيلية وطوائف أخر، تتحدى وتنذر وتبذر بذور الشك فى عقيدة المسلمين على مرأى ومسمع من علماء الإسلام الذين أطالبهم وبطالبهم معى آلاف الشباب الأزهريين بأن يضعوا حداً لهذه المهزلة العلمية، وأن ينتجوا إنتاجا يتحصن به أبناؤهم الأزهريون وغيرهم ضد هذه التيارات المتباينة والآراء الخطيرة !

ولست بأول من جهر بهذا الرأى فقد سبقنى إليه أساتذة أجلاء أذكر من بينهم أستاذى الدكتور محمد يوسف موسى، ولكنى أجهر به ونار الواقع تلهبنى، ويكاد الأمل البسام أن يفلت منى !

ولقد حظيت بقراءة كتاب من وضع الاستاذ الكبير الشيخ أبو زهرة فى قسم الزواج وهو مقرر بكلية الحقوق، فعجبت أيما عجب، وقلت فى نفسى المكلومة أمام شباب جامعى، أيدرس هذا الشباب الجامعة المدنيين ؟! .. وكلية الشريعة تدرس بحوث الدماء الثلاثة، وتضيع وقتها فى باب العتق والطهارة، والقواعد التى لا قبل لها بتطبيقها على مسائل الظروف الحاضرة ؟!

وقلت فى نفسى أيضاً وهى تنفطر : لماذا لا يجتمع علماؤنا على خير ؟ لماذا لا يحققون المسائل العلمية ويطبقونها على مقتيضات العصر ؟ لماذا لا يسيرون فى موكب الحياة ؟ ثم لماذا هم لا يقدمون ! ترى هل يطالعنا الأستاذ المداوى برأى فى هذه المشكلة ؟ إننا لمنتظرون .

محمد ابراهيم الخطيب
(كلية اصول الدين)

يريد منى الأديب الفاضل رأيا فى هذه المشكلة .. أشهد أن لدى بدلا من الرأى الواحد مجموعة من الآراء . وحين أمسكت بالقلم لأسجل آرائى حول هاتين الناحيتين . لماذا تعثر الأزهر وكيف ينهض الأزهر، توقفت .. توقفت لأننى رجعت إلى نفسى ورجعت إلى الواقع، وتذكرت أن هناك مشكلتين لا جدوى من الكتابة فيهما بعد أن بحت الحناجر وجفت المحابر وضجت الاقلام .. الأولى هى مشكلة القراء والثانية هى مشكلة الأزهر !

أريد أن أقول إننا لو كتبنا ألف مقال لنحث الناس على القراءة فلن يقرأ الناس، وإننا لو كتبنا مثل هذا العدد أو زدنا عليه لنلفت المسئولين إلى إصلاح الأزهر فلن يصلح الأزهر ..

حسبنا إذن أن نترقب معجزة من السماء تنهى المشكلتين بعد أن أخفقت جهود البشر . وياله من أمل ذلك الذى نتطلع إليه وقد انقضى زمن المعجزات !!

حسبنا هذا، وحسب الأديب الفاضل أن يكتفى منا بهذا التعقيب، وحسب القراء أنهم استمعوا لهذه الشكاة من هذا الطالب الحزين !

انور المعداوى



طه حسين الشاعر

أتاح لنا حضرة الباحث المطلع الأستاذ محمد سيد كيلانى فرصة التعرف على جانب هام فى أدب معالى الدكتور طه حسين باشا فى العدد الماضى من الرسالة الزهراء . فشرح كيف قرض الدكتور الشعر فى الصبا والشباب ، ودلنا على ما كان يفيض به ذلك الشعر من بدوات وأحاسيس ، وما يزخر به من نزعات دينية ووطنية وحب وشكوى إلى آخر المقال القيم

ويختتم الأستاذ كيلانى بحثه بقوله : « ولكن الشاعر منذ سافر إلى أوربا فى عام ١٩١٤ لم نر له ولا بيتاً واحداً . فقد هجر القريض هجرا تاما . ونسى الناس هذا الشاعر الموهوب ، بل ربما يكون هو نفسه قد نسى شعره »

والذى أفهمه جيداً أن معالى الدكتور طه حسين باشا لم يهجر القصيد هجرا تاما بعد عام ١٩١٤ ، فالناظر فى كتابه الرائع « على هامش السيرة » لابد واجد شيئا غير قليل من شعره الجميل منبثا بين ثنايا النثر ، وهو أمر لا يلمحه غير شاعر أو عروضى ...

وأذكر أن الأستاذ دريني خشبة أول من لفت الأنظار إلى تلك الناحية فى أثناء كتابته عن الشعر المرسل ، ولولا وجودى الآن بعيدا عن القاهرة لأوردت البرهان القاطع ، وفى الذاكرة من شعر الكتاب المذكور هذا البيت :

أقبلت تسعى رويدا مثلما يسعى النسيم

هذا وللأستاذ كيلانى تحياتى وإعجابى

كلية الآداب محمد سلامه مصطفى

طهروا الأزهر من الحزبية :

يا أولى الرأى فى الأزهر ويا أصحاب الفضيلة ، هبوا فأنقذوا الأزهر من هذه الوهدة المترعة بقذارة النزعات وفاسد الرغبات ، ألا وهى الحزبية العمياء التى بذرت فى نفوس أبنائه بذور الشقاق ، فتشتتت صفوفهم وتفرقت كلمتهم ، وصاروا لا يعملون إلا بوحى القادة ولا يسيرون إلا على هدى الزعماء ، وأسدلت هذه الحزبية البغيضة على عقولهم وقلوبهم ستاراً كثيفا من ظلماتها الحالكة ، فنسوا أنهم رجال الدين وأن عليهم واجبا نحو وطنهم وأنفسهم ، وأن ما يجرى بينهم ليس خليقا بهم ولا جديراً بأمثالهم ، وأنهم بذلك قد فقدوا وازع الخلق ، ومزقوا دستور النظام ووطئوا بأقدامهم قداسة الدين وحرمة العلم

أليس عجيبا — أيها الأزهريون — أن يصير الطالب خصما لدودا لأخيه إذا أبصر به فى الطريق ازور عنه ونفر منه ، فهل بهذا الوضع يرجى من أمثالهم عدة للوطن ، ورجالا يعملون لإعزاز مكانته ورفع لوائه . وأعجب من ذلك أن تتعدى هـــذه الشحناء إلى معارك يتبادل الطلاب فيها ضرب الهراوات التى يتخذونها من مقاعد العلم التى تندب طالعها السيئ وحظها المنكود

وإنها لمأساة كبرى أن تنقلب معاهد العلم ومنابع العرفان إلى أمكنة يسرى فيها الهيب المداء وتصطلى بنار الفوضى والاضطراب ، ولا تلقى من أبنائها إلا بعدا عن العلم وفرارا من الجد وجريا وراء الرغبات الحزبية والمنافع الشخصية ، وحبا فى إحداث المشاغبات وعدم سير الدراسة فى هدوء حتى أننا — وأيم الله — من ابتداء هذا العام إلى الآن لم نحضر أسبوعا كاملا بدون إضراب . فياقوم « لن يستقيم الظل والعود أعوج » فهيا طهروا الأزهر من هذا الوباء وقوموا هذه النفوس الحائدة عن سواء السبيل وألجموا هذه النزعات الكاذبة فهى بلاء مستطير وشر خطير . وليس من الواجب أن يترك هـذا الجيش الأزهرى يتخبط فى دياجى هذه الحزبية وغياهبها فغبة ذلك لا يحمد أثرها ولا يستطاب غبها

وأنتم أيها الشباب فيئوا إلى أنفسكم وحاسبوا ضمائركم ، واتقوا ربكم وثقوا أن مطالبكم لن تحقق إلا بالاتحاد قوتكم وعزيمتكم وترك هذه الحزبية وراءكم فهى قد باينت رغباتكم وفرقت قلوبكم ونفوسكم ، وإن كانت مطالبكم لم تحظ من الأداة الحكومية إلا بالنسيان والوعود والإهمال

وجاهدوا فالله معكم ولن يتركم أعمالكم

م . ع . الدسوقى

معهد طنطا الثانوى

انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً

جاء فى البريد الأدبى من الرسالة الغراء (٩١١) الصادر فى ١٨ ديسمبر كلمة موجزة للأستاذ عبد العظيم عطية هاشم اعترض فيها على جزء من كلمتى : (شعر الحماسة عند العرب) المنشورة فى الجزء (٩٠٩) من الرسالة الغراء.

فقد ورد فى كلامى بصدد العصبية الجاهلية ذكر المبدإ الجاهلى : (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) فقال عن ذلك (ولا أرى معنى لإيراد هذا الحديث الشريف فى هذا المقام ... وأضاف أن ذكره (خروج بالحديث الشريف عن معناه وانحراف عن قصده ومرماه) ثم عزز قوله برواية الحديث عن البخارى ولم تفته الاستفادة من بلاغة الصمت فذكر الحديث من غير تعليق

إن عبارة : (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) كلمة جاهلية بمعناها السافر قبل أن تروى حديثاً بعد تخريجها تخريجاً سليماً يلائم نظم الإسلام . قال الأستاذ صاحب الرسالة فى بحثه أحوال العرب الاجتماعية : (أما علاقة أبناء الأسرة بأبناء القبيلة فجماعها (بضم الجيم وتشديد الميم) مدلول هذه الكلمة الجاهلية : (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً (١))

وذكر الميدانى هذه الكلمة فقال : (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) يروى أن النبى (ص) قال هذا فقيل يارسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ فقال (ص) ترده عن الظلم. قال أبو عبيدة أما الحديث فهكذا. واما العرب فكان مذهبها فى المثل نصرته على كل حال . قال المفضل أول من قال ذلك جندب العنبر من تميم «٢» ثم ذكر قصة أرتجاله ولا حاجة لذكرها وأحسب أن الدكتور أحمد أمين يشير الى هذه الكلمة الجاهلية فى بحثه عن حالة العرب الاجتماعية بقوله . (وافراد القبيلة متضامنون أشد ما يكون التضامن ينصرون أخاهم ظالماً أو مظلوماً «٣»)

والظاهر أن هذه الكلمة من منحول الحديث فمن الصعب أن نصدق أن الرسول الكريم وهو سيد البلغاء يستعير كلمة جاهلية.

أما ما يبعث الشك فى صحتها فهو اختلاف رواية الميدانى عن رواية البخارى فقد ذكر الميدانى (ترده عن الظلم) وذكر البخارى : (تأخذ فوق يديه) ولم أجد فيما راجعت من المعاجم (يأخذ فوق يده) وإنما المذكور (يأخذ على يده أى يمنعه). ثم ما حاجة المسلمين إلى مثل جاهلى لا يلائم نظم الدين الحنيف إلا بعد التخريج والتوجيه وعندهم قول القرآن الكريم : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) ؟

والظاهر أن نسبة الحديث إلى أنس وهو صحابى كريم استدراج لتصديق الناس . قال الدكتور محمد حسين هيكل : (ومع ما أبداه جامعو الحديث من حرص على الدقة لاريب فيه فقد جرح بعض العلماء كثيراً من الأحاديث أثبتها جامعوها على أنها صحيحة . قال النووى فى شرح مسلم (قد استدرك جماعة على البخارى ومسلم أحاديث أخلا بشرطهما فيها ونزلت عن درجة ما التزماه(١)) يقول النووى فى كلامه السابق قد استدرك (جماعة) على البخارى ومسلم واستدراك هؤلاء الجماعة شئ معقول فقد روى البخارى سبعة آلاف حديث فاذا أسقطنا المقدار المكرر وهو ما يقرب من ثلاثة آلاف حديث فإن الباقى أربعة آلاف حديث وهو رقم بعيد لا يصله البخارى ولا غيره إلا بعد قبول كثير من منحول الحديث

وقد عارض القرآن الكريم روح العصبية التى أشار إليها المثل وخفض منها بالتدريج إلا أنها لم تستأصل فقد بدأت أن تنتعش منذ أيام عثمان وظهر أثرها واضحاً فى معركة مرج راهط فقد كان أغلب جيش الضحاك بن قيس الفهرى قائد ابن الزبير من عرب الشمال وكان الكلبيون جنود بنى أمية من عرب الجنوب فثارت الحزازات المستورة وصرح الشر عن عصبية كامنة امتد أثرها حتى جعلها المؤرخون من أسبا هزيمة الجيش العربى فى فرنساب

وذكر الدكتور فليب حتى (أن هذه الخلافات العصبية ظلت حتى الأيام الحديثة قائمة فى لبنان وفلسطين إذ روى لنا التاريخ أن معارك قامة بين الحزبين : (الشماليين والجنوبيين) فى

---

١) تاريخ الأدب العربى للزيات ط ٥ ص ٩ مطبعة الاعتماد ١٠٣٠
٢) مجمع الأمثال للميدانى ج ٢ ص ٢٩٦
٣) فجر الأسلام لأحمد أمين ج ١ ص ١٢ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٥

(١) حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكل ص ٥٠ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٤ هـ



دمعة فاجر !

للأستاذ عبد اللطيف الشهابي

« ... إلى الذين تاهوا فى فلوات الغى والضلال .
إلى الذين ابتعدوا عن المورد العذب .
إلى فرسان الشباب . . أقدم هذه الأقصوصة ! ! »

يالى من عربيد فاجر ! .

كنت أجرى وراء اللذات ، أينما حلت وحيثما ارتحلت ، كنت أشتريها بأى ثمن كان، فأندفع إليها اندفاع الطائش المغرور ، وأنا غائص فى الأوحال . أعمى من رماد الزمن . . تصرعنى الجذوة الحمراء وهى تلح فى ذروة سعيرها ! .

رافقت الشيطان فى رحلاته، ورقصت معه على أشلاء الفضيلة ونحن نردد أغانينا المحبوبة: فى رقصتى عطر وكأس وجسد ! .

كنت أقضى الساعات والليالى بين صخب وعربدة ومجون، بين قصف ورشف وأنغام . . تبهرنى الأضواء الساطعة ، وترسل صداها فى نفسى ، فتتركنى مغموراً بدنيا أسرارى ، بدنيا لذاتى متطلعاً بلهفة قاتلة ، لعلى أفهم كنه ذلك السر المجهول !

كنت أسير عواطفى ، أتقلب بين شك ويقين ، بين كفر وإيمان ، بين حيرة ورشاد . . أندفع بكيانى رغم كل شىء ، فتتراءى لى من بعيد ، من هناك : أخيلة وهواجس ، رؤى وأحلام ، أنوار وسراب . . فأنسرب فى المجهول وأنا غير هياب ، أفتش عن سر دفين ، عن تلك القوة الهائلة التى تجذبنى قسراً إليها ، فتحطم أغلال إرادتى . . فأندفع اندفاعة طائشة ، وأنا أرتجى الخطوة ، أرتجى الأمل الذى يتراءى لى من بعيد — كما أتصور ذلك — فبقيت فى حيرتى هذه بين مد وجزر ، أفتش عن كل شىء ، أريد كل شىء . . ماذا أريد ؟ ! أريد طريقى ! . وأى طريق ؟ ! طريق القهقرى ؛ طريق الوعر اليابس ! ! أريد مواكبى ! . وأى مواكب ؟ ! مواكب الذكرى ، مواكب الشباب النضر ، مواكب التوبة . . ولكنى كيف ؟ ! وقد فاتنى الشباب ، وفاتنى الركب بل غابا عنى واندثرا فى لجاج الماضى البعيد ، وقد غصت فى الأوحال ، واندفعت فى الخطيئة إلى أبعد مراميها !

أجل كنت هكذا . . لا أعرف سبيل التوبة ولا طريق الغفران . . قل عنى ما تشاء أيها القارئ . قل إنى فاسق حقير سافل ! ولكن تمهل قليلا حتى أسرد لك هذه القصة التى بدلت وجه حياتى . هذه القصة الفاصلة بين لذتى وزهدى بين غوايتى وهدايتى ! . بين أغنية الشيطان وبين تسابيح وغفران ... هى قصة حياتى أقصها كما هى

« ... حثثت خطاتى الحر . والجذوة الصارمة تفتك بى وتدفعنى بقوة هائلة . . إلى هناك ، إلى أحد تلك البيوت السرية المنتشرة فى الجانب الغربى من بغداد . وكان معى صديق عزيز، يشاركنى وأشاركه فى كل شىء لا يتركنى فى أى لحظة ... وسار ... من هو ؟ ... إنه ... الشيطان ، ذلك الدليل الخبير !

أوائل القرن الثامن عشر (1))

وليست هذه العصبية وقفاً على العرب دون سواهم وليست هى خاصة بعصر من العصور أو قطر من الأقطار دون غيره فقد رأينا كثيراً من الغربيين فى الشرق يجعلون التعصب الأعمى لأبناء وطنهم على غيرهم دستوراً فى حياتهم ومعاملاتهم

وأضاف الأستاذ عبد العظيم إلى الكلمة الأخيرة من اسمى الكامل كلمة (عبد) فصيرها (عبد الرحيم) وهذه الإضافة أما من استبداد السهو بالقلم أو أن الأخ يرى كلمة (رحيم) من الأسماء الحسنى لا يجوز أن يسمى بها شخص من غير تعبيد . وعلى الاحتمال الثانى أقول أن (رحيم) بمعنى الفاعل من أسماء الله الحسنى وبمعنى المفعول من غيرها فانتفى الحرج. وقد ورد فى مختار الصحاح وغيره : و(الرحيم) قد يكون بمعنى المرحوم كما يكون بمعنى الراحم)

وأحمد للأستاذ هذا الاهتمام وأشكره

الحلة (العراق) — أحمد حسن الرحيم

(١) تاريخ العرب للدكتور فليب حتى. الكتاب الثالث ترجمة الأستاذ محمد مبروك نافع ص ١١٣ مطبعة النجاح بغداد ١٩٤٦

أجل سار معي إلى هناك في طرف بعيد منعزل، في محلة حقيرة من المحلات ، يطلقون عليها اسم « محلة الذهب » ، ولا أدري من أسماها بهذا الإسم ؟ ! ولم أطلق عليها هذا النعت ؟! ألأن الذهب يسيل من أصابع روادها ، فيغور ويختفي في خزائن أهلها ؟

ودخلنا أحد المواخير ، أنا ودليلي ... دخلنا متلصصين ، دخلنا نطلب المتعة ونغوص في الآثام !

وفي غرفة حقيرة ، تكاد تكون مظلمة ، لولا ضوء خافت يتأرجح من مصباح زيتي معلق في ركن من أركانها : جلسنا هناك على أريكة متداعية، راحت تئن تحت ثقل أجسامنا ! ورحت أنقل بصري في أرجاء هذا المخدع ، إن جاز لنا أن نسميه مخدعاً . وإلا فهو أشبه ببيت أرملة فقيرة أتت على البقيـــة الباقية من مخلفات زوجها ؛ فلم يبق منها ما يستحق الذكر ، أو ما يستحق أن تبيعه ! هناك سرير قديم محطم الأوصال مزعزع الأركان ، عليه فراش قذر تمزقت أطرافه ، وأطلت منها بجزع شـديد بقايا من صوف أدكن ، وكأنه امتزج بحفنات من طين .

وربضت فوق هذا الفراش ستارة بالية مهلهلة ، توارى لونها الأبيض وحل مكانه لون قاتم سقيم .. وتناثرت هنا وهناك بقع جامدة كأنها عيون فاجرة ، أو كأنها بصقات الشيطان

وعلى الجدار . . علقت حصير صغيرة عض عليها الزمن فسلب ألوانها، وكأنها شعرت بهذا الخزي الفاضح فراحت تتلاشى في الجدار ، وتختفي وراء صور باهتة ممزقة انتزعت من مجلات عديدة . وفي طرف آخر ، وقرب نهاية السرير ، علقت مرآة كبيرة قد نخر الدود إطارها الأسمر، فأصبحت كخلية نحل مهجورة فبات الصراصير فيها تمرح وتصفر .

جلسنا هناك ، أنا وصديقي ، نقضي ليلة حمراء ، ليلة صاخبة رعناء . وبقينا هنيهة جالسين ، ننتظر شريكتنا وهي فتاة ممشوقة القوام ، ريانة العود . اخترتها حين دخولي في هذا الوكر

وران علينا الصمت ... فبقيت أجيل عيني في أرجاء المخدع ... ماذا ؟ ! لا أدري ماذا اعتراني ؟! كأن عيني في تلك اللحظة لم تألفا رؤية هذه الأشياء ، وكأنني لم أتردد إلى مثل هذا المكان من قبل ... تخيلت في تلك اللحظة أن عيوناً ترقبني وتترصد حركاتي ، وكأنني أرى وجوهاً تتطلع إلي باحتقار واشمئزاز ، فأخذت أضغط على نفسي وأعتصرها بقوة ، لعلها تهرب من

هذه اللجة الطاغية ، من هذه الـثورة العاتية ... أردت أن أفر من ذلك الـكابوس المخيف الذي استولى علي في تلك اللحظة ... عند ذاك ، وفجأة ، امتدت يدي إلى جنبي وأخرجت زجاجة صغيرة بيضـاء ، لأغسـل جوفي بما فيها من سـائل أبيض كالحليب ! . . وبعد لحظات قصار شعرت ببعض الهدوء يسيطر على نفسي ، وببعض الاستقرار يدب في أحاسيسي وهي تحرر في عنف وجنون ... ولم أشعر آخر الأمر ، إلا أنني أستفيق من شرودي على كف بضة تمتد إلي برفق ولين فتربت على كتفي ! . فرفعت رأسي قليلا وكأنني قد نسيت تماما أين أنا؟! وماذا أريد؟! ومن جاء بي إلى هذا المكان ؟! ولـكن ... تذكرت بعد أن ارتفعت ضحكة ماجنة في فضاء الغرفة وإذا بها غانيتي التي ستشاركني ليلتي هذه ... وكانت قد أخفت قسمات وجهها وراء أصباغ ومساحيق ... وراحت نحو السرير بخطوات متعثرة واهنة واستلقت عليه بإعياء شديد

وبقيت في مكاني ، كأنني قد سمرت على المقعد ، أو كأن أغلالا قوية قد ربطت جميع أطرافي ... ياللهول !! ماذا أحس ؟! وماذا أرى ؟! ماذا أسمع ؟! وعاد إلي شرودي، وتطاحنت مشاعري مرة أخرى ... زاغت نظراتي ، إلى هناك ، إلى تلك المرآة المعلقة على الجدار ، فتطلعت إلى صورتي ، إلى قسماتي ! ! وحملقت فيها مشدوهاً ، وفتحت فمي كالرعوب ، وأردت أن أنطق بشيء ، أن أزعق ، أن أصرخ ... ولـكن ... ولكن الـكلمات احتبست في عنقي ، وغاض السخط في نفسي ... أتلك هي صورتي ؟ ! تنطق بالرجس والخسة ، تنطق بالشر والجريمة . . لقد أنـكرت كل شيء ، ورحت أتلفت حولي ، وارتدت نظراتي فسقطت لاهثة متعبة على جسد تلك الأنثى ، ذلك الجسد الذابل المنهوك الذي تفوح منه رائحة المعصية ... لقد تخيلته في تلك اللحظة — ولا أدري لماذا ! ؟ — جيفة نتنة تطفو على وجه مستنقع آسن ، تصورته أشلاء متناثرة وأعضاء آدمية مشوهة لطخت بالدماء والأوحال ! !.

فثارت نفسي ثورة عاتية ، ثورة صاخبة ... ورأيتني، وبدون أن أشعر ، أتحفز للوثوب وللانقضاض ... على من ؟! وتلفت حولي فلم أجد من يستحق أن أصب عليه لعنات ثورتي ، لم أجد هنا غير هذا الجسد المستباح ، غير هذه الفريسة المستسلمة الخانعة

وهى لا تزال فى ضجعتها على السرير .. وكأنها اطمأنت لهدوئى وسكينتى فراحت تستريح من وصب الحياة ، بل راحت تسترد قواها المنزوفة طيلة النهار

ورحت أنظر إليها وهى متهالكة خائرة ، تنظر إلى نظرة عطف وإشفاق ... بل رحت أقارن بينى وبينها : إنها ضحية مجتمع فاسد ونظم بالية سقيمة ! . لقد دفعتها الأوضاع الشاذة فى طريق الاثم والجريمة ، بعد أن امتدت إليها أصابع الزمن العاتية ، فاستلت منها خيوط الرجاء والسعادة ، فأصبحت مومساً فاجرة ، تعيش قسراً بهذا المحيط الموبوء ، وهي موصومة بيصقات الاحتقار ... إنها عرض مهدر وشرف مضيع يعبث به من يشاء ، بثمن زهيد !

وأنا ... عربيد فاجر ... ولا أقول ضحية ثانية من ضحايا هذا المجتمع ... أنا الذى دفعت بيدى هذه المسكينة وبأمثالها من بنات حواء ، إلى مثل هذا الطريق الشائك ، طريق الاثم والغواية ! وجررتها إلى مثل هذه النهاية المحزنة ، إلى مثل هذه الحياة الضالة الشقية ، هـذه الحياة الملتوية القذرة ... فالويل لى ولأمثالى من أبناء آدم ، والويل كل الويل لأمة لا تستطيع أن تكفل لأبنائها لقمة العيش !

وفجأة ، شعرت أن بركاناً ثائر الأنفاس كان قد انبثق فى تلك اللحظة فى أغوارى ، وأحسست أن جميع أدرانى وأوزارى قد تساقطت على الأرض الواحدة تلو الأخرى ، وكأننى شعرت بموجة من الندم تطغى على مشاعرى ، وأن شعاعاً لذيذاً تسرب إلى أوصالى ، فراح ينير لى تلك الزوايا المظلمة من جوانب نفسى ونوع من الشعور لم أعرفه من قبل . هذا عجب ! إن روحى تغتسل فى هذا الفيض الإلهى الذى يغمرنى ... فأصبحت لساعتى — وبهذه السرعة — ثائراً على الأوضاع والتقاليد ، ساخطاً على أهل الصلف والمجرفة من الأغنياء ، كارهاً لدهرى الطاغى ، ناقماً على المجتمع الذى احترف الخداع ودرج على الشر والظلم ، فراح يسدل على الحقائق ستاراً من العفة الكاذبة والورع المصطنع !

كل هذه الثورة قذفتها على العالم ، على هذا الكون المائج بالخبائث والمنكر ، وأنا لا أزال على المقعد لا أريم ؛ عند ذاك قمت من مكانى وأنا فى أشد حالات الهياج والسخط ، قمت لأصب غضبى ، لأقذف شتائمى ولعنانى ... ولكن على من ؟ وليس أمامى غير هذا الجسد النضو الطليح ، غير هذه الضحية البريئة التى تحركت من مكانها ونهضت جالسة حين أحست بخطواتى تقترب منها ... وجلست بقربها ، وأخذت أحدق بعيونها ، فوجدتها جميلة أخاذة ، يشع منها بريق عجيب فيه ذل الوضيع ، فيه ثورة المتكبر ! وعلى قسماتها لاحت ومضات إنسان ثائر ، تلتمع من تحت رمادها جمرات من أنوثة ملتهبة !

وراحت تحدثنى حديثاً عابراً لا شيء فيه ، فكأنها اطمأنت إلى هدوئى ودعتى ، وكأنها استقرت على رأى قاطع ، تكهنت فى أمره فلم أظفر بغير هذا القول الذى قطع على تصوراتى ، قالت وهى تبتسم ابتسامة مقتضبة :

— بربك ... خبرنى ماذا تريد ؟ ! لقد حيرتنى ...

فأجبتها وأنا على حيرة من موقفى هذا :

— جئت ... لأعرف قصتك ! .

قلتها وأنا متهيب ، فأجابت على الفور :

— قصتى ؟ !

وانفلتت منهـا ضحكة تخيلتها عواء مبحوحاً انطلق فى جوف ذلك الليل المختنق الأنفاس ، ثم أردفت وهى عابسة :

— قصتى ... هـذا بديع ... إذن أنت لم تطلب منى لذة الجسد

— لا . لا ... أريد قصتك ، قصتك الحقيقية ، أصارحك القول أننى جئت أول الأمر فى طلب اللذة ، ولكننى الآن عدلت عن رأيى ، فلم أطلب منك شيئاً غير قصتك ... وكفى

وراحت تتفرس فى وجهى ... وكأنها تريد أن تنفذ إلى أعماق لتستجلى السر الدفين الذى دفعنى لأن أطلب منها هـذا الطلب اليسير ! ولما اطمأنت إلى وعرفت صدق قولى ونبل غايتى ، ابتسمت قائلة :

— إذن سأكشف لك عن جراح قلب أدمته الأيام ... قصتى أيهـا الصديق تتلخص فى سطور قليلة ، ولا حاجة هناك للشرح الطويل والمقدمات المسهبة : تزوجت من شاب أحببته وأحبنى ... وبقيت سعيدة هانئة فى ظلال الزوجية ... ومرت ثلاثة أعوام كلها صفاء وبلهنية ! . ومن ثم ضحكت الأقدار هازئة ساخرة ، وانقلبت الكأس الحلوة ، فانثالت قطراتها على اليباب ! . مات زوجى مصاباً بالتدرن الرئوى ... وتلفت حولى فلم أجد فسحة من الأمل المنتظر ، لم أجد فى هـذه الحياة من أركن إليه وأستظل

تحت جناح رحمته ، لم أجد من ينقذني مما أنا فيه . وأظنك ستسألني عن أهلي . لقد مات أبي بعد زواجي بأيام قلائل ، وتبعته أمي بعد عام واحد ... أجل لقد بقيت وحدي ضالة شريدة ، حتى التقطني رجل فاجر سكير ، كان قد افتتح له محلا في شارع (الرشيد) ، وقد أطلق على محله اسم « وسيط الخدم » ...

— وسيط الخدم ! !

— أجل ... وهذا الوسيط باعني بدوره إلى تلك السمسارة التي رأيتها عند دخولك هـــذا المكان وهي جالسة عند الباب الداخلي ... وتراني الآن وقد أصبحت ملهاة لكل من ينهد الإثم والخطيئة ، أغوص في هذا المستنقع العفن ، هالكة مع رغبات الرجال ، أمنح نفسي لطلاب اللذة والجسد ، للكلاب المنتشرة الحائمة على الجيف ، أرافق فرسان الضباب في غزواتهم ونزواتهم !.

انتهت من قصتها وأنا أتطلع إلى وجهها الذابل وقد التهبت خلف هذا الذبول تلك الشعلة التي اعتصرتها أصابع الزمن ، وخنقتها أحضان الفجور ... فأطرقت خجلا وحياء ... ممن ؟ ! لا أدري ! ! ولكنني شعرت بأنني أغوص إلى أذني في العار والإثم ، وأنا أسمع من بعيد ضحكات عريضة مجهولة تتجاوب في أنحاء الغرفة ! . تلك كانت ضحكات الشيطان !

ونظرت مرة ثانية ، إلى تلك المرآة الصدئة ... فرأيتها ... يا للعجب ! قد انجلى الغبار عنها ، وتساقطت تلك الأقذار التي كانت تغطي وجهها الصقيل ، فإذا بهـــا تتلألأ بأنوار ساطعة ولمعان غريب ، ينفذان إلى الأعماق . وسقطت نظراتي هادئة رخية ، ورحت أتفرس في قسمات وجهي ... أحقا ما أرى ؟ أراها مشرقة لامعة ، تشع بأنوار زاهية ، ببريق ساحر أخاذ لم أعهده منذ زمن بعيد ... منذ عشر سنوات ، عند ما كنت ، في ذلك الزمن : أدرج في النور ، وأتمشق الهدوء والاستقرار ، كالطفل البريء يبسم الضاحكة وأساريري المشرقة ... أجل كنت هكذا ، قبل أن أخوض هذا الخضم المتلاطم ، قبل أن تجتاحني أنواء الزمن العاصفة ، قبل أن أشترك في معركة هائلة ، أصبحت فيهـــا حليف الشيطان وعبد شهوانه ، أسير في موكبه طائعاً ذليلا ... قبل أن أكون سيد ضميري وعبد إرادتي ، قبل أن أكون من راكبي الآثام والموبقات ... قبل أن تنتصر جيوش الرذيلة الفاتكة على فلول الفضيلة المندحرة ...

والآن ... وفي هذه اللحظات ، وبعد هذا الانقلاب الفجائي ، حلقت نفسي تفتش عن طريق المتاب ، تريد أن تحرق دموع الندم على عتبات المستقبل القريب

وتلفت حولي في أرجاء المكان ، وهنالك امتدت نظراتي تفتش عن منفذ للخلاص ، عن طريق مستقيم ، عن منقذ جبار أفزع إليه بعد إخفاق الأماني ... فرأيت صديق ، ذلك الشيطان قد نحر نفسه خائباً على عتبة هذا المخدع الذي ارتفعت في فضائه ألحان التوبة والغفران ، من قلوب طهرتها الأيام وغسلتها دموع الندم والاعتراف

وعاودت أنظر إلى صاحبتي ، فرأيتهـــا تبكي بدموع غزيرة راحت تتساقط كاللؤلؤ المنثور على خدها وتنساب على وسادتها ... يالها من دموع طاهرة نقية . يالها من لحظة عصيبة كشفت أمامي سر هذه الروح المعذبة الملتاعة ، هـــذه الروح التي صفدتها أغلال الغواية ، أغلال الإنسان الآثم الجاحد ... هذه الروح التي عصرتها يد الطغاة الظالمين ، فتركتها نفاية حقيرة ملقاة في زوايا النسيان .

وطفت على موجة من الاشفاق والحنان ، موجة استحوذت على كياني وشغلت جميع أحاسيسي ، فصممت على أمر عظيم ، أمر أقل مايوصف به أنه عمل إنساني يثلج له صدري ، وأستحق عليه مرضاة وجه ربي ومغفرته ، لعله يمحو مابدر مني من عقوق وكفران!

وأمسكت بيدها ورفعتها إلى فمي لأطبع عليهـــا قبلات حرى ، قبلات ملتهبة محرقة استنزفت فيها عصي الدموع ، تلك الدموع التي كنت أضن بها كما يضن الشحيح على كنزه . وتلفتت نحوي كأنها تستجير بي ، كأنها تريد أن تقول لي : اهرب بي من هذا الأتون الملتهب ، من هذا الجحيم المسعور ... هيا ... هيا

ولم أشعر بعد ذاك ، إلا أنني أمسك بيدها وأخرج بها مسرعاً من الدار ، كما لو كانت ترقبنا ألف عين ، وتتسمع إلينا ألف أذن ... وكان الليل يجود بأنفاسه الأخيرة ، والشوارع توشك أن تقفر إلا من رواد الظلام ، وعشاق الحانات ، وفرسان الشهوات والآثام ...

وغبنا في ثنايا الطريق ، ورحنا نقطع الدروب على هدى ضوء باهر انبثق من قلبينا المتفجرين بإيمان جديد ... ومشت معي طائعة سلسة القياد : لأقضي معها بقية عمري ، ولأدفن بين يديها بقية من عفة لاتزال تضج في القلب

العراق — الحلة

عبد اللطيف الشهابي



مطبعة الرسالة

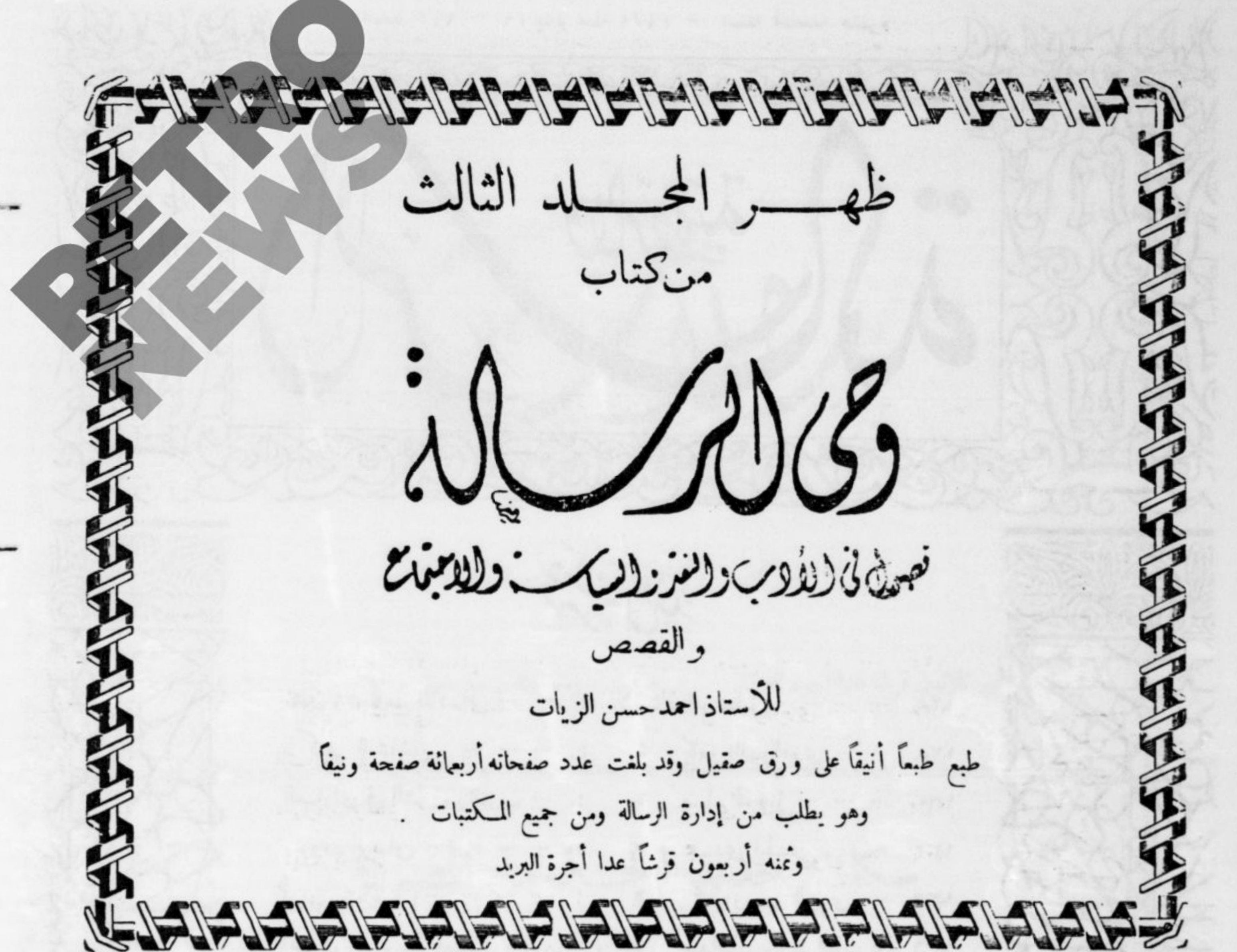


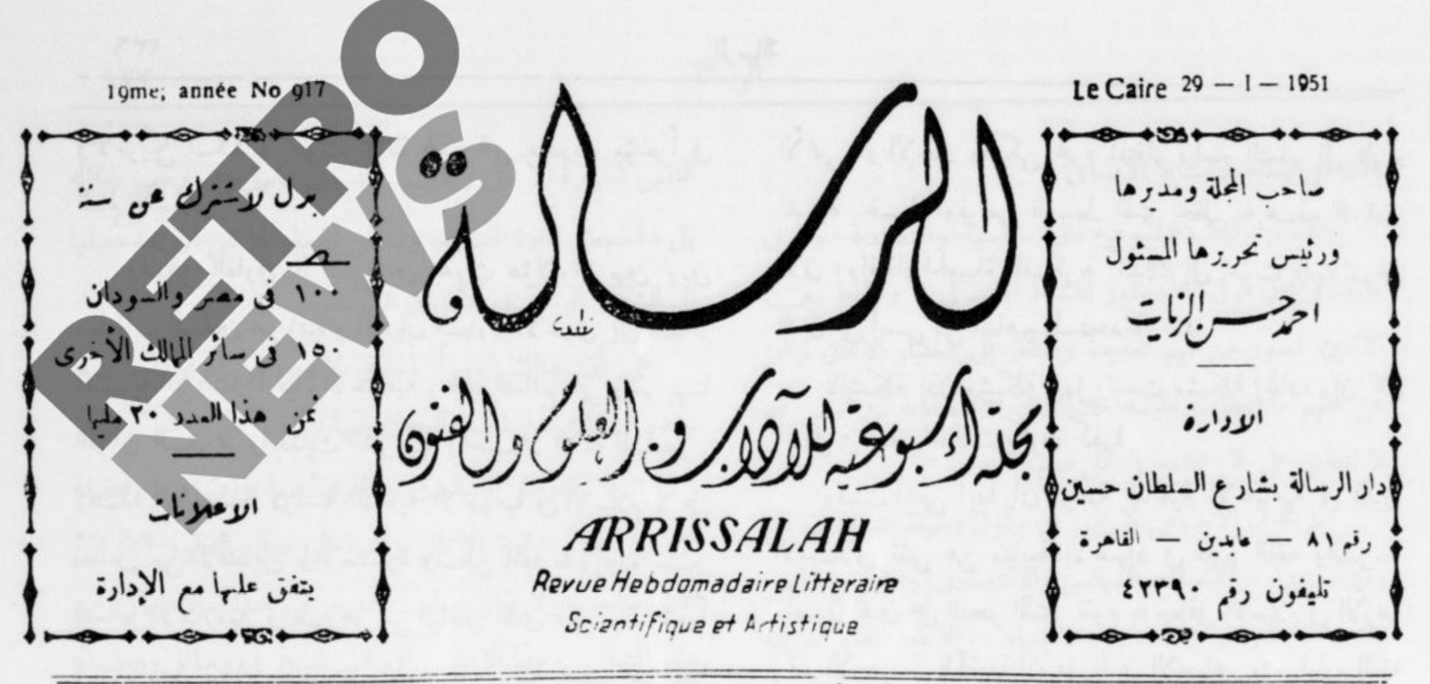
العدد ١١٧ — ٢٦ يناير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


ظهر المجلد الثالث
من كتاب
وحي الرسالة
فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع
والقصص
للأستاذ احمد حسن الزيات
طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات .
وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد



19me; année No 917

Le Caire 29 — I — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩١٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٣٧٠ — ٢٩ يناير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

الدين والسلوك الإنسانى

للاستاذ عمر حليق

— ٢ —

دراسة الدين والسلوك الدينى موضوع لن يطمح كاتب هذه السطور أن يستنبط له منهجا جديدا ؛ إنما هو يستوحى لذلك ما انتهجه بعض أئمة البحث الغربيين من مناهج ، وذلك لأن هذه الدراسة قصد بها التعرف على مشكلة الدين والسلوك الإنسانى فى المحيطين الأوروبى والأمريكى اللذين تغزو موجاتهما دعائم الفكر العربى فى هذه الآونة مما أوجد بين بعض المثقفين العرب اتجاها سلبيا إزاء وظيفة الدين الروحية والاجتماعية . وهذا ما يدفعنى إلى اتخاذ هذا النهج على أساس الحكمة التى تقول « من فمك أدينك »

ويجب ألا يغرب عن البال أن البحث فى وظيفة الدين الاجتماعية لا يعنى الانكباب على دراسة « اللاهوت » ؛ فاللاهوت يختص بالتعرف على التطور الفكرى والتاريخى للمذاهب الروحية ، بينما ينطوى علم الدين الاجتماعى على استعراض علاقة الغريزة الدينية بالحياة اليومية وما يعرف الآن بعلم الاجتماع الدينى

فالناحية اللاهوتية فى الدين تعالج العقيدة من حيث أنها إيمان وذلك عن طريق الدراسة لفلسفة الوجود والتعبير الدينى ممثلا فى الصلوات والعبادات . (١) وعلم الدين الاجتماعى يتطرق إلى الظواهر الاجتماعية وصلتها بالحياة الروحية . وهذا فى الواقع صلب الإشكال بين المفكرين فى الغرب وانقسام الرأى فيهم بين أنصار العقل والقيم الروحية من جهة ، وأنصار الغريزة البدائية من جهة أخرى

ولا ريب أن العلاقة وثيقة بين اللاهوت وعلم الاجتماع الدينى ، ولكنها ليست ضرورية دائما . ويخيل إلى أن الإسلام فى بساطته ووضوح تعاليمه لا يتطلب دفاعاً لاهوتيا على النحو الذى تتطلبه الأديان السماوية الأخرى

ولقد كثرت فى الآونة الأخيرة أبحاث بعض المفكرين المسلمين فى الشرق العربى عن علاقة الاسلام بالمذاهب السياسية والاقتصادية والفكرية المعاصرة . والجدل الذى أثير مؤخراً حول هذه البحوث لا يتطرق إلى صلب الدين الاسلامى ولا يجادل جوهره ومبادئه ، وإنما يطوف حول الناحية الاجتماعية فى التعاليم الاسلامية

والواقع أن هذا الظمأ إلى دراسة هذه الناحية الاجتماعية فى العقيدة الدينية قد ألهم الكثير من رجال الفكر الأوروبى

---

١ — راجع

H,P Boullaye L Etudes comparés dès Religions

E.S Brightman A philosophy of Religion

والأمريكى الكتابة بحوث مماثلة لهذه التى صدرت مؤخراً فى العالم الاسلامى (٢)

ولكن الفارق الرئيسى بين بحوث هؤلاء الغربيين وبين معالجات المسلمين هو افتقار الأديان السماوية الأخرى إلى التعاليم الدنيوية التى تنظم الحياة الاجتماعية . هذه التعاليم التى يزخر بها القرآن الكريم والحديث الشريف واجتهاد الأئمة المسلمين . وهذا فارق يبسط دراسة الناحية الاجتماعية فى الاسلام لا على أساس من الاقتباس والاستعارة ولكن بالمقارنة وإعادة تفسير التعاليم الاسلامية وتطهيرها من الباطل الذى علق بها زوراً وبهتانا دون مساس بالعقيدة والجوهر ، وفى لغة يفهمها أهل هذا العصر

إذن فهدفنا الرئيسى هو التعرف على علاقة الدين بالظواهر الاجتماعية . ولعل فى ذلك ما يساعدنا على تفهم المغزى الجليل النفع فى السلوك الدينى ويوفر لنا أضواء نلقيها على عظمة الروحانية التى يحمل لواءها الدين والتى تواجه هذا التحدى من عناصر المجتمع العربى هذه الأيام

ويجب أن نقرر فى هذه المرحلة من الحديث أن الدين لم يمت ولن يموت ، لسبب بسيط وهو أن السلوك الدينى تعبير عن الغريزة الدينية الكامنة فى أنفسنا جميعا . والغريزة لا تموت دائماً بل تنطمر فى بعض الحالات تحت ركام من العقد النفسانية والمشاكل الدنيوية . فإذا توفر لها من يزيل عنها هذا الركام برزت صافية جلية تبعث فى الفرد وفى المجتمع الطمأنينة الحقة وهى سر السعادة والهناء فى عالم قلق مضطرب

فاتجاه بعض المفكرين إذن إلى دراسه الإسلام على ضوء علم الدين الاجتماعى هو نتيجة حتمية لموجة الاضطراب الفكرى التى تعترى بعض المسلمين من أصحاب الثقافة الغربية فى هذه الآونة ـ وبعض هؤلاء ابتعدوا عن الدين لا بدافع التحامل الأعمى أو الإلحاد ولكن لمجرد افتقار برامج التعليم إلى المواد الدينية بقسط أوفر من القسط الذى تحظى به هذه البرامج الآن ، وافتقار الحياة الفكرية كذلك إلى بحوث علمية تدرس الدين على أسس من المناهج المستحدثة

فالمشكلة إذن مشكلة جهل وليست مشكلة إلحاد، وإن كان الجهل فى بعض الحالات يكون كفرا

ولست أدعى أبدا أن دراسة الناحية الاجتماعية فى الدين الاسلامي تغنى عن متابعة الاجتهاد فى علوم الفقه والشريعة وأصول الدين على النحو الذى تقوم به معاقل الاسلام فى الأزهر وغير الأزهر . فالحقيقة أن علم الدين الاجتماعى متمم لعلوم الفقه والشريعة وأصول الدين . فالدراسة الدينية تبرز الجوهر وتشرح التفاصيل وتفسر ما استعصى على بعض الناس فهمه من ألوان الروحانية التى يحملها الدين . والدراسة الاجتماعية للدين تشرح صلاح هذا الجوهر وهذه الروحانية لاحتضان المستجد المفيد من التفكير السياسى والاقتصادى المعاصر . والبارزة الفريدة فى الاسلام أن كلتا الناحيتين ممتزجتان فى صورة متماسكة متشابكة ، الأمر الذى يورد بعض الكتاب موارد الزلل فى معالجتهم لهذا التماسك وهذا التمازج

والخروج من هذا الإشكال يستوجب على الباحث أمرين :

١ ــ اختيار صادق للعقيدة والإيمان وما يستتبع ذلك من طمأنينة وسمو نفسانى ونزاهة فى التفكير والقصد

٢ ــ إدراك المشاكل الاقتصادية والسياسية التى تعيش فى نفسية رجل العصر الحاضر وفى مجتمعه

وللباحث أن يدرك كذلك الفرق بين العقيدة والإيمان وفلسفة الحياة الروحية ، وبين النظرة الواقعية لمجرى الشؤون الدنيوية والسلوك الإنسانى (٣)

فليس هناك صدق علمى فيما يحلو للبعض الكتابة عنه هذه الأيام « كالاشتراكية فى الاسلام » و « الشيوعية فى الاسلام » وغير ذلك من عناوين ؛ وإنما هنالك مجال للبحث بين علاقة التعاليم الاسلامية بالمشكلة الاجتماعية أو الفكرة السياسية وماشابه

٢ ـ
Olive wyn The Social Teachings of the Christian churches
R. Neibuhr The Social structure of Denominalism
A. Tinani Catholocism Protestantism and Communism
A. Hyma christianity capitalism and communism

٣ ـ راجع كتاب
I. wach Sociology of Religion p. 7

ذلك من مظاهر النشاط الانسانى

فالاشتراكية والشيوعية نظم سياسية واقتصادية ، والدين عقيدة وإيمان فوق أنه دستور للنشاط الانسانى . والخلط بين الاثنين قصور عن فهم العقيدة وافتقار إلى اختيار الايمان وعجز عن تفهم ما انطوت عليه تلك النظم الاقتصادية من أسس قد لا تنطبق على كل مجتمع فى كل صعيد

فعلم الدين الاجتماعى لا يجوز أن يكون وسيلة لتنفيذ برنامج معين من برامج الإصلاح السياسى والاقتصادى؛ والترويج لها من مقتبسات القرآن والحديث والاجتهاد ، وإلا فقد الدين مزيته الرئيسية وأصبح كبرامج الأحزاب السياسية يتجدد ويتبدل بتبدل الأوضاع والملابسات

فقبل أن تنشأ الماركسية نشأت نظم سياسية واقتصادية واجتماعية عديدة تحدى بعض مروجيها العقيدة الدينية واتهموها بأنها عائق فى وجه الإصلاح . ثم اندثرت تلك النظم أو تطورت إلى نظم أخرى . وبقيت العقيدة الدينية كامنة فى قرارة الملوك الانسانى تحفظ الحياة وقيمها الرفيعة فى خضم القلق والثورات والحروب ، وتلهم الناس أسباب الطمأنينة والثقة بالعدالة الإلهية وبالاستقرار النفسانى والاجتماعى (٤) . ويحب كاتب هذه السطور أن يذكر على سبيل المثال أنه اشترك فى جامعة كولومبيا فى نيويورك فى السنة الماضية فى حلقة دراسية عالجت تطور التفكير فى أمريكا فى فترة ما بعد الحرب فتبين لأعضاء الحلقة أن الكتب الدينية هى من أكثر المنشورات رواجا فى عالم ما بعد الحروب — رواجا أثبتته إحصاءات الكتب الرائجة التى تنشرها الصحافة الأمريكية بانتظام (٥

فالنظم السياسية والاقتصادية كالماركسية مثلا أسلوب فى الحياة يستمد مبادئه من الظواهر الاجتماعية وهذه الظواهر تتأثر بالظروف والأوضاع المتقلبة بينما الدين غريزة متأصلة فى قرارة النفس كغريزة الأكل واللعب . قد يأتى عليها حين ترسب خلاله إلى الحضيض لفترة قصيرة، ولكن لا مفر لها من أن تجد سبيلها إلى الشعور الواعى فى الأحيان الكثيرة

على أن هناك أموراً أخرى لا مفر من إقرارها ما دمنا بصدد الكلام عن منهج البحث منها :

١ — إدراك الباحث والقارئ معا واعترافهما بحقيقة الاختبار الدينى وقوة الإيمان والمتعة الروحية والتطور التاريخى الذى صاحب ولا يزال يصاحب التعبير عن هذا الاختبار وعن هذه المتعة . وهذا الاختبار إن كان يتنوع فى وسائل روحانياته بين مختلف الأديان السماوية إلا أنه اختبار على كل حال يشترك فيه كل مؤمن

والتنوع فى اختبار المتعة الروحية يستند أولا : إلى الاختلاف فى جوهر العقيدة (كما هو الحال بين الإسلام والبرهمانية مثلا حيث يجد بعض البرهمانيين المتعة فى إيلام الجسد) . وتستند ثانيا : إلى اختلاف التطور الفكرى بين الشعوب وطبيعة أوضاعها التاريخية والجغرافية والحضرية . فإذا كان المسيحى الصادق فى أمريكا مثلا يخرج من صلاة الأحد طاهر القلب صافى الذمة ليذهب ويلعب ويعاقر الكأس وهو فى حل من الإثم والمعصية فإن المسلم لا يصح له ذلك ، فاختبار المسلم لروحانية الدين تنفى كل ذلك . والتطور التاريخى والفكرى فى أمريكا أصبح يحول بين المتعة الروحية فى الكنيسة وصفاء نفس المؤمن صفاء صادقا وبين انعكافه وهو فى هذا الصفاء على احتساء كأس من الخمر والتلهى بلعب الورق (٦

ومثل هذا تنوع جوهرى لا يفطن له الذين يعالجون الناحية الاجتماعية فى الاسلام على ضوء ما استوحوه من التفكير الغربى ولعل ذلك يفسر التباس الأمر عليهم فى بعض أوجه العلاقة بين

---

٤ — راجع كتاب

L. I. Bernard, The Field and Method of Sociology of Religion

٥ — مثال ذلك كتب :

Mgr. Sheehan, peace of Soul فى طبعته الخامسة عشر

Cverstreet The Mature Mind فى طبعته العاشرة

Leiberman, peace of Mind فى طبعته السادسة

5-Max weber, protestant Ethics and the Rise of capitalism

٦ — ... من الكتب الفريدة التى عالجت العلاقة بين الروحانية الدينية والنشاط العملى كتاب ماكس ويبر

وكذلك كتاب

J. Dorfman, The pramatic Miud in Amercan Civilizatio

إسعاف النشاشيبي

بمناسبة ذكرى وفاته

للاستاذ كامل السوافيري

يصادف ظهور هـذا العدد من مجلة الرسالة موعد حلول الذكرى الثالثة لوفاة زعيم العربيـة وإمام المحققين المغفور له الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي إذ طواه الردى فى منتصف ليل اليوم الثانى والعشرين من يناير سنة ١٩٤٨

ومن حق الفقيد على مجلتـه الأثيرة التى خصها بنقله ، أن تفسح صدرها لدمعة عليه فى يوم ذكراه وهى المجلة التى استمدت وفاءها من عميدها الكبير الذى كان ثالث ثلاثة استبقاهم الوفاء بجانب الفقيد فى ساعاته الأخيرة ،والذى عده الفقيد ثالث الكتاب بعد الجاحظ وأبى حيان وقال عنـه إنه أمير النثر والناثرين وإنه سـيد البلغاء [1]. وهيهات لمثلى العاجز أن يتطاول فيحاول أن يوفى الفقيد حقه ، أو يحصر مآثره على لغة الضاد وهو الذى حمل لواء الدفاع عنها خمسة وستين عاماً يصول فى كل ميدان ، ويجول فى كل حلبة فما نبا لهصارم ولا كبا به جواد. ولـكنها عبرة أسكبها وزفرة أرجيها تقديراً لعلم من أعلام الأدب وكوكب مشرق فى سمائه طالما أرسل ضياءه إلى دنيا العرب والعروبة

ومن حق الفقيد على الأدباء فى مصر والعالم العربى أن يحتفلوا بذكراه وهو الذى دوى صوته مجلجلا فى القدس ودمشق وبيروت والقاهرة وبغداد فهز القلوب بأسلوبه الرائع ، وبيـانه الساحر . ولـكننا فى الشرق — والأسى يملأ الجوانح — نضن بالوفاء على الأحياء فكيف بمن ضمهم الثرى، وواراهم التراب لقد كان الفقيد طرازاً خاصا من الأدباء تعصب للفصحى ،

[1] من كلمة للجديلى بك عن الفضيلة الرسالة عدد ٧٦٢

الإسلام والمشاكل الاجتماعية

٣ — دراسة الظواهر الدينية كما تبدو فى المجتمع . وهـذا يتطلب تجرداً علميا ينفذ إلى الصميم . لا يأخذ بقشور هـــذه الظواهر وإنما ينفذ إلى اللباب الذى كثيراً ما تتراكم عليه ألوان من العرف والعادات والتقاليد التى ليست من أصوله ولا هى من جوهره . ولعل التحامل الذى يصدر عن بعض مفكرى الغرب فى دراستهم للدين الإسلامى يعزى إلى فقدان هذا التجرد والعجز فى إزالة الركام عن لباب الظواهر الاجتماعية. وهذا أيضا خطأ يأخذ به بعض المحدثين من المسلمين أنفسهم إذا ما حاولوا معالجة السلوك الدينى فى المجتمع الذى يعيشون فيه

٣ — توزيع العمل فى الدراسة العلمية . فالباحث فى علاقة الدين بالمشاكل الاجتماعية لا بد وأن يكون ملما بكلا الموضوعين إلماما واسعا . فالاقتصادى الذى يكتب عن الاقتصاد فى الاسلام لاينبغى أن يقتصر على ذخيرته من علم الاقتصاد وإنمـا يترتب عليه أن يلم إلماما دقيقاً بهـــذا التراث الضخم من الشريعة الاسـلامية وهو تراث ينفق الناس السنوات فى التعرف على بعض ألوانه وقل مثل ذلك عن رجال الدين الذين يعالجون المسائل الاقتصادية العميقة من وجهة النظر الدينية

ووجه القصور فى بعض من كتب عن « الشيوعية فى الاسلام » أو « الاشتراكية فى الاسلام » أو « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » أنهم ادعوا ما ليس لهم به علم كاف . فالاشتراكية مثلا مزيج من فلسفة واقتصاد وسياسة ودراسة اجتماعية وهى أدق وأعقد من أن تؤخذ فى سطحيتها وتقارن بالشريعة الاسلامية وفروع التخصص فيها عديدة متفرقة

فالكتابة عن العلاقة بين الدين والمشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية عمل يجب - إذا توخى النفع الصادق - أن يشترك فيه جماعة من أهل الاختصاص فى حلقة أو حلقات يقوم فيها كل فى مجال اختصاصه بالدرس والبحث والتنقيب . أو أن يتفرغ لها الكاتب فترة معقولة من الزمن يستعين بالمراجع الوثيقة فى المواضيع التى تمس لباب البحث مسا مباشراً أو غير مباشر . مستأنساً بآراء أهل العلم حين يستعصى عليه الفهم

أما اتباع الأسلوب الصحفى فى الكتابة عن هذا الموضوع أو التصدى لمعالجته فى أدب المقالة والإنشاء فلن يحقق نفعا صادقا

نيويورك « للبحث صلة » عمر حليق

واعتز بلغة الضاد وتصدى للداعين لنبذها والاستعاضة عنها برطانة الغوغاء ورماهم بشواظ من بيانه فأخرس ألسنتهم ، وله فى ذلك مواقف رائعة تختال لها لغة عدنان بشرا وطربا

تعصب إسعاف للغة العربية لأنه يراها أهم عنصر فى القومية، فمن تنكر للغته فقد تنكر لقوميته؛ ومن تنكر لقوميته فقد غدا حرباً على أمته وبلاده. وفى هذا يقول (اللغة هى الأمة ،والأمة هى اللغة وضعف الأولى ضعف الثانية، وهلاك الثانية هلاك الأولى . واللغة ميراث أورثه الآباء الأبناء ، وأحزم الوراث صان ماورث، وأسفههم فى الدنيا مضيع ، وإنا أمم اللسان الضادى لعرب وإن لغتنا هى العربية وهى الإرث الذى ورثناه وإنا لحقيقون — والآباء هم الآباء واللغة هى اللغة — بأن تبقى عربيـة الجنس وعربية اللغة [٢]) ولقد قضى الفقيد القسم الأول من حياته مدرساً للغة العربية فى مدارس فلسطين قبل الانتداب البريطانى وبعده ثم سمت به كفاءته فارتقى حتى وصل إلى درجة التفتيش العام للغة العربية فى القطر بأسره . فنهض بها نهضة ارتفعت بها إلى أسمى الدرجات رغم أن حكومـة الانتداب البريطانى كانت تقاوم ازدهار اللغة العربية ، وتحول دون تبوئها المكانة اللائقة كلغة قومية فى قطر عربى . ومن مآثره الجليلة فى هذه الناحية كتاب أسماه البستان اختار فيه مقطوعات شعرية ، وكلمات نثرية يستظهرها الطلاب فى مـدارس فلسطين الابتدائية والثانوية، وكان موفقاً كل التوفيق فى الاختيار إذ بث فى نفوس الناشئة حب الوطن ، والتطلع للمجد ، والتأهب للوثبة. وله غير بستانه الزاهر رسائل منها كلمة فى اللغـة العربية وكلمة فى رثاء أمير الشعراء شوقى بك، وثالثة فى الزعيم إبراهيم هنانو. وآخر مؤلف طبعه كتاب الاسلام الصحيح. ورغم أن إسعاف قد ارتقى إلى ذروة المجد، وتسنم الشهرة فى أفق اللغة والأدب ، فقد كان على جانب كبـير من دماثة الخلق ، وحسن الطبع ، وعظم التواضع حتى ليشعر محدثه بأنهما فى مستوى واحد ، والفرق كبير والبعد شاسع . وهو محدث لبق ، والذين أتيح لهم أن يصغوا إليه فى الكونتنتال حين يتوسط الحلقة ، ويدير الدفة يشهدون ببراعـة فى الحديث وإجادة فى التعبير. ولقد وقف إسعاف حياته على خدمة العربية لغة القرآن ، وما رأيته إلا قارئا أو خطيباً أو كاتباً أو معقباً أو مصححاً يستتر بأسماء متعددة ويتخفى بأزياء متباينة لأنه لا يبغى مزيداً من شهرة أو ظهور

والمجلات الشهيرة فى العالم العربى وفى مقدمتها الرسالة فى مصر ومجلة المجمع العلمى فى دمشق زاخرة بأبحاث الفقيد فى شتى النواحى العلمية والأدبية

ولقد كان إسعاف قوى الإيمان ، راسخ العقيدة . فاهماً للاسلام حق الفهم ، القرآن حداؤه وغناؤه ، والرسول الكريم قدوته وفى (خورنقه) [٣] تجد اسم محمد صلى الله عليـه وسلم معلقاً أمامه على الجـدران فى صور متعددة . يامحمد — أنا عبدك يارسول الله

وتهتز أعطافه عندما يرتل آى الذكر الحكيم ترتيل العربى الصميم الذى أحاط بأسرار اللغة العربية ففهم الآيات الفهم الكامل وأدرك ما ترمى إليه من أهداف ومقاصـد ، وهو الذى يقول فى القرآن :

(يا أيها الكتاب المعجز، لقد هلك من يدرك فصاحتك ، وبكتنه بلاغتك ، ويقدرك حق قدرك . لقد هلك من كنت تتلو عليهم آياتك فيدهشون ويخرون سـجداً وبكيا . وهل يعرف بلاغتك المعرفة البالغة إلا عربى قح صليب لم تشن ملـكته العربية من العجمة شائنة ولم تؤذ أذنه كلة قلقة) [٤]

وبعد فقد عرفت اسعاف عندما استظهرت أول مقطوعة من بستانه فى مدارس فلسطين؛ ثم امتد بى الزمن فالتقيت به وعرفته محدثا ومحاضراً وكاتباً وخطيباً مفوهاً يستحوذ على القلوب ويلعب بالعواطف ، وكان إعجابى به يتزايد وتقديرى له يعظم؛ ولـكنى دهشت للجهد الجبـار الذى بذله فى إخراج كتابه (الاسلام الصحيح) الذى تفضل باهدائه إلى منذ عشرة أعوام .

لقد أخرجت مطبعـة العرب فى القدس هذا الكتاب سنة ١٣٥٤ هـ وقد ذكر فيه المؤلف بعض المراجع ، وأخذت أنا أحصى ذلك البعض فاذا به لا يقل عن مائتى مرجع فى شتى العلوم والفنون من لغة وأدب وتاريخ وملل ونحل وفقه وشريعة وأصول ، ولما

(١ من كلة للفقيد فى اللغة العربية ألقاها سنة ١٩٢٧

٣ — اسم يطلق على قصره المنيف فى القدس

٤ — من كلمة للاستاذ الرشدان عن الفقيد فى الرسالة عدد ٨٢٠

الفارابي فى الشرق والغرب

ومكانته فى الفلسفة الاسلامية

— تتمة —

للاستاذ ضياء الدخيلي

والحقيقة أن سمو مكانة الفارابى فى الفلسفة كان حديث المتقدمين ولم يزل حديث المتأخرين المصريين . قال الأستاذ (أبو ريده) فى تعاليقه على كتاب (تاريخ الفلسفة فى الإسلام) للمستشرق (دى بوير) إذا كان الكندى قد اعتبر فيلسوف العرب تمييزاً له عن أقرانه من الفلاسفة غير العرب فإن الفارابى يعتبر فيلسوف المسلمين بالحقيقة كما يقول صاعد الأندلسى فى طبقات الأمم وفيلسوف المسلمين غير مدافع كما يقول القفطى فى أخبار الحكماء. أما ابن خلكان فإنه يقول فى وفيات الأعيان إن الفارابى كان أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبته. ويقول ظهير الدين البيهقى فى كتابه تاريخ حكماء الإسلام المخطوط فى دار الكتب المصرية، وكان أبو على تلميذاً لتصانيفه ، وأورد هذا الرأى الشهرزورى أيضاً فى كتابه نزهة الأرواح وروضة الأفراح المصور بمكتبة الجامعة المصرية. ويكاد يلمس الإنسان صحة هذا الكلام فيما يفوق الحصر من آراء ابن سينا التى أخذها عن الفارابى من غير تغيير حتى فى ألفاظها . ونكاد لا نجد فى فلسفته شيئاً إلا وأصوله عند الفارابى. ويقول ديتريصى Dieterici فى مقدمته لرسائل الفارابى (إن الفارابى مؤسس الفلسفة العربية) [١] والذى يقرأ الفارابى يجد فى تفكيره طرافة ونضوجاً وفهماً عميقاً يدل على طول تأمل فى الفلسفة. وإذا كان الكندى الفيلسوف العربى كما ألمع (دى بوير) قريب الصلة بالمتكلمين وبالفلاسفة الطبيعيين — ونستطيع أن نعرف هذا من أسماء مؤلفاته — فقد لا نكون بعيدين عن الصواب إذا

(١) مقدمة رسائل الفارابى لديتريصى

تصفحت الكتاب وجدت فى ثنايا صفحاته مراجع أخرى غير التى ذكرت قبلا فلم أستطع تجاه ذلك المجهود إلا أن أحنى هامتى إجلالا واحتراما لتلك القدرة على الدرس والبحث والاستقصاء التى قلما تتهيأ لكثير من الناس .

ولقد صدر الفقيد ذلك الكتاب الذى نفدت طبعته بمقدمة صغيرة جاءت آية فى البلاغة والإعجاز وبرهان صدق على تمسك الفقيه بدينه ، واعتزازه بيقينه ؛ إذ يقول عن الاسلام (الاسلام هو دين الحق . ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ومحمد خير الخلق وهذا الكتاب وهذا الأثر وهذا تاريخ البشر فاقرأ كتاب كل دين وانظر أثر كل عظيم وفتش صحف التاريخ واحكم إن كنت من الحاكمين . هات ، هات وهيهات أن تجد مثل القرآن وحياً أو رقيما ، واذكر نظير محمد نبيا أو عظيما إن تذكرت أو تفكرت ونقبت وحققت فمثل القرآن كتاب الله ما أوحى الله وما أنزل ، ومثل محمد (صلى الإله على محمد) فمثل محمد فى الدنيا ما كان ومثل محمد فى العالم لن يكون) ويتحدث عن القرآن فيقول

الضياء قد بهر إشعاعه فى حروف وكلمات ، والكهربية إلهية تسرى فى عبارات، والمعجزات ـ لا الشعبذات ـ بينات فى آيات. وإلهى من لدن الله يسير فى الأرض مع الناس هادياً ودليلا ذلكم هو القرآن الذى يتلوه القارئون .

محمد دينه التساوى ودينه العدل والنصفة ، فلا شريف ولا مشروف ولا كبير ولا صغير ولا أمير ولا مأمور ولا قبيل أفضل من قبيل ولا قوم خير من (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) والفضل بالفضل والتقديم بالفعل وأن ليس للانسان إلا ما سعى

رحمك الله إمام العربية ، وأمطر على قبرك شآبيب الرحمة والرضوان جزاء ما أسديت للغته وقرآنه .

كامل السوافيرى

قررنا أن الفارابى أول فلاسفة الإسلام على الحقيقة وقد كان يحيا حياة الفلاسفة من زهد وانقطاع إلى التأمل

وتذكرنى كلمة (دبترمى) هذه التى تحدثنا عن إعجاب هذا المفكر الغربى بالطرافة والنضوج والفهم العميق الذى يدل على طول تأمل فى الفلسفة والأمور التى وجدها فيما دونه الفارابى من الآثار الخالدة — يذكرنى هذا بما قرأته للعقاد فى رسالته عن (أثر العرب فى الحضارة الأوربية) إذ قال إن الآراء الفلسفية التى قال بها أمثال الفارابى والكندى وابن سينا والغزالى وابن رشد وابن طفيل -- لا تعد غريبة كل الغرابة عن مذاهب العصر الحديث لأنها لم تخل عن آراء تكلم فيها أساطين الفلسفة الإسلامية وعرضوا لها إما بالإسهاب أو بالإيجاز) (١) وقد قال العقاد بعد ذلك ومن المشابهات غير البعيدة (أى بين آراء القدماء والمصريين) ما يصح أن يسمى الطور الأول لمذهب التطور (الذى نسب إلى داروين وكتابه أصل الأنواع) وقد عبر عنه الفارابى حيث قال فى آراء أهل المدينة الفاضلة مفسراً لأقوال المعلم الأول إن ترتيب هذه الموجودات هو أن تقدم أولا أخسها ثم الأفضل فالأفضل إلى أن تنتهى إلى أفضلها الذى لا أفضل منه. فأخسها المادة الأولى المشتركة والأفضل منها الأسطقسات (وهى الأصول والعناصر وهى على زعمهم الماء والتراب والهواء والنار) ثم المعادن ثم النبات ثم الحيوان غير الناطق وليس بعد الحيوان الناطق (أى الانسان) أفضل منه. وقد تقدم لدبترمى أن اعتبر الفارابى المؤسس للفلسفة العربية ويظهر أن هذا الرأى لم يقتصر على ذلك الكاتب الغربى فقد شاركه فيه بعض المؤلفين فى الشرق فقد جاء فى كتاب (دروس فى تاريخ الفلسفة) فى رأينا أن الفارابى (٩٥٠ م) على الرغم من جهل الناس به هو الأب الحقيقى للفلسفة الإسلامية فقد شاد بناءها وألم بأجزائها الرئيسية رابطاً بعضها ببعض ولا نكاد نجد فكرة عند خلفائه إلا ولها أصل لديه، وكل ما لهؤلاء من فضل غالباً أنهم وضحوا غامضه وفصلوا القول فيما أجمله. ويخيل إلينا أنه أعرف فلاسفة الإسلام بتاريخ الفلسفة لذلك نراه يتحدث عن المدارس اليونانية ويبين الفوارق التى تفصل كل واحدة منها عن الأخرى ويحاول التوفيق بين أفلاطون وأرسطوطاليس (فيلسوفى اليونان فى رأيه بلا جدال) وقد ألف كتباً عدة بعضها شرح لمؤلفات أرسطوطاليس أو مختصرات لها وبعضها الآخر كتبه ابتداء ليعبر به عن رأيه وبحثه الخاص وما وصلنا من هذه الكتب كاف لتفهم نظريته) (١) وفى كتاب (نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس) أن الفارابى التركى الحكيم المشهور صاحب التصانيف المشهورة فى المنطق والموسيقا وغيرهما من العلوم كان من أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبته فى فنونه (٢) ويقول الأستاذ محمد فريد وجدى فى (دائرة المعارف) الفارابى أبو نصر التركى الفيلسوف المشهور هو أكبر الفلاسفة الإسلاميين له تصانيف عديدة فى المنطق والموسيقى وغيرهما من العلوم لم يكن من المسلمين من بلغ رتبته فى فنونه) (٣) وترى تقارب العبارتين فى الصيغة والمعنى والمبنى، والظاهر أن مؤلف دائرة المعارف أخذ الترجمة من هذا الكتاب أو كلاهما تطفلا على مؤلف ثالث، وكان العباس بن على بن نور الدين المكى الحسينى فرغ من تأليف نزهة الجليس سنة ١١٤٨ هـ

ويقول الدكتور حسن إبراهيم حسن فى كتابه (تاريخ الإسلام السياسى والثقافى والاجتماعى) ومن أشهر فلاسفة الإسلام أبو نصر ويعتبر أكبر فلاسفة المسلمين حتى لقب بفيلسوف المسلمين بالحقيقة وفيلسوف المسلمين غير مدافع (٤) أما ابن تغرى بردى الأتابكى فى (النجوم الزاهرة) فإنه يورد فيمن ذكر الذهبى وفاتهم فى سنة ٣٣٩ هـ قوله (وأبو نصر الفارابى صاحب الفلسفة) (٥) أما أبو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ فيكتفى أن يقول فى تاريخه وفى هذه السنة توفى أبو نصر

---

٢ — أثر العرب فى الحضارة الأوربية

١ — دروس فى تاريخ الفلسفة للدكتور ابراهيم بيومى ورفيقه
٢ — نزهة الجليس
٣ — دائرة المعارف لفريد وجدى
٤ — تاريخ الاسلام السياسي والثقافى والاجتماعى
٥ — النجوم الزاهرة

الفيلسوف ثم يتحدث عنه وعن دراسته وأسلوب حياته وأشياء أخرى [١] ولكنه لا يهبه تلك الألقاب الضخمة التي يضفيها عليه من ذكره من المؤلفين الآخرين. ويقول ابن النديم من القرن الرابع في (الفهرست) (أبو نصر .. من المتقدمين في صناعة المنطق والعلوم القديمة [٢] وجرجى زيدان من المتأخرين يقول عن الفارابي في كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) (وكان فيلسوفاً كاملا درس كل ما درسه من العلوم وفاق في كثير منها وخصوصاً المنطق) ويقول الزركلي في (الأعلام) الفارابي ويعرف بالمعلم الثاني أكبر فلاسفة المسلمين. ويقول ابن الأثير في الكامل) (وفيها توفى الفارابي الحكيم الفيلسوف صاحب التصانيف فيها) ويقصد إعادة الضمير من (فيها) إلى الفلسفة المفهومة ضمناً . ويحدثنا ياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ في (معجم البلدان) وإليها (إلى فاراب) ينسب أبو نصر الفارابي الحكيم الفيلسوف صاحب التصانيف في فنون الفلسفة [٣]

وهنا نلاحظ أن ياقوتا الحموى وابن الأثير وغيرهما يذكرون في التعريف بالفارابي أنه صاحب التصانيف في فنون الفلسفة فلابد أن تكون لفيلسوف المسلمين جملة مؤلفات ولكن المتداول والمعروف منها شيء زهيد لا يثير الكاتب عن الفارابي لأن ينعته ويعرفه بأنه صاحب التصانيف في فنون الفلسفة. ثم إن مؤرخي حياته يقولون إنه كان يقضي حياته بين الأشجار يكتب. إذن فهو مواظب دائب على الكتابة والتأليف منقطع عن الناس منعزل قد توفر وكرس وقته للكتابة وذلك يقتضي أن يكون كثير الإنتاج فأين ذهبت آثاره ؟ لا شك في أنه كان له جملة كتب ومؤلفات ضاعت من العالم الإسلامي فيما ضيع من كتب علمائه وفلاسفته بتأثير النكبات وغزوات التتار

والحروب والفتن الداخلية وقد لاقت كتبه مقاومة عنيفة من الغزالي وأنصاره ومن ابن تيمية وأتباعه ومن الحنابلة الذين لعبوا في بغداد أدواراً مهمة في اضطهاد الفلسفة . ويؤيد ما تقدم من ضياع كثير من مؤلفات الفارابي ما وجدته في كتاب

(فصول الحكماء) إذ روى مؤلفه السيد محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي عن البيهقي أن للفارابي كتباً كثيرة يجهلها الناس وقد قال إن العلامة ظهير الدين البيهقي رأى في خزانة نقيب النقباء بالري كتباً كثيرة من مؤلفات الفارابي لم تطرق سمعه وهي بخط الفارابي) وهذا مما يؤيده العقل إذا رجع إلى الأسباب المتقدمة

والحق أن الناس قد تحدثوا كثيراً عن مكانة الفارابي في الفلسفة. قال الأستاذ مصطفى عبد الرازق يقولون الحكماء أربعة : اثنان قبل الإسلام وهما أفلاطون وأرسطو، واثنان في الإسلام وهما أبو نصر الفارابي وأبو على ابن سينا . وكان بين وفاة أبي نصر وولادة ابن سينا حوالى ثلاثين سنة. وكان أبو على بن سينا تلميذاً لتصانيف الفارابي يعترف أنه لولاها لما اهتدى إلى فهم ما بعد الطبيعة . وكما لقب أفلاطون بالحكيم الإلاهي وأرسطا طاليس بالمعلم الأول لقب الفارابي بالمعلم الثاني وابن سينا بالشيخ الرئيس. وآراء الناس مختلفة في تقديم الفارابي أو ابن سينا . يقول ابن خلكان عن الفارابي (هو أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن منهم من بلغ رتبته في فنونه والرئيس أبو على بن سينا المقدم ذكره بكتبه تخرج وبكلامه انتفع في تصانيفه) أما الشهرستاني فيقول عند الكلام على فلاسفة المسلمين (ومنهم الفارابي وإنما علامة القوم أبو على بن سينا) فهو إذن يقدم ابن سينا على من اعتبره ابن خلكان أستاذه

وهذا ابن سبعين الفيلسوف الصوفي الأندلسي الذي يقال إنه انتحر بمكة شوقا إلى الاتصال بالله سنة ٦٦٩ هـ يقول في كتاب له مخطوط ما نصه نقلا عن المجموعة التي نشرها الأستاذ ماسنيون المستشرق الفرنسي المعروف (وأما الفارابي فقد اضطرب وخلط وتناقض وتشكك في العقل الهيولاني وزعم أن ذلك تمويه ومخرقة ثم شك في النفس الناطقة هل عمرتها الرطوبة أو حدثت بعد وتنوع اعتقاده في بقاء النفوس بحسب ما ذكر في كتاب الأخلاق وكتاب المدينة الفاضلة والسياسة المدنية وأكثر تآليفه في المنطق وعدة كتبه نحو خمسة وسبعين كتاباً وفيها من الإلاهيات تسعة وهذا لرجل أفهم فلاسفة الإسلام وأذكرهم للعلوم القديمة فهو الفيلسوف فيها لا غير ، ومات وهو مدرك

١ - تاريخ أبي الفداء
٢ - فهرست ابن النديم
٣ - جرجى زيدان والزركلي وياقوت الحموى

وتحقق وزال عن جميع ما ذكرته وظهر عليه الحق بالقول والعمل ولولا التطويل لذكرت ذلك مفصلا (١) هذا ما يقوله ابن سبعين وقد تناول بالنقد اللاذع بل بالتحقير الشنيع ابن سينا والغزالي وابن رشد

إلى هنا نقف لنعود في القريب العاجل لنعرض لقراء الرسالة الكرام صفحات رائعة لأثر فلسفة الفارابي في العقل البشري فنستعرض سياحة الفارابي في أوربا ونشهد الموجات العنيفة الثورة التي صدمت هذا الفيلسوف فنستعرض الفارابي تحت مطارق خصومه في الشرق والغرب فإلى الملتقى

بغداد ضياء الدخيلي

١ – فصول الحكماء
٢ – المعلم الثاني
٣ – مجموعة ماسنيون

ذكرى الشاعر الثائر

معروف الرصافي

للأستاذ حمدي الحسيني

السيد معروف الرصافي رحمه الله شاعر عربي فحل، ولد في العراق ونشأ فيه، اشتغل بالتعليم في العراق والآستانة والقدس ودخل مجلس النواب العثماني نائبا عن متصرفيه – المنتفك – من أعمال العراق. عاصر عبد الحميد واكتوى مع الشعوب العثمانية عامة بنار مظالمه، فتألم لشدة وقع تلك المظالم ولكنه لم ينطو على ألمه شأن الناس الذين يقع الظلم على رؤوسهم فيطأطئون تحته صابرين، وينصب الأذى على نفوسهم فيحتملون الأذى خاضعين، بل ثار على الظلم ثورة عنيفة صاخبة وقاوم الأذى مقاومة قوية صارخة. وقد شهد الانقلاب العثماني وسقوط الجبار عن العرش، فثارت الحمية في نفسه وصاح في وجه الجبار بصوت متهدج جهوري يحمل كل عواطف إرواء الغليل وشفاء الصدر، ورأى طالعة الدستور البهية مشرقة على الإمبراطورية العثمانية فكبر وهلل ورحب بالدستور ترحيب الصب المستهام وتغنى بحسناته بأعذب الأنغام

خالط الاتحاديين وهم في منصة الحكم وفي ظل الدستور فاطرى ومدح، وعندما جنحوا عن المحجة صاح في وجوههم غاضبا مؤنبا عاتبا معنفا. ورأى توثب العرب للنهضة وتحفزهم للنضال في سبيل الحرية فأحس بإحساسهم ومشى في صفوفهم يثير في نفوسهم ما كمن من القوة ويحرك في عواطفهم ما خمد من الانطلاق والحركة. واتصل بالملك العربي بالشام والعراق وبالحركات الوطنية في العراق وسوريا وفلسطين فابتأس وتنعم وبكى وتبسم

والرصافي كما عرفناه في القدس بالمباشرة، وفي شعره بالسماع والمطالعة، عميق الشعور حاد الذكاء مرهف الحس حائر النفس قلق العواطف مكبوت الرغبات، وهو على علمه وفضله وعلو كعبه في اللغة والأدب وعلى سبقه في الحركة العربية القومية وجليل أثره في ميدان الكفاح في سبيل الحرية والاستقلال كان يعيش في ضنك من الحياة وبؤس في العيش ولكن هذا الضنك وهذا البؤس لم يؤثرا على عزة نفسه ولم يسلماه لغير الكرامة وعلو الهمة. وكثيرا ما كان يتمثل بهذا البيت :–

تعود كل بؤسها ونعيمها وعشنا على بؤس ولم نتعود

وكل ما فعل الفقر في نفس الرصافي هو الكبت : فقد كبت الفقر (وإن شئت فقل الشعور بالنقص) غريزة التغلب والسيطرة فانكبتت هذه الغريزة القوية المنيفة فأقضت عليه مضجعه وزلزلت أركان حياته، حتى هدته المعرفة إلى ما تعانيه الأمة العربية من آلام القهر والخضوع، فرأى في قهرها صورة لسلطانه المقهورة فدفعه هذا التشابه إلى التفكير في الغير بدل التفكير في الذات تخفيفا لألم الكبت. فراح الرصافي بعد هذا الانتقال النفسي يصف ما تلاقي الأمة العربية من ألم الخضوع لظلم المستبدين من الحكام، ومرارة الانقياد لسلطان الجهل وحكم العادات الضارة والتقاليد السقيمة. وهو بهذا إنما يصور رغبته في الحرية الاجتماعية والسياسية، ويضع خطط الوصول إلى هذه الحرية لتطبقها الأمة في نضالها. ومن حسن حظ الأمم المستضعفة أن يكون بين أفرادها أمثال الرصافي ممن كبتت فيهم رغبة الحرية ووهبهم الله قوة البيان سلاحاً يقتلون به عدو الأمة وعدوهم. فهؤلاء المكبوتون في الأمم الخاضعة المقهورة

كالحرارة فى الأجسام والنور فى الظلام والحد القاطع فى شفرة الحسام ، أحس الرصافى بالظلم الواقع على الأمة العربية من قبل السلطان عبد الحميد وحكومته المؤلفة من أوباش الناس ، ورأى الخضوع لهذا الظلم بادياً على الأمة العربية بدواشائنا معيبا وهى الأمة العريقة فى الحرية والاستقلال والعزة والكرامة فتأذى بهذا الظلم وبرم بهذا الخضوع فنظم قصيدة سماها « تنبيه النيام » بدأها بالتساؤل عن الوقت الذى تنتبه فيه الأمة العربية فتدفع عن نفسها الأذى وتسترجع حقها المسلوب ويبدى تعجبه لصبرها على الضيم وبقائها على الظلم .

عجبت لقوم يخضعون لدولة   يسوسهم بالموبقات عميدها
وأعجب من ذا أنهم يرهبونها   وأموالها منهم ومنهم جنودها

ولكن ما قيمة التألم فى هذا المرض . فخير منه توجيه الأمة إلى الهدف ، وأى هدف أحلى من الحرية فى نظر الأمم المستعبدة

ألا إنما حرية العيش غادة   منى كل نفس وصلها ووفودها
يضىء دجنات الحياة جبينها   وتبدو المعالى حيث أتلع جيدها

أخذ الرصافى يقذف بحممه فى وجه الظالم المتربع على العرش ويهدى باقات عواطفه العطرة لأمته الخاضعة فينعشها ويغذيها ويحفزها . حتى حدثت فى نجد حوادث دامية بين ابن الرشيد حليف السلطان وابن السعود خصيمه فاهتبل السلطان الفرصة وساق على المتخاصمين جيشاً عربيا من العراق ليفك الخصام فى الظاهر وليعين ابن الرشيد على ابن السعود فى الباطن فاشتبك الجيش مع المتخاصمين وكلهم عرب ، فجرت الدماء حتى صبغت رمال الصحراء تحقيقا لرغبة السلطان الذى أراد أن يضعف من قوة العرب بقتل زهرات شبابهم من الحاضرة والبادية ويباعد بين صفوفهم بتقوية البغضاء والعداوة بين أمرائهم وقادة الرأى فيهم فقام الرصافى لهذا الحادث وقعد، برق ورعد، ونظم قصيدة سماها « إيقاظ الرقود » خاطب بها العرب ووضع أمامهم ما أراد السلطان بسوق الحملة العربية على الأميرين العربيين فى قلب الجزيرة العربية

حكومة شعبنا جارت وصارت   علينا تستبد بما أشارت
فلا أحداً دعته ولا استشارت   وكل حكومة ظلمت وجارت
فبشرها بتمزيق الحدود

ولم ينس الرصافى فى هذا الموقف أن يوجه إلى الأميرين المتقاتلين أقسى عبارات اللوم والتعنيف على ما ارتكبا من الأعمال التى تتنافى مع مصلحة الأمة العربية ، وأخذ يستعرض ما أصاب الجنود العرب من قتل وفشل فى تلك المعركة المشؤومة وحاشا للرصافى أن ينسى عبد الحميد فى هذا الموقف وهو منبع الآلام الجسام والمصائب الضخام

أقول وليس بعض القول جدا   لسلطان تجبر واستبدا
تعدى فى الأمور وما استمدا   ألا يا أيها الملك المفدى
ومن لولاه لم نك فى الوجود

أنم عن أن تسوس الملك طرفا   أقم ما تشتهى زمراً وعزفا
أطل نكر الرعية خل عرفا   سم البلدان مهما شئت خسفا
وأرسل من تشاء إلى اللحود

فدتك الناس من ملك مطاع   أبن ما شئت من طرق ابتداع
ولا تخش الاله ولا تراع   فهل هذى البلاد سوى ضياع
ملكت، أو العباد سوى عبيد

تنعم فى قصورك غير دار   أعاش الناس أم هم فى بوار
فإنك لم تطالب باعتذار   وهب أن الممالك فى دمار
أليس بناء (يلدز) بالمشيد

ظل الرصافى على هذه الحال تغلى عواطفه فى صدره بمقاومة الظلم وتتطاير قذائف حقده على الاستبداد والخسف بنظم القصيدة فى بغداد ويرسلها للنشر فى مصر حتى تم الانقلاب العثمانى وسقط عبد الحميد عن العرش فصاح بصوت جهورى

قمنا على الملك الجبار نقرعه   بالسيف منصلتا والرمح مهزوزا
حتى تركناه فى هيجاء معضلة   ألقت ضراما على الطاغين مأزوزا
إنا لنأبى على الطاغى تهضمنا   حتى نهوز فى الهيجاء تهويزا
ونأكل الموت دون العز نمضغه   كمضغنا التمر برنيا وسيريزا
لا عاش من لا يخوض الموت مرتضيا
بقاءه بمعصى الذل مركوزا

صاح الرصافى صيحته فى وجه الجبار الهاوى عن العرش والتفت يتغنى بالحرية والعدالة والمساواة ويشيد بذكر الدستور وأبطال الانقلاب غير مفرق بين عنصر وعنصر من مجموع العناصر العثمانية حتى رأى الاتحاديين يبيتون ضد العرب ورأى

من مجالس الأدب

أديب يتعاظم ...!

للأستاذ محمد رجب البيومى

إلى الأستاذ محمد كرد على

قرأت المقال الذى نشره الأستاذ الحومانى بأحد أعداد الرسالة تحت عنوان « هؤلاء كلاب » فرأيت أن أعرض عليك ما سبق أن قاله أحد أدباء القرن السادس الهجرى فى زملائه لتكون على بينة من أخباره ، ولن أفترى على الرجل فأنطقه بما لم يقل ، ولكنى تقيدت بما روى المؤرخون عنه ، وهأنذا أضع بين يديك المراجع التاريخية ، فأنت رجل مراجع وفهارس وتقبل فائق احترامى م . ر البيومى

(ياقوت الحموى يتوجه إلى مسجد الخضر فى آمد ، ويقابل شيخ أدبائها على بن الحسن بن عنتر بن ثابت الشهير بشميم الحلى ويدور بينهما الحديث التالى)

ياقوت : السلام عليك ياسيدى الجليل

شميم : عليك السلام ورحمة الله ، من أنت ؟

ياقوت : أنا ياقوت الحموى جئت إلى آمد اليوم ، فوجدت حديثك على كل لسان ، وسمعت المدح ينثر عليك بدون حساب ، فرأيت أن أحظى بمقابلتك ، وأنهل من معينك الفياض

شميم : كأنك لم تسمع بى إلا حين جئت إلينا اليوم ، مع أن مؤلفاتى العديدة قد تناقلها الناس فى الآفاق ، وذاع حديثها فى أنحاء حلب وبغداد وخراسان .. !

ياقوت : لا يامولاى فقد سمعت الكثير عن أدبك وإنتاجك ، ولكنى حين نزلت آمد ، ولمست إعجاب الناس بك ، تذكرت ما أعرفه عنك ، وهرعت إلى لقائك ، راغباً فى الاستفادة والتوجيه !

شميم : إننى كما تعرف ، متنوع الثقافة ، متشعب المعارف ، ففى أى فن تريد أن يجرى الحديث ؟

العرب يتنبهون للأمر فيطلبون حقهم فى الإصلاح وحقهم فى الاستقلال الذاتى فكشر فى وجه الاتحاديين وأقبل على العرب يحضهم على طلب الحرية وبذل الثمن لهذه الحرية التى لا تذوق أمة طعم السعادة بدونها ولا يصل إليها شعب إلا بدماء المهج ، فنظم قصيدة سماها (فى معرض السيف) يؤيد بها الحركة الإصلاحية فى بيروت ويدعو جميع العرب إلى الانضمام إليها

تى المنى كثغور الغيد تبتسم إذا تطربها الصمصامة الخذم
دع الأمانى أو رمهن من ظبة فإنما هن من غير الظبا حلم
والمجد لا يبتنى إلا على أسس من الحديد وإلا فهو منهدم
والحق لا يجتنى إلا بذى شطب ماء المنية فى غربيه منسجم
فللحسام صليل يرتمى شرراً مفتقاً أذن من فى أذنه صمم
وإنما العيش للأقوى فمن ضعفت
أركانه فهو فى الثاوين مخترم
والمجد بأثل حيث البأس يدعمه
حتى إذا زال زال المجد والكرم

ومن حسنات الرصافى الإحاطة بجميع النواحى المهمة من حياة الأمة العربية ولا سيما نواحى الوحدة التى تستمد منها قوتها فى نضالها فوجه إلى إخواننا المسيحيين قصيدة عصماء سماها - فى سبيل الوطن - اعلن فيها أن عناصر الوحدة بين العرب هى اللغة والوطن والإيمان بالله

إذا جمعتنا وحدة وطنية فماذا علينا أن تعدد أديان
إذا القوم عمهم أمور ثلاثة لسان وأوطان وبالله إيمان
فأى اعتقاد مانع من أخوة بها قال إنجيل كما قال قرآن

ولنسمع الآن هذه الصيحة القوية المدوية يرسلها الرصافى من أعماق نفسه فترددها نفوس العرب الذين ربط الاتحاد القومى بين قلوبهم

فمن مبلغ الأعداء أن بلادنا مآسد لم يطرق ذراهن سرحان
وإنا إذا ما الشر أبدى نيوبه رددناه عنا بالظبا وهو خزيان
سنستصرخ الآساد من كل مربض فنمشى إلى الهيجاء شيباً وشبان
أسود وغى تأبى الحياة ذميمة وتلبس بالعز الردى وهو أكفان
ومقاحيم تصلى المعمعان مشيمة إذا احتدمت فى حومة الحرب نيران
وتكسو العراء الرحب مسح عجاجة يعج بها السيف الردى وهو عربان
سننهض للمجد المخلد نهضة تقر بها حوران عيناً ولبنان
وتعتز من أرض الشآم دمشقها وتهتز من أرض العراقين بغدان
وتطرب فى البيت المقدس صخرة وترتاح فى البيت المحرم أركان
ونحن للعرب الكرام عواقب فيحمدها مفت ويشكر مطران

حمدى الحسينى

ياقوت : لقد شغفت بالأدب ورواية الشعر والتاريخ وإنني لأرجو أن أنقع لديك الغليل

شميم : أنظر أمامك ، فهـذا ديوان ضخم ملئ بالـكتب الأدبية التي ألفتها من ذا كرتي دون أن أستعين بمؤلفات أحد ، فهل شاهدت في رحلاتك المضنية من له هذا القدر من التأليف ؟

— هذا مجهود كبير يامولاى ، ولـكنه غير مستغرب من أديب كبير عكف على الأدب والشعر حقبة من الزمن ، ولعلك تخبرني عن طريقتك في التأليف ، وكيف تختار المواضيع التي تدبج فيها القول ، حتى اتفق لك هذا التراث الثمين

— أنا لا أطرق الأبحاث الهينة المريحة ، التي يعمد إليها جمهرة المؤلفين ، ولـكنى أعمد إلى المعجز المعيى من آثار السابقين فأعارضه بما أراه ، فتكون معارضتي ماحقة ساحقة ، وأنت تعلم ماذاع عنى من المقدرة والإبداع ! !

— لقد قرأت بعض معارضاتك ، ولـكن اختـلاف الأيام قد أفسد الذاكرة وشتت الانتباه ، فهل لى أن أعرف منك من عارضتهم من البلغاء لأسجل ذلك فيما بين يدى من أوراق

— لقد رأيت النـاس يعجبون بأبي تمام وهو حقير قدم ، إذا قيس بى ، سمعت بعض الثناء على حماسته التي جمعها من أشعار الناس ، فأردت أن أخمله بحماسة جمعتها من شعرى الخاص ، ولم أستجد الشعراء الآخرين كما فعل ابن أوس الذليـــــل ، فجاءت حماستي ضرباً من السحر الحلال

— هل لك أن تسمعني بعض خرائدها الجياد ؟

— حماستي مشهورة معروفة فسل عنها النـاس ، وأظنـك ستتجاوز حدود الأدب في السؤال !

— معاذ الله أن أتجاوز الحد معك أيها السيد الجليل ، ولـكنى ظامئ إلى المعرفة والعلم ، وقد قدمت بلدتك من أجلك وحدك ، فـكيف أخرج منها خالى الوفاض؟

— أعرف تماماً أنك جئت إلى آمد لتزورني ، فليس بها من تشد إليه الرحال سواى ، ولن أسد في وجهك الطريق فسلني عما تشاء

— سأترك الـكلام في أبي تمام كيلا تغضب على ، وأحب أن أسألك عمن عارضتهم من الشعراء سواه

— لقد عارضت الـكثيرين غير حبيب ، فأبو نواس قد نظم في الصهباء قصائد عامرة سارت مسير الشمس ، وظن الناس أنه لم يدع شيئاً لغيره ، فتصديت له معارضاً ، فأسقطت معجزته من يده ، ونظمت في الخمر عقوداً بديعـة ، تحلى بها الرماق ، فلو عاش ابن هانىء لاستحيا أن ينظم شعراً بعد الآن

— أخاف أن تتهمني بفساد الذوق ، إذا طلبت بعض خمرياتك أيها الطائر الصداح

— لن أقول لك شيئاً بفمى ، فأنا أعظم من أن أنشد الناس ، ولـكن خذ هذه الصحيفة واقرأ ما بها من الخمريات

ياقوت يتناول الصحيفة ويقرأ

أمزج بعسبوك اللجين ذهباً حكته دموع عينى
كانت ولم يقدر لشيء قبلها إيجاب كوني
وأحالها التحريم لما شبهت بدم الحسين

يقاطعه شميم فيقول :

— ما رأيك في هذا القريض ؟

— أحسنت يامولاى غاية الإحسان!

— (في انفعال) ما عندك غـير الاستحسان ! ! تبا لهذا الزمن الجاحد أنا مخطئ إذ أسمع البهائم أشعارى الجياد

— معذرة أيها السيد، فقد اعتدت أن أقول لمن ينشئ الشعر الجيد ، أحسنت ، وهأنذا قد قلت ، فـماذا أصنع لأعبر عن إعجابي بشعر مولاى

— نعم تقوم وتصنع مثل ما أصنع ، « ثم يقوم من مكانه ويدور في المسجد ويصفق في تيه وإعجاب »

— لقد تعلمت منك ما يجب أن يصنعه المستحسن ! ! ولكن الضحك يأخذ على سبيل الـكلام ، فهل أضحك يامولاى

— لم تضحك أيها الأحمق في مجلسى الوقور ؟

— كنت سمعت عنك نادرة ظننتها مختلقة عليك ، وهأنذا أصدقها الآن

— ماهى النادرة يامجنون ! !

— حدثنى أبو البركات سعيد الهاشمى أنك جئت قديماً إلى حلب ، فقدم عليك في ملأ من صحبه ، فأنشدتهم بعض قصائدك فاستحسنوها غاية الاستحسان ، فغضبت كثيراً ، وقمت إلى أحد أركان المنزل ، وعت على ظهرك ثم رفعت رجليك إلى الحائط ولم تزل ترتفع شيئاً فشيئاً حتى وقفت على رأسك ، وقلت هكذ نشكر النعمة ، بأن يقف الإنسان على رأسه لا على قدميه ،

وأمرت الحاضرين بأن يصنعوا ما صنعت ! !

— نعم فعلت ذلك لأفهمهم طريقة الاستحسان ... ثم ماهي المناسبة التي جعلت أبا البركات الحقير يحدثك بهذه النادرة ، وقد طمسها الزمان

— لقد كنا بحلب ، ومرت بعض الجنائز ، وبها نسوة يلطمن الوجوه ، وينحن بكلمات حزينة ، ويأتين بحركات عجيبة ، فقال القوم : إن هذه الحركات منقولة عن مولاى ، وإن نواح النائحات قد ألفه سيدى شميم ! ! وخاض الناس فى غرائبك البديعة فذكر أبو البركات نادرته عنك ،وهى تحفة بديعة ستدور بها الأسمار !

— هذا الكلب صادق فيما قال ، وقد نسى أن يسمعك النواح العجيب الذى صنعته واخترت له رويا محكما ووزنا مرنا ، وإذا رجعت إلى حلب مرة ثانية فسل عنه الأدباء

— أعجب كيف شغلت نفسك بالنادبات النائحات وأنت غارق فى أبحاثك دون أن تجد الوقت لهؤلاء !

— لقد كنت مع تلاميذى ذات صباح بحلب ، فمرت بنا جنازة يندب فيها النساء فى غير حرارة وحسرة ، كما يجب أن يكون ، فأخذتنى الحمية ، وأمرت من معى من التلاميذ ، فوقفوا صفين حولى ، ولطمت خدى ، فلطموا خدودهم مثلى ، ووضعت نواحاً يرتلونه فأذن الله وتناقلته النادبات فى جميع البلاد !

— أنت يامولاى مبدع فى كل أمورك ، وأخشى أن يبتعد بنا الحديث عن الأدب والشعر ، فهل تكمل حديثك مع أبى نواس ؟

— إن فضلى على هذا الكلب واضح بين ، فإنى لم أذق الخمر طيلة حياتى ، ووصفتها بما أعجز المدمنين المشاق ، أما اللعين أبو نواس فقد عب من الخمر دنانا مترعات ، وكان شعره هراء بدداً إذا قيس بشعرى الممتاز

— إذا كنت لا تشرب الخمر ،وأجدت فيها القول ،فكيف بك لو تكلمت فى الزهد والحكمة كأبى العلاء ، مع أنك اصطليت بما للزهد والحكمة من ضرام .

— من ذلك الكلب الأعمى الذى تذكره فى مجلسى الآن، إن المعرى لايوزن بنعلى ،فكيف تطمع أن أعارضه بشعرى الخلاب !

ياقوت مندهشاً :

المعرى كلب حقير ! سبحان الله يامولاى ! لقد ذكرتنى بأبى نزار ، ملك النحاة

— هذه جريمة ثانية ، إذ كيف أذكر برجل كل صناعته النحو ، أما أنا فكاتب شاعر راوية إخبارى محدث لغوى مؤرخ ! هل عزب عنك عقلك يامجنون ؟

— ذكرتنى به لشىء واحد يامولاى ، فقد كان لايذكر أمامه نحوى مثله إلا قال عنه ما قلت فى أبى العلاء ، وقد خاض ذات يوم فى ذكر زملائه النحاة فجعلهم جميعاً كلاباً ، فقال له بعض الحاضرين : إذن أنت ملك الكلاب لا النحاة ، فكأنما ألقم بحجر فاه !

— ملك النحاة معذور فى سبه الناس ، فقد ابتلى بمخالطة الأوشاب والرعاع فوصفهم بما يستحقون ... دعنا منه ، وتكلم فيما جئت من أجله دون انتظار

لم أجئ إلا لأسألك عن مؤلفاتك ، وقد ذكرت لى معارضتك لأبى تمام وأبى نواس ، فمن غيرهما من الذين نكبوا بمعارضتك على غير ميعاد

— لقد رأيت استحسان الناس لجناس البستى ، فألفت كتاباً فى التجنيس ، أسميته «أنيس الجليس» وخذ هذه الصحيفة واقرأ ما يقع عليه بصرك دون اختيار

(يتناول ياقوت الصحيفة ويقرأ)

ليت من طول بالشـام نواه وثوى به !
جعـل المودة الزو راء من بعض ثوابه

يقاطعه شميم ويصيح : اسجد الآن، اسجد الآن !

— لماذا أسجد يامولاى ؟

— هـذا موضع من مواضع السجدات فى الشعر ، وأنا أعرف الناس بتلك المواضع فلا تخالف أمر مولاك

يسجد ياقوت ثم يلقى الصحيفة ويسأل :

— ومن غير أبى تمام وأبى نواس وأبى الفتح البستى قد نكب بمعارضتك أيها السيد الجليل ؟

— هل سمعت الخطباء يرددون على المنابر خطب ابن نباتة فى دمشق وحلب وبغداد ؟

— نعم يامولاى

— لقد عارضت هذا المتشدق بخطب قوية مدهشة ، فليس

للناس حديث غيرها الآن

— معذرة ! فلم أحظ بسماعها . ولعل لديك سفراً يجمعها وأسعد بقراءته ردحاً من الزمان

يعد شميم يده ويعطيه ديوان الخطب ، فيقرأ ما وقعت عليه عينه ويسمع صاحبه قوله:

الحمد لله فالق حب الحصيد بحسام سح السحب ، صابغ خد الأرض بقانى رشيق العشب ، محيي ميت الأرض بامانة كالح الجدب ، لابتسام ثغر نسيم أنفاح الخصب ، أحمده على ما منح من موضح بيان عاأب فى سوداء لب »

ويلاحظ شميم تلكؤ ياقوت فى القراءة فيصيح منفعلا

— ما للبهائم والأدب ؟ دع السفر أيها الأعجم البليد ، هل مررت على الموصل فأخذت منها البلادة والغباء ؟

— معذرة يامولاى، فقد ثقلت التراكيب ، ولم يجد اللسان نافذة للاسترواح فتعثر به المنطق ... وضل الإجادة فى الإلقاء

— قلت لك هل مررت على الموصل فأخذت منها الفهاهة والبلادة ؟ فلم أظفر بجواب !

— أنا مضطر لمخالفتك الرأى فى أهل الموصل فهم كما أعتقد، ألبة أذكياء

— وما معرفتك بالذكاء واللب ؟ لقد ناقشتهم وخبرتهم ، فعجبت كيف خلقهم الله، ووالله لو قدرت على خلق مثلهم ما خلقتهم على الإطلاق

— للمرة الثانية تذكرنى بأبى نزار ملك النحاة !

— ولأى شيء ذكرتك به الآن ؟

— أنت تسب أهل الموصل، وهو يسب أهل الشام ، وكلا كما لا يعترف بإنسان ، فجميع الناس كلاب رعاع ...

ـ لى العذر إن شتمت جميع الناس ، فهم لا يفرقون بين الدر والبعر ، وملك النحاة معذور أيضاً ، وإن كان يخاف الناس فلا يجاهر بسبهم كما أفعل الآن

ـ هو مجاهر مثلك يامولاى ، وقصته مع نور الدين زنكى قد عرفها كل إنسان يقطن بلاد الشام !

ـ لم أشغل ذهنى قبل الآن بأبى نزار فأعرف قصته مع نور الدين ، ومع ذلك فاسردها على بإيجاز

ـ لقد خلع نور الدين عليه حلة سنية ، ومر فى طريقه فرأى حلقة بها تيس بدربه إنسان ، فقال المدرب لتيسه ، إن بحلقتى رجلا عظيم الشأن نابه الذكر ، فأين مكانه ،فشق الحيوان الحلقة ووضع يده على ملك النحاة ، فلم يتمالك نفسه وخلع عليه حلة نور الدين ، وعلم الملك فعاتبه ، فقال ملك النحاة ، إن بهذه المدينة أكثر من مائة ألف تيس فما عرف قدرى غير هذا الحيوان فخلعت الحلة عليه فى ارتياح

ـ أصاب ملك النحاة فأهل الموصل كأهل الشام فى الدناءة والحطة ، وقد كنت أشرح لهم القاعدة العلمية ، وأقرأ النص الأدبى موضحاً محللا فما يستفيدون شيئاً منى ، فمن ذا يلومنا على احتقار الدهماء !

ـ كلامك رفيع يامولاى،فالموصليون معذورون إذالم يفهموه

ـ اسمع يابنى ليس فى الوجود إلا خالقان ، فواحد فى الأرض وواحد فى السماء ، فالله فى السماء ، وأنا فى الأرض كما ترانى الآن

ياقوت ينظر إليه مندهشاً

شميم : هذا كلام لاتفهمه أنت ولا العامة ، ولكنك لاتنكر مقدرتى على خلق الكلام

ـ اعفنى من هذا الحديث يامولاى،فلست من علماء التوحيد فأعلم من الذى يخلق الكلام ؟

ـ إذا لم تسر المناقشة كما أريد فلن أتحدث معك فى علوم الأدب على الإطلاق !

ـ لن نتحدث فى الأدب كما تريد يا مولاى ، وسأسألك سؤالا يتعلق بك ، فأنا رجل محدث ، وإن لم تكن بالمحدث جرأة مات بغصته ، فهل تأذن بالجواب؟

ـ اذكر السؤال أولا ولى الحق فى قبوله أو رفضه كما أشاء

ـ لم سماك الناس « شميما » مع أن اسمك الحقيقى على يامولاى؟

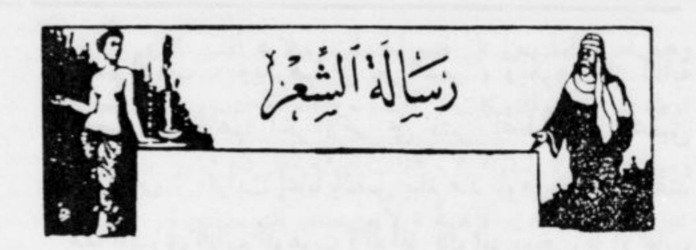
ـ لقد مكثت مدة من عمرى لا آكل غير الطيب ، لأخفف الرطوبة ، وأقوى الذاكرة ، وكان الغائط يمتنع عنى بضعة أيام ، فإذا جاءنى كان أشبه ببندقة من الطين ، فكنت آخذه وأقول لمن يجلس معى « شمه ، شمه » فإن له رائحة طيبة ، فكثر ذلك حتى غلب على ولقبنى الناس بشميم

ـ حسبك يا مولاى ، فأنا أريد أن أسجل جميع ما سمعته منك ، ولو طال بنا الحديث لعجزت عن حصره ، وستكون تسميتك هذه مسك الختام

ـلقد أمتعتك بحديثى ، وهو لا يباح لكثير من الناس ، فاشكر ربك على فضله ، فالأمر كما قال أبو العلاء

وكم عين تؤمل أن ترانى ... وتفقد عند رؤيتى السوادا

« المنصورة » محمد رجب البيومى



من أعياد باريس :

أشواق . . .

للاستاذ عبد القادر رشيد الناصري

يا « هنانى » ليلنا خمر وزهر وغـرام
وطيوب تثمل الروحان منها وهيام
ونشـــيد كلما غنى به العشاق هاموا
ولواء رف بالرفق على النــــاس فناموا

* * *

فاقبلى كالطيب كالأنسام فى الروض الأغن
واسـتظلى بجناحى ونامى بين جفنى
واحلمى يا فرحتى الـكبرى بحبى المطمئن
هل سوى ذاتك ذاتى، هل سوى لحنك لحنى

* * *

سائلى النسمة هل مرت على شىء عدانا
وهل البلبل فوق الأيك غنى لسوانا
وهل الوردة فاحت بالشذى لولا هوانا
نحن لو تدرين نجوى والأغاريد صدانا

* * *

أين من « باريس » ليلات كنسيان نديه
وسويعات لقاء فى مغانى الأعظميه (١)
إذ طويناها كما شاء لنا الحب سويه
أترى ترجع أطياف هوانا الذهبيه

* * *

أترى مجلسنا الضاحك فى « الـكرخ » يعود
مثلـما كان وتزهو عنـد لقيانا الورود
نشتكى لليل، والشهب على الشكوى شهود
أم ترى نبقى « بباريس » ويطوينا الوجود

* * *

أترى تبصر عيناى « ببغداد » النخيلا
وسنا « دجلة » والملاح يشدو والأصيلا
ومسرى زورقنا المسحور والأفق الجميلا
والنسيم الطلق إذ يهفو على الشط بليلا

* * *

والمذارى آه ما أحلى « ببغداد » المذارى
كل حسناء كأيار بهاء وازدهارا
كلما أقبلن يملأن من النهر الجرارا
خلت سرباً من فراش طاف بالروض وطارا

* * *

يا لياليها بوادى السحر عودى يا ليالى
وأعيدى ذكريات الأمس فى وادى الجمال
حين رف الحب بالنجوى على ثغر الهلال
وعلى الزورق قلبان كأطياف الليالى

* * *

يا صدى أنشودة القلب ويا بكر هوايا
أنا لولاك لما باحت بحب شفتايا
ولـما غرد قلب هو فى الصـدر بقـايا
أنت دنياى ولولاك لضاقت بالرزايا

* * *

آه يا أشهى أمانى ويا أجمل عمرى
يا نسيما خضل الأنداء قد أنعش زهرى
وضياء لاح فى ليل صباباتى كفجر
لم تـكن دنياى لولاك سوى ظلمة قبر

* * *

بغداد — عبد القادر رشيد الناصرى

---

١ ـ الأعظمية من أجمل نواحي بغداد

تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوى

فضيحة علمية لأستاذ جامعى :

أعتقد أن هذه الكلمة ، تحت هذا العنوان ، ستدفع فريقاً من القراء إلى أن يقول لى : ترفق . . ترفق بالدكتور عبدالرحمن بدوى لأنه « فيلسوف » مصر الأول ، و « أستاذ » الفلسفة بجامعة إبرهيم ، وصاحب الإنتاج الفكرى — معذرة فلعل المقصود هو الإنتاج المطبعى — الذى يربى على الثلاثين كتاباً !

صيحة أتوقعها قبل أن أسمعها . . ولولا أننى أعرف الدكتور بدوى حق المعرفة ، من خلال صحبته ، ومن ثنايا كتبه ، ومن حقيقة لقبه — أعنى فيلسوف مصر الأول — لولا أننى أعرفه على ضوء هذا كله ، لما تجاوزت الصيحة المنتظرة ومضيت فى الطريق إلى نهايته !

لقد كان من المعقول أن أترفق بالدكتور بدوى لو أنه ترفق باللقب الخطير الذى أضفى عليه ، وترفق بالأستاذية الجامعية التى هيئت له ، وترفق بالقيم الفكرية التى احتمى بها أو احتمت به ، وترفق بعقلى وعقلك وهو يريد أن يزاحم المنتجين فى كل ميدان . . لو أنه ترفق بهذه الأمور جميعاً لرجعت إلى قلمى أسأله شيئاً من الرفق ، أو شيئاً من الصفح ، أو شيئاً من الأناة !

لقد حاول الأستاذ أن يكون فيلسوفاً بالقوة ، وحاول أن يكون أديباً بالقوة ، وحاول أن يكون قصاصاً بالقوة ، وحاول أن يكون شاعراً بالقوة ، ، وحاول أن يكون ناشر مخطوطات ومحقق نصوص بالقوة . وقد تفلح القوة فى الشئون السياسية والدولية ، ولكنها — وهذا ما أود أن يفهمه الدكتور بدوى — لا تفلح فى الشئون الفكرية والفنية ! صدقنى أننى معجب به كل الإعجاب لأنه مؤمن بنفسه إلى أبعد حدود الإيمان ، حتى ليكرهها على مالا تحسن ومالا تطيق : يكرهها على فهم الفلسفة ، ويكرهها على هضم الأدب ، ويكرهها على نظم الشعر ، ويكرهها على كتابة القصة ، ويكرهها آخر الأمر على نشر المخطوطات وتحقيق النصوص . أرأيت إيماناً بالنفس يبلغ عند الموهوبين ما بلغه عند هذا المصرى النابغ الموهوب ؟ ألم أقل لك إننى معجب كل الإعجاب بهؤلاء المؤمنين بأنفسهم ، حتى ولو أكرهوها إكراهاً على أن تطرق كل باب ، وأرغموها إرغاماً على أن تخوض فى كل فن ، وأجبروها إجباراً على أن تحلق فى كل أفق ؟!

يخيل إلى أننى مقصر فى حق النقد ومهمل لرسالته . ولو لم أكن مقصراً ومهملا لتناولت قلمى منذ أمد بعيد لأحاسب الدكتور بدوى . . يخيل إلى هذا ، ولكننى أعود إلى نفسى فألتمس لها شيئاً من العذر ، حين أنظر إلى الميدان فأجده قد خلا من النقاد . ترى هل يستطيع ناقد واحد أن يحاسب هذا العدد الضخم من المنتجين ؟ وكيف أستطيع أن أحاسبهم جميعاً وفيهم من أحال الإنتاج « المطبعى » إلى معمل من معامل التفريخ ؟ !

إن إنتاج الدكتور بدوى وحده جدير بأن يشغل جيشاً من النقاد لا يهدأ ولا يستقر ، ولكن أين هو هذا الجيش ؟ أين الفصيلة التى تحارب الدكتور بدوى فى جبهة الفلسفة ، وأين الفصيلة الثانية التى تحاربه فى جبهة الأدب ، وأين الفصيلة الثالثة التى تحاربه فى جبهة الشعر ، وأين الفصيلة الرابعة التى تحاربه فى جبهة القصة ، وأين الفصيلة الخامسة التى تحاربه فى جبهة التحقيق العلمى . . وأين الفصائل الأخرى التى تحاربه فيما يستجد بعد ذلك من جبهات ؟ لقد تصدى له صديقنا سيد قطب — جزاه الله خيرا — فى الجبهة الثالثة يوم أن اجترأ على أن يصدر ديوانه الخالد « مرآة نفسى » ، ومع أن طعنات صديقنا الأستاذ قطب كانت قاتلة ، إلا أنها كانت طعنات مهاجم واحد فى ميدان يحتاج إلى فصيلة من المهاجين . . إذا لم تصدق فاعلم أن الدكتور بدوى قد شرع فى إخراج ديوان جديد ، ديوان أسأل الله أن يعيننى على لقائه ! !

مهاجم واحد بالأمس فى جبهة الشعر هو سيد قطب ، واليوم يظهر فى الأفق مهاجم آخر هو سيد صقر . ما أعجب التشابه بين الاسمين وما أبعد الفارق بين الجبهتين . . إن الجبهة التى يهاجم فيها صديقنا الأستاذ صقر جبهة جديدة ، فتحها الدكتور بدوى

وهو أقدر القادرين على فتح الجبهات ، لأنه أقدر القادرين على ادعاء المواهب والملكات . . أما رحى المعركة فتدور على صفحات زميلتنا مجلة « الثقافة » . هناك حيث خطر للدكتور بدوى أن يحقق « الإشارات الإلهية » لأبى حيان التوحيدى !

إلى هنا وأقف قليلا لأحدثك عن هذه الفضيحة العلمية التى ارتكبها الدكتور بدوى ، وكشف عنها الغطاء صديقنا الأستاذ السيد أحمد صقر جزاه الله . . لقد نشر المقال الأول فى العدد الأسبق من « الثقافة » ولن يصل هذا العدد من « الرسالة » إلى أيدى القراء حتى يكون المقال الثانى قد خرج إلى النور . . ليهتك حجب الظلام ! ولن يقتصر الأمر على هذين المقالين ، فلابد من مقال ثالث ورابع وخامس ، لقاء ما بذل الدكتور بدوى من جهد فى تشويه سمعة أبى حيان ، وتشويه سمعة نفسه ، وتشويه سمعة التحقيق العلمى فى مصر ! !

إن ما نشر من سقطات الدكتور بدوى كان أهون مافى الكتاب ، وما بقى كان ألعن . . واستمع لفصول القصة :

فى مساء الإثنين الماضى كنت وحيداً فى بيتى ، أتأهب للخروج ولا أعرف إلى أين ، فقد كان كل همى أن أطلق النفس من قيود الأسر ، أسر القلم والكتب والجدران . . وفجأة هبط على زائر كريم لم أكن أتوقع زيارته ، لأنه كان معى قبل ذلك بيوم واحد ، هناك على صفحات مجلة « الثقافة » . وحين راحت يده اليمنى تصافحنى كانت يده اليسرى تصافح أبا حيان ، أعنى تتصفح كتابه المفترى عليه : الإشارات الإلهية !

وقلت للأستاذ السيد احمد صقر بعد أن استقر به المقام : معذرة فليس لدى تليفون حتى أدعو الأدباء من أعضاء ندوتنا الأدبية إلى الإجتماع فى بيتى . تعال نذهب إلى مكاننا المختار حيث ندعوهم من هناك ، فما أحوجك إلى كثير من الشهود المستمعين لدفاعك عن كرامة التحقيق العلمى فى مصر ! . . . والتأم شمل الندوة بعد دقائق ، فكان فيها إلى جانب الشعراء والأدباء ، بعض الأساتذة من جامعتى فؤاد وإبرهيم . وبدأ الأستاذ صقر يقرأ على الآذان المرهفة مقاله الأول الذى نشر فى « الثقافة » ، وحين انتهى منه ، مضى يقلب صفحات الكتاب الذى « حققه » الدكتور بدوى وقدم له ، واقفاً عند كل صفحة ، مشيراً إلى كل سقطة ، لافتاً إلى كل تشويه ، معرجاً على كل تحريف !

أقسم لقد ضحكنا حتى اهتزت بجنتنا القاعد من كثرة الضحك ، ودهشنا حتى عقدت الدهشة منا كل لسان ، وأسفنا حتى ارتسمت معالم الأسف على قسمات الوجوه ونظرات العيون . . وقال أستاذ جامعى طلب إلى ألا أذكر اسمه لأنه صديق للدكتور بدوى وزميل له فى جامعة إبراهيم : « هذه فضيحة من طراز فذ ليس له نظير . إن مصيبة الدكتور بدوى أنه لا يتأنى فى إخراج كتبه ، لأنه مولع بأن يكون له فى السوق أضخم إنتاج بين المعاصرين . . هل المسألة مسألة كم أم مسألة كيف ؟ أظن أن الجامعيين يجب أن يهتموا بالجانب الأخير » !

وعقب الأستاذ صقر غاضباً وهو يوجه إلى الحديث : لو كنتم يا حضرات النقاد تحاسبون هؤلاء الناس لما حدث الذى حدث . . إنكم تتحدثون عن أزمة القراء ، ناسين أن إنتاجاً من هذا الطراز هو العامل الأول من عوامل الأزمة ، أو هو العنصر الخطير من عناصر المشكلة . إن القراء معذورون إذا انصرفوا عن القراءة وشغلوا عن ثمرات المطابع ، ما دام أكثر الكتاب فى مصر يلتمسون الشهرة عن طريق القيمة « العددية » للآثار الفكرية !

وقلت للأستاذ صقر وعلى شفتى طيف ابتسامة : هذا صحيح ! ولكن من هم « حضرات » النقاد ياصديقى ؟ ترى هل تخاطبنى بصيغة الجمع توقيراً لى ، أم تقصد إلى أن فى البلد نقاداً كثيرين يستحقون اللوم والتأنيب ؟ إذا كنت ترمى إلى التوقير فأنا أشكرك ، أما إذا كنت ترمى إلى كثرة النقاد فإنى أعترض عليك . . أين هم النقاد فى مصر ؟ إننى أكاد أقف وحدى فى ميدان النقد ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ! ثم هل وجهت شيئاً من لومك إلى حضرات الأساتذة الجامعيين الذين يجلسون بيننا فى هذه الندوة ؟ لماذا لا يمتشق أحدهم قلمه ليحاسب زميلا له على هذه الفضيحة العلمية التى تسىء إلى الجامعة ؟ مهما يكن من شىء فأنا أعدك بأن أكتب فى الموضوع على صفحات « الرسالة » !

وقال أحد الجالسين من الأدباء وهو يريد أن يطمئن : من أى زاوية ستتناول الموضوع ؟ هل ستشير فى « الرسالة » إلى بعض ما كشف عنه الأستاذ صقر فى « الثقافة » ، أم أنك ستتحدث عن أزمة القراءة مرة أخرى لتنصف القراء ؟!

وأجبت وأنا أدرك هدف اللفتة البارعة : بالطبع سأشير هنا إلى مقالات الأستاذ هناك ، وسأطلب إلى قراء « الرسالة » باسم الحق والكرامة العقلية وأمانة البحث والاطلاع ، أن يتابعوا الأستاذ صقر في « الثقافة » ليطمئنوا إلى أنني لم أكن غالياً في كل هذا الذي كتبت ، وليدركوا أن أثر هذه الفضيحة العلمية في ميزان الضمير العلمي ، لا يقل عن أثر أي فضيحة أخرى كفضيحة تحقيقات الجيش مثلا في الضمير الاجتماعي . . أما القراء فلا بأس من أن أعفيهم بعض الإعفاء من تحمل التبعة، ما دام الدكتور بدوي وأمثاله في الميدان !

وقال الأستاذ صقر وهو يدفع إلى بكتاب « الإشارات الإلهية » : إن للكتاب مقدمة لا تدخل في حدود علمي ولكنها تدخل في حدود علمك . . إنها محاولة « رائعة » يثبت بها الدكتور بدوي أن أبا حيان كان أديبا وجوديا لا يقل أصالة في نزعته الوجودية عن الأديب الألماني فرانز كفكا ! . . إنني أترك لك هذه المقدمة لتناقشها على صفحات « الرسالة » ، وسأدفعك إلى ذلك دفعاً حين أوجه إليك هذه الرغبة على صفحات « الثقافة » . . إقرأ يا صديقي اقرأ ، واشكرني على أن قدمت إليك منبعاً من منابع الإضحاك !

وتناولت الكتاب ورحت أقرأ هذه المقدمة العجيبة حقا .. تقولون إن نجيب الريحاني الذي كان نابغة عصره في إضحاك الناس قد مات ، دون أن يملأ مكانه أحد؟! مهلا أيها المتشائمون . . لقد أثبت الدكتور بدوي أن نجيب الريحاني لم يمت ، وإذا كان ، فقد ملء مكانه بجدارة ! أثبت ذلك في تحقيقه لمخطوط أبي حيان عن « الإشارات الإلهية » ، وفي مقدمته التي ذهب فيها إلى أن أبا حيان كان صاحب نزعة وجودية . . وبقي أن ينتهي الأستاذ صقر من مقالاته ، لينتظرني الدكتور بدوي في هذا المكان !

برنارد شو ورسالة المال :

في عدد قريب من الرسالة القراء ، وضعت لنا في ميزانك الدقيق الأنيق ، وعلى أضواء عقلك المفتش وأشعة ذهنك الوهاج الكاتب الأيرلندي العالمي جورج برناردشو ، فأدركنا ألمع اللافتات في فن هذا الكاتب العظيم . . لافتة العقل الساخر ، وعرفنا أنها « الإطار الطبيعي الذي يحيط بكل صورة من صور هذه الحياة ، ونقطة الارتكاز التي يلتقي عندها خط الاتجاه النفسي الممتد من هنا وخط الاتجاه الفكري المنطلق من هناك »

غير أني وقفت طويلا يساورني الشك ويتوزعني الارتياب ، عند نقطة قلت لعل من الخير أن أرجع إليك متسائلا ومستفيداً من تلقي الجواب . . لقد قلت إن شو كان يمتدح الشيوعية الروسية وينعت قطبها الأكبر ستالين بأنه خير الناس ، ثم تساءلت : ترى هل كان شو يؤمن بهذا الرأي الذي يجهر به ، أم أن سخطه على الرأسمالية عامة وعلى الإنجليز خاصة ، هو الذي كان ينطقه بغير ما يعتقد ويظهره بغير ما يريد ؟ ثم أجبت بقولك : الحق أنه السخط من جهة - وتقصد السخط على الرأسمالية طبعا - والإيمان بالرأي من جهة أخرى !

ولكن ، هل كان شو يا سيدي ساخطا حقا على الرأسمالية ، غير مؤمن باستحواذ المال ؟ إن الأستاذ العقاد يؤكد لنا في كتابه الصغير عن برناردشو ، أنه كان مؤمنا برسالة المال في حياة الآحاد وحياة الجماعات (ص ١١٤) ، وقال إنه لا يكتم هواه للمال وحبه للاستزادة منه ما استطاع (ص ٢٥) ، ثم يحدثنا العقاد عما كان يجذب شو نحو الاشتراكية فيقول : كان يجذبه إليها « فقره » وتمرده على النظم القائمة ونشأته الايرلندية التي تعلم منها الثورة على الاستعمار والاستغلال ، فكان انضواؤه إلى جماعة الفابيين (ص٢٧) فإذا أردنا تفسير كلمة « فقره » وجدناها الانمي سخطه على الرأسمالية، يؤيد ذلك قول شو نفسه : لا تخلط بين كرهك لزيادة جارك في الغنى وكرهك للفاقة . . فكأنه يقول : لتكره الفاقة ما استطعت ولتحاربها بالجهد في كسب المال، ولكن لا تكره الأغنياء لأنك فقير ، كأنه يقول ذلك

من هذا يا سيدي أردت المزيد من الوضوح ، ولعل في تفسيرك السابق معنى آخر تكمن فيه الحقيقة دون أن أفطن إليه، وقد استدق على فهمه واستجلاؤه ..وتقبل أخلص تحيات المعجب:

(السويس) محمد محمد عبد الرحمن

الأديب الفاضل صاحب هذه الرسالة تاجر من تجار السويس ومع ذلك فهو يقرأ « الرسالة » ، ويناقش في الأدب ، ويقتطع من وقته لحظات ثمينة يقضيها في صحبة الأدباء . . من حقه على

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

البعث العربي الجديد :

قضيت الأسبوع الماضي وبعض هذا الاسبوع ، حبيس الدار لرمد في عيني ، وما أريد أن أتحدث عن مرضي وما نالني منه ، إن أريد إلا أن أطلق بخار الطاقة المحبوس في نفسي ، فقد كنت طيلة هذه المدة كالجواد العربي الذي شد لجامه وهو يملكه .. يريد أن ينطلق .. أريد أن أعدو وأروح وأذهب وأجيء وأقرأ وأكتب ، مالي عيش بغير هذا ، ولن يطيب لي القعود .

وكان أكبر أسفي لتلك الحبسة أن منعتني من المشاركة في ذلك النشاط العربي الذي دب في نواح من القاهرة ، في جمعية الوحدة العربية ، وفي الاتحاد العربي ، وقد تلقيت دعوتين كريمتين ، الأولى من « جمعية الوحدة العربية » لسماع المحاضرة التي ألقاها في نادي الجمعية يوم الخميس الماضي الأستاذ محمد توفيق دياب بك عن « التربية الوطنية في العالم العربي » والثانية من « الاتحاد العربي » لسماع محاضرة الأستاذ أحمد رمزي بك عن « العلاقات الاقتصادية بين البلاد العربية » .

كنت أود أن أذهب لأسمع ، ثم آتي لألخص هنا ما سمعت ، وقد أعقب عليه وأضيف إليه ما يعن لي في هذه المشاكل التي تشغل منا القلوب والخواطر . ولكن ، إن كنت قد تألمت من القعود عن ذلك ، فقد سرني بعض ما نشر عنه من ذلك الذي كان يقرأ لي .. وذلك ماحدث في جمعية الوحدة العربية عقب محاضرة الأستاذ توفيق دياب بك ، إذ وقف الأستاذ أسعد داغر السكرتير العام للجمعية ، فقال : تلقيت من بضعة أيام الرسالة التالية من أحد الوطنيين العرب أقتطف منها ما يأتي : « كان لحديثكم بشأن المشروع الجديد لانشاء جريدة كبرى تكون صوتا للبعث العربي ، صدى عظيم في نفسي ، لأن هذا الصوت العربي الجديد لا يقبل أن ينام على الضيم ، العربي الذي يشعر بألم الطعنة التي أصابته في عزته وكرامته يحاول الآن أن ينهض ليستعيد قوته الكاملة ويسترد مجده المسلوب . تجدون طيه شيكا بمبلغ عشرة آلاف جنيه ، وسأقدم لكم خلال الأسابيع المقبلة مبلغاً آخر مثله أو أكثر إذا لزم ، وقد أحببت أن أترك لغيري من المخلصين الفرصة لنيل شرف المساهمة في هذا المشروع الجليل »

البعث العربي الجديد ، وعشرة آلاف جنيه يبذلها عربي كريم لمشروع في تعزيز هذا البعث .. إنه شيء عظيم ، أرجو إنه يكون أول الغيث

إنني لم أيأس ولن أيأس ، من هذه الأمة العربية ، بل أقول إن شيء يدعو إلى التفاؤل ، وكل ما منيت به إنما هو سحب لابد أن تنقشع . لقد كنا قبل مايو سنة ١٩٤٨ لا شيء ، ثم صرنا بعد ذلك شيئا .. لم نكن قبل موجودين لأننا لم نكن نعمل ، ثم تحقق وجودنا لأننا عملنا وأخفقنا .. ولا بأس أن نخطئ ونخفق على أن ننهض وننفض الغبار ونستمد ، وإنما اليأس كله أن نتفكك ونتوانى وننام

إن هذه الأمة العربية أمة واحدة ، وهي جسم واحد لا ينبغي أن يفرق بين أعضائه ما يندمن إيذاء بعضها لبعض ، فقد تعض الأسنان اللسان . فلا تخلع الأسنان ، وسينتهي ألم اللسان ! ولو أننا جعلنا مثل هذه الأمور سبباً إلى التفرق لما أبقينا على البلد الواحد بل الأسرة الواحدة ، فلو أخذنا بما يحاجنا به المبطلون في الوحدة العربية مما حدث في الظروف الأخيرة التي لابست الحركة العربية

أن أخفض قلمي تحية له وإعجاباً به ، لأنه يضرب أروع الأمثال لهؤلاء الذين يفضلون عصير الليمون على عصارة الأذهان ، ويؤثرون التسكع في الطرقات على قراءة الكتب وزيارة المكتبات !

تحية أقدمها إلى الأديب الفاضل قبل أن أقول له : يؤسفني أن يحول ضيق النطاق في هذا العدد عما يريد من جواب .. فإلى العدد المقبل حيث نعود إلى برنارد شو من جديد ، مسلطين بعض الضوء على تلك الجوانب التي تنشد التفسير والتعليل

أنور المعداوي

٣٦٠ ١١

لما أبقينا على مصريتنا لما يلابسها في بعض النواحي من بغي وفساد

والبعث العربي الجديد يجب أن يقوم على الاغضاء وتناسي ما كان، ونقد الواقع الفاسد، والعمل للمستقبل. وهو من حيث التسامح والإيثار - كما قال العربي الأول:

وإن الذي بيني وبين بني أبي
وبين بني عمي لمختلف جدا
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم
وإن هم هووا غيي هويت لهم رشدا
وإن زجروا طيراً بنحس تمر بي
زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم
وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جل مالي إن تتابع لي غنى
وإن قل مالي لن أكلفهم رفدا

بين الحقيقة والمجاز:

في إحدى الجلسات الماضية بمؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية ألقى الأستاذ عباس محمود العقاد محاضرة عنوانها « كلمات عربية بين الحقيقة والمجاز » بدأها بقوله:

توجد في اللغة العربية كلمات كثيرة بقي لها معناها الحقيقي مع شيوع معناها المجازي على الألسنة، حتى ليقع في اللبس في أيهما السابق وأيهما اللاحق في الاستعمال، ثم قال إن من هذه الكلمات كلمتي « الحقيقة » و« المجاز » فالحقيقة فكرة مجردة ولكن مادة الكلمة تستخدم للدلالة على ما يلمس باليد ويقع تحت النظر فيقال « انحقت » عقدة الحبل، أي انشدت. والمجاز من جاز المكان أو جازبه غير معترض، ويقال هذا جائز عقلا أي غير ممتنع ولا اعتراض عليه

وعرض الأستاذ طائفة من الكلمات وبين معانيها الحقيقية والمجازية واستعمالاتها في المحسوسات وغير المحسوسات ثم قال: ونستطرد ومما تقدم إلى المقارنة بين اللغة العربية واللغات الأخرى في استعمال المعنى الحقيقي والمعنى المجازي في وقت واحد فيبدو لنا من هذه المقارنة أن الكلمات التي تستعمل للغرضين كثيرة في اللغة العربية وليست بهذه الكثرة في اللغات الأوربية، وقد يرجع هذا الفارق إلى غير سبب واحد، فلعله راجع إلى تطاول العهد بين بداوة الأمم الأوربية وحضارتها، ولعله راجع إلى انتقال لغاتها إلى حالتها الحاضرة من لغات قديمة بطل استعمالها وانقطعت فروعها عن أصولها، ولعله راجع إلى خاصة عربية بدوية في التعبير بالتشبيهات المجازية أو الشعرية. وأيا كان السبب فالخلاصة العلمية التي نتأدى إليها من هذه الملاحظة أننا لا نحتاج كثيراً إلى التسلسل التاريخي في وضع معجماتنا الحديثة، لأن هذا التسلسل ضروري في اللغات التي يكثر فيها إهمال الكلمات في معنى وصيرورتها في معنى آخر،

كشكول الأسبوع

□ أقامت جمعية علماء الإسلام في الباكستان حفلة تكريم للدكتور عبد الوهاب عزام بك سفير مصر في الباكستان، عبر المتكلمون فيها عن الأمل في توحيد الدول الإسلامية، واقترح بعضهم استعمال اللغة العربية لغة رسمية لكل البلاد الإسلامية

□ جاء من كراتشي أن الدكتور عبد الوهاب عزام بك يقوم بترجمة ديوان « رسالة الشرق » للشاعر محمد إقبال، وأنه سيفرغ منها في أوائل العام القادم، على أن تنشر في ذكرى إقبال التي تقع في إبريل

□ تحدث معالي الدكتور طه حسين باشا إلى مندوب الأهرام في صدد حضور علماء أوربا إلى مصر في عيد الجامعة، فقال معاليه: الشيء الذي لا شك فيه هو أن أوربا المثقفة قد عرفت الآن أن مصر قوة أساسية في مستقبل الحضارة الإنسانية الحديثة

□ يعمل معالي وزير المعارف على إنشاء معهد « أكاديمي » للعلوم والفنون والآداب، وقد أعد المشروع الخاص بهذا المعهد ليعرض على البرلمان قريباً

□ أعلن مدير مصلحة الآثار الباكستانية أنه أمكن تحديد الموقع الذي أقيمت عليه مدينة « دايبول » القديمة التي يرجع عهدها إلى القرن الثامن والتي نزل بها محمد بن القاسم عند غزو الهند في الفتوحات الإسلامية. وقد عثر هناك على آثار تلقى ضوءا على صفحة مجهولة من تاريخ العرب والإسلام في الهند

□ أذاعت وكالة الأنباء العربية من لندن أنه قد صدرت في بريطانيا طوابع بريد تذكارية إحياء لذكرى مرور ألف سنة على وفاة الفيلسوف ابن سينا. وسيخصص المال الذي يجمع من بيع هذه الطوابع لبناء مقبرة جديدة في همدان بإيران لصاحب الذكرى

□ تحدث الأستاذ مارون عبود بمحطة الشرق الأدنى عن النهضة الأدبية في سوريا ولبنان، فقال في شعراء الرمزية: إن شعرهم قليل الفيتامين كثير الفسفور

ولكنه لا يبلغ هذا المبلغ من الضرورة حين توجد الكلمة مستعملة في جميع معانيها على السواء أو على درجات متقاربة . ومن النتائج العملية لتلك الملاحظة أن نذكر في سياق التجديد والمحافظة على القديم أن العرب كانوا مجددين على الدوام في إطلاقهم الكلمات القديمة على المعاني الجديدة ، ونحن لا نعدو سياقنا هذا حين نلتفت إلى الأصل في كلمة القديم والأصل في كلمة الجديد ، فنتخذ منهما شاهداً على ما ذهبنا إليه . فالتقدم هو السير بالقدم ، ويقال تقدم أي مشى بقدمه ، كما يقال ترجل أي مشى برجله ، وتقدمه أي مشى أمامه ، ومن هنا التقدم بمعنى السبق والقديم بمعنى الزمن السابق . ولا ندري على اليقين كيف أطلقت كلمة الجديد على معناها هذا في أقدم أطوارها ، ولكننا ندري أن الجد هو القطع وأن الثوب الجديد هو الذي قطع حديثاً ، فلعل هذا المعنى من أقدم معاني الجديد ، إن لم يكن أقدمها على الإطلاق . وظاهر من جملة هذه الملاحظات أن أهل العربية جددوا كثيراً في مجازاتهم ، وأننا نستطيع أن نحذو حذوهم ونحن نقول « نحذو حذوهم » ولا نظن أننا نبعد في اتخاذ الكلمات لمعانيها المستحدثة مسافة أبعد من المسافة بين الأصل في حذو الجلد وبين المجاز في دلالته على الاقتداء والاهتداء ، ولا أبعد من الأصل في كلمة « المسافة » حين أطلقت على الموضع الذي يسوف فيه الدليل تراب الأرض ليعرف موقعه من السير ، ثم استعيرت لما نعنيه اليوم بالمسافة وهي كل بعد بين موضعين . وشرط اللغة علينا أن نصنع كما صنع أهلها ، فنجدد في المعاني من طريق المجاز ، بحيث لا يكاد السامع يفرق بينها للوهلة الأولى : أهي أصل في اللغة قديم أم مجاز جديد

ثم جرت مناقشة بين الأعضاء في موضوع المحاضرة ، قال فيها معالي السيد محمد رضا الشبيبي : هل يفهم من قول الأستاذ « إننا لا نحتاج كثيرا إلى التسلسل التاريخي في وضع معجماتنا الحديثة وأننا في غنى عن وضع المعجمات اللغوية التاريخية » ؟ فقال الأستاذ العقاد : في اللغة العربية استعملنا كثيرا من المعاني المجازية ، لكن التعب الذي نحتاج إليه في الرجوع إلى أحوال الكلمات أقل من تعب واضعي المعجمات الأوربية ، فمثلا معجم أكسفورد وهو أكبر معجم للإنجليزية اضطر واضعوه أن يبدأوا من القرن الثاني عشر لأن ما قبله لا يستعمل الآن ولا يفهم ، لكننا نحن قد نجد كلمة من الجاهلية تستعمل الآن في معناها الأصلي

وقال الأستاذ « جب » : ما مدى تطبيق هذه القاعدة إن نظام الاختيار في نهاية الأمر للجمهور ، أما فيما يختص بالمصطلحات العلمية فالجمهور خاضع لأمر المختصين

وقال الأستاذ « ماسنيون » : تذكرت جلسة من الجلسات القديمة تباحثنا فيها عن التضمين ، فالتضمين كالمجاز ، وقد ألقيت منذ سنتين كلمة في جامعة باريس عن أهمية التضمين في تشكيل عبارات جديدة ومعان جديدة في قوالب قديمة . فقال الأستاذ العقاد : لم نتفع بالتضمين حق الانتفاع مع أنه نافع جداً ، والتضمين يجب أن يتجه إلى إبداع معان فكرية جديدة ، أما المحللات اللفظية فنحن في غنى عنها

حول محاضرة الدكتور ناجي :

قرأت تعقيبك على محاضرة « الشاعر الدكتور ناجي » ... وأنا وإن كنت ممن يقدرون شعر ناجي ، بل كدت - يوما - أضمه في مصاف الملهمين المعاصرين من أمثال علي طه وإيليا أبي ماضي ... وإن كنت أيضاً لا أحب أن أتعرض لشكواه من أن القراء يقدرونه أو لا يقدرونه ... إلا أنه آلمني حقا أن ناجي يود أن تتخلص الرسالة من شعرائها (التافهين) ، أو على الأصح يود أن تقف الرسالة (رسالة الشعر) عليه وعلى أمثاله من الملهمين ... ...

هذه يا سيدي الأستاذ - علة الشرق الحديث ، وهذا داؤه ... كلنا يحب أن يطغى على غيره ... لا عمل لنا إلا قتل الناشئين في مهدهم ... أما أن نفسح لهم الطريق - ولا أقول - نقومهم ونرشدهم ... أما أن نتخذهم تلامذة لنا .. نقول لهم هذا صحيح فاتبعوه ، وذاك خطأ فاجتنبوه ... فليس هذا من دأبنا

وليس الذنب ذنب (ناجي) وحده - فيما أرى - فلقد سمعت منذ أشهر أحد الأدباء الكرام يتهجم هو أيضاً على الشعراء من شباب اليوم ويتهكم قائلا : إنهم يقولون الشعر وهم بعد لم يحفظوا



تفسير جزء تبارك

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

وضع هذا التفسير صديقنا الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية. وقد حذا فيه حذو الأستاذ الإمام فى تفسيره لجزء عم من حيث الاقتصار على مافيه الفائدة ويحتاج إليه الحريص على فهم كلام الله وحده. وقد تحققت هذا من التفسير وزارة المعارف المصرية فطبعت منه نيفاً وثلاثين ألف نسخة ووزعتها بين أيدى الطلاب. ويكفى فى التعريف بهذا التفسير ماقاله المرحوم الشيخ مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر فيه (أنه مرجو النفع به: لما فيه من العناية بتقرير المسائل التى تمس إليها الحاجة، ولما هو عليه من سلامة الأسلوب وصفاء العبارة) وقال فيه الأستاذ الشيخ محمد بهجة الأثرى كبير مفتشى المعارف فى الوزارة العراقية، وقد أهدى إليه مؤلفه نسخة منه: (وأفاخر بأن أضمها إلى أمثالها فى خزانة كتبى من أجلاد التفاسير لعلماء الأمة. ولها عليها جميعاً مزية الجدة فى الرأى وجمال العرض وبراعة البيان) افتتح المفسر مقدمة تفسيره بقوله:

(نحمدك ربنا منزل القرآن. بحقائق الإيمان، وجليل العبر، وملهم الأذهان نواصع البيان، ودقيق النظر، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد المبعوث بأكرم الأديان، وقاطع البرهان، من ولد مضر. صلاة وسلاماً تتجددان، ما تجدد الزمان، وتعاقب الملوان. ولاح قمر، ولا أدل على تصوير مكانة هذا التفسير

(كتب المحفوظات فى المدرسة)....

وهكذا يستعدى ناجى الرسالة على الناشئين من الشعراء وهى المجلة الوحيدة فى الشرق التى لا تشترى الأسماء ولا تنشر إلا ما يستحق النشر فى وقت دأبت فيه جل مجلات الشرق على أن تشترى قراءها بأسماء ضخمة مقدمة ومؤخرة بالألقاب ... وفات ناجى أن الرسالة أستاذ قبل أن تكون مجلة، وأن قراءها تلامذة قبل أن يكونوا قراء ...

وبعد فما أحب أن أطيل الحديث مع ناجى، ولكنى أود أن أقول له: لم لم يكتب للرسالة ناقداً وموجها؟! ... لم لم يجابه أولئك «التافهين» بشعره على صفحات الرسالة؟! ...

وبعد فيا صاحب (الليالى القاهريات) ... إنى لأذكر أن الرسالة حدثتنا - منذ زمن - أنك أنكرت على الناس جحودهم لشعرك فخرقته - على ما أذكر - ويومها كنت أرثى لك وأترحم على شعرك ... أفلا تخاف - ياشاعرى - أن ينكر عليك شعراء الشباب هذا الجحود، فيفعلون بأدبهم مثل ما فعلت بأدبك فى شبابك؟! ... ويومها - ياسيدى - اقسم لك أننا سوف نفقد تلك الروح العذبة الرقيقة التى تسيطر على شعر الشباب ..!! ...

لقد قالت الرسالة ياسيدى الشاعر فى عددها الأخير على لسان الأستاذ المداوى «إن الرسالة لن تغلق أبوابها يوما فى وجه أصحاب المواهب والملكات»

«أسامة»

إننى أشاطر الأديب «أسامة» تقديره لشعر الدكتور إبراهيم ناجى ولا أرى فى تعقيبه ما يحتاج إلى تعقيب إلا أننى أحب أن أعبر عن مودتى للدكتور ناجى، تلك المودة التى لا يعجبه أن تمزج بما أكتب عنه أحيانا.. ولكن ماذا أصنع وهو يغرى هذا القلم دائما بما يهيئ له من موضوعات طريفة؟ إنه يغضب منى، وقد اصطلحنا غير مرة، ولكن الإغراء يتجدد.. ومالى بدفعه حيلة

وأرجو أن يوسع الشاعر الكبير الدكتور ابراهيم ناجى - صدره، ويعد نفسه - كما نعده - ملكا أدبيا عاما.. وأن يقبل تحيتى ومودتى واحترامى

عباس خضر

والتعريف بحسنه من أن نبسط تحت مواقع أبصار القارئ، هذا النموذج منه: وهو ما حبره المؤلف تعليقاً على آية (كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) فقد قال بعد أن أبان ارتباط معنى الآية بمعنى ما سبقها وأزاح الستار عن معنى القضاء والقدر بما يسكن إليه ضمير القارئ المثقف قال ما نصه:

« على أن المقام ربما وسع كلة نحب ألا تفوتنا عملا بما أمرنا به القرآن من النظر فى الأمم وحالاتها، ثم الاعتبار ببداياتها ونهاياتها، فنقول:

أشرنا فى أطواء كلامنا السابق إلى أن البشر قد تجذبهم إلى سعادتهم أو شقاوتهم « جواذب » وإن شئت سميتها « عوامل »: من مثل الملة التى يمارسون شعائرها وأحكامها، والحكومة التى تسيطر عليهم، والعائلة التى تربى أطفالهم. والمدرسة التى تعلم أبناءهم، والمحفل أو النادى الذى يحتشدون فيه للحديث أو السمر أو اللهو أو البيع والشراء أو مختلف الأعمال والمصالح — فالمراد من المحفل أو النادى ما يريده علماء التربية بقولهم « جماعة الأصدقاء والمعاشرين » — والوراثة التى تنقل إلى أبدانهم دم آبائهم ومزاجهم وتكوينهم الجسمانى، كما تنقل إلى نفوسهم طباع أولئك الآباء وغرائزهم وأخلاقهم وتكوينهم الروحانى، والإقليم الذى يشربون ماءه، ويستنشقون هواءه، ويذوقون حره وبرده، ويقتاتون بمحصولاته. وهذا المؤثر يسميه علماء علم النفس « البيئة الجغرافية »، ويسمون العوامل الأخرى « البيئة الاجتماعية »

هذه « الجواذب » أو « العوامل » هى التى تعمل فى تكوين الأمم، وهى التى تعرف بها حالتها الاجتماعية، ودرجتها فى سلم المدنية؛ فإن صلحت تلك العوامل واستقامت صلحت الأمم واستقامت فى أفرادها وجماعاتها؛ إذ ليست الجماعات إلا فرداً متكرراً، وإن ساءت وفسدت ساءت أحوال الأمم، وانحط شأنها، وتقهقر عمرانها

هذه الجواذب هى التى تجتذب البشر إلى ملابسة الخير أو موافقة الشر، وتقودهم من أيديهم إلى مواطن السعادة، أو مواطن الشقاوة، وهى التى نستدل بها، وعثنى على أثرها فى معرفة ما هو قضاء الله وقدره فى هذه الأمة، أو تلك الأمة

فمهما رأينا من كمال تلك العوامل وسدادها، وثبات أمرها، وحسن نظامها — فهناك فوز الأمة وفلاحها، وتجلى حكم القضاء والقدر فيها. ومهما رأينا من نقص « العوامل » وخطلها، واضطراب أمرها، وقبح نظامها — فهناك هلاك الأمة ودمارها، وحكم القضاء والقدر فيها

هذه العوامل هى التى يعنى بها الأنبياء والحكماء والمشرعون والعلماء الاجتماعيون، فيجتهدون فى إصلاحها، وتقويم أودها؛ حبا فى إصلاح أممهم، وترقية شأن شعوبهم، ولم يأل الدين الإسلامى فى النصح لأبنائه بوجوب توفيرها وتنقيتها من الشوائب؛ كى تبقى صالحة لسعادتهم فى دنياهم، ونجاتهم فى أخراهم

قد يقال: إذا كانت هذه العوامل هى مظهر قضاء الله وقدره فى البشر، وعلى سلمها يتنزلهم ربهم ويصعدهم، ويشقيهم ويسعدهم، فأنى لنا الوصول إليها بالإصلاح والترميم، والتغيير والتبديل؟ وهل هذا إلا افتئات على القدر، وتداخل فى وظيفته؟

والجواب على هذا آيات القرآن نفسها؛ فإنها إنما أمرتنا بالنظر فى أحوال الأمم والاعتبار بما جرى؛ لنتمسك بما كان سبباً فى نجاتها وسعادتها، ولنتجنب ما كان سبباً فى هلاكها وشقاوتها. ونحن فى كلتا الحالتين بالغون ما قضاه الله وقدره فينا « اعملوا فكل ميسر لما خلق له »

وهذه الأمم المعاصرة لنا — معشر المسلمين — ارتفعت وعزت وغلبت بما كان من عنايتها بأمر العوامل المذكورة؛ فليس الدين لديها اليوم، ولا طرز الحكومة، ولا نظام العائلة، ولا قوانين المدرسة والتربية العامة وسائر مقومات الاجتماع — كما كانت عليه فى عصورها الوسطى

تقول: والاقليم والوراثة كيف يكون إصلاحهما؟

فأما إصلاح « الاقليم » فيكون بتجفيف المستنقعات، وغرس الأشجار، وإنشاء الغابات والحراج، وحفر الترع، وجر المياه النقية للشرب

وأما إصلاح « الوراثة » وتحسين حالة النسل والأخلاق فقد أخذ الغربيون فى الأيام الأخيرة يعتنون به، ويستفيدون مما يرشدهم

إليه العلم الصحيح ، والتجربة القاطعة بشأنه

وهذا ، أو ذاك ، أو ذلك – مما يدخل تحت الطاقة ، ويستطيعه البشر وقد أصبحت المكابرة فيه ضربا من الجهل والغباوة بعد ما رأينا حسن أثره واضحاً جليا فى الأمم التى غلبت علينا ، وأصبحت المتحكمة فينا

وعجيب من مسلم أن يجرؤ على القول بأن فى إصلاح الدين ، أو الحكومة ، أو نظام العائلة ، أو طريقة التعليم والتأليف ، أو سائر عوامل الحضارة والعمران – مخالفة للدين ، أو تدخلا فى وظيفة القضاء والقدر ، وهذا الشارع الأعظم صلى الله عليه وسلم يجعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ركناً من أركان الدين ، وليس هو فى الواقع ونفس الأمر إلا مراقبة دائمة على الدين والمتدينين به ؛ فلا يتسرب إليه أو إليهم ما ليس منه فى شىء فيفسد ويفسدون

فالأمر والنهى إذن إصلاح ، والآمرون الناهون مصلحون

وكان بعض العارفين يقول : « ينبغى لأهل كل مذهب فى كل عصر أن يكون فيهم عالم كبير ينقح مذهبهم ، وذلك لأن الأحكام تتغير بتغير الزمان »

ومما يحسن إيراده هنا أن الشارع صلى الله عليه وسلم نبهنا إلى تأثير ناموس الوراثة ، وأشار إلى أن فى إصلاحه إصلاحا للنسل والذرية مذ قال : « تخيروا لنطفكم ، فإن العرق نزاع » يريد تزوجوا كرائم النساء ؛ فإن أولادكم من زوجاتكم يرجعون فى طيب الأخلاق وقبحها إلى أجدادهم من أمهاتهم ، أما رجوعهم فى أخلاقهم إلى أجدادهم من جهة آبائهم فبالطريق الأولى. وليس فوق هذا إرشاد وتعليم لنا فى أن نصلح شؤوننا ، وعوامل اجتماعنا ، حتى ما يظن أنه مما لا يدخل تحت طاقتنا كمسألة الوراثة هذه .

وقال أبو الأسود الدؤلى مخاطبا أولاده :

وأول إحسانى إليكم تخيرى … لماجدة الأعراق باد عفافها

وبالجملة فإن الدين والعلم والتجربة والمشاهدة اتفقت كلها – وإن خالفها الجهل والتقليد والمكابرة – على أن سعادة الأمم وشقاءها أمران ميسوران لها ، داخلان تحت طاقتها . وليس معنى أن الله يضلها ويهديها إلا أنه تعالى يمهد تحت مواقع أبصارها طريقى الهدى والضلال ؛ فهى إذا اختارت لنفسها طريق الهداية اختارته وسلكته بمشيئة الله وإرادته وسابق علمه ، وإذا اختارت لنفسها طريق الضلال اختارته وسلكته أيضا بمشيئته تعالى وإرادته وسابق علمه . وما أحسن ما قاله نبينا صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس ، إنهما نجدان : نجد الخير ونجد الشر ؛ فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير ؟ » ، ويشبه هذا ما قاله الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر : « إن الله أراد بنا شيئا وأراد منا شيئا ، فما أراده بنا طواه عنا ، وما أراده منا أظهره لنا ، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منا ؟ »

وأوضح السبل الموصلة إلى سعادة الأمم هو إصلاحها دينها ؛ فلا يكون فيه حشو أو بدعة ، أو تكليف مما لم يأت به وحى ، ولا خبر صادق . ثم إصلاح بقية المقومات والعوامل التى قلنا إنها هى التى تجذب بضبع الأمم إلى مراقى الكمال والعزة والغلبة. كما أن أقرب الطرق التى تأخذ بالأمم توا إلى هاوية الذلة والمسكنة والدمار والاضمحلال – هو ترك الدين محشواً بالبدع ، وبما لا يرضى الله ورسوله من الآراء والتعاليم والأقوال البين سقطها ، الظاهر غلطها . ومثل ذلك فى الضرر أن نترك كل قديم على قدمه من أوضاع حكوماتنا ، ونظام عائلاتنا ، وأصول التدريس والتأليف فى مدارسنا ومؤلفاتنا ، وسائر مقومات اجتماعنا . وقد تبين فساد ذلك كله وعدم إيصاله إلى مباهج الحياة السعيدة ؛ فإن جميع ذلك سبل ضلال : بسطها الله تحت مواقع أبصارنا ، وبالغ فى تحذيرنا منها فى محكم كتابه ؛ فما علينا إلا التنكب عنها ، والاستعاذة به تعالى منها ؛ فنكون من الفائزين المهتدين إن شاء الله »



طول العمر وقصره :

وجه حضرة الأستاذ عدنان سؤالاً على صفحات الرسالة الغراء بالعدد (٩١٥) بمناسبة مقالى عن (الخمر بين الطب والإسلام) يقول فيه إنه جاء فى هـذا المقال (وإذا اطلعتم على إحصائيات شركات التأمين على الحياة وجدتم أن استعمال الخمر ولو بمقدار متوسط بقصر العمر) ثم يقول كيف يمكن التوفيق بين إحصائيات شركات التأمين على الحياة وقول الله تعالى (وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله كتاباً مؤجلا) وقوله جل شأنه (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)

وقد أوجزت (الرسالة) ردا بليغاً، بقول الله تعالى (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب) وأنا أجيب حضرة السائل فأقول .

ما من شئ فى هذه الحياة الدنيا إلا وقدر بأسباب ، فلم يقدر مجرداً عن سببه ولـكن قدر بسببه . فمتى أتى الإنسان بالسبب وقع المقدور ، ومن لم يأت بالسبب انتفى المقدور وهكذا كما قدر الشبع والرى بالأكل والشرب ، وقدر إنجاب الأولاد بالزواج وقدر حصول الزرع بالبذر، وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه ، وقدر دخول الجنة بالأعمال ودخول النار بالأعمال (كما جاء فى الجواب الشافى لمن سأل عن الدواء الشافى لابن قيم الجوزية) فـكذلك قدر على شارب الخمر من الأزل إتلاف صحته سريعا ثم يقضى فى عمر قصير كتبه الله عليه فى اللوح المحفوظ (وكل شئ أحصيناه كتابا)

أرأيت إلى من بدهسه (ترام) مثلا فيموت هل قصر عمره أم ذاك كان فى كتاب مسجل فى برنامج الوجود؟

أرأيت إلى من يرمى نفسه من حالق فيقضى ، هل قصر عمره أم ذاك أجله وافاه . فالمقتول والمنتحر كل منهما ميت بأجله الذى علم الله وقوعه وسببه وزمانه ومكانه . وكذلك شارب الخمر ميت بأجله الذى قدره الله له ، فـكل الأشياء مرسومة قبل أن يوجد الانسان

إذا لم تـكن الخمر سبباً فى انقاص أجل طويل فلـكل أجل كتاب ، ولـكنها سبب لتقدير أجل قصير قدره الله من الأزل

وقد أخرج مسلم عن جابر أن سراقة بن مالك بن جعشم قال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم العمل أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل؟ قال فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فـكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله)

الدكتور حامد الغوابى

طبيب أول مستشفى رعاية الطفل بالجيزة

رحمة باللاجئين

حينما تناولت القلم لأكتب وقفت طويلا . . حائراً ... قبل أن أبدأ ... لقد تزاحمت على الـكلمات ، وأخذت الألفاظ تترى من كل حدب وصوب كالسيل الجارف . فلم أدر ماذا أكتب وماذا أعمل ؟

وهل تفى الـكلمات بالغرض الذى من أجله تناولت القلم . هل يمكن للحروف المسطرة على القرطاس ... أن تصرخ وأن تصيح وأن تسكب دماء بدل الدمع حينما تحاول أن تصور حالة إخوان لنا إن لم يكن فى اللغة والوطن والدين . فعلى الأقل فى الانسانية

إنهم ليسوا بالأموات ولا هم بالأحياء كذلك؛ أو قل إن شئت إنهم أحياء أموات أو أموات أحياء . وهل أدل على ذلك من أناس يعانون المرض والبرد والجوع والعرى ولا يكونون كما وصفتهم . أنهم إخواننا اللاجئون العرب الفلسطينيون

أهب ياسيدى بقراء الرسالة وذكرهم بما هو البرد وزمهرير الشتاء فى العراء . ذكرهم بالجوع وقل لهم ما هو . ذكرهم بالمرض فى الخلاء من غير مأوى ولا دواء . ناشد ياسيدى إخواننا القراء لـكى يمدوا يد المعونة إلى هؤلاء البائسين المشردين وليرسل كل منهم إلى حضرة صـــاحب السعادة رئيس المجلس الأعلى لاغاثة اللاجئين العرب الفلسطينيين بجمعية الهلال الأحمر المصرى بالقاهرة ما يجود به نفسه من مال أو ملبس أو دواء أو ما يستطيعون وما يفيض عن حاجتهم مهما قل ؛ فإن القليل كثير

ساهم ياسيدى فى هذا العمل الانسانى بنشركم كلتى هذه فإن كلة صغيرة قد تنقذ أرواحاً معذبة قد تكون الآن فى حالة النزع أو ماهو شر من النزع

محمد أمان

الموظف بالمجلس الأعلى لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين العرب

سؤال

ألقى مدرس ثانوى من إخواننا المسيحيين بمدرسة (...) الثانوية بالقاهرة على طلبته بالسنة الأولى السؤال التالى : ألم تقولوا إن الإسلام قد سبق الديمقراطية الحديثة فى احترام الحريات والرأى والاعتقاد ؟ فأجابه تلامذته بجواب المقلد الواثق بنعم . فقال المدرس لماذا إذن يستعمل الاسلام القسوة مع المرتد فيحكم عليه بالاعدام ؟ أليس من حرية الاعتقاد أن يعتنق الشخص أى دين يشاء ؟

وفلسفة الاسلام فى قتل المرتد أعمق غوراً من أن يبلغهما السائل والمسؤول . فالاسلام لم يقتل المرتد لأنه يهودى أو لأنه نصرانى، وليست علة القتل هى اليهودية أوالنصرانية، وإلا لما ترك الاسلام يوم كان يسيطر على الدنيا كتابياواحدا. وهذاغير ماعرف من إكرامه لأهل الكتاب عامة وأهل الذمة خاصة ، ولكنه قتل المرتد لأنه ذو وجهين أو لأنه لا مبدأ له أو لأنه مادام — بإسلامه — قد اكتمل إيمانه بموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام لا يصح أن يعود من جديد فيؤمن بالبعض ويكفر بالبعض الآخر . والقائل أن يقول لم يقتل الاسلام المرتد العكسى أى من اليهودية أو النصرانية إلى الاسلام فأقول له إن إيمانه كان مجزأ فبإسلامه أصبح إيمانه كاملا فليس من الحكمة فى شىء استعمال القسوة معه . ولا إيمان المسلم بمحمد إلا إذا آمن بعيسى قبله

وبعد فليعلم إخواننا المسيحيون المدرسون أن التلاميذ الذين بين أيديهم إنما هم أمانة عندهم فلا يصح بذر الشكوك فى أذهانهم الغضة بمثل هذه الأسئلة التى لا يستطيعون الاجابة عنها فى مثل هذه السن ولا بمثل ماعندهم من العلم

مختار محمد هويدى

بين حافظ ابراهيم وعبد الحميد الزهراوى :

كان حافظ معروفاً بالتدقيق فى انتقاء الألفاظ فإذا حضره معنى من المعانى الشعرية المطوية بذل أقصى الجهد فى وضعه فى قالب فصيح بليغ، وقد يقضى أياما يبحث عن لفظ فصيح تتلقاه الآذان دون استئذان

وأذكر أنه فى مقهى « السبلندد بار » المقابل لحديقة الأزبكية والذى يسمى الآن « مقهى السبت فابر » فى القاهرة كان يجلس أدباء الجيل الماضى فى خلال الحرب الكبرى الأولى وقبلها وبعدها — رأيت فى أحد الآصال حافظا يقبل على جماعة من أولئك الميامين ثم ينشدهم قصيدة من قصائده الغر يخاطب فيها العميد البريطانى وأذكر من أبياتها الأولى :

بنات الشعر بالنفحات جودى	فهذا يوم شاعرك المجيد
أطلى واسفرى ودعيه يجبى	بما توحين أيام الرشيد
إلى من نشتكى عنت الليالى	إلى العباس أم عبد الحميد

ثم يتطرق إلى مخاطبة العميد فيقول :

إذا اشتد الصياح فلا تلمنا	فإن القوم فى جهد جهيد

وعندما بلغ هذا البيت بدت عليه علامات الكآبة فقيل له علام أنت مكتئب يا حافظ؟ فقال والله إنى غير راض عن هذا اللفظ « اشتد » فإنه لفظ سقيم. وقد حاولت عبثا أن أجد لفظا آخر أفضل منه فلم أوفق، فأخذ كل من الحاضرين يبحث عن اللفظ المناسب ومرت دقائق ودقائق والجميع واجمون حتى اندفع الشيخ عبد الحميد الزهراوى الذى كان فى ذلك العهد محررا فى (الجريدة) التى كان يتولى رئاسة تحريرها الفيلسوف أحمد باشا لطفى السيد وقال لحافظ قل « إذا اعلو لى الصياح فلا تلمنا» فتهلل محيا حافظ وقال لعبد الحميد لله درك يا عبد الحميد! والله إن هذا هو اللفظ الذى ما فتئت أبحث عنه فلم أعثر عليه ، وتقدم إلى الشيخ وقبله. رحم الله أولئك الأبطال !

طرابلس الغرب

خليل الخورى

القاضى فى المحاكم الليبية



حب فى الشتاء

قصة للكاتب الروسى أنطون تشيكوف

للاستاذ محمد فتحى عبد الوهاب

كان ذلك اليوم من أيام الشتاء المشرقة ... والصقيع ينقصف فى حدة ، وقد كسا الجليد اللجينى خصلات شعر نادنكا المهدلة على جبينها وحافة شفتها العليا

وكانت ممسكة بذراعى ونحن واقفان على تل مرتفع ، وقد امتد تحتنا المنحدر الأملس ، تنعكس عليه أشعة الشمس كما لو أنه مرآة ، وبجوارنا زاحفة مغطاة بقماش أحمر براق

وقلت لها راجيا « فلنزلق يا نادينزدا بتروفنا ! مرة واحدة فحسب ! أؤكد لك أنك ستكونين بخير ولن تصابى بسوء »

بيد أن نادنكا ظلت مرتاعة ، فقد كان يبدو لها المنحدر من موقع قدميها حتى سفح التل الثلجى وكأنه هوة مهولة عميقة الغور . وخانتها شجاعتها ، وبهرت أنفاسها كلما حدقت إلى أسفل ، فى الوقت الذى كنت أقترح عليها مجرد ركوبها الزاحفة . إذن ماذا يكون حالها إذا ما جازفت بالاندفاع إلى الهاوية ؟ فلعلها تهلك أو لربما تفقد وعيها

وقلت « أرجوك ! لا تخافى ! إنها شجاعة واهنة منك ! إنه خور وضعف ! »

وأخيراً أذعنت دونكا ... ولاحظت من ملامحها أنها قد رضخت وهى فى حالة من الخوف المميت . وأجلستها على الزاحفة شاحبة مرتجفة ، وأحطتها بذراعى . ثم دفعت بى وبها إلى أسفل الهاوية

واندفعت الزاحفة وكأنها القذيفة . ولطم الهواء وجهينا مزمجرا ، وهدر فى آذاننا يتمزق حولنا ، ويقرصنا غاضبا فى قسوة ، محاولا أن ينتزع رأسينا من أكتافنا . وتعذر علينا التنفس من ضغط الريح

كان يبدو كما لو أن الشيطان ذاته قد أمسكنا بمخالبه ، يسحبنا إلى الجحيم فى هدير . واستحال كل ما يحيط بنا خطا واحداً متماسكا ممتدا يسابقنا سباقا هائلا ... وخيل إلينا فى لحظة كما لو أننا فى طريق الردى

وهتفت قائلا فى همس « إنى أحبك يا ناديا ! »

ثم أخذت الزاحفة تقل سرعتها رويداً رويدا ، ولم نعد نخشى هدير الريح . وسهل علينا التنفس . ثم إذا بنا فى سفح الهضبة

كانت نادنكا فى حالة سيئة ، شاحبة الوجه ، تتنفس فى صعوبة ... وساعدتها على النهوض

وأخيراً قالت وهى ترنو إلى بعينين واسعتين مفعمتين رعبا « ما من أحد فى العالم يدفعنى بعد ذلك إلى إعادة الكرة . لقد كدت أهلك ! »

وإن هى إلا لحظة حتى استعادت رباطة جأشها ، ثم تطلعت فى عينى متسائلة ، وقد لاح على محياها دلائل العجب : هل أنا تفوهت حقا بهذه الكلمات الثلاث ؟ أم كان ذلك وليد مخيلتها وسط زئير العاصفة ؟ وكنت واقفا بجوارها أدخن وأنا غارق فى تأمل قفازى

وأخذت بيدى ، ثم قضينا وقتاً طويلا نتجاذب أطراف الحديث على مقربة من التل الثلجى . وكان من الجلى أن اللغز لا يدع لها فترة للراحة ... هل تفوهت بتلك الكلمات أو لم أتفوه ؟ ... نعم أولا ؟ ... نعم أولا ؟ إنها مسألة كبرياء ، شرف ، حياة — إنها شىء ذو أهمية كبرى ، أهم مسألة فى العالم

وظلت نادنكا تتأمل وجهى فى حزن واضح ، وتخترق نظراتها النفاذة ملامحى فى صبر نافذ ، وتجيب على أسئلتى كيفما تمن لها الإجابة . أواه ، يالها من مشاعر تتلاعب على صفحة ذلك الوجه الجميل ! شاهدت أنها تناضل مع نفسها ، وتود أن تفضى بشىء ، وتريد أن تسأل سؤالا ، دون أن تجد ما يسعفها من كلمات . تستشعر الارتباك والخوف والاضطراب ....

وأخيراً قالت دون أن تنظر إلى « أتعرف ماذا ؟ »

قلت « ماذا ؟ »

قالت « دعنا نتزلق مرة أخرى ! »

* * *

وتسلقنا الهضبة الثلجية . وجلست نادنكا فى الزاحفة شاحبة مرتجفة . ومرة أخرى اندفعنا شطر الهوة المخيفة . وزأرت الريح . ومرة أخرى همست والزاحفة تشق طريقها فى سرعة مخيفة « إنى أحبك يانادبا ! »

وعندما توقفت الزاحفة عن المسير ألقت نادنكا نظرة على الهضبة حيث انزلقنا ، ثم حدجتنى بنظرة طويلة ، تستمع إلى وأنا أتكلم فى هدوء وبرود ، ويعرب كل جزء من جسمها الصغير ، حتى الفراء التى كانت تغطى به يديها ، حتى غطاء رأسها ، عن منتهى الحيرة ، وكأنما قد سطر على وجهها « ماذا يعنى ذلك ؟ من الذى تفوه بتلك الكلمات ؟ أنطق بها هو أو أنى تخيلت ذلك فحسب ؟ »

وأصبح الشك يضايقها ويقصيها عن كل صبر . ولم تعد الفتاة المسكينة تجيب على أسئلتى ، بل صمتت فى غضب وكأنها على وشك البكاء

وأخيراً سألتها « أليس من المستحسن أن نعود إلى الدار ؟ »

فقالت فى خفر « حسن . أنا ... إنى أحب هذه الرياضة . ألا تود أن تنزلق مرة أخرى ؟ »

إنها تحب « هذه الرياضة » ! ومع ذلك ، فعندما امتطت الزاحفة ، أصبحت - كما كانت فى المرتين السابقتين - شاحبة الوجه مرتجفة ، تلهث رعباً

وانحدرنا للمرة الثالثة . ولاحظت أنها تحدق فى وجهى وتراقب شفتى . ولكنى وضعت منديلى على فمى وسعلت . وعندما بلغنا منتصف الهضبة ، نجحت فى التفوه قائلا « إنى أحبك يانادبا ! »

وظل السر غامضا ! كانت نادنكا صامتة ، تنعم النظر فى . . لاشىء . . وأوصلتها إلى دارها . كانت تسير الهوينى ، وتحاول أن تقصر من خطواتها ، إلى أن تتحقق من أنى تفوهت بهذه الكلمات . ولاحظت كيف كانت روحها تتعذب ، وأى مجهود كانت تقوم به وهى تحدث نفسها قائلة « لايمكن أن تكون الريح قد تفوهت بهذه الكلمة ! إنى لا أود أن تكون هى السبب ! »

وفى صباح اليوم التالى تسلمت رقعة منها تقول فيها « إذا كنت تود التريض اليوم ، فاحضر إلى »

ومنذ ذلك الوقت أخذت أذهب يوميا للانزلاق مع نادنكا ، وكلما نزلنا بالزاحفة أهمس قائلا « إنى أحبك يانادبا »

* * *

وسرعان ما اعتادت نادنكا هذه العبارة كما يعتاد المرء الخمر والمخدر ، وأصبحت لا تستطيع العيش بدونها . وفى الحق ، كان الانزلاق من التل الثلجى يرعبها دائما بيد أن الإحساس المخيف والشعور بالخطر قد ولدا لها سحراً غريبا من كلمات الحب - كلمات كانت لا تزال لغزا يعذب روحها . وكنا - أنا والريح - لازلنا موضع شكها . . فقد كانت تجهل من منا الذى يغازلها . بيد أنه كان يبدو الآن أنها لم تعد تأبه بذلك أوتهتم . فشارب الخمر لايعبأ من أى دن يستقى مادام أن مايحتسيه يثمله

ولقد حدث ظهر يوم أن ذهبت وحيدا إلى أرض الانزلاق واختلطت بالموجودين ، فشاهدت نادنكا تصعد الهضبة وتنظر باحثة عنى . . وكان يبدو عليها الخوف من الذهاب وحدها - أوه أى خوف ! لقد كانت ناصعة البياض كالثلج ، ترتجف وكأنها فى طريقها إلى المقصلة . بيد أنها واصلت التسلق فى عزم دون أن تلتفت خلفها . وكان من الجلى أنها صممت أن تتبين وحدها فيما إذا كانت ستستمع إلى تلك الكلمات العجيبة فى أثناء غيابى وشاهدتها شاحبة الوجه منفرجة الشفتين ، تعتلى الزاحفة وتغمض عينيها ، ثم تندفع بها وكأنها تودع الأرض إلى الأبد

ولست أدرى هل سمعت نادنكا تلك الكلمات . كل ما أدريه أنى شاهدتها تنهض من الزاحفة وقد بدت متخاذلة منهوكة . ولم يبد على محياها ما ينبىء : أكانت قد سمعت شيئا أو لم تسمع . فقد كان خوفها وهى تنحدر قد جردها من حاسة السمع أو تمييز الأصوات . فلم تؤد بها محاولاتها الجبارة إلى حل ذلك اللغز اللطيف . . ولم تحاول مرة أخرى

ثم أقبل شهر مارس ... وكانت أشعة شمس الربيع أكثر حنانا وشفقة . . وتحولت هضبتنا الثلجية إلى لون قاتم ، وفقدت بهاءها . وأخيرا ذاب الثلج وهجرنا الانزلاق : ولم يعد هناك ثمة موضع تستطيع فيه المسكينة نادنكا أن تستمع إلى تلك

الـكلمات وفى الحق ، لا يوجـد هنـاك من يتفوه بها الآن ، فالربع قـد وات ، وكنت أنا الآخر على أهبـة الرحيل قاصـدا بطرسبرج لأقيم فيها مدة طويلة بل لعلها تكون إقامة مستمرة

وحدث قبل رحيلي بيومين أن كنت جالسا يغمرنى الظلام فى الحـديقة الصغيرة التى يفصل بينها وبين فنـاء نادنكا حاجز مرتفع ... كان الجو لايزال باردا ، ولم يعـد هناك جليد . وبدت الأشجار وكأنما قد فارقتها الحياة . بيد أن رائحة الربيع كانت تضوع في كل مكان ، والغربان تنعب فى صوت جهورى أثناء استقرارها فى عشها . وذهبت إلى الحاجز ، ووقفت مدة طويلة أتبصص خلال فرجة بالحاجز . وفجأة شعرت بالوحشة تنتابنى . وبدافع يدفعنى إلى العدول عن الرحيل

ثم شاهدت نادنكا تقبل نحو الطنف ، وتحدج السماء بنظرة حزينة والهة . كان النسيم يهب على وجهها الشاحب فيذكرها بالريح التى كانت تزأر فى وجهينا فوق الهضبة الثلجية عندما كانت تستمع إلى تلك الـكلمات الثلاث . وكسا وجهها حزن بالغ وانحدرت الدموع على خـدها ، ومدت الطفلة المسكينة ذراعيها كما لو أنها تتوسل إلى النسيم أن يأتى لها بتلك الـكلمات وفى هذه اللحظة همست قائلا « إنى أحبك ياناديا ! »

يالرحمة الله ! أى تغير ذلك الذى طرأ على نادنكا ! لقد ندت عنها صرخة ، ثم ابتسمت ابتسامة أشرقت على وجهها ، وبدت تغمرها البهجة والسعادة والجمال . وجعلت تستقبل النسيم بذراعيها

وذهبت أحزم أمتعتى ...

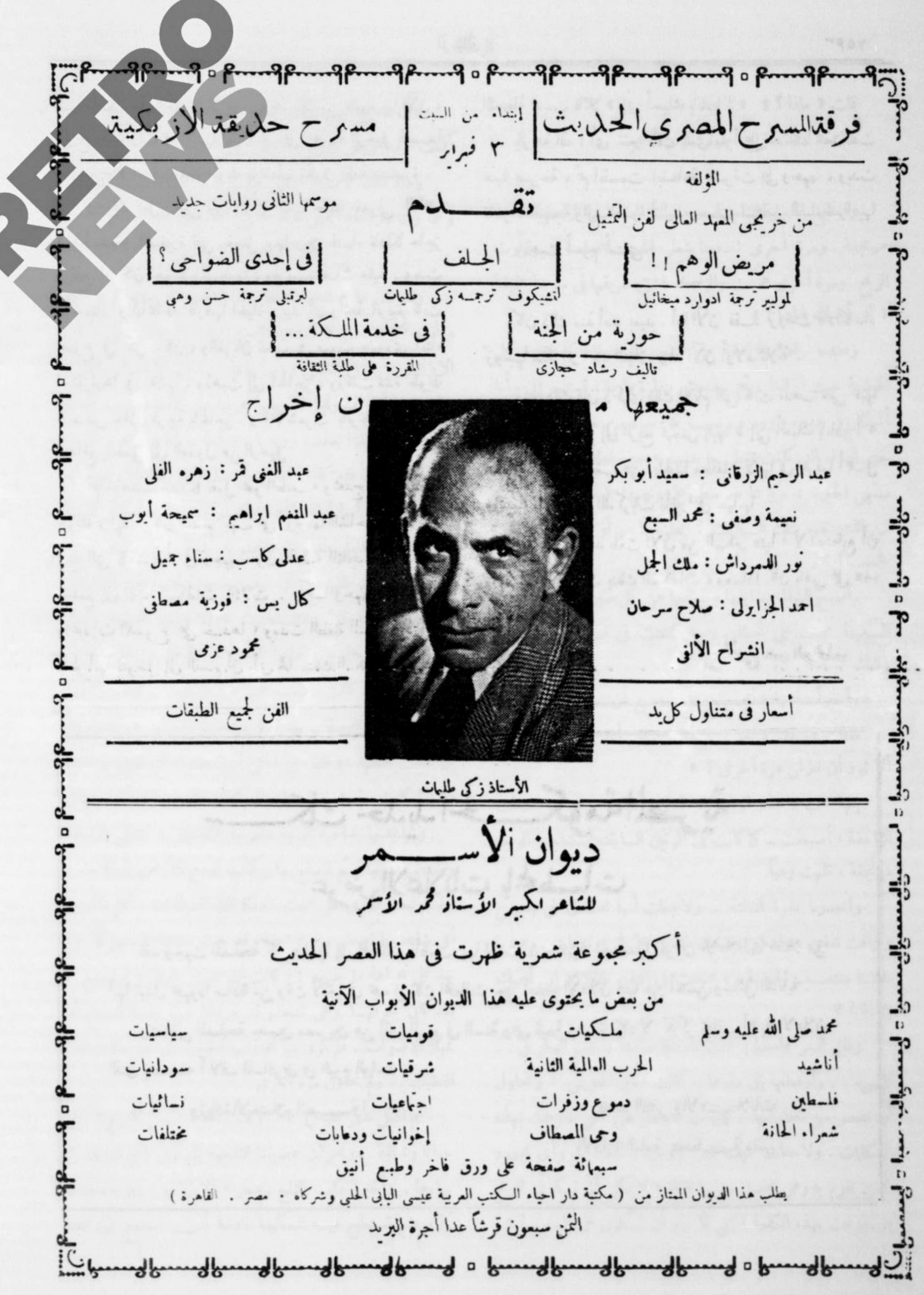
* * *

كان ذلك منذ أمد بعيد . أما الآن فقـد تزوجت نادنكا . . تزوجها سكرتير أحد النبلاء ولها الآن أولاد ثلاثة . .

ومع ذلك فإن ذكرى تلك الأيام التى كانت تذهب معى فيها للانزلاق، فتستمع إلى الريح تهمس إليها « إنى أحبك ياناديا ! » هذه الذكرى لم تغب عن بالهـا مطلقا ، لأنها فى عرفها أجـل وأسعد بل أكثر الذكريات تأثيرا فى حياتها ...

بيد أنى ، وقد بلغت الآن من الـكبر عتيا ، لا أستطيع أن أفهم لماذا تفوهت بتلك الـكلمات ، ومـاذا كان باعثى على هذه المزحة !؟

محمد فتحى عبد الوهاب



الأستاذ زكى طليمات

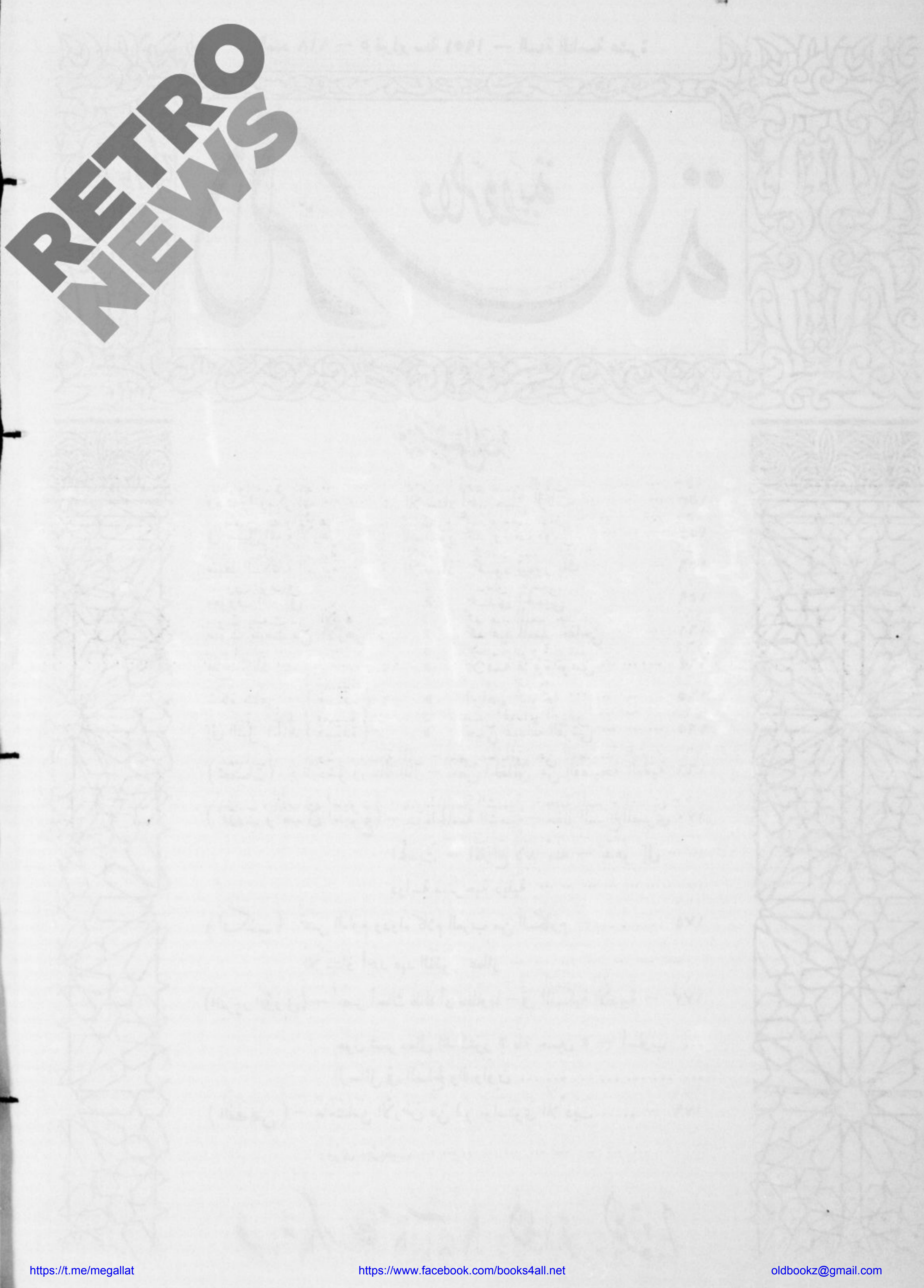


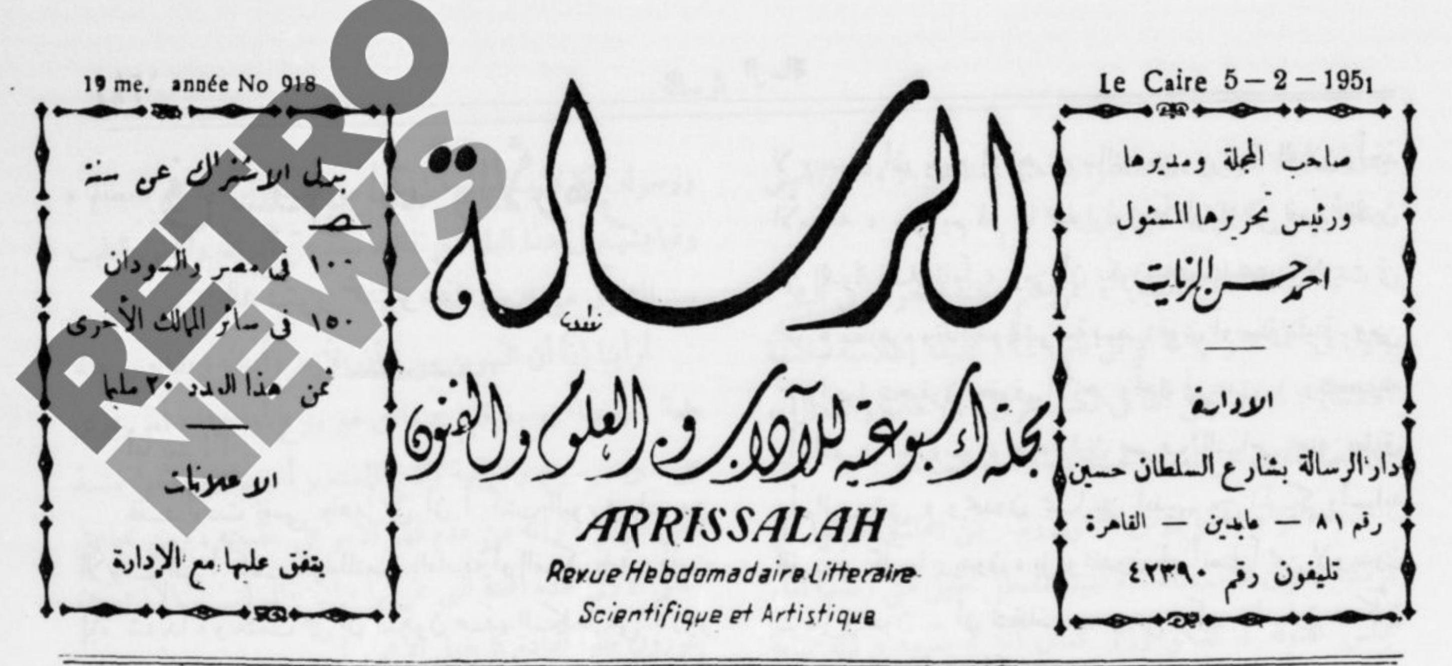
العدد ٩١٨ — ٥ فبراير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





العدد ٩١٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ ربيع الآخر سنة ١٣٧٠ — ٥ فبراير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

ومكروا ومكر الله!

قلنا في كلمة سبقت إن فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم هو المصلح الذي يرجوه الأزهر وينتظره؛ لأن الله جمع فيه من المواهب والمكاسب مالا بد منه لكل مصلح؛ فهو أزهري مكتمل الأزهرية في دينه وخلقه وعلمه؛ وهو سلفي معتدل السلفية في عقيدته وطريقته وفهمه؛ وهو تقدمي متئد التقدمية في اجتهاده وإصلاحه وحكمه. ورجل بهذا الدين وفي هذا الخلق وعلى هذا العلم جدير بأن تناط به الآمال في إنهاض الإسلام وإصلاح الأزهر؛ لأنه بفضل دينه لا يؤتى من قبل نفسه، وبفضل علمه لا يؤتى من قبل قومه، وبفضل خلقه لا يؤتى من قبل سلطانه.

فلما ألقيت إليه مقاليد الأزهر وأخذ ينهج الطريق إلى الإصلاح فجمع الأهب وحشد القوى، وأعلن الدعوة، هبت في أول السير ريح من الخلاف تحمل بالإضراب والاعتصاب، مطالب للأساتذة والطلاب، فقلنا أول الأمر إنها الفتنة التي تفرق الرأي وتعوق الإصلاح وتعصف بالأزهر! وسمعنا أن فريقا من الذين في قلوبهم مرض وفي رءوسهم غرض يحملون الحطب لهذه النار، ويوزعون الأبواق لهذه الفتنة. فسكتنا على مضض، وارتقبنا على خوف، وقلنا ما قال عبد المطلب في أصحاب الفيل:

لا هم إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك

ولكن الله الذي تكفل بنصرة جنده وغلبة حزبه، نفى الخبث وماز الغش فانجلت صيحة الأزهريين عن خالص الحق وصريح العدل، فاستمع لها الأستاذ الأكبر وجعلها نقطة البدء في إصلاحه، وعدة العمل في جهاده، ووقف من مطالب العلماء موقفه العظيم الذي لم يقفه أحد قبله: أيدها لأنها من رأيه، وتبناها لأنها من منهجه، وجاهد الحكومة عليها لأنها من حقه. لذلك اجتمعت حوله القلوب، وتلاقت عنده الأهواء، ووقف الخناس خزيان يعض على يديه ويقول: طلبت الفوضى فجاء النظام، وأردت الفرقة فكانت الجماعة!

ماذا يطلبه أساتذة الأزهر؟ يطلبون المساواة بينهم وبين نظرائهم من أساتذة المعارف. ومن ذا ينكر المساواة بين النظير والنظير في الحق إذا تساويا في الواجب؟ الحكومة!

نعم الحكومة التي جعلت للأزهر نصيباً من وعودها في خطاب العرش؛ وضمنت لشيخ الأزهر قسطاً من جهودها لإصلاح الأزهر؛ وعانقت الشيخ عبد المجيد يوم هنأته ووعدته بتأييدها في هذا الإصلاح! ثم انتظر الشيخ أن تنجز الوعود، وتبذل الجهود، فإذا هي تتخلى عنه، وتتنكر له، وتمين عليه، وتنفر منه، حتى يطلب العون فلا يجده، ويسأل العدل فلا يعطاه! وتأخذنا صيحة الإنكار من كل مكان فتجعل أذناً من طين وأخرى من عجين!

إذا رمتمو قتلي وأنتم أحبتي   فماذا الذي أخشى إذا كنتمو عدى

احمد حسن الزيات

في سبيل الله والأزهر

للدكتور محمد يوسف موسى

أما بعد ! !

فقد أردت نفسي جاهداً على أن أكتب اليوم في باب من الأبواب التي أكتب فيها المتصلة بالفلسفة أو الفكر عامة ، فأبت إباء شديداً ، وحتمت على أن تكون هذه الكلمة عن الأزهر خاصة . ولا عجب ! فلئن كان الأزهر في كل أدوار تاريخه الطويل الحافل ملء الزمان ، فهو هذه الأيام ملء الزمان والأسماع حتى استرعى انتباه البلد كله ، وأفردت له الصحافة الكريمة مكانا كبيراً ، فنحن لا نعيش هذه الأيام إلا له ولا نفكر إلا فيه

يتساءل كثير من الناس ممن لم يتبطنوا الأمر ولم يفقهوا ما يراد بالأزهر ، عن السر في ثورة الأزهريين جميعا طلابا ومدرسين وأساتذة ، هذه الثورة الهادئة الجادة الحازمة ، وكيف أصبحوا يطلبون مطالب مادية كما يطلب الغير ، وقد عهدوهم زهاداً في الدنيا حين يتكالب غيرهم عليها ؟ ولهؤلاء المتسائلين على هذا النحو أتوجه بهذه الكلمة

ما كان الأزهر في يوم من الأيام طالب دنيا ، ولكنه صاحب رسالة يحرص على أدائها ويرجو أن يعان عليها ، بل ألا يحال بينه وبينها . وهذه الرسالة في حفظ كتاب الله وحراسة شريعته ، وإذاعة التعاليم الإسلامية في مصر وغير مصر من أقطار الأمة الإسلامية ، والعمل على أن يكون هذا الكتاب الكريم وتلك الشريعة السمحة هما الفيصل في البلاد الإسلامية في نواحي التشريع والأخلاق والتقاليد

وهذه الرسالة ، على خطرها وجلالتها وثقل ما تقتضيه من تبعات ، قام بها الأزهر فيما مضى من تاريخه الطويل ، وعرفت له الأمة الإسلامية عظم الدور الذي يقوم به ، فأحلته المحل اللائق ورفعته مكانا عليا . أما اليوم فقد وضح ، حتى لمن كان أعمى أو لمن لا يحب أن يتعمق الأمور ويرد النتائج إلى مقدماتها وأسبابها الأولى ، أن القائمين على شؤون مصر في هذه السنوات لا يريدون أن يقوم الأزهر برسالته من حراسة الدين وأخذ الأمة به ، حتى يتم لهم ما عملوا له زمناً طويلا من فصل الدين عن الدولة فصلا تاماً ، ومن أن يكون مجتمعنا مجتمعا لا يمت في مجموع مظاهره وتقاليده للشريعة بسبب قوي أو صلة متينة . ومن ثم راحوا يتحيفون حقوق الأزهر وأهله في عنت ، ويتحدونه وأبناءه في جبروت ، ويحاولون صرف الناس عنه بطرق وأساليب شتى ، ويجدون مما بين أيديهم من الحكم وأسبابه القوية في كل ما يريدون ، بل ويجدون لهم أنصاراً ممن لا يريدون - فيما يزعمون - أن تتخلف مصر عن ركب الحضارة ، كأن الإسلام الذي أوجد أكبر حضارة عرفها الإنسان أصبح حجر عثرة في سبيلها هذه الأيام !

هذا ، وإنا نعتقد أن الحالة أو المحنة التي يمر بها الأزهر الآن ، وسيخرج منها بفضل الله ، وقد نفى عن نفسه الخبث وذاد عن عينه النوم الثقيل البغيض ، هي نتيجة لسياسة وضع أسسها المستعمر منذ قرابة قرن من الزمان

إن الاستعمار على ضروب مختلفة لكل منها وسائله ، ولكن مهما يختلف المستعمرون في طرقهم وأساليبهم ، فإنهم يتفقون على وجوب القضاء على قومية البلد المستعمر ، وهذه القومية تقوم على الدين واللغة والتقاليد . وهذه الغاية قد يسير إليها المستعمر في عجلة وعنفوان كما فعلت فرنسا في الجزائر ، أو في هون وتؤدة كما حاولت إنجلترا في مصر ونجحت فيه نجاحاً غير قليل

لقد بدأ الأمر عندنا منذ زمن طويل بالتهوين من شأن الدين واللغة ، وتحيف حقوق القائمين بهما ، وجعلهم لدى الأمة في منزلة أدنى من نظرائهم في الثقافة والعمل والخدمات العامة للأمة ؛ ومن ثم كان خريجو دار العلوم دون خريجي مدرسة المعلمين العليا منزلة وراتبا مع اشتراكهما في العمل في المدرسة الواحدة ؛ وكان القضاة الشرعيون . ولا يزالون . دون القضاة الأهليين في الرتبة المادية والأدبية ، مع الاستواء في الحكم بين الناس ، وما لذلك من تبعات جسام ؛ وكان خريجو الأزهر في منزلة أدنى من هؤلاء جميعا

ثم انقضى الاستعمار بحمد الله . ولكن بقي - لا أقول أذنابا وصنائع - من يخدمون بعض ما كان له من غايات من حيث

يدرون أو لا يدرون ، فاحتطبوا فى حبله زمنا طويلا ، حتى انتهى بنا الأمر إلى كثير مما كان يريد

ها هو ذا أحد المسلمين ، ممن لهم مكانة ملحوظة فى البلد ، يقول فى كلمة نشرتها له أوائل عام ١٩٤٩ صحيفة إسلامية واسعة الانتشار : « ولا يخفى أننا فى مصر نجرى ، فى حكمة واعتدال ، على فصل الدين عن أمور الحكم وخلافات السياسة »

وها هو ذا آخر درس القانون وصار من المحامين ، يقول فى عريضة دعوى الآنسة المحامية أمينة مصطفى خليل التى رفعتها أمام مجلس الدولة ، تشكو وزير العدل أنه لم يعينها وكيلة نيابة أو محامية بقلم قضايا الحكومة بعد أن استشار فى الأمر رجال الدين ، يقول كما جاء بمجلة أخبار اليوم فى العدد الصادر بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٩٥٠ : « وقد أخطأت وزارة العدل السبيل حين توجهت إلى رجال الدين تستفتيهم فى مسألة اجتماعية لا تتعلق بالدين - كما لو كانت مسألة ولاية المرأة القضاء أو شيئا منه أمراً لا يتعلق بالدين والشريعة الإسلامية ! - فى كثير أو قليل . فكان حقا عليها ، حتى لا تتخلف عن السير فى ركب الحضارة ، أن تسائل نفسها : هل تقوم فى مصر حكومة دينية ؟ وهل الحكومة القائمة تطبق المبادئ الشرعية حقا وصدقا ؟ أو هل يعيش المصريون فى مجتمع شرعى تطبق فيه أحكام الدين الحنيف ؟ فإذا كانت الإجابة عن هذه الأسئلة بالسلب ، حق على وزارة العدل أن تتورع عن الزج بالدين فى الأمور الاجتماعية البحتة » ، إلى آخر ما قال ! ونحن نعتقد مع محامى المدعية أن الإجابة عن هذه الأسئلة كلها هى بالسلب ، وهذا ما يكشف لنا عما وصل إليه من النجاح أنصار إقصاء الدين عن الدولة والمجتمع نفسه . وهم مع هذا يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، متجاهلين قوله تعالى فى سورة المائدة : « أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ! » مع أن الحافظ ابن كثير ، وهو من أجل علماء الإسلام ، يقول فى أثناء تفسيره لهذه الآية : « فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله »

وأخيراً ، من باب التمثيل لا من باب الاستقصاء ، نرى الأزهر زاد عن القوامة على الشريعة الاسلامية فيما يفرض على البلاد من قوانين ترجع إلى كثير من المصادر ما عدا شريعة الله ورسوله ! كما لا يسمع له فيما نعانى من مفسكرات وآثام ومظالم ، وفيما يشيع فى هذا البلد من تقاليد تبعد عن أمر الله والخلق الطيب بعد المشرق عن المغرب !

أرأينا إذاً أن التهوين من شأن الأزهر وأبنائه وعلمائه ورجاله عامة ، وانتقاص حقوقهم جميعا فى غير ورع أو حياء ، أمر يجرى على سنن مرسوم وسياسة وضع المستعمر أسسها ووسائلها منذ زمن طويل ! وأنه من عدم فهم الأمر على حقيقته ، ومن تجاهل العلل الأولى لهذه المحنة التى تمر بها ، أن يقال إن الأزهريين يثورون طلبا للمادة كما يفعل الأغيار !

ألا إن الأمر أخطر من هذا كله كما رأينا ، ألا وإن من يؤمن بالله ودينه ، والرسول وشرعته ، والأزهر ورسالته ، طلابا وأساتذة ورؤساء ، ليس له أن يتزحزح خطوة واحدة عن هذا الموقف الذى نقفه الآن جميعا فى سبيل الله والأزهر ، وإلا كان فارا من الزحف وباء بسخط من الله ورسوله والمسلمين جميعا

إن الأمر ، أيها الناس ، لا يعدو إحدى اثنتين : إما ألا تكون مصر والعالم الإسلامى كله فى غير حاجة للأزهر ، أو تكون فى حاجة ماسة له ، فإن كانت الأولى فليغلق الأزهر ، ولينفق ما يرصد له فى الميزانية ، على غيره من مرافق البلد ، وليريحونا من هذه الحياة التى لا يرضاها حر أبى كريم . . إن كانت الأخرى ، وهذا ما نعتقده صحيحا ، فعلى الدولة أن تعرف للأزهر وأبنائه منزلتهم ، وأن توفر لهم الحياة الكريمة كفاء ما يقومون به من رسالة وما عليهم من تبعات ، وعلى الأمة الإسلامية كلها أن تطالب الدولة بذلك كله فى جد وإلحاح من يوقن أنه يطالب بحقه . فأقول : « على الأمة الإسلامية » ، لأن الأزهر وإن كان فى مصر ، ليس ملكا لمصر وحدها ، ولكنه لأمة الإسلام جميعا ، والأمر فى هذا لا يحتاج لدليل أو توضيح

وليس لأحد ممن بيدهم الأمر أن يتعلل لمحدثيه بعدم إمكان الميزانية العامة للدولة ، وإلا ، فكيف تتسع هذه الميزانية للاغداق على جمع من الطوائف ، بل وللاغداق على فرق التمثيل والرقص نستقدمها من أوربا للترفيه عن الأغنياء المترفين !

هذا ، ونقول أخيرا ما قاله فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين مخلوف عضو « جماعة كبار العلماء » فى حديثه لدى فضيلة

أستاذنا الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، إن المسألة ليست اليوم مسألة مطالب عادلة فحسب ، وإنما هي مع ذلك مسألة كرامة وعزة . ويجب أن يكون للأزهر قيمته ومنزلته التي عرفها التاريخ وعرفها العالم الإسلامي ، فيعترف له بحقوقه ، ويقدر أهله وما يؤدون للبلاد من خدمات التقدير اللائق وإننا ، ثقة بلفتات جلالة المليك التي شملت الأزهر في كل شؤونه بمزيد من العطف والرعاية ، لنرجو أن يكشف الله بها هذه الغمة ، ويزيل بها هذه المحنة . ونقول نحن أيضا : أحبب بهذه محنة جملت الأزهريين ، طلابا ورؤساء ومرءوسين ، جسما واحدا ورجلا واحدا في سبيل الله ودينه ، ورسوله وشريعته ، والأزهر ورسالته . والله المستعان

الدكتور محمد يوسف موسى
أستاذ بكلية أصول الدين

ضبط الكتابة العربية

بحث قدم الى مؤتمر المجمع اللغوى

الأستاذ محمود تيمور بك
عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

ما كاد يبدأ عهد التدوين العربي في عصر الدولة الأموية حتى تبين أن هذه الحروف العربية وحدها ليست مغنية في ضبط الكلام . ولذلك أخذ الأمويون في ابتكار علامات للضبط توضع على الحروف ، نفيا للخطأ ، ورفعا للبس . هذا والأمة العربية في جملتها يومئذ مستقيمة الألسن ، صافية السلائق ، فصيحة اللهجات

ولقد بلغ من شعور الأقدمين بضرورة الضبط أنهم لم يكونوا يقتصرون على وضع العلامات المقررة ، بل لقد كانوا يلجأون إلى التعبير في المواضع المهمة للكلمات التي يخشون عليها الالتباس . فيكتبون مثلا أن الكلمة بفتح الحرف الأول وسكون الثاني وضم الثالث وكسر الرابع . وما بهم على ذلك إلا خوف التصحيف والتحريف ، بل لعلهم خشوا أن تذهب علامات الضبط ، أو أن يستثقل النساخ نقلها ، فأرادوا تسجيلها بالتعبير . وليس أبلغ دليلا عن هذا على رهافة شعورهم بنقص الحروف العربية وحدها في الأداء ، وبقيام الحاجة إلى ضبط الكلمات ضبطا لا لبس فيه

فأما نحن فإننا في مستهل نهضتنا الحديثة ، حين بدأنا نتخذ الطباعة وسيلة للتدوين ، اكتفينا بالحروف العربية عارية عن علامات الضبط للكلام

فهل مبعث ذلك أننا عددنا أنفسنا عربا أقوى سلائق من العرب الخلص في العصر الأموي ، وأقدر منهم على قراءة ما يكتب بالحروف العربية غير مضبوطة ؟

كلا ، فإنه لا خلاف على أن قراءة الكلام غير المضبوط قراءة صحيحة ، أمر يتعذر على المثقفين عامة . بل إن المختصين في اللغة الواقفين حياتهم على دراستها ، لا يستطيعون ذلك إلا باطراد اليقظة ، ومتابعة الملاحظة . وإن أحداً منهم إذا حرص على ألا يخطىء ، لا يتسنى له ذلك إلا بمزيد من التأني ، وإرهاف الذاكرة ، وإجهاد الأعصاب

لم يكن مبعث اقتصارنا في الطباعة على الحروف العربية دون ضبط أننا وجدنا فيها غنية وكفاية ، وإنما كان مبعثه أن أوضاع الكتابة العربية يصعب معها إدخال علامات الضبط في المطابع ، فلم يتح لهذه العلامات أن تأخذ مكانها على الحروف المطبعية إلا في أحوال قليلة ، وضرورات خاصة

وكان في مقدمة هذه الضرورات والأحوال بعض الكتب المدرسية الخاصة بمواد اللغة العربية ، مثل كتب النحو والمطالعة ، فطبعت مشكولة لاستعمالها في المدارس ، ولكن كان لذلك أثر سيئ ، فقد أشاع بين المثقفين شعوراً نفسيا نحو هذا الشكل ، شعور استعلاء عليه ، وأنفة منه ؛ إذ توهم الكبار أن الضبط لا يكون إلا للصغار ، وأنه للتلامذة دون الأساتذة ، وأن الكتب المدرسية هي وحدها التي تظهر مشكولة ، وعار أن تضبط الكتب التي توضع بين أيدي المثقفين الذين فارقوا مراحل التعليم . فمن قدم لمثقف كتاباً مضبوطا فقد أساء الظن به ، وعزا إليه تهمة الجهل بأوضاع اللغة ، وقواعد النحو والصرف

وجلي أن هذا الشعور النفسي نحو الشكل شعور وهمي لا أساس له ، ولا حق فيه ؛ فهو لون من ألوان الغرور يتواضع عليه الناس . وأولئك هم الناطقون باللغات الأجنبية من فرنسية

وإنجليزية وطليانية وغيرها ، لا يكتبون كلامهم إلا مضبوطا أتم ضبط ، ولغاتهم على وجه عام لغات كلام وكتابة معا ، فهم بها أبصر ، وهي عليهم أيسر ، وسلائقهم فيها أدعى إلى الاستغناء عن الضبط إن أرادوا أن يستغنوا عنه . ولكنهم يلتزمون الضبط فيما يكتبونه ، لا يعولون على علمهم باللغة ، ومرانتهم على القواعد ، وانسياق ألسنتهم إلى الصواب

فأول ما يجب أن نؤمن به ، هو أن كتابتنا العربية غير المضبوطة ، كتابة ناقصة ، وأننا نعبر بها عن غرور نفسي ، وأن هذا الغرور يخفي بين ثناياه عجز الغالب منا على القراءة الصحيحة، وفقاً لقواعد اللغة وأوضاعها . فنحن بهذه الكتابة الناقصة نرضي غرورنا ، وإن كنا في حقيقة أمرنا نخطئ فيما نقرأ غير مبالين

ولا غرو في أن يعجز العامة عن القراءة الصحيحة ، وأن يجد الخاصة فيها صعوبة وحرجا ، فقد ذهبت عن العرب سلائقها الفصيحة منذ عهود وآماد ، وأصبحت اللغة تؤخذ تلقينا ، وتكتسب تمرينا . إذ استقرت لنا لهجة عامية يجري بها على ألسنتنا مألوف الكلام ، وهذه اللهجة تجانب لغة الكتابة الفصحى في خصائصها الواضحة ، أعني الإعراب وما إليه مما يقتضيه الاشتقاق وتصريف الألفاظ والصيغ . فأصبحنا إذا أردنا أن ننطق بما نكتب ، عانينا أن نعربه وأن نقوم تصريفه معاناة لا تخلو من تكلف ، ولا تسلم من تعثر . ولذلك نجد المدرس في مدرسته ، والمحاضر على منصته ، والمتحدث أمام المذياع ، يستنجدون مضطرين بالوقف ، ويعتضمون ببعض الصيغ ، فراراً من كلفة الإعراب ، واتقاء للخطإ في تصريف الألفاظ

وقد أدت هذه المصاعب التي يضيق بها الناطقون بالفصحى ، أو الحرصاء على النطق بها ، إلى المناداة بترك الإعراب ، واللجوء إلى الوقف . على أن الأخذ بهذه الدعوة لا يرفع جملة ما هنالك من مصاعب ، فمن وراء الإعراب ضبط بنية الكلمة ، في أوائلها وأوساطها ، مما تقتضيه قواعد الصرف ، وسماع اللغة . فإذا نودي بأن ننفض عن اللغة إعرابها وصرفها وضوابط كلماتها جميعا ، فلا تسمية لذلك إلا أنه « انحلال لغوي » ، إذ هو يفقد اللغة مقومات من جوهرها الأصيل

حقا لقد شاعت في البلاد العربية بيئة ثقافية لها لغتها الفصحى ، وحقا إن هذه البيئة لها منبعان فياضان من المقروء والمسموع . ولكن هذين المنبعين لم يغنيا أهل العربية شيئا في صحة القراءة ، فإن المقروء عار عن الضبط ، والمطالعون يعشون في قراءتهم على غير هدى . وأما المسموع فاللحن فيه شائع ، والخطأ كثير ، وربما كان ضرره أكبر من نفعه

ولو كانت هذه البيئة الثقافية بمنبعيها الفياضين كافلة للقارئ والسامع ضبطا صحيحاً للألفاظ والصيغ ، لأدت لأهل العربية نفعاً عميما ؛ ولكانت بذرة مخصبة لإثمار سلائق سليمة

وأكاد أقول بأن هذه البيئة الثقافية بما فيها من مقروء ومسموع ، لو شاع فيها الضبط ، لأصبحت أقوى أثراً من تلك البيئة البدوية التي كان الخلفاء والأمراء يبعثون إليها بأبنائهم في فجر الإسلام وضحاه ، لا كتساب العصمة من اللحن في الإعراب ، والسلامة من الخطإ في تصريف الكلام

فلنتمثل في خاطرنا أن الضبط قد شاع بين أهل العربية في سائر ما تقع عليه الأعين ، وما تلتقطه الآذان : الطالب في مدرسته من أول مرحلة في حياته الدراسية إلى أن يتخرج في جامعته ، في مختلف مواد دراسته ؛ والقارئ عامة فيما بين يديه من الصحف والمجلات والكتب والنشرات ؛ والأسرة كلها يسمع من المذياع — فلنتمثل في خاطرنا أن هؤلاء جميعا لا يقرءون ما يكتب لهم إلا مضبوطا أدق ضبط ، ولا يسمعون ما يلقى عليهم إلا معرباً أصح إعراب ؛ ألا يكون ذلك سبيلا إلى طبع الألسنة على صحة النطق ، وإكسابها ملكة الإعراب ؟

لاريب أننا أسعد حظا من العرب في العهود الغابرة ، فما كانت لديهم هذه الوسائل التي تسنت لنا الآن ، من مطبعة تخرج الكتب والصحف على اختلافها في سهولة ويسر ، ومن مذياع ينقل إلى الآذان ما تلفظه الأفواه في دقة ووضوح . فأين من هذه الوسائل الناجحة ما كان للعرب الأقدمين من وسائل محدودة وعرة لجأوا إليها لإشاعة الضبط ، والتعريف بالصواب ؟

ولكن وسائلنا على يسرها ، وقوة أثرها ، لم نحسن استخدامها ، فلم تفدنا شيئاً وذلك لأننا لم نلتزم ضبط الكلام فيما نؤلف من كتب ، وما نصدر من صحف ، وما نلفظ من قول في المذياع

فما علة إمساكنا عن إشاعة الضبط ؟

وماذا يحجم بالمطابع عن إدخال الشكل باعتباره عنصراً أصيلا فى الكلام ؟

لعل أكبر البواعث فى ذلك أن المطبعة العربية بدأت كما بدأت الكتابة العربية نفسها ذات حروف غير مشكولة ، فأصبحت على هذا الوضع مألوفة جارية . فلما أريدت المطبعة على إدخال الشكل ضاقت به ذرعا ، ووجدته ضيفا عليها ثقيلا ، ولم تر فيه إلا واغلا دخيلا . فقد أخذت الكلمات فى كتابتها أوضاعا من التركيب لا تحتمل وقوع هذه الشكلات عليها

وعلى الرغم مما بذله أهل فن الطباعة من محاولات فى معالجة الموضوع ، وما بلغوه من إخضاع حروف الكلمات لمواقع الشكل ، فإن الضبط فى الحرف المطبعى ما زال يثقل الكلمات من كل جانب ويحمل البصر يزيغ فى تصيد ما فوقها وما تحتها من حركات . وذلك إلى جانب أن تصحيح هذا الشكل فى تجارب الطبع عسير جد عسير ، وأن الخطأ فيه على فرط العناية به كثير جد كثير . ولذلك لا ترضى بإجراء الشكل فى الكتب إلا بعض المطابع الخاصة . وإنها لتقيم لهذا الإجراء أكبر الوزن ، وتحسب له أكبر الحساب ، طوعاً لما يتطلب إدخال هذا الشكل من جهد وعنت فى صف الكلام طورا ، وفى تصحيحه طورا

فكيف السبيل إلى حل هذه المشكلة ؟

لقد تناولها بالبحث كثير من ذوى الرأى ،وأعلنوا ما بدا لهم من مقترحات وحلول . وإنى لأحسبها ترجع إلى مناح ستة :

ا — المنحى الأول : هو اتخاذ الحروف اللاتينية ،وقد آثرت أن أبدأ به تحية لأستاذنا صاحب المعالى « عبد العزيز فهمى باشا » متعه الله بالعافية . فقد نادى بهذا الحل فى بيان لا أعده إلا وثيقة تاريخية من أنفس وثائقنا التى تعالج مشكلاتنا الثقافية . وقد تكفل معاليه ، فيما أفاض فيه من بيان ، بتجلية ما يرد على هذا الحل من مختلف الاعتراضات ، وعقب عليها ما شاء أن يعقب بالرد والتفنيد ، فلم يدع فى هذا المنحى زيادة لمستزيد . ومجمل ما رأى معاليه أنه لجأ إلى المناداة باتخاذ الحروف اللاتينية بعد أن بحث عن طريقة لتيسير الكتابة العربية مع استبقاء حروفها الحالية ، فلم يظفر بها ، بل لقد تخيل أنه لن يظفر بتحقيق هذه الأمنية الحبيبة لنفسه ولأنفس أهله وأهل العربية . ولذلك لم يجد بدا من اختيار هذه الحروف اللاتينية التى شاعت فى أكثر لغات العالم . فهى وسيلة تقريب بين الأمم ، وهى مع ذلك قد مورست فى الطباعة، واكتسبت مرانة فى الاستخدام ، وأثبتت قدرتها ويسرها فى ضبط كتابة اللغات الأجنبية .وقد اتخذها معاليه أساساً لطريقته، ولكنه أدخل عليها من ضروب التعديل ما يناسب ضبط الكلام العربى على أدق وجه ، بحيث تحمل كل حرف فى الكلمة يدل بذاته على صورته الصوتية دلالة صادقة لا لبس فيها ولا ابهام

ب — والمنحى الثانى هو اختراع حروف جديدة تحل محل حروفنا العربية ، ذات علامات للضبط ملائمة لها . وقد تكاثر الواردون على هذا المنحى من الحلول ، وتراحبت مراميه للفنانين يبتكرون ما يوحى إليهم التصور والتفكير ، ويقربون أو يبعدون عن صور الحروف العربية القائمة . وربما كان فى ألوان هذه الحروف المخترعة ما يتوافر له الجمال والاختصار ،والسهولة واليسر وسائر المزايا التى لا تتوافر للحروف العربية أو اللاتينية جميعا . فما على المخترعين من سبيل ، وإن المجال أمامهم لطليق ، يتيح لهم حرية الإنشاء ، ولا يقيم حيالهم عقبة مما هو قائم عتيد . ولكن الأخذ بحروف مخترعة لاعهد بها لأحد ، أمر يتطلب من رحابة الصدر ، وشجاعة النفس ، ومن الاستعداد لقبول الجديد الغريب أكثر مما يتطلب الأخذ بطريقة الحروف اللاتينية . لأن التبنى للحروف المخترعة التى لم تثبت لها كفاية ، ولم تعرف لها مرانة، أشق كلفة من اقتباس حروف متعارفة ،ثبتت كفايتها فى الأداء ، وكفلت مرانتها فى العمل

جـ — وثالث المناحى الإبقاء على الحروف العربية القائمة، مع اختراع علامات للضبط يلاحظ فى اختراعها أن تكون ميسورة على المطابع ، واضحة للقارئ ، فتلحق هذه العلامات بتلك الحروف

ولا ريب أن حروفنا العربية إذا لحقت بها تلك العلامات أفقدتها صورتها المألوفة ، وأفاضت عليها مسحة من التنكير والغموض .

فهذا المنحى يلتقى هو والمنحى الأول والثانى معاً فى ضرورة الاتفاق بادئ بدء على أن ننزل عن حروفنا العربية فيما ألفنا من

ذكرى الشاعر الثائر

معروف الرصافى

للأستاذ حمدى الحسينى

— ٢ —

نظم الرصافى ذلك الشعر القوى ضد الظلم والاستبداد فى العهد العثمانى وسيف الطاغية الجبار عبد الحميد الثانى مصلت على رقاب الناس فى طول البلاد وعرضها ، وهو كما رأى القراء يتلظى قوة وحرارة ، ويتوهج شدة وعنفاً وصرامة، ويتموج اتساعاً وعمقاً وضخامة، ولم يبق الرصافى هذا النوع فى الشعر محفوظاً فى صدره أو مطويا فى بطن دفتره بل نشره على الناس سرا وعلناً ، بلسانه وقلمه . فكان عمله ذاك جرأة عبقرى وشجاعة بطل . أما تأثير هذا الشعر فى نفوس العرب فى ذلك الزمن فقد كان عظيما جدا . ولا نشك بأنه كان قبة قوية الحرارة والنور ، أشعلت فى نفس الأمة العربية رغبة الحرية وأنارت أمامها سبيل الحياة . فمشت بقوة تلك الحرارة وبهدى ذلك النور خطوات موفقة نحو الحرية والحياة . وأما بعد إعلان الدستور فقد رفع الرصافى علم الحرية أمام أمته جهاراً نهارا ، وأخذ يقودها إلى الحياة فى ظل ذلك العلم على نغمات شعره الشجية المطربة تارة ، وبقوارع كلمه وصوادع حكمه تارة أخرى . حتى أصبح شعر الرصافى بسمات جميلة على ثغور العرب . وآيات جليلة على ألسنتهم وآمالا لذيذة فى قلوبهم وهزات عنيفة فى نفوسهم، وعزمات صادقة فى هممهم وصوارم باترة فى أيديهم . فقاوموا الظلم ودفعوا الأذى وشادوا الممالك . فكان شعر الرصافى أناشيد الثائرين ،وأهازيج الفاتحين وأغانى المنتصرين الظافرين . وما كادت تستقر الممالك العربية بعد الحرب العالمية الأولى وتتوطد فيها العروش وتشاد دور العلم و تفتح نوادى الأدب

صورها ، وما عرفنا من علامات ضبطها

د — وأما المنحى الرابع فهو الإبقاء على الحروف العربية وعلامات ضبطها ، على أن تصب علامة الضبط مع الحرف فى بنية واحدة ، حتى لا تحيد عنه ، ولا تفلت منه . فتبدو الحروف المطبعية ممها ضبطها متصلا بها ، ليس بينهما من تفاوت

وهذا المنحى تقوم فى وجهه عقبتان، كلتاهما كأداء ، أولاهما فنية ، والأخرى اقتصادية . فإن صندوق الحروف العربية فى أوضاعها القائمة كثير الصور ، يعيا به الصفافون ، إذ يبلغ أكثر من ثلاثمائة عين . ولو أضيف إلى الصندوق صور جديدة من الحروف عليها علامات الضبط على اختلافها، لازداد جهد القائمين بصف الكلمات أضعافاً مضاعفة ، ولاستنفد من أوقاتهم بضعة أمثال ما يستنفدون الآن فهذا المنحى مدعاة لكثرة التكاليف مضيعة للوقت ، مجلبة للعنت . ولذلك لا يقبل تنفيذه الطابعون ، ولا يرضى به الناشرون . ولا سيما فى عصر طابعه السرعة والتيسير، طابعه اكتساب الزمن ، واقتصاد الجهد ، والتهوين من النفقات

هـ — وثمة منحى خامس ، وهو وضع علامات الضبط بجانب الحروف ، منفصلة عنها ، كالشأن فى الحروف اللاتينية ، لا كما توضع العلامات الآن فوق الحروف أو تحتها

وهذا الحل يقتضى أن تتغير أوضاع الكتابة العربية فى تركيب الكلمات ، لكى يكون بعد كل حرف متفسح تحل به علامة الضبط ، وأن يفصل بين حروف الكلمات بهذه العلامات. وإذن تبدو صور الكلمات فيها تنكير ، وفيها نبو عن المألوف . يضاف إلى ذلك تفويت مزية الاقتصاد فى حجم الكلمة ، فإن الفصل بين حروفها بعلامات ضبطها يضاعف حجمها

و — وخاتمة المناحى الستة هو الاقتصار على الحروف المنفصلة تسهيلا لوضع علامات الضبط عليها ، وتخفيفاً على صندوق الحروف فى المطبعة العربية

وفى هذا المنحى مغامز من جهات مختلفة . فهو أولا : يزيد فى الحيز المقسوم للكلمات ، وهذا تفويت لمزية الاقتصاد ، وثانياً : لا يحمى من خفاء الكلمة أول وهلة لافتراق حروفها ، وثالثاً : يقتضى يقظة ورعاية للفصل بين كل كلمة وكلمة ، ولو وقع التهاون فى هذا الفصل — وهو واقع لا أمان منه — لاختلطت حروف الكلمات بعضها ببعض ، ولتعذر على القارئ أن يميز كل كلمة فى جملتها ، ويفرق بينها وبين الكلمة التى تتلوها

البقية فى العدد القادم

محمود تيمور

حتى أصبح شعر الرصافى نوراً قويا يغمر تلك المماليك ، ومصابيح منـــيرة تسطع فى دور العلم ، وينابيع غزيرة تنصب فى نوادى الأدب

وما دمنا نتحدث عن شعر الرصافى القوى ، وتأثيره الواسع المدى فى نفسية الأمة العربية ، فمن الحق علينا أن نبحث عن سر هذه القوة العجيبة التى جعلت لشعر الرصافى هذا التأثير العجيب

درسنا شعر الرصافى دراســـة نفسية واسعة ، وأضفنا ما استنتجناه من هـذه الدراسة إلى ما استنتجناه من دراستنا لنفسيته خلال المدة التى قضاها بيننا مدرساً للغة العربية فى كلية دار المعلمين فى القدس ، فكانت نتيجة الدراستين الجزم بأن سر قوة الرصافى فى شعره وفى شخصيته هو الإيمان

آمن الرصافى بحق الأمة العربية فى الحياة الحرة ، وآمن بأن الوسيلة إلى هـذا الحق هو القوة . فانفجرت نفسه بهذه القوة شعراً قويا يولد به القوة فى نفس الأمة العربية لتأخذ بها حقها فى الحياة الحرة . انفجرت نفس الرصافى بشعر القوة على اختلاف أنواع القوة . فالعلم قوة تتخذ منه الأمم التى تطلب الحياة وسيلة للحياة . وما دام العلم قوة فله من شعر الرصافى نصيب وافر . فهذه قصائده الـكونيات والاجتماعيات تقوم على أحدث نظريات العلم وأصح قواعد الاجتماع . ترى فيها شروحاً لوحدة المادة ، والجاذبية ، والأثـير ، والـكهرباء ، وأشعة رنتجن وآراء دارون فى النشوء والارتقاء وتنازع البقاء وبقاء الأنسب ، ومـذهب ديكارت فى التوصل إلى اليقين بالشك ، ومبادئ الاشترا كية فى أن تـكون للعامل حصة فى إنتاجه

تركوا السعى والتكسب فى الدنيا وعاشوا على الرعيـــة عاله
يأكلون اللباب فى كد قوم أعوزتهم سخينـــة من نخاله
يتجـــلى النعيم فيهم فتبكى أعين السعى فى نعيم البطاله

ليس هذا فى مذهب الاشترا كية إلا فى الأمور المحالة وإصلاح الوسط العربى من الناحية الاجتماعية ، أليس فيه قوة للأمة توصلها إلى الغاية المرجوة فى الحياة ؟ إذن فللاصلاح الاجتماعى على اختلاف أنواعه فى الوسط العربى حظ كبير فى شعر الرصـــافى . فهذه قصيدته « المطلقة » يصف بها ويلات الطلاق ومآسيه على المرأة المسلمة ، وينتقد بقوة توقيع الطلاق لا سيما إذا كان وقوعه بغير قصد الطلاق . وهذه قصيدته « اليتيم فى العيد » تفيض رحمة وحناناً على الضعفاء . وقوة وشدة على من يقف من العرب موقف العجز والذل ويصيح فيهم : —

نهوضاً إلى العز الصراح بعزمة تخر لمرماها الطغاة وتركع
إلاقاً كتبوا صك النهوض إلى العلا فإنى على موتى به لموقـــع

والنساء؟ ألسن نصف الأمة ؟ فـكيف يمكن للأمة العربية أن تصل إلى هدفها ونصفها مشلول ؟ إذن فلتحرير المرأة العربية فى شعر الرصافى مطارق قوية هائلة يهوى بها على قيود الحجاب والزواج والجهل والحرمان من العمل

كم فى بيوت القوم من حرة تبكى من البؤس بعينى أمه
قد لوحت نار الطوى وجهها وأعمل الفقـــر بهـا ميسمه
عاب عليها قومها ضـــلة أن تـكسب القوت وأن تطعمه
من أى وجـه تبتغى رزقها وطرقها بالجهـــل مستبهمه
وكيف والقوم رأوا سعيها فى طلب الرزق من اللائمه

وأما قصيدته الخالدة فى التربية والأمهات التى مطلعها : —

هى الأخلاق تنبت كالنبات إذا سقيت بمـــاء المكرمات

فتعتبر من أقوى أنواع الشعر الاجتماعى وأعمقه أثراً فى نفس الأمة ، وهى لا تزال تشع بنورها القوى فى نفوس الفتيات العربيات فيستضئن بنورها ويهتدين بهديها . ولا نظن فتاة عربية واحدة دخلت المدرسة ولم تحفظ هذه القصيدة وتنتفع بها

وحرية الفكر ، أليست غاية من غايات الأمم التى تبذل فى سبيل الحصول عليها دماءها ؟ إذن فالرصافى يدعو لهذه الحرية ، لأنه لا يطيق أن يراها مقيدة فى الوطن العربى ، بحيث لا يستطيع المفكر أن يجهر برأيه خيفة الأذى : —

إذا كان فى الأوطان للناس غاية فحرية الأفكار غايتها الـكبرى
فأوطانـكم لن تستقل سياسة إذا أنتمو لم تستقلوا بها فكرا
إذا السيف لم يعضده رأى محرر فلا تأملن من حده ضربة بكرا

وهؤلاء الفاقيع الذين يفاخرون بالعظم الرميم ، أليسوا شراً على الأمة ؟ وهلا يستحقون أن يصفعهم الرصافى على وجوههم ليردهم عن هـذه الاتـكالية البشعة إلى الثقة بالنفس والاعتماد على الذات

فشر العالمـــين ذوو خمول إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا
وخير الناس ذو حسب قديم أقام لنفســـه حسبا جديدا

صوت ينبعث من الأزهر

الأستاذ الأكبر يوجه حركة الاصلاح الديني في الشرق الاسلامي

للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

— ١ —

كانت الغفوة الكبرى التي أصابت العالم الإسلامي في القرون الوسطى ذات أثر بعيد في حياته السياسية والعقلية والاجتماعية في القرن التاسع عشر

لم يبعد المسلمون في هذه الحقبة الطويلة كثيراً عن تقاليد الشرق ، وإنما جافوا روح الإسلام ، وجهلوا مبادئه وأهدافه ، ووقفوا أمام تيار النهضة الغربية جاهلين عاجزين أذلاء . وبادرهم المستعمرون بتحطيم ما بقى في أجسامهم من متعة ، وفي قلوبهم من إيمان ، وفي أرواحهم من عزة ومثل عليا

وكانت الأحداث الكبرى التي هزت العالم الإسلامي هزاعنيفا داعية للمفكرين والمصلحين أن يجاهدوا في سبيل البعث والإحياء وتجديد الحياة والأمل في نفوس المسلمين . واقترن ذلك بدعوات جريئة للاصلاح ؛ انبعثت من رجال الدين حيناً ، ومن غيرهم حينا آخر ؛ من أمثال محمد بن عبد الوهاب م ١٢٠٦ هـ ، والسيد أحمد خان الهندي م ١٨٩٨ ، والسيد أمير علي ، والكواكبي م ١٩٠٢ ، وجمال الدين الأفغاني ١٨٩٧ م ، ومحمد عبده ١٩٠٥م

تراه إذا ادعى في الناس فخرا ... تقيم له مكارمه الشهود!

وهؤلاء الرعاديد الذين يتقاعسون عن ميادين الجهاد بحجة أنهم يرون للأمة أن تعنى بالعلم قبل الحرية وبالمال قبل الاستقلال، أليس من حق الرصافي أن يعلمهم الحكمة ويعطيهم فصل الخطاب

قد علمتني الليالي في تقلبها ... أن المواقف فيها السيف لا القلم

وأن أصدق برق أنت شائمه ... برق تبسم عنه الصارم الخذم .

وأخصب الأرض أرض لا تسح بها ... إلا من النقع في يوم الوغى ديم

إني أرى المجد في الأيام قاطبة ... إلى عبيط دم المحيا به قرم

والمجد أعطى الظبا ميثاق معترف ... أن ليس يضحك إلا حين تبتسم

وأما مكانة الرصافي في الأدب العربي ففي الذروة العليا والمقام الأسمى؛ فهو من ألمع الجواهر في تاج أدب العصر، ومن أثمن الدرر التي تزين جبين الشعر ، وهو فوق هذا من أقوى شعراء القومية العربية . ومن أسبق شعراء العرب في الدعوة إلى الثورة على الحكم العثماني كوسيلة للحرية والاستقلال. وأما آثاره في الشعر فديوانان طبع الأول في بيروت مصدراً بمقدمة طيبة للمرحوم الشيخ محي الدين الخياط . ثم صدر الديوان الثاني وفيه كل ما نظمه الرصافي بعد صدور الديوان الأول ، ثم صدره الأستاذ العلامة الشيخ عبد القادر المغربي بمقدمة تحليلية نفسية . وله في الكتب

(١) رواية الرؤيا وهي مترجمة عن التركية لنامق كمال الشاعر التركي الشهير

(٢) نفح الطيب في الخطابة والخطيب . وهو مجموعة محاضراته التي ألقاها على طلبة مدرسة الواعظين في الآستانة

(٣) الأناشيد المدرسية ، وهي طائفة من الأناشيد الوطنية والأدبية يتغنى بها تلاميذ المدارس

(٤) محاضرات الأدب العربي وهي مجموعة المحاضرات التي ألقاها في الأدب العربي على معلمي المدارس في بغداد

(٥) كتاب الآلة والأداة . وقد ذكر فيها أسماء الآلات والأدوات التي يستعملها الإنسان

(٦) دفع المراق في لغة العامة من أهل العراق . ضمنه بحثاً مستفيضاً عن اللغة العامية في العراق وقواعدها وآدابها وأمثالها

* * *

هذه خطوط مريعة رسمنا عليها هذه الصورة للرصافي . ونرى أن نقدم بجانبها الصورة الجميلة الأنيقة التي رسمها الرصافي لنفسه بقوله : —

وقلت لها إني امرؤ لي لبانة ... منوط مداها بالنجوم الزواهر

تعودت أن لا أستنيم إلى المنى ... وأن لا أرى إلا بهيئة ثائر

وأن أمضي لهم الذي هو مقاق ... بعلى الفيافي أو بخوض الدياجر

حمدي الحسيني

وسواهم من دعاة الإصلاح ، وحملة رسالته

كان السيد جمال الدين الأفغانى يريد تحـــرير الشعوب الاسلامية من العبودية والاستعمار ، وتكوين حكومة إسلامية موحدة تهتدى بهدى الاسلام ، وبعث الروح القوى فى الشرق عن طريق الإصلاح الدينى العام

.. وكان محمد عبده يريد النهوض بالشرق الاسلامى سياسيا عن طريق النهضة الثقافية به ، ويرى أن الاسـلام هو السبيل لتمهيد حركة الإصلاح وتهذيبها ، وأنه هو والعقل والعلم إخوة ، ولذلك دأب على الدعوة إلى تصحيح العقيدة ، وإذاعـة رسالة الاسلام ، وإيقاظ الشعور العام بإيقاظ الروح الدينى

— ٢ —

وخفتت بعد محمد عبده دعوة الإصلاح فى الشرق ؛ وإن لمت جذوتها حينا فى أفكار الشيخ مصطفى المراغى ، رحمه الله ، الذى كان يعمل للنهوض بالأزهر الحديث حتى يصل إلى مستوى الجامعات الكبرى فى الشرق والغرب

كما أضاءت الشعـــلة حينا آخر فى آراء الشيخ مصطفى عبد الرازق الذى كان يحرص على إحياء التعارف والتعاون بين المسلمين عامة

ولـكن هذه الآثار الضئيلة لم تـكن على جانب كبير من الأهمية فى الإصلاح الدينى فى الشعوب الاسـلامية فى القرن العشرين

— ٣ —

على أن أخطر دعوة للاصلاح الدينى فى العصر الحاضر إنما تظهر الآن على يدى فضيلة الأستـاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم الذى تولى منصب الإمامة الـكبرى ، والمشيخة العظمى ، فى الأزهر الشريف ، منذ وقت قريب

فمنذ أكثر من عشرين عاما وفضيلة الأستاذ الأكبر يسهر على حماية التراث الاسلامى الخالد ؛ ويجهر بالدعوة إلى إصلاح الأزهر إصلاحا حقيقيـا ، وتمـكينه من أداء رسالته ؛ ويرى اقتران الإصلاح الدينى فى العالم الاسلامى بإصلاح الأزهر الشريف ومهمة الأزهر فى رأى الأستاذ الأكبر جد خطيرة ؛ فهى تشمل : « تعليم أبناء الأمة الاسـلامية دينهم ولغة كتابهم ، تعليما قويا مثمرا ؛ يجعلهم حملة للشريعة ، أئمة فى الدين واللغة ، حفاظا حراسا لـكتاب الله وسنة رسوله وتراث السلف الصالح والقيام بما أوجبه الله على الأمة من تبليغ دعوته ؛ وإقامة حجته ، ونشر دينه ... فعلى رعاية هذين الجـانبين يجب أن تقوم خطة الإصلاح فى الأزهر ، وأن يعمل العـاملون على تحقيق آمال الأمة فيه [١] »

ولذلك اتجه فضيلته بعزم قوى إلى إصلاح الأزهر إصلاحا عاما شاملا . ومن كلماته فى هذا الصدد [٢] : « وقد أخذت على عاتقى ، وشرعت — والله المستعان — فى توجيه هـذه الجامعة الـكبرى توجيها صالحا »

ووسائل إصلاح هذه الجامعة الاسلامية العتيدة تتلخص فى رأى الأستاذ الأكبر فيما يلى :

١ — مراجعة الـكتب الدراسية ، وإبقـاء الصالح منها ، واختيار لون جديد يوجه الطلاب توجيها حسنا إلى العلم النافع من أقرب طريق وأيسره

٢ — تشجيع حركة التأليف والتجديد عن طريق الجوائز العلمية وغيرها حتى يتصل حبل العلم ... وتوجيه العلماء إلى وضع بحوث فى الفقه والتشريع تساير الروح العلمى الحاضر

٣ — إعداد جيل قوى من أبناء الأزهر يستطيع أن يحمل الرسالة ؛ فإن الأمة تريد من الأزهر أن يخرج لها علماء فى الدين والشريعة واللغة وسائر العلوم العقلية والاجتماعية المتصلة بها ، على أن يكون هؤلاء العلماء مزودين مع هـذا بقدر صالح من العلوم الأخرى التى تفيدهم فى مجتمعهم ثقافة عامة [٣] » . وفى هذا يقول الأستاذ الأكبر أيضا موجها كلمتـه إلى الأزهريين : نصيحتى إليكم أن تعلموا أنكم مجندون فى سبيل الله . فأقبلوا على دراستكم ، وتجملوا بالفضيلة بينكم وبين الناس ، لتحقيق آمال الأمة فيكم ، وإعلاء كلمة الدين والعلم بكم [٤]

(١) من حديث الأستاذ الأكبر فى المؤتمر الصحفى بادارة الأزهر فى أول نوفمبر عام ١٩٥٠

(٢) من رسالة الأستاذ الأكبر إلى شعوب العالم الاسلامى

(٣) من حديث الأستاذ الأكبر فى المؤتمر الصحفى

(٤) من كلمة الأستاذ الأكبر التى أذاعها فى أول العام الهجرى الجديد

٤ — تشجيع حركة البعوث العلمية التى يرسلها الأزهر إلى جامعات أوربا للتزود من شتى الثقافات .. ولا بدع فإن العلم رحم « بين الناس كافة » كما يقول الأستاذ الأكبر لعلماء جامعات أوربا الذين حجوا إلى مكتبه فى زيارتهم للأزهر الشريف

٥ — تنظيم هذه الجامعة الكبرى تنظيما يتفق مع خطر رسالتها ، ويساعدها على أداء هذه الرسالة ، بإنشاء مكتبة كبرى ، ودار كبيرة للطباعة ، وإكمال مبانى الأزهر الجامعى ، تمهيدا للاحتفال بعيده الألفى ؛ إلى غير ذلك من وسائل الإصلاح

أما مهمة الأزهر فى سبيل الاصلاح الدينى فى مصر والشرق الاسلامى فتتخلص فيما يلى

١ — العناية بإصلاح حالة الأسرة بإصلاح شؤونها ، ودعم كيانها ، عن طريق بحث التشريعات اللازمة لها : فى الزواج ، والطلاق ، والنفقة ، والحضانة ، والولاية » وما إليها «١»

٢ — نشر الدين والثقافة فى كل ناحية

٣ — إرسال البعوث الأزهرية إلى شتى أرجاء البلاد الاسلامية لدراسة أحوالها ، وتهذيب أبنائها

٤ — تشجيع البعوث الاسلامية الوافدة على الأزهر ، وبناء دار كبرى لإقامتهم ، ورعاية شؤونهم العلمية والخلقية والدينية

٥ — ربط الأزهر بشتى الجامعات الشرقية ، وإنشاء مراكز ثقافية له فى عواصم البلاد الاسلامية

وأما مهمة الأزهر فى الدعوة إلى الدين فى العالم ، فهى كما يرى الأستاذ الأكبر تشمل ما يأتى :

١ — توجيه العلماء إلى وضع مؤلفات باللغات الأجنبية ، لبيان حقيقة الاسلام بمزاياه . وقد بدأ فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء بتأليف رسالة فى شرح مبادئ الاسلام ، تترجم الآن إلى اللغات الحية ، لإذاعتها فى العالم

٢ — إنشاء إدارة للدعاية الاسلامية تتولى توجيه الناس إلى الاسلام ومبادئه الخالدة

٣ — ترجمة تفسير القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية

ويرسم الأستاذ الأكبر خطة للاصلاح فى البلاد الاسلامية فى كلمة جامعة وجهها إلى الشعوب الاسلامية منذ أيام وهذه الخطة هى :

أولا : أن يؤمنوا إيمانا عن بينة وبصيرة بأنه لا صلاح لهم إلا بالدين الذى صلح به أولهم

ثانيا : أن ينسوا أحقادهم وميراث عداوتهم ، فيعودوا كما تركهم رسول الله أمة واحدة عزيزة كريمة ؛ لا غرض لها إلا إعلاء كلمة الله ، ونشر دينه ، والدفاع عن الحق حيثما وجدت لذلك سبيلا

هذه هى أخطر رسالة للاصلاح الدينى فى مصر والشرق الإسلامى فى العصر الحديث .

وهى رسالة لا يستطيع النهوض بأعبائها إلا من كان مثل الأستاذ الأكبر فى خلقه وعلمه ودينه ؛ وفى غيرته على العقيدة الاسلامية ، والشريعة المحمدية ، والتراث الاسلامى المجيد

محمد عبد المنعم خفاجى

مدرس بكلية اللغة العربية

(١) من حديث للاستاذ الأكبر نشر فى الأهرام فى ٢٨ — ١٠ — ١٩٥٠

في الرحلة الى الحجاز

قدح الزناد

للانسة عزيزة توفيق

تعالى تهليل القوم وتكبيرهم إذ لاحت معالم جدة من بعيد ؛ لقد مضى عليهم يومان وهم لا يرون إلا زرقة السماء والبحر . وعلا الوجوه بشر وصفاء ، وابتسم خدم الباخرة في ارتياح ، وأخذوا يهنئون الحجاج بسلامة الوصول ، مؤكدين أنه سيكون حجا مبرورا ؛ فقد كانت آيات الرضا من الله تتجلى في الريح الرخاء التي صاحبت الباخرة طوال اليومين الماضيين .

ووقفت بنا الباخرة على مبعدة من الشاطئ ، حيث بدت منازل جدة ومن خلفها الجبال ملتفة بأضواء الشروق أضفتها عليها شمس الصباح ، فبدت في حلة أرجوانية

وفي ابتهاج أسرعنا بالنزول إلى الزوارق البخارية التي أخذت تهدهدنا في رفق على صفحة الماء الساجي ، حتى لحقت بنا أمتعتنا وسارت الزوارق مسرعة ، يقودها حجازيون ذوو بشرة سمراء محمرة ، تطل من وجوههم عيون تبرق نشاطاً وتصفو إيماناً . وكانت شرائط المياه البيضاء المتخلفة من انسياب الزوارق على صفحة المياه الزمردية تسرع خلفنا في وشوشة موسيقية رتيبة ، وأحيانا يعلو عليها صوت الحجاج « لبيك اللهم لبيك » . ووصلنا جدة ! !

إذ ذاك طالعتنا لوحة فنية رائعة ؛ تمثل مختلف الشعوب الإسلامية ، لقد كانت لوحة حية Tableau vivant لمختلف الوجوه والأشكال ؛ على رغم أن الجميع كانوا بملابس الإحرام . ووافانا من بين الجمع غلام يافع ، يتدلى شعر رأسه الأسود في خصلات لامعة مسدلة على كتفيه ، وقد علت تلك الخصلات قلنسوة « طاقية » مطرزة بألوان زاهية أكسبت لونه الخمري بهاء. أخذ هذا الغلام يجمع جوازات السفر ليؤشر عليها من المختصين، ومن ثم قادنا إلى حيث أعلتنا سيارات إلى مدينة جدة

وجدنا جدة ثغرا جميلا ، ذا مبان فخمة تضاهي طراز البيوت في أية بلد متمدن . وبها منتدى « كازينو » يسميه الوطنيون « الثلاجة » ويديره جماعة من الحجازيين بملابسهم الوطنية ، وهي عبارة عن مئزر مبرقش يجمعه حزام ، أو جلباب واسع مشدود من الوسط بمنطقة من القماش ، ويغطي رءوسهم « لاسة » ينساب أحد طرفيها على قفاهم لتحميها وهج الشمس ، ويسمى عندهم « العذبة » . وكم كان لطعم الرطب « ابيلاني » الذي قدم لنا هناك لذة أية لذة ؛ وعلى الأخص حينما كنا نسرح الطرف آماداً بعيدة جوالا على تعاريج الأمواج الزاخرة ، ثم يرتد إلى محيط النادي ذي الغرابة والسحر

قضينا بجدة يوما ممتعا . وفي اليوم التالي وافتنا السيارات لتقلنا إلى مكة ، فسارت بنا في طريق وعر ، تحف بها من جانبيها جبال شاهقة وهضاب مرتفعة ؛ قد اختلفت مادة ولوناً. وها نحن نرتفع إلى أعلى وقد اهتزت بنا السيارة مجتازة أحد النتوء في الطريق ، ثم نهبط تبعاً لانحدارها المفاجئ . ثم إذا بها تدور فتميل حتى تتلامس الرءوس ، وقد انهلعت قلوبنا فرقا

وأخيراً تعود السيارة سيرتها المستقيمة ، ويطمئن على خوفنا الطمئنان بزجيه الإيمان

حتى بلغنا مكة . وكانت هذه أولى قدحات زناد إيماننا .

إن أي عالم نفساني لا يستطيع أن يدرك مدى تلك السعادة الروحية التي شعرنا بها ونحن نمر بأبواب الحرم الشريف في طريقنا إلى منزل « المطوف » الذي ما كدنا ندخله حتى دعا الداعي إلى « طواف القدوم » ، فأسرعنا كأطفال في يوم عيد تطفح وجوهنا بشرا ، لمحته أنا في كل وجه حتى في وجوه الشيوخ منا . وسرنا وراء « المدعي » نردد تلبياته وابتهالاته واستغفاراته ، بصوت خاشع منيب ، فيه رنة تنفذ إلى القلوب في رهبة ، وتحفز الأرواح لتلهج بها الألسنة مرددة هذا الاستغفار والابتهال : « يارب لقد جئتك من بلاد بعيدة ، بذنوب كثيرة ! رحمتك يارب !

غفرانك يارب ! » وكان « المدعى » يمد الباء الأخيرة في « يارب » فتصل إلى غور عميق من النفس

ودخلنا من « باب السلام » إلى بيت الله الحرام ، ووقفنا تجاه الكعبة قانتين . ودعونا الله أن يزيد بيته الحرام تشريفاً وتكريما ، وأن يغفر لنا ما تقدم من ذنبنا وما تأخر ، ثم دعونا بما نريد من مطالب الدنيا ؛ إذ قيل لنا : إن الله يستجيب ما يطلبه المرء فى هذا المكان . وإذا بى لا أجدنى طالبة من الله إلا أن يسهل لى الطواف ولمس الحجر الأسعد « الأسود »

وإذ نوينا الطواف أسرعنا وسط الجموع الزاخرة ، يدفعنا الموج الآدمى من مختلف الشعوب والأمم . يتزاحمون ويتدافعون بالمناكب ، كل مشغول بنفسه ؛ كأنهم فى يوم الحشر بين يدى الديان

تطلعت إليهم وأنا أجرى يجرفنى تيارهم ، وهم كتل متراصة متماسكة ، كل منها تردد الدعاء خلف مطوفها ، كل بلغته ولسانه. وحينئذ خيل إلى أن أمنيتى لن يكون لها نصيب من التحقيق . ومررت « بالركن اليمانى » وأمكننى أن ألمسه مقبلة ، وما وافيت الحجر الأسعد حتى رأيت الجموع المزدحمة عليه فى تهافت وتلهف قد انشقت مفسحة أمامى طريقاً أفضى بى إلى الحجر بين ذهول هذه الجموع الذى لم يدم إلا لحظة تمكنت فيها من لمس الحجر وتقبيله . وخرجت من الازدحام لأتمم دورات الطواف السبع ، وحين وصلت إلى ركن « إبراهيم » ووقفت لأصلى ركعتين هما سنة الطواف رفعت طرفى إلى السماء ، وقد شاع فى كل كيانى بسمات من السعادة ! تبارك الله جلت قدرته ؛ فلقد حققت أمنيتى وسعدت بلمس الحجر . وحين كنت أؤدى ركعتين فى « حجر إسماعيل » رحت أتمنى ما شئت من نعيم الدنيا والآخرة ، وكلى ثقة وإيمان بأن الله جلت قدرته سيحققها بإذنه إن شاء . وجلست لأستريح بالحرم وأجلت البصر فيما حوالى

للكلام صلة . **عزيزة توفيق**

الدراسات العالية — القسم الفرعونى
كلية الآداب



شكاة شاعر

(مرفوعة إلى عميد الأدب العربي ، ووزير المعارف المصرية ، الدكتور طه حسين باشا)

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

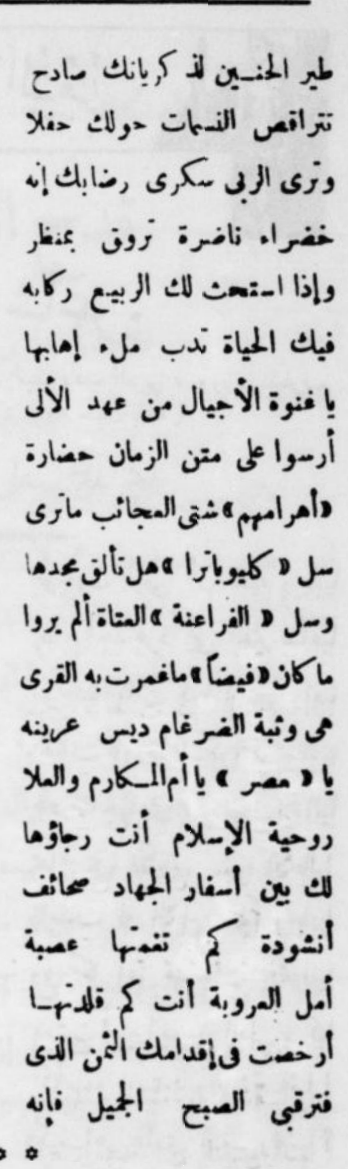
إليك ، وبى يأس أضاع شبابيا ... توجهت أبغى أن تعيد رجائيا
وأنت الذى يرجى لكل عظيمة ... إذا لم أجد فرداً على الخير ساعيا
وحسبى فخارا أننا من أرومة ... موحدة طالت ذرا النجم راقيا
كلانا نماه الأزهر السمح للعلى ... وها أنت جاوزت الكواكب ساميا
وها أنذا أسمى إليك مجاهدا ... فأدرك جهادى ، واستجب لندائيا
خلقت بروحى طائراً مترنما ... يحلق فى الآفاق يبغى الأعاليا
إذا ما تغنى أنصت الكون خاشعا ... وأصغت له الأيام ركباً وحاديا
سكبت أغاريدى على كل روضة ... وفى كل أفق قد بعثت الأغانيا
فما بال قومى كبلتنى قيودهم ... فعشت أسيرا موجع القلب باكيا
عفا الله عن قومى ؛ يريدون شقوتى ... كأنهمو يستعذبون شقائيا !
إذا لم أعش فى جنة فوق ربوة ... فكيف أغنى هادئ النفس راضيا ؟
شكوت ولم أفصح ، وحسبى إشارة ... إذا جئت أبدى للبيب شكاتيا
عهدتك ترعانى ، وترعى مواهبى ... فلا زلت مرعيا ، ولا زلت راعيا
وبلغت أقصى ما تريد من المنى ... وأنت جدير أن تنال الأمانيا
وإنى جدير أن أظل على المدى ... مقيما على عهد المودة وافيا

إبراهيم محمد نجا

إلى النيل الخالد

الأستاذ حسن عبد الله القرشى

صوت العروبة فى هديرك مرزم ... وعلى ضفافك شعلة تتضرم !
يا راكضاً كالدهر منطلق المدى ... تفتر للنعمى ومنك الأنعم
تجرى السفائن فيك وهى موائس ... وتعب منك وأنت زاه تبسم !



طير الحنين لذكرياتك صادح ... كالفجر نشوان الرؤى يترنم !
تتراقص النسمات حولك حفلا ... والطير زهراً فى حماك نحوم
وترى الربى سكرى رضابك إنه ... جريالهـــا وهو الحبيب المغرم
خضراء ناضرة تروق بمنظر ... شبه السماء تشع فيه الأنجم
وإذا استحث لك الربيع ركابه ... خلت الأوازى الصقيلة تحلم
فيك الحياة تدب ملء إهابها ... حب يضوع وفرحة وتنعم
يا فتوة الأجيال من عهد الألى ... ركزوا دعامات البلاد وعلموا !
أرسوا على متن الزمان حضارة ... هى مشرق للكون بل هى مبسم!
«أهرامهم» شتى العجائب ماترى ... فيها سوى الإبداع ، نعم الملهم
سل « كليوباترا » هل تألق مجدها ... بسواك تحبوه الضياء وتعصم ؟
وسل « الفراعنة » العتاة ألم يروا ... سحر الجلال يرف منك عليهم ؟
ما كان «فيضاً» ماغمرت به القرى ... بالأمس بل هى غضبة تتحدم
هى وثبة الضرغام ديس عرينه ... وفراهة الجر استشاط به الدم
يا « مصر » يا أم المكارم والعلا ... لك فى النفوس مودة لاتهرم
روحية الإسلام أنت رجاؤها ... ومنــاط آمال تجيش وتعظم
لك بين أسفار الجهاد صحائف ... ربع الجبان لها وهش الضيغم !
أنشودة كم تغنتها عصبة ... تطأ الصعاب بعزمة لا تهزم
أمل العروبة أنت كم قلدتهـــا ... عقـداً بحبـات القلوب ينظم !
أرخصت فى إقدامك الثمن الذى ... هو للمعالى مهرها المتوسم
فترقبى الصبح الجميل فإنه ... فى موكب البشرى إليك سيقدم!

* * *

أشباب «وادى النيل» هذا يومكم ... يوم يفر له الجبان ويحجم
رنت الشعوب له وصفقت الدنى ... فاستدبروا الأحقاد فيه وأقدموا
«الشرق» يهفو نحوكم مستبشراً ... و«الغرب» فى حنق يثور ويكظم
فثبوا على متن العزائم وابتنوا ... صرح اتحاد شامخ لايهدم
وتناهزوا فرص الحياة فإنها ... كالبرق لا يأنى ولا يتلوم
ما « مصر والسودان » إلا دوحة ... روى ثراها نيلها المتحكم
جمت أواصرها المتينة وحدة ... بيد الإله وثاقها مستعصم
هيهات تجتث الغصون حماقة ... من غاصب مستعبد يتهجم

* * *

حييت يانهر الخلود فقد زها ... فوق السماك فخارك المستلهم
لا زلت هدار العباب مصارعاً ... للخطب ، مرهوباً ، تعز وتكرم

حسين عبد الله القرشي

* من ديوان « مواكب الذكريات » الذى يصدر قريباً



تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوى

برنارد شو ورسالة المال :

قلنا ونحن نتحدث عن ملكة السخرية عند « شو » ورد إليها أكثر آرائه وأفكاره فى محيط الأدب والحياة : « والسخرية فى حياة شو هى ألمع اللافتات جميعا ، بل هى الإطار الطبيعى الذى يحيط بكل صورة من صور هذه الحياة ، وهى فى فنه نقطة الارتكاز التى يلتقى عندها خط الاتجاه النفسى الممتد من هنا وخط الاتجاه الفكرى المنطلق من هناك .. وهى فى حياته وفنه معاذ لك المعبر المظلم لإنسانية القلب وكبرياء النفس وأصالة الموهبة . وتضغط أنت على « زر » نفسى واحد لترسل التيار الكهربائى إلى هذه اللافتة لتصبح « مضيئة » ، وتقرأ على « ضوئها » ما تحمل اللافتات الأخرى من « ألوان » نفسية .. ماهو هذا الزر النفسى الذى يضىء لافتة السخرية عند « شو » ، أو ما هو « مفتاح النور » لهذه الملكة الفذة التى غطت على غيرها من الملكات ؟ إنه السخط المتأصل فى أعماق النفس منذ القدم على بعض القيود والأوضاع !

هذه الملكة النادرة عند هذا الكاتب العظيم ، أنبتتها الوراثة وأنضجتها التجربة ، وتولتها الموهبة بالعرض والتقديم .. لقد ولد فى مهد الفاقة فسخط ، وشب فى أحضان النبوغ فسخط ، وتنفس فى جو القيود فسخط ، وبدأت حياته وانتهت وهى سلسلة من السخط المدثر بأثواب السخرية . لقد سخط على الأغنياء لأنه تذوق طعم الفقر ، وسخط على الاستعمار لأنه نشأ حر الفكر ، وسخط على العاجزين لأنه شجاع يؤثر الغلبة والاقتحام .. ثم أفرغ هذه الطاقة الساخطه فى ذلك القالب الساخر ، الساخر من شتى المثل والقيم والتقاليد !

لقد كان السخط هو المنبع الأصيل الذى انبثقت منه سخرية

« شو » ، لتنال برشاشها اللاذع كل ما يدخل في دائرة عقله من مظاهر الإنكار . وماهى السخرية على التحقيق إذا لم نردها إلى أصولها النفسية من السخط الثائر على أمر من الأمور ؟ إنك لا تسخر من وضع في الحياة إلا إذا كنت ساخطا عليه ، لأن السخرية في جوهرها ما هي إلا اتجاه عقلي إلى الحط من قيمة هذا الوضع ، والتعرض له بفنون من الهدم والتجريح ! والسخط لون من ألوان الثورة بلا جدال ، ولكنه عند « شو » ثورة عقلية مهذبة ، هدفها النيل بالقلم واللسان ، ومادتها السخرية التى تؤثر الهدم بالقول الجارح وتعمل بالظهور مالا تعمل السياط .. هو ساخر في حياته وساخر في فنه ، وبهذه السخرية النادرة نظر إلى الحياة والفن من زواياه الخاصة ، وسلط عليهما أضواءه الخاصة ، واختلف مع كل المصورين في لقطاته البصرية والنفسية !

ولم تكن سخرية « شو » هي سخرية العاجز حين يشكو النقص فيتندر على القادرين ، ولكنها سخرية المشرف على الدنيا من فوق قمة عالية ، تريه الأشياء صغيرة مسرفة في الصغر ضئيلة مغرقة في الضآلة . ومن هنا امتزجت السخرية في دمه بالكبرياء ، سخرية العقل بكبرياء النفس ، ثم انصهر هذا المزيج العجيب في بوتقة الحياة فنشأت عنه هذه النزعة الإنسانية التى تتسم بالعطف على الشعوب الفقيرة والمحتلة على حد سواء .. إنها نبضات القلب الكبير ، القلب الذى تقلب يوما على أشواك الفقر فقاد خطوات صاحبه إلى طريق الاشتراكية ، وناء يوما بثقل القيد فوجه قلم صاحبه إلى مهاجمة الاستعمار !

ومن مظاهر الكبرياء في حياة « شو » أن يهاجم التقاليد الانجليزية في كل مناسبة تدعوه إلى الهجوم ، ويسخر من المثل الانجليزية في كل فرصة تهيئ له أسباب السخرية ، في الوقت الذى كانت أيرلندة وطنه الأول تئن تحت ضغط الاستعمار البريطاني .. ثم لا يقف بكبريائه عند هذا الحد المقبول ولكنه يندفع بها إلى ما وراء المعقول ، فيمتدح الشيوعية الروسية وينعت قطبها الأكبر ستالين .. بأنه خير الناس ! ترى هل كان « شو » يؤمن بهذا الذى جهر به ، أم أن سخطه على الرأسمالية عامة وعلى الشعب البريطاني خاصة هو الذى كان ينطقه بغير ما يعتقد ويظهره بغير ما يريد ؟ الحق أنه للسخط من جهة والإعجاب بالرأى من جهة أخرى »

على هذه الفقرات الأخيرة تركزت أسئلة الأديب الفاضل محمد محمد عبد الرحمن في العدد الماضي من الرسالة .. وإذا كنا قد عمدنا إلى الاستشهاد بما سبقها من فقرات ، فلأننا سنعود إليها في معرض الجواب حين نرفع القناع عن أهدافه ومراميه . إن الأديب الفاضل يسألنا وهو يطلب المزيد من الوضوح : « ترى هل كان شو ياسيدى ساخطا حقا على الرأسمالية ، غير مؤمن باستحواذ المال ؟ إن الأستاذ العقاد يؤكد لنا في كتابه الصغير عن برناردشو ، أنه كان مؤمنا برسالة المال في حياة الآحاد وحياة الجماعات ، وأنه لا يكتم هواه للمال وحبه للاستزادة منه ما استطاع ثم يحدثنا العقاد عما كان يجذب شو نحو الاشتراكية فيقول : كان يجذبه إليها فقره وتمرده على النظم القائمة ونشأته الأيرلندية التى تعلم منها الثورة على الاستعمار والاستغلال ، فكان انضمامه إلى جماعة الفابيين . فاذا أردنا تفسير كلمة « فقره » وجدناها لا تعني سخطه على الرأسمالية ، يؤيد ذلك قول شو نفسه « لا تخلط بين بغضك لزيادة جارك في الغنى وبين بغضك للفاقة » !

إلى هنا تنتهى ملاحظات الأديب الفاضل ونعقب عليها قائلين له : أما أن « شو » كان ساخطا على الرأسمالية فحق لا مراء فيه ، وأما أنه كان مؤمنا برسالة المال في حياة الآحاد وحياة الجماعات ، ولا يكتم هواه له وحبه للاستزادة منه فحق آخر لا يقل عن الحق الأول في دلالته ومعناه ، ولا تناقض بين النزعتين ولا غرابة ولا شذوذ .. فاذا قلنا إن « شو » كان صاحب نزعة اشتراكية في آرائه الاجتماعية ، فمعنى هذا أنه تنكر للرأسمالية وسخط عليها وعدها خطرا على حياة الفرد وحياة الجماعة . وإذا آثر مفكر من المفكرين نظاما في الحياة على نظام ، فدلالة هذا الايثار واضحة كل الوضوح معبرة كل التعبير ، بأنه قد آمن بالوضع الأول ولم يؤمن بالوضع الأخير . وإذا قلنا بعد ذلك إن « شو » كان يعترف برسالة المال وأثره في حياة الآحاد وحياة الجماعات ، وجب علينا أن نقرن القول بشيء من التوضيح ينتفى معه كل تناقض بين الرأيين في مجال الموازنة والتوفيق . أية رسالة للمال تلك التى كان يعترف بها « شو » ويؤيدها بكل ما يملك من قوة القلم وحرارة المنطق وذلاقة اللسان ؟ لقد نادى

« شو » بأن يكون المال فى يد الجميع ليهض الجميع ، أما أن يكون المال فى يد طبقة دون طبقة ، فهذه هى التفرقة التى لا تتسم بالعدل ولا تقترن بالإنصاف ، لأنها مدعاة لتنافر الطبقات من جهة وزلزلة للنظم الاجتماعية من جهة أخرى . ومن هنا آمن « شو » بنظرية (المساواة فى الدخل) كنظام اقتصادى يفضله على كل ما عداه.. وأساس هذه النظرية أن المواهب الخاصة والكفايات الذاتية ، تلك التى تميز بين الأفراد فى رأى المجتمع وتقدير القادة ، لا يصح أبدا أن تكون ميزانا لمثل هـذا التمييز فى الحصول على حقوقهم المادية . ولهذا طالب « شو » بتأميم وسائل الإنتاج ، أى بوضع المرافق الاقتصادية فى يد الدولة ، لتستطيع الدولة أن تستغل تلك المرافق بعيدا عن دوافع الأثرة ومزالق الأهواء ، وذلك بتوزيع الدخل الحكومى توزيعا عادلا « متساويا » بين الأفراد !

هكذا آمن « شو » برسالة المال فى حياة الآحاد وحياة الجماعات ، وهو إيمان تؤيده نزعته الاشتراكية ويؤكده انضواؤه تحت لواء الجمعية الفابية . . ونحن هنا متفقون مع الأستاذ العقاد حين قال بأن ما كان يجذب « شو » نحو نزعته تلك هو فقره ، وعرده على النظم القائمة ونشأته الأيرلندية التى تعلم منها الثورة على الإستعمار والاستغلال . متفقون معه فى تلك الفقرات التى أثبتناها فى بداية هذه الكلمة وختمناها بهذه العبارة : « إنها نبضات القلب الكبير ، القلب الذى تقلب يوما على أشواك الفقر فقاد خطوات صاحبه إلى طريق الاشتراكية ، وناء يوما بثقل القيد فوجه قلم صاحبه إلى مهاجمة الإستعمار » !

وإذا ما نطرق الحديث إلى ثورة الكاتب العظيم على الاستعمار فقد آن لنا أن نربط بين هـذه الثورة وبين ثورته الأخرى على الرأسمالية ، ذلك لأن شو كان يعتقد اعتقادا راسخا بأن الرأسمالية بوجهها السافر وصورتها الصادقة ، ما هى إلا المعبر الحقيقى لتلك الخطوات التى لا تعرف التردد وهى تشق طريقها نحو الاستعمار وما يقتضيه من ألوان الإستغلال وضروب الاستعباد . . إن الرأسمالية معناها إثارة الحروب ، وهدفها إرضاء المطامع ، وغايتها التحكم فى رقاب الناس ، ودستورها فرض سلطة القوى على إرادة الضعيف ، وهذا كله بتسخير قوى المال فى إخضاع العصاة وقهر الأباة . . تحقيقا لمبدأ الشهوات والنزوات !

ويسألنا الأديب الفاضل بعد ذلك فى نهاية كلمته : كيف نوفق بين قولك بأن « شو » كان ساخطا على الرأسمالية ، وبين قوله هو : لا تخلط بين بغضك لزيادة جارك فى الغنى وبين بغضك للفاقة ؟! والجواب عن هذا السؤال كامن هناك ، فى تلك الفقرات الأولى التى استشهدنا بها من مقالنا السابق عن الكاتب العظيم ، حيث قلنا بعد كلام طويل : « ... والسخط لون من ألوان الثورة بلا جدال ، ولكنه عند « شو » ثورة عقلية مهذبة ، هدفها النيل بالقلم واللسان ، ومادتها السخرية التى تؤثر الهدم بالقول الجارح وتغفل بالظهور ما لا تفعل السياط » .. إن كلمة (مهذبة) التى نطقنا بها ونحن نرمى إلى ما يرسب فى قرارها من أهداف ، هى المفتاح الأصيل لما يبتغيه الأديب الفاضل من تفسير وتعليل :

لقد انضم « شو » إلى الجمعية الفابية عند إنشائها فى سنة ١٨٨٤، ومن مبادىء هذه الجمعية أن تدعو إلى الإصلاح الاجتماعى أو تطبيق العدالة الاجتماعية بين طبقات الكادحين ، وذلك عن طريق التوجيه والتشريع لا عن طريق الثورة المسلحة وإراقة الدماء . . لم تكن الجمعية الفابية تؤمن بالعنف أو تميل إلى تحقيق أهدافها بالقوة ، وإنما كانت تؤمن بنبذ الأوضاع غير المألوفة فى ناحية بعينها من نواحى المجتمع هى الناحية الاقتصادية ، وشعارها أن يكون المال فى يد الجميع ليهض الجميع . تؤمن بهذا المبدأ وهى أبعد ما تكون عن وسائل الضغط وعوامل الإرهاب ، وأبعد ما تكون عن تأليب فئة من الناس على فئة ، عملا بخطتها السلمية التى تأنف إثارة الأحقاد والضغائن بين الطبقات ... فإذا كان « شو » قد جهر بتلك الكلمة المأثورة ، وهى ألا نخلط بين بغضنا لغنى الجار وبين بغضنا للفاقة ، فهو خضوع لمنطق نزعته الإشتراكية وخضوع فى نفس الوقت لمنطق جمعيته الفابية ، تلك التى انضم إليها عن عقيدة وإيمان !

لقد كانت الحركة العمالية البريطانية فى نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر ، تلجأ فى تحقيق مطالبها إلى كل وسيلة من وسائل العدوان ، نعنى أنها كانت حركة ثورية تبعد فيها الثورة عن أن تكون « مهذبة » . وحين ظهرت الجمعية الفابية فى أواخر النصف الثانى من ذلك القرن ، كان لها أكبر الأثر فى

تهذيب تلك الحركة الثورية وطبعها بطابع التعقل والرصانة وتقدير الأمور . واسنا مغالين إذا قلنا عن تلك الجهود التي بذلتها الجمعية الفابية في ذلك المضمار ، إنها قد انتقلت بالحركة العمالية من مرحلة القوى المبعثرة بفعل القلق والاضطراب ، إلى مرحلة أخرى من الاتحاد والهدوء والاستقرار ، نهض على دعائمها القوية حزب العمال وحكومة العمال . نقول هذا مختلفين مع الأستاذ العقاد حين يقول في كتابه الصغير القيم عن أثر الجمعية الفابية : « . فالواقع أن المجال كله مجال (نظريات وآمال) فيما تناولته الجماعة الفابية من المساعي والجهود ، فإن آثارها في مجال العمل السياسي جد قليلة ، ومعظم آثارها إنما كان تعليما مقبولا بين الناشئين والمثقفين ممن لا يملكون في مساعيهم وجهودهم قوة فعالة أكبر من قوة الاقناع في هذا المجال المحدود » !

وليس من شك في أن « شو » كان يحب جمع المال ويسعى إلى اقتنائه ، حتى مات وهو صاحب أكبر دخل بين الكتاب في القرن العشرين.. وقد يعجب القراء حين يعلمون أن هـــذا الكاتب الانساني صاحب تلك النزعة الاشتراكية ،لم يعرف عنه أنه جاد بماله يوما على فقير أومحتاج أوجمعية من الجمعيات الخيرية ! لقد كان « شو » هو هذا الرجل الذي صورناه ، ولكن العجب يزول ويجب أن يزول ، حين نقول إن « شو » كان يؤمن وله كل الحق في هـذا الايمان ، بأن مشكلة الفقر لا يمكن أن تحل عن طريق التبرع أو عن طريق الاحسان . . ولهذا أمسك يده إلا عن الجمعية الفابية !

بعض الحقائق عن الفضيحة العلمية :

كان المقال الذي كتبناه في العدد الماضي من الرسالة ، حول الفضيحة العلمية التي ارتكبها الدكتور عبد الرحمن بدوى بتحقيقه ، معذرة أقصد بتشويهه لكتاب « الإشارات الإلهية » كان لذلك المقال أثره البعيد ودويه العميق في مختلف الأوساط الأدبية والجامعية . ولكن هذه الأوساط قد لجأت إلينا متسائلة ومستفسرة ، عن السر الخفي الذي حال بين المقال الثاني من نقد الأستاذ صقر في مجلة « الثقافة » وبين الظهور ، في الوقت الذي دعونا القراء إلى انتظاره في يوم معلوم . ونرى لزاما علينا أن نرفع الغطاء قليلا عن السر الخفي فنقول : لقد حدث أن عجز فيلسوف مصر الأول عن أن يدفع عن « علمه » طعنات السهام . فتوسل إلى المشرف على تحرير « الثقافة » بحق ما بينهما من روابط الصداقة وأواصر الوفاء ، أن يحبس المقال الثاني إنقاذا لسمعته !!

وتحت جنح الظلام تمت المؤامرة ونجح التوسل وأفلح الرجاء ، ولكن إلى حين . . فقد علم المفكر الحر الأستاذ احمد أمين بك بهذا الذي دبر في الخفاء ، فوقف إلى جانب حرية الرأى يناصرها بغضبة العالم ويؤازرها بيقظة الضمير ، وأصدر أمره إلى المشرف على تحرير « الثقافة » بأن يفسح لحرية الرأى مكانها الموقر في قرار النفوس ! إننا حين ندعو القراء مرة أخرى إلى متابعة الأستاذ صقر في دفاعه عن كرامة التحقيق العلمي في مصر ، فإنما ندعوهم في نفس الوقت إلى أن يذكروا للأستاذ احمد أمين بك هذا الموقف المشرف الذي لا يمكن أن ينساه المفكرون الأحرار!!

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

في ندوة الجامعة الشعبية

جرت الجامعة الشعبية على أن تنظم مناقشات أدبية تدور حول كتاب يختار للعرض والمناقشة . وقد كان كتاب الندوة الأخيرة هو قصة « على باب زويلة » للأستاذ محمد سعيد العريان، قام بعرضه ونقده الأستاذ زكريا الحجاوى، وقد بدأ حديثه بمقدمة حمل فيها على الأدباء الكبار الذين تعرضوا لكتابة القصة الطويلة من حيث محاكاتهم وأخذهم من قصص الغرب ، حتى شبههم بالغراب يحجل في جنة الكروان ... ومن حيث استئثارهم باهتمام النقاد وعنايتهم ، ذاهبا إلى أن قصة « على باب زويلة » ليست كذلك ولم يظفر صاحبها بما يستحق من إشادة النقاد لأنه ليس من المشهورين اللامعين ، وذاهباً أيضاً إلى أن ذلك يدل على أن النقد عندنا مصاب بـ « الأنيميا » على حسب تعبيره

وكان الأستاذ الحجاوى مغاليا فى ذلك ولكن لنغض عن هذه خالاة محتفظين بعبارة « أنيميا النقد » فقد لاحظت بعض أعراضها فى كلامه على كتابنا هذا المعروض للنقد والمناقشة . يظهر أن كلمة « النقد » ليست فى حساب هذه الندوات ، ولذلك تراها تعبر فى الإعلان عن الندوة بكلمتى « عرض » و« مناقشة » وإن كانت المناقشة يدخل فيها النقد ، ولكن الإدارة المشرفة لا تميل إلى أن يدخل فيها ما قد يغضب حضرات المؤلفين الذين تؤثرهم باختيار مؤلفاتهم . ولو أن الأستاذ الحجاوى التزم هذا الوضع واكتفى بعرض الكتاب دون الاتجاه إلى نقده ، لسلم من أعراض الأنيميا النقدية ، ولكنه أديب مثقف حصيف، وكاتب قصصى ملحوظ ، فلابد أن يحمله شيطانه على النظر فيما يعرض له ليقدره ويقومه . ولكنه مع ذلك رضى أن يتعرض لتلك الأنيميا لأنه كان يشرف على النقد ثم يمسك عنه ، ويمضى فى شيء من التقريظ ينطوى على سوء الوقع لدى الجمهور غير المستعد - نفسياً لسماع النقد ، ولست أدرى مدى ما بينه وبين المؤلف من علاقة

أشاد الأستاذ الحجاوى بعمل المؤلف فى هذه القصة من حيث إنها جلت حقائق تاريخية فى الحقبة التى مرت بها حوادثها ، وخاصة ما بذله المؤلف من جهد لكشف الغموض فى أحداث عصر المماليك الذى وقعت فيه القصة والذى لم ينل عناية المؤرخين ومن حيث اختياره موضوعاً مصريا يظهر فيه خط الاتجاه الذى لا بد منه فى كل عمل قصصى قيم ، ويبدو هذا الخط فى العناية بالناحية المصرية القومية فى عرض بعض المواقف ، وقال إنه يعد هذا الاتجاه ريحانة يضعها على مفرق الأستاذ العريان .

ورد الأستاذ الحجاوى على مآخذ وجهه إلى القصة الدكتور طه حسين والأستاذ نجيب محفوظ عند ظهورها ، إذ أخذ العميد عليها « الإنات » التى تكثر فيها، ويعنى بالإنات تكرار لفظ « إن » فى أسلوبها. الحجاوى إن هذه الإنات واقعة فى مواقعها فهى كما يعاب الورد بأنه أحمر الخدين . ولكن ما قوله فى « اللامات » التى أفرط بها الأستاذ العريان فى الكلمة التى عقب بها ، إذ كان يكثر من مثل « تصوير ما » و « نظر ما » ... الخ ؟

وكان الأستاذ نجيب محفوظ أخذ على القصة أنها مزدحمة الحوادث وطويلة السنين وأنه يمكن أن تستقل بعض مواقفها وفتراتها فى عمل تكون عناصر الفن فيه أكمل . رد الحجاوى على ذلك بأن الفترة التى تقع فيها حوادث الرواية تكاد تكون مجهولة التاريخ فكان عمل المؤلف مجليا لها . ولكنى أرى أن هذا دفاع تاريخى لا فنى ، أى أن المقصود به مصلحة التاريخ ، ومعناه أن القصة ضرورة تاريخية مؤقتة حتى يهتم المؤرخون بهذا العصر ويولوه ما يستحق من عناية

ولم أفهم ما يعنيه الأستاذ الحجاوى بما قاله من أن القصة ليست قصة أدبية ولا قصة تاريخية وإنما هى ملحمة اهل خرجت الملحمة عن أنها قصة أدبية أو تاريخية ؟ لعله يعنى أن أسلوبها شعرى أو بها حماس . لست أدرى بالضبط

ومما وجهه الحجاوى من نقد إلى القصة ، أن بعض حوادثها

متعارض مع المنطق ، وأن المؤلف قسمها فصولا ومع ذلك فإن هذه الفصول ليس الكل منها وحدة إذ يتعدد الزمن وينقطع الحديث عن الشخص ويبدأ بغيره في الفصل الواحد ، ووأن حوارها في بعض المواضع مسرحي خطابي مقعقع ، وأن المؤلف أنطق بعض شخصيات القصة بعبارات وطنية مصرية وهم من المماليك الأجانب

والواقع أن الأستاذ الحجاوى نظر في القصة نظرة دارس فاحص لولا تلك الأعراض الأنيمية النقدية ، وهي غير خبيثة على أي حال . وكان السامع يستطيع بغض الطرف عنها أن يدرك مدى تقويمه الحق للكتاب.

وقد عقب الأستاذ العريان بكلمة لبقة بين فيها الدوافع التي حفزته على كتابة هذه القصة، وهي كشف الغموض عن فترة مهملة من تاريخ مصر ، وقال إن القصة تشتمل على أحداث تاريخية صحيحة وعلى ناحية إنسانية من عمل الخيال الذي لا بد منه في الفن وقد أبدى روحا طيباً نحو الأستاذ الحجاوى وسلم ببعض المآخذ ، ورد على بعضها ، إلا أنه عند ما عبر عن سروره بهذه الفرصة قال إنه يسره أن يرى صورته في مرآة القراء وهو يعرفها في مرآة نفسه ، ولعل كلمة « القراء » سبقت على لسانه دون كلمة « النقاد » فإن الصورة التي يعنيها إنما صورها الحجاوى كناقد

وعلى الأستاذ العريان خاصة بالرد على أن المماليك أجانب ، ذاهبا إلى أنهم وإن كانوا قد جلبوا من الخارج إلا أنهم نشأوا في مصر وشعروا بها وطنا لهم ودفع عنهم ما وصفهم المؤرخون به من الفساد في البلاد عند الكلام على مكافحة محمد علي لهم وألاحظ أن الأستاذ غالى في وطنية المماليك ومصريتهم ، فهم حقا دافعوا عن مصر في مواطن كثيرة، ولكني أرى أنهم كانوا يصدرون في ذلك عن « روح الفروسية » لا عن الوطنية . وأين هم من الوطنية وقد كانوا يجعلون أنفسهم في مرتبة غير الشعب وينفرون منه ويأبون مصاهرته بله ما كانوا يسومونه به من خسف وطغيان

ولم أفهم ما قاله الأستاذ العريان من أنه يتمنى إلا يتكرر لمصر أبطال خارجيون كالمماليك ولم لا يتمنى لها أبطال من أبنائها؟

حفلة المسرح الحديث

هناك في ردهة مطلة على

كشكول الأسبوع

◻ كان معالي الدكتور طه حسين باشا عند يقيننا حين بسطت لمعاليه حال أسرة فقيدنا الراحل الأستاذ احمد الزين ، فقد اهتم معاليه بالأمر واتصل بمعالي وزير المالية ، يطلب منه العمل لتقرير معاش للأسرة الكريمة . ولا أرى المجال هنا لإسداء الشكر ، وإنما هو لإبداء الحب الذي نشعر به نحو عميدنا الانسان المظيم

◻ جرى انتخاب رئيس مجمع فؤاد الأول اللغة العربية في إحدى جلسات المؤتمر الماضية ، فانتخب بالاجماع معالي الأستاذ لطفي السيد باشا . ومما يذكر أن هذا الانتخاب يجرى كل ثلاث سنوات ، وهذه هي المرة الثالثة التي ينتخب فيها معالي لطفي باشا .

◻ عقد مؤتمر المجمع جلسته الختامية يوم الأحد الماضي وبذلك انتهت دورته لهذا العام ، وسيستأنف بعد ذلك مجلس المجمع — الذي يتكون من الأعضاء المصريين فقط — اجتماعاته ، ومن أهم ما ينظر فيه مسائل الترشيح والانتخاب لشغل الكراسي الخالية به .

◻ ذكرت في الأسبوع الماضي أن أحد الوطنيين العرب أرسل إلى جمعية الوحدة العربية شيكا بعشرة آلاف جنيه لانشاء صحيفة عربية تكون صوتا للبعث العربي الجديد . وأذكر الآن أن هذا العربي الكريم هو الأستاذ اميل البستاني ، وهو لبناني الأصل ومن رجال الأعمال بالقاهرة .

◻ ألقى الدكتور محمد يوسف موسى بجمعية الشبان المسلمين محاضرة موضوعها « ابن سينا ومشكلات العصر الحاضر » قال فيها إن ابن سينا سبق إلى معالجة بعض المشكلات التي تهم العالم الان ، ومنها مشكلة الفقر والبطالة ، ومن رأيه أن يفرض العمل على كل قادر عليه ، أما العاجزون عنه فيجمعون في مكان وتجرى عليهم أرزاق يؤخذ أكثرها من ضرائب تجبى من القادرين ، وهي غير الزكاة المفروضة .

◻ ألقى الأستاذ فؤاد مرابط محاضرة عن الفنون الإسلامية بنادي نقابة الصحفيين ، قال فيها : يتجنى بعض المؤرخين والنقاد الأوربيين حين يزعمون أن فن الرسم والتصوير لا يوافق تكوين العرب وإحساسهم وأن تاريخهم الطويل لم تتلألأ في أفقه إلا روائع من الأدب والبيان أسلوبها اللغة فقط ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، فقد قرر « بلوشيه » الفرنسي أن التصوير في الاسلام سبق التصوير في أوربا ، فقد الفنان العربي أبو المعالي نور الله كتاب كليلة قبل أن يظهر « شيما بويه » أول مصور في العالم بثمانية عشر قرنا

شاطىء النيل من فندق سميراميس ، اجتمع طائفة من رجال الصحافة والأدب والفن تلبية لدعوة الأستاذ زكى طليمات وأعضاء فرقة المسرح المصرى الحديث فى حفلة شاى أنيقة أقامها الفرقة لتكريم الصحفيين الذين أولوها عنايتهم فى إبان نشأتها ، ولمناسبة استئناف الفرقة موسمها بمسرح حديقة الأزبكية الذى أعدت له برنامجا يشتمل على أربع روايات جديدة.

وقد خطب فى الحفلة الأستاذ زكى طليمات وفكرى أباظة باشا ومعالى الدكتور صلاح الدين بك والأستاذ مظهر سعيد . وتناولوا فى كلماتهم عدة مسائل من شؤون المسرح ، قال الأستاذ زكى طليمات إن المسرح والصحافة يشتركان فى هدف واحد هو خدمة المجتمع عن طريق عرض صوره ومسائله ، ولكن المسرح سبق الصحافة فقام بمهمتها فى توجيه الناس ومعالجة شئونهم قبل أن توجد . فلما تكلم فكرى باشا قال حقا إن المسرح أخو الصحافة ولذلك نريد أن يؤدى مهمته فى الوقت الحاضر كما تؤديها ، وأعنى بذلك أن يهتم المسرح بالحياة الواقعية ويأخذ صوره من المجتمع الحاضر . ثم قال الدكتور صلاح الدين بك إن المسألة التى أثارها فكرى باشا ، وهى عناية المسرح بالناحية الاجتماعية والقومية ، جديرة بالاهتمام ، ولكن ينبغى أن نذكر أن الفرق ليست مسئولة عن هذا النقص إنما هو فقر فى التأليف يرجع أكثر التبعة فيه على الكتاب والصحفيين الكبار أمثال فكرى باشا والأستاذ زكى عبد القادر والأستاذ التابعى ، وتوجه إليهم أن يهتموا بهذه الناحية

وقد استرعى انتباهى ما أشار إليه الأستاذ زكى طليمات عند ما أراد فتح باب المناقشة فى مسألة التأليف ودعا إلى إبداء الرأى بصراحة ، إذ قال إن الروايات المؤلفة تكتب بالعامية . وهى إشارة تدل على ما ألمحه فى برنامجه وما يتجه إليه من تجنب التمثيل بالعامية والاقتصار على الأدب الفصيح ؛ وهذا اتجاه حسن أؤيده فيه وأوافقه عليه وإن كنت لا أضيق ببعض التأليف الفكاهى العامى ذى الفكرة والموضوع على أن يكون قليلا إلى جانب الفصيح . ويلوح لى أن الأستاذ يريد أن يضع العامية عقبة فى سبيل تقديم روايات مؤلفة، وإنا نراه يكثر من الروايات البعيدة عن المجتمع المصرى ، وقد أعجبنى إبداؤه الارتياح إلى المصارحة بالنقد ، ولذلك أصارحه بأن اتجاهه ذاك لا يتفق مع الرسالة الكاملة للفرقة . حقا إنه يختار ويقدم مسرحيات قيمة من الأدب العالى ، تاريخية ومترجمة ، ولكن إلى جانب ذلك يجب أن يرى الناس صورهم ومسائلهم وخواطرهم على المسرح ، وليست العامية عقبة فى ذلك فإنى لا أراها لازمة فى التأليف ، بل أعتقد أن الحوار العربى الحى أوفق للمسرح الراقى الموضوعى ، ومسرحية « اللص » للأستاذ توفيق الحكيم تعتبر مثلا لذلك

وقد ساد الحفلة روح المرح والديمقراطية ، وإن كان معالى الدكتور صلاح الدين بك نفى هذه الديمقراطية بلفتة بارعة ، فقد شكره الأستاذ زكى طليمات على حضوره ، وهو وزير عامل ، وعد ذلك منه ديمقراطية ، فقال معاليه إن هذه المسألة ليست كما قال الأستاذ زكى، إذ ليس فى حضور وزير إلى أهل الفن ديمقراطية ولا تنازل ، لأن الفن يرتفع إليه !

ومن طريف ما حدث أن الأستاذ زكى طليمات قال فى صدر الحديث عن ميزانية الفرقة التى لا تكفل لأفرادها ما يليق بهم من العيش والمظهر : إن فى الفرقة شابات ناعمات فى سن صغيرة لا تسمح لهن بالزواج فهن يحتجن إلى المكافأة التى تكفيهن . فقال فكرى باشا فى كلمته : أما الفتيات الناعمات فإنا نرجو لهن مستقبلا سعيدا وأزواجا مسعدين ، فإن لم يجدن فنحن هنا ... فلما خطب الدكتور صلاح الدين بك قال إن زكى طليمات استدر العطف على الفرقة وفتياتها حتى جعل فكرى أباظة يقف لا خطيبا فقط بل خاطبا كذلك !

اقتراح لأحد منه :

اقترح الأستاذ أحمد حسن الزيات على مؤتمر المجمع اللغوى فى جلسته الأخيرة زيادة موضع على المواضع الثلاثة التى يغتفر فيها التقاء الساكنين فأحال المؤتمر الاقتراح على لجنة الأصول تمهيداً لإقراره وهذا نص الاقتراح :

« من طبيعة العربى ألا يلتقى الساكنان على لسانه . فإن التقيا فى الكلام تخلص من التقائهما بحذف الساكن الأول إذا كان حرف مد ، أو بتحريكه إذا لم يكن كذلك . وحذف حرف المد يكون لفظا وخطا إذا كان الساكنان فى كلمة، نحو خف وقل

وبم ، ويكون لفظا لا خطا إذا كانا فى كلمتين ، نحو اصنعوا المعروف، وعملى الخير، ووكيلا المجلس، وموظفو الدولة، وممثلى الأمة. وقد اغتفروا التقاء الساكنين فى ثلاثة مواضع : أولها إذا كان الساكنان فى كلمة وكان الساكن الأول حرف مد والثانى مدغما فى مثل، نحو عام وخاص ومادة ودابة ، وثانيها ما قصد سرده من حروف الهجاء نحو نون وقاف وميم . وكان من الجائز أن تحرك أواخر هذه الحروف لولا أنها وردت فى القرآن الكريم على هذا الوضع فى فواتح بعض السور . وثالثها ماوقف عليه من الكلمات نحو سماء ومسكين ومحروم

والذى يعنينا من المواضع الثلاثة الموضع الأول ، لأن اغتفار الساكنين فيه قائم على أصل من أصول البيان وهو دفع اللبس فى الكلام ، فإنهم لو حذفوا حرف المد من نحو قولهم عام وسام وجاد ومادة ومارة لالتبس العام بالعم والسام بالسم والجاد بالجد والمادة بالمدة والمارة بالمرة وهلم جرا . وكان ينبغى أن يطرد هذا الاغتفار كلما خيف اللبس من حذف الساكن الأول، ولكنهم وقفوا عند ذلك فدارت على الألسن عبارات لا يستطيع السامع أن يتبين مراد المتكلم منها كقولنا مثلا : اجتمع ممثلو العراق؛ بممثلى الأردن . واتصل محامى بمحامى الخصم . فإن السامع لا يدرى أقصد المتكلم إفراد الممثل والمحامى أم قصد جمعهما ومثل. ذلك مدرسو التاريخ ومفوضو الشركة ومفتشو الوزارة

لذلك أقترح أن يزاد على هذه المواضع الثلاثة موضع رابع وهو الاسم الصحيح الآخر إذا جمع جمع مذكر سالما وأضيف إلى اسم محلى بأل فى حالتى الرفع والجر ، والاسم المنقوص إذا جمع هذا الجمع وأضيف إلى ياء المتكلم فى أحوال الرفع والنصب والجر ، أو إلى الاسم المحلى بأل فى حالة الجر . فنقول ممثلو الشعب ومندوبى الحكومة ومحامى ومحامى الخصم بإثبات الواو والياء فيها لفظا كما تثبت خطا

والذى أعتمد عليه فى تأييد هذا الاقتراح القياس والسماع : قياس هذه الحالة على ما اغتفروه من التقاء الساكنين فى مثل عام وخاص لاتحاد العلة فيها وهى دفع اللبس، والقياس على ماقاسه العرب من المبادئ التى أقرها المجمع . ثم سماع التقاء الساكنين فيها من المحدثين ، فإن أكثر المثقفين يقولون : مقررو اللجنة وموظفى المجلس بإثبات الواو والياء . وقبول السماع من المحدثين مبدأ قرره المجمع فى دورته الأخيرة . وفى اعتقادى أن المجمع الموقر سيجد فى هذا الاقتراح اتجاها إلى ما يقصد من تيسير اللغة وتوضيحها فيقبله

يدعو إلى دراسة مسرحية دينية

تلقيت رسالة طريفة من الأديب « محمد أحمد السنباطى بمعهد رأس التين الدينى » ووجه الطرافة فيها أنه يبدىء بها فكرة تقدمية إلى أبعد ما تكون التقدمية . . . فقد رأى أن المهمة التى يقوم بها خريجو قسم الوعظ والإرشاد لا تؤدى إلى نتيجة ، وإنما هى ضياع للأموال والجهود فى الهباء لعقم وسائل الإرشاد وعدم وصول أصوات المرشدين إلى آذن المفسدين لأن أصحاب الوعظ إنما يتخذون منابر المساجد التى لا يأوى إليها إلا من تشبع بالإسلام . ورأى إلى جانب ذلك انتشار الرذائل واستشراء الفساد فى البلاد، فما هى إذن الوسيلة التى توافق العصر ؟ يقول :

« إن القرن العشرين يحتم على شيوخ الأزهر أن ينقبوا عن وسائل حديثة تتمشى مع قانون البقاء للأصلح ، وإنى شخصيا أشير بالاتجاه نحو المسرح والشاشة . . فإنهما أنجع دواء يمكن أن يؤثر فى تقاليد المجتمع وفى معلوماته وأفكاره يجب عليهم أن يدخلوا فى دراسة العلوم الدينية فن المسرح . . أن يتقنوا ذلك « الكفر » الذى كانوا يعتقدونه من قبل ! وعلينا من الآن أن نتعلم كيف نقف أمام « الكاميرا » ! ! إن العصر الحديث لا يريد من الواعظ أمتاراً من ذقنه وقباباً من عمته . . ولكن يريده عقلا جباراً يلم بأحوال التطور ويسبر أغوار النفوس ... الخ »

هذه دعوة منطقيـــــة ، وكل ما عليها من غبار أنها تسبق الزمن ... ولا شك أن أكثر علماء الأزهر الحاليين ينفرون من مجرد سماعها ويأبون حتى مناقشتها، ولكن من يدرى ماذا تكون الحال فيما بعد إننى لا أستبعد أن يدخل الأزهر بعد مائة سنة مثلا دراسة المسرح والسينما فى دراساته لاتخاذهما وسيلة من وسائل الإصلاح وهداية الناس ... ألم ينشأ المسرح فى أول أمره لخدمة الدين ؟ فليت شعرى هل ينتهى به المطاف إلى خدمة الإسلام . ؟

لقد انبهر علماء الأزهر من التجارب العلمية التى قام بها أمامهم



شمس العــــلوم
ودواء كلام العرب من الكلوم

للاستاذ أحمد عبد الغفور عطار

نشرت مجلة الرسالة الغراء بعددها الصادر فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٥٠ خبرا صاغه صديقنا الأستاذ عباس خضر جاء فيه أن المفوضية اليمنية فى القاهرة تلقت « كتابا مخطوطا اسمه شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم بناء على أمر جلالة الإمام أحمد ملك اليمن »

وهذا الكتاب المخطوط الذى أشارت إليه الرسالة معجم من معاجم اللغة العظيمة فى العربية ، ولكن أحداً لم يهتم به فبقى موءودا كل هـذا الزمن الطويل ؛ بل لم يعرف هذا المعجم فى الشرق العربى إلا آحاد من المشتغلين باللغة ، أما الذين قرءوا هذا فلا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة عـدا ، باستثناء اليمن الذى أعتقد أن عديدا من أهله اطلعوا عليه ودرسوه

وطبع هذا المعجم من قبل حكومة اليمن بعد مشاركة منها فى بناء صرح العربية بعد أن يهدم أكثر جوانبه ، وأعتقد أن حكومة اليمن قد أحسنت بهذا العمل الجليل الذى يعد مفخرة من المفاخر وقربى من القرب

إلا أننى أرجو من حكومة اليمن التى تتولى طبع المعجم وإخراجه أن تعنى به عناية لا مزيد عليها ، لأن حياة الكتاب طبعه طبعا أنيقا مصححا تصحيحا دقيقـا ، ونشره نشرا علميا صحيحاً ، ولابد فى طبع هذا المعجم النفيس من لجنة تشرف عليه ، لجنة عالمـة فاحصة محققة تتولى تحقيقه وتصحيحه وتجنيبه من التصحيف والتحريف والخطأ ، وتعلق عليه ، وتسهل مراجعته على كل من يريد الكشف عن كلمة من الكلمات

ولو كان لى أن أقترح على حكومة اليمن لطلبت إليها أن تجعل فى هذه اللجنة اثنين من أعظم محققى الكتب القديمة هما الأستاذان الجليلان : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون تستعين بهما فى طبع الكتاب وإخراجه ونقده وتحقيقه والتعليق عليه

وإنى ما كدت أقرأ هـذا الخبر فى مجلة الرسالة ومجلة الحج التى تصدر بمكة المكرمة حتى شعرت بسرور وسعادة ، لأن ما لدى من أفكار أرى بعضه يحيـا أمامى ، فأنا من رأيى طبع معاجمنا المضبوطة ، وها أنذا أرى حكومة اليمن تقوم بهذا العمل الجليل الذى يكسبها ثناء لا يقوم بثمن ولا يحد بزمن

وإننى أهنئ حكومة اليمن من كل قلبى ، وأرجو أن تتجه إلى إحياء العلوم وبعث الكتب ، فإن قيامها بهذا الأمن كاف لأن يوجه إليها الأنظار ، ويصنع لها من الدعاية الصادقة التى لا كذب فيها ولا نفاق مالا تعد بجانبه الدعاية المأجورة إلا شيئا تافها حقيرا

وأود لو أن حكومة اليمن اتجهت إلى إحيـاء العلوم وبعث الكتب النادرة التى تزدحم بها أبهاء دورها الفسيحة اتجاها قويا إنها لو اتجهت هـذا الاتجاه فستربح مادة ومعنى ، وتفيد سمعتها ، وتشارك مصر خدماتها للغة والعلم

ويقوم بالإشراف على طبع المعجم القاضى العلامة عبد الله بن

العلماء الفرنسيون الذين اصطحبهم نابليون إلى مصر ووصفوهم بأنهم سحرة . ويحدثنا الدكتور طه حسين فى « الأيام » عن الشيخ الذى كان يقول فى درسه بالأزهر « من ذهب إلى فرانسا فهو كافر أو على الأقل زنديق » وها قد صارت العلوم الطبيعية . تدرس فى الأزهر على أحدث طرقها ونظرياتها وصار الأزهر يرسل البعوث إلى البلاد الأوربية وفيها « فرانسا »

فهل نستبعد بعد ذلك أن يأتى الوقت الذى تتحقق فيـه الفكرة التى نعدها الآن فى غاية التقدمية والتى يدعو إليها السيد السنباطى ... ؟ وهل نستبعد أن يأتى اليوم الذى يصبح فيه من مطالب الأزهريين أن يكون لهم موسم فى مسرح الأوبرا الملكية ؟

عباس خضر

عبد الكريم الحرافى ، وهو من علماء اليمن المبرزين فى اللغة وغيرها ، وأنا وإن كنت أعرف كفاية هذا العالم الجليل إلا أننى أود أن تقوم بالإشراف على الكتاب لجنة ، ويكون من أعضاء هذه اللجنة شاكر وهارون مبالغة فى توخى الحق وتحرى الصواب ، وعندى مقترحات أخر ستظهر من خلال كلمتى هذه أوجه إليها نظر حكومة اليمن وأحب أن تمنيها لأنها تفيد مشروعها اللغوى

أما هذا المعجم العربى الكبير فإننى أصفه لقراء العربية بما وعته الذاكرة ، وعا تحتفظ به أوراق التى أدون فيها بعض ما يبدو لى تدوينه

واسم هذا المعجم : « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، وصحيح التأليف ومعجم التصنيف والأمان من التحريف » واسم مؤلفه العظيم : أبو الحسن نشوان بن سعيد بن نشوان اليمنى الحميرى ، وذكر فى معجم الأدباء لياقوت وفى بغية الوعاة للسيوطى أنه : « أبو سعيد » ولعل لنشوان كنيتين

وأبو الحسن من علماء اللغة المعدودين فى العربية ، وكان فى زمنه علامة اليمن الفذ ، ومن علماء العربية المشار إليهم بالبنان كما يدل عليه مؤلفه القيم العظيم « وكان أوحد أهل عصره وأعلم أهل دهره »

ولم تكن اللغة أعظم علومه وفنونه ، بل كان « فقيها نبيلا ، عالما متفننا عارفا بالنحو واللغة والأصول والفروع والأنساب والتواريخ وسائر فنون الأدب ، شاعرا فصيحا بليغا مفوها » (١) وكان طلبة العلم يقصدونه من كل بلد ، بل كان يقصده العلماء يأخذون من علمه الواسع الغزير ، ويتزودون من ماله الذى منحه الله منه ما تنتهى عنده صبوة الطامع المستزيد

وكما منحه الله علما واسعا نافعا ، ومالا عظيما ، فقد منحه الله سلطانا مبينا ، وشعبا يحبه ويفديه لخلائقه الفاضلة الأصيلة ، وعدله وكرمه وبره وتقواه ، ولم يشغله الحكم عن العلم والتأليف ، بل كان يأمر وينهى ، ويتعبد ويخشى ، ويدرس ويؤلف ، دون أن يغفل عن شئ من هؤلاء ، وقد بارك الله له فى وقته حتى استطاع أن يملأه بالخير والنفع والعلوم والآداب

وكان تملكه أن استولى على قلاع وحصون ، ورأى أهلها أنه منقذهم ، وخير من يصلح لحكمهم ، فقدمه أهل جبل صبر وجعلوه ملكا عليهم فحكم بما أنزل الله ، وتوفى بعد عصر يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ٥٧٣ ثلاث وسبعين وخمسمائة . رحمه الله

وخير مؤلفات أبى الحسن معجمه « شمس العلوم » الذى أشارت الرسالة إلى أن حكومة اليمن آخذة فى أسباب طبعه

ويوجد من هذا المعجم نسخة بدار الكتب المصرية إلا أنها غير كاملة ، بل الموجود منها الجزء الأول من أربعة أجزاء ، ينتهى إلى حرف الدال ، وهى مكتوبة بقلم تلميذ المؤلف وقريبه العلامة على بن نشوان بن سعيد بن سعد بن أبي حميد الحميرى وقد فرغ منها يوم الأربعاء الثالث من شهر شوال سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، أى بعد وفاة المؤلف بعشرين سنة

وإن بمكتبة شيخ الإسلام الإمام عارف حكمة الله الحسينى بالمدينة المنورة نسخة منه مبدوءة بقول المؤلف رحمه الله : « الحمد لله الواحد القديم القادر العظيم العزيز العليم الخ » أما ترتيبه فعلى حروف المعجم ، جاعلا لكل حرف بابا ، ولكل باب شطرين أسماء وأفعالا ، ولكل كلمة من الأسماء والأفعال بابا ومثالا

وننقل للقارئ بعض ما جاء فى مقدمة « شمس العلوم » وهذا نص ما قال مؤلفه : « وقد صنف العلماء رحمهم الله تعالى فى ذلك كثيراً من الكتب ، وكشفوا عنه ما يستر من الحجب ، واجتهدوا فى حراسة ما وضعوه ، وضبط ما حفظوه ، وصنفوا من ذلك وجمعوه ، ورددوه عن الثقات وسمعوه ، فمنهم من جعل تصنيفه حارسا النقط ، وضبطه بهذا الضبط ، ومنهم من حرس تصنيفه بأمثلة قدروها ، وأوزان ذكروها ، ولم يأت أحد منهم بتصنيف يحرس جميع النقط والحركات إلا بأحدها ، ولا جمعها فى تأليف لتباعدها ، فلما رأيت ذلك ورأيت تصحيف الكتاب والقراء وتغييرهم ما عليه كلام العرب من البناء ، حملنى ذلك على تصنيف ، يأمن كاتبه وقارئه من التصحيف ، يحرس كل كلمة بنقطها وشكلها ، ويجعلها مع جنسها وشكلها ، ويردها إلى أصلها ، وجعلت لكل حرف من حروف المعجم كتابا ، ثم جعلت لكل حرف معه من حروف المعجم بابا ، ثم جعلت كل باب من ذلك

(١) بغية الوعاة

الأبواب شطرين : أسماء وأفعالا ، ثم جعلت لكل كلمة من تلك الأسماء والأفعال وزنا ومثالا ، فحروف المعجم تحرس النقط وتحفظ الخط ، والأمثلة حارسة الحركات والشكل ، ورادة كل كلمة من بنائها إلى الأصل ، فكتابي هذا يحرس النقط والحركات جميعا ، ويدرك الطالب ملتمسه مريعا ، بلا كد مطية غريزية ، ولا إتعاب خاطر ولا روية ، ولا طلب شيخ يقرأ عليه ، ولا مفيد يفتقر في ذلك إليه ، فشرعت في تصنيف هذا الكتاب ، مستعينا بالله رب الأرباب ، طالبا لما عنده من الأجر والثواب ، في نفع المسلمين وإرشاد المتعلمين ، وكان جمعي له بقوة الله عز وجل وحوله ، ومنته وطوله ، لا بحولي وقوتي ، ولا بطولي ومنتي ، لما شاء عز وجل من حفظ كلام العرب وحراسته بهذا الكتاب ، على الحقب ، وسميته كتاب « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، وصحيح التأليف ، ومعجم التصنيف والأمان من التصحيف »

ثم ذكر أبو الحسن - مؤلف هذا المعجم - فصلا في التصريف ثم بدأ في معجمه على ترتيب حروف المعجم

والحق أن « شمس العلوم » معجم عظيم دقيق ، وما ذكر مؤلفه في مقدمته صحيح لا زيف فيه ولا ادعاء به ، فهو معجم ضخم كبير سيكون في عديد من المجلدات ، وأقول تخمينا : إن به ثمانين ألف مادة

وقد اختصر هذا المعجم الشيخ علي بن نافع الحميري اليمني - أحد تلامذة أبي الحسن مؤلف شمس العلوم - اختصارا جميلا وسماه : « ضياء الحلوم المختصر من شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم » وقد ذكر السيوطي - رحمه الله - معتمدا على البلغة : أن ولد المؤلف اختصره في جزأين وسماه ضياء الحلوم ، والصحيح ما ذكرناه

وتوجد من هذا المختصر نسخة في مكتبة الشيخ عارف حكمة بالمدينة المنورة ورقمها بقسم اللغة ٨٢ وأوراقها ٤٠٠ ، وعدد كلمات كل سطر ٣٠ كلمة إلى ٣٣ في أكثر الصفحات ، وعدد السطور في كل صفحة ٣٣ سطرا وكل ورقة مكتوبة من صفحتيها ، والخط نسخ جميل . والكلمات مضبوطة بالشكل ضبطا صحيحا متقنا

وهذه النسخة من ضياء الحلوم ليست بخط المؤلف بل بخط علي بن إبراهيم بن طيب من بلدة كوتاهية ؛ وفرغ من نسخها في اليوم الثامن والعشرين من شهر صفر سنة ١١١٦ هـ بمدينة القسطنطينية

ويحسن أن تفيد حكومة اليمن من الجزء المحفوظ بدار الكتب المصرية من شمس العلوم ، وبنسخة مكتبة عارف حكمة من هذا المعجم ومن مختصره ، وتعارض ذلك بالأصل الموجود عندها مبالغة في تحري الصواب

وإذا صح عزمهم على المراجعة فإنني أذكر لهم أن مجلد مكتبة عارف حكمة قد انتزع مقدمة شمس العلوم ووضعها توطئة لنسخة من معجم « الراموز » للسيد محمد بن السيد حسن الشريف ، حتى ليخيل إلى من يقرأ الراموز أن هذه التوطئة مقدمتها ، مع أن ما جاء فيها من وصف الكتاب لا ينطبق على الراموز

ونسخة الراموز التي ألحقت بها المقدمة خطأ تحتل من قسم اللغة بتلك المكتبة رقم ٥٩ ، كما أن بها نسخة أخرى من الراموز رقمها ٦٠

وقد نبهت مدير المكتبة الذي بلغ الثمانين حتى أحوجت سمعه إلى ترجمان إلى هذا الخطأ الذي تركه حتى الآن

وأرى أن يعلق « الناشر » على كل مادة تتطلب التعليق في أسفل الصفحة التي تتضمن المادة ، ويحصي عدد المواد التي يضمها شمس العلوم ويطبعه طبعا أنيقا ، ويرتبه ترتيبا يسهل على الباحث سبيله . وذلك بأن يجعل كل مادة في أول السطر ، ويصنع مثل ذلك بكل كلمة تتفرع من المادة حتى لا يتعب القارئ ، ويكون الحرف كبيرا حتى لا تجهد العين ، وألا يكون كل جزء أكثر من مائتي صفحة

كما أن من اللازم أن يبحث الناشر الفاضل أو المكلف بالنشر في مكتبات العالم عن نسخة من « شمس العلوم » للمعارضة ، أما إذا كانت النسخة الموجودة لدى حكومة اليمن نسخة المؤلف فإن من الممكن الاستئناس بنسخة دار الكتب المصرية ونسخة مكتبة المدينة المنورة مع الإشارة إلى الفارق بين الأصل والمنسوخ منه

وقبيل أن أختم كلمتي هذه أهنئ حكومة اليمن على هذا التوفيق العظيم لإخراج معجم لغوي ضخم كبير ممتاز ، وأتمنى لها النجاح ، وأرجو أن تسير في هذا الطريق الذي يفضي بها إلى ما تريد من دعاية حسنة وسمعة طيبة وصوت بعيد ، كما أنني أشكر الصديق عباس خضري الذي يرجع إليه الفضل في كتابة هذه الكلمة التي أملتها إشارته إلى شمس العلوم في عدد مضى من هذه المجلة الكريمة الغراء

أحمد عبد الغفور عطار



أنصر أخاك ظالما أو مظلوما

عقب الأستاذ عبد العظيم عطية هاشم فى العدد ٩١٠ من الرسالة الغراء التى نشرها الأستاذ أحمد حسن الرحيم بالعدد ٩٠٩ وقال فيها « لقد تمكن حب الحرب من نفس العربى وساد نظام أنظر أخاك ظالما أو مظلوما » فقال : ولست أدرى معنى لإيراد هذا الحديث الشريف فى هذا المقام » ثم أورد نص الحديث كما رواه البخارى عن أنس

وقد علقت الرسالة الغراء على هذه الكلمة بما هو الحق فى هذا الأمر فقالت « إن كلمة انصر أخاك ظالما أو مظلوما كان مبدأ جاهليا مقرراً فلما جاء الاسلام نسخ ما كان يريده الجاهليون من هذه العبارة وفسرها الرسول بما يتفق مع مبادئ الدين »

. وهذا الذى علقت به الرسالة هو الحق الذى لا يستطيع أن يدفعه أحد من المطلعين على آداب العرب وعاداتهم ، ولو أن الذى اعترض على كلام الأستاذ الرحيم قد اطلع — وهو ينقل من البخارى — على ما قاله الحافظ ابن حجر فى شرحه لهذا الكتاب وهو إمام رجال الحديث لا نصرف عن تعليقه ! فقد قال هذا الحافظ بعد أن أتم شرح الحديث وأورد طرقه واختلاف رواياته ومن رواه من رجال الحديث غيره ما يلى « ذكر المفضل الضبى فى كتابه الفاخر . أن أول من قال أنصر أخاك ظالما أو مظلوما جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم وأراد بذلك ظاهره وهو ما اعتادوه من حمية الجاهلية لا على ما فسره النبى (ص) وفى ذلك يقول شاعرهم :

إذا أنا لم أنصر أخى وهو ظالم

على القوم لم أنصر أخى وهو يظلم (١)

ولقد كان النبى صلوات الله عليه يتكلم بما للعرب من أمثال فلا يلبث الرواة أن يصيروه حديثا ويتلقاه الناس على ذلك

ومثل هذه الكلمة المثل المشهور « زر غبا تزدد حبا » فقد ورده رجال الحديث على أنه من قول النبى ودونوه فى كتبهم

(١) ص ٧٥ ج ٥ فتح البارى

وكان أول من قاله معاذ بن حزم الخزاعى فارس خزاعة

وقد ذكر أبو حيان التوحيدى فى كتابه الصداقة والصديق « قال أبو هريرة . لقد دارت كلمة العرب — زر غبا تزدد حبا ، إلى أن سمعت من رسول الله (ص) ولقد قالها لى »

قال المسجدى : ليست هذه الكلمة محمولة على العام ، ولكن لها مواضع يجب أن تقال فيها لأن الزائر يستحقها ! ألا يرى أنه صلوات الله عليه لا يقول ذلك لأبى بكر ولا لعلى بن أبى طالب وأشباههما فأما أبو هريرة فأهل ذاك ! لبعض الهنات التى يلزمه أن يكون مجانبا لها وحائدا عنها » (١)

وهنات أبى هريرة التى يغمزه بها المجسدى أنه كان لنهمه يغشى بيوت الصحابة فى كل وقت وكان بعضهم يزور عنه ، وينزوى منه ، فأراد الرسول أن يلقى عليه درساً فى أدب الزيارة وغشيان البيوت فذكر له المثل العربى (زر غبا تزدد حبا) . وكان صلوات الله عليه لا يفتأ يتولى أصحابه بالتأديب وتحرى حسن الخلق

أما كلام الأستاذ الرحيم فى العدد ٩١٦ من الرسالة عن البخارى ودرجة رواته من الصحة وعدد أحاديثه فهو قول لا يؤخذ على إطلاقه وإنما يحتاج إلى تحقيق دقيق فى أمر رواية الحديث وما اعتراها من وضع وغيره ، وتدوين الحديث وأطواره التى تقلب فيها حتى وصل إلى البخارى وغيره ، وهو بحث مستفيض ندعو الله أن يوفقنا لنشره على صفحات الرسالة الغراء قريبا إنه هو المعين

المنصورة

محمود أبو ريه

(١) ص ٥٦

فى المكتبة الأدبية :

ألقى إلى البريد كتاباً من صحفى كبير يشكر لى ما سماه وفاء منى حين كتبت ما كتبت عن ذكرى المغفور له أنطون الجميل باشا فى صحيفة يومية بعينها

ولقد دهشت لهذا الكتاب لأنى أعلم من نفسى أنى أمسكت عن إرسال المقالات إلى الصحف اليومية إلا حين ، ولم يبق له إلا هذه الشذور التى أبثها فى « الرسالة » بين الحين والحين تنفسا وفرجة عن النفس ، وحتى لا تنبت الصلة تماماً بينى وبين أهل الأدب !

وإذ سألت أهل الذكر قيل لى إن هذا المقال نشر يوم كذا فى الصحيفة المذكورة نقلا عن « الرسالة » دون الإشارة إلى مصدره ، وإن كانت الصحيفة لم تبخل بتذييل المقال بتوقيع كاتبه المسكين !

ولست أزعم أن المقال كان بليغاً ، أوكان ذا طابع خاص ، بيد أنى مضيت إلى مكتب الجريدة فى الإسكندرية أسأل أولى الشأن فيه ـ وهم من صحابتى ـ عن السر فى نقل هـذا المقال مع إعطائه هـذه الأهمية التى لا يستحقها إذ وضع فى إطار على أربعة أعمدة فى صدر الأنباء المحلية ، فقال لى المختصون : إن لذلك سببا محليا يتعلق بسياسة الجريدة ، قلت : فما دخلى أنا فى هـذا ولا علاقة لى بسياسة الجريدة ؟ ثم إن المقال كتب « للرسالة » خاصة ، فكان حق الملكية الأدبية يقتضيكم الإشارة إلى اسم « الرسالة » دون اسم منصور جاب الله ، قالوا : هذا ما حدث ، قلت : الأمر لله !

وأنا ـ فى الحق ـ لا أعيب على الصحف أن تنقل إحداها عن الأخرى ، ولكن العيب كل العيب أن تتجاهل الصحيفة ذكر المصدر الذى تنقل عنه ، فحق الملكية الأدبية يعادل حق الملكية المادية ، بذلك جرت أحكام القضاء ، غير أننا فى كثير من أمرنا نجتوى هذا الحق ولا نجرى على أحكام القضاء !

منصور جاب الله

حول شعر معالى الدكتور « طه حسين »

قرأت فى العدد الأخير من مجلة الرسالة رقم ٩١٦ « باب البريد الأدبى تحت عنوان « طه حسين الشاعر » تعقيبا لحضرة الفاضل « محمد سلامة مصطفى » يذكر فيه : أن معالى الدكتور طه حسين لم يهجر القصيد هجرا تاما بعد عام ١٩١٤ وأورد شاهدا على هذا ما جاء فى كتاب « على هامش السيرة » من شعر لا يلمحه غير شاعر أو عروضى وذكر هذا البيت على سبيل التمثيل

أقبلت تسمى رويدا مثلما يسمى النسيم

والذى أدريه أن البيت المذكور لم أعثر عليه فى كتاب «على هامش السيرة » وإنما هو مطلع مقال لمعالى الوزير بعنوان « ذو الجناحين » نشر فى عدد ممتاز بشأن الهجرة من مجلة الرسالة

وليس هذا فحسب بل إن البيت جاء على أسلوب الشعر المنثور هكذا

أقبلت تسمي رويدا رويدا مثلما يسمى النسيم العليل

وبعده على هذه الوتيرة : —

لاعس الأرض وقع خطاها فهى كالروح سرى فى الفضاء
وهبت للروض بعض شذاها فجزاها بثناء جميـــل
ومضى ينفث منه عبـيرا مستثيرا كامنات الشجون
فاذا الجدول نشوان يبدى من هواه ما طواه الزمان
ردت الذكرى عليه أساه ودعا الشوق إليه الحنين

وهذا شعر موزون سواء كان مقفى أو غير مقفى ، إلا أن مقال « ذو الجناحين » لم يكن كله من هذا النوع من الكلام ، وكتاب « على هامش السيرة » وإن لم أجد فيه كلاما موزونا بالمعايير العروضية المقفاة التى اصطلح على تسميتها شعرا فإنه قد استكمل عندى خصائص الفن الشعرى الجميل

هذا وللأستاذ كيلانى وللأخ محمد سلامه مصطفى خالص تقديرى لبحثيهما الطريف

حسن سيد أحمد الجوهرى

أسلوب الرسائل في المصالح والدواوين :

. . بالرغم من أن الكتاب ظلوا ردحا من الزمان يعيبون على الشركات وبيوت المال إغفالها اللغه العربية فى خطاباتها ومعاملتها . . فإن المشاهد فى أغلب المصالح الحكومية أن خطاباتها تزخر بالأخطاء اللغوية والنحوية والصرفية هذا فضلا عما يدخلها من التعبيرات العامية والألفاظ الدارجة ...

واذكر أننى وجهت ذات مرة نظر أحد الرؤساء إلى خطر هذه الظاهرة وأنه لا يليق بهيئة حكومية أن تدمغ بها فكان جوابه أن سفه آرائى ورمانى بالإغراق والحذلقة . . وزعم أن الخطاب مادام يؤدى الغرض المقصود منه فليس مايدعو إلى إعمال الفكر وكد الخاطر فى انتقاء الأساليب وتخير التعابير . . أما الأخطاء اللغوية والنحوية فليست فى زعمه بذات بال . ولاحرج



حاجتنا من الأرض

عن ليو تولستوى

للأديب رمزى مزيغيت

زارت بنت المدينة يوما شقيقتها بنت الريف فى قريتها الصغيرة، وجلستا إلى الموقد تستدفئان وتتحدثان ... فراحت بنت المدينة وكانت زوجة تاجر غيل تمجد حياة المدينة الزاخرة بالمباهج والزخرف وتتيه على أختها الفقيرة زوجة الفلاح المعدم ، وتعرض بحياتها القذرة فى الريف بين الخنازير والأبقار . وأصغت بنت الريف إلى شقيقتها الحضرية طويلا ثم قالت ـ قد تكون حياتك يا أختاه أفضل وأنعم من حياتنا نحن الفلاحين، وقد تحصلون فى اليوم فوق ما تحتاجون ، ولكن لا تنسى المثل القائل « إن الربح والخسارة توأمان » ، فكثيراً ما يجد التاجر الغنى نفسه بين عشية وضحاها فقيراً يستجدى اللقمة من عابر سبيل ... إن حياتكم أجمل وأرق ولكن حياتنا آمن وأهدأ ... صحيح إننا لا نملك كثيراً من متاع الدنيا إلا أننا نجد والحمد لله ما نقتات به دائماً ... قد يكون عملنا شاقا مرهقاً إلا أنه شريف مضمون ... أما أنتم يا أهل المدينة المرفهين فجوكم ملىء بالمغريات ولا تأمنون على أزواجكن وزوجاتكم شر الغوايات ، كالميسر والخمر والنساء والفاتنات ...

وكان باهوم زوج بنت الريف جالسا فى ركن قريب فأعجبه قول زوجته وقال يحدث نفسه ... حقا أننا نحن معشر الفلاحين لا نجد لنا متسعا من الوقت للتفكير فى مثل هذه الأمور الفارغة. لقد عشت عمرى أكد وأكدح ، ولولا ضيق رقعة الأرض التى أملكها لكنت أسعد مخلوق ، وما خشيت حتى الشيطان . . »

على الموظف من الوقوع فيها لأن المقام ليس مقام « تحرير » وإنما « هو مقام تعبير » أيا كان . . والعجيب أن المسئولين لم يتنبهوا بعد إلى خطر هذه الظاهرة التى عمت فشملت المصالح كلها واستغرقت رسائلها حتى أضحت سخرية الساخرين ونادرة المتندرين ...

إن الجهل ـ للأسف الشديد ـ ضارب أطنابه فى كل مكان وقد نهض وزير عظيم يعمل على تعليم الشعب وتثقيفه؛ أفلا تقوم الرسالة بالدعوة إلى تعليم (المتعلمين) الذين يباهون بجهلهم بمبادئ لغتهم متى تخرجوا فى المدارس والجامعات وشغلوا وظائف الحكومة ؟

إن الرسائل المصلحية علم على جهلنا بلغتنا .. وجدير بالمسئولين أن يوجهوا إليها العناية والاهتمام حتى ننفض عنها غبار المستعمرين من ترك وأعاجم . . وحرى بنا أن نذكر فى هذا المقام كتاب الدواوين أمثال ابن المقفع وابن العميد ومن جرى مجراهما حين كانت لهذه الكتابة أهميتها وخطرها . . فإن هذا التراث الضخم قمين بأن يجعلنا نوى النظر فيما آلت إليه هذه الكتابة عندنا من انحطاط وتدهور

وبديهى أنا لا نطالب المصالح بأن يوجد على رأسها الكتاب الإنشائيون ؛ ولكنا نطالب بأن تخلو خطاباتها على الأقل من هذه الأساليب البالية وهذه الأخطاء البلقاء التى تدعو إلى الضحك وتحمل على السخرية وإنى تحضرنى بهذه المناسبة صيغة تعبير من التعبيرات التى تتصل بشئون الموظفين والتى لا يكاد خطاب مصلحى ـ فى هذا الشأن ـ يخلو منها وهى.

« نرجو التنبيه على الأفندى المذكور بكيت وكيت الخ ... »

فإن أقل وصف يوصف به لفظ الأفندى فى هذا المقام أنه لفظ غير مهذب ، وقس على ذلك باقى الأساليب المصلحية . .

وإنى لأرجو أن يكون فى هذه الكلمة العاجلة ما يحفز المسئولين على توجيه عنايتهم إلى علاج هذه الحال المؤسفة التى تدهورت إليها لغتنا فى المصالح والدواوين ...

كمال رستم

وكان الشيطان قابعا وراء الموقد ، وسمع كل ما قيل ، وسره زهو باهوم بنفسه وتحديه له .. فقرر أن يمنحه ما يطلبه من الأرض ويرى ما يكون . .

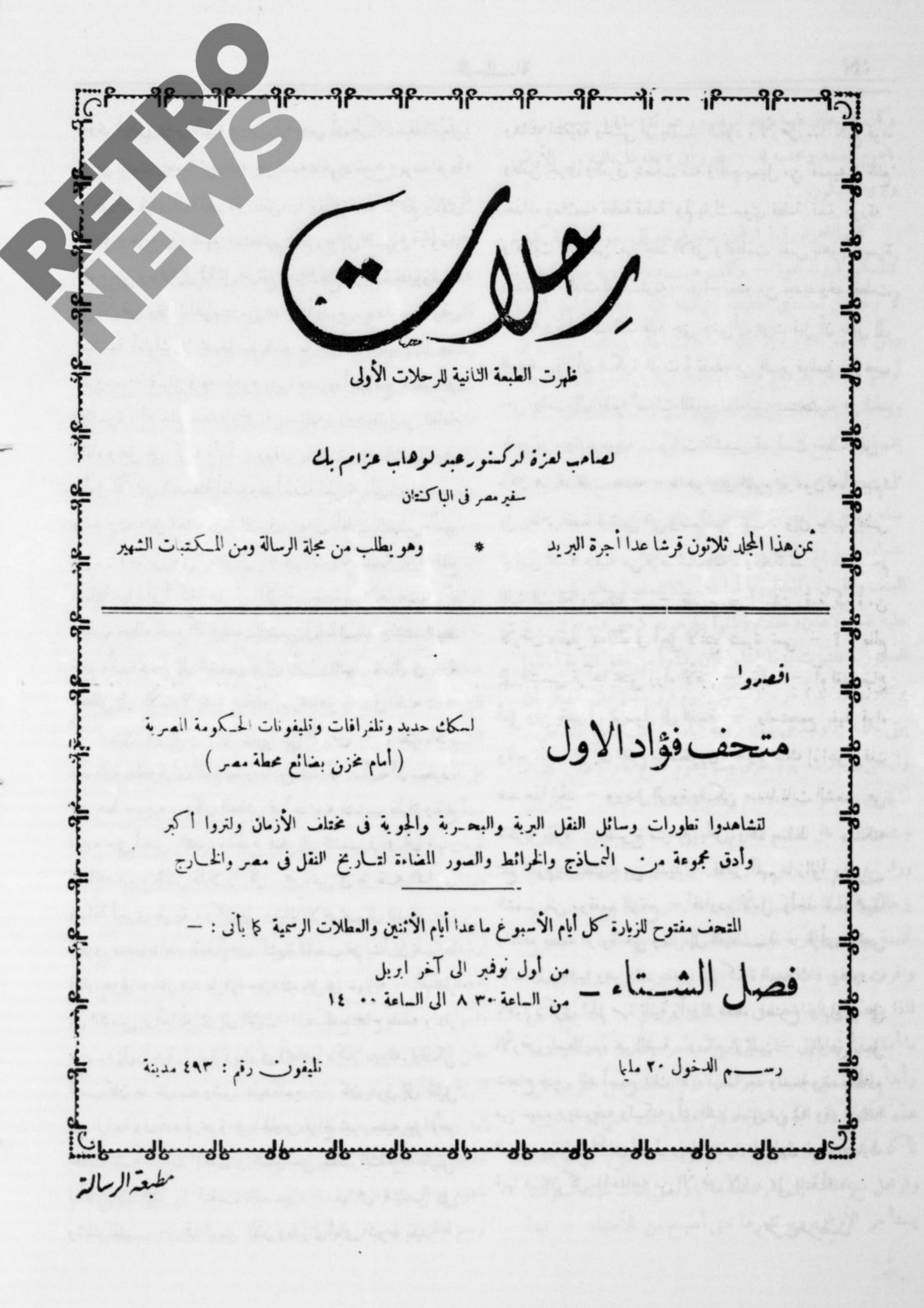
كان لباهوم رقعة أرض صغيرة تقع إلى جوار ضيعة كبيرة تمتلكها بارونة عجوز ... وكانت هـــذه البارونة صارمة قاسية لا ترحم من تعتدى ماشيته على أملاكها . فكرهها أهل القرية ومن جملتهم باهوم ، إذ كثيراً ما كانت أبقاره وماشيته تعتدى على أرضها فيضطر إلى دفع غرامة ترهقه وتزيد فى سوء حالته المادية . وفى ذات يوم أعلنت البارونة عن رغبتها فى بيع أملاكها بأثمان بخسة ، فتسارع الناس واشترى كل منهم قدر طاقته . وقتر باهوم على نفسه وباع مالديه من ماشية واشترى بما تجمع لديه مزرعة صغيرة لم تلبث أن جاءته بمحاصيل وافرة فتحسنت حاله وكثر حساده وصاروا يطاقون ماشيتهم على زرعه . فصار يلجأ إلى العنف والقسوة والمطالبة بالغرامات والالتجاء إلى المحاكم ، فأثار عليه نقمة الأهالين وحقدهم وباتوا يكرهونه كرههم القديم للبارونة العجوز. وانتشرت يوما إشاعة بأن كثيراً من أهل القرية أخذوا يرتحلون إلى بلد آخر . ولكن باهوم قرر بعد إعمال الفكر أن يبقى مكانه إذ وجد فى ذلك فرصة لزيادة ما يمتلكه من الأرض . ولكن فى ذات يوم طرق باب باهوم فلاح عابر وطلب قضاء الليلة فى بيته. فرحب به باهوم وقدم إليه العشاء، ثم جلسا يتسامران ويتحدثان . قال الفلاح لباهوم — إنى عائد من البلاد الواقعة وراء نهر الفولجا ، وهى بلاد واسعة قليلة السكان وقد أخذ الناس يرحلون إليها لاستيطانها ،إذ تؤجر الأرض هناك لمن يشاء بأثمان بخسة جدا ، والتربة فوق ذلك خصبة تدر على أصحابها محاصيل وافرة . وخفق قلب باهوم لهذا الخبر وراح يحدث نفسه قائلا — لماذا يتحتم على البقاء هنا فى هذا البلد المزدحم ... سأبيع كل ما أملك وأرتحل إلى تلك البلاد وأستأجر بالنقود أرضاً واسعة وأبدأ الحياة من جديد ... وأخذ باهوم يستفسر من الغريب عن هذه البلاد ، وفى اليوم التالى سافر إليها ليتفقد أحوالها ، فلما تأكد له صدق قول الغريب عاد إلى قريتـــه وباع كل ما يملك وارتحل مع عائلته إلى مقره الجديد ... وقضى هناك ثلاث سنوات يستأجر الأرض ويستثمرها حتى أصبح من الأغنياء ... فبدأ يسأم التبعية لمالك أرضه وهفت نفسه إلى امتلاك أرض خاصة .

وفى ذات يوم هبط على باهوم غريب يطلب غذاء لحصانه، وجلس الرجلان يتحدثان . وقال الغريب — إنى عائد من بلاد الباشكير حيث اشتريت ١٣ ألف فدان بثمن زهيد جدا . إن الأرض هناك لا قيمة لها ويكفيك أن تقدم الهدايا لرؤساء البلد وأن تشرب الفودكا مع من يشربون فيعطونك الأرض التى تشاء ...

واستفسر باهوم عن الطريق إلى هذه البلاد العجيبة ... وفى الصباح اشترى بعض الهدايا وودع بنيه وزوجته واستصحب خادمه وسار إلى بلاد الباشكير بجد ونشاط . وبعد سبعة أيام بلغ الأرض الموعودة واتصل بالزعماء ووزع عليهم الهدايا ثم عرض حاجته ... وسأل عن الثمن ... فقال له الرئيس — إن أسعارنا محدودة — ألف روبل فى اليوم ... ولم يفهم باهوم قول الرئيس فسأله — وأى مقياس هذا الذى تبيعون به الأرض ؟ فأجاب الرئيس — نحن نبيع الأرض باليوم — أى أننا نعطيك ما تستطيع أن تدور حوله فى اليوم مقابل ألف روبل ... ولكن هناك شرط واحد وهو أنك تسير مع طلوع الشمس حول الأرض التى تختار على أن تعود إلى المكان الذى بدأت منه مع غروب الشمس . فإذا غربت الشمس قبل أن تعود ضاع مالك ولم تحصل على الأرض ... وقبل باهوم هذا الشرط فرحا واتفقوا على أن يبدأ المسير فى صبيحة اليوم التالى فهو لا يريد أن يضيع عليـــه الوقت . وأوى باهوم إلى فراشه وهو يصور لنفسه أنه سيستطيع أن يدور حول قطعة كبيرة فيصبح من الأغنياء وكبار المالكين . ثم راح يرسم الخطط للمستقبل الحبيب — فتارة يزرع هنا وطورا أرشده إلى أرض الباشكير. ولما دقق النظر فيه وجد أنه انقلب من يحصد هناك ، وتارة أخرى يشترى الماشية ويستثمر صوفها ولبنها ... وقضى ليلته على هذا الحال مسهداً أرقا ولم تغمض له جفن إلا قبيل الفجر بقليل ... وعندئذ رأى له فى منامه زعيم القرية واقفاً خارج خيمته يقهقه ويضحك ملء شدقيه ... فقام إليه ليسأله عن سبب ضحكه فإذا به يتبين فيـه ذلك الفلاح الذى جديد إلى الفلاح الأول الذى قدم من بلاد ما وراء الفولجا وحلق باهوم فى الرجل وهو لا يصدق عينيه فإذا بالفلاح ينقلب إلى شيطان رجيم له قرون وحوافر ويرقد أمامه رجل حافى القدمين لا يرتدى

سوى قميص وسروال ، وليس فيه حس أو حركة . فلما تأمل الرجل الميت جيداً تبين أنه هو نفسه ، فهب من نومه فزعاً مذعوراً ، فرأى أن الفجر قد انفلق ... ونسى حلمه المزعج ونادى خادمه وخرج إلى القوم يستحثهم للخروج إلى السهول . وسار القوم حتى وصلوا إلى قمة تل مرتفع وهناك خلع الزعيم قبعته ووضعها على الأرض وقال لباهوم — من هنا تبدأ المسير . وها هى الأرض الشاسعة أمامك لا يحدها حد فاختر ما يحلو لك وعد إلينا عند الغروب ... فتهلل وجه باهوم بشرا وسروراً ووضع النقود فى القلنسوة ، ثم خلع معطفه وشمر عن ساقيه وتزود بقليل من الطعام والماء وحمل على كتفه فأساً ، ووقف ينتظر شروق الشمس وهو يتأمل الأرض المنبسطة أمامه وقد أخذته الحيرة فى أى اتجاه يسير. وبعد تردد قليل اختار جهة الشرق، وما إن أطلت الشمس برأسها من وراء الأفق حتى انطلق فى اتجاهها بسرعة معتدلة . ولما قطع مسافة ميل أو أكثر حفر فى الأرض حفرة وملأها عشبا . ثم أخذت خطاه تتسع كلما ارتفعت الشمس فى قبة السماء. واشتد القيظ فخلع مئزره ونظر إلى الشمس فرأى أن النهار ما زال فى أوله فانطلق إلى الأمام لا يحيد يمنة أو يسرة وهو يردد فى نفسه : — كلما أمعنت فى السير زاد نصيبى من الأرض ... ونظر باهوم بعد فترة خلفه فرأى القوم صغاراً كالنمل فقدر أنه قد آن له أن ينحرف عن خط سيره . وكان العطش قد أخذ منه فشرب قليلا وتابع سيره حتى أحس بالتعب والجوع فنظر إلى الشمس فرأى أن النهار قد انتصف ، فجلس قليلا وأكل . ثم مضى فى طريقه الدائرى مسافة أخرى طويلة ، وكان على وشك الانحراف إلى اليسار مرة أخرى عندما شاهد بقعة أرض كثيرة الخصب فلم يشأ أن يخسرها فدار حولها وحفر عند طرفها حفرة لتدخل فى حوزته ... ثم نظر إلى الشمس فرآها تجرى إلى المغيب ... فكبح جماح طمعه وأدار وجهه إلى ناحية الربوة وسار فى اتجاهها مكملا دورته. ولكن التعب كان قد نال منه وشق عليه المسير ... كان يتوق إلى قليل من الراحة ولكنه لم يجرؤ على الجلوس فراح يجر رجليه جرا وهو يحدث نفسه — لقد أوغلت فى السير حتى بعدت الشقة ... ياليتنى لم أطمع بالكثير واكتفيت باليسير ... فها هى الشمس على وشك المغيب ... فما العمل الآن وما زال أمامى شوط بعيد ... وهالته الحقيقة وخشى أن يفقد النقود والأرض معا فجمع قواه وطفق يجرى والعرق يتصبب منه والدم يسيل من قدميه . فخلع حذاءه وملابسه قطعة قطعة ولم يترك سوى قطعة تستر عورته . واقتربت الشمس من خط الأفق وتحطمت نفس باهوم حسرة وندما وتأكدت له خسارته ... فراح يعدو من جديد وقد تقطعت أنفاسه وتداركت دقات قلبه حتى خشى أن يموت قبل أن يصل إلى الربوة . إلا أن فكرة الموت لم تقعده عن السير فواصل الزحف حتى ترامت إلى أذنيه أصوات القوم ونداءاتهم يستحثونه على الجد فجمع قواه وتابع سيره . وكانت الشمس قد لمست خط الأفق ، وكان هو قد قارب هدفه ... ها هو يرى القوم يلوحون له بأيديهم؛ بل وهاهى قبعة الرئيس التى وضع فيها نقوده . وإلى جانبها يجلس الرئيس ممسكا جنبيه من فرط الضحك . وفجأة تذكر باهوم حلم الليلة السابقة ولكنه قال — لقد أصبحت أملك رقعة كبيرة من الأرض ، فهل يمد الله فى أجلى لأتمتع بثمرة تعبى ... ؟ وتطلع إلى الشمس فرآها تختفى وراء الأفق ... فقال ... آه لقد ضاع أملى ولن يقدر لى الوصول إلى القبعة ... واستجمع بقية قواه وتابع سيره ... إن القوم سيسخرون منه ولا شك إذا هو توقف عند هذا الحد ... ووصل الربوة ولكن عندما غابت الشمس عن ناظريه بالمرة . فصرخ صرخة يأس وكاد يسقط ... ولكنه سمع القوم يستحثونه من جديد ... فقدر أنهم ما زالوا يرون الشمس من موقفهم المرتفع ... فعاوده الأمل وأخذ نفسا عميقاً واندفع يصعد الربوة حتى وصل إلى القبعة ... فرأى الرئيس جالسا إلى جانبها وهو يكاد ينفجر من كثرة الضحك . وعاودت باهوم ذكرى الحلم مرة ثانية وأدرك معناه فصرخ وتهاوى على الأرض باسطا يده نحو القبعة . وصاح الرئيس — ياله من رجل شجاع قدير. لقد أصبح يملك الآن أرضا جد واسعة وتقدم الخادم من سيده يريد رفعه ولكنه رأى الدم ينبثق من فمه وقد فارقته الروح . وتناول الخادم المعول وحفر حفرة على طول سيده وواراه فيها فكان كل ما احتاجه من الأرض لا يزيد على ستة أقدام .

رمزى مزيغيت


رحلات
ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى
لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك
سفير مصر فى الباكستان
ثمن هذا المجلد ثلاثون قرشا عدا أجرة البريد * وهو يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهير
اقصدوا
متحف فؤاد الاول
لسكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية
(أمام مخزن بضائع محطة مصر)
لتشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية والجوية فى مختلف الأزمان ولتروا أكبر وأدق مجموعة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل فى مصر والخارج
المتحف مفتوح للزيارة كل أيام الأسبوع ما عدا أيام الأثنين والعطلات الرسمية كما يأتى : —
فصل الشتاء — من أول نوفمبر الى آخر ابريل
من الساعة ٨٫٣٠ الى الساعة ١٤٫٠٠
رسم الدخول ٢٠ مليما
تليفون رقم : ٤٩٣ مدينة
مطبعة الرسالة



العدد ٩١٩ — ١٢ فبراير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد

ظهر المجلد الثالث

من كتاب

وحي الرسالة

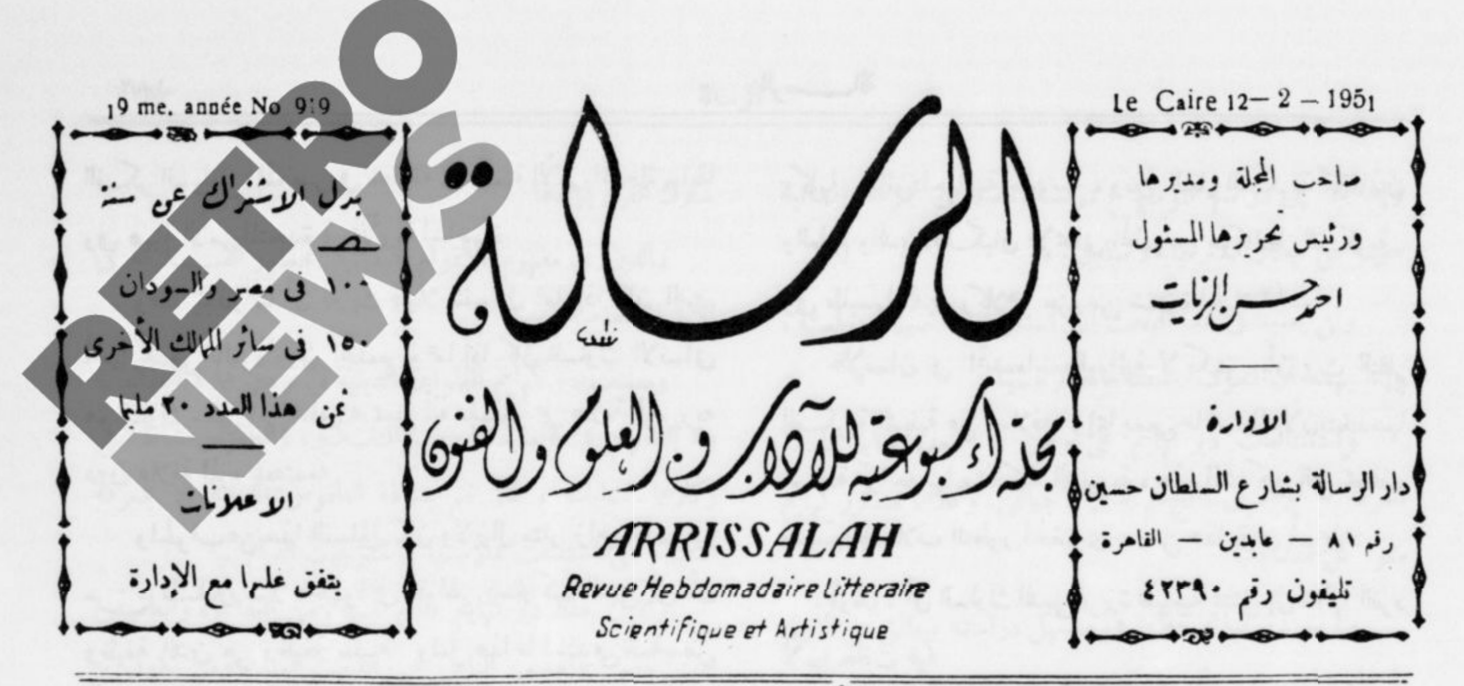
فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع
والقصص

للأستاذ أحمد حسن الزيات

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

Le Caire 12 — 2 — 1951
19 me. année No 919



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مصـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩١٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ — ١٢ فبراير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

الدين والسلوك الانسانى

للأستاذ عمر حليق

ـ ٣ ـ

لن يستطيع الباحث أن يمعن فى دراسة الدين والسلوك الإنسانى دون أن يتسلح بالنظريات والشطحات الفلسفية بالإضافة إلى تسجيله للظواهر الواقعية فى علاقة الفرد بالمجتمع

والباحث يجد نفسه والحالة هذه كدقات الساعة يميل تارة إلى النظريات وطورا إلى الواقع، فهذا نهج أقل مايقال فيه أنه سليم

فنظرة الماركسية إلى الدين ـ وهى نظرة مادية فى كليتها ـ لا تعترف بتلك الناحية الأصيلة فى فلسفة الدين وهى ما اصطلح الناس فى الغرب على تسميته بالاختبار الدينى [١]. والذى يؤكد صلاح هذا النهج فى دراسة الدين كما شرحه الماركسيون بأنه وليد الأوضاع الاجتماعية ؛ فمثلا فى سلوك الطبقات التى تمارسه والتى هى بدورها متأثرة مسيرة بنفوذ ذوى المصالح المادية من رجال الدين ومن يلوذ بهم من القوى والعناصر الاقتصادية التى يربطها بالنظم الدينية روابط تقليدية متينة [٢]. ففى طبيعة التعاليم الدينية (وفى الإسلام على وجه الخصوص) دعوة سافرة إلى تقييد الحد من سلطات المتاجرين باسم الدين والذين يدورون حولهم من أصحاب المصالح الاقتصادية والسياسية ؛ وخلو الإسلام من الكهنوت قد جعل طبيعة التعاليم الدينية فى متناول الناس، بها يستهدون دون الحاجة إلى الوساطة، ومنها يستمدون سياسة عملية لتحسين الأوضاع الاقتصادية وتحقيق المساواة والعدالة فى العلاقات الإنسانية وقد تعرض ماكس ويبر لبحث هذا فى أسلوب منطقى فريد فى كتابه عن « التاريخ الاقتصادى العام » [٣]

وتاريخ الإنسانية سواء أكان سياسيا أم اقتصاديا أم اجتماعيا ملىء بالحوادث التى لعب الدين فيها دورا إيجابيا فى صميم المصلحة المادية للكثرة من الناس وكم من عالم دينى حمل لواء الإصلاح السياسى والاقتصادى !

وفوق ذلك فإن للدين مزية تتعطش المجتمعات (والغربية منها على وجه الخصوص) لتحقيقها فى هذا العصر القلق المتفكك وأعنى بها التكافل الاجتماعى . وتاريخ الإسلام الاجتماعى فى هذا المضمار فريد ؛ فقد صهر الشعوب المجتمعات التى اعتنقت فى وحدة عاطفية واجتماعية وسياسية (ومن ثم اقتصادية) على نحو فشل

---

١) كتاب وليم جيمس عن « ألوان الاختبار الدينى » من أمتع ما كتب فى هذا الموضوع . فهو تسجيل للشطحات الصوفية فى إطار الرافعة المستجدة من فلسفة الذرائع (البرجماتزم)

٢) راجع البيان الشيوعى

٣) راجع ماكس ويبر

Max weber, General Economic History

الفكر السياسى المعاصر فى تحقيقه فى عصبة الأمم المنحلة سابقا وفى هيئة الأمم المتحدة فى الآونة الحاضرة

وهنا يجدر بنا أن نتريث قليلا لنتساءل عما إذا كان الدين أمرا يختص بالفرد دون المجتمع وعما إذا كان السلوك الانسانى هو سلوك سلبى أم إيجابى ، بمعنى أنه مقصور على علاقة المرء بربه دون علاقة المرء بمجتمعه

والجواب عن هذا التساؤل كان ولايزال مثار نزاع. فالصوفية من المسلمين مثلا اتجهوا فى أقوالهم وسلوكهم الدينى إلى أن وظيفة الدين هى وظيفة سلبية . ولعل هذا ما استدعى نقمة بعض أئمة المسلمين قديما وحديثا على الصوفية

ففى القرآن الكريم وفى الأحاديث النبوية وتراث السلف الصالح أجوبة عديدة على أن وظيفة الدين لا تقتصر على علاقة المرء بربه . والواقع أن طبيعة التعاليم الاسلامية تثبت وظيفة الدين الاجتماعية بجانب وظيفته الروحية؛ فهناك فقه إلى جانب تشريع. لقد اكتشف المسلمون ذلك وعملوا به . وكان الرسول عليه السلام أول من جاهر به . والقصة التى تروى عن عمر بن الخطاب وكيف انتهر رجلا كان يلازم المسجد ليل نهار مثل آخر على انتباه الاسلام إلى هذه الوظيفة المزدوجة للدين ويخيل إلى أن الاتجاه الجديد فى الفكر الغربى حول وظيفة الدين يحذو حذو الإسلام [٤]

وقد أخذ بذلك (فردريك هيجل) أحد جهابذة الفكر الغربى ودعاته الذى قال « إن ممارسة طقوس العبادة والصلوات أقوى من الناحية الإيجابية فى توجيه السلوك الانسانى من الشرائع والقوانين المدنية » [٥]

والواقع أن (هيجل) كان من أوائل من لفت النظر إلى وجود « المنطق اللولبى » [٦] فى علاقة النظريات والحقائق الواقعة فى موضوع الدين ، فقال إن هناك تواكلا مشتركا بين النظم التى لها كيان إيجابى فى المجتمع كالعائلة والقبيلة والدولة والشعب، وكلها حقائق اجتماعية ملموسة ، وبين النظم الفكرية كالقانون والعلوم والدين. فالكيان الإيجابى المحسوس هو كالنظم الفكرية فى طبيعتها الدين وكلاهما جزء من شجرة الحياة [٧]

فالإنسان فى المجتمعات البدائية لا يكتفى بأن يرث النظم الفكرية الدينية عن أسلافه، وإنما يسعى ما استطاع لأن يتخذمنها أسلحة يواجه بها مشاكله الدنيوية ، هذه المشاكل التى تختلف طبيعتها باختلاف التطور الحضرى . ومن هذا نتبين أمرين :

أولهما : أن السلوك الدينى غريزة طبيعية يمتثل إلى ندائها الفرد لأنها خلقت فيه

ثانيهما : أن هذه الغريزة تتخذ فى بعض الأطوار شكلا يجعل منها ذخيرة ثقافية تتحكم فى الأوضاع الاجتماعية بالإضافة إلى كونها ذخيرة روحية تتحكم فى علاقة المرء بربه سواء أكان هذا الرب صنما أم عجلا كما هو الحال فى المجتمعات البدائية ، أم إلها فردا صمدا كما هو فى الأديان التوحيدية

وإلى الفيلسوف الاجتماعى الفرنسى (أميل دير كهايم) يعود فضل كبير فى دراسة هذه الوظيفة المشتركة (الروحية والدنيوية) للدين دراسة علمية على ضوء ما ألم به من معرفة بالمجتمعات البدائية وتحليله للمجتمعات الحضرية [٨]

فقد ثار دير كهايم ومعه (باريتو) [٩] على الفلسفة الواقعية التى سادت أوربا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر التى كانت ميالة إلى الحط من قيمة الدين إثر انتشار الفلسفة الدارونية (نسبة إلى داروين) والماركسية فى أوربا ، وفلسفة الذرائع (البرجماتزم) فى أمريكا

قام دركهايم ــ وإلى حد ما باريتو ــ بدراسة وظيفة الدين المزدوجة على نهج جديد ، فلم يعتمد دير كهايم على التفلسف فى دراسة الدين ولا على استنتاج الشواهد العلمية من التاريخ الدينى،

---

٤) راجع J. Macmurry. The Structure of Religious Experience

٥) Fredrich Hegel, Lectures in philosophy and Religion

٦) Circular Reasoning

٧) النظريات الحديثة فى علم الانثروبولوجيا زادت فى إثبات صواب الرأى على ضوء الدراسات التى قام بها أمثال (مالينوفسكى) وروث بنديكت ومرغريت ميد وبواز وغيرهم

٨) راجع E. Durkheim, Les Formes Elementaire de la Vie Religieuse

٩) الفيلسوف الإيطالى Vilfredo pareto Trattata di Sociologia Generale

وإنما لجأ إلى دراسة الموضوع دراسة مفصلة فى مجموعة إنسانية معينة من سكان استراليا الأصليين

ولن يعنينا فى هذا البحث أن نستعرض تفاصيله ودراسته، وإنما يهمنا أن نتعرف استنتاجاته الرئيسية

واستنتاجات دير كهايم على نوعين : واحدة تعالج فلسفة المعرفة (١٠) وأخرى تعالج علم الدين الاجتماعى. وكلاهما عند دير كهايم متنوا كل متشابك

ويرسم دير كهايم خطين فى مستهل دراسته فيطلق على الأول ما سماه «قدسى» ويطلق على الثانى «دنس» ويضيف دير كهايم تحت هذين الخطين أشياء ملموسة محسوسة . وهذا التصنيف لا يحدد الصفات الجسمانية بطبيعة تلك الأشياء وإنما يحصر ذلك التحديد فى مفهوم الناس لها ومبلغ تأثرهم بها وسلوكهم إزاءها

فالأشياء القدسية فى تعريف دير كهايم هى تلك التى ينطوى مفهوم الناس لها على فضائل فريدة تجلب السعادة والمنفعة. وسلوك الناس تجاه هذه الأشياء القدسة لا يمكن أن يحسب فى عداد السلوك الاعتيادى، إذ أن له مزايا خاصة وفيه الكثير من الاحترام الخالص الأصيل

والناس لا تستخدم الأشياء القدسة فى الشؤون الاعتيادية وإنما تلجأ إليها فى الأزمات التى لا تمت إلى المادة إلا بصلة بعيدة

والشؤون الدنسة عند دير كهايم هى تلك التى ترتبط ارتباطا وثيقا بالنشاط الاقتصادى المادى فى السلوك الإنسانى (١١)

فإذا قتل الهندى الأحمر من سكان استراليا الحيوان المقدس ليأكله فإنه يفعل ذلك أثناء الطقوس الدينية فقط . والناحية المادية فى هذا العمل مرتبطة بالناحية القدسة ولا دخل للمنفعة الاقتصادية المادية (أكل اللحم) فى هذا العمل إذ أنها لا تتوفر إلا عن طريق القداسة. وأكل لحم الحيوان المقدس لا يتم إلا فى ظروف من القداسة التى لها مواعيدها ومواسمها الزمنية الخاصة. وحول هذه القداسة حالات من الطوطمية تحددها وتتحكم فى سلوك الفرد إزاءها

والدين فى مفهوم الأقوام البدائية محصور العلاقة فى الأشياء المقدسة

ويصنف دير كهايم الظواهر الدينية فى نوعين هما «العقائد» و«الطقوس»؛ فالعقيدة لون من التفكير، والطقوس نشاط عملى وكلاهما متشابك ، فلا تتم معرفة الطقوس الدينية إلا بمعرفة العقيدة التى استدعت ممارستها واستوجبت القيام بها

والدين عند دير كهايم نظام مستقر من العقائد، والطقوس تعيش عليها جماعة من الناس محورها بيت العبادة ومن يكون به من كهنة ورعية (١٢)

ويستنتج دير كهايم من ذلك أن الدين الذى يتمكن عكنا قويا متينا فى أتباعه لا يمكن أن تكون تعاليمه مجرد خيالات ورؤى لا تسندها الحقائق الواقعية (١٣)

وكلما ازداد تعلق الناس بتعاليم دينهم وطقوسه كانت تلك التعاليم أكثر صلة ووثوقا بالحقائق المادية فى العالم الذى تحيط به

ولعل هذا الرأى يلقى ضوءا على سر تعلق المسلمين بالتعاليم الجوهرية فى دينهم الحنيف طوال هذه الأجيال والقرون

وينتقد دير كهايم بناء على هذه النظرية ما قال به بعض مفكرى عصره من أن وظيفة الدين هى الحياة الروحية التى لا تربطها بالواقع روابط وثيقة ، وأن تعاليم الدين ما هى إلا انطباعات الإنسان عن طبيعة الأشياء المادية التى تحيط به

وركز دير كهايم انتقاده لهذه النظرية فى أسلوب النفى المنطق فقال : لو أننا افترضنا أن تعاليم الدين ليست إلا انطباعات الإنسان عن طبيعة الأشياء المادية التى تحيط به كالمواصف والبراكين والخوارق الطبيعية ، فكيف نفسر تعلق الكثرة من العلماء الذين حافظوا على سلوكهم الدينى مع أنهم استطاعوا تفسير طبائع الأشياء تفسيرا علميا مستندا إلى الاختبار والبحث والاستقراء ؟ وعلوم النفس لم تفسر بعد تفسيرا عمليا مرضيا هذه الظاهرة التى تزداد رسوخا بتعمق العالم فى دراسة الكون ومعالمه

---

١٠) Epistomology

١١) Le travial est la forme emente de ļactivite protane

١٢) Durkheim, «Forms» Elementaires p.95

١٣) Epid P.3

واستنتج دير كهايم من ذلك أن في الدين عنصراً ثالثاً بالإضافة إلى عنصري الروح والمادة. وأطلق دير كهايم على هذا العنصر الجديد اسم (الحقيقة الاجتماعية)(١٤)

ومن ثم اندفع دير كهايم في دراسة الصلة بين الدين والكيان الاجتماعي فرأى أن الأشياء المقدسة (ومن ثم المثل الأخلاقية التي تنبعث منها) لا تربطها بالمرء إلا روابط القداسة. فليست العبرة (في رأي دير كهايم) في أن يعبد امرؤ شجرة أو عجلاً أو شمساً أو قمراً أو إلهاً فرداً صمداً، إنما العبرة في الفرد إزاء هذه المؤلهات، وامتثاله للقيم الروحية والأخلاقية التي تحيطها بهالة من القداسة ورأى دير كهايم في نظرية الطبيعيين إلى الدين عجزاً دعياً في تفسير الحقائق التي تتصل بالقداسة اتصالاً أصيلاً غريزياً. وكل ما فعله الطبيعيون أنهم وجهوا اهتمامهم إلى تفسير القداسة في الشؤون الطبيعية كالعواصف والبراكين والزلازل وتأثر العاطفة الإنسانية بها وإحاطتها بهالة من « القداسة والألوهية » والشذوذ ندرة، والنادر لا حكم له

ووجه الضلالة في تفسير الطبيعيين للسلوك الديني أنهم أخطأوا إدراك الحقيقة في مصدر القداسة والألوهية

فخواص العنف في العواصف والزلازل والبراكين ليست الدافع الرئيسي لتقديسها في المجتمعات البدائية. فالأشياء المقدسة ليست إلا رموزاً. وخواص الرموز أنها تعبير للأهمية والقيم والمعاني التي يواجهها الفرد في نشاطه اليومي روحيا كان هذا النشاط أم ماديا

والصلة بين الفرد والرمز الذي يقدسه هي صلة اجتماعية بالإضافة إلى كونها صلة روحية. والفرد لا يتلمس معنى لهذه الرموز بقدر ما يطلب فيها ملاذاً مما استعصى عليه من الأزمات الروحية والاجتماعية

فليست العبرة إذن في طبيعة الرمز المقدس؛ إنما العبرة في المثل والقيم والمعاني التي اصطلح الناس على إلحاقها به

وعلى هذا المنطق يشرح دير كهايم علاقة الطقوس الدينية بالحقائق الاجتماعية، فلا يهمه أن يتعرف على طبيعة هذه الطقوس وإنما يتشوق إلى إدراك القيم والمثل والمعاني العميقة التي تمثلها وترمز لها

وإصرار الطبيعيين على نعت السلوك الديني بأنه خال من المنطق السديد يعود إلى التباس الأمر عليهم وخلطهم بين طبيعة الرمز وبين ما يرمز إليه من قيم ومثل ومعان روحية واجتماعية

ويستخلص دير كهايم من ذلك أن العلوم الطبيعية لا تستطيع أن تدرك كنه الدين في مجالاته الروحية والاجتماعية؛ لأن العلوم الطبيعية مادية لا تقنع إلا بالملموس والمحسوس. وفي نظام الكون وفي طبيعة النفس البشرية إحساسات ومشاعر لا تلمس لمساً. وهذا يفسر اتجاه الجهابذة من علماء الطبيعة والرياضيات نحو التفاسير الدينية في أرقى مراحل البحث في طبيعة الأشياء عندما يستعصي عليهم التفسير الشامل الإيجابي المقنع ١٥)

نيويورك (للبحث صلة) **عمر حليق**

---

١٥) اعترف بهذا مؤتمر علماء الذرة الذي عقد في التاسع عشر من شهر ديسمبر ١٩٥٠ في جامعة روشستر في ولاية نيويورك؛ فقد أعرب أعضاء هذا المؤتمر وهم صفوة علماء الذرة والفيزياء في الولايات المتحدة الأمريكية بأن تحطيم الذرة والتصرف على تكوينها والتغلب عليه قد طوح بالنظرية التي سبق لعالم ياباني أن فسر بها حقيقة تماسك الكون تفسيراً علمياً نال به جائزة نوبل للفيزياء لعام ١٩٤٩. وقد أوجد هذا التطور في علم الذرة والتفسير الفيزيائي لتماسك الكون بلبلة في تفكير علماء الطبيعة والرياضيات الفلسفية. وقد أعرب عن هذه البلبلة البروفسور انشتاين في أحد تصريحاته الأخيرة. وانشتاين قطب من أقطاب هذه الناحية من الثقافة الطبيعية

١٤) Fait Sociale

المرأة والأزهر

جامعة الزهراء ... !؟

الأستاذ محمد محمود زيتون

يستعد العالم الإسلامى الآن للاحتفال بالعيد الألفى لأقدم جامعة فى الإسلام . وذلك على أثر اللفتة الملكية الكريمة التى تفضل بها جلالة الفاروق المعظم على الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

والاحتفال بهذه الذكرى المجيدة إنما ينطوى على المعانى السامية التى حرص هذا الجامع العتيق على أدائها منذ أقدم العصور ، فلم يعبأ بخيول نابليون ، ولا بمدافع الإنجليز . ذلك بأن الجامع الأزهر هو الثقافة الإسلامية تجسمت فى ألف سنة من الزمان ، وانبثقت أشعتها على ألسنة العلماء ، وتحت ألوية الزعماء ، وبين صفحات الكتب والمجلات وعلى متن الأثير اللاسلكى

ويكفى الأزهر أن تحتل رسالته الإنسانية مكانها الرفيع من تاريخ العلم ، لأنه صاحب اليد الطولى فى رعاية لغة القرآن ، فكان رجاله غواصين على لآلىء الحكمة والشريعة، وفرائد الأدب والتاريخ . ودرر الدنيا والدين،وقد توارثوها على الأيام والأحكام فصانوا خزائن كنوزها على الدوام

وبين العلم والسلام وشيجة كبرى لا تنفض ، وعروة وثقى لا تنفصم ، « والعلم رحم بيننا » حقا وصدقا كما قال الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم لدى استقباله مندوب الفاتيكان بالأزهر منذ أيام . ولعل فى احتفالنا بعيد الأزهر تجديداً لهذه البشارة الكريمة، وتبشيراً بالرسالة الإسلامية التى محورها القرآن الشريف وهو ينبوع التراث الثقافى الذى نعتز به ، وندعو الناس إليه

والدعوة الإسلامية لم تقتصر على الرجال دون النساء ، فقد بعث الله نبيه للناس كافة، من غير تفرقة بين العناصر والأجناس ، وارتفعت الراية الكبرى بأيدى المسلمين والمسلمات على السواء ، حتى لقد أوصى النبى (ص) فقال « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » أى عائشة

فما بال هذه الجامعة الإسلامية العهيدة قد أقفرت أروقتها وحلقاتها من المرأة المسلمة طوال هذا الألف الطويل من السنين ، وهى الجامعة التى أرسى قواعدها المعز لدين الله مؤسس الدولة الإسلامية التى انتسبت إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول عليه السلام، فازدهى التاريخ بهذين الاسمين الخالدين « الدولة الفاطميـــة » و « الجامع الأزهر؟ »

ولا يستطيع أحد أن ينكر المرأة كعنصر قوى فى تاريخ الإسلام ، فقد كانت خديجة أول حواء آمنت بمحمد . وهى أم البتول فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، وحولها تألقت صفحات السيرة بالنجوم الزاهرة من أمهات المؤمنين ، والصالحات من أزواجهم وبناتهم وأخواتهم . ولن ينسى التاريخ عائشة بنت الصديق ، أو أختها أسماء ذات النطاقين ،أو صفية عمة رسول الله، أو أم عمارة التى دافعت عن النبى بترسها ،أورمت عنه بسهمها ، أو زنيرة التى عميت فى سبيل الله ، أو سمية أم عمار بن ياسر التى لقيت الأذى الشديد بسبب عقيدتها ، أو الخنساء الشاعرة التى كان يقول لها النبى : هيه ياخناس، أو رابعة العدوية التى عشقت ربها عشقاً روحانيا خالصاً

وما كانت صفحة من كتب السيرة لتخلو من ذكر هذه الصفوة من المسلمات اللائى تعلمن أمور الدين فى عهد النبى ، إذ كانت تجيئه المرأة تسأله فيجيب ، أو تأتيه وافدة النساء تتعلم منه وتعلم غيرها ، بل لقد كانت المرأة منهن تنكر قومها ، بل أباها وأمها وتلحق بدين محمد ؛ فهذه جميلة تتزوج من حنظلة مع أنها بنت رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول ، وهذه أم حبيبة تتزوج النبى وتمنع أباها أبا سفيان من الجلوس على فراش النبى ، وهذه صفية تنكر أباها اليهودى وتتزوج النبى ، وكذلك مارية وأختها سيرين وقد أهداهما المقوقس للنبى فيتزوج الأولى ويهدى الأخرى لشاعره حسان بن ثابت ، كما قامت النساء الأنصاريات بنصيبهن الكامل فى مراحل الدعوة ؛ فقد استقبلن النبى بالمدينة - منذ هاجر إليها - بالدفوف والمعازف ، ويغنين :

نحن جوار من بنى النجار ‏ ‏ ‏ باحبذا محمد من جار

وهو ـ عليه السلام ـ يداعبهن فى ظرف ويقول : أتحببننى ؟ فيقلن : نعم . فيقول : والله يعلم أن قلبى يحبكن ، وكن مع ذلك كله يندفعن إلى الغزوات كلما تجهزت المير ، واصطف النفير

وضربت المرأة العربيـــة أروع الأمثلة فى الثبات بفضل استمسا كها برسالة الإسلام . فهذه المرأة الدينارية التى تلقت يوم أحد الخبر بمصرع أبيها وأخيها وزوجها وابنها،فتجلدت واحتملت ولم يهمها إلا أن تسأل : وكيف رسول الله ؟ فيقال لها : أمامك . فتقول : كل مصيبة بعدك جلل يارسول الله

وكانت فاطمة وهى بنت النبى تطحن على الرحى بيدهـا ، وتخبز وهى حامل حتى لقد كان بطنها يمس التنور ، وتدبر أمر بيتها بنفسها ، فلما طلبت من أبيها خادما أبى عليها ذلك ، فكانت خير قدوة للمرأة فى تدبير المنزل

ولن ننسى موقف المرأة المسلمة التى عارضت عمر وهو أمير المؤمنين إذ كان يخطب فى حقوق المرأة فيقول خليفة رسول الله : صدقت المرأة وأخطأ عمر . فهـل كان يكون ذلك إذا لم تـكن المسلمات قد طرقن أبواب المسجد ، لا يحول بينهن فى ذاك إلا الحجاب المشروع ؟

هذا ، وإن ما نرى بين ظهرانينا الآن من انحلال خلقى إنما يرجع إلى إهمال شأن المرأة المسلمـة ، حتى إذا حصل الرجل من العلوم الحديثة ما يشاء أعوزته الثقافة الإسلامية . فلا معين له عليها إلا همته وغيرته ، أما المرأة فإنها — للأسف الشديد ـ قد حرمت الحرمان كله من هذا وذاك ، فليس حولها من يشجعها على شعائر دينها ، ولا من يدفعها إلى التفقـه فى أصوله ، والتثقف بآدابه

وهذا النقص يمس حياتنا الاجتماعية فى صميمها ، ويسىء إلى التربية الإسلامية فى تطبيقها على المرأة ، وإزاء ذلك نرى أن الفرصة قد حان قطافها فى العيد الألفى للجامع الأزهر

وخير ما نقدمه للأجيال القادمة ـ فى هذه الذكرى ـ هو أن ننشئ « جامعة الزهراء » تؤمها المسلمات فى مصر وشتى بقاع العالم يغترفن من مناهل هذا الدين المتين ، فينشأن نشأة إسلامية صحيحة ،تتوطد بها دعائم الأخلاق فى الأسرة والمجتمع، وهذا هو الدواء السريع لـكل ما نشكو الآن من تصدع فى الروابط الأسرية ، وانصراف عن صوت الإيمان ونداء الضمير ، وتخبط فى الانحرافات الزائفة تحت ستار المدنية

ولن يفوتنا مع ذلك أن نقتبس لطالبات « جامعة الزهراء » كل ما يمكنهن من التهذيب الفردى ، وتدبير المنزل ، وتربية الأولاد ، ومعاونة الزوج ، والخروج من الأسرة إلى أوسع نطاق اجتماعى فى داخل الحدود التى رسمها الإسلام كدستور سماوى ، ونظام إنسانى شامل لنواحى العلم والعمل

فإذا أردنا أن نسد على الفتن مسالـكها ، ونفتح لمستقبـل الأجيال القادمة باب السعادة ، فما علينا إلا أن نشيد المرأة المسلمة « جامعة الزهراء » إلى جانب « الجامع الأزهر » وعندئذ ستعرف المرأة الحديثة أين حقوقها وأين واجباتها

محمد محمود زيتونه

ضبط الكتابة العربية

بحث قدم الى مؤتمر المجمع اللغوى

الأستاذ محمود تيمور بك

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

وجملة ما نادى به المنادون من المقترحات ، سواء ما كان منها يشيد باتخاذ الحروف اللاتينية، وما يتخذ للكتابة حروفا مخترعة ، وما يقتضى إدخال علامات أو أوضاع جديدة للحروف أو الحركات - جملة ذلك كله لم يسلم من النقد والاعتراض - وكان أكبر ما يثيره النقاد والمعترضون من مآخذ أن هذه المقترحات المعروضة لتغيير الكتابة العربية تقطع الصلة بين القديم والجديد . فإذا أخذ الناس بإحدى هذه الطرائق ، وكتبوا بها ، عجزوا عن أن يقرءوا ما تركه لنا الأولون من تراث ثقافى عريض ، وحيل بين الجيل الجديد وبين الانتفاع بذلك التراث الذى لا تزهد فيه الأمة العربية بحال

والحق أن الاعتراض بالقطع بين القديم والجديد دعوى لا تخلو من غلو فى القول ، وإسراف فى التصور . فإن أية حروف بل أية علامات وإشارات تكتب بها اللغة العربية لا تقطع بين قديم اللغة وجديدها ، ولا تفصل بين ماضيها وحاضرها . بل لعل حروفا مقتبسة أو مخترعة تكتب بها اللغة العربية تكون سبيلا إلى إحياء اللغة وتيسير اكتسابها ، ما دامت هذه الحروف المقتبسة أو المخترعة أدق ضبطا ، وأدنى تناولا . فإنها بهذا الضبط وقرب التناول تجعل المتعلمين أقدر على القراءة ملكة ، وأقوم لسانا ، وأفصح بيانا

وعلة إثارة النقاد والمعترضين لدعوى القطع بين القديم والجديد أنهم يخشون إذا اتخذت حروف مقتبسة أو مخترعة أن تظل المؤلفات العربية التى توارثناها على توالى الأحقاب مستغلقة مستبهمة لا يعيها قارئ . وبذلك تفقد الأجيال اللاحقة ما خلفته الأجيال السابقة من عصارات القرائح والعقول

ولكن الحق أن جيلا جديدا إذا شب عربيا فى منطقه ، بأية حروف وبأية علامات ، فتمكن من قراءة الكلام العربى مضبوطا أدق ضبط ، معربا أصح إعراب ، واكتسب بذلك ملكة الإفصاح فإن هذا الجيل الجديد لا يعجزه بعدئذ أن يرجع إلى المؤلفات التى كتبت بالحروف العربية القديمة ، وأن يقرأ ما فيها من بيان ، وينتفع بما حوت من علم وأدب ، وذلك إذا أنفق القليل من الساعات فى تعلم صور الحروف العربية القديمة ، باذلا فى هذه السبيل أيسر جهد

ولا ريب أن كل امرئ فى مكنته تعلم الصور الخطية لثمانية وعشرين حرفا ، أية كانت ، فى ساعات معدودات ، وبجهد غير محسور

ولو قدر للأمة العربية أن تتواضع على اقتباس حروف أجنبية ، أو اختراع حروف جديدة ، لوجب مع ذلك أن نلزم الناشئة تعلم تلك الصور القديمة للحروف العربية . حتى إذا شبوا وقد انقادت اللغة لألسنتهم ، ومرنوا على ضبط نطقها ، وأحسنوا تصريف كلماتها ، وأمنوا من اللحن فى إعرابها - استطاعوا بمعرفتهم حروف العربية القديمة أن يطالعوا ما شاءوا من تراث السلف ، ولا سيما المراجع الكبيرة ، وأمهات الكتب ، فى فروع العلوم والفنون والآداب

وستظل الحاجة إلى تعلم الحروف العربية القديمة قائمة ، حتى يتسنى لنا أن نعيد طبع هذه المراجع وأمهات الكتب بالحروف التى نتواضع عليها . وستقل وطأة حاجتنا إلى هذه الحروف كلما مضينا أشواطا فى طبع تلك الكتب والمراجع . ولكن قدرا من هذه الحاجة سيبقى قائما وإن أعدنا طبع مئات من المؤلفات ومئات

ومن هذا يتبين أن تواضعنا على أية حروف لكتابة اللغة العربية ، لا يقطع الصلة بين قديمنا وجديدنا فى ميدان التأليف . فالصلة باقية ، وربما بقيت على نحو أوثق مما هى الآن . وغاية ما هنالك أن الأمر يقتضينا معرفة حروف العربية القديمة ، فإذا عرفناها وضح لنا الطريق إلى منهل التراث العربى ، نعب منه ما وسعنا أن نعب لا يصدنا عنه شئ

بيد أن هذا المنطق الذى نراه واضحا كل الوضوح ، لا يصرفنا عن أن نسأل أنفسنا :

أنريد الحقائق النظرية ، أم نريد الواقع العملي ؟

إن كنا نريد النظريات ، فمجال القول ذو سعة ، وميدان الاقتراح رحيب الجنبات ، تتنافس فيه الأذهان

وأما إن أردنا الواقع الملموس ، فيجب أن نصارح أنفسنا في غير مواربة ولا مراء

لغتنا العربية في جوهرها ومظهرها ليست ملكا لوطن وحده ، ولا هي مقصورة على دولة بعينها ، ولكنها شركة بين طائفة من الأوطان والدول . وجلي غاية الجلاء أن هذه الطائفة التي تضم بين جوانحها الأمة العربية كلها يجري فيها اتجاه واضح إلى الإبقاء على الكتابة العربية القديمة ، والتهيب للعدول عنها ؛ وإن كان الرأي العام في الأمة العربية كلها يؤمن بقصور تلك الكتابة عن الوفاء بحاجات الضبط ، ويعاني من صعوبتها ما يعانيه

ثمة عامل نفسي يسري بين جوانح الأمة العربية ، من أغفله لم يأمن الشطط . فإن جماهيرنا في نهضتنا الحديثة التي تقوم على أساس الحضارة الغربية الراهنة ، تتملكها نزعة المبالغة في الحرص على مشخصاتها القومية ، وهذه الجماهير — في شديد حرصها ذلك — تتوهم أن حروف كتابتنا العربية إحدى هذه المشخصات فإن نبذتها كان ذلك إمعانا في التطرف ، وهدما للمأثور ، وتفريطا في الجانب القومي العزيز

وعلى الرغم من أننا طلاعون في نهضتنا إلى الأمام ، آخذون من الحضارة بكل الأسباب ، فإن جماهيرنا تلك ما برحت تحت وطأة من تقديس التقاليد المتوارثة ، تضن ما وسعها الضن بالنزول عن شيء من شؤون حياتنا الاجتماعية ، وإن كان من الظواهر والقشور

والحروف العربية القديمة ، وإن كانت لا تزيد على أنها أداة تصوير ، وليست هي من جوهر اللغة في قليل ولا كثير ، فإنها قد اتخذت في أوضاعها القائمة ، مسحة من التقديس ، لشدة الألفة بها ، وطول العهد معهما ، وجلال القدم فيها . ولذلك لا يحسب كل تغيير يلحق بها إلا استخفافا بشيء تحيط به هالة من الجلالة والإكبار

وإذن فهذا العامل النفسي المتأصل ، هو الذي يقف عقبة في سبيل ما ينادي به المفكرون وذوو الرأي ، من اتخاذ حروف جديدة مقتبسة أو مخترعة لكتابة العربية

ولا خلاف على أن العوامل النفسية التي تستقر بين جوانح الأمم لا تسقط جملة بقوة منطق ، وروعة دفاع ، وحجة إقناع ، وأنها كذلك لا تسقط بظهور مضرة ، واستبانة نفع ؛ فإن للعوامل النفسية أسبابها وملابساتها . فإذا زالت هذه الأسباب والملابسات رويدا زالت معها تلك العوامل رويدا . وليس كالزمان دواء لها وعلاجا

هيهات أن يفرض اقتراح جديد للكتابة بقانون . وهيهات أن يلزم الناس به إلزاما بإقناع ، وكل محاولة تجافي المجرى الطبيعي لتطور نفسية الأمم مكتوب لها الإخفاق

فمن حق الأمة العربية علينا أن نساير في عهدها الحاضر رأيها العام . وأن نسوس هذا الرأي في حكمة وأناة ، حتى يحين وقت تهيأ النفوس فيه لقبول الجديد

فالإجراء الذي يمكن أن تكفل له قبول الأمة العربية في جملتها ، هو أن يكون لمشكلة الكتابة العربية حل لا تتغير فيه الحروف القائمة ، ولا تتنكر معه صورتها المألوفة

ومتى اتسق لنا تحقيق رغبة الرأي العام في استبقاء القديم ، فإن الناس جميعا يرحبون بما نتخذ من وسيلة لتذليل المصاعب التي تعترض حل تلك المشكلة في ميدان الطباعة

وقد حدانا هذا على أن نعرض طريقة تقوم على أساس الكتابة العربية في أوضاعها الراهنة ، بيد أننا ننفي منها ما كان عائقا عن إدخال علامات الضبط في الحروف المطبعية

إن صندوق الحروف في المطبعة العربية يحمل لكل حرف صورا متعددة ، منها المفرد ، ومنها ما يقبل الاتصال بحسب أول الكلمة ووسطها وآخرها ، وبحسب وقوع الحروف في بنية الكلمة المركب بعضها فوق بعض . ولذلك اتسع صندوق الحروف من ناحية ، فتعذر أن يحتمل معه صندوقا آخر لعلامات الضبط . وتركبت الكلمة من ناحية أخرى ، فأصبح وضع علامات الضبط عليها غير دقيق . وهذا كله هو سر استثقال علامات

الضبط ، وإخفاقها فى أداء مهمتها ، وهو العقبة فى سبيل استعمالها فى الكتب التى تخرجها المطابع

وإنى أرى أن نقتصر من صور الحروف على صورة واحدة ، وبذلك يكون لصندوق الحروف المطبعية عيون لا تتجاوز الثلاثين عينا ، فنتخلص من تلك العيون التى تزيد على ثلاثمائة ، وأن نتخذ علامات الضبط المتعارفة التى يجرى بها الاستعمال . وسيرحب بها الصندوق الذى تخفف مما كان يغص به من الصور المتعددة للحروف الأصلية ، وانفسحت جوانبه لتقبل هذه الحركات فى غير مشقة ولا عسر . وطوعا لهذا يتوافر للطباعة غنم من السهولة والتيسير ، كما يتوافر للكتابة غنم من نعيم الضبط بلا عناء

وأقترح أن تكون الصورة التى نقتصر عليها من صور الحروف هى الصورة التى تقبل الاتصال من بدء الكلمات ، وهى التى يسميها أهل فن الطباعة : حروفا من الأول ، على أن تؤثر الكاف المبسوطة ، وتظل حروف الألف والدال والذال والراء والزاى والواو والتاء المربوطة واللام ألف باقية على صورتها فى حالة إفرادها

وأكبر ظنى أننا لو أخذنا بهذه الطريقة لحللنا مشكلة الكتابة العربية الآن على نحو لا يثير اعتراضا ، ولا يتطلب تهيئة الأذهان للرضا بتغيير طارئ ، وإقناع الرأى العام بقبول شئ جديد

وعندى أن هذه الطريقة تتحقق بها المزايا الآتية :

أولا : أنها تنفى شبهة القطع بين القديم والجديد ، فالحروف هى الحروف المعروفة ، وعلامات الضبط هى القديمة المألوفة

ثانيا : أن الحروف ستكون واضحة لا خفاء بها . فهى غير مركبة ، بل مبسوطة ، يعرب فيها كل حرف عن صورته فى تميز واستقلال

ثالثا : أن علامات الشكل ستقع على الحروف بأعيانها ، تأخذها الأنظار باللمح ، فلا تترجح العلامات بين الحروف المركبة فى الكلمة الواحدة . إذ أن كل حرف رحب الصدر لما يقع فوقه أو تحته من علامة الشكل . وبذلك نأمن العلامات من التزحزح ، وتسلم من التعرض للخطإ والاضطراب

رابعا : أن اتخاذ صورة واحدة للحروف فى جميع مواقعها من الكلمات ، أولا ووسطا وآخرا ، سيجعل تعليمها أيسر مؤونة ، لأننا لا نروع المتعلمين بالحرف الواحد متعدد الصور ، مختلفا فى حالة إفراده عنه فى أحوال تركيبه . ولذلك أثره فى تعليم القراءة للناشئين ، ومكافحة الأمية على وجه عام بين الأهلين

خامسا : أن المصاعب التى تتجشمها المطبعة الآن لا يبقى لها محل . فإن صندوق الحروف سيتحرر من أكبر ما يثقله . فإذا أضفنا إليه علامات الشكل لم يضق بها جميعا . وسيصبح ذلك الصندوق الذى يحوى الحروف وعلامات ضبطها جميعا لا يزيد على خمسين عينا ، على حين أن صندوق الحروف غير المشكولة فى حالها الراهنة المتعددة الصور يربى على ثلاثمائة

سادسا : أن وقت العمال الذى كانوا ينفقونه فى اجتلاب صور الحروف على اختلافها سيتوافر لهم ، فينفقون القليل منه فى اجتلاب الشكل . وسيصبح صفهم الكلمة مشكولة يتطلب من الوقت والجهد أقل مما كان يتطلب صف كلمة لا شكل فيها

سابعا : أن اجتناب التركيب فى الحروف سيجعل الكلمات مبسوطة ذات أفق أقل انخفاضا من الأفق الذى تقتضيه الكلمات المركبة الحروف ، فتزداد السطور فى الصحيفة ازديادا يعوضها مما يستلزمه انبساط الحروف من اتساع الحيز

ولقد رغبت إلى المطبعة فى أن تستن هذه الطريقة فى صف جملة من الكلام ، فلم تعى بذلك ، وأثبتت التجربة أن الطريقة لا تعترضها فى العمل عقبات ، مع أن المطبعة اعتمدت فى إنجاز ذلك على صندوق الحروف الذى يجرى به الاستعمال الآن

ولو أن هذه الطريقة لقيت حظا من القبول ، ووضعت موضع التنفيذ ، لتوقعنا أن يزودها أهل الفن فى مسابك الحروف بما يوحى به وضعها الجديد ، وأن يزيدوها تجميلا ، ويضيفوا إليها من ألوان التعديل والتنسيق ما يحملها أدق أداء ، وآنق منظرا ، وأدنى إلى الرضا والاستحسان

تق أن نعرض لشيء لا نجد سبيلا إلى أن نضرب عنه صفحا، ذلك هو أن لمشكلة ضبط الكتابة جانبا غير الجانب المطبعي الفني الذي تحله هذه الطريقة

إن المطالبة بضبط الكتابة أمر تعترضه مصاعب يتبرم بها الكاتبون. فإننا إذا رغبنا إلى كل كاتب أن يقدم ما يكتبه إلى المطبعة مشكولا على وجه الدقة، استشمر من ذلك عنتا، ولاقى في سبيله رهقا. أليس هو مطالبا بأن يتحرى الصواب في الضبط؟

وهل يتسنى لكل كاتب أن يحسن ضبط ما يكتب؟ أو ليس ذلك يقتضي بصرا باللغة، وإتقانا لقواعد النحو والصرف، حتى لا يكون الضبط الجديد سبيلا إلى إشاعة الخطأ من حيث نبتغي إشاعة الصواب؟

ولكن هذا الذي نتوقعه ونخشاه من شيوع الخطأ إذا أريد الكاتبون على ضبط ما يكتبون، دليل أسطع دليل على أننا تعوزنا الدراية على سلامة النطق وصحة الإعراب، دليل على حاجتنا القصوى إلى تعميم الضبط في الكتابة

على أن لكل تغيير طارئ مصاعبه الأولى، ولكل إصلاح عثراته في فواتح الطريق، حتى يستقر الأمر، وتستتب الحال. فلا ريب في أننا حين نأخذ أنفسنا بضبط ما نكتب سيشيع بيننا خطأ كثير؛ إلا أن هذا الخطأ سيقل ويضمحل على توالي الزمن وفقا لتتبع النقاد، والرغبة في توخي الصواب. ولا ريب كذلك في أن الأمر سيقتضي تخصيص طائفة من البصراء باللغة للإشراف على كل ما تخرجه المطابع من كتب وصحف ومجلات، حتى تبرأ من اللحن والخطأ في ضبط الكلام

ومر الأيام كفيل بإنشاء جيل جديد من الكتاب والمؤلفين يغنون بقدر كبير أو صغير عن معونة المراجعين والمصححين. وهذا الجيل ناشئ حتما متى شب على قراءة ما يقرأ مضبوطا أتم ضبط، إذ يتعود سلامة النطق، وتستقر في أذهانه صيغ الكلمات والجمل مضبوطة معربة، فيكتبها كما ألفتها عينه، ويتلفظ بها كما سمعتها أذنه. وبذلك يقتطف ثمرة النحو والصرف. دون تخصص في تعلم النحو والصرف. شأنه في ذلك شأن الشاعر المطبوع حين ينظم ما ينظم صحيحا لا خلل فيه، طوعا لما أدمن من قراءة الشعر، ولو لم يعرف من علم العروض شيئا

وعلى الرغم من أن هذه الطريقة التي نراها حلا لمشكلة الفنية المطبعية في ضبط الكتابة، طريقة ميسورة، لا تقف في سبيل تنفيذها عقبة، فإننا لا نستطيع أن نلزم بها الأمة العربية إلزاما، ولا أن نفرضها على المطابع فرضا. ولكن يجب أن ندعو إليها دعوة عملية طبيعية تزكيها عند الناس، وتحدوهم على اتخاذها بالطوع والاختيار

ولعل أهدى سبيل إلى تحقيق تلك الدعوة هو أن تلتزم وزارة المعارف طبع كتبها التعليمية في مختلف المواد والمراحل، وافية الشكل، صحيحة الضبط، بهذه الطريقة الهينة الميسورة. ولن تجد الوزارة في سبيل ذلك ما كانت تجد من مصاعب فنية، وعقبات مطبعية، حالت بينها وبين تعميم الشكل في كتب التعليم

فإذا ألزمت وزارة المعارف نفسها بهذا الإجراء، كان ذلك حافزا على اتخاذ تلك الطريقة في محيط الجمهور

وسينشأ تبعا لذلك عامل نفسي لتأييد تعميم الضبط في سائر المطبوعات، هو عامل التأسي والاقتداء، عامل التنافس في إظهار القدرة على إخراج كتب مشكولة، تشبها بما تخرج وزارة المعارف من كتبها في شتى مواد العلوم والفنون والآداب

ويومئذ يتحقق غرض منشود، سعى إليه «مجمع فؤاد الأول للغة العربية»، وابتغى إليه الوسيلة ما وسعه أن يبتغي، ذلك هو تعميم الضبط في الكتابة العربية على نحو ميسور

محمود تيمور

إسق العطاش

للاستاذ حسني كنعان

سألني صديق عن فصل (اسق العطاش)، وسألني آخر عن آثار القباني، وها أنذا أجيب على السؤالين

اسق العطاش: نوع خاص من أنواع الموشحات العربية القديمة المجهولة المتوارثة اختصت بحفظه مدينة حلب وحدها دون سواها من المدن العربية. ولهذا النوع من الأثر طابع خاص عرف به في النظم واللحن والإنشاد طغت عليه النزعة الصوفية. فأنت إذ تصافح أذناك هذا النوع من الموشحات الأخاذة الساحرة وتصغي بكل حواسك وجوارحك إليه تخال نفسك كأنك قابع في زاوية من زوايا السادة الصوفية تضوعت في جنباتها روائح الند والمسك والطيب فتذهل عن الدنيا لشدة ما يعتريك من الخشوع والطرب والورع تأثراً بهذه الأنغام الرائعة والمعاني الممتعة فيأخذك العجب مما جادت به قرائح الأجداد الفياضة التي إن دلت على شيء فإنما تدل على ما كانوا عليه من شغف بالفن وانكباب مجهود في إحيائه والنهوض به ...

والفصل برمته مأخوذ عن كتاب خطي قديم عنوانه (سلافة الألحان) يقع في مئة وخمسين صفحة على الجملة، قد دون بخط جامعه السيد (محمد الوراق) الحلبي المنبت وكان رحمه الله من الملمين بهذا الفن البارزين. وله في حلب عدة تلاميذ لا يزالون حتى الآن يحفظون له هذه اليد

وكان منشداً في التكية الهلالية قد انقطع للنسك فيها والعبادة والتصوف، وقد تيمه الحب وهاجه الوجد والغرام في هذه الطرق، فجمع هذا الفاصل الأثري وعني بتعلمه وتعليمه فكان له ما أراد من فضل في نشره وإحيائه ... (١)

ولقد اختلف الرواة في منبع هذه الموشحات، فمنهم من نسبها إلى مصر وذهب إلى أن مياه النيل في عام من الأعوام قديماً قد نقصت وضنت السماء على سكان الوادي الخصيب بالمطر فما جادت عام مئذ بقطرة واحدة، ففزع أهل القطر إلى العراء يستمطرون الرحمة والغوث من لدن رافع السماء وباسط الأرضين، جاء في مطلع أدعيتهم:

يا ذا العطا   يا ذا الوفا
يا ذا الرضى   يا ذا السخا
إسق العطاش   تكرما
فالعقل طاش   من الظما

ومن قائل إن هذه الحادثة وقعت بحلب، ودليله على ذلك العادة المتبعة حتى الآن من فزعهم ولجوئهم إلى العراء حتى اليوم يستغيثون ويستمطرون الرحمة كلما ضنت عليهم السحب بالغيث فيجأرون بهذه الأدعية والموشحات. وإلى هذا قصر فيها اخزانات لإرواء تربتها يفزع إليها كلما ضن النيل وبخلت السحب بالأمطار

ومن قائل بأن هذه المخلفات الفنية من وضع الصوفيين تهدف بمعناها ومبناها وموسيقاها إلى نزعة غزلية صوفية يقصد بها الإشارة والمديح للذات القدسية العليـة والتغزل بها والتغني بمحامدها ومفاتنها على سبيل التمجيد، وأنها تتلى بالأذكار وحلقات التكايا والزوايا لهذه الغاية

وهي موشحات كما ترى لا تتنافى مع مبادئ الدين الحنيف في شيء، وقد سبق لابن الفارض والسيد الجيلاني وابن العربي وعبد الغني النابلسي أقوال كثيرة في هذا المعنى من الغزل الصوفي، ولذا نراها تستعمل في بلادنا في كل حفل ديني يؤتى فيه على ذكر الله الملك الديان، ويغلب على نغم هذه الموشحات النغمة الحجازية وقد يدوم إنشادها في الأذكار والحفلات زهاء أربع ساعات دون انقطاع يتخللها نغمة العراق والعجم في بعض الأحيان، إلا أن نغمة الحجاز هي الغالبة على جميع الأنغام في هذه الآثار

والعادة المتبعة عند الحلبيين أن يهيئوا لها أحسن العازفين والمنشدين فتبدأ الأنغام في بادئ الأمر ببطء متزايد وصوت غليظ ثم يأخذ هذا الصوت في الحدة والشدة والدقة حتى تعلو الأصوات وتدق، ويشتد العزف ويخف بحسب المعنى إلى أن يغدو السامع كأنه ثمل بنشوة الطرب، وعندما تكون الحلقات معقودة وتأخذ رجالها النشوة تزلق أرجلهم وأيديهم وصدورهم إلى البدء

---

(١) مصادر هذا الفصل عن رسالة الأثري

فى رقص السماح الذى تحدثت عنه فى الرسالة سابقا وينقلب هذا الفاصل من الموسيقى إلى فاصل إنشاد ورقص وطرب فتسمع وترى عندئذ من القائمين على شؤونه المعجب المعجاب ، وعندما يشعر أبطال هذه الحلقات بتعب أو ضنى ينسل من الحلقة متنحيا ناحية فى المكان ، فإذا ما شعر غيره بتعب صنع صنيعه وهكذا يظل أبطال الحلقات يتسللون لواذاً الواحد تلو الآخر ويكون ذلك بعد مضى أربع ساعات على التحقيق إلى أن تنقطع الحلقة وينفض المتحلقون من حولها وينتهى هذا الفاصل الفنانى الرائع الأخاذ .

أذاعت جزءاً من هذا الفاصل محطة حلب الإضافية منذ أمد بإشراف الأستاذين الشيخ عمر البطش الذى فقدته سوريا بالأمس وفقدت بفقده كنزاً ثمينا من الكنوز الفنية التى لا تعوض ، وبإشراف الموسيقار توفيق الصباغ . وما كاد يمضى مدة على إذاعة مختارات من هذا الفاصل الأثرى الخالد حتى بادرت إدارة محطة الشرق الأدنى إلى الشخوص لحلب فتعاقدت مع أرباب هذه الصناعة من المذيعين وأخذت تسجيلا خاصاً عنه . ولا ريب أن محطة دمشق ومصر والعراق وبقية محطات المدن العربية كانت أولى بحفظ هذه التحلقات الأثرية من محطة الشرق الأدنى قبل أن يمضى عميدها المرحوم الشيخ البطش، ولكنا نحن معشر الشرقيين نستهين بتراثنا الفنى ونهمل رجالاته فإذا ما فقدناهم ندبنا حظنا وذرفنا الدموع سخينة على افتقادهم ، وإنى ختاماً لهذا البحث الفنى أرانى ملزماً بذكر بعض مقطوعات مما ورد فيه تتمة للفائدة وتعميما للنفع عسى أن يجد أبناء الفن الباحثون المتلذذون منهم والمتكسبون فيه ما تصبو إليه نفوسهم ويشفى غليلهم

فالسادة أصحاب الطرق يذهبون فى هذه الموشحات مذاهب شتى ، فمنهم من يجعل الحبيب الذى يتغزل به غزالا ، ومنهم من يجعله إنساناً ذكراً أو أنثى؛ ولا يعلم إلا الله خفايا أسرارهم فيتغزلون بدعد وهند وليلى وسلمى وإلى ما هنالك من أسماء الأنثى ، ومنهم من يتغزل بالذكر ويجعل المحبوب رسولا أو إلها أو وليا من الأولياء فهم بهذه الحالة يظهرون مالا يبطنون . ومن أقوالهم فى ذلك

يا غزالى كيف عنى أبعدوك ... شتتوا شملى وهجرى عودوك
يا غزالا بالبها ما أجملك ... يا ترى فى قتلتى من حللك
كنت لا أعشق خلا ما خلاك ... حلوك الهجر حتى واصلوك
قلت رفقاً يا حبيبى قال لا ... قلت راع الود يا ريم الفلا
قال من يهوى فلا يشكو القلى ... قلت حسبى مدمعى قال سفوك
قلت مولى قال ذا شئ بعيد ... قلت عبداً قال لا أرضى عبيد

ومن قولهم فى ذلك !

أهوى الغزال الرنى باهى الجمال ... حلو المباسم سكرى ريقه حلالى
أهيف حوى كل المحاسن والكمال ... إذا تبدى ينجلى مثل الهلال
يا عاذلى اقصر كلامك عن غزالى ... ما للعوادل فى هوى روحى ومالى

هذان الموشحان من نغمة الحجاز

وهذا موشح من النوع الذى يتغزل فيه بالأنثى :

هيمتنى تيمتنى عن سواها شغلتنى
أخت أنس ذات شمس
دون كاس أسكرتنى
لست أسلوها ولو فى نار هجران كوتنى
ذات عقد ذات بند أسبلته فوق نهد
أيها الساقى فدندن باسم من قد آنستنى
عاذلى ماذا عليها بالقا لو أتحفتنى
سوها العود الرخيم يسلب القلب السليم
تسبل الشال السليم فوق أعطاف سبتنى
ليلة بت معاها بالصفا لما دعتنى

وإليك نوعا آخر من أنواع الغزل الصوفى نختم به هذا النوع من الموشحات

مولاى أجفانى جفاهن الكرى ... والشوق لاعجه بقلبى خيما
مولاى لى عمل ولكن موجب ... لعقوبتى فامنن على تكرما
واجل صدى قلبى بصفو محبة ... يا خير من أعطى الجزاء وأنعما
يا ذا العطا يا ذا الوفا يا ذا الرضا ... يا ذا السخا إسق العطاش تكرما
أغث اللهفان وارو الظمآن ... واسقنا يا رحمن من منهل الإحسان

أما الاستيضاحات التى طلبها منى السيد محمد يوسف نجم من جامعة فؤاد الأول فالجواب عليها أورده على الجملة فيما يلى عساه يلقى فيه ما تصبو إليه نفسه :

١ — لم يسبق محاولة مسرحية فى سوريا قبل القبانى وإنما الذى عرف أن أستاذه على حبيب الحكوانى كان يخاطب الصور

الخيالية من وراء (خيمته) بلهجة تمثيلية فيها الحوار والسؤال والجواب. وكان القباني يلازمه ويقتبس من لهجته التمثيلية ومحاوراته اقتباسات أفسحت أمامه المجال لوضع نواة التمثيل في مخيلته، وكانت فرقة فرنسية أمت سوريا للتمثيل فيها لحلت في مدرسة (المداربة) في باب توما، فحضر القباني هذه الروايات وشهدها جميعها فأخذ فكرة عن التمثيل والمسرح. وفي عهد الوالي عبد اللطيف صبحي باشا ظهرت أولى مسرحياته فألف رواية (ناكر الجميل) ومثلها أمامه سنة ١٢٨٨ وكانت سوريا والبلاد العربية لا تعرف شيئاً عن التمثيل قبل هذا التاريخ

٢ — أما كتبه ومؤلفاته المسرحية فإنها مذكورة في كتاب الموسيقى الشرقي لمؤلفه المرحوم كامل الخلعي. ولقد أجهدت نفسي كثيراً لأحصل على نسخ منها فلم أظفر لأن ولده المرحوم خليل أودع مؤلفات والده عند شريك له في المحاماة من آل العجلاني، ولما توفي خليل المذكور أنكرها واحتجزها لنفسه كما فعل شقيق الشاعر الزين رحمه الله بأشعار أخيه الفقيد. وعبثاً حاولت الحصول على نسخ منها. ولما أعيتني الحيلة والأمانة للعلم والبحث قصدت نائب دمشق الأستاذ فخري بك البارودي وطلبت مساعدتي للحصول على تراث القباني، فجال بمكتبته الفخمة جولة ثم عاد يحمل إلي روايتين مطبوعتين في القاهرة بقلم القباني نفسه قد أكلت حشاياهما الأرضة وعفى عليهما النسيان، إحداهما رواية هرون الرشيد، والثانية رواية الأمير محمود نجل شاه العجم، فعثرت بعثوري عليهما على كنز دفين أو معدن نادر. ولم أتبين تاريخ وضع رواية الرشيد لاهتراء مغلفها، أما السلطان محمود فلقد طبعت بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٣١٨ هـ

فرأيي في أسلوب الروايتين لا يخرج عن رأي أديب يرى في هذا الأسلوب المسجع أسلوباً لا يليق أن يتخذ قدوة في هذا العصر، فرواية الرشيد تدور حول مؤامرة القصر والست (زبيدة) وحادثتها مع قينة الرشيد (قوت القلوب) وموضوعها لا بأس به على الجملة. أما الرواية الثانية فليس لها مثل أسلوب الأولى وليس لها مغزاها. ولقد صدرت رواية الرشيد بعهد الخديوي عباس ودليلي على ذلك ما جاء فيها من قول مؤلفها:

دام في عصر مشيد غوثنا عبد الحميد
وبه نجم السعود قد تبدى في صعود
وبعباس المعالي بسمت بيض الليالي

ومن هذه الأرجوزة الجذلة تعرف مقدار فهم القباني ومقدار مواهبه الشعرية والنثرية. ولا أظن أن المكتبات الكبرى في القاهرة تخلو من آثار القباني إذ أنها كلها مطبوعة في القاهرة. وكانت في عصره منتشرة ولا يعدم الباحث المدقق وسيلة للعثور عليها كما وجدت أنا الوسيلة للاطلاع على بعضها على رغم فقدانها

٣ — أما ما ورد في السؤال الثالث عن احتمال وجود مدرسة فنية في دمشق اهتدت بهدى القباني وتتبعت خطاه، فهذا أمر ينفيه الواقع. لأن القباني بعد مغادرته الديار الشامية وهجرته لمصر انقطعت أخباره عن سوريا وتعطل المسرح من بعده وانتقل هذا الفن إلى الديار المصرية حيث لاقى فيها تربة خصبة وصدراً رحباً وكان وصوله إليها في عهد الخديو توفيق وعاصر عباساً ولم يعد إلى بلاده إلا بعد أن نشر الفن في ربوع النيل السعيد وتخرج هناك على يديه الكثيرون ممن ذكرتهم في مقالاتي السابقة في الرسالة الغراء. والشيء الذي أريد أن أقوله: إن القباني وقد مضى على تاريخ وفاته هذه السنون الطوال لا يزال أعقاب بعض أعدائه من الشيوخ المحافظين الذين كانوا يناوئونه ينظرون إليه نظر المخرق الخارج الذي أحدث ثلمة في الدين وأوجد بدعة بما قام به من أعمال فنية في ذلك الزمن. وهم يلومونني إذ أكتب عنه هذه الفصول. وهذا دليل على التأثير البالغ الذي أحدثته رواياته وقتئذ لدى آبائهم وأجدادهم المعاصرين له. وقد غالى بعضهم في اللوم والعتاب وحظار على الكتابة في هذا الموضوع بداعي أنه يثير حزازات قديمة، وهؤلاء الأعقاب كما ترى قد ورثوا العداء لهذا المغني العالمي كابراً عن كابر، وأنا إذ أعود إلى نبش هذا الموضوع من جديد ألقي التبعة في ذلك على عاتق السيد نجم لأنه هو السبب في إثارته من جديد فعليه يقع الكفر، وأنا إنما أنقل ما يطلب إلي، وناقل الكفر ليس بكافر

٤ — وأما طلب السيد نجم بإتمام بحثي عن القباني في الرسالة فهذه مهمة سأتفرغ لها وأكتب فصلاً خاصاً عن القباني الموسيقي كما كتبت عن القباني الممثل إجابة لرغبته وإن كانت هذه الرغبة تكلفني غالياً كما أشرت

دمشق

حسني كنعان

رأى فى تحديد العصر الجاهلى

بحث قدمه إلى مؤتمر المجمع اللغوي

صاحب العزة الأستاذ ابراهيم مصطفى بك

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

يرجع أدبنا فى أصوله إلى العصر الجاهلى — ألفاظ لغتنا، وطرق اشتقاقها، وبناء الجملة ونظم تأليفها، وأوزان الشعر وقوافيه وهيكل القصيدة

ومثل البادية فى العصر الجاهلى وصور الحياة فيها لم تزل منبثة فى تفكيرنا وإيماننا ونظم حياتنا، وكل تنوير لهذه الحقبة من التاريخ يرجع بالإضاءة والكشف على أصول أدبنا وتكوين حياتنا

وهو عصر غامض حتى لا نعرف مداه ولا نقف على تحديده، ولهذا ترسل الحوادث فيه مبعثرة مضطربة غير مرتبطة بأوقاتها ويغشيها ستار من الخيال ومن المبالغة تتيه فيه الحوادث ويضل المؤرخون

فحرب « داحس والغبراء » مثلا وهى من أشهر حوادث هذا العصر يعدها بعض المؤرخين فى أوائل القرن الخامس، ويراها آخرون من حوادث القرن السادس، ومنهم من يقول إنها امتدت أربعين سنة، ومنهم من يرى حصرها فى عشر هذا الزمن أى نحو أربع سنوات

وزهير بن جناب الكلبى عاش ٣٠٠ سنة أو ٤٠٠ سنة أو ٤٥٠ سنة، وطى بن أد عاش ٥٠٠ سنة

وتحديد هذا العصر بمعالم من التاريخ أول واجب لتصوره ولفهم مجرى حوادثه

وآخر هذا العصر معروف محدد هو سنة ٦٢٢ وهو بدء التاريخ الهجرى

وإذا نظرنا وجدناه لا يؤرخ بزوغ الدعوة الإسلامية وبدء ظهورها، فقد دعا الرسول إلى دينه سرا وجهرا وأعلن رسالته فى الأسواق وهى مجامع العرب وعرض نفسه على القبائل، وتم ذلك كله قبل الهجرة ولم يعد شىء منه نهاية للعصر الجاهلى

وكذلك لا يؤرخ انتشار الإسلام وغلبته على الجزيرة العربية فقد كان الإسلام فى المدينة وحدها بل فى جزء منها، وسلطان الحياة الجاهلية لم يزل مبسوطاً فى الجزيرة وأرجائها الواسعة. والمسلمون أقلية صغيرة ضئيلة كما كانوا أقلية بمكة

ولكن أمير المؤمنين عمر والعرب معه لم يتخذوا هذا التاريخ اعتباطاً ولا حددوه تحكما؛ بل رأوه تاريخ تكوين حكومة خضعت لها البلاد العربية وشملها سلطانها ونظامها، وقضت على حالة من الفوضى تنتهب فيها الأموال والأنفس. والضعيف نهب القوى

ولم يتخذ تاريخاً حتى كان سلطان تلك الحكومة وطيداً شاملا وأمنها مظلا وارفا

وكان تكوين الحكومة عقب تلك الرحلة القاسية السعيدة الفاصلة وهى الهجرة فسمى التاريخ بالهجرى

فهذه نهاية العصر الجاهلى قرنت بالهجرة وبتكوين الحكومة الإسلامية

فما مبدأ هذا العصر؟ يحضر المؤرخون به إلى أول الخليقة ويجعلونه شاملا لكل ما كان قبل الإسلام وهم بهذا يقررون أن العرب أو عرب الشمال على الأخص قد جاءهم الإسلام وهم على الفطرة وفى حالة بداءة لم يتصلوا قبلها بحضارة

ونحن مضطرون هنا أن نشير إلى نوعين من الجاهلية: جاهلية الفطرة وتكون الأمة فيها بدائية متبربرة خشنة العيش لم ترث آثار مدنية سابقة. وجاهلية فترة وهى حال أمة كانت لها حضارة فقدتها بسلطان من الطبيعة أو أحداث السياسة وتدهورت فى حياتها درجات وبقى مستكنا فيها آثار ما تمتعت به من حضارة

وإذا كان مسلك المؤرخين يفيد أن جاهلية العرب هذه كانت جاهلية فطرة فإن كل شىء فى التاريخ وفى حياة العرب يشهد أنها كانت جاهلية فترة، جاهلية موقوتة تحمل آثاراً قوية من حضارة أو حضارات سابقة

لغتهم وبيانهم لم تكن لغة أمة بدائية ولا قريبة من البدائية، وعملهم وهو التجارة — والتجارة الخارجية خاصة — بعيد أشد البعد من أن يكون عمل أمة بدائية؛ وحكمهم للبلاد يوم فتحوها وسياستهم أهلها لا يمكن أن يتهيأ لأمة فطرية

حتى رذائل الجاهلية فيها ما يشهد بيسرها عن الحياة البدائية - هــذا الربا الذى شدد الإسلام فى النهى عنه والذى عنى به الرسول فى خطبة الوداع ووضعه عن الناس يشهد تعدد أنواعه والتشدد فى تحريمه بتغلغله فى الحياة الجاهلية - وما كان تقويم المال وتقديره وأرباحه عملا من أعمال الأمم الفطرية

وربا الفضل نوع من الاتجار فى الأثمان وفى النقد وعمل من أعمال البرصة ومضارباتها وهو من علل حضارة غنية مرفهة؛ فقد كان نقــد الفرس بأيدى العرب يعلو ويهبط تبعا لانتصارهم أو هزيمتهم، وكذلك نقد الروم، فتضطرب الثروة فى أيدى الناس وينتهز الفرصة البصيرون النهازون كما يفعل اليوم تجار النقد. وقد عالجه الإسلام أصلح علاج - الذهب بالذهب والفضة بالفضة، مثلا بمثل، يداً بيد

والقرآن يشهد للعرب بحضارات سالفة بائدة - فهم على دين أبيهم إبراهيم، وأرسل إلى العرب من العرب رسل منهم هود وصالح وشعيب ولــكل رسالة دين وفى كل دين حضارة

وطبيعة البلاد العربية وموقعها فى وسط الدنيا تأبى أن تكون بمنأى عن الحضارات وأن يعمرها قوم منعزلون متأبدون فطريون. فمنذ أقدم عصور التــاريخ كانت الجزيرة العربيــة وبواديها قناة التجارة بين الشرق والغرب من قبل أن تقد قناة السويس؛ بل إن طبيعة الجزيرة اليوم تعمل فى قوة وسرعة لتسترد قناة التجارة إلى مسالك بواديها. ولا يغفل عن ذلك إلا من سد أذنه وأغمض عينيه. فالسيارات القوية العاتية والوثيرة المريحــة ما بين البصرة وبيروت فى يومين، وللسرعة حسابها فى التجارات وفى هــذه الأيام خاصة. وقناة الســويس تنظر بخضوع وحسرة — إن لم تــكن غافلة — إلى هذا المنافس الذى يحاول أن يسترد من بين يديها الثروة والغنى والمجد — والصحارى كالبحار تــكون عازلة حتى إذا مهدت وذللت كانت سبيل القرب وهمزة الوصل. والذين اجتازوا البوادى العربية ورأوا طبيعتها الحجرية لا الرملية دهشوا لهذه الفجاج التى مهدتها الطبيعــة وسوتها يد الله. وقد شهدت عشرات من الرجال مهدوا بأيديهم أميالا من الطرق لتمر بهــا سيارات الملك ابن الســعود وسيارات جنــده، وكل ما عملوا أنهم كنسوها من صغار الحجارة التى تسمى عندهم « بالحراجل »

والمنقبون لا يزالون يكشفون عن آثار حضارات عظيمة فى اليمن وشمال الحجاز وبطرة وتدمر والحيرة فهل يقبل أن تقوم هذه الحضارات فى نواحى الجزيرة وإخوانهم فى جوفها بدائيون غير متحضرين ؟

والآثار تشهد أن تلك الحضارات كانت تجارية، من التجارة ثروتها وربحها، وعليها قيامها وبقاؤها. والتجارات تأتى من طرف الجزيرة إلى طرف وتمر فى مســالكها، ولابد لهذه المسالك من الاطمئنان والأمن، ولا يكون ذلك إلا فى ظل حضــارة وسلطان قوى

هذه حقائق عليها الطبيعة وتنطق بها الآثار ولــكن روايات الأخبار التى بأيدينا تغطى هذا أو تطمسه لأن رواياتها دونت بعد صدر من الإسلام وعمل فى تدوينها العرب وغير العرب

أما العرب فقد كان لدى أغلبهم أن الإسلام لا يظهر فضله حتى تــكبر سيئات الجاهلية وحتى لا يكون فى الجاهلية إلا شر قلبه الإسلام خيرا

والإسلام رسالة ووحى ولــكن الذين استجابوا له وقاموا به رجال ربتهم الجاهلية. لابد أن تــكون مواهبهم وتجاربهم قد أعدتهم لقبوله أو النهوض به والله أعلم حيث يجعل رسالته

وأما غير العرب فقد حز فى قلوبهم ضياع أممهم ودينهم ودولهم ولم يستطيعوا عيب العرب إلا أن ينالوا من جاهليتهم. وجهــاد الشعوبية فى هذا كبير ووسائله شتى ظاهرة وماكرة

فلا ينــكر متبصر أن الجزيرة العربية شهدت قبل الإسلام حضارات ذات شأن. وعلى هــذا الأصل نحاول أن نحدد أول الجاهلية العربية قبل الإسلام وسبيل ذلك أن نعرف آخر حضارة قامت بالجزيرة ونحدد نهايتها فتــكون بدء هذا العصر الجاهلى

فإذا اقتصرنا على العصر التاريخى وعلى ما كشف من آثار حضاراته ذكرنا حضــــارة الأنباط وقد كانت فى شمال الجزيرة وامتدت من العراق إلى مصر ووصلنا فى الجنوب إلى وادى القرى وورثت حضارة ثمود وأبقت آثاراً خالدة وصمدت للروم فى حروب شديدة مريرة - ثم حان حينها فأنقضى أمرها على يد « تراجان » سنة ١٠٦ من الميلاد وورثت مكانتها تدمر ووسع سلطانها الشام ومصر وما بين النهرين والأناضول إلى أنقرة، وجاء يومها فانقضى

ثورة فى الجحيم

للاستاذ حمدى الحسينى

جميل صدقى الزهاوى رحمه الله شاعر عربى كبير نشأ فى بغداد واشتغل فيها بالصحافة والتعليم . وقد أصابه وهو فى الخامسة والعشرين من سنى حياته مرض عضال فى نخاعه الشوكى لازمه طول حياته . وقد زار الآستانة فى عهد عبد الحميد الثانى فضاق صدر السلطان به ، فتأثره الجواسيس وضيقوا عليه ، فنظم قصيدة ذم بها عبد الحميد وسلوكه ، ودفعته الجرأة أن ينشدها أبا الهدى الصيادى ، فكتب بها أبو الهدى تقريراً دفعه إلى السلطان فكان ذلك سبباً فى سجن الزهاوى

أيأمر ظل الله فى أرضه بما نهى الله عنه والرسول المبجل
فيفقر ذا مال وينفى مبرءا ويسجن مظلوما ويسبى ويقتل
تمهل قليلا لا تغظ إنه إذا تحرك فينا الغيظ لا نتمهل
وأيديك إن طالت فلا تغتر بها فإن يد الأيام منهن أطول

وقد عين الزهاوى بعد الإنقلاب العثمانى أستاذا للفلسفة الاسلامية فى (مكتب الملكية) فى الآستانة وعين فى الوقت نفسه مدرسا للأدب العربى فى جامعة دار الفنون، وانتخب نائباً عن متصرفية (المنتفك) من أعمال العراق ، فى مجلس النواب العثمانى ، ثم عاد لبغداد بعد انقشاع الحكم العثمانى عن العراق ، فعين عضوا فى مجلس المعارف ثم رئيسا للجنة ترجمة القوانين العثمانية . وللزهاوى مقالات فى مواضيع شتى نشرتها له المجلات العربية المعتبرة ، وله من الكتب العلمية والأدبية الشئ الكثير . وأما دواوينه الشعرية فخمسة دواوين آخرها ديوان الأوشال ، وهو يجمع بين دفتيه كل ما نظم الزهاوى فى سن النضوج

يبدو لنا من شعر الزهاوى أنه كان حريصا على أمرين ، أن يشتهر بالفلسفة وأن يدعى نصير المرأة . ولا نستطيع هنا أن نمر بهذه الظاهرة النفسية دون أن نعللها تعليلا نفسيا . فالزهاوى رحمه الله كان مطوى النفس على شعور بالنقص ، وهذا الشعور قد كونته فى نفسه عوامل شتى يرجع أكثرها وأقواها إلى طفولته ونشأته الأولى . وقد يكون المرض العضال الذى أصابه فى نخاعه الشوكى سببا قويا من أسباب ذلك الشعور . ومن طبيعة هذا الشعور أن يدفع صاحبه إلى الكفاح فى سبيل الرفعة بطرق شاذة ، والرفعة فى ما وصل إلى يدنا من شعر الزهاوى أصبحنا

ملكها سنة ٢٧٢ على يد أرليان الرومانى أيضاً

وكانت الحروب الطويلة القاسية بين الروم والفرس سبب انقطاع التجارة بينهما، وكان لابد للتجارة أن تشق لها مجرى إذا سد مجرى فاتخذت سبيلها فى مفاوز البلاد العربية البعيدة عن سلطان الدولتين ، وكان الروم أشد حسرة لانصراف التجارة إلى أيدى العرب ولابد لها من هذه التجارة ولابد للغرب أن ينال موارده وقوته من هذه البلاد المشمسة المطرة الغزيرة الإنتاج فكان من عناصر سياسة الرمال وتصميمهم أن يصلوا إلى كنوز الهند وأن تكون تجارتها خالصة لسلطانهم

ولهذا تجشموا الأهوال فى القضاء على بطرة وعلى تدمر وحاولوا القضاء على دولة اليمن أيضاً، وأرسل أغسطس حملته المشهورة بقيادة قائده المعظم الياس جلاس فهلك فى الصحراء جيشه وعاد بخيبة سجلها رفيقه وصديقه استرابون وأورثتهم يأساً أبديا من أن ينالوا بلاد اليمن عن طريق شمال الجزيرة

وفى القرن الرابع كانت المسيحية قد انتشرت وصالحتها الدولة الرومية البيزنطية واستعانت بها على مد سلطانها ــ وكان رسل هذه الديانة قد وصلوا إلى الحبشة وبشروا فيها بدينهم فقامت بها دولة مسيحية حبشية تقابل فى البلاد العربية دولة اليمن اليهودية . وقامت العداوة بين الأختين؛ فأحباش هذه الدولة من أصل عربى يمنى ولكن المنافسة فى التجارة والعداوة فى الدين أججت نار الحرب بينهما . ومن آثار تلك العداوة حديث الأخدود والنار ذات الوقود . وأرسلت بيزنطة رسلها وسفنها إلى الأحباش فمكنتهم من القضاء على دولة الحميرية باليمن بعد حروب سجال وانتهى بذلك عهد آخر دولة مستقلة قامت قبل الإسلام فى الجزيرة العربية وكان ذلك سنة ٥٢٥ ميلادية

البقية فى العدد القادم

ابراهيم مصطفى

نعتقد بأن قصيدته الطويلة المسلسلة المسماة بثورة فى الجحيم هى الصورة الصادقة لنفسيته، والمعرض لواضح لآرائه وأفكاره، والموضع الأمين لقوته ونزوعه . أما فلسفته فى هذه القصيدة وتردده بين الإلحاد والاعتقاد وحيرته بين الشك واليقين فلا نحب أن نتعرض له الآن لأن التعرض له ليس من غرضنا فى هذه الكلمة.

ولنصغ الآن إلى ملكى القبر منكر ونكير وهما يسألان الميت فى قبره عن السفور والحجاب ، هذا الأمر الذى شغل الزهاوى زمنا طويلا واحتمل فى سبيله أذى كثيرا :

قال هل فى السفور نفع يرجى ... قلت خير من الحجاب السفور
إن فى الاحتجاب شلا لشعب ... وخفاء وفى السفور ظهور
ليس يأتى شعب جلائل ما لم ... تتقدم إناثه والذكور
إن فى رونق النهار لناسا ... لم تزل عن عيونها الديجور

بعد أن أتم الملكان استجوابهما الميت عذباه عذاب القبر وأخذاه إلى الجنة ليجملا من رؤيته لهما عذابا له فوق عذابه . ثم أخذاه إلى الجحيم فقذفا به فى صميمه فالتقى هناك بالأشقياء المعذبين أمثاله؛ وهناك قد جمع الألم المشترك بين القلوب المتباعدة ، وكون العذاب بين المعذبين وحدة دفعتهم لأن يفكروا بالخلاص من عذاب الجحيم فعقدوا اجتماعا تبارى فيه الخطباء فى حض الجمهور المعذب على إنقاذ نفسه من بلاء الجحيم ، فقام شاب من شباب الجحيم وألقى خطبة تحريضية حرض فيها الملايين المعذبة فى ذلك الجحيم على الكفاح ضد الظلم والاستبداد

قال يا قوم إننا قد ظلمنا ... شر ظلم فما لنا لا نثور
اجسروا أيها الرفاق فما نا ... ل بعيد الآمال إلا الجسور
إنما فاز فى الجهاد من النا ... س بآماله الكبار الكبير
قاوموا القوة التى غشمت ... والدهر مادام للقوى ظهير

فتحمس سكان الجحيم حتى دفعت الحماسة أكثرهم رصانة كأبى العلاء المعرى فوقف هو الآخر يحرض الجمهور تحريضا عنيفا فقال :

غصبوا حقكم فياقوم ثوروا ... إن غصب الحقوق ظلم كبير

فرد عليه الجمهور الحانق الغاضب :

غصبوا حقنا ولم ينصفونا ... إنما نحن للحقوق نثور

وهنا قام سكان الجحيم قومة رجل واحد واندفعوا نحو الزبانية ، ووقعت المعركة الحاسمة ، فاحتل سكان الجحيم الجنة وأقاموا فيها منعمين مرفهين

حمدى الحسينى



رحلة فى وجوه الناس

صحراء العجائب

« إلى أصحاب الوجوه المستعارة ... »

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

تجولت فى صحراء تلك العجائب ... وفى سرها المطموس حول الحواجب
وعوذت نفسى قبل أن أبدأ السرى ... لعلى أنجو من سموم العقارب
وقلت لعل الله ينصر رحلتى ... فأغنم صيداً نافراً لحقائبى
وألقيت أشراكى لهـا وحبائلى ... ومرت كحاو هام بين الخرائب
وتمويذتى الكبرى سكون بحوطه ... تربص شيخ مل طول التجارب

* * *

أمانك ربى ! ذلك الوجه ربوة ... تغنى بها الأطيار من كل جانب
تكاد تنادى العاشقين إلى الهوى ... وتجرى لهم أسحارها فى المغارب
مزوقة الأغصان بالمطر والندى ... وهمس الصبا فى مرعشات الترائب
وتخفى دروباً فى الظلال لئيمة ... بها الربيع ما أبقت حذاراً لهائب

عداد الحصى فيها أفاع حبيبة
كريعات صب الموت فوق المعاطب
تجود به سما نضيراً ممطرا
تدير به النجوى خدود الكواعب
وتجريه ضحاك الردى ، كل بسمة
تهب مع الساقى بسهم وضارب
وقفت طويلا عند أعتاب روضها
وناديت رب الكون .. ماذاك صاحبي!
أجرنى ! فهذا الوجه كم صدت مره
ولو كان معصوما بقدر الغياهب
فلم ألق إلا آدميا يـونه
بجنبيه ذئب مستعار المخالب

* * *

ووجه به وجهـان : وجه مقنع
بآخر مدسوس بزى العناكب
يجارى وجوه الناس فى كل نظرة
ويسرب فى إيمائها كالثعالب
ذليل لما يصغى إليه ، فسمه
خطام ذلول فى حبال كواذب
ترى طرفه عبداً لعينيك ضارعاً
على أى حال من فنون التخاطب
تنوح فيمرى ، أو تصيح فيمحى
ويصبح شيئاً من سكون المحارب
برت آية البهتان جلدة وجهه
مطايا رياء لا تضيق براكب
إذا قيل هذا الصخر ماء .. رأيته
يردد للينبوع شوق السباسب
وإن قيل هذا الماء نار .. رأيته
عليهـا مجوسيـا عريق المذاهب
وإن قيل تلك النار فجر .. رأيته
أذان مصل هز سمع الكواكب
وإن قيل هذا الفجر قبر رأيته
من الثكل يستجدى دموع النوادب
تلاشى بلا موت ، وأودى بلا ردى
لعل بهذا النعش بعض المكاسب ..
أمانك ربى منه ! هـــذا منافق
أخف لقاء منه وجه المصائب
إذا انفردت بالله أبعاد نفسه
— وهيهات — يلقاه بزهو المحارب
وإن مر جلاب الفتنات ، رأيته
بلا أى ذنب ، فى سرابيل تائب
تقوس واستخذى على الزور ظهره
وكبر لا لله ، بل للرغائب
فخلت صـــلاة لم يحن بعد وقتها
وظلا من الأوثان فوق المناصب ..

* * *

ووجه سراب البيــد يخشى ظنونه
فيزور عن رؤياه خوف العواقب
يمــر به مر الظنون كأنه
من الذعر صدق مر فى وجه كاذب
وعمن فى نجـــواه عرافة الضحى
فتنكت فى خط على الرمل خائب
يعلم أجواز الفلا كيف تصطفى
لظلمائها ود الرياح الحـــواصب
تعمى على مرآته ، فهـــو صوبها
رؤى صـــدإ على الزجاجة هارب
يخـــادع حتى نفسه ، فطريقها
بجنبيه جب قاعه فى الجـــوانب
تهدج ، واستحيا ، وهوم ، واختفى
بجفنين سمـــاءين تحت السارب
لمحت فلاه من بعيد ، فصرصرت
بسمى رياح الخـــائل الثقائب

تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوى

حقيقة التشويه العلمى فى « الإشارات الإلهية » :

مرة أخرى نعود .. ولامناص من هذه العودة لأنها استجابة لرغبة القراء . نعود لنكشف عن حقيقة « التشويه العلمى » الذى أحدثته عبقرية الفيلسوف الأول فى « الإشارات الإلهية » .. ومعذرة من هذا التعبير الذى ينسب التشويه إلى العلم أو يجعل العلم منسوبا إليه ، لأن العلم هنا بدلالته الخاصة مقصور على الدكتور عبد الرحمن بدوى !

وقبل أن نكشف عن حقيقة هذا « التشويه العلمى » نود أن نقف قليلا لنقول كلمة أو كلمتين .. ترى هل قرأ الدكتور بدوى كتاب « كليلة ودمنة » ؟ إننا نشك كثيرا فى أنه قد قرأ هذا الكتاب ، ومبعث هذا الشك أن فى الكتاب فلسفة صادقة ، كان من الممكن أن ينتفع بها فيلسوف مصر الأول .. لو أنه التقطها من لسان بيدبا الفيلسوف ! ولسنا نريد من الدكتور بدوى إلا أن يرجع إلى هذا الكتاب ليخرج بشىء من الفلسفة الشرقية ، شىء بسيط لا يدق على فهمه كما دقت عليه أصول الفلسفة الغربية .. قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : إضرب لى مثل الرجل يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه . وجمع بيدبا الفيلسوف أطراف فلسفته ، وقص على الملك قصة مالك الحزين .. ورحم الله بيدبا الفيلسوف ، فلو كان يعيش بيننا فى هذه الأيام مع دبشليم الملك ، لاستبدل بقصة مالك الحزين قصة عبد الرحمن بدوى !

إننا لا نعنى قصته فى « الإشارات الإلهية » فإن لها حديثا غير الحديث ، ولكن الذى نعنيه هو قصته الأخرى التى قادنا إليها كتابه الآخر : « أرسطو عند العرب » ، وهو مجموعة نصوص نشرها وحققها بطريقته المروفة . وافتح الصفحة الرابعة والستين من هذا الكتاب ، وترفق بوتتيك إن كنت من أصحاب الصدور

فقلت : معـــاذ الله ! ضعف وقدرة
وليل ضياء فيه فجر غياهب ! ..

* * *

ووجـه دعى الأفق ، لا شأن عنده
بما حط فى أعمـــاقه من مثالب
طغى فوقه ضب الغرور ، فأنفه
كرمة طير كفنت بالطحالب
يشيح فضاء الله خزياً لحقه
وتعوى له حزناً شقوق الجنادب
تورم ، وانقذت من الصدر نفسه
فلم يبق منه غير تل المناكب
وغير سطور فوق كثبان وجهه
تشين من البهتان أقدس كاتب ..

* * *

ووجه سألت الله لامر ثانيا
ولا اتجهت يوماً إليه مذاهبى ..
به سحنة الواشى ، لها سبع أعين
وسبع آذان ، وسبع حقائب
يطل كركب من بنى الجن ظامى
يحدج فى نبع من الماء ناضب
ويصغى كحراس مشى فى ترابهم
دبيب من الأوهام طاى الكتائب
وتزحف كالثعبان آفاق سمعه
لتستل ما تبغيه من كل صاحب
جزوع إلى الأسرار ، يلعق طيفها
كذئب غريب الغاب ، حيران ، ساغب
وينبش فى غيب العباد ، فلا ترى
له نظرة إلا برفش وحاطب
سألت له الرحمن .. قبراً كوجهه
تعيث به الآثام فى كل جانب ...

محمود حسن اسماعيل

الضعيفة ، قبل أن نطلقها ضحكة عريضة تملأ الفضاء العريض !

قال الدكتور عبد الرحمن بدوى وهو يتحدث عن منهجه فى نشر المخطوطات ، فى شىء من الفخر وشىء من السخرية ، الفخر « بعلمه » والسخرية من « جهل » غيره ، قال لا فض فوه وهو يعيد علينا قصة مالك الحزين ويذكرنا بمثل بيدبا الفيلسوف : « والمنهج الذى نتبعه فى النشر منهج بسيط ، وبقدر ما هو بسيط هو خصب دقيق معا : وهو أن نجيد قراءة المخطوط عن تدبر وحسن فهم (هكذا والله العظيم) ! . . وهذا مبدأ على الرغم من بساطته ووضوحه كثيرا ما أغفله الناشرون أو بالأحرى أجفلوا منه وكأن من أخطاء فى تحقيق النصوص لم يكن السبب فيها إلا عدم إجادة القراءة ! وليس الأمر فى النشر أمر هـذه المخطوطات وكثرة اختلافات القراءة ؛ إنما المهم أن تقدم للناس - على أساس ما تيسر لك من مخطوطات ، قلت أو كثرت أو كانت وحيدة - نصا جيدا يحاكى تماما ما فى الأصول المخطوطة بعد تدبرها تمام التدبير. فالذين مارسوا المخطوطات يعرفون أن ثمت أحوالا من إهمال النقط أو تشابك الحروف أو تقلب النقط من فوقها واضطرابها بين حروف الكلمة الواحدة أو الكلمات المتجاورات . ومثل هـذه الأحوال لا يمكن أن تعد اختلافات فى القراءات ، إنما هى عوارض شخصية فى المخطوطات ، يجب أن يستقريها الناشر لنفسه أثناء قراءاته الأولى للمخطوطة ثم يعين - لنفسه أيضا - أحوال اطرادها حتى يتهيأ له جهاز تحليلى لحسن القراءة . وإلا، فستكون النتيجة أن يضل القارئ إذا ما ذكر فى الجهاز النقدى كل ألوان الإهمال أو الهفوات الهينة لسقطات القلم ، فلا يستبين ما إذا كان بإزاء اختلاف قراءة أو مجرد مخالفة خطية أو قلمية تافهة ومفهومة. ولهذا فلسنا نتردد فى اتهام أولئك الذين يلجأون إلى هذه الطريقة بالعجز عن فهم النصوص وقراءتها ، أو بالتمويه على القارئ بوضع جهاز نقدى ضخم محشو بهـذه الاختلافات المزعومة ليدخل فى روعه أن الناشر قد بذل مجهودا هائلا . والحق أنه لم يبذل شيئا أكثر من جهد النسخ والمسخ معا ، دون أن يبذل أى مجهود فى الفهم وتدبر المقروء . ومع ذلك تراهم يصيحون ملء أشداقهم ، وتصف ألسنتهم الكذب : إن هذا هو المنهج العلمى الصحيح ! مع أن الأولى بهم أن يسموه : منهج الإحصاء الآلى العاجز

ولكم رأينا فى مقارنتنا لبعض النصوص التى نشرها هؤلاء « الناشرون » المزعومون بالأصول المخطوطة التى نشروا ما نشروا عنها أن ما ادعوه « تحريفا » أو « اختلاف قراءة » لم يكن فى الواقع إلا « سوء قراءة » من عيونهم وعقولهم » ! !

أنظر ! إن عبد الرحمن بدوى هنا يشرح لك طريقته فى نشر المخطوطات ، ثم يتخذ من هذه الطريقة دستورا يأمر الناشرين بأن يعملوا به ، مرتديا ثوب الأستاذية الموجهة وسالكا نهج مالك الحزين ، ذلك الذى يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه . ترى هل يتقبل الدكتور بدوى هذه الكلمات الرائعة ، هدية متواضعة ؟! إنها كلماته هو ، تلك التى وجهها إلى الناشرين الجهلاء . واستمع إليه معجبا ومقدرا حين يقول : « ولكم رأينا فى مقارنتنا لبعض النصوص التى نشرها هؤلاء الناشرون المزعومون بالأصول المخطوطة التى نشروا ما نشروا عنها، أن ما ادعوه تحريفا أو اختلاف قراءة لم يكن فى الواقع إلا « سوء قراءة » من عيونهم وعقولهم »!

لكم يهزنا هذا التعبير الأخير . . حقا إن بعض العيون تسىء القراءة وكذلك بعض العقول ، ولكننا لم نر ولم نسمع أن عين ناشر أساءت القراءة كما أساءتها عين فيلسوف مصر الأول ، وقل مثل ذلك عن عقله إذا كنت من المنصفين ! هل رأيت فى حياتك ناشرا هو فى نفس الوقت أستاذ جامعى ، يعجز عن قراءة فقرات كاملة فى مخطوطة ، فيحذفها من النص بكل بساطة ولو تمزق التعبير واختل السياق ؟! لقد فعل ذلك العالم الجليل السيد بدوى فى « الإشارات الإلهية » . . هل كانت الفقرات التى حذفها مطموسة أو ساقطة أو غير واضحة ؟ كلا والله العظيم ، ولكنه العجز المطلق والاستهانة بعقول الناس والعبث بالأمانة العلمية . . ومعنى هذا أن المسألة مسألة مزاج فى إنطاق أبى حيان أو إسكات أبى حيان ، ورعى الله الأمزجة النادرة عند بعض الأساتذة الجامعيين ! !

لقد قلنا إن نشر هذا الكتاب بهذه الصورة فضيحة علمية ، وهذا هو أول ركن من أركان الفضيحة. ولو اقتصرنا عليه لما أنقص ذلك من حقيقة الإتهام .. وليت الدكتور بدوى قد وقف بمواهبه عند هذا الذى قلناه ، ولكنه مضى فى طريقه غير هياب ولا وجل ، تعبث عينه بقراءة الكلمات ويعبث عقله بتفسيرها فى

جرأة تذهل الأفهام ! ونخرج من هـذا كله بأن الحس اللغوى عند الناشر لا وجود له ، وكذلك الذوق الفنى الذى ينظر إلى موضع الكلمة من السياق حين ترجى سلامة التعبير واستقامة التفسير ، وإليك بعض النماذج التى ننقلها بتعليقاتها عن صديقنا الكاتب المحقق الأستاذ سيد صقر ، مع صادق التهنئة له وخالص التقدير :

« ٢٠ - ص ٢٢ « فلا العلم باختلاف الأحوال نافع ، ولا الجهل به ضار ، بل ربما ضر العلم ، وربما نفع الجهل ، وربما نبل بالخنط ، وربما فات بالتأنى ، وربما بعـد الدانى ، وربما قرب النائى . . »

قال الدكتور ، وما أغرب ما قال : « نبل : لقط النبل ، ثم دفعها إلى الرامى ليرمى بها من جديد والخنط : النبل يرى بها . والمعنى أنه ربما يلتقط النبل بالنبل ، أى يداوى الداء بالداء نفسه » !.

ماذا أقول فى نقد هذا الشرح العجاب ؟ أقول إن مثل هذا الفهم هو الذى شحذ عزم أبى حيان على حرق كتبه بالنار وغسلها بالماء ، وجعله يقول لمن لامه على صنيعه : « فشق على أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ، ويدنسون عرضى إذا نظروا فيها ... وإن عيانى منهم فى الحياة هو الذى حقق ظنى بهم بعد الممات » !

رحمك الله يا أبا حيان ، فقد كنت ترى الغيب من وراء حجاب ، وجاء من بعدك من يصحف عليك صحيح كلامك ويخبط فى فهم معناه خبط عشواء ، بل ولا يحسن قراءته . جاء فى النسخة المخطوطة : « وربما نيل بالخبط ، وربمـا فات بالتأنى ... » أى وربما خبط الإنسان فى ابتغاء مراده خبط عشواء فناله ، وربما تأنى لنيله أشد التأنى ففاته ولم يدركه

ومن العجب العجب أن ناسخ الكتاب قد احتاط ، ووضع كسرة ظاهرة تحت نون « نيل » حتى لا يخطىء فى قراءتهـا إنسان . . وصدق أبو حيان فى نعته الذى نتمثله فيمن نراهم بين ظهرانينا ممن نالوا بالخبط درجات العلماء !

٢٠ - ص ٣٦ : « وسقيا للرسائل التى كانت تجرى بيننا وبينكم ، نعم ورعيا للوسائل التى كانت تتردد عندنا وعندكم ، والوشاة على خيبتها فى الظفر بتأذيكم » قال الدكتور فى تعليقه : « فى الأصل بناويكم ، أو صوابه : بناديكم » ولا معنى هنا لظفر الوشاة « بتـأذيكم » أو « بناديكم » . .

وبديهى أن صواب الأصل « والوشاة على خيبتها بناويكم » !

٢٣ - ص ٣٥ : يخاطب أبو حيان الإنسان المبتدع بالقدرة الإلهية المحفوف بالنعم الملكية ، ويطلب إليه أن يتأمل مواقع آياته فيه ، ويستنطق شواهد آثاره عليه ويقول له : « أنظر بأى فضل خصك . . وأى ملاك قلدك ، وأى مشرب صفى لك ، وبأى لطف حاشك ، وبأى شئ سكَّر جاشك ، وبأى صنع أزال استيحاشك ولأى أمر أعاشك » ثم يشرح أبو حيـان ما ذكره ، فيقول : « قلدك ملـكا هو نهاية آمالك ، وصفى لك مشربا متى كرعت منه لم تظمأ بعده ، وحاشك بلطف هـو الذى جملك منبوطا فى حالك ، وسكر جاشك بشئ هـو الذى أنالك مرادك ، وأزال استيحاشك بصنع أدركت به كل آمالك .. »

ومن العجيب حقا أن يقول الدكتور فى شرح قول أبى حيان « وبأى لطف حاشك ، وبأى شئ سكر جاشك » : « حاشك هنا بمعنى اصطادك ، وسكره بتشديد الكاف تسكيرا : أى خنقه . والجأش : نفس الإنسان » !! .. وأى عجب أعجب وأغرب من أن يقول أبو حيان للانسان الذى يذكره بنعم الله عليه : أنظر كيف خصك بالفضل فاصطادك وخنق نفسك « بشئ هو الذى أنالك مرادك » !!

وصواب قول أبى حيان « وبأى شئ سكن جاشك » و « سكن جاشك بشيء هو الذى أنالك مرادك » .. ولا ريب فى أن « سكون النفس » من أنعم الله الخليقة بالتدبر ، الجديرة بالتأمل . وأما « اصطياد النفس وخنقها » فمصيبة كبرى ، ولعل فى حشره بين أنعم الله التى حف بها عباده سرا فلسفيا دفينا يدق على الأفهام ، وتقصر عنه المدارك والعقول !!

١٢ - ص ٢ : يقول أبو حيـان . « يا هذا إن كنت ثاكلا فنحٍ على ما أصبت به ، وإن كنت مكروبا بالسر فبح »

أخطأ الدكتور فى ضبط هاتين الكلمتين كما أخطأ فى شرح المعنى ، إذ يقول : « أى ألق على مصـابك » !!! والصواب فنُحْ على ما أصبت به » ، ويؤيده قول أبى حيان فى ص ١١٣ : « ونح على نفسك نوح الثكول » . وهذا هو البيان الصريح واللفظ الصحيح كما قال أبو حيان فى ص ٢٩٤ ، فمن أخطأه فليقرأ تمام كلامه فى الصفحة نفسها ، فإنه يقول : فأطل البكاء ،

وأجدَّ اللاطم ، وتجرع مرارة الكأس ، المترعة بالحسرة واليأس . وليت البكاء نفعك ! وليت النوح أجدى عليك ! وليت الحسرة أفادتك ! وليت الندامة نفعتك ! هيهات ! فتّ فوتا لا درك بعده ، وبدت بيودا لا عود معه ، والعثرة غير مقالة ، والمحنة غير مزالة ، والحال غير محاله ... »

٢ — ص ١٧ : يقول أبو حيان مخاطبا أحبابه : « فارعوا ذمام خدمتي لكم ، وحافظوا على ما تحملت فيكم ، فقد شربت العلقم في هواكم ، وداريت المدى تحملا لكم ، ولزمت الصمت حتى نسيت الكلام ، واعتزلت حتى قيل هو من الوحش ، وغضضت الطرف حتى قيل هو من العميان »

قال الدكتور عبد الرحمن بدوى في شرحه : « الكلام هنا بمعنى علم الكلام ، والقرينة في قوله : اعتزلت ، أى صرت من أهل الاعتزال أو المعتزلة ، واعتزلت بعدها بمعنى توحدت وانفردت » !!

هذا شرح مضحك حقا ؛ فإن أبا حيان لم يرد بالكلام إلا معناه المعروف للعامة والخاصة . ولست أدرى كيف فهم الدكتور أن أبا حيان نسى « علم الكلام » لما لزم الصمت ! وما العلاقة العجيبة بين هذا الصمت وعلم الكلام ؟! وكيف تكون « اعتزلت » بمعنى توحدت وانفردت ، قرينة على أن المراد بالكلام « علم الكلام » وما الصلة بين التوحد والانفراد وبين مذهب الاعتزال ؟ لست أدرى .. ولعل هناك صلة فلسفية لا يدركها إلا عقل فيلسوف !

٣ — ص ٢٣١ : « نعم يا سيدى إن الحديث من القِرَى »

أخطأ الدكتور في ضبط كلمة « الفرى » ونقطها وشرحها وقال « الفرى كغنى ، يقال هو يفرى الفرى : أى يأتى بالعجب في عمله » !

والصواب : « إن الحديث من القِرَى » وهو تعبير مشهور متداول في كتب الأدب ، قال الشاعر :

لحافى لحاف الضيف والبيت بيته ... ولم يلهنى عنه غزال مقنع
أحدثه إن الحديث من القرى ... وتعلم نفسى أنه سوف يهجع

راجع حماسة أبي تمام ٤ ـ ٢٤٤ ، وقال آخر :

ورب نضو طرق الحى سرى ... صادف زادا وحديثا ما اشتهى
إن الحديث جانب من القرى

وأظن أن قرى الأضياف بين لا يحتاج إلى شرح نظارى !

٥ — ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ : يقول أبو حيان في الحديث عن قصر العمر : « فما لبثنا في هذه البلدة الوبيئة الحرجة إلا .. كحلم النائم في الليل ، أو كظل قد أخذ في النقصان ، أو كالنَّقابة من مول ، أو كتوهم من النفس ، أو كلمح البصر أو هو أقرب »

قال الدكتور : « النقابة بفتح النون : مصدر نقب على القوم من بابي علم وكرم : صار نقيبا عليهم ، أو النقابة بالكسر : الاسم ، وبالفتح المصدر » !!!

ويبدو أن الدكتور لم يحسن قراءة الكلمة في المخطوطة . فأخطأ في نقطها وشكلها وشرحها خطأ بعد بها عن المعنى .. والصواب : « أو كالتِفَاتَةٍ من مول » فإن قصر الالتفاتة من الذاهب المولى المتلفت إلى ماوراءه ، هو المناسب للمح البصر وماقبله من تشبيهات ، وأما قصر مدة نقابة النقيب فشئ غير معروف ولا معنى له ، « معذرة يا أستاذ صقر ، فهو معروف في نقابة المحامين والصحفيين !! » ، ولست أدرى كيف استساغ الدكتور قرنها بحلم النائم ولمح البصر في مضمار التشبيه !

١٠ — ص ٤ : يقول أبو حيان : « وإن جنحت إلى التوانى ، وذهبت في آفاق الأمانى ، لم ترث من حالك إلا حسرة ولم تمضغ بفمك إلا جمرة ، يا هذا خفض أمى عما ساءك طلابه :

« ما كل شائم بارق يسقاه »

حسب الدكتور أن هذا النص نثر كله وليس فيه من الشعر إلا الشطر الذى أفرده في سطر وحده ، وليس الأمر كما حسب ؛ فإن آخر نثر أبي حيان كلمة « ياهذا » ، وما بعدها بيت من الشعر تمثل به وهو :

خفض أمى عما شآك طلابه ... ما كل شائم بارق يسقاه

فساءك محرفة عن « شآك » ، والبيت للبحترى كما في ديوانه ٢ ـ ٣٢٣ وقبله :

والشئ تمنعه يكون بفوته ... أجدى من الشئ الذى تعطاه

« معذرة مرة أخرى يا أستاذ صقر ، لأن الدكتور بدوى

لا يحفظ من الشعر إلا أجدره بالخلود .. أعنى شعر ديوانه الخالد مرآة نفسى » !!

* * *

هذه هى بعض النماذج ننقلها إليك كما قلنا من المقالين اللذين كتبهما الأستاذ صقر ، وكشف فيهما عن مهزلة التحقيق العلمى فى « الإشارات الإلهيـة ».. ومع ذلك يقول فيلسوف مصر الأول فى كلمته التى اقتطفناها من كتـابه الآخر « أرسطو عند العرب » يقول فى جرأة يحسده عليها الناشرون المزعومون : « والمنهج الذى نتبعه فى النشر منهج بسيط ، وبقدر ما هو بسيط هو خصب دقيق معا : وهو أن نجيد قراءة المخطوط عن تدبر وحسن فهم » !

ألم نقل لك ترفق بزئتيك إن كنت من أصحـاب الصدور الضعيفة ، قبل أن تطلقها ضحكة عريضة تملأ الفضاء العريض ؟! ألم نقل لك إن نجيب الريحانى الذى كان نابغة عصره فى إضحاك الناس لم يمت ، لأن عبد الرحمن بدوى قد ملأ مكانه بجدارة ؟! إذا كنت فى شك من هذا فارجع إلى النماذج السابقة التى تعرض لها الأستاذ صقر ، ثم قف طويلا عند هذا النموذج الذى لم يتعرض له بعد ، لأننا نقدمه إليك على أنه « نـكتة الموسم » التى تنتزع الضحك انتزاعا من أفواه الثاكلين :

إفتح الصفحة السادسة والأربعين بعد المائة من كتاب « الإشارات الإلهية » ، واقرأ فى نهايتها قول أبى حيان المعترى عليه « فقد جمدت العيون فما تدمع ، وتـكبرت القلوب فما تخشع ، وكلبت البطون فما تشبع ، وغلبت الشقوة فما تنزع ... ياهذا ، إننا نتنفس بهذه الـكلمات كما يتنفس الملوق »

قال العـالم الجليل السيد عبد الرحمن بدوى فى شرح كلمة الملوق : « إما أن يكون من ملق (من باب نصر) فلانا بالعصا : أى ضربه ، ويكون المعنى هو : المضروب ؛ وإما — وهذا هو الأرجح هنا — من قولهم فرس مملوق الذَّكَر : حديث عهد بالنزاء » ! !!

صدقنى إذا قلت لك عن عبد الرحمن بدوى إننى أشك فى سلامة عقله . أشك فى سـلامة عقله ولا يمكننى أن أشك فى سلامة عقل أبى حيان ، لأن أبا حيان ليس مجنونا حتى يقول للناس إنه يتنفس بهذا الـكلام كما يتنفس ذكر الفرس عقب لحظة من لحظات النزاء .. هل عند نجيب الريحانى نكتة تستطيع أن تقف على قدميها لتنافس نـكتة الدكتور عبد الرحمن بدوى ؟ ! لا أظن .. ولا أحسب أن فى هذه الـكلمات شيئاً من المغالاة !

هل انتهيت ؟ كلا .. فما زالت أمامى المقدمة التى كتبها الدكتور بدوى وضم فيها أبا حيان إلى زمرة الأدباء الوجوديين! وحين ينتهى الأستاذ صقر من سلسلة مقالاته ، سنبدأ نحن سلسلة مقالاتنا حيث نطالب بعدها بحرق هذا الـكتاب ، وما أكثر ما يملك الدكتور بدوى من كتب تستحق الحرق بالنار بعد الغسل بالبنزين !!

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

رسائل الرافعي:

في سنة ١٩١٢ كان الأستاذ محمود أبو رية أديباً ناشئاً ، وقد أعجب بالأديب الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ، فاتصل به عن طريق المراسلة ، حتى تمت العلاقة بينهما وصارت صداقة ومودة . كان أبو رية يكتب إلى الرافعي يسأله عن كثير من شؤون الأدب ومسائله ، فيجيبه برسائل تحتوي على كثير من الآراء واللمحات في إيجاز تقتضيه طبيعة الرسائل الخاصة ، وكان الرافعي يرسل نفسه على سجيتها في هذه الرسائل لايكاد يخفي شيئاً من نوازعه وخواطره

وقد ظفر الأدب من تلك المراسلة بهذا الكتاب « رسائل الرافعي » الذي أصدره أخيراً الأستاذ محمود أبو رية ، مشتملا على ٢١٨ رسالة انتقاها من بين ما كتب إليه الرافعي « لما فيها من فوائد جليلة للأدب والتأدبين بله ما تحتوي عليه من تفصيل شامل لتاريخه الأدبي وغير الأدبي » كما قال في مقدمة الكتاب . وقد عنون لها بما يدل على أهم ما فيها ، ورتبها ترتيباً زمنياً ، يبدأ من سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩٣٤ ، فجاءت (فلما) يعرض أطرافاً من حياة الرجل الشخصية والأدبية وملامح من تيارات الحركة الأدبية في مصر طيلة تلك الفترة من الزمان . والقيمة الكبرى لهذه الرسائل هي أنها تصوير صادق لنفسية الرافعي ودوافعه الأدبية ، وفيها إلى جانب ذلك تلك الفوائد الأدبية التي أشار إليها الأستاذ أبو رية ، وفيها أيضاً إشارات كثيرة إلى ما كان بين الأدباء في ذلك الزمان من مجاذبات يلونها الرافعي بعاطفته الخاصة ، إذ كان يقف من أكثر أدباء الجيل موقف المخاصم المنافح ، وقد أحسن الأستاذ أبو رية بحذف بعض العبارات القاسية التي وصف وعبر بها عن أولئك الأدباء ، والاكتفاء بالخفيف المقبول منها . وفي الرسائل كلها روح لطيف ممتع ، هو روح الطبيعة المطلقة غير المتحرجة ، إذ أن كاتبها لم يكن يقدر — ولاشك — أنها ستنشر على الناس

في هذا الكتاب يبدو الرافعي «وراء الكواليس» كما يعبرون بلغة المسرح .. فهو يحدث أبارية عن مؤلفاته ومقالاته ، لم كتب هذا أو ذاك ، وما وقعه ، ومتى يكتب مقال كذا أو يشرع في تأليف كذا ، ويحدثه مع ذلك عن آلامه وأمراضه ومنها ما ناله بسبب الكتابة ... إلى آخر هذه الملابسات. ومما يستشفه القارئ من هذه الرسائل ، اعتزاز الرافعي بأدبه اعتزازاً يبلغ به درجة الغرور ، ومحبته السافرة للتقريظ والثناء ؛ فهو يرى أنه — وحده — أديب الزمان ، وسائر ما يكتبه الأدباء « تدجيل صحفي » لم يكد يسلم من تجريحه أحد من أعلام الأدب في عصره ، وهو يحدث أبارية عن حملاته الأدبية وكيف أنها نسفت من نازلهم أو أنه سيكتب عن فلان ما لن تقوم له بعده قائمة ، ويتمنى أن يتفرغ للنقد نحو سنتين أو ثلاث ليهدم العصر كله من جميع نواحيه الضعيفة ويبني عليه أدباً جديداً ، ولقد كان ذلك رأيه في الوقت الذي بلغ فيه الأدب المصري الحديث أعلى ما بلغه من القوة والازدهار ، ولقد كتب هو في النقد فكانت كتابته أقرب إلى الشتم والهجاء وخاصة ما كان يسميه « السفافيد » التي كان يشوي عليها من يمزق لحومهم . .

وهكذا نرى الرافعي في هذه الرسائل يعد نفسه فارس الحلبة ، ويرى أنه وحده الواقف في الميدان ، وهو يصرح بذلك في هذه الرســـائل الخاصة ، وكان حياؤه ولباقته وفطنته تمنعه من هذا الادعاء في أدبه العام . ولعل ذلك راجع إلى ما كان يراه من تقدير الناس لغيره أكثر منه ، فهو يحاول أن يعوض هذا النقص بلسانه في الخفاء ، وإن لم يتقل به في الملن . .

وهو يحب الثناء ويطلبه ، يطلب من أبي رية أن يكتب عن كتبه في الصحف ، ويسر كل السرور من تقريظ المقرظين ، بل هو يجعل الثناء عليه مقياسا لقيمة المثنى . وهو لا يرى أدبه أحسن من الأدب المصري الحديث فقط ، بل يفضل بعض كتبه ومقالاته على ما كتب الأقدمون ، وعلى ما كتب كتاب الغرب

مثل برجسون وشكسبير ولامرتين

وبعد فقد أحسن الأستاذ محمود أبو رية بإخراج هذا الكتاب القيم الممتع الذى أضاف به لوناً طريفاً إلى كتب الأدب

ضبط الكتابة العربية :

ألقى الأستاذ محمود تيمور بك محاضرة فى «ضبط الكتابة العربية» بإحدى جلسات مؤتمر المجمع اللغوى الماضية ، وقد بسط فيها المصاعب التى تعترض ضبط الكتابة العربية على صورتها الحالية ، مما يؤدى إلى الخطأ فى نطق الكلمات وتعذر القراءة الصحيحة ، لا على عامة المتعلمين فقط ، بل إن المختصين فى اللغة لا يستطيعون الضبط التام إلا باطراد اليقظة ومتابعة الملاحظة ومزيد التأنى.

وبعد أن جال الأستاذ تيمور بك فى نواحى هذه المشكلة ، عرج على ما اقترح لها من حلول فبين عدم صلاحها ، وخاصة أنها إما تباعد بين الشكل القديم المألوف والوضع المقترح أو تثقل العمل المطبعى وتعقده ، ذاهباً إلى أن الإجراء الذى يمكن أن نكفل له قبول الأمة العربية فى جملتها ، هو أن يكون لمشكلة الكتابة العربية حل لا نتغير به الحروف القائمة ولا تتنكر معه صورتها المألوفة

ثم أبدى الأستاذ ما يقترحه من حل ، قائلا : أرى أن نقتصر من صور الحروف على صورة واحدة ، من الصور المتعددة التى منها المفرد ومنها ما يقبل الاتصال بحسب أول الكلمة ووسطها وآخرها وبحسب وقوع الحروف فى بنية الكلمة المركب بعضها فوق بعض ، وأن نتخذ علامات الضبط المتعارفة التى يجرى بها الاستعمال ، وأقترح أن تكون الصورة التى نقتصر عليها من صور الحروف هى الصورة التى تقبل الاتصال من بدء الكلمات ، وهى التى يسميها أهل فن الطباعة : حروفاً «من الأول» ، على أن نختار الكاف المبسوطة ونظل حروف الألف والدال والذال والراء والزاى والواو والتاء المربوطة واللام ألف — باقية على صورتها فى حالة إفرادها

وقدم الأستاذ مثالا للطريقة التى يقترحها ، منه ما يلى :

« أريـد أنـ نـقـتـصـر مـنـ صور الـحروفـ عـلـيـ صورة واحـدة »

ويرى قراء الرسالة هذا البحث القيم منشوراً فى هذا العدد والذى قبله. وقد التقيت بالأستاذ تيمور بك وحدثته فى أمر هذه الطريقة من حيث ما يلقاه الذين اعتادوا الكتابة الحالية من مصاعب فى الكتابة الجديدة ، فقال إن هذه الطريقة خاصة بالمطبعة ، أما الكتابة باليد فتظل على حالها ، أسوة بما يجرى فى اللغات الأوربية

ولكنى ألاحظ أن الكتابة الأوربية اليدوية تشتمل على حروف

كشكول الأسبوع

◘ يهتم معالى الدكتور طه حسين باشا بتنفيذ رغبة ملكية كريمة فى إنشاء جوائز لتشجيع الفنون الجميلة تسمى « جوائز إسماعيل » أسوة بجوائز فؤاد وفاروق للعلوم والآداب.

◘ ذكر مندوب الأهرام أن هناك اقتراحا يبحث الآن لإنشاء جائزة عامة باسم « محمد على » يشترك فيها المؤلفون باللغة العربية ، على غرار النظام الخاص بجائزة نوبل ، وذلك لحفز أدباء العالم العربى على التأليف والترجمة.

◘ اقترح معالى السيد محمد رضا الشبيبى فى مؤتمر المجمع اللغوى ، وضع معجم الألفاظ القرآن الكريم يشرح فيه ماورد فى القرآن من الأعلام كأسماء الرسل والبلدان على وجه يتلاءم مع الحقائق والمعارف العلمية إلى جانب المعجم اللغوى لألفاظ القرآن الكريم.

◘ واقترح الأستاذ عباس محمود العقاد تأليف موسوعة للقرآن الكريم على مثال ما ألف لغيره من الكتب الدينية ، تجمع أسماء الطيور والنباتات والمدن الواردة فى القرآن ، على أن يقوم بذلك أساتذة مختصون كل فى دائرة اختصاصه

◘ تحدثت فى الأسبوع الماضى عن ضرورة تقديم روايات مؤلفة فى برنامج فرقة المسرح الحديث . وأذكر الآن أن فى برنامج الفرقة الحالى بمسرح الأزبكية روايتين إحداهما مقتبسة ممصرة والأخرى مؤلفة.

◘ من طرائف ندوة الأستاذ كامل كيلانى ماورواه سعادة الأستاذ فؤاد شيرين باشا من أن جماعة من رجالات مصر كمحمد عبده وسعد زغلول — كانوا يجتمعون فى مكان ما ويطلقون أنفسهم على سجيتها فى المرح والدعابة بقصد الاسترواح والاستجمام ، وكانوا يطلقون على أنفسهم « جماعة المتحمرين » فسمع بهم أحد الكبراء وأراد الانضمام إليهم ، فأبدى رغبته فى ذلك لمحمد عبده ، فقال له الإمام : إننا جماعة المتحمرين لا نقبل الحمير الأصلاء !

الضبط كما تشتمل عليها الكتابة المطبعية ، بخلاف ما تكون عليه الحال في الكتابة العربية المقترحة ، فيكون الشبه من حيث الشبك وعدمه فقط

وأرى أن أهم اعتراض يوجه إلى تلك الطريقة ، أن عمال الصف في المطبعة لن يستطيعوا صف الكلمات مشكلة وهي مكتوبة لهم مهملة ، فإذا كلفنا الكاتبين للطبعة أن يشكلوا لقوا في ذلك جهداً وعنتاً ، ولا يخفى مع هذا أن أكثرهم لا يعرفون ضبط كثير من كلمات اللغة ، وكم يستر عدم الشكل من جهل !

مسرحينا الجلف ومريض الوهم.

جاءت « فرقة المسرح المصري الحديث » جولتها الأولى على مسرح الأوبرا الملكية في شهر نوفمبر الماضي، إذ قدمت مسرحيتي « ابن جلا » لتيمور و « البخيل » لموليير ، وقد حدثت القراء عنهما في ذلك الوقت . وهاهي ذي تبدأ جولتها الثانية على مسرح الأزبكية ، لتقدم في حفلة واحدة مسرحيتي « الجلف » لتشيكوف و« مريض الوهم» لموليير ، وهما من إخراج الأستاذ زكي طليمات وقد بدأت يوم السبت الماضي

قدمت أولا « الجلف » وهي تمثيلية قصيرة تستغرق نحو خمسين دقيقة ، تظهر في منظر واحد تبدو به السيدة الشابة « بوبوف » في ثياب الحداد على زوجها المتوفى منذ سبعة أشهر ، وهي على رغم ذلك تبكي وتنشج حزناً عليه ، وهذا أيضاً على رغم أنه كان يخونها ويهملها أحياناً ، كما تقول في مناجاة صورته . ويقتحم عليها هذه العزلة رجل ثائر يطالبها بدين كان له على زوجها، وهو يستعمل في مطالبته العنف وعدم المبالاة بما يحسن في مخاطبة النساء ، بل ينهال عليها وعلى جنس النساء شتماً وتقريعاً، كل ذلك لأنه يريد دينه اليوم وهي تستمهله إلى بعد غد . وتنشب بينهما مشادة يدعوها فيها إلى المبارزة . . أليس « جلفاً » ؟

ويأخذ تشيكوف (مؤلف المسرحية) في معالجة الموقف بحيث يحمل الميل والاستلطاف يداخلهما فيجتاز بهما البرزخ الدقيق الذي بين الكره والحب . . فينطقان بعبارات الثورة والغضب وهما يشعران بالحب ، فلا ينزل الستار عليهما إلا حبيبين

فالصراع في المسرحية بين حالتين لدى كل من الجلف والسيدة بوبوف ، فالأول جرب النساء واقتنع أنهن لا يستحققن الاهتمام ، ولكنه يجد نفسه أمام امرأة تغزو قلبه من جديد ؛ والأرمل المتفانية في الحداد على زوجها وقد اعتزلت الناس لا تستطيع مقاومة هذا المقتحم الجبار ، ويخيل إلى أن المؤلف فتح لها الباب إلى هذا الحب الجديد بأن زوجها كان يخونها ويهملها

ومما تبطنته المسرحية ، الالتفات إلى ما تطالب به المرأة من مساواة الرجل ، فلتكن المبارزة من قبيل المساواة التي تطلبها . . كما يقول الجلف مبررا خشونته وقسوته

وقد قامت ملك الجمل بدور السيدة بوبوف ، فأثبتت قدرتها على تمثيل العواطف الدقيقة، وقام محمد السبع بدور الجلف فأجاد، وأظهر ما في إجادته أنه كان يبرز الانتقالات المختلفة في الموقف الواحد بتعبير الإلقاء والحركة . ومثل أحمد الجزيري « لوكا » الخادم المجوز فقام به على وجه لا بأس به

ثم قدمت بعد ذلك مسرحية « مريض الوهم » فاستغرقت بقية الوقت . ومريض الوهم هو السيد (أرجان) الذي يعتقد أنه مريض وأن لا حياة له بغير الطب والأطباء، على حين يبدو في غاية الصحة والعافية . وهو لذلك يريد أن يعقد الأواصر بينه وبين الأطباء كي يولوه عنايتهم، ويصل به الأمر إلى أن يحاول التضحية بسعادة ابنته (انجليكا) إذ يريد أن يزوجها بالطبيب (توما) غير عابئ بحبها للشاب (كليانت) الذي أغرمت به وأغرم بها . وتظهر مع مريض الوهم الخادمة (توانيت) التي تمنى به ، وهذه الخادمة تقف على دخائل هذه الأسرة وخاصة موقف السيدة (بلينا) من زوجها مريض الوهم الذي تخدعه بإظهار الحب له والعناية به وتتحايل على استلاب ماله والتخلص من ابنتيه إذ تشير عليه بإدخالهما الدير . وتعمل الخادمة (توانيت) على إصلاح هذه الأسرة فتحل مشاكل أفرادها بتدبيرها الموفق ، فتظل تساير الرجل في ميوله وتسخر منه أحياناً . ويأتي إليه أخوه (بيرالدو) الذي يخالفه في الثقة بالأطباء ، فينتقد مسلكه ويحمل على الأطباء ويؤكد له أنه في صحة جيدة ، ومما يدل على أنه في غاية الصحة أن أدوية الأطباء لم تؤثر فيه ولم تقض عليه إلى الآن . . وتعمل (توانيت) على ذلك أيضا من ناحية أخرى

وبأخلوبها الخاص من حيث الاحتيال وتدبير المفاجآت . وينتهى الأمر بأن يقتنع السيد أرجان أنه يستطيع هو أن يكون طبيبا . ولا يكلفه ذلك إلا أن يلبس المعطف والقبعة ويحفظ بعض الأسماء اللاتينيـة وينطقها كما ينطق بها هؤلاء الأطباء الذين لا يفضلونه ولا يزيدون عنه علما

تصور المسرحية - إلى جانب تحليل نفسية مريض الوهم - دجل الطب وشعوذة الأطباء فى عصر موليير قبل التقدم العلمى فى العصر الحديث . وقد قدم نماذج عجيبـة من الأطباء وسخر بهم وأضحك منهم . ولا بد أن كان لهذه المسرحية فى وقتها وقع عظيم لأنها تعالج ناحية كانت ظاهرة فى ذلك العصر ، ومع أن تلك الظاهرة غير موجودة الآن فإن البراعة فى تصوير الشخصيات ، وتكرر شخصية مريض الوهم فى العصور المختلفة ،وسياق المآسى الإنسانية فى أغلفة الفكاهة - كل ذلك يكسبها جدة وقوة فى كل وقت

وقد مثل مريض الوهم عدلى كاسب ، وكان ملائما للدور كل الملاءمة ، فاندمج فيه . ومثلت الخادمة (توانيت) سناء جميل وهى فتاة تمتاز بالحيوية والقوة فى تمثيلها . ومثل (كليانت) صلاح سرحان فكان قويا فى موقفه وقد استطاع بقوته الجدية التى يتطلبها موقفه أن يثبت بجانب الشخصيات الفكاهية الطاغية ، مثل سعيد أبو بكر الذى مثل (توما) والذى فجر الضحك من أعماق الجمهور، ومثل أحمد الجزيرى الذى مثل الطبيب الأكبر والد (توما) وقد كان الجزيرى هنا أحسن منه فى مسرحية (الجلف) واستطاع عبد الغنى قمر أن يفنى فى شخصية المسجل العجيبة رغم ما فيها من تعقد والتواء . وقامت زهرة العلى بدور (انجليكا) فكانت معبرة فى مواقفها المختلفة وقد تحسن إشباعها للنطق العربى عن ذى قبل وقامت سميحة أيوب بدور الزوجة الخادعة الناعمة ، وأعتقد أن الدور كان يتطلب منها أكثر مما بذلت . وقام محمد السبع بدور أخى مريض الوهم ، فلم يحسن فيه بمقدار ما أحسن فى دور (الجلف) مع أنه كان يتحدث عن آراء موليير فى الطب والأطباء ، فلم يف تمثيله بأهمية الدور

وجهد الإخراج فى هاتين المسرحيتين يتجلى فى الممثلين والممثلات أنفسهم ، فإن الأستاذ زكى طليمات يخرجهم كما يخرج الرواية ، وقد أحسن تنسيقهم على المسرح ، واجتهد فى تحسين المناظر وتجديد الأثاث البالى الذى عرف به مسرح حديقـــة الأزبكيـة . ولكنى لاحظت أشياء صغيرة فى منظر مسرحية (الجلف) فهناك مكتب أعتقد أن فى (سوق العتبة) ما هو خير منه . وإطار مرآة يحيط بغير مرآة ... ومع ذلك فقد كان البطلان ينظران فيه . وقد أمسكت السيدة بحبل معلق بجدار الغرفة لتستدعى الخادم والمفروض أن الحبل متصل بجرس فى الداخل ولكن لم يسمع أى صوت لهذا الجرس

ولا يستطيع القلم أن يمسك عن الكتابة قبل أن يزجى التحية إلى هذه الفرقة التى أنستنا أنها ناشئة ، وقبل أن أبدى الإعجاب بهذه الروح التى تشيع فيها فتجعل كل فرد منها يعمل لإنجاح الجميع ، وقبـــل أن أعرب عن سرورى ببدء . حياة جديدة للمسرح المصرى

عباس خضر



ردا على رد:

فى عدد سابق من الرسالة الغراء كنت كتبت فى (البريد الأدبى) كلمة حول مقال للأستاذ الخطيب الطبيب حامد النوابى فى صدد كلامه على الخمر وقصر العمر وإحصائيات شركات التأمين على الحياة .. وقلت فيها إن العمر لا يقصر بشرب الخمر مستشهدا بقوله تعالى «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا» .

وقد تفضلت (الرسالة) فأوجزت ردها البليغ باستشهادها بقول الله تعالى: «وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب» وكنت ارتحت إلى رد الرسالة ولم أشأ التعقيب عليه لأنه الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ولكن الأستاذ الدكتور النوابى يتفضل بعد أن تفضلت الرسالة فيعلق على ما كتبته وما كتبته الرسالة زيادة منه فى الإيضاح والإفصاح .. ونحن نشكر للأستاذ تفضله الجميل النبيل، ولكننا نختلف معه فى قليل مما كتب وبه عقب؛ نختلف معه فى أن شارب الخمر قد يطول عمره على شارب الحديد والكينا وأنواع الأدوية والعقاقير .. وقد يولد التوءمان فيشرب أحدهما الخمر من شبابه إلى مشيبه ويزهد الآخر فيها، ومع هذا يطول عمر الشارب ويقصر عمر الزاهد فيموت هذا ليمتد العمر بذاك ليشرب ويشرب سنين وسنين ..!

وقد يدهس (الترام) — كحد قول الدكتور — رجلين: شارب خمر وزاهداً فيها فيموت الزاهد وينجو الشارب ..

وقد يلقى مهوسان أرعنان بنفسيهما من حالق أو شاهق فيموت القوى والضعيف لا يموت ..

وقد يمتد العمر بالعليل الهزيل ولا يمتد بالقوى الصحيح لسبب ظاهر أو لآخر يعلمه الله .. وقد . وقد

وإذاً فمن الواجب على الكاتب أو الباحث أو الطبيب ألا يخلط بين (العمر) و (الصحة)، وبين القضاء والدواء. فالدواء لا يمد فى العمر إذا حل القضاء، وإنما يخفف من وطأة الألم والداء بإذن الله. والأجل إذا حل حل معه الموت الوحى بالرغم من كل داء وكل دواء ..

والله سبحانه وتعالى حين حرم الخمر فى كتابه المنزل بين أن «إثمها» أكبر من «نفعها» ولم يحرمها لأنها تقصر العمر فلا يطول ..

والخمر فى الجاهلية الأولى معروف أمرها بين القوم، ومن الجاهليين الشاربين من امتد به العمر حتى ذرف على المائة أو المائتين فعد فى المعمرين. وفى الجاهلية الآخرة — أعنى فى هذا العصر الحديث — نجد مصداق ذلك بين من نعرف ومن لا نعرف من الناس

ويبقى بعد هذا أن أتوجه بسؤال آخر ينتظر الجواب: لنفرض أن مخمورا أو مصدوما توفاه الله، فهل وافاه الأجل لأنه شرب أو صدم، أو هل شرب أو صدم لأن الأجل وافاه؟

وبعد: فالجواب الصحيح على سؤالنا هذا هو بعينه الجواب الصحيح على سؤالنا ذاك

الزيتون **عدنان**

حول محاضرة الدكتور ناجى

طالعتنا مجلة الرسالة بتعليق موجز على محاضرة الدكتور ابراهيم ناجى عن «الشعر العربى المعاصر»، وقد كنت أحد الذين استمعوا إلى المحاضرة . ولا بد أن أشهد أن التعليق الذى نشرته «الرسالة» لم يحاول أن يكون منصفا

مثال ذلك أن يرجع حضرة الأستاذ المعقب إلى عبارات التفكه التى وردت فى المحاضرة على أنها أقوال جدية ، كقول الدكتور ناجى إن لم يوجد شاعر تافه إلا لقى فى الرسالة بابا مفتوحا لشعره ، ثم حاول التعليق أن يسخر من المحاضر ، فيقول إن ناجى يعزى نفسه بأن الناس لم تحفل بشعره — لأن أكثر الشعراء الخالدين لم يفهموا فى عصرهم. والواقع أن ناجى لم يذكر ذلك إلا فى معرض الحديث عن الشاعر السودانى ميشيل يوسف التيجانى، وهو شاعر غير معروف ، تنبأ له المحاضر بالشهرة فى المستقبل ، أما ناجى نفسه فلا أحسب أن عنده شعورا بالنقص من هذه الناحية

فقد خرج شعره عن آفاق مصر إلى حيث توجه المستشرقون

ويقول الأستاذ المعقب فى سخرية ، إن شوق سقط أمام ناجى ! وما الذى يمنع ؟ هل تقفون النجاح على الشاعر أم على الشعر نفسه ؟ ؟

ثم تفتخر « الرسالة » بأنها لم تلتفت إلى « ليالى القاهرة » فهل تريد الرسالة ، وهى الصحيفة الأدبية الأولى فى البلاد – أن تفتخر بإهمالها لديوان شاعر – مهما كان رأيها فى هذا الشاعر؟ ؟ وهل هذه هى سمات محبى الفن ، وأبنائه ؟

وإذا كانت هناك ثمة « عقد » بين الرسالة وبين الدكتور ناجى فإنى آمل أن تحل هذه العقد ، وتتلاشى ، على الأقل حين تكون فى مجال النقد الأدبى المتزن الذى تفيد منه النهضة الأدبية فى البلاد

حلمى حنا مقار

رجاء الى معالى الدكتور طه حسين باشا

هذه قضية عادلة نتقدم بها إلى معالى الوزير راجين أن تحظى لديه بالقبول

إن أبناء كلية اللغة العربيـــة حريصون أشد الحرص على التحاقهم بالدراسات العليا بجامعة فؤاد، ولقد حفزهم إلى ذلك شغف بالعلم وكلف به . فليسمح لهم ابن الجامعة البكر أن يتقدموا إليه بهذا الرجاء . إذ ليس من سياسته أن يحرم من العلم راغب فيه وهو الذى جعل العلم حقا للجميع كالماء والشمس والهواء . والجامعة المصرية يامعالى الباشا أسست ليلتحق بها المصريون وغيرهم كما جاء فى خطاب المغفور له جلالة الملك فؤاد « إننى أبتهل إليه تعالى أن يجعل هذه الجامعة نافعة لطلاب العلم عموماً ، ولشبيبتنا المصرية خصوصاً ، إذ أننا لم نقدم على هذا المشروع الجسيم ولم نسهر الليالى بسببه إلا لترقية هذه الشبيبة التى لا يكفينا امتيازها بالذكاء والنشاط والاجتهاد . بل نرى أن يتحتم عليها أيضا أن تتحلى بفضيلتى الصبر والاستمرار لأنهما سر النجاح » فليس عجيبا بعد ذلك أن يتقدم أبناء كلية اللغة العربية إلى معاليك بهذه الأمنية وأنت الذى رأى أنه من الخير أن يسمح للأزهريين بالالتحاق بكلية الآداب بل نفذت هذه الفكرة فعلا فى وقت ما أفلا يجدر بنا أن نطمع فى تحقيق أمنيتنا فى هذه الآونة التى احتفلت فيها مصر بالعيد الفضى لجامعة فؤاد . ذلك فضل عظيم يضم إلى أفضالك التى لا تحصى

يامعالى الباشا : نريد أن نحلق فى هذه الآفاق الرحيبة . نريد أن نلتحق بالدراسات العليا فى كلية الآداب ما دمنا مصريين نحمل مؤهلات عالية

رغبة ثانية وهى شقيقة الأولى وهى أن يتكرم معالى الباشا فيجعل لنا الحق فى الالتحاق بمعهد اللغات الشرقية مادمنا متساوين مع كلية دار العلوم فى اللغات الشرقية

رغبتان أكيدتان نرجو أن يتقبلهما صدر الوزير . ولن يتنافى ذلك مع ما يهمسون به من إعادة تخصصات المادة إذ أن أبناء كلية اللغة العربية يريدون أن يكون لهم الحق فى الدراسات العليا فى جامعة فؤاد حيث البحث المنتج وحرية التفكير والنقد على وجه الاستقلال ؛ لأن ذلك هو أساس التعليم الجامعى وليس الحفظ والتصديق لكل مايقال كما يسجل معالى السيد لطفى باشا فى مقال له . فمن أراد من أبناء كلية اللغة أن يلتحق بتخصص المادة كان له ما أراد ، ومن أراد أن يتوجه إلى الدراسات العليا فى كلية الآداب وجد الطريق ممهداً أمامه، وأخيراً : نأمل أن يعجل معالى الباشا بتحقيق هاتين الرغبتين

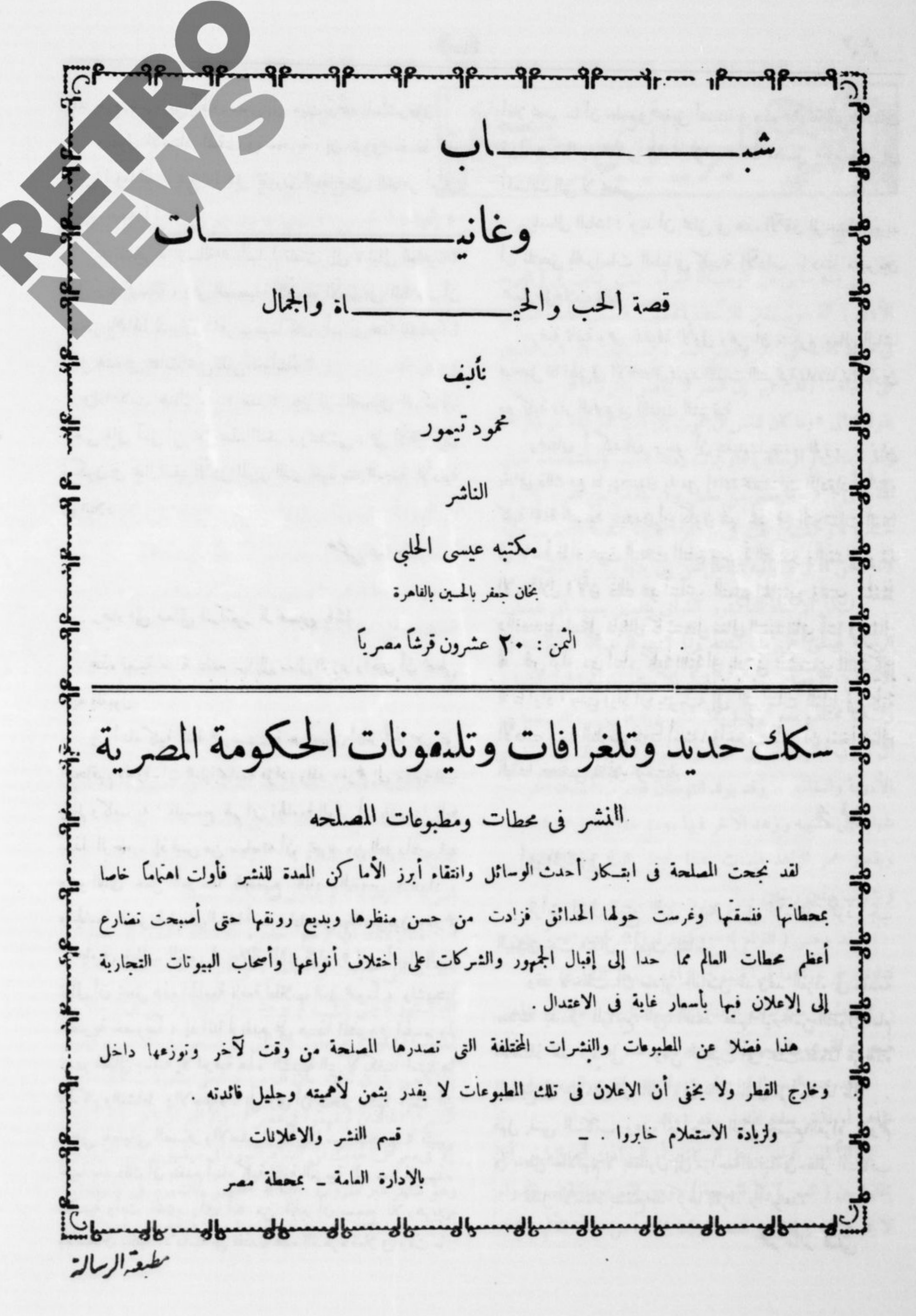
عز عمر

أين المراجع :

قرأت المقال الممتع الذى كتبه زميلى الأستاذ محمود رجب البيومى تحت عنوان : أديب يتماظم

وقد لاحظت أن صديقى الفاضل قد وعد القراء فى مقدمة حديثه بذكر المراجع التى اعتمد عليها ليبرأ من التقول أمام الأستاذ محمد كرد على — ومن العجيب أنى بحثت متعمداً عن هذه المراجع فى هوامش الرسالة ، وفى خاتمة المقال فلم أجد لها ظلا . فهل نسى الكاتب وعده أم أحسن الظن بجميع القراء . وهم فى بعض حالاتهم لا يفطنون إلى مراجعه الدفينة فى حفائر المكاتب فلعل الأستاذ يسمح بذكرها للقراء براً بوعده

محمد خالد حنفى

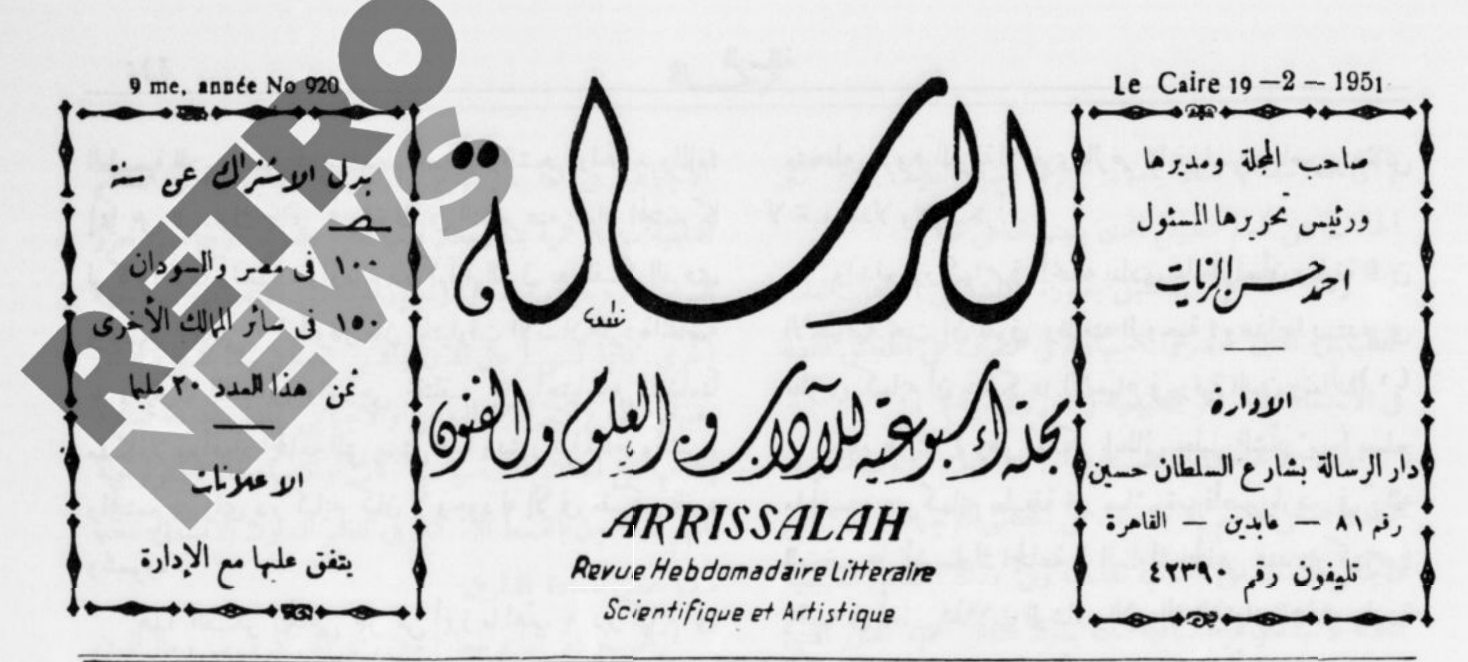




العدد ٩٢٠ — ١٩ فبراير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد



9 me. année No 920

Le Caire 19 – 2 – 1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٢٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ — ١٩ فبراير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

الدين والسلوك الانسانى

— ٤ —

للاستاذ عمر حليق

شغل (دير كهايم) فى إمعان وروية بالتعرف على الحقائق التى تسكن وراء القداسة والألوهية والمثل والقيم الإضافية والمعانى الفاضلة التى تنطوى عليها

فأنكر أن المقدسات هى مجرد تعبيرات عن المؤثرات الخارجية المستمدة من البيئة والتاريخ ، كما أنكر أن تكون وليدة الوراثة بمعناها الواسع

فالقول بأن القداسة هى تعبير مستمد من البيئة والتاريخ ينفيه ما سجله (دير كهايم) من أنها (أى القداسة) رمز مستمد من الغريزة الفطرية . وفوق ذلك فإن تغيير البيئة واستمرار التطور فى تاريخ الفكر لم يذهب بالرموز القدسية والحياة الدينية المعبرة عنها

والادعاء بأن القداسة هى وليدة الوراثة وما اكتسبه الفرد عن أسلافه من ذخيرة فكرية واتجاهات عاطفية وطبائع أخلاقية لا يتفق وحقيقة الواقع فى عالم عناصر الوراثة فيه واسعة متشعبة تفاعلت فيها عدة مؤثرات ثقافية وعاطفية تسربت إليها من الخارج.

ومع ذلك فقد بقى جوهر القداسة سليما فى تأثيره الروحى والاجتماعى على سلوك الإنسان

فإذا سجلنا إذن على ضوء هذا الشرح أن وراء المقدسات حقائق راسخة ، وأن هذه المقدسات (على تعدد أنواعها وألوانها) بالغة الأثر راسخة النفوذ فى السلوك الإنسانى؛ فإن لنا أن نبحث فى علاقتها بالحياة والأوضاع الاجتماعية

فالمثل والأخلاق التى تضبط سلوك الفرد تستمد سلطتها من الاختبار الدينى الذى قيد الفرد بنظم وقوانين يسير عليها فى علاقته بربه وبمجتمعه . والثابت عندنا أن الله عز وجل (وهو قدس الأقداس) حقيقة راسخة ، وأن علاقة الفرد بربه علاقة منشؤها غريزة فطرية موهوبة وليست مكتسبة . فلنا إذن أن نبحث فى علاقة الاختبار الدينى بالمجتمع الإنسانى الذى وضع الله له نظما وقوانين وقيما أخلاقية

ووضع دير كهايم بعد هذا الاستنتاج كلمته الشهيرة : —

« إن الله (عز وجل) هو رمز المجتمع الصالح »

وثار بعض النقاد أول الأمر على كلمة دير كهايم هذه وخابت آمالهم فى رجل ابتدأ فى حماس يدافع عن روحانية الدين إزاء مادية الطبيعيين، ثم ما لبث أن خرج (فى رأيهم) باستنتاج أكثر مادية. فالمجتمع ملموس والله عز وجل حقيقة قدسية يدركها الناس بالعقيدة والإيمان فكيف يصح القول بأن الله جل جلاله رمز لشىء مادى؟

وقال دير كهايم وأنصاره إن هذه الثورة لا موجب لها . فالحقيقة الاجتماعية التى وضعها دير كهايم ليست من الأشياء

الطبيعية التى يلمسها الناس لمسهم الصخرة والشجرة والحديد والماء؛ إنما هى « سلوك جماعى » يشترك فى التعبير عنه أفراد المجتمع كما لو كانوا فرداً واحداً . وأوضح دير كهايم الفرق بين الفكر الفردى والفكر الجماعى (١) وقال بأن اختيارات الانسان الفردية الخاصة به وسلوكه النفسانى والروحى يختلف عن اختياراته متضامناً متكافلا مع أفراد الجماعة التى يعيش فيها ويشاركها الخير والشر . والمجتمع فى رأى دير كهايم كيان لا وجود له إلا فى تفكير الفرد وشعوره

هذا الفكر الجماعى هو من أبرز ما اهتم به دير كهايم فى معرض معالجته للدين والسلوك الانسانى، فاختيار الجماعة عند دير كهايم حقيقة اجتماعية (٢) لا علاقة لها بالماديات التى تكلم عنها الطبيعيون

إذن فعلاقة الله عز وجل بهذه الحقيقة الاجتماعية ليست علاقة مادة ، والقيم والمثل الفاضلة التى جاءت بها التعاليم الدينية لم تقتصر على علاقة الفرد بربه وإنما شملت كذلك علاقة الكيان الاجتماعى بالعزة الإلهية ، وذلك لأن الفرد عضو فى الجماعة وسلوك الإنسان منفرداً يختلف عن سلوكه متضامناً مع الجماعة

وقد ركز أكثر المصلحين من أهل التقوى والإيمان اهتمامهم إلى سلوك الانسان الفردى وأهملوا معالجة سلوكه الجماعى . ولما كان هذا السلوك الجماعى مميزاً عن السلوك الفردى بصفات واتجاهات وطبائع ومشاعر خاصة فلذلك استوجب على المصلحين أن يقوموا أكثر فأكثر على توجيه السلوك الجماعى على ضوء التعاليم السماوية . وشرح دير كهايم فى حماس كيف انه جمل اهتمامه أن ينفى الصبغة الطبيعية المادية عن طبيعة السلوك الجماعى ويثبت صفاته ومميزاته الروحية

ثم ازدادت الحاجة إلى دراسة علم الدين الاجتماعى دراسة عملية وتعميمها والدعوة لنشرها ما وجد المصلحون لذلك سبيلا

وما لبث دير كهايم أن وقع فريسة التطرف فى التحليل والتعليل والتعصب لآرائه شأن معظم الذين يكتشفون لونا جديداً من ألوان المعرفة فيندفعون فى حماستهم دون تريث ولا إمعان.

١) represent collective, representation individuelle

٢) fait sociale

متخطين فروع المعرفة الأخرى بالرغم مما فيها من عناصر وحقائق لا تقبل جدلا ولا إنكاراً

واندفع دير كهايم فى أبحاثه ينادى بما فحواه أن وظيفة الدين الاجتماعية يجب أن تفوق وظيفته الروحية ؛ وهذا ما يستدعى فى نظر دير كهايم أن يتحكم علم الاجتماع فى رقبة الدين وتعاليمه (١)

وقام باريتو (وهو مفكر إيطالى جليل الشأن) يصلح ما أفسده دير كهايم بطريقة غير مباشرة . فأصر باريتو فى كتابه الضخم على أن سلوك الجماعة (السلوك الجماعى عند دير كهايم) ينقصه فى أغلب الحالات الرشاد والإدراك الإيجابى الشامل بطبيعة الأشياء ومعانيها الكاملة . وأن من المستحيل أن يتحقق للجماعة فى سلوكها الرشد المنطقى (٢) والكمال العقلى فذلك السلوك غير منطقى كما اصطلح باريتو على تسميته (٣) ولذلك فتحكم علم الاجتماع (السوسيولوجى) فى رقبة السلوك الدينى مناف للمنطق السليم ؛ ذلك لأن علم الاجتماع يستمد عناصره من سلوك الجماعة ويبنى مبادئه واستنتاجاته عليها . وهذا السلوك كما أصر (باريتو) بينه وبين المنطق السليم صداقة مفقودة

لعل من المفيد أن نسجل هنا بأن دير كهايم أخذ فيما بعد بوجاهة هذه الآراء التى بشر بها (باريتو) فعدل من تطرفه ثم أمعن فى دراسة « الحقائق المادية الملموسة » على ضوء فلسفة المعرفة ليثبت أن معرفة الناس للحقائق المادية لا يمكن أن تقرر على أساس المحسوس والملموس . وكان هدف دير كهايم أن يثبت للطبيعيين أن استشهادهم بالحقائق المادية فى تهجمهم على الدين هو استشهاد باطل. فالناس لا يعرفون الأشياء بخواصها المميزة وأوصافها الطبيعية فحسب وإنما يعرفونها بالأفكار والمشاعر والإحساسات التى تؤثر بها تلك الأشياء فى سلوك الفرد والمجتمع

فالفلاسفة مثلا هم على نقيض العلماء الطبيعيين من حياتهم

(١) يعود هذا التطرف إلى أصل فلسفة الوضعية Positivism فى دير كهايم إذ أنه وهو تلميذ « كونت » وريث مدرسته الفكرية يعد دعامة من دعائم هذه المدرسة الفلسفية

(٢) — يستشهد « باريتو » بطائفة من حوادث فى التاريخ الانسانى وحروبه وثوراته على صدق هذا الرأى

V. Pareto . Trattata di Sociologia Generale

٣) non—logical action

(أى الفلاسفة) شغلوا بمصادر المعرفة غاضين الطرف فى أكثر الحالات عن العالم الطبيعى الذى يعيش الناس فيه

ومثل هذا الإهمال ينطبق بصورة عكسية على اتجاهات العلماء الطبيعيين الذين حصروا اجتهادهم فى التعرف على الحقائق المادية فى الأجسام والظواهر الطبيعية (الفيزيولوجية)

وكلا الاتجاهين ناقص فى رأى دير كهايم . فالكمال فى البحث العلمى لا يتم إلا بالتعرف على الحقائق الاجتماعية [١] التى لا يمكن أن تمد فى حساب الفلسفة وفى عداد الحقائق الطبيعية المادية لأنها ظواهر اجتماعية بينة يدرك الناس أهمية الدور الذى تطلبه فى مجرى السلوك الإنسانى

وفى رأى دير كهايم أن الفلاسفة يستمدون مادتهم الخام من هذه الظواهر سواء اعترفوا بذلك أم لم يعترفوا

وعلماء الطبيعة لم ينصبوا على معالجة الحقائق المادية إلا ونصب أعينهم توجيه هذه الحقائق الاجتماعية نحو قسط أوفر من الكمال . والعلماء فى انصبابهم على الحقائق المادية أهملوا التعرف على الحقائق الاجتماعية

هذا هو محرر المنهج العلمى الذى استنبطه دير كهايم فأثار إعجاب الناس . والدارس لآثار دير كهايم يلمس صعوبة المدارج التى سلكها باحثا للتعرف على جوهر الدين والسلوك الانسانى . فالصلة بين الروح والمادة لا تتم إلا عن طريق الحقائق الاجتماعية ، وهذه الحقائق الاجتماعية ليست فى حد ذاتها مادة مجردة أو روحانية مجردة وإنما هى ظواهر تلعب دورا رئيسيا فى النظام الكونى . ويترك دير كهايم فى بلبلة فكرية إزاء هذا المنطق اللولبى ولكنه يمضى فى الدراسة والاستقراء والبحث والاستنتاج على أسس هذا المنهج العلمى وهذا المنطق اللولبى . فهو يقدر أن الفوضى فى السلوك الانسانى (فرديا كان أو جماعيا) لابد وأن تنتظم وتستقيم بفعل المعرفة الصحيحة للحقائق المادية . ولكن سيطرة الحقائق المادية على التفكير والسلوك الانسانى لابد أن تخلق عاجلا أو آجلا نوعا آخر من الغموض والاضطراب الروحى والنفسانى؛ ولا يحل هذه الأزمة إلا تدخل النظم الاجتماعية (أو الحقائق الاجتماعية فى لغة دير كهايم . والناحية الاجتماعية فى التعاليم الدينية من الأهمية بمكان عظيم لأنها تقوم بعمل مزدوج؛ فهى تعزز الغريزة الروحية من جهة ، وتصون الحقائق الاجتماعية من جهة أخرى. فإذا تسنى لرجال الدين والذين يحملون لواء الدعوة له أن يضيفوا إلى تراث الدين الروحى والاجتماعى مادة جديدة تستمد إقناعها من الحقائق المادية سياسية كانت أو اقتصادية أو تكنولوجية فإنهم يساهمون بالقسط الأكبر فى تنظيم السلوك الانسانى تنظيما سليما يحقق سعادة الدارين

وأصبح دير كهايم سعيدا حين رأى المفكرين من رجال الدين والفلاسفة والعلماء فى أوائل هذا القرن على وجه الخصوص يتجهون أكثر فأكثر لدراسة هذا الثالوث من الحقائق الروحية والمادية والاجتماعية ، الأمر الذى دفع إلى الطليعة أهمية علم الاجتماع الدينى فى التفكير والسلوك الانسانى. وهذا الاتجاه يزداد أهمية وضرورة بازدياد الصراع بين المذاهب السياسية والاقتصادية المعاصرة التى جرت على المجتمع الانسانى ويلات الحروب وشر التفككات الاجتماعى ومرارة البلبلة الفكرية والنفسانية التى يعانيها المثقفون فى هذا العالم المضطرب بما فيه الشرق العربى

وثمة مزية أخرى فى مكانة الدين والدور الذى يؤديه فى السلوك الانسانى ، وأعنى به « النظام » وما ينطوى عليه من استقرار روحى وفكرى ومادى . وما تضارب النظم السياسية والاقتصادية المعاصرة شيوعية كانت أو رأسمالية أو فاشيستية إلا لاختلافها عن أوجه التنظيم وأسس المبادئ والوسائل التى تحقق النظام والاستقرار

فالنظم الديكتاتورية — وهى وليدة استياء المصلحين من بطء النحو التقدمى للمجتمع وضعف الأداة لتحقيق النظام ومن ثم الإصـــلاح والتقدم والرفاهية — فاشلة فى محاولتهـــا هذه كما أثبت ذلك التاريخ الحديث والقديم لأنها وهى وليدة السلوك الفردى تحاول أن تكون تعبيرا للسلوك الجماعى . وشتان بين السلوكين كما أخبرنا دير كهايم

والديمقراطية [١] فى نظامها الحالى تدعى باطلا أنها تعبير

---

١ — راجع المقالة السابقة من هذا البحث فى عدد الأسبوع المنصرم من الرسالة

١ — نعنى بالديمقراطية هنا النظم السياسية والاقتصادية المعاصرة التى تناوىء النظم الديكتاتورية

الأمانة العامة . . !

للأستاذ محمد محمود زيتون

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ،
وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل .. »
قرآن كريم

الأمانة فضيلة ، والفرد إنما يكتسب الفضائل من المجتمع الذى هو المصدر الأول لكل فضيلة ، فلا غرو إذا كانت « الأمانة العامة » بمثابة « الطاقة » التى تنبثق من أرجائها أشعة الحق والخير ، فتنعكس على الأفراد بالرضا والسعادة ، ومن هنا يتلمس طريق الإصلاح الشامل ومن أراد القضاء على الشا كل التى يصطلى نارها كل من الفرد والجماعة على السواء

وقبل أن نفرض هذا العبء الأكبر على الفرد ، نرى أن المجتمع قد احتمله بطبعه ، فإن الضمير الاجتماعى هو المقياس السليم للحكم على الأمور التى تصدر عن الأفراد ، بل هو المحكمة التى لا نقض ولا إبرام لأحكامها ، فلا مناص من الرضوخ لها ، والانصياع إليها

والمجتمع هو « الأمين العام » على الحقوق والواجبات التى تنتظم بمقتضاها الحياة العامة ، فلا مفر من الاسترشاد بأوامره ، والإنصات إلى أصدائه الرنانة فى جوانب الفرد حين يصدق عليه قول الشاعر :

وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وتحقيق العدالة لطالبيها موكول أولا وبالذات إلى الأمانة العامة ، بعد أن تكون المنافذ قد سدت فى وجوههم ، فما هو إلا أن تمرض المظالم فى وضح النهار ، على سمع المجتمع وبصره ، ولن تجتمع الأمة المستنيرة يوماً على باطل ، ولن تنأى بجانبها عن إنصاف من يستنصرها ، بكل سبيل مشروع ، وذلك هو الواجب الأول على الحاكمين والمحكومين على السواء ، فليس بنا إذن حاجة إلى هذه البدعة الجديدة التى يسمونها « وزارة المظالم » فإنها غير ذات موضوع ، من كل مجتمع مطبوع غير مصنوع

عن سلوك الجماعة ورغباتها لأنها حات نفسها فوق ما تستطيع والدولة فى النظم الديمقراطية المعاصرة قد فصلت نفسها عن الحياة الدينية . ومع أنها (أى الدولة) لم تقاوم السلوك الدينى فقد سلبته بعض أسسه الجوهرية ؛ فجردت برامج التعليم من المواد الدينية وتركت ذلك لمشيئة الفرد ، وجردت المعابد والمؤسسات الدينية من مواردها الرسمية وتركتها عالة على تبرعات المحسنين الذين يتأثر مبلغ إحسانهم بالتقلبات الاقتصادية التى لا تعرف نظاما ثابتا ولا تتقيد باستقرار

وحاولت الدولة الحديثة أن تقوم بأعباء الحقائق الاجتماعية التى كان يقوم بها الدين دون أن تستطيع تلك الدولة أن تندمج فى العلاقة الثالوثية التى شرحها دير كهايم وهى الروح والمادة والمجتمع . وكان من جراء ذلك هذا الفشل الذى أصاب الديمقراطية فى توفير النظام وتوطيد الاستقرار ؛ لا فى ناحية الروحية والنفسانية والفكرية فحسب بل حتى فى فروعه السياسية والاقتصادية كذلك

وحين يقف مفكر رزين كالأديب البريطانى ت . إس إليوت [١] وغيره من المثقفين المتازين ليناشد الدولة والمجتمع أن « يوفرا للمعوزين الخبز قبل أن يوفرا لهم زجاجات الشمبانيا » لم يعن بذلك إلا ضرورة ربط الحياة الروحية بالحقائق الاجتماعية والترف المادى والفكرى التى أغرمت به هذه الأيام الدولة وأصحاب الثقافة المادية من دعاة الإصلاح

فالمشكلة إذن مشكلة نظام يراعى الحقائق الروحية الدينية إلى جانب اهتمامه بالحقائق المادية فى حياة الفرد والجماعة

وحين يراعى المشرعون وأصحاب الحل والعقد والفرد والجماعة الحقائق الأصيلة فى هذا السلاح المثلث تكون الانسانية قد لمست نقاط الضعف والقوة فى هذا الاضطراب المرير الذى يعيث فى مجتمع القرن العشرين فساداً

نيويورك (للبحث صلة) **عمر حليق**

---

١) — T.S. Eliot الذى نال جائزة نوبل للآداب منذ عامين

بهذا تستجيب الجماعة لغريزة « البقاء الاجتماعى » التى تتطلب تنسيق الأعضاء من غير تناكر أو تنافر ، وبدون إفراط أو تفريط . وعندئذ تكون « العدالة » حقيقة جارية ، فى الكيان العام ، غير محتاجة إلى توكيد وجودها ، أو البكاء على أطلالها ، وحسبها أن يطرد النمو اطراداً ثابتاً تكون فيه النسبة محفوظة على الدوام بين الجميع ، كخطوط العرض المتوازية التى لا تلتقى أبداً على سطوح الأرض ، على الرغم من دورانها حول نفسها وحول الشمس ، وعلى الرغم من اختلاف الليل والنهار ، ما دام محور الأرض عموداً مستقيما على خط الاستواء بين الشمال والجنوب

إذن لابد من قوامين على العدالة حتى تختفى أشباح المظالم ، وتتوارى الهيا كل المتجبرة التى تبغى العلو فى الأرض بغير حق ، فلتكن العيون اليواقظ متنبهة لتحذير المتنبى إذ يقول :

نامت نواطير مصر عن ثعالبها حتى بشمن وما تفنى العناقيد

ونحن إنما ننشد لمناقيد الحق ، هذه « النواطير » لا تلك « الطراطير » ، ويومئذ ينقطع دابر كل ثعلب يتسلل نهاراً جهارا إلى كل كرمة نام عن جناها ، من بيده سقاها ورعاها . والذى نخشاه هو أن يتوا كل الجميع يوم يتبدل الثمر الحلو فى أفواههم مرا لا يذاق ، فيصبح المرء لا يرى بعد ثعالب العنب ، إلا طيور الحنظل ، فلا يهش ولا ينش ، وإنما يقول وقد عبس وتولى :

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره

أما إذا خشينا انهيار الصرح العظيم الذى بنيانه المرصوص مؤتلف من الآحاد والعشرات ، أو الأفراد والجماعات ، فما علينا إلا إجراء عملية « الصقل البشرى » على الدوام ، لننحت من الغرائز الحجرية قوالب متساوية ، تنبض بالحياة ، وينسجم بها البناء المتساوى السيقان ، فلا يكون به نتوءات أو مغارات تأوى إليها حشرات الفساد ، حيث نريد الإصلاح

والتعهد المستمر للنفوس ، يزيدها صقلا ولمعاناً ، ويكسبها كذلك مناعة طبيعية من الانحلال الخلقى ، فلا تفسد مع الأهواء الطارئة ، ولا تنحدر مع التيارات الجارفة ، ولن يكون هذا التعهد ضامناً إلا بالأخذ من معالم القوة والعزة ، ومعارف الخير والحق ، مما يحمل الدين والآداب والتاريخ والعرف والقانون تسير جميعاً بالدارسين نحو تدعيم الأمانة العامة ، وتقوية أركانها ، لترتفع فى أعاليها رايات العدالات فى مختلف أحجامها ، ومتباين ألوانها وأجناسها

وليس يكفى أن تكون عين العدالة فى يقظة لتحقق الأمانة العامة ، وإنما ينبغى أن تمتد يدها بالبطش إلى الجريمة ، وإلا أفلت اللص بما سرق ، وذهبت صرخات المطاردين أدراج الرياح ، كما أنها تستلزم الفطنة فى التمييز بين السارق والمسروق ، فقد تقبض بيد الحديد على برئ ، وتطلق سراح أثيم خادع الأمين العام فاندس فى صفوف المطاردين ، وهم يترا كضون خلف السارق المزعوم ، فلما أعياهم اللحاق به نكص هو على عقبيه ، ليقتسم الأسلاب مع الأبالسة

وهيهات أن تتسرب شاذة أو فاذة من الأمانة العامة ، إذا ألقت شبا كها فى الماء العكر ، فهى إنما تتعقب كل من يعكر صفو السلام ، مهما يكن لونه ومقامه ، وإلا فإن قطع ذنب الأفعى لا يغنى عن رأس الفتنة شيئاً . والجراثيم لا تتكاثر إلا إذا كانت درجة الحرارة مناسبة والمكان صالحا ، وعندئذ يتعسر الداء ، ويتعذر الدواء

ولما كان الخط المستقيم هو أقصر طريق بين نقطتين ، فإن الأمانة العامة هى أقوم خط بين الحق والباطل ، وليس بينهما منطقة اشتباه ، « فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال . » وليس حولها كذلك إلا صحارى العدم ، « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . . » ، ولهذا كان التمادى فى الانحراف خيانة طامة ، عواقبها غير مأمونة

وليس أخون من تنحية الجندى عن صفه ، وتعطيله من سلاحه ، واتهامه بعد ذلك بالتخلف عن كتائب الجهاد ، ليحرم من مكانه فى مواكب النصر ، وهو الهاتف :

سلاحى إيمانى المتيد ، وقائدى
ضميرى ، وأجنادى من الشم الغر

وهنا ننتظر الساعة التى فيها تتحطم الأهرام الثقيلة على قالبيها ، ويومئذ يندمون على انصرافهم عن هدى « الأمين » المأمون عليه الصلاة والسلام إذ يقول : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة . قيل : فكيف إضاعتها يا رسول الله ؟ قال : إذا أسند الأمر إلى

غير أهله فانتظر الساعة »

وما كان أجدر أصحاب الحقوق بحقوقهم حتى يستقيم الطريق، ويعتدل الميزان ، وتعلو أصواتهم بالفخر المسنون :

وإذا الأمانة قسمت فى معشر أوفى بأوفر حظنا قسامها

وويل للقطيع الذى يشرد منه القاصى والناحى ، فيصبح غنيمة باردة ، تفرى أشلاؤها كل وحش ضال بالاصطياد من تحت الريح . هكذا المجتمع الذى يغفل عن رسالة « المرشد العام » و « الراعى الأمين » عليه السلام ، إذ يقول « إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم ، يأ كل الشاة القاصية والناحية ، فإياكم والشعاب ، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد »

ولو عرف كل امرئ قدر نفسه ، لوضع نفسه حيث يجب أن توضع ، غير طامع فى العلا إلا بالحق والدور ، وغير متظلم إلا من الهضم والجور ، وبين يديه مؤهلات الشاعر الغيور :

متى يحمل القلب الذكى وصارما
وأنفا حميا تجتنبك المظالم

وأن لن يتخذ أكتاف الكرام سلماً لما ربه ، يتنقل عليه من حزب إلى حزب ، ليسود ، وما كان ليسود لأن الحياء من الإيمان ، والرفعة من التواضع ، أو كما قال من قال :

سدت الجميع فسدت غير مسود
ومن البلاء تفردى بالسؤدد

وهل أوتى الوضيع هذا السلم الرفيع إلا فى غفلة من الرقيب العام ، يوم كانت الدولة لأقارب المتربع على الكرسى ، يؤثرهم — للعصابة والقرابة — على من لهم الحق قبلهم ، وهنا ينطق « أمين من فى السماء » بقول الحق « من استعمل رجلا من عصابة ، وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين »

هذا بينما الأصيل الكادح ، يئن تحت كل فادح ، ويقول فى مرارة :

وإذا تكون مهمة أدعى لها
وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

وليس من الفضائل أحق بالصدارة من الأمانة لأنها جهاد النفس ، وصراع الغرائز ، وإبطال الباطل ، وإحقاق الحق . طلع رجل على النبى وهو جالس بين صحبه فقال « يا رسول الله ، أخبرنى بأشد شئ فى هذا الدين وألينه ، فقال عليه السلام : ألينه : أشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . وأشده يا أخا العالية : الأمانة . إنه لا دين لمن لا أمانة له ، ولا صلاة له ، ولا زكاة له »

والحياة الإنسانية ما هى إلا مجموعة من « أحكام القيم » نصدرها على ما يقع فى نطاق الحق والخير والجمال ، ولا محيص من إعلان هذه الأحكام حتى يكون لكل عمل إنسانى الحق فى الثواب والعقاب ، أو الاستحسان والاستهجان ، وذلك من أمارات الحيوية الاجتماعية

قال أبو بكر الصديق : أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وإنى سمعت رسول الله يقول « إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يده أوشك الله تعالى أن يعمهم جميعاً بعقاب »

وما كان أحرص من رسول الله على الصرح الاجتماعى ، والوحدة الشاملة ! وما كان أشده استمسا كا بالعروة الوثقى ، واعتصاماً بحبل الله حين يقول : « من رأى من أميره شيئاً يكرهه ، فليصبر عليه ، فإنه من خالف الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية »

وبعد، فإنه إذا كان « دوركايم » اليهودى أول واضع لقواعد علم الاجتماع حين قال بنظرية « التماسك الاجتماعى » La solidarité sociale فإن محمداً عليه السلام كان أسبق المفكرين جميعاً إلى وضع الدستور العام المستمد من الحياة الإنسانية فى إمكانياتها العامة ، وإذا كان قد عرف أول ما عرف بين قومه بالأمانة قبل بعثته ، فإنه كان الأمين الأول على مقدرات المجتمع فى كل زمان ومكان ، فمن أين تنفذ نظرية « الماركسية التاريخية » من هذا التراث الفولاذى الخالد الذى يكرم البشرية ويعصمها من مهاوى الزلل ، بفضل « الأمانة العامة » وقد أعلى منارتها « كبير الأمناء » الذى أرسله ربه رحمة للعالمين

وعسى أن يكون واضحاً الآن أن الأمانة إنما هى رسالة المجتمع قبل أن تكون فضيلة الفرد، وأنها الكنز القديم المدخر للانسانية منذ الآزال حتى الآباد، وصدق الله تبارك اسمه إذ يقول « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولا » . إى والله إنه كان ظلوماً جهولا !

محمد محمود زيتون

رأى فى تحديد العصر الجاهلى

بحث قدمه إلى مؤتمر المجمع اللغوى

صاحب العزة ابراهيم مصطفى بك

عضو بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

بقية ما نشر فى العدد الماضى

ولا نذكر التجاء اليمن إلى الفرس أعداء الروم ولا استمدادهم لنصيب من حكم بلادهم ولا سعى الفرس لبسط سلطانها عليهم، وإنما نذكر أن بلاد العرب خلت من دولة تحكمها وتؤمن سبلها وتحمى تجارتها ووقعت فى فوضى نرى بعض صورها فى شعر كشعر الحارث بن حلزة إذ يقول:

هل علمتم أيام ينهب النا   س غواراً لكل حى عواء

لا يقيم العزيز بالبلد السهـ   ـل ولا ينفع الذليل النجاء

ليس ينجى موائلا من حذار   رأس طود وحرة رجلاء

فهذا عندنا حد العصر الجاهلى العربى وتلك سماته التى أوحت إلى الشاعر القديم أن يقول:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم   ولا سراة إذا جهالهم سادوا

وإذا نظرنا إلى الجزيرة العربية فى هذا القرن وجدنا آثار المعسكرات اليمنية ومعاقلها مبعثرة فى أنحاء الجزيرة

بنو الحارث بن كعب فى جنوب الحجاز وكانوا يلقبونهم ملوكا، والأوس والخزرج فى شماله، وفى نجد طى وكلب وملوك كندة — وفى عمان الأزد، وفى تخوم العراق المناذرة، وفى مشارق الشام الغساسنة، وكلهم ينتسبون إلى اليمن وقد نشبت الحروب بينهم كل يريد الملك لنفسه كما فعل قواد الاسكندر فى ملكه الواسع من بعده. وثار العرب من غير اليمن وهم المدنانيون وتطلعوا إلى الاستقلال والتفرد بالسلطان، واشتعلت الحرب بين العدنانيين واليمنيين وبين العدنانيين والعدنانيين — ونهض كل مغامر طموح، وطمعت كل قبيلة ذات قوة أن تستبد بالسلطان وغلبت عليهم حمية العداوة والثأر ومضى شعراؤهم يتغنون بفظائع الحرب

وحليل غانية تركت مجدلا   تمكو فريصته كشدق الأعلم

فشككت بالرمح الأصم ثيابه   ليس الكريم على القنا بمحرم

فتركته جزر السباع ينشنه   ينحضن حسن بنانه والمعصم

* * *

كأن جماجم الأبطال فيها   وسوق بالأماعز يرتمينا

نجز رؤوسهم فى غير بر   فما يدرون ماذا يتقونا

ولكن حياة العرب — كما قدمنا — تعتمد على التجارة ورزقهم منها ولا بد لهم أن يتجروا ليعيشوا — والأثر الوارد: تسعة أعشار الرزق من التجارة. والرسول كان منذ الصبا تاجراً وأبوه وعمه وجده تجار، وزوجه خديجة ترسل فى التجارة أموالها وبسبب من التجارة كان زواجها — وأبو بكر وعمر وعثمان تجار، وما شئت من وجوه الصحابة وأشراف العرب كانوا يعملون فى التجارة

واللغة نفسها تحمل أثر التجارة وغلبتها على أعمالهم؛ فالإيمان تجارة لن تبور، وتجارة تنجيكم من عذاب أليم، والله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة. والمؤمنون لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. وعهد الخلافة بيعة

فلابد لهم من التجارة ليعيشوا ويرتزقوا. ولا مناص لهم من الحرب ليثأروا ويتسلطوا، وهنا عظمت شعائر الأشهر الأربع الحرم وشاعت البيوت المحرمة الآتية وكان أمجدها بيت قريش بمكة، وحرم الله الذى امتن به القرآن على قريش «أو لم يروا أنا جعلنا لهم حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم»

وبدت عادة التحالف وتضام بعض القبائل إلى بعض والحرص على العهد والوفاء بالعقد

واذكروا حلف ذى المجاز وماقد   م فيه — العهود والكفلاء

حذر الطيش والتعدى وهل   ينقض ما فى المهرق الأهواء

وبدت نغمة التحذير من الحرب والثناء على السلم وتمجيد مساعيه

يمينا لنعم السيدان وجدتما   على كل حال من سحيل ومبرم

تداركتما عبسا وذبيان بعدما   تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا   بمال ومعروف من القول نسلم

فأصبحتما منها على خير موطن   بعيدين فيها من عقوق ومأثم

* * *

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم   وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة   وتضر إذا ضريتموها فتضرم

والشعر لزهير فى معلقته . وولداه كعب وبجير قد لقيا المصطفى وآمنا به

فهذا تحديد العصر الجاهلى وتلك ملامحه ومعالم حوادثه، يبتدئ بفقد حكومة البلاد وضياع أمنها واضطراب نظامها فى سنة ٥٢٥ وينتهى بقيام الحكومة التى تقر السلام وتنشر الأمن فى سنة ٦٢٢

وما بينهما عصر الجاهلية والفوضى والتناحر على السلطان

ومنذ بدا لى هذا الرأى جملت أختبره فيما أقرأ من أخبار فأرى حوادث الجاهلية تمضى فى حدوده منسجمة منسقة متضامة يوضح بعضها بعضا

وأجد من الشواهد فى تواريخ الأمم المجاورة ما يؤيده

فالغساسنة كانوا يتاخمون الروم فى الشام قبيل الإسلام ولهم مع الدولة البيزنطية صلات مدونة نرى أنها مرت بحالتين : صلة الجار المجاور الذى يسالم ويحارب، وصلة التابع الذى يستمد ولايته الشرعية بتوليته غيره

وللمستشرق العظيم نلدكه بحث فى تاريخ أمراء غسان كتبه وهو شاب لينال به الدكتوراه ثم رجع إليه بالتحقيق بعد النضج وبعد ما ظهرت مستندات من تأليف المعاصرين ومن السجلات الرسمية فى الكنائس وغيرها ـ وقرر أن أقدم اتصال للغساسنة ببيزنطة اتصال التابع المستعين كان فى زمن الحارث الأكبر من سنة ٥٢٩ إلى سنة ٥٦٩ إذ أنعموا عليه ثم على ولده من بعده بلقب بطرق وهو لقب حكام الأقاليم عندهم. وتفسير ذلك عندى أن الغساسنة وهم يمنيون كانوا يستمدون سلطانهم من دولتهم اليمنية ويجاورون الروم مجاورة الجار قد يسالم وقد يحارب؛ فلما زالت دولة اليمن وجاءهم الحرب من حيث كانوا يلتمسون العون اضطروا إلى الاستعانة بالروم واستمداد السلطان منهم. ونعلم أن العربى لا يقبل هذا إلا بعد القهر والقسر

وفى بلاد تخوم العراق كان المناذرة ملوك الحيرة وكان لهم اتصال بملوك الفرس من آل ساسان

ونقرأ من أخبارهم أن « يزدجرد » أرسل ولده « بهرام » ليتربى فى بلاط المنذر بالحيرة

وأن « يزدجرد » لما مات ثار الفرس رافضين أن يتولى أحد من أولاده لما كانوا يكرهون من حكمه؛ وأن بهرام استعان بالمنذر وولده النعمان فى جيش قدروه بثلاثين ألفا ومهم مكن من الجلوس على عرش أبيه ، ولا أرى فى هذا صورة التابع الخاضع، وقد كان ذلك سنة ٤٢٠

ولكن فى زمن كسرى أنوشروان نرى المنذر الثالث يتولى السلطان من يد كسرى ، وحكم كسرى من سنة ٥٣١ إلى سنة ٥٧٨ والمنذر قتل فى واقعة محددة التاريخ سنة ٥٥٤ واستمر الأمر على ذلك يولى الفرس حاكم الحيرة من المناذرة ـ وربما ولوه من غيرهم كما ولوا عليها إياس بن قبيصة الطائى

فهذه أسرة يمنية أخرى تبدلت طبيعة اتصالها بجارها بعد أن سقطت دولة اليمن سنة ٥٢٥

وفى داخل الجزيرة كان امرؤ القيس آخر ملوك كندة وقد حاربه المنذر الثالث وحارب أسرته نزاعا على الملك وقتل كثيراً من أمراء كندة صبراً ويبكيهم امرؤ القيس فيقول :

ملوك من بنى حجر بن عمرو	يساقون العشية يقتلونا
فلو فى يوم معركة أصيبوا	ولكن فى ديار بنى مرينا
فلم يغسل جماجمهم بغسل	ولكن فى الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم	وتنتزع الحواجب والعيونا

وإذا كان المنذر يستند إلى سلطان الفرس فإن سبيل امرئ القيس أن يستعين بمنافسيهم الذين ينازعونهم الرغبة فى التسلط على البلاد العربية وهم الروم ويقصد فى ذلك إلى الحارث بن جبلة والحارث كما علمنا ولى من سنة ٥٢٩ إلى سنة ٥٦٩

وهكذا نرى أن ما نكشف من تاريخ الحوادث يؤيد ما بدا لنا من التحديد

فإذا تقرر تحديد العصر الجاهلى على هذا الوجه فتح الباب لدرسه دراسة قوية؛ وكان ما بأيدينا من الشعر المروى مدداً كافياً لتنوير هذا العصر وتوضيحه

فإذا أخذنا قبيلة واحدة مثل قبيلة بكر وهى أخت تغلب وكلتاهما من وائل ـ ووائل فرع من فروع ربيعة

إذا أخذنا هذه القبيلة وجدنا أنا نروى لأكثر من خمسين شاعراً من شعرائها بينهم نحو عشرين يمكن أن يكون شعر الواحد منهم ديوانا؛ وخمسة لهم دواوين مطبوعة متداولة بأيدينا وهم

خطرات وذكريات

في التفاؤل والتشاؤم

للأستاذ منصور جاب الله

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتذمم التشاؤم ويبدى القول ثم يعيده فى تهجينه وتشيينه ، إذ كان الإسلام قريب عهد بالجاهلية، وكان للتفاؤل والتشاؤم دولهما فى تسيير شؤون الناس.

وكان عليه الصلاة والسلام خبيراً بطبائع الناس وأمور معايشهم ، وإذ بصر بالتطير بينهم شائعاً فى الخطب الجسام وفى الأمر الدون نهى عنه وبغضه تبغيضاً شديداً ، حتى لقد قرن التشاؤم بوقوع الشؤم ذهابا مع ما يستشعره الوجدان من خفى النوازع ومتضارب الخوالج ، ثم يكون عليها بعد ذلك من صميم الواقع شهيد

وللرسول الأعظم أحاديث كثيرة فى ذم التشاؤم مبثوثة فى الأسانيد الصحاح ، وإنها لخير مرجع للرائد والباحث فى علوم النفس

ولقد كان للتفاؤل والتشاؤم أثرهما فى حياة الكثيرمن أعيان الأدباء والساسة . وعرف عن ابن الرومى أنه كثير التطير والتوجس فأغرت به هذه الغميزة من الضعف عداته وحساده ، وطوعت لهم أنفسهم أن يتخذوا له من هذه الرذيلة مقتلا يفوقون من خلاله سهام حقدهم وكيدهم ، ويغيظوه ويردوه عن مكاسبه ، فكانوا إذا أرادوا به كيداً أرسلوا إليه من يتطير باسمه ، فظل ارجل نهاره ثاويا فى داره لا يبرحها وحوله أولاد جياع وأ كباد نحن إلى القدر

ولقد انفسحت رقعة الحضارة واستقام ميزانها ، وارتفعت العلوم وانبسط رواقها، وانفتقت الأذهان إلى غايةمداها، ولكن النفوس بقيت مطوية على ما كانت عليه قبل عهد ابن الرومى وقبل أعصار الجاهلية من التطير وعكسه ، والإيمان بهما إيمانا أعمى ليملك على الانسان نفسه من سائر أقطارها

ذلك لأن التفاؤل والتشاؤم منزعان من منازع النفس البشرية جبلت عليهما فأصبحا من تلك المواد التى تتعلق بالفطر والطباع ، وأمسى أمر اكتناههما مما يعى الأفهام ويتهم على العقول. وليس بمكن الوصول إلى تجريد النفس من التطير مما ترى فيه نحسا ولو على سبيل التظنى والتوهم ، إلا إذا يسر النفاذ إلى مداس الخوالج النفسية ، وهان الوصول إلى أعمق ما يتحرك به الحس فى أطواء الروح ، وهذا ولا ريب من بعض المحال ، وهيهات أن يبالغه عقل بحال من الأحوال !

للتفاؤل والتشاؤم دوافع وأسباب قد تتحدر فى أصلابها إلى ما يقترن بالواعية الباطنة ، أو ماوراء الوعى كما يقول علماءالنفس، أو ترتد إلى مراجع أخرى لها مقوماتها فى علم النفس التجريبى ، وهذا مالا نجرؤ على القول فيه فى كثير ولا فى قليل لئلا يزل القلم ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه

وواقع الأمر أن المرء ما يستطيع مدافعة التطير يوحى من عقله الواعى إلا على مضاضة وتعلل وبرم ، كذلك الإنسان إذا عراه ما يضحك فلابد له من الاستضحاك ، أو دهاه ما يبكى فلا عليه من الاستعبار . وإذا هو كبح حبوره كبحا ، أو كبت نشيجه كبتا فهو معانى الأمرين بغير مشاحة . وكثير من الناس يتطيرون ويسرفون فى الطيرة ويحسبون أنهم مانعهم تشاؤمهم من وقوع الشؤم وهو لا يغنى عنه شيئا . وفى التطير ما فيه من الثورة بالقدر والاعتراض غير المجدى على حكمة الخالق ، وتنشئ ما قضى به جل وعلا . ولعل هذا المعنى هو ما قصد إليه سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام

عمرو بن قميئة وطرفة بن العبد والخرنق أخته والمتلمس والأعشى

وهو قدر كفيل أن يهدينا إلى معرفة واضحة لأحوال تلك القبيلة

فإذا درست على هذا النمط كل قبيلة وتضامت أخبار القبائل ووضح بعضها بعضا أمكن أن يكون بأيدينا تاريخ لهذا العصر أوضح وأصح وأثبت من هذه الروايات المبعثرة المشوبة بكثير من الخيال والمبالغة

ابراهيم مصطفى

والتفاؤل هو الجانب الإيجابى الآخر ، ولا يذهب فى الضرر البالغ مذهب التشاؤم إلا إذا أسرف فيه إلى حد يصيره إلى غاية الهوس أو الركون إلى الحياة الرتيبة الكسلى ، أو التسليم بالأمر الواقع تسليما يؤدى بالمجتمع إلى التداعى والخور ، وعلى أى الحالين واجب الإنسان أن يكون قواما بين التفاؤل والتشاؤم، وعدلا بينهما ومقسطا ، فلا يسرف فى جانب ولا يقتر فى جانب ، وإلا فالضرر واقع لا محالة

* * *

وليس ما تقدم به الكلام تمهيداً بين يدى بحث علمى فالنا فى هذا المجال يدان ، وإنما هو تقدمة لبعض ما يتصل بموضوع التفاؤل والتشاؤم ، فلقد عبرت بى حوادث جمة فى هذا السياق ، عفى الزمان على الكثير منها وبقى فى لوحة الذاكرة نزر يسير . وما أنس لا أنس حادثين وقعا لى مع بعض أصدقائى فى زمنين متفاوتين ، وكان فى نفسى منهما أثران قويان ، أحدهما إيجابى والآخر يميل إلى الجانب السالب ، وإنى لمثبتهما فيما يجئ من السطور

فى إحدى غدواتى إلى القاهرة ثويت إلى متجر صديق لى ، حائك ثياب ، وما اقتعدت ببابه حتى أقبل على بعد ديباجة من التحية بألوان من الشكاية والضجر ، ذلك لأنه قد جازت به طائفة من الزمن ويداه صفر من المال ، وبضاعته المزجاة قد ضربتها السوق بالبوار ، فتبطلت أنامله عن لفق الثوب وتخيط الدثار

وطفق يحدثنى صاحبى عن مضانكه التى يلقاها فى حياته وخصاصة موارده وجحف مكاسبه فى أسلوب يستستقطر العبرات الفوالى ، حتى لقد ذهب إلى أنه لا ينصرف ذلك النهار ويتقدم مساؤه إلا وقد أتى الله على بنيان متجره من القواعد ، أو أتى هو على مصاريعه الواحد تلو الآخر وتركه على عروشه خاويا ، وزين لى أن لو قد خرجت من يد وجدت عليه من وفاضى الخاوى بجزء من عشرة من الدانق لتقبله مغتبطا عطاء غير مردود ولا ممنون !

وإذ هو سادر فى شكايته ، وأنا أصيخ إليه السمع متوجساً مستريبا على تكره واستثقال ، هبط علينا فتى أمرد تأخذه العين تبدو عليه أمارات النعمة ، ويبين النبل فى أطرافه ، ويضوع الطيب من أردانه وأعطافه، فسلم ثم سلم على غيرسابق استعراف، وجئ له بكرسى استوى عليه فى استحياء الشباب ، ثم أراد أن يبلغ الغاية من مبغاه ، فذكر فى صوت لا يكاد يبين أنه نازح عن هذه الديار فتوجه تلقاء باريس فى طلب أواسط العلم وأعاليه ، وهذا ما قصد من أجله صاحبى الحائك ، فهو يروم تجهيز أربعة أثواب على الأنماط الفرنجية ، وراح يشرح فى أسهاب فنى لا يمت إلى علمه ، بصلة ، فهذا على صفة كيت وكيت ، وهذا على هيئة ذيت وذيت ، وهذا من الطراز الفلانى ، وهذا حسب النموذج الملانى، وهكذا حتى استوفى بيانه الشافى وضرب موعداً لانتجاز طلبته لا يزيد على أسبوعين

وبعد ما عاين صديقى الحائك جسد الفتى وسمته وقاسه من قدام ومن خلف ، ومن يمين ومن شمال ، تقدم إليه بالحساب الدقيق عن الأجر الذى يقتضيه لقاء صنعته ،وبما يستلحقها،وعند هذا الحد رأيت الشاب ينتزع حافظة نقوده من جيبه كلمح البصر ، وينقد الحائك جملة من الدنانير خفى على عديدها ، وإن لم يخف على ما أحدثت فى نفس صاحبى من أثر إيجابى ما يقوى على وصفه حجر ولا يراع ، فانبسطت غضون وجهه والتمعت حدقتاه ، وطار به الجذل أى مطار

وما إن انصرف الشاب حتى نظر إلى صاحبى نظرة جمعت له الزمان كله ، وكان أن هم بمعانقى وكأن به جنة أو عراه هوس ، ولكنه عاد يشرح لى مقدار تفاؤله بمقدمى إذ يسر له الأمر ، وتفرج الكرب ، وعلم الله ما كنت سببا فى شئ مما حدث ،وإن كان مدعاة لسرورى أن أرى صديقا لى أثيراً عندى يزيح الله همه ويرزقه من حيث لا يحتسب

ولا يغنى اعتذارى عنى شيئا ، ولا ارتباطى بموعد استبق هذه الزورة وعسير الفكاك منه ، أن أمسى ضيفا عنده ، وكان أن ذبح لى دجاجة ليس كمثلها فى الدجاج ! وقمت عليها فطويتها وملحقاتها من المرق والإدام ، حتى لحقنى البشم وعييت عن التنفس والكلام !

من يوم هذه الواقعة أضحيت أثيراً عند صديقي الحانك، وزاد في إعزازي عن ذي قبل، فكان يجد في تعقبي كلما أطلت الغياب، ويترصد مظاني كنت حيث كنت، ورأيت هذا منه فأبيت إلا ادلالا عليه، لأعرف منزلتي عنده، فكنت أشيح عنه كلما رأيته، وأفر منه كلما رآني. وإن يشهد مني ذلك يستضحك كثيراً ويصيح لي: أيها الخبيث المكار! وظلت هذه حالي معه حتى حالت بيني وبينه ظروف المكان، فنزحت الدار وشط المزار، وإني اليوم وإن كنت أستحس برحاء الألم لفراق ذياك الصديق مابرحت أجد في جوانب نفسي أثارة حلوة من بعض هذي الذكريات العذاب

* * *

كان بيني وبين صديقي « فلان » ظل من الصداقة ممدود، فكنا لا نفترق إلا على ميعاد من لقاء، ما يكف أحدنا عن ازديار الآخر مهما يجيء به الظروف، وحيث كنت وحيث كان وانطوت على هذا الحب البريء جملة من الزمن وهو لا يزداد إلا ينعاً وإيراقاً وازدهاراً، ذلك إلى ما بيني وبينه من المصالح المتبادلة من أخذ وعطاء

كان صاحبي هذا لا يسافر إلا وأنا له مودع، ولا يؤوب إلا وأنا له مستقبل؛ وما كان يطوي عني شيئاً مما يختلج في قرارة نفسه من أمر. وهكذا كان شأني معه. فلما قضى الأمر وأريد له أن يبرح المدينة إلى الأقاليم ليقوم على أعماله المتشعبة، لحقني من الحزن على فراقه ما يتقاصر اليراع عن إثباته. بكى يومها وبكيت أنا لمضاضة الافتراق، وكان بيننا ميثاق غليظ على التوافي والادكار. وقد بر بقسمه فلا يستدبر الأسبوع حتى يبرد إلى الكتاب والكتابين، وما كانت كتبه تحوي إلا كل لفظ جميل يدل على معنى جميل يكون له في نفسي وقع جميل

ولحقتني في أحد الأعوام شكاة أزمنت معي وتطاولت مدتها حتى استيقنت أني في غابها مستأثر بي الله أن حان حيني، ووالله ما آسف على شيء مما حولي فما خلقت من سبد ولا لبد، ولا مال عندي ولا ولد، ويحضرني اسم هذا الصديق فأستشعر المرارة لفراقه وأكتب إليه رسالة تفيض بمعاني الوجيعة وبرحاء الألم، راجيا أن يذكرني في نفسه فيمن يذكر من الصحب والصدقان. وإنه ليطالع كتابي فتفيض شجونه ويهبط الإسكندرية ليلا ثم يوفض إلى بيتي على غير موعد، ويراني في فراشي مسهداً تمرقني الحمى فيبكي ويستعبر، ويذكر أيامنا الحلوة التي طويناها في صداقة لا يزيدها اطراد الزمان إلا استحكاما

ويشاء الله العلي القدير أن أبل من مرضي، فنعود إلى ما كنا فيه من تراسل وتزاور بين حين وحين

كان بعد ذلك أن بعثت إليه أوصيه بأمر عينته له، هو من بعض شأني، فأبطأ علي في الجواب حتى تداخلني الريب. وما هي إلا أيام حتى تلقيت منه كتابا ينعى إلي فيه والده، وكان البقية الباقية من أصوله، فوقع مني النبأ وقع الصاعقة على الهشيم، ثم حوقلت واسترجعت وأرسلت إليه أعزيه معتذراً عما فرط مني قبل هذا

وعادت الأمور بيننا إلى مجاريها، وكنت كلما رأيت من صاحبي فتوراً عن ذي قبل صرفت الأمر عن جهته، وعدلت به إلى ما هو الأكرم بي وبه، وغدوت أبعث إليه بالرسائل فلا يجيب، وإذا ما تعجلته في أمر من الأمور، ادكر بعد أمة، وإذ ذاك أدركت أن الرجل تشاءم من رسائلي أو على الصحيح تشاءم بي

ويشاء القدر أن أرسل إليه كتابا أوصيه فيه بشخص أثير عندي، وأعلم بعد يوم أو يومين أنه احتسب طفلا له

لقد كان وقع المصاب عندي ما يكاد يحتمل، حتى خيل إلي أن الولد ولدي وأن الفجيعة فجيعتي، وبكيت مريرا ثم عزيته عزاء جميلا، وأنا أدرك أن منزلتي عنده قد هبطت وأني صرت حياله لا صديقا ولا شبه صديق

وهبط الإسكندرية في صيف من الأصياف ليقضي أياما دون أن يبلغني بأوبته، وأستقصي عنه في جميع منازله فلا أدركه، وأراه يوما ساعة الأصيل في مشرب من المشارب العامة فلا يكاد يبصر بي من بعيد حتى يتطاير عن المائدة، ويفر إلى داخل المقهى كأنما كنت غولا لاهم « إلا افتراس الأناسي!

لقد لحقني الإشفاق على الرجل وتألمت أشد الألم لذهاب صداقة مكينة كنت أعتز بها جد الاعتزاز. وعلمت فيما علمت أن للتشاؤم أثره في حياة الأفراد، وأنه قد يذهب بالصداقة الصدوق وما يستلحقها من مصالح وأعمال.

منصور جاب الله

صور من الحياة

سماوية ...
... وأرضية

كلا إن الإنسان ليطغي ، أن رءاه استغنى
(قرآن كريم)

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا أيها الجبار ، خفف الوطء فما أنت سوى ثرى يمشي على ثرى ، وما هذا اللقب الذى تفخر به سوى سيما الذل والضعة انسمت بها لأنك تعبدت - فى غير رجولة - لرجل من الناس ، وما هذا المال الذى تعتز به سوى لعنات الفقير تنصب عليك أبداً لأنك استلبته فى غير شفقة - من مساك الروح !

يا أيها الجبار ، لقد عميت فجذبك الثرى الأرضى إليه لتكون أرضيا فى نوازعك تردغ فى الوحل ، واطردك روحانية السماء من نورها ومن رحمتها فى وقت معاً !

هذا صاحبي رجل فيه الرجولة والإنسانية ، وفيه الكرامة والترفع ، وفيه الإباء والإيمان ؛ فهو قد شب ونما واشتد غرسه فى ظلام القرية ، وترعرع واستد رأيه فى كنف الدين . وهو من بيت فيه القناعة والرضا ، يسمو عن النوازع الوضيعة بالقناعة ويتنسم روح الجنة فى الرضا ، لا تشغله حاجات العيش عن معانى المسجد ، ولا تصرفه صوارف الحياة عن نور اليقين . والحياة فى أعماق القرية لا تدفع إلى طمع ولا تغرى بجشع ؛ فاطمأن صاحبي إلى رزق ضيق وإيمان واسع ، وهدأ إلى بيت خاو وقلب عامر ؛ وانطوت الأيام . . .

وأحس صاحبي بدوم الشباب الحار يتدفق فى عروقه ويفور ، فانطلق إلى فتاة من ذوى قرابته يخطبها لنفسه فما رفض أبوها ولا تعنت أمها ، فإذا هو زوج إلى جانب زوجة رقيقة طيعة . وراح الرجل - كدأ به أبداً - يتسلل من الدار كل صباح - لدى الفجر - إلى الجامع يبتغى أن يتجرد ساعة من أرضيته الثقيلة لتحلق روحه الطاهرة - حيناً - فى صفاء السماء تطلب الهدوء والسكينة ، وتسأل العطف الإلهى الذى يتراءى لها فى صورة طفل يملأ الدار مرحاً وبهجة ويفعم القلب فرحاً وسروراً . وانتظر الرجل الهبة الإلهية طويلا ... انتظر طويلا فى غير جدوى

ولم يستطع الشيطان أن يتسرب إلى قلب الرجل الورع فينفث فيه الأسى واليأس ، أو يوسوس له بالشر لأنه لم يرزق طفلا ، فصبر ... صبر والزوجة البائسة تحس خواطر قلب زوجها فتتقلب - فى صمت - على جمرات من الضيق لأنها تخشى ثورة الرجل الذى أكرمها عاقراً سبع سنوات عجاف . وبدأت نفسها تتفلسف فلسفة الفلاح حين يمسك بالفأس ليجتث أصول الشجرة التى لا تفىء بالظل ولا تؤتى الأكل ، فاضطربت وطار عنها القرار لأنها تضن بالحياة الناعمة التى تسعد بها أن تتكفأ فتستحيل جحيما أو أن تنفصم عروقها ؛ وتضن بهذه الشمس المشرقة فى أرجاء الدار أن تغيب فى غمرات اليأس ، وتضن بهذا الرجل الطيب أن يحور وحشاً يفترس ... يفترسها هى فى غير ذنب ولا جريرة ؛ فانضمت على أسى وضيق ، ولكنها توجهت بقلبها إلى السماء

وعلى حين فجأة أثمرت الشجرة التى أقفرت عمراً طويلا فأضاء وجه الرجل لمقدم الطفلة وأشرق النور فى جنبات قلبه ، وأضاء وجه المرأة وهدأت جائشتها ؛ واستحالت حال الدار فأفعمها البشر وفاض بها السرور . وترقرق الأمل فى عصب الرجل ونبضت الهمة فى قوته ، فانطلق إلى الحقل يحدوه الرجاء ويدفعه الأمل فأصاب مالا على حين لم يغفل نزعات روحه السماوية

ودرجت الطفلة وشبت ، وإلى جانبها قلب أبيها يفيض بالحنان والرقة ، ويده تفيض بالكرم والسخاء ؛ وهو فى عمله يستنفد وسع الطاقة فى جد ، ويبذل غاية الجهد فى رضا ، ومرت الأيام فى هدوء رتيب يدفع الصبية إلى الصحة والنشاط إلى أن بلغت سن الشباب والأنوثة

وفى ذات صباح - وعلى حين غفلة من أهلها - هبت الفتاة لترى الداء يتسرب إلى رقبتها فتتورم ، ورأت الأم ورأى الأب ، فأصابهما الفزع . وطار الأب فى - فى ذعر - إلى حلاق الصحة ... وحلاق الصحة فى القرية رجل فرض نفسه ليكون

طبيبا، يصف الداء ويشرف على العلاج، فهو يعبث بالمرضى كيف يشاء والحكومة فى عمى عن أمره، ويستنزف الصحة والمال، لا يجد رادعا من نفسه ولا يحس غلظة من قانون

وجاء حلاق الصحة يداوى علة الفتاة على طريقته التى تتخبط فى متاهات الجهل، ولكن الداء تأبى عليه فما أجدت حيلته ولا أصاب رأيه

وأصاب الأب الهموم والضيق مما تلقى فتاته. فهو لا يرى إلا كاسف البال. مقطب الجبين. مضطرب الخاطر

ونفد صبر الرجل من طول ما عانت ابنته فجلس إلى الحلاق يستوضحه خبر المرض الذى عز دواؤه، ويسأله النصيحة الخالصة بعد أن أجزل له العطاء، فقال الحلاق « إن فى القاهرة طبيبا كبيرا هو سعادة فلان يستطيع أن يحتال للأمر بحيلته وبراعته وعلمه، فاذهب إليه علك تجد عنده شفاء ابنتك »

فقال الرجل « وماذا عسى أن يطلب منى أجر هذا العلاج »

قال الحلاق « أظنه لا يقنع بأقل من عشرة جنيهات »

وانطلق الأب من فوره يهيئ الجنيهات التى يطمع أن يشترى بها صحة وحيدته فما أسفر الصبح حتى كان يصحب ابنته فى طريقهما إلى القاهرة يريد أن يمسح عن الفتاة قسوة الداء، وأن ينفض عن قلبه لفحة الحيرة

وطرق الرجل باب صاحب السعادة الطبيب الكبير فانفتح له، ووقف الرجل المسكين أمام الطبيب الثرى يشرح له عمر الداء ويتحدث عن لوعته وفزعه، فى صوت يبكى بكاء الأب الملتاع يترجى وحيدته وفى خياله أنه يوشك أن يفقدها وهى بسمة الأمل فى ظلمات الحياة. ونور القلب فى مضلات العمر. وسمع الطبيب خفقات قلب الرجل وهو ينفض ذات نفسه فى ذلة وانكسار فما اهتز له ولا رق؛ ثم شمخ بأنفه فى صلف وكبرياء وهو يقول « هذه العملية لا أرضى فيها بأقل من خمسين جنيها »

ودوت الكلمات فى أذنى الرجل الريفى الساذج فارتعدت لها نفسه ومادت به الأرض من هول ما سمع. وذهب يحدث نفسه « خمسين جنيها؟ خمسين جنيها كاملة ينالها رجل من الناس أجر ما يضع المشرط ثم يرفعه؟ هذا ظلم وتعسف وجور ... » ثم صحا الرجل من ذهوله ونظر إلى الطبيب يحدثه فى تضرع وخضوع « ياسيدى، إن ابنتى هذه هى وحيدتى التى أرجاها، وهى أمنية العمر وأمل الحياة، ولقد جاءت فى جدب السنين وفقرها لتبذر فى غراس الأمل والنشاط، واندفع عنى عنت اليأس والضيق، وأنا رجل فقير لا أملك سوى عشرة جنيهات هى لك كلها »

فابتسم الطبيب الكبير فى سخرية وهو يقول « كلها؟ كلها؟ »

وفهم الرجل الطيب من الكلمات غير ما يبطن الطبيب، فقال « نعم، يا سيدى، كلها » وسخر الطبيب من عقل الرجل الريفى مرة ومرة ثم سخر مرة أخرى من المبلغ التافه الضئيل الذى يقدمه الرجل، سخر من هذا المبلغ وهو فى نظر الفلاح شىء كبير لأنه يسد الخلة شهورا وشهورا ... سخر الطبيب من الرجل ومن المبلغ ثم قال فى جد « لا أقل من خمسين جنيها » وألح الرجل يتوسل فى أسلوبه الريفى على حين قد أوصد الطبيب قلبه عن لوعة الأب، ثم اندفع يهر فى الرجل هريرا منكرا وهو يقول « نحن هنا لا نتصدق! نحن هنا لا نتصدق أيها الجلف! اخرج، اخرج فقد أضعت وقتى وجهدى سدى » وخرج الرجل من لدن الطبيب العظيم وقد انكسر خاطره وذوى أمله وتحطم قلبه. خرج وما فى مسمعيه سوى صرخات الطبيب العظيم وهو يعوى عواء منكرا « نحن هنا لا نتصدق ... نحن هنا لا نتصدق »

وعجب الرجل أن يكون فى الدنيا رجل أرضى يتحدى بأرضيته الوضيعة. روحانية السماء السامية. فرفع بصره صوب السماء يدعو « إنك أنت، يا إلهى، الذى تتصدق علينا جميعا »

وضاقت الأرض فى عينى الرجل فلم يجد سعة إلا فى المسجد، فى المكان الذى يمسح عن نفس المرء خبث الأرض. وجلس هناك يستجدى ندى السماء حين أغلقت فى ناظريه أبواب الأرض. جلس وإلى جانبه ابنته تعانى شدة الضنى ونهكة المرض ووعثاء السفر فأخذتها سنة من النوم، واندفع هو فى تضرعه حتى أرهقته النصب فاستسلم هو أيضا للكرى

ورفت عليهما الرحمة الالهية تهدهد من أشجانهما ومن آلامهما

وفزعت الفتاة من أحلامها - بعد لحظة - تتلمس موضع الورم من رقبتها فإذا هو ينفض ما فيه من دم وقيح، وأسرعت إلى أبيها توقظه ليمسح عن الجرح ما سال منه وقد سكن الورم

يزيد بن المهلب

للاستاذ حمدى الحسينى

للمهلب بن أبى صفرة أبناء نجباء كرماء شجعان غزاة فاتحون قد أجمع المؤرخون على أنه لم يكن فى دولة بنى أمية أكرم منهم : وكان لهم فى الشجاعة مواقف مشهورة مشكورة . ذكر آل المهلب فى مجلس عبد الرحمن بن الأشعث بسوء فقال حريس بن هلال القريعى : والله ما أعلم أحداً أصون لنفسه عند الرخاء ولا أبذل لها فى الشدة منهم

وقدم عبد الرحمن بن سليم الكلبى على المهلب فرآى بنيه قد ركبوا عن آخرهم فقال :

آنس الله الإسلام بتلاحقكم. أما والله لئن لم تكونوا أسباط بنوة فإنكم لأسباط ملحمة . وكان عمر بن عبد العزيز يقول : آل المهلب جبابرة لا أحب مثلهم.ووفد مالك بن بشير على الحجاج فسأله عن ولد المهلب فقال هم رعاة الباب حتى يأمنوا، وحماة السرح حتى يردوه، قال أيهم أفضل قال ذاك إلى أبيهم . هم كالحلقة المفرغة لا يعلم طرفاها

أجل لقد أصاب مالك بن بشير فى أن أبناء المهلب كالحلقة المفرغة . وفى أن أباهم هو الذى يعرف طرفى الحلقة ويميز بين أقدارهم ويفضل بعضهم على بعض . وها نحن نراه يعلن هذه المعرفة وهذا التفضيل فى وصيته لأبنائه يقول لهم والسرور يملأ نفسه : قد استخلفت عليكم يزيد ، وجعلت حبيباً على الجند حتى يقدم بهم على يزيد . فلا تخالفوا يزيد . فيجيبه المفضل لو لم تقدمه لقدمناه

فمن يزيد بن المهلب أحدثكم هذه المرة فأجلو أمامكم شخصيته القوية جلاء ترون فيه ألواناً زاهية ساحرة من العظمة، وأشكالا جميلة فاتنة من العبقرية، وضروباً نادرة المثال فى البطولة والشجاعة

ولد يزيد بن المهلب فى ساحات الحروب فاكتحلت عيناه بغبار المعارك، وتضمخ جسمه بعبير الكر والإقدام، وملأت سمعه قعقعة السلاح والركاب ، وصبت فى نفسه أخبار الحروب والقتال، وهزت روحه نغمات النصر وأناشيد الظفر فنشأ على ظهور الخيل فى ساحات الفر . وبين صفوف الأبطال فى ميادين النضال .

قاتل يزيد بن المهلب الخوارج مع أبيه فكان له فى قتالهم مواقف بطولة أكسبته الثقة وخلعت عليه المهابة وجلال القدر مما جعل أباه المهلب يعتمد عليه فيوليه القيادة فى أدق المواقف وأخطر الساعات، ويوليه الإدارة فى أوسع الأقطار وأغنى الأمصار.

وما إن تولى يزيد بن المهلب على خراسان بعد أبيه حتى كتب للحجاج بتوليته عليها حسب وصية المهلب فما وسع الحجاج ولا وسع عبد الملك إلا أن يحترم وصية المهلب فى استخلاف يزيد على خراسان ، وإلا أن يحترما إرادة يزيد نفسه فى الولاية عليها فأقرا يزيد بن المهلب على خراسان فأصبح والياً على هذا القطر الإسلامى العظيم بموقعه العسكرى بالنسبة لحركة الفتح الإسلامى؛ وبخراجه الضخم بالنسبة لميزانية الدولة الأموية

أقام يزيد على ولاية خراسان ثلاث سنين كان خلالها السيد المطلق والحاكم الذى لا ترد له إرادة ، ولكنه لم يستسلم للراحة ولم ينغمس فى النعيم، بل ظل كرأس الحية النضناض لا يرى مجالا تظهر فيه البطولة إلا رمى بنفسه فيه فكان البطل الذى لا يغلب ؛ ولا يحس بظرف تبرز فيه المكارم إلا برز فيه فكان الكريم الذى لا يجارى والعظيم الذى لا يشق له غبار

أراد رجال عبد الرحمن بن الأشعث الثائر على الحجاج والدولة الأموية أن يجعلوا خراسان ملجأ لهم وموضعا لحركاتهم الثورية ، فقال لهم عبد الرحمن : على خراسان يزيد بن المهلب وهو شاب شجاع صارم وليس بتارك لكم سلطانه، ولو دخلتموها وجدتمو

ياعجبا ! لقد انفتحت أبواب السماء لدعاء الأب المسكين فجاء الشرط الإلهى يبرئ سقم الفتاة التى ضن عليها الطبيب الأرضى بعشرطه إلا أن رهق الأب بالمال الذى لا يجد إليه سبيلا . وسمت سماوية الرجل الصالح على أرضية الطبيب الشره فمحقتها ، فارتدت الفتاة - فى لمحة واحدة - تحس الراحة والهدوء والصحة

فيا لسماوية السماء ... يا لسماوية السماء !

كامل محمود حبيب

إليكم سريعا. ولكنهم دخلوا خراسان فوجدوا يزيد إليهم سريعا ضربهم فى وجوههم ففروا أمامه مقهورين ورجع غانما ظافرا

وما كاد يفرغ من الضربات الباطشة التى أوقعها على رؤوس الثوار حتى انقض على قلعة عظيمة من قلاع ملوك الترك تسمى قلعة نيزك ففتحها فكان فى فتحها لغزاة المسلمين خير كثير. ولكن هيهات أن يتسع صدر الحجاج لمثل يزيد بن المهلب فى عقله وتدبيره وهمته وبطولته وعزته ومنعته وقوته وسلطانه. فقد تنكر له الحجاج فاستدعاه للعراق فأشار عليه بعض خاصته بعدم الذهاب إليه فقال له: نحن آل بيت بورك لنا فى الطاعة وأنا أكره المعصية والخلاف. وذهب إلى الحجاج فقبض عليه وأودعه السجن وأسرف فى تعذيبه حتى هيأ الله له أن يخرج من السجن بأعجوبة فذهب إلى سليمان بن عبد الملك وهو فى الرملة البيضاء، وطلب منه التوسط له عند أخيه الوليد ففعل وظل يزيد عند سليمان بن عبد الملك فى الرملة حتى آلت الخلافة إليه فولاه على العراق بعد وفاة الحجاج، فكره يزيد أن يظل على هذا القطر المتعب المنهوك فنقله سليمان إلى خراسان ذلك القطر الحبيب إلى نفسه العزيز عليه وعلى آل المهلب جميعاً. فعاد يزيد إلى خراسان وقضى فيها ثلاث سنوات فتح خلالها جرجان وطبرستان. ولكن موت سليمان قطع على يزيد طريق الفتح والتقدم فقبض عليه عمر بن عبد العزيز لأنه كان يكره آل المهلب لأنهم جبابرة. وأودعه السجن، فظل يزيد بن المهلب فى السجن حتى توفى عمر، ففر يزيد خوفا على حياته من يزيد بن عبد الملك وتوجه إلى البصرة وهناك كشر ليزيد بن عبد الملك عن نابه وخلعه ورام الخلافة لنفسه فبايعه الناس على كتاب الله وسنة رسوله، ولكن يزيد بن عبد الملك أرسل إليه أخاه مسلمة فى جيش عظيم فاستقبله يزيد بن المهلب وقاتله قتالا شديداً، فلما استمر القتل بين الفريقين تفرق أصحاب يزيد فقيل له قد انهزم الناس، فقال مم انهزموا؟ فقيل له أحرق الجسر فلم يلبث أحد، فقال قبحهم الله. بق دخن عليه فطار. وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار وجاء من أخبره أيضاً أن أخاه حبيباً قد قتل، فقال لا خير فى العيش بعد حبيب قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة فو الله ما ازددت لها إلا بغضا. امضوا قدما. قال أصحابه إن الرجل قد استقتل. مضى يزيد فى قتال أعدائه وصار كلما مر بخيل كشفها. جاءه أحد أصحابه وهو فى تلك الساعة الرهيبة والسيف فى يده يقطر دما وقال له: قد ذهب الناس فهل لك أن تنصرف. فقال له يزيد قبح الله رأيك، إلى تقول؟! إذاً الموت أيسر على من ذلك. فقال له إنى أخاف عليك. أما ترى حولك من جبال الحديد. مشيراً إلى جيش مسلمة فقال. أفأنا أباليها جبال حديد كانت أم جبال نار؟ اذهب عنا إن كنت لا تريد قتالا معنا. وأقبل يزيد على مسلمة لا يريد غيره حتى إذا دنا منه عصفت عليه خيول أهل الشام فخر صريعا

وقد كان فوت الموت سهلا فرده	إليه الحفاظ المر والخلق الوعر
ونفس تعاف العار حتى كأنه	هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر
فأثبت فى مستنقع الموت رجله	وقال لها من تحت أخمصك الحشر

حمل رأس البطل القتيل إلى عدوه ووضع بين يديه؛ فأراد أحدهم أن ينتقص البطل حينذاك، فقال له يزيد بن عبد الملك: مه، إن يزيد بن المهلب طلب جسيما وركب عظيما ومات كريما

محمدى الحسينى



الضوء لغز الطبيعة

للأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب

لعل الضوء أهم العوامل التي تزيد معلوماتنا عن العالم الخارجي. فالعوامل الأخرى كالأصوات والروائح وغيرها تدلنا على القليل إذا ما قورنت بالضوء . لأن أغلب معلوماتنا تأتي نتيجة لمشاهداتنا البصرية . فما الذي نعرفه عن الضوء ، ذلك الذي لا تعتمد عليه معلوماتنا فحسب ، بل تعتمد عليه أيضا حياتنا وكياننا ؟

كان بعض فلاسفة اليونان الأقدمين يقولون إن الضوء يرحل في خطوط مستقيمة يبعد الخط الواحد عن الآخر . ولهذا كانوا يعزون عجزهم عن رؤية شيء صغير راقد تحت أنوفهم كإبرة مثلا إلى أنهما موضوعة بين خطين من الخيوط الضوئية . فقد كانوا يجهلون إذ ذاك وجود النقطة العمياء في العين ، ويظنون أن أشعة الضوء تصدر من العين ، لأنها لو كانت صادرة من الإبرة لشاهدوها دائما

ولقد قال بعض مفكري المدرسة الأفلاطونية في ذلك الوقت إن الإبصار ناشئ عن ذريرات تندفع من الأشياء المضيئة وتصل إلى إنسان العين فتؤدي إلى الرؤية . وهذا قول أقرب إلى الصحة من القول السابق . ومع ذلك فلم يقبله الرأي العام إلا في القرن الحادي عشر

النظرية الذرية :

لقد صرح السير إسحاق نيوتن بأن الضوء ناشئ من تيار من الدقائق الصغيرة اللامتناهية في العدد ، تنبعث من الجسم المضيء في كل اتجاه وفي خطوط مستقيمة . وافترض أن هذه الدقائق تستطيع اختراق الأجسام الشفافة ، فإذا ما اصطدمت بعدسة العين نتج الإحساس بالرؤية . ولذلك سميت نظريته بنظرية الانبعاث Emis iou Theory أو نظرية الضوء الذرية The Corpuscular Theory of light

وقد فسرت هذه النظرية الكثير مما يمت للضوء بصلة واعتبرت لأمد طويل نظرية موفقة

نظرية الموجة :

أجمع العلماء إذن على أن الضوء آت من الأجسام المضيئة ، وأصبحوا لا يشكون في أنه يتركب من دقائق صغيرة تندفع من الجسم المضيء

ثم أقبل القرن التاسع عشر ، فافترض العلماء أن الضوء حركة تموجية في الأثير ، وسميت هذه النظرية بالنظرية الموجية

بيد أننا في عصرنا هذا لا نعتقد في وجود الأثير الذي أسرف علماء القرن التاسع عشر في الاعتماد على فرضه . فالوسط الواسع الذي يملأ رحاب الفضاء ، ذلك الوسط المهتز المتغلغل في المادة جميعها ، ليس له مكان في العالم الذي أوجده آينشتاين ، فضلا عن أننا لسنا في ثقة من معرفتنا الفرق بين الدقيقة والموجة . فنحن نشاهد في معاملنا الحديثة دقائق تفعل فعل الموجات ، وموجات تتصرف تصرف الدقائق : والضوء يحذو حذو الدقائق والموجات. فهناك ثمة ظواهر تتصل بالضوء لا يمكن تفسيرها إلا بقاعدة الموجة ، وهناك ظواهر أخرى تفسرها النظرية الذرية . والواقع أنه بكشف الأشعة السينية وغيرها من الأشعة الخفية استطاع العلماء تسجيل ظواهر يبدو أنها في حاجة إلى كلتا النظريتين حتى تتطابق الحقائق . وهذا هو الوضع الغريب للضوء في علم الطبيعة اليوم . ولذلك فالضوء أكثر غموضا في الوقت الحاضر مما كان عليه منذ قرون مضت . وما البحث النظري الحاضر في « آلية الموجة » إلا محاولة من المحاولات للعثور على معادلة تحل هذا الوضع

ويعتقد العلماء الآن أن الضوء يدين بأصله إلى الكترونات الذرة ، ولها شرح مستفاض في نظرية الكم (Quantom) التي تفسر أيضا امتصاص الضوء ، ولاسيما انبعاث الالكترونات من الأسطح المعدنية المضاءة

سرعة الضوء :

ومع اختلاف الآراء في ماهية الضوء فإننا نعرف عنه في الوقت الحاضر الشيء الكثير . فنحن نعرف مثلا أن الضوء يستغرق زمنا لرحيله من مكان إلى مكان وهذه أغرب ظاهرة في تاريخ العلم . إن مجرد تأمل هذه الحقيقة يبدو كأنه خيال محض . فقد اعتدنا أن نعزو الإبصار إلى أنه مجرد موهبة . فإننا نفتح أعيننا ، فإذا ما كان هناك ضوء أبصرنا الأشياء . ويبدو هذا طبيعيا تماما . فمن ذا الذي يخطر على باله أن الضوء يأخذ وقتا في قطعه مسافة ما ؟

كان أول من فكر في ذلك الأمر الفلكي الهولندي أولاوس ريمر في عام ١٦٧٦ . فقد لاحظ في أثناء مراقبته المشتري وأقماره الأربعة [١] التي تدور حوله أنه عندما يمر أحد هذه الأقمار خلف المشتري تأتي لحظة يختفي فيها القمر عنا ، وهي اللحظة التي يستغرقها القمر في الاختفاء ثم الظهور مرة أخرى حتى يقطع جزءا من رحلته خلف السيار : ولاحظ ريمر أن مدى هذه اللحظة متغير ، وأن الزمن يطول عندما تتحرك الأرض مبتعدة عن المشتري ، ويقصر عندما تقترب منه ، وأن هذا التغيير متمدد نظرا لأن المشتري والأرض يتحركان حول الشمس بسرعتين متغايرتين . فسأل نفسه : لماذا تبدو هذه النجوم الراحلة بسرعة ثابتة كما لو أنها تمكث خلف المشتري مددا مختلفة ؟ وكان هذا السؤال هو الذي ولد في عقل ريمر تلك الفكرة العجيبة في أن الضوء يستغرق زمنا أثناء رحيله . لأنه إذا كان الضوء القادم من أقمار المشتري لا يصلنا في التو واللحظة فذلك مرجعه إلى أن الضوء يقطع وقتا حتى يدرك الأرض المدبرة عن المشتري أطول من الوقت الذي يقطعه ليقابل الأرض المقبلة على النجم . وقد استطاع ريمر بقياس الفرق بين الأزمنة المختلفة أن يحسب سرعة الضوء ، فوجدها أقصى سرعة في الوجود . وقد استطاع علماء العصر الحديث أن يقيسوا هذه السرعة مباشرة وهي ١٨٦٫٠٠٠ ميل في الثانية . إن أسرع رصاصة تبدو وكأنها لا تتحرك إذا ما قورنت سرعتها بسرعة شعاعة ضوئية . ومع ذلك فنحن نعرف ذرات (دقائق) تتحرك بسرعة تقرب من سرعة الضوء فبعض دقائق الكهرباء المنقذفة من ارادبوم (أشعة بيتا) تصل سرعتها إلى أكثر من ٩٩ ٪ من سرعة الضوء مثل هذه الدقائق تستطيع أن تدور حول خط الاستواء سبع مرات في الثانية

السرعة الحرجة :

وصفوة القول أن سرعة الضوء تعتبر أكبر سرعة موجودة في العالم على الإطلاق . ومن المستحيل على أي جسم مادي أن يتحرك بسرعة أكبر من هذه السرعة ، وهذه حقيقة أثبتتها نظرية النسبية لآنشتاين . ولذلك أصبح من المستحيل وجود سرعة لانهائية في عالمنا هذا . فهناك سرعة محدودة معينة لا يمكن لأية سرعة أن تتعداها ، وهي سرعة الضوء . ولذلك سميت بالسرعة الحرجة وهذه السرعة تعزز الرأي في أن الضوء لا يتركب من دقائق وبالأخص دقائق مادية ، على الرغم من أن بعض الظواهر الأخرى لا تفسرها إلا النظرية التموجية

عودة إلى الأثير :

ولكن كيفما يكون الضوء فإننا نعرف أنه توجد أشياء لها نفس نظامه ، مثل أمواج اللاسلكي والأشعة السينية والإشعاع الحراري والأشعة فوق البنفسجية . كل هذه الظواهر ذات طبيعة تماثل طبيعة الضوء ولو أنها لا تحدث تأثيرا على أعيننا مثلما تحدثه أشعة الضوء

فإذا اعتبرنا الضوء موجات في الأثير ونحن لا نملك إنكار الأثير على الرغم من شكوكنا الحديثة ـ فإننا نستطيع في سهولة رؤية الفرق بين الضوء وهذه الظواهر الأخرى . فإن أمواجها إما أن تكون أطول أو أقصر من أمواج الضوء ولو أن لها نفس طبيعة أمواج الضوء وترحل بنفس سرعتها

وليس معنى ذلك أن كل أمواج الضوء ذات طول واحد ؛ فبين موجات الأثير التي تؤثر على أعيننا وبين ما نسميه بالضوء توجد موجات ذات أطوال مختلفة . وعلى هذه الحقيقة يتوقف وجود الألوان المختلفة . فأطول موجات الضوء ينتج فينا إحساسا باللون الأحمر ، وأقصرها ينتج فينا إحساسا باللون البنفسجي . أما الألوان الأخرى فأمواجها بين هذين الطولين . وما نزعم أنه ضوء

(١) للمشتري تسعة أقمار ، خمسة منها صغيرة جدا لم يلاحظها ريمر في ذلك الوقت

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

فى الأدب والحياة :

نشرت لى أخيراً إحدى المجلات الأسبوعية مقالا تحت عنوان « أنقذوا طلبة الجامعة » ، ألحيت فيه باللائمة على شباب الجامعة ، طلائع الجيل الجديد ، ورمز الحضارة والثقافة العالية بمصر ، وكيف جرفتهم حياة القاهرة اللاهية العابثة ، وضاعت رسالتهم النبيلة التى من أجلها هاجروا إلى هذا الوطن الكبير ، كما ضاع شبابهم ، وسط هذا العباب الزاخر، والتدهور الأخلاق الرهيب !

وجمعتنى الظروف فى إحدى أمسيات الأسبوع الماضى ، بزميلة صحفية خريجة الجامعة منذ سنوات ، تعمل محررة فى إحدى الصحف اليومية المسائية ، وما إن استقر بى المقام فى هذه الندوة الأدبية التى ضمت الكثير من الصحفيين ، حتى بادرتنى الزميلة بقولها : « علام تتحاملون على الجامعة وطالباتها وطلبتها » ؟ ! إن الجامعة بخير ما دام الجميع يؤمنون برسالتها النبيلة فى الحياة » ونطرق الحديث بنا إلى مجلة « الرسالة » والكاتب الناقد الذى يحرر « باب التعقيبات » .

وحدثتنى الكاتبة الصحفية قائلة : « إننا نفخر بالأستاذ المعداوى ككاتب له رسالة ، وهدف فى الحياة يحاول أن يحققه عن طريق النقد والتوجيه . غير أن آراءه ونقده تتسم غالباً بطابع العنف والقسوة ، ولذلك فهو فى نظرى عامل هدم لا عامل بناء . وفرق كبير بين كاتب يحاول أن يضىء شمعة وسط الظلام ، وآخر يسعى إلى ذبالة النور التى يتلمسها كل حائر ليطفئها » ! ثم استطردت الأديبة تقول : « هذا هو أحد أعداد الرسالة ، وهذه هى السطور التى كتبها صاحب التعقيبات تحت عنوان « الفتاة الجامعية والزواج » ، تحامل فيها على طالبات الجامعة وقال إنهن لا ـهبن

أبيض ليس إلا خليطا من مختلف الألوان . ونستطيع رؤية ذلك إذا مر الضوء الأبيض خلال منشور زجاجى . فالمنشور يحلل أطوال الموجات المختلفة فترى أشرطة ملونة محدودة بين اللونين الأحمر والبنفسجى

العناصر والضوء :

كان السير إسحاق نيوتن أول من أثبت أن اللون الأبيض مركب من مختلف الألوان . ولقد تقدم تحليل الضوء تقدما كبيرا ، ويعد الآن أهم فرع من فروع الطبيعة . فجميع معلوماتنا عن النظم الطبيعية للنجوم تأتى من علم تحليل الضوء أو ما يسمى بالتحليل الطيفى (السبكترسكوبى) .والحقيقة الرئيسية التى يتألف عليها هـذا العلم هو أن كل عنصر عند إحمائه إلى درجة التوهج يعطى ضوءا معينا . فإذا أحمى عنصر ما ومر ضوؤه خلال منشور زجاجى ، فإن هذا الضوء ينتشر فى أشرطة ملونة ، عند فحصها نجد من بينها خطوطا لامعة . وقد وجد أن هذه الخطوط تطابق العنصر نفسه ، وأنه لا توجد مادتان تعطيان نفس الخطوط . فمن تحليل ضوء أية مادة متوهجة نستطيع معرفة هذه المادة

وقد طبقت هـذه الطريقة التحليلية على الضوء القادم من الشمس فاستطاع العلماء معرفة المواد التى تتركب منها الشمس، فوجد أنها تطابق مواد موجوده بالأرض: وقد كشف العلماء غاز الهليوم على الشمس قبل أن يعثروا عليه فى الأرض

وبنفس الطريقة أمكن معرفة تركيب النجوم وحرارتها وسرعتها

* * *

هذا هو الضوء الذى يساعدنا بالافضاء لنا بالكثير عن أحاجى الكون ، ومع ذلك فلا يزال لغزاً قائماً بذاته لم يستطع الانسان حله إلى الآن

محمد فهمى عبد الوهاب

للجامعة للدرس والتحصيل بل لطلب الزواج .. وهذا رأى خطير لم يجترىء كاتب شرقى على أن يجهر به قبل اليوم ، ولا تؤمن به أى فتاة جامعية اعتصرت شبابها وحياتها ،وسهرت الليالى الطوال فى سبيل هدف أسمى مما تصوره ونادى به ! وهذا ما أجهر به تجاه الأستاذ المداوى وتجاه الرأى العام الذى شاهد كفاح الفتاة الجامعية فى سبيل العلم لا فى سبيل الزواج .. وها أنذى واحدة منهن دخلت الجامعة وخرجت منها دون أن أتأبط ذراع عريس الأحلام بجانب « الليسانس » كما يدعى الأستاذ المداوى ، بل جاهدت طوال سنوات الدراسة فى سبيل العلم والثقافة ، العلم الذى ستظل به المرأة أداة هامة فى ذلك المجتمع المنحل الفاسد ، المرأة التى هى روحه كما يقول الكاتب الفيلسوف « برناردشو » : إذا كان الرجل هو المجتمع فالمرأة روحه !

يظهر أن المرأة التى حطمت تمثال الأمل الجميل بين حنايا قلبه، قلب الأستاذ المداوى ، وأقصته عن محراب شبابها وجنة حبها بالأمس ، وألهمته « من الأعماق » و « من وراء الأبد » ، يظهر أن هذه المرأة هى التى أثارت كوامن الحقد الدفين بين جوانحه على كل امرأة فى الوجـــود ! ومالك تذهب بعيداً وسطوره التى كتبها بأحد أعداد « الرسالة » أيضاً عن الكاتبة الأديبة السيدة أمينة السعيد ، تطالعنا الآن يوم أن كتب إليه أحد الأدباء رسالة يستوضحه فيها رأيه عما كتبته الأديبة المصرية وما كتبه هو عن طبيعة « لورد بايرون » ، وإنتاجه الذى خلده له التاريخ بين « عبقريته وحرمانه » . لقد كان رده أبلغ دليل على تجنيه على الحقائق التى حدثنا بها التاريخ الأدبى عن هذا الشاعر العظيم ، وما زالت عباراته التى وجهها إلى الكاتبة الأديبة على صفحات « الرسالة » تطالعنى فى كل وقت ، يوم أن كتب بالحرف الواحد: « ولعل فى هذه العجالة ما يهدى الأديبة المصرية إلى معالم الطريق » !

بقى شىء بعد ذلك هو أوضح برهان على أنه لا يبغى من وراء هذا النقد إلا التجريح والتشهير بمن يكتب عنهم ،وأعنى به المعركة الأدبية التى أثارها الأستاذ المداوى على صفحات « الرسالة »، عن أحد الكتاب الشيوخ الذين سوف يكتب عنهم التاريخ فى المستقبل بأحرف من نور . لقد استخدم الأستاذ معوله فى غير ترفق ولا أناة » ! ثم اختتمت الصحفية الأديبة حديثها — وأستسمح الكاتب الكبير — اختتمته بهذه الكلمات : « لقد كتب الأستاذ سعيد العريان يوماً عن أديب العربية الرافعى فى كتابه « حياة الرافعى » ، كتب يقول : لقد كان الرافعى طويل اللسان من أول يوم ، وإذا جاز لى أن أستعير منه هذا التعبير لقلت لصاحب التعقيبات : إنك طويل اللسان من أول يوم تخطوه فى طريق المجد . . المجد الأدبى العظيم الذى ينتظرك إذا ما حاولت أن تبقى على الشمعة التى تضىء لنا الطريق » !

إلى هنا ينتهى رأى الزميلة الصحفية فى الأستاذ المداوى .. وكان ردى عليها حين اختتمت حديثها معى : « رأيى فى الأستاذ المداوى ـ ولا أقول هذا عن نفاق أو رياء ـ أنه الكاتب الوحيد الذى سيفخر به ميدان النقد الأدبى فى الشرق العربى ، يوم أن تموت الأنانية والحقد فى صدور الأدباء بعضهم لبعض » !

وإننا لننتظر رد الأستاذ المداوى على ما وجهته إليه الزميلة الأديبة من اتهام ، ولكل أديب أن ينظر إلى الآخر من الزاوية التى تتفق وما يحفظه له من صور وأحاسيس ، غير أن الحقيقة هى النور الذى يفضح التجنى أو غيره !

« كلية الشريعة » عبد العال حسين اسماعيل

هذه رسالة من أطرف الرسائل التى زخرت بها حقيبة البريد، ومرجع الطرافة فيها إلى هـذا السيل المنهمر من فنون الاتهام ، وما يقترن به من صراحة محببة أعجب بها ولا أضيق . أما الأديبة الفاضلة التى ينقل إلى اتهامها الأديب الفاضل فهى محررة فى جريدة « الزمان » ، أعفى القلم من ذكر اسمها حرصاً على إحساسها المرهف وشعورها الرقيق . وأعفيه مرة أخرى من التعرض لها بشىء من القسوة أو أشياء من العنف ، لأن أخلاق الفروسية تحول بين الرجل وبين التهجم على فتاة ... هذا مبدأ أدين به فى حياتى الشخصية والأدبية. ومعذرة للأديبة الفاضلة إذا قلت لها إن حملاتها على قد بلغتنى قبل أن أتلقى هذه الرسالة ، ومع ذلك فقد كففت قلمى عملا بهذا المبدأ واحتراماً لهذا الشعار !

إنها تتهمنى بأننى كاتب طويل اللسان . هذا حق لا أجادل فيه ! وأزيد عليه أنني واحد من الذين جبلوا على الصراحة وفطروا على الشجاعة ، حتى لتدفعهم صراحتهم وشجاعتهم إلى أن تولوا

عن أنفسهم ما يفزع منه غيرهم من الناس . ولولا هذا الذى فطرت عليه وجبلت ، لما وافقت الأديبة الفاضلة على أننى كاتب طويل اللسان ! أوافقها على هذه المقدمة وأختلف معها حول ما انتهت إليه من نتيجة ، محورها أننى عامل هدم فى الحياة الأدبية ولست عامل بناء .. هنا شىء من الظلم للحقيقة والمجافاة للواقع ، لأننى ما استخدمت طول لسانى فى هدم قيمة من القيم إلا إذا كانت بالية ، ومتداعية ، وينبغى أن تزول . أعنى أننى لا أهدم إلا ونصب عينى هدف واحد ، هو أن أقيم البناء الموطد الأركان على ركام الأنقاض !

أقول هذا ولا أريد أن أذكر أسماء من هاجمت من الأدباء ... حسبى أننى آمنت وما زلت أومن ، بأن الحياة الأدبية فى مصر محتاجة إلى حركة تطهير يقوم بها لسان طويل ! ذلك لأن الأدب هنا ، فى هذا البلد ، أشبه برجل كريم النفس سمح الخلق مضياف ، يفتح بابه لكل طارق ، ويهيئ مائدته لكل عابر ، ولو اندس بين جموع الطارقين والعابرين من هم خلاصة الأدعياء والمتطفلين ! هذا الرجل ، الذى هو الأدب ، فى حاجة إلى صديق طويل اللسان ، ينهر تلك الجموع المتطفلة ، الدخيلة ، التى استغلت سماحة رب البيت ونبل محتده وكرم ضيافته ، فاندفعت من أبوابه وجلست إلى موائده ، فى غير ما خجل ولا حياء . . . هذا الصديق الطويل اللسان هو كاتب هذه السطور ، ولا ضير عليه أبداً إذا ما أنقذ الرجل الكريم المضياف من هؤلاء الضيوف الثقلاء ، وألهب ظهورهم بالسياط !

ولتصدقنى الأديبة الفاضلة أننى أضيق بأضواء الشموع ، هذه الأضواء الضئيلة ، الهزيلة ، التى لا تستطيع أن ترد عادية الظلام .. وإذا كنت قد دأبت على إطفائها فلأننى أوثر أن أحدق فى أضواء المصابيح الضخمة ، المتوهجة ، التى يغمر شعاعها كل حنية وكل ركن وكل تعريجة فى منعطف الطريق . فلتبق هذه ولتذهب تلك ، ما دمنا نريد للنور أن يقوى على مواجهة العواصف والأعاصير ! هدم للقيم البالية المتداعية يعقبه بناء على ركام الأنقاض ، وإخماد للأضواء الضئيلة الهزيلة يشع على أثره كل نور وهاج ... أهذا هو ما ألام عليه وتوجه إلى من أجله فنون الاتهام ؟ شيئاً من العدل ياسيدتى أو شيئاً من الإنصاف !

بعد هذا أقول للأديبة الفاضلة فيما يختص برأيى حول فتياتنا الجامعيات ، إن هذا الرأى القديم لى قد أقمته على أسس من الدراسة النفسية والملاحظة النظرية طيلة أعوام أربعة قضيتها فى الجامعة . فأنا إذن لا أنقل عن أفواه الناس وإنما أنقل عن رؤية العين حين تنتهى من جولتها فى حدود الواقع المحس ، وعن حكم العقل حين يفرغ من رحلته فى نطاق الحاضر المشهود ... وإذا كانت هى قد التحقت بالجامعة ابتغاء لهذا الغرض النبيل ، وهو أن تتزود بسلاح العلم وتنهل من منابع المعرفة ، فمن الصعب أن نستدل بالمثل الفرد على غيره من الأمثال ، حين يكون هدفنا وضع قاعدة عامة لظاهرة من الظواهر أو لمشكلة من المشكلات . إننا لا ننظر إلى حكم الأقلية فى مثل هذا المجال ، ولكننا ننظر إلى حكم الكثرة الغالبة ليستقيم منطق التفسير والتبرير !

ولست والله حين أجهر بهذا الرأى حاقدا على المرأة أو منكرا لمكانتها الاجتماعية ، متى وجدت فيها النموذج الكامل والمثل الأعلى فى كل ناحية من نواحى الحياة ... ولقد وجدت هذا المثل وذلك النموذج فى يوم من الأيام ، وجدته فى تلك التى ألهمتنى بالأمس قصة « من الأعماق » ولم تلهمنى « من وراء الأبد » ، تلك التى ملأت نفسى تقديرا لرسالة المرأة حين تجمع إلى اتساع الأفق سمو الخلق وجمال الروح ... تلك التى تركت ظلها على الأرض بعد أن رحلت إلى السماء ، وآثرت على ضجيج الحياة سكون الفناء والعدم ! !

هذا هو ردى على اتهام الأديبة الفاضلة ، ولها بعد ذلك أن تكون منصفة أو لا تكون ... حسبى أن أقول ما أعتقد ، لا يدفعنى إليه رضا الراضين ولا يصرفنى عنه سخط الساخطين ، وإنما هى حرية الرأى وجرأة القلم فى عصر طبع على الرق الأدبى ، وطغت عليه أمواج الخوف والكذب والملق والرياء... وللأديب الفاضل صاحب هذه الرسالة أخلص الشكر على تحيته المعطرة بأرج الوفاء .

مقال عن ندواتنا الأدبية :

فى عدد فبراير من مجلة « الفصول » الشهرية قرأت مقالا طريفا عن ندواتنا الأدبية ، كتبه صديقنا الأستاذ نعمان عاشور

بأسلوب قصد به إلى المرح والدعابة أكثر مما قصد به إلى الجد والوقار

إن خفة الظل وعذوبة الروح صفتان أصيلتان من صفات الصديق الأديب ، ولكننى كنت أوثر ألا تطغى هاتان الصفتان على الموضوع الذى كتب فيه ، لأنه من الموضوعات الجديرة بأن يبتعد فى كتابتها عن مثل هـذا الطابع الذى أشرت إليه ، لأن الحديث عن الندوات الأدبية والتعرض لما يدور فيها من ألوان الجدل والمناقشة ، جزء مهم من تاريخ الأدب حين يكون هـذا التاريخ تسجيلا صادقا متزنا لشتى التيارات الفكرية والفنية !

لقد بدأ الأستاذ مقاله بالحديث عن ندوة « الجيزة » ، حيث أرسل عدسته اللاقطة لتجوب المكان وتتصفح الوجوه وتعرض الأفكار ، ولكنه كما قلت لك يقدم إليك لقطات هدفها الدعابة حين تنتزع المشهد من أعماق الخيال . وحسبه أن يستغل اللقطة البصرية استغلالا طريفا وموفقا فى رسم عدد من الصور الضاحكة حيث يختار لها الأطر الملائمة التى يصنعها وفق هواه ، أو وفق طبيعة الموضوع كما أراد له أن يكون ! أما ندوة الجيزة التى تحدث عنها الأستاذ نعمان ، فهى الندوة التى يؤثرها بحبه كاتب هـذه السطور ، ومن روادها الأساتذة الدكاترة : عبد الحميد يونس المدرس بجامعة فؤاد ، ومحمد كامل حسين الأستاذ بجامعة فؤاد أيضا ، وعبد القادر القط المدرس بجامعة ابراهيم ، ومحمد القصاص المدرس بنفس الجامعة . ثم الأساتذة الشعراء: محمود حسن اسماعيل وابراهيم محمد نجا ، وابراهيم الوائلى ثم الأساتذة الأدباء : أنور فتح الله ، وزكريا الحجاوى ، ومحمود محمد شعبان ، وكمال منصور . ثم يهبط عليها من حين إلى حين بعض الزائرين من أمثال الأساتذة : السيد أحمد صقر ، وعباس خضر ، ومحمد محمود زيتون ، ونعمان عاشور ؛ وشاكر خصباك

هؤلاء هم رواد الندوة وزوارها ، وهذه هى بعض الصور التى رسمها لبعضهم الأستاذ نعمان عاشور: « فهناك فى نهاية المكان تعود أن يجلس الشاعر العراقى ابراهيم الوائلى منصرفا إلى كتابة رسالته للجامعة ، والسيجارة لا تفارق شفتيه . حتى إذا جاءت الساعة العاشرة بدأ يبحث عن مستمع لآخر أشعاره !.. ثم ترى الدكتور عبد القادر القط يجذب أنفاسا من الشيشة فى ملال ، ويحاور الأستاذ أنور المداوى ناقد « الرسالة » حول ضرورة العناية بالجانب الفنى فى كل إنتاج يستهدف غاية اجتماعية ، مهما أنصار الأدب الواقعى بأن إنتاجهم فارغ ومجرد ضرب من نشرات الدعاية ! والأستاذ المداوى لا يطيق الإنصات ، وإنما هو يدفع بنظريته عن « الأداء النفسى » ويضرب على صدور الحاضرين بمرفقيه ليفسح السبيل أمام فكرته ، وكأنه لا يكتفى بتطبيق الأداء النفسى على ما يكتبونه فقط ! والذى تصيبه معظم لكمات المداوى هو الدكتور محمد كامل حسين لأنه يجلس عادة وسط المتناقشين محاولا الحديث فى هدوء ، ولكن هل يحظى بالحديث الهادئ أمام هذا الأداء النفسى المداوى ؟! .. وعن بعد يجلس الشاعر محمود حسن اسماعيل . كيف يريدونه بعد كل هـذا المجد أن يشتغل مدرسا فى مدرسة ابتدائية ، مع أنه صاحب « أغانى الكوخ » ؟ إنه لا تهمه الدرجة ولا الوظيفة قدر ما يهمه أن يكون عضوا فى اللجنة التى تختار ما يقرر من شعر على تلاميذ المدارس ! .. ومن الطرف الآخر تلمح زكريا الحجاوى وهو يملق على تبلد الجالسين من لاعبى الطاولة وتلبدهم . فإذا أخطأ واحد وتكلم فى الفن والأدب انفجر الحجاوى فى هدير صاخب ، يحدثك عن الأدب المصنوع والأدب الذاتى الموضوعى ، والصلة بين الكون والفنان وأثر ذلك كله فى موسيقى سيد درويش الحاصل على دكتوراه من الله ! ... ثم أنت ترى الأستاذ أنور فتح الله فى يده اليسرى مبسم الشيشة ،وفى اليمنى قلم وأمامه مسرحية فرنسية يترجمها ، وكلما ترجم صفحة تلفت يبحث عن مستمع وإذا لم يكن يترجم فهو ينقد ، باعتباره من خريجى معهد النقد ، أى ناقد مؤهل رسميا ! ... وبجواره الأستاذ محمود محمد شعبان ـ فير بابا شارو كما يقدم لك نفسه ـ يحاوره فى أدباء الصحافة اليومية وما ينتجون من أدب فارغ . وشعبان أديب متخصص فى كسب جوائز وزارة المعارف العمومية ، وقد حصل فى سنة واحدة على ثلاث جوائز !

وفجأة يهبط على الجالسين عزت حماد منصور ، وهو أديب ساخط متهكم : ما فائدة الأدب وما فائدة النقد ؟ ثم إن واحداً لا يقرأ إنتاجهم فليس فى البلد قراء ، لماذا يتعبون أنفسهم ويرهقون شبابهم ؟ ! أليس الأجدى لهم الإنصراف إلى حياتهم

الخاصة ينظمونها ؟ ! فإذا سألته : لماذا ظل يكتب هو نفسه ؟ أجابك صائحاً : مرض ! ... ثم نخرج من القهوة لا يخالجك شك فى أن ما يقوله إن هو إلا تنفيس عن الركود الذى يشيع فى حياتنا الإجتماعية ذاتها . ولو حاولت أن تقنعه بذلك لأصر على وصف أدباء الندوة بأنهم جماعة من الفدائيين » !

هذه هى « عينة » من كلمات صديقنا الأستاذ نمهان ، أما صديقنا الآخر الأستاذ عزت فهو أديب ساخط متهكم حقاً ، يتناول الحياة والأحياء بأسلوبه الساخر اللاذع ، ثم لا يعفى نفسه من مثل هذه السخرية الساخطة فى كثير من الأحيان ، حتى لينتزع الضحكة الصاخبة من أكثر الوجوه قدرة على التجهم والعبوس فهو مثلا إذا شكا سوء حظه فى الحياة قال لك : « صدقنى أنه لوقدر لى أن أكون بائع طرابيش ، لتعمد الله أن يخلق أناساً بغير رءوس » !! .. وحدث أن هبط على الندوة ذات مساء فأسر إليه أحد الجالسين فى خبث ، أن الأستاذ عاشور قد شتمه فى مقاله عن « الندوات الأدبية » ، وحين علم صاحبنا أن المقال قد نشر فى مجلة « الفصول » تحول إلى كاتب المقال ليقول له : « أنا متشكر يا أستاذ نمهان .. لأنك شتمتنى فى سرك » !!

والتفت إلى الأستاذ نمهان يسألنى عن معنى النكتة .. ثم أغرق فى الضحك وأغرق معه الحاضرون ، حين قلت له : إن معنى النكتة أنك شتمته فى مجلة لا يقرأها أحد!!

حول شاعر من السودان :

أخرجت إلى حيز الوجود مذهب « الأداء النفسى » الذى تجاوبت أصداؤه فى أرجاء العالم العربى ، وربط بين كثير من أدباء العروبة برباط الحق والخير والجمال ... وقد عرفنا الأداء النفسى أصدق محك نتناول به القيم الفنية والأدبية ، فإما أن تخرج من لمسات المبضع تقطر روعة وقوة ، وإما أن تخرج وهى كومة من الهشيم تذروها الرياح !

ولا أثقل عليك يا سيدى فأعجابى بك لا تصوره هذه الكلمات واسمح لى أن أخاطبك فى الأمر الذى كتبت إليك من أجله ... التيجانى يوسف بشير شاعر سودانى لم يترك من الآثار الأدبية سوى ديوانه « إشراقه » وإنى لألتمس من الأستاذ الناقد أن يضعه على مشرحة النقد ويسلط عليه أضواء قلمه ، لنفهمه كما يجب أن يفهم . وأخيراً تحياتى وإكبارى

« أم درمان — المعهد العلمى » **وراق عكود**

أود أن أشكر للأديب الفاضل كريم تقديره ، أما عن رغبته فى أن أكتب عن شاعر السودان الراحل فيؤسفنى أن ليس بين يدى شىء من شعره ، كما يؤسفنى مرة أخرى أن أسمع عنه من قبل دون أن أقرأ له ... إننى لن أتأخر عن النظر فى ديوان هذا الشاعر إذا ما تفضل أى قارئ من قراء « الرسالة » وبعث إلى به ، ولن أتأخر عن الكتابة عنه متى وجدت فيه تلك الومضات المنشودة من ذلك الأداء الذى دعوت إليه

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

من هم العرب المقصرون ؟ :

أقام الأستاذ أسعد داغر السكرتير العام لجمعية الوحدة العربية — حفلة شاي لتكريم سمو الأمير فيصل آل سعود ، في نادي الجمعية بالزمالك يوم الأربعاء الماضي . وبعد تناول الشاي ألقى الأستاذ داغر كلمة عبر فيها عن ألمه لما صارت إليه فلسطين ولسوء الحال في الموقف العربي الحاضر الذي لا يراه خيراً مما كان ، نظراً إلى الخطر المتوقع من جانب الصهيونيين المضطرين إلى توسيع رقعة إسرائيل حتى تتسع للاجئين إليها من يهود العالم

وقد عزى الأستاذ ما منينا به من الهزيمة إلى ضعف الوطنية الذي قعد بنا عن البذل والتضحية، وقال بضرورة العناية بتكوين المواطن الحقيق ، ليكون لبنة قوية في بناء الأمة العربية . وقد أعقبه الأستاذ توفيق دياب بك بكلمة حماسية فياضة ، أيد فيها الأستاذ داغر من حيث تكوين المواطن العربي الصالح . ثم تحدث سمو الأمير فيصل حديثاً هادئ النبرات قوى المعاني ، صرح فيه بتقصير العرب وتهاونهم ، مشيراً إلى اصبع الاستعمار في ذلك إذ قال سموه : لي رجاء واحد هو أن نتناسى المشاحنات التي ورثنا الاستعمار إياها وغرس بذورها للقضاء على وحدتنا ،هذه الحزازات هي السم الذي دسه لنا العدو في دمائنا وأفكارنا

وهكذا أجمع خطباء الحفلة على أننا جميعاً مقصرون . وأنا أريد أن أفهم المقصود من الضمير « نا » في « أننا » وهل هو يشمل العرب كلهم شعوباً وحكومات ... ثم أسأل كيف قصرت الشعوب ؟ وأوجه السؤال إلى الأستاذ داغر الذي رمى المواطنين العرب عامة بضعف الوطنية ، وإن كنت ألتمس له العذر من حيث مراعاة المقام الذي يحضره شخصية رسمية كبيرة

إن الأمر لا يرجع إلى تاريخ بعيد ، فقد رأينا إبان الحملة العربية أو المصرية على الصهيونيين — رأينا المشاعر تتوقد والهمم تتوثب ،استبسل الجيش جنوده وضباطه،وهرعت وفود المتطوعين إلى الجهاد ، وجاد الكثيرون بأموالهم . ولقد استشرى الحماس في جموع الشعب بالقاهرة إلى حد التهور والاعتداء المخلى . وكان يصل إلينا صدى مشاعر الغضب الذي كان يبديه إخواننا في كل بلد عربي يلتوى ساسته فيتقاعس جيشه

ولم يفسد الأمر كله إلا رجال الحكم والسياسة أوالذين جرى في دمائهم السم المدسوس من قبل الاستعمار إن التبعة كلها تقع على الحكومات ومن ورائها الاستعمار . وإذا كان اليهود أخفقوا في تسميم الآبار فإن المستعمرين نجحوا في إطلاق الجراثيم على بعض المسئولين ، والجراثيم أنواع لا أرى حاجة إلى تفصيلها

حتى الجامعة مظلومة ... فإني لا أذهب مع الغالين في لومها إذ أرى أن كل اضطراب فيها وكل اختلاف في لجانها إنما هو انعكاس لأغراض واتجاهات الحكومات المختلفة ، ولن تكون الأمانة العامة مسئولة حقا حتى يكون لها جيش وسلطان

أما المواطنون العرب فإنهم لم يقصروا ، وإن لوحظ فيهم ضعف فإنما هو من ضعف مقوماتهم الاقتصادية والاجتماعية وسخطهم على المفترين بزخرف الحياة الدنيا ، والتكوين الحقيق لهؤلاء المواطنين إنما هو بإزالة هذه الأسباب قبل كل شيء

وأوجه كلة صغيرة إلى الأستاذ أسعدداغر باعتباره السكرتير العام لجمعية الوحدة العربية ، وإلى غيره من رجال العروبة « غير الرسميين » تلك الكلمة هي الاتجاه — في الدعوة إلى البعث العربي — إلى المواطنين من شعوب العرب لتكوين رأى عربي عام منظم يرفع صوته ويعمل ما فى وسعه لخير العرب ، بل أقول: لتوجيه الحكومات

أولئك المواطنون وذلك الرأى العام المنشود ، هم الذين نعنيهم ونحس بوجودهم حينما نتفاءل وحينما تداعبنا الآمال في مستقبل الأمة العربية

هل نحن منقفون بالثقافة الإسلامية ؟

التقيت أخيراً بشخصية كبيرة من الباكستان في مجتمع

بالقاهرة ، ودار بيننا حديث شاقني فيه أن الرجل ينظر إلينا - معشر المصريين - وإلى بعض شؤوننا التي لا نلتفت إلى ما فيها من عيوب لألفتنا إياها ، نظرة المستشرف المبرأ من هذه الألفة الساترة ... وقد ناقشته في بعض الأمور ، ولم يسعني إلا أن أسلم بأكثر ملاحظاته، مع إعجابي بروح الأخوة الإسلامية التي استشعرتها في حديثه ونبراته ونظراته الفياضة بالإيمان العميق

قال : نحن نسمع عن مصر باعتبارها زعيمة الدول العربية والإسلامية ومركز ثقافة العرب والإسلام ، فنشتاق إلى أن نقتبس منها ونغترف ، ولكنا نجيء إليها فنجد فيها كل شيء أوربيا ، فالحالة الاجتماعية كما تعرف ، وصحفكم ومجلاتكم مملوءة بما تعلم وقد حضرت بعض الحفلات الكبيرة التي تضم كبراء ووزراء وأجانب فهالني أن أرى مثلا في إحداها راقصة مصرية - وقد عرفت أنها مسلمة ! - ترقص شبه عارية ثم قل لي: أين الثقافة الإسلامية والعربية عندكم ؟

رحت أحدثه عن مظاهر ثقافتنا العربية الإسلامية مشيراً إلى أن إخواننا الباكستانيين لا يطلعون عليها لعدم إجادتهم

كشكول الأسبوع

◻ احتفلت جامعة فاروق الأول في يوم عيد الميلاد الملكي السعيد ، بتوزيع جوائز فاروق الأول للبحوث العلمية لسنة ١٩٥٠-٥١ ، برياسة معالي الدكتور طه حسين باشا ، وقد وزعت الجوائز ، فنال جائزة علوم الحياة الدكتور أحسن شاكر أفلاطون بك عن كتاب في الذباب والحشرات ، ونال الجائزة الأخرى الدكتور نجيب محفوظ باشا عن كتاب في أمراض النساء. أما العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية فلم يفز بجائزتيها أحد ، لأن الأبحاث التي قدمت لا تستحق الإجازة .

◻ قرأت كلمة بجريدة « النبأ » العراقية تساءل فيها كاتبها « دعبل » : أي اللقبين أكبر لطه حسين : صاحب الأيام أو صاحب المعالي الباشا ؟ وقال : حسبنا أن أصحاب المعالي أصبحوا لا يحصون ولكن ليس للعرب « مؤلف أيام » ثان .

◻ استأذن المسيو ماموناس مندوب الرابطة اليونانية العربية ، معالي الدكتور طه حسين باشا في ترجمة كتاب « الأيام » إلى اليونانية ، فأذن معاليه بذلك . ومما يذكر أن معاليه يعتزم السفر إلى اليونان في شهر مارس القادم لتسلم درجة الدكتوراه الفخرية التي منحتها إياه جامعة أثينا وسيبحث معاليه خلال الزيارة مسألة توطيد العلاقات الثقافية بين مصر واليونان .

◻ كانت ذكرى المغفور له الشاعر الكبير علي الجارم بك يوم الخميس الماضي ، وقد احتفلت بها محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية ، فأذاعت قصائد مسجلة بصوته ودراسة لشعره وفنه القصصي . أما محطة الإذاعة المصرية فقد رأت الاكتفاء بعشر دقائق تلقي فيها مختارات من شعر الفقيد الكبير . وذلك لأن البرنامج كان مشغولا بعزف على الجنبش وغناء لعبد الغني السيد ولورد كاش ...

◻ ينعقد الآن في كراتشي مؤتمر إسلامي يتكون من بعض الشخصيات الإسلامية ومندوبي الهيئات في بلاد الإسلام . وفي مقدمة المسائل التي يشتمل عليها جدول أعماله اتخاذ اللغة العربية لغة دولية مشتركة للدول الإسلامية . وقد ألقيت في المؤتمر خطبة لأغا خان ناشد فيها الباكستان أن تتخذ العربية لغتها الرسمية .

◻ قرر مجلس المعارف الاستشاري بالعراق إلغاء بعض الكتب المقررة للقراءة والاستعاضة عنها بكتاب من الكتب الأدبية الآتية لتدريسها في المدارس الثانوية ، وهي النظرات للمنفلوطي وآلام فرتر ورفائيل للزيات والأيام أو على هامش السيرة لطه حسين .

◻ يشكو الأساتذة المحاضرون بالجامعة الشعبية من تأخير أجورهم من أكتوبر الماضي إلى الآن .

اللغة العربية . ولكن الرجل بادرني بقوله : أنت تقصد الكتب ! أنا أعني أثر هذه الثقافة في النفوس وطابعها في الحياة ...

قلت : لا أنكر أننا نأخذ كثيراً من أوربا في حياتنا وثقافتنا ، وهذا شيء طبيعي ، فاحتكاك الحضارات وتفاعلها مسألة مفروغ منها

قال : هذا حسن لو أنكم تأخذون ما يفيد ، ولكني أراكم تأخذون كل شيء وأكثره سيء لا يتفق مع روح الإسلام ، ونحن في الباكستان لم يستطع الأجانب أن يحولونا عن روح الدين الحقيقية ، ولم نأخذ عنهم إلا ما يفيد من علومهم وحضارتهم

قلت : إنكم تحكمون بناء على اختلاطكم بالبيئات التي يسمونها طبقات راقية

قال : كلا ، لقد جلت في مختلف أحياء الشعب وصليت في مسجد الحسين ومسجد السيدة زينب وغيرهما . ومما لاحظته أن الطبقات الفقيرة لا تستنكر ما يأتيه الأغنياء من المفاسد ، وإنما تنظر إلى هذه المفاسد نظرة المحروم الذي لو وجد المال لما تردد ... ويعجبني

هنا الوازع الإسلامى الذى يتحكم فى الأعمال والتصرفات والذى يؤسفنى أنى لم أعثر عليه

وسكت الرجل المسلم ثم قال : أحدثك بشئ حدث ، لا يخلو من نكتة لطيفة ، فقد اتجهت الرغبة الباكستانية إلى الانتفاع ببعض النشاط المصرى فى ناحية الفن السينمائى ، فأرسل بعض الأفلام المصرية لتعرض هناك . فلما عرضت على الرقيب قبل عرضها أبدى دهشته قائلا : أهذه أفلام أنتجت فى بلاد مسلمة ..؟ أنا لا أصدق أن هذه أفلام مصرية ! إنها من صنع اليهود ... يقصدون بها الإساءة إلى سمعة مصر ! !

تأبين حافظ عوض بك

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية بتأبين المغفور له الأستاذ أحمد حافظ عوض بك يوم الأربعاء الماضى بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية وقد ألقى الأستاذ عباس محمود العقاد كلمة التأبين التى استغرقت نحو نصف ساعة ، أتى فيها بدراسة دقيقة وافية للفقيد . وخاصة ما يتصل بأدبه وثقافته ومكانته فى جيله . بدأ الأستاذ بقوله :

يتفق للكثير من النابغين والنابهين أن يختار لهم الحوادث غير ما يختارون ، وأن يندموا على الواقع ثم تنجلى سيرتهم كلها عن الحقيقة التى احتجبت عنهم فى مطلع الحياة : وهى أن الخيرة فى الواقع الذى لم يطلبوه ولم يتوقعوه . رأينا مثلا لهذا فى حياة فقيد كريم نعيناه قبل نحو سنتين ، وهو الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ، ونرى اليوم مثلا آخر له فى فقيد اليوم الأستاذ أحمد حافظ عوض بك رحمهما الله

كلاهما لم يقصد إلى الاشتغال بالتعليم والصحافة فى نشأته الأولى وكلاهما قد انتهت به خيرة الواقع إلى الاشتغال بالتعليم ثم بالكتابة فكان فى عالم الكتابة علماً من الأعلام . ثم قال : فقد عاش حافظ بسليقة المعلم والكاتب فى كل يوم من أيامه ، وكتب ليعلم فى كثير من رسائله ومقالاته ، بل لعله كان يتحدث ليعلم ويمتز بالخبرة التى تسوغ له التعليم وتشفع له فيه ، فأطلق عليه أصحابه ومؤيدوه وزملاؤه فى الصحافة اسم « المعلم »

وتحدث الأستاذ العقاد عن أسلوب الفقيد فى الكتابة والموضوعات التى كان يتناولها ، فقال إن كتابته الصحفية كانت تتسع للسياسة وغيرها ، ومنها ما هو بعيد عن الموضوعات التى تعود الصحفيون أن يطرقوها فى الصحافة اليومية . وكان أسلوبه فى السياسة أطبع ما يكون حين يتخذ له موضوعا من موضوعات النقد التهكمى والتصوير الفكاهى ، وهى طريقة كان رحمه الله يحسنها ولا يتعدى بها أن يضحك القراء من المنقود دون أن يجرحه أو يؤذيه ، أما أسلوبه فى الأدب فقد كان أطبع ما يكون حين يصف شعور الحنان والعاطفة الشجية . وقد امتاز أسلوب الفقيد فى الموضوعات جميعاً بالصفاء والسلاسة ، وشفت كتاباته عن مصادر ثقافته فى اللغات الأوربية واللغة العربية

وتحدث الأستاذ العقاد عن مصادر ثقافة الفقيد الغربية والعربية واستدل على ثقافته العربية ببعض ما كتبه فى رسائله إلى ولده ، ومن ذلك قوله فى بيان الطريقة التى جرى عليها فى دراسة دواوين الشعراء : « كنت أعد لكل شاعر دفترا صغيرا وأنقطع ساعة أو ساعتين لتصفح ديوانه فأقرأ القصيدة مرة واحدة وأتصور عند تلاوة كل بيت من أبياتها ما إذا كان من الممكن أن أحتاج إلى هذا البيت أو ذلك المصراع للاستشهاد به فى موضوع إنشائى أو فى خطاب رقيق لأديب من أصدقائى أو فى واقعة حال أو فى إشارة إلى شئ مما كنت أتخيله فى نفسى فإن وجدت فى البيت أو فى أحد مصراعيه أو فى تعبير منه ما أظنه ينفعنى قيدته فى دفترى » وعلق الأستاذ العقاد على هذا بقوله : والذين عرفوا الفقيد يعرفون أنه كان فى أحاديثه كثير الاستشهاد بالأبيات والمقطوعات فى مناسباتها ، وكان يقدم لأحاديثه أحيانا بالبيت والأبيات حيث تقع من موقعها وتنبئ بالحديث الذى يتلوها ، وأذكر أننى تيقظت ذات ليلة على دق التليفون وإذا بصوت حافظ بك يناديني :

يا نائم الليل مسرورا بأوله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

وكان ذلك ليلة أن صدر الأمر بتعطيل الصحيفة التى كنا نكتب فيها ، فعلمت جلية الخبر من المصراع الأول قبل تمام البيت

وختم الأستاذ العقاد هذه الدراسة الوجيزة الشاملة بقوله : وأوجز ما يقال فى تقدير الزميل الفقيد وتكريم ذكراه ، أنه رحمه الله كان فى طليعة الرواد المصريين لفن القصة الاجتماعية ، وكان



الدخان في الشعر

غريب أن لا يتناول شعراؤنا (شرب الدخان) في شعرهم وقد بلغ من سرعة الانتشار هذا المبلغ العظيم فما وصفوا الدخان وهو يتصاعد من لفافته كسحائب الصيف ، ولا صوروه وهو يخرج من فم شاربه كزفرة العاشق أو نفثة المصدور ، ولا دعوا الناس إلى الإقبال عليه بمدحهم لمنافعه وإطرائهم فوائده ، ولا صرفوهم عنه بسردهم عيوبه ومضاره ، على حين أنهم ما برحوا ينظمون في الخمر واصفين ومادحين وهاجين ، وهم يعلمون أن السابقين قد بلغوا المدى في ذلك كله

فإلى هذا الموضوع الخطير أدعو رجال الشعر وأرباب القريض

الاسكندرية فتحي بسيوني رجب

تاريخ البرعي الشاعر

السلام عليكم وبعد ، جاء في العدد ٩١٦ في ص ١١٠ عند كلام الأستاذ حامد الجرجاوي على نشأة البديعيات أن العارف بالله عبد الرحيم البرعي توفي سنة ٤٨٠ — وقد ذكر السيد زبارة في ملحقه على البدر الطالع أن وفاته سنة ٨٠٣ — والفرق يزيد على ثلاثة قرون — وذكر السيد الزبيدي في شرح القاموس في مادة « برع » سيدي عبد الرحيم ولكنه لم يذكر سنة وفاته بل قال إنه من المتأخرين

فهل يتفضل الأستاذ حامد الجرجاوي بأن يخبرنا عن المصدر الذي رأى فيه أن وفاة البرعي كانت سنة ٤٨٠ ، فإن البرعي على شهرته تكاد سنة وفاته تكون في حكم المجهول وإذا جلاها لنا الأستاذ الجرجاوي فإنه يحسن صنعاً

عبد السلام النجار

الرسالة : يظهر أن هناك خطأ في نقل الأرقام ، ولعل صوابها ٨٠٤

أخطاء شائعة

جاء في « مغني اللبيب » للعلامة « ابن هشام » أن « قد » لا تدخل على الفعل المنفي ، ولم يذكر خلافاً في ذلك . ولكن « ابن مالك » قال في ألفيته في آخر بيت من أبيات باب « الممنوع من الصرف »

ولاضطرار أو تناسب صرف ذو المنع والمصروف قد لا ينصرف

فأدخل « قد » على الفعل المنفي

فهل يفهم من ذلك أن « ابن مالك » لا يرى مانعاً من دخول « قد » على الفعل المنفي ؟ أم أنه أخطأ فقال هذا من غير قصد ؟ . الظاهر الثاني

وجاء في مقال بالهلال للسيدة « أمينة السعيد » تحت عنوان « ذكريات حواء في الجامعة » : « ... أحب الحياة وأكره أن أخفي عن الناس حبي لها طالما كان ضميري مستريحاً ... » والصواب « ما دام ضميري مستريحاً » إذ أن « طالما » التي معناها « كثيراً ما » لا يمكن أن يكون لها معنى هنا .

قال الشاعر :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

وجاء في مقال بمجلة « الحديث » للاستاذ « محمد شعبان » تحت عنوان « نظرة في كتاب أغاني القبة » « أجمع العلماء على استحسان تكرار حرف الفداء مع التوابع المستقلة سيما إذا تعددت . »

والصواب « ولا سيما إذا تعددت » فقد جاء في « مغني اللبيب » عند الكلام على « لا سيما » : « وتشديد يائه ودخول « لا » عليه ودخول « الواو » على « لا » واجب . قال ثعلب : من استعمله على خلاف ما جاء في قوله « ولا سيما يوم بدارة

له نصيب مشكور في القيام على عهد الحضرمة بين مرحلة التقليد ومرحلة التجديد ، وسهم مذكور في التعريف بتاريخ هذه الأمة ردحاً من الزمن ينبه القراء إلى تواريخها في جميع الأدوار ، وأنه زود العربية بذخيرة من المفردات لا غنى عنها للألسنة والأقلام

عباس خضر



لحن الوداع ...

للأستاذ عبد القادر حميدة

كانت الساعة الرابعة مساء ... حين نزل موزع البريد عن دراجته ... أمام ذلك المبنى الهائل القابع بميدان سليمان باشا ... ودلف من باب العمارة الضخم ... ثم ألفى نفسه بالطابق الثالث يضغط على جرس الشقة رقم ٤ ...

وناول الخادم رسالة رجا منه أن يؤديها لسيده . .

وفضها الدكتور وطفق يلتهم سطورها فى لهفة ...

وفجأة تقلصت عضلات وجهه ... وشحب لونه ... واتسعت حدقتا عينيه ... وزاغتا بين العبارات فى ذهول وشرود ... ثم فركهما ... وأنعم النظر ثانية فى الرسالة غير مصدق ما تطالعه به حروفها ...

وتناول معطفه ... وغادر العيادة .. وفى كيانه ثورة جامحة تنتفض وتهزه هزا عنيفـا ... وتنداح من عينيه ألسنة من لهب صارم جبار .. وهو يردد فى إصرار وتحد بين آونة وأخرى ... يا إلهى ... أيمكن أن يحدث كل هذا ؟؟

وهناك فى منزله ... ألقى على زوجه نظرة قاسية عنيفة ...

جلجل » فهو مخطئ . انتهى »

وجاء فى المصباح المنير » : « ولا تستعمل إلا مع الجحد ، ونص عليه أبو جعفر أحمد بن محمد النحوى فى شرح المعلقات ولفظه : ولا يجوز أن تقول جاءنى القوم سيما زيد حتى تأتى بلا لأنه كالاستثناء . وقال ابن يعيش أيضا : ولا يستثنى بسيما إلا ومعها جحد . وفى البارع مثل ذلك ... الخ »

أحمد مختار عمر

إلى أستاذنا الزيات :

كنت ولا أزال من المعجبين بأسلوبك الرائع الأخاذ ، ذلك الأسلوب الساحر ذو الجرس الفاتن البليغ ، الذى يملك على قرائك زمام تفكيرهم فينقلهم إلى عوالم الحق والخير والجمال . ولا أحابيك أو أداجيك إذا ما قلت إنك أثير لدى — على رغم إيجازك — أكثر من أندادك الكتاب الذين لا يستطيعون التعبير عن أفكارهم إلا بالأطناب والتطويل . . وهو مالا يرضاه البليغ الواقف على أسرار العربية . وقد زاد هذا الإعجاب حتى بلغ الذروة يوم أشرقت علينا « رسالتك » الحبيبة ، وهى تحمل لدنيا الناطقين بالضاد افتتاحيتك الجبارة الموسومة بـ « ثوروا على الفقر قبل أن يثور » ! لقد كانت — والله شاهد على ما أقول — درة الأمة فى جيد الرسالة — قرأتها مرات وفى كل مرة كانت تسمو فى عينى وفكرى حتى ارتفعت إلى قمة لم تبلغها مقالة كاتب من قبل

وقد تعجب وتقول : وما مرد هذا كله لدى شاعر يعيش فى أفق الوهم ؟! أما أنا فاسمح لى أن أهمس فى أذنك بكلمة واحدة : هى أنك الآن استطعت أن تعبر عن شعور ملايين من الشعوب العربية المبتلاة بأرباب المناصب والألقاب ، الذين ما وصلوا إلى كراسيهم تلك التى ذكرتها إلا بجهود الأيدى العاملة وغفلة عقولهم فما ذكرته عن مصر هو هو بعينه فى العراق . فهل لك أن توجه إلى وزرائنا الذين لا يزالون يعيشون فى أبراج عاجية ، مقالا كمقالك « ثوروا على الفقر قبل أن يثور » ؟!

صدقنى ياسيدى أنك بعملك ذلك ترضى هذه الملايين التى تعيش على ضفاف الرافدين ، إرضاء يجعل من اسمك عندهم أغرودة عذبة الرنين ! فهل آمل على يديك خيراً لهذا الشعب المسكين الذى يتنعم برفاه الجهل ، وظلال الفقر ، وعز المرض . . بهمة وزراء المعارف والشؤون الاجتماعية والاقتصاد ؟ !

وعليك ياسيدى منا السلام . ولك الشكر والإعجاب

بغداد **عبد القادر رشيد الناصرى**

تصويب :

وردت شطرة على غير وجهها فى أحد أبيات قصيدة (صحراء المجانب) المنشورة فى العدد الماضى لالتباس التصحيح وصوابه كالآتى : —

به سحنة الواشى ، لها سبع أعين لها سبع آذان ، وسبع حقائب !

تركزت فيها مشاعره الثائرة ... قائلا بصوت أجش فيه صرامة واعتداد ...

الليلة سأغادر القاهرة ... لمسائل خاصة بعملي .. وسأعود بعد أربعة أيام ...

وحاول أن يغوص في أعماقها ... ليستشف ما أحدثه وقع الخبر على سمعها ... لكن صوتا رقيقا كأنه النغم العذب همست به شفتاها انساب إلى أذنيه في هدوء حالم ...

— وهل أغضبك يا حبيبي أن القدر سيختلس أربعة أيام من حياتنا السعيدة ، ويحرمنا سماع ذلك اللحن الخالد عندما تتهامس شفاهنا .. وتلك الأنغام العذبة عندما يبسم ثغرك . . ويخفق صدرك ... وأنا ملتصقة بك . . ألوذ بأحضانك ..؟

الله معك .. وطيفك معي ... سأتخذ منه رفيقا يهدهد صدري .. ويرفرف على بجناحيه ... حتى تعود ...

وانبرى يريد أن يقول شيئا ... لكن الكلمات ماتت على شفتيه ... ولم يدر كيف اغتصب تلك الابتسامة المصطنعة — وهي تمد أناملها البضة لتجفف دموعها التي انسابت غزيرة على خديها — وقال في خبث ودهاء . . هو كذلك يا حبيبتي ... ولكن ما حيلتنا ؟

والآن ... أود أن تسمعيني لحن الوداع الذي وضعناه معا في لحظة ما ... على ألا تنتهي منه حتى أكون قد بعدت عن البيت تماما ... لعلي أجد في سماعه ما يهون ضخامة الفجوة التي ستباعد بيني وبينك طيلة الأيام الأربعة ...

وجلست إلى البيان تعزف عليه بأناملها المرهفة... فتصاعدت أنغام حزينة رائعة تفيض سحرا وحنانا وتتمثل في إيقاعها روعة الفرقة وألم البين

بيد أنه عندما تركها لم يكن قد خرج ولكنه دلف إلى حجرة مكتبه في انسياب الثعبان؛ وعندئذ أحكم رتاجها في حذر وران الصمت الرهيب على أرجاء البيت فبدا في سكون مدينة الأموات

كان النهار قد رقد بين أحضان الليل . .

والقمر قد صب شعاعه الهادئ الحنون على السكون ..

والخمائل قد استسلمت إلى مداعبة الأنسام الرطبة ...

كما كان حمدي مستسلما إلى أفكاره الحائرة ...

إنه الآن يستطيع أن يفعل شيئا ..

إنه يستطيع على الأقل أن يقف على جلية الأمر ...

ونزع يده من جيبه وهي مطبقة على الرسالة . . وانسكب عليها ضوء القمر الحالم خلال النافذة فقربها من عينيه وقرأها للمرة العاشرة ...

وخيل إليه أن أتونا مستعرا يصهر أعصابه حين نظر إلى ساعته وأدرك أنه لم يبق سوى ستين دقيقة يحسم بعدها موقفه من زوجه الخائنة كما تطالعه الرسالة بالموعد الذي سيلقاها فيه شريكها في الإثم ...

وخلال ذلك الصراع العنيف الجبار الذي اكتنفه وتنازعه طويلا وقع بصره دون قصد على إطار جميل يضم بين زواياه صورة زوجه ...

فانقض عليها ليحطمها ، لكنه خاف أن يحدث ضجة تفسد عليه خطته ، وتكون حائلا بينه وبين الحقيقة السافرة التي سوف تنبلج بعد قليل فتراجع . وأذهله الزمن عن حاضره لحظات اندفع به فيها إلى أركان الماضي البعيد والقريب ... ومن ثم تراءت له أحداث ووقائع راحت تتدفق على ذهنه المكدود حتى انتهت به إلى سمير تلك الخيانة المخيفة ...

كان طالبا بالسنة النهائية بكلية الطب حين برزت في حياته « ميرفت » و « ميرفت » مثال خلاب من الفتنة الطاغية يتمثل في وجهها سحر الشرق العنيف ، وجمال الغرب الفتان ، ذات عينين عميقتين زرقاوين ، وشعر كأسلاك الذهب ، ينسدل في تماوج على عنق من العاج ، تزينه بشرة كأنها المرمر ...

وكان صاحبنا قد قرأ فيما قرأ مقطوعة شعرية رائعة للشاعر ألفريد دي موسيه يصف فيها محبوبته ... فكمنت في أعماقه تلك الصورة الشعرية ، وتأثر بها أيما تأثر، فبات يحلم بفتاة، أي فتاة، يرى فيها خياله وحلمه ..

ولم يتردد في حب ميرفت حين وجدها على الصورة البارعة التي خلقها في ذهنه الشاعر الفرنسي ، وكأنها هي الأخرى شعرت بما يحمله لها بين حنايا ضلوعه ، فكانت إذا قابلته عند ذهابه وإيابه من الكلية ـ تتضرج وجنتاها وتغض من بصرها ...

أما حيلته هو في هذا الحب فكان يستلقي على فراشه ليستعيد الدقائق التي مرت بهما في مقابلة عابرة ... ويجنح إلى الخيال المريض ، فيودع طيات حبه أمنيات كثيرة ، ويشيد عليه كثيرا

من أهداف مستقبله ، وتمددت المقابلات ...

وارتفعت درجة حرارة هذا الطارئ الجديد ...

من نظرة مختلسة بادئ الأمر ، إلى كلمات تنقصها بعض الجرأة ، إلى رسائل الغرام الملتهبة ، حتى التقيا فى خلوة هادئة بعيدةعن أنظار الفضوليين ...

فى الحدائق ، وعلى شاطئ النيل ، وتبادلا أعذب ألفاظ الحب والهيام ...

ووسط تلك العاطفة الفياضة ... ارتبطا معا بوعد الزواج ...

وحصل حمدى على إجازته الجامعية ... واتقدمه البين كان من الطلبة الذين حازوا شرف إيفادهم إلى الخارج ...

لم يسر لتلك المنحة الجامعية التى تمده لمستقبل زاهر ، بل ظن أن الدهر يريد أن يحرمه سعادته – وإذا كان القدر ينقل خطانا كيفما يعن له ... وما نحن إلادمى ضئيلة تترنح تحت معوله – فلاضير عليه أن يدخل بأنفه ليبدد الحلم الذى تحقق أو كاد. بيد أن الذى هدأ من روعه أن معبودته الفاتنة انتزعت من رأسه فكرة الإحجام عن السفر إلى الخارج ... وفتحت أمامه باب الأمل على مصراعيه . إن حمدى يذكر جيدا تلك الليلة ، ليلة السفر ، وإن شيئا هاما ليظل عالقا بذهنه حتى الموت ... إنه اللحن الخالد ، لحن الوداع ، الذى وضماه معا وهما سابحان فى رحلة حالمة بين أطباق نفسيهما العليا وأغوارها المتباعدة ...

وإنه ليذكر أيضا ... تلك الرسالات المعطرة التى كانت تبعث بها إليه فى بلاد الغرب ، تطمئنه أن قلبها لن يسع إنسانا غيره ، وأنها قد أغمضت عينيها عن جميع شباب هذا الجيل ...

عاد حمدى إلى أرض الوطن . بلد الحبيب مزهوا بما ناله من علم . وما ينتظره من سعادة ...

وصارح والده برغبته فى الزواج من عيرفت فوافق على الفور.

وشهدت القاهرة ليلة من ليالى العمر ، تزوجا فيها ، وبلغا أقصى أمانيهما ...

وانقضت سنة أنجبا فيها طفلا ...

وجاء اليوم المشؤوم الذى جاءته فيه الرسالة ...

إن موزع البريد لم يخطئ حين أعطاه إياها برغم أنها مكتوبة بعنوان زوجه . كل الذى يدركه أن القدر أراد أن يمنحه الفرصة السانحة لينتقم لشرفه المثلوم الذى كان يقدسه ويقدره ...

ترى ... إلى أى مدى وصلت علاقتها « بصلاح » هذا الذى ذيل الرسالة باسمه القذر ، والذى سوف يمحى من قائمة الأحياء بعد قليل ؟

وما كنه هذه العلاقة ؟ وكم من الآدميين أدركوا أنه زوج غافل مخدوع ؟ وأيقظه من غفوة أفكاره قرع خفيف على الباب الخارجى ... فيه خوف واضطراب ...

فانفجر بين خواطره بركان هائج ثائر يقذف بالحمم . وأدرك لتوه أن الساعة قد اقتربت ، وأن الموعد المضروب قد أتى به ركب الزمن ...

وزاد من يقينه وقع خطوات مرتجفة اندست إلى مخدع الزوجية المدنس ...

وابتدأ حبل الشيطان يلتف حول جسده ...

واستولت عليه قوة مفاجئة جعلته يخطو إلى الردهة فى تباطؤ وحذر ...

لكن بريقا حادا التمع أمام ناظره ، فحول بصره ليستقر على مسدس رابض فوق مكتبه ... فجذبه فى نشوة ، واندفع كالسهم ، ووقف عند باب الحجرة يسترق السمع ..

وانبعثت من جوف الحجرة قبلة صاخبة صفعته فى قوة ، فركل الباب بحذائه ... وقبل أن يلجه انطلقت أربع رصاصات من فوهة مسدسه أصابت المرمى ...

فهدأت ثورته ، وداخلته راحة نفسية ، ولذة غريبة ...

وتلفت حوله بعد أن رأى زوجه تنتفض فى لجة من الدماء ، فشاهد مخلوقا ممددا على السرير يبتسم فى بلاهة تبين فيه طفله الصغير ...

شئ واحد أطار صوابه وجعله يهذى كالمحموم ، هو ... أنه بعد وقوع الحادث بقليل سمع وقع أقدام تهبط على الدرج من الطابق العلوى للمنزل يقطعه صوت رقيق ...

— آه ... تذكرت يا صلاح ! لعل السيدة التى تقطن الشقة التى تحت شقتنا قد تسلمت الرسالة ... كما حدث فى الرسالة السابقة لتشابه اسمينا !!

عبد القادر حميدة

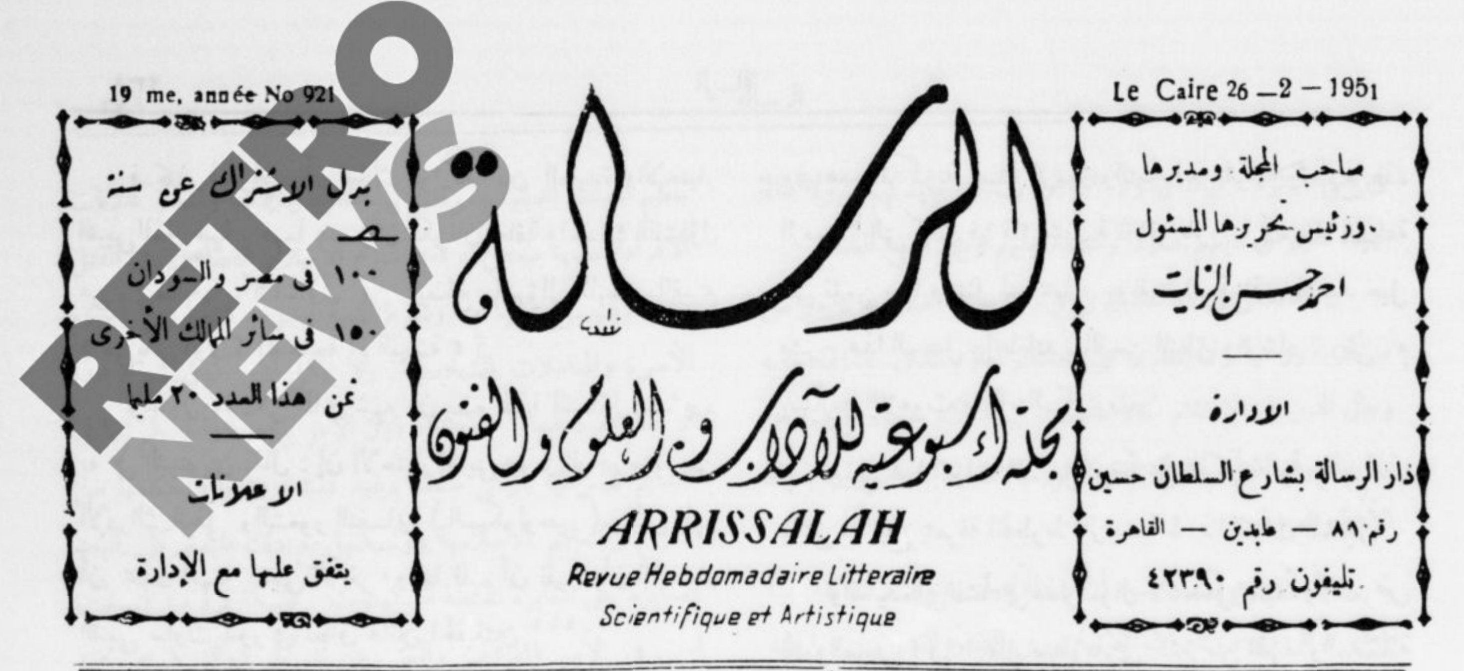
مطبعة الرسالة



العدد ٩٢١ — ٢٦ فبراير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد



العدد ٩٢١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ — ٢٦ فبراير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

الدين والسلوك الإنسانى

للأستاذ عمر حليق

— ٥ —

النتائج الاجتماعية للاختبار الدينى (١)

ليس التاريخ الدينى إلا تاريخ الصراع الناجح الذى توصل فيه الإنسان إلى التعبير عن الانفعالات النفسانية والطمأنينة الروحية التى اختبرها فى امتثاله لتعاليم الأديان على حد قول (جورج سميل) الفيلسوف الاجتماعى الألمانى (٢)

حاول سميل ومفكر بريطانى آخر (٣) أن يتلمسا أوجه الشبه بين النظم الروحية وبين النشاط الفكرى الذى يحمل فى ثناياه متماً روحية كالفن والشعر والأدب الرفيع وفلسفة التشريع والعلوم المادية

وليس يعنينا فى هذا البحث استعراض أوجه الشبه هذه وإنما لفتنا النظر إليها لبيان ما تنطوى عليه معارضة بعض المثقفين المحدثين من الدين نفروا من الحياة الدينية واستعاضوا عنها بالفن والمتعة الروحية المستمدة منه ومن فلسفة التشريع والعلوم الطبيعية

ولعلنا نوفى هذا الاستعراض حقه إذا حاولنا التعرف على حقيقة الاختبار الدينى والمسالك العاطفية والنفسانية التى ينتهجها

يحلو لبعض الناس ومنهم الصوفية والمنقطعون إلى العبادة أن ينادوا بأن الدين فى أصوله ليس إلا تأملات فى النفس وخالقها وفى النظام الكونى . ويقول الدنيويون من خصوم الحياة الدينية إن الأديان وليدة التأمل فى الخليقة وبارئها ؛ وعليه يجب ألا تتعدى حدود التأمل والعبادة

ومثل هذا الوصف لا يعطى إلا صورة مشوهة عن وظيفة الدين وحقيقة الاختبار الدينى

ولقد رأينا كيف حاول (دير كهايم) أن يجيب عن التساؤل الذى شغل الناس فى الغرب منذ قرون وهو : هل تسبق العقيدة الاختبار الدينى، أم أن ذلك الاختبار هو الذى يساعد على رسوخ العقيدة فى نفسية المؤمن ؟ وهل الطقوس الدينية مستمدة من العقيدة ، أم الصواب عكس ذلك ؟

---

(٢) الاختبار الدينى تعبير وسط لا يعنى به كاتب هذه السطور الانقطاع للحياة الروحية المجردة ، ولا يعنى به كذلك مجرد الانتماء إلى عقيدة من العقائد السماوية، وإنما هو ذلك الوضع الذى يعتنق فيه امرؤ مذهباً دينياً ويؤمن به إيماناً صادقاً يستمد منه المتعة الروحية والطمأنينة النفسانية ويمثل القيم والمثل الأخلاقية التى تنطوى عليها تعاليم ذلك المذهب الدينى . ولعل كلمة التقوى أقرب المصطلحات الاسلامية إلى هذا التعبير

(٢) George Simmel Contribution tc the Sociology of Religion

(٣) J. Macmurray. Structure of Religione Experience.

فكان الجواب أن هناك تواكلا بين العقيدة والاختيار الدينى المعبر عنها . فهما عنصران يكونان حلقة واحدة ؛ فالتساؤل عن إيضاحها كالتساؤل عن إيضاح السؤال المنطق القديم « من يأتى أولا ؟ الدجاجة أم البيضة » ؟

وحاول مفكر ألمانى شهير أن يضع لهذا التساؤل حدا يرد به على الدينويين فقال : إن الاختيار الدينى هو فى الواقع مزيج من الإدراك العقلى والشعور النفسانى (السيكولوجى) وليس المهم أن نحدد أيهما يسبق الآخر ، وإنما المهم أن نقرر بأن الاختيار الدينى سلوك يدور فى نطاق هاتين الحقيقتين [١]

وأخذ كاتب ألمانى آخر [٢] هذا الجواب وبنى عليه بحثاً جمله فى ثلاثة أبواب :—

(١) العقيدة والاختيار الدينى

(٢) الطقوس والاختيار الدينى

(٣) النتائج الاجتماعية للاختيار الدينى

وسنعتمد إلى حد بعيد على هذا التقسيم فى هذا الفصل من دراستنا .

العقيدة

يقول (لاوى بروهل) فى دراسته الشهيرة [٣] إن الأسطورة أو الخرافة التى تتعلق بها المجتمعات البدائية تتطور فتصبح عقيدة عند المجتمعات المتحضرة . وللأساطير لغتها المنطقية الخاصة . والأساطير التى تتعلق بالآلهة عند المجتمعات البدائية تتفرع وتتشعب ولكنها تتحد فى الجوهر . وحين يأخذ المجتمع البدائى بأسباب الحضارة تتقلص أنواع أساطيره ويندثر بعضها لتفسح الطريق أمام ملحمة محبوكة الأجزاء . ويلعب التطور الفكرى والنمو العقلى دوره الكبير فى خلق هذه الملحمة مطهرة من الأدران والسخافات التى لا يدرك الفكر البدائى سذاجتها . ويصاحب هذا النمو العقلى عادة تركز السلطة الروحية التى تعبر عنها هذه الملحمة فى يد الكهنة وخدام الآلهة والعليا كل القدسة

وفى هذه المركزية تصاغ الرموز والتعبيرات الدينية وتصبح هذه الرموز (التى كانت فيما قبل شفهية تتناقل بالرواية) سجلا للجماعة التى تؤمن بها وتمتثل لتعاليمها . ويقوم الكهنة جيلا بعد جيل بشرح هذا السجل وإحاطته بهالة من المنطق والرشاد ، ومن ثم ينشأ علم اللاهوت ونظام الكهنوت

ويبقى هذا التراث المسجل وقفاً على الكهنة وأعوانهم بينما يكتفى الأتباع بمعرفة الخطوط الرئيسية لهذا التراث المسجل

والعقيدة التى تنشأ على هذا المنوال لا تتحمل تفنيداً ولا تتعرض للنمو الصحي ؛ وإنما تظل منطوية على كثير من الهراء والسفسطة والزيغ الذى لا يقبله العقل السليم

وعلى مبلغ صدق العقيدة وصحة ألوهيتها تتوقف سماحة الدين . فالعقيدة التى تظل محصورة فى يد الكهنوت تعجز عن مماشاة التقدم الفكرى والرقى العقلى للفرد وللجماعة

أما العقيدة الإلهية الصادقة التى لم تنشأ عن الأساطير والخرافات وإنما نشأت عن وحى من الإله العلى العظيم ورسله المختارين فلا يجد الجدل إلى جوهرها سبيلا . فهى ليست وقفاً على طائفة من الكهنة ولا هى نظام إدارى تنحصر وراثته فى نفر معين من الأتباع ؛ وإنما هى مشاع بين الناس وتراثها المسجل فى متناول الجميع

والإسلام عقيدة أوحى بها الله إلى نبيه المختار ورسوله المصطفى ؛ والرسول الكريم لم يكن كاهناً يحتكر المعرفة الدينية وإنما كان مبشراً ونذيرا يدعو الناس إلى اتباع هذه المثل العليا التى نزل بها الوحى عليه ، وبضع القرآن الكريم فى يد كل من يستطيع قراءته ومن لا يستطيع . ولقد يجوز لنا أن نقول كذلك إن نظام الصلاة فى الإسلام كما أوحاه الله تعالى إلى رسوله الكريم قد عنى به بالإضافة إلى الطهارة الروحية والجسمانية ، وحق الخالق على المخلوق بالإضافة إلى هذه الحقائق الجيدة أن يستمع الناس إلى كلمة الله صافية خالية من التأويل والتفسير . وكأن البارى عز وجل لم يكتف بتجريد الإسلام من الكهنوت ، بل أوصى جل جلاله فى طريقة عملية ألا تكون هناك صلات بين العبد وبارئه غير صلات الروح والفكر المستمدة من الاقتناع الشخصى

والسنة الاسلامية الموروثة أن يلقن القرآن الكريم للأحداث

---

(١) H. Faftesbrink The meaning of objectivism,

(٢) J, wach, Sociology of Religion,

(٣) Primitive Mentality

فى سن مبكرة ، فينشأوا ولا غموض يكتنف عقيدتهم ، ولا هالة تحيط بطقوس دينهم ، ولا وساطة بينهم وبين العلى العظيم

والتخصص فى دراسة الدين الإسلامى فى معاهد العلم لا يفترض مركزية روحية ولا ينطوى على احتكار لعلوم الدين. وما يقوم به رجال الدين فى الإسلام يكاد ينحصر فى تذكير العباد بكلمة الله كما نزلت فى القرآن الكريم وكما عززتها الأحاديث النبوية واجتهاد الأئمة والصالحين

وكل مستمع إلى خطب الجمع والأعياد يلمس ذلك كله لمساً تاما. وكل دارس للتراث الإسلامى فى الفقه والتشريع وما إليه يدرك ذلك من أول وهلة

فالأزهر وغيره من معاقل العلوم الدينية لا يخرج كهنة، وإنما يؤهل طلبته لنشر الدعوة الإسلامية وشرحها وتوضيحها للفرد وللجماعة الذين عاقتهم شؤون الحياة اليومية عن استذكار التعاليم الدينية وما انطوت عليه من حكم وموعظات

فوظائف رجال الدين فى الإسلام على تنوعها لا تتعدى الوعظ والتعليم والإفتاء، وكلها نشاط متمم للثقافة الدينية التى بدأها الحدث المسلم فى سنه الباكرة

وقد اتجهت البروتستانتية إلى الاقتداء بالإسلام فى هذا المضمار والواقع أن البروتستانتية فى بعض أسسها الجوهرية لم تكن إلا ثورة على كهنوت الكنيسة وما أحدثه من ديكتاتورية دينية على النحو الذى يعرفه المطلعون على تعاليم لوثر وكالفين وجماعة الموحدين [1]

وخلو الإسلام من سلطة الكهنوت الروحية واهتمامه ببيان العقائد والعبادات لا ينفى أن أحكامه تستوجب نوعا آخر يراد به تنظيم السلطة الدينية وموقفها إزاء الفرد والجماعة وتنظيم علاقات الأفراد بعضها ببعض. فقد شرع الإسلام القصاص فى القتل وغير ذلك من الجرائم ، وشرع الدية وشرح كثيراً من أحكام الأسرة والمعاملات الشخصية. ولا يمكن أن يكون شرع هذه الأحكام لمجرد البيان والإرشاد دون الأمر بإقامتها والحكم بها فى المحاكم الشرعية ، وهى سلطة دينية تستمد وزنها وأحكامها من الشرع والتعاليم الاسلامية ، ولكنها مع ذلك بعيدة كل البعد ومغايرة كل المغايرة لسلطة الكهنوت . فلكل فرد من المسلمين الحق فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر «والنكوص عنه مع القدرة عليه إثم عظيم» كما قال فضيلة الشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية السابق فى خلال النقاش عن السلطة الدينية وحقوقها وواجباتها [1]

ولنعد إلى صلب موضوعنا . رأينا مع (لاوى بروهل) كيف ينشأ الكهنوت من تركز السلطة الروحية فى يد جماعة مختارة من الحافظين لتراث الدين المسجل ، وكيف أن هذا الكهنوت بحكم احتكاره للمعرفة الدينية وحقوقها وواجباتها قد وضع ما يعرف فى بعض الديانات بعلم «اللاهوت»

وحين خرج من قبضة الكهنوت احتكار المعرفة الدينية وأتيح لبعض النابهين من الرعية التعمق فى الدراسة والاستقراء نشأت الفلسفة الدينية وأخذت تجادل الكهنوت فى أسرار الدين وتأويلاته وتحليلاته وأحكامه وتفاسيره.

ووجد الكهنوت فى بعض الحالات أنفسهم فى مأزق حرج فلم يكن استعدادهم الفكرى ليتحمل هذا النقد ؛ وذلك لأن حياة الكهنوت فى عزلة عن الحياة اليومية ، ولأن اللاهوت الذى وضع الكهنة على مدى الأجيال أسسه ومبادئه كان قد أهمل فى كثير من الحالات مراعاة الحقائق الاجتماعية ؛ ولذلك فقد وجد الفلاسفة ومن ورائهم علماء الطبيعة مآخذ على العقيدة الدينية كما يحفظها الكهنة ويبشرون بها ويعرضونها على سلوك الناس . واشتط الفلاسفة وعلماء الطبيعة فى تهجمهم على الكهنة ولاهوتهم

---

١ جماعة الموحدين حركة بروتستانتية يزداد أتباعها فى أمريكا يوماً عن يوم. ويفخر الداعون إليها بأنها دين الشعب بمعنى أن الصلاة يؤمها أى مؤمن من المؤمنين ، وليس للقساوسة شأن كبير فى هذه الحركة إذ أن من أهدافها الرئيسية رفع الوساطة بين المرء وربه وجعلها على مثل التعاليم الإسلامية التى تنظم علاقة الانسان بالعزة الالهية . وقد تسنى لكاتب هذه السطور أن يتحدث عن الاسلام فى حلقة لدراسة العقائد الدينية نظمتها اللجنة المركزية لجماعة الموحدين فى جامعة هارفارد وقد أبدى الحضور مزيدا من الاهتمام بطبيعة النظم الدينية والسلوك الدينى فى الاسلام وقررت الحلقة فيما قررت أن تتصل بالمراجع الاسلامية فى مصر والباكستان للتوسع فى دراسة هذه النظم الاسلامية من مصادرها الأصلية

١ — راجع جريدة المصرى أعداد ٢ ، ٣ ، ٤ يونيو سنة ١٩٥٠ ؛ والنقاش الذى دار بين الأستاذ محمد خطاب بك وجماعة كبار العلماء فى الأزهر حول مصادرة كتاب «من هنا نبدأ» ، الذى وضعه الشيخ محمد خالد

روافع المجتمع ..

للأستاذ محمد محمود زيتون

لم تعد الدراسات الاجتماعية عقودا من إرشادات ونصائح ، أو فرائد من أفكار مرتجلة هي بضاعة ذوى المآرب في الدعاية لأشخاصهم والترويج لمبادئهم أو أحزابهم . مضى كل ذلك مع أمس الدابر ، يوم أصبح المجتمع في نظر العلم الحديث موضوعا للمقاييس ومجالا للمناهج ، وميدانا للقوانين العامة أقصى ما يكون العموم . وبذلك كان الاجتماع البشرى آخر معقل من معاقل العرفان غزته جيوش العلم واتخذت منه معسكرا

وليس أدل على ذلك من قوانين الاقتصاد التي أصبحت رموزا ومعادلات جبرية تسير بمقتضاها الظواهر الاجتماعية كما هو معروف في قوانين العرض والطلب ، وقانون «ملتوس» في تزايد السكان . وانضوت البحوث السيكولوجية - هي الأخرى - تحت لواء العلم منذ وجدت النزعة العلمية الحديثة أرضا خصبة لها في كل مكان

وهـذا علم الاجتماع لم يشذ عن هذا المضمار ، فقد ميز فيه «دور كيم» جانبين هامين هما «الاستاتيكية» و«الديناميكية» شأنه في ذلك شأن الكهربائية في جانبيها «الذاتي» و«الانتقالي» ، واعتبر النشاط الاجتماعي عن ظواهر أو وقائع Faits ينظر إليها العلم على أنهـا «أشياء choses» من حيث خضوعها للحواس من جهة ، وللمقاييس من جهة أخرى . ثم من حيث أنهـا تسير حسب قوانين صارمة لا تتخلف ، وعلى الباحث أن يجد في كشف هـذه القوانين المضارعة لقانون الضغط مثلا ، فإنه لم يكن قد اكتشف بعد ، بينما آثار الظواهر لا تنكر

وقد حرصت المدرسة الاجتماعية الفرنسية الحديثة على طبع فروع العلم الاجتماعي بهذا الطابع العلمي الخالص ، وظهرت آثار هـذا الحرص فعلا في دراساتها لعلوم الأخلاق والسياسة والدين والقضاء والجمال

وإذا كان «دور كيم» قد اقتبس من الفلك والكهرباء والفيزياء والكيمياء على أوسع نطاق ،فلا حرج علينا إذا اتخذنا

في تحيز أفسد عليهم الرشد والنزاهة ؛ وأصبحت العقيدة الدينية بفضل هـــذا الصراع علما على الإيمان الساذج سذاجة الجهل والتعصب الأعمى الذى تبثه ديكتاتورية الكهنوت في العقول الساذجة والقلوب القلقة نشأت . ولم تقتصر هذه الوصمة على الأديان التي تطورت من الخرافات والأساطير، وإنما شملت الأديان السماوية التي أوحى بهـا الله إلى رسله وأنبيائه

وأصبحت الفلسفة ونظرة الطبيعيين إلى الحياة والممات علما على التحرر والفكر الطليق . ولكن هـذا الانطلاق (كما بينا في مستهل هذا البحث) لم يستطع أن يزعزع الإيمـان الصادق أو أن يطوح بالغريزة الدينية والطمأنينة والاستقرار الذى يهيمن على من يختبرون في صدق الحياة الدينية . وبازدياد الصراع بين العقل المجرد والعقيدة الدينية ازدادت البلبلة الفكرية والفوضى الأخلاقية وتعرض المجتمع إلى مشكلات لم تكن الفلسفة ولا العلم الطبيعي مستعدين لمعالجتها

فإذا نشأت في العالم اليوم نزعة إلى التوفيق بين الحياة الروحية والظواهر الطبيعية والحقائق الاجتماعية فما ذلك إلا لأن هذه الأمور جميعها تؤثر في حياة الفرد والمجتمع

وسنحاول في الفصل القادم أن نتعرف جوهر العلاقات بين هـذه الأمور متابعين البحث في النتائج الاجتماعية للاختيار الديني ومجارين بذلك هذا الاتجاه الجديد في التفكير الغربي الذى أقلقه تطور العلوم الطبيعية التي قطعت صلاتها بالقيم الأخلاقية التي يبشر بها الدين فأنتجت القنابل الذرية والمشاكل النفسانية التي تعبث بمجتمع مفكك الأوصال مشحون بالفوضى والقلق

نيويورك للبحث صلة عمر حليق

من الميكانيكا استعارة صريحة نستعين بها على فهم المقومات العامة للمجتمع الموزون فى قواه الداخلية والخارجية

وتتركب الرافعة – وهى نوع من الميزان كما تعلم – من محور الارتكاز والقوة والمقاومة ، ولا يستقيم الميزان إلا إذا تحققت المعادلة الآتية أياما كانت الرافعة : القوة فى ذراعها تساوى المقاومة فى ذراعها

والروافع ثلاث كنا نحفظها ونحن تلاميذ بالسنة الثالثة الابتدائية بناء على طلسم خاص هو (رمق) . فالقاف رمز القوة . والميم رمز المقاومة والراء رمز محور الارتكاز ، ثم إن هذا الطلسم بوضعه هذا يكون مفتاحا لأنواع الروافع

فالنوع الأول يكون فيه محور الارتكاز بين القوة والمقاومة

والنوع الثانى تكون فيه المقاومة بين محور الارتكاز والقوة

والنوع الثالث تكون فيه القوة بين محور الارتكاز والمقاومة

ولهذه الروافع الآلية فوائد عملية للإنسان ، فهي تنفعه فى التغلب على القوى الكبيرة باستعمال قوى صغيرة . وروافع المجتمع أشبه بروافع الطبيعة فى بساطتها وتعقيدها . وليس يخفى أن الحياة الاجتماعية إنما هى تفاعلات مستمرة بين عناصر لاحد لها ولا حصر ، ومن أبرزها عوامل الجغرافيا والتاريخ والدين والاقتصاد والسياسة والأخلاق والعلم والصحة والجنس واللغة

ومن العبث أن نعتبر المجتمع مكونا من أفراد كما نعتبر الجدار مجموعة من قوالب مرصوصة على نحو أو آخر ، ذلك بأن الإنسان شخص لا فرد ، والفرق بين الشخصية والفردية مداره تكامل الجهاز العصبى ، ذلك التكامل الذى يبلغ أقصاه عند الإنسان ، ويندرج تحته سائر الأحياء فى سلم النشوء والارتقاء ، ولذلك يقال فى البيولوجيا إن الأرنب فرد لأن سلوكه طائفى ، بينما الكلب شخص لأن سلوكه ذاتى . ومعنى ذلك أنه كلما كان سلوك الحى متدرجا فى الرقى مع مرونة الجهاز العصبى ، كانت له شخصيته التى بها يعرف ويمتاز

وليست هذه « الشخصية العنصرية » حجر عثرة فى سبيل « التكامل الاجتماعى » كما يبدو لأول وهلة ، فإن الميول الفطرية العامة من أهم العوامل فى تحقيق هذا التكامل بين الأشتات ، وذلك التقارب بين العناصر . وإنه لمن اليسير أن تتلاقى الأهواء والميول وفاقا لقانون « الجاذبية الاجتماعية » ذلك القانون المستمد من الطبيعة السيكولوجية . والذى يوحى بأن حياة المجتمع أشبه ما تكون بحياة القطيع ، يرى الفرد نفسه منساقا إليه ، مدفوعا معه مثل « خروف بانورج » فى القصة المعروفة

فإذا كانت الغرائز هى تلك القوى الفطرية والأسس الأولى للسلوك ، فإن الميول العامة هى القوى التى ينبنى عليها المجتمع ، وهى لا تظهر بوادرها إلا بوجود الإنسان فى المجال الاجتماعى ، وتلك الميول هى مايعبر عنها بالإيحاء والمحاكاة والمشاركة الوجدانية

وأقرب مثل لذلك سرادق منصوب ، فيه خطيب متحمس يخطب فى جمهور من الناس مختلفين فى الأفكار والنزعات والأهواء ، ومع ذلك سرعان ما يتفق الجميع على رأى الخطيب عن طريق « الإيحاء » ويساير البعض رأى البعض الآخر فى التصفيق والهتاف عن طريق « المحاكاة » ويتأثر الجميع بانفعالات الخطيب من غضب أو فرح أو حزن عن طريق « المشاركة الوجدانية » ولولا وجود هذا المجتمع ماكان لهذه الميول أن تظهر فى الفرد

بهذا يسهل التقريب بين عناصر المجتمع ، ويتم التكامل الذى به تختزل الصعاب أمام الإصلاح ، ويتبلور الرأى العام ، فيستطيع المشرعون أن يستمدوا منه القوانين الصالحة لأنها تطابق الآمال المشتركة والأهداف العامة

وعلى ضوء هذا كله نتساءل : ماهى روافع المجتمع ؟ أو بعبارة أخرى ما هى العوامل التى ترفع من شأن المجتمع حتى يكون الفرد والمجموع على وفاق تام بالنسبة للمثل العليا فى مرافق الحياة الكريمة . فلا يضطرب الميزان الاجتماعى ؟

أما المجتمع الأول فهو الذى يقوم « العلم » فيه مقام محور الارتكاز فى الرافعة الأولى ، وتكون « الأخلاق » بمثابة القوة ، و « التاريخ القومى » بمثابة المقاومة . ولا شك أنه فى مثل هذا المجتمع تتعادل مخلفات الماضى مع آمال المستقبل ، كما تتعادل الكفتان فى الميزان . ولا سبيل إلى ذلك إلا بالعلم الذى يبصر المواطنين بمآثر أسلافهم فيتخذون منها دعامة لصروح المجد الذى ينشدونه ، ولا يدفع المجتمع بعيدا نحو أهدافه غير

الأخلاق ، فإذا كانت مهمة العلم تنوير العقل ، فإن مهمة الأخلاق صقل الضمير ليبغى الخير وينشد الحق

ولهذا يجب أن تكون « الكفالة الأخلاقية » واجبا عاما يقوم به المسجد والكنيسة والجامعة والمدرسة والمنزل والشارع، والمسرح والسينما والصحافة والإذاعة ، والمقهى والملهى ، إذ الأخلاق فى المجتمع قوة رافعة دافعة ، مما يتحتم معه على هذه الدوائر أن تتولى أمرها جميعا ، فلا تختص بها هذه دون تلك ، والمجتمع وحده أن يحكم لأيها يكون الفضل فى تنقية الضمائر ، وترقية الغرائز ، وتعلية النوازع

والمجتمع الرفيع هو الذى يدرك المعالى من أقرب طريق وأبسط جهد ، ومن أجل هذا اخترنا له هذا النوع من الروافع الاجتماعية إذ تتكافأ القوة مع المقاومة ويتسابق إلى القمة تراث الأمس وهدف الغد على غير نفرة بينهما أو شذوذ ؛ إذ هما أشبه بضلعين متساويين فى مثلث متساوى الأضلاع ، قاعدته الثابتة العلم الراسخ بحقائق الأمور

ولا يخفى أن البعد أو القرب من محور الارتكاز يرجع إلى مقدار تكافؤ القوة والمقاومة ، وتبعا لذلك تكون رسالة العلم سريعة الأداء إذا توافرت الذخيرة الأخلاقية ، وتعددت القوى والأثقال، وعندئذ فقط تستجيب المقومات الحضارية ، وتضطر إلى المعادلة، وإلا اضطرب الميزان ، واختلت روافع المجتمع ، وشالت كفة ورجحت أخرى

والمجتمع الذى من هذا النوع يشبه « الكماشة » لأن محور ارتكازه « العدل » الذى يوطد أركانه قوة مطلقة من « القانون» وهنا فقط نستطيع التغلب على « الجريمة » التى لن تفلت من فكى الكماشة ما دامت عين القانون ساهرة ، وقادرة على التوغل فى كل وكر فتسلط أنوارها الكشافة على جسم الجريمة بصرف النظر عن المجرم مهما تكن قرابته أو عصابته أو مكانته ، بل الكل سواء بلا تفريق

والمجتمع الثانى هو الذى تكتمل فيه عناصر الرافعة الثانية ، فتكون المقاومة بين محور الارتكاز والقوة ، كما فى « كسارة البندق » حيث ترتكز على مفصلها ، وتوضع البندقة قريبا من المحور ، وتضغط اليد على أقصى الطرفين لتحاول كسر البندقة التى تقاوم حسب استعدادها ، وتبعا للضغوط المتتالية عليها

وفى رافعة هذا المجتمع يكون « الاتحاد » قوة و « السياسة» مقاومة ، ومحور ارتكازها هو « الاستقلال » فإذا ارتكز المجتمع على الاستقلال التام استطاع أن يقاوم مقومات تقدمه ، وأن يفك الأغلال والأصفاد التى تحول بينه وبين الانطلاق ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتضافر الأفراد واتحادهم جميعا كأصابع اليد الواحدة فى قبضتها على يد الكسارة ، وعندئذ لا يكون لإصبع حق فى ادعاء الظفر ، وإنما الفضل للوحدة المتصلة لا للفرقة المنفصلة

وعوامل الاتحاد فى المجتمع الرفيع ميسورة لا تستعصى على الإمكان . أليس الدين يدعو إلى وحدانية الله واتحاد العباد ووحدة القبلة ؟ أليس العلم فى مجمله ومفصله يفترض العقل الذى هو أعدل الأشياء توزعا بين الناس ؟ .. أليست الحقيقة متمثلة فى حاصل جمع عددين أو باقى طرحهما، وإنه إذن لصواب أو خطأ، ولا مجال للجدال

والاستقلال فى ذاته رفعة ، وبالنسبة للجهاد وسيلة رافعة ، لأن الفرد المستقل هو المجتمع المستقل عاجلا أو آجلا ، ولن يكون ذلك إلا بكشف الأغطية عن العقل المفكر ،ورفع الكمائم عن الأنفاس الحرة ، وطرح المخدرات المقوتة عن الأنوف الشامخة ، بعيدا بعيدا ، والحذر من المسكنات التى لا يقصد منها غير الاستهلاك المحلى . ولابد من الارتكاز على الاستقلال فى قوة واتحاد لإخماد التعصب والتحزب ، وإحباط التعالى على الغير وازدراء أقدار الرجال إلى غير ذلك مما يقوم مقام البندقة من الكسارة ولا يعلم صلاحها أو فسادها إلا بالكسر

ومكافحة المعوقات السياسية من أيسر اليسر ، فليس أقل من التفرقة بين السياسة والاستغلال ، والفصل بين الوطنية والحزبية، لهذا كان طول ذراع القوة مؤذنا بأن قليلا من القليل يكفى لكسر البندقة التى قد يغرى قربها من محور الارتكاز باحتقار شأنها ، فى حين أن قصر ذراعها يستلزم الضغط ، وهو إن بدا

من بعيد غير شديد إلا أنه كفيل بتفتيت قنبـلة ذرية ، وليت الناس يعلمون حق العلم قانون الروافع الاجتماعية ، إذن ما ضلوا سواء السبيل ، ولا تكلفوا الشطط مع بعضهم بعضا ، ولا كلفوا أنفسهم وأوطانهم مشقة الاحتيال على المشاكل الملفقة بينهم وبين أعدائهم وخصومهم

وهذا المجتمع يشبه « عربة الكناس » وقـد امتلأت بالأقذار ، وهو يدفعها أمامه ، وهى تندفع على عجلة من حديد، وتميل ذات اليمين وذات الشمال ، وهو من هزاله يميل معها كما تميل ، ويحاول أن يقاوم هذه القذارة الثقيلة ، ولـكنه مرغم على احتمال المكروه فى سبيل الجلاء ، الجلاء التام

ذلك هو شأن المجتمع الهزيل النحيل الذى يكافح الاستعمار والحماية والاحتلال ، ويرتكز على عجلة الزمن : تدور فتطوى الطريق ، وهو وراءها ليس له أن يسبقها أو يدعها تكر بين يديه من غير دفع مستمر

ياله من كناس يقبض بيديه على نعش العـدو ، يشيعه إلى خارج البلد إلى غير رجعـة ، والأيام تطاوعه ، فلا ينبغى له أن يستعجل الجلاء ، ففى العجلة الندامة ، وحسبه أن عجـلة الظلم لا تدور مع الأيام ، فليعتمد على ضعفه ليـكون هو القوة .. إن ذلك من عزم الأمور

إن المقاومة القذرة ، والبطش الـكافر ، والاستبداد المنيف ، كل ذلك مطرود من كل بيت ، ملفوظ من كل كوخ ، ولا يستقيم مع نظافة العيش ، وسـلامة الطريق . وياليتنا نتفهم فلسفة هذا الـكناس الذى عرف كيف يبدأ وأين ينتهى ، لم يتكل على أن القذارة ستزول من بيته ما بين طرفة عين وانتباهتها ، بل نهض وشمر عن ساعد الفقر والجهل والمرض ، لينعم بالغنى والعلم والصحة .. إنها حركة وفيها بركة ، إنها كاسحة نازحة ، وعما قريب تـكون الفاتحة ، والمجتمع المرفوع هو الذى خيره لا مقطوع ولا ممنوع ، وشر عدوه دائما مقلوع لا مزروع .

الزمن محور ارتكاز ، وإن طالت الآماد بين حلو الشهـاد وخرط القتاد ، على أن الصبر معروف مألوف . فالظلم والعدوان سينقلبان أسوأ منقلب ، وبعدهما الحرية التى لاحدود لها ، والنظافة التى لا بعدها ، ومن ذا الذى لابود أن يغدو ثقيلا ليروح خفيفا ، أو أن يكافح عدوه ليعود سيد نفسه ، أو أن تـكرهه الأيام على جر العربات ، لتكون له وحده الثمرات

أما المجتمع الثالث المرفوع ، فمـا أشبهه « بلاقطة الجمر » ، ولن يستغنى المجتمع عن هـذه الرافعة فى التقاط كل جمرة متقدة من العلوم والفنون ، وكل ألوان الحضـارة ، ولا يكون ذلك إلا بالارتكاز على « الحرية » فى الأخـذ والعطاء ، بحيث لا نأخذ بالجبر ، ولا نعطى بالقهر ، ولن تـكون الحرية مكفولة إذا فتحت الأسواق لـكل بضاعة من غـير تدخل يراد منه الصيد فى الماء العكر ، لـكساد بضاعة صالحة ، والترويج لأخرى فاسدة،وليكن قانون الجميع « البقاء للأصلح »

هذه الحرية لابد منها فى تبـادل النفع المشترك بين الشعوب الراغبة فى السلام ، الساعية فى الخير ، ومع هـذا فإن « الشر » سيقاوم هذه الغاية النبيلة ، ولن يكون عنصرا فعالا فى المقاومة إلا إذا طال واستطال ، وأدمن فى المطال ، كلما تقاضته الإنسانية ضريبة الحياة ، والشرقوة لا محالة ، ولـكن سرعان ما يمحى فى ظلال الحرية ، وعلى جمرات العلوم والمعارف

مجتمع هذه رافعته جدير بأن يكون أفراده يدا واحدة، تقاوم الرذائل والشرور بل تبطش بها البطشة الـكبرى حتى لا يضار بها المجتمع . ولعمرى لئن كانت هذه اليد بمثابة القاومة فى الرافعة فإن محور الارتكاز اللازم هنا إنما يكون الدين المتين ، الدين الذى عقد سلطانه المشروع إلى كل مرفق من مرافق الحياة المعلقة بيد الله ، وعندئذ تـكون «الأمانة العامة» هى القوة الدافعة للمغريات حينما تتكاثر وتتثاقل على اليد البيضاء بالرشوة والسرقة والاحتكار والاستغلال، فتدفعها عنها فى إباء وترفع يرتفع بهما المجتمع بأفراده إلى المثل العليا

هذه هى روافع المجتمع ، فلينتظر كل فرد أين هو من هذه المجتمعات ، وعليه أن يرتفع بالتدريج إلى المقام الرفيع الذى يكون فيه المجتمع وأفراده متكافئين فى الميزان . وذلك هو الهدف الذى لا مطمح بعده من رفعة ، ولا حاجة وراءه من روافع

محمد محمود زيتون

خليل شيبوب

فى ذمة الله !

للاستاذ منصور جاب الله

فى مطالع عام ١٩٢١ كان المغفور له أحمد شوقى بك فى الإسكندرية يتردد على « بنك الأراضى » بغية شراء أرض زراعية؛ وإذ أدخلوه القاعة التى يجلس فيها « رئيس قلم العقود » ، بصر به شابا قسيما وسيما قد انهمك فى تصحيح تجارب مطبعية ، وذهل عن كل ما حوله ، فسأله أمير الشعراء عما يفعل ، فأجاب بأنه يصحح « بروفات » ديوان شعره . ودهش شوقى بك وسأله :

— أأنت شاعر؟

— لست شاعراً ولكننى أنظم الشعر أحيانا !

— هل لى أن أتشرف باسمك ؟

— اسمى خليل شيبوب

— ومن كتب مقدمة ديوانك ؟

— كتبها خليل مطران

— وتعرف مطرانا ؟

— نعم أعرفه ويزورنى فى منزلى فى بعض الأحيان

بهذه المحاورة نشأت صداقة خليل شيبوب لأمير الشعراء ، وعرض عليه شوقى بك أن يكتب له مقدمة لديوانه تضاف إلى مقدمة شاعر القطرين ، وإذ ذاك استطار « الشيبوب » فرحا وقبل العرض شاكراً ، وإذ كان الكتاب قد تم طبعه ، فإن المقدمة ألصقت به إلصاقا . ومما نذكره منها الساعة قوله :

شيبوب ديوانك باكورة

وفجرك الأول نور السبيل

ويعنى بالفجر الأول اسم الديوان ، فكذلك رأى خليل أن يسمى ديوانه رمزاً إلى شبابه الأول وغضارة العمر . وليس فى قصيدة شوقى هذه جيد يذكر اللهم إلا قوله فى الشعر عامة :

ما فيه عصرى ولا دارس

الدهر عمر للقريض الأصيل

ومنذ بضعة أعوام أقام السوريون واللبنانيون فى الإسكندرية حفلا لتكريم المغفور له خليل مطران بك كان خطيبه الأول خليل شيبوب ، وإذ قارب الحفل نهايته وقف خليل مطران وبايع لخليل شيبوب بخلافة الشعر من بعده ، واعتز شيبوب بهذه « البيعة » لأنه كان يجل « المطران » ويجعل من نفسه حواريا من حوارييه. وغاب عن مطران أن الأدب لا يورث ، وليس فيه خلف ولا سلف . والحق أن « الشيبوب » كان أشعر فى بابه من مطران ، وإنما سبقه المطران إلى الشهرة لأن الذين فى أيديهم أمور النشر والإذاعة رأوا أن يجعلوا منه ثالثا لشوقي وحافظ . ولسنا نحب أن نناقش حجية هذا الرأى فنحن بصدد الكلام فى خليل شيبوب ومذهبه فى الشعر والأدب جميعا

والحق أن شيبوبا كان يتمذهب بمذهب خليل مطران فى الشعر الوصفى أو الرمزى ، فهو شاعر وصاف ، والشاعر الوصاف ينزع أكثر ما ينزع إلى الناحية المادية ، بيد أن شعر شيبوب فى هذا المنحى أقوى من شعر مطران ، فيه قوة نفتقدها فى قريض شاعر القطرين وعاطفة مشبوبة قل أن نعثر عليها فى قصائد الوصافين من الشعراء المحدثين . ثم إن شيبوبا هو الذى يقول :

ليس بجسمى قطرة من دم

لم تختبر حبا ولا تعشق

على أن خليل لم يفرغ للشعر مرة واحدة وإنما جعله هواية له فى أوقات الفراغ أو فى بعضها على الأصح فهو قارئ من الطراز الأول . أشهد أنى ما رأيته إلا وفى يده كتاب يطالعه ، أو يريد أن يطالعه ، وتلك هوايته المفضلة فى تزجية الوقت الثقيل

ولكن صديقنا خليل شيبوب يروى لنا أنه أسرف على نفسه فى شبابه الأول أو فى فجره الأول ، غير أننا لم نلحظ هذا الإسراف فى مظهره ، فالشيب لم يسلك سبيله إلى مفرقه حتى بعد أن ذرف على الستين أو جاوزها ، بل بقى شعره فاحم السواد ، حتى كنا نحن صدقانه الخلصاء نداعبه ونمابثه قائلين له إنه من « المنظرين » الذين لا يموتون حتى يوم القيامة !

وكان الأستاذ شيبوب سورى الأصل ولد فى اللاذقية موطن أبى العلاء ، ولكن هواه إنما كان مصروفا إلى لبنان لا إلى

سوريا ، ديدنه فى ذلك ديدن النصارى من أهل الشام

ولعل أحداً ممن نعموا بعشرة خليل شيبوب لا يصبح أو يمسى إلا ذا كراً طيب خلاله وجميل شمائله وحلو دعاباته ومتارفه البهيجة ، فقد اعتاد أن يدعو أصفياءه إلى سهرات رائقة ومآدب مونقة ، يتبادلون فيها إلى جانب الطعام الشهى والشراب الروى، مستعذب الأفاكيه ومستغرب النوادر ، ويتطارحون أبرع ألوان القريض

وفى غضون الحرب المنقضية ضاق « الخليل » ذرعا بظلام الإسكندرية وغاراتها المتوالية ، فغادرها إلى أطراف المدينة « وفى الأطراف تفشى منازل الكرماء » حيث أقام لنفسه مغنى فى صحراء سيدى بشر ، وهنالك بين المهامه البيد والتنائف الفيح ، كان ينعقد مجلس الشعر ، أو مجلس البحر كما سماه فيما بعد ، وتدور على الحاضرين كؤوس الطلا مترعة ، ويتساقون ألوانا من أدب شيبوب وكرم شيبوب

وأذكر أنى زرته مرة فى مغناه هذا ، فهتف بى : هلم بنا يا أخى نتحرر من قيود المدينة وأصفاد المدنية ، هيا بنا إلى البادية الشاسعة نعش على الفطرة كآدم الأول

وانطلقنا معا نضرب فى هاتيك التلال الرملية ، وجمعنا حطباً أضرمنا فيه النار ، ثم صنعنا شراب الشاهى السائغ ، وأنشأنا نتذوقه رشفة بعد رشفة كما يفعل الأعراب المحيطون بنا فى ذياك المكان البعيد

ولقد سمعنا قبل أيام أديبا كبيرا يقول : إن خليل شيبوب كان بقية « اليازجية » الذين ملأوا ربوع الشام فضلا وأدبا وعلما ، أو أنه كان امتداداً لعهدهم وإن لم يكن من سلالتهم . ولقد نبالغ نحن فنقول إن الخليل كان آخر من يستحق لقب « أديب » من طائفة الذين هبطوا الإسكندرية واتخذوها مستقرا ومقاما . فليس فيهم — مع الأسف — الآن كاتب بارز ولا شاعر مبين

ولقد تحدثنا فيما أنف عن شعر خليل شيبوب فى إيجاز شديد ولا بأس من أن نورد فيما يلى نماذج من شعره (١) فهو يصبو إلى الإسكندرية ويرسل فيها هذا اللحن العذب :

هداك بصدرى حادث وقديم وعهدك عهدى راحل ومقيم

وأنت كما شاء الجمال حبيبه وأم كما شاء الحنان رءوم

فلو نطقت فيك الحجارة حدثت عن المجد مرفوع اللواء عظيم

وله قصيدة عنوانها « صوت الرجاء » يقول فيها :

السقم يأكل من عزمى ومن جلدى والحب يأكل من روحي ومن كبدى

لذا فزعت إلى الكاسات أشربها صرفاً وتشرب من عقلى ومن رشدى

أشكو إلى الخمر همى وهى تسلبنى عقلى مخافة أن أشكو إلى أحد

ومن قوله فى مصر :

هى مصر فاتنة العصور عجيبة تقدمت الدنيا الورى فتقدموا؟

خطت لآتينا وروما منهجا مشتا عليه فكان فيه المغنم

ويبين نثره أكثر ما يبين فى كتابه عن « الجبرتى » إذ توفر الخليل على دراسة العصر المملوكى وألم بكثير من دقائقه . وقال بعض المتأدبين إنه كان ناثراً أكثر منه شاعراً . والحق أنه كان مقلا فى شعره متأنقا فى نثره

* * *

ولقد كان الأستاذ خليل شيبوب يحيى مستهل هذا العام فى بيته بحفل بهيج كما اعتاد أن يفعل كل عام ، ولكن المرض ضربه فجأة ، وأصابته ذبحة صدرية حادة ، ثم تحول المرض إلى شلل ، ففقد النطق ، وساءت حالته ، وتعلقنا نحن الخلصاء من أصدقائه وعريديه بين اليأس والرجاء ، حتى إذا غربت شمس يوم السبت الثالث من فبراير الحالى غربت معها شمسه وفاضت نفسه ، ففاض بنا الجزع من أجل هذا الأديب الكبير الذى فقدناه وهيهات أن نجد له بديلا

عوض الله فيه دولة الأدب والشعر ، فقد كان خليل شيبوب أمة من الشعر والأدب

منصور جاب الله

---

١) افتقدنا ديوان خليل شيبوب ساعة تحرير هذه العجالة . وما نشر فى غضون المقال إنما هو نثار مما وعته الذاكرة

المكتبة العـــربية
فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ١ —

إن الدارس للحركة العقلية بمصر والشام فى عصر الحروب الصليبية ، يبهره كثرة الإنتاج فى فروع الثقـافة المختلفة ، ويرى أن البلاد لم تمش على ما وفد إليها من كتب ألفت فى غير أرضها ، بل ساهمت مساهمة كبيرة فى النشاط العلمى والأدبى ، ولا نزال إلى اليوم نعيش على بعض آثار ذلك العصر ، ونعتز بعاله من ثمار

وقد تنوع الإنتاج يومئذ تنوعا يدل على حركة علمية ناشطة، وحمل لواء هذه الحركة أعلام نابغون ؛ فمن فقهاء على المذاهب الأربعة إلى نحاة ، ولغويين ، وعروضيين ، ومحدثين ، ومفسرين ، ومقرئين ، ومتكلمين ، ورجال أدب ، وبلاغة ، ومؤرخين وجغرافيين ، وعلماء بعلوم الأوائل من منطق وفلسفة وسياسة ، وعلوم رياضية ، ولم يخل العصر من فلـكيين ومنجمين

وساعد على ازدهار حركة الإنتاج ما كان يستطيع أن يصل إليه العلماء فى الدولة من أسمى المناصب ، ومالهم عند الشعب من إجلال وتقدير ، وما يظفرون به عند الخلفـاء والسلاطين من تشجيع وتقريب

وكان حكام ذلك العصر مثقفين ثقافة ممتازة ، ويحيطون أنفسهم بطبقة مصطفاة من المثقفين ، ويغدقون عليهم، وللفاطميين من ذلك نصيب كبير : يروى أن المهـــذب بن النقاش لما وصل إلى الشام من بغداد ، وكان فاضلا فى صناعة الطب ، أقام بدمشق مدة ، ولم يحصل له بها ما يقوم بكفـايته ، وسمع بالديار المصرية ، وإنعام الخلفاء فيها وكرمهم وإحسانهم إلى من يقصدهم ، ولا سيما أرباب العلم والفضل ، فتاقت نفسه إلى السفر ، وتوجهت أمانيه إلى مصر ، فوجد فيها ما كان يرجوه [١] ، وشهر من

(١) عيون الأنباء ج ٢ س ١٠٩

وزرائهم بحب العلم وتقريب العلماء وتشجيعهم الوزير الأفضل ابن بدر الجمالى

أما نور الدين محمود فقد كان يجالس العلمـاء ويحتفى بكبارهم ويسكنهم الشام ، ويبنى لهم المدارس ، ويغدق عليهم المرتبات ، ويكاتبهم بخط يده [١] . واقتـدى به صلاح الدين فى تشجيع العلماء وتقريبهم ، حتى إن عبد اللطيف البغدادى عندما دخل دمشق وجد فيها من أعيان بغداد والبلاد ممن جمعهم الإحسان الصلاحى جمعا كبيرا ، [٢] وكان مجلس صلاح الدين حافلا بأهل العلم ، يتذاكرون فى صنوف العلوم ، وهو يحسن السماع والمشاركة حتى صار لـكثرة مخالطته للعلماء وأخـذه عنهم كأنه من كبار الفقهاء يضرب فى كل علم من علـوم الدين بالسهم الصائب مع امتيازه فى معرفة التاريخ [٣] ، وولى بعده العرش فى مصر ابنه العزيز عثمان ، وهو مثقف ، سمع الحديث بالإسكندرية من الحافظ السلفى ، والفقيه أبى الطـاهر بن عوف الزهرى . وسمع بمصر من العلامة ابن برى النحوى اللغوى [٤] ، وهو الذى رحب بمقدم عبد اللطيف البغدادى إلى مصر ، وأجرى عليه من بيت المـال ما يزيد على كفايته [٥] واستقدم الحسن بن الخطير من القدس ، وأغدق عليه حتى أغناه [٦]

فلما جاء العادل ساهم وإن كانت مساهمـة قليلة فى النهضة الفكرية ، فأنشأ بمصر مدرسة للمالـكية ، وذلك لانصرافه إلى الحياة السياسية ، وتثبيت دعائم العرش له ولبنيه ، ولـكن أبناءه كانوا أكرم الأبناء : نهوضا بالعلم ، وأخذا منه بأوفى نصيب ، وتشجيعا على الاغتراف من منـاهله ، ورفعا لقواعد معاهده ، فكان الـكامل يحب أهل العلم ويؤثر مجالستهم ، ويشغف بسماع الحديث النبوى وقد بنى له دار الحديث الـكاملية بالقاهرة ، وكان يناظر العلماء ، وعنده مسائل غريبة من فقه ونحو ، يمتحن بها ، فمن أجاب عنهـا قدمه وحظى عنده ، ويبيت عنده بالقلعة جماعة من أهل العلم بجانب سريره ليسامروه ، فنفقت العلوم والآداب

(١) الـكامل لابن الأثير ج ١١ ص ١٨٢ (٢) عيون الأنباء ج ٢ ص ٢٠٤ (٣) الاسلام والحضارة العربية لـكردعلى ج ٢ ص ٢٩٢ (٤) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٥ : (٥) عيون الأنباء ج ٢ ص ٢٠٧ (٦) معجم الأدباء ج ٨ ص ١٠٠

عنده ، وقصده أرباب الفضائل ، فكان يطلق لمن يأتيه منهم الأرزاق الوافرة الدارة ، ويجلس كل ليلة جمعة مجلساً لأهل العلم ، ويشترك في المناقشات التي تجرى فيه .(١)

أما المعظم عيسى بالشام فكان مأمون بنى أيوب، شجع العلماء وأكرم وفادتهم ، وشاركهم في التأليف ، وكذلك كان ابنه الناصر داود

واقتدى المماليك بأساتذتهم الأيوبيين ، وكانوا هم يزودون بالثقافات التي تؤهلهم للوصول إلى مناصبهم ، وشهر من بينهم في ذلك العصر الظاهر بيبرس فقد أخذ يقرب إليه النابغين في كل علم وفن ، وكان يميل إلى التاريخ وأهله ميلا شديداً ويقول: سماع التاريخ أعظم من التجارب (٢)

أما خليل بن قلاوون فكان مثقفا ثقافة أدبية ممتازة استطاع بها أن ينقد ما يعرض عليه من المراسيم وأن يصلحها ، ويطارح الأدباء بذهن رائق وذكاء مفرط (٣)

— ٢ —

وانتشرت دور العلم في ذلك العصر : فكان الجامع الأزهر أيام الفاطميين موطن دراسة الفقه الشيعى والمذهب الإسماعيلى ، ونهضت دار الحكمة بالعلوم الفلسفية وربما كانت هذه العلوم تدرس بالأزهر كذلك ؛ فقد كان الدعاة وهم أساتذة دار الحكمة يجلسون للتدريس في الجامع الأزهر أحيانا كثيرة ؛ ولعل مذهب أهل السنة قد وجد سبيله إلى الأزهر في الأوقات التي ضعفت فيها حدة الدعوة الإسماعيلية كما في عهد الأفضل والعادل بن السلار

وإذا كان صلاح الدين قد أبطل الخطبة في الجامع الأزهر ، وقضى على تدريس المذهب الشيعى فيه ، فإن التدريس لم ينقطع منه ، وها هوذا عبد اللطيف البغدادى يأتى إليه في عصر العادل، ويتردد عليه عشر سنين مستمعاً إلى الأساتذة والمحاضرين حيناً ، وقائماً بتدريس الطب والفلسفة والمنطق طرفى النهار حيناً آخر . وعاد الأزهر إلى نشاطه في عهد بيبرس ومن جاء بعده

وإلى جانب الأزهر كان جامع عمرو ينهض بعبئه في نشر الثقافة وإذاعتها ، فتعددت به حلقات العلم في مختلف فروع الثقافة ، وكان له من الأثر فيها أكبر مما للأزهر ، لأن أحداً لم يحاربه ؛ كما قامت بعض المساجد في أرجاء البلاد بنصيبها من النهضة الثقافية

وفي الشام كان الجامع الأموى بدمشق يؤدى الرسالة التي يقوم بها جامع عمرو في القاهرة ، وكانت دمشق أبعد من أن تنالها آمال الصليبيين ، فظلت الحركة العلمية ناشطة بجامعها العتيد، ونهض جامع حلب بنصيب في نشر الثقافة أيضاً

وشاهد ذلك العصر بناء المدارس وانتشارها في مصر والشام ، فأنشئت بالإسكندرية في عصر الفاطميين مدرستان في عهد الحافظ واحدة ، وفي عهد الظافر للسلفى أخرى .وفي الشام أخذ نور الدين ينشئ المدارس ويستدعى نوابغ العلماء من الأقطار يبنى لهم المدارس في أرجاء إمارته ، حتى إذا جاء صلاح الدين تأثر خطا سلفه ، فأنشأ كثيراً من المدارس في أرجاء إمبراطوريته بمصر والشام ؛ فمن ذلك الصلاحية بالقاهرة للشافعية ولعلها كانت أكبر مدرسة في عصرها ، والقمحية للمالكية ،والسيوفية للحنفية،والصلاحية بالقدس ، وقد أحصى فقهاء مدارس دمشق في عهده ، فكانوا ستمائة فقيه

واقتدى بصلاح الدين خلفاؤه من الأيوبيين ، ومن جاء بعدهم من سلاطين المماليك ،وساهم أمراء الأسرة المالكة وأميراتها وأمراء الدولة في إنشاء المدارس بمصر والشام كتقى الدين عمر الذى اشترى منازل العز أحد قصور الفاطميين بالقاهرة ووقفه مدرسة كما بنى بالفيوم مدرستين عندما كانت الفيوم إقطاعا له ، وبنى في الشام التقوية بدمشق ، والمظفرية بحماة

وأخذ بعض الوزراء بنصيبهم في إشادة دور العلم كما أسس القاضى الفاضل مدرسته الفاضلية وكانت من أعظم مدارس مصر وبنى المثرون من المعلمين وغيرهم مدارس وقفوا عليها أملاكا تكفى للانفاق عليها

وهكذا حفل هذا العصر بإنشاء المدارس في أرجاء البلاد ، فإنه لم يقف إنشاؤها عند العواصم فحسب ، بل تعدتها إلى غيرها، فرأيناها تقام بالقاهرة والإسكندرية وقوص وإسنا وأسوان وأسيوط والفيوم ؛وفي دمشق وحلب والقدس وحمص وبعلبك ،

(١) السلوك ج ١ ص ٢٥٨ وخطط المقريزى ج ٤ ص ٢١٥ ولين بول ص ٢٣٠

(٢) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٨٢

(٣) السلوك ج ١ ص ٧٩١

ولكن أكثر المدارس يومئذ كان بالقاهرة ودمشق ، وقد بقى من أسماء المدارس التى عرفتها القاهرة يومئذ أكثر من أربعين مدرسة ، ومما عرفته دمشق زهاء تسعين

وقد تنوعت المدارس فى هذا العصر ، فكان منها معاهد لتدريس الحديث خاصة ،وأخرى لتدريس الفقه ، وبعضها للنحو . وأنشئت فى القاهرة ودمشق وحلب مدارس خاصة بالطب ، كما كان يدرس منهج الطب إلى جانب المواد الأخرى فى بعض المدارس ، وكان معنى التخصص أن المادة الأساسية فيها هى الفقه مثلا ، أما المواد الأخرى فكانت تدرس إلى جانب هذه المادة الأساسية

« للكلام صلة » أحمد بدوى

ومضات من الحجاز

للأستاذ حمدى الحسينى

نزل القرآن الكريم على رسول الله صلوات الله عليه والعرب سادرون فى مهاوى الضلال، مهددون بالفناء والاضمحلال، غرائز النضال والغلبة فى نفوسهم هامدة خامدة، ورغباتهم فى الحرية والاستقلال مكبوتة محتجزة . فدعاهم رسول الله إلى الهدى ودفعهم إلى العزة والكرامة، وأمرهم بالنضال فى سبيل الحرية والاستقلال ، فوقعت المعركة الكبرى بين الحياة والموت ، فعبأ رسول الله كل جزء حى من الأمة لمقاومة الموت ، وساق كل أنواع القوة لدفع الفناء ، وكان الشعر القوى فى هذه المعركة المقدسة سيفاً من السيوف المشهرة فى وجوه المشركين، وقد عمل هذا السيف ما عمله الحسام فى أيدى الأبطال فى ميادين القتال وظل شعر القوة كذلك فى الحجاز حتى تصدعت الوحدة العربية وتضعضعت القوة الإسلامية، وانتقل الحكم الإسلامى من الحجاز إلى الشام ، ومن بغداد إلى الآستانة ، فأقفر الحجاز من القوة ومن شعر القوة، ومن الحياة ومن شعر الحياة حتى أصبح :

كقفر أفاء الموت فيه ظلاله فأوحش حتى ما تصر جنادبه

وظل كذلك حتى أعلن الدستور العثمانى فأخذ يتحرك تحركا بطيئا ويتماثل للنهوض تماثلا ضعيفا إلى أن شبت نار الثورة العربية فيه ، فأصبح الحجاز علماً فى رأسه نار ، ترنو إليه عيون العرب ، وتتوافد إليه رجال الأدب ، فأوجد هذا الاحتكاك حياة فى الحجاز وحركة أخذت تنمو وتتسع حتى رأينا فى صميمها حركة أدبية فنية نشيطة تندفع نحو النور وتتواثب نحو الحياة والحرية بقوة لا تلبث أن تصبح كافية لتحقيق الغاية والوصول إلى الهدف إن شاء الله . وإليكم الطلائع التى تطمئن لها نفوس العرب على أعز قطر من أقطار العرب

السيد أحمد ابراهيم الغزاوى : ولد بمكة وتلقى علومه فيها ثم اشتغل بالوظائف فى حكومة الملك حسين ثم فى الحكومة الحاضرة وقد حاز لقب شاعر الملك عبد العزيز آل سعود المعظم . نظم قصيدة بمناسبة الحلف العربى الذى تم بين المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن بعد تلك الحرب الطاحنة التى جرت بين القطرين الشقيقين منذ ست عشرة سنة . وفى القصيدة ألم لما وقع بين المملكتين العربيتين من خصام وامتشاق حسام ، وفيها رضى عن النتيجة التى انجلى عنها ذلك الخصام وهى الحلف بين المملكتين . وقد أعجبنا فى القصيدة روح الإخاء والمودة التى تقام عليها الوحدة العربية بين العرب؛ فترى الشاعر بعد أن يشيد بقوة ابن السعود العسكرية ويعتز بها يقول :

أفانا إلى صلح تمهد بعدما أفاء بنو أعمامنا للأواصر
وتلك المنى لولا المنايا تقدمت فأنعم بهم من كل باد وحاضر
هم الجيرة الأدنون واللحمة التى لها الحسب الوضاح عرف الأزاهر
وهم دمنا الغالى وأعصاب مجدنا وأعضاؤنا فى كل ماض وحاضر
فقل لذوى الأحقاد هذا نتاجكم فهل كان إلا غصة فى الحناجر
سعيتم فأخفقتم وبؤتم بإثمكم وبؤنا بحلف كامتزاج العناصر

واسمعه الآن يخاطب الشرق العربى :

ياشرق حسبك مالقيت من عنت أفق فبابك بعد اليوم مقتحم
شمر ذيولك وانهض لاتكن خولا ولا يصدك عن درك العلا حمم
وواصل السعى فى التعليم مقتبسا خير الفنون وإلا مضك الألم
وارهف عزائم من أبنائك اتكأوا على الأرائك يعلو فوقها القتم

السيد أحمد قنديل : ولد بجدة وتعلم فى مدارسها ثم اشتغل

فيهـا بالتعليم والصحافة ، وهو شاعر من شعراء القوة يدعو إلى الانطلاق من قيود الخضوع للقديم البالي وينادي بالحرية والنظام

جاهر برأيك في الحياة ولا تخف غرا تذرع بالسفاهة أو حسود
وانهج إلى المثل الشريف فحبذا المثل الشريف وحبذا الشرف المتيد
واسلك سبيلك كيفما تختاره مادمت مصطحبا به الرأي السديد
فإذا سلمت به فأنت موفق وإذا عثرت فمن عثارك تستفيد
والفوز في شتى المواقف حافز للمرء داعيه إلى شرف المزيد

واسمعه الآن يخاطب الشعب هذا الخطاب الرصين الخالي من العنجهية والفطرسة :

لسنا من المجد في أعلى منارته أو في الطريق قطعنا منه ماعظما
لكنما نحن شعب يرتجي أملا ضخما وأرقى أماني الشعب ماضخما
ومن رجا وسعى في الجد متشحا بالصبر مدرعاً نال المنى نعما

السيد حسين سراج : ولد بالطائف وتلقى علومه الابتدائية بمكة ثم رحل إلى شرق الأردن حيث أخذ علومه الثانوية ثم التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت ؛ وهو شاعر من شعراء الحجاز الناهضين للكفاح في سبيل الحياة ، اسمعه يخاطب الشباب :

يا شباب البلاد كونوا جميعا إخوة عصبة جهاراً وسرا
ثابروا في جهادكم وأعدوا خلقا باسلا وعزماً وصبرا
حققوا الظن فالأماني سبيل من يغامر أتته طوعاً وقهرا
يا شبابا عليه تبنى الأماني أشحذ العزم فالمصائب تترى
واصل السير فالحياة نضال تبتغي قوة وحزما وخبرا

السيد عبد الوهاب آشي : ولد بمكة وتعلم فيها ؛ ثم اشتغل فيها بالتعليم والصحافة وقد اعتقل على أثر حادثة ابن رفادة ، ونفي إلى نجد وهو من شعراء الحجاز الذين يحملون روحاً قوية وثابة

ويح الجبان إذا استطا ر لهيب قاصمة الظهور
يدع الديار بلاقعاً والحر في قيد الأسير
والموت خير للفتى تحت المناصل والقتير
من ذلة تدع الأبي مطية العسف المرير

واسمعه يخاطب رفيقاً له :

فانتض العزم وامتط الجد والبس مطرف البأس في نحوس الخنادق
إن في هـذه الحياة مجالا لمريد الحياة جم الطرائق
جولة ثم جولة يتجلى لك في ذا الجهاد صدق الأصادق
لك مني الثبات يوم تمد العزم للكيد في مجال البوائق
نقصد المجد لا الونى ينقض العهد ولا الماديات تفري المواثق
إن سبق العزوم إذ يتصدى للعلا دونه تقذى السوابق
كل شيء وإن تسامى منالا هين إن عنى الهمام السابق

وخذ هذين البيتين القويين من قصيدة قوية للسيد عبد الله عمر بالخير أحد شعراء الحجاز :

الملك يخطب بالصوارم والقنا لا الكتب تخطبه ولا الأقلام
والحق يعطى للقوي ومن يكن غرّاً فإن الفاتكين قيام

محمدى الحسيني

من رجال الفكر فى تركيا :

فؤاد كوبريلى (١)

للأستاذ عطا الله طرزى باشى

تحدثت إلى القراء فى عدد مضى من الرسالة (٢) عن المفكر التركى الكبير ضياء كوك آلب وعن أثره العظيم فى تنشئة جيل يفهم للقومية معنى صالحاً، ويقيم للانسانية وزناً عادلا

وأعود إليهم اليوم لأحدثهم عن أحد تلامذته المعروفين فى الأوساط العلمية العالمية ، وأعنى به العلامة فؤاد كوبريلى الذى سطع نجمه فى تلك الأوساط بما أسداه من خدمات جليلة فى رفع شأن الأدب الشرقى؛ وإلباسه تاريخ التصوف ثوباً قشيباً من نسج الحقيقة ؛ فنال بذلك استحسان الأندية الثقافية وكوفئ بشهاداتها العالية وأوسمتها البهية الغالية التى لم يفز بها أحد من علماء الترك قبله ، فاستحق من جانب الحكومة التركية كل إعجاب وتقدير ، حتى ضمته الأمة إلى صدرها فكان كوبريلى من بين الثلاثة (٣) الذين أسسوا الحزب الديمقراطى فى تركيا (٤) وذلك فى سنة ١٩٤٦ . فهو اليوم بلا شك قطب من أقطاب السياسة الذين يديرون دفة الحكم فى تركيا

ولنضرب فى هذه العاجلة صفحاً عن حياته السياسية القصيرة التى لا تتجاوز العشر سنوات الأخيرة من عمره ، ونجعل موضوع بحثنا يدور حول ترجمة مختصرة لحياته، ودراسة مجملة لآثاره، وأخيراً ذكر أقوال الكبار من المستشرقين والعلماء فيه

* * *

ولد كوبريلى فى سنة ١٨٩٠ م بمدينة الآستانة من عائلة (كوبريلى) المشهورة فى التاريخ العثمانى برجالاتها البارزين فى السياسة والتنظيم ، والمعروفين بنشر الثقافة والتعليم

وكان هو خلال دراسته الثانوية والجامعية (حيث درس فى كلية الحقوق) مثالا للجد والنشاط فتميز بين أقرانه بذكائه الوقاد وامتاز عليهم بما كان ينشره بين حين وآخر من البحوث القيمة والمواضيع الشيقة فى الأدب والتاريخ مما لفت إليه الأنظار فاهتمت به الحكومة إذ رأت أن الحاجة إليه عاجلة فعينته مدرساً فى كلية دار الفنون قبل أن ينال شهادة الحقوق،ودون أن يتجاوز سن الثالثة والعشرين

وقد درس كوبريلى التاريخ السياسى فى المدرسة الملكية (كلية السياسة) وتاريخ المدنية فى معهد الفنون الجميلة فى حين أنه كان أستاذاً محاضراً فى كلية الشريعة

وفى سنة ١٩٢٤ عين عميداً لكلية الفنون كما عين فى نفس السنة مستشاراً فى وزارة المعارف

وفى سنة ١٩٢٥ اختارته أكاديميا العلوم الروسية عضواً مراسلا لها (١)

وفى سنة ١٩٢٧ أصبح رئيساً لجمعية التاريخ التركى وانتخب عضواً فخريا فى الجمعية العلمية المجرية(Korosi csoma)

وفى نفس السنة أيضاً منحته جامعة (هايدلبرغ)شهادة دكتوراه فخرية فى الفلسفة . وانتخب فى سنة١٩٢٩عضواً فى جمعية الشرق التشيكوسلفاكيه وعضواً فى معهد (الاركيولوجى) الألمانى

وفى سنة ١٩٣٧ نال شهادة دكتوراه فخرية من جامعة أثينا كما نال فى سنة ١٩٢٩ شهادة دكتوراه من جامعة (السوربون) الفرنسية

وقد جمع محاضراته التى ألقاها فى هذه الجامعة الأخيرة فى كتاب (Les origines L'Empire ottoman)

---

(١) المصادر : تاريخ الأدب التركى : للاستاذ نهاد سامى ، ومشاهير الترك لابراهيم علاء الدين وبعض آثار المترجم له ، ومصادر أخرى مذكورة فى صلب المقال

(٢) الصادرة بتاريخ ٢٣ يناير سنة ١٩٥٠

(٣) والآخران هما السيد جلال بايار رئيس الجمهورية والسيد عدنان مندرس رئيس الوزراء

(٤) أراد كوبريلى فى سنة ١٩٤٣ ، إثر قرار الحكومة القاضى بعدم إمكان الجمع بين عضوية المجلس الوطنى والاستاذية ، الانعزال عن السياسة والعودة إلى الحياة الجامعية للتدريس إلا أن الحكومة لم توافق على ذلك فأحيل على التقاعد حيث حافظ على عضوية المجلس النيابى

(١) وقد فصلته هذه الأكاديميا أخيراً عن منصبه بزعم انخراطه فى سلك السياسة

ومؤلفات هذا المفكر كثيرة جداً أغلبها فى اللغة والتاريخ والاجتماع والأدب [١] . وقد أسس فى تركيا مجلات علمية وأدبية مختلفة كما ساهم فى تحرير عدد غير قليل من المجلات التركية والأجنبية . وكتب فى أصل دائرة المعارف الإسلامية بعض مواد هامة كانت موضع إعجاب العلماء والمفكرين . فنشرت تلك الأبحاث عند صدور تلك الانسيكلوبيديا .

ومن آثاره كتاب (Influence de Chamanisme turco Mongol كتبه باللغة الفرنسية ، ومنها كتاب « دراسات فى التاريخ الدينى فى الأناضول » كتبه باللغة الألمانية ونشره فى سنة ١٩٢٢

وألف بالاشتراك مع الأستاذ برتولد Barthold كتاب تاريخ التمدن الإسلامى إذ كتب القسم الأول من الكتاب الأستاذ (بارتولد) فأكمله الأستاذ كوبريلى

وكتابه « تاريخ الأدب التركى » الصادر فى سنة ١٩٢٦ يعد مفخرة من مفاخر التأليف التركى ، إذ هو المصدر الوحيد الذى يمكن الاعتماد عليه فى استنباط الحقائق الأدبية فهو يتميز عن سواه بغزارة المادة ورقة الأسلوب وصحة البحث والوضع المحكم ، حتى لقد قال عنه البروفيسور (F Kraelity) أحد أعضاء أكاديمية العلوم فى « فيانه » : « إن هذا الأثر الخالد يعد تاريخاً لآداب الأقوام التركية الساكنة فى المناطق المتدة بين ساحل الإدرياتيك وحدود الصين

وإنه لا يقتصر نفعه على العلماء المشتغلين فى هذا الحقل ؛ بل هو دليل لكل من يروم الاطلاع على ثقافة تلك الشعوب الآسيوية عن كثب . . »

وكتابه « المتصوفون الأوائل » أحدث حين صدوره دوياً هائلا فى الأوساط العلمية وتردد صداه فى كافة أنحاء العالم . فقد نشر البروفيسور هيار Cl Huart عضو المعهد الفرنسى بمناسبة صدور هذا الكتاب مقالا جاء فيه : « إن هذا الأثر العظيم لم يوضع ليعطى لنا معلومات جديدة صافية ، وإنما هو أثر خالد يرشدنا إلى أساليب تطبيقية مبتكرة فى أصول النقد الأدبى والتاريخى . . وإذا وجد من يدرسونه بإتقان — وسيكون الباحثون عنه كثيراً — تراه فاتحة دور عظيم . . »

وتحدث عن الكتاب نفسه Nemeth gyula الأستاذ بجامعة بودابست بقوله : « حقا إن الجهود التى يبذلها الأستاذ فؤاد كوبريلى — ومن معه من تلاميذه — ستكسب تاريخ الأدب فى تركيا لوناً يجعله فى موضع لائق بين تواريخ الأدب للأمم الأخرى . . »

وهكذا نرى أن إعجاب العلماء والمفكرين بالأستاذ كوبريلى يزداد يوماً بعد يوم . وكلما أهدى إلى المكتبة الشرقية أثراً ثميناً وجدناه فى كل مرة يسجل انتصاراً باهراً فى تاريخ الأدب التركى ؛ فقد جعله حافلا بصفات بارزة ممتازة ، وأعطاه مزاياه البديعة التى كانت كامنة بين طيات الكتب المختفية فى جوانح المكتبات

وله أبحاث جد قيمة فى تاريخ التصوف الإسلامى . وهى دراسات عميقة للطوائف والنحل والشيع الإسلامية فى مختلف العصور ، تبحث فى آداب هذه الأقوام وتاريخها ومعتقداتها وشمائرها ...

وفى هذا يقول المؤرخ العراقى المعروف الأستاذ عباس العزاوى، وقد زار كوبريلى فى سنة ١٩٣٧ فى استانبول : « إنه يعد من أشهر المدققين فى الآداب والنحل ، له تتبعات فى نواح علمية لها مكانتها من الثقافة التركية ... ولا يركن فى بحوثه كلها إلا إلى نصوص تاريخية ، فهو من الموفقين فى ذلك ، ومقالاته فى دائرة المعارف الإسلامية مهمة جدا [١] . »

وقد قضى الأستاذ كوبريلى غالب أوقاته بين الكتب ، فهو مغرم بها ، ولا يهوى فى الحياة غير البحث والتنقيب . وتعتبر خزانة كتبه فى استانبول من أعظم الخزانات فى الشرق بما تضمه من أنفس الكتب المخطوطة والمطبوعة . يفتحها للزائرين . ولا يبخل بعلمه على من هو فى حاجة إليه. فقد قال عنه Paul witteh « إن داره الشبيهة بالبرج المطلة على بحر مرمرة تحوى كنزاً من الجواهر الفكرية . . ولم يوجد من دخل فيها وتركها دون أن

(١) وكوبريلى فى نفس الأمر شاعر مجيد . له منظومات شعرية كثيرة متداولة بين الناس ، وقد جمع قسما منها فى كتب ونشرها فى استانبول منها منظومته المعروفة « جحا الروى »

١ — الكاكائية فى التاريخ، ص ٢٢

فلسطين !...

للآنسة فائزة عبد المجيد

يا للنداء الرهيب يجلجل فى الآفاق يهز سمع الزمن ! هنـاك هناك أيها العرب أمة لـكم تفنى ، وراية تطوى ، ووطن يضيع ، فلسطين ! الله الله لها ، مواقف المجد تدوس معالمها ، منازل الوحى تخبو مشاعلها !

فلسطين ! يا للصرخات تتعـالى من أرجائك ترج جنبات الأرض وتشق كبد السماء ! يا للرايات ترتفع فى فضائك خافقات ! يالصوت الحق يدوى ! هيا بنى الوطن ، هو ذا يوم التضحية قد جاء . أيتها الحرية اجمعى منا القلوب ، قوى السواعد، شدى الهمم أيتها الأرض ! كم سرى حبك منا فى القلوب يقينا ، وفى العروق دما ، أيتها الأرض ! لك منا الفداء ...

أرض الشهداء ! قدستك السماء ، روتك الدماء ...

أرض الأبطال ! فيك طافت مواكبهم، فيك حطت رحالهم من كل قطر وواد ، من كل قاصية ودانية ، حلوا اللواء وساروا، حفظوا الميثاق وأجمعوا، فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء..

فلسطين ! لمن الأكاليل تعقد ؟ لمن القلوب تهتف : يا زكى الدماء تهب الحياة ، وتخط الخلود . ياجلال الفداء يلقى على الـكون وشـاحه ! إيه يا غضبة الأبى ! ياصيحة الحق ! أرض الشهداء ! كل بقعة لهم فيك روضة ، وعلى كل ربوة من جهادهم علم ..

أيها الهاتف القدسى ! ردد الآفاق نداءه ، يملأ الأرض سنى ، يصغى له الـكون ، يهتف له المجد : فلسطين ! لن تسقط عنك الراية ، لن تدخلى فى ذمة التـاريخ ، تلك الجحافل إليك نافرة ، تهتك حجاب الشمس ، أو تقطر دما ..

وى ! فلسطين ! مالها ؟ تهزها النوازل ، تعصف بها عصفا ! ما للسيوف مغمدة ، ما للمظالم تطغى ، ما للعدو يغتصب ويلتهم ، ما للرايات تنكس ، ما للرقاب تذل .؟!

فلسطين ! أين مدنك الزاهرات ؟ أين محـافلك الغر ؟ أين قراك العامرات ؟ أين منابع الخير وملتقى الـكرم؟ انفض سامرها ، وغابت معالمها . أين توارت وما آذنت بوداع ؟

فلسطين ! أين تلك الديار ؟ أين أهلوها ؟ ذهبوا وما عادوا . ديارنا ! مهوى أفئدتنا ! سر حياتنا أنت ! ألا سقيا لمهدك ! وسلاما لرباك...

فلسطين ! أين أهلوك ؟ كيف هـامت فى الأرض قوافلهم ؟ أتفرقوا زمرا أم قذفتهم الأقـدار فى حياض الردى حيارى ، أم أضحى لهم التراب وسادا ، والجوع لباسا ، والمذلة نعمة ؟

فلسطين ! ما طرقتك الأحداث وكنت لضرباتها هدفا لتفنيك، لا ، وما صهرتك الشدائد إلا لتشد منك العزائم . منبت الأبطال ! ما ركزوا فى رباك الرماح وجففوا عرق الـكفاح إلا ليجمعوا أمرهم ، ليجيبوا داعى الوطن .

فلسطين ! أين شاعر المجد يوقظه من سباته ويرسله فى أعماق العروبة ؟ نشيد النضال له قوة الألحان فى ساحات النزال ، تقوى به العزمات ، وترفع له الرايات ، يوم النضال :

« يوم النضال كستك لون جلالها
حربة صبغت أديمـــك بالدم .. »

فلسطين ! أين شاعر النصر يوحى بملحمة الجهاد فى أرض الجهاد :

« يا جهادا صفق المجـــد له
لبس الغار عليه الأرجوانا ... »

نابلس — فلسطين فائزة عبد المجيد

يحمل بين ضلوعه مودة وحبوراً ، ويأخذ من بحر أفـكاره بهجة وسروراً . . فيتزود الزائر هناك من العلم والأدب ما يغنيه فى مطلبه ويزجى له مقصده ... »

ولقد أصاب بحق البروفيسور الروسى الـكبير Gordelvshy فى مقال نشره عن الأستاذ فؤاد كوبريلى عندما قال : « إنه عثال مجسم للثقافات الشرقية والغربية »

كركوك « العراق » عطا الله ترزى باشى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

لقاء لا ينسى مع طه حسين :

فى صباح يوم الأحد ١١ فبراير طالع الناس فى إحدى الصحف اليومية المعارضة ، هجوما موجها إلى وزير المعارف وبعد ذلك بيومين كنت أتلق اتهاما سافرا بأننى صاحب هذا الهجوم ، إن لم أكن على التحقيق قد أوحيت به . . وقلت لمن حمل إلى نبأ الاتهام نقلا عن أفواه المسئولين : يتهموننى أنا ؟ ولماذا يا صديق ؟ ترى هل تستطيع أن تنقل إلى مرة أخرى مصادر الشبهات ؟ وكان رد الزميل الأديب : لأن بينك وبين الصحافة صلة عامة هى صلة القلم ، وبينك وبين رئيس تحرير الصحيفة المعارضة صلة خاصة هى صلة القرابة ، وبينك وبين وزير المعارف كما يقال أشياء !

كان ذلك فى صباح الثلاثاء ١٣ فبراير ، وقبل أن أعقب أو أسأل المزيد من الوضوح ، أقبل رسول موفد من مكتب الوزير ليوجه إلى الحديث فى كلمات : معالى الدكتور طه حسين يطلبك . فى تمام الساعة العاشرة والنصف ! ونظر إلى الزميل الأديب نظرة طويلة وعلى شفتيه ظل ابتسامة ، معناها فى لغة الصمت المعبر عن حديث الشعور : لقد بدأت المحاكمة !

وتركت حجرتى المتواضعة وفيها الزميل الأديب ، وأخذت طريقى إلى الحجرة الضخمة التى ينتظرنى فيها حساب وعقاب . . . وهناك تذكرت حقيقة من الحقائق لا أدرى هل أوحى بها الوقف أم أوحى بها المكان : هذه الحجرة أقسم صادقا أننى أطرق بابها لأول مرة ، وأدخلها لأول مرة ، وما اتجهت إليها نفسى فى يوم من الأيام . . رباه ! ما أعجب الذين يعرفون هذه الحجرة ، يعرفونها كلما ذهب عهد وجاء عهد ، وكلما مضى وزير وأقبل وزير حتى لقد حذقوا فنون التلون كما تحذقها كل حرباء !!

واستقر بى المقام فى مكتب الوزير لحظات ، ثم خرجت بعدها حين رأى صاحب المعالى أن يتم اللقاء فى منزله ، على أن يكون فى الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم . وأقف قليلا لأقص عليك قصة الألم المشبوب الذى ألهب منى الشعور وعصف بالوجدان ، حين حملنى الخيال على جناحه ليطلعنى على مشاهد شتى وآفاق : رباه ! هذا الرجل الذى لم يؤمن فى حياته بقيمة من القيم كما آمن بحرية الفكر ، ولم يتطلع إلى مثل من المثل كما تطلع إلى كرامة العقل ، ولم يقدس صوتا من الأصوات كما قدس صوت القلم ؛ هذا الرجل يتغير هكذا مرتين بين الأمس واليوم ، ثم يطلب إلى أن ألقاه ليحاسبنى على أننى قدست ما كان يقدسه ، وتطلعت إلى ما كان يتطلع إليه ، وآمنت بما كان يؤمن به ؟! ولماذا يحاسبنى ؟ ألأنه وزير للمعارف وأنا موظف بوزارة المعارف ؟ وهب أننى كنت كاتب هذا المقال الذى لم أكتبه ، فياله من عجب أن يكون الرجل الذى يحاسب الأحرار . . . هو طه حسين !!

وامتدت يدى إلى القلم فى عنف ثائر ، ومضت تخط على ورقة بيضاء سطورا أملتها الكرامة . . وطويت استقالتى لأقدمها لوزير المعارف فى الموعد المرتقب ، ولأقول له إذا ما لقينى بوجه عابس أو بصوت غاضب أو بثورة عاصفة : لا يا سيدى ! هذه هى استقالتى بين يديك ، واستقبلنى بعد ذلك بوجه الأديب الكبير لا بوجه الوزير ، أو بلسان المضيف السمح والرجل الكريم . . . يفتح بابه وقلبه لضيف عابر إن طرق الأبواب فهو لا يقيم !!

أشهد لقد كانت هذه هى خواطرى التى تملأ آفاق النفس والحس قبل أن أبرح بيتى لأذهب إلى بيته ، وأن هذه الخواطر قد صحبتنى وأنا أقطع الطريق وأحث الخطى إلى هناك ، إلى حيث ينتظرنى حساب وعقاب . . . لقد كان يجلس وحده فى حجرة المكتبة ، وحين تجاوزت الباب وألقيت بتحية المساء ، نهض طه حسين واقفا ليصافحنى بحرارة ، حتى لقد هبت على الروح من الماضى البعيد نسمات . . وجلس وجلست ، وأحضرت القهوة فشرب وشربت ، وأخرج علبة سجائره ليقدم إلى واحدة يتبدد فى الهواء دخانها وتتبدد معه الظنون !

وبعد عبارة ترحيب نبيلة أعقبتها منى كلمة شكر ، بدأ طه حسين

الحديث: « لقد قرأت لك منذ قريب مقالا فى « الرسالة » آلمنى كل الألم، حتى لقد بعثت فى طلبك لأعبر لك عن أسفى . . . ومصدر الأسف أننى كنت السبب المباشر أو غير المباشر فى أن حرية الفكر قد صودرت، يوم أن خطر لك أن تهاجمنى فحيل بينك وبين هذا الهجوم! لقد كان المقال الذى عنيتنى به تحت هذا العنوان: « مشكلاتى مع الأستاذ الزيات » . . . وقد فهمت أننى الوزير المقصود بتلك الكلمة، لأنك كنت تقول للقراء إن صديقك الزيات قد حذف مقالك، لأنه كان هجوما عنيفا على أحد الوزراء. وكنت تقول لهم أيضا إن الزيات يشفق عليك من حماسة الشباب وفورة الشباب، وما يتبعهما من عنف القلم وجيشان العاطفة، ولهذا فقد حال بينك وبين حرية الرأى حرصا منه على مستقبلك. وكنت تقول لهم مرة ثالثة إنك كاتب تعودت أن تكون صريحا وشجاعا لا تهمك العواقب بقدر ما يهمك أن تعبر صادقا عما فى نفسك، وإن الزيات بمثل هذا الإشفاق سيجنى عليك من حيث لا يدرى ولا يريد، لأنه سيدفعك آخر الأمر إلى أن تتحرر من أسر الوظيفة، وحينئذ تستطيع أن تقول عن الوزراء ما تشاء . . أليس كذلك؟ إسمع يا أستاذ: إن طه حسين الذى وهب قلمه قربانا لحرية الفكر يعز عليه أن تصادر من أجله حرية الفكر! قل للزيات إننى عاتب وغاضب لأن طه حسين قد طبع على أن يحب للناس ما يحب لنفسه: يحب لهم الكرامة، ويحب لهم الشجاعة، ويحب لهم الحرية، وإنه ليسعده أن يهاجمه الناس بمثل هذه الأسلحة ما دام رائدهم الحق وقائدهم الضمير . . . أيظن صديق الزيات أنك حين تهاجمنى ثم يسمح بنشر هذا الهجوم على صفحات « الرسالة »، أيظن أن ذلك سيفسد ما [illegible] الوفاء؟ كلا! إن شيئاً من هذا لا يمكن أن يكون ... لأننى واثق كل الثقة من أنك لست كغيرك من الناس، أولئك الذين لا يرجعون إلى ضمائرهم فيما يكتبون! هذه كلمات أود أن تنقلها إلى الأستاذ الزيات، إذا ما كان هدفه الأول من وراء حذف كلمتك هو إرضاء طه حسين ... أما إذا كان يشفق عليك حقا لأنك موظف فى الدولة أو موظف فى وزارة المعارف بالذات، فإن وزير المعارف يأذن لك فى أن تهاجمه كما تشاء وبأى أسلوب تحب! لن أقول لك لا تخف لأننى أعرف أنك لا تخاف، ولو كنت من الذين يخافون لما احترمتك ... إن أقول لك هذا، وإنما الذى أريد أن أقوله هو أن طه حسين لا يضيق أبداً بحرية الرأى، سواء أكانت هذه الحرية موجهة إلى نقد أعماله ككاتب أو نقد أعماله كوزير، لأنه لم يزد على كونه إنسانا يخطىء ويصيب »!

هذا هو طه حسين كما رأيته على حقيقته ... جئت إليه ليحاسبنى فإذا هو يحاسب نفسه!! أشهد لقد هزتنى كلماته هزا عنيفا، وما تعودت أن يهزنى شىء كما هزتنى تلك المواقف النادرة، هناك حيث تتجرد النفوس من أكثر أثوابها ثم لا يبقى لها غير ثوب واحد ... هو ثوب الإنسانية! لقد كان طه حسين فى تلك اللحظة، يرسم على لوحة الشعور صورة فريدة لم يرسمها من قبله إنسان ... ولا فنان! أهذا هو الرجل الذى صحبت الظنون حين تصورته، فظلمت نفسى وظلمته؟ يا عجبا! لقد كان الرجل العظيم النبيل بريئا مما تخيل أنه منسوب إليه، ومع ذلك فقد دفعه الضمير الحر اليقظ إلى أن يدفع عن نفسه كل شبهة، حين يكون الأمر متعلقا بحرية غيره من أصحاب الآراء والأقلام ... وقلت له وأنا مأخوذ بنبله ومفتون بإنسانيته:

« أود أن أقول لك يا سيدى إننى عاجز عن شكرك، وأعتذر إليك من هذا الذى تبادر إلى ذهنك، لأن المقصود بذلك الهجوم كان وزيراً آخر غير طه حسين، وتلك حقيقة يعرفها الأستاذ الزيات »!

وعقب الرجل العظيم النبيل فى تواضع جميل: « إذا كانت هذه هى الحقيقة فإنى أكون قد أزعجتك .. ومرة أخرى أعبر لك عن أسفى »!

[illegible] له وقد تكشف لى من أمره ما لم أكن أعرف: « يا سيدى عفوا . . وإذا كان إزعاجك لى معناه أننى سأعرفك على حقيقتك ثم أتحدث عن هذا الذى عرفت إلى الناس، فأرجو أن تزعجنى كل يوم . . . وما دمت تؤمن بحرية الرأى لغيرك كما تؤمن بها لنفسك، فأود أن تأذن لى فى أن أقول لك بصراحة: إن لدى كلاما كثيرا أود أن أفضى به إليك هنا ثم أتحدث به إلى الناس هناك، أعنى على صفحات « الرسالة ». ولكنى أخشى أن يعترض الزيات طريقى غدا كما اعترض طريقى بالأمس، لأن هذا الرجل من أحفظ الناس لود الأصدقاء، وفى مقدمتهم طه حسين!

ولا أقصد بالطبع أنه حال بينى وبينك فى ذلك الموقف الذى حدث منذ قريب ، ولكنه فعل ذلك فى موقف آخر بالأمس البعيد ، حتى لقد انقطعت عن « الرسالة » شهرين عدت بعدهما إلى الكتابة خضوعا لرغبة الأصدقاء . . . هل تسمح لى بأن أوجه إليك شيئا من النقد فى ناحية خاصة ، كانت ولا تزال مثار الألم عميق ، عند من يضمون تقتهم فيك » ؟ !

واعتدل الرجل العظيم النبيل فى جلسته ، وأقبل على بوجهه السمح وخاطبنى بصوته الحبيب : « قل لى ما تشاء يا أستاذ ، وقل عنى لقراء « الرسالة » ما تريد ، وانقل إلى الزيات ما سبق أن أشرت إليه ، وهو أننى سأكون عاتبا وغاضبا إذا اعترض طريق رأى من آرائك فى طه حسين ، وحال بينه وبين أن يبلغ منافذ الأسماع .. صدقنى أن كثرة شواغلى لا تتيح لى أن أقرأ الكثير من الإنتاج الأدبى ولا أن أتابع الكثير من الكتاب ، ومع ذلك فأنت واحد من هذه القلة التى أحرص على أن أقرأ لها فى كل حين » !

وقلت وقد غلبنى التأثر بعد هذا الثناء المضمخ من سمو الخلق بأزكى عبير : « إذا كان هناك شئ أعتز به فهو كريم تقديرك .. وإذا كان هناك أمر أود أن أطالعك به فهو أن أقول لك : لقد فعلت الكثير من أجل التعليم والمعلمين ، ولكنك لم تفعل إلا القليل من أجل الأدب والأدباء » !

وارتسمت على وجهه مظاهر الاهتمام ، وعبرت قسماته عن سؤال ينتظر الجواب ثم قال : « أما عن التعليم فأنت مغال فيما نسبته إلى من جهد فى سبيله ! ماذا فعلت من أجل التعليم ؟ إنها خطوة قصيرة المدى محدودة الأثر أرجو أن تعقبها خطوات . . . وأما عن الأدب وأهله ، فأود أن تقدم إلى بعض الأمثلة تأييدا لاتهامك ! هل أنا مقصر حقا فى هذه الناحية ؟ وماذا ينتظر منى الأدب وماذا يطلب الأدباء » ؟

وأجبت وأنا من تواضعه الجم فى حيرة تقترن بالإعجاب : « لا يا سيدى ! إذا كان التواضع سيفرض عليك أن تظلم نفسك وأن تنكر جهدك فإن التاريخ سينصفك بلا جدال ، وأعتقد أن الرأى العام قد بلغ من النضج والوعى ما يهئ له أن ينظر إلى أعمالك نظرة عادلة ، مهما حاولت أن تختفى وراء حجب شتى من التواضع وإنكار الذات . أما إذا كنت ترغب فى أن أقدم إليك بعض الأمثلة على أنك لم ترع الأدب ولم تذكر حقوق الأدباء ، فلا بأس من أن أتحدث هنا باختصار على أن يكون الحديث المفصل على صفحات الرسالة » !

وعندما قدمت إليه بعض الأمثلة هتف الرجل العظيم النبيل فى نبرات صادقة : « إننى لا أستطيع إلا أن أوافقك .. وأكون شاكراً لو تناولت قلمك وكتبت فى هذا الموضوع مهاجما طه حسين ، لأن مثل هذا الهجوم سيساعدنى كثيرا فى مجلس الوزراء ، يوم أن أستشهد بما كتب فى « الرسالة » على أن للرأى العام الفنى مطالب يجب أن تنال ! أما التاريخ الذى تقول إنه سينصفنى فى الغد القريب أو الغد البعيد ، فصدقنى إذا قلت لك إننى ما اتجهت إليه يوما بتفكيرى كلما قدمت إلى الناس عملا من الأعمال . . حسبى أن أتجه إلى نفسى وحدها وإلى ضميرى وحده ، حتى يستريح كل منهما وأستريح » ! !

وقلت له بعد أن تطرق الحديث إلى موضوع آخر أمسك القلم مؤقتا عن الإشارة إليه ، قلت له بعد ذلك وقبل أن أودعه شاكراً له هذا اللقاء الذى لن أنساه . « هل تعلم ياسيدى أن ما حدث فى هذا اللقاء كان بالنسبة إلى مفاجأة كاملة ؟ لقد حضرت إليك وليس فى ذهنى غير خاطر واحد ، هو أنك ستحاسبنى على ذلك المقال الذى ظهر فى تلك الصحيفة المعارضة ، وإذا أنت تحدثنى عن شئ آخر لم يخطر لى على بال ، وأعنى به مقال « الرسالة » ... لقد كنت أتوقع أن يدور كل حديث حول ذلك المقال ، لأن بعض المسئولين فى الوزارة قد اتهمونى بكتابته ، إن لم أكن فى رأيهم قد أوحيت به » !

ويالها من ابتسامة رقيقة عذبة تلك التى داعبت شفتيه ، ثم غمرت بضيائها الباهر آفاق الشعور حين قال : « أوه .. ذلك المقال الذى ظهر منذ يومين ؟ لا ضير أبدا من أن يكون كاتبه هو أنت ، ولا ضير أبدا من أى هجوم يوجه إلى وزير المعارف ، مادام رائده الحق كما قلت لك وقائده الضمير » !!

ونهض الرجل العظيم النبيل واقفا ليودعنى فى حرارة ، حتى لقد هبت على الروح من الماضى البعيد نسمات ... رباه ! إن المنصب الخطير لم يغير من خلق طه حسين ، وإن الصورة الحبيبة التى عرفتها بالأمس . لم تنل من بهائها الأيام !!

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

طه حسين الوزير يحكم في طه حسين المؤلف :

« كان شعاري منذ وليت وزارة المعارف ألا تشترى الوزارة كتبي حتى أخرج منها ، وتقدمت فى ذلك إلى أعوانى فأنكروه ولكنهم أذعنوا له . حتى إذا سافرت إلى أوربا فى إبريل الماضى وناب عنى فى الوزارة زميلى معالى عبدالفتاح الطويل باشا اشترت الوزارة بعض نسخ من طائفة من كتبي لمكتبات المدارس وأعدت قراراً بشراء كتابى « الوعد الحق » و « رحلة الربيع » ليوزعا على التلاميذ ، فلما رجعت من أوربا أثناء الصيف عرفت ذلك فغضبت منه أشد الغضب . وكانت إجراءات كتابى « الوعد الحق » و « رحلة الربيع » لم تتم ، فأمرت بوقفها وألغيت قرار الزميل عبد الفتاح باشا . أما صفقة الكتب التى اشتريت للمكتبات فكانت قد تمت ، ولم أجد إلى إلغائها سبيلا إلا أن أرد ثمنها إلى الوزارة وأعتبرها تبرعاً منى للمكتبات . وأقسم لو ملكت ثمنها ما ترددت فى ذلك ؛ ولكنى أعيش بمرتبى راضياً بما قسم الله لى ، وأقسم لو كان لى فى ثمن هذه الكتب نصيب ما ترددت فى اقتراضه ورده إلى الوزارة ، ولكنى أبيع حقوق الطبع للناشر وأقبض ثمنها مقدما ، وأترك الناشر يوزع كتبه كما يشاء أو كما يستطيع . وإن آسف لشىء فإنما آسف لأن عملى فى الوزارة يمنعنى من تأليف الكتب وبيع حق فيها مقدماً للناشرين . ومع ذلك كله فما أظن أن وجود هذه الكتب فى المكتبات فى متناول المدرسين والطلاب ، يضر أولئك أو هؤلاء ، أو لا ينفعهم »

ذلك جزء من حديث معالى الدكتور طه حسين باشا الذى أفضى به إلى الأستاذ كامل الشناوى فنشرته « الأهرام » يوم الأحد الماضى ، وهو يلخص لنا القصة التى أثيرت حولها عجاجات ملونة بالحزبية السياسية ، ولهذا أتجنب الخوض فيها . إنما يعنينى هنا هذا الظلم الصارخ الذى يصبه الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف على مؤلف الأيام وعلى هامش السيرة وذكرى أبى العلاء وحديث الأربعاء والوعد الحق و ... الخ . بل أقول إن هذا الظلم لا يقف عند ذلك المؤلف ، بل يمتد إلى آلاف الناشئين فى المدارس إذ يحرمهم تلك الوجبات العقلية وما تحتويه من فيتامينات الأدب والفن

لقد أجمع الناس على أن كتب طه حسين من خير ما يقرأ وأنفس ما يقدم للتلاميذ وأنفعه ، وتوالت كتابات الكتاب فى هذه الحقيقة منذ ذلك الصيف الذى أصدر فيه معالى الدكتور طه قراره بوقف شراء كتبه . وأقول « أجمع الناس » ولا أستثنى من كتب معارضا ، فقد لاحظت أن المعارضة قصرت أمر الاعتراض — من حيث مؤلفات معاليه — على الشكل دون الموضوع ، أعنى أنها قالت فى ذلك إن وزير المعارف أصدر قراراً بعدم شراء كتبه ثم اشترت الوزارة كتبه وقد جاء فى حديث معاليه أن صفقة الكتب التى اشتريت كانت قد تمت قبل ذلك القرار . وبهذا لم يبق للاعتراض محل . ولكن المعارضة نفسها لم تعترض ولم يكن ينبغى لها أن تعترض على مجرد الشراء

ولم يكن ينبغى ولا ينبغى لأى كان ممن ولوا أمر تقرير كتب المطالعة الإضافية أن يغفل كتب طه حسين لمكانة هذا المؤلف — المسلم بها من الجميع — فى عالم الفكر والأدب فى هذا العصر

ذلك إجماع الناس — يامعالى الباشا — على تقدير ذلك المؤلف والاعتراف بنفع كتبه ، فبأى حق تظلمه . وبأى حق تمنع حق إشراقه على عقول التلاميذ ؟ ألأنك وزير ؟ لا ، فأنت وزير ديمقراطى ، وهذا حكم الرأى العام ...

لو كنت عضواً فى البرلمان لاقترحت على المجلس أن يقرر تلك الكتب أو يعتبر تقريرها رغبة برلمانية ويبعث بها إلى وزارة المعارف للعمل على تحقيقها ولو عارض معالى الوزير ...

مناقشة في « الموقف الدولي في آسيا »

افتتح قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية ، يوم الجمعة الماضى سلسلة للبحث والمناقشة موضوعها « مصر بين الشرق والغرب »

وكان الموضوع الأول فى هذه السلسلة « الموقف الدولى فى آسيا » وقد تألف رواق المناقشة من الأساتذة والدكاترة محمود عزمى ومحمد زكى عبد القادر وفؤاد صروف وسليمان حزين بك وحسين كامل سليم بك

بدأت المناقشة بتحديد آسيا ، فاشتد الخلاف فى هذا التحديد بين الدكتور عزمى والدكتور حزين ، إذ حدها الأول بالحدود الجغرافية المشهورة ورأى أن يخرج من موضوع البحث البلاد العربية لارتباطها بمصر ، وهذه فى إفريقية . فانبرى الدكتور حزين بك يقول إن الرأى الحديث فى تحديد آسيا يجعلها تشمل شمال إفريقية ويعتبر أوربا شبه جزيرة من آسيا ، وتسمى هذه القارة الكبيرة « أور فراسيا » وعزز ذلك ببيان وجه الشبه فى الموقف السياسى فى كوريا وفى أوربا ففى كوريا الشيوعية شمالا والديمقراطية جنوبا ، وكذلك فى أوربا الشرقية

ونشب الخلاف مرة ثانية بين الأستاذ زكى عبد القادر والدكتور سليمان حزين بك ، عندما قال الأول إن آسيا ليست إلا مسرحا لسياسة الأمم الغربية فهى تتكون من أمم ضعيفة تتنازع النفوذ فيها دول الغرب القوية ، فقال الدكتور حزين : إن فى آسيا حيوية كامنة ، وقد برزت قوتها فى الصين ، وفى صراع إندونيسيا لهولاندا ، والقارة تتكون من نحو نصف سكان العالم وتسودها الآن اليقظة الوطنية . قال الأستاذ زكى : نحن نتكلم عن الحاضر لا عن المستقبل . فقال الدكتور حزين : إن الحاضر يدل على مستقبل قريب

وفى خلاف ثالث اشتبك الدكتور محمود عزمى وحسين كامل سليم بك ، إذ رأى الأول أن زحف كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية ليس اعتداء وإنما هو التجاء إلى العنف لتحقيق غرض سياسى هو توحيد البلاد وإخراج المحتلين منها ، وبين الفرق بين العدوان والالتجاء إلى العنف وضرب مثلا لذلك مصر والسودان مفترضاً أن مصر رأت أو استطاعت أن ترسل جيشها إلى الخرطوم لتحقيق وحدة الوادى ... وهنا دوت القاعة بتصفيق الحاضرين . ثم تحدث حسين كامل سليم ذاهباً إلى وصف ذلك الزحف بأنه عدوان ، وقال إن كوريا تعتبر خط دفاع للديمقراطية فى آسيا أمام الشيوعية ، وتدخل فى هذا

كشكول الأسبوع

□ وافق مجلس المجمع اللغوى فى جلسة الاثنين الماضى ، على ما رأته لجنة الأدب فى منح جوائز المسابقة الأدبية ، وقد فاز فى الشعر ثلاثة ، وفى البحث الأدبى اثنان ، ولم يفز أحد بجائزة ابن سينا وجائزة القصة . وسيحتفل المجمع بإعلان هذه النتيجة وتقديم الفائزين فى الأسبوع الثالث من شهر مارس القادم .

□ سأل مندوب الأهرام معالى الدكتور طه حسين باشا عما نشر من صعوبات فى سبيل إنشاء معهد فاروق فى طنجة ، فأجاب معاليه : « لا أظن ... ومع ذلك فقد طلبت إلى زميلى وزير الخارجية أن يتحقق الأمر ، فإذا ظهر أن هناك صعوبة تحول دون إنشاء المعهد فى طنجة فإن الحكومة المصرية ستطالب إنشاءه فى مدينة تونس أو مدينة فاس بمراكش »

□ فى حديث بندوة الأستاذ كامل كيلانى ، أتى الأديب المتمكن الأستاذ جمال الدين أباظة بك بقول شوقى :

وإذا عفوت فقادرا ومقدرا لا يستهين بعفوك الجهلاء

وقال : لا بد أن تكون « مقدرا » بكسر الدال لا بفتحها (كما فى الديوان وكما تنطق أم كلثوم) فالمقصود أنه يقدر (بالكسر) فى عفوه فلا يعفو إلا على من يستحق حتى يستهين بعفوه الجهلاء ، أما الكلمة بالفتح فلا تأتى بجديد لأن من يعفو يقدر (بالفتح) حتما وكذلك لا يكون للشطر الثانى موقع مناسب .

□ كتب إلينا الأستاذ سيد أحمد عمر مدير روضة أطفال الجامعة العربية بكوبرى القبة ، يشكو من محاولة المالك إخلاء المنزل من المدرسة ، ويتوجه إلى معالى وزير المعارف رجاء أن يهتم قلم القضايا فى الوزارة بالقضية المعروضة حتى لا تضطر إلى غلق المدرسة فى الوقت الذى يعمل فيه معالى الوزير على الإكثار من المدارس لنشر التعليم .

□ قدم أحد الشيوخ المحترمين سؤالا أحيل إلى الإذاعة ، لاحظ فيه كثرة الأخطاء اللغوية فيما يذاع ، وطلب أن يتلافى ذلك ، حتى يكون ما يذاع بالعربية فصيحا صحيحا .

□ جرى الأمر فى الإذاعة المصرية على أن يذيع نشرة الأخبار مذيع ومذيعة ، كل يلقى خبرا ، ويقتضى ذلك أن يكون الاثنان وحدهما فى (الاستديو) وقد علق على ذلك أحد الظرفاء بأنه « خلوة إذاعية »

الخلاف الدكتور سليمان حزين فأيد الدكتور عزمى فى أنه من حق الشعب الكورى أن يعمل على توحيد جزأيه ، ثم قال إن الذى حدث أن المصلحة الوطنية الكورية ضحى بها فى سبيل التنافس بين الكتلتين الغربية والشرقية ، وقد نجحت روسيا فى خطتها العسكرية إذ استدرجت الغرب إلى هذه الحرب التى جشمته خسائر فادحة على حين لم تخسر روسيا جنديا واحداً ، ولذلك كان من الخير للغرب ألا يتدخل

وتناول الرواق بالمناقشة مسألة انتشار الشيوعية فى آسيا ، وعزوا ذلك إلى متاخمة روسيا للقارة وسوء حال المعيشة وفساد الحكم فى البلاد الآسيوية التى انتشرت فيها الشيوعية . ولخص الأستاذ صروف الملاحظات التى اتفق عليها الجميع فى ثلاثة أمور : (١) يقظة الآسيويين وثورتهم على الاستعمار وعلى النظم القائمة فى بلادهم (٢) انحسار النفوذ الأوربى عن أكثر البلاد الآسيوية (٣) انتشار الشيوعية

واختتم الأستاذ زكى عبد القادر المناقشة قائلا : قد تصبح دول آسيا هى المسيطرة على العالم ولكنها الآن مسرح للنزاع بين الكتلتين ، وقد شاعت فيها الشيوعية ونشأت بها دولة شيوعية قوية ، ولكن كيف يكون المصير ؟ هل تستبدل هذه الشعوب سيداً بسيد أو تكون لها قوتها الذاتية ؟ وهل تظل نظم الصين مطابقة لنظم روسيا أو تصبح أفكارها مغايرة ؟ يتوقف جواب ذلك كله على سير الأمور فى العالم وعلى مدى اليقظة فى الأمم الآسيوية

حول محاضرة الدكتور ناجى :

... وبعد . فقد كنت أود أن أسبق الأديب « أسامة » فى الرد على ما عقبت به حول محاضرة « الدكتور إبراهيم ناجى » ولكن شواغل حياتى الخاصة التى لا أشك أنك عرفت طرفاً غير يسير منها - وفضل ذلك راجع إلى أخينا الأستاذ المعداوى - صرفتنى عن الكتابة إليك فى حينه . والآن وبعد أن هدأت العاصفة واستقر كل شيء يسرنى أن أرسل كلمة عتاب هادئة لشاعر « ليالى القاهرة » الذى تجنى كثيرا على الرسالة وشعرائها . وهى تهمة أعيذ كبار كتاب مصر الشيوخ منها

لماذا يريد الدكتور ناجى أن تتخلص الرسالة من الشعراء الذين تنشر لهم منذ سنوات ؟ ألأجل أن يحتكرها هو ؟ أم أن هناك سبباً لا يدركه إلا هو والراسخون فى علم الطب ؟! وبأى حق يلقب هؤلاء الشعراء بـ « التافهين » هل هو أشعر منهم أم هو أعلم أهل زمانه بقواعد اللغة ؟

صدقنى ياسيدى أننى كلما راجعت العدد الذى عقبت فيه على محاضرته عجبت من سكوت الشعراء على هذا التجنى الشنيع والموقف الذى وقفه الدكتور من زملائه وفيهم من هو أعلم بأسرار البلاغة . وخصوصاً حين أرجع إلى ذاكرتى فأردد بينى وبين نفسى قوله

« أجرجر » وحدتى فى كل حشد وأحمل غربتى فى كل جمع

وأقول : مرحى مرحى يادكتور ، من قال لك إن لفظة «أجرجر» تستعمل بمعنى «أجر» وفى أى قاموس وجدتها وأنت قد بلغت الآن الستين من عمرك المديد

تصور ياصاحب « الأدب والفن فى أسبوع » حال شاعر لا يعرف كيف تستعمل الكلمات فى محلها ، وقل لى بحق العلم والفن والأدب هل يجوز له نعت إخوانه بـ « التافهين »

لقد كنت فى « باريس » إبان أخرجت المطابع المصرية ديوان الدكتور وعند مرورى بالإسكندرية وبيروت ودمشق لم أحصل على نسخة منه ، وفى بغداد أكد لى أصحاب المكاتب أنه لم يرد حتى الآن لأقرأه وأعطيه حقه من النقد . فهل يتكرم أصدقائى فى القاهرة بإهدائى نسخة من « ليالى القاهرة » فأكون لهم من الشاكرين وأحبذ لو يتفضل الدكتور إبراهيم ناجى فيحمل عنهم هذا العبء ..

وختاماً يا صديقى الأستاذ عباس أود أن أحيل إليك هذا السؤال لترد أو تعقب أنت عليه بدلاً من صديقك الدكتور فأقول سائلا ومماتباً :

من هم الشعراء التافهون الذين يمنيهم الشاعر ناجى ؟ أهم كانوا من العراق ، أم من سوريا ولبنان ، أم من مصر والسودان ؟ إن كانوا من العراق وأنا منهم طبعاً فهل لك أن تبين لنا عيوبنا لنتجنبها

في المستقبل القريب ؟!

هذه جناية كبرى لا نغتفر للدكتور ناجي آمل أن تداركوها عسى أن تخفف ما علق بنفوسنا من أشجان .

واسلم لأخيك

بغداد - أمانة العاصمة عبد القادر رشيد الناصري

عندما علقت على محاضرة الدكتور إبراهيم ناجي « الشعر العربي المعاصر » لم أقصد إلى انتقاص قدره ومكانته في عالم الشعر ، إنما لاحظت أنه أراد أن يخلي المكان ويمسح كل من يشغله ليجلس فيه وحده ، وقد أشفقت عليه لأنه يجشم نفسه هذا العناء وهو يستطيع أن يأخذ مكانه - وهو آخذه بالفعل - مستريحا فسيحا

والذي ألحظه في رسالة الأخ الشاعر الأستاذ عبد القادر رشيد الناصري - ويسرني أن حالته قد استقرت - أنه قد غضب من وصف الدكتور ناجي شعراء الرسالة بأنهم تافهون ، لأنه منهم ، وهو يعجب من سكوت بقية الشعراء . . ولكني أرى الأمر أتفه من أن يثير هذا الغضب ، فقد رويت ذلك الوصف وأنا أعتقد أنه يحمل في تضاعيفه السخرية به . . فالرسالة تنشر لشعراء معروفين وغير معروفين مقدرة ما تنشره ، وليس قول أحـــد بضائره ... فالناس تعرف ما ينكره ...

وقد نقدت محاضرة الدكتور ناجي ، ولم أتعرض لشعره ، وأقول الآن إن بعض ما يقوله يعجبني ، ومنه هذا البيت الذي أورده الأستاذ الناصري في رسالته :

أجرجر وحدتي في كل حشد وأحمل غربتي في كل جمع

فأنا أشاركه هذا الإحساس ، وأراه موفقا في التعبير عنه . هذا الشاعر الذي يعيش وحيدا وغريبا بين الناس لأنه يحيا بمشاعره في عالم غير عالمهم - جدير بالأنس إليـــه . وهو لا يترك تلك المشاعر عند ما ينتقل إلى الناس بل ينقلها معه فتجرر عليه الوحدة والغربة . أما « أجرجر » فلا أرى بها بأسا ، بل أرى فيها بلاغة ؛ فالجرجرة - كما نفهم من الأمثلة الواردة فيها - التحريك مع الصوت وهو نفس المعنى الذي يستعمل في العامية ، واستعمال الفعل « أجرجر » في البيت ، فيه تجسيم الوحدة إذ يشبه بالجسم الثقيل الذي يحدث جره صوتا مزعجا ، وهذا يلائم المعنى ، إذ يزيد الإحساس بالوحدة ضيقا وثقلا

وتحياتي وأطيب تمنياتي للأستاذ الناصري ، وأرجو ألا يضن عليه الدكتور ناجي بنسخة من « ليالي القاهرة »

عباس خضر



معركة الاسلام والرأسمالية

تأليف الأستاذ سيد قطب

للأستاذ ابراهيم الوائلي

إن النكسة التي أصابت الإسلام في تطبيق نظمه على منهجها الصحيح ترجع إلى أكثر من ثلثمائة وألف سنة . أي: منذ تحول الحكم المقيد بالشورى إلى ملك مطلق يورث كما تورث القصور والبساتين والأموال ، وقد بعدت الشقة بين النظم الاسلامية وبين تطبيقها يوم أن تسلط على رقاب المسلمين عناصر لا تعرف من الحياة غير البذخ والملذات والشهوات ، وتعقدت المشكلة أكثر من ذلك يوم أريد لهذا الدين الواضح السهل أن تنصب فيه تيارات غريبة عنه من التقاليد والعادات التي لا عهدللمسلمين بها . وفي بداية النكسة قام أبوذر يبث الدعوة للإسلام الاشتراكي حتى تحمل الأذى في سبيل مبادئه . ولم تكن دعوته إلا صدى للدعوة الأولى عند انبثاق الفجر ، واستجابة للحد من تلك الطفرة البعيدة التي منى بها الاسلام في مرحلته الأولى حتى أفلت الزمام في المراحل التي بعدها

ولا نغالي إذا قلنا : إن تلك القصور على الغوطتين أيام الأمويين ، وفي بغداد وسامراء أيام العباسيين ، وعلى البسفور والدردنيل أيام العثمانيين ، لم تكن إلا من الأمثلة السيئة في تاريخ الإسلام الصحيح . أما في عرف التبجح والارستقراطية فهي رمز للمكانة الكبرى التي كان يتمتع بها أولئك الخلفاء كما يسميهم التاريخ !! . نعم : التاريخ الناطق المقلوب ... خذ مثلا من أمثلة هذا التأريخ المقلوب عن حاكم عباسي سكير عربيد يهب في إحدى لياليه للخمار ألف دينار ولزوجة الخمار مثلها ، ولكل واحدة من بناته خمسمائة ، ويطلب من شاعره أن يصف هذه الليلة فيقول الشاعر :

يا حانة الشط قـد أكرمت مثوانا
عودي بيـوم سرور كالذي كانا
لا تحرمينـا دعابات الإمام ولا
طيب البطالة إسرارا وإعـلانا

هذا الحاكم السكير الواهب يسميه التاريخ خليفة للمسلمين ويسميه الشاعر (إماما) : وما أبعد هذا عن الخليفة القائل :

وحسبك عاراً أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحن إلى القد

أتعلم من ذلك (الخليفة الإمام) ؟ إنه الواثق العباسي ، أما الثاني فهو علي بن أبي طالب ، وليس في تأريخ المسلمين غير (علي) واحد يحمي الحديدة لأخيه عقيل من أجل حفنة من الشعير اقتصدها من قوته اليومي ، ولكن كم في تأريخ المسلمين من (واثق) مسرف سكير ! إن أمثال هذا هم الذين أشاعوا التفسخ في دنيا الاسلام ، وها نحن أولاء نقاسي تبعات هذا التفسخ في عصرنا الحاضر ، هـذا العصر الذي لم يرث عن عصر علي وعمر أي شيء ، كما أنه لم يرث عن الأمويين قوتهم وفتوحاتهم ولا عن العباسيين علومهم وآدابهم ، وإنما ورث عن هؤلاء وأولئك البذخ والترف والقصـور والأقطاع ، كما ورث عن العثمانيين والمماليك كل ما اتصفوا به من الاستبدادا المطلق والجشع الماحق ، والرشوة والنهب والسلب وبيع الوظائف في سوق (المزاد) السري وإغداقها على الأنصار والذيول . ورث عنهم هذه الفروق الشاسعة بين طبقات الناس ، فإلى جانب القصور المحلقة بأجنحتها تمشمش الهياكل الآدمية في أكواخ وبيوت كأنهـا القبور ليس فيها إلا الدود والعظام . وإلى جانب الأكراش المترهـلة بألوان الطعام بطون وبطون تنطوي على الجوع والحرمان. وإلى جانب الأكتاف والنحور المثقلة بالفرو والسنجاب والماس والجواهر أجساد عارية لا تجد الكساء . وإلى جانب الاقطاعيات المترامية مشردون لا يجدون مفحص قطاة . وإلى جانب الحكام والمتنفذين محكومون يلوذون بالصمت حينا وبالتذمر حينـا آخر، وكلا الحالين أحلاهما مر ؛ ففي الأول جوع ، وحرمان وفي الثاني سجن وتعذيب . وإلى جانب الاستعمار المستشري شعوب ذليلة خاضعة تأتيها الصفعة من كل جانب ، !! هذا هو التفسخ السياسي والاجتماعي في البلاد

العربية والإسلامية يصوره لنا الأستاذ الكبير سيد قطب فى كتابه الجديد « معركة الإسلام والرأسمالية » ففى هذا الكتاب دعوة صارخة إلى الحق والكف عن الفوضى التى دهورت المجتمع العربى والإسلامى وجعلت منه ميدانا فسيحا لعبث العابثين والموبة بين المستعمرين حتى تساوى متعلموه وجهاله فى ضعف الذاتية وتبلد الفكر والتواء الطريق وسخف الهدف والاتجاه . وكثيرا ما نسمع فى هذه الأيام من الكلمات الفارغة هنا وهناك فى الإصلاح والتكتل الإسلامى وما شابه ورادف .. كلمات لاتجدى شيئا لأن قائليها عبيد مأجورون قد انعدمت ذاتيتهم وضؤلت نفوسهم . أما الأستاذ قطب فليس من أولئك لأنه ليس بسياسي (مأجور) ولا ممما يتجر بالدين، وإنما هو واحد من أحرار الفكر والضمير

ومن الخير أن أسوق بعض الأمثلة من هذا الكتاب الذى بين أيدينا . قال الأستاذ قطب فى ص ٠٧ :

« إن الإسلام ليصرخ فى وجه الظلم الاجتماعى والاسترقاق الأقطاعى وسوء الجزاء ، وإنه ليمد الكافحين لهذه الأوضاع بقوة ضخمة من الكفاح والصراع ، وما من وضع اجتماعى هو أبعد عن روح الإسلام من أوضاعنا القائمة . وما من إثم أكبر من إثم الذين يدينون بالإسلام ثم يقبلون مثل هذه الأوضاع أو يبررونها باسم الإسلام ، والإسلام من مثلها براء »

ويتحدث عن الكتلة الإسلامية فيقول فى ص ٣٣ :

« فى هذا العالم رقعة فسيحة متصلة الحدود من شواطئ الأطلنطى إلى جوانب الباسفيكى تضم أكثر من مائتى مليون من الناس يشتركون فى عقيدة واحدة ونظام معيشى واحد ، وتقاليد متقاربة ولغة إن لا تكن واحدة فهى فى طريقها لأن تصبح لغة التفاهم للجميع ... فأى عقل يمكن أن يغفل هذه الكتلة الضخمة من الحساب ؟ »

وفى ص ٣٨ يتحدث عن العالم العربى وموقفه من النزاع الدولى فيقول :

« إن هذا العالم العربى الممزق فى براثن الاستعمار الغربى ليستحق اللعنة والاحتقار إذا مد يده الذليلة ليسند الغرب الفاجر فى بأسائه مرة أخرى »

قد يقال . إن الأستاذ قطب يدعو إلى فكرة رجعية تحرمنا (لذة) الاتصال بالغرب ولكن الشأن غير ذلك فهو يقول فى ص ٣٥ و ٣٦ :

« نحن لا ندعو إلى عزلة فكرية أو اجتماعية عن ركب الإنسانية المندفع فنحن شركاء فى القافلة ، شركاء فى الحضارة البشرية . . . ولكننا ننعى هذا التسول الدائم الذى نزاوله وهذا الاستجداء المزرى الذى نحن عاكفون عليه . . . وما دمنا نستجدى دائما ولانعطى شيئا فنحن على مائدة الإنسانية فى موضع الشحاذ المتسول لا فى موضع الواهب الكريم »

هذه بعض الأمثلة من هذا الكتاب ؛ وكله على مثل هذا النسج وقد كتب بأسلوب مؤثر تكمن فى طياته حرارة القلب المؤمن بوطنه ودينه وأمته ، ونضج المفكر الحر الذى يشعر بكرامته وكرامة جنسه ، وصدق الداعى الذى يؤمن برسالته أحر الإيمان . ولعل هذا الوصف الشامل الدقيق للحالة الاجتماعية والسياسية يعود ويكون مقدمة لما فى الكتاب من استيحاء للنظم الإسلامية فى مختلف نواحى الحياة، وقد عالج الأستاذ قطب هذه النظم بدقة وطبقها من الوجهة النظرية على شؤون المجتمع

هناك كلمة أقولها للصديق الكبير على صفحات الرسالة ولعلى قلتها له فى معارض الحديث أكثر من مرة : إن هذه الدعوة التى يدعو إليها حق لا مراء فيه ولكن أين هى القوة المنفذة التى تستطيع أن تطبق الأحكام والنظم الإسلامية بدقة ؟ وهل باستطاعتنا أن نخرج من الحدود النظرية إلى العملية فى وقت تتولى السلطة فيه طبقات تحارب الإسلام لأنه يحاربها . . . ؟ وهل بإمكاننا أن نقيم صرحاً متينا على دعائم متآكلة وجدران متداعية ؟ إن لحظة من الزمن وكلمة من لسان لا تستطيعان استخلاص الإسلام من الشوائب التى علقت به طيلة ثلاثة عشر قرنا ، ولكن بعد أن تنق التربة وتسق المياه يمكن أن نعيد غرس هذه الشجرة من جديد وأن ننعم بظلها وثمرها

ولعلى أجنى على الأستاذ قطب بهذه الكلمة لأنه لم يغفل هذه الناحية التى تعترض طريق التطبيق بل ألح عليها كثيراً واستعرضها استعراضا شاملا وأهاب بالشعوب الخاضعة والجماهير المغلوبة أن



الى الأستاذ محمد محمود زيتون

ورد فى مقالـكم جامعة الزهراء المنشور فى مجلة الرسالة الغراء عدد ٩١٩ – ١٢ فبراير سنة ١٩٥١ حديث . خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء . أى عائشة ، ولقد ظن كثير من العلماء بأن هذا الحديث صحيح . ووضعـا للحق فى نصابه رأيت أن أتثبت منه فرجعت إلى كتاب معارج الألباب فى مناهج الحق والصواب للنعيمى المتوفى سنة ١١٨٧ هـ فرأته يقول عن هذا الحديث : وقد بحثنا عن هذا وإذا حفاظ هذا الفن وأئمة هـذا الشأن لا يعرفونه فى جميع ما وقفنا عليه من كتبهم الحوافل ولم يأنسوا فيه بسند ضعيف، فضلا عن حسن، فضلا عن صحيح . وقد كشف أمره الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوى فى المقاصد الحسنة وكذا العلامة ابن الديبع فى مختصره (تمييز الخبيث من الطيب) والفيروزابادى فى آخر كتابه سفر السعادة وهذا الحديث ذكر فى بعض المصنفات القديمـة منها النهاية لابن الأثير، ونص العالمون على أنه حديث منكر لم يجد له العلماء الحفاظ إسناداً قط بل قال ابن القيم الإمام « كل حديث فيـه ياحميراء أو الحميراء فهو كذب مختلق » . « ويقول ابن الديبع فى كتابه تمييز الخبيث من الطيب (خذوا نصف دينكم من الحميراء يعنى عن عائشة رضى الله عنها قال ابن حجر لا أعرف له إسناداً ولا رأيته فى شئ من كتب الحديث إلا فى النهاية لابن الأثير ولم يذكر من خرجه، وذكر الحافظ عماد الدين بن كثير أنه سأل المزى والذهبى عنه فلم يعرفاه ؟

ومما تقدم نعرف بأن الحديث موضوع ومفترى على صاحب الرسالة

وختاما أشكر لـكم هـذه الفكرة الجريئة، وحبذا لو وجدت قبولا من أولى الأمر

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد أحمد عطيفى الشامى
بمعهد التربية العالى للمعلمين

حول أديب يتعاظم

كتب الأستاذ محمد خالد حنفى فى العدد السالف من الرسالة الغراء يسأل زميله رجب البيومى عن مراجع المقال الذى نشر فى العدد المذكور لأنه وعد – على حد قوله – فى صدر المقال أن يذكرها . وأنا أقول لا داعى لهذا السؤال فالمراجع – بحمد الله كثيرة ومعروفة ولـكن الذى يدعو إلى التساؤل حقا هو هل هذا المقال أو مضمون هذا المقال وقع لياقوت الحموى وحده مع شميم أم هو وقع لعدة أشخاص من بينهم ياقوت وإنما الذى قام بدور المؤلف بين هذه الطرائف إنما هو خيال الأستاذ البيومى ؟ ؟ أؤكد للاستاذ البيومى أننى من المعجبين بأسلوبه وطريقته فى الـكتابة – غير أن هذا الاعجاب لا يقف حائلادون أن أقول إنه يجب أن يكون هناك شئ من الأمانة فى النقل ونسبة الوقائع إلى أصحابها فى النقط الجوهرية على الأقل؛ ولا علينا بعد هذا أن يفعل الخيال فعله فى صوغ القصة وتجويدها . وها هو ذا ياقوت الروى يذكر هذه الوقائع فى (معجم الأدباء) ص ٥٠ ج ١٤ ويسجل المحاورة الطريفة التى وقعت بينه وبين شميم وليس من بينها قصـة السجود وإنما يذكرها ياقوت – عن طريق الرواية – لشاعر آخر استنشده شميم فأجاد ثم أنـكر عليه نسبة الشعر وتحداه أن يأتى بشعر فى هذا المعنى فارتجل الشاعر أبياتا يعتذر فيها فى أن القريض قد لا يأتيه عفواً فانتزع إعجابه بهـذه الأبيات وأمره

تعيد إلى نفسها حقا فرضه الدين وجحده السلطون

وبعد فقد قرأت للاستاذ قطب فى معظم كتبه التى تفضـل بها على ووافقته فى الـكثير من إنتاجه ؛ ولـكنى أحسست بعنف الهزة حين قرأت هذا الـكتاب الجديد لأنه منطق الشعور العام لا منطق الأذناب والعبيد . . .

هذه كلمة لا أظنها تـكفى لتسجيل ما فى هذا الـكتاب من قوة وتفكير وصدق وإيمان

ابراهيم الوائلى

بالسجود . وليس من بينهم أيضا قصة (نشيد) النائحات على الاطلاق . وهنا يبلغ بنا العجب أقصاه إذ كيف يتصور أن تقع هذه الحادثة الفريدة لياقوت ثم يهملها وهو من هو في اقتناص الطرائف وتصيد أخبار الأدباء ؟.. ثم إنى أشك فى وقوع هذه القصة أصلا من شميم نفسه ، شميم الذى يقول عنه ابن خلكان (إنه أديب فاضل له خبرة باللغة والأدب جم الفضائل الخ) كيف تتخلى هـذه الأوصاف جميعها عن الرجل ليهبط إلى مصاف المجانين فيضع (نشيداً) للنائحات ثم يقوم بتلحينه وتمثيله مع نخبة من تلاميذه المجانين . ولو قد فعل ذلك لوجد نفسه مشمولا بالرعاية فى كتاب (عقلاء المجانين) على الأقل ولم يعرف بمهذب الدين ، وصاحب فضائل ، وشيخ الأدباء .

وهل من الأدب أن يلطم الشخص خده ويأمر به تلاميذه من أجل النادبات النائحات ؟ أعوذ بالله !

مختار محمد هويسه

هذه هى المراجع :

صديق الأستاذ الأديب محمد خالد حنفى على حق حين يطلب منى ذكر المراجع التى نقلت عنها مقالى المعروف « أديب يتعاظم » بعد أن وعدت بها القراء

والواقع أنى سجلت المراجع فى صدر المقال ، ونسيت مطبعة الرسالة أن ترفقها بالبحث كما هو المعتاد ، وهأنذا أضعها للقراء من جديد

(١) معجم الأدباء ج ١٣ ص ٥٠

(٢) معجم الأدباء ج ٨ ص ١٢٢

(٣) أنباء الرواة ص ٥٤٣

(٤) بغية الوعاة ص ٣٣٣

(٥) صحيفة دار العلوم (س ٥) يولية ١٩٣٨ م

وللأستاذ خالد تحياتى وشكرى

(المنصورة) **محمد رجب البيومى**

طه حسين الشاعر . .

كثرت فى الآونة الأخيرة الأحاديث عن نابغة الجيل وشعر نابغة الجيل عميدنا الدكتور طه حسين باشا

ولقد قال البعض إن عميدنا انقطع عن الشعر منذ عام ١٩١٤ ، وجاء آخرون فأوردوا له شعراً انبث فى ثنايا كتبه التى ظهرت بعد هذا العام . .

والحقيقة الواقعة أن عميدنا لم ينقطع عن الشعر أبدا حتى العام الماضى فقط ، وقد أشار الأستاذ إبراهيم محمد نجا إلى ذلك . . ففى كتابه الفريد (جنة الحيوان) الذى ظهر فى العام الماضى ، ابتدأ فصلا منه بهذه السطور التى هى فى الواقع شعر مقفى موزون :

من أين أقبلت يا ابنتى ؟ • من حيث لا تبلغ الظنون!
ماذا تريدين يا ابنتى   أريد مالا تقدرون !

كيف تقولين يا ابنتى ؟   أقول مالا تصدقون !
أسرفت فى الرمز يا إبنتى   بل مالكم كيف تحكمون!

وينظر الشيخ حوله   فلا يرى من يحاوره
وينكر الشيخ نفسه   ولا شكوك تساوره

فقد رأى شخصها الجليل   تظله هـذه الغصون
ولم يزل صوتها الضئيل   يثير فى نفسه الشجون

وكانت الشمس قد تولت   كالأمل الخائب المكذوب
وظلمة الليل قد أظلت   كاليأس إذ يغمر القلوب

أما بعد ، فما أشبه نفس عميدنا بالنبع العذب الرقراق ، لا ينقطع فيضه أبدا ، رضى أم لم يرض فحق الناس أن يرشفوا من كأسه ويعبوا من نبعه

ولإخواننا الباحثين الأجلاء ، خالص الشكر والثناء .

ع . الرفعى



العظام المقدسة

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

للأستاذ حسين أحمد أمين

(رسالة إلى الأب لويس دانمير قسيس سواسون)

سيدي الفاضل :

يؤلمني أن أنهي إليك أن الخطبة التي كانت قائمة بين ابنة عمك وبيني قد انفصمت عراها ، وأن هذا الانفصام إنما يرجع إلى أتفه الأسباب وأبعثها على الضحك . . هي لعبة قذرة لجأت إليها عن غير عمد . . لذلك لجأ إليك يا سيدي العزيز لتنقذني مما أنا فيه ولن أنسى لك ما حييت ما قدمته لي من مساعدة

إنك تعرف جيلبرت . . أو بالأحرى تظن أنك تفهمها . . ولكن من ذا الذي يفهم امرأة ؟ ومن ذا الذي بإمكانه أن يثق بآراء النساء ومعتقداتهن وأفكارهن ؟ ألا ترى أنهن لا يثبتن على وضع ولا يستعن بمنطق ، وأنهن يتهربن في المناقشات ، ويبدون متمسكات بآرائهن إلى حد العناد ثم يتحولن عنها فجأة لمجرد أن طائراً صغيراً قد ظهر عند حافة النافذة ؟

ولست في حاجة إلى أن أبين لك مدى عمك ابنة عمك بالدين إذ هي - كما تعلم - قد تلقت دروسها عن الراهبات في نانسي . . وربما كنت تعلم عنها في هذا الصدد أكثر مما أعلم . ولكنني على ثقة من أنه قد غاب عن ذهنك أنها امرأة قبل كل شيء وأنها في عواطفها وآرائها كالريشة في مهب الريح . فما أسرع تحولها من الإشفاق إلى الغضب ، ومن الحب إلى الحقد !

حسن ! لقد خطبتها وأحببتها إلى حد العبادة وقد بدا لي أنها تحمل لشخصي بعض الميل . وفي إحدى الأمسيات تلقيت برقية تستدعيني إلى كولونيا لإجراء إحدى العمليات . فأسرعت إلى جيلبرت لأودعها وأعتذر لها من عدم إمكاني تناول العشاء مع والديها يوم الأربعاء ولأطلب منها أن تؤجل الحفلة إلى يوم الجمعة عند عودتي .. آه يا عزيزي . . حذار من يوم الجمعة فإنه يوم شؤم

وعندما أخبرتها بعزمي على القيام بالرحلة رأيت دمعة تلمع في عينيها ولكن ما إن أخبرتها بنيتي في الرجوع في أسرع وقت حتى صفقت بيديها وصاحت :

« حسن . . حسن . . يجب أن تحضر لي هديةمعك . . أية هدية رخيصة الثمن أبقيها معي دائماً لتذكرني بك . . ولكن عليك أن تنتقيها لي وأن تتأكد من أنها ستدخل السرور على نفسي . .

ثم قالت :

« إني أمنعك من أن تشتري هدية بأكثر من عشرين فرنكاً . . إذ لا يهمني عظم قيمتها وفداحة ثمنها . . إنما يهمني حقيقة شعورك وإخلاصك لي » وسكتت قليلا ثم قالت وهي تخفض من بصرها :

« إذا اشتريتها لي بثمن منخفض ونالت إعجابي فسأمنحك قبلة . . »

وسافرت في اليوم التالي إلى كولونيا . . فوجدت المصاب رب عائلة فقيرة ووجدت جراحه من الخطورة بحيث تستدعي عملية عاجلة . . فأجريتها له ومكثت إلى جواره ثمانيا وأربعين ساعة . . حتى إذا ما رأيته قد بدأ يرجع إلى نفسه استقللت عربة إلى المحطة

وعلمت أن القطار سيبرح بعد ساعة فخرجت أتجول في الطرقات وأنا أفكر في المريض البائس . . وإذا برجل يتقدم مني . . ومع أني لا أفهم الألمانية وهو لا يفهم الفرنسية استطعت أن أدرك منه أنه يبيع آثاراً للقديسين . . وفجأة تذكرت جيلبرت . وتذكرت أنها شديدة التدين . . فتبعت الرجل إلى حانوته واخترت من بين محتوياته عظمة صغيرة من عظام إحدى القديسات محفوظة في علبة جميلة من الفضة . . ثم سافرت .

وعندما وصلت إلى منزلي أردت أن أرى العظمة مرة أخرى . ففتحت العلبة . . وإذا بي أراها خالية . وفتشت جيوبي واحداً إثر الآخر ولكنني لم أعثر لها على أثر

وأنت تعلم يا عزيزي القسيس أن معتقداتي الدينية ليست بالمتينة. وتعلم أني لا أعتقد في قدسية آثار القديسين ـ وتشاركني أنت في هذا الرأي . . لذلك لم أحزن على فقد العظمة وبحثت عن أي شيء أحله محلها . . ثم ذهبت إلى حبيبتي . .

وما إن دخلت الحجرة حتى جرت إلى وهي تقول :

— ماذا أحضرت لي ؟

وتظاهرت بأني قد نسيت طلبها ولكنها رفضت أن تصدق . . وتوسلت إلى أن أريها ما أحضرته لها . . وأخيراً أظهرت لها العلبة وبداخلها عظمة صغيرة فكادت تجن من الفرح . .

— عظمة لإحدى القديسات !!

ورأيتها تقبل العلبة في خشوع . .

بدا ضميري يوبخني على الخدعة التي ارتكبتها وسألتني فجأة :

— هل أنت واثق من أنها لإحدى القديسات ؟

— كل الثقة . .

— وما دليلك على هذا ؟

وشعرت بحرج الموقف . . فإن أنا أخبرتها أني اشتريتها من بائع متجول فقد ضاع كل شيء . . فماذا أقول ؟ وطافت بعقلي فكرة جنونية فقلت لها في صوت منخفض غامض :

— لقد سرقتها من أجلك . .

ورأيتها تحدق في بعينيها الواسعتين :

— ماذا ؟ سرقتها ؟ من أين !

— من الكنيسة . . ومن المكان الخاص بآثار القديسات .

وأخذ قلبها يدق بشدة ، ورأيتها تكاد أن يغمى عليها من الفرح وغمغمت : وسرقتها أنت من أجلي ؟ قص على القصة كلها . .

وهكذا لم أستطع التراجع . . فقصصت عليها قصة من مخيلتي سارداً فيها أدق التفاصيل . وقلت إنني رشوت الحارس بمائة فرنك لكي يسمح لي بالدخول وحدي . . وإن العمال الذين كانوا يصلحون المكان خرجوا لتناول الغداء ففتحت أحد الصناديق وسرقت عظمة صغيرة ثم أغلقت الصندوق ثانية وذهبت إلى الصائغ فصنع لي علبة من الفضة

ورأيتها تستمع إلي في ذهول وسعادة ثم سمعتها تغمغم : ما أعظم حبي لك ! وغاصت بين ذراعي . .

لتلق بالك إلى هذا يا سماحة القسيس . . لقد سرقت . وانتهكت حرمة الكنيسة وغرفة القديسات وسرقت آثاراً مقدسة . . وبسبب ذلك تحبني وتعتبرني مخلصاً كاملاً عظيماً !

هكذا النساء يا عزيزي القسيس . . دائماً أبداً . .

وظللت شهرين إلى جوارها وهي تعتبرني أخلص المحبين وأكثرهم سحراً . . ورأيتها تضع العلبة في مكان أعدته لها لتتعبد إلى جوارها صباحاً ومساء . .

وما إن جاء الصيف حتى انتابها شوق إلى رؤية مكان الجريمة وألحت على والدها بشدة دون أن تطلعه على السبب الحقيقي كي يصحبها إلى كولونيا . . وقد أخفوا جميعاً عني سر هذه الرحلة .

وأظنك تعلم يا سيدي أني لم أشاهد في حياتي كنيسة كولونيا من الداخل . . وأني لا أعلم ما إذا كانت هناك حقاً غرفة للقديسات أم لا . .

وبعد أسبوع تلقيت ستة سطور من جلبرت تفسخ فيها الخطبة وخطاباً من أبيها يشرح لي السبب في الفسخ . لقد ذهبا إلى الكنيسة ودخلا غرفة القديسات وسألت هي الحارس عما إذا كانت قد وقعت سرقة من الغرفة في يوم ما . فضحك وبين لها استحالة السرقة . .

لقد اعتبرتني غير جدير بحبها منذ اتضح لها أنني لم أسرق من هذا المكان الطاهر ، وأن يدي الدنسة لم تتسلل إلى العظام المقدسة

ومنعتني من دخول منزلها برغم توسلاتي الحارة

أتضرع إليك يا سيدي القسيس أن تتوسط في الأمر وأن تشفع لي عندها . . ولك مني أخلص الود

حسين أحمد أمين

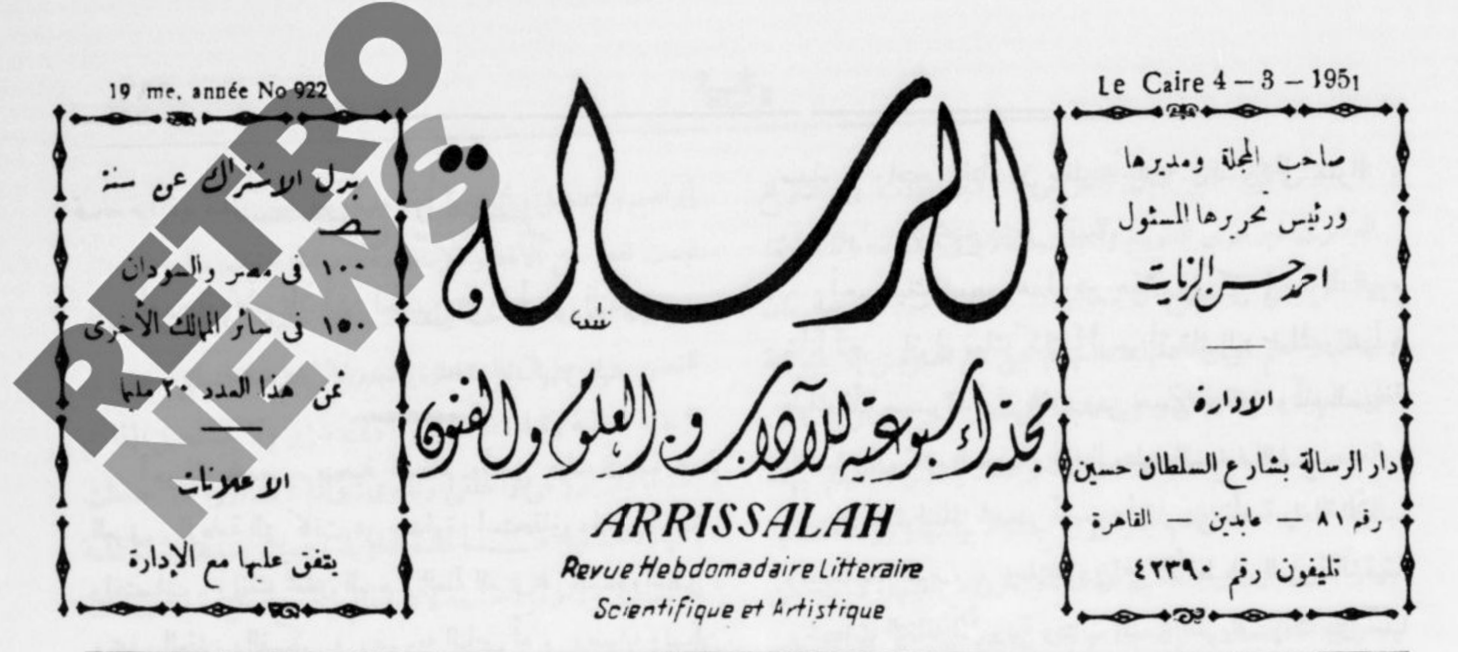
مطبعة الرسالة



العدد ٩٢٢ — ٥ مارس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد


Le Caire 4 — 3 — 1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

19 me. année No 922

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٢٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ — ٤ مارس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

حول مشكلة اللاجئين !

قلت مرة إننى كفرت بالضمير الإنسانى ، كفرت به حين كفر هو بكل وشيجة من وشائج الإنسانية ، وكل خليقة من خلائق الأحياء ، حين تكون هذه الخلائق مجموعة من المشاعر والأحاسيس ... مشاعر الدم الواحد واللغة الواحدة والتقاليد الواحدة ، وأحاسيس الأخوة والمروءة والجوار !

قلت هذا فاعترض بعض الناس ، وحجتهم أن الضمير الإنسانى لا يزال بخير ، فى هذه البقاع الطيبة التى عنيتها بكلمات رسبت فى نفسى رسوب اليقين ... هم ينظرون إلى الجزء وأنظر أنا إلى الكل ، ويحكمون فى ضوء الفرد وأحكم أنا فى ضوء المجموع ، ويتكلمون عن الضمير الإنسانى من زاوية ضيقة ينحصر فيها فلان وفلان من عشاق الخير وصناع الجميل ، وأتكلم أنا عن الضمير الإنسانى فى صورته الكاملة الشاملة التى تعنى أكبر عدد من الناس فى أكبر عدد من أقطار العروبة !

إن الضمير الإنسانى فى هذه البقاع الطيبة وبهذا المعنى الذى رميت إليه قد مات ... ولو كان حياً لما سمح لنفسه بأن يطيق منظر الموت البشع وهو يحصد بمنجله الرهيب جوعاً من الأحياء شردهم الظلم والطغيان فهاموا على وجوههم فى كل واد وكل فلاة : بطونهم خاوية ، وأجسادهم عارية ، بينما شبعت الكلاب وا كتست الأضرحة واطمأنت إلى المأوى الأمين أخس أنواع الحشرات !

وأنطلع إلى هؤلاء المشردين الذين أضناهم البرد وقتلهم الجوع ولفح شعورهم الهوان ، ثم أتذكر أن هناك غيرهم ممن أنعشهم الدفء ، وضاقت بطونهم بالتخمة وامتلأت نفوسهم بالأمان ... أنطلع إلى هؤلاء وأولئك ثم أخرج من جولة الفكر وفورة الأسى بهذه الحقيقة ، وهى أننى لا أملك فى الحياة غير هذا القلم ! وماذا يجدى القلم يارب وهناك من ينتظر الثوب الذى يستر الجسد ، واللقمة التى ترد عادية الجوع ، والقطرة التى ترطب حرارة الظمأ ، والوطن الذى يشعر بكرامة الحى ويعبر عن جمال الحياة ؟ !

وماذا يصنع القلم وهو لا يجد ما يهديه إلى هؤلاء الجياع العراة غير هذه القروش الفكرية ؟! ومن يخاطب وقد مات الضمير الإنسانى عند حراس الخزائن وملاك الضياع وسكان القصور ؟ ! إننا لا ندعو إلى الشيوعية ولكننا ندعو إلى الإنسانية ... الإنسانية التى تصرخ فى وجه هؤلاء جميعاً أن فى أموالهم حقاً لكل فقير وكل جائع وكل محروم ، وتقول لكل واحد منهم فى همسة إن لم تكن جازعة فهى ضارعة : تنكر للغتك إذا شئت ، ولمروبتك إذا أردت ، ولقوميتك إذا أحببت ؛ ولكن ... ولكن لا تنس أنك إنسان !

إنها قروش فكرية كما قلت ، وحسبى حين أجود بها أننى أجود بخلجات النفس وخفقات القلب ودفقات الوجدان . حسبى هذا ، وحسب اللاجئين أن يتقبلوها على أنها نفحة من نفحات الألم ، فيها من مشاركة الشعور ما يقوم مقام العزاء ، حين يضيع كل أمل فى الضمير الإنسانى ... ويخيب كل رجاء !

أ . م

اسمعي يا مصر!

لفضيلة الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي

نائب معتمد دار العلوم بندوة العلماء بلكهنو بالهند

أحييك يا مصر بتحية السلام وأحيي فيك الزعامة للعالم العربي. الزعامة التي كانت عن جدارة واستحقاق، لا عن احتكار واغتصاب، وإنك تحلين اليوم في العالم العربي محل السمع والبصر، ومحل العقل والفكر، رضي به الناس أم لم يرضوا، ولكن الواقع لا ينكر

أحيي فيك يا مصر نفاق سوق العلم ورواج بضاعة الأدب، وتقدير رجال العلم والفن، فقد أنجبتهم واحتضنتهم ودافعت عنهم، وحدبت عليهم، فهم أبناؤك البررة وأنت الأم الحنون

أحيي فيك الأزهر الشريف الذي كان ولا يزال المنهل المورود في الدين والعلم للعالم الإسلامي، والذي لا يضارعه ولا يزاحمه في تقدم السن وطول العمر وامتداد الظل وكثرة الإنتاج معهد أو جامعة على وجه الأرض

أحيي فيك المكتبة العربية التي فاضت وامتدت كالنيل وأصدرت كتباً ومطبوعات عربية لو وضع بعضها فوق بعض لكانت مثل الأهرام أو أرفع

أحيي فيك غيرتك على اللغة العربية وجهادك في إحيائها ونشرها ورفع شأنها وتوسيعها حتى أصبحت بجهود أدبائك وكتابك، وبفضل الصحافة المصرية والحياة السياسية، وبفضل حركة التأليف والترجمة والنشر، وبفضل المجمع اللغوي؛ لغة راقية عصرية علمية سياسية فنية لا تقل في غزارة مادتها وقابليتها لتعليم العلوم العصرية والطبيعية والرياضية عن أي لغة من لغات الغرب

أحيي فيك عدداً مشرفاً من الأدباء والكتاب، فيهم الكاتب المبدع، والمترسل القدير، والأديب الفنان، والباحث الناقد، والعالم الضليع، والمؤرخ الأمين، والفيلسوف الحكيم، والمحدث اللبق، والروائي المصور، والمتهكم اللاذع، والمضحك المطرب، والمصلح المنتقد، والشاعر المطبوع، والسياسي المناقش، والصحافي البارع، إذا كتب أحدهم في موضوع ردد العالم العربي صداه، وافتخر المتأدبون بتقليد أسلوبه والنسج على منواله، واحتجوا به كما يحتج بشعر القدماء

أحيي فيك يا مصر هذا وغير هذا، ولكن لي معك اليوم شأناً آخر. إن لي معك كلاماً أرجو أن تلقي إليه سمعك وتشهديه قلبك فأنا ضيف قد نزل بك، ومن حسن الوفادة وعام الضيافة الاستماع إلى كلام الضيف والإقبال عليه بالسمع والقلب

إن مسئوليتك يا مصر أوسع وأعظم من تأدية رسالة الأدب وخدمة لغة العرب، وما تجودين على الأقطار العربية الشقيقة برشحات الثقافة الأوربية وفتات المدنية الغربية. إنك بين آسيا وأوربا فأنت ملتقى الثقافتين ومجمع البحرين. إنك وسط بين مهد الإسلام ومشرق نوره؛ وبين مولد الحضارة الغربية ومبعث العلوم العصرية، فعليك مسئولية القارتين، وعندك رسالة الثقافتين

فأما مسئولية آسيا والأقطار العربية فلا تخرجين منها يا مصر حتى تكوني قنطرة تعبر عليها إلى البلاد العربية تجارب أوربا وعلومها ونشاطها وكدحها في الحياة وجهادها للبقاء، هنالك تقومين برسالتك ووظيفتك لهذه البلاد العزيزة التي ترتبطين بها برابطة دينية وروحية وثقافية وسياسية

وأما مسئولية أوربا فلا تخرجين منها حتى تبلغي رسالة الجزيرة العربية — وهي الإسلام الذي احتضنته من زمان — إلى أوربا، وحل المشاكل التي أعيت كبار المفكرين وأتعبت عظماء المشرعين، وبذلك تؤدين واجبك المقدس نحو هذه القارة الأوربية التي استوردت منها شيئاً كثيراً من العلم والمصنوعات والمنتجات، ونظمت عليها مدنيتك وحياتك تنظيما جديداً، وتحسنين إليها أكثر مما أحسنت إليك وتصدرين إليها أفضل مما صدرت إليك

إنك يا مصر قد بنيت القناطر الخيرية فانتظم الري وازدهرت الزراعة وأخصبت البلاد؛ وأريد أن تبني قنطرة خيرية أخرى هي أكبر القناطر في العالم وأنفعها؛ تصل بين بحرين لم يزالا منفصلين، وبين حضارتين لم تزالا متنافستين، وبانفصالهما وتنافسهما شقي العصر الجديد، فلو أنك وصلت بينهما وكنت قنطرة تتبادل بها القارتان خيراتهما ومحاسنهما؛ وفرت على الإنسانية جهوداً وأوقاتاً كثيرة وصنتها من الضياع كما أن قناطرك الخيرية وفرت على مصر مياها كثيرة ونظمت أمر الري

لقد كان حفر قنال السويس أكبر حادث فى التاريخ المصرى غير مجرى التاريخ وأحدث انقلابا فى السياسة والتجارة؛ ولكن من يستطيع أن ينكر أن شقاء الأمم الشرقية كان أعظم وأعظم من سعادتها ، وأنها لم تجن من السويس إلا عبودية واستعماراً . والعالم الآن فى حاجة إلى قنال آخر ، قنال التعارف الصحيح والتبادل المتوازن ، وإليك وحدك يامصر ، القيام بهذه المبرة العظيمة لمكانك الجغرافى وأهميتك السياسية وثروتك الثقافية ومركزك الروحى . تعلمين أن دولة لا تتزن ميزانيتها ولا تتحسن أحوالها الاقتصادية إلا إذا وجد توازن بين حركة التصدير والتوريد ، أو كان تصديرها أكثر من توريدها ، ولكننا فى الشرق نورد أكثر مما نصدر ، وكان السويس أكبر مطية من مطايا هذا التوريد ، فلا نريد قنطرة أو قنالا يكون معبر البضائع الأجنبية من أفكار وآراء وفلسفات وأخلاق إلى أعماق الشرق وأحشائه ، بل نريد قنالا يساوى بين التوريد والتصدير ، ويصدر أفضل ما عند الشرق الإسلامى من رسالة وعقيدة وخلق وعلم ، ويورد أحسن ما عند الغرب من منتجات ومصنوعات وتجارب واكتشافات ومرافق الحياة ، فكونى يا مصر ذلك القنال الأمين العادل الذى لا يسمح بالمرور إلا للصالح الفاضل

إن لك يامصر بدين ، تخذى من الغرب ما فاق فيه من علم وتجربة فالحكمة ضالة المؤمن ، ومدى إليه يداً أخرى ، يد المساعدة والكرم ، وجودى عليه بما أنعم الله عليك من نعمة الإيمان وشرف الإسلام فذلك الذى لا يملكه الغرب ولا يستغنى فيه عنك ، وقد انتهى به إفلاسه فيه إلى ما ترين من فوضى وانحلال ، فتصدقى عليه بهذا الإيمان ورسالة الروح ، ولا تنسى أبداً أن اليد العليا خير من اليد السفلى

كونى يا مصر رسول الإسلام إلى الغرب ، واحملى إليه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، تلك الرسالة التى حملها العرب إلى الأمة الرومية والأمة الفارسية فأنقذتهما من مخالب الموت وأفاضت عليهما ثوباً قشيباً من الحياة ولونا جديداً من النشاط ، وليس الغرب أقل حاجة إلى هذه الرسالة وهو فى دور التفكك وتنازع الموت والحياة من الأمة الرومية والفارسية إليها . وقديماً اختار الملوك وأصحاب الرسالة السماوية رسلا من عشيرتهم والأقربين إليهم ، ولك من إبراهيم وإسماعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم رحم ماسة وقرابة خاصة ليست لقطر من الأقطار الإسلامية بعد الجزيرة العربية

إن أوربا قد شاخت ونضجت كالفاكهة التى أدركت وضعف الغصن عن حملها ، فاستعدى يا مصر الإسلامية لتحلى محلها فى الزعامة العالمية وقيادة الأمم ، وما ذلك بعزيز ولا بمستحيل ، إذا تم استعدادك الروحى والخلقى والمادى . وإذا كانت أوربا قد احتفظت بالقيادة العالمية هذه المدة الطويلة وليست عندها رسالة عامة للانسانية ولا دعوة مخلصة لأمم العالم وعندها كل ما يضعف ثقة العالم بها من وطنية وعنصرية وتقديس للنسل الآرى وإدلال باللون الأبيض ونزعة تجارية واستعمار ، فكيف لا يرضى العالم بقيادتك وعندك الرسالة التى تضمن سعادة العالم كله ، ودين لا يفرق بين الأوطان والعناصر والألوان ؟

إحرصى يا مصر على رجولة أبنائك وأخلاقهم ، وصونى شبابهم وشرفهم ودينهم وصحتهم من أن يعبث بها العابثون أو يتجر بها المتجرون ممن يعيشون على أثمان الأعراض والأخلاق ، ويحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لتروج بضاعتهم ، تزدهر تجارتهم ، أولئك هم أصحاب الروايات الخليعة والصور العارية والأدب المكشوف ، فإنك يا مصر فى محل الزعامة والقيادة للشرق الأوسط وفى طريقك إلى الزعامة والقيادة للعالم الإسلامى ، ولا تأتى الزعامة والسيادة إلا بعد الاستقامة والثبات فى مزالق الإنسان ، والنجاح البارز فى امتحان العفة وطهارة الأخلاق ، واذكرى قصة يوسف التى مرت على أرضك ، ووقعت بين سمعك وبصرك ، كيف ثبت فى الامتحان وكيف حافظ على دينه وعفته ، فكانت نتيجة ذلك الثقة والاعتماد والسيادة والملك ، واقرإى إن شئت « وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين » ؛ بل ولا حياة ولا شرف إلا بالرجولة والأخلاق ، فكيف وأنت فى ميدان القتال وساحة الجهاد فلابد أن تحفظى وصية قائدك الكبير سيدنا عمرو بن العاص وتذكرى ما قال لخلفائه فى أرضك « واعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم وتشوف قلوبهم إليكم وإلى داركم »

فكافحى يا مصر الوباء الخلقى الذى يقضى على حيوية الأمة أشد مما تكافحين وباء الكوليرا الذى يقضى على حياة بعض الأفراد ؛

وطاردى كل من يحاول أن يزعزع العقيدة فى شعبك ، ويزلزل الإيمان ويفسد الخلق ، أشد مما تطاردين من ينشر الوباء أو يسبب الأمراض أو ينقل إلى أرضك المكروب ، فلم نسمع أن الأمة الرومية العظيمة ماتت وبادت بسبب وباء أو مرض، وأن اليونان اجتاحهم مرض من الأمراض ، ولكنا قرأنا فى التاريخ وشهدت أنت أن هذه الأمم كانت كلها فريسة التفسخ الخلقى والأمراض الاجتماعية ، فاحذرى يا مصر — صانك الله وحرسك — هذا المصير المؤلم

إن العالم العربى قد أحلك يا مصر من نفسه محلا رفيعاً ووضع ثقته فيك وفتح لك أذنيه وعينيه ، فاتقى الله يامصر فيمن ائتمنك ووثق بك فى نفسه وعقله ، ولا تصدرى إليه من أدبك ومطبوعاتك ما يرزأه فى إيمانه وأخلاقه وقوته المعنوية وروحه ، كما لا ترضين ولا ترضى كرامتك ومروءتك أن تصدرى إلى زبائنك من الدول والبلاد الحبوب المسمومة والفواكه الموبوءة ولا تقبلين أن يصدرها إليك أحد ، وصدقينى يا مصر العزيزة أن هذه الروايات الخليعة والأدب الماجن أفسد وأضر للأمة والحياة من الحبوب المسمومة والفواكه الموبوءة . انك زعيمة للعالم العربى فلا تغلبنك النزعة التجارية ولا تغرنك المنافع المؤقتة ، فلا يكون زعيما ولا يكون عظيما من يؤثر العاجل على الآجل ، والمنفعة الفردية على المنفعة الاجتماعية ، والأثرة على الإيثار

إنك يا مصر من أغنى بلاد الله ، ولست أعنى بالغنى خصب الأرض وكثرة الموارد ، وإنك لغنية فيها من غير شك ، ولكنى أعنى غناك فى المواد الخامة وهى الشعب الذى توفرت فيه المواهب والقوى ، خصوصاً ما يسكن منه فى أريافك، فهى المناجم التى لا تزال مدفونة، والمعادن التى لم تستخرج بعد ، هذا الشعب قوى الإيمان قوى الشخصية ، قوى الجسم ، فلو أنك أحسنت تعليمه وتربيته وأفدت من هذا الإيمان ووضعته فى محله لكان حارسك الأمين وجندك القوى وثروتك العظيمة

قد اختار الله لك يا مصر قارة من أوسع القارات وأكثرها مواد خامة هى القارة الإفريقية ولا يزال جزء كبير منها على سذاجته وفطرته ، ولا تزال فيها أمم على الجاهلية والوثنية ، وعلى الجهالة والضلالة، ولا تزال فيها أمم كاللوح الصافى يكتب الإنسان فيه ما يشاء ، وهذه الأجزاء من القارة وهذه الأمم خير حقل لجهودك وتربيتك، وخير أرض لزراعتك وغرسك ، فأرسلى إليها دعاتك المبشرين ورجالك المصلحين ، وعلماءك المرشدين وأبناءك المخلصين ، يبلغونهم الدين ويتلون عليهم آيات الله ويعلمونهم الكتاب والحكمة ، وبذلك تنقذين بإذن الله نفوساً كثيرة من النار، وتخرجينها من الظلمات إلى النور ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، وتكتسبين قلوباً نقية وأرواحاً فتية وأجساماً قوية ، ويكون ذلك خيراً لك من هذه الأمم والدول الغربية التى تخطبين ودها وتحرصين على صداقتها ، وهى لا تدوم على حال بل تجرى وتدور مع أغراضها المادية ومصالحها السياسية ؛ فيوماً هى معك ويوماً مع أعدائك ، وإذا كانت معك لم تكن بإخلاص وصدق ، وإنما هى المطامع والمصالح. وما أضعف الصداقة التى تقوم على المطامع والأغراض !

وأخيراً أريد أن أقول فى أذنك يامصر إن لله فى خلقه شؤونا وأنه أعظم غيرة من كل غيور وأنه لا يعطى نعمة دينه إلا من يعظمها ويجلها ويقدرها حق قدرها ، فإذا رأى منك استغناء عن الدين وما ينبئ عن احتقار لشأنه واستصغار لأمره وزهداً فى الإسلام ، وانصرافاً عن خدمته وتقصيراً فى أداء رسالته واعتزازاً لمبدإ غير الإسلام وتشرفاً بغير محمد عليه الصلاة والسلام استغنى عنك — على ما آثرك السابقة وثروتك الضخمة ومدنيتك الفخمة — «سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا» وجاء لخدمة الإسلام وقيادة الأمم الإسلامية بأمة لم تخطر منك على بال تعتز بالدين وحده وتتشرف برسالة الإسلام وتتشبع بحب محمد عليه الصلاة والسلام وتلتهب غيرة دينية وحماسة إسلامية وتجاهد فى سبيل الله ولا تخاف لومة لائم ، وإن الله تعالى حذر العرب الأولين وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم « فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » وقال للمسلمين العرب « وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » ولله جنود السماوات والأرض ، وفى كنانة الإسلام سهام لم يرها أحد ولا تخرج إلا فى وقتها . ومن يدرى فلعل شمس الإسلام تطلع من الشرق وهذه أمم إسلامية فتية على سواحل المحيط الهندى وفى جزره تتحفز للوثوب وتتهيأ لقيادة العالم الإسلامى ، فاحتفظى يا مصر العربية بمكانتك ومجدك ولا تأمنى دورة الأيام ولا تأمنى

أدب الشتاء

للاستاذ محمد سيد كيلانى

حتى إذا ما أقبل الشتاء جاءتك منه غمة غماء
« ابن وكيع التنيسى »

يعانى الناس فى فصل الشتاء كثيرا من الأهوال والشدائد . وقد كان شعور القدماء بهذه الشدائد أعظم وبخاصة الفقراء منهم . وسكان الأرياف ما زالوا يلاقون من بلاء الشتاء ما كان يلاقيه أسلافهم من قبل . لذلك اعتبروه عدوا لدودا وخصما عنيفا . وشبهوه بجيش جرار أغار عليهم بعساكره مشاة وفرسانا . فعواصف وأنواء ، ورياح وزوابع ، وأمطار وسيول ، وغيوم بعضها فوق بعض ، وبرق ورعد ، وبرد وثلج . قال القاضى التنوخى :

أما ترى البرد قد وافت عساكره
وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا
والأرض تحت ضريب الثلج تحسبها
قد ألبست حبكا أو غشيت ورقا

* * *

وقد تبارى الشعراء والكتاب فى وصف مظاهر الطبيعة فى هذا الفصل واخترعوا المعانى الجميلة وأتوا بالصور الرائعة ، ولم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا قالوا فيها شعرا ونثرا . قال أبو تمام وهو بخراسان :

ما للشتاء ولا للصيف من مثل
يرضى به السمع إلا الجود والبخل
أما ترى الأرض غضبى والحصى قلقا
والأفق بالحرجف النكباء يقتتل
من يزعم الصيف لم تذهب بشاشته
فغير ذلك أمسى يزعم الجبل
غدا له مغفر فى رأسه يقق
لا تهتك البيض فوديه ولا الأسل

فالشاعر هنا قد شخص الطبيعة وأضفى عليها ثوبا من الحياة والنشاط ؛ فالأرض هائجة ساخطة ، والحصى لا يستقر على حال فهو دائم الاضطراب ، والأفق يتضارب برياح عاتية ، والجبال قد اكتست بطبقات كثيفة من الثلوج . ثم حدثنا أبو تمام عن أثر البرد فى الضلوع والأحشاء والكلى . وكان قد عانى من أهواله بلاء كبيرا . قال :

من كان يجهل منه جد سورته ... فى القريتين وأمر الحق مكتهل
فما الضلوع ولا الأحشاء جاهلة ... ولا الكلى أنه القدامة البطل

وقد بلغ شعور أبى تمام بشدة البرد أنه بكى على ذهاب الصيف بكاء مرا . قال :

عدل من الدمع أن يبكى المصيف كما
يبكى الشباب ويبكى اللهو والغزل

وقد كانت رحلته إلى خراسان دافعا له على وصف مظاهر الطبيعة القاسية فى هذا الفصل . وقد شبه الشتاء بحيوان قوى مخيف وادعى أن ممدوحه ضرب هـذا الحيوان ضربة فلت من غربه وكسرت من حدته ، وجعلته ذلولا سلس القياد ، قال :

فضربت الشتاء فى أخدعيه ... ضربة غادرته قودا ركوبا

* * *

ووجد الشعراء والكتاب فى الأمطار والسيول مجالا للقول ، وميدانا فيه يتسابقون ويأتون بكل معنى طريف . وقد صور لنا ابن الرومى ما فعلته به الأمطار وهو سائر فى الطريق فقال :

لقيت من البر التباريح بعدما
لقيت من البحر ابيضاض الذوائب
سقيت على رى به ألف مرة
شرقت لبغضيها بحب المجادب
إلى الله أشكو سخف دهرى فانه
يعابثنى ـ مذ كنت ـ غير مطايبى

مكر الله « فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون »

هذه تحيتى إليك يا مصر العزيزة فتقبليها ، وهذه آمالنا فيك فحققيها ، وكلمة مرة فى الأخير فتحمليها ، وهذه معذرتى إليك فاقبليها ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

أبو الحسن على الحسنى الندوى
(نزيل مصر) القاهرة

أبى أن يغيث الأرض حتى إذا ارتمت

برحلى أتاها بالغيوث السواكب

سقى الأرض من أجلى فأضحت مزلة

تمايل صاحيها تمايل شارب

واستمر الشاعر فى هـذه القصيدة فصور لنا حاله وقد بللته الأمطار حتى أصبح كالغريق . وذكر لنا أنه التجأ إلى خان ليستريح من بلاء هذا المطر الغزير وليظفر بالدفء . ولكنه لم يجد بغيته فى هـذا الخان لأن الأمطار قد أتلفته وجعلته عرضة للسقوط . فقضى به ليلة فى خوف وجوع ، إذ كان سقف الخان قد أثقلته مياه الأمطار فأضحى مبعثا للرعب بصريره الذى يشبه صرير الجنادب . ولما انقطعت الأمطار هبت ريح صرصر عاتية حثت التراب والحصى فى الوجوه . وهكذا أصبحت الحياة كما صورها ابن الرومى جحيما لا يطاق . وفى هذه القصيدة من الألم والتبرم والسخط ما لا يخفى . فالشاعر يشكو مر الشكوى من دهره الذى يعبث به ويسومه عذاب الهون

وقد تبارى أدباء الشام فى وصف ما أحدثته الأمطار والسيول ببلادهم ، وما سببته من الخسائر والتلف فى الزرع والضرع ، وما فعلته فى الطرق من التخريب والتدمير ، وما ترتب على ذلك من سوء الأحوال الاقتصادية والصحية ، وما تعرض له الناس من الهلاك . فانظر إلى هذه الصورة المؤثرة وهى من رسالة لأحد الكتاب : « .. أما المساكن فأهلها مساكين ، وأفواههم من الحزن مطبقة فما تفتحها السكاكين . قد انتبذ كل منهم زاوية من داره ، وتداخل بعضه فى بعض لتضمه بقعة على مقداره ، هربا من توقيع أكف الوكف ، وخوفا من ركوع الجدار وسجود السقف »

وقال ابن المعتز :

روينا فما نزداد يارب من حيا وأنت على ما فى النفوس شهيد

سقوف لبيتى صرن أرضا أدوسها وحيطان بيتى ركع وسجود

فالناس فى الشتاء كانوا عرضة للهلاك . فربما فاجأتهم الأمطار الغزيرة فى أثناء سفرهم وقطعت عليهم الطرق وتعذر على القوافل السير فيتلفهم الجوع والبرد ويموت أكثرهم من جراء هـذا . والمقيمون فى المدن لايسلمون من شر الأمطار . فربما خرت عليهم سقوف المنازل فجأة وهم نائمون فيقضى عليهم . وقد يحبسون فى دورهم أياما حتى تجف الطرق وتصلح ، فلا عجب إذا ساءت أحوال المعيشة إلى حد كبير . وقد ظهر أثر هذا فى الأدب بشكل واضح ، فرأينا أدبا لحمته وسداه السخط والتبرم بالحياة . أما المتصوفة فرأوا فى هذه الأمطار والسيول عقوبة إلهية امتحن الله بها الناس لعصيانهم وابتعادهم عن الصراط المستقيم . وفى ذلك يقول ابن الوردى :

إن المصائب بالأقدار كائنة

لكن على حسب الأقدار تحتسب

عجبت منى ومن غيرى تشوفنا

إلى ازدياد حياة كلها تعب

وإن دهمنا بسيل أو بنوع أذى

كالنار والثلج قلنا ما هو السبب

أقسمت بالله لولا حلم خالقنا

لكان من عشر ما نأتى به العطب

ودهرنا أى دهر فى تقلبه

قد هان فيـه التقى والعلم والأدب

فالمتصوفة كانوا يتخذون من هـذه الأمطار الغزيرة التى يبتلى بها الناس فى هذا الفصل وسيلة للوعظ والإرشاد ، والنصح والتحذير

* * *

ووصفوا الغيوم وما تحدثه فى الجو حين تحجب الشمس والقمر والنجوم . وأتوا فى ذلك بكثير من الصور والمعانى الجميلة . قال أحد الشعراء :

لا يوحش الله من شئ يقال له شمس النهار فما تبدو ولم تعد

أما النجوم فشئ كان فى زمن مضى حميدا فقد ولى ولم يعد

وهذا من المبالغات العجيبة . فالشاعر هنا يتحدث عن شئ يقال له الشمس وعن شئ يقال له النجوم . وذلك لأن الناس لطول عهدهم بالغيوم أضحوا لا يعرفون من أمر هذه الكواكب قليلا أو كثيرا

وهـذا شاعر يصور النجوم حين تظهر من خلال الغيوم فيقول :

ولقد ذكرتك والنجوم كأنها در على أرض من الفيروزج

بلمعن من خلل السحاب كأنها شرر تطاير عن بئيس المرفج
والأفق أحلك من خواطر كاسب بالشعر يستجدى اللئام ويرتجى

لقد تنافس الشعراء والكتاب فى اختراع الأوصاف والتشبيهات ، وصوروا هذه الظاهرة الطبيعية تصويرا لا تنقصه ريشة الفنان الموهوب . انظر إلى هذا الشاعر حين يقول :

والبدر يستر بالغيوم وينجلى كتنفس الحسناء فى مرآتها

* * *

وكانوا ينتهزون فرصة تلبد الجو بالغيوم ويجعلون من هذا وقتاً مناسباً للهو والعربدة، فيعقدون مجالس الخمر والغناء . وتلك عادة عرفت عند العرب منذ العصر الجاهلى . قال طرفة

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكنة تحت الطراف المعمد

وقال الصنوبرى :

الجو بين مضمخ ومضرج والروض بين مزخرف ومدبج
والثلج يهطل كالنثار فقم بنا نلهو بربة كرمة لم تمزج
ضحك النهار وبان حسن شقائق وزهت غصون الورد بين بنفسج
فكأن يومك من غلالة فضة والنور من ذهب على فيروزج

والشواهد على ذلك كثيرة . ومنها نرى أنهم كانوا فى أوقات الغيوم والأمطار ينشطون لتعاطى الشراب وسماع الغناء . ولا يخفى أنه عقب سقوط الأمطار تصفو الطبيعة صفاء تاما وترق إلى حد بعيد ، فتستولى على الإنسان مشاعر خاصة لما يرى من مظاهر الجمال الطبيعى فى الكون ويمتزج بالطبيعة امتزاجاً كليا . وكأنه بتعاطى الخمر وسماع الغناء يريد أن يشارك الكون فى الصفاء

* * *

ووصفوا البرد وشبهوه بالدر . قال ابن حمديس الصقلى

نثر الجو على الأرض برد أى در لنحور لو جمد
لؤلؤ أصدافه السحب التى أنجز البارق منها ماوعد
منحته عاريا من نكد واكتساب الدربالغوص نكد
ذوبته من سماء أدمع فوق أرض تتلقاه نجد
فجرت منه سيول حولنا كثعابين عجال تطرد

وهذه القصيدة الطويلة تعتبر من عيون شعر ابن حمديس فى الوصف . وذلك لما حوته من الصور الرائعة والأوصاف الجميلة والمعانى اللطيفة . فقد وقف الشاعر أمام البرد وأطال الوقوف . فالبرد لو جمد لصار كالدر الجميل الذى تتزين به نحور الحسان . وهو كاللؤلؤ . وإذا استقر على الأرض وذاب تكونت منه سيول ملتوية كالثعابين التى تزحف مسرعة هربا ممن يطاردها

وقد تناول ابن خفاجة الأندلسى البرد فى شعره فقال :

يارب قطر جامد حلى به نحر الثرى برد تحدر صائب
حصب الأباطح منه ماء جامد غشى البلاد به عذاب ذائب
فالأرض تضحك عن قلائد أنجم نثرت بها والجو جهم قاطب
فكأنما زنت البسيطة تحته فأكب يرجمها الغمام الحاصب

لم يقف ابن خفاجة أمام البرد طويلا كما وقف ابن حمديس . فهو عنده حلية لنحر الثرى أو قلائد من النجوم . ثم نظر إلى ما أصاب الناس من جراء سقوط هذا البرد . ثم أتى بصورة دينية فشبه الأرض بامرأة ارتكبت فاحشة فما كان من الغمام إلا أن أقام عليها حد الرجم ، وأرسل عليها حاصبا من البرد . فالفرق واضح بين نظرة ابن حمديس للبرد ونظرة ابن خفاجة. فابن حمديس أعجب بمنظر البرد فوقف يصور لنا ببيانه صورة شعرية جميلة . أما ابن خفاجة فاعتبر البرد نقمة وعقابا وقمته الغيوم على الأرض

* * *

ووصفوا تساقط الثلوج على الأشجار والزروع ، وجاءوا فى ذلك بصور لطيفة جميلة . ومثال ذلك قول أحدهم :

نظرت إلى أشجار جلق فوقها ثلوج أراها بالبروق تلوح
فشبهتها قضبان فضة اكتست وقابلها عند الغداة صبوح
ومن تحتها الأوراق خضر كأنها زمردة تغدو بنا وتروح
ومن بينها النارنج كالذهب الذى هواه به كل النفوس تبوح

فانظر إلى هذا المصور الماهر الذى أمسك ريشته وراح يضفى الألوان المناسبة على كل جزء من أجزاء تلك الصورة . فالنارنج كالذهب ، والأوراق الخضر كالزمرد ، والأغصان كقضبان من الفضة

* * *

ووصفوا الرعد والبرق . فتراهم أحيانا يشبهون الرعد بامرأة ثاكلة نادبة . وأحيانا يشبهونه بالأسد حين يزأر مهددا بالويل والثبور . ويشبهون وميض البرق بالضحك ، أو بالسيوف ، أو

أم عمـــارة...

« ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة ؟ ! »
محمد رسول الله

للأستاذ محمد محمود زيتون

(١)

امرأة عربية مسلمة من طراز نادر ، يحق للمرأة الحديثة أن تقف طويلا على معالم حياتها ، وتتأمل مشاهد جهادها ، وتتبصر عوامل العظمة التي جعلت منها عضوا بارزا في سجل الخلود

تلك هي أم عمارة : نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار، وزوجها زيد بن عاصم بن كعب ، وابناها حبيب وعبد الله

كان لأم عمارة مؤهلات المجد والكمال ، ومستندات الحسب والنسب ، فهي من بني النجار ، وما أدراك من بنو النجار !

بنو النجار أخوال محمد رسول الله أي أخوال جده عبد المطلب سيد العرب ، وعمدة المكارم في الجزيرة ...

بنو النجار الذين نزلت بهم آمنة ومعها محمد اليتيم الذي لم يتجاوز من عمره ست سنوات ، وهنالك رأى الزروع والضروع والقصور والآبار ...

بنو النجار الذين نزل بهم النبي المهاجر من مكة فدعوه إليهم حيث المنعة والعدد والعدة والحدائق ..

بنو النجار الذين خرجوا إليه رقاق القلوب ، يقول غلمانهم:

طلع البـــدر علينا من ثنيات الوداع

وتقول جواريهم وفي أيديهن المعازف والدفوف :

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمـــد من جار

فيقول لهن : أتحببنني ؟ فيقلن : نعم . فيقول : الله يعلم أن قلبي يحبكن

بنو النجار الذين اصطفاهم النبي ليسترضع فيهم ابنه إبراهيم ، واءتمن على رضاعته أم بردة ...

بنو النجار الذين كانوا للنبي أنصـارا ، أولئك الذين رقت مشاعرهم ، وأشرقت أساريرهم ، ونعمت نساؤهم بالجمال والكمال، وعرفن بالظرف والرقة ، والغزل والطرب ...

بنو النجار الذين قال النبي فيهم « خير دور الأنصـار بنو النجار ، ثم بنو عبد الأشهل ، ثم بنو الحارث ، ثم بنو ساعدة ، وفي كل دور الأنصار خير »

في هذه الأجواء العـاطرة بالمرح والنعيم ، وفي تلك الأرجاء الحافلة بالبطولة والرجولة ، وفي بيت بني مازن ، نشأت أم عمارة ، وكانت من ربات البيوت اللائي أفضن على الأزواج والأولاد من إيمانهن بالله ورسوله ، فاستنارت القلوب ، وارتفعت الجباه ، بما دعا إليه نبي الإسلام من توحيد الله ، واتحاد العباد

وكانت أم عمارة إحـدى اثنتين من نساء يثرب جاءتا في الحجيج إلى مكة قبل الهجرة ، وبايعتا النبي فيمن بايعه ليلة « العقبة الكبرى » ويالها من ليلة مشهودة ، انبثق من حواشيها السود ، طلائع النور في يثرب الفيحاء.

وليس من الهين على التـاريخ أن ينسى أم عمارة وأم منيع وهما اللتان ظفرتا ببيعة النبي ، فقد أخذ عليهما من غير مصافحة ، وأقرتا له فقال لهما : اذهبن فقد بايعتكن

بشريط من الذهب . وقد شبه ابن حمد يس الرعد بالحـادي يسوق الغمام أمامه كما تساق الإبل . قال :

أرق الأجفان رعـد صوته كهدير القرم في الشول صقد
بات يجتـاز بأبكار الحيـا بلدا يرويه من بعـد بلد
فهو كالحـادي روايا إن ونت في السرى صاح عليها وجلد

* * *

وقد تتناول أحدهم التقلبات الجوية فيشبهها بأخلاق الملوك التي لا تدوم على حال . ومثال ذلك قول القائل :

ويوم كأخلاق الملوك ملون فصحو ودجن ثم طل ووابل
كذلك أخلاق الملوك محبة وبغض ومنع بين ذاك ونائل

وهـكذا نجد عوامل الطبيعة في الشتاء تحرك الخواطر ، وتفتق الأذهان ، وتثير في النفس الإحساس الكامن والشعور فتزداد صلة الإنسان بالكون . وكانت هـذه المظاهر الطبيعية المختلفة وحيا للشعراء والكتاب ، وقد وجدوا فيها ميدانا خصبا فأضافوا إلى الأدب الوصفي ثروة طائلة

« يتبع » محمد سيد كيلاني

وذهبتا لتمهيد النفوس للبشارة المحمدية الصافية ، ولاستقباله يوم يقدم المدينة مهاجرا من قريش التى أخرجته من مكة ، ولولا أن أخرجوه لكان له المقام الدائم فى بلد به بيت الله الحرام ، فهو لذلك أحب البلاد إليه ، وألصق الأوطان بجلده ، وأعمقها أثرا فى لحمه ودمه

وطلع البدر على يثرب من ثنيات الوداع ، ونزل بدار « أبى أيوب الأنصارى » وتوافد المهاجرون أرسالا من مكة ، وأخذ كل أنصارى يستضيف أخاه المهاجر حتى ليكاد أن يشاطره ماله ، وينزل له عن إحدى زوجتيه حبا وكرامة ، ولم تنقطع جفان بنى النجار خاصة والأنصار عامة عن منزل رسول الله . تطعم منها ويطعم البائس الفقير من أهل الصفة

يالها من أريحية تهز المكارم العلية فى نفوس الأنصار رجالا ونساء ، شيبا وشبانا ، سواء فى ذلك الأوس والخزرج ، وقد اعتصموا بحبل الله « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » وانقلبوا بعد العداوة والضراوة إخوانا وأحبابا ، ورفت على صدورهم نسمة الإسلام ، وتضوعت بين أعطافهم رياحين الإيمان

فى بيت من تلك البيوت ، كانت شعلة الإيمان أشد توهجا ، وأنصع بريقا ، وكلما توالت الأيام ، اتسعت آفاق الدعوة ، وانتشرت أقطار الخير ، على الرغم مما كان يبديه اليهود ، ويخفيه المنافقون ، وترجوه قريش

ولعل هذا الثالوث المعادى ، كان العامل الأول فى ازدياد عدد الأنصار ، واتقاد جذوة الإيمان ، واستعداد الكتائب لكل طارئ ، وهم الذين بايعوا نبيهم على العسر واليسر والمنشط والمكره وقول الحق ولو كان مرا ، لايخشون فى الله لومة لائم ، ولاينازعون الأمر أهله

أيقن الانصار أن قدوم النبى عليهم إنما هو فاتحة عهد جديد لهذا الدين الذى جاء ليشق بالمهاجرين والأنصار طريق الجهاد ، وأنها لإحدى الحسنيين : نصر دين الله ، أو استشهاد فى سبيله ، وكان ما كان من أمر النبى فى غزوة بدر ، حيث انتصر المسلمون وهم قلة فى العدد والعدة

جاءت أم عمارة يوما تقول لرسول الله : ما أرى كل شئ إلا للرجال وما أرى للنساء شيئا . فتلا عليها قول الله تعالى « إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما »

ولزمت أم عمارة غرز نبيها الكريم ، وكانت امرأة ضابطة جلدة ، قوامة ، لها من النفوذ والتأثير فى بيتها وأهلها وجاراتها وصواحبها ما جعل الناس يتحدثون عنها كلما ذكروا خير نساء الأنصار ، والسابقات منهن إلى الإسلام

ولم يكن ليفوت أم عمارة أن توثق صلتها بأهل البيت ، بيت النبى الكريم ، لترى عن كثب كيف تعمل فاطمة الزهراء بنت رسول الله ، وسيدة نساء أهل الجنة ، فاطمة البتول العابدة الزاهدة ، ولترى فيها المثل الأعلى للمرأة المجاهدة بنفسها فى سبيل الله .. ولتشهد مع هذا كله أمهات المؤمنين ، وما ينعمن به عند الرسول الكريم من رعاية وعناية ، وما يسمدن به دون النساء من عاوم الدين على يدى رسول هذا الدين

واستحوذت على أذهان نساء يثرب فكرة أخذت عليهن كل سبيل ، فما وجدن عنها منصرفا ، ولا أردن عنها متحولا ، وسرت هذه الفكرة بينهن غاديات رائحات ، فأصبحت حديث الصباح والمساء ، وكلما رأين رجالهن يدرجون فى مراقى الجهاد سراعا ، استصغرن عيشهن هذه الضيقة ، وكادت قلوبهن تطفر من أقفاصها لتنطلق كالسهام فى ميادين الجهاد

هذه أسماء بنت يزيد الأنصارية تسأل رسول الله فتقول : يا رسول الله : إن الله بعثك إلى الرجال والنساء ، فآمنا بك واتبعناك ونحن معاشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم ، وإن الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا لهم أولادهم ، أفنشاركهم فى الأجر يا رسول الله ؟ ؟

عندئذ التفت النبى بوجهه إلى أصحابه من حوله ، وقال : هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه ؟ قالوا : بلى يا رسول . فقال لها : انصرفى يا أسماء ، واعلمى بأنك من

للنساء ، إن حسن تبعل (ملاعبة) إحداكن لزوجها ، وطلبها لمرضاته ، واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال »

وانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر ، استبشارا بما قال لها رسول الله ، حيث لا زيادة لمستزيد . وترامى حديث أسماء إلى أسماع حزب النساء ، فكان لهن من هدى الرسول نور يسترشدن به في هذه الحياة الاجتماعية ، التي تزخر بالحيوية ، وتفيض بالنشاط على غير ما كان معهودا في المدينة من قبل ، بل ما كان أبعد نساء يثرب عنه ، قبل أن تشرق عليهن شمس الإسلام ، وقبل أن ينقشع الوخم والوباء عن الناس ، ولولا دعوة النبي لها ما طاب بها مقام ، ولا لذ فيها معاش

وأرادت أم المؤمنين عائشة أن تظفر بتصريح من زوجها النبي الكريم علها أن تأتي حزب النساء بجديد ، يضاف إلى ما يشغل بالهن من أمر « جهاد المرأة » ، فسألته ليأذن لها في الجهاد فقال : جهادكن الحج » وسألته غيرها من أمهات المؤمنين عن الجهاد فقال : نعم الجهاد الحج

هذا وفي رأس أم عمارة فكرة تكاد أن تنفجر ولكنها تستبقيها إلى حين ، وفي صدرها وثبة إلى هدف كريم ، وما كان أحرصها على الاستئثار به دون غيرها .. إنها آمنت وصدقت كل ما جاء على لسان النبي من القرآن والسنة . وهي امرأة من النساء وما قاله النبي لهن إنما يصدق عليها ، فلا مفر من تسكين نزعتها المدوية بين جوانحها ، ولا مناص من الإذعان — كسائر النساء لأوامره ونواهيه ، ومن قبلهن أمهات المؤمنين ، وهن ما هن شرفا ومكانة

ولكن أم عمارة قد أصرت إصرارا على أن تحمل السلاح وتنتظم في الصفوف ، وتجاهد مع المجاهدين . فهل خرجت بذلك عن طوع القيادة ؟ . وهل خالفت عن أمر قائدها الأعلى ؟ .. كلا وما كان لها أن تفعل ، ولكنها ذات امتياز على سائر النساء حتى أزواج النبي منهن ، لأنها صاحبة عهد مع رسول الله منذ العقبة الكبرى ، وهو الذي بايعها على الجهاد ، فما ينبغي لها أن تنقض البيعة وإن كان للنساء في تصريحات النبي ذريعة للخروج من باب الجهاد ..

أفهل وقر في الأذهان أن بيعة العقبة أصبحت — ولو بالنسبة لأم عمارة وأم منيع — غير ذات موضوع . أم أنها استنفدت أغراضها ، وفقدت صلاحيتها منذ هاجر النبي إلى المدينة ، واستقر بها ، وقال لعائشة وأم عمارة وأسماء ما قال من إعفاء النساء من فريضة القتال ..؟

الحق أن القتال كره للرجال ، ومع ذلك فقد كتبه الله عليهم ، ومن يدري لعله يكون لهم خيرا . . من هذا الباب دخلت أم عمارة وحدها ، بعد أن صممت تصميما تاما على الجهاد مع رسول الله ، ولديها من المبررات ما يسند رأيها إذا احتدم الجدال

عرفت أم عمارة أن جهاد النساء ليس واجبا ، فلم لا يكون تطوعا ، وها هي قريش بقضها وقضيضها ، وخيلها وخيلائها قد غادرت مكة ليس بها داع ولا مجيب ، تحارب الله وتحاد رسوله ، ليكون لها يوم بيوم بدر ، وهذا أبو سفيان قد استخف قومه فأطاعوه

وترامت الأنباء إلى النبي ، فأعدلهم من القوة ومن رباط الخيل ما استطاع ، ونادى المنادي للجهاد فتقاطر المسلمون إلى الصفوف كأنهم بنيان مرصوص : منهم الغلمان أمثال رافع بن خديج وسمرة ابن جندب وأبو سعيد الخدري ، وغيرهم ممن عرفوا بالرماية والمصارعة على حداثة أسنانهم ، ومنهم عائشة وأم سليم وقد تطوعتا لنقل الماء على متونهما لتفرغاه في أفواه القوم ، ومنهم الكهول الذين تاقت نفوسهم إلى الاستشهاد في سبيل الله كاليمان حسيل ابن جابر ورفاعة بن وقش ولم يقبلا أن يبقيا مرفوعين في الآطام مع النساء ، ومنهم عمرو بن الجموح الذي أخذ يعدو إلى رسول الله ومن خلفه بنوه يصدونه وقد أعفاه الله من الجهاد لأنه أعرج ، أما هو فقد أراد أن يطأ بعرجته في الجنة . ومنهم حنظلة الذي لم يبت ليلة عرسه إلا ليصبح على جنابة ، فما أن سمع الهيعة حتى طار إليها ليكون غسيل الملائكة بين السماء والأرض ، واصطفوا عند (أحد) ظهورهم إلى الجبل

أفكان يهون على أم عمارة أن ترى هؤلاء وهؤلاء ، وتقف هي من خلف الصفوف ، والأمر يومئذ جد لا هزل ، وقد لزم كل من المجاهدين والمجاهدات المكان الذي أمر به ، وحذرهم النبي ألا يبرحوا أماكنهم ، وأمرهم بأن يحموا ظهره وإلا كرت عليهم قريش بخيلها تحت أمرة خالد بن الوليد

ودارت رحى القتال ، وحمي الوطيس ، واختلط الحابل بالنابل ،

وانقض المسلمون إلى الغنائم فتخلوا عن أماكنهم فانكشف النبي لعدوه، فكروا عليه كرة واحدة. وما إن رآهم يغشونه حتى نظر إلى من حوله وقال: من رجل يشرى لنا نفسه؟ فقام زياد بن السكن في خمسة من الأنصار فقاتلوا دون رسول الله، رجلا ثم رجلا، يقتلون من دونه حتى كان آخرهم زياد فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت فئة من المسلمين فأجهضوهم عنه

وانفض المسلمون من حول النبي، وتركوه قائماً، فأقبل ابن قمئة وقد اختصر حرابه، وانقضى سهامه، وجعل يقول: دلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا: ونساء قريش يذمرن الرجال ويضربن الدفوف، وبنو عبد الدار يخشون أن يسقط اللواء منهم فلا يرتفع لهم رأس في قريش أبداً، وهم لذلك يستجيبون لهذه الراجزة هند بنت عتبة وصواحبها، وهن مقبلات مدبرات ويقلن:

ويهاً بني عبد الدار ويها حماة الأدبار ضرباً بكل بتار

نحن بنات طارق نمشي على النمارق مشي القطا البوارق

والمسك في المفارق والدر في المخانق أن تقبلوا نعانق

ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

والتحم القتال، وقد أصعد المسلمون لا يلوون على أحد، والنبي يقول لهم:

أي عباد الله! أخراكم!

ولكن ذهبت دعوته أدراج الرياح، وإن كان بعض الناس قد أحدقوا بالنبي، ونثروا كنانتهم بين يديه، وأبو طلحة الأنصاري يقول: وجهي لوجهك فداء يا رسول الله. ثم يرمي أشد ما يكون الرمي، ويصرخ في القوم فكأنه زئير الأسد تتجاوب أصداؤه في جوانب الغاب، ولذلك قال النبي وقد سمع صوته يجلجل. «صوت أبي طلحة في الجيش خير من أربعين رجلا» وكان حول النبي سعد بن أبي وقاص، وسهل بن حنيف وأبو دجانة، وقد اعتصب بالموت الأسود وزيادة بن الحارث الذي أخذ يرمي دون نبيه حتى مات شهيداً

ونادى عدو الله بن قمئة في الناس: إن محمداً قد قتل .. وإذا بالناس قد انتثروا من الحرب كما تنتثر الحبوب من بين شقي الرحى، وهي تدور في يد شيطان رجيم، ويستوقفهم مصعب بن عمير فيقول لهم: اثبتوا، وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً

أقماك الله يا ابن قمئة، وكبك في النار يا أبا عامر، وشلت يداك يا عتبة .. أهكذا يشج وجه رسول الله، وتدخل حلقتا المغفر في صدغيه، فينزعهما أبو عبيدة بأسنانه، فتنكسر رباعية النبي وتشق شفته، ويسيل الدم على وجهه، فيمسحه بن عمه وختنه علي، ويتأثر النبي فيقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم، ويتنزل عليه جبريل الأمين بقول رب العالمين:

«ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون»

ويتفقد كعب بن مالك نبيه في هذه الغمرة، فيراه بحمد الله على غير ما يدعي عدو الله، فيتلفت إلى المسلمين، يبشرهم بأن نبيهم لا يزال على قيد الحياة، فيشير النبي إليه أن أنصت، ثم تعتمل القوافي في وجدان شاعر النبي إذ يرى الكفار يظهرون الشماتة، وما تخفى صدورهم أكبر، فينبري لهم ويقول:

إن تقتلونا فدين الله فطرتنا والقتل في الحق عند الله تفضيل

وإن تروا أمرنا في رأيكم سفها فرأي من خالف الإسلام تضليل

أين أنت في هذه المعمعة الدائرة يا أم عمارة؟

(للكلام بقية) محمد محمود زيتون

نفوس عراقية ثائرة

للأستاذ حمدى الحسينى

١ – الشيخ عبدالمحسن الكاظمى – طيب الله ثراه – شاعرعربى استقلالى . نشأ فى بغداد فاشتغل فيها بالتجارة ثم بالزراعة ، فلم ينجح فى كلا العملين فتوجه نحو الأدب وكل ميسر لما خلق له . فطالع كتب الأدب وحفظ من الشعر القديم اثنى عشر ألف بيت فعرف فضله ونبه ذكره. وأخذ يفكر فى العرب والمسلمين ، وما هم عليه من الخضوع والذل ، حتى قدم السيد جمال الدين الأفغانى إلى بغداد منفيا من حكومة إيران فالتقى به الكاظمى وعقدت الصداقة والمبادئ بين قلبيهما . وما كاد الأفغانى ينفى من بغداد حتى شعر الكاظمى بأن الخطر يقرب منه لأنه صديق الأفغانى ولأنه يناضل الحكومة العثمانية على نور القضية العربية . فاضطر أن يغادر بغداد ويتنقل فى البلاد الإسلامية حتى ألقى عصا تسياره فى مصر ، وجعلها دار إقامته ، ولا مس قضيتها الوطنية بزعامة سعد ملامسة قوية حارة ، ونظم فيها القصائد الكثيرة العامرة ، ولم يخرج منها إلا إلى بعض الأقطار العربية المجاورة . وقد زار فلسطين وشرق الأردن بعد الحرب العالمية الأولى ، فأقام بيننا فى القدس مدة قصيرة رأينا خلالها من أدبه الجم ما ملأ النفوس إعجابا ، ومن عواطفه الوطنية ما أفعم القلوب سرورا وطربا . مما دعا العرب فى فلسطين أن يقيموا له بعد وفاته حفلة تأبين كبيرة فى مدينة يافا دعوا إليها عدداً من أهل الفضل فى البلاد العربية . وقد تكلم فى هذه الحفلة نخبة من عارفى فضل الكاظمى والمعجبين بشعره ووطنيته وتضحيته ، منهم المرحومان إبراهيم عبد القادر المازنى وإسعاف النشاشيبى والأستاذان أسعد داغر ومجاج نويهض وكاتب هذه السطور وغيرهم

فالكاظمى يعد من شعراء القومية العربية والقضية الاستقلالية . وأما النبع الذى يفيض على شعره الوطنى بالقوة فهو المبدأ القويم الراسخ . والكاظمى كان منفرداً بين شعراء العرب والمعاصرين فى القدرة على نظم المطولات ارتجالا . وأما أخلاقه الشخصية فالفضيلة بكل معانيها ، وأمل الإباء وعفة النفس هى أقوى أخلاقه وهى من أقوى أسباب بؤسه وشقائه فى حياته . والنسمع الآن الكاظمى يخاطب حرية العرب المسلوبة ويتودد لهذه الحرية حتى تعود إلى البلاد العربية المشوقة لجمال طلعتها

يا حبذا يوم الجمال وحبذا	يوم الوصال وأجره المكسوب
يوم يعود لنا به استقلالنا	ويرد فيه حقنا المغصوب
حتام نحتمل المذلة طوعا	ولنا بآفاق البلاد ونوب

ولنسمع هذه القطعة القوية من شعره :

سيروا نذب عن الحمى	ونرد عنه المستبدا
نحمى حمى أوطاننا	ونصونها غوراً ونجدا
ونرد عنهـا من عدا	ظلما عليها أو تعدى
أيروق لى عيش أرى	فيه الكريم الحر عبدا
وإذا نظرت إلى الهوا	ن رأيت طعم الموت شهدا
إن لم تكن نجدى الحيا	ة بعزها فالموت أجدى

٢ – السيد محمد رضا الشبيبى ، شاعر عراقى بارز الشخصية ، وقطب من أقطاب الحركة الفكرية والنهضة الوطنية فى العراق . وهو فوق هذا ذو ثقافة إسلامية عالية ومقام اجتماعى رفيع . قرأنا طائفة من شعره فرأينا القوة تتدفق والوطنية تتألق

خسرت صفقتكم فى معشر	شروا العار ، وباعوا الوطنا
ضيموه ولو اعتاضوا به	هـذه الدنيا ، لغالت ثمنا
يا عبيد المال خير منكم	جهلاء يعبدون الوثنا
إننى ذاك العراق الذى	ذكر الشام وناجى اليمنا
إننى أعتد نجداً روضتى	وأرى جنة عدن ، عدنا

وقد رأينا روح الوحدة العربية تتنفس فى قصائد الشبيبى مما دلنا على أنه مؤمن بهذه الوحدة عامل لها

ببغداد أشتاق الشآم وها أنا	إلى الكرخ من بغداد جم التشوق
فلا أنا فى أرض الشآم بمشئم	ولا أنا فى أرض العراق بمعرق
هما وطن فرد ، وقد فرقوهما	رمى الله بالتشتيت شمل المفرق

* * *

٣ – السيد خيرى الهندارى ، شاعر عراقى ، اتصل فى نشأته

الأولى بالزهاوى والرصافى فى بغداد وعاشرهما مدة طويلة فأفادته تلك المعاشرة فى تفكيره وأسلوبه الشعرى ، وهدته إلى أقوم الطرق وأصح الوسائل لخدمة القضية العربية . وقد سجنه الاتحاديون مرارا وضيقوا عليه الخناق حتى زال حكمهم فاشتغل بالوظائف فى العراق . وقد نفى مع من نفى على أثر الثورة العراقية الكبرى : وقد رأيت فيما قرأته له من شعر ، روح الرصافى مشرقة بين السطور أيما إشراق :

مرحبا بالخطوب إن هى كانت ... سببا موصلا إلينا الحقوقا
وأحب الخطوب عندى حبس ... فيه نستطيع بالكرام اللحوقا
لا أبالى إذا خدمت بلادى ... أسيرا رأيتنى أم طليقا
وبك لا أرتضى الحياة بذل ... قم فزق إهابها تمزيقا
وأدر لى فى الرافدين رحيا الـ ... حرب صرفا ، وكسر الإبريقا
إن موتا يكون فى ساحة الهـ ... زلموت أجدر به أن يروقا

* * *

٤ — الشيخ كاظم الدجيلى شاعر عراقى ، واسع الاطلاع كثير المعرفة ؛ اشتغل فى بغداد بالصحافة قبل الحرب العالمية الأولى . وهو يحب الرحلة والتنقل ، ويميل إلى التحقيق العلمى . قد رأينا فيما قرأناه له من شعر ، قوة نزوع للحياة وشدة اندفاع للحرية ، وهو يعتقد بأن لابد للحق من قوة تعضده وإلا فهو ضائع

حديثك عن غير القوى حرام ... وسعيك فى نصر الضعيف أثام
تحدث بمجد الأقوياء ففيهمو ... قعود بأحكام الورى وقيام
إذا كنت بين العالمين أخا قوى ... رعتك عيون الناس حيث تنام
حمى الغاب بأس الليث من كل طارق ... ولم ينج من فتك البزاة حمام
يقولون إن الحق من فوق قوة ... وما الحق إلا مدفع وحسام
إلى العز فاركبها ممودة السرى ... عليها ركوب الصاغرين حرام
ولا تك عن نيل العلاء بقاعد ... وفيك إلى نيل العلاء قيام
ولا ترض ذل الخاملين وعيشهم ... فإن حياة الخاملين حمام

* * *

٥ — فى يدنا للسيد أحمد الصافى النجفى — متعه الله بالصحة والعافية — ديوانان ، الأمواج ، وأشعة ملونة . فرأينا للصافى فى هذين الديوانين نفسا كبيرة ، ثائرة ، نزاعة إلى مثلها العليا التى يحيا الصافى من أجلها ويموت فى سبيلها ؛ وهى الحق والحرية والرحمة . ونحن نعتقد بأنه مخلص لهذه المبادئ ، وأنه جاد فى التقرب منها مجاهد فى سبيل تحقيقها . وكيف لا يكون الصافى مخلصا لهذه المبادئ وهى أهداف لأقوى غرائزه ووسائل لإشباع أعرق رغباته . وكيف لا يكون للصافى هـذا المقام الرفيع فى قومه ، وأهدافه مشتركة بينه وبين العرب فى سائر بلاد العرب ، بل مشتركة بينه وبين الإنسانية كافة . واستهداف الصافى للحق والحرية والرحمة يجعله فى نظرنا ليس شاعرا عربيا فحسب ، بل شاعرا إنسانيا يشترك مع جميع الناس فى نصرة الحق المهضوم ، واسترداد الحرية المسلوبة ، وإرسال الرحمة نسيما عليلا معطرا ينعش نفوس البائسين . ومع كل هـذا نرى فى نفسية الصافى تعقدا وفى سلوكه شذوذا . ونعتقد أن سبب هذا التعقد وهـذا الشذوذ ، ما قست به الطبيعة عليه من مرض وما اشتدت به البيئة عليه من فقر

الفلاح — على الإطلاق — صديق للصافى ، تراه يرفق به ويتوجع له مما لحق به من أذى الظلم الاجتماعى الذى يباعد بينه وبين سعادة الحياة وهناءة العيش ، على رغم ما يبذل فى سبيل الحياة من عرق جبين وعضلات ساعد . ولكنه لا يقف منه عند حد التوجع ، بل يدفعه إلى استنكار الظلم ودفع الحيف

حتام يا هذا لسانك ألكن ... وإلى م ألسنة الطغاة فصاح
كل الجناح على الضعيف إذا اعتدى ... أما القوى فما عليه جناح
ياريف إن كتاب بؤسك مشكل ... يعيا بحل رموزه الشراح
أطيار روضك غالها باز العدى ... وعدا على أسماكك التمساح
الورد قد خنقته أشواك الربى ... ظلما . وفر البلبل الصداح
ياريف مالك تشرب أهلك آسن ... رنق ، وشرب ولاة أمرك راح

وإذا كان الصافى صديق الفلاح فى كل أرض فهو صديق الشعب فى كل وطن ، فاسمعه الآن يخاطب الشعب المظلوم

لا تشك للعدل ضيما واشكه لظبا ... فالعدل أصبح فى الدنيا بلا أذن
لم يعطك العدل شيئا وهو ذو منن ... والسيف يعطيك ما تهوى بلا منن
لا تنتظر أن يرد العدل عنك أذى ... فالحق فى محبس القانون والسنن
ضعف الخراف دعا ذئب الفلاة لها ... فالذنب للضعف ، ليت الضعف لم يكن

المكتبة العـــــربية
فى عصر الحروب الصليبية
للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ٣ —

ثلاثة هى العوامل التى نهضت بالثقافة فى ذلك العصر، وأغنت المكتبة العربية غنى ساهم فيه علماء ممتازون لا تزال أسماؤهم حية إلى يومنا، ولا تزال كتبهم باقية تدرس :

ففى القراءات نجد أشهر ما بقى لنا من ذلك العصر منظومة الشاطبية لمؤلفها القاسم بن فيره الشاطبى المتوفى سنة ٥٩١، وقد استقبل العلماء تلك المنظومة منذ إنشائها خير استقبال، وبالغ الناس فى التغالى بها، وأخذ أقوالها مسلمة، واعتبار ألفاظها منطوقا ومفهوما، حتى خرجوا بذلك عن حد أن تكون لغير معصوم

وساهم فى تفسير القرآن يومئذ عدد كبير من العلماء أنتجوا أكثر من ثلاثين تفسيرا اشترك فى تأليفها الشاعر الأديب كالحسن ابن الزبير، والفقيه المشرع كالعز بن عبد السلام، والواعظ المؤرخ كسبط ابن الجوزى، والنحوى كعلى بن عبد الله الوهرانى، والمتكلم كعلى بن أحمد التجيبى، والصوفى كابن العربى، والطبيب كابن اللبودى، والمقرئ كعلم الدين السخاوى

وفى دار الكتب من آثار هذه الحقبة جزء من تفسير ابن المنير. وكتابه الانتصاف من الكشاف؛ ولابن العربى بعض تفسيره وكتاب إيجاز البيان فى الترجمة عن القرآن، وكتاب رد معانى الآيات المحكمات؛ كما بقى للعز بن عبد السلام تفسيره وفوائد له، وهى أسئلة وأجوبة تتعلق بالقرآن الكريم، وكتاب كشف الإشكالات عن بعض الآيات وهى أجوبة عن أسئلة مشكلة فى آيات من القرآن الكريم، كما عثرنا على بعض تفسير ابن ظفر الصقلى الذى سماه ينبوع الحياة، وعلى منظومة السخاوى فى بيان متشابهات الكتاب، ومنظومة الديرينى فى التفسير

وقد تنوعت كتب التفسير فى هذا العصر بين موجزة، وبين مطولة قد تبلغ خمسين سفرا أو تزيد

ولم يقف نشاط العلماء عند تفسير القرآن مجتمعا، بل انصرفت طائفة إلى تنظيم الاستفادة من كتب التفسير التى وضعها سواهم فاختصروها أو أكملوها، ومنهم من فسر جزءا منه قد يكون آية أو سورة أو آيات متناثرات. ومنهم من انصرف إلى ناحية خاصة فى القرآن فدرس الناسخ والمنسوخ فيه، أو درس ما قد يتراءى من آيات مشكلة أو متشابهة، أو تعرض لأسرار مابدئت به بعض السور من الحروف، أو تحدث فى أمثال القرآن، أو إعرابه، أو وصف خطه، أو ألف فى علومه

وأشهر تفسير بقى لنا من ذلك العصر هو تفسير القرطبى الذى سماه : جامع أحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وآى الفرقان. وتقوم دار الكتب بطبعه وتقدر أنها ستتمه فى نحو عشرين جزءا؛ وقد بدأ القرطبى موضحا الخطة التى انتهجها فى كتابه بقوله : « وبعد فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع، الذى استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين

واسمع الصافى يصيح أين الجرس ؟؟

جرس النهضة قد دق فلم ... نتيقظ حين دق الجرس
مرق الطامع أبهى مجدنا ... ومضى يعدو فأين العسس
قد رقدنا أملا فى حرس ... ولقد غنا ونام الحرس
سهروا فى أول الليل ومذ ... نهض السارق يسعى [illegible]
نسمة الإصلاح هبى نحونا ... [illegible] النفس
هل نرى يوما سنا حرية ... [illegible] علينا الغلس

وخذ هـــذه القطعة العامرة بقوة الكفاح والمغالبة فى سبيل الحياة

إن غصبت من الأسود لقمة ... فاستخرج اللقمة من فم الأسد
إن مصاعب الحياة كلها ... شديدة، لكنما الذل أشد
احفظ كيان الجسم منك سالما ... ثم اقطع العضو، إذا العضو فسد
لا تنصبوا من فسدت نيته ... فما يرى الأشياء طرف ذو رمد

حمدى الحسينى

السماء إلى أمين الأرض، رأيت أن أشتغل به مدى عمرى، وأستفرغ فيه منتى، بأن أكتب فيه تعليقا وجيزا يتضمن نكتا من التفسير واللغات والإعراب والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعا بين معانيها، ومبينا ما أشكل منها، بأقاويل السلف ومن تبعهم من الخلف. وأضربت عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين، إلا ما لابد منه ولا غناء عنه للتبيين، واعتضت من ذلك تبيين آى الأحكام بمسائل تسفر عن معناها وترشد الطالب إلى مقتضاها، فضمنت كل آية تتضمن حكما أو حكمين فما زاد مسائل نبين فيها ما تحتوى عليه من أسباب النزول والتفسير والغريب والحكم فإن لم تتضمن حكما ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل وهكذا إلى آخر الكتاب.»

واشتغل بدراسة الحديث رواية ودراية فى ذلك العصر طائفة كبيرة عرفت منهم زهاء ثلاثمائة

ولما كانت أمهات كتب الحديث قد وضعت قبل ذلك العصر فإنها قد جعلت أساس دراسة الحديث يومئذ يقرؤها الأساتذة فى دروسهم، ويحفظها المحدثون فى صدورهم ويدور حولها المؤلفون. فرأينا طائفة من العلماء قد تصدت لشرح هذه الكتب أو اختصارها أو للجمع بينها أو إعرابها أو معرفة ما اتفق عليه مؤلفوها

وظهر فى هذا العصر ولوع بأن يجمع العالم من مختاراته أربعين حديثا، فمنهم من اختارها قدسية، ومنهم من اختارها فى الأحكام، ومنهم من جمعها فى فضائل القرآن، ومنهم من اختارها متعلقة بالطب، كما تنوعت اتجاهات رجال الحديث فى ذلك الحين: فمنهم من جمع أحاديث ترتبط بموضوع معين كما جمع ضياء الدين المقدسى أحاديث الحرف والصوت، والنووى أحاديث الترغيب والترهيب، ومنهم من جمع الأحاديث التى ترتبط بالأحكام الشرعية ورتبها على أبواب الفقه كما فعل ابن دقيق العيد فى كتابه: الإمام فى أحاديث الأحكام، صنفه فى عشرين جزءا، جمع فيه متون الأحاديث المتعلقة بالأحكام مجردة عن الأسانيد ثم شرحه، وجمع فى هذا الشرح ما جعله مؤلفا حافلا لم يصنف مثله، ولكنه لم يكمله، ولو كملت نسخته لأغنت عن كل مصنف فى هذا الباب[1]

أما علوم الحديث وتسمى مصطلح الحديث، وهى ما نبحث فى أحوال السند، من حيث اتصاله وانقطاعه، وقوة رجاله أو ضعفهم، وفى نقد المتن من حيث صحته أو شذوذه أو تحريفه أو تصحيفه[2]، فقد ظفرت فى هذا العصر بكتاب عد مرجعا فى هذا الشأن منذ تأليفه، وهو كتاب ابن الصلاح الذى بين أحكامه، وفصل أقسامه، وأوضح أصوله، وشرح فروعه وفصوله

ومن أشهر رجال الحديث المؤلفين فيه حينئذ ابن عساكر، والسلفى، وعبد الغنى المقدسى، وابن الصلاح، وعبد العظيم المنذرى، ومحيى الدين النووى، والشرف الدمياطى

أما الفقه فكان المذهب المعمول به فى مصر عندما شبت الحروب الصليبية مذهب الشيعة، فلما ولى صلاح الدين تظاهر الناس بمذهب مالك والشافعى، ولما كان نور الدين محمود حنفيا نشر مذهب أبى حنيفة ببلاد الشام، وقدم منهم عدة إلى مصر

وكان مذهب الشافعى له قصب السبق فى مصر ويليه مذهب مالك وأبى حنيفة فأحمد بن حنبل. وكانت المكانة الأولى فى الشام لمذهب أبى حنيفة ثم للشافعى، ويحتل مذهب ابن حنبل الرتبة الثالثة بينما يقل مذهب مالك فى تلك الربوع

لا أستطيع أن أرسم صورة صحيحة للجهود العلمية التى بذلها علماء الشيعة، فكثير منها قد اندثر بانتهاء العهد الفاطمى لحرص الدولة الأيوبية على محو رسومهم وآثارهم؛ وفى مذهب الشافعى عنى العلماء يومئذ بشرح كبريات كتب المذهب الوافدة عليهم، ككتابى التنبيه والمهذب لأبى إسحق الشيرازى، وكتابى الوسيط والوجيز للغزالى، والمحرر للقزوينى. وكان من أهم مختصراته كتاب منهاج الطالبين للنووى

ولم يقف جهد العلماء عند حد شرح الكتب الوافدة واختصارها بل ساهموا بإنتاجهم الخاص المستقل، فوضعوا كتبا كثيرة كان من أهمها كتاب القواعد الكبرى لعز الدين بن عبد السلام، قال عنه صاحب كشف الظنون: وليس لأحد مثله، وله القواعد

---

(١) الطالع السعيد ص ٣٢٢ وطبقات الشافعية جـ ٦ ص ٤ وحسن المحاضرة جـ ١ ص ١٤٣

(٢) دائرة المعارف الإسلامية جـ ٢ ص ٢٨١

الصغرى أيضا ، و . اهم ابن أبى عصر ن فى الإنتاج مساهمة كبرى فوضع مآخذ النظر ، وكتاب الذريعة فى معرفة الشريعة، وكتاب الانتصار لمذهب الشافعى وهو كبير فى أربع مجلدات ، وكتاب المرشد فى مجلدين ، وهو أحكام مجردة بلفظ وجيز كانت الفتوى عليه فى مصر قبل وصول الرافعى الكبير إليها ، وكتاب التنبيه فى معرفة الأحكام ، كما وضع مجلى بن جميع كتاب الذخائر ، وعبد الله الفهرى كتابه المجموع ، وابن شداد كتابه الموجز ، وأبو شامة المقدسى أرجوزة فى الفقه وكتابا سماه المذهب، وموسى القشيرى كتابه المغنى

وعنى رجال أبى حنيفة يومئذ بكتب أربعة وفدت إليهم هى الجامع الكبير والجامع الصغير لمؤلفهما محمد بن الحسن الشيبانى ومختصر القدورى وكتاب الهداية ، فشرحوا بعضها ونظموا البعض الآخر . ولم يقف جهدهم عند دراسة هذه الكتب وخدمتها ولكنهم أضافوا ثروة جديدة إلى ثروة الأقدمين ؛ ذكر ابن خلكان أن المعظم عيسى أمر الفقهاء أن يجردوا له مذهب أبى حنيفة دون صاحبيه فجردوه له فى عشر مجلدات ، وسموه التذكرة المعظمية نسبة إليه ، وكان لا يفارقه سفرا ولا حضرا ويديم مطالعته . ووضع كثير من العلماء كتبا ، فرأينا الغزنوى يضع كتابا عرف بالمقدمة الغزنوية ، والعامرى يؤلف كتابه المبسوط فى نحو ثلاثين مجلدا ، ولعل أكبر ماوضعه علماء هذا العصر كتاب المحيط للسرخسى فى أربعين مجلدا ، وللعلماء حديث طويل فى صحة نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه

وفى مذهب مالك كان كتاب المدونة لعبد الرحمن بن القاسم المالكى المتوفى سنة ١٩١ من أعظم ماعنى به فى عصر الحروب الصليبية ، درسها العلماء وشرحوها وهذبوها ، ومن أشهر من هذبها يومئذ البرادعى ،وقد صار تهذيبه من أجل كتب المالكية فقام العلماء على شرحه حينا واختصاره حينا آخر

أما ماوضعه العلماء فى فقه المالكية حينئذ فمن أهمه كتاب الجواهر الثمينة فى مذهب عالم المدينة ؛ وقد عكفت عليه طائفة المالكية بمصر يدرسونه ويحفظونه . أما الكتاب الذى وضعه ابن الحاجب وعرف بالمختصر ، فقد ظفر من العلماء بعناية خاصة وأصبح مرجعاً لهم وشرحوه . كما وضع القرافى كتابيه الذخيرة والقواعد

وكان مختصر الخرقى لعمر بن حسين الدمشقى المتوفى سنة ٣٣٤ مما يدرس فى ذلك العصر ، ويعنى به . شرحه موفق الدين ابن قدامة المقدسى فى كتاب سماه المغنى وهو من أهم كتب الحنابلة ، كما ألف المقنع الذى شرحه ابن أخيه عبد الرحمن بن محمد فى عشر مجلدات وألف العمدة واختصر الهداية

ولا عجب أن نرى هذه العناية بالفقه فقد كان مصدر التشريع يومئذ ، وكان السلاطين أنفسهم يدرسونه لحاجتهم إليه فى الفصل فيما يعرض عليهم من القضايا وهم جالسون بدار العدل مع القضاة

وفى أصول الفقه كان كتاب المحصول لفخر الدين الرازى أشهر ما يدرس فى مصر والشام ، اختصره العلماء أحيانا وشرحوه أحيانا أخرى ، وجمعوا ما فيه من المعلومات وزادوا عليها ما نقصه منها

وقدمت البلاد فى هذه المادة كتبا عدت من أصول كتبه ومن أهم مراجعه ، ومن ذلك كتاب الإحكام للآمدى ، واختصر ابن الحاجب هذا الكتاب فى مصنف سماه منتهى السول والأمل، ثم عاد فاختصر المنتهى فى كتاب عرف عند الأصوليين بمختصر ابن الحاجب ، قال عنه صاحب كشف الظنون : هو مختصر غريب فى صنعه ، بديع فى فنه ؛ وظفر هذا المختصر بعناية العلماء حتى فاق فى ذلك كتاب المحصول

وظفرت المكتبة العربية فى مادة أصول التربية بمحصول ضخم ، فقد عنى فى هذا العصر بعلم الكلام لتصحيح العقيدة الدينية والدفاع عنها ، فى وقت كان من أشد الأوقات اصطداما بالعقيدة المسيحية . وكثيرا ماكانت المناظرات تجرى بين رجال من الصليبيين ورجال من المسلمين ، ويروى ابن شداد فى كتابه النوادر السلطانية (ص ٨٠) بعض هذه المناظرات

ويضاف إلى هذا العامل ما كان بين الشيعة وأهل السنة من الخلاف فى بعض العقائد ، وما كان بين الأشاعرة والحنابلة من خلاف دفع كل فريق من هؤلاء إلى أن يدافع عن عقيدته

وكان الإنتاج فى هذه المادة ممثلا لتلك الحركة وصدى لها ، فرأينا كثيرا من العلماء قد تصدى للرد على النصارى والدفاع عن عقيدة الإسلام كالوزير القفطى ، والقرافى الذى سمى كتابه :

تعقيبات

للأستاذ أنور المداوى

أستاذ جامعى يفسول :

لم أكن أحب أن أعود الآن إلى الدكتور عبد الرحمن بدوى ... لم أكن والله أحب أن أعود ، ولكن ماذا أفعل وهو يجبرنى على العودة إجبارا ويدفعنى إليها دفعا دون أن يترك لى شيئا من الحرية أوشيئا من الاختيار ؟! وما ذنبى إذا كان الأستاذ الجليل والفيلسوف الكبير قد أعجب كل الإعجاب بقصة مالك الحزين ، حتى لقد مثلها بالأمس على مسرح الفكر ثم عاد اليوم ليمثلها مرة أخرى على مسرح الحياة ؟ ! هل تذكر دوره الخالد الذى قام بتمثيله خير قيام على صفحات كتابيه « أرسطو عند العرب » و « الإشارات الإلهية » ؟ ليس من شك فى أنك تذكره ، لأن آثار التصفيق الحاد لا تزال واضحة على كفيك ...

إن هذا الدور الخالد — أقصد دور مالك الحزين — قد مثل من جديد ببراعة ليس لها نظير ، وصفق اليوم بقوة كما صفقت بالأمس ، وإياك أن تستهجن حركات الممثل البارع فتملأ الجو بالصفير ! !

هل قرأت جريدة « الأساس » فى عددها الصادر يوم ١٩ فبراير ؟ إذا لم تكن قرأتها فقد نبنا عنك فى قراءتها لننقل إليك هذا النبأ المثير ... قالت الجريدة فى صفحتها الثالثة وتحت هذا العنوان : « اقتراح جديد لعله يفيد » ، قالت فى مجال حملتها على وزارة المعارف وتعريضها بشراء الكتب الإضافية : « تلقينا من الدكتور عبد الرحمن بدوى أستاذ الفلسفة بجامعة ابرهيم كلمة يعلق بها على المناقشات الدائرة حول ما يؤخذ على وزارة المعارف فى شرائها كتب المطالعة الإضافية للمدارس وكتب المكتبات .

وقد تضمنت كلمته اقتراحا جاء فيه :

« عندى اقتراح برفع الأمر عن كليهما ، وقديما قال حكيم : من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن ، هو أن نبعد الشبهة ومواطنها فتلغى وزارة المعارف نظام شراء الكتب غير المدرسية أيا كان نوعها . وعلى المؤلفين أن ينزلوا إلى

الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، والديربى فى كتابه : إرشاد الحيارى فى روع من مارى

وفى عصر سيادة السلطان الشيعى رأينا طلائع به رزيك يؤلف كتاب الاعتماد ، فى الرد على أهل العناد ، وعند ما زالت دولة هذا المذهب رأينا العلماء يتصدون للرد عليه ، فرأينا مثلا بهاء الدين القفطى يؤلف كتاب النصائح المفترضة فى فضائح الرفضة ، ولما ساد المذهب الأشعرى تصدى العلماء لنصرته والدفاع عنه ، فكتب ابن عساكر رسالة يرد فيها على من انتقص الأشعرى ، وأخذ الأشاعرة يردون على من خالفهم من المعطلة والحنابلة ، وحاول بعض العلماء التوفيق بين المذهبين كما فعل ذلك عبد الغنى النابلسى فى كتابه التوفيق الجلى بين الأشعرى والحنبلى

وضع علماء ذلك العصر كتبا تتناول مسائل علم الكلام من إلهيات ونبويات وسمعيات ، وعرفت من هذه الكتب زهاء عشرين ، منها ما وضعه ابن دقيق العيد ، والعز بن عبد السلام . وأكثروا من كتابة عقائدهم التى يدينون الله بها ، ونستطيع أن نرى نموذجا لما كتب من هذه العقائد فى عقيدة العز بن عبد السلام ، وهى برمتها فى كتاب طبقات الشافعية للسبكى (جـ ٥ ص ٨٥)

وعالج بعض العلماء كثيرا من المسائل الجزئية التى كانت موضع جدل فى ذلك العصر ، مثل مسألة القضاء والقدر ، وقد نالت من عناية رجال هذا العهد حظا موفورا ، ومسألة الثواب والعقاب وهى ترتبط بالمسألة السالفة ارتباطا وثيقا ، كما أثار الحنابلة موضوع صفات الله ، ومعنى ثبوتها له ، والقرآن وقدمه وحدوثه ، فرأينا كتبا تتناول هذه المسائل بالبحث والتفصيل

ومن أشهر متكلمى هذا العهد شهاب الدين الطوسى ، وسيف الدين الآمدى ، وعلاء الدين الباجى

للكلام صلة أحمد أحمد بدوى

السوق والجمهور ، فهو الفيصل النهائى فى تقدير أعمالهم ، وليس لجنة ولاهيئة يعلم الـكل بأى وحى تسير ووفق أى هوى تعمل ... وفى هذا الاقتراح مايشرف كرامة المؤلفين ، ويصون قيمة الأعمال العلمية والأدبية ، ويحررهم من عبودية الدولة ، باستجدائها وعلق رضاها . والمفكر والأديب الحق هو الذى يحرص على هـذه الحرية وتلك الكرامة ، فينزل إلى جمهور القراء وجها لوجه . ولسنا نعرف فى أمة متحضرة مثل هـذا التسول العلمى والأدبى الذى يلجأ إليه المؤلفون لدى ديوان العطاء الحكومى ... فهل يتفضل معالى وزير المعارف فيحسم الأمر بهذا الاقتراح ، وهو أحرص الناس على كرامة العلم والأدب »

هذا هو نص الاقتراح الذى تفتقت عنه عبقرية العالم الجليل السيد بدوى ... اقرأه بعناية ، ثم تقبل منى أحر الرجاء بأن تقف طويلا أمام تلك الـكلمات التى تحتها خط ، لأن مالك الحزين طيب الله ثراه هو الذى ضغط على يدى لتضع هذا الخط اللعين تحت تلك الـكلمات .. إن العالم الجليل هنا يتحدث عن الحرية ، ويتحدث عن الـكرامة ، ويلقى على الأدباء « المتسولين » درسا لن ينسى الدهر روعة ألفاظه ومعانيه ! هل تصدق أننى حين قرأت تلك الـكلمات منذ بضعة أيام ، قفز إلى ذهنى خاطر عجيب هو أن السيد بدوى إنسان يستحق الاحترام ؟ لقد قلت لنفسى يومئذ إننى سأغتفر له فضائحه العلمية التى هزت سمعة الجامعة ، وسأذكر له بالخير أنه إنسان ينظر إلى الـكرامة على أنها شعار كل عالم وأديب . . وما أجدر المفـكرين الأحرار الذين عناهم العالم الجليل بكلماته ، ما أجدرهم أن يعوا هذا الدرس القيم ليحفظوا ماء الوجوه وكرامة النفوس ، حين يبتعدون عن مثل هـــذا « التسول » العلمى والأدبى الذى يلجأ إليه البعض لدى ديوان العطاء الحكومى !

هذا ما قلته لنفسى يوم أن وقعت عيناى على اقتراح العالم الجليل ، وعذرى أننى ظننت أنه كريم جدا على نفسه ، لا يرتضى لها أن تهبط إلى هـذا الدرك « الوضيع » الذى يهبط إليه غيره من الأدباء المتسولين ، حين يجبنون عن لقاء الجمهور فلا يجدون أمامهم من طرق الاستجداء غير وزارة المعارف ... ولـكن العالم الجليل قد خيب ظنى فى مثاليته ، لأن هذه المثالية كانت حبرا على ورق ، شأنها فى ذلك شأن المعاهدات السياسية فى هذه الأيام !

لقد قال حضرته للناشرين فى كتابه « أرسطو عند العرب » إنـكم جهلاء ، ثم راح يرسم لهم الطريق ، ثم ما لبث أن صافح الجهل وعانقه وقبل خديه فى « الإشارات الإلهية » .. وقال حضرته للمؤلفين فى كلمته التى نشرتها « الأساس » إنـكم غير كرماء ، ثم ألقى عليهم درسا فى الـكرامة ، ثم ما لبث أن قادته قدماه إلى وزارة المعارف ليطمئن على كتبه الغالية . . أعنى ليتسول على حد تعبيره البليغ

لقد قلت لك إن هذا الدور الخالد ـ دور مالك الحزين ـ قد مثل من جديد ببراعة ليس لها نظير . . وصفق اليوم بقوة كما صفقت بالأمس ، وإياك أن تستهجن حركات الممثل البارع فتملأ الجو بالصفير ! إنه حظ سيء ذلك الذى أوحى إلى العالم الجليل بأن يذهب إلى وزارة المعارف ليتسول على مرأى ومسمع من كاتب هذه السطور ؛ حظ سيء لأنه لم يكن يعلم أننى أعمل هناك ، فى تلك الإدارة المختصة بفحص الـكتب والتأشير عليها بالرفض أو بالقبول . . وحظ سيء المرة الثالثة حيث حضر إلينا العالم الجليل فى يوم الأحد ٢٥ فبراير ، وحديثه عن التسول والمتسولين لم يجف له مداد !

إنها خمسة أيام فقط بين حديثه عن الحرية ، والـكرامة ، والتسول العلمى والأدبى ، وبين مجيئه إلى وزارة المعارف ، وسؤاله عن كتبه التى رفضت ، وشكواه إلى المسئولين من أن مواهبه الفذة لم تـكن محل رعاية وتقدير ! !

ويالها من لحظة تلك التى لن ينساها صديقنا الدكتور محمد يوسف موسى وغيره من حضرات الزائرين ، حين تطرق الحديث إلى مقالات « الرسالة » و « الثقافة » حول الفضيحة العلمية التى هزت سمعة الجامعة ... لقد كان النقاش دائرا حول العالم الجليل حين فتح باب الحجرة ، ونفذ منه رأس ملئ علما هو رأس الدكتور عبد الرحمن بدوى ! إلى هنا وأقف قليلا لأنقل إليك مشهدا من المشاهد يندر أن ترى له مثيلا على شاشة السينما أو خشبة المسرح ،

وأعنى به مشهد الدكتور بدوى حين وقعت عيناه على كاتب هذه السطور ... لقد أذهلته المفاجأة حتى وقف فى مكانه من الحجرة جاثوا لا يريم : لا خطوة إلى الخلف ، ولا خطوة إلى الأمام ، ولا كلمة ينقذ بها نفسه من بسمات الشفاه ونظرات العيون ! هل رأيت فى حياتك فأرا صغيرا قد أطبقت عليه مصيدة لم تكن له فى حساب ؟ إذا كنت قد رأيته فحسبك هذا الإيجاز وأعفنى من مشقة الإطناب . . ولا أطيل عليك فقد أشفق عليه أحد الزملاء ونهض ليصحبه إلى الحجرة المجاورة ، وهناك أخبره العالم الجليل بسبب مجيئه ، وهو أنه أراد أن يطمئن على كتبه الغالية ! وما كان أخبث الزميل الفاضل حين لحق به ليقول له : لقد فحصنا كل كتبك يا دكتور .. حتى « الإشارات الإلهية » !

وأترك هذا كله لأعقب على رسالة للأديب الفاضل محمود أحمد الشربينى بكلية الآداب جامعة فاروق ، حيث يوجه إلى فيها هذه الكلمات : « أريد أن أسألك يا سيدى ... إذا كان هذا هو فهم الدكتور عبدالرحمن بدوى للنصوص العربية التى هى جزء من لغته ولغة أجداده ، فكيف يكون فهمه للنصوص الفرنسية مثلا وهى جزء من لغة أخرى لا يعقل أن يجيدها إجادته للغته ؟! يخيل إلى أن الحقيقة قد بدأت تتضح لى ، بعد أن كنت أتهم نفسى بالغباء كلما قرأت للدكتور بدوى كتابا مترجما عن لغة أجنبية ! فمن المؤكد أنه لا يفهم النص الذى يترجمه حق الفهم ، ولهذا تبدو أكثر ترجماته وهى ملتوية وغامضة ، ولو كانت واضحة فى ذهنه لا نعكس هذا الوضوح فى نقلها إلى العربية ! أليس كذلك يا سيدى ؟ إننى فى انتظار جوابك » !

هذه هى كلمات الأديب الفاضل ، وردى عليها هو أن أقول له : إنك لم تعد الصواب فى هذا الذى ذهبت إليه ، ولست أدرى كيف كنت تتهم نفسك بالغباء وأنت تملك هـــذا القدر من الذكاء .. إن ذكاءك بخير ياصديق ، لأنك لو كنت غبيا لاستطعت أن تفهم كتب السيد بدوى المترجمة عن لغات أجنبية ! حسبك أن معالى الدكتور طه حسين باشا قد قال له يوم أن كان يناقشه فى رسالة الماجستير : إن الشيء الذى يحيرنى هو أن اللغة الفرنسية وهى لغة الوضوح والإبانة ، تصير على يديك وهى لغة الغموض والتعقيد ! !

بعد هذا أود أن يرجع الأديب الفاضل إلى « تعقيبات » العدد (٨١٦) من الرسالة ، ليقرأ هذه الكلمات التى كتبتها منذ عامين ، وهى تثبت أن بعض النابغين من طلاب المدارس الثانوية ، يفهمون اللغة الفرنسية خيرا مما يفهمها العالم الجليل : « تحدث الدكتور عبد الرحمن بدوى فى عدد (شباط) من مجلة الأديب اللبنانية عن مسرحية الأيدى القذرة « Les Mains Sales » للكاتب والفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر .. ولقد استوقفنى ما جاء بمقاله من ترجمة خاطئة لبعض كلمات رأيت أن أصححها ، حتى لا تبعد الشقة بين أصلها فى الفرنسية وبين ما يقابلها فى العربية .

ترجم الدكتور بدوى هذه الكلمات « La Putain Respectueuse » وهى عنوان مسرحية لسارتر بـ « العاهر المهيبة » ؛ وهنا يبدو شيء من الانحراف فى الترجمة لا يستقيم معه المعنى سواء أكان منسوبا إلى عنوان المسرحية أم كان منسوبا إلى الفكرة التى بنيت عليها .. إن المهابة كما يدل عليها موضوع المسرحية وكلمة « Respectueuse » لا تنسب إلى « العاهر » وإنما تنسب إلى المحيطين بها من عشاق الجسد ، أولئك الذين كانت ترحب بهم وتحتفى بمقدمهم ؛ وإذن تكون الترجمة الصحيحة هى « العاهر الحفية » ... أما « العاهر المهيبة » فلا يقابلها فى الفرنسية غير هذه الكلمات « La Putain Respectable » !

وترجم الدكتور بدوى عنوان مسرحية أخرى لسارتر ترجمة خاطئة وهى مسرحية « La Nausée » حيث قابلها بكلمة « القرف » ، مع أن ترجمتها الدقيقة هى « الغثيان » ... والفارق بين الترجمتين بعيد ! إلى آخر ما قلته فى هذا المجال » ...

ومع هذا كله فلا يزال السيد عبد الرحمن بدوى أستاذا فى الجامعة !!

شاعر فى الميزان :

أدباء السودان الذين يتلقون العلم فى القاهرة عاتبون على ، ومرد العتاب الذى يمتزج بالدهشة حينا وبالعجب حينا آخر ، إلى أننى لم أقرأ شيئا من شعر شاعرهم الراحل : التيجانى يوسف بشير ! هذا ما جهرت به فى العدد (٩٢٠) من الرسالة حين طلب إلى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

حب الرافعي :

« وبعد فقد كدت أخرج رأى فى حب « الرافعى » بعد أن فرغت من قراءة كتابه « رسائل الأحزان » ، بيد أنى تذكرت ما كتبته فى (الرسالة) منذ عامين ، فرجعت إليه ألتمس الحقيقة ، وأنشد العائدة ... وفتحت عينى على جديد ، إذ رأيت كل ما كتب عن هذا الموضوع لا يكاد يكون فيه ما يطمئن إليه الباحث ، ويرضى التاريخ ... والواقع أن صدق « الرافعى » فى حبه ، أو نقص « الصدق الفنى » فيما كتبه فى « تصوير العواطف ، وفلسفة الحب والجمال » أمر له خطره وأثره فى أدب الرجل ، وعقول قرائه

ولقد آثر الأستاذ (العريان) أن يكون « راوية » فحسب . والحق أنى حين رجعت إلى كتابه (حياة الرافعى) ممحصا له رأيت أنه يلقى أكبر ضوء على هذا الموضوع الذى شغل الأذهان وقتاً ما ، وهأنذا أضع بين يديك من الأدلة ما يثبت أن (الرافعى) كان صادق الحب ، وأن ما كتبه فيما يمت إلى ذلك بسبب لم يكن يعوزه « الصدق الفنى » ولك بعد ذلك حرية الرأى أن توافقنى فيما أذهب إليه ، أو تطلع علينا برأى جديد ...

يقول الأستاذ (العريان) — وإن كان لم يذكر اسم « مى » — :

« ... كان يحبها حبا عنيفاً جارفاً لا يقف فى سبيله شئ ، ولكنه حب ليس من حب الناس ، حب فوق الشهوات وفوق الغايات الدنيا ، لأنه ليس له مدى ولا غاية . لقد كان يلتمس مثل هذا الحب من زمان ليجد فيه ينبوع الشعر وصفاء الروح ، وقد وجدها ولكن فى نفسه لا فى لسانه وقلمه ، وأحس وشعر وتنورت نفسه الآفاق البعيدة ، ولكن ليثور بكل ذلك دمه ، وتصطرع عواطفه ، ولا يجد البيان الذى يصف نفسه ويبين عن خواطره ... »

ثم يقول بعد ذلك :

« ... لقد أحبها جهد الحب ومداه ، حباً أضل نفسه وشرد

زميل لهم من « أم درمان » أن أتحدث عن شعر التيجانى إلى جمهرة القراء ... لقد كان عذرى فى هذا الذى جهرت به ، هو أن ديوانه « إشراقة » لم يقع بين يدى فى يوم من الأيام !

قلت هذا على صفحات « الرسالة » ، منتهيا إلى أننى لن أتأخر عن النظر فى شعر التيجانى إذا ما تفضل أحد القراء فبعث إلى بديوانه ... ومنذ أيام أربعة تلقيت هذا الديوان ؛ تلقيته من الأديب الفاضل عيسى أحمد عيسى كنفحة من نفحات الوفاء .

واليوم ، وبعد أن فرغت من ديوانه وأرسلت الذوق وراء أبياته ، أستطيع أن أتناول قلمى لأكتب عن التيجانى يوسف بشير ، الشاعر الذى كشفت لى عن جوهره الثمين رسالة من أم درمان !

وفى عدد مقبل من « الرسالة » سيكون لى مع شعر التيجانى موعد ولقاء

كلمة عن صديق :

كتب إلى الأديب الفاضل وحيد الدين بهاء الدين (كركوك — العراق) ، يسألنى عن الأديب العراقى الصديق الأستاذ غائب طعمة فرمان ، شهيد الظلم فى العراق وطريح الفراش فى مصر ...

يا أخى ، إننى أشكر لك سؤالك ووفاءك ، وإذا كنت تطلب إلى بحق الصداقة أن أزوره لأخفف عنه وأطمئن عليه فإننى أقول لك : إن حقوق الصداقة فى حساب الشعور شئ مقدس ... ولك أن تثق من أننى قد زرته وسأزوره حتى يشعر بأنه فى وطنه وبين أهله !

إن الصديق للعراق بخير ، وأرجو أن يغادر المستشفى فى الغد القريب ليستأنف جهاده فى طلب العلم وخدمة الأدب ... كتب الله له أن يستروح أنسام العافية ويقبس من ضياء الأمل

أنور المعداوى

فكره ، وطلبه القرار ، ولكنه حب عجيب ليس فيه حنين الدم إلى الدم ، ولكن حنين الحكمة إلى الحكمة ، وهفوة الشعر إلى الشعر ، وخلوة الروح إلى الروح فى مفاجأة طويلة كأنها تسبيح وعبادة ، وأسرف عليه هذا الحب حتى عاد فى غمرانه خلقا بلا إرادة ، فليس له من دنياه إلا هى ، وليس له من نفسه إلا ما تهب له من نفسه ... »

ويقول أيضاً :

« ... وكان يحبها ليجد فى حبها ينبوع الشعر ، فما وجد الحب وحده ، بل وجد الحب والألم ، وثورة النفس وقلق الحياة ، ووجد فى كل أولئك ينابيع من الشعر والحكمة تفيض بها نفسه وينفعل بها جنانه ويضىء بها فكره ، وكان آخر حبه الألم ، وكانت آلامه أول قدحة من شرار الشعر والحكمة ... وقالت له نفسه :

« ها أنت قد بلغت من الحب ما كنت ترجو فلم تبق إلا الغاية الثانية ، وإنك عنها لعف كريم ... »

... مما تقدم نرى أن (الرافعى) كان صادقاً فى حبه إلى حد بعيد ، صادقا فيما كتب عن ذلك الحب ، ولولا ضيق المقام لأوردت أكثر من ذلك مما يدعم وجهة نظرى فى هذا الموضوع ، ولكن هذا حسبى ، ولك بعد ذلك رأيك ولعل أحداً من تلاميذ (الرافعى) ينجم علينا بجديد يفيد . !

وفى النهاية تقبل شكر وتقدير المخلص :

اسكندرية صبرى حسن الباقورى

كشكول الأسبوع

◘ كان مقررا أن يحتفل بالذكرى الألفية لابن سينا فى أكتوبر سنة ١٩٥٠ ببغداد ولكن رؤى تأجيل هذا الاحتفال إلى ربيع سنة ١٩٥٢ ، وذلك لاعتبارات سنفصلها فى الأسبوع القادم مع بيانات أخرى فى موضوع هذه الذكرى .

◘ رشحت لجنة جائزة نوبل لسنة ١٩٥١ الفنان السورى السيد ميخائيل اللاوردى لنيل هذه الجائزة ، لكتابه « فلسفة الموسيقى الشرقية » المؤلف باللغة العربية ، ولم يقتصر السيد اللاوردى على دراسة المسائل الموسيقية من وجهة الفن البحت ، بل دعا إلى توحيد لغة الموسيقى فى العالم ، ليكون ذلك وسيلة إلى التفاهم بين الأمم ، ثم إلى السلام العالمى .

◘ توفى الكاتب الفرنسى أندريه جيد فى يوم ٢٠ فبراير الحالى وهو فى الحادية والثمانين من عمره . وكان جيد عميد الكتاب الفرنسيين وله عدا ذلك مكانة أدبية عالية ، وأحرز جائزة نوبل فى الأدب سنة ١٩٤٧ وقد ترجم له إلى العربية عدة مؤلفات منها مسرحية « أوديب » و « الباب الضيق » ترجمة معالى الدكتور طه حسين باشا .

◘ أذاعت وكالة الأنباء العربية أن هيئة الأمم نظمت منهاجا لتدريب المدرسين من مختلف البلدان العربية بين ٨ و ٢٢ ابريل المقبل فى مدينة بيروت تحت إشراف مؤسسة الثقافة الدولية

◘ من المسائل المعروضة على اللجنة العليا لترقية التمثيل العربى ، إقامة مباراة فى التأليف المسرحى تكون جائزة الرواية الفائزة فيها ٥٠٠ جنيه يضاف إليها ٨ ٪ من إيراد الشباك .

◘ أذاعت بلدية هورشام الانجليزية أن الحكومة المحلية أدخلت الشجرة التى كان الشاعر الانجليزى ألكسندر بوب يكتب أشعاره تحت ظلها ــ ضمن برنامج صيانة الأشجار .

◘ قررت العصبة الإسلامية فى شرق الباكستان الدعوة إلى جعل اللغة العربية لغة الدولة الرسمية .

بشير الأستاذ الباقورى إلى ما كتبته فى « الرسالة » منذ عامين عن « حب الرافعى » والذى فهمت إذ ذاك أن أثبت رأيين للصديقين الأستاذين حسنين حسن مخلوف وكامل محمود حبيب فى هذا الحب ، يرى الأول أن الرافعى أراد أن يحدث فى اللغة العربية لونا من الفن الممزوج بالفلسفة الاجتماعية التى مرها إيحاء المرأة على النحو المستفيض فى الأدب الأوربى ، فطلب الحب لذلك . ويرى الأستاذ كامل حبيب أن الرافعى كان يشعر بجفاف قلبه لشدة تدينه فطلب الحب ليندى به قلبه ويرقق أسلوبه . وارأيان يكادان يرميان إلى أن حب الرافعى كان حبا مصنوعاً أو مجتلبا بقصد منه إلى إحداث لون من الإنتاج الأدبى . وقد علقت على ذلك فكان مما قلته « ولمن شاء بعد ذلك أن يقول إن ما كتب الرافعى فى تصوير العواطف وفلسفة الحب والجمال ينقصه الصدق الفنى »

والفقرات التى نقلها الأستاذ الباقورى من كتاب « حياة الرافعى » إنما هى عبارات مختارة فى وصف الحب ، وفيها ما يدل على أن الرافعى كان يطلب الحب ويبحث عنه ليشعر بمعانيه ويكتب فيه . ولا أرى فى ذلك ما يدل على صدق الحب ، لأن العاطفة لا تطلب ، وإنما تأتى ولو جانب الإنسان أسبابها

وكتاب « رسائل الرافعى » الذى أصدره أخيراً الأستاذ محمود أبو رية يلقى أضواء فى هذا الموضوع ، إذ نرى

الرافعي في هذه الرسائل الخاصة يحدث أبا رية ، لا عن « مي » وحدها ، بل عن أخريات ، فيقول في رسالة منها « وقد جاء الشيطان فمرض على (عينات) جديدة ... كأنه أخزاه الله كتبي يعيش من بيع هذه الكتب فهو يريد الإكثار منها » يعني أن هذه (العينات) من الجميلات يستمد منها ما يؤلف في الحب ...

ويقول في أخرى : « واليوم تجد لي قطعة في الضياء عن (سونية) وهي لا بأس بها ولكن سونية ... » ويقول في ثالثة « ولكن صاحبة فلسفة الجمال قد انتهى تاريخها ، وهل يبدأ تاريخ آخر لصاحبة فلسفة أخرى ؟ ربما يا أبا رية ، أما الأولى فلم يعد لها أي شأن الآن وهي لا تساوي من الثانية شيئا ! ولكن هل يبدأ للثانية تاريخ وفلسفة ؟ إن أولها كان أمس فقط في مصر »

وهكذا نراه لا يقف عند واحدة ولا يتمسك بحب واحد ، فصاحبة الفلسفة القديمة انتهى أمرها ، وجدت صاحبة فلسفة أخرى ، وهناك (العينات) الأخرى ، ولا تنس سونية ... ومن ذلك نفهم أن الرجل كان يطلب المرأة هنا وهناك ؛ ولم يقصر حبه أو طلبه على واحدة ؛ ويقول إنه يقصد بذلك إلى تجديد في الأدب العربي كما يقول في إحدى تلك الرسائل عن كتابه أوراق الورد « وقد صح عندي بعد البحث أنه لا يوجد في اللغة العربية رسالة واحدة ذات قيمة في هذا الباب من أول تاريخها إلى اليوم » ثم يقول « وثق يا أبا رية أن هذا الكتاب الصغير هو أهم وأحسن ما كتبت كما أني لم أتعب في شيء مثل تعبي فيه، وربما بيضت الرسالة الواحدة في أربع ساعات لأن الغرض الأول من الكتاب إعطاء العربية هذا الكنز الذي ليس فيها » وقد عبر في هذه الرسائل غير مرة عن شدة تعبه في كتاب أوراق الورد وقال في إحداها إن الكتابة فيه عسرة جدا

وذلك كله يشكك في صدق ذلك الحب لأنه كان يطلبه والحب لا يطلب ؛ وكان يتنقل من التعلق بواحدة إلى غيرها ؛ وكان هدفه أن يكتب في الحب؛ والكتابة إنما تأتي من فيض الحب الذي يغزو صاحبه ، ولو أن قيسا ذهب إلى بني عامر ليطلب امرأة تعينه على قول الشعر لكان لشعره شأن آخر ... ولو أن الرافعي كان صادق الحب لألهمه القول طبيعيا طيعاً لا يجد فيه عسرا ولا يحتاج إلى ساعات يبيض فيها الرسالة الواحدة ، ولما انشغل بقيمة الكتاب وما يكون له من مكانة في الأدب ، وقد ذهب به هذا الانشغال إلى حد قوله في إحدى الرسائل « وقد كان عندي بالأمس أحد الأدباء المطلعين على الآداب الإنجليزية فأقرأته بعض رسائل منها (يعني من أوراق الورد) فقال إن مثل هذا لا يوجد في الأدب الإنجليزي »

وفي ضوء ذلك كله ، وفي ضوء ما قرأته في أوراق الورد وغيره يمكن أن نسمي ما كتبه الرافعي في هذا الصدد فلسفة حب وجمال منبعها التأمل العقلي مصوغة في أسلوب محتفل له أشد الاحتفال ولكن من العسير أن تجد به نبض عاطفة طبيعية .

مسرحية « في خدمة الملكة »

أصل هذه المسرحية رواية « الفرسان الثلاثة » للكاتب الفرنسي إسكندر دماس الكبير ، وقد أعدها الأستاذ إسماعيل أرسلان إلى فرقة المسرح المصري الحديث ، وذلك باقتباس بعض حوادث الرواية وكتابتها في حوار مسرحي ، وأخرجها الأستاذ زكي طليمات

وتجري حوادثها في عهد الملك لويس الثالث عشر ، وتصور ما كان يجري في قصر هـذا الملك من دسائس ومؤامرات ، والصراع الرئيسي فيها بين الملكة « آن » وأعوانها وخاصة وصيفتها « مدام بوناسييه » والفارس الفتى « دار تانيان » وبين الكاردينال « ريشليو » رئيس وزراء فرنسا وأعوانه . وموضوع الصراع علاقة غرامية بين الملكة وبين « اللورد باكنجهام » من أشراف انجلترا . تشعر الملكة بأن هذه العلاقة تمس شرفها ولا تتفق مع مركزها كملكة في عصمة ملك فرنسا ، فتستدعي حبيبها اللورد سرا وتفضي إليه بذلك طالبة منه أن يرحل إلى بلاده ويقطع صلته بها ، فيخضع للأمر ويطلب منها هدية يذكرها بها ، فتهدي إليه حلية مرصعة باثنتي عشرة ماسة . ويعلم بذلك ريشيلو فيبث عيونه للبحث عن اللورد ، ولكن هـذا يفلت منه إلى انجلترا . ويعمل ريشيلو - بوساطة جاسوسة في إنجلترا - على سرقة ماستين من الحليـة ، ويشير على الملك أن يطلب إلى الملكة لبس الحلية في حفلة بالقصر . وتعلم الملكة بذلك فتعمل للخروج من هذا المأزق بمعاونة وصيفتها والفتى دار تانيان الذي يسافر إلى انجلترا لإحضار الحلية من لدن اللورد باكنجهام

ولما يكشف اللورد سرقة الماستين يأمر بصنع أخريين مثلهما ، ويعود دارتانيان بالحلية كاملة ، فتظهر بها الملكة في الحفلة ، فيفسد تدبير الكاردينال ، وتنتهي المسرحية بانتصار الملكة آن. ويبرز في خلال هذه الحوادث نفوذ ريشليو الذي يرجح نفوذ الملك لويس الثالث عشر الضعيف الشخصية ، ويكاد الأول يطغى على الثاني لولا شجاعة فرسان الملك وخاصة دارتانيان

وينبغي أن أقول قبل كل شيء إن نجاح هذه المسرحية يرجع إلى أمرين ، الأول هو هذه الجذوات المتقدة بين جوانح هؤلاء الشباب - ممثلي الفرقة وممثلاتها - المتطلعين إلى مستقبل يجنون فيه ثمرات جهودهم الحاضرة ، وهذه الجذوات هي أهم ما يميزهم عن الممثلين القدماء الذين وصلوا أو يئسوا …

وقد برز في تمثيل هذه المسرحية صلاح سرحان (دارتانيان) فقام بدور الفارس الصغير الذي يدفعه روح الفروسية إلى الإخلاص في خدمة الملكة وإنقاذها مما يحاك لها من شباك ، وعبد الغني قمر في دور مدير سجن الباستيل ، وقد أثبت عبد الغني - بهذا الدور وبدوره في مريض الوهم - براعته في تمثيل الشخصيات الشاذة وإبراز ما يقصد بها من معان وظلال في جو الرواية ، وزهرة العلا (مدام بوناسييه) كانت موفقة في أداء ما يتطلبه دورها من حركات وتعبيرات ، وكذلك أحسن كل من سعد قردش (ريشليو) ومحمد السبع (الملك لويس) ونور الدمرداش (اللورد باكنجهام) وسميحة أيوب (الملكة آن) أحسن كل منهم في دوره ، ويظهر أن سميحة كانت متعبة عند لقاء اللورد باكنجهام فلم تمط الحب المكبوت حقه في أن يطل خلال العزم على قطع الصلة بالحبيب

أما ثاني الأمرين اللذين يرجع إليهما نجاح المسرحية ، فهو أنها مقررة على طلبة الثقافة ، وبهذا ضمنت جمهوراً كبيرا يغص به المسرح في كل يوم من أيام عرضها . ويظهر أن هـذا هو الحافز الأول على تقديم هذه المسرحية ، وهو غرض لا بأس به من حيث اجتذاب الطلبة إلى المسرح وتوطيد صلتهم بالفرقة

وبعد فإن المسرحية في ذاتها لا تخلق شيئا ذا بال ، فليس فيها تحليل ولا التفاتات إنسانية تذكر ، ولا حادثة تاريخية مهمة يقصد إلى تجليتها ، وهذا أدنى مايهدف إليه في الروايات التاريخية والصراع ليس له غاية تستحق كل تلك الجلبة ، فكل ما في الأمر أن تنقذ الملكة من شبهة علاقتها الغرامية الحقيقية .. أي أن ينتصر الرياء … ولهذا كان الختام يحتاج إلى أن يعلن عنه بمثل كلمة (خلاص !)

وقد استطاع الأستاذ زكي طليمات مخرج المسرحية - على رغم ذلك - أن يبث فيها التشويق وشيئا من الحياة ، وكانت المناظر ملائمة وموحية ، وخاصة منظر سجن الباستيل الذي عبر عنه بالستارة التي جعلت جداراً للسجن

ولا بد أن الرغبة في الاقتصاد أو عدم القدرة وقلة الاستعداد ، هي التي جعلت منظر « الحفلة » التي لبست فيها الملكة حليتها كما ظهرت ، . فقد خيل إلى حين رفع الستار عن هذا المنظر أن الكاردينال يجمع أعوانه وجواسيسه ليضع لهم خطة العمل ، ولم أفهم أن هناك حفلة إلا من حديث المتحدثين على المسرح إذ قال بعضهم إنهم في حفلة ..

وقصارى القول - كما يقول المفتشون - أني لم أستطع أن أغتبط بهذه المسرحيـــة ؛ وإن كنت أود للطلبة أن تعينهم مشاهدتها على أداء الامتحان .

عباس خضر



السارق العجيب !

هو مع الأسف الشديد الأستاذ إبراهيم المصرى الكاتب القصصى المعروف . فقد سطا على قصة أنطون تشيكوف «الرهان» وأضافها إلى نفسه ونشرها بالعدد ٨٥٢ من مجلة آخر ســاعة تحت عنوان «الرهان العجيب»! وقدم لها بهذا الكلام الغريب:

«هذه الحادثة الواقعية الفذة فى موضوعها تعتبر من أغرب وأدهش حوادث المغامرات الشمالية والعاطفية – وقد قرأت تفصيلاتها فى إحدى صحف باريس فرأيت فيها صورة رائعة مفعمة بروح القوة والبطولة والتضحية فصغتها للقراء فى هذا القالب القصصى» !

والقارئ العادى يفطن إلى هذه المغالطة التى يريد بها الأستاذ المصرى أن يغطى سرقته . فقصص تشيكوف من الذيوع والانتشار بحيث لا نكاد نجد فى القراء من لم يقرأها ولا فى الأدباء من لم يحاول أن يترجمها إلى لغة الضاد ! . وهـذا ما فعله الأستاذ الجليل محمد كامل البهنساوى بك فى كتابه « أقاصيص مأثورة » إذ ترجم قصة « الرهان » بالذات ترجمة أمينة بارعة ... وليس بمستبعد أن يكون الأستاذ المصرى قد نقل عن «الأقاصيص المأثورة» قصة الرهان ثم أراد أن يطمس معالم السرقة فحشا القصة بحوادث مفتعلة وبواعث مصطنعة واستغل أبغض شئ إلى قلب تشيكوف فى مسخ القصة وهو العنف . . فإن تشيكوف ليقول : « إننى أبغض العنف فى كل صوره » !. استغل الأستاذ المصرى العنف لجعله عنصرا جديدا لم يكن فى القصة الأصيلة فأحدث معركة بين بطل القصة المحامى الشاب وبين المول ... والغريب فى الأمر أنه جعل بطل القصة يصمد لعراك عنيف مع أنه قضى فى السجن الانفرادى سنة كاملة لا يدفع إليه فيه بغير الطعام والشراب .. ولست أدرى كيف لم يسلمه هذا السجن القاسى إلى جنون ! . وقد كان هـذا يكون أسلم عاقبة من هذا الكلام الذى أنهى به الأستاذ المصرى قصته !

والمتأمل لقصة الرهان لتشيكوف يرى فيهـا عمقا وجلالا لايقوى عليهما ، غير ذهن جبار كذهن تشيكوف فالمحامى الشاب فى قصة « الرهان » عندما قبل الرهان كان يطمع فى أن يظفر بالمال . . ولكن تشيكوف الفيلسوف الذى يرى أن كل شيء فى الدنيـا وهم وقبض الريح كان لا بد أن يغلب السعادة العقلية على كل سعادة مادية زائلة فجعل المحامى الشاب يخرج طائعا مختارا قبل موعد الرهان بدقائق معدودات لأنه كان قد قرأ فى سجنه طائفة من المعارف والعلوم خلقت منه فيلسوفا يزهد الحياة . . ولكن الأستاذ المصرى شوه هذه الفكرة الرائعة ومسخها فى قصة « الرهان العجيب » إذ أنهاها بشهوة منهومة إلى المال قضت على رجلين ودفعت بامرأة – زوجها السارق فى القصة زجا – إلى السجن ! .

كمال رستم

حول أديب يتعالم :

من يقرأ التعقيب الذى نشر بالعدد ، ٩٢١ ، من الرسالة يظن أننا قد افترينا على شميم الحلى الكذب ، وحقيقة الأمر أن كاتب التعقيب قد رجع إلى معجم الأدباء فقط ، فظن أنه قد جمع كل ما يتصل بشميم ، وراح يعطينا درسا فى الأمانة والأخلاق !

وقد أبدى الكاتب عجبه لقصة «النائحات والنشيد الموضوع لهن » وظن أننا اختلقناها اختلاقا ، ولو رجع الكاتب إلى « أنباء الرواة » لقرأها هناك . والغريب أنها مذكورة بهامش معجم الأدباء ، ونسى الكاتب أن يقرأها كما قرأ غيرها من الأنباء !

ويلاحظ أن الناقد الفاضل لاينكر قصة السجود ، ولكنه ينسب الواقعة لشخص غير ياقوت مع «شميم»، ونحب أن نقول له إننا تقيدنا بما روى المؤرخون عن « شميم » فجمعنا أخباره من شتى الكتب ، ووضعناها فى قالب حوار قصصى على لسان

ياقوت ، وليس بعيننا ذلك فى شيء ما دامت الحوادث مدونة لم تختلق ؛ وإنى أتحدى الكاتب أن يشير إلى حادثة لم توجد بالمراجع المدونة بالعدد « ٩٢١ » وفى هذا القدر كفاية

محمد رجب البيومي

الدخاد فى الشعر :

أخى الأستاذ فتحى بسيونى

لقد دعوت رجال الشعر وأرباب القريض ليتناولوا « شرب الدخان » فى شعرهم ، وليسهموا فى وصفه ، محبذين تعاطيه ، أو صارفين عنه ، وكان مثار الغرابة عندك أن الشعراء المعاصرين لم يقوموا بهذا الواجب ، على حين أنهم ما برحوا ينظمون الشعر فى الخمر ، مادحين وهاجين !

وأحب أن أقول لك : إن لى فى الدخان قصيدة نشرت فى مجلة الهلال بعدد شهر سبتمبر سنة ١٩٤٨ م ، وللأستاذ سلامة خاطر قصيدة فى الدخان أيضاً نشرت بمجلة الهلال أيضاً فى عدد أكتوبر سنة ١٩٤٨ م ، وقد نشرت لى مجلة الإسلام كلة نثرية سنة ١٩٤٦ م بعنوان « الحبيب البغيض » حول الدخان كذلك!

ولقد كنت أدمن الدخان ، ولكنى تركته منذ ثلاث سنوات وألفت فيه كتاباً عنوانه « فى الهواء » ما زال مخطوطا لتعنت الناشرين ، وندرة الورق ، وأزمة القراء ، وشدة الغلاء ، مع أنه كتاب فريد فى هذا الباب ، أوردت فيه تجاربى مع الدخان ، وآراء الأطباء والأدباء ، وعلماء النفس ، والطرق الناجعة للاقلاع عنه . وعندما تسمح الظروف ، وتسنح الفرصة ، فيطبع الكتاب ؛ ستكون يا أخى أول من يهدى إليه ، لترى فيه ما بذلت ، وما كتبت عن هذه المادة التى تفشت بين الرجال والنساء ، والكبار والصغار على السواء !

محمود محمد بكر هلال

المدرس بمدرسة سوهاج الأميرية

الدخاد فى الشعر أيضا

تحت هذا العنوان قرأت كلة للأستاذ فتحى بسيونى دعبس عرض فيها لتقصير شعرائنا فى شأن « شرب الدخان » ومن الإنصاف أن أذكر أنى سمعت قصيدة رائعة للأستاذ على الجندى بعنوان « الحسان المدخنات » ألقاها من محطة الإذاعة منذ عهد قريب صور فيها غضبة الجمال المضرية على الدخان مازجا فيها الغزل الرقيق بالوعظ المؤثر

وأستطيع أن أصرح بأن لى قريبة حسناء أقلعت عن الدخان بعد سماعها هذه القصيدة

ولعل كثيرا من شعرائنا قالوا فى هذا الموضوع ولكن لم يبلغنا

محمد عوضه

(١) تعليق على مقال « أبو العطاسه »

قرأت مقالا بهذا العنوان للاستاذ حسنى كنعان وقد استوقفنى فيه قوله : « لم يسبق محاولة مسرحية فى سوريا قبل القبانى » والواقع أن المرحوم مارون النقاش هو أول من حاول تلك المحاولة . ومارون النقاش شاب سورى ولد فى صيداء وتعلم فى بيروت فنشأ ميالا للفنون الجميلة ، فأتقن فنون اللغة العربية ونظم الشعر ولما يبلغ الثامنة عشرة فضلا عن إتقان اللغات الفرنسية والإيطالية والتركية ؛ وكان مولعاً بالموسيقى مشغوفاً بالسفر فسافر إلى مصر سنة ١٨٤٦ فى أواخر أيام محمد على باشا الكبير ثم قصد إلى إيطاليا وهنالك تعلم فن التمثيل ونقله إلى بيروت حيث ألف فرقة من أصدقائه وألف أول رواية تمثيلية باللغة العربية أسماها « البخيل » ومثلها مع فرقته فى بيته عام ١٢٦٧ بحضور وجهاء البلد وقناصل الدول الأجنبية . ثم أردفها برواية « أبى الحسن المغفل » ورواية « هارون الرشيد » ثم بعد ذلك أنشأ مسرحاً خارج منزله بفرمان سلطانى حوالى سنة ١٨٥٠ وقد تحول بعد وفاته سنة ١٨٥٥ إلى كنيسة حسب وصيته !

من هنا يتضح أن القبانى قد سبق بتلك المحاولة المسرحية وأن سوريا — على الأقل — كانت تعرف فن التمثيل قبل ذلك التاريخ !

(٢) حول مقال « ثورة فى الجحيم » :

قرأت فيما قرأت فى (العدد ٩١٩) من الرسالة الغراء مقالا



الحب ألم

لرينيه ميزروا

بقلم الاستاذ كمال رستم

(هذه قصة فى يوميات لرينيه ميزروا « René Maizeroy » ألخصها لك . . وأجمل من التلخيص أن تقرأ القصة كما كتبها كاتبها فإن التلخيص يفقدها الكثير من مزاياها التى تفردت بها . . ولكن هذا لا يمنع من أن أنقل إليك ـ بقدر الإمكان ـ القمة التى وجدتها وأنا أطالعها . . وأن أجملك تأسى كما أسيت على العاشق « روبيردى بلينقى » !)

* * *

« روبير دى بلينقى » فتى من سراة باريس قدم « نابلى » على ظهر اليخت « البجمة البيضاء » . . وقد صادف مقدمه احتفال المدينة بذكرى استجابة القديسة « سانتا مارياديل كارمن » ضراعات القوم بأن يق المدينة شر الأمطار ! .

شهد الفتى الاحتفال . . وكانت تصحبه « مس عبلى » و« البرنسيس داسبرامونت » . . وإذ يحنو الفتى إلى هذه الأخيرة يسألها قائلا :

— هل تأذن لى سيدتى بأن أسأل عمن عساها تكون هذه الفتاة اللطيفة التى كانت تتأمل بسخرية ألبوم « البجمة البيضاء » ؟

وتهز البرنسيس داسبرامونت رأسها بسخرية قائلة :

— إنك يا عزيزى بلينقى سابع شخص ألقى على هذا السؤال . . وليس يدهشنى هذا ما دامت ابنة خالتى « فوستين » فتاة سابية الحسن . . آسرة الجمال ! .

— فوستين . لكم يجلب اسمها السعادة ! .

ومع هذا فإن السعادة لم تقع للطفلة البائسة على صفة . . فقد انتهت حياة والدها « المركيز دى تيفيرون » ذات ليلة بالقتل على طريق « بوزول » وما لبثت زوجه أن لحقت به جزعا عليه وأسى ! .

— ومن الذى كفلها بعد وفاة والديها ؟ .

— كفلتها خالتها « دوقة دى سنابيا » التى تدين لها فوستين بابتسامتها الجميلة التى أسرتك !

. . وتقترب منهما فتاتان فيزداد وجيب قلب بلينقى إذ تقدمه البرنسيس داسبرامونت إلى إحداهما قائلة :

— فوستين ! هذا هو السيد روبير دى بلينقى . . وهو يود أن يتحدث إليك ...

: وتضطرب فوستين ... ويتضرج وجهها فيقول بلينقى :

— هل جئتك متأخرا يا آنستى ؟

— على النقيض يا سيدى . . فقد كنا مس جراس : وأنا منشغلتين بتحليل كتابتك على الألبوم !

قالت مس عبلى :

— صحيح . . وقد جاء التحليل فى صالحك !

قالت فوستين :

— وما كادت صديقتى تطالعنى بأنك موسيقى موهوب . . وأنك لا تبارى فى الرقص حتى نازعتنى النفس إلى التعرف بك !

طيبا للأستاذ حمدى الحسينى بعنوان « ثورة فى الجحيم » تكلم فيه بإيجاز عن الشاعر جميل صدقى الزهاوى وذكر فيما ذكر دواوينه الشعرية وحددها بخمسة دواوين آخرها ديوان الأوشال، والواقع أنها ستة دواوين آخرها ديوان الثمالة وقد طبع بعد وفاته فى مطبعة التفيض ببغداد عام ١٩٣٩ بمساعدة أرملة الشاعر. ومما يجدر ذكره أن معظم قصائد هذا الديوان كان نشرها صاحبها فى مجلة الرسالة الغراء . ولذلك اقتضى التنبيه .

كلية الحقوق ـ بغداد عبد الحميد الرشودى

— مس تملى هى اللطف بعينه . وإنى لأشكرها على صنيعها هذا الجميل !

— على أننى موقنة بأنها لم تبالغ فى وصف مواهبك ... أما عن نفسى فإنى أخشى أن أبدو مبتدئة فى الرقص !

وتواصل الكلام وقد جرت على شفتيها ابتسامة رقيقة فتقول:

— أيضايقك أن تعطينى هذا الدرس الصغير !

.. ويدلفان إلى صالون « النجمة البيضاء » ويلبيان نداء الفالس ويهمس بلينى قائلا :

— أتذكرين يا آنستى مثلنا السائر ... « كما يأتى الحب يمضى ! »

— شد ما أنت متشائم يا صديق !

وتسعى أصابعها لتضغط على أصابعه وتهمس :

— أود أن أصنع لك هذه المعجزة !

.. ولكن الفتى يقف فجأة عن الرقص ... إذ يشعر كما لو كانت شوكة حادة استقرت فى عقبه الأيسر ... ويغيض الدم من وجهه ... ويستغرق الألم كيانه كله ... ويشله تماما عن الحركة وتصيح فوستين وقد أخذتها اللهفة على الفتى :

— رباه . . ماذا دهاك ؟

— ليس سوى خور . . خطوة خاطئة !

استند إلى ذراعى ودعنا نخرج من هنا . . فإن الهواء خليق بأن ينعشك . .

.. وإذ يعود الفتى إلى حالته الطبيعية يقول لنفسه :

— كم كان سخيفاً أن أموت .. وأن أخلف ورائى هذا الهناء كله !

وتقبل « مس تملى » و« البرنسيس داسبرامونت » يصحبهما طبيب هو الأستاذ « مورياك »

* * *

.. وتطرى عيادة الدكتور « دينيز مورياك » الأستاذ بكلية الطب للفتى . ولكن الأمر يبدو له غامضاً كالسر .. وهو عاجز تماما عن تشخيص مرض بلينى أو تفسير الأزمة التى انتابته !. ويتحدث طويلاً إلى الفتى عن تلك الآلة المعقدة المسماة « بالجسد الإنسانى » إلى أن يقول :

— أمن الممكن أن يحدث اضطراب عصبى مروع نتيجة حركة فصلت برهة شريان القدم .. أو الشطى القصير الجانبى بينما كنت تراقص الآنسة دى تيفيرون ؟ .. لقد استطلعت آراء بعض الزملاء . فكان إجماعنا على أنه ينبغى لك أن تأخذ حذرك من الآن !

— . أن تتنبه إلى هـذا الإنذار ! أكرر لك أنه ليس طبيعيا أن يتعرض شاب شديد الأمر مثلك برئ من العيوب الجسدية لمدة خمس دقائق لموت محقق ؛ وأن يشعر برعدة الموت المروعة تسرى فى عروقه ! . ثم فجأة يتوقف هذا العذاب .. كما لو كان دعابة سخيفة

وإذ يخلو الفتى إلى نفسه يقفز إلى رأسه هـذا السؤال : أصحيح أننى فى خطر . وأن هـذا الطبيب الكريه إنما قرر الحقيقة ! ...

* * *

.. يخت « النجمة البيضـاء » يتحرك مبتعداً عن الميناء .. ويريد بلينى أن يستطلع رأى « فوستين » عما إذا كانت تبادله الحب ورغب فى بقائه إلى جوارها حتى يكللا هذا الحب بالزواج فيمضى إليها ويطرح عليها السؤال التالى :

— فوستين ! أينبغى أن أرحل أم أبقى ؟

وتجيبه فى صوتها الحبيب بكلمة واحدة :

— إبق !

وتسلم شفتيه جبينها الوضىء . وعينيها النجـلاوين .. وتستطرد هامسة :

— إننى أحبك أكثر مما تحبنى . وسأغدو زوجتك ..وإلا فإننى لن أمنح نفسى بعدك لغير الله

ويتم قرانهما

وها هو ذا بلينى فى منزل الزوجية يعزف إحدى سمفونيات بيتهوفن ، وفوستين زوجه فى حال من خدر الحس وسكرة النفس — جالسة على حافة النافذة تصغى إلى النغم الحالم الصادر من البيان .. ويهتف بلينى من أعماق نفسه قائلا :

— أتحبيننى .. أتحبيننى يا فوستين ؟

— نعم .. أحبك .. أحبك وما عيشى إلا لحبك .. إننى

سعيدة إلى حد يخيل إلى أننى أحلم !

..وفجأة يتوقف بلينفى عن العزف إذ تعود إليه نوبة المرض وتهتف فوستين قائلة :

— أرجوك ... لا تكف عن الإيقاع ... ما أعذب موسيقى يتهوفن فى سكينة الليل !

* * *

تتكرر نوبات المرض . . ويغدو بلينفى قعيد عربة تجرها ممرضة بين دموع فوستين التى يشير عليها الأطباء بأن تودعها أحزانها إشفاقاً على صحتها ، وأن تنطلق إلى الحياة وتعب من معينها الصافى لا من هذا الكدر الذى يصوح جمالها ويذوى جسدها !

وينقضى شهران يجتر فيهما بلينفى الألم ، ويبكى فيها سعادته الغاربة إذ يتأمل حاله ؛ ولكنه يذكر رجلا مقعدا يدعى « كونت دوجنريلاك » يبدو، أبدا ضاحك السن.مرح الفؤاد .. ولكنه سرعان ما يلمس الفارق بينه وبينه ؛ إن الكونت رجل أعزب.. أما هو فقد دلف إلى حياة الحب وربط إلى عجلته..فوستين!.

ويقع بلينفى فريسة لحلم يثبته هكذا فى يومياته :

« وقع لى هذه الليلة كابوس مخيف كان مسرحه حديقتنا فى (بوزبليب) . . ورحت فى الحلم أنتحب كطفل . . لم تكن الأشجار إلا هيا كل عظمية شائهة تحكى فروعها الجرداء المشانق ! وكانت ثمة وردة وحيدة - لست أدرى بأية معجزة تفادت الكارثة - كانت تخفق بلطف متلألئة . . نصف متفتحة كأنها شفتان تتأهبان لتلقى حلاوة القبلة الأولى !

. . وكان لها شذا فوستين !

وراح ضوءها ينتشر تدريجاً على بقعة الخراب . . مهددة من أثر هذا الحزن ؛ وكلما شرعت أستروح عطرها السحرى . . وهممت بأن أقتطفها وأحلها بعيداً عن هذا اليباب .. شعرت بالوردة المعبودة تمد جذورها تشبثاً بالأرض . إذ ذاك دلف إلى الحديقة فتى غض الإهاب ، رشيق القوام ، متين البنيان حلو السمات .. واجتاز الممشى وعيناه عالقتان بالزهرة ، ويداه ممدودتان كما لو كانتا تسميان إلى يدى حبيبة! .. وتفتحت الزهرة عن كمامها ، وتلألأت ، وخفقت على ساقها الواهن . . وقد نفثت عطرا نفاذا أصابنى منه دوار !

وأردت أن أقبض على الدخيل وأن أسد عليه الطريق وأرده عن أن يدنس متاعى وأن يسرق ملكى . . كنزى !

. . وبذلت مجهودا فوق طاقة البشر لأزيح عن ساقى هذه الصخرة التى أثقلتهما . . وطلبت الغوث ، وضرعت إلى الله وتوعدت . . وسببت . . ودعوت غريمى للقتال واستشطت غضبا ، وقلقا . . ولكنه وقد أصم أذنيه عن ضراعاتى . . مستخفا بإهانتى ، مضى قدما إلى هدفه كأنه مسوق بقوة سحرية ! وإذ بلغ الوردة جثا أمامها وهمس بصوت خفيض : فوستين ! إذ ذاك رأيت الوردة العجيبة ، الوردة الوحيدة تميل على راحة الفتى وتهوى متناثرة الأوراق بين أنامله ! وسرعان ما ضرب فوق ومن حولى نطاق غامض من الظلمات وثارت فى وجهى عاصفة من الرمال ، وأعقب ذلك سكون الأبد . . والعدم .

* * *

وهذه نازلة أخرى تنزل ببلينفى : إن السيد فيليب سترادون الذى عهد إليه بكل ثروته . . بدد الثروة وأصبح بلينفى وكل مايملكه بعض أراض فى « بيريجور » وفندق فى « نوبلى » . . ويلج الألم بالفتى إذ يذكر أنه عاجز عن العمل والكفاح . . فلو أنه سليم معافى لشق طريقه فى الحياة ، ولمضى إلى الأرجنتين أو إلى كندا ... وحسبه فوستين سنداً ومعيناً ... فوستين ... كيف يمكن أن تألف فوستين حياة الفقر والفاقة ؟

* * *

ويعوده الدكتور « دينيز موريان » فيسأله بلينفى أن يحدثه بصراحة عن مرضه فيقول له :

— إنك مصاب بمرض من أخطر الأمراض ... مرض لم يأت ذكره فى كتاب ... ولم يعرف بعد فى مستشفى ... لا فى أوربا ولا فى آسيا ... ومن شأن هذا المرض أن يحيل الأنسجة العضلية تدريجاً إلى عظام ، وهو يفضى حتما إلى الموت

— الموت ؟ بعد أجل قصير أو طويل ؟

— إنى أجهل ذلك

ولكن الدكتور دينيز موريال الذى تطمح نفسه إلى

ا كتشاف سر هذا المرض الجديد لا يتصرف من عنده قبل أن يظفر منه باتفاق يضع فيه بلينفى جسده تحت تصرفه فى مقابل أن ينقده الدكتور ديفيز مبلغ ٥٠٫٠٠٠ فرنك سنويا إلى حين وفاته !

ويتأمل بلينفى فوستين فيبهره تغيرها المفاجئ ... ويثبت فى مذ كراته حديث نفسه فيقول :

ـ كم تبدو فوستين سعيدة ! وكم تتحامى لقائى وتهمل شأنى ... إننى لا أقوى على أن أصمد النظر إلى عينيها !

لقد دفعتها إلى السرور وإلى الحياة ... مستعيناً فى ذلك بإرادتى وقوتى ورقتى !

وحملتها العاصفة

فبالى شهر مضى كان عهدى بها تقص على ما عملته وماعلمته، أما الآن فقد غدت كلماتها عابرة مفتعلة حتى لتثلج القلب . إنها أصبحت تنهى حديثها على وجه السرعة ... ولاتقول لى إلا ماتريد أن تقوله حسب !

إن فكرها شارد فى مكان آخر

ويشتد به اليأس فيقول :

« إنى لأتصور القوم الآن وهم يعتبرونها أرملة ... وأنهم لم يعودوا بعد يحدثونها عنى ... كأننى عدمت النفس ... وفارقت الحياة . من الذى تحبه ؟ من سلبنى قلبها ؟ وأى شؤم طالعنى به وجه هذا الحلم ؟ أو ما كان ينبغى أن تكون أفضل من سولها، وأن تضع فى اعتبارها أننى أحبها إلى حد الهوس والجنون ... وأننى عاجز عن حماية نفسى بينما أن غريمى فى حبها سالم من مثل النكبة التى حلت بى ... وأن تكون فوستين من رقة القلب وشفافية الشعور بحيث تدعنى أموت فى سلام »

. . ولكن حياة بلينفى لم تعرف السلام فكذلك ينبغى أن يكون مماته .

إنه يأمر الخادم بأن يذهب به إلى غرفة زوجه . . وثمة يجد رسالة لم تفرغ بعد فوستين من كتابتها إلى عشيقها

وتترافص أمام عينيه هذه الكلمات :

. . إنك لتسبب لى يا عزيزى ألما لا ينفض عندما تتسخط هكذا ظلما على القدر ، أو لم تظفر بكامل حبى ؟ . ما قيمة بضعة أشهر من الانتظار بالقياس إلى حبيبين قطعا على نفسيهما العهد بأن يكون أحدهما للآخر . . ولا تزال أمامهما سنوات . . وسنوات . . من السعادة ، .

أم تراك تمد توددك إلى — هذا التودد الذى أسرنى — وقتا مضيما ؟ .

. . ويتحامل بلينفى التمس على نفسه ويخط هذه الكلمات فى أسفل الرسالة :

« وداعا يا فوستين . . وإنى لأصفح عنك . . ما دامت أوفر سعادة معه . »

إن يمينه كانت لا تزال قوية على استعمال النصل الذى أهدته إليه فوستين . . وهكذا سقط على الأرض مضرجا بدمائه، متأثرا بغدر المرأة التى طالما زعمت له أنها « إنما تعيش من أجله وأنها « لن تمنح نفسها بعده لأحد غير الله ! »

كمال رستم



مطبعة الرسالة



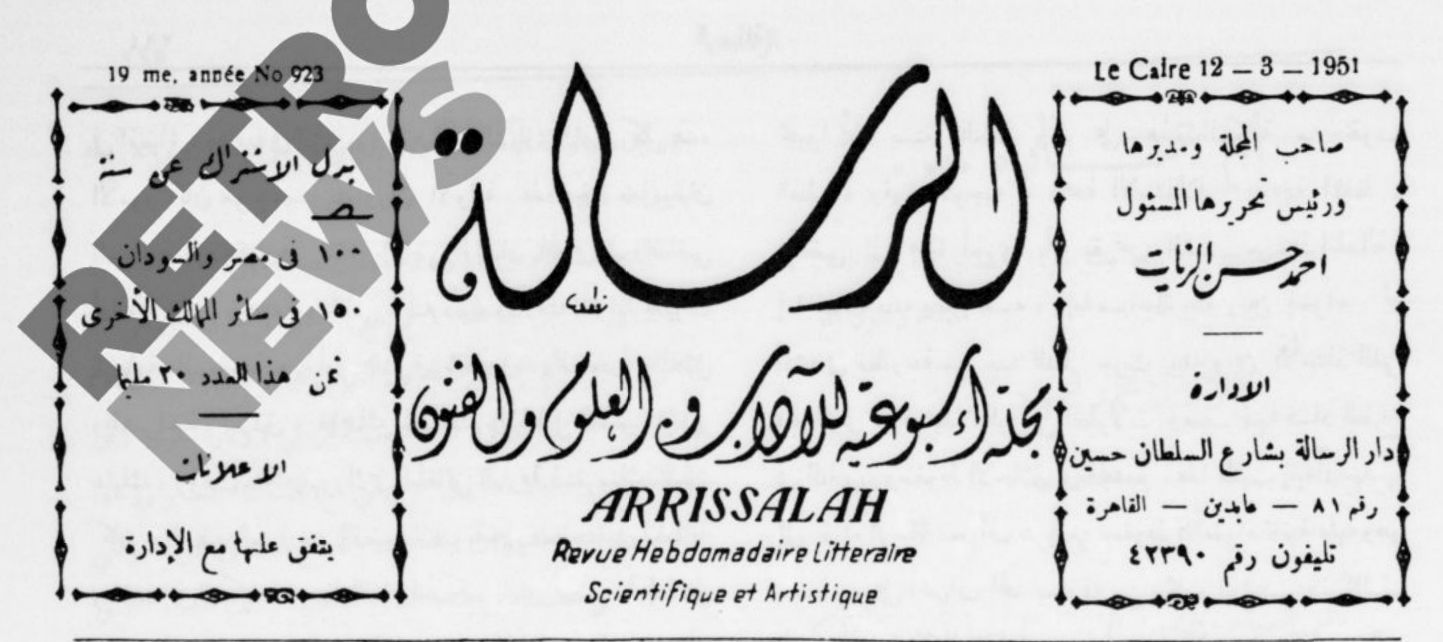
العدد ٩٢٣ — ١٢ مارس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





العدد ٩٢٣ « القاهرة فى يوم الاثنين أول جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠ — ١٢ مارس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

عبد العزيز فهمى باشا

حم قضاء الله ومضى الرجل العظيم مستقبلاً وجه الخلود !

والرجولة والعظمة صفتان تجمعان ما أوتى عبد العزيز فهمى باشا من مناقب مصدرها خلقه ، ومواهب مظهرها عمله . كان رجلا بالمعنى الرفيع الذى يفهمه المهذب من لفظ الرجل ، وكان عظيما بالمعنى الجميع الذى يدركه المثقف من كلمة العظيم . ولو ذهبت تحلل حياة أول القضاة فى سجل القضاء ، وثانى الزعماء فى سجل السياسة إلى عواملها الأولية ، لوجدتها فى الخلال الصدق والصراحة والإباء والشجاعة وهذه هى الرجولة ، وفى الأعمال العمق والشمول والاتقان والتفرد وهذه هى العظمة . وفقد رجل كهذا الرجل حياته تاريخ ، وعمله رسالة ، وخلقه قدوة ، وكفايته ثروة ، خسارة إنسانية لا خسارة قومية ، ومصاب أمة لا مصاب أسرة ، وفجيعة منفعة لا فجيعة عاطفة . فإذا جزع الشعب لموته هذا الجزع فإنما يجزع لركن هوى لا لغصن ذوى ، ولهاد مضى لا لصديق قضى . والجزع على العظماء لا يكون بالعبرات التى تطفئ ، وإنما يكون بالحسرات التى تحرق . والخطب الذى يبكى العيون ، أهون من الخطب الذى يدمى القلوب . ومن يقف أمام الحصن الذى ينسف ، أو الكنز الذى يخسف ، يجد فى نفسه الروع الذى يذهل ، لا الحزن الذى يهول

كان عبد العزيز فهمى جزءاً ضخماً من ثروة مصر العلمية . وهذه الثروة لا تزال من حيث الكيف ضئيلة . فإن العباقرة الذين هيأتهم إلى العلم الصحيح طبائعهم الحرة وملكاتهم الأصيلة لا يزالون بيننا آحاداً . وقلّ من هؤلاء الآحاد من جمع إلى العلم سمو العالم ونزاهة المصلح كما جمعهما الفقيد . واجتماع هذه المزايا فيه لا يعلله معلل من نشأته وبيئته ودراسته . فإن هذه العوامل نفسها أو شبهها أثرت فى غيره من أهل جيله ، ولكن مصر لم تظفر من بينهم بمثيله . هنالك أمر قد يكون مفتاح السر وطريق المجهول : ذلك أنه تلقى دراسته الأولى فى الأزهر كما تلقاها فيه محمد عبده وسعد زغلول وإبراهيم الهلباوى . وهؤلاء جميعاً قد تشابهوا فى قوة الشخصية ونفوذ العقلية ؛ فدرسوا الفقه بعمق ، وعالجوا البيان بحذق ، وزاولوا المحاماة ببراعة ، وتولوا القضاء بجدارة ، ومارسوا السياسة بخبرة . ولكنه انفرد من دونهم جميعاً بخصائص خلقية جعلت ذلك التشابه تغايراً فى بعض نواحى الرجولة . كان رحمه الله لا ينافق ولا يمالق ، ولا يداهى ولا يداجى ، ولا يدلس ولا يلبس ، ولا يقول إلا ما يصح فى معتقده ، ولا يعتقد إلا ما يصح فى رأيه . وهذه الصفات قد تجعل المصلح عظيما ، ولكنها لا تجعله زعيما . وأريد بالزعامة هنا زعامة العامة لا زعامة الخاصة ، فقد كان الفقيد زعيما فى المحاماة ، وزعيما

فى القضاء ، وزعيما فى التشريع ، وزعيما فى الشورى ؛ وفى كل هذه الأمور كان هو وسعد يتعاوران الأولية فلما دخلا معا ميدان السياسة ، دخلها هو بعقل القاضى ولسان المحامى . والقاضى أداته قانونه ونزاهته ، والمحامى آلته دليله وبلاغته . وإذا تجهزت للزعامة السياسية فى أمم الشرق بالقانون والضمير والمنطق والصراحة والصدق ، هاجك خصمك بالأباطيل الناشية فيظهر عليك ، ووقف منك جمهورك على الحقائق العارية فينفر منك . لذلك كان حظ عبد العزيز من القضية المصرية على فصاحته فى الخطابة وبلاغته فى الكتابة ، حظ القائد الحكيم الذى توضع الخطط على رسمه ، لا حظ القائد الزعيم الذى تتوج (الأوامر) باسمه . وظل طول عمره السياسى راضيا بهذا الحظ حتى عجز آخر الأمر عن التوفيق بين هواه والمادة ، وبين خلقه والسياسة ، وبين ضميره والحكم ، فارتد إلى القضاء وقد آتاه الله فيه الحكمة وفصل الخطاب ، فوضع المبادئ ، وقرر الأحكام ، وأضاف إلى الفقه المصرى مادة ضخمة من علمه وحكمه زادت فى ثروته ورفعت من قيمته

ثم اختير بعد اعتزاله القضاء عضواً فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، فأخلى ذرعه للنظر فى علوم اللغة والأدب بعين الفقيه المجتهد والأديب الناقد ، حتى بلغ منها مبلغ الأعلام الذين وقفوا على تحصيلها العمر والجهد . وتقدم إلى المجمع بمشروع اقتباس الحروف اللاتينية للكتابة العربية ، مقرونا بالأسباب ، معززا بالمزايا ، مؤيدا بالأسانيد ثم أعقبه بكتاب ألفه فى الرد على معارضيه ومنتقديه ، جمع إلى بلاغة الأسلوب قوة العرض ومتانة الحجة ، فكان آية على سمو طبقته فى الكتابة وبعد غايته فى الأدب . فلما أقعدته العلة رضوان الله عليه كانت غرفة مرضه ملتقى أقطاب الفقه والأدب والسياسة ، يستفيدون من علمه ، ويستزيدون من أدبه ، ويستضيئون بفكره ؛ وهو فى كل ما يعرض عليه أو يتعرض له طلق البديهة ، محكم الرأى ، جيد الاستنباط ، حاضر الدليل .

كنت فيمن يزورونه الحين بعد الحين ، فكان فى كل زورة يكشف لى غير عامد عن سر من أسرار عبقريته . دفع إلى مرة بضع مقالات فى نقد شرح وضعه استاذان جليلان لكتاب البخلاء ، وشرط على أن أنشره غفلا من الإمضاء . فلما ظهر النقد فى الرسالة كان حديث الأندية ومثار الظنون ، لأن الناس عجبوا أن يستتر الناقد وهو على هذه المكانة من نقوب النظر ، وقوة التوجيه ، وصحة الاستدلال ، وعفة اللفظ . وأفضى إلى مرة أخرى بأنه يقرض الشعر منذ الحداثة ، إما مناقلة بينه وبين نفسه ؛ وإما مساجلة بينه وبين إخوانه . ثم أنشدنى مطارحة من جيد النظم جرت بينه وبين الأستاذ الفتى الجزائرى ، وقصيدة دالية من المطولات وصف فيها فساد الطباع فى الناس ، وسقوط الأخلاق فى المجتمع . فلما طلبت إليه أن يهديها إلى قراء الرسالة سوّف هربا من سقوط الأضواء ثانية عليه وهو مضطجع على أعراف المجد يسترفه من مكاره الواجب وتكاليف النبوغ . وما زال الناس يرددون هذه الأرجوزة القصيرة التى نظمها وكتبها على قبر زوجته وقد نعم بالعيش معها سنة واحدة ثم توفاها الله بحمى النفاس فلم يتصل بامرأة بعدها حتى لقيها :

يا وردة عاشت حياة الورد عمراً قصيراً وثوت فى اللحد
لولا برىء غافل فى المهد يرضيك أن أحيا ليحيا بعدى
لعجّلت بى زفرات الوجد

أما بعد فماذا ينشر الكاتب الموجز وماذا يطوى من حياة أقل مفاخرها موضوع كتاب ، وجلة مآثرها تاريخ عصر ؟ رحم الله المحامى المدره ، والقاضى المجتهد ، والوزير النزيه ، والدستورى الحر ، والفقيه الحجة ، والخطيب المفوه ، والكاتب البليغ ، والشاعر المجيد ، والناقد البصير ، والأديب المطلع ، والممنا على فقده جميل الصبر ، وعوضنا من بعده خير العوض !

احمد حسن الزيات

أم عمـــارة . . .

« ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة ؟ ! »

محمد رسول الله

للأستاذ محمد محمود زيتون

(٢)

طلع الصباح ، فاتجهت الأنظار إلى جبل أحد ، كأنما كانت الشمس هي الأخرى تشير إليه بأشعتها الحامية ، وها هي أم عمارة تدلف في همة ونشـاط ، ومعها سقاء فيه ماء لتسقى الجرحى ، ولما احتدم الضراب ، أخذ الناس يولون ، ولـكن أم عمارة كانت ممن ثبت مع النبي ، ومعها زوجها وأختها وولداها حبيب وعبد الله ، كلهم يتلقى النبال وهي تتهاوى كالبروق على رسول الله ، فلا يخلص منها إليه شيء

هـذه أم عمارة بقامتها المديدة ، والمصائب في حقويها ، وسقاء الماء بين قدميها ، والقوس بين يديها ، ومسلمة يصوب إليها سهماً يصيب يدها ، فينزف الدم ، ويتلفت النبي إلى عبدالله ابن زيد ويقول : أمك أمك !

ولـكنها تمضى إلى الـكنانة المنثورة أمامها فترمى سهماً بعد سهم غير عابئة بجرحها هذا ، ويعينها ابنها على قتل عدوالله مسلمة، وينسى عبد الله جرحه الذى لا يرقأ دمه ، وبحسبه أن قد ظفره الله بعدوه ، وعدو دينه ، ورد كيده في نحره لم يخلص أذاه إلى نبي الله ، ويظل عبدالله يتلقى السهام ، فيراه النبي ، والنزيف منه لا ينقطع فيقول له : اعصب جرحك يا عبد الله

وبلغ الإعياء من عبدالله مبلغاً عجيبا ، فقد غلبه جرحه حتى برك كالجمل ، وعمدت إليه أمه ، ونزعت من حقويها عصابة ، وضمدت جرحه ، وأخذت بذراعه وهي تقول : انهض بني فضارب القوم

وتتلفت يمنة ويسرة ، وعلى ملامح وجهها لهفة إلى ترس تتخذها هدفاً لنبال العدو دفاعاً عن رسول الله ، والناس ينفضون منهزمين يولون الأدبار ، وإذا رجل في الراجعين وترسه معه فيقول له النبي :

يا صاحب الترس ، ألق ترسك إلى من يقاتل

ويلقى الرجل ما معه ، ويمضى وهو لا يلوى على شيء ، فتنفرج أسارير أم عمارة إذ تتناول الترس تحمى بها وجه رسول الله ، وتظل تارة تترس دونه وتارة تعصب الجرحى ، وتارة أخرى ترمى عن القوس ، نبلا بعد نبل ، وهي مع ذلك كله تستفز زوجها وأختها وولديها للنهوض والقتال ، وتفرغ الماء في أفواه جرحى المسلمين ، ويعجب النبي لهذه القدرة العجيبة وذلك المضاء الفائق بينما سائر الجيش يلوذون بالفرار ، فينظر إلى أم عمارة فيقول لها :

ومن يطيق ماتطيقين يا أم عمارة ؟

وفجأة يلمح النبي رجلا في القوم ضرب عبد الله ، ثم انفتل كالأفعوان إلى وكره الخبيث فيشير إليه النبي ويقول لأم عمارة : هذا ضارب ابنك ، فتعاجله أم عمارة بضربة في ساقه ، فيبرك حيث هو كالخيمة انقض عليها صاعق من السماء السابعة ، ويتلوى على نفسه وله جعير كأنه الجمل الذبيح ، ويبتسم النبي ويقول : استقدت يا أم عمارة . وبعينها طلحة على عدوها فيعلوه بسيفه حتى يجهز عليه

ولم تـكد أم عمـارة ترى الرجل قتيلا حتى رجعت إلى وراء كأنما تبدى لرسول الله أسفها أن سبقها طلحة إلى غريمها ، فلم يجعل الله مصرعه على يديها ، ولـكن النبي الـكريم يبادرهـا بقوله مشجعاً :

الحمد لله الذى ظفرك ، وأقر عينك من عدوك ، وأراك ثأرك بعينك . فيستريح بالها ، وتطمئن نفسها ، وتهدأ ثورتها ، ولـكن النبي يلمح جرحاً بعاتقها وهي لا تشعر به فينظر إلى حبيب بن زيد ويقول له : أمك أمك ، اعصب جرحها ، بارك الله عليكم من أهل بيت ، رحمكم الله أهل البيت

وأسرع حبيب إلى نزع عصابة من عصائب أمه ، فضمد جراحها ، وحبس نزفها ، وعلى فم أم عمارة بسمة كأنها البطل الظافر والضرغام الـكاسر ، لولا أنها حوراء قد هبطت من الجنة ترفل في هـالة من القـدس المنير ، فتقول للنبي الـكريم تبتغى رضوان ربها :

٣٦٠٢٢

يا رسول الله ، أدع الله أن نرافقك فى الجنة

فيرفع النبى يديه إلى السماء ويقول : اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة .

وما هى إلا دمعتان أصفى من ماء المزنة تنحدران فى رفق وحنان على خديها ، وتقول فى رضى وإيمان : والله ما أبالى ما أصابنى من الدنيا بعد ذلك

وخفت الوطأة ، وانقشع الغبار ، فمضى على وسعد برسول الله إلى المدينة ، حيث أخذت فاطمة الزهراء تغسل الدم عن وجه أبيها ، فما إن هدأ حتى نظر إلى من حوله ، وقال كأنما يشاركهم الحديث عن أم عمارة وما أحسنت من بلاء غداة أحد :

ما التفت يميناً ولا شمالا يوم أحد إلا رأيتها تقاتل دونى .

وتناقل الناس أخبار أحد ، وسار ذكر أم عمارة فى الركبان ، ولا ينفض سامر للرجال إلا عن أم عمارة ، ولا ينعقد مجلس للنساء إلا بأم عمارة ؛ دخلت عليها خباءها أم سعد بنت سعد بن الربيع الرجل الأنصارى الكريم الذى طابت نفسه لأخيه المهاجر عبد الرحمن بن عوف عن نصف ماله ؛ وإحدى زوجتيه ، ولم تكد أم سعد تلج الباب حتى تنسمت عطراً يفوح من أرجاء البيت ، وإذا بالبهاء يأخذ عليها جوانب نفسها ، ولم لا ؛ وقد وقفت أم عمارة تصلى فى المحراب ، وتتلو القرآن فى هدأة نفس ، ورقة قلب ، وعبرة عين ، ومقاطع الآيات تكاد تشق صخور الجبال الرواسى . وألفت أم سعد نفسها وقد جمدت فى مكانها ، وألقت السمع والبصر والفؤاد جميعاً إلى أم عمارة وهى تتلو :

« ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ، حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ؛ ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا الله عنكم ؛ والله ذو فضل على المؤمنين » . الله أكبر

وتركع وتسجد ثم تنهض إلى الثانية ؛ فتستفتح بأم الكتاب ثم تتلو :

« إذ تصعدون ولا تلوون على أحد ؛ والرسول يدعوكم فى أخراكم ؛ فأثابكم غماً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ، والله خبير بما تعملون ، ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم .. » الله أكبر

ولما فرغت أم عمارة من صلاتها ، تقدمت إليها أم سعد بالتحية المشرقة ، فلقيتها بوجه يتهلل بالبشر والرضى ، فبادرتها أم سعد تقول : يا خالة أخبرينى خبرك . فقالت أم عمارة : خرجت أول النهار من يوم أحد ، وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء أسقى به الجرحى ، فانتهيت إلى رسول الله ، وهو فى أصحابه والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله فقمت أباشر القتال ، وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح إلى

ورأت أم سعد على عاتق أم عمارة جرحاً أجوف له غور يلفت النظر فقالت : من أصابك بهذا يا خالة ؟ قالت : ابن قمئة أقماه الله ، لما ولى الناس عن رسول الله أقبل يقول : دلونى على محمد فلا نجوت إن نجا . فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله ، فضربنى هذه الضربة ، فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كانت عليه درعان

فقالت أم سعد : سمعتهم يقولون إن رسول الله دعا أن تكونوا رفقاءه فى الجنة؟ فقالت أم عمارة وقد انداحت الإشراقة على محياها : والله ما أبالى ما أصابنى من الدنيا بعد ذلك !

وانقضت على النبى ثلاث سنوات بعد أحد ، والأحداث شاهدة بانتصار الحق وانتشار الدعوة ، وطالت غيبة المهاجرين عن الأهل والوطن ، واهتزت الجوانح شوقاً إلى بيت الله الحرام ، وقد وقفت قريش تصد المؤمنين عن الحج ، بينما يباح ذلك لأوباش الناس

ونزل النبى تحت شجرة بالوادى ، وأخذ البيعة من المسلمين فكانت بيعة الرضوان ، وفتح الله عليهم فتحاً مبيناً ، وامتلأت القلوب إيماناً بدخول مكة . . وكان لابد أن تشهد أم عمارة هذه البيعة لتظفر بأجر المجاهدة ، وتحظى بشرف الرضى عند الله

ولما لحق رسول الله بالرفيق الأعلى ، وولى أمر المسلمين خليفته الأمين أبو بكر الصديق ، اندلعت ألسنة النفاق من جحور الفتنة ، ونجمت قرون الردة من رءوس المتنبئين ، وما كان من خليفة محمد إلا أن يقاتل هؤلاء حتى يشهدوا ألا إله إلا الله فيعصموا بذلك دماءهم منه

هنالك ابتلى المؤمنون ، فكانما بعث المذبون فى الله بعثا

آخر ، ولقوا ما كان يلقاه خباب بن الأرت ، وبلال بن رباح ، وعمار بن ياسر ، وزنيرة ، وظن الكافرون أن الناس لا بد منطلقون من عقال محمد وقد مات ، وحسبوا أن هذا الدين الذى جاءهم إنما هو غاشية أصابتهم ، فهم من بعد موته مفيقون ، وانقلبت فى رءوسهم موازين التفكير ، فراحوا يستبدون عليهم مدركين مجدا لأنفسهم ، إن لم يكن كمجد محمد ، فلا أقل من أن يمحو كل أثر له حتى تعود الأصنام والأوثان مكانتها ، ولأساطين الجاهلية سلطانهم

وكان مسيلمة الكذاب من هؤلاء الذين سول لهم الشيطان أعمالهم ، فأضلهم وأفسد بالهم ، ولم يعد يرى إلا مسلكا واحدا هو « الطغيان » عقد سياطه إلى المستضعفين ، فينالهم من التعذيب ما يدفعهم إلى الخروج من دين محمد ، ويقهرهم على الشهادة بأن مسيلمة رسول الله ، وأنه السيد المطاع ، وأنه الآمر الناهى ، وأنه مالك الرقاب ، وقابض الأرواح

وأخذ مسيلمة حبيب بن زيد فيمن أخذ . وظل يفتله فى الذروة والغارب ليفتنه عن دينه ، فلم يظفر منه بما كان ينتظر ، ولما لم تنفع معه وسائل الإغراء ، عمد إلى الأغلال فصفده بها ، والطعام والشراب فحرمه منهما ، والحديد والنار فصبهما عليه ، وجعل يقول :

— أتشهد أن محمدا رسول الله ؟

— نعم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم

— أتشهد أنى رسول الله ؟

— لا أسمع

ضاق مسيلمة ذرعا بهذا الفتى العنيد حبيب بن زيد ، وأخذ يستعدى عليه زبانيته من الغلاظ الشداد ، فلم تفلح لهم حيلة ، وازداد الكذاب غيظا وحنقا ، واستبدت به شهوة الجبروت ، ونزوة الطغيان ، ورأى بثاقب فكره أن قطع العقدة أيسر من حلها ، وأن لا سبيل إلى الراحة إلا بإخماد هذا الضمير العربيد بين حناياه ، ودارت الفكرة ، ودارمها حتى طلع عليه الصباح ، فاندفع كالثور الأسود ، وفى عينيه شرار ولهيب ، وعلى صفحة خده عروق توشك أن تجحظ بكل ما يعتمل به صدره ويغلى به مرجل حقده

وتسلل من خلف حبيب ، فاستمع إلى صوته المتهدج ، وأنفاسه المترامية إلى أطراف الحياة لا تزال تردد فى هبوط : الله أكبر . . . ولم يكتم مسيلمة نار الضغينة فى نفسه ، فاستل سكينا ، وجعل يقطع فريسته عضوا عضوا ، يقطع باليمين ويرمى بالشمال ، والدماء تنبثق كالنوافير فى عينيه ، كأنها تدفق من قدر على النار ، ومسيلمة كالجزار لا يبالى ما يصنع ، والأشلاء فى يسراه ترعش كأنما تصب عليه اللعنات ، فلا يطيق صبرا عليها ، فينحيها عنه بأقصى ما يستطيع من قوة ، ولم يزل به حتى خفتت أنفاسه وهى تمتد إلى وادى الخلود

واستراح مسيلمة منذ انقطعت كلمات حبيب بعد أن قال آخر ما قال : الله ربى . وما كان للطاغية أن يدع هذه الأشلاء ، وتلك الدماء هكذا ، فقد واتته فكرة طارئة اهتز لها اهتزازا عنيفا وهو فى نشوة النصر المنحوس ، تلك هى أن يشق صدر حبيب ويستخرج قلبه ، ويرفعه بزق رمحه ، ويحدجه بنظره فى عين الشمس ، ليميت بهذا القلب الذى امتلكه محمد ، ولينبش السر الذى كمن فيه الإيمان ، وأخيرا ليقول للشمس :

اشهدى ، فقد أهلكت بيدى ما أراد محمد أن يهلك به سلطانى . وقالت له الشمس : لا أسمع ، فدخل فى روع مسيلمة أنه صوت حبيب ، فهاله أن رآه وقد مات بين يديه ، وصوته مازال يتردد مع أشعة الشمس ، وإذا بهذه الأشعة كأنها رشاش الدم ينصب فى وجهه فما يطيق دفعه ، ولا يستطيع أن يتفاداه

ألقى مسيلمة السكين من يده ، فى هدوء جمع بين النصر والهزيمة ، وكأنما صحا من حلم يداعب خياله فى نأمة الليل البهيم ، فما هو إلا أن غشيته كتائب الإيمان تسيل بها « اليمامة » وتنقض على مسيلمة كأنها موت الفجاءة ، وإذا بأم عمارة كأنها بمفردها كتيبة خرساء ، درعها سابغة ، وخوذتها شاملة ، وكنانتها فى منكبها ، وسهامها منتضاة ، وحرابها مختصرة

وشمرت الحرب عن ساقها ، وشرعت أم عمارة وبين يديها ابنها عبد الله تتفحص مسيلمة فى عصابته فإذا بالفاجر المعمر يحوطه عبيده من كل جانب ، فأشارت إلى ابنها ، فرماه رمية استقرت فى نحره ، فانتفض عنه كل من كان حوله ، وقام آخر وأجهز عليه بسيفه ، وخلفه ملحمة للجوارح والكواسر

أدب الشتاء

للأستاذ محمد سيد كيلانى

حسبك أن تندس فى اللحاف وخشية البرد على الأطراف
« ابن وكيع التنيسى »

— ٢ —

يرغم الناس فى فصل الشتاء على الدخول فى حرب مع الطبيعة فنهم الفقير الضعيف الذى لا يطيق بلاء هذه الحرب ، فيشكو ويتألم ، ويسخط ويتبرم ، حتى يتمنى لو فتحت له أبواب جهنم ليدخل فيها هربا من شدة البرد وقسوته ، قال أحد الشعراء :

أيارب هذا البرد أصبح كالحا وأنت بصير عالم ما تعلم
لئن كنت يوما فى جهنم مدخلى ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

لقد كاد الشاعر يتجمد من شدة البرد ، وأنساه هذا الهول ما يمكن أن يلاقيه من عذاب النار . فتضرع إلى الله أن يعجل بإدخاله جهنم ، فهى عنده مكان صالح لأن يعيش فيه بعيداً من بطش البرد الذى كاد يفتك به

وهذا شاعر آخر يتمنى لو مات واستراح من عناء الشتاء وآلام البرد . قال :

فليت هذا الشتاء الصعب مذ وقعت عينى عليه افترقنا فرقة الأبد
برد لو ان الورى جاءت تبايعنى على الخلافة لم أقدر أمد يدى

وفى هذا من المبالغة ما فيه . فالشاعر مع شدة فقره وعظيم

لو أن أم عمارة كانت تقاتل مسيلمة انتقاما منه لقتله ابنها حبيب لهان الأمر ، ولكنها والله إنما جاءت لتقاتل فى سبيل الله ولتكون كلمة الله هى العليا .

لهذا فهى تضاوب القوم ، وهذا شاب مغامر قد انفتل من شرذمة الباطل ، وامتدت يده بالسيف إلى أم عمارة ، يريد أن يزيل هامتها فأخلفته فما هو إلا أن طارت يدها فى الهواء ، والجراح موزعة فى أجزاء جسمها ، والدماء تنزف منها على غير هدى ، وإذا بها ترى ابنها يمسح سيفه بثيابه ، ونظراته تشير إلى مصرع عدو الله مسيلمة ، فانشق الدم المدرار عن بسمة من ثغرها ، وسجدت لله الذى جعل مصرع ذاك الخبيث على يد ابنها ، حتى انطوت فى لحظة واحدة مائة وخمسون سنة قضاها مسيلمة يحارب الله ورسوله ويفتن المستضعفين ، ويعذب المؤمنين ، ويصد عن السبيل ، ويحسب أنه من المهتدين

وانطفأت فتنة الكذاب ، وأخذت الدعوة سبيلها إلى القلوب وامتدت إلى الأمصار ، وأم عمارة سيدة المجاهدات المسلمات ، لم تثنها ضربة يوم أحد عن خوض غمار حرب يوم اليمامة ، ولم يصرفها قتل ابنها حبيب عن دفع ابنها الوحيد عبد الله إلى الميدان ، وما كان الجرح الثائر فى عاتقها الذى لقيته من ابن قمئة ليصدها عن محاربة مسيلمة

استرخصت أم عمارة الحياة الدنيا فى سبيل الحياة الآخرة ، وأرادت العزة فوهبتها عزيز الروح ، وعاشت دهرا بعد أن تقطعت يدها يوم اليمامة ، ورجعت وفى جسمها اثنا عشر جرحا ما بين طعنة برمح ، وضربة بسيف ، وكأنها اثنا عشر نجما تتلألأ فى السماء ، فتنير ظلام البدن بشرف الروح

وجعل الناس يعودونها ومعهم مرضاهم لتستشفى لهم ، ويتلمسوا منها البركة ، فتمسح بيدها الشلاء على موضع العلة ، وتدعو ببعض كلمات كانت تسمعها من رسول الله ، فما من عاهة مسحت عليها بيدها إلا برئت بإذن الله

وصار كل من يرى أم عمارة لا يستطيع أن يخفى إعجابه من قلبها هذا الحديدى ، وقد امتلأ أمنا وإيمانا ، ولا أن يخفى عجبه من هذه الجراحات الموزعة فى ظاهر جسمها ، وكلما سأل سائل عن ذلك ، قالت :

« يوم اليمامة تقطعت يدى وأنا أريد قتل مسيلمة ، وما كان لى ناهية حتى رأيت الخبيث مقتولا ، وإذا بابنى عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت له : أقتلته ؟ قال : نعم . فسجدت لله شكرا »

وكان جديرا بأم عمارة أن تلقى التكريم من كل من جلس إليها ، وتأمل آثار جهادها ، ولكن ما كان أسعدها حين يردد الناس على سمعها قول النبى الكريم ، وما أصدقه وأبلغه وأحكمه : ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة !

محمد محمود زيتون

احتياجه إلى ما يدفع عنه غائلة الشتاء يقول لو أن الناس ذهبوا ليبايعوه بالخلافة لما استطاع من قسوة البرد أن يمد يده ويتقبل البيعة

وهذا شاعر آخر يصف ليلة من ليالى الشتاء فيقول

فنحن فيها ولم نخرس ذوو خرس
ونحن فيها ولم نفلج مفاليج

وحسبك هذا المنظر . قوم جمدوا فى أماكنهم من شدة البرد فكأنهم قد أصيبوا بالخرس والشلل فلا يستطيعون كلاما ولا حركة

وهكذا تنافس الشعراء فى اختراع الصور وابتكار المعانى التى تترجم عن مشاعرهم المختلفة ، وإحساساتهم المتباينة أمام هذا العدو الجبار وهو البرد

* * *

وفى الشتاء كما ذكرنا يكثر أدب الشكوى والسخط والتبرم بالفقر . وذلك لأن متاعب الفقر تظهر فى هذا الفصل ، فيشعر المعدمون بوطأة الحياة عليهم ، ويتألمون ويتضجرون ومثال ذلك قول أحدهم :

قيل ما أعددت للـ برد وقد جاء بشده
قلت دراعة عرى تحتها جبة رعده

وهذا شاعر متصوف يقول :

جاء الشتاء وليس عندى درهم وبمثل هذا قد يصاب المسلم
لبس العلوج خزوزها وفراءها وكأننى بفناء مكة محرم

وأكثر ما يظهر حسد الفقراء للأغنياء فى هذا الفصل الذى تعرف فيه قيمة الثراء حق المعرفة . وقد يمزجون الشكوى من الشتاء بالتهكم المر والسخرية اللاذعة والدعابة المؤلمة . ومثال ذلك قول أحدهم :

لى من الشمس حلة صفراء لا أبالى إذا أتانى الشتاء
ومن الزمهرير إن حدث الغيـ ـم ثيابى وطيلسانى الهواء
بيتى الأرض والسماء به سو ر مدار وسقف بيتى السماء
فكأن الإصباح عندى لما فيـ ـه حبيب رقيبه الإمساء

فانظر كيف صور الشاعر نفسه ، وكيف فرج عن آلامه المكبوتة بهذه الدعابات وكيف وصف ما يعانيه من العرى فى هذه الصورة الساخرة . فهو لا يحفل بالشتاء ولا يعبأ بالبرد . فإن طلعت الشمس اتخذ منها ثيابه ، وإن احتجبت استعاض عنها بالغيم والهواء والفضاء سكنه . فكأنه يعيش على مذهب العراة الذى نسمع به فى هذه الأيام

وانظر إلى أبى الحسين الجزار حين يقول :

لبست بيتى وقد زررت أبوابى على حتى غسلت اليوم أثوابى
وقد أزال الشتا ما كان من حنق دعنى فمستوقد الحمام أولى بى
ما كنت أعرف ما ضرب القارع أو قاسيت وقع الندى من فوق أحبابى

فالبيت الأول يكشف عن خفة الروح التى اشتهر بها هذا الشاعر . فهو لفقره وعدم توفر الملابس لديه اضطر إلى أن يتجرد من أثوابه ويحبس نفسه فى منزله حتى تغسل ملابسه وتجف . وقد عانى من ويلات البرد ما جعله يخنع ويستكين ويفضل أن يلقى بنفسه فى مستوقد الحمام لأن وطأة البرد عليه كانت أشبه بضرب المقارع

* * *

وبجانب هذا الأدب الذى يعبر عن الشكوى والسخط ، نجد أدبا آخر يصور حياة الأغنياء فى هذا الفصل وما فيها من ترف ونعيم . فهو عندهم فصل محبب إلى النفس ، إذ يقبلون فيه على الخمر والكباب والنساء ، والسماع والرقص . قال أحدهم :

نعم الشتاء وحبذا زمن الهنا والراحة
طاب العناق به إذا دار الحبيب براحتى

وقال الخوارزمى :

أعد الورى للبرد جندا من الصلا ولاقيته من بينهم بجنود
ثلاث من النيران : نار مدامة ونار صبابات ونار وقود

فهذا هو شعور الأغنياء نحو الشتاء . فهو عندهم فرصة للتمتع بالمشروب والمأكول والملبوس والملموس . وكانوا يسمون لوازم الشتاء « كافات » . وهى عندهم سبعة تضمنها قول الشاعر :

جاء الشتاء وعندى من حوائجه سبع إذا القطر عن أوطاننا حبسا

كن وكيس وكانون وكأس طلا

مع الكباب وكف ناعم وكسا

الكن أى المنزل والكيس كناية عن النقود . وكف ناعم كناية عن المرأة؛ والسيد هو الذى تتوفر لديه هذه النعم

وكثيراً ما شكا الفقراء من حرمانهم من تلك السكافات . قال أحدهم

جاء الشتاء وما السكافات حاضرة

وإنما حضرت منهن أبدال

قل وقر وقلب موجع وقلا

وقادر هاجر والقيل والقال

وقال آخر :

لا الكاف عندى ولا الكانون متقد

كنى ظلامى وكيسى قل ما فيه

دع الكباب وخل (الكف) وا أسفا

على كسا أتغطى فى دياجيه

فن هنا نرى أن الشتاء يوحى بنوعين من الأدب يناقض أحدهما الآخر؛ فالأول أدب الفقراء الذى يصور ما يلاقيه الفقير من البؤس والضيق والجوع والعرى . وإحساس الفقير بالحاجة إلى الغذاء والكساء فى فصل الشتاء أشد منه فى أى فصل آخر. وذلك لحاجة الجسم إلى طاقة معينة من الحرارة لا يحصل عليها إلا إذا توفرت لديه الملابس الصوفية والمواد الدهنية . وبغير ذلك يتعرض الناس للموت ولأمراض الشتاء المختلفة . لذلك كان هذا النوع من الأدب صادقا إلى أبعد حدود الصدق . أما النوع الآخر فهو الذى يصور حياة الأغنياء وما فيها من لهو ومجون وعبث وخلاعة وتفاخر بالأموال والثمرات . فليالى الشتاء عندهم مواسم وأعياد

* * *

وفى الشتاء تكثر البراغيث بين الطبقات الفقيرة . قال ابن وكيع التنيسى :

حتى إذا ما ملت للرقاد عت على فرش من القتاد

إن البراغيث عذاب مزعج لكل ما قلب وجلد تنضج

لا يستلذ جنبه المضاجعا كأنما أفرشته مباضعا

فانظر كيف صور الشاعر ليالى الفقراء فى هذا الفصل . فبينما هى فرصة طيبة للهو والخلاعة عند الأغنياء ، إذا هى جحيم لا يطاق عند الفقراء . برد شديد ، وبراغيث تطرد النوم عنهم فى غير رحمة فلا عجب إذا تبرم الفقراء بطول الليل وتضجروا . فى حين أن الأغنياء يجدونه — على طوله — قصيرا

وهذا شاعر آخر يزعم أن للبرغوث فوائد ومزايا . وقال :

لا تكره البرغوث إن اسمه بروغوث لك لو تدرى

فبره مص دم فاسد والغوث إيقاظك فى الفجر

وهذا من وحى الجهل نعوذ بالله من شره

* * *

وكان من الناس من يعجزعن تأدية فريضة الصلاة، وبخاصة صلاة الصبح ، وذلك لشدة البرد . قيل لأعرابى : أما تصلى فى الشتاء ؟ قال : البرد شديد ، وما على كسوة أصلى فيها . وأنشد :

إن يكسنى ربى قميصاوريطة أصلى وأعبده إلى آخرالدهر

وإن لم يكن إلا بقايا عباءة مخرقة مالى على البرد من صبر

فنى الشتاء تصعب الصلاة ويسهل الصيام . وهناك أحاديث رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى مدح الشتاء منها قوله عليه السلام : الشتاء ربيع المؤمن ، قصر نهاره فصامه ، وطال ليله فقامه

* * *

وكانوا لشدة البرد يكثرون من الذهاب إلى الحمامات العامة التى كانوا يسمونها « بيت النار » وقد وصفها الأدباء شعرا ونثرا وأتوا فى ذلك بالمعانى الطريفة والصور اللطيفة كما سنرى فى غير هذا المقال . وكان للأغنياء حماماتهم الخاصة ، يدعون إليها المقربين لديهم من الأدباء، ويقضون فيهاوقتاطويلامتجردين من برقع الحياء

***

وفى الليل يلتفون حول المواقد ، ويتناشدون الأشعار ، ويستمعون إلى القصص والحكايات والملح والنوادر ويتنافسون فى نظم المقطوعات التى تتناول وصف المواقد وما فيها من جمر

المقامة اللغوية

للأستاذ ابراهيم الأبياري

أمردود على حديث قومى   به سبقوا وما سطرت غيا

ألقاك أيها الوديد على موروث عى به واعيه ، وند عن باغيه؛ لا هو بالآحاد فيحد ، ولا بالمئـــات فيعد . أنت عنه صادف ، وفيه عازف

وقبلك بلونا الوارثين :

طوى الدهر عنهم ما أفادوا فأعدموا
حين راموا مرامك ، وقعدوا مقعدك

وغير هذا ما تمهد ؛ فالك اليد المبسوطة فى سرف ، ولاأنت بذيك ترف ؛ فترهبك النزر ، وتخشى المتربة مع العمر . وهل أنت إلا شحشاح ، من شحاح تأخذ النزر ، وتبقى الكثر . هـذا إلى مغيبات لم تفضض لها ختما ، ومكنونات لم تشهد لها وسما ، فما أولاك أن تردنى إلى قول القائل :

ألا حجحج فما بالرأى تدلى   ولا أنت الملوح بالصواب

ولو غير الثقة أحمل لك ، وأنشد دون إعزازك ، لتركتك فى هواك ، وأسلمتك إلى مغواك

وغاب عنك أنك والمسرف على حسرة ، فكلا كما مضياع ،

هو بما خرج عنه ، وأنت بما حرمت منه . غير أنه عز بما ذاق مع الإنفاق ، وأنت لهيف حسير على فوت ما شاق . وما أبعد ما بين الحسرتين

وتسألنى عما لك من نشب لا أحصيه ، ورزق ساقه الله إليك ولا تدريه ؛ فعرفتك بنفسك أن ليس لك سلف أتلدوا ، ولا خلف أطرفوا ؛ فما بالى أدينك فى غير دينة ؛ وأشينك دون مشينة

وفاتك أنك وارث القاموس بما طم ، ومالك المحيط وما ضم

وما هو إرث يا أمام قليل

وأخاف أن تهمنى أهازلك

وما الخيم إلا أن أقول فأصدقا

وتهتال، فى هذا المآل ؛ وتطالعنى عيناك بما يهجس فى صدرك وتوسوس به نفسك .

تريد بياناً أو مزيداً من الفهم

وأوجس أن أبلبلك ؛ فتزحم ربة البحار، تنازعها ما انتزعت منك ، فتهيج على أهلك هيجاء تذهب بالحرث والنسل

وغيرك — حماك الله — يغرى بالأنشاب ، يجد فيها جاهته وأنت نشبتك ما تحوى الدفاتر ، واعتزاؤك إلى ما تضم القماطر

هذا إرثك الذى ترث لا ورق فيه ولا نضار

وتجهمنى يا ابن إنس وبك غير الرضا عن نصيبك من الحياة أو يضارك أن أجملك من الوارثين ، وأن أسلكك فى زمرة المالكين . أليست لك من اللغة تلك الكلمات التى لا تحصى ، والأساليب التى لا تستقصى

أو لست وارثها ومالك شأنها

وإليك أمر بقائهـــا وفنائهـــا

وإن من ضب ضبك ، وحاز حوزك ، خليق أن يكون التراعاية الأمنة . وأراك من الجيل الجانح إلى ما خف ، المطيب مالان اللسان ، ينفر إن ذكرته بما لم يسمع ، ويأنف إن دربته بما لم يحفظ . وهو من اللغة فى أبيجاد ، يعيش منها على آحاد

ما أشبهك بالبخيل الذى فقد ماله بحبسه ، وخرج من دنياه إلى رمسه ، وهو لم يحسن إلى نفسه

ابراهيم الابيارى

أحمر يعلوه الرماد ، وما يتصاعد منها من لهب .

* * *

فإذا انتهى الشتاء وولى، وأقبل الربيع فرح الناس واستبشروا بانقشاع تلك الغمة وذهاب تلك الشدة . وفى برد العجوز التى هى نهاية الشتاء يقول أحدهم :

كسع الشتاء بسبعة غبر   بالصن والصنبر والوبر
وبآمر وأخيـــه مؤتمر   ومعلل وبمطفئ الجمر

« يتبع »   محمد سيد كيلانى

من حديث الشعر

للأستاذ كمال بسيونى

بعث بهذا الكتاب إلى أستاذ صديق من أساتذة الأدب فى جامعة فؤاد الأول ، وقد رأيت ألا بأس بإذاعته وإظهار الناس عليه فقد يكون فيه خير قليل أو كثير، وقد يكون فيه نفع ضئيل أو خطير. وأول ما يجب على الكاتب أن يؤثر الناس بالخير، ويختصهم بما يعتقد أن لهم فيه نفعا ، فإذا تفضلت « الرسالة » فأذنت فى نشره ، فلها منى شكر ملؤه المودة الصادقة .

كمال بسيونى

صديقى العزيز ...

لست أدرى ما اهتمامك بهذا الشعر المصرى الحديث ، تدرسه وتنقده وتؤرخ له ، إلا أن تكون قد أغرقت فى العلم والفلسفة حتى مللتهما ، فأردت أن ترفه عن نفسك بشئ من الجهل والسذاجة تجدهما فى شعر هؤلاء الشعراء . ولا تغضب ولا يغضب معك هؤلاء الشعراء ، فلم أرد إغضابك ولا إغضابهم ، وما كنت فى يوم من الأيام ، ولن أكون فى يوم من الأيام ، مريدا إلى إغضاب أحد أو متعمدا إسخاط أحد ، وإنما هو الحق الذى أخلص له الحديث إذا تحدثت ، والعلم الذى أتحرى فيه الصواب إذا بحثت ، وأنا مهما كنت حريصا على إرضائك شديد الكره لإسخاطك ، فأنا على إرضاء الحق أحرص ، وللعبث بالعلم أشد كرها ، وأنا من أجل ذلك آسف أشد الأسف حين أعلن إليك مضطرا أن هذا الشعر الذى يهز نفسك هزا ، ويختلب قلبك اختلابا ، لا يدل على شئ إلا على الجهل والسذاجة وما شئت من هذه الصفات التى تصور انحطاط الحياة العقلية . وماذا تريد أن أقول فى كلام لا يصور حقيقة من حقائق العلم ، ولا يشرح نظرية من نظريات الفلسفة ، ولا يعتمد على منهج من مناهج البحث، ولا يحب الدقة إذا أراد أن يحدد الأشياء ، بل لعل أبغض شئ إليه هو أن يسمى الأشياء بأسمائها . ستقول : وما للشعر ولهذا كله ؟ ومن قال إن الشعر يصور حقائق العلم أو يشرح نظريات الفلسفة أو يعتمد على مناهج البحث أو يحرص على تسمية الأشياء بأسمائها ؟ ولقد كنت تقول الشعر وتنشره فى « الثقافة » وفى غير « الثقافة » من المجلات الأدبية ، فهل كنت تقصد به إلى حقائق العلم ونظريات الفلسفة ، أم كنت تقصد به إلى الجمال الفنى فى نفسه ، لا تريد إلا أن تصف شعورا شعرت به ، أو إحساسا أحسسته ، أو خاطرا عرض لك ، فى لفظ يلائمه رقة ولينا وعذوبة ، أو روعة وعنفا وخشونة ؟ أكان شعرك يتناول حقائق العلم ونظريات الفلسفة ، أم كان شعرك يتناول الطبيعة وجمالها ، يتناول العاطفة وحرارتها ، يتناول الرضا والسخط ، يتناول الفرح والحزن ؟ لقد كنت شاعرا وتعرف أن الشعر فن كله ، يفسده العلم أو يكاد يفسده إن دخل فيه ، وكنت شاعرا وتعرف أن الشعر ليس هو الكلام الذى يعتمد فيه صاحبه على البحث والمقارنة واستنباط الحقائق، وإنما هو الكلام الذى يعتمد فيه صاحبه على الخيال ، ويقصد فيه إلى هذا الجمال الفنى الذى يختلب الألباب ويستلب القلوب . ستقول هذا وأكثر من هذا ، وأنا أحب أن أستمع منك إلى هذا الكلام وأمثال هذا الكلام ، لأن هذا الكلام نفسه لا يؤيدك فى شئ ، ولكنه يؤيدنى فى كل شئ ، ويثبت بما لا يدع مجالا للشك أو الجدل أن هذا الشعر لا يدل إلا على الجهل والسذاجة وما شئت من هذه الصفات التى تدل على انحطاط الحياة العقلية . إن الشعر إذا لم يكن علما وكان يفسده العلم ، ولم يكن يعتمد على الواقع وإنما يعتمد على الخيال، ولم يكن يحرص على تسمية الأشياء بأسمائها ، وإنما يحرص على فتنة اللفظ وسحره ، وعذوبة الجرس وجماله ، فكيف لا يدل بعد هذا كله على الجهل الجاهل والسذاجة الساذجة ؟ لقد كنت شاعرا وأعرف أن الشعر يعتمد أول ما يعتمد على المبالغة الكاذبة والخيال الجامح الذى يصور الأشياء كما يشاء؛ لا يحفل فى تصويره بشئ ولا يقف عند شئ . فليست المرأة فى منطقه إنسانا يأكل ويشرب ويتنفس ، وإنما هى جسم من النور مرة ، وغصن على كثيب مرة أخرى، وغزال نافر مرة ثالثة وعلى هذا النحو ، وليست المرأة الجميلة فى رأيه امرأة أتاح الله لها هذا الجمال ، وإنما هى الطبيعة المتناثرة تجمعت فكانت هذه المرأة الجميلة ، فوجهها

كان جزءا من فلق الصبح ، وشعرها كان قطعة من قطع الليل ، وثناياها كانت لؤلؤا أو برداً أو أقاحا ، وخداها كانا وردتين ، ونهداها كانا رمانتين ، وردفاها كانا موجتين إلى آخر هـذا الـكلام الذى يفهمه الشعراء ، والذى يفهمه الشعراء على طريقتهم الخاصة ، وأنا أعرف أنك ستقول : إن هذا كله هو الفن وإن هذا كله هو الخيال ، ولـكن ما رأيك فى هؤلاء الـكتاب الذين يجيدون الفن ويستخدمون الخيال ثم تعصمهم ثقافتهم الواسعة عن أن ينحدروا هذا الانحدار ، وأن يسفوا هذا الإسفاف ؟ بل ما رأيك فى هؤلاء العلماء الذين يستخدمون الخيال فى معاملهم كما يستخدمه الشعراء بل أكثر ممـا يستخدمه الشعراء ، وهم مع ذلك لا ينتهون إلى ما ينتهى إليـه هؤلاء الشعراء من هذا اللهو واللغو ، وإنما ينتهون إلى استكشاف الحقائق العلمية الصحيحة . ولـكن معذرة فإنى أنسيت أن خيال الشعراء غير خيال العلماء ، فخيال الشعراء يصعد إلى السماء فيستوحى منهـا الحقائق ، ثم يتنزل إلينا بها بعد ذلك لا تقبل الشك ولا تحتمل المراء . ولـكن خيال العلماء يجرى فى الأرض ليستنبط منها الحقائق استنباطا ولم يتح الله له هذا الجناح الذى يستطيع به أن يطير فى السماء ، وأن يجوب أجواز الفضاء ، ومن هنا كان الشعر مطمئنا إلى كل ما يقول ، لأنه إنما يستوحى حقائقه من السماء ، وكان العلم شاكا فى كل شىء ، غير مطمئن إلى شىء ، لأنه إنما يستنبط حقائقه من الأرض ، ومن هنا رأينا العلماء حين يتصورون فرضا من الفروض لا يطمئنون إليـه حتى يجرون عليه التجارب المختلفة التى تثبت صحته أو فساده ، ورأينا الشعراء حين يتصورون أمرا من الأمور يضمونه فى إطاره الشعرى ، ثم يقدمونه إلينا تحفة فنية رائعة ، لا يبالون بعدها إن كان ما قالوا حقا أم باطلا ، خطأ أم صوابا ، ومن هنا كان العلماء فى حاجة إلى القراءة والدراسة والبحث والاستقصاء ، ولم يكن الشعراء فى حاجة إلى شىء من هذا كله ، لأنهم يدرسون فى السماء ، ويقرأون فى الفضاء ، ولا تقل : وماذا تريد إذن من الشعراء ؟ أريد منهم أن ينظموا الشعر فى الأرض ؟ أتريد أن نقص أجنحة خيالهم المحلق ؟ . أريد أن تفسد عليهم شعرهم بمـا تسميه حقائق العلم ونظريات الفلسفة . لا تقل هذا فإنى لا أريد من شعرائنا أن ينظموا شعرهم فى الأرض ، ولا أن يفسدوه بالعلم والفلسفة ؛ ولـكن تعال أسألك : من من الـكتاب يستطيع أن يتناول موضوعا من الموضوعات الأدبية فيكتب فيه مقالا أدبيا رائعا دون أن يكون قد عرفه وفهمه ودرسه من جميع نواحيه ، ولـكن تعال أحدثك عن كثير من الشعراء الذين ينظمون القصائد الطوال فى مواضيع لا يعرفونها ولا يعلمون من أمرها قليلا أو كثيرا ، تعال أحدثك عن شوقى شاعرنا العظيم ، إنك قد قرأت من غير شك قصيدته الطويلة العريضة التى قالها فى « شكسبير » ، فماذا فيها عن شكسبير ؟ . ليس فيها عنه إلا أنه يشبه شعره بالآيات المنزلة ، ويشبه معانيه بعيسى المسيح ، ويقول : إن قصصه تمثل الحياة ، وما عدا ذلك فهو كلام عام لا يشير إلى شكسبير من قريب أو بعيد ، فأستحلفك بعقلك الذى يطمئن إلى حقائق العلم لا بنفسك التى تهتز لسماع الشعر ، لو أن كاتبا أراد أن يتحدث عن شكسبير أكان يقول مثل هـذا الـكلام ؟ بل أستحلفك بعقلك الذى يطمئن إلى حقائق العلم لا بنفسك التى تهتز لسماع الشعر ، أيجرؤ كاتب أن يتحدث عن شكسبير وهو لا يعلم من أمر شكسبير شيئا ؟ ولـكن معذرة فإنى أنسيت أن الشاعر ذو خيال ، وأنه يستطيع أن يصعد بخياله فى السماء فيتنقل به بين الـكواكب السيارة والثابتة ، ثم يتنزل إلينا بعد ذلك بأشعاره الحلوة العذبة التى لا تخلو من ضخامة ولا تبرأ من فراغ

ستقول : وماذا تريد ؟ أتريد أن تسكت الشعراء عن قول الشعر ؟ إنك إذا استطعت أن تسكت الطائر الغرد عن تغريده ، أو تمنع الزهرة الأرجة عن أن تبعث عرفها ، أو تمنع الشمس المضيئة عن أن ترسل ضوءها ، استطعت أن تسكت الشعراء عن قول الشعر وأنا معك فى أنى لا أستطيع أن أسكت الشعراء عن قول الشعر ، لأنه ينبعث منهم انبعاثا يوشك أن يشبه انبعاث الضوء عن الشمس والعطر من الزهرة ، ولـكنى أريد إليهم ألا يجعلوا حياتهم الشعورية والنفسية كل شىء ، وأن يجعلوا لحياتهم العقلية نصيبا من عنايتهم ، فأنا أعلم أنهم قالوا الشعر لـما حباهم الله به من شعور مرهف وحس قوى وعاطفة دقيقة وخيال خصب ، فـكان الشعر أثرا لهذا كله ومظهرا لهذا كله ، ولـكن الله قد حباهم مع ذلك عقلا واسعا وتفـكيرا ناضجا ، فأين أثر هـذا

العقل وأين مظاهر هذا التفكير ؟ ستقول : ولم لا يكون الشعر أثرا من آثار العقل ومظهرا من مظاهر التفكير ؟ وأنا أقول : إن الشعر لا يمكن أن يكون أثرا من آثار العقل ولا مظهرا من مظاهر التفكير ، فالشعر بوزنه وقافيته ولفظه وخياله أضيق من أن يسع تفكير العقل إذا ارتقى وأخذ من العلم والفلسفة بنصيب لا بأس به ، وأنت تعرف كيف نشأ النثر الفني عند اليونان والرومان ، وكيف نشأ النثر الفني عند العرب ، وكيف نشأ النثر الفني عند الأمم الأوربية الحديثة ، فقد كانوا يقولون الشعر ويتغنونه في حياتهم الأولى ، وكانوا يقولون الشعر ويتغنونه بحكم هذه الملكات الفطرية التي تنشأ مع الأفراد والجماعات والتي نسميها الحس والشعور والعاطفة والخيال ، والتي تنمو وتنضج قبل أن ينمو العقل وينضج التفكير ، فلما وصلوا إلى درجة من الحضارة والرقي العقلي ضاق عنها الشعر بوزنه وقافيته ولفظه وخياله احتاجوا إلى أن يتحللوا من هذه القيود وما كان تحللهم من هذه القيود إلا نشأة لهذا الفن النثري الذي تراه راقيا قويا في الأمم التي بلغت من الرقي والحضارة أمداً بعيداً . لن يكون الشعر في يوم من الأيام مظهرا من مظاهر الحياة العقلية ؛ ولكنه كان وسيكون دائما مظهرا من مظاهر الحياة الشعورية والنفسية.

وإذا كان الشعراء قد برهنوا لنا بشعرهم الرائع على أنهم أصحاب حس قوي وشعور مرهف وخيال خصب ، فقد بقي عليهم أن يبرهنوا لنا على أنهم أصحاب عقول ناضجة تستطيع أن تبحث وأن تفكر وأن تصل إلى حقائق الأشياء . وأنا أعلم أنك سترميني بالمكر والكيد ، وأني أريد أن أصرف الشعراء صرفا عن الشعر حين أدعوهم إلى أن يهتموا بحياتهم العقلية وأن يأخذوا أنفسهم بالثقافة الواسعة العميقة ، ذلك أني أزعم أن الشعر أضيق من أن يسع تفكير العقول الراقية التي أخذت من العلم والفلسفة بنصيب كبير ، وفي الوقت نفسه أدعوهم إلى هذا الرقي العقلي والتعمق العلمي والفلسفي ، فماذا أريد من ذلك إلا أن أهيئهم تهيئة جديدة لا يستطيعون معها قول الشعر . ويجدون أنفسهم مضطرين إلى أن يهجروه إلى هذا الفن النثري أو هذا النثر الفني الذي يجدون فيه مجالا واسعاً لأفكار عقولهم بعد أن ضاق الشعر عنها ، ولم يتسع بوزنه وقافيته لها . ستقول هذا كله ، وأنا معك في أني أريد أن أصرف الشعراء صرفا عن الشعر ، لأني لا أحب لهم أن يظلوا في مرتبة الأمم البدائية التي تقول الشعر وتتغناه في حياتها الأولى ؛ وإنما أريد أن يتجاوزوا هذه المرتبة إلى مرتبة الأمم التي ارتقت في الحضارة وتقدمت في الحياة العقلية وعرفت هذا النثر الفني الذي يتسع لأفكار عقولهم الراقية المثقفة. إن الشعر أول مظهر من مظاهر الفن في الكلام لأنه لغة الحس والشعور والخيال . ولكن النثر آخر مظهر من مظاهر الفن في الكلام . وإنما أحب أن يتجاوزوه إلى المظهر الأخير من مظاهر الفن في الكلام ، لأني أحب لهم أن يتطوروا في فنهم كما يتطورون في حياتهم ، فأنا أفهم أنهم يصوغون الشعر في حياتهم الأدبية الأولى لأن عقولهم لم تكن قد ارتقت وأخذت بحظها المقدور لها من الثقافة . ولكني لا أفهم أن يظلوا طول حياتهم يصوغون الشعر ليس غير لأن معنى هذا أنهم يعيشون خرس العقول فصحاء الخيال ، ولأن معنى هذا أنهم ينفقون حياتهم بعيدين عن هذه الحياة العقلية الراقية ، بعيدين عن هذه الثقافة الواسعة العميقة التي لا يستطيع أن يستغني عنها كل إنسان يريد أن يعيش عيشة راقية في بيئة راقية . وأنا كما تعلم كنت شاعرا في مبدأ حياتي الأدبية . ولقد قلت الشعر ما اتسعت أوزانه وقوافيه ولفظه وخياله لما يجول في نفسي من معان وخواطر وعواطف ، فلما ارتقت حياتي العقلية وأصبح الشعر أضيق من أن يتسع لأفكاري الناضجة رأيتني مضطرا إلى أن أنصرف عنه إلى هذا الفن النثري أو هذا النثر الفني

وإن من دواعي الغبطة أن تزدهر الثقافة في هذا العصر ، وأن تبلغ الحياة العقلية في مصر أوجها ، وأن يكون ازدهار الثقافة وارتقاء الحياة العقلية سببا في إخمال الشعر وإسكات صوته . ولقد قيل إن الشعر في مصر قد خفت صوته بعد شوقي وحافظ ؛ وأنا أقول : إن الحياة العقلية في مصر بعد شوقي وحافظ قد ارتقت . فانصرف الناس إلى تسجيل أفكارهم بعد أن كانوا منصرفين إلى تصوير إحساسهم . ألا فليعلم الناس أني ما سمعت أن فلانا شاعر حتى فهمت أنه لم يزل في الطور الأول من أطوار الأدب ، وأنه أبعد ما يكون عن هذه الثقافة الواسعة العميقة وما سمعت أن

المكتبة العــــربية
فى عصر الحروب الصليبية
للاستاذ أحمد أحمد بدوى

— ٤ —

وكان النحو مادة أساسية من مواد الثقافة فى هـذا العصر ويكاد يشترك كل المثقفين فى أن يأخذوا منها بنصيب ، وندر من لم يشارك فيها، وكانوا يعدونها أداة أساسية لدراسة العلوم الشرعية وأهم ما كان يدرس بالبلاد يومئذ كتاب المفصل للزمخشرى ، وقد نال من عناية العلماء فى ذلك العصر مالم ينله كتاب آخر ؛ فظافر بشروح كثيرة منها شرح ابن الحاجب وشرح ابن يعيش وساهمت البلاد مساهمة فعالة فى الإنتاج، وغزت كتبها العالم العربى بدورها حتى صارت تلك الـكتب أهم مايدرس فى تلك المـادة . وحسبى أن أشير هنا إلى كتب ابن مالك وعلى رأسها ألفيته، وكتب ابن الحاجب ومن أهمها كافيته ، كما وضع ابن معطى ألفية . وقد عرفت من بين ما أنتجته هـذه البلاد أكثر من أربعين كتابا منها المطول ومنهـا الوجز ، وعرفت من الرجـال الذين ساهموا مساهمة كبيرة فى دراسة هذه المـادة زهاء مئتى عالم كان أكثر تخصصهم فيها

أما فى اللغة فقد عرفت البلاد فى ذلك العصر أمهات كتبها؛ فدرسها رجالها واختصروها حينا ووضعوا عليها الحواشى التى تتعقب ما وقع فيها من الوهم ، كما اشتركت البـلاد فى الإنتاج اللغوى ، وكان أكبر ما تمخض عنـه جهودها ذلك الـكتاب العظيم لسان العرب لابن مكرم المصرى وقد تم تأليفه سنة ٦٨٩ وجمع فيـه مؤلفـه بين التهذيب والمحـكم والصحاح وحواشيه والجمهرة والنهاية ورتبه ترتيب الصحاح

ووضع العلماء فى ذلك الحين كتبا لا تصل إلى مستوى هذا الـكتاب ، وتناولوا بعض نواحى فقه اللغة فكتبوا فى الاشتقاق والاشتراك والتصحيف وغيرها . واشتهر من علماء اللغة يومئذ طائفة كبيرة، منهم تاج الدين الـكندى وعبد الله بن برى وابن مكرم المصرى

وفى علوم البلاغة درست مصر والشام ماعرفته اللغة العربية من الـكتب التى ألفت فيها من قبل سواء فى ذلك ما وضع فى تلك العلوم بخاصة ، أو ما تناولها وإن لم يخصص لها ، وتستطيع أن ترجع إلى كتاب بدائع القرآن لابن أبى الإصبع لترى ما عرف يومئذ من كتب البـلاغة ، وتدرك أن مسائلها كانت لا تزال متفرقة بين كتب التفسير وكتب الأدب وكتب النقد والبلاغة ، وقد قام علماء البلاد بجمع هذا المتناثر المتفرق هنا وهناك ، ثم لم يقفوا عند هذا الجمع ، بل زادوا ما وصلوا إليه باجتهادهم الشخصى وأذواقهم الخاصة ، ووضعوا كتبا كثيرة لم أر منها إلا مالا يكاد يزيد على أصابع اليدين

وكان دارسو البـلاغة فى ذلك الحين يرمون إلى هـدفين : أولهما دراسة بلاغة القرآن ، وثانيهما القدرة على تذوق القول الجميل والعون على إنتاجه ، وما بقى لدينا من كتب هذا العصر يدل فى وضوح على هـذين الهدفين ، وقـد يتغلب أحدهما على الآخر فى بعض الـكتب ، فترى كتاب الإشـارة إلى الإيجـاز فى بعض أنواع المجـاز ، وكتاب بدائع القرآن ، وكتاب التبيـان فى علم البيان لابن الزملـكانى ترمى إلى بيان ما أودعه القرآن من ألوان البلاغة ، بينما تجد الغالب على كتاب المثل السـائر وكتاب معالم الـكتابة ومغانم الإصابة وكتاب تحرير التحبير ، وكتاب البديع

أمة من الأمم شـاعرة حتى فهمت أنها أمة بدائية وأن حيـاتها العقلية ما زالت هامدة جامدة . فهنيئا لمصر أن يضمحل فيها الشعر ويقل فيها الشعراء ، وأن يزدهر فيها العلم ويحتفى بالـكتاب والعلماء

وتقبل فى النهاية تحية خالصة ملؤها المودة الصادقة .

كمال بسيونى

لأسامة ضرب المثل البلاغية للتذوق والاقتداء

وأشهر مؤلفى البلاغة فى ذلك العصر ابن الأثير صاحب كتاب المثل السائر وهو أشهر كتاب بقى لنا ، وعبد العظيم بن أبى الإصبع وبدر الدين بن مالك الذى اختصر المفتاح للسكاكى فى كتاب سماه المصباح

— ٥ —

وظفرت المكتبة العربية فى ذلك العصر بإنتاج ضخم فى التاريخ ، وألوان متنوعة فيه ، وشخصيات ذوات أقدار ممتازة من الناحية العلمية والاجتماعية ، ومن الممكن أن نتبين فى هذا العصر أكثر من عشرين اتجاها فى كتابة التاريخ

فبعض مؤرخى العصر قد أعجب بأسرته من ناحية مجدها السياسى حينا أو العلمى حينا آخر ؛ ومنهم من اكتفى بكتابة مذكرات شخصية سجل فيها مارآه ، كما فعل أسامة بن منقذ فى كتاب الاعتبار . وانتهج بعض علماء هذا العصر نهجاً صالحاً قويما فألفوا معاجم ترجموا فيها لأساتذتهم الذين كانوا يبلغون فى بعض الأحيان عدة آلاف ؛ وإن هذه المعاجم لخليقة أن تعطينا فكرة حقيقية عن الحركة الفكرية والجهد العلمى فى تلك الأيام ، وترسم لنا صورا للتعلم ومناهجه فى تلك العصور

ومن المؤرخين من أعجب بشخصية ، فمضى يجمع أخبارها ويؤرخ لها ، وكان صلاح أوفر هذه الشخصيات حظا ، كما ظفر نور الدين والظاهر بيبرس والمنصور قلاوون بعناية مؤرخى ذلك العصر ، وبقى لنا من ذلك كتاب الروضتين

ولم يقف كثير عند حد الترجمة المفردة ، بل مضى يؤرخ لطائفة معينة من الناس ، كما جمع على بن ظافر الأزدى أخبار الشجعان والظافر بن قدامة مناقب الصالحين وأخبارهم ، ومن أهم كتب التراجم النافعة الباقية لنا من ذلك العصر كتاب وفيات الأعيان الذى لايكاد يستغنى عنه باحث فى عصرنا هذا ، وكتاب معجم الأدباء لياقوت

ومضى بعضهم يؤرخ المكتبة العربية إلى ذلك العصر ، ولو أن هذه الكتب كلها بقيت لاستطعنا أن نرسم إلى مدى بعيد صورة قوية لسير الحركة العلمية فى هذا العصر ، وما سبقه من عصور ، وقد ساهم الوزير القفطى بنصيب كبير فى هذه الحركة ، فوضع كتابا فى أخبار المصنفين وما صنفوه ، وآخر فى أخبار النحاة ، وبقى لنا إلى اليوم من الكتب التى تؤرخ لبعض نواحى المكتبة العربية كتاب ابن أبى أصيبعة الذى دعاه عيون الأنباء فى طبقات الأطباء

ومن أهم ماعنى به المؤرخون فى ذلك العصر تاريخ المدن ، يذكرون فيه من دخل المدينة ، أو سكنها من عظماء الرجال . وربما كان أضخم كتاب وضع فى تاريخ مدينة فى ذلك العصر هو تاريخ دمشق لابن عساكر ولا يزال موجودا فى أكثر من أربعين مجلدا ، كما أرخوا لمصر و كتبوا فى خططها ، وأرخوا لغير القاهرة كأسوان والفيوم والإسكندرية

وتنوعت الاتجاهات فى كتابة التاريخ السياسى يومئذ ، فمن المؤرخين من عنى بتاريخ الوزراء كابن الصيرفى فى كتابه الإشارة إلى من نال الوزارة ، وعمارة اليمنى فى كتاب النكت العصرية ، ولا يزال الكتابان باقيين . ومنهم من أرخ لمصر على ترتيب السنين ومنهم من أرخ للدولة الفاطمية أو الأيوبية ، ومنهم من عنى بباقى أجزاء العالم العربى فوضع القفطى تاريخا للمغرب وتاريخا لليمن

وكانت العناية بالتاريخ العام أكبر من العناية بالتاريخ الجزئى ، وقد بقى لنا ستة كتب تمثل هذا الاتجاه منها كتاب الدول المنقطعة للوزير جمال الدين الأزدى ، وقد تضمن أخبار الدول الإسلامية وحوادثها وغزواتها وهو مرتب على السنين ، ومنها كتاب تاريخ الزمان فى تاريخ الأعيان ألفه سبط ابن الجوزى ، وكتاب أبى شاكر بطرس المعروف بابن الراهب وقد جمع فيه التاريخ من آدم إلى عصره فى إيجاز وللشيخ ابن العميد كتابان فى التاريخ أحدهما يدعى تاريخ ابن العميد وهو يبحث فى تاريخ ما قبل الإسلام ، والتاريخ يدعى تاريخ المسلمين وانتهى به إلى سنة ٦٥٨ وكتب ابن واصل كتابه التاريخ الصالحى فى التاريخ العام

ونالت الجغرافية فى هذا العصر حظا كبيرا من عناية رجاله

وتنوعت اتجاهاتها ، وبحسبنا أن ينتج هذا العصر كتاب معجم البلدان لياقوت الذى يعد من أهم المصادر إلى وقتنا هذا

— ٦ —

وكانت الفلسفة موضع عناية الفاطميين فقد كان الدعاة يلقنون تلاميذهم حبها ، ويحضونهم على النظر فى كلام أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس ومن على شاكلتهم ، وينهونهم عن قبول الأخبار والاحتجاج بالسمعيات ، ويزينون لهم الاقتداء بالأدلة العقلية والتعويل عليها ، ويحيلونهم إلى ما تقرر فى كتب الفلاسفة من العلم الطبيعى والعلم الإلهى ، فكانت دراسة الفلسفة للدعوة الشيعية وإحدى دعائمها ، ورغم ما كان للفلسفة من هذه المكانة القوية لم أعثر على فيلسوف نبغ فى هذه الفترة التى شهدت الحروب الصليبية ، وربما رجع ذلك إلى ما لاقته آثار الفاطميين الفكرية من تشريد على يد صلاح الدين الذى كان سنيا يكره الفلسفة ورجالها ويراها مضللة للعقول وتأثر الكامل خطوات عمه صلاح الدين ، ويظهر أن اضطهاد الفلسفة قد خفت وطأته بعد موت الكامل وأخيه الأشرف ، وتولى بعض دارسيها مناصب كبيرة في الدولة كالقضاء ، أومناصب دينية كبرى كمحمد ابن أبى بكر المعروف بالأيكى وكان إماما فى المنطق وعلوم الأوائل فانه استقر بمشيخة الشيوخ بخانقاه سعيد السعداء ، وظهر فى هذه الفترة التى استعاد فيها دارسو الفلسفة والمنطق حريتهم علمان ممتازان هما عز الدين الإربلى المتوفى سنة ٦٦٠ وأستاذه أفضل الدين الخونجى المتوفى سنة ٦٤٦ ، وقدم الخونجى كتبا كثيرة فى المنطق للمكتبة العربية لا يزال بعضها باقيا إلى اليوم ككتاب الموجز ، وظفرت كتبه فى المنطق بعناية كثير من العلماء فشرحها بعضهم وعلق عليها آخرون

— ٧ —

وتنوع الإنتاج فى المكتبة الأدبية يومئذ ؛ فن مجموعات تحوى رائع القول كما فى كتاب الآداب النافعة والألفاظ المختارة الجامعة لابن شمس الخلافة الأفضلى وكتاب تذكرة ابن العديم التى ضمنها كثيرا من الآداب ونوادر الأشعار . وأهم ما بقى لنا من هذا النوع كتاب خريدة القصر للعماد الأصبهانى وقد تضمنت مختارات من شعر شعراء العراق ومصر والشام والحجاز واليمن وصقلية والمغرب والأندلس ، وكتاب المطرب فى أشعار أهل المغرب لابن دحية

ومن دراسات للآثار الأدبية كحواشى الكندى على خطب ابن نباتة وديوان المتنبى وشرح شميم الحلى على مقامات الحريرى ، وبدار الكتب شرح الضرير النحوى على تلك المقامات

ومن معاجم تحوى أخبار الشعراء والأدباء كمعجم الشعراء لياقوت ، ومعجم شعراء الشيعة ليحيى بن حميدة

ومن مختصرات لكبريات الآثار الأدبية كما فعل محمد بن عبد الكريم المهندس الذى اختصر كتاب الأغانى الكبير

وفى هذا العصر نهض الشعر نهضة كبرى ، فقدم للمكتبة العربية كثيرا من الدواوين نذكر من بينها ديوان القاضى الفاضل ، وابن سناء الملك وابن مطروح والبهاء زهير

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

الوطنية فى المهجر

للأستاذ حمدى الحسينى

ساءت الحال فى بلاد الشام فى القرن التاسع عشر أيما سوء. وانصبت الويلات على سكان هذه البقعة الطيبة من الوطن العزيز انصباباً قويا متلاحقاً، حتى أصبحت هذه البلاد الجميلة مسرحاً لأبشع أعمال الظلم وأقبح أنواع التفريق بين العناصر، ليتمكن ذلك الظلم من السيادة. فكانت فتنة الستين المشؤومة وتبعتها فتن أخرى جعلت من بلاد الشام جحيما فاتكا بالأموال، والحريات والأنفس، فدفعت غريزة حب البقاء فريقاً كبيراً من سكان البلاد إلى التفكير فى الوسائل التى يمكنهم بها أن يحققوا رغبة الحياة ورغبة الحرية. فقلبوا النظر فى هذا الكون الفسيح الأرجاء باحثين عن بقعة من الأرض يمكنهم أن يعيشوا فيها أحراراً كراما فوقع نظرهم على نور الحرية والاستقلال المتألق فى الديار الأميركية بعد ثورتها التحريرية الكبرى فصمموا على الهجرة وركبوا متون الأخطار إلى تلك الديار، ولا يسع المضطر إلا ركوبها. فعاشوا هنالك بالعزم الصادق والإرادة القوية فضمنوا بالكسب الحلال حياتهم وبالاندماج فى النظام العادل حريتهم.

أجل! هجر أولئك العرب بلادهم وأقاموا فى بلاد الناس. ولكن حب الوطن بقى متمكناً فى نفوسهم محركا لمواطفهم.

كم منزل فى الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

وما كاد يستقر الحال بهؤلاء العرب المهاجرين حتى أخذت الوطنية تعصف فى نفوسهم، تثيرها المقارنات بين حاضرهم فى مهجرهم وماضيهم فى موطنهم. وتؤججها المقايسات بين حياة السعادة التى يشاركون فيها الأمريكيين الأحرار المستقلين، وبين حياة الشقاء التى خلفوا أممهم العربية تصطلى نارها فى بلاد العرب الخاضعة لظلم الحكم وذل الجهل.

أخذت العاطفة الوطنية المكبوتة فى نفوس أولئك الإخوان المهاجرين تتململ فى مكامنها وتتهيأ للانطلاق من مكامنها فى ظلال تلك الحرية الوارفة وأفياء ذلك الاستقلال الرطيبة الناعمة. وأية وسيلة أصلح لإشباع رغبة الوطنية فى مثل هذه الحال من الأدب على اختلاف أنواعه فنشأ للأمة العربية هنالك أدب وطنى قوى يمثل العاطفة الوطنية القوية فى نفس العرب، وأخذ هذا الأدب يشرق بنوره وينصب بحرارته على نفوس العرب فى سائر أقطارهم فكان الرسول الأمين بين النفوس العربية المتألمة فى الغرب والشرق، والعامل القوى فى تحريك الآمال بالحرية والاستقلال. وإنى محدث القارئ الكريم عن شعر القوة فى المهجر الأمريكى لشاعرين قويين فى عواطفهما الوطنية يصح أن نتخذ من شعرهما برهانا قاطعا على أن إخواننا العرب فى مهجرهم النائى يحملون من العواطف الوطنية ما نحمل، ويعملون لتحقيق الأمانى القومية ما نعمل

السيد رشيد سليم الخورى — الشاعر القروى — شاعر عربى يقطن مدينة سان باولو فى البرازيل، له ثلاثة دواوين شعرية وهى الرشيديات، والقرويات، والأعاصير، فى يدنا منها الآن ديوان واحد هو ديوان الأعاصير، والذى يبدو لنا مما قرأناه للسيد ميخائيل نعيمة فى كتابه (الغربال) عن السيد رشيد الخورى، ومما قرأناه فى مقدمة ديوان الأعاصير للسيد رشيد الخورى نفسه أن ما جاء فى ديوان الأعاصير هو أقوى أقسام شعر السيد رشيد الخورى على الإطلاق

لفت نظرنا فى ديوان الأعاصير مقدمة الديوان لأنها مكتوبة بقلم صاحب الديوان نفسه خلافا لعادة الشعراء الذين يقدمون دواوينهم بمقدمات مستجداة من أقلام ذوى الشخصيات الأدبية الكبيرة سواء كان ذلك التقديم حق صديق نوفى لصديق؛ أم منة كبير يفضل بها على صغير. ولفت نظرنا من تلك المقدمة تلك الخطوط الجميلة التى حدد بها الشاعر القروى مبدأه الوطنى تحديداً دقيقا بدت بعده عاطفته الوطنية فى قصائده واضحة جميلة مشرقة برغم هذا الضعف البلاغى الذى يبدو واضحا جليا على قصائد هذا الديوان النفيس

وقف الشاعر القروى أمام الأندلس فثارت فى نفسه الذكريات فأراد أن يحييها باسم بلاد العرب ولكن كيف يحييها باسم بلاد ترسف بقيود الذل والاستعباد؟ إذن لابد من الصبر حتى يأذن الله للبلاد العربية بالاستقلال وحينذاك تهدى تحيتها للأندلس كما يهدى الكريم تحيته للكريم

فإذا بغداد عادت كالقديم   موطن الشعر وديوان العلوم
وإذا رن بها عود النديم   مرجعا بالحب أعصاب النجوم
ومثيراً لوعة الليل البهيم   ومديراً أدمع الفجر مداما
عند هذا سوف نهديك السلاما

وإذا بيروت أم النور ولى   عن سماها ثقل الرايات ظلا
وإذا السيف من الصحراء سلا   نافضا من أربع الفيحاء ذلا
وإذا لبنان بالأمر استقلا   فلبسنا العز أو متنا كراما
عند هذا سوف نهديك السلاما

واسمعه الآن يقرر حق الاستقلال للأمة ويدلها على الوسيلة الصحيحة لإحقاق هذا الحق

إن ضاع حقك لم يضع حقان   لك في نجاد السيف حق ثان
ما مات حق فتى له زند، له   كف، لها سيف، له حدان
فابعث سيوف الهند من أغمادها   تبعث بها الموتى من الأكفان

وإليك هذين البيتين من قصيدة له في الثورة السورية الكبرى يخاطب بها العربي المقاتل في سبيل الحرية والاستقلال

إذا حاولت دفع الضيم فاضرب   بسيف محمد واهجر يسوعا
«أحبوا بعضكم بعضا» وعظنا   بها ذئباً فما نجت قطيعا

وإليك هذه القطعة من قصيدة نظمها إبان تلك الثورة السورية :

بدت ولهى ممزقة القناع   فقلت لها فديتك لا تراعى
فدون حماك أبطال الموالى   مؤزرة بأبطال اليراع
رماح كالأفاعي مشرعات   وأقلام كأنياب الأفاعي
أطلي واشهدي منهم هجوما   نرى وثب القلاع على القلاع
وهل عربية هذا أخوها   تراع إذا دعا للحرب داع

* * *

السيد إلياس فنصل شاعر عربي يقيم في مدينة بونس أيرس عاصمة الأرجنتين له في يدنا ديوان السهام، وهذا الديوان مصدر بمقدمة بقلم صاحبه يرجع لها الفضل في دراستنا لنفسية الشاعر لأنها وصفت لنا هذه النفسية القوية أجمل وصف؛ كما صورها لنا شعر الديوان أجمل تصوير

أعجبنا في هذا الشاعر ثقته بنفسه وثقته بأمته فهو يعتقد بأن في إمكان الأمة العربية أن تعد من نفسها قوة ترجع بها سؤددها وتهيئ لذاتها جبروتا يرد لها التالد من عزها، وهو لا يرى في قوة الغاصبين للوطن العربي إلا ضعفا بجانب اتحاد الأمة العربية وثقتها بنفسها واعتمادها على حقها، وهو واثق بقدرته على تحريك شعور الثقة بالنفس والاعتماد على الذات في نفسية الأمة بقصائده القوية التي يقذف بها في وجه الضعف والونى بلا شفقة ولا رحمة، وإنك لترى هذا الواثق بنفسه المؤمن بأمته، لا يقيم للفشل في الجهاد وزنا، فهو لا يخاف الفشل لأنه مؤمن بالنجاح، ولهذا فهو يدعو الأمة العربية بحرارة للجهاد في سبيل الحرية جهاداً لا يعتوره الخوف من الفشل ولا تخالطه الخشية من الكلل والملل. ومن حق هذا الشاعر علينا الآن أن نورد له هذه العبارة التي جاءت في مقدمة ديوانه موجهة إلى فريق الضعفاء من الأمة الذين يقفون من المؤمنين موقف اللائم اللاحي

« ليست حمية الشباب هي التي تدفعني إلى هذه الحماسة، ولكنه إحساس بالإرهاق الذي يعانيه وطني المفدى، وما هذه الجمرات المشبوبة حماسة — لو تعلمون — وإنما هي إيمان راسخ »

ولا ننسى ونحن نولي هذا الشاعر إعجابنا بقوة عاطفته الوطنية أن نوجه إليه عتبنا لضعفه البلاغي الذي لو تنزه عنه شعره لجاء آيات بينات في القوة معنى ومبنى، ولنسمعه الآن ينشد نشيد المجد.

وإن ناصبتك الحرب دنياك كلها   وحقك من ليل الحوادث غيهب
فلا تشك فالشكوى احتضار مخيب   ولن يستحق النور شاك مخيب
بل استل من عالي إبائك مغمدا   تغلغل فيه من مضائك كهرب
وكافح به صرف الزمان وقل له   سأبعث فيك الرعب من حيث تهرب

ولنسمعه يخاطب شباب البلاد الناعمين بتوافه اللذات

هبوا الشباب التذاذاً بالحياة أما   في عالم المجد للذات ميدان ؟
هذي الليالي التي تقضونها عبثا   يبكي الإباء عليها وهو خجلان
يا حبذا لو رصدتم من شهودكم   ساعاً بآي العلا والعز تزدان
إن البلاد إذا ضلت شبيبتها   فكل آمالها فقد وخسران

وإليكم هذه القطعة الجميلة القوية من قصيدة له نظمها على لسان ثائر دمشقي يودع عروسه قبل الالتحاق بالثورة الكبرى

بلادي تدعوني إلى حومة الوغى   ودعوتها الغراء أمر مقدس
فإن لم أكن في مطلع الجيش هاجما   تمور بصيحاتي الأعادي وتوجس
فلا أبهجت قلبي نسيمات دمر   ولا ضمني في شامة الأرض مجلس

ارهاصات فى الجزيرة

قبيل البعثة المحمدية

للأستاذ الطاهر أحمد مكي

— ١ —

كان الاعتقاد السائد حتى القرن الثامن عشر ، أن الحركات الإصلاحية وليدة العبقرية الفردية ، فهى مدينة بوجودها لهم ، ومتوقفة فى بقائها عليهم ، وعلى مقدار ما يوجد من عباقرة ، يتوقف سير الحياة أو يندفع ، وتبطىء عجلة الزمن أو تسرع ، ويشغر مكان القيادة أو يملأ ، حتى إذا جاء دوركايم ، حطم هذه النظرية ، وأقام على أنقاضها صرحاً سامقاً لنظرية أخرى ، وصنع من أشلائها مذهباً عالياً لرأى أقوى ، يرد كل ظاهرة فى المجتمع إليه ، وينسب كل رقى إلى تفاعله ، ويجرد الفرد من سلاح الخلق والابتكار ! ...

وهو مذهب حرى بأن يقف الإنسان عنده طويلا ، وأن يتملى حقائقه مليا ، فيقوده فى رفق إلى مواطن الخفاء. فيما نجح من دعوات فبق ، وما فشل من مذاهب فتلاشى ؛ وما صلح من أديان فخلد ، ويرد كل نتيجة إلى أسبابها ، وكل ظاهرة إلى عللها ، وما الفرد إلا أثر لمكانه وما اتصل به ، ولزمانه وما استتبعه ، ولبيئته وما اعتمل فيها ! ...

فعلم الاجتماع الحديث يقرر أن الظواهر أيا كان نوعها ، من خلق المجتمع وليست من صنع الفرد ، وحقيقة أى مجتمع لا وجود له بدون أفراده ، ولكن من تجمع هؤلاء واحتكاكهم ، ينشأ شىء يختلف كل الاختلاف عن خواطرهم الفردية ، وقد يبدو غريباً أن ينشأ من اجتماع عناصر ما ، حقيقة خارجة عنها فى عالم المعانى ، ولكنها فى عالم الطبيعة أمر ظاهر ومألوف ، « فكما أن الخلية الحية لا تحتوى على شىء آخر غير الجزئيات المعدنية ، كذلك لا يضم المجتمع شيئاً غير الأفراد ، ومع ذلك فإنه من المستحيل بداهة أن تحتوى ذرات الإيدروجين أو الاكسوجين أو الأزوت أو الكربون على الظواهر المميزة للحياة ، وبناء على ذلك فلا يمكن إلا أن تتخذ الحياة المادة الحية بأسرها مستقرا لها ، فهى توجد فى الكل ولا توجد فى الأجزاء ... وحينئذ فليس لنا إلا أن نطبق هذا المبدأ على علم الاجتماع » (١) لأن ما هو ممكن فى عالم المادة ، فهو فى عالم الأناسى أمكن ، حيث الأفكار تتفاعل ، والنظرات تمتزج ...

وما أناقش مذهباً رست دعائمه ، وتوطدت أركانه ، أو أن أشرح طرائقه ومناهجه ، أو أصوغ قوانينه وقواعده ، وإنما أعرض لموقفه من الدين ، فهو عندهم ظاهرة اجتماعية وإن جاء به الوحى ، وأثر أرضى وإن نزل من السماء ، وخلق جمى وإن نهض به رسول ، ما دام المجتمع قد أخذ به ورضيه ، وأخلد إلى أوامره وسكن إلى نظمه . ولن يستقر دين فى مجتمع ما ، إلا إذا انسجم مع طبيعته ، ووائم رقيه الفكرى وتطوره الاجتماعى ، وكان ممدا لسماعه ، متطلعاً لأحداثه ، فالرسل مترجمون عن حالة ، المجتمع مهيأ لقبولها ، يفهم مظهرها ، ويستسيغ حقائقها ، ويرنو إلى مثلها العليا . ولأمر ما ، كان الرسول بشرا ، يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق !

« إن الدين لون من ألوان التعبير الإنسانى عن العواطف

(١) E.D, wrkeim les Régles de Methode Sociologique p 10
نقلا عن « المنطق الحديث ومناهج البحث » للدكتور محمود قاسم ص ٢١٠

فراقك خطب منه بين جوانحى	سهام بصاب الحزن والسهد تغمس
ولكن حمل الذل موت وعاره	إزاء عواديه يضيع التحرس
وإلا فلا تبكى على فاننى	أموت قرير العين بالعز أهجس

وإليكم هذه القطعة القوية منتزعة من إحدى قصائده العامرة بالقوة

وما من أمة فى الأرض لمت	بغير السيف حقا بات يذرى
وليس ينال الاستقلال إلا	إذا سالت دماء القوم نهرا
وشعب يبتغيه دون جد	لشعب سادر ما زال غرا

حمدى الحسينى

والميول والمثل العليا ، وإن هذا اللون من ألوان التعبير متصل أشد الاتصال بأمزجة الأفراد والأمم ، ممثل لها تمثيلا صادقا قويا ... وهو طريق من الطرق التى تسلكها الإنسانية إلى الجمال والحق والمثل العليا » (١) ومن ثم تعددت الأديان ، لا بتعدد العصور وحدها ، وإنما بتعدد الأمكنة أيضا ، لأن دينا ما ، قد ينهض فى موطن ويكبو فى غيره ، وقد يثمر فى مجتمع ويجدب فى سواه ، فالدين الإسلامى مثلا ، وقف عند حدود معروفة ودول معلومة ، ورغم الجهود الجبارة التى بذلها المسلمون فى اجتياز هذه الحدود ، لم يكتب لهم النجاح ، ولم يقدر لهم التوفيق ، على حين أن هناك أمما كن انتشر فيها بطبيعته ، ولم يجد صعوبة ما فى أن يتثبت فيها وأن يقوى ! ...

وأنا وأنت وغيرنا ، هل كان لنا فضل فى اتخاذ الإسلام دينا والإيمان به عقيدة ، أم ترانا خرجنا إلى الحياة ، فوجدنا آباءنا كذلك ، فتابعناهم وسايرناهم وسلكنا نفس الطريق الذى يسلكون ؟ ... هل استطاع أحد ما ، مسلما كان أو مسيحيا أو يهوديا أو حتى بلا دين ، أن يصطنع الجدة ساعة ، فرأى المتابعة كسلا ، والتقليد خمولا ، والإذعان ضعفا ، فنقب وبحث ودرس وقارن ، وانتهى إلى عقيدة نيرة ، يؤمن بها لأنها حق ، ويخضع لها لأنها صواب ؟

إنما نحن أسارى المجتمع « فالطفل حين يدخل العالم لا يحمل معه سوى طبيعة بيولوجية ، غير خلقية أو اجتماعية ، تستطيع أن تتشكيف بجميع الهيئات والأشكال ، فهو لا يختار لنفسه لغة دون أخرى ، أو ديانة دون غيرها ، بل هو المجتمع الذى يضطره إلى اتباع الديانة التى يشب عليها ، أو اللغة التى يتكلم بها ، والواحد من ساعة نشأته يؤلف جزءاً من مجتمع له تعاليمه وأخلاقه ولغته وديانته وفنه وعاداته وتقاليده وتاريخه وأنظمته وخرافاته ومثله الأعلى ، ولابد له من التقيد بهذا الميراث والعمل به » (١)

هذا هو رأى علم الاجتماع فى الأديان ، وقد اهتدى إليه قوم يدرسون المجتمع كما هو ، لا يطيرون مع الملائكة ، ولا يمتطون أجنحة الخيال ، ولا يركبون متن الفرض ، ولا يجبنون إزاء الحق ، ولا تعميهم المثل العليا عن واقع الحياة ...

وفى ضوء هذا العلم ، وعلى هدى منه ، نريد أن نستشف حال الجزيرة العربية قبيل البعثة المحمدية ، لنتفهم حالها ... أجاء الإسلام فصار بها إلى غير ما أحبت ، وساقها إلى غير ما هويت ، ونقلها من حال كانت فيها ، إلى حال لم تكن تريدها ؟ أم أن تيار الحوادث ؟ كان ينبئ بما سيتمخض عنه الغد ، وما سيحمله المستقبل ، وما ستأتى به الليالى فى قابلها القريب أو البعيد ؟ ...

« للكلام صلة » الطاهر أحمد مكى

كلية دار العلوم — جامعة فؤاد الأول

(١) لشاعر الهند طاغور : نقلا عن مقال لمحمود المنجورى بمجلة « الحديث » ص ١٦٠ العدد ٤ سنة ١٦

(١) علم الاجتماع الدينى ، يوسف باسيل شلحت ص ٩

خواطر مرسلة:

هنا موضع الغرابة

للأستاذ حامد بدر

قال أخي: غريب أن تتلاشى صفة الحياة عند أهلها

قلت: ومن أهلها؟

قال: النساء، ففي كل يوم أراهن يبتدعن فنونا جديدة من التبرج، وينحدرن إلى درك يفقدن فيه ما يجب أن يصان.!

قلت: أنت طيب القلب يا أخي إلى حد أعيذك منه، أو بتعبير أقرب إلى الصراحة، وأبعث من المواربة: أنت أبله!

فاربد وجهه وقال: كيف تصفني بالبلاهة على أن عجبت من أنثيات تطفح بهن الطرق، لا يعرفن الحشمة، ولا يبالين الحياء.!

قلت أنت أبله، لأنك تستغرب شائعا، والغرابة تكون فيما ندر، لا فيما كثر، فاستغرب الأدب إن عمت البلوى بسوء الأدب، واعجب من الحياء إن أحدقت المصيبة بضياع الحياء، ألست تقول إن الحياء قد قل؟

قال: نعم

قلت: إذن فالحياء هو الذي صار غريبا، وليس الغريب ضياع الحياء

صار ما بعينينا مألوفا، ولو قلت إنه عيب سلقوك بألسنة حداد من السخرية والتهكم، واتهموك بالتأخر، والرجوع إلى الوراء! فما أسهل الانحدار، وما أكثر أنصاره؛ وما أقل الجرأة في هدم المنكر، أو إنكار القبيح!

إن الشرع يحرم على المرأة أن تبدي زينتها إلا لبعلها أو من في حكمه، والبعل ذاته يراها في تبرجها وابتذالها نهبة للعيون، في السوق، وفي الملهى، وفي الطريق العامة، ليلا ونهارا.. فلا يحرك ساكنا، ولا يبدي انفعالا.. فأية غرابة فيما ألفناه، وتعودنا أن نراه، فلا نغضب ولا نعجب ولا نثار؟!

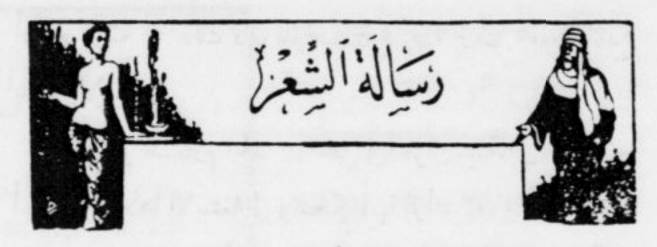
كان اليسير مما نشهده اليوم موجبا لعجب يثور، وغيرة تحمى، وحمية تنفجر؛ في زمن كانت المرأة فيه محتجبة مصونة. فإذا قضت الضرورة الملحة بظهورها بدت في الثوب الفضفاض، والرداء السابغ، تمشي على استحياء، لا يتبين الرائي وجهها، ولا ما خفي من حليها. فإن رأيت اليوم مثل هذه المرأة فاعجب كثيرا ودعنا نعجب معك، لأن تلك هي الصورة النادرة التي تبعث الدهش، وتثير العجب!

ثارت عاصفة طيبة ضد الصور الخليعة التي ينشرها بعض الصحف والمجلات، ولا أدري في أي مكان استقرت العاصفة، بعد أن كان أثرها دوام الحال على ما هو عليه من ظهور تلك الرسوم منتشرة في أبعد الأوضاع من الدين والأدب!

وكل فكرة ترمي إلى محاربة الغواية، إن لم تجد أنصارا مجندين، فإن مصيرها إلى الركود، وقد ننجو من الضعف الخلقي القاتل إن أقلعنا عن عبادة المظاهر التقليدية الزائفة، والجري وراء الأهواء، من غير تدبر ولا أناة

وأخشى أن يقتلنا هذا الضعف ما دمنا ننظر إلى المحافظين والمحافظات نظرة تعجب واستغراب

حامد بدر



اللحن الجريح ..

للاستاذ عبد القادر رشيد الناصري

ياحبيبي . . أنا فى عالم أحزانى أغـــنى
كهزار خنقت ألحانه كف التجنى
كم عنيت ألفنى العمر فى دنيـا التمنى ؟ !
لا تلمنى إن تمردت على قيدى وسجنى

كيف أحيـا وضباب اليأس أعشى ناظريا
ومنى دنيـاى كالحلم تولت من يديا
والتقاليد أثارت غضب الجهـــل عليا
وأبى جرعنى صـــابا ورباني شقيـــا
خلنى فى محبـــة الأحزان بحترا لحزنى
من معيـدى لصباباتى وأكوابى ودنى

ما لقلبى يتغـنى ودماه تتجـــارى
ودموعى كشآبيب غمام تتبـــارى
لست أبـكى لخيـال طاف بالفـكر ومارا
أو لمال بددته الـكف أو حـــلم توارى
إنمـا أبـكى على شعرى وآمالى وفـنى
حين أغفت فى دجى النفس فدعنى لا تلمنى

ياحبيبى ملـنى الصـبر وأضنتنى الهواجس
وتراءى العـالم البســام فى عينى عابس
لم تعـد تفتننى الدنيـا ولا الحور النواعس
وكرهت الراح واللحن وإيناس المجالس
ملت الألحان أذناى وقد أنـكرت أذنى
وتلفت عسى عينى ترى لألاء حسن

يا فؤادى أين ولت عن دجى الليـل الشمـوس ؟ !
أين فجرى ! أترى دارت على فجرى النحوس ؟ !
أم هـل الصبح كأبـكار معانى شموس
لم أزل أرصد فى الغيب غدى وهو عبوس
وأمنى النفس والأيام كم خيبن ظنى
آه لو ترجع أيامى . وهل أواه تغنى ؟

ه ه ه

أنا كالزنبقة العذراء لـكن بين شوك
وكقيثار جريح اللحن مخنوق التشكى
وفؤادى الواحـة السمحة فى صحراء شـك
كم ذئاب روعوا أمنى وقالوا لم تبـكى
كيف لا أبـكى وقـد رويت بالأدمع لحنى
بعد ما أرقصت دنياى على اللحن المرن

بغداد عبد القادر رشيد الناصري

بعد الأوان ! ..

للاستاذ محمد قطب

هذه اللهفـــة تجتاح حياتى
وحنين موغل فى جنباتى
ولهيب فاز فى خفقـاتى
ليت شعرى! بعدأن عشت زمانافى سبات
أقطع الأيام فى صمت بليـد وأناة !

ه ه ه

ما الذى أيقظ قلبى من سباته
ما الذى هيج منـه حرقاته
أى شيطان ثوى فى جنباته
يشعل الثورة فيه ، ويغذى جمحاته ؛
ويشيع اللهفة الحرى فتذكى رغباته ؟

ه ه ه

أيها القلب! لقد عشت شقيا
لم تذق من متعة الأحياء شيا
قد تمشت مرابا سرمديا
عشت أيامك فيه ، فـكأن لم تك حيا
وطواك الزمن الساحر فى البيداء طيا !

ه ه ه

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

معركة الإسلام والرأسمالية :

هذا عنوان كتاب جديد للأستاذ سيد قطب، كتاب يعرض فيه سوء حالة المجتمع وما يشيع فى نفوس أفراده من قلق بسبب الأوضاع القائمة الظالمة ، ويعنى خاصة -- عند الكلام على هذه الأوضاع — بكشف الستار عن الجاذبية الشيوعية التى تسحر ألباب الكادحين إذ تعدهم بالخلاص مما يعانونه من بؤس وحرمان ذاهباً إلى أن الخلاص الحقيقى الذى يحفظ على الإنسانية كرامتها وحريتها إنما هو فى الإسلام: نظمه وتشريعه وحكمه. وهو يهاجم الأوضاع القائمة هجوماً عنيفاً ، يأتى عنفه من الصراحة والبصر بحقائق الأمور . ومن هنا يبدو الكتاب « حريفا » يبلغ فى غرضه مالا تستطيع أن تبلغه الوسائل الأخرى من كتابة بريئة أو غير بريئة ... ذلك لأن المؤلف يلذع ثم « يزيت » موضع اللذع بدمع الإسلام

هذا هو الكلام الجد ... نحن فى أحوال سيئة ما فى ذلك شك، أحوال يسودها الاستغلال وتتحكم فيها الرأسمالية، ولكنا لانريد شيوعية . ولماذا نلجأ إلى الشيوعية « إذا كان هناك نظام آخر يمنحنا الخير الذى تمنحه لنا الشيوعية ، ويعفينا من بشاعة الثراء الفاحش وفوارق الطبقات ، ويحقق لنا مجتمعاً متوازناً لا حرمان فيه ولا افتراء . . ثم يمنحنا فى الوقت ذاته غذاء الروح ، وحرية الفكر ، والشعور الإنسانى، الأرقى بالإنسان والحياة . ماالقول إذا كان هناك نظام ، لا يدعنا ذيلا فى القافلة ، قافلة الشيوعية أو قافلة الرأسمالية ... إنما يمنحنا مع العدالة الاجتماعية المطلقة فى الداخل ، كرامة دولية عزيزة فى الخارج ، ويرد إلينا اعتبارنا فى المجتمع الدولى ؛ وقد يعفينا من ويلات الحرب ، ويعفى الإنسانية معنا من هذا البلاء » (١)

ويلخص الأستاذ سيد قطب مشكلاتنا الاجتماعية فى : سوء توزيع الملكيات والثروات ، ومشكلة العمل والأجور ، وعدم تكافؤ الفرص ، وفساد جهاز العمل وضعف الإنتاج ؛ ويعرضها - واحدة واحدة - على الإسلام ، ويشرح علاجه الحاسم لها ، ثم يخلص إلى أن الإسلام يجب أن يحكم ليستطيع أن يطبق وينفذ مفنداً ما يوجه إلى حكم الإسلام من مطاعن وما يقف فى سبيله من عداوات هى عداوات الصليبيين ، والمستعمرين ، والمستغلين والطغاة ، والمحترفين من رجال الدين ، والمستهترين والمنحلين ، والشيوعية والشيوعيين

وقد كتب الأستاذ المؤلف هذا الكتاب على هدى الثقافة الإسلامية المستقاة من منابعها وأصولها ، وفى ضوء الإلمام بالمذاهب الحديثة ، واستعان بأداة الكاتب المبين وثقافة الناقد البصير . وقد ألف قبله كتاب « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » والكتابان يرميان إلى هدف واحد ، وإن كان كتاب العدالة يميل إلى الدراسة الجامعة للأصول ، أما كتاب المعركة فهو أميل إلى التطبيق . ويختلف الكتابان أيضا فى الأسلوب من حيث هدوء العدالة وثورة المعركة

(١) ما بين الاقواس فقرات من كتاب «معركة الاسلام والرأسمالية»

لم تصحو اليوم من بعد كود ؟
ما الذى عدت ترجى من جديد ؟
دورة أخرى على الأفق الشريد !
وعذاب الأمل الضائع فى التيه المديد !
هكذا يذهب عمرى فى ضلال وشرود !

* * *

لا تطع يا قلب داعى الخفقان
لا يغرنك شيطان الأمانى !
ماغناء الصحو من بعد الأوان؟
ضل ركب العمر يا قلب ببيداء الزمان
وتمشى اليأس والظلمة أعماق كيانى

محمد قطب

وإننى لأغبط صديقى الأستاذ سيد على هذه الروح القوية المنبثة فى كتابه « معركة الإسلام والرأسمالية » وأتمنى أن يكون لى تفاؤله .. ذلك أنى أرى أكبر عدو لسيادة الإسلام وعدالته إنما هـــو فى عقولنا .. حقا هناك المداوات التى ذكرها وبين أساليبها ، وهى عداوات ضارية ،ولـكن المداوة الأشد ضراوة هى فى داخلنا ، هى فى فهمنا العامى للاسـلام ، وليس هذا الفهم مقصوراعلى العوام ، بل هو أيضا فى أذهان المتعلمين الذين يتعلمون — ولا يزالون — على الأسس التى وضعها المستعمرون وقصدوا فيها إلى المباعدة بيننا وبين الإسلام ، بل هو أيضا فى أذهان من يسمونهم « رجال الدين » الذين يجـارون ذلك الفهم ، من أثر العكوف على الجدل العقيم الذى تزخر به الشروح والحواشى

وقد بين الأستاذ ذلك فى هـذا الـكتاب ، ولـكنه متفائل قوى الأمل فى النصر القريب ، ولـكننى لا أرى محاربة العدد الـكامن فى العقول أمرا هينا ، ولا ألمح لهذه المحاربة إلا طلائع قليلة العدد أغبطها وأرجو لهاالتوفيق

العيد الألفى لابن سينا

ذكرت فى الأسبوع الماضى أنه تقرر تأجيل الاحتفـال بالعيد الألفى للفيلسوف ابن سينا إلى ربيع سنة ١٩٥٢ وكان مقررا إقامته فى أكتوبر سنة ١٩٥١ ببغداد ، ووعدت ببيان سبب هذا التأجيل .

كشكول الأسبوع

◻ توفى يوم الأحد المـاضى المغفور له عبد العزيز فهمي باشـا ، والفقيد الـكبير من القادة الأعـلام ، وكان رحمه الله إلى جانب حيـاته السياسية والقضائية الحـافلة بالجلائل — أديبا مفكرا ممتازا ، تجلى أدبه الرفيع وأسـلوبه الحر فى كتاباته المختلفة وأبحاثه التى تمتاز بقوة الحجة وبراعة التدليل وله جهود بارزة فى خدمة اللغة العربيـة وخاصة بعد أن اختير عضوا بالمجمع اللغوى وله رسالة قيمة فى إصلاح الـكتابة العربية . وقد ظل متوقد الذهن لم يمتنع عن المشاركة الفكرية حتى آخر حيـاته وقد جاوز الثمانين من عمره .

◻ انتهى تصوير فلم « ظهور الإسلام » المقتبس من كتاب « الوعد الحق » لمعالى الدكتور طه حسين باشا ، وسيكون معدا للعرض فى القريب العاجل . وقد أطلق معاليه اسم « ظهور الإسلام » على الفلم . واشترك فى إعداده للسينما مع منتجه ومخرجه الأستاذ ابراهيم عز الدين

◻ عثر سعادة محمد فؤاد عثمان بك مدير الدقهلية فى مكتبة المجلس البلدى بالمنصورة على نسخة خطية لكتاب « إصلاح المنطق » لابن السكيت المتوفى سنـة ٢٤٤ هـ وهى أقدم الأصول المعروفة لهـذا المؤلف لأنها مصورة بكتابة من خط أحمد بن فارس مؤرخة فى سنة ٢٧٥ هـ . وقد رفع عثمان بك هـذه النسخة إلى معـالى كبير الأمناء لتحفظ فى مكتبة قصر الجوهرة .

◻ قرر المجلس الأمريكى للدراسـات الاجتماعية ترجمة كتاب « العدالة الاجتماعية فى الإسـلام » للاستاذ سيد قطب — إلى اللغة الانجليزية ونشره فى أمريكا للتعريف بسياسة الاسلام الاجتماعية . وسيقوم بترجمته المستشرق يوحنا (جون ب . هـاردي) الأستاذ بجامعة هالفكس بكندا .

◻ نشرت مجلة « آخر ساعة » أن السيد عبد الرحمن المهدى باشا تحـدث إلى بعض زواره من المصريين فى داره بالخرطوم ، فقال إنه عثر على لفظ يعتقد أنه خير كلمة نطلق على التلفزيون ، وهو « سرناه »

تقوم بالنظر فى هـذا الاحتفال الإدارة الثقافية بالجامعة العربية وهى دائمة الاتصال بالحـكومة الإيرانية للتنسيق بين الاحتفال العربى المعتزم إقامته فى بغداد وبين الاحتفال الإيرانى المعتزم إقامته فى طهران . ولمـا تقرر تحديد أكتوبر سنة ١٩٥١ لاحتفال بغداد أبلغت الحـكومة الإيرانية بذلك فردت بأن هذا الوقت يصادف شهر المحرم وهو شهر حـداد عند الشيعة فلا تقام فيه حفلات ، وأن الحـكومة الإيرانية تعمل فى بناء ضريح لابن سينا فى همدان ولم يتم بعد ولا ينتظر أن يتم قبل أكتوبر سنة ١٩٥١ ويحـسن أن يـكون الضريح مهيأ عند الاحتفال ليكون من تمام العناية بهذه الذكرى . ولذلك قررت اللجنة المؤلفة لهـذا الغرض بالإدارة الثقافية أن يقام الاحتفال ببغداد فى النصف الثانى من شهر مارس سنة ١٩٥٢ وتم الاتفاق مع إيران على هذا الوعد وعلى أن يقام احتفال طهران فى النصف الأول من إبريل ، إذ ينتقل المحتفلون ببغداد إلى طهران ويتم الاحتفال على هذه الصورة التعاونية

واللجنة العامة المؤلفة فى الإدارة الثقافية للاحتفال بالعيد الألفى لابن سينا مكونة برياسة الدكتور أحمد أمين بك وعضوية الدكاترة والأساتذة إبراهيم بيومى مدكور ومحمد البهى ومحمد يوسف موسى وأحمد فـؤاد الأهوانى ومحمود الخضيرى والسيد محمد تقى القمى (من

إيران) وشارل كونز مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة والمستشرق ماسينيون عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية والأب جورج شحاته قنواتي . وقد ألفت لجنة فرعية لنشر مؤلفات ابن سينا من بعض هؤلاء الأعضاء . وهناك لجان فرعية بالعراق وسوريا ولبنان ، العراقية برياسة الدكتور ناجي الأصيل والسورية برياسة الدكتور جميل صليب واللبنانية برياسة الدكتور عمر فاروخ . وكل منها تعمل في بلادها للتحضير للاحتفال العام ببغداد .

ويتمثل نشاط الإدارة الثقافية واللجنة المؤلفة بها فيما يأتي :

١ — جمع المخطوطات والوثائق المشتملة على مؤلفات الرئيس ابن سينا في المكتبات الشرقية والغربية والمكتبات الخاصة ، وما عسى أن يكون لدى بعض الأفراد . وقد أرسلت بعثات لتحقيق هذا الغرض إلى اسطنبول وسوريا وإيران وبريطانيا والفاتيكان والأسكوريال ، فصورت كثيراً من مؤلفات ابن سينا وأتت بما أمكن الإتيان به منها

٢ — قررت اللجنة البدء بنشر قسم من كتاب « الشفاء » وهو الخاص بالمنطق بعد مراجعة نسخه المخطوطة المتعددة وهو الآن تحت الطبع ونشر المجموعة الفلكية والمجموعة الرياضية لابن سينا ، وعهدت اللجنة إلى المختصين في كليتي العلوم والهندسة بجامعة فؤاد الأول لإنشاء لجنتين فرعيتين لمعالجة هذين الفرعين وكلفت اللجنة الأب جورج شحاته قنواتي بالكتابة عن مؤلفات ابن سينا، فأنجز الأستاذ هذا العمل في مؤلف ظهر أخيراً بعنوان « مؤلفات ابن سينا » وكلفت اللجنة أيضا الأستاذ محمود الخضيري بكتابة ترجمة حياة ابن سينا وكانت اللجنة قد تلقت من عالم باكستاني في لندن ، هو الدكتور رحماني ، أنه مهتم بنشر جزء النفس من كتاب الشفاء ، فقررت نشر هذا الجزء أيضا على أن يتعاون فيه الدكتور رحماني والدكتور الأهواني ، وقد يحضر الأول إلى مصر لهذا الغرض . وذلك كله عدا ما قد تنشره اللجان الفرعية في العراق وسوريا ولبنان

٣ — فيما يختص بالمهرجان الذي سيقام ببغداد ، رؤى أن تتناول المحاضرات الشؤون الرئيسية والقضايا الكبرى في شخصية ابن سينا وإنتاجه . أما الموضوعات التي تعالج نقطا خاصة لم يسبق علاجها فتعالج في بحوث فنية دقيقة . وكلفت اللجنة لفيفا من المستشرقين بالكتابة في موضوع من موضوعات عينتها ليلقى في المهرجان ، وقد رد معظمهم بالقبول ، ووصلت بالفعل أبحاث من بعضهم، ومن هؤلاء البروفسور جاردي الأستاذ بمدرسة اللاهوت في جامعة السربون

عباس خضر

لأنه من « رنا » بمعنى رأى وسمع . وأذكر أن هذا اللفظ « مرناة » من وضع الأستاذ المرحوم على الجارم بك ، وقد كتب عنه في « الأهرام » من نحو اثنتي عشرة سنة مقترحا إطلاقه على التلفزيون .

◻ ينص التشريع الإسلامي على أن أي بلد من بلاد المسلمين يعتدى عليه فإن جميع البلاد الاسلامية تعتبر في حالة حرب مع المعتدى . وهذه فرنسا تنكل باخواننا في مراكش ، فاما أن نفعل شيئا ، ولا أقل من المقاطعة العامة وقطع العلاقات السياسية أو قولوا إننا غير مسلمين !

◻ عين الدكتور زكى المحاسنى مراقبا عاما للبعثات في المفوضية السورية بمصر . والدكتور المحاسنى ليس جديدا على مصر ، فهو خريج جامعة فؤاد الأول وإنتاجه الادبى معروف وهو زوج الكاتبة النابغة السيدة وداد سكاكينى ، ونرجو أن تكون عودتها إلى مصر بشيرا باستئناف نشاطها الادبى فيها .

◻ تصحيحا لما ذكرناه في الاسبوع الماضى عن مؤلفات أندريه جيد المنقولة إلى العربية نذكر أن كتاب « الباب الضيق » ترجمه الاستاذ نزيه الحكيم ، وهو مصدر برسالتين متبادلتين بين جيد وبين معالى الدكتور طه حسين باشا .

◻ انتهت مدة خدمة الاستاذ أمين مرسي قنديل مدير دار الكتب المصرية — في ٢٧ فبراير الماضى ، ويصرف مرتبه الآن باعتبار أنه في المعاش ، ولكنه يأمل أن تمد له مدة الخدمة ، ولذلك يستمر في العمل ويصرف الأمور في الدار ويركب سيارة الحكومة ، وإن لم يصدر قرار مد المدة بعد

◻ عاد الاستاذ يوسف وهبي بك إلى رياسة الفرقة المصرية ، وسيبدأ العمل مع الفرقة بمسرح الازبكية يوم ١٠ مارس الحالى . ولا شك أن للاستاذ جمهوره وجهوده الفنية المعروفة ، ولكن مما يؤسف له أنه لا يزال يصر على أن يتقدم بمؤلفاته القديمة ، وسيبدأ بأحدها .. وليته يقنع بخير ما فيه كممثل ويدع ما لقيصر لقيصر

◻ وجهت لجنة الشؤون المالية بمجلس النواب نقدات إلى الاذاعة المصرية عند مناقشة ميزانيتها ، ومن هذه النقدات « أن برامج الاذاعة أصبحت نسخة مكررة لا تبديل فيها ولا ابتكار ، وأن العناصر غير الصالحة من المذيعين والفنانين والمحاضرين لا تزال تفرض نفسها على هذه البرامج فرضا



رحلة معالي وزير المعارف الى الدقهلية

حركة بعد سكون، ونشاط بعد خمود، وإشراق بعد عبوس، وبشر بعد قطوب؛ وجود بعد بخل، وسخاء بعد شح، وبذل بعد ضن؛ تلك هي حال إقليم الدقهلية وحاضرته (المنصورة) في الأسابيع الماضية، لما استفاضت الأنباء بأن الدكتور طه حسين باشا سيزور هذا الإقليم ليبث فيه العلم وينشر منه العرفان. ولقد كنت ترى الناس جميعا في القرى والمدن لا يجرى على ألسنتهم غير اسم طه حسين، ولا يتحدثون إلا عن علم طه حسين، ولا يشيدون إلا بفضل طه حسين

ولم يكن هذا الانقلاب الذي شمل الحياة والناس في هذه الأيام الطيبة، لأن وزيرا للمعارف سيزورهم، أو لأنه سيأتيهم ليفتتح معاهد للعلم في بلادهم! فهذا شيء قد ألفوه من قبل كثيرا وأصبحوا لا يهتمون به، ولا يلتفتون إليه. وكم من وزير قد زارهم وأحيطت زيارته بضجيج المظاهرات، وعجيج الهتافات؛ مما لا يهز إلا الهواء ولا يخط إلا على الماء، ولا يبقى له أثر في الأرض ولا في السماء

ولكن هذا الانقلاب قد كان لأن الذي سيزورهم، ويشرف بلادهم هو الدكتور طه حسين، ذلك الرجل العجيب في علمه وإرادته، وفي عزمه وفي ثورته، والذي إذا أردت أن تجمل وصفه قلت صادقا - بغير أن تخشى معارضا - إنه قوة متحركة جبارة، لا تني ولا تضعف ولا تخشى في العلم أحدا

جاء ديارهم - لا ليفتتح - كغيره - مدارس للعلم وهو لا يدرى شيأ فيها ولا هم له إلا أن يمر عليها أو يشاهد مظاهرها ثم ينقلب مسرعا من حيث أتى! لا يذر وراءه أثرا، ولا يترك بعده ذكرا - وإنما جاءهم يمثل عصا موسى ففجر الخزائن المصونة، واستخرج الأموال المدفونة، وألان القلوب القاسية، وعصر النفوس العاتية، ليشيد الآثار الخالدة من المعاهد العلمية والكليات الجامعية، وينفخ فيها من روحه لكي تبقى على وجه الدهر، وتؤتى ثمرها في كل عصر. ومعاهد العلم كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها. وهل أبقى على وجه الأرض من أماكن العلم وأثبت من صروح العرفان؟

ومن كان يظن أن رحلة صغيرة مثل هذه الرحلة تؤتى مثل هذه الثمرة المباركة؟ ومن ذا الذي يستطيع أن يجمع في يوم واحد من مثل بلادنا المصروفة عن المكارم المغلولة اليد عن الخير - مئتي ألف من الجنيهات ليبنى بها معاهد للعلم - وليس في يده قوة مادية، ولا سلطة إدارية! حقا إن هذا لعجيب. ولكنه طه حسين وقوته الجبارة!

ولو أنت شهدت إقليم الدقهلية وحاضرته في اليوم الثاني من شهر مارس سنة ١٩٥١! لبهرك ما ترى، ولأدهشك ما تسمع؛ فقد أخذت الأرض زخرفها وازينت وانبعث الناس جميعا كأنهم في عيد محتشدين على جوانب الطرق التي اتخذها طه حسين لمروره في بلادهم من جنوب الإقليم إلى شماله، لم تدفعهم رجة ولا ساقتهم قوة - كما جرت العادة في مثل هذه الزيارة - ولكن دفعتهم الرغبة المشبوبة بين جوانحهم ليرحبوا به أجمل الترحيب، وليؤدوا ما يجب له من مظاهر التكريم، وليسعدوا برؤية موكب وزيرهم الذي ملأ البلاد علمه، وعم الأكوان فضله، وكأن هذا اليوم هو الذي عناه الصاحب بن عباد بقوله:

قدم (الوزير) مقدما في سبقه   وكأنما الدنيا سمت في طرقه

وما ظنك بما تكن القلوب المخلصة وتظهر الجوارح الصادقة لرجل لا ينفك يعمل للعلم، ويسعى في نشر العلم، ولا يفتأ يرحل في سبيل العلم حتى صدق فيه قول المتنبي:

كل يوم لك ارتحال جديد   ومسير للمجد فيه مقام
وإذا كانت النفوس كبارا   تعبت في مرادها الأجسام

وإن هذا اليوم المبارك الذي ازدهت الدقهلية به، ولم تشهد مثله على مد التاريخ كله، له ما بعده، وما بعده إلا العلم ينبعث ضوؤه الباهر لينير هذا الأقليم، ثم يرسل أشعته إلى من حوله ومن يؤمه من سائر الأقاليم

وإن التاريخ ليسجل هذا اليوم على صفحاته ويجعله من

الأيام التي تفاخر الأجيال بمثله ، وتتحدث القرون بفضله

فهنيئاً للإقليم الدقهلية بما ظفر من مجد وبما نال من فخر، وأهلا ومرحبا بالزائر الكريم في الحل والترحال ، وحقق الله على يديه كل ما نصبو إليه من آمال

المنصورة **محمود أبو ريه**

بين شيبوب ومطران

يبدو أن ما كتبته في « الرسالة » عن تفضيل شعر خليل شيبوب على شعر خليل مطران ، قد أثار مرارة في بعض النفوس مظهرها هذه الرسائل الصاخبة التي ألقى إلى بها البريد ، وهذه الرسائل الشفوية العاتبة صبتها في أذني المسرة صبا

وأحب أن ألقى هؤلاء العاتبين الصاخبين بقول أكثم بن صيفي « إن قول الحق لم يدع لي صديقا » ليفهموا أني رجل أحمل رأسي على كفي ، وليفهموا أيضا أن هذه المجاملات الفارغة هي التي أضاعت تراثنا الأدبي ، فنبه الخامل وخمل النبيه ، وانحط الرفيع ، وارتفع الوضيع

وكذلك شاء القدر الساخر أن يجعل الناشرون والمسيطرون على دور الصحف من خليـــل مطران « ثالثـــا » لشوقي وحافظ ، وهولم يلحق بغبارهما ، بل إنهم لم يكونوا ينشرون قصائد شوقي وحافظ في صحفهم إلا من خـلال نشرهم لقصائد مطران ! وكذلك خمل ذكر أحمد محـرم ومحمود الـكاشف وهما من القدر والمـكانة عند أهـل الأدب الصحيح في المنزلة العليا والمـكان الرفيع !

وبعد ، فاننا رجعنا إلى مقال « الرسالة » في خليل شيبوب فلم نعثر على أننا أتينا شيئا إمرا؛ وكل ما سجلناه هو الحقيقة الواضحة التي لا تخفى على ذي عينين ، وإن كانت تخفي على ذوي الوجهين وذوي اللسانين ! فان كان أحد من العاتبين الصاخبين يرى غير هذا الرأي ، فدونه فليعاود قراءة المقال ، ثم ليقرع الحجة بالحجة إن استطاع إلى ذلك سبيلا . وما هو بمستطيع إن شاء الله

أما أولئك الصحب والخلصـاء الذين حسبوا أني قصدت إليهم بتجريح أو نكاية ، فحسبي أن يعـرفوا أني أدين بدين الصراحة . وإن وقع في أذهانهم أن اتجاها بعينه هو الذي حملني على أن أقول ما قلت ، فما أراهم عرفوني ولا أدركوا شيئا مما رضنا به النفس في متاهات الحياة !

منصور جاب الله

رسائل بين مصر وملوك المغرب

كتب ملك مصر السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن سنة ٥٨٥ هجرية أحد ملوك المغرب يستحثه على الجهاد.

« فتح الله بحضرة سيدنا أمير المؤمنين وسيد العالمين وقسيم الدنيا والدين ، أبواب الميامن وأسباب المحاسن ، فقد كان من أوائل عزمنا ، وفواتح رأينا ، منذ ورودنا الديار المصرية مفاتحة دولة سيدنا ، وأن نتيمن بمكاتبتها ، ونتزين بمخاطبتها . . لكن عـلك طرفا من حبل الجهـاد يكون بيد حضـرة سيدنا العالية طرفه ، فنتجاذب أعداء الله من الجانبين ، لاسيما بعد أن نبنا عنه نيابتين ، الأولى في تطهير الأرض المصرية واليمنية ، والثانية في تطهير بيت المقـدس ، ممن كان يعـارض برجسه تقديسه ، ويزعج ببناء ضلاله تأسيسه ، وما كان إلا جنة إسلام فخرج منها المسلمون خروج أبيهم آدم من الجنة . فوفقنا الله وما كانت لنا بذلك قوة بل لله القوة ، ولا لنا على الخلق منة بل لله المنة »

وتحدث عن معركة ثغر عكا مع الإفرنج فقال : « ونزلنا عليهم وعليـه فضرب معنا مصاف قلت فيه فرسانه وجندلت شجعانه » . .

وذكر عودة الإفرنج في منسلخ الشتاء ومستهل الصيف ، بقوله « فلا يؤمن على ثغور المسلمين أن يتطرف العدو إليهم وإليها ويفرغ لهم ويتسلط عليها »

« وإذا قسمت القوة فرعـا أضر بالإسـلام انقسامها ، وثلمه والعياذ بالله انثلامها »

وطلب إليه أن يبعث بأسطول المغرب ليحاصر صقلية ويصف سفيره بقوله : « أوفدناه إلى باب حضرة سيدنا و هو الداعي السمع والمبلغ المقنع ، علمناه أمرا يسرا ، وبوأناه الصدر فـكان وجها ، وأودعناه السر فـكان صدرا

ويقول صاحب صبح الأعشى إن رسول صلاح الدين كان



مقهى سوراط

قصة عن ليو تولستوى

للاستاذ رمزى مزيغت

كان فى مدينة سوراط فى الهند مقهى يؤمه خليط من مختلف الأجناس والأديان ، وفى ذات يوم وفد إلى المقهى رجل مهيب الطلعة وفى صحبته عبد أسود يقوم على خدمته وكان هذا الرجل عالماً روحانيا من بلاد فارس قضى جل عمره فى قراءة كتب اللاهوت ودراستها والبحث عن ذات الله وسر وجوده . وكانت نتيجة بحثه أن اختلطت عليه الأمور وأنكر وجود إله يدير هذا الكون على الإطلاق . ولما علم الشاه بأمره نفاه من البلاد ، فراح يرتحل من بلد إلى بلد حتى انتهى به المطاف إلى هذا المقهى فى مدينة سوراط

طلب العالم لنفسه كوباً من شراب الأفيون بينما جلس العبد على حجر خارج الباب يذب عن أنفه الذباب ولما استقر الأفيون فى جوف العالم وسرى فى عروقه مفعوله ، التفت إلى عبده وسأله :

– قل لى أيها العبد التعس ، هل تؤمن بوجود الله ؟ فقال العبد – نعم أؤمن . ثم مد يده إلى حزامه وأخرج من تحته تمثالا صغيراً من الخشب — وقال هذا هو الإله الذى حرسنى منذ أن ولدت . ونحن جميعاً فى بلادنا نعبد الشجرة التى نصنع منها هذا الإله . وكان فى المقهى خليط من مختلف الأجناس والأديان فأدهشهم سؤال العالم وجواب العبد ، ثم انبرى لهما رجل من أتباع براهما وقال مخاطباً العبد — يالك من تعس أحمق . . كيف تعتقد أن رجلا مثلك يمكنه أن يحمل الله تحت حزامه ؟ ليس هناك إلا إله واحد هو براهما خالق هذا الكون . إن براهما هو الإله الأعظم الذى من أجله أقيمت الهيا كل المديدة على ضفاف نهر الكانج حيث يقوم على عبادته الكهنة الورعون . ولقد مضى على ظهور براهما عشرون ألف سنة جرت خلالها ثورات وثورات ومع ذلك فان شيئا لم يستطع أن يعصف بأولئك الكهنة لأن براهما — الإله الواحد الحق — كان يحميهم طوال هذه السنين

وما انتهى البرهمى من حديثه حتى رد عليه صيرفى يهودى قائلا – ما هذا الذى تقوله ؟ إن معبد الإله الحق ليس فى الهند وليس الاله الحق بإله الهنود . وإنما هو إله إبراهيم وإسحق ويعقوب . . وهو لا يحمى إلا بنى إسرائيل شعبه المختار . . وإذا كنت ترانا اليوم مشردين فى أنحاء الأرض فما ذلك إلا لتجربتنا وامتحان إيماننا . . ولقد وعدنا الله أن يجمع شملنا فى القدس مرة أخرى ، ومنها سوف نبسط سلطاننا على العالم بأسره . قال اليهودى هذا وانفجر با كيا وكان يريد الاسترسال فى حديثه فقاطعه مبشر إيطالى كان حاضراً بقوله – إن ما تقوله غير صحيح . . وأنت إنما تنسب الظلم إلى الله بدعواك هذه . فالله لا يفضل شعبا على شعب وإنما يدعو الذين يبتغون الخلاص أن ينتموا إلى كنيسة روما الكاثوليكية إذ أنه لا خلاص لمن لا ينتمى إليها . وكان من جملة القوم قسيس بروتستانتى فساءه

اسمه ابن منقذ ولابد أنه وضع كتاباً عن رحلته . فدليل نقله عنه أنه زار بستانا بجوار فاس يقال له البحيرة علم أن إيراده بلغ كل سنة خمسة وأربعين ألف دينار ، وبه بركة ماء مربعة قاس كل ضلع منها فإذا به مائتان وستة عشر ذراعا وبها ما هو أكبر من ذلك

أحمد رمزى

تصويب لغوى

قرأت فى العدد ٩١٧ من مجلة الرسالة الزاهرة كلمة عن طول العمر وقصره فى البريد الأدبى للدكتور حامد الفوابى وجاء فى ثنايا كلمته (أرأيت إلى من يدهسه ترام) ولم يسمع عند العرب استعمال دهس بهذا المعنى فالصواب أن يقال (داسه) مستعاراً من الدوس بالأقدام ولعل دهسه محرف من دعسه أى وطئه شديدا

بغداد عبد الخالق عبد الرحمن

قول المبشر وقال له بصوت مرتجف – إن ما تقوله خطأ محض ، فليس الخلاص مقصوراً على اتباع كنيستكم ، بل هو من نصيب كل من يخدم الله مخلصا حسب تعاليم الإنجيل . هكذا قال السيد المسيح

وكان من بين الحاضرين تركى من موظفى الجمرك فنظر إلى هذين المسيحيين شزراً وقال بترفع – إن إيمانكم بالديانة المسيحية أصبح باطلاً منذ أن حل محلها الدين الإسلامى الحنيف . إن هذا الدين هو دين الله الحق وليس أدل على صحته من تلك السرعة الهائلة التى انتشر بها فى ربوع أفريقيا وأوروبا وحتى فى بلاد الصين المستنيرة إنه لا خلاص إلا لأتباع محمد آخر المرسلين

وأثار قول هذا التركى ضجة بين الحاضرين فاشتبكوا فى جدال حامى الوطيس . ولم يبق أحد لم يشترك فى هذا الجدال إلا رجل واحد صينى من تلاميذ كونفوشيوس كان قابعا فى ركن من أركان المقهى يشرب الشاى ويصغى إلى ما يقوله المتخاصمون . ووقعت عينا التركى عليه صدفة فاستنجد به قائلا – أراك يا صاح لا تتكلم ، ولكنى أعتقد أنك فى قرارتك توافقنى على رأيى . فأنتم معشر الصينيين ، على الرغم من كثرة الأديان فى بلادكم ترون أن الديانة الإسلامية هى أفضل الأديان وتعتنقونها عن طيب خاطر . فهلا أنجدتنى أبنت لنا عن رأيك فى الله وفى رسوله ؟ فهتف الجميع قائلين – نعم ، نعم ، أسمعنا رأيك فى الموضوع .. فأغمض تلميذ كونفوشيوس عينيه وفكر قليلا ثم فتحهما وطوى يديه على صدره وقال بصوت هادئ رزين :

« يبدو لى أيها السادة أن التعصب أو العصبية وحدها هى التى تحول دون اتفاق الناس فى أمور الدين . سأروى لكم قصة توضح ما أعنيه

« لقد قدمت هذه البلاد على ظهر باخرة إنكليزية ومررنا بطريقنا على مختلف البلدان . ولما وصلنا إلى جزيرة سومطرة نفد منا الماء فنزلنا إلى الشاطئ لنتزود بحاجتنا منه . وكان الوقت ظهرا فجلسنا تحت ظل أشجار جوز الهند على مقربة من إحدى القرى . وكنا خليطا من مختلف الأجناس .. ولم نلبث قليلا حتى اقترب منا رجل أعمى علمنا فيما بعد أنه فقد بصره لكثرة ما كان ينظر الى الشمس لمعرفة كنهها وكيفية انبثاق النور منها. فكانت نتيجة بحثه فقدان بصره وعقله فى آن واحد . وجلس الأعمى الى جوارنا وأخذ يحدث نفسه بصوت مرتفع – إن نور الشمس لا يمكن أن يكون سائلا وإلا كان من الممكن صبه من وعاء الى آخر . وهو لا يمكن أن يكون ناراً وإلا أطفأه الماء . ولا يمكن أن يكون الضوء روحا لأنه يرى بالعين . كذلك فهو ليس مادة لأن المادة يمكن تحريكها . وما دام ضوء الشمس ليس سائلا ولا ناراً ولا روحا ولا مادة فهو إذن « لا شئ » . وكان فى رفقة الأعمى خادم ، وكان منصرفا عن حديث سيده الى عمل مصباح من جوزة الهند ، ففتل فتيلا من قشرتها وعصر الزيت من اللب وصبه فى القشرة وأدلى الفتيل فيها . والتفت اليه الأعمى بعد قليل وقال – قل لى أيها العبد ، ألم أكن محقا حين قلت لك إنه لا وجود للشمس ؟ ألا ترى هذا الظلام يلف العالم بردائه ؟ ومع ذلك فإن الناس يزعمون أن الشمس موجودة .. فإذا كانت موجودة فملا فما هى وما كنهها ؟ فرد عليه الخادم بقوله – أنا لا أعرف ما هى الشمس ولا يهمنى أن أعرف ، فليس هذا من شأنى . ولكنى أعرف ما هو النور وها أنا قد صنعت مصباحا أستطيع على ضوئه أن أقضى لك حاجاتك عندما يحل الظلام . قال هذا ثم رفع المصباح بيده وقال – هذه هى شمسى . وكان إلى جوارنا رجل أعرج فلما سمع ما دار بين الأعمى وخادمه انفجر ضاحكا وقال مخاطبا الضرير : يبدو لى أنك ولدت أعمى وإلا لعرفت ما هى الشمس . إن الشمس يا صاحبى كرة من نار ترتفع كل صباح من البحر ثم تعود فتتوارى بين جبال جزيرتنا كل مساء . إن كل سكان الجزيرة يعرفون ذلك ولو كنت مبصراً لأمكنك التحقق بنفسك من صدق الخبر

وما انتهى الأعرج من كلامه حتى انبرى له صياد سمك قائلا – يظهر لى أنك لم تغادر جزيرتك هذه قط . فلو أنك لم تكن أعرج وطفت البحار مثلى فى قارب للصيد لعرفت أن الشمس لا تغرب بين جبال جزيرتنا أبدا ، ولأدركت أنها كما تشرق من البحر كل صباح فهى تغرب فيه كل مساء . ولك أن تصدق ما أقول لأنى أرى ذلك بعينى كل يوم

وكان بيننا هندى من عبدة الشمس فقاطعه قائلا – يدهشنى أن أسمع شخصاً عاقلا مثلك يهذى بهذا الكلام . كيف يجوز

أن تنطفى كرة من نار فى الماء دون أن تنطفئ . إن الشمس ليست كرة من نار قطعا وإنما هى الإله المعروف باسم (ديفا) الذى يركب عربته ويدور بها باستمرار حول جبل فيدو الذهبى ويحدث فى بعض الأحيان أن تهجم عليه الحيتان اللعينتان (راجو) و (كيتو) وتبتلعانه فيسود الأرض الظلام . فينصرف الكهنة إلى الصلاة لخلاص الإله فلا يلبث أن تقذفه الحيتان ويبدد ضوءه الظلام من جديد . إن الأغبياء الجهلة من أمثالك الذين لم يبرحوا جزيرتهم قط ، هم الذين يعتقدون أن الشمس لا تضىء إلا بلادهم وحدها فقط . وهنا انبرى للهندى ربان سفينة مصرى كان معنا وقال له - إنك مخطىء أيضاً . إن الشمس ليست إلها ولا هى تدور حول الهند وجبلها الذهبى فقط . لقد طوفت أنا فى مختلف البحار ومررت بجميع البلاد وكنت أرى الشمس فى كل مكان . فهى لا تدور حول جبل معين ولكنها تشرق من أقصى الشرق وراء جزر اليابان وتغرب فى أقصى الغرب وراء الجزر البريطانية . وكان المصرى يرغب فى مواصلة حديثه لولا أن قاطعه بحار إنجليزى من سفينتنا بقوله - ما من بلد تعرف عن الشمس وحركتها اليومية أكثر من بلاد الإنجليز . فنحن معشر الإنجليز نعرف أن الشمس لا تشرق من أى مكان وإنما هى تدور حول الأرض باستمرار . وكل من معى فى هذه السفينة يمكنه أن يؤكد لكم هذه الحقيقة . فلقد طوفنا بجميع أطراف العالم ومع ذلك لم نصطدم يوما بالشمس فى أى مكان . بل كنا أنى اتجهنا نجدها تشرق فى الصباح وتغرب فى الماء كما هو شأنها هنا فى هذه الجزيرة . قال البحار هذا والتقط عصا وأخذ يرسم على الرمل أشكالا يشرح بها حركة الشمس فى قبة السماء ولكنه لم يستطع أن يوفى الشرح حقه فالتفت إلى ربان السفينة الإنجليزى وقال - إن هذا السيد يعرف عن الشمس أكثر منى وهو يشرح لكم أمرها . وكان الربان طيلة الوقت ساكتا يصغى إلى ما يقال فلما طلب اليه البحار أن يتكلم واتجهت إليه الأنظار تنحنح وقال - الواقع انكم تضللون بعضكم بعضا وجميعكم مخطئون . إن الشمس لا تدور حول الأرض وإنما الأرض هى التى تدور حول الشمس وهى تدور فى الوقت نفسه حول نفسها مرة كل يوم وبذلك يتعرض كل بلد على سطحها لضوء الشمس على التعاقب . فمخطىء من يقول إن الشمس لا تضىء إلا جبلا واحدا أو جزيرة واحدة أو بحرا واحدا . فهى فى الواقع تضىء كل الكواكب ومن جملتها الأرض التى نعيش عليها . ولو أنكم نظرتم الى السماء متأملين لا تضحت لكم حقيقة الأمر ولما عدتم إلى القول بأن الشمس تضىء لكم وحدكم أو لبلدكم دون غيرها .. وتوقف تلميذ كونفوشيوس قليلا عن الكلام ثم استطرد - وكذلك الأمر أيها السادة فى أمور الدين ، فإن الكبرياء أو التعصب وحده هو سبب هذه الخلافات بين الناس ، والذى ينطبق على الشمس ينطبق على الله .. فكل واحد يريد إلها خاصا به أو إلها خاصا ببلاده على الأقل .. وكل أمة تريد أن تحصر فى معابدها الخاصة ذلك الإله الذى لا يتسع له الكون بأسره .. هل هناك من معبد يضاهى ذلك المعبد الذى صنعه الله ليجمل الناس فيه على دين واحد لا غير .. ؟ إن جميع معابد البشر قد بنيت على نمط معبد الله الأكبر ، ولكل منها حوض وقبة ومصابيح وصور وتماثيل ومخطوطات وأنظمة ومذابح وكهنة . ولكن أى حوض من هذه الأحواض يضاهى حوض الأوقيانوس ؟ وأية قبة تضاهى قبة السماء ، وأين هذه المصابيح من الشمس والقمر والكواكب .. وأين تلك التماثيل الجامدة من بنى البشر الأحياء الذين تربط بينهم المحبة والتعاون . وأين قوانين البشر من قوانين الله ، وأية تضحية أعظم من تضحية بنى البشر المحبين بعضهم لبعض ، وأى مذبح اعظم من قلب الرجل الطيب المؤمن ؟ ان المرء كلما تعمق فى فهم الله ازداد به علما ، وكلما ازداد علما به ازداد منه قربا وبات مثله حنونا طيبا ومحبا لأخيه الإنسان . فليكف إذن من يرى ضوء الشمس يغمر الكون بأسره عن لوم ذلك الأحمق الذى قعد به خوله عن أن يرى سوى شعاع واحد من ذلك الضوء الباهر . وليكف أيضا عن احتقار الكافر الذى فقد بصره ولم يعد يرى الشمس المنيرة

بهذا خاطب الصينى تلميذ كونفوشيوس - رواد المقهى - فسكت الجميع وأفحموا ، وكف كل منهم عن الادعاء بأن دينه أفضل الأديان

رمزى مزيغيت

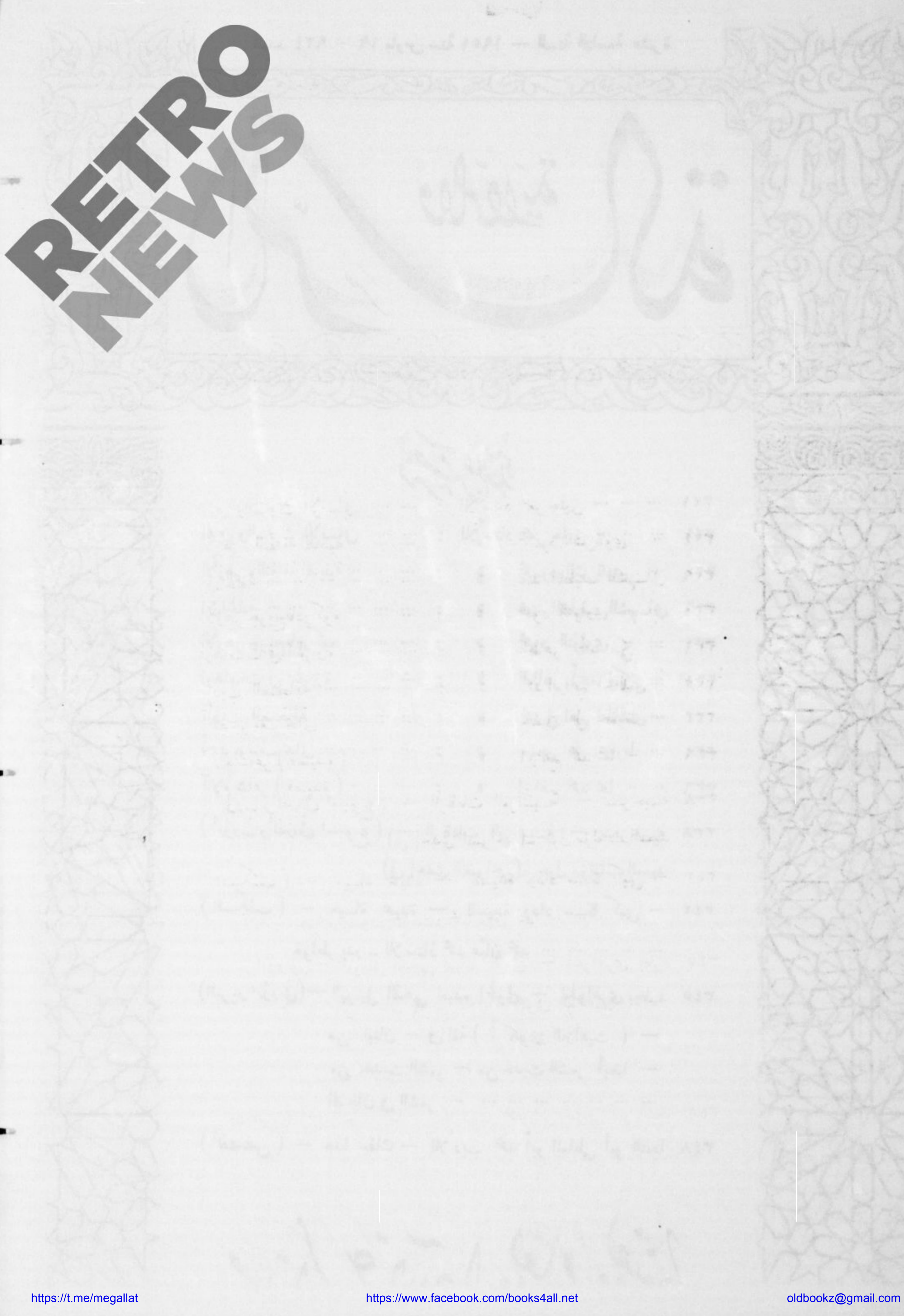


العدد ٩٢٤ — ١٩ مارس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



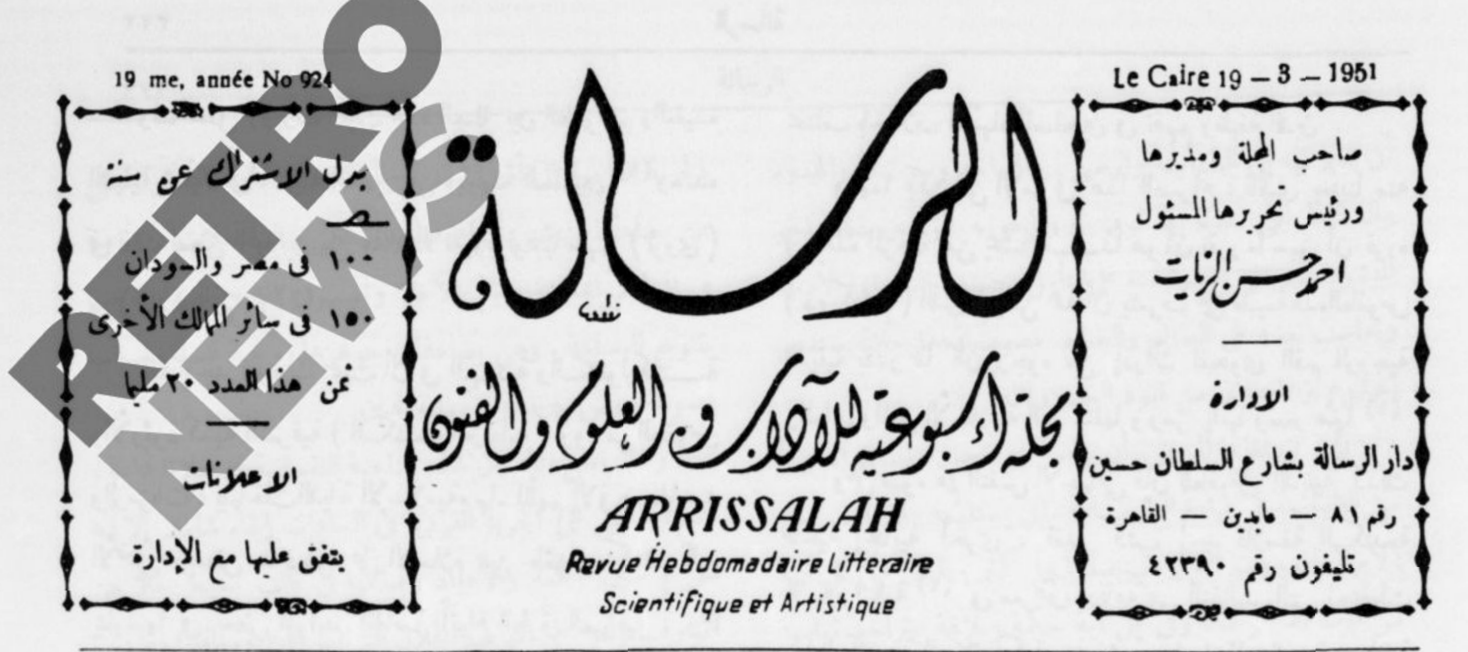
فهرس العدد

مجلة الرسالة للعلم والفنون



19 me, année No 924

Le Caire 19 - 3 - 1951



بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٢٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠ — ١٩ مارس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

٦ – الدين والسلوك الانسانى

للاستاذ عمر حليق

الطقوس الدينية :

اقتدى كاتب هـذه السطور فى هذا الجزء من دراسته بالبروفسور واخ (١) وتصنيفه الاختبار الدينى فى ثلاثة هى العقائد والطقوس الدينية والنتائج الاجتماعية لـكل منهما

ولقد عالجنا فيما سبق علاقة الاختبار الدينى بالعقيدة فلنحاول أن نتعرف الآن مكانة الطقوس والعبـادات الدينية فى هذا الاختبار

ولنا أن نبدأ فنسجل أن هناك تواكلا وتـكاليف بين العقيدة والطقوس المعبرة عنها . فالعقيدة والإيمان الصادق بها يوحى إلى الفرد والجماعة ألواناً من التعبير هى ما اصطلح الناس على تسميتها بالطقوس والعبادة، فالأولى يمكن أن تحسب (ولو على سبيل الدلالة) فى عداد النظريات والنشاط الفـكرى والروحى، والثانية تعد من قبيل النشاط العملى (الجسمانى)

ففى رأى البروفـسور (واليس) (٢) أن الطقوس الدينية والعبادات ليست مجرد تقليد جاء بطريق الصدفة ، وإنما هو تعبير أصيل للعقيدة الدينية التى تتوخى أن تنفذ إلى كل مافى الـكيان الإنسانى؛ فلا تقتصر على الاتصال والتأثير بالمشاعر الروحية الحاسة وإنما تتعمد الوصول إلى الناحية المادية (الفيزيولوجية) فى ذلك الـكيان

وقد اصطلح علماء الانترويولوجيا على تصنيف العبادات الدينية أربعة أصناف هى : —

(١) الحفلات والطقوس الدينية

(٢) الرموز

(٣) المقدسات (الملموسة والمحسوسة)

(٤) الضحايا (بمعناها الدينى)(١)

وللطقوس الدينية مكانة أصيلة فى السلوك الدينى. ولعل الخطأ الجوهرى فى حملة الطبيعيين والماديين على الدين مرجعه خلطهم الناحية المنطقية (النشاط الفكرى) فى الدين بالنشاط العملى (الجسمانى) الذى يعبر عنها كالصلاة وضحايا الأعياد والحفلات الدينية وما إلى ذلك من ألوان ذلك النشاط

ومما لا ريب فيه أن الطقوس الدينية على غرابة بعض ألوانها وشذوذه هى جزء جوهرى من الحياة الدينية ومتممة للناحية المنطقية والفـكرية فى السلوك الدينى

(١) J. wash. Sociology of Religion.

(٢) W.D, wallis, Religion in primitive Society.

(١) المرجع نفسه

وقد حلل رويرت سميث هذه الصلة بين الطقوس والعقيدة الدينية تحليلا فى كتابه الشهير عن ديانات الساميين [١] وسنده فى ذلك بعض المحدثين من علماء الانتروبولوجيا منهم (لووى) و (مانيلوفسكى) [٢]

فقد وجد رويرت سميث أن فى اليهودية والكاثوليكية والأرثوذكسية الشرقية (الكنيسة البزنطية) ثروة من الطقوس والرمزيات، بينما خلت الديانة الإسلامية منها. اللهم إلا فى ضحايا عيد الأضحى وبعض ما دخل على الإسلام من طقوس كتلك التى يمارسها فى بعض المواسم الخاصة أتباع الطرق الصوفية. ومما لا ريب فيه أن هذه الطقوس لم تكن فى صلب الإسلام وإنما وجدت سبيلها إلى بعض أتباعه عن طريق الديانات الآرية (الفارسية) والهندية. والطقوس فى الديانات الآرية كالبوذية والبرهمانية والزرادشتية تؤلف عنصراً رئيسيا بارزاً فى الحياة الدينية للجماعات التى تدين بها

وخلاصة القول فى تمازج العقيدة الدينية بالطقوس المعبرة عنها وتكافلها وتضامنها فى توجيه السلوك الدينى — خلاصة القول أن الطقوس تختلف باختلاف العقيدة والمكان والزمان. وقد تكون هذه الطقوس فى حياة جماعة الناس منسقة لها طابع تقليدى خاص يعبر عن روح الجماعة. وقد تكون فردية يصوغها المؤمن فى قالب شخصى فتكون معبرة عن انفعالاته الخاصة

وفى تاريخ الديانات صراع مزمن مستمر بين الطقوس التقليدية التى تعبر تعبيراً جماعيا (نسبة إلى الجماعة) وتلك التى لها طابع فردى. ومن هذا الصراع نشأ الإلحاد والمدارس المتطاحنة التى عالجت مسألة الدين عقيدة وسلوكا. وهذا الصراع كان على نوعين: —

إلحادى ينفر من الدين وينفر الناس منه. ونوع آخر إصلاحى أهدافه الخروج على التقاليد والسعى لصياغتها فى قوالب تختلف باختلاف اجتهاد المصلحين فى تفهم وظيفة الدين

ومهما يكن من الأمر فى هذا الصراع، فالذى يعنينا منه فى هذه المرحلة من بحثنا هـذا هو أن نقرر ما سبق أن قرره (دير كهايم) الذى لم يكن همه أن يتعرف على طبيعة هذه الطقوس الدينية بقدر ما كان يرجوه من إدراك لفحوى القيم الروحية والمعانى والمثل الأخلاقية التى تمثلها وترمز إليها وتعبر عنها [١]

وعلى ضوء علم النفس الاجتماعى فإن للطقوس الدينية كذلك ناحية إيجابية أخرى. فقد كتب أحد فلاسفة الكنيسة الكاثوليكية [٢] فى معرض دفاعه عن التقاليد التى احتفظت بها الكنيسة الكاثوليكية منذ نشوئها وانتقاد البروتستانتية الحديثة لهذه التقاليد فقال:

« إن المسيحى بمفرده ليس مسيحيا فقط، وهو يعنى بذلك أن اقتصار الاختبار الدينى على الفرد دون الجماعة لايفى بالنتائج الاجتماعية التى ينطوى عليها الاختبار الدينى والتى هى من الوظائف الأساسية للدين »

فصلاة الجماعة فضلا عن وظيفتها الاجتماعية من حيث أنها تجمع المؤمنين على الفضيلة فى صعيد واحد فإن لها وظيفة نفسانية (سيكولوجية) كبيرة النفع

فإن التعبير المشترك بين الجماعة عن المشاعر الروحية إثبات لحقيقة هذا الشعور. فالمرء إذا خلا لنفسه يحاسبها ويستعرض أمامها مشاكله الروحية والاجتماعية فقد يميل إلى القنوط ويبالغ فى عجزه أو مقدرته على مواجهة هذه المشاكل. والمرء مهما ارتقت مداركه وإحساساته واطلاعه على نواحى الخير والشر فى السلوك الإنسانى عاجز عن التعرف على حقيقة مكانه فى الكون؛ فمشاكل الكون النفسانية والمادية والاجتماعية معقدة وعرة المسالك. فإذا تسنى للمرء أن يندمج فى جماعة من الناس تشعر بما يشعر وتبحث عما يبحث من الطمأنينة والرضى فهو لا شك مرتاح ومستكين. والحياة اليومية أقسى من أن توفر للفرد جوا يستطيع

(١) W R Smith Religion of the Semites

(٢) B Manilowski Magic Science and Religion

(١) راجع المقالة الثالثة من بحثنا هذا فى مجلة الرسالة

(٢) H. Scheler as quoted in Catholic principles of Religion

أن يخلد فيه إلى الطمأنينة والرضى . والمساجد وبيوت الله والهدوء والسكينة التى تحيط بها توفر له ولإخوانه المؤمنين ذلك الجو المنشود يستوحى القدرة منه على التأمل ويستمد الشجاعة الأدبية ويحاسب نفسه على الصالح والطالح . فصوت الله جل جلاله يستدعى الخشوع والانطلاق من قيود النفس والمادة

فإذا استطاع المريض أن يتلمس فى خجل واستحياء نوعاً من الطمأنينة فى عيادة الطبيب النفسانى يستلهمه علاج النفس من آلامها فإن بيوت الله أرحب صدرا وأكثر مهابة . ففى كل فقرة من آيات الذكر عظة وفى كل آية حكمة وبلاغة يتراجع أمامها خجلا واستحياء علم الطبيب النفسانى . وبعد فإن علم النفس لا يعالج إلا النفس القلقة المضطربة التى تمتقد أن العقيدة الراسخة فيها أصبحت فريدة العقد النفسانية والأزمات الروحية

والمرء حين يجد فى بيوت الله من يشاركه هذا الالتماس ويرجو مثل الطمأنينة التى يرجوها يزداد ثقة وينطلق فى محاسبة النفس والتماس العلاج

والبروتستانتية المعاصرة مثلا تفخر بأنها تجارى التطور فى الحرية الفردية ، وأن هذه الحرية يجب أن تشمل الدين كما شملت السياسة والاقتصاد (١) ولذلك أطلقت العنان للمؤمنين فانتهجت كل جماعة وسيلة جديدة من وسائل الاختبار الدينى

وإذا جاز للمطلعين على حاضر البروتستانتية أن يكبروا مساهمتها فى إطلاق قيود الفكر المسيحى من جمود القرون الوسطى فإن لنا أن نسجل هنا أن هذه المساهمة قد أولت فى كثير من الحالات قلقاً فكريا وروحا عاطفيا انتهج فى الآونة الأخيرة نهجين : — نهجا وجد فى القانون المدنى وآدابه ومثله العليا استعاضة عن الدين فلم يشف غليله ، وإنما أشكل عليه الأمر كما تشهد بذلك المشاكل النفسانية العميقة التى تعيش فى الشعوب البروتستانتية . والنهج الثانى عكوف عن هذا الانطلاق المتطرف وتحديده بقيود أسسها إحياء الاختبار الدينى على أساس السلوك الجماعى لا الفردى

فالكنائس البروتستانتية فى أمريكا وبريطانيا — وقد تأثرت بالحرية الفردية إلى أقصى حد — أخذت فى الآونة الأخيرة تعلن عن بضاعتها فى شتى أنواع الإغراء . فهى تنظم الحفلات الاجتماعية فى المواسم الدينية وأيام الآحاد وتستهوى الناس للمشاركة فيها بتنويع البضاعة . وهى بضاعة فى جوهرها روحية فاضلة ولكنها مشوبة ببعض ما يتنافى ومهابة الدين

ولقد فطن الإنسان لهذه الناحية النفسانية فى صلاة الجماعة ، ومع أنه أبقى على الحرية الفردية فى العبادات إبقاء شاملا إلا أنه شرع صلاة الجمعة والأعياد وصاغها فى قالب بسيط خلا من المؤثرات وأبقى على المهابة والجلال التى تليق بالدين ومعاقله ؛ وما ذلك إلا لأن الإسلام — وهو عقيدة إلهية راسخة — يعتمد على الإقناع أكثر من اعتماده على الترغيب والاستمالة . والمرء إذا اقتنع كبرت لديه الغاية وهانت الوسيلة

ومهما يكن من الأمر فإن العبادات (كما قال ماكورى) ليست مجرد وسيلة من وسائل الاختبار الدينى فحسب بل هى فوق ذلك دافع من أهم الدوافع لاستمراره . فهى إذن بالرغم من تحامل بعض الدنيويين على غرابة طقوسها جزء جوهرى من وظيفة الدين

وعالج السيد محمد رشيد رضا فى كتابه « الوحى المحمدى » عبادة الفرد والجماعة فى فصل من ذلك الكتاب تحت عنوان « التقوى الخاصة والعامة » وعاقبتهما فقال : —

« ان النور فى العلم الذى لا يصل إليه طالب إلا بالتقوى هو الحكمة . فقد قال الله تعالى فى كتابه الكريم (٦٥ ـ ٢ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب . ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا . ومن يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له أجرا)

ومعنى التقوى العام عند السيد رضا هو « اتقاء كل ما يضر الانسان فى نفسه وفى جنسه الإنسانى القريب والبعيد وما يحول بينه وبين المقاصد الشريفة والغايات الحسنة والكمال الممكن » ولذلك قال العلماء إنها عبارة عن ترك جميع الذنوب والمعاصى وفعل ما يستطاع من الطاعات . وزدنا على ذلك اتقاء الأسباب الدنيوية المانعة من الكمال وسعادة الدارين بحسب سنن الله تعالى فى الكون . . . ومن ثم كانت ثمرة التقوى العامة الكاملة هنا

(١) راجع webre Protestaut Ethics
٢٤ ، ٣٦

الأزهر والثقافة الدينية
وأثرهما في الحياة المصرية

للأستاذ محمود الشرقاوى

أقيمت فى مصر منذ شهرين أو أكثر ، المهرجانات لمناسبة تنشرح لها صدور المثقفين الذين يرجون أن تعمق الثقافة المصرية كيفاً ، كما يراد لها أن تتسع كما ، وأن تستوعب تلك هى المهرجانات التى أقيمت احتفالا بالعيد الفضى لجامعة فؤاد الأول

وقد نالت هذه المناسبة من الاهتمام — وذلك أمر طبيعى — إلى حد أن شرفها جلالة الملك بحضور بعض حفلاتها ، وإلى حد وضعها جميعا تحت رعايته السامية ، وإلى حد أن يدعى لشهودها كبار رجال الفكر والعلم من بلاد العالم المختلفة ، لحضرها مندوبون عن ثلاثين من الدول بلغ عددهم مائة وخمسة وسبعين ، وقد شهدوا جميعا مدى ما وصلت إليه الثقافة الدنية فى مصر من تقدم ونجاح

ومنذ أيام قريبة رأينا وسمعنا عن حفلات تقام فى إحدى مديريات مصر يتبرع فيها ، أو يعلن فيها بالتبرع ، بأموال ضخمة ستخصص لإنشاء مدارس ، وقد تنشأ منها أو يستعان بها على إنشاء جامعة جديدة ، فوق ما أنشئ من جامعات فى السنوات الأخيرة . وأبادر فأسجل أن هذه مناسبات وتوجيهات تنشرح لها ، كما قلت ، صدور المثقفين الذين لا يرجون لوطنهم إلا الخير

ولكن هناك شئ آخر هو الذى أريد أن أجعله موضوع هذا المقال

* * *

منذ ذلك الوقت الذى كانت تقام فيه تلك المهرجانات الحافلة لعيد الجامعة، وإلى هذه الأيام القريبة التى تلبى فيها الدعوات وتبذل الأموال الضخمة ، أو يوعد ببذلها ، لإنشاء مدارس وجامعة جديدة ، فى هذا الوقت وذاك ، رأينا وسمعنا ، وما نزال نرى ونسمع ، عن أمور تجرى فى جامعة عريقة تمتز بها مصر ، ويحتاج العالم الإسلامى — أو هكذا يقال — لما تقوم به ، أو لما يمكن أن تقوم به ، من جهود فى سبيل إحياء ثقافة هذا العالم وحفظ

حصول ملكة الفرقان التى يفرق صاحبها بنوره بين الأشياء التى تعرض له من علم وحكم وعمل ، فيفصل فيها بين ما يجب قوله وما يجب رفضه وبين ما ينبغى فعله وما يجب تركه . »

أما سنة القرآن فى الإرشاد إلى العبادات فهى عند السيد رشيد رضا « بيان أصولها وجامعها وتكرار التذكير بها بالإجمال . وأكثر ما يحث عليه من العبادات الصلاة التى هى العبادة الروحية العليا والاجتماعية المثلى . فقد كرر القرآن الأمر بها فى آيات كثيرة (٢٩ بـ٤٥) اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة؛ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون » . وقوله (٧٠ ، ١٩ إن الإنسان خلق هلوعا، إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ، والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم . » (صفحة ١٦٥ / ١٦٧ من كتاب الوحى المحمدى)

وسواء أقام المنكرون للدين أو المصلحون له يجادلونه فى نواحيه الفكرية الرمزية أو فى نواحيه العملية من طقوس وعبادات وما إليها، فإن الحقيقة التى لا تقبل الجدل أن للدين وظيفة أساسية فى السلوك الإنسانى (فرديا كان أم جماعيا) لم يبطلها تطور الفكر والاكتشافات العلمية قديمها وحديثها. وكل ما فعله هذا التطور أن أفسد على الدين بعض وظائفه دون أن يستطيع بناء ما هدم

فإذا كان للدين — إذن — هذه الوظيفة الاجتماعية الهامة فلنحاول فيما بعد أن نتعرف جوهر النتائج الاجتماعية للاختبار الدينى

نيويورك   للبحث صلة   محمد حلمى

تراثه العقلي والأدبي والروحي . بل في سبيل تنمية هذه الثقافة وتعزيزها ومدها بعوامل البقاء والتقدم

هذه الجامعة هي الأزهر

والناس أمام هذا الذي رأينا وسمعنا عن هذه الجامعة فريقان، فريق يرى أن من خصائص رجل الدين التبتل والبعد عن رغائب الحياة وأن واجبه الأول هو الدعوة لدين الله وتعليم الناس وهدايتهم . وهذا الواجب مما لا يتخلى عنه رجل الدين الحق، مهما لقي في سبيله

وفريق يرى أن رجل الدين إنسان يجب أن يعيش كما يعيش الناس، وأن توفر له أسباب الحياة، لانقول الحياة الميسورة الموفورة، ولكن الحياة المعقولة المقبولة . وتوفير الأسباب لهذه الحياة سبب أو شرط لابد منه لتمكينه من أداء واجبه في الهداية والدعوة

ولست الآن بسبيل التفنيد أو التأييد لأحد هذين الرأيين، أو كليهما، أو التوفيق والتأليف بينهما . بل أريد أن أعالج الأمر بما هو أعم وأشمل

* * *

مهمة الأزهر، أو المفروض أنه مهمته، هي القيام بالرعاية على كل ما يتصل بالدين والعقيدة واللغة، ووسيلته إلى ذلك هي معرفة نوع معين من الثقافة هو الثقافة الإسلامية . وهذا النوع من الثقافة أو المعرفة إن لم يكن أهم الأسس التي تقوم عليها الحياة المصرية، فهو من أقوى أسسها، لأنه أحد مقوماتها الأصيلة، أو يجب أن يكون كذلك

ومصر من أهدافها أن تمكن علاقاتها الثقافية وأن تمد نفوذها الأدبي في مجالين، الأول تلك البلاد العربية التي تربطنا بها جامعة الدول العربية أو وشائج الدين واللغة، والثاني مجال القارة الإفريقية أو مناطق خاصة فيها تحتاج لثقافة مصر ومعرفتها ونشاط أبنائها . وقد كان لرفعة رئيس الحكومة في هذا الشأن حديث أذيع منذ شهور وظل إلى عهد قريب موضع تعليقات الصحف في العالم

هذه الأهداف الثقافية، أو ما هو أبعد مدى منها، لا يمكن أن يتحقق إلا على الأساس الأول من أسس حياتنا المشتركة مع هذه البلاد العربية وأهم مقوماتها، وهو الدين واللغة، ولا يمكن أن يأخذ سبيله إلى المجال الآخر إلا على أساس من ثقافتنا ولغتنا لكي تقوم بيننا وبين هذه البلاد علائق موثقة يمكن أن يكون لها دوام ورسوخ ونمو

وهناك زعامة مصر على البلاد الإسلامية أو العربية . وسواء أكانت هذه الزعامة قائمة فعلا ويراد الإبقاء عليها وتعزيزها، أو هي هدف يراد الوصول إليه، فإن من أهم أسانيد هذه الزعامة ومبرراتها الحرص على خصائص ما هو «إسلامي» و«عربي» من الثقافة والفهم والفكر

فهل يراد من الأزهر أن يكون هو سبيل الوصول إلى هذه الأهداف . . ؟

إن كان الجواب «نعم» فيجب أن يدرك القوم، وأن يدرك الأزهر ويعمل والإدراك أول مراحل العمل، للتمكن من الوصول إلى هذه الغايات، وأن تمهد له السبل لهذا الوصول

هناك احتمال آخر، هو أن مايقصد بالدين واللغة شيء، ومواطن الدراسة للدين واللغة شيء آخر، وأن الثقافة واللغة أمران أعم من الأزهر والمعاهد الثقافية . هذا الاحتمال أو الفرض يهمس به قوم ويجهر به أقوام. وهم يقولون إن الأزهر قام بواجبه في الأزمان الماضية في حدود إمكانه وفي حدود الحاجة التي كانت قائمة في تلك الأزمان، وأن الأزهر أدى رسالته في ظروف كانت الملاءمة قائمة بينه وبين بيئته وعصره . ثم تغيرت الأزمان، وقد يكون تغير الإمكان والقدرة أو تطورهما أقل من تغير الزمن وتطوره، وقد تكون الملاءمة الآن مع العصر غير قائمة أو غير كافية

هذا الوضع، أو التحديد للمسألة، يهمس به قوم ويجهر به أقوام . فان كان هذا التحديد صحيحاً معتبرا عند أهل الاعتبار ومن بيدهم توجيه الحياة العامة في مصر، فإني أعتقد أن الحرص على مقومات حياتنا وثقافتنا، وعلى الأهداف العامة التي تهدف إليها مصر لتعزيز مكانتها، الحرص على هذا وذاك، يجب أن يكون مقدما على اعتبارات الرعاية والمجاملة

محمود الشرقاوي

من الدراسات الأدبية

ابن الخلفة *

للأستاذ عبد اللطيف الشهابي

من وراء زوايا التاريخ المهملة ، ومن خلال صفحات المخطوطات القديمة ، ومن خلف خزانات صدور شيوخ الأدب : تلوح أنوار مشرقة ، وتطل صور زاهية ، وتتراءى بدوات مشرقة ، فتومض وميض الذكريات فى خاطر الزمن ؛ حاملة نفحات شذية ، فاحت فى الربع الأخير من القرن الثالث عشر للهجرة

كانت مدينة « الحلة » حينذاك كعبة الرواد ومنهل الوراد من عشاق العلم والأدب والعرفان ، وكانت الينبوع الرائق السلسبيل الذى يتهافت عليه الظامئون — من كل حدب وصوب — لنهل تلك الرشفات الريا ، التى كانت تفيض من عقول أدبائها الفطاحل بغزارة متناهية فيها كل طرفة ومتعة

أما اليوم وا أسفاه ؛ فإن أدباءها كادوا أن يتناسوا أن لهم من تاريخهم الفكرى ما يضمن لهم نهضة أدبية رائعة فى حاضرهم هـذا الذى عصفت به الأهواء وطوحت به النزعات ؛ وقد غرب عن بالهم أن لهم سجلا حافلا بأنواع الجهاد الفكرى والعلمى فى تاريخ مدينتهم هذه ، ذلك السجل الذى يزخر بتراث أدبى لا يستهان به : ينتظر الجلاء والحك ، ينتظر أن تمتد إليه يد العناية والاعتزاز ، لتسجل جميع مظاهر حياته الفكرية ؛ لئلا يشذ وينبو عن طابعه المتوارث ، وحاضر محيطه المكتسب ! !

فلو تصفحنا تاريخ الأمم الغربية ، لوجدناه يعتمد كل الاعتماد على ما جاء بتراثه الشعبى القديم ؛ ويضعه موضع التقدير والإجلال . فهذه إنكلترا تقدس أغانيها الشعبية القديمة « Ballads » لما فيها من أمانة فى التعبير ، وصدق فى الإيحاء ، وجمال فى التصوير فهى المرجع الأول عند دراسة نهضتها الأدبية الحديثة ؛ بل هى الأساس المتين الذى بنى عليه أدباء إنكلترا صروح مجدهم الأدبى

فالشعر الشعبى له طابعه الخاص ، وله مميزاته وأساليبه وفنونه ، وهو مرآة صادقة لحياة الجيل بكامله ، بل إنه الصورة الحقيقية التى نعتمد عليها فى دراسة ذلك العصر ، بما فيه من ألوان وأشتات ، فضلا عن أن للغته العامية « ديناميك » يجرى يستقر فى النفس وفى الأعماق دون التواء أو مواربة . . فهى المدرسة الأولى لشحذ أذهان أبنائها ، وتدرجهم إلى صقوف الكمال ...

ويشترك الشعر الشعبى مع شعر القريض فى قوة التعبير عن الخلجات والأحاسيس ، كما يشاركه فى الأوزان والقوافى والأغراض ، وبكثرة عدد فنونه ومصطلحاته التى وضعها له أهل هـذا الفن . . ومن بين مشاهير الفضلاء الذين نظموا فى الشعر الشعبى : هو الإمام ابن الجوزى ، وشمس الدين الكوفى ، وأبو بكر ابن قزمان وغيرهم ، كما نقل ذلك صاحب كتاب « ميزان الذهب » وابن خلدون فى « مقدمته »

ولم يقتصر نظم الشعر الشعبى على الشعراء القدماء بل تعداه إلى مشاهير الشعراء المحدثين ، كأمير الشعراء أحمد شوقى بك ، وشاعر الشباب أحمد رامى — شيطان أم كلثوم ! ولهما فى ذلك قطع غنائية خالدة ملأت سمع الزمان رقة وعذوبة ، وبذلك أضافا إلى الأدب العربى ثروة رائعة ، كانت ولا تزال موضع تقدير وإعجاب من أبناء الضاد ...

وفى هذا الفصل أستعرض أمام القارئ صورة جميلة ، أوشك الزمن بمروره أن يطمس معالمها ويذهب بروائها وآثارها ، هذه الصورة الحبيبة إلى نفوس طائفة كبيرة من أدباء هـذا العصر : تلك هى صورة حياة الشاعر الشعبى محمد بن إسماعيل الحلى [1] ، المعروف بابن الخلفة !

ولد الشاعر فى مدينة الحلة عام ١٢٤٧ هـ فى محلة « الجامعين » [2] وترعرع فى مغانيها بين ظلال النخيل وشواطئ الأنهار ، وشب فى أحضان الطبيعة الساحرة ، بين أهل العلم والأدب أمثال

* لمحة موجزة من كتاب للمؤلف سيظهر قريبا .

(١) نسبة إلى مدينته الحلة . .

(٢) الجامعين : حى من أحياء مدينة الحلة ، لا يزال حتى الآن .

السيد حيدر بن السيد سليمان الحلي ، والسيد صالح بن السيد مهدي المعروف بـ « الكواز [1] » ، وغيرهم ممن لا يستطاع حصر عددهم ... فظهرت شاعريته منذ نعومة أظفاره ، وراح يرسل الأنغام عبر الفضاء الرحيب ، بجنحات الرفيف الحلو ، والرنين المطرب ... إلا أن البعض من شعره — كما سترى — تغلب عليه الألوان البيانية المتكلفة ، ويشيع فيه الغلو والإغراق في الزخارف البديعية .

كان — رحمه الله — ذكي القلب بارع النكتة ؛ خفيف الروح ، وفيا أبيا لم يتكسب بشعره ، ولم يمتدح أحداً لا يستحق الإطراء والثناء ، بل كان يتكسب من مهنته الخياطة التي كان يزاولها ، إذ تدر عليه ما يسد رمقه ويقيه العوز والفاقة : لذا نراه قد جال جولات صادقة في جميع فنون الشعر الشعبي والقريض مما ، منها « الموال [2] » و « الركباني » و « البند » . .

فاستمع إليه في « مواله » الشعبي الذي يزخر بالجناس والتورية ، يقول فيه :

يا فاحم الليل جعدك والبدر ويهلك
النارا إلك نورهه وبضامري ويهلك
يزري دلالك على وتغنجك ويهلك
يا من بفتر العيون أرميتني والحاظ
يا مانعي شمتك ومسامرك والحاظ
واللي حظه بك حظه والملاحظه والحاظ
بهواك من ذا وذا بمدم عليه ويهلك

وهاك استمع إليه في « موال » آخر ، يقول فيه :

لواعجي يوم طار الشوك بظهورهن
والبيض أطون حزون الطي بظهورهن
ونيت ون الطامين الكيض بظهورهن
كالن : علامك بروض الحسن شخصك فلا ؟
والنيد يمك فلا تحظى بوصله فلا ؟ !

كالن : آنه شبه النياق اللي مرن بالفلا
ومن الظما موتن والماي بظهورهن

وهو بهذا الموال قد ضمن البيت المشهور القائل :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

وقد أحب شاعرنا عذراء من أهالي « القصيم » من ديار نجد واسمها « مي » : وهي فتاة كاعب لم تبلغ الرابعة عشر من عمرها ؛ فرقت نفسه ، ودقت محبته ، فأطلق لعواطفه العنان ، وراح يسرف على روحه فيما يخضع له من تباريح الهوى وعذاباته ، ولكن في ثياب من العفة والطهر والبراءة ؛ فنظم « ركبانيته » المشهورة ، قالها على لسان أهل القصيم . . فيقول فيها :

يا ممتلي في كور هجنا تليمه
ريض لشبدي [3] بالنوى لا تليمه
قبل السرى يا هيه [4] دونك ذريمه
من مدنف في قيد الأشواق مرهون

واستمع إليه وهو يخاطب صديقه الذي أوفده كرسول إلى حبيبته « مي » فيقول له :

وأمض لفتاة الحي والليل داجي
عساك من صرف الجادير [5] ناجي
عني نيابة يا فتى ، لا تحاجي [6]
قلها : ترى يا « مي » خلفت مجنون

وبعد أن يرحل ذلك الرسول ويقوم بمهمته أحسن قيام ، يعود إلى الشاعر بأخبار سارة ، ويوصيه بالسفر إلى لقاء معشوقته ... وهكذا يمضي على هذا المنوال فينسج رائعته الشعبية التي يصف فيها قصة غرامه ، وكيف راح متلصصا « كضيف الطيف مسترصدا » ، ليزور حبيبته في غفلة من عيون الوشاة وآذان الحساد ، وفي حذر وخوف من أهلها ذوي البأس والبطش . . وها هو الآن يلتقي بها في سكون الليل الهادئ . فاسمعه يقول :

---

(١) الكواز : نسبة إلى مهنته ، فقد كان يصنع الجرار والكيزان والأواني الخزفية .

(٢) له من هذا النوع كراس صغير بعنوان « الروضة » .

(٣) لشبدي : أي كبدي

(٤) يا هيه : يا هذا .

(٥) الجادير : الأقدار .

(٦) لا تحاجي : لا تراوغ .

مديت كفى حدر (١) طى المـ ـبرم (٢)

قالت : تهـ ـدى ، قلت : أنا بك مغرم

من للوصل يا زيغة العين حـ ـرم ؟

والوصل مردين (٣) الهوى بيه يحيون

فتخاطبه :

خلى الترومه وانثنى اللثم تغـ ـرى

وأنشق عبـ ـير حقاق غاص بصدرى

لا تكثرن ضمى فأعـ ـوام عمرى

عشر وأربع ما عليهـا يزيدون

* * *

بكر بعد ما لوث الثـ ـوب نهدى

ولا انقطف ورد زها فوق خـ ـدى

غيرك فما حصل سـ ـوى طول صدى

ولا هلى بى بعض ريبـ ـه يظنون

وبعد أن يتزود من معبودته يودعها على مضض، فيقول :

ودعتها والدمع عالخـ ـد سايل

والجسم من عظم النوى بات ناحل

قالت : بنا لا تقطعون إرسايل ،

ناديتها : وانتوبنا لا تقطعون

وراح ابن الخلفة يبزغ نجمه رويداً رويداً ، فاندفع يغشى مجالس العلم ونوادى الأدب ، ويتصدر الحفلات والولائم ، فذاع صيته وشاع ، حتى تتلمذ له كثيرون ، ساروا على منواله مقتبسين خطاه .. وقد تأثر بشعر شعراء الموشحات فى الأندلس والعراق ، فأخذ يعب من رحيق ينابيعهم ، ويقلد فنونهم فى صياغة الموشحات ولـكنه ، وفى الأخير ، برع فى صياغة نوع آخر يسمى « البند » وأول من اخترع هذا النوع هم أهالى « الحويزة » (٤) وهو منوال غريب قد يخرج على أوزان الشعر ، وقد يوافقها . ولا نخطئ إذا قلنا إنه قريب الشبه من النثر المسجع ، أو الشعر المرسل ؛ لأن الناظم لهذا اللون كان جل اعتماده على اللحن الموسيقى ، حتى ولو خرج عن الأوزان العربية المعروفة ، لأن الدافع الأول — كما قلنا — كان دافع الطرب ، والتأثير على السمع ليس إلا !

وشاعرنا هذا : قد بز أقرانه وغلبهم فى هذا المضمار . وله فى ذلك ثلاثة « بنود » معروفة ، فالبند الأول يصف به حصانه . والبند الثانى يصف فيه سفرته إلى « بغـداد » . والبند الثالث وهو المشهور يصف فيه حبيبته وصفاً دقيقاً ، وهو بذلك يقلد صاحب « اليتيمة » (١) وقد وشاه بألوان رائعة من اللفظ الأنيق من جودة الصياغة ، وغزارة المعانى ، تلك التى نتلمسها فى كل صورة من صوره . ولو أننا نلاحظ فيه بعض التكلف فى الصناعة ، وبعض التعقيد فى اللفظ ، وهذا مما دفع به أن يحشر بين سطوره طائفة من الـكلمات الغريبة ، البعيدة كل البعد عن اللغة العربية الفصحى . . ولـكن له العذر فى ذلك ، لأن طابعه الشعبى يغلب عليه فى بعض الأحيان ، فتفلت منه هذه السقطات

فاصغ إلى ما يقول فى هذا البند :

أيهـا اللائم فى الحب

دع اللوم عن الصب

فلو كنت ترى حاجبى الزج فويق الأعين الدعج

أو الخد الشقيقى

أو الريق الرحيقى

أو القد الرشيق

الذى قد شابه الغصن انعطافا واعتدالا ،

فغدا يورق لى آس عـ ـذار أخضر

دب عليه عقرب الصدغ ،

وعرنين حكى عقد جمان يقق

قدره القادر حقا ببنان الخود

ما زاد عن العقد ،

وثغر أشنب قد نظمت فيه لآل لثناياهن

فى سلك دمقس أحمر

جل عن الصبغ

وجيد فضح الجؤذر مذ روعه القانص

---

١) حدر : تحت ..

٢) المبرم : الملاءة .

٣) مردين: صرعي الهوى

٤) الحويزة : منطقة فى الجنوب الغربى من لواء العمارة .

(١) وهى القصيدة الدعدية التى مطلعها :

هل بالطلول لسائل رد أم هل لها بتكلم عهد ؟ !

فانصاع ودين الود

يزجى حذر السهم طلا عن متنه

فى غاية البعـــد ،

فلو تدس من شوقك ذاك العضد المبرم

والساعـــد والمعصم

والكف الذى أعله قد شاكات أقلام يا قوت

فكم أصبح ذو اللب ، من الحب ، بها حيران مبهوت ؟

ولو شاهدت فى لبته يا سعد مرآة الأعاجيب

عيهلا ركبا حقا عاج حشيا من وائق الطيب ،

أو الكشح الذى أصبح مهضوما نحيلا

مذ غدا يحمل رضـــوى كفل

بات من الرص كوار من الدعص (١)

ومرتجى ردفين

عليها ركبا من ناصع البلور ساقين ،

وكعبين أدرمين

لها صيغ من الفضة أقـــدام :

لمالت محبا فى ربى البيد من الوجد بها هام !

أهل تعلم أم لا ؟ أن للحب لذاذات

وقد يعذر لا يعذل من فيه غراما وجوى مات

فذا مذهب أرباب الكمالات

فدع عنك من اللوم زخاريف المقالات ،

فكم قد هذب الحب بليدا ؟!

فغدا فى مسلك الآداب والفضل رشيدا ،

صه .. فما بالك أصبحت غليظ الطبع ؟!

لا تعرف شوقا

لا ولا تظهر توقا

لا ولا شمت بالحظيك

سنى البرق اللموعى الذى أومض من جانب أطلال

خليط عنك قد بان

وقد عرس فى سفح ربى البان ،

ولا استنشقت من صوب حماه نفحة الشيح (٢)

---

(١) الدعص : الرمل

(٢) الشيح : نبات ذو رائحة ذكية ..

ولا اهتاجك يوما للقاه من جوى وجد وتبريح ،

لك العـــذر

على أنك لم تحظ من الخل بشم وعناق

وبضم والتصاق ،

لو تكن مثلى قضيت ليال

سمح الدهر بها ، إذ بات سكرى قرقف الريق ، بتحقيق ،

فما قهـــوة إبريق !!

ومشمومى ورد ، لاح

من وجنة خـــد ، فاح

لى عرف شذاه ،

وإذا أسفر ليل الشعر فى طرته

أوضح من غرته

صبح سناه ،

لو ترانا كلنا يبدى لدى صاحبه العتب

ويخفى فرط وجد كامن أضمره القلب سجيرا ؛

والتقى قمصنا ثوب عفاف قط ما دنس بالإثم

سوى اللثم :

لأصبحت من الغيرة فى حيرة

حتى جئت لى من خجل تبدى اعتذارا

ولأعلنت بحب الشادن الأهيف سرا وجهارا !.

* * *

إلى هنا يصل ابن الخلفة فى « بنده » ثم يعرج به إلى مدح الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد عليهما السلام ، ولنقتطف إلى القارئ صورة واحدة فى هذا المديح .. يقول فيه :

يجير الخلق بالرفد بيذل زائد الحد

وقد جـــل عن الند

وقد فاق على النـــور شذاه

وعلى البـــدر سناه ! .

* * *

هذه لمحة موجزة من حياة هذا الشاعر المنسى ، الذى توفى رحمه الله - سنـــة ١٢٩٧ هجرية ، فى بداية تفشى مرض الطاعون المشهور فى الحلة ، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف ليدفن هناك ..

العراق — الحلة عبد اللطيف الشهابى

الأزهر جريح فادركوه

إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير

للأستاذ محمود النواوى

حقا والله لقد هان على الأملس ما لاقي الدبر . ولكن ... ولكن كان الظن أن دبر الأزهر دبر للشرق كله . وأن علته علة للاسلام على بكرة أبيه . وأنه إذا اشتكى تداعى له سائر المسلمين بالسهر والحمى ، ذلك أن الأزهر صاحب الفضل الأكبر ؛ والمحل الذى لا يجهل ، فن المكرر أن نقول إن العالم كله مدن فى مدنيته وتثقيفه للاسلام . وإن الإسلام مدين فى نشر ثقافته فى أرجاء الأرض للأزهر منذ ألف سنة أو تزيد .

ومن المكرر أن نقول إن الأزهر ثبت ثبات الطود الشامخ هذه المدة يعلم ويخرج ويبث وينشر ويذيع من معارف الإسلام واللغة العربية والفلسفة الإسلامية وغير الإسلامية وشتى صنوف المعارف البشرية ما طوق أعناق الخليقة ؛ لا يبالى ما يصيب العلم أحيانا من عسف واضطهاد، بل يخرج من كل عارض خروج البدر من تحت غيمه ، والشمس من بين الضباب . لقد فزع العلم والعلماء أيام التتار فى سائر الأقطار وروعوا حتى كان بعض الجبارين يتخذ من رؤوسهم قلاعا إلا من أوى إلى مصر كنانة الله فى أرضه، وإلى الأزهر كنانة الله فى مصره. لقد حفظه الله من كل يد ظالمة فلا تصل إليه ، وقال يا نار كونى برداً وسلاما عليه يوم طورد العلم والأدب فى الشرق أيام التتار ، وفى الغرب أيام طورد العلماء والأدباء فى بلاد الأندلس. ثم كانت يده الطولى التى سجل الله له يوم حكم العثمانيون مصر نفسها فحاولوا القضاء على العلم والأدب بما شغل الناس فى عسفهم واستبدادهم ومحاولتهم تأخير البلاد فى جميع نواحيها حتى كانوا ينقلون إلى بلادهم كل نفيس كريم وكل شخص عظيم . ولكن الأزهر يومها كان كعبة القصاد ومؤئل الرواد ملحوظا بعناية الله تؤمنه المخاوف ، وممنوعا على عين الله تنجيه من المتالف ، حتى كان عهد الأسرة العلوية الكريمة فكان ما حفظ التاريخ للأزهر من أنه نواة الثقافة فى جميع نواحيها . والذى اعتمد عليه جد هذه الأسرة العظيمة محمد على باشا فكون البعوث وأنشأ المدارس وبث العلم والمدنية من جميع نواحيها وأنحائها . ذلك قول معاد مكرر ؛ ولكنها الذكرى العطرة تثيرها مثيراتها وتجددها مجدداتها

أعزز على بأن أراك يا معقل العلم والثقافة ويا منبع المدنية طريحا مجندلا تحت احتكام الأهواء . واختلاف النزعات والآراء، وأنت أسوأ حالا مما قيل فيه :

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

أعزز على بأن أرى أعداء الدين وخصوم الإسلام من المستعمرين الذين ما فتئوا يحاربونك بكل وسيلة فى السر والعلن لأنه لا طيب لحياتهم وأنت فى مصر تبث تعاليم الإسلام وكلها حرية وإباء ، وعزيمة ومضاء ، وجهاد للأعداء ، وقوة وفتاء ، يأبى القليل منها أن يمكن لجبار فى الأرض أو يفتح لمستعمر قيد فتر . فالآن إذ أرى هؤلاء يشمتون ويفرحون ويرتقبون ما كانوا يأملون بأيدينا لا بأيديهم . لقد أفلحت سياستهم بعد أن مكنوا لمدنية الخلاعة والدعارة والخئونة وفككوا قيود الدين حتى هان فهان معه منبعه ومستقاه وهو الأزهر الكريم

لقد جاء الوقت الذى تغلق فيه أبواب الأزهر باليوم واليومين والأسبوع والأسبوعين والشهر والشهرين فما يحس أحد ولا يحرك ساكنا

إن أخوف ما أخاف أن تكون فتنة محبوكة ومؤامرة مقصودة يراد بها هدم الدين ونقض دعائم المسلمين فتتفرق كلمتهم وتتمكن الأيدى الغاصبة منهم فى جو صفاء كما ضاعت خلافة الإسلام من قبل فكانت مبدأ ضعف فى الجملة. وإذن يضحى الشرق والمسلمون بأشمط عنوان السجود به، ويفقدوا حمامة السلام وعنوان الوئام ، ومبلغ رسالات الله إلى جميع الأنام ، ويهون الشرق والمسلمون على الله فما يبالى فى أى واد أهلكهم

٢ – إرهاصات فى الجزيرة

قبيل البعثة المحمدية

للأستاذ الطاهر أحمد مكى

ولكن ... من أين يستمد المؤرخ للجزيرة العربية حقائق بحثه ومادة موضوعه ، وما أثر عن العرب الأول متهالك مضطرب ينقض بعضه بعضا ، ويهدم آخره أوله ، فأنت أمام سيل متلاحق من القصص والسير، والروايات والأحاديث ، إذا أعملت فكرك وعقلك فى تمييزه ، وجدت اكثره خرافة لا تمت إلى الواقع بسبب ، وإنما هو من فعل الوضاع ، ترويجا لمذهب ، أو دفاعا عن فكرة ، أو سنداً لعصبية ، أو رغبة ملحة فى إضحاك الناس ، حين كانت الحياة العربية تموج بهذا اللون من الافتعال والاختلاق ، والباقية منه ، لا تعطى صورة واضحة محددة ، أو توحى بفكرة ثابتة ميقنة ، يطمئن إليها الضمير العلمى ، حين يعرض لأمر ، فيحكم فيه إثباتا أو نفيا .

ومبعث ذلك كله ، أن التاريخ العربى كان يعتمد – إلى ماقبيل العصر العباسى – على المشافهة والرواية ، وهى عرضة للتصحيف والتحريف ، والزيادة والنقص ، والضياع والنسيان ، عند كل أمة وفى أى شعب ، فلا إجحاف إذن حين يمسك الباحث ، فلا يندفع مصدقا ، ولا بدع أن ظل العرب حتى الرسالة المحمدية ومطلع الإسلام ، شعباً بلا تاريخ !

كان القدماء عربا يتعصبون للعرب ، أو كانوا عجما يتعصبون على العرب ، فلم يبرأ علمهم من الفساد ، لأن المتعصبين للعرب غلوا فى تمجيدهم وإكبارهم فأسرفوا على أنفسهم وعلى العلم ، ولأن المتعصبين على العرب ، غلوا فى تحقيرهم وإصغارهم فأسرفوا على أنفسهم وعلى العلم أيضا (١) ...

صحيح أن هذه القصص وما صيغ من أساطير ، تتصل

(١) فى الأدب الجاهلى ، للدكتور طه حسين ص ٦٦ [الطبعة الثالثة]

أخوف ما أخاف أن تكون مؤامرة مدبرة يفعلها عدو مختبئ ويسلك إليها سبيله ، وأولها إيقاع البأس بيننا بأيدينا . فسياسة التفريق هى السياسة التى يعتمد عليها مهرة الساسة؛ والعدو الكاشح فينا ما أوجف عليها من خيل ولا ركاب . ولما بلغ معاوية أن الأشتر النخعى مات فى شربة عسل وكان من شيعة على قال معاوية إن لله جنودا منها العسل ، فسيقول خصمنا (إن دامت الحال) إن لنا جنودا منها الفشل . لقد عرف العدو كيف يحقن خصمه بالمصل المخدر الذى يسهل به ارتكاب أكبر جريمة على الله والدين والوطن فما يفيق الناس إلا وقد وقعت الجريمة ونفذ السهم ، وإلا فما بال هذا الأزهر الكريم الذى كان ملاذ اللائذ ومعاذ العائذ ومفزع الملهوف ونصفة المظلوم ، والذى كان قوام كل مائل وقصد كل جائر . والذى كان أعز على كل نفس مؤمنة من كل عزيز عندها قد أصبح يئن ويستغيث ولا مغيث . هذا الأزهر الذى كان يقضى بالحق فى خصومات الدنيا ومشاكلها قد جاءت عليه قضية لا حاكم فيها إلا الله (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) . أما والذى نفسى بيده لئن تكن نوايا خبثت بمنبع الدين فإن الله خير الماكرين . (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك ، كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) إن قضية الأزهر معلومة مفهومة ، وكل مسلم مطالب بالنظر فيها وعلى رأس الجميع ملوك الإسلام . فقد بدت ظاهرة استهانة واستهتار؛ تنذر بسوء المصير وعندئذ فستغل كل عنق فى الأرض ربقة إثم لا قبل له باحتمالها ولا سيما ولاة الأمور جميعا يوم يقوم الناس لرب العالمين :

فلا تحملى ذنبى وأنت ضعيفة   فحمل دمى يوم الحساب ثقيل

محمود النواوى

المفتش بالأزهر

بعادات العرب وطباعهم ، تلق إشباعا قويا على حياتهم ومعاشهم ، لأن الوضاع وهم أقرب عهدا بهم ، وأ كثر علما بما كان عليه أسلافهم ، اجتهدوا ما وسعهم الجهد ، واحتالوا ما واتهم الحيلة فى أن يجعلوا هذه الصور واقعية ، أو قريبة الشبه بالواقع ، حتى لا ينكشف أمرها ، فتضيع الفائدة المرجوة منها ، ولكن الصحيح أيضا ، أن الصورة تكشف فيما تكشف عن نفسية المصور، وأن الرواية تتأثر فيما تتأثر بأخلاق الواضع ، وتفاعلات المجتمع الذى عاش فيه . . .

ولعل أغمض فترة فى التاريخ العربى ، هى تلك التى تمتد من القرن الأول الميلادى حتى القرن الثامن ، فليس ثمة تاريخ صحيح لها ، حتى المصادر اليونانية أو اللاتينية لم تشر اليها ، رغم أن هذه المصادر عرضت لأحوال الجزيرة قبيل ذلك التاريخ « ومرجع ذلك فيما يبدو هو ظهور المسيحية وانتشارها فى الغرب وتسلط الأضواء عليها ، وجذبها لأنظار العالم المثقف إذ ذاك ، وانصرافه عما عداها. وكذلك الإسلام من ناحية أخرى، فهو كما نعلم جاء مناهضا للوثنية العربية الجاهلية ، فشن حربا لاهوادة فيها على كل ما هو عربى وثنى ، لذلك تطوع كثيرون من كتاب العرب لتشويه العهد العربى الجاهلى ، تاريخا وأدبا وعقائد ، وأضحت الصورة التى لدينا ، والتى يقدمها لنا الاسلام والمسلمون صورة مشوهة ،لا تعبر عن حقيقة بلاد العرب قبل الاسلام »[(١)]

وليس أقوى على ذلك دلالة ولا أبلغ حجة ، من أن القرآن وسم عصر ما قبل البعثة بالجاهلية ، وبداهة كان يقصد أن القوم لم يكن لهم نبى مرسل ولا كتاب منزل ، وإلا فكيف نصم بالجهل وندمغ بالجهالة مجتمعا له آداب رفيعة ، وثقافة عالية ، كتلك التى تركها لنا العرب القدامى ، ولكن الإسلام وهو يواجه قوة قريش فى عنفوانها ، لم يجد بدا من إسدال السجف على ما قبله من حياة ، ومطالبة معتنقيه بترك ماورثوا فى صرامة ، والعزوف عما ألفوا فى شدة ، حتى يمهد لدعوته سبل القرار ، وكان له ما أراد إلى حين

وكان الشعر ديوان العرب الخالد ، يجمع مفاخرهم، ويسجل عظائمهم ، ويصور حياتهم ، وتنعكس على محياه خلجات نفوسهم، ونبضات قلوبهم ، فنهى عنه ؛ وصادر روايته ، وشن حملة شديدة على الشعراء ورواتهم « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون ؛ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا» ويروى الأغانى أن أمية بن الصلت كان يحرض قريشا بعد وقعة بدر يقول

ماذا ببدر والعقنـ قل من مرازبة جحاجح

فنهى الرسول (ص) عن رواية القصيدة كلها [(١)] ، وكان لذلك أثره فيما بعد،فلما انتصرت العصبية فى العهد الأموى، وعاد الشعر يحتل مكانته من جديد ، كانت يد الرقيب قد امتدت إلى مابقى من العهود الأولى ، فحذفت وبترت ، وغيرت وحورت ، مرضاة لله أو تقربا إلى السلطان

وقد تعرض القرآن الكريم لما كان عليه العرب، هادما وقادحا، ذاما وناكرا ، ولكنه لم يعرض لكل شىء ، ولم يهدم كل شىء ، وما اعترض عليه أو دعا إلى هدمه ذكره مجملا فلم يعن بالتفاصيل والجزئيات ، أو الأسباب والدوافع ، وإنما يفسر الشىء بسببه أو دافعه ، وتكيف الحادثة بظروفها المهيأة ، وما أحاط بها من ملابسات

* * *

ومع ذلك ، فلنحاول فى هوادة ويسر ، أن نشق طريقنا خلال هذه الحجب ، لا غالين ولا متعصبين ، وإنما رائدنا الصدق ، وغايتنا الحق ، ونهجنا الإخلاص ، وعلى المرء أن يسعى ، وليس عليه إدراك النجاح !

« يتبع »

الطاهر أحمد مكى
كلية دار العلوم — جامعة فؤاد الأول

(١) من محاضرات مسموعة بتصرف للدكتور فؤاد حسنين

١ — الأغانى ج ٤ ص ١٢٢ « طبعة دار الكتب »

تاديب الصحافة

للاستاذ محمد ابراهيم الخالدى

لا شك أن سمات الدهشة سترتسم على محياك حين تقرأ عنوان هذا المقال، وستنكر أن تتهم الصحافة، وأن تساق إلى تأديب أو عقاب. ولن ترضى وأنت المتعشق للحرية فى جميع ضروبها، المستشرف لمصر تتحقق فيه آمال البلاد أن ترى (صاحبة الجلالة) تهان، وتذل، وتنزع عن عرشها، لتساق إلى مجلس قضاء.

وأنا معك أيها القارئ فيما تنكره، لا أرضى للصحافة ذلك المصير المحزن؛ بل أحب لها أن تبقى على عرشها، عزيزة الجانب، مرموقة المكانة، وأن يزداد قدرها علوا، لتنهض بواجبها خير نهوض. ولكننى مع ذلك أدعو إلى تأديبها — على نحو آخر لتستطيع أن تساهم فى بناء الإصلاح على دعائم صحيحة، ولتكون وسيلة راقية ترتفع بالشعب وترقى به شيئاً فشيئاً إلى مدارج الرقى ومطامح الآمال

والصحافة إحدى وسائل ثلاث فى العصر الحديث تقدم للناس ما يضطرب فى عالم الأرض من أحداث، وما يجول فى عالم الذهن والقلب من أفكار ومشاعر تشاركها فى ذلك الإذاعة والسينما، وتتضافر كلها على تغذية المرء بما يحتاج إليه عقله وقلبه

وسيطرة هذه الوسائل الثلاث على الناس وانتشارها بينهم دليل على أن الانسان متطلع أبداً إلى معرفة ما يجرى حوله من أمور لا يكتفى بغذاء المعدة بل يسعى وراء ذلك إلى غذاء العقل والقلب، فيطلبه فى صحيفة يقرؤها، أو فلم يشاهده، أو إذاعة يستمع إليها

ولقد انتشرت الصحافة فى هذا العصر انتشارا عظيما، وأصبحت فى كل بيت يقرأ، ولعل من أقوى أسباب انتشارها رخص ثمنها وتقدم طباعتها وإخراجها تقدماً عظيما. فهناك عدد من الصحف الأسبوعية والشهرية التى تصدر فى البلاد العربية، تستهوى القارئ بجمال الطباعة وحسن التنسيق. كما أن عرض الموضوعات أصبح فناً من الفنون تجمع له الصور المعبرة، ويحشد له الأسلوب الطلى، ليكون التأثير فى القارئ أبلغ، والوصول إلى مواطن شوقه واهتمامه أسرع. ولهذا فإنى أرى أن للصحافة أثراً كبيراً فى الشعب لا يقل عن أثر الوسيلتين الأخريين؛ فهى تعبر عن آمال الشعب ورغباته، كما أنها توجهه إلى هذا الاتجاه أو ذاك

ولا شك أن الصحافة العربية قد خطت خطوات واسعة نحو التقدم فلم يعد عملها نقل الأخبار ورواية الأنباء وإنما تعدت ذلك إلى تثقيف الشعب، ونقد المجتمع، وعلاج الأدواء، وتوجيه الآراء؛ ومن ثم فقد أصبحت من الوسائل القوية التى ترجو لها القوة والخير، لأنها لم تعد ملكا لأصحابها وإنما صارت ملكا للشعب، فهى مسؤولة عما تخلق فيه من تيارات صالحة أو فاسدة، وعما تصور له من أهداف ومثل

ولكن صحافتنا — مع الأسف — لا تسير نحو أهداف واضحة، ولا تطبق مبدأ محدوداً، وإنما أكثر صحفنا تسعى وراء الربح المادى، فتجارى أهواء الشعب وتسعى إلى إحراز ما يرضيه لا إلى ما ينفعه، لتضمن الرواج والقبول، ولهذا فإن صحافتنا محتاجة إلى تطعيم من دم الأدب، يكسبها قوة، ويجعلها أقدر على أداء مهمتها

وحين أتحدث عن الأدب، فإنما أعنى ذلك النوع من الأدب الذى يستحق الخلود بسمو أفكاره، وجمال تعبيره، واتساع محيطه. ومن أبرز صفات الأدب الحى: الحرية والجمال، الحرية فى أن يقول الأديب ما يشاء كما يملى عليه عقله وضميره، وأن يلقى الرأى الذى يعتقد، لا يسعى لإرضاء المجتمع ولا إلى تملقه لينال رضاه، كما لا يقصد إلى مبادئه ومثله ومعتقداته بالهدم والتحطيم. ثم التعبير عن آرائه وأفكاره بالقول الجميل، والتعبير الحى، وإخراج ذلك كله فى حلة رائعة من الفن

فصحافتنا بحاجة إلى تأديب لا كتساب الروح القوية التى تشيع فى الأدب الخالد، والتى تهتم بالفكرة قبل الناس، والتى ترى أن من أقوى واجباتها أن ترفع الشعب إلى مستوى راق من التفكير والتهذيب والذوق لا أن تنزل إلى غرائزه وأهوائه وإلى ما يريد ومالا يريد، هى جديرة بأن تقتبس تلك الكرامة العقلية التى يتصف بها الأدب، وبأن تتعلم من الأدب السمو بالقارئ

والأخذ بيده إلى سبيل الحياة الحافلة بالكفاح ، لأطرح المبادئ والمثل فى سبيل تسليته وتخدير أعصابه

ولا يعنى ذلك أن تهمل الصحافة الشعب ولا تلتفت إليه ؛ ولكن الذى أقصد إليه أن يكون للصحافة مبدأ إصلاحى، وهدف سام تسعى إلى تحقيقه ؛ ترتفع بالشعب إذا رأته يتدنى فى أخلاقه وفى مثله ، وتبصره بالسبل الواضحة إذا ما زاغ عنها معبرة فى كل ذلك عن رغباته وآماله

وصحافتنا بحاجة إلى تأديب لا كتساب أسلوب الأدب فى تعبيره لتدب فيها الحياة ، ولتؤثر فى قلوب القارئين وفى عقولهم، ولتأخذهم شيئاً فشيئاً إلى ذخائر الفكر ، وروائع الفن ، فتصل بينهم وبين الأدب الخالد ، والثقافة الواسعة ، وترتفع بهم إلى حياة واعية ، ينعمون فيها بالحرية التامة ، ويبصرون فيها سبل الإصلاح

فإذا ما أدبت الصحافة على هذا الأساس : بأن رفعت كرامة العقل ونزاهة القلم فوق كل اعتبار ، وبأن أشاعت الحياة فى تعبيرها واتخذت طريق الأدب فى أسلوبها ؛ أصبحت أقوى وسيلة من وسائل التأثير فى النفوس وتوجيه الإصلاح فى المجتمع، وأصبحت (صاحبة الجلالة) حقا

دير الزور — سوريا **محمد ابراهيم الخالدى**

أحمد يوسف نجاتى [1]

للأستاذ حسين على محفوظ

قرأنا فى العراق — أيام الدراسة — على طائفة من أشياخ مصر ، ونفر من أئمة اللغة فى مغانيها ، وردوا العراق ، فانتهزنا فرصة مقامهم ، ولبثوا فيها فاهتبلنا مكثهم ، أقبلنا على الأخذ عنهم ، واعتكفنا على الإفادة منهم ، وتوفرنا على الدراسة عليهم ، وقد كانت أيامهم حفلا ، يعمرها الأنس ، ويغمرها البشر ، وتشوبها النعماء

لازمتهم ملازمة الهدب لناظره لا يزايلها ، وخالطتهم مخالطة الابن لأبيه لا يفارقه . ولا أزال أمحضهم هواى، ولا أنفك أصفيهم ودى ، وقد شغفت حبا بفضلهم ، وأولعت وجداً بعلمهم، وأغريت صبابة بخلقهم. وكنت إذا آن أوان الدرس أقبل عليهم ولا كالظمآن، وأهفو إليهم ولا كالعجلان . وكان ذلك يقربهم منى ويزلفنى عندهم . وقد كان يجمعنى معهم شعر ، ويؤلف شملنا أدب ، ولقد كان فراقهم يوم حزن لم أستطع صبراً عليه ، وكان تحملهم يوم أسى لم أملك حلا له

وما أنس لا أنس شيخهم فى مصر — غير مكابر — إمام النحاة أستاذنا أحمد يوسف نجاتى ، الذى أعجبت بفصاحته ، وأغرمت بمنطقه ، وكلفت بشمائله، وهو عيبة علم حافلة، وجؤنة أدب ساطعة ، تنم على فضله أصول الأدب التى هذبها ، وتدل على علمه دواوين اللغة التى أوضحها ، وتعبر عنه مجاميع السير التى حررها [2]

قرأنا عليه النحو ، فذكرنا سيبويه ، وقرب من خواطرنا ابن هشام ، وأحيا ابن يعيش وأسمعنا الكسائى ، ونشر المبرد . ولا نزال كلما ذكرناه حننا نزوعاً نحوه ، وطربنا شوقاً إلى القرب منه ، وزدنا وجداً إلى لقياه

وهو من بيت شهير ينميه إلى سيدى الناس فرع شامخ ، وعرق طيب ، وحسب باذخ ، ونسب وضاح . كان آباؤه من أئمة علماء الدين وأولى الأمر والوجاهة بالإسكندرية، درس فى مجالس العلم بالمساجد ، وتخرج فى دار العلوم سنة ١٩٠٦ لا يعاوره ملاءة الحضر أحد أبداً . وكان لازم الإمام الحكيم الشيخ محمد عبده — رضى الله عنه — واقتدى بهداه ؛ وهو وارث علمه الجم ، وأدبه الغزير ، وخلقه العظيم ، وفضله الباهر ، ومواهبه الجسيمة، وتواضعه الوافر . وأنا لا أعرف أحداً أحاط بفنون اللغة سواه ،

---

(١) نقلا من (رجال أعرفهم ويعرفوننى) وهو من تآليف الخطبة.

(٢) وهى كثيرة منها : ا ــ وفيات الأعيان ب ــ نفح الطيب ج ــ مقدمة ابن خلدون . د ــ زهر الآداب هـ ــ متن الكافى فى علمى العروض والقوافى و ــ دلائل الإعجاز ز ــ أسرار البلاغة . ومن كتبه : ا ــ الأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسى وتاريخه بمصر منذ الفتح العربى إلى العصر الأيوبى . ب ــ أديان العرب فى الجاهلية وصلتها بالأدب العربى ج ــ التطبيقات العربية العامة ــ مجموع كتبه ورسائله هـ ــ ديوان شعره .

ولا أدرى بأحد ملك نواصى الأدب غيره

جاء العراق فتهللنا ، وأقبل علينا ولا إقبال الحيا على الثرى المكروب فتشوقنا لدروسه تشوق الظمآن إلى الماء ،واستمسكنا بمجلسه ولا استمساك الخائف بالأمن . وقد حل ساعة ورد بيت (رحمة الله الطاله بانى) من أهل الجاه ببغداد واحتفوا به فأنشد مورياً :

تغربت عن مصر ببغـداد طائعاً
وقد حيل ما بينى وبين هوى النفس
يقولون يشفيك الأنيس من الجوى
ومالى إلا رحمـة الله من أنس

وكان أراد فى غضون دراستنا عليه ، وإبان أخذنا عنه ، أن يجرب علمنا ويمتحن ذكاءنا ، ويختبر فهمنا ، وكان يعبر عن الامتحان بقرع الصفاة ، فأقبل والصبح فى المنفوان ، وقال أريد لأقرع صفاتكم ، فقلت أجيبه مورياً :

أيهذا البحر الذى جمع العلـ	ـم فأوعى ورام قرع صفاتى
أنا إن رزتنى ولا غرو صلب	مكسرى لم تلن لغمز قناتى
وإذا كنت أنت ثقفت عودى	لخرام الا أبز لداتى
أنا إما أغوص فى بحرك اللجـ	ـى لا أختشى فأنت نجاتى

وكنت وقفت نفسى على مصاحبته ، ونذرتها لتقييد أوابده ، وعقل شوارده ، وتصيد نوافره . وما أنس لا أنس فائق إعزازه إياى ، وإعظامه لى ، وثقته بى . وكان ينسبنى إذا سئل عنى إلى الارتفاع عن حضيض التقليد إلى يفاع الاطلاع على الدليل ، ويعزونى فى إثبات الحكم على الحجة والتعليل

وهو (حفظه الله) — وقد ذرف على الستين — حفظة لا تخفى عليه اللغة ، ولا تغرب عنه الأصول

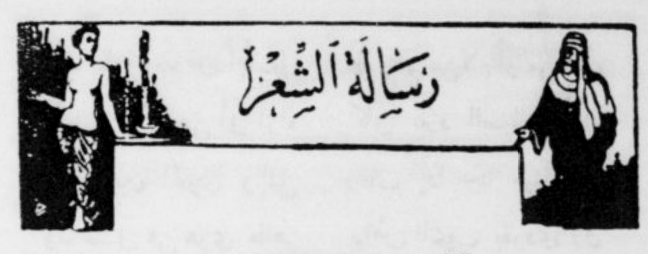
كان يسابق الفجر ، ويسارع إلى النهوض ، وطالما رأيته يتوضأ والليل شامل، وكان رأس ما عظمه فى عينى دين يستمسك بعروته ، وإيمان يعتصم بحبله ، كان يتهدج بالقرآن فى الغدو ، إذا وخط المشيب عارضى الليل ، ويرتل الكتاب فى الآصال إذا أوشك أن يتخفر النهار . وقد كان ينطق بالفضل ، ويتفجر الظرف من جوانبه؛ قال :

وإنى وإن دب فى الشيـ	ـب فتى الفؤاد قوى الأمل
أنزه طرفى بروض الجمال	على رغم من لام أو من عذل
وأصبو إلى الحسن أنى أراه	كأنى بيرد الصبا لم أزل
وأجمع بين الهوى والتقى	وقلب إذا جد حيناً هزل
وما صدنى عن هوى طاهر	بياض المشيب بفودى نزل
(وقد علم الناس أنى امرؤ	أحب الغزال وأهوى الغزل)
وما لامرئ لذة فى الحياة	إذا هو عاف الصبي واعتزل

وهو طيب النفس لا يبخل على أوليائه وخلانه بالمزح . وطرائفه لا يحصرها العد ، ولطائفه لا يدركها الحصر . وكأنى به يتمثل بقول الشاعر :

أفد طبعك المكدود بالهم راحة
قليلا وعلله بشىء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن
بمقدار ما تعطى الطعام من الملح

العراق ـ الكاظمية — حسين على محفوظ



آلام شاعر!

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

ألم يكفها أنى تركت لها غدى
وشيعت أمسى، ثم ضيعت حاضرى؟
ألم يكفها يأسى وحزنى وحيرتى
وضيعة أيامى، ولوعة خاطرى؟
فجاءت تعرى روضتى من غصونها
وتنثر فوق الأرض فض أزاهرى!
وتملأ لى كأسى من الهم والضنى
فتقفل بى فعل السهاد بساهر
كفى ألماً بعدى عن الناس كلهم
وكثرة أعدائى، وقلة ناصرى!
كفى ألماً أن أترك اليوم ظامئاً
أفتش عن نبع من الماء زاخر!
ويرجع كل الناس نحو ديارهم
وأمضى شريداً مستطار المشاعر
أهيم على وجهى كأنى مطارد
من الدهر، أو جان على كل سائر
لقد كنت أخفى هم نفسى، فها أنا
أهتك أشعارى، وأبدى سرائرى!
أنا الشارد الهيمان! عفت إقامتى
ومرت كطيف شارد الخطو نافر
أنا الشارب الظمآن! تهتز أكؤسى
بدمع المآسى، لا بخمر المعاصر!
أنا الشاعر الـأمان! حطمت معزفى
وأصغيت فى يأس لبوم المقاور
تمر على قلبى الليالى كأنها
مواكب أشباح سرت فى مقابر
وتبدو لعينى الأمانى كأنها
تصاوير جن، أو تهاويل ساحر
فإن جئتها أبغى لقلبى راحة
لديها، تمد كالعثير المتطاير
أليس لقلبى أن يعيش منعماً
يغرد فى الآفاق تغريد طائر؟
أكل حياتى لوعة وكآبة
وأحلام محروم، وأوهام شاعر؟
أكل حياتى لهفة وصبابة
وآلام ظمآن، وأحزان حائر!
فهمت أضاليل الحياة فمقتها
كما عافها من قبل أهل البصائر
وعشت كأنى ضارب فى مفازة
على ظمأ مر، وخوف مخامر
أنام على يأس قديم مساور
وأصحو على يأس جديد مبادر!
إذا هدأ الليل الرهيب أثارنى
وذكرى عهد الليالى الغوابر
فرت على قلبى طيوف كثيرة
تطوف حولى فى الدجى كالسواحر
على ثغرها الذاوى شكاية حائر
وفى وجهها الباكى كآبة عاثر
وفى قلبها الشاكى جراح كثيرة
تنوح نواح الريح تحت الدياجر
وفى مقلتيها أدمع خلت أنها
سوافر مركن غير سوافر
عرفتك يا أطياف عمرى الذى مضى
ولم يبق لى إلا علالة ذاكر
عرفتك لا بالعين؛ فالعين لا ترى
بها صور من عالم غير ظاهر
ولكن بتحنان الفؤاد وخفقه
وهزة روحى، واختلاج مشاعرى

وهمس جرى فى مهجتى فصمته
وإن كان أخفى من طيوف عوابر
أأنت التى كانت نعيما وفرحة
لقلبى ، وكانت بهجة لنواظرى !
أأنت التى أنبت فى قلبى المنى
فرفت كأزهار الربيع النواضر ؟
أأنت التى غنى بهـا القلب مسعدا
على شدو أطيار ، وعزف قياثر ؟
أأنت التى كانت لنفسى مفزعا
من الهم إذ يغشى عتى الهوادر ؟
تغيرت ! حتى صار أمرى مع المنى
ضراعة مهجور ، وقسوة هاجر
تغيرت ! حتى كدت أنكر ما مضى
وحتى لقد أوشكت أنكر حاضرى
وما أنا إلا عابر لم يتح له
من العمر إلا ما يتاح لعابر
أسير وما أدرى ! وأرنو وما أرى
وأصبو وما ألقى ! ولست بصابر
أظل حزين النفس يرتادنى الأسى
وتقذفنى البـلوى إلى كل غائر
أفكر فى عمرى الذى ضاع مثلما
تضيع على الآفاق آهات زافـر
أفكر فى قلبى الذى لم أجد له
أنيسا ، ولم أظفر له بسمار !
أفكر فى حظى ؛ فإنى لم أجد
مثيلا له بين الجـدود العواثر !
أفر من الآلام على أضلها
ومن أين ؟ والآلام جند القـادر
وأستر آلامى ، وأخفى مواجعى
فتفضحنى آثار دمع الهـاجر !
قضى الله أن أحيـا بدنياى حائرا
كأنى لحن فـر من ناى زامر
كأنى سفين ضال البحر سيره
فغيب فى لج من الموج غامر
كأنى دفين أطلقته يد البلى
فعاش بدنيـا الناس عيش الحاذر
ألا ليتنى ميت ، فيهـدأ خافقى
وترسب آلامى ، وترسو خواطرى
وينعم جسمى بالتراب ، فطالما
أضرت به أشواك تلك الأزاهر
تعال فؤادى ، حسبنا اليأس مغنما
وهيا نجرب حظنا فى المقابر !
أآسى على دنيا سقتنى حميمها
وصبت على قلبى لهيب الجامر ؟
سأخرج منهـا ما قضيت لبانتى
ولا نلت أو طارى ، ولا قر طائرى !
أآسى على مجد يقولون إنه
حياة لجسم ميت متنـاثر ؟
أآسى على فن وهبت له دمى
وما نلت منه غير وهم مساور ؟
وهل نافعى أن أبصر الآل لامعا
وأترك ظمآنا صريع الهـواجر ؟
لعمرك ما فى العمر خير إذا خلا
من الحب . إن الحب نور البصائر
وما الحب إلا النبع رفت مياهه
رفيف نجـوم فى السماء زواهر
وما هـو إلا عالم ساحر الرؤى
وكنز سعادات ، ودنيـا بشائر
وما هو إلا المجد يعنو لعرشه
ويشكو إليه الذل عرش الجبابر
وما هـو إلا الفن يسمو بأهله
إلى ملكوت عاطر النور طاهر
إذا لم ينل قلبى من الحب ما اشتهى
فإنى بما قد نلت — أضيع خاسر

ابراهيم محمد نجا

الأدب والفن فى أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الرقاعات الفرنسية :

للرقاعات الفرنسية فى هذا الباب « حساب مفتوح » وأذكر أن آخر « دفعة » منها كانت فى العالم الماضى حينما حضر إلى مصر وفد من الصحفيين الفرنسيين وكانت فيهم عجوز تدعى « مدام تابوى » ، قالت هذه العجوز فيما قالت لإحدى الصحف المصرية — وكانت حينذاك مناسبة من المناسبات التى يرتفع فيها صوت مصر لنصرة إخواننا أهل المغرب — قالت : لماذا تعملون على إقامة المتاعب لنا فى شمال إفريقية ؟ إنكم تلعبون بالنار إذ تشجعون هذه الشعوب ... كنت أعددت مقالا عن مصر فيه تحية طيبة لها ، ولكنى غيرت رأيى واستبدلت به مقالا آخر ! ووصفت هذا القول إذ ذاك بصفته وهى الرقاعة ، والرقاعة فن يحذقه الفرنسيون

وقد كنا نعرض تلك الرقاعات واحدة واحدة . أما اليوم فنراها تسقط علينا بالجملة . . فى هذه المحنة التى تعانيها مراكش من جراء الوحشية الفرنسية التى نكأت الجراح القديمة وأثارت المواجع فى أقطار العروبة والإسلام . ولندع القضية نفسها فهى معروضة فى الصحف مبسوطة الجوانب ، ولندع مسائل الاعتداء على الشعوب الصغيرة وكتم أنفاس الحريات والتنكيل بالوطنيين الأحرار ، فهى مسائل معروفة معهودة فى المستعمرين على الإطلاق وإن كان الفرنسيون « دعاة الحرية والإخاء والمساواة » يبزون فيها سائر المستعمرين . لندع كل ذلك ، فالذى يعنينا الآن هو « الرقاعات » التى تفرد بها أهل باريس الرقاق اللطاف . .

الرقاعة الأولى من « النوع الدبلوماسى » الذى يسيل أدبا وظرفا . . فقد استدعى وزير خارجية فرنسا سفير مصر وتحدث إليه بحديث قال فيه إن ما ينشر فى الصحف المصرية يستدعى اشمئزاز الشعب الفرنسى ! أرأيت إلى هذا « الاشمئزاز الفرنساوى » العجيب الذى لا يشعر بما يأتيه أهله من الفظائع التى تشمئز منها الفضائل كلها وعلى رأسها الحياء ؟ كأن مطالبة سلطان مراكش بإقرار الاستعمار فى بلاده ، والبراءة من أبنائها الوطنيين ، وضرب المواطنين بعضهم ببعض ، وحصار السلطان وتقييد حريته ، وضرب المدن بالقنابل ، وغير ذلك مما يتحدث به العالم ويكذبه الفرنسيون كأن كل ذلك أمور لطيفة جدا تستدعى الإعجاب فى عرف الشعب الفرنسى الذى « يشمئز » مما تكتبه الصحف المصرية ! ! إذن فاشمئزوا حتى تنفلقوا . .

وذلك التكذيب نفسه رقاعة . . فماضيهم يؤيد الأنباء ، وليس ما يفعلونه الآن جديدا ولا غريبا منهم فى شمال إفريقية ، وليس هذا الصدى فى مصر إلا جراحا قديمة تنكأ . ولو كانت هذه الأخبار كاذبة كما يدعون ماقطعوا أسلاك البرق بين مراكش والخارج وضربوا الستار الحديدى الدائم هناك لمنع وسائل الثقافة المصرية والعربية على العموم من النفوذ إلى أهل المغرب الواقعين تحت النفوذ الفرنسى . على أننى لا أدرى لماذا نصدق الفرنسيين ونكذب المراكشيين ؟

ومن الرقاعات ما قاله المقيم الفرنسى فى مراكش : « إن الثورة ليست فى مراكش ولكنها فى القاهرة ، وسيدفع المصريون ثمنها ! » وهو تهديد رخيص أشبه بتهديد « مربع » الذى يبشر بطول السلامة ، وهو لهذا يدعو إلى الابتسام ، وإن كانت فيه وقاحة تدعو إلى الاشمئزاز الحقيقى

على أن رقاعة الرقاعات هى فى موقف الصحافة الفرنسية من الصحف المصرية ... تنكر الأولى على الثانية أنها اشتدت فى التعليق على أنباء مراكش وتتحدث عن شرف المهنة ! ثم تأخذ فى الحملة على الصحافة المصرية . ولست أدرى أى الصحافتين أولى بأن يستنكر صنيعها وأيها حاد عن شرف المهنة . . أهى الصحافة التى تنتصر للمظلومين أم التى تدافع عن الظلم ؟ والصحافة الفرنسية تتحدث عن علاقات المودة التى تزعم أن الصحف المصرية أخلت بها . . فهل كان من علاقات المودة والصداقة ما كتبته عن مصر وخرجت فيه عن الذوق والحياء ؟

وما زلنا نذكر أن حكومة فرنسا عندما سئلت في ذلك أجابت بأن الصحافة حرة؛ وهي الآن تطلب إلى الحكومة المصرية أن تسكت صحف مصر!

والرقاعة الأخيرة — ولسنا ندري ما بعدها — ما تواتر على ألسنة الهيئات الفرنسية المختلفة المحتجة على مصر وحكومتها وبرلمانها وصحفها لموقفها من المسألة المراكشية، من تساؤلهم: لم يتدخل المصريون في هذه الأمور التي تخص الفرنسيين والمراكشيين؟ وقولهم: إن ذلك لا يتفق مع الصداقة التقليدية بين مصر وفرنسا! ووجه الترقع هنا أنهم يعلمون جواب ما يقولون ولكنهم يسألون! ألا فليعلموا — إن لم يكونوا يعلمون — أن أقطار العروبة والإسلام كلها بلاد واحدة، لا يفرق بينها ولا يمنعها من التوحد المنشود إلا وسائل الاستعمار ودسائسه، وأنه لا يمكن الجمع بين الاعتداء على أي منها وبين صداقة غيره من سائرها، فإن ظلوا على إيثار الأول فإنا نرد إليهم صداقتهم التي بلوناها كثيرا فلم نجد فيها نفعا

مسرحية:

«في إحدى الضواحي»:

نحن الآن أمام لون جديد من الفن على المسرح المصري الذي اعتاد الهزات الانفعالية التي تعتمد على المفاجآت المفتعلة لإحداث التأثير في الجمهور؛ وقد اعتاد هذا الجمهور أن يشاهد ويتأثر بحواسه دون أن يجشم فكره أي مجهود.

نحن الآن أمام مسرحية «في إحدى الضواحي» التي قدمتها في الأسبوع الماضي فرقة المسرح المصري الحديث على مسرح حديقة الأزبكية، وهي مسرحية إنجليزية من تأليف ج. ب. بريستلي وترجمة الأستاذ حسن وهبي، وإخراج الأستاذ زكي طليمات. هي قطعة من الحياة تبدو هادئة هدوء الضواحي، ولكن هذا الهدوء لا يلبث أن يتبين أنه يستقر على بركان.. ويتبين ذلك في هدوء أيضا برغم البركان..

تعيش الأسرة في إحدى الضواحي عيشة ريفية هادئة في سعة من العيش، ورب الأسرة «جورج رادفورن» يبدو راضيا بهذه الحياة، متلهيا بزراعة الخضر في حديقته، يقضي أوقات فراغه بالاستماع إلى الراديو، ويقطع بعضها بقراءة الروايات البوليسية، ويسافر أحيانا إلى بعض البلاد لأعمال تتعلق بتجارته في الورق؛ والزوجة «مسز رادفورن» امرأة

كشكول الأسبوع

□ يسافر معالي الدكتور طه حسين باشا إلى اليونان يوم ٢٢ مارس الحالي لحضور الاحتفال بمنحه درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة أثينا، وتستغرق هذه الرحلة نحو عشرة أيام.

□ اشترت وزارة المعارف من الأستاذ خليل قريافص (ألبوما) ضخما يحتوي على مذكرات لعرابي باشا ورسائل متبادلة بينه وبين شخصيات مختلفة ووثائق وأشياء أخرى من هذا القبيل. وكان الأستاذ قريافص حصل عليها من محامي ورثة عرابي. وقد عرضت عليه الوزارة فيما مضى شراءها بأثمان مختلفة فلم يرض بها، حتى رضي أخيرا بثمن قدره ١٥ ألف جنيه. وأرسل هذا (الألبوم) إلى دار الكتب المصرية ليحفظ بها ولتستخرج منه بعض الصور لعرضها.

□ نشرت «الرسالة» في الأسبوع الماضي «المقامة اللغوية» للأستاذ إبراهيم الأبياري، وسيتابع كتابة مقامات أخرى تتناول موضوعات اجتماعية وخلقية على هذا النحو الذي يقصد به إحياء فن المقامات. ولكن لست أدري لم خص هذه المقامة بوصف «اللغوية» وكلها كذلك! وقد استرعى نظري قوله «أليست لك من اللغة تلك الكلمات التي لا تحصى والأساليب التي لا تستقصى» لأنها عبارة مفهومة. أرجو ألا يقع في مثلها!

□ نشرت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، بحثا للدكتور سليمان حزين بك عنوانه «مقومات الحضارة العربية» جاء فيه: من المظاهر الخالدة في ثقافة العرب لغتهم التي عاشت وأنتجت أدبا قام بذاته وعبر به أصحابه عن معاني الحياة ومشاعرها خلال فترة تقارب ستة عشر قرنا، وهو ما امتازت به اللغة العربية على كثير من اللغات القديمة والحديثة.

□ صدر أخيرا ديوان «حفيف الغابة» للشاعر المجيد الأستاذ قاسم مظهر، وهو يحتوي على قصائد في أغراض مختلفة، تتسم بالصدق والجمال. وقد قدم له الأستاذ محمود تيمور بك بكلمة قال فيها «فإذا قلت إنه ينحو في كثير من طريف موضوعاته منحى التجديد في الشعر فإنك على حق، وإن قلت إنه شعر عربي صريح العروبة في متانة نسجه وألطف أخيلته وشفوف معانيه فلست تجانب الحق».

□ يقترح بعضهم أن يعاقب موظفو الإذاعة الذين يقومون باختيار مواد البرامج — بوضعهم في حجرة يسمعون فيها برامجهم ... ليقعوا في شر أعمالهم.

□ تتجه النية إلى عقد المؤتمر الثقافي العربي الثالث في صيف هذا العام بمدينة الإسكندرية

بيت لا تشغل نفسها بغير شؤون المنزل ؛ ولكن هذه الحياة لا تعجب ابنتهما « إلسى » التى تصف أباها بالغباء وتسخط على حياة الريف وتتطلع إلى الاتصال بالحياة فى خارج هذه الضاحية ، ويوافقها على ذلك زوج خالتها « برنارد بكسلى » وهو رجل لا عمل له يدعى أنه رحالة مغامر ، وقد نزل هو وزوجته على هذه الأسرة ضيفين ثقيلين همهما الاحتيال على أخذ المال من « رادفورن » بصفة قروض . ويتقدم لخطبة إلسى الشاب « هارولد » الذى يخدع الفتاة بالحب وإنما هو يطمع فى مال أبيها إذ يطلب منه بعض المال ليؤسس به عملا ، ويضيق «رادفورن» بهؤلاء الطامعين ويؤخر الحديث فى مطالبهم إلى مابعد العشاء ، ويجلس الجميع إلى المائدة ، ولا يمهلهم الرجل (رادفورن) إلى أن يتموا عشاءهم فيفاجئهم بحديث هادئ يفضى فيه إليهم بأنه مجرم . . يعمل فى تزييف السندات والأوراق المالية ، وأن المال الذى يأكلون منه مال حرام . . وأنه عرضة للقبض عليه إذا كشف أمره « بوليس اسكتلنديارد »! فيدهشون ويفزعون أشد الفزع ، ويفر الشاب ، ويهرع الضيفان إلى حزم أمتعتهما للرحيل . وهنا يتغير شعور الفتاة (إلسى) فتزهد فى المغامرة وتصير كل أمانيها منحصرة فى الأمن ثم يقبل مفتش من « اسكتلنديارد » ويخفى مقصده فى أول الأمر قائلا إنه يريد أن يسأل المستر رادفورن عن أشياء تتعلق بإحدى القضايا . ثم يستقبله رادفورن ؛ وينفردان ويدور بينهما حديث هادئ عنيف فى آن . . يبدأ بالتلميح ثم يندفع المفتش إلى مصارحة الرجل بأن البوليس يعرف عمله المريب ويطلب منه أن يساعده بالكشف عن الشركة التى يعمل معها على ألا يصيبه مكروه . ولكن رادفورن يقابله مقابلة هادئة قوية بحيث لا يستطيع المفتش أن يظفر منه بغير السخرية وعدم المبالاة ، فليس لدى البوليس أدلة مادية على إدانته ، وأخيرا ينادى رادفورن زوجته وابنته ويقول لهما أمام المفتش إنهم سيقومون برحلة بعيدة يمران فيها ببلاد الشرق ؛ ويكون ذلك بمثابة اتفاق غير مباشر بينه وبين المفتش على أن يقطع عمله المريب ، وتنتهى المسرحية باعتزام الأسرة وتأهبها للرحيل

والرواية من الأدب المسرحى الذى يحمل المشاهد على متابعتها بذهنه وإعمال فكره ، وهى تعتمد فى المفاجآت والحركة على الانتقالات الشعورية لأشخاصها ، وتبرز خلالها أفكار يعرضها المؤلف بلسان الأحداث ، فالإنسان يزهد فى الهدوء والاستقرار ولكنه يتمناهما عندما يتعرض للأخطار ، والحياة لا أمن فيها ولا استقرار مع الانحراف ، والهدوء لا يلبث أن ينقلب إلى قلق واضطراب إذا لم تحرسه الاستقامة . ويعنى المؤلف برسم الشخصيات ويقدم من الناس أنماطا مختلفة يظهر كلا منها فى وضوح ، وأهم هذه الشخصيات هى شخصية « رادفورن » الذى يمثل برود الرجل الإنجليزى على أتم ما يكون ، تحيط به المخاوف الروائع فيضبط أعصابه ضبطا عجيبا ويبدو كأنه لا يشعر ولا يبالى بشئ

وقد أبرز الأستاذ زكى طليمات - بإخراجه - كل تلك المعانى وكأنه يستمع إلى همسات المؤلف الدقيقة ويتجاوب معها ويرتب لها ، ومما يستلفت النظر مشهد الجماعة وقد تحلقت حول مأدبة العشاء ، فقد طال هذا المشهد ولكن لم يمض جزء من زمنه إلا مشغولا بحركة أو لفتة أو طرفة إلى ما ساده من المباغتة الرهيبة

وقد أجاد الممثلون جميعا فى هذه المسرحية ، وخاصة الأستاذ عبد الرحيم الزرقانى الذى قام بدور « راد فورن » فكان موفقا كل التوفيق فى التعبير بالمواقف المختلفة ، وقد أظهر مقدرة فائقة فى تمثيل البرود الإنجليزى ، حتى ليصعب على أن أراه بعد ذلك رجلا مصريا . . وأعتقد أن هذا هو دوره الذى يعرف به فى حيـــاته التمثيلية . وكذلك كانت نعيمة وصفى موفقة فى دور « مسز بكسلى » وهو دور فكاهى قامت به على أكمل وجه ، وأجاد محمد السبع فى دور المفتش وهذا الممثل يستطيع أن يقف المواقف الطويلة وهو يجدد شوق المشاهدين بحركاته وانتقالاته البارعة ، وكان كمال يس « فى دور برنارد بكسلى » مثال الرجل (المجاص) الذى لا يحسن غير الأكل والتظاهر بالمظاهر الفارغة

ونرى أن هذه المسرحية تعتبر تجربة للجمهور من حيث تذوقه للمسرحيات العالية ، وألاحظ أنها تجربة ناجحة ، وإن كنت لا أدرى أذلك لأن هذا الجمهور من طبقة خاصة أم أن الجمهور المصرى يظلمه المهرجون . . ؟

حول مؤلفات العميد

تلقيت الرسالة الآتية من الأديب الذى يصر على أن يوقع « أسامة » وهو يعقب بها على ما كتبته بعنوان « طه حسين

الوزير يتحكم فى طه حسين المؤلف » :

« خاطر غريب ، لست أدرى مبعثه ، دفعنى لأن ألق بالكتاب الذى فى يدى جانبا ، وأتناول (الرسالة) فأقرأ مرة أخرى « كان شمارى منذ وليت وزارة المعارف ألا تشترى الوزارة كتبى حتى أخرج منها ... ومع ذلك فما أظن وجود هذه الكتب فى المكتبات فى متناول المدرسين والطلاب يضر أولئك أو هؤلاء أولا ينفعهم »

وأنا وإن كنت مثلك ـ ياسيدى ـ لا أحب أن أخوض فى الحديث الملوث بالحزبية إلا أنى فى حيرة من أمرى . . . أسائل نفسى : أيوجد هناك من يعترض على مد الناشئة بكتب طه حسين ؟ ! . . . وما الدافع على ذلك ؟ ! . . . أهو الجحود بالعبقرية أم الكفر بالأدب والعلم الخالد ؟ ! . . أم هى الحزبية السياسية الحمقاء التى يجب ألا تنفذ إلى ميدان العلم ؟ ! ..

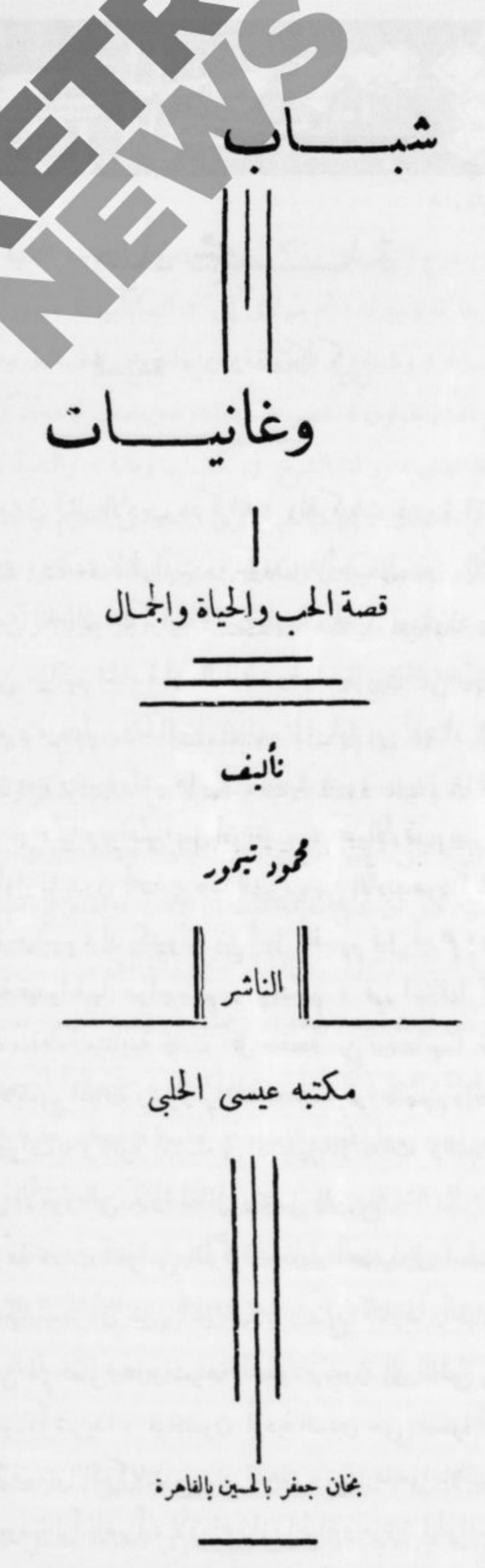
إننا لو تركنا جانبا ذلك الغذاء الأدبى والفنى الذى يعود على الناشئة من كتب طه حسين ، ونفذنا من زاوية واحدة . . زاوية التربية الصحيحة والاتجاه إلى الأخلاق الفاضلة ، وخلق الطموح فيهم — وهو مايحتاجه ناشئة مصر الذين ران على قلوبهم فى السنين الأخيرة نوع من الخمول والرضا ـ لألفينا مؤلفات عميد الأدباء تؤدى رسالتها كاملة من هذه الناحية ...

ونستطيع أن ندرك ذلك حين نتصور تلك الكلمات تنفذ إلى قلب الطالب الصغير من بين القصة الخالدة ـ الأيام ـ « وما أحب أن يضحك طفل من أبيه ، وما أحب أن يلهو به أو يقسو عليه » ... وفى غمرة هذا التأثير الذى يسيطر على الصبى الصغير تنفذ هذه النصائح الغالية إلى النفس ، فتعمل عملها

وهذا الطموح الذى يخلق فى الناشئة ، وحب العلم الذى يستولى على نفسهم حين ينظرون إلى وزيرهم وإلى عبقريته الخالدة ثم يقرؤون فى أيامه « أنه كان ينفق اليوم والأسبوع والشهر والسنة لا يأكل إلا لونا واحداً ، يأخذ حظه منه فى الصباح والمساء ، لا شاكيا ولا متبرماً » ثم يسألون كيف انتهى إلى حيث هو ... فيعلمون أنه كان صبى جد وعمل . . ، وأن المجد لا ينال إلا بالجد والعمل ..

صوتى إلى صوتك نرفعه إلى معالى وزير المعارف : بأى حق يحول بين الناشئة وبين ارتشاف العلم من كتب طه حسين ؟ !... »

عباس خضر





حياة مجيدة

للسيدة وداد سكاكيني

أصدق آثار الأديب مذكراته ، والذكريات ذخيرة الفكر والسنين ، وصدى الحوادث والشؤون، فأحب إلى ذوى الأقلام الحرة من اختزان المذكرات وتسجيلها ، ففيها يودعون صوراً تعبر عن حياتهم الخاصة أو العامة ، وفيها يعربون عن تهاويل ماضيهم وهمومهم ، وما اتصل بجيلهم وقبيلهم من خير أو شر ، فإذا هي بعد ترتيبها ونشرها تهتز وتنبعث فتعود جديدة شائقة كما كانت حوادثها وبواعثها، قبل أن تغيب بين سمع الأرض وبصرها .

ولعل أول ما يدون أصحاب هذا الضرب من الأدب هوذكرياتهم. وسيرة حياتهم ، إذ يكتبونها من أجل أنفسهم قبل غيرهم ، ورب كراسة قيدوا فيها هواجسهم وحوادثهم ، فور انبثاقها أو فى فترات منقطعة متتابعة كانت كل صفحة من صفحاتها صورة كامنة لأيامهم الحافلة وشؤونها المختلفة، فاستوفوا حاجتهم وإلهامهم قبل الفوات ، وكانوا أمناء فى تسجيل الأحداث والتجاريب وتعليل الأمور التى تجلو الحقائق وتتصل بالتاريخ

وثمة ضرب آخر من المذكرات يعمد أصحابها إلى استعادتها وكتابتها بعد أن تغيب أشباحها ، وتضيع آثارها وأخبارها ، فإذا عن لهم تصويرها ونشرها أخذوا يرتدون إلى الماضى وربما كان بعيداً شريداً ، فيخلعون أردية السنين حتى يبلغوا أيامهم الخالية فيبعثوا الذكريات من مرقدها . ومهما هاجوا ما فاتهم منها فلن يعود ثائراً ناضراً ، لأن اهتزازة الحياة وحرارة الحوادث قد فارقته بسبب النسيان والإهمال أو غياب الشعور ، فيفقد القديم المستعاد الصحة والرونق ويكون له طعم الغذاء المحفوظ فى علبة من حديد

فمن الضرب الأول كتاب « حياتى » للدكتور أحمد أمين بك . وقد كان هذا الكتاب درة التأليف العربى فى أدب هذا العام ، إن قارئه ليشعر منذ الصفحة الأولى أنه بين يدى كاتب صريح ، بعيد عن التكلف والتمويه ، فلا التباس ولا تنميق ولا تبجح أو تمجد ، فإذا ذكر عوامل تكوينه وأثرها فى حياته وثقافته ، وإلا عيب القدر التى صرفت فى هذه الحياة حظ صاحبها رأينا مثالا إنسانيا عظيما لطلاب المعرفة والصابرين على الصعاب حتى يدركوا بكفايتهم وكرامتهم المجد المنشود ، وكأن المؤلف حين يجلى حياته ويكشف عن دخيلتها ومزاجها منذ تفتحها حتى نضجها ، وما تخللها من أطوار عجيبة وفروق متضاربة يستعرض رواية حاشدة لغرائب الأحداث

لقد قرأت فيما مضى مذكرات لجبار الأدب الغربى « آندريه جيد » فأخذت بما فيها من قول صراح ولم يسلم فنه على روعته من تبرمى ولومي ، إذ كان الكاتب المبدع يجور فى ذلك القول حتى على نفسه فرأيته من غلاة الصارحين ، والغلو فى كل أمر ثقيل ممقوت . ومن قبل قرأت اعترافات الشاعر الفريد دوموسيه ففيها قص علينا كيف تردى فى حمأة الهوى وتصدى لداء العصر الذى استحكم فى أبناء جيله بعد أن اجتاحت الغرب أعاصير الحرب ، فراح « موسيه » يصف ذلك الداء العياء ويعترف بذنبه ومصابه ، مصوراً بدم قلبه عبراً لابد أن يجد فيها كل فتى صورة لحادثة من حوادث حياته . غير أن « جان جاك روسو » كان أصدق رواية وأحسن تأويلاً فى اعترافاته ، حتى قال ما معناه : لقد كشفت لك يا إلهى عن طويتى كما رأيتها ، فلو اجتمع أمثالى وسمعوا اعترافى وكشفوا عن قلوبهم بمثل إخلاصى لما تجاسر أحدهم أن يقول : لقد كنت أحسن من هذا الرجل ...

أما كتاب « حياتى » الذى هو قصة حياة إنسان جاء إلى الدنيا لينفع الناس ويعلمهم الأدب والأخلاق فلم يكن من قبيل الاعترافات ولا من طبقة المذكرات لأنه أجل منهما وأجمل ، هو سيرة « أحمد أمين » بقلمه الحر وفنه الأصيل وصدقه المعهود . ولقد تحرج أستاذنا الكبير بادِي الرأى من نشر هذا الكتاب ، لأنه كان يرى نفسه فيه بمنزلة العارض والمعروض والواصف

والموصوف فتمنى أن يرى نفسه بمرآة غيره محكوماً عليه لا حاكماً ومشهوداً عليه لا شاهداً ، فإن تواضعه — والتواضع أجل صفات العلماء — جعله يرى نفسه غير جدير بتسجيل حياته إذلم يرلهاعظمة ولا زعامة ولا بطولة ، فهو ليس بسياسي كبير أو مغامر خطير ، لكنه وجد وسيلة لتبرير صنعه في نشر الكتاب ، وهي أن عصر الديمقراطية قد كاد يغرب وتعم العالم في الشرق والغرب فكرة ديمقراطية ، وعلى كل امرئ يؤثر الحرية والخير لقومه أن يسعى إلى نفعهم ، وقد وجد الدكتور أحمد أمين أن في وسعه نفع أمته بنشر كتابه لأنه يصور جانباً من جوانب جيله ويصف نمطاً من أنماط الحياة في عصره ووطنه ، ولعله يفيد اليوم قارئاً ويفيد غداً مؤرخاً

كانت فاتحة كلامه على حياته فلسفية صوفية ، والفلسفة كهف للمفكرين أمثاله ، إذكان يرى أن وجوده نتيجة محتومة لكل ما مر عليه وعلى أهليه من أحداث ، ثم جعل يتغلغل في مظاهر هذا الوجود وبواطنه ، حتى صار معه الرأي إلى أن يجد نفسه عالماً وحده ، خاضعاً لعوامل التأثر النفسي والوراثي والرؤية العينية والمناهج العقلية والعلمية

ويدفعنا المؤلف برفق وهوادة إلى مشاهدة البلدة التي نشأت فيها أسرته المصرية ؛ فيصور الفلاح الكادح الذي كان يعاني العنت والاستغلال حتى أصاب أهل المؤلف لظى ذلك الجور فنزحوا إلى القاهرة وكان أبوه عالماً فقيهاً فأحب أن ينشئه نشأته . وحين صور الأستاذ أحمد أمين أثر المدرسة التي طبعته بطوابعها وجد البيت هو المدرسة الأولى التي تعلم فيها أهم دروسه في الحياة

ما أروع حادثة مولده ورضاعه ! إنه ليصورها محفوفة بضربة قاصمة من ضربات المقدور . فقد اتفق أن نهضت أخت له في مستهل العمر لكي تعد القهوة لبعض الضيوف وكانت أمه حاملاً به ، غير أن النار هبت في أخته فما استطاعت أن تطفئها ، ولم يدركها أهلها إلا وهي شعلة من نار ، فتغذى وهو جنين دما حزيناً ورضع لبناً حزيناً ، ويرد هذا السبب وأمثاله إلى طبيعته ومزاجه ، فيتساءل : هل كان لذلك أثر فيما غلب عليه من الحزن في حياته ؟

ولقد أحسست منه ذلك فيما فاضت خواطره ، وفيما كنت أنصت له من حديثه ، فأسمع فيه هدوء المحزونين، وأحس في سمته وفي نبرات صوته ولهجته شجواً حيرني تعليله حتى قرأت كتابه « حياتي »

ويتدرج المؤلف في مذكراته من بيته إلى المدرسة الثانية التي كانت حارته وجيرته ، ثم يتهادى إلى « الكتاب » مصوراً لنا « كتابه » وشيخه و « الفلقة » المعلقة على الحائط وعصا الشيخ الذي يقولون له بعصر « سيدنا »وحين وصف لوحه تذكرت الجاحظ الذي صور لنا الشيخ في كتاب زمانه ، والتلميذ وهو يمحو لوحه فقلت : إن مياسم الشرق واحدة في القديم والحديث وقد أثارت هذه الذكرى في خاطري صوراً رائعة للدكتور « طه حسين » ذكرها في «أيامه» ما كان أجملها وهو يقرأ القرآن بين يدي شيخه القاسي الوقور

إن كثيراً من الناس لا يعرفون أن الدكتور أحمد أمين بك نشأ بعمامة وجبة كنشأة أترابه وصحبه من أعلام الفكر والبيان بمصر،وأنه تلقى ثقافته الأولى أزهرية مكينة تمهدها أبوه بالتوجيه والتسديد قبل أن يتلقى ثقافة القضاء والأدب ،ويصير إلى الجامعة المصرية أستاذاً وعميداً ورائداً للباحثين والمؤلفين .

وكان لموت أبيه ومعلمه أثر عميق في نفسه اقتحم بعدها غمار الحياة وتحمل تكاليفها بعزم وإيمان ، حتى إذا انتهى من قصة دراسته ووظيفته في القضاء ثم بجامعة فؤاد قص علينا بإيجاز رحلاته إلى الشرق والغرب حتى أخذ بنا إلى صفحات سعادته بين أهله ، وحين منحته الجامعة الدكتوراه الفخرية وجائزة فؤاد الأول تقديراً لفضله ومآثره ، وتكريماً لمجهوده السباق إلى البحث العلمي المعاصر في تاريخ الأدب العربي وتوجيه الأمة الوجهة الأخلاقية المثلى

فكتاب « حياتي » الذي خطه مؤلفه الجليل بأسلوبه الخاص سيشع منه على الأيام القابلة ، والجيل العربي الصاعد مشعل للحق والخير يضيء الفكر والضمير ، ويبهج السيرة والتاريخ

دمشق **وداد سكاكيني**

خواطر بدر ...

للأستاذ محمد عثمان محمد

مما لا يواتى الكثيرين من الأدباء القدرة الفائقة على التلوين والتنويع فى أدبهم مع الحبك والسبك والإجادة ... فقد يكون الكاتب فى النثر بارعاً ، وقد يكون فى الشعر مغلقاً ، وقد يكون فى القصص عبقريا ، وقد يكون فى الأدب الشعبى راسخاً ... أما أن يكون فى مستوى واحد من البراعة والإجادة فى جميع فنون الكتابة فأمر لا أظن أنه يتأتى للأكثرين ...

أقول هذا وبين يدى كتاب جديد صدر أخيراً باسم « خواطر بدر » ، أهداه إلى مؤلفه الأستاذ الفاضل أحمد عبد اللطيف بدر ، المدرس ببورسعيد الأميرية الثانوية ... فقد حوى فى تضاعيفه الشذرة الاجتماعية ، والمقالة الأدبية ، والقصة فى عالميها الواقعى والخيالى ، والشعر الفنى فى أغراضه ، والزجل الشعبى فى استرساله ... مما دل على قدرة الأستاذ على التلوين والتنويع فى أدبه بصورة غير مألوفة ...

وقد يدهش القارئ الفاضل أن يكون عالم من خريجى إحدى كليات الأزهر الشريف زجالا ... ولكن ليس فى هذا ما يدعو إلى الدهش والاستغراب ... فالزجل فن شعبى له منهجه وأصوله، وليس كما يفهم البعض « ... كلمات مسرفة فى العامية أو عبارات تنظم حيثما اتفق ... » ، وليس فى مزاولته أو محاولة نظمه ما يحط من قدر العالم المصلح والكاتب الاجتماعى ... لأننا إذا دعونا إلى الإصلاح مثلا — ومخاطبة الدهماء من طبيعة عمل العالم الذى يهدف إلى الإصلاح والكاتب الاجتماعى الذى يرمى إلى التهذيب والإرشاد — كانت دعوتنا ، كما يقول الأستاذ المؤلف ، ذات فائدة إذا كانت لها صلة بروح الشعب المنتفع بها ، ولا تتأتى هذه الصلة الروحية إلا إذا خاطبنا الشعب بلغته الدارجة التى يفهمها ، والزجل مظهر من مظاهر هذه اللغة ...

وقد يظن البعض أن الزجل فن شعبى مستحدث ، ولكنه فن قديم مضت عليه أكثر من ثمانمائة وعشرين سنة ، فقد ابتدعه فى الأندلس من يقال له « راشد » ، ثم جوده وحسنه وأكثر من أوزانه من بعده أندلسى آخر يقال له « ابن قزمان » وقد توفى عام ٥٥٥ هـ ...

والملاحظ على أزجال الأستاذ أحمد أنها كلها أدبية أخلاقية اجتماعية ، لا تجد خلالها قصيدة واحدة فى الهجاء أو الذم تتخللها ألفاظ نابية ...

وإذا تركنا الزجل وانتقلنا إلى الشعر ... أو انتقلنا من النظم باللغة الدارجة إلى النظم بالفصحى ،وجدنا الأستاذ الشاعر مقلا ... تتفاوت مقطوعاته ما بين عشرة أبيات وأربعة ، اللهم إلا فى قصيدة واحدة هى « فجر النهوض » ، فقد أربت على ستة وعشرين بيتاً . . !! وهو يقول فى تعليل ذلك : « ... وشعرى قطعة من نفسى أصوغه حينما أشعر برغبتى فى تنغيم مشاعرى على النغم الموسيقى الذى يبعثه اللحن الصادق المتجاوب بين أعطاف وجدانى لذلك كنت مقلا ... » ، يريد أن يقول إنه لا يقول الشعر إلا إذا أحس فى أعماقه برغبة قوية صادقة تدفعه دفعاً إلى التنغيم والإنشاد ... ، وهذا حسن ... ويجب أن يكون منهاجاً وسبيلا يطرقه كل شاعر يريد أن يسمو بشعره وأن يخلد بنات أفكاره ... ولكنه لا يمكن أن ينهض سبباً قويا على التقصير وعدم الاسترسال فى القصيد ... وإن كان يمكن التملل به على قلة النتاج الفكرى ...

فإذا كان الذهن حاضراً ، والقريحة صافية ، والشعور صادقاً ، وتلك الرغبة العميقة الدافعة إلى النظم والإرشاد مواتية ... ما الذى يمنع الشاعر من الاسترسال والإطالة — الغير المملة — ما دام لم يستوف الغرض ، وما دام الموضوع يتطلب منه الصول والجول . . ؟!!

على أنه ليس معنى ذلك أننى أقول « بالكم » فى مجال التفوق والشاعرية . . فقد « يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق » كما قال عقيل بن علفة حين سأله سائل وقال : مالك لا تطيل الهجاء ؟!

هذا ، والأستاذ بدر ، صاحب هذه الخواطر ، هو صاحب مجموعة « قصص بدر للأطفال » ، فهو من تلك الفئة العاملة من رجال التربية والتعليم ، المعنية عناية خاصة بتربية الناشئة

تربية تقوم دعائمها على النهج الديني القويم . . فهو من دعاة نشر الثقافة الدينية في جميع مراحل التعليم في مدارسنا على اختلاف درجاتها ، لأنه يرى أن « ليس هناك أجدى على النفس من الوازع الديني . . » ، وفي هذا يقول (ص ٩٨) : « . . إنا لا ندعو إلى وجوب التخصص في الدين ، بل نأمل فهم روحه حتى تربي الأم أولادها وبناتها في ضوء تعاليمه التربية التي تخول لهم حياة كريمة » . . وهو في دعوته هذه على حق . فنحن نعيش في عالم مادي بحت ، تدهورت فيه القيم الأخلاقية وعمت الفوضى والفساد حتى أصبحنا في حالة من الانحلال تنذر بالويل والثبور . . ولا يمكن أن يثوب هذا العالم إلى رشده ما دامت المادية متحكمة فيه هذا التحكم المزري به ، وما دامت أغلالها وسلاسلها وقيودها محكمة تعوقه عن السير والانطلاق . . وليس أجدى على هذه الإنسانية التعسة وهذه البشرية الرعناء من الرجوع إلى الدين وتعاليمه لكبح جماح هذه المادية للحيلولة بينها وبين الاستمرار في انطلاقها . .

هذا مثال واحد لما في تضاعيف الكتاب من المواقف الكثيرة المثيرة للاهتمام والتأمل في الأدب والنقد والفن والاجتماع وغير ذلك في أسلوب سلس أخاذ . .

بورسعيد — محمد عثمان محمد



اليوبيل الذهبي لعبده الحمولي

لما كانت الذكرى تنفع المؤمنين وكان يوبيل عبده الحمولي الذهبي سيقع في ١٢ مايو المقبل (لمرور خمسين سنة على وفاته) رفعت إلى الأعتاب الملكية وإلى وزير المعارف اقتراحاً بإقامة مهرجان ليوبيله الذهبي بدار الأوبرا الملكية تحت رعاية جلالة الملك ويخصص دخله لبرة الأميرة فريال وجمعية الإسعاف العمومية أسوة بمهرجاني شوبان وفردي اللذين أقامتهما لهما وزارة المعارف لمناسبة عيديهما الخمسيني الذهبي على أن الغرض الذي نزعت إليه من وضعي « كتاب الموسيقى الشرقية والغناء العربي ونظارة الخديو إسماعيل للفنون الجميلة وحياة عبده الحمولي » في أربعة أجزاء هو التصدي لصون الموسيقى الشرقية من أيدي التلاعب والضياع ورد غارة العجمة عنها والاحتفاظ بطابعها الشرقي

ولا أحسب إسماعيل العظيم قد اختص عبده الحمولي بالبعثات المتوالية إلى الآستانة إلا تقديرا لمواهبه الفنية من سلامة الذوق وسمة التصرف فضلا عن الابتكار والإلهام والوحي وهو فوق التخت

والذي حداني إلى طلب إقامة المهرجان ليس تكريمه وذكراه فحسب بل إعطاء صورة صحيحة لأنغامه الساحرة وتلاحينه المنسجمة وأدواره المتداعبة التي بها هز مناكب الأهلين وحبب إليهم الجمال وجعلهم يتذوقون الفن الرفيع

ولما كان العاهل العظيم قد شمل بعنايته الموسيقى الشرقية وهيأ لعبده أسباب النجاح فوضع الأصول والقواعد لها وكان المغفور له الملك فؤاد ناسجا على منوال والده قد أنشأ لها معهدا أغدق عليه من ماله الشيء الكثير وعقد مؤتمرا موسيقيا سنة ١٩٣٢ بدار الأوبرا حيث اعترف أحد علماء الموسيقى الغربية المنتدب بأن الموسيقى العربية قد غذت الموسيقى الغربية منذ ألف سنة فلا عجب أن ينال مقترحي من معالي وزير المعارف ما يستحقه من العناية والله ولي التوفيق

قسطندي رزق

الجواهري يطرد من لبنان

لا أظن أحدا في البلاد العربية لا يعرف شاعر العراق الكبير محمد مهدي الجواهري هذا الشاعر الذي يقول فيه المرحوم الرصافي:

بك الشعر لا بي أصبح اليوم زاهرا
وقد كنت قبل اليوم مثلك شاعرا
فأنت الذي ألقت مقاليد أمرها
إليك القوافي شردا ونوافرا

هذا الشاعر الذي يعطيك صورة صادقة للعراق السياسي والاجتماعي في الثلاثين سنة الأخيرة بما يتاح لك أن تقرأه من دواوينه المتعددة، ويهزك بقصائده عن سوريا ولبنان ومصر وفلسطين وسائر البلاد العربية بل هو أكبر داعية لمصائف لبنان وصيف لبنان الجميل في قصائده الكثيرة وهو القائل في (زحلة):

يوم من العمر في واديك ممدود
مستوحشـات به أيامي السود

وفي شاغور حمانا:

شاغور حمـانا ولم ير جنة من لم يشـاهد مرة حمانا

وفي (بكفية):

أرجعي ما استطعت لي من شبابي
يا سـهولا تدثرت بالهضاب

وهو الشاعر العراقي الوحيد الذي استقبل رئيس جمهورية لبنان الحالي بقصيدة رائعة عند زيارته العراق قبل سنوات .. وبعد هذا ينذر الجواهري بمغادرة لبنان في ظرف أربع وعشرين ساعة!! لماذا؟ لأنه ألقى قصيدة في تأبين عبد الحميد كرامي الذي توفي أخيرا. وقد استقبل أدباء لبنان هذه القصيدة بما يستحقه شاعر العراق وأضافوا إلى تقديرهم الشاعر في كل مناسبة يزور بها لبنان تقديرا آخر

هذا إجراء آلمني لأنه بادرة خطيرة إزاء حرية الفكر والشعور، وحينئذ لا يأمن أديب أو شاعر على نفسه في أي بلد عربي مالم يسكت على مضض أو يؤمن برسالة الاستعمار.

ابراهيم الوائلي

في لغة «أكلوني البراغيث»:

كلف أخي الأصغر بكتابة موضوع إنشائي يصف فيه حياة الفلاحين فافتتحه بقوله «يعيشون الفلاحون» وهذه عبارة صحيحة فصيحة على ما سأبينه بعد — ولكن مدرس الإنشاء أبى إلا أن يعدها من الأغاليط. ولعل الذي دفعه إلى هذا ما توهمه — ويتوهمه كثير من الناس — من خطأ مثل هذا التركيب

وقبل أن أتكلم في الموضوع أحب أن أوجه نظر القارئ إلى أن لغة «أكلوني البراغيث» هـذه لغة جماعة من العرب بأعيانهم — يقال: هم طيء، ويقال: هم أزدشنوءة — وهـذه الجماعة تجيز أن يؤتى في الفعل إذا أسند إلى اسم ظاهر — مثنى أو مجموع — بعلامة تدل على التثنية أو الجمع فتقول «قاما الرجلان» و «قاموا الرجال» و «قمن النسوة» فتـكون الألف والواو والنون حروفا دالة على التثنية والجمع كما تدل التاء في «قامت سعاد» على التأنيث

وللنحويين في هذه اللغة رأيان: رأي يقول بصحتها وفصاحتها ويبيح استعمالها، ورأي يقول بقلتها وضعفها وينكر استعمالها. والسبب في ضعفها عند من رأى ذلك هو الإتيان بعلامات التثنية والجمع بدون حاجة إليها

وقد نص على صحتها العـالم الجليل «الألوسي» في تفسيره «روح المعاني» عند شرح قوله تعالى «وأسروا النجوى الذين ظلموا» فقال ما نصه:

«قال أبو عبيدة والأخفش وغيرهما هو — أي لفظ الذين — فاعل أسروا والواو حرف دال على الجمعية كواو «قائمون» وكتاء «قامت» وهـذا على لغة «أكلوني البراغيث» وهي لغة حسنة كما نص «أبو حيان» وليست شاذة كما زعمه بعضهم»

ويكفي دليلا على صحتها قوله تعالى «ثم عموا وصموا كثير منهم» وقوله «وأسروا النجوى الذين ظلموا» وما جاء في حديث وائل بن حجر «ووقعتا ركبتاه قبـل أن تقعا كفاه» وقوله «يخرجن العواتق وذوات الخدور»

وقول الشاعر:

نتـج الربيع محـاسـنا
ألقحنهـا غر السحـائب

يلومونني في اشتراء النخيـل
أهـلي فـكلـهم يعـذل

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي
فأعرضن عني بالخدود النواضر

نصروك قومي فاعتززت بنصرهم
ولو أنهم خذلوك كنت ذليلا

فأدركنـه خـالاته فخـذلنه
ألا إن عرق السوء لابد مدرك

نـسيا حاتم وأوس لدن فا
ضت عطاياك ياابن عبد العزيز

وأحقـــرهم وأهونهم عليه
وإن كانا له نسب وخـير

تولى قتـال المـارقين بنفسـه
وقد أسـلماه مبعـد وحمـيم

إلى غير ذلك من الشواهد التى تقطع بصحة تلك اللغة

هذا وقد اتفق النحويون على صحة هذا التركيب إذا جعلت الفعل مسنداً إلى المتصل به — من الألف والواو والنون — وجعلت الظاهر بدلا من الضمير أو مبتدأ — والخبر مقدما — وإلى ذلك يشير ابن مالك بقوله :

وقد يقال سعدا وسعدوا والفعل للظاهر بعد مسند

فمعنى البيت أنه قد يؤتى فى الفعل بعلامة تدل على التثنية أو الجمع إذا أسند إلى اسم ظاهر مثنى أو مجموع وهذا قليل . وإنما يكون كذلك إذا أسندت الفعل إلى الظاهر؛ وأما إذا أسندته إلى المتصل به — من الألف والواو والنون — فلا يكون ذلك قليلا

فعلى هـذا وسواء اعتبرنا لغـة « أكلونى البراغيث » لغة صحيحة أم ضعيفة فالتركيب صحيح فصيح لاغبار عليه ولا مانع من استعماله خصوصـاً وأن فى استعماله تيسـيراً كبيراً لقواعد اللغة العربية

أحمد مختار عمر

الطالب بمعهد القاهرة الدينى الثانوى

من حديث الشعر

قرأت مقال (من حديث الشعر) المنشور فى العدد (٩٢٣) من مجلة الرسالة ، ولقد كان الأولى أن يكون كتابا خاصا لأستاذ الجامعة المذكور ، لا أن يطلع به كاتبه على قراء الرسالة فيقتضى منهم وقتا وجهدا ثم لا يظفرون منه بطائل . وأشهد لقد حاولت أن أخرج منه برأى جديد يستحق النظر والدراسة ولـكن يدى أطبقت على الماء حين أيقنت أن صاحبه يدعو الناس إلى الـكفر بالشعر ورسالته فى الحياة ، ويدعو الشعراء إلى نبذ الشعر ، والعزوف عن قرضه ، مناشدهم أن يكتفوا بالـكتابة العقلية ، فإنه هو كان « شاعرا » إبان حياته الأدبية ، ثم لما نضج لم يتسع شعره لأفـكاره فتركه واعتبره ديدن الأمم البدائية . ويقول بالحرف الواحد « فهنيئا لمصر أن يضمحل فيها الشعر ويقل الشعراء » . ربما كان ذلك نوعا من الغرور الذى يداخل الإنسان فى كل ما تتناول يده ، فإن هو رضى عن شئ أفرط فى حبـه والدعاية له ، وإن صدف عنه نبذه ودعا إلى نبذه ما استطاع . والذى أعرفه عن الأستاذ بسيونى أنه كان يعتبر شعره تنزيلا من التنزيل ، ثم إذ نكص على عقبيه ،وطلق الشعر لأنه (نضج) بدأ يحمل على الشعر وأهله .

الشعر جهل وسذاجة ! من يقول هـذا ؟ ومن ذا الذى تطوع له نفسه أن يتناول أمير الشعراء بأنه كان فى شعره ينزع منزع الجهل والسذاجة ؟ إن شوقى كان فى شعره مؤرخا وعالما وفى النهاية (شاعرا) . . ثم هو فى الثلاثة سابق لا يلحق ...

وإذا تصفحت ديوانه ولو بالنظر العابر علمت أنه مرجع من مراجع التاريخ ، فما تـكاد تخلو قصيدة من قصائده من الحديث عنه . وحتى رجل الشارع يدرك ذلك بما تغنيه أم كلثوم من فرائده . أنا أعلم أنه ربما فزع كثير غيرى ثائرين على هذا المقال الذى لا تشفع له حرية الرأى ، ولا أن الرسالة منبر حر يعنو لـكل قائل وخطيب ، فالقراء فى غنى عن مثل هذه الآراء (المتعمية) التى قد يقصد صاحبها من ورائها إلى الشهرة عن طريق الـكتابة والردود والتعقيبات .

محمد محمد الابشيهى

مدرس بمدرسة بسيون الابتدائية

من حديث الشعر أيضاً

قرأت هذا المقال الذى كتبه الأستاذ « كمال بسيونى » فأعجبت به — شهد الله — لما فيه من تلك الصراحة التى نشرها الـكاتب على الناس ، غير عابئ بما قد يناله من ورائها من عنت أهل المنت ، ولوم أصحاب الـكلام المقفى ، وأرباب القريض ..



« هذا حقك »

للأديب محمد أبو المعاطى أبو النجا

سارا معا بقصدان المقهى المعتاد لقضاء السهرة حيث يرتشفان أقداح الشاى الدافئة، ويتناقلان أحاديث الكادر المادة، ويوزعان الوقت الممل الطويل بين تبادل النكات المرحة والتعليقات الساخره، وبين لعبة النرد والشطرنج والبوكرا!

وكان الصمت يسير بينهما وهو ينقل خطواته الثقيلة فوق الأرض وكأنه يطأ بقدميه الأفكار التى تدور برأسيهما حتى لا تستحيل إلى كلمات . . ! وأمام عمود من أعمدة النور وقف « حسن أفندى » وفوق مرتكز العمود المصنوع من « الأسمنت » وضع قدمه ليشد رباط الحذاء الذى أو شك أن ينفك ...

وقبل أن يعتدل ليواصل السير مع زميله وقعت نظراته على شيخ متهدم يستند بظهره إلى الحائط وتتدلى فوق جسده المتقلص مزق من ثياب بالية أشبه بثياب الراقصات مع فارق بسيط هو أن الفن مزق ثياب الراقصات ليبرز صورة رائعة من صور الفتنة والجمال؛ وأن القدر مزق ثياب الشيخ ليبرز صورة مروعة من صور الفاقة والاحتياج !

وكان هذا الثوب أو كانت هذه المزق تسمح ليد الشيخ المعروقة النحيلة أن تبرز منها دون أن تحمل عبء نسيجها المهلهل تماما كما كانت تسمح لرياح الشتاء الباردة أن تدخل فيها لتكون لهذا الجسد الضارع المشفوف بدلا من الملابس الداخلية !

ويبدو أن «حسن أفندى» قد تأثر تأثرا عميقا لمنظر هذا الشيخ فمد يده فى حافظة نقوده وأخرج منها بعض القطع المعدنية وراح يتأملها . . إنه لم يجد بينها قرشا واحدا ، كلها قطع من فئة العشرة قروش والخمسة قروش ... !!

هل من الممكن أن يعطيه خمسة قروش دفعة واحدة ؟ هذا

ولست أزعم لنفسى الحق فى أن أجرد قلمى لمساجلة الأستاذ النقاش فيما ذهب إليه من رأى ، وما ركن إليه من منطق قد يعوزه الدليل ، وتنقصه القوة ؛ أقول لا أريد هذا خشية أن أتهم بانتسابى إلى الحرم الشعرى المقدس ، وأنا منه قصى بعيد ..!

وإنما أحب أن أقول للأستاذ الفاضل : لو زخر الشعر بالحقائق العلمية والنظريات الفلسفية ، وترك هذه الصبغة التى فطر الله النفوس عليها أما كان بأى يوم نشكو فيه مر الشكوى ، لهذا الجمود المطبق ، والفلسفة العميقة المضنية ؟ بل أين كان يجد المكروب اللاغب المكدود نسمة الراحة إلا فى روضة الشعر ، وتحت أفنانه المتفطرة ؟ والإنسان بطبعه يرى فى الشىء الرتيب تفاهة الطعم ، وقلة الغنم !

لعل الأديب الفاضل يرى لنا من هذا الأمر مخرجا ، أو يهدينا إلى ما يرضى العقل ، ويثلج الوجدان . . . ، وله منى تحية عطرة ملؤها التقدير الصادق

إسكندرية صبرى حسن البافورى

الدخان فى الشعر :

كتب الأستاذ محمد طاهر بن عبد القادر الكردى، الخطاط ، بالمعارف العامة بمكة المكرمة رسالة لطيفة مما قاله الأدباء والظرفاء فى الشاى والقهوة والدخان؛ ونبه على ثلاث رسائل مطبوعات فى هذا الشأن

واسم الرسالة (أدبيات ، الشاى ، والقهوة ، والدخان)

والرسالة تباع فى إدارة الطباعة المنيرية بالأزهر

ومنها فى الدخان ، قال الشهاب الخفاجى

إذا شرب الدخان فلا تلمنا ... وجد بالعفو يا روض الأمانى
نريد مهذبا من غير ذنب ... وهل عود يفوح بلا دخان

وقد عارضه السيد محمد الشهير بالحميدى بقوله

إذا شرب الدخان فلا تلمنى ... على لومى لأبناء الزمان
أريد مهذباً من غير ذنب ... كريح المسك فاح بلا دخان

سليم سالم شراب

في الواقع ممكن ... ولكن شعوره لا يستسيغ ذلك التصرف . إنه لم يعتد التصدق على فقير بأكثر من قرش واحد ... فكيف يدفع خمسة قروش دفعة واحدة ؟ وتدخل عقـله لينقذ الموقف ... تدخل بخاطر جرىء . . . كيف يعطى خمسة قروش لعاجز واحد وهناك عجزة آخرون فى حاجة إلى مساعدة ؟ أليس من الأوفق أن يعطى كل واحد قرشا بدل أن يعطى خمسة قروش لعاجز واحد ! لا بأس إذن من أن ينتظر حتى يحصل على فكة !!

وهنا ارتفع صوت زميله (سعد أفندى) الذى كان يسايره قائلا — ماذا جرى يا أخي ؟ أنت بتربط (عفش) ؟ وعاد إليه (حسن أفندى) وهو يتمتم بعبارات غير واضحة ... وكان إذ ذاك يشعر بأن شيئا ثقيلا ينزاح عن كتفيه

وسارا من جديد ، وجعلا يرددان فى هـذه المرة أحاديث تافهة كان (حسن افندى) يخلقها خلقا حتى لا يترك لخياله فرصة يستعيد فيها صورة ذلك الشيخ الهرم . . . الصورة التى سرعان ما تلاشت فى أضواء الطريق السـاطعة مثلما تتلاشى الظلال فى الظهيرة

وفى مكان لا يكاد يتغير من مقهى « السعادة » جلسا بعد أن انضم إليهما آخرون من مدرسى مدرسة النجاح الثانوية ... ودار بينهم الحديث المعتاد ... الحديث الذى يضج بالشكوى ويطفح بالألم ... كلهم منسيون ... وكلهم ينشد الدرجة الرابعة أو الخامسة ... وكلهم يعانى ضيقاً ماليا. وكان الحديث يتنقل بين الشفاه متثاقلا مترنحاً أشبه براقصة مخمورة تتنقل بين الموائد وهى تهذى بنكات قديمة لا روح فيها ولا حياة !

ومضت لحظات كانت بعدها سحب الدخان المنبعثة من سجائرهم قد انعقدت فوقهم ، وكان البخار المتصاعد من أقداح الشاى قد اختلط بتلك السحب فأشاع كل ذلك جوا من الانقباض بدا أثره وجوماً على بعض الشفاه وتبلداً على بعض الوجوه وشروداً فى بعض النظرات ...

ويبدو أن « حسن افندى » قد ضاق بهذا الجو العامر بالركود فهمس فى أذن صديقه ...

— أريد أن ألاعبك الشطرنج . . ولـكن صديقه رد عليه فى استخفاف

— ولـكنى أغلبك دائـماً . . فعقب « حسن افندى » فى تحد . .

— سأغلبك أنا هذه المرة . .

وابتدأ اللعب بحماس من جانب حسن افندى وفتور من جانب صديقه . . وسرعان ما ضاق هو بفتور صاحبه فقال له

— ما هكذا يكون اللعب . . أقترح أن يكون هناك رهان حتى يكون للعب روح . . وهنا ضحك سعد افندى قائلا . .

— يبدو أنك غنى جدا هذا المساء . .

وهنا أيضاً أخرج حسن افندى قطعة من فئة الخمسة قروش وألقى بها على المنضدة قائلا . .

— هذه لك إن غلبتنى . .

وكما يحلو للقط أن يعاكس الفأر قبل أن يقتله فقد حلا لسعد افندى أن يسخر من صديقه قبل أن ينتصر عليـه ، فـكان يتغاضى عن الخطط الحاسمة فى اللعب ويعمد إلى التردد والحيرة حتى يبدو كمن اختلط عليه الأمر، حتى إذا اطمأن حسن افندى إلى نفسه فاجأه بقتل قطعة من قطعه

ومضت الدقائق بعد ذلك تنمى القطع الغالية إلى حسن افندى، فكان ذلك يثير الحماس فى صدره ويثير فى نفس الوقت مشاعر القلق والضيق فى فؤاده . .

وكان لابد لعقله أن يتدخل هنا أيضاً لينقذ أعصابه من قبضة التوتر والألم .

ماذا لو غلبه سعد افندى ؟ إنه حين ينتصر عليه وهو محتشد للعب أحسن بكثير مما لو انتصر هو وسعد افندى غير مكترث ! ثم ماذا تـكون الخمسة قروش بجانب ذلك الحماس الذى كان يحسه أثناء اللعب ؟ بجانب ذلك الحماس الذى أزاح عن صدره مشاعر الجمود والركود ؟ حسبه إذن تلك اللحظات الزاخرة بالانفعالات بل بالحياة . . !

وانتهى الدور بانتصار سعد افندى الذى أخذ القطعة الفضية بدوره ووضعها أمام زميله قائلا :

وهذه لك أيضا ! ولـكن حسن افندى أعادها إليه من جديد فى إصرار وعزم وهتف قائلا :

— لا يا أخى . . لا يمكن ، هذا حقك !

محمد أبو المعاطى أبو النجا


RETRO NEWS
ظهر المجلد الثالث
من كتاب
وحي الرسالة
فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع
والقصص
للأستاذ أحمد حسن الزيات
طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد
سكك حديد الحكومة المصرية
جداول مواعيد القطارات لفصل
الصيف سنة ١٩٥١
لقد شرعت المصلحة في الاستعداد لاصدار طبعة الصيف المقبلة من جداول مواعيد القطارات المتداولة بين آلاف الجماهير .
وفضلا عن أهمية الاعلان في الجداول المذكورة فان المصلحة تتقاضى مقابل النشر فيها أجرا زهيدا فالصفحة الكاملة بستة جنيهات ونصف الصفحة بأربعة جنيهات .
فاغتنموا الفرصة وسارعوا من الآن إلى حجز ما يروقكم من صفحات هذه الجداول نظرا إلى الإقبال على الاعلان فيها شديد — ولزيادة الاستعلام اتصلوا —
بقلم النشر والاعلانات بالادارة العامة
بمحطة مصر
مطبعة الرسالة

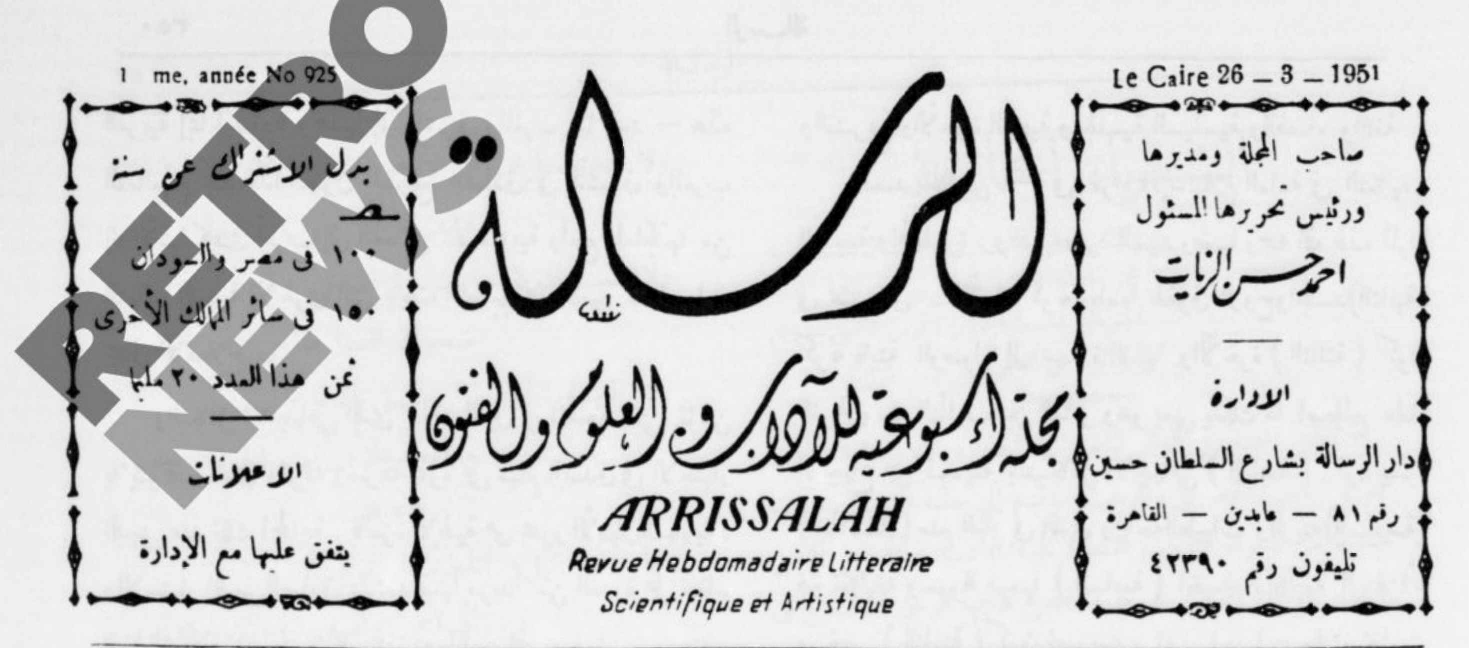


العدد ٩٢٥ — ٢٦ مارس سنه ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد


RETRO
NEWS



1 me, année No 925 — Le Caire 26 – 3 – 1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٢٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠ — ٢٦ مارس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

٧ – الدين والسلوك الانسانى

للاستاذ عمر حليق

النتائج الاجتماعية للاختبار الدينى

١ — الجماعة الدينية

للجماعة الدينية على حد تعبير (أ . هولت) (١) « تاريخ خاص وصعيد خاص وكيان اجتماعى خاص وخصائص وسلوك وأهداف وغايات خاصة »

ولهذه الجماعة فى النظام الاجتماعى وظيفة مزدوجة . فهى بحكم هذا الوضع الخاص تلعب دورا كبيرا فى صيانة النظام الاجتماعى الذى تعيش عليه ، تدمج بعضه ببعض فى تكافل محكم متين ، وتوجهه توجيها عمليا إيجابيا على أسس العقيدة والطابع الدينى الذى تدين به هذه الجماعة

وهى فى الوقت نفسه وبحكم هذا الوضع الخاص تؤثر تأثيرا سلبيا فى ذلك النظام ، فهى تضمن التكافل الاجتماعى للفئة التى تندمج فى تلك الجماعة تذوب طبائعهم وسلوكهم ومشاريعهم وأهواءهم وحياتهم الروحية والعملية فى قالب خاص يتفق والتعاليم الدينية التى تؤمن بها . وبذلك تفصلها عن الفئات الأخرى فى النظام الاجتماعى الأكبر الذى تعيش فيه وقد تخلق من جراء ذلك تشويشا فى العلاقات الإنسانية . وتاريخ الحروب الحديثة شاهد على مبلغ الصدق فى هذا التعريف . وقد يكون هذا التشويش فى صالح المجتمع الإنسانى أو قد لا يكون . وليس المقام مقام شرح سماحة الأديان (والإسلام على وجه الخصوص) إزاء الديانات الأخرى . فلهذه النقطة مجال آخر سنعالجه فى مكان آخر من هذا البحث

فلقد سبق ورأينا أن فى السلوك الدينى عناصر قوية تؤثر فى الحقائق الاجتماعية . والجماعة الدينية التى حددناها فى مستهل هذا المقال هى المادة الخام التى تتيح لنا دراستها التعرف على الأثر السلبى والإيجابى التى تتركه فى النظام الاجتماعى

فلقد قام الإسلام مثلا فى جماعة محدودة من الناس وفى صعيد معين وفى قوم كان لهم خصائصهم ومقوماتهم الخلقية وأساليبهم فى حياة الروح والجسد ، وكان لهم كذلك أهدافهم وغاياتهم

ولم ينتشر الإسلام فى مثل هذه السرعة العجيبة إلا لأمرين :

أولهما : تمكنه من صياغة روح الجماعة العربية أهل يثرب ومكة ومن حواليهما فى قالب محكم متين كان علما على الجماعة الدينية الإسلامية فى أدق معانيها

وثانيهما : — أن العقيدة والتعاليم التى آمنت بها تلك الجماعة

(١) A E Halt The Sources and Methods of Sociology of Religion

العربية إيمانا صادقا وحملتها إلى المشرق والمغرب فيما بعد — هذه التعاليم لم تجد هذا القبول السريع الصادق فى المشرق والمغرب إلا لأنها كانت أقرب إلى الحقائق الاجتماعية وأنفع لمعالجتها من التعاليم الدينية الأخرى التى جاءت التعاليم الإسلامية لتنافسها فى مجال الإصلاح

والتكافل الاجتماعى الذى يحققه الدين فى الجماعة التى تؤمن به يتوقف مدى وثوقه وسرعة نموه على مبلغ الصدق فى الاختبار الدينى عند تلك الجماعة . فالعزة الإلهية هى محور الأديان السماوية ؛ والاختبار الدينى الصادق يستمد منها مزيداً من القدرة على تنظيم السلوك الإنسانى فى شكل يتفق وما أمر الله به وما نهى عنه . فإذا شمل ذلك الاختبار الكثرة من الجماعة استقام سلوكهم وتوارت عناصر الشقاق الاجتماعى من بينهم ليحل مكانها تكافل منسقة أصوله مبينة أهدافه ومراميه لأنهـا من عند الله خالق الكون ومهندسه الأعظم

وسرعة نمو التكافل الاجتماعى فى الجماعة الدينية يتوقف كذلك على تحديد التعاليم الدينية لأسس ذلك التكافل . فمن الأمور التى ينفرد بها الإسلام على غيره من العقائد أن القرآن والحديث قد جددا كثيرا من أوجه السلوك الإنسانى تحديدا شاملا دقيقا

ونستشهد بالسيد محمد رشيد رضا هنا معجبين للدلالة على تحديد الاسلام لوظيفة الدين فى التكافل الاجتماعى . فقد صنف رحمه الله فى كتابه « الوحى المحمدى » مقاصد القرآن فى عشرة هى :

المقصد الأول : — فى حقيقة أركان الدين وهى الإيمان ـ العقيدة ـ البعث والجزاء والعمل الصالح وتهذيب الأخلاق والنهى عن اتباع الهوى والترغيب فى التقوى والإرشاد إلى العبادات

المقصد الثانى : — بيان ما جهل البشر من أمور النبوة والرسالة ووظائف الرسول ، والإيمان بالقدر والسنن العامة وآيات الله الخالصة والحظر على البشر من ارتقاء العلم بدون الدين

المقصد الثالث : — كون الإسلام دين الفطرة والعقل والفكر والعلم والبرهان والحجة والضمير والوجدان والحرية والاستقلال

المقصد الرابع : — الإصلاح الإنسانى والاجتماعى والسياسى الوطنى بالوحدات الثمان : ـ وحدة الأمة و(الإنسانية) والدين والتشريع والأخوة الدينية والجنسية السياسية والقضاء واللغة

المقصد الخامس : — فى مزايا الإسلام العامة فى التكاليف الواجبة والمحظورة . وقد حصر السيد رضا رحمه الله هذه المزايا فى عشر هى : ـ الأولى كونه جامعا لحقوق الروح والجسد (الثانية) كونه غايته الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة (الثالثة) كون الغرض منه التأليف بين البشر وهو يعنى بذلك ما اصطلح علماء الاجتماع على تسميته بالتكافل الاجتماعى (الرابعة) كونه يسرا (الخامسة) منع الغلو فى الدين وإباحة الطيبات والزينة (السادسة) قلة تكاليفه وسهولة فهمها (السابعة) انقسام تكاليفه إلى عزائم ورخص (الثامنة) كون نصوصه مراعى فيهـا درجات تفاوت البشر فى العقل والفهم وعلو الهمة وضعفها (التاسعة) معاملة الناس بظواهرهم (العاشرة) مدار العبادات على الاتباع المحض وأحكام المعاملات على المصالح مع مراعاة النص

المقصد السادس : — فى حكم الاسلام السياسى نوعه وأساسه وأصوله العامة

المقصد السابع : — فى الإصلاح المالى والحقوق المفروضة والمندوبة فى المال والإصلاح فيه

المقصد الثامن : — فى إصلاح نظم الحرب وفلسفتها

المقصد التاسع : — فى إعطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية الدينية والمدنية

المقصد العاشر : — فى هداية الاسلام فى تحرير الرقيق

هذه الخطوط الرئيسية التى جملها السيد رضا رحمه الله محور شرحه لوظيفة الاسلام أشبه بباقة مبعثرة زهورهـا تحتاج إلى التنسيق فى آنية لطيفة المنظر جميلة الصنع يضاف إليها غصون رطبة من الأخضر اليانع ليكسبها عذوبة وسلاسة تتفق والذوق الذى ترنى فى قرار العربية هذه الأيام

والأسلوب العلمى الحديث فى البحث والاستقراء يوفر للباحث هذه الآنية ويسهل عليه تنسيق تلك الزهور وإحاطتها بالغصون الرطبة الخضراء

وقد لمس كاتب هـذه الأسطر — كما لمس غيره من الذين أتيح لهم دراسة مناهج البحث المعاصرة — أهمية الذخيرة النافعة التى تتوفر فى المراجع الاسلامية القديمة منها والحديثة وما

الشعراء المجازون

الكلمة التي ألقيت في الاحتفال الذي أقامه مجمع فؤاد الأول للغة العربية في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية عصر الخميس الماضي لتوزيع جوائزه على الفائزين

أعلن المجمع في العام الماضي مسابقة في الانتاج الأدبي شملت الشعر والقصص والبحث، فتقدم إلى حلبة القريض منها عشرة من شعراء الشباب أمتعوا لجنة الأدب حيناً من الزمن بأغاريد متسقة الوزن منسجمة اللحن صافية الرنين، ولكن في بعضها التوقيع المتنوع، وفي بعضها الترجيع المتجانس. فاستمعت اللجنة إلى الأصوات جميعاً؛ ثم أرهفت أسماعها لثلاثة من هؤلاء الشعراء رأت أنهم خرجوا من فناء المشى إلى فضاء الأفق، وجاوزوا طور الزقزقة إلى طور الشدو. فسمعت الأول يقول

دجى النيل ليل فاستطال هجوده
وأورث جنبيه كلالا رقوده

بساتينه باتت نواعس حوله
وأغفت بها أطياره وروده

فلا ساجعات الأيك فيها صوادح
ولا الورد لذ النفح ريان عوده

ولا النبت مطراف على الأرض سابغ
قشيب ولا صوب الربيع يجوده

ولا الصبح طلق الوجه نضر ولا الضحى
ضحوك السنا ضاحى المحيا سعيده

ولا النيل تأتيه إذا نصل الدجا
صباياه يملأن الجرار وغيده

* * *

فلما دجا ليل الخطوب توثبت
تهائم واديه وهبت نجوده

وفتح عينا في الدنا فإذا بها
مضى مجده منها وولى تليده

وأغرى به أهل الطاعة أنهم
غزوه فلم تزأر عليهم أسوده

فنادى بنيه الغر هبوا فأوفضت
جحاجحه المستقتلون وصيده

أهاب بشطريه فلباه بيضه
سيوفا جرى فيها المضاء وسوده

وسمعت الثاني يقول:

يحيط بتلك الذخيرة من مقصد اللفظ والمنطق شكل يطمر بعض ما فيها من كنوز ويشوه ما فيها من جمال المغزى والمعنى «١»

على أن الذي يعنينا من استعراض أثر السيد محمد رشيد رضا الجليل هذا هو لفت النظر في إشارة عابرة إلى تحديد الاسلام لأسس التكافل الاجتماعي تحديدا يكاد يكون شاملا؛ وذلك ما مهد لذلك التكافل سرعة النمو في الجماعة الاسلامية، ذلك التكافل الذي لا تزال بعض أسسه تربط العالم الاسلامي برباط اجتماعي وروحي كبير الأهمية. وما التفكك السياسي والاقتصادي الذي لازم تاريخ الشعوب الاسلامية منذ أفول نجم الإمبراطورية الاسلامية إلا وليد الوهن الذي أصاب مفهوم الناس وسوء ممارستهم لتعاليم الاسلامية؛ وليس مرجع هذا التفكك وهن التعاليم نفسها

* * *

قلنا إن وظيفة الدين لتحقيق التكافل الاجتماعي في الجماعة الدينية تتوقف على صدق الإيمان والاختبار الديني لدى تلك الجماعة، وعلى تحديد العقيدة الدينية التي تدين بها الجماعة لأسس ذلك التكافل.

ولا شك أن سلامة العقيدة الدينية وصيانتها من التحوير والتبديل شرط أساسي لحفظ ذلك التكافل الاجتماعي وهذا يعني الجمود والتعصب وإقفال باب الاجتهاد

نيويورك «يتبع» عمر حليق

«١» توفر كاتب هذه السطور في السنوات الأخيرة على دراسة قسم من هذه المراجع الاسلامية ليستنير بها في وضع أطروحة الدكتوراه عن «تعاليم الاسلام والمشاكل الاجتماعية» لجامعة كولومبيا في نيويورك
Muslim Ethics and the Socialproblem

٢٦ ـ ٣٦

أبناء مصر ضنيت مما أكتوى

لا الصبر فى طوق ولا إجماله

برح الخفاء فما النقاب بعدل

كلا ولا من حكمة إسداله

أدواء مصر أقلها قتالها

فزن المصير ولا يفتك وباله

الطير تلهم قبل عصف رياحها

والقطر ينبئ إن دنا هطاله

وعجيب قومى أن أنوء بنصحهم

والنصح أدهى ما دهى اهماله

عزت هدايتهم على بموطن

المرء فيه جاهه أو ماله

لا أصغراه قلبه ولسانه

بل أكبراه عمه أو خاله

وسمعت الثالث يقول :

قدصحونا اليوم من طول الهجوع ونفضنا النوم عنا والكرى

بعد ما أصبح وادينا المنيع مرتعا يرعى به كل الورى

وحسرنا الستر عن أبصارنا لنرى الدنيا وما صارت إليه

فاذا المجد الذى كان لنا قد طواه الناس واستملوا عليه

وإذا من كان غفلا فى الثرى قد سما بين الورى وارتفعا

وتوانينا فعدنا القهقرى وخسرنا اليوم والأمس معا

فارتقب يانيل إنا سنعيد ما مضى من تالد المجد وغاب

واهتف يا مصر بالماضى المجيد فغدا يحيا على عزم الشباب

نحن أبناء الفراعين الألى ملكوا الدنيا وشادوا الهرما

وعلوا بالمجد آفاق العلا وتخطوا فى الخلود الأمما

وسليل المجد لا يرضى الصغار أو يطيق الضيم يطغى فى حماه

وإذا ما هاجه الظلم فثار هانت الدنيا عليه والحياه

ثلاثة أصوات تتفق فى الموضوع والغاية، وتختلف فى الشكل والطريقة : شعر الأول جزل اللفظ فخم العبارة محكم السرد، يجرى أكثره فى البحور الطويلة، ويؤثر لغة الأولين فيذكر التهائم والنجود والجحاجح والصيد. وشعر الثانى والثالث مأنوس الكلام، سلس الأسلوب، متنوع القوافى، حتى ليسبق إلى ظن القارئ أن هناك مذهبين للتعبير : قديما اتبعه صاحب «الأنداء المحترقة» وجديداً اتبعه أخواه صاحب «أدب الثورات القومية» وصاحب «وحى الشباب»، وهى الدواوين الثلاثة التى أجيزت. فهل فى تاريخ الشعر العربى ما يسوغ هذا الظن ؟ الواقع أن ليس للقديم والجديد فى الأدب العربى ما لهما من الدلالة فى الآداب العالمية الأخرى : قديم الفرنسية أو الانجليزية مثلا قد استحال أو اندرس، فلا يستعمل اليوم، وإذا استعمل لايفهم، وإذا فهم لا يقبل ؛ لأن هاتين اللغتين تطورتا مع الزمن تطورا شديدا حتى اتسع الخلاف بين حاضرهما وماضيهما فى النطق والنحو والبيان. ثم تغيرت عقلية قوميهما بتقدم العلوم وارتقاء الحضارة فتغيرت الأساليب ؛ واختلفت طبيعة أدبيهما لاتصالها بحياة الناس عن طريق القصص والتمثيل فاختلفت المذاهب. أما قديم العربية فهو جديد أبدا، وأما جديدها فهو قديم أبدا. لانجد فرقا جوهريا بين أساليب القرن العشرين وأساليب القرن السابع : الألفاظ هى الألفاظ، والنسج هو النسج، والاعراب هو الاعراب. فما يمتعنا من خطب زياد وسحبان وشبيب، هو ما يمتعنا من خطب النديم ومصطفى كامل وسعد زغلول. وما يعجبنا من نثر الجاحظ وأبى حيان والبديع، هو ما يعجبنا من نثر المازنى والمنفلوطى والمويلحى. وما يطربنا من شعر البحترى وأبى فراس والمتنبى، هو ما يطربنا من شعر البارودى وشوقى وحافظ ! كأنما نشأ هؤلاء جميعا فى عصر واحد وشبوا على ثقافة واحدة ! ولعل تعليل ذلك أن الشعر الجاهلى بأصالته، والقرآن الكريم ببلاغته، والدين الإسلامى بثقافته، هى العناصر التى يتألف منها المثال الفنى الذى يحتذيه الكاتب والشاعر، فما تفرق متفرق إلا اجتمع عليه، وما تباعد متباعد إلا رجع إليه. فالشعر الجاهلى أقام عمود الشعر، والنثر القرآنى أقر أسلوب الكتابة، والأدب الدينى طبع الفكر العربى بطابع الرزانة والهدوء والسلفية ؛ فهو لا ينفك يستهدى الوحى، ويسترشد السنة، ويستمهل الطفرة، ويستريب البدعة، ويصبغ نتائج القرائح المختلفة فى الزمان والمكان بلون من التصور والتصوير لا يكاد يختلف ولا يتغير. فلو أن الزمان تأخر بالمتنبى ألف سنة لكان من الممكن أن يكون شاعر الخديوعباس. ولو أنه تقدم بشوقى ألف سنة لكان من الجائز أن يكون شاعر

سيف الدولة. وما نظن المصريين كانوا يقولون إن شعر المتنبى قديم، ولا الحلبيين كانوا يقولون ان شعر شوقى جديد!

إنما كان الاختلاف بين شاعر وشاعر، أو بين عصر وعصر، فى الصور التى تلهمها البيئة والثقافة والحضارة، وفى الأنماط التى تقرب أو تبعد عن لغة الجمهور ومألوف المجتمع. فبعض الشعراء يغترفون من قاموس المكتبة ولغة القرآن؛ وبعضهم يرتشفون من قاموس الجيب ولغة الصحف. والاختلاف على هذا النحو اختلاف فى الشكل. والشكل حكمه حكم اللباس والأثاث والآنية، يتغير بتغير المكان والزمان والحالة. وما كان لأحد أن يختلف أو يختصم فيما لا حيلة فيه. ولكن النقاد الأقدمين جعلوا من اختلاف هذه الأشكال معركة بين القديم والجديد أداروها على اللفظ الجزل والركيك، والأسلوب الصفيق والمهلهل، والمعنى المسروق والمطروق، والمطلع الجيد والردئ، والتخلص الحسن والقبيح. وعذرهم فى ذلك أن الشعراء لأسباب فطرية واجتماعية لم يقدموا إليهم إلا نوعا واحدا من الشعر هو ما يتصل بالوجدان والعاطفة؛ فكان النقاد أمام وحدة الشعر العربى ونقصه، مسوقين إلى أن يقصروا جهودهم على لفظه. فلو أن الشعراء ألهموا أن ينظموا فى القصص الحكائى والتمثيلى، لاختلفوا فى الموضوع وما يصدر عنه من أغراض، وفى الينبوع وما يؤدى إليه من مسالك؛ كما اختلف فيهما الشعراء الفرنسيون فظهر فى أدبهم الاتباعية والابتداعية والواقعية والرمزية وغيرها من المذاهب المقبولة والمرذولة. ولم يسمع التاريخ فيما سمع أن العرب اختلفوا يوم تركوا علبة الخشب إلى زق الجلد وكوز الفخار وقدح الزجاج وجام الفضة، لأن الموضوع وهو الماء أو اللبن لم يتغير بتغير الآنية؛ ولكنه سمع أن الخلاف حدث وأن الرأى تشعب حين تغير الشراب من اللبن إلى الخمر. فالقول بأن فى الشعر العربى قديماً وجديداً وهو لا يزال واحداً فى لغته وطريقته ونوعه ووزنه قول مدفوع بالواقع. ولقد صدق شوقى إذ يقول

ما فيه عصرى ولا دارس الدهر عمر للقريض الأصيل

* * *

على هذا الوجه أيها السادة نظرت لجنة الأدب بالمجمع فى أشعار الثلاثة السابقين فرأت الشاعر كلا النجمى صاحب الأنداء المحترقة يأتى فى الحلبة مجليا لفخامة ألفاظه ورصانة أسلوبه ومتانة قوافيه ووضوح معانيه وقلة سقطه وندرة خطأه، وهى الصفات الفنية الجوهرية التى يطمع المجمع فى أن تشيع فى شعر الشباب. لذلك خصه بالجائزة الأولى. والأستاذ النجمى يقول إنه من قبيلة أولاد نجم من عرب الصعيد، وإن أباه كان من رجال الدين واللغة والشعر فوجهه هذا التوجيه الأدبى الخالص. وأبى عليه أن يستقى ثقافته الأدبية من غير مشارعها الصافية الأولى، فحفظ القرآن الكريم، وقرأ كتابى الأغانى والعقد الفريد، ودرس ديوانى البحترى والمتنبى. وفى هذه البيئة وتلك النشأة نجد تعليل الجزالة والسلامة اللتين تميز بهما شعره على الرغم من وقوفه فى الدراسة عند حدود المرحلة الثانوية. وقد أخذ ينظم ديوانه المجاز وهو فى الثامنة عشرة من عمره، ثم أتمه وقد نيف على الثامنة والعشرين. وشعر الديوان وجدانى محض، استمده الشاعر من طبعه، ونقله عن قلبه، وعبر به عن شعوره، فليس للقصص والتمثيل منه نصيب. وقد طغى فيه حديث الشاعر عن نفسه، على حديثه عن غيره، فقل فى السياسة والوطنية والاجتماع، وكثر فى الحب والشوق والحنين والذكرى والألم والحزن. وأفكاره وصوره وأخيلته فى كل أولئك جيدة، ولكنها فى الوصف والشكوى والرثاء أجود

* * *

ثم رأت اللجنة على مسافة قريبة من الشاعر المجلى شاعرين يعدوان جنبا إلى جنب وقد كادا يبلغان الأمد، أحدهما الأستاذ محمود محمد صادق صاحب (أدب الثورات القومية) والآخر الأستاذ فريد عين شوكة صاحب (وحى الشباب)؛ فالشاعر محمود صادق ولد بالقاهرة فى العام الأول من هذا القرن، ثم تخرج فى مدرسة الحقوق سنة ١٩٢٤ وكان من الطلاب الأولين الذين أوضموا خلال الثورة المصرية المباركة، يؤرثون نارها بالخطب، ويسعرون أوارها بالشعر، ويرفعون صوتها بالتظاهر. فنظم فيها ديوانا نشره فى سنة ١٩٢٣، وكان وهو فى سن اليفاعة يقول الشعر من غير علم بأوزانه، ولا معرفة بقواعده. وقد علل ذلك بعض من كتبوا عنه بخلوص العروبة فى دمه، لأن لوالديه نسبا فى بنى العباس. وبهذه الروح الثورية المشبوبة نظم النشيد الوطنى فى سنة ١٩٣٦ ونال عليه الجائزة الأولى. ثم اتجه شعوره إلى

العروبة والإسلام حين تجددت فى فلسطين مأساة الأندلس ، فوضع للعرب نشيدا ونظم فى كارثتهم مطولة . ولم نكد نقرأ له فى غير الأحداث المصرية والعربية شيئا . الشاعر قوى الشاعرية عصبى الأسلوب حامى العاطفة نبيل الغرض ؛ ولكن قيثارته كربابة الشاعر الشعبى ترسل الأنغام من وتر واحد ، وذلك ما بطأ به عن الغاية . والأستاذ صادق يسمى قصائده المطولات التى قالها فى الثورة المصرية وفى الكارثة الفلسطينية ملاحم . وهذه التسمية من الوجهة الفنية خطأ ؛ لأن القصيدة لا يكفيها أن تكون حماسية الموضوع ضافية الطول لتكون ملحمة ، إنما الملحمة مصطلح وضع فى الأدب الحديث ليقابل لفظ (إيوبيه) فى الأدب الأوربى . وهى بهذا المعنى لابد أن تكون قصة ، إما طبيعية تكونت على طول الزمن مما تنوقل وتوورث من الأقاصيص والأغانى حتى تنتهى إلى شاعر سمح القريحة طويل النفس فينظمها كما فعل هوميروس فى الألياذة ؛ وإما صناعية تنشأ من عمل فرد واحد يخلق مادتها ويصنع صورتها كما فعل الفردوسى فى الشاهنامة . وقصة الملحمة لابد أن تنتزع من حياة شعب بأسره ، لا من حياة شخص بعينه ، وبذلك تخرج من الملاحم القصيدة العمرية لحافظ . ولابد أن تقوم على قواعد الفن القصصى فى العرض والعقد والحل ، وبذلك تخرج منها أرجوزة (دول العرب) لشوقى . والطولات التى سماها الأستاذ صادق ملاحم قد خلت من عنصر الحكاية وهو الشرط الأساسى لوجود الملحمة ؛ وزخرت بمعانى الشعر الوجدانى من حماسة وفخر ومدح ورثاء ووصف وشكوى . وما أسعد المجمع يوم يقدم ويكرم ويجيز الشاعر الموهوب الذى يكمل نقص الشعر العربى فى القصص ، كما كمل شوقى نقصه فى التمثيل . وفى أحداث الفتوح الإسلامية والحروب الصليبية والمعارك الفلسطينية مواقف للبطولة والمروءة والتضحية تنتظر الشاعر العبقرى ليجعل منها موضوعا للحمة العرب

وأما الأستاذ فريد عين شوكة فقد ولد فى منوف ثم تخرج فى دار العلوم سنة ١٩٣٦ ، وزاول تعليم اللغة فى مدارس الدولة . وأبناء دار العلوم وإخوانهم أبناء الأزهر هم جنود العربية وحماتها إما بالطبع وإما بالصنعة ، فالمصنوعون يخدمون فقهها ونحوها وصرفها وبلاغتها بالبحث والنقد والشرح والتعليم ؛ والمطبوعون يمارسون فوق ذلك تنمية أدبها بالكتابة ، وتجديد بيانها بالشعر . ومن هذا الفريق الأستاذ فريد . قال الشعر فى سن باكرة ، ووجد من طبيعة نفسه ومن طبيعة درسه ما يعين عليه فصاغه صياغة حسنة جرى عليها رونق الطبع فهى سلسة ، وأثرت فيها صنعة المعلم فهى صحيحة ، وانفعلت مشاعره وخواطره بالنفس والبيئة والطبيعة والمهنة والعقيدة ، فتغنى بالشباب والحب ، ونظم فى التعليم والمدرسة ، وأشاد بالنيل والريف ، وقال فى الإسلام والعروبة . وقد تميز على صاحبيه بمعالجة الشعر التمثيلى وهو أكمل أنواع الشعر الثلاثة ، لأنه جماعها بما يشتمل عليه من حرارة الوجدان فى وصف المواقف ، وجاذبية القصص فى سرد الحوادث ، وبراعة الحوار فى تمثيل الوقائع

هذان الشاعران اللذان جاءا فى الحلبة مصليين يجريان فى عنان ، لانفراد كل منهما بجزية ، كانا لقربهما من السابق وبعدهما عن المتخلف موضع تقدير المجمع فدبر لهما جائزة أخرى كالأولى وقسمها بينهما بالسوية

* * *

إن المجمع كما ترون يا سادة يولى شرف السبق فى مضمار الشعر من امتاز ببلاغة الأسلوب فى جمال صورته وصحة فكرته وشدة أسره ؛ ثم لا يغفل بعد ذلك المعنى المبتكر ولا الفن المستحدث ولا الخيال المستطرف ولا الغرض السامى . والشعر على هذا النحو من أرفع الفنون التى يشجع على إنتاجها المجمع ؛ لأنه أحد النبعين اللذين ينبثقان من روح اللغة فيحملان لموادها النماء ولأساليبها الجدة ولصورها النضارة . والشعر من بعد ذلك خليق بأن نحتفل له ونحتفى به ونعين عليه ، لأنه موسيقى المجاهدين فى سبيل المجد ، وحداء المجهودين فى ركب الحياة

والمجمع إذ يؤدى إلى الشعر هذا الواجب فى أشخاص أهله ، يتقدم إلى الثلاثة المجازين بخالص التهنئة ، وإلى السبعة المؤجلين بجميل المعذرة ، وإلى السادة الحاضرين بجزيل الشكر

احمد حسن الزيات

من شعر القوة في بلاد الشام

للأستاذ حمدي الحسيني

إن خلايا الحياة في جسم الأمة العربية بدأت تتحرك منذ أعلن الدستور العثماني؛ فكانت هذه البقعة العربية من طورس إلى رفح أحفل البقاع العربية بمظاهر الحياة والنضال في سبيل الحياة. وقد كان فريق من شعراء هذه البقعة المباركة — ولا يزال أكثرهم والحمد لله أحياء — من أكثر الخلايا العربية تغذية لروح الأمة بالقوة المتدفقة والأمل الهادي، ومن أقواها حركة واندفاعا في ميادين النضال في سبيل الحرية والاستقلال. ولاشك في أن الشيخ فؤاد الخطيب شاعر الثورة العربية — حفظه الله — كان ولا يزال في الرعيل الأول من شعراء العرب الذين أحسوا برغبة الأمة العربية في الحرية وتطلعها إلى الاستقلال. فأخذ ينظم لها هذه الرغبة الصادقة شعرا صادقا فتنشره له الصحف العربية في مصر والآستانة، حتى تقدم الشريف حسين بن علي رحمه الله في الحرب الماضية فأعلن الثورة العربية بإطلاق الرصاصة الأولى في وجه الظلم فما كاد العالم العربي يسمع دوي هذه الرصاصة في سماء البلاد العربية حتى دوى بجانبها صوت الشيخ فؤاد الخطيب بقصيدة عصماء فكان دويها أيضاً واسع المدى قوي الصدى؛ حيا الشريف حسينا وحيا البيت والحرم، وطلب من الشريف أن ينهض للأمر الخطير نهضة قوية عنيفة لأن الظلم لم يعد يطاق، وأن الأذى لم يعد يحتمل. ومن أولى من ابن النبي بحمل هذا العبء الكبير، وينهض بهذا الأمر الخطير؟

والتف حولك أبطال غطارفة ... شم الأنوف يرون الموت مغتنما
فاصدم بهم حدثان الدهر مخترقا ... سدا من الظلم إن تعرض له انهدما

ثم التفت إلى العرب يستفز حميتهم ويستنهض هممهم:

إيه بني العرب الأحرار إن لكم ... فجراً أطل على الأكوان مبتسما
يستقبل الناس من أنفاسه أرجا ... ما هب في الشرق حتى أنشر الرمما
من ذلك البيت من تلك البطاح على ... تلك الطريق مشت أجدادنا قدما
لستم بنيهم ولستم من سلالتهم ... إن لم يكن سعيكم من سعيهم أمما

وقد ظل الشيخ فؤاد متصلا ببني هاشم في دور ملكهم في الحجاز والشام وشرق الأردن والعراق ملامساً للقضية العربية العامة في أكثر نواحيها. وقد أخرج للمسرح العربي رواية فتح الأندلس، رأينا فيها روحه مشرقة على كل قطعة منها، ولا ننسى ذلك الموقف الذي اصطدمت فيه همة الشيخوخة الفانية بهمة الشباب المتوثب:

ياشيخنا اسلم وذرنا نحن في محن ... ماذا يضيرك أن نستقصي المحنا
تالله ما الموت إلا العيش في ضعة ... من يرض بالثوب يجمل ثوبه الكفنا
إن يعوز العرب في بنيان دولتهم ... هدم الحياة بذلنا الروح والبدنا
وليجعلوا من بقايانا ومن دمنا ... طينا وماء فيبنوا الملك والوطنا

وأما السيد خير الدين الزركلي شاعر القومية العربية أطال الله بقاءه فقد كان من أسبق شباب سوريا دعوة للقوة ومجاهرة برغبة الحرية:

ما منال الحياة بالمطلب السهل ... ولكنني أرى النهج وعرا
كل عز فباطل غير عز ... شيدته الظباة وخزا وهبرا
واللبيب اللبيب من يؤثر المو ... ت على أن يعيش في الذل دهرا

وهو يعتقد بأن أماني الأمم في الحرية والحياة لا تتحقق إلا إذا أصبحت في النفوس إيمانا دائما:

من كان يؤمن إيمانا بدعوته ... أجابه الفلك الدوار آمينا
ومن إذا خلصت للمجد همته ... أصاب نجحا على الأيام مضمونا

وهل الإيمان إلا الإرادة القوية الحازمة التي تأبى على الدهر إلا أن تتحقق على رغم الصعوبات والعقبات:

إرادة تستذل الصعب ماضية ... وعزمة تصدع الأطواد توهينا
وللعظائم ما ترضى فإن وهنت ... خابت وإن عض آت في الجلينا
كل امرئ طامح للمجد يطلبه ... لولا العظائم ما خاب المرجونا

وما دامت الإرادة ماضية في العمل فيجب أن يكون العمل ثابتا قويا لا يتزعزع ولا يتضعضع.

ابن على الصخر وإلا فما ... شيد على النهار يصدع

وخشي الزركلي أن يظن الضعفاء بأن الحق المهضوم يمكن الحصول عليه بالهوادة واللين والهوان والذل، فراح يحذرهم هذا الظن الآثم بأقصى حدود الصراحة والصرامة:

من خال أن المجد يدرك هينا ... فلينتظر بعد الهوان هوانا

ما شاد ملكا أو أعز قبيلة   من آثر الإخلاد والإذعانا

قال الزركلي هذا ولكنه لم يطمئن فقد خشي ألا يفهم الضعفاء وسيلة النضال الحقيقية فيظلوا فى هوانهم سادرين فأخذ بأيديهم ووضعها على السلاح :

ابن مجداً ولو بحد المواضي   ما أرى الدهر عن مهين براض
وأخو العزم من يبيت وكلتا   مقلتيه لم تكتحل باغتماض
أفلح الخائض النهار بعيد الغور   رأياً وأخفق المتغاضى
ليس بالندب من إذا مسه   الضيم تولى أو لاذ بالأرباض
إنما ابن العلاء من ليس بالمحجم   عن خصمه ولا الركاض
من إذا استل باليمين حساماً   شغل البرق عن سنا الإيماض

وما كاد الزركلي يرى أمته اهتدت إلى الطريق السوى الموصل إلى الحق المهضوم حتى اطمأنت نفسه وزال قلقه : واسمعه الآن فى مكة بين يدى الملك حسين يصيح هذه الصيحة القوية على أثر خطب من الخطوب التى أصابت سوريا فى ميدان جهادها:

إن فى الشام أمة لا تطيق   الضيم ، تأبى العلا لها أن تطيقا
أنذرونا بالموت ، ما أعذب المو   ت إذا كان للحياة طريقا
إن للباطل اضطراباً على الحـ   ـق وعقباه أن يكون زهوقا

وأما السيد بشارة الخورى — الأخطل الصغير — ففى شعره وثبات قوية وحفزات ثائرة ، ونفثات محرقة تجعله فى نظرنا شاعراً من شعراء القوة كما هو شاعر من شعراء الحب والجمال . وهل القوة والحب والجمال إلا شىء واحد معناه الحياة السعيدة الهانئة ؟ واسمع الآن الأخطل الصغير يزف هذه البشرى الغالية بسقوط عبد الحميد — ليس للأمم العثمانية فحسب بل لأمم الأرض قاطبة

زال عصر السجود يا أمم الأرض   وهذا عصر الإخاء الوطيد
ظمئت هذه النفوس إلى المجد   فلا تمنعوا سبيل الورود

وخذ هذه الحملة القوية التى يحمل بها الأخطل الصغير على الضعف الذى يبدو على الأمة العربية أحياناً عند نزول الخطوب بساحتها :

لا يثور المجد فى أعراقها   أمة تغدو على النوح وتمسى
يخطب المدفع فى محفلها   طاهر الألفاظ معسول التأسى
خاب من شيد حريته   دون أن يدعم ركنيها برمس
مهروها أنفساً غالية   لا بأحلام وأقلام وطرس

وخذ هذه القطعة القوية التى يوجهها إلى الشباب هذا التوجيه القوى الجميل المحبب

يا دماء الشباب ما أنت إلا   ذائب الطيب يا دماء الشباب
لا تضنى على الحراب وإن آذتك   بل عطرى رءوس الحراب
املئيها شذاً كما علأ الورد   يد الجارحيه بالأطياب
قطرة منك بسمة فى فم الرفق   وسوط على يد القرضاب
كم سياج من الحديد تقضى   وسياج باق من الآداب

وأما الشيخ سليمان التاجى الفاروقى فهو شاعر فلسطينى مقل ولكن قليله قوى صادع كانت تتفجر به عواطفه المكبوتة بعد الدستور العثمانى تفجرا قويا عنيفا . وقد وقعت فى يدنا إحدى صوادعه وهى التى كان قد أنشدها فى الآستانة فى أواخر الحرب العالمية الأولى فكانت نفثة تنم عما تستشعره نفسه المرتمضة وتحس به عواطفه المتألمة . وإليكم هذه القطعة القوية من هذه القصيدة العامرة :

بيد أنا بعد ما قد نالنا   لا يرى اليأس إلينا مذهبا
نحن للحرب خلقنا وبنا   يضرب الأمثال من قد ضربا
عدة الناشئ منا سيفه   وفؤاد منه أمضى مضربا
إن للعرب لجيشا إن مشى   زلزل الشرق وراع المغربا
تسجد الأحكام إجلالا له   ويدك الأرض دكا والربى
كتب النصر على راياته   كيف والله الذى قد كتبا
أيها الطامع فى إذلالنا   إن من دون مناك الشهبا
قد أبى الله لنا إذلالنا   كيف ترجو أنت ما الله أبى

الشيخ إبراهيم الدباغ رحمه الله : شاعر فلسطينى عاش فى مصر منذ حداثته ؛ قد اتصل بالحركة الوطنية فى مصر وساهم فى خدمتها عن طريق الصحافة والسياسة ، انتسب للحزب الوطنى ثم ظاهر حزب الوفد ، فى شعره رغبة فى الحرية وأملا فى تحقيقها للعرب وللشرقيين عامة :

غلت فقلى فى كل صدر وجيبها   وانت لها إن كان غيرى مجيبها
تعود منها المستبدون هدنة   وسلما وردتهم لرشد حروبها
ممنعة لا تبتغى عند أمة   موزعة أهواؤها وقلوبها
بنو الشرق أبطال لها فى بلادهم   وما ذلك دور العز إلا غريبها

فتح القسطنطينية

الدكتور سالم أحمد الرشيدي

« لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش »
حديث شريف

تحتل مدينة القسطنطينية موقعاً فريداً بين مدن العالم، وحسبك أن تلقى نظرة عليها فى الخريطة فتدرك ذلك. فهى تقع عند ملتقى القارتين آسية وأوربا، تحيط بها البحار من ثلاث جهات. وقد حبتها الطبيعة خصوبة الأرض وجودة الطقس كما حبتها أسباب القوة والمنعة. وللقسطنطينية ميناؤها العظيم فى القرن الذهبى الذى كان يعد أوسع وآمن ميناء فى العالم. وكانت هذه المدينة فوق ذلك كله مركزاً عظيماً للتجارة، تأتى إليها المتاجر من كل صوب من البر والبحر. وقد نوه نابليون بونابارت بوجه خاص فى العصور الحديثة بأهميتها وخطورتها فقال فى شأنها « لو كانت الدنيا مملكة واحدة لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمة لها ». وذكر نابليون فى مذكراته التى كتبها فى منفاه بجزيرة سانت هيلين Sainte Helène أنه حاول مرات عدة الاتفاق مع روسيا على اقتسام الإمبراطورية(١) التركية، ولكن وقفت القسطنطينية فى كل مرة العقبة الكؤود دون الاتفاق. فقد كانت روسيا تلح فى امتلاكها ونابليون يصر على عدم تسليمها إذ أن هذه المدينة وحدها كانت فى نظره تساوى إمبراطورية. وهى تعد بمثابة مفتاح العالم، من استولى عليها استطاع أن يسيطر على العالم بأجمعه. وقد كان نابليون فى أشد الحاجة إلى صداقة روسيا لمواجهة عدوته اللدود إنجلترا؛ ولكنه برغم ذلك لم يستطع أن يضحى بالقسطنطينية. ولو قد تم الاتفاق بين نابليون وروسيا

(١) يقول اللغوى العلامة الأب أنستاس مارى الكرملى: « إن كتابة الإمبراطور بهذا الرسم كما يرسمه المعاصرون لا يوافق القواعد العربية لأنه لا يرى فى الكلم الضادية من عربية ومعربة، فيها الميم ساكنة، ويليها باء متحركة. فإذا وقع مثل ذلك رسمت الميم نونا. ولهذا يجب أن تكتب (الانبراطور) بنون » وهناك لغات أخرى فى كتابة هذه الكلمة مثل: انبراطور وانبرادور وانبرور وجميعها بالنون

وفى شعره ثورة على الظلم وتبرم بالظالمين:

أغرب ما شاهدت فى ... حكم الشعوب والأمم
مسلط يطاع فيها ... أمره، وإن ظلم
وخادم يعطى له السيـ ... ـد أجر ما اجترم

السيد إبراهيم طوقان رحمه الله، من شعراء الشباب فى فلسطين، فى شعره حيوية وقوة تهيجها الذكريات الخالدة، وتحركها الحوادث العظيمة، فذكرى خالدة كذكرى واقعة حطين تعصف فى نفسه عصفاً قويا ولا تنفك تعصف حتى يقول:

قف على(١) حطين واخشع ... يشج قلبك ما شجانى
وانظر هنالك هل ترى ... آثار يوسف فى المكان
من كل خطار على الأخـ ... ـطار صبار الجنان
حلقات أدرعهم قيو ... د الموت فى درك الطعان
وسيوفهم ماء الجحيـ ... ـم على مضاربهن قان
والخيل طوع كأنها ... فى النقع مرخاة العنان
لا تنثنى أو تحرز القصبا ... ت فى يوم الرهان

وخذ هذه القطعة القوية التى يصف بها من يخاطر بحياته فى سبيل عقيدته:

لا تسل عن سلامته ... روحه فوق راحته
بدلته همومه ... كفنا من وسادته
بين جنبيه خافق ... يتلظى لغايته
صامت لو تكلما ... لفظ النار والدما
قل لمن عاب صمته ... خلق الحزم أبكما
وأخو الحزم لم تزل ... يده تسبق الفما

وخذ هذه القطعة أيضاً يصف بها الشهيد:

عبس الخطب فابتسم ... وطغى الهول فاقتحم
رابط الجأش والنهى ... ثابت القلب والقدم
لا يبالى الأذى ولم ... يثنه طارئ ألم
لا تقل أين جسمه ... واسمه فى فم الزمن
إنه كوكب الهدى ... لاح فى غيهب المحن
أرسل النور فى العيـ ... ـون فما تعرف الوسن

حمدى الحسينى

(١) كذا

على مصير هذه المدينة لتغير مجرى تاريخ أوربا وتغير تبعا لذلك مجرى تاريخ العالم كله

وقد أدرك الغزاة والفاتحون منذ القدم أهمية هذه المدينة وخطورة موقعها فحاولوا الاستيلاء عليها وحاصروها مرات كثيرة. غير أن هذه المدينة استطاعت بمناعة موقعها وقوة حصونها أن تصد معظم الغزاة الفاتحين وكان للمسلمين نصيب كبير من هذه المحاولات، وقد وردت أحاديث كثيرة تبشرهم بفتح القسطنطينية منها قوله عليه الصلاة والسلام «لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش» الأمر الذي زادهم تعلقا وأملا في فتح هذه المدينة. وقد حاول المسلمون فتحها منذ أيام الخليفة عثمان بن عفان واستشهد تحت أسوارها الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري في عهد معاوية بن أبي سفيان. وهكذا أصبحت القسطنطينية — إلى جانب أهميتها الاستراتيجية والاقتصادية — أهمية دينية خاصة في نظر العثمانيين الذين حملوا لواء الإسلام والجهاد في سبيله بعد استقرار دولتهم الجديدة في آسيا الصغرى في بداية القرن الرابع عشر الميلادي. وقد أدرك عثمان أول سلاطين الدولة العثمانية — كغيره من الفاتحين قبله وبعده — قيمة هذه المدينة وعظم قدرها ولكنه لم يكن إذ ذاك قد بلغ من القوة ما يقدر به على فتحها فأوصى بذلك من يأتي بعده. وقد حاصرها السلطان بايزيد الأول والسلطان مراد الثاني ولكنهما لم يصلا إلى فتحها حتى جاء السلطان محمد الفاتح فاستطاع — بما أظهره من إحكام القيادة وحسن التنظيم وسرعة الخاطر وقوة العزيمة والمصابرة والجلد والتفنن في ابتداع آلات الحصار والقتال — أن يصل إلى فتح هذه المدينة، وحقق بذلك حلم الفاتحين منذ ألف عام كما حقق البشارة النبوية الكريمة بفتح القسطنطينية

وقد أوصى السلطان الفاتح جنوده عند دخولهم هذه المدينة باتباع تعاليم الشرع الحنيف فلا يقاتلون إلا من قاتلهم ولا يعرضون للنساء والأطفال والعجزة بسوء أو أذى؛ ويحسنون معاملة من يقع في أيديهم من الأسرى وأن يكونوا أهلا للشرف العظيم الذي حباهم به الرسول (ص) في حديثه

وباستيلاء المسلمين على القسطنطينية قضى على ما كان يستحر فيها من المنازعات والمشاحنات الدينية التي طالما أثارت الفتنة وأراقت الدماء؛ وحرم السلطان الفاتح اضطهاد النصارى تحريما قاطعاً ولم يميز في تسامحه ومعاملته بين أحد منهم على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم بل جعلهم كلهم سواء، وأظلهم جميعا بعدله ورعايته. وقد طلب إليه بعض الجهلة المتعصبين قتل الروم وإبادتهم إذا لم يدخلوا في الإسلام فأبى عليهم ذلك وقال إنه يخالف تعاليم القرآن وأذن للروم بانتخاب بطريركهم الجديد بنفس المراسيم الفخمة التي كانت تتبع في عهد الأباطرة الأول. وقد احتفى به السلطان الفاتح وأعظم لقياه وبالغ في تكريمه. ولكن مؤرخا إنجليزيا هو اللورد إيفرسلي Lord Eversly قد استنتج من هذا التسامح أنه دليل على أن العثمانيين في فتوحاتهم بأوربا لم يكونوا يقصدون إلى نشر الإسلام. وهو استنتاج خبيث المرمى والغرض إذ معناه أن الإسلام قبل ذلك لم ينتشر بالتسامح والاختيار، وإنما نشر بالسيف والإكراه. ولو أن هذا اللورد الإنجليزي قد شدا شيئا في تاريخ الإسلام لعلم أن هذا الدين في مختلف عصوره وعهوده لم يفرض قط على أحد من الناس. ويقول السير توماس أرنولد Sir Thomas Arnold : إن مدينة القسطنطينية بعد الفتح العثماني الإسلامي أصبحت ملجأ العالم كله، يأمن فيه الخائف والمذعور ويطمئن فيه المضطهد والمظلوم وينال فيه جميع الناس العدل والمساواة والحرية على قدر سواء لا تمييز بين غني وفقير ولا بين عظيم وحقير. فكان فتح القسطنطينية بحق مفخرة من مفاخر الاسلام التي زهى بها التاريخ ومجدا من أمجاده الخالدة الباقية على الدهر

لقد كان لسقوط القسطنطينية في يد الأتراك العثمانيين (في العشرين من جمادى الأولى سنة ٨٥٧ هـ ٢٩ مايو ١٤٥٣) دوى عظيم في العالم ولكن اختلف وقعه وأثره في الغرب عن وقعه وأثره في الشرق. أما النصارى في الغرب فقد صعقهم نبأ هذا الحادث وتملكهم الفزع والألم والخزي وتجسم لهم خطر المسلمين وتهديدهم لأوربا النصرانية وتوجسوا أن يكون انتصار محمد الفاتح بداية لتوغله في أوربا فأخذوا يتتبعون خطواته وحركاته بقلق واهتمام وعظمت في أعينهم أهمية القسطنطينية وخطورة قيمتها. وازداد الأتراك العثمانيون شهرة في الناحية العسكرية بعد

استيلائهم على هذه المدينة المنيعة الخالدة . وقال حاكم مدينة غلطه في رسالة كتبها بعد فتح القسطنطينية بنحو شهر إن السلطان محمد الفاتح، يهدف إلى أن يكون سيد العالم وأنه قبل أن تمضي سنتان سيزحف إلى رومة . وعبر كتاب معاصرون آخرون عن مثل هذا الفزع . وخطب إينياس سلفيوس Aeneas Sylvius (الذي صار فيما بعد بابا باسم بي الثاني Pie 2) أمام ندوة فرانكفورت يقول : إن سقوط القسطنطينية قد جعل الجو مفتوحة أمام محمد الفاتح وإذا ما خضعت له هذه البلدة انفتحت له الطريق لغزو إيطاليا وألمانيا . وبعث أحد شعراء النصرانية في الشرق بقصيدة طويلة إلى العالم النصراني يهيب به إلى قتال الأتراك وحث البابا نيقولا الخامس أن يعمل على توحيد كلمة أمراء النصرانية وتوجيه جميع جهودهم وقواهم لقتال العدو المشترك ثم ابتهل الشاعر إلى العذراء، ودعا أن يكتب النصر لقومه

والحق أن النصارى في الغرب قد انبعث فيهم نوع من الروح الصليبية القديمة وتداعى الناس إلى طرح الخلافات والحزازات والاتحاد ضد الأتراك . وعنف الكاردينال سنت أنج اللاتين وقرعهم على تخاذلهم عن نجدة الروم وألقى عليهم تبعة هذه الكارثة العظيمة . وكان البابا نيقولا الخامس أشد الناس تأثرا بنبأ سقوط القسطنطينية في يد الأتراك وجد في توحيد الدول الإيطالية وتأليبها على قتالهم، ورأس مؤتمرا في رومة أعلنت فيه الدول المشتركة عزمها على التهادن فيما بينها وتوجيه جميع جهودها وقواها ضد العدو المشترك

وكان من أعظم الناس تأثرا باستيلاء الأتراك العثمانيين على القسطنطينية فيليب الطيب دوق بور غونيا وقد كان هذا الدوق بطبعه ذا نزعة صليبية قوية ومن أشد الناس تحمسا لقتال الأتراك من قبل سقوط القسطنطينية، فلما استولى هؤلاء على هذه المدينة وجاءه رسول البابا سنة ١٤٥٣ يستحثه على قتال محمد الفاتح التهب حماسا وحمية واستنفر جميع النصارى إلى هذا القتال وذهب بنفسه إلى ألمانيا يستنهض إنبراطورها فريدريك الثالث . وبعث هذا الإنبراطور بدوره إلى ملك فرنسا شارل السابع كما بعث إليه في نفس الوقت الملك ألفونس يحثانه على حرب السلطان محمد الفاتح ، ولم يلبث أن تحولت الفكرة الصليبية من قتال الأتراك العثمانيين إلى قتال جميع المسلمين وغزو جميع بلادهم إمعانا في الانتقام وأخذ الثأر لمدينة القسطنطينية . يقول المؤرخ المصري المعاصر أبو المحاسن ابن تغري بردي « وفي هذا الشهر (ربيع الآخر ٨٦١ هـ مايو ١٤٥٧ م) وردت الأخبار من الإسكندرية وغيرها من بلاد الساحل أن الفرنج عمرت نحو ثلثمائة مركب لغزو سائر سواحل الإسلام من الروم إلى الإسكندرية ودمياط مكافأة لأخذ السلطان محمد بن عثمان اسطنبول من الفرنج خزاهم الله فلم يلتفت السلطان لهذا الخبر لعزة شوكة الإسلام ونصرته إن شاء الله إلى يوم القيامة »[1] وقد أرسل الغرب النصراني فعلا فيما بعد حملات حربية إلى الشرق ولكنها كانت محدودة الأثر لم تتعد تخريب بعض المدن الساحلية في آسية الصغرى

ذلك ما كان من حال النصارى في الغرب وموقفهم بعد فتح القسطنطينية . أما في الشرق الإسلامي فقد كان الأمر على عكس ذلك ، إذ عم الفرح والابتهاج بين المسلمين في ربوع آسية وإفريقية ، لهذا الفتح الإسلامي العظيم . وما أن وصل رسل السلطان محمد الفاتح إلى مصر والحجاز وفارس يحملون نبأ هذا الفتح حتى هلل المسلمون وكبروا وأذيعت البشائر من منابر المساجد وأقيمت صلوات الشكر وزينت المنازل والدكاكين والحوانيت وعلقت على الجدران والحوائط الأعلام والبنود المزركشة المختلفة الألوان وأمضى الناس في هذه البلاد أياما كأحسن ما تكون أيام الأعياد الإسلامية روعة ورونقا وبهاء . وأي مسلم كان لا يغتبط وقد تحققت نبوءة كريمة لنبيهم الكريم بفتح القسطنطينية التي استعصت على المسلمين منذ الصدر الأول من الإسلام ؟

وندع هنا المؤرخ المصري المعاصر الثقة أبا المحاسن بن تغري بردي يصف لنا شعور الناس وحالهم في القاهرة بعد أن وصل إليها قاصد السلطان محمد الفاتح ورفقته في الثالث والعشرين من شوال سنة ٨٥٧ (٢٧ أكتوبر ١٤٥٣) بنبأ فتح القسطنطينية ومعهم

---

(١) هكذا كان حال الإسلام منذ قرون . تتألب جميع دول أوربا وتحشد جموعها لغزو الشرق فلا يحرك ذلك في المسلمين أي التفات أو مبالاة اعتمادا بقوتهم وشوكتهم

فأين نحن اليوم من هذا ؟

بحث لغوى

بين الضر والضرر

للأستاذ الطاهر بن عاشور
عضو مجمع فؤاد المراسل

أجملت كتب اللغة فى هاتين الكلمتين إجمالا سرت منه إلى ألسن المستعملين أخطاء باستعمالهم كلمة الضرر بالفك فيما يساوى معانى كلمة الضر بالإدغام ، غافلين عما تضمنه من عدم إدغام الحرفين فى كلمة الضرر من التنبيه على الاحتراز من استعمالها فيما يساوى معنى كلمة الضر المدغمة

فوجب بسط هذا البحث وتحقيقه ؛ ذلك أن فى اللغة فرقاً اعتبار بنية الفعل يظهر أثره فى حالة مصدره ، فالمصدر الذى على وزان فعل بفتح العين إنما يجىء مصدراً من الفعل الذى ماضيه على زنة فعل بكسر العين ومضارعه على زنة يفعل ، وهذه البنية مصوغة لأفعال السجايا والوجدان مثل فهم وفرح وجوى ، ولأفعال الاتصاف بالعاهات مثل مرض وشلل وعمى وزمن

فلأجل ذلك ففعل ضر الماضى إذا استعمل متعدياً فحركة عينه فى الماضى تقدر بالفتح لأن مضارعه مضموم العين . قال تعالى : « لن يضروكم إلا أذى — لا يضركم من ضل » فهو جار على قاعدة أن المضاعف المتعدى المفتوح العين فى الماضى ينقاس فى مضارعه ضم العين ، عدا ما استثنى مما جاء بالكسر على خلاف القياس أو جاء بالوجهين الضم والكسر ؛ ومصدر ضر هذا المتعدى الضر بوزن فعل كالنصر مفتوح الضاد

وقد وجب فيه إدغام أول مثليه لأن أولهما ساكن وثانيها

الهدايا وأسيران من عظماء الروم قال « قلت ولله الحمد والمنة على هذا الفتح العظيم وجاء القاصد المذكور ومعه أسيران من عظماء اسطنبول وطلع بهما إلى السلطان (سلطان مصر الأشرف إينال) وهما من أهل قسطنطينية وهى الكنيسة العظمى باسطنبول فسر السلطان والناس قاطبة بهذا الفتح العظيم ؛ ودقت البشائر لذلك وزينت القاهرة بسبب ذلك أياما ، ثم طلع القاصد المذكور وبين يديه الأسيران إلى القلعة فى يوم الإثنين خامس وعشرين شوال بعد أن اجتاز القاصد المذكور ورفقته بشوارع القاهرة وقد احتفلت الناس بزينة الحوانيت والأماكن وأمعنوا فى ذلك إلى الغاية وعمل السلطان الخدمة بالحوش السلطانى من قلعة الجبل . . . » . ويقول ابن تغرى بردى فى موضع آخر « ثم طلع قاصد متملك بلاد الروم ورفقته إلى القلعة من غير أن يحضر القضاة ومثلوا بين يدى السلطان وقدموا ما معهم من الهدية التى أوسل بها رسلهم (عدد ابن تغرى بردى هذه الهدايا وذكر أنواعها وهى كثيرة) فقبلها السلطان ورحب به ثم أنزل إلى محل إقامته ومعه رفقته وهم يتفرجون فى الزينة وكانت عظيمة واستمرت أياما وتغالى العوام فى شأنها مع استمرار دق البشائر فى صباح كل يوم أياما »

وهذا الذى ذكره ابن تغرى بردى من وصف احتفال الناس وأفراحهم فى القاهرة بفتح القسطنطينية ما هو إلا صورة لنظائر لها قامت فى البلاد الإسلامية الأخرى . وقد سجل لنا المؤرخ التركى فريدون بك فى كتابه « مجموعة منشآت السلاطين » الكتب التى تبودلت بمناسبة هذا الفتح العظيم بين السلطان محمد الفاتح وبين سلطان مصر وغيره من ملوك المسلمين وأمرائهم وهى تكشف لنا عن نوع العلاقات القائمة فى ذلك العهد بين هذه الدول الإسلامية المتجاورة وكانت تفيض بحسن المودة وصدق الإخاء والصفاء

* * *

وبعد ، فإن المسلم ليدخل اليوم فى مسجد السلطان محمد الفاتح باستانبول فيكون أول ما يروعه من هذا المسجد جبينه المتبلج وقد نقش عليه هذا الحديث الكريم « لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش » فتخشع نفسه ويخفق قلبه وتطوى فى ذهنه آماد الزمن ويمر به الذكر بين محمد بن عبد الله الذى أنطقه الوحى بهذا الحديث وبين محمد الفاتح الذى حقق هذا الحديث فلا يملك إلا أن يقول : سبحانك ربى ، أية معجزة قد تمت !

الدكتور سالم أحمد الرشيدى

متحرك . فالإدغام واجب ، فلذلك قالوا ضر كقوله تعالى : «ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا » .

واسم المصدر منه الضر بضم الضاد . ومنه قوله تعالى : « ثم إذا كشف الضر عنكم » وقيل الضر والضر لغتان فى مصدر ضر المتعدى جريا على ما جاء باللغتين فى الأسماء نحو الشهد والشهد تغليبا لجانب الجمود فى المصدر على جانب الاشتقاق ، والقول الأول أصح وأقيس

فأما إذا استعمل ضر فعلا لازما فهو حينئذ بمعنى صار ضريرا ، أى عمى ، فتعين أن يكون وزنه فعل بكسر العين فى الماضى لأنه وزن أفعال العاهات والأحزان ونحوها . فقياس مضارعه أن يكون مفتوح العين ، فيقال يضر بفتح الضاد ، كما يقال عمى يعمى وشلل يشل (واعلم أنى لم أعثر على مضارع ضر فى كلامهم إلا فى قول بشار :

إذا ذكر الحباب بها أضرت بها عين تضر على الحباب

وقد وجدته فى نسخة ديوان بشار غير مضبوط فضبطته بفتحة على الضاد ، ولم أعثر أيضا على من ذكره أو ذكر زنة ماضيه من أصحاب كتب اللغة المعروفة لنا ، مثل الأساس والصحاح واللسان والقاموس والتاج والمخصص لابن سيده وإصلاح المنطق ومفردات الراغب والمشارق لعياض والنهاية لابن الأثير

وإذ لم يذكروا فيه أنه جاء على خلاف القياس فهو محمول على القياس فى الماضى والمضارع ، وقد دل على ذلك أيضا مصدره ، فانهم قالوا فى مصدره الضرر بدون إدغام لأنه جاء على مثال فعل ؛ وكل ما كان من الأسماء مضاعف الثلين على هذا المثال وشبهه ، فإنه يتعين فيه الفك ولا يجوز الإدغام . وعللوه بالخفة الحاصلة بالفتح مثل : طلل ، ولبب ، وجلل . وأنا أرى أن علة الفك فيه التفرقة بين الفعل والاسم فى الأكثر ، ثم طرد الباب على وتيرة واحدة . فإذا قالوا فى المصدر ضرر علمنا أن الماضى بوزن فعل بكسر العين ، وأن المضارع بوزن يفعل بفتح العين . ومن أجل ذلك لا يطلق الضرر بالفك إلا على ما كان من الأضرار عاهة . فالعمى ضرر والزمانة ضرر . قال تعالى : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر » أى العمى والزمانة . وقد فسر المفسرون الآية بذلك ، فلا يشمل من أصيب بضر فى ماله أو فى أهله . وفى صحيح البخارى عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم . فجاء ابن أم مكتوم وهو يمليها على فقال يارسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى. فأنزل الله على رسوله «غير أولى الضرر» اه

ولم يستعمل الضرر فى غير ما هو من العاهات فيما بلغنا من كلام العرب ولا رأينا من صرح به من الأئمة المروى عنهم . ولكن وقع فى كتاب الأقضية من الموطأ عن يحيى المازنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لا ضرر ولاضرار) هكذا رواه المازنى مرسلا .

وإن كان قد أسند بهذا اللفظ عن أبى سعيد الخدرى وعبادة ابن الصامت وعائشة وابن عباس فى غير الموطأ من سنن ابن ماجه ومسند أحمد ونحوهما من الكتب التى تخرج الصحيح وتدونه بأسانيد مختلفة .

فلننتقل الكلام إلى الاحتجاج بالحديث فى العربية ، وهى قضية مختلف فيها سكت عنها المتقدمون . وقد منع الاحتجاج به ابن الصايغ الاشبيلى ، وقال أبو حيان : « إن الأئمة من البصريين والكوفيين لم يحتجوا بالحديث ، وتبعهم على ذلك المتأخرون »

وأجاز الاحتجاج بالحديث ابن مالك وابن هشام الأنصارى . ويؤخذ من كلام الائمة ما يؤيد القول الأول ، إذ قالوا لا تقبل رواية اللغة إلا من الرواة الثقات ، يعنون بالرواة رواة العربية المتصدين للرواية ؛ إذ لا نشك فى أن شرط قبول نقل الناقل فى اللغة أن يكون قاصدا نقل اللغة ، فلا تؤخذ العربية تبعا لنقله فى غرض آخر لأن الناقل إنما يضبط ويتحرى فى نقله فيما يخص الغرض الذى لأجله ينقل ؛ لأن المقصود من الخبر النسبة الخبرية لا الضمنية ؛ فالراوى المتصدى لرواية الأحاديث لإفادة أحكام شرعية لا يهمه من الألفاظ إلا موادها المفيدة للمعانى دون صيغها المفيدة لاختلاف كيفيات تلك المعانى . فإذا لم يكن نقله صريحا فى غرضه الذى تصدى لأجله ، رجع أمر نقله إلى أنه احتجاج بحسن الظن به فى تحرى الصواب من جميع جوانبه . وذلك غير مقنع فى إثبات اللغة . وقد عدوا من القواعد الأصلية أن الكلام إذا سيق

لمعنى لا يحتج به فى معنى آخر . على أنه قد حفظ الخطأ من كثير من الأئمة بتصحيف أو نحوه

ورواة الحديث قد يقع لهم اغلاط فى عربية ما يروونه، وممن عد من هذا الباب ، هشيم بن بشير السلمى من أئمة الحديث . قال النضر بن شميل وهو من أئمة اللغة ، كان هشيم لحانا وهو الذى روى حديث (إذا تزوج امرأة لدينها وجمالها كان فيهما سداد من عوز) رواه بفتح السين من سداد . والصواب سداد بكسر السين فى قصة مدونة فى كتب اللغة والأدب . فلعل النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا ضر ولا ضرار . فغيرها الراوى لا ضرر . فاذا درجنا على عدم الاحتجاج بالحديث فى العربية ، فهذا الحديث لا يثبت به استعمال فى العربية لما يتطرقه من الاحتمالات بالنسبة للرواة لا بالنسبة لقائل اللفظ المروى . فلا يكون ذلك شاهدا لغويا

وإذا درجنا على الاحتجاج به تعين : إما أن نرده إلى الرواية بالمعنى بأن درج الرواة على استعماله مولد ، وإما أن نؤوله : فأما بالحمل على الشذوذ مثل قول أبى النجم : الحمد لله العلى الأجلل . والشاذ يغتفر لأهل اللسان ولا يتابعون عليه فى استعمال غيرهم . وإما بتأويله بأن الذى أوجب الفك هو قصد الاتباع والمزاوجة بين اللفظين الضرر والضرار ، فان كليهما لا إدغام فيه . فروعى ذلك فى المقارنة تحسينا ، وهو من ضروب البديع كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث وفد عبد القيس فى الصحيح : (مرحبا بالوفد غير خزايى ولا ندامى) . فجمع نادما على ندامى لموافقة صيغة خزايى . إذ ليس فعالى من صيغ جموع فاعل ، بل هو من صيغ جمع فعلان والندمان هو المنادم ، ومن هذا النوع قول الشاعر :

هتاك أخبية ولاج أبوبة يخالط البر منه الجد واللينا

إذ جمع بابا على أبوبة . وقوله صلى الله عليه وسلم لنساء (ارجعن مأزورات غير مأجورات) . بهمز مأزورات . وأصله موزورات لأنه من الوزر وهو الإثم وإنما هو اتباعا لقوله غير مأجورات

والحاصل أننا إذا قبلنا الاحتجاج به تعين أن يحمل لفظ النبى صلى الله عليه وسلم الذى جاء على خلاف القياس محملا يناسب فصاحته وبلاغته . ويستخلص من هذا كله أن الضر والضراء من الضرر فيصح إطلاق الضر والضرر على المعنى الذى يطلق عليه الضرر ولا يقع إطلاق الضرر على كل ما يطلق عليه الضر والضرر

وأما ما وقع فى صحاح الجوهرى من قوله : « الضر خلاف النفع والاسم الضرر ويقال لا ضرر عليك » فهو مما انفرد به . وقد ذكر الأئمة أن الجوهرى لا يؤخذ ما انفرد به . وقد وهمه الفيروزبادى فى مواضع كثيرة

قال التبريزى : لا يشك فى أن فى كتاب الصحاح تصحيفا لاشك أنه من المصنف لا من الناسخ (ص ٤٩ مزهر ج ١) ، وقال الأزهرى لا يقبل من الجوهرى ما انفرد به (ص ١٧ مزهر ج ١)

ووقع فى الأساس ما يوهم ظاهره موافقة كلام الجوهرى . لكنه ليس بنص بل هو محتمل للتأويل

ومن أهم الواجبات الحفاظ على فروق العربية ودقائق استعمالها وإبقاء ما شذ عن ذلك غير متجاوز موقعه بحيث لا يرخص لأحد فى اتباعه ، لأن ذلك يفضى إلى تلاشى رونق العربية وضياعه

تونس **الطاهر بن عاشور**

الدخان فى الشعر ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

كتب الأديب فتحى بسيونى دعبس فى العدد « ٩٢٠ » من الرسالة الزاهرة كلمة فى البريد الأدبى تساءل فيها عن عدم تناول الشعراء المعاصرين الدخان فى شعرهم مع أنه بلغ من سرعة الانتشار هذا المبلغ العظيم، ورجا فى ختام كلمته رجال الشعر وأرباب القريض أن يجعلوا من الدخان ملاحن وأغاريد يخلدون بها هذا النوع من الترف المدنى شأنهم فى تخليدهم الخمر التى يقول فيها إمام هذا اللون من الشعر وأعنى به الحسن بن هانى الملقب بأبى نواس

اثن على الخمر بآلائها ... وسمها أحسن أسمائها
لا تجعل الماء لها قاهراً ... ولا تسلطها على مائها
والخمر قد يشربها معشر ... ليسوا إذا عدوا بأكفائها

وإظهاراً للحقيقة وإجابة للصديق الفاضل أود أن أقدم لقراء الرسالة بعض الشعر العراقى المعاصر الذى قاله شعراء العراق فى الدخان

فقد قال المرحوم معروف الرصافى وهو من المعروفين لدى أدباء العربية فى وصف السيكارة من قصيدة طويلة سماها (العادات قاهرات) أبيات إن تكن متينة فى ديباجتها إلا أنها تعد بحق من خيرة القصائد التى قيلت فى هذا المعنى . ومطلع هذه القصيدة

كل ابن آدم مقهور بعادات ... لهن ينقاد فى كل الإرادات

ثم يسترسل حتى يأتى إلى ما نحن بصدده فيقول

لو لم تكن هذه العادات قاهرة ... لما أسيغت بحال بنت حانات
ولا رأيت «سكارات» يدخنها ... قوم بوقت انفراد واجتماعات
إن الدخان لثان فى البلاء إذا ... ما عدت الخمر أولى فى البليات

ولست أدرى ما هو رأى شعرائنا الآن فى البيت الأخير من قصيدة المرحوم الرصافى وأعنى بهم شعراء الخمر ومنهم صديقنا جميل أحمد الكاظمى وفؤاد عباس وخيرى الهنداوى فى العراق . أما أنا فلست على رأى الرصافى طبعاً ثم يواصل وصفه فيقول .

ورب بيضاء قيد الإصبع احترقت
فى الكف وهى احتراق فى الحشاشات

إن مر بين شفاه القوم أسودها
ألقى اصفراراً على بيض الثنيات
وليتها كان هذا حظ شاربها
بل قد نفت بكفيه المرارات
عوائد عمت الدنيا مصائبها
وإنما أنا فى تلك المصيبات

إن كلفتنى السكارى شرب خمرهم
شربت لكن دخاناً من سكارانى
وقلت ياقوم تكفيكم مشاركتى
إياكمو فى التذاذ بالمضرات
إنى لأمتص جمراً لف فى ورق
إذ تشربون لهيباً ملء كاسات
كلاهما حمق يفتر عن ضرر
يسم من دمنا تلك الكريات
حسبى من الحمق المعتاد أهونه
إن كان لابد من هذى الحماقات

والقارئ يجد فى الأبيات السابقة أن المرحوم الرصافى قد كذب على نفسه وعلى الناس لأنه رحمه الله كان لا تفارق الكأس شفتيه وهو كما قال فيه صديقنا الأستاذ الزيات: « همه من الحياة شرب العرق ولعب الورق واستباحة الجمال » وقد حدثنى الأستاذ الشاعر خيرى الدين الهنداوى وهو صفى الرصافى وصديقه الحميم فقال :

إن صاحب الجلالة المرحوم فيصل الأول كان قد سمع بأن الهنداوى يشرب الخمر بإفراط وأن الناس قد نقلوا له ــ وأعنى المقربين إلى جلالته آنذاك ــ أحاديث لا تسر؛ لذلك أرسل فى طلبه، وحينما مثل بين يدى جلالته طلب منه هجر الخمر وإن لم يستطع فليشرب ولكن دون أن يعلم أحد به .. وما كان من الهنداوى إلا أن امتثل أمر جلالته ووعده بالطاعة وترك بنت الحان نهائيا ، وخرج الهنداوى على هذا الأمر واعتكف فى داره وهو ينظم قصيدة فى هذا المعنى . وبعد يومين من نشر القصيدة جاءه المرحوم الرصافى وكان الوقت صباحاً وبيده قنينة خمر وعندما

استقر به الجلوس قال لصديقه الهنداوى أنت صاحب القصيدة التى تقول فيها لصاحب الجلالة إنك ستتوب عن شرب هذه الفضة، وأخرج له قنينة الخمر، فأجابه الهنداوى: طبعاً، فما كان من المرحوم الرصافى إلا أن أفرغ فى الكأس قسماً منها وناولها الهنداوى وهو يقول :

والله لأفسدن عليك هـذه التوبة .

وظل يداوره حتى شربها . وهذه القصة ـ وصاحبها حى يرزق ـ ما سقتها إلا للاستشهاد على كذب المرحوم فى شعره وأعذب الشعر أكذبه كما قال غيره

ثم يقول فى القصيدة نفسها

يامن يدخن مثلى كل آونة — لنى ألمك ولا ترض اعتذاراتى

إن العوائد كالأغلال تجمعنا — على قلوب لنا منهن أشتات

ويختم الشاعر قصيدته بقوله

لو لم يك الدهر سوقاً راج باطلهـــا

ماراجت الخمر فى سوق التجارات

ولا استمر دخان التبغ منتشراً

بين الورى وهو مطلوب كأقوات

لو استطعت جعلت التبغ محتكراً

فوق احتكار له أضعـاف مرات

وزدت أضعـاف أضعـاف ضريبته

حتى يبيعوه قيراطـاً ببـدرات

فيستريح فقير القوم منـه ولا

يبلى به غـير مثر ذى سفاهـات

والقارئ الكريم يلاحظ فى هذه الأبيات ركاكة فى التعبير وذلك كما قلت سابقاً أن القصيدة هذه ليست من الفن فى شىء إلا النظم، وذلك لدخول ألفاظ عادية فيها ولكنها تعبر عن ابتلاء الشاعر بهذا البلاء الذى عم الورى . ولست أدرى ماذا كان الرصافى يقول لو شـاهد الآن الثانيات وهن يدخن فى شوارع بغداد ؟ !

ثم أذكر بيتاً للشاعر العراقى أحمد الصافى النجفى الذى قست عليه ظروف العيش فى بغداد كما قست على غيره فشردته فى دمشق وهذا شأن الحكومات أو الوزارات المتعاقبة على الحكم من تشريد الأدباء وإماتتهم جوعاً كما فعلت بالرصافى، والكاظمى عبد المحسن الذى لولا كرم الأمة المصرية لمات عارياً ، وهذا البيت منشور فى مجموعته الشعرية الموسومة بـ « أشعة ملونة » التى طبعتها جريدة الهاتف الزاهرة لصاحبها الأستاذ جعفر الخليلى على نفقتها الخاصة وهو

تخذتها أمة حتى غدوت لهـا

عبداً ، وها أنا أفنيها وتفنينى

وللأستاذ محمد صالح بحر العلوم شاعر الشعب رباعية جميلة فى وصف السيكارة هى

ذات جسم مستخلص من نضار

حجبت نفسهـا عن الأنظار

فى خمار من اللجين ، شربنـا

من شـذاها خمراً بدون خمار

قبل « العود » رأسها فأحست

باحتراق ، واستسلمت بانكسـار

وأذابت أنفاسهـا بدخان — فى فمى ، ذوب جسمها فى النار

والأستاذ بحر العلوم شاعر واقعى يجيد التعبير عن آلام الشعب وله من الدواوين المطبوعة « العواطف » ومن الخطية « الشعب » و « المكشوف » و « الرباعيات » وسأتناول شعراء العراق المبرزين فى هـذا العصر بالتحليل على صفحات الرسالة قريباً إن شاء الله

وقد عثرت على أبيات للشـاعر العراقي المرحوم محمد سعيد الحبوبى وهو من شعراء القرن التاسع عشر للميلاد وقد ولد كما يقول جامع ديوانه في أواخر العقد الرابع وأوائل العقد الخـامس من القرن الثالث عشر للهجرة ، يصف بها « النـارجيلة » أى « الشيشة » فى لغة إخواننا المصريين الدارجة . . ولاتصالها بالدخان أثبتها هنا ، وهى كما يراها القـارئ رقيقة تتسم بالأصالة والعذوبة وهذا هو شأن شعره على المجموع وإن كان لا يخلو من التقليد شأن شعراء عصره. وقد كنت أرجو لو اتسع لى المجال مع الدكتور مهدى البصير الذى سبق أن تكلم عن الشاعر الحبوبى فى سلسلة خطبه التى أذاعها من دار الإذاعة اللاسلكية ببغداد ثم جمعها فى سفر باسم (نهضة العراق الأدبية) !

فن القيـــــادة

للكاتب الفرنسي أندريه موروا

بقلم الأستاذ محمد أديب العامري

(كتب أندريه موروا الكاتب الفرنسي المعروف كتاباً أسماه « فن الحياة » أو بترجمة أدق « فن العيش » وقد ذاع الكتاب أيما ذيوع وترجم إلى عدة لغات منها الإنجليزية

والفصل الذي تقدمه الآن هو واحد من فصول الكتاب. ويلاحظ من الفصل أن القيادة أو الزعامة أو الرئاسة عند أندريه موروا لا تعني قيادة الناس السياسية فقط وكما نحيل نحن إلى التعريف ، ولكنها تعني القيادة إجمالا في ميادين الحياة كلها. فالملك قائد، وزعيم الأمة، وقائد الجيش ورئيس الحكومة قادة . ومثل ذلك رئيس المصلحة أو الشركة أو المدرسة أو رئيس جماعة من البنائين مثلا . ولهذا نرى أن الأمثلة التي يضربها موروا مقتبسة من ميادين الحياة المختلفة ، وأنها أمثلة تعتمد على حياة صناعية علمية لانعهدها كثيراً في بلادنا . فلنصبر على هذه الأمثلة ولنتفهمها فاننا جديرون إذ نفعل أن ندرك أهمية الحياة الصناعية، في الحضارة الراهنة) المترجم

لا يستطيع الناس أن يقوموا بعمل مشترك قياماً مجدياً إلا إذا اضطلع واحد منهم بتنظيم نشاطهم جميعاً إلى غاية مشتركة، ويتضح هذا عندما يقوم الناس بأعمال تحتاج إلى شيء من النظام. فمن العبث مثلا أن تقوم جماعة من الناس بإنشاء خط حديدي ، أو تسيير قارب إلا إذا قام عليهم رقيب يضبط حركاتهم . ولن يكون مصير أي عمل تقوم به جماعة دون قيادة إلا الاضطراب والفساد . ويعلم جميع الذين اشتركوا في حرب من الحروب ضرورة القيادة . وما يصح على الجيش يصح على عمال في ميناء أو صناع في مصنع ، أو محررين في مكتب لجريدة ، كما يصح على سكان بلد من البلدان . وخلاصة القول أنه حيثما يعمل رجال عملا مشتركا فلابد لهم من قائد

وفي اللحظة التي يظهر فيها القائد بقيادته، أو الزعيم بزعامته، وحيث تكون هذه القيادة قوية مضبوطة ، يعقب الفوضى نظام واستقرار . وفي الحرب العالمية الأولى كانت الوحدات التي تقاد قيادة فاشلة تتقهقر وتقع في أزمات حتى قيض لها قائد جدير باللقب فتتحول الكتائب إلى قوة ذات رباطة ومقاومة . وقد يبدو على الأمة الواحدة المؤلفة من شعب واحد معروف ، الاضطراب والفوضى ، أو النظام والقوة ، متوقفاً ذلك على ما إذا كانت الحكومة تقوم بمهمة الحكم أو لا تقوم . وبغير هذه القيادة لا يمكن أن تقوم قائمة لعمليات حربية أو حياة وطنية أو نظام اجتماعي

ولقد أخذت الجماعة البشرية طوال تاريخها بقاعدة اختيار قادة أعمالها على أساس يتلو بعضهم فيه بعضاً بنظام هرمي . وقام

والآن نعود إلى أبيات الحبوبي فنعرضها وهي :

ونارجيلية تهـــدى بكف رشا
حلو الدلال رشيق القـــد مياس

ظلت تعربد في كفيه شــــاربة
من ريقه العذب لامن نهلة الكاس

حتى إذا جاد لي فيهـا بثثت بها
وجدى « عيانا » تراه أعين النـاس

حيث الدخان إذا ما جال في كبدى
موهت في نفخه تصعيد أنفـاس

جاءت تزر فويق الماء مئزرها
وفوق مفرقهـا لألاء مقبـاس

أعديتها داء برحائي مما كسة
فالدفع في قلبها والنار في الراس

وقبل أن أختتم هذه الكلمة أود أن أذكر صديقنا الشاعر الأستاذ إبراهيم الوائلي بأن لشعراء النجف الشيء الكثير في وصف الدخان لم أطلع عليه ولعله يتكرم فيذكر لنا شيئاً منه إذ قد حدثني صديقي الأستاذ فؤاد عباس معاون عميد الإعدادية المركزية ببغداد وهو دائرة معارف كما يعرف الأدباء بأن لشعراء النجف الكثير في هذا المعنى . لذا يسرني أن أترك المجال للأستاذ الوائلي الآن .. ولعلي بهـذه الكلمة أشبع رغبة الأستاذ دعبس في وصف الدخان

« بغداد » عبد القادر رشيد الناصري

هؤلاء القادة كل مرة بتأسيس نظام وطدوا فيه لشعوبهم مصائر بلادهم على هذه القاعدة

لكنهم كانوا يستغلون هذا النظام لظلم الشعوب ؛ فكانت هذه تثور فى وجوههم فيضطرب النظام الذى أقيم وتعقبه الفوضى فتعود الأمم إلى بناء هذا النظام من جديد . ولما انهار التركيب الهرمى العسكرى الذى قامت عليه الدولة الرومانية فقدت هذه الدولة قوتها وقام على أنقاضها نظام هرمى إقطاعى لم يتم بناؤه إلا بعد فترة طويلة من الفوضى ولما ألغت روسيا النظام الرأسمالى قام على الأثر نظام من الفنيين ورجال الأعمال أدوا الواجبات الأولى نفسها . وذلك هو السبب الذى يحمل رجال الثورة على الرغم من وعودهم ورغباتهم إلى أن لا يحققوا العدالة التى كانوا ينادون بها . يجب أن يكون هنالك مساواة فى الفرص ، أو كما قال بونابرت تتاح الفرص دون أى مانع لجميع المواهب . ومن الضرورى أن يرغب المرء فى المساواة بين الجميع فى نظر القانون، غير أنه لا يمكن أن تقوم هذه المساواة بين قائد ومقود ، أو فى جماعات ليس لها زعامة

ولقد اكتشفت الانسانية خلال تاريخها الطويل وسائل قليلة لاختيار الزعماء أو القادة . وكان أقدم هذه الوسائل ، الوراثة . وكانت تستخدم دون ريب فى القبائل الرحل فى قديم الزمن حين كان يخلف الأب ابنه الأكبر . وبدون هذا النظام القائم على خلافة الابن الأكبر كانت تتعرض الجماعات البشرية إلى تصدع واضطراب . ونجد فى التوراة مظاهر من هذا الاضطراب كما نجدها فى تاريخ اليونان. وكانت السلطة فى أنظمة الملك القديمة القوية، تنتقل فى هدوء كما كان الزعيم الوراثى يتمتع باحترام وتقدير لا حد لهما

ولقد كان المركز الممتاز الذى يحتله ملك إنجلترا قائما على هذا الأساس . وأدرك نابليون ذلك إدراكا تاما ، فانه كان يرمى إلى تأسيس ملك عضوض . لقد عرف أن الملك يظل ملكا حتى إذا انهزم أما الإمبراطور الذى ينصب نفسه بنفسه فيحتاج إلى انتصارات متوالية ليظل عرشه قائما

وهذا صحيح أيضا فى الأعمال والدويلات التى حكمتها عائلات خلال أجيال عديدة . وإنك لتجد المديرين والمراقبين والزراع الذين يثورون عادة على السلطان يخضعون لسلطة رئيس العائلة . ولا يعود هذا الخضوع إلى العادة وحدها ، ولكنه يعود كذلك إلى شعور طبيعى وتفكير معقول بعض الشئ . فالأب يستطيع أن يورث ابنه تقاليد الزعامة وأعرافها كما يورثه التفانى فى خدمة العائلة. والقائد الوراثى كالملك الوراثى يحس برابطة تربطه بعائلته أو ببلاده — رابطة من الشرف تتطلب التضحيات. ولقد رأينا من ذلك أمثلة رائعة فى فرنسا خلال الأزمة الاقتصادية التى مررنا بها منذ عهد قريب

أما خطر القوة الوراثية فهو أن يكون الابن الأكبر للعائلة الحاكمة غير ذى شخصية ، أو حتى غير ذى عقل كامل . فهل من اللازم فى مثل هذه الحالة أن نوكل الأمور إلى رجل لا يقدر على القيادة ؟ كلا ! وقد عمدت بعض البلاد التى يقوم فيها مثل هذا النظام من الوراثة ، إلى استثناءات لا تمكن من الحكم الزعيم الوراثى الذى لا يليق للقيادة . ففى بريطانيا عدل نظام الإرث الملكى مرات عديدة بطرق برلمانية . وحدد رجال الأعمال الكبار فى الولايات المتحدة أثناء حياتهم حدود السلطة التى قد تنتقل إلى أبناء لا يستطيعون أن يخلفوهم . فاذا لطفت السلطة الوراثية عما يتطلبه الحس العام وسيطرة من البرلمان أو المجالس التمثيلية ، فانها تكون ذات صفات طيبة كثيرة .

وأهم ما يجب أن يمتاز به زعيم هو أن يعترف له الناس بصفة الزعامة . وجميع الزعماء الذين لا يقر لهم المجموع زعامتهم كاملة ، تنقصهم القوى الكافية لهذه الصفة الكبرى . والزعيم الذى ينتخب انتخابا يجب أن تكون له سلطة تامة على الذين انتخبوه؛ ولكن يقع أحيانا أن تكون الصفات التى اختير من أجلها الزعيم كالفصاحة وحسن الخلق غير الصفات المطلوبة فى موقف معين ، فيعود ضعيفا غير قادر على معالجة الأمور . وكذلك الحال فى أمة تتقاسمها الأحزاب . فالزعيم المنتخب فى هذه الحالة إنما يمثل ما يقارب نصف المنتخبين ، فإذا أحس الباقون تجاهه بشئ من الكراهية ، تعرضت الدولة للخطر . ولقد رأينا مرات عديدة بلادا عظيمة تقع فريسة الشك والهزيمة لأن زعيما لها اختارته الأغلبية فلم يملك ثقة جميع الشعب

واختيار الزعيم أو القائد عملية أشد خطرا عندما يدور الأمر لا على سلطة تقوم فى بلاد بكاملها ، ولكن على سلطة تقوم فى

جماعة أصغر وخاصة عندما يمارس الزعيم سلطته مباشرة،أو يكون معرضاً لتجديد الانتخاب مرة بعد أخرى في فترات معينة والسؤال الذى يرد هنا هو كيف يستطيع الزعيم أن يكسب طاعة الناس الذين سيتملق أصواتهم بعد قليل؟ إن انتخاب رئيس لمشروع ، أو قائد كبير لجيش ، بطريق الغالبية فى الأصوات أنما تهيء الدمار للمشروع أو الهزيمة للجيش . ولقد أدركت هذا بسرعة إدارات المشاريع والأعمال فرغبت عن الطريقة أكثر البلاد إحساسا بالديمقراطية ونبذتها. وهى تستعيض عن ذلك بأن يختار وكلاء القادة أو أعضاء مجلس الأعيان أو رؤساء الدوائر اختيارا انتخابيا وهؤلاء الموظفون تنفيذيون ، أو هكذا يجب أن يكونوا ، وليسوا قادة بحال من الأحوال . ومن الخطر جدا أن تجزأ الأعمال على صورة تحول دون الإجراءات اللازمة .فدستور الولايات المتحدة الأمريكية منشأ على شكل يجعل البلاد دون سياسة خارجية على الإطلاق فترة ما يكون الرئيس والكونغرس على خلاف . ويقع ذلك مدة سنتين كاملتين . وهذه حالة مضرة ضررا شديداً بأميركا وبأمم أخرى مثلها . أما للطريقة الإنكليزية فإنها تؤدى غرضها تأدية أفضل ، لأنها أكثر مرونة وطواعية

ومن أساليب اختيار القائد أسلوب الامتحانات ، وفى هذا الأسلوب يجوز المرشح للرئاسة شهادة عملية . وقد استعملت هذه الطريقة سابقا فى الصين . وهى تستعمل إلى حد محدود فى فرنسا هذه الأيام . فاذا أراد فرنسى أن يتبوأ مقاما فى الجيش أو فى السلك الدبلوماسى أو فى دائرة حكومية وجب عليه أن يجوز امتحانات معينة . ويبدو لأول وهلة أن هذا النظام عادل ، لأن المتنافسين فيه يخضعون لظروف واحدة؛ ولكن له مساوئ خطيرة فالرجل الذى تتفتح قواه الذهنية ببطء والذى يمكن أن يثبت قدرته على القيادة فى الأربعين من عمره يمنعه السن من الاستفادة من قواه . ثم إن الصفات والخصائص التى تكون القائد الحسن لا تظهر أغلب الأحيان ولا تعرف عن طريق الامتحان.ولا يتردد « بول فاليرى » فى القول بأن أعظم شرور اليوم هى الامتحانات والشهادات

ويتخذ هذا الأسلوب من الترشيح للقيادة شكله الأشد حين تكون الترقية أيضا خاضعة للامتحانات . وهذا هو الحال فى مهنة الطب فى فرنسا . وفى الجيش يجد الرجل أمامه المدرسة الحربية وكلية الدراسات العسكرية العليا ، إذ يجب أن يؤدى امتحاناتهما . غير أن الأقدمية فى العمل ووساطات أصحاب الوساطة لها أثرها فى التقدم كما تفيد الانتصارات أثناء الحرب

ولا يمكن أن نقول شيئا كثيرا عن الأقدمية ، فمن الواضح أن الناس يكسبون خبرة كلما تقدموا فى السن إلا إذا كانوا شديدى الكسل والبلادة ، أو شديدى العناد إلى حد يمنعهم من أن يتعلموا شيئا . غير أن هناك عددا كبيرا من المتقدمين فى السن يمكن أن يختار أحسنهم بالنظر إلى شهادات الولادة ، وعلى هذا الأساس تجرى تعييناتهم

ومن أكثر الطرق مطابقة المنطق أن يعين رؤساء الأعمال الرجال الذين يلونهم فى المناصب . وفى هذه الحالة يضطرون إلى الاعتماد عليهم وإلى أن يكونوا مسئولين عن أعمالهم .ويعين الملك الوراثى أو الرئيس المنتخب رئيسا للوزراء ، بعد موافقة البرلمان أو الجمعية الحاكمة . ثم يختار رئيس الوزراء . ثم يعين الوزراء الموظفين فى دوائرهم المختلفة . وهنا يبنى الهرم بالبداية من رأسه ثم النزول إلى أسفل ، وهى عملية ناجحة من الناحية الإدارية وإن تكن غير معقولة بالطبع فى إقامة بناء

وهذا النظام حسن ولا ريب على قدر ما يمكن أن تكون أعمال البشر حسنة . والمبدأ فيه حكيم، ولكن الجهاز مع ذلك لا يعمل عملا كاملا . فجميع التعيينات ما عدا الرئيس وعددا من الوزراء السياسيين ، ومنها تعيينات الرجال الفنيين ، يجب إن تقوم على أساس المقدرة التكنيكية والمتانة الأخلاقية . إن مصلحة البلاد ومصلحة الذين يقومون على حكمها هى أن يكون قائد الجيش أو مدير مصلحة السكة الحديدية مثلا رجلا من الطراز الأول ، مهما كانت نزعاته السياسية أو الدينية ، وكائنة ما كانت علاقاته وأصدقاؤه . وليس من الممكن أن يمتنع الناس عن أن تكون لهم عواطف ، فالصداقة والقرابة والصلات الحزبية لها أثر كبير فى التعيينات ، وهذا أمر يؤسف له أحيانا ، إذ من الواجب أن نسيطر جميعا على أنفسنا حتى لا تتأثر المواهب تأثرا يضير المصلحة

وفى النظم التى تخلق الزعيم أن يتقدم رجل على أثر ما تقع الأمة فى حال من الفوضى ، فيفرض نفسه عليها فرضاً .

شوق على قرب

للأستاذ ثروت أباظة

جلس إلى وفى عينيه قالة تترقرق ، وفى شفتيه بسمة تبدو وتغيب ومض البرق الخاطف ، وعلى وجهه أسى من ظن الخير فى غير مكانه. رأيت كل هذه التعبيرات على وجهه فكان يخيل إلى أننى أرى مقالة رمزية عن حرب طحون تعتمل بنفسه ، فهششت له وهو الصديق الذى أصطفيه فأصفيه نفسى كلها . هششت فما زاد على أن ثبت من تلك البسمة الوامضة على فمه فإذا وجهه كله مشرق بضحكة آسية ... قلت :

— ماذا ؟ لقد كنت على أحسن ما أرجو لك بالأمس

— لا شئ

— لا شئ ؟ منذ متى تدخل هذه الكلمة فى حديثنا ... لا شئ ! أغبى أنا لا أعرفك ! أأسألك ماذا بك ولا يكون بك شئ ... أم تراك تخفى أمرا ؛ فان كان كذلك فدعنى أولى عنك الوجه فلست صديقك بعد اليوم ... أترى سرى كله وتخفى عنى ألمك ... ماذا بك ؟ انطق

سمع الرجل الحديث وهو مطرق إلا بضع لحظات حاول فيها أن يجيب ولكنه احترم دفعتى تلك فعاد إلى إطراقه حتى أتممت فإذا هو رافع إلى دمعتين صافيتين ... يقول

— أشكرك على ثورتك فقد أرجعت لى نفسى

— وأين كانت ؟

— تبحث عنك

— عنى ... حذار أن تكون الثورة قد طغت على عقلك . . تبحث عنى تقول وأنا لا أكاد أرى أحدا قدر ما أراك ... أجننت ؟

— أنت ترانى نعم ولكننى لا أراك أبدا

— لا ترانى ؟ لا ... لابد أن الثورة قد مست عقلك ... حسبى الله ونعم الوكيل ... أأنظر إليك من خص ؟ كيف أراك فلا ترانى ؟ أنتكلم كل يوم وليس بيننا من البعد إلا بقدر هذا النضد ... ثم أراك فلا ترانى ؟ أجننت رجل

— وأنا اليوم لم أرك إلا حينما ثرت

— إنك اليوم إما مجنون لم تعلم به الهيئات المختصة بعد ، أو حكيم عالمى لم يشرق اسمه قبل . فأيهما أنت ؟ لا يمكن أن تكون رؤيتك لى محتاجة لكل هذه الثورة . أيهما أنت

— أنا صديقك

— أو يغنيك هذا عن أن تكون إما مجنونا أو حكيما. أتظن أن كونك صديقى يعفيك من ...

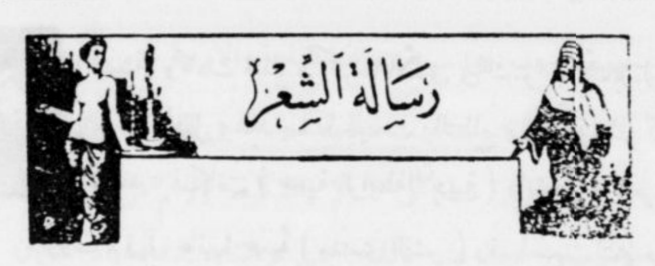
— أراك تطيل الحديث ، اسمع ... لقد جئت اليوم مجلسك ورأيتك ولكننى جلست إليك أبحث عنك حتى ثرت هذه الثورة فوجدتك؛ كنت قد فقدتك و كنت مشتاقا إليك الشوق كله . حتى ثرت فنديت الشوق ونقمته . كنت إذا رأيتنى فى

« إن كرومويل » لم تميته سلطة عليا ، وإنما كان رجلا غامضا يقود عددا قليلا من الفرسان . وقد رفعت الثورة « بونابرت » إلى مركز جنرال ، ولكنه جعل من نفسه قائدا للأمة . وهنالك أمثلة حديثة تخطر ببال كل واحد منا . ومما لا سبيل إلى الشك فيه أن الزعيم الذى يتبوأ مركزه عن طريق القوة زعيم يتمتع بالصفات اللازمة للزعامة . ولو لم يتمتع بهذه الصفات لما تمكن من القوة التى تبوأها بفرض نفسه . والصعوبة ههنا أن نكتشف ما إذا كانت مواهب الزعيم مواهب رئيس حزب أو قائد أمة .

فإذا استولى زعيم على السلطة بنفسه واجهنا صعوبة إيجاد من يجئ خليفة له . فإن كرومويل لم يحكم طويلا ، وابن بونابرت مات فى المنفى . وقد كره خليفة « لينين » ما كان قد تم من قبل فأتى عليه

ومن الحق أن نعترف بأن اختيار قائد مشكلة ليس لها حل صحيح ، وإنما الأمر يتوقف على الظروف السابقة . وعلى أهداف الأمة فى المستقبل . لكن شيئا واحـــدا نعرفه وهو أن الزعيم لا يستطيع أن يتمكن من مركزه منتخبا كان أو معينا ، وارثا أو مغتصبا ، إلا إذا حاز جميع الصفات المطلوبة فى الزعيم

(للكلام بقية) محمد أديب العامرى



على قبر عبد العزيز فهمى باشا

للأستاذ احمد عبد المجيد الغزالى

ألقى الشاعر هذه الأبيات على قبر فقيد الوطنية عبد العزيز فهمى باشا ببلدته «كفر المصيلحة»

نوديت فى ألق الصباح الباكر ... فمضيت أطهر من نداء الطاهر
تسمى ويسمى النور حولك زاخراً ... فى موكب جم المآثر زاخر
يمشى به التاريخ ، يقظة ساهر ... فى ليله الداجى ، وصرخة ثائر
وإباء حر ، وابتسامة حازم ... وعناد جبار ، وغضبة قادر
لفوك فى العلم الذى أعليته ... ورفعته بيد الكريم الكابر

* * *

خضت المصارع لم يفزعك الردى ... ومشيت فى عنت الزمان الجائر
ثبت الخطى ، لم تدمك الأشواك فى ... حلك الظلام المدلهم الغامر
لم تدر ما القيد الذليل ، ولم تطق ... أن يرسف الأسرى بقيد الآمر
فطويت عانيه ، ورضت حديده ... بهدى رشيد ، وابتسامة ساخر
وسريت فى ليل الخطوب ، فلم يزل ... من همة السارى النحيل الضامر
لله ما صنعت يداك ، وإنه ... ذكر يدور مع الزمان الدائر
زادتك أحداث الجهاد صلابة ... هى نعمة الله القوى القاهر
هذا الذى أضفى عليك خلائقاً ... أزكى من الزهر الندى الناضر
فانعم به جاراً ، وعش بجنانه ... بين النعيم السرمدى الزاهر

أحمد عبد المجيد الغزالى

الأيام القليلة الماضية كلمتنى بنفس غير خالصة وقلب غير مقبل ؛ وكنت أحس فى رنين صوتك شيئاً غير الذى تنطق به فأكتم نفسى على حسرات ، وفقدتك . لقد عرفت عنى أمراً فكتمته وسعيت وراءه تبحث عنه حتى تبين لك كذبه فكنت فى فترة البحث تزور عنى بنفسك وتقبل على بلسانك ، كنت تثور بى كما كنت تثور بل كنت هادئ القول ثائر النفس وقد عهدتك قبل ثائر القول هادئ النفس ... ففقدتك ... وفقدت معك نفسى وانطلقت منى تبحث فى أيامنا الحلوة الماضية وترجع لى منها بصور شوهتها نفس فقدتك ولكنها مع هذا تحبك فهى تقبل على تلك الصورة فى لهفة مشتاق يحن إلى هاته الأيام ... واليوم ثرت بى ... قد تبينت لك الوشاية فوجدتك ... أرأيت إذن كيف فقدتك وليس بيننا إلا هذا النضد الذى تجلس إليه الآن ؛ واليوم أجدك وإن ذهبت بك الأيام إلى أقاصى الأرض أرأيت أنى ؟ لم أكن ملكيا لم يظهر قبل ولا مجنونا لم يحبس بعد ... بل أنا أنا من تعرف

— وأنا من تعرف . أبقاك الله لى صديقا حين يعز الصديق ، وأبق لى نفسك حلوة تشتاقنى على قرب إذا مل قربى كل صديق ، وتبحث فى البعد عنى إذا لم يحس ببعدى كل رفيق . . أبقاك الله

ثروت أباظة

بين شاعر وسيجارة

للأستاذ محمود محمد بكر هلال

أغرت السيجارة الشاعر بأنفاسها العطرة ، فجرى فى حبال هواها ، وجاذبها قبلة بقبلة ، وبادلها حبا بحب ، ولكنه عندما اضطرمت أنفاسها فى صدره ، واضطربت قبلاتها على ثغره ، سئم هواها ، ومل أنفاسها ، فهجرها الى غير عودة ، ونأى عنها على غير ميعاد ، فكان بينهما هذا الهجر ، وذلك العتاب ... !

الشاعر

جاءت تراود فى هواده ... وتشوقنى فى دل غاده
أغرت فى قبلاتها ... فغدت لزاما كالعباده
وتمسكت فى حبها ... لى وارتدت ثوب الزهاده
ما زلت أهواها وأطـ ... ـلب من مباسمها الزياده
إن غاب عنى ثغرها ... فقد النهى منى رشاده
حتى صحوت عشية ... وإذا بها ولها السياده !



شاعر العقيدة

تأليف الأستاذ محمد تقي الحكيم

للأستاذ ابراهيم الوائلي

لعل مدينة النجف الصغيرة هي ثالثة المدن العراقية التي احتضنت تراث العرب والمسلمين بعد بغداد والحلة ، وقد كانت مثابة لطلاب العلم ومجالا فسيحا للغة العربية وآدابها في أواخر العصر العثماني ، وكان تميزها بكثرة النوابغ من الشعراء — عدا العلماء والمؤلفين — ظاهرة يعترف بها التاريخ في أوسع مصادره الحديثة، وكادت تفقد مركزها الأدبي في السنوات الأخيرة لو لم يتح لها جيل جديد ينشط للبحث والتطلع ويسير في الموكب الصاعد ، فكانت (جمعية الرابطة الأدبية) ذات طابع شعري معروف ، وإلى جانبها جمعية (منتدى النشر) وقد أسست لتجمع بين القديم والحديث . والتف حول مناهجها ودروسها طائفة غير قليلة من شباب النجف والمدن الأخرى ، وهي تعمل في شكل فصول وامتحانات كما يفعل الأزهر في مصر ، ولم تكتف بالدرس العلمي والبحث اللغوي بل دفعت هؤلاء الشباب إلى مجال الأدب الواسع يقرؤون ويهضمون ثم يكتبون وينشرون ، ومجلة (البذرة) هي منبرهم الذي يتبارون عليه ، وكانوا يتيحون لنا — هم وأساتذتهم — أن نستشف خلال تلك المسارب الضيقة ومضات تبشر بوجود قوة الاستمرار لتلك الشعلة التي طالما توهجت على ربوة النجف الخضراء في قرون كثيرة ، وبالرغم من أن العناصر الرجعية من (الرسميين) وغيرهم لا يريدون لهذه الجمعية أن تسعى في طريقها الإصلاحي فإنها بقيت تصارع وتعمل

سيجارة غدارة قد حرمت جفني رقاده !
هيفاء تغرى كل ثغـــر بالصبابة والوداده
طالقتها وأنا المحـــب فبعدها عنى سعاده !
ماذا يفيدك من دخا نك بعد ما تذرو رماده !؟
إما اضطراب في التنفـــس قد يجر إلى الشهاده !
إما سعال فاتك يدعو إلى باب العياده !
صدر المدخن كالظلا م فلن ترى إلا سواده !
خير الأمور لعاقل ألا يكون أسير عاده !
من لم يضح فلا نصح لمثله فينا القياده !

السيجارة

أنسيت أنى راحة من كل نازلة وسلوى ؟
أنسيت باعثة الخيا ل إذا النهى أكدى وأقوى؟
قبلات ثغرى متعة وحديثها همس ونجوى !
تحنو على إذا ظمئـــت فتحتسى منى وتروى
أنفاس غانية من القبـــلات والصبوات نشوى !
فى جوها سبح الخيا ل بكل ما تصبو وتهوى
تتصاعد الأنفاس فى دنيا من الآمال تطوى
فكأنها الغيم الرقيـــق يراقص الأفكار زهوا
فلم التباغض والقلى وأنا التى بالنار أكوى ؟
أيليق هجران الحبيـــب وحفظه للود يروى ؟
أنسيت أن الهجر بعـــد الوصل للمشاق بلوى ؟
راجع فؤادك فالمحـــب على التباعد ليس يقوى

فأجاب الشاعر:

أبداً فلســـت براجع عن هجرها طول المدى !
من ذا الذى يهفو إلى ثغر ثناياه الردى ؟
آليت لا أصغى لهـــا أبداً وأتركها سدى !
لو زحزحت جبل المقطم ما مددت لها يدا !

محمود محمد بكر هلال

بصمت وهدوء في سبيل رسالتها العلمية والأدبية

وقد استثمرت هذه الجمعية جهادها في التأليف والكتابة فكان إنتاجها ضخما في الكم والكيف بالرغم من أن عمرها لا يتجاوز خمسة عشر عاما . ومن ثمرات هذا الجهاد كتابان تفضل بهما على مؤلفاها الكريمان وأنا في مصر ، وأول الكتابين (السقيفة) لفضيلة الأستاذ محمد رضا المظفر معتمد الجمعية ، وثانيهما (شاعر العقيدة) للأستاذ محمد تقي الحكيم سكرتير الجمعية ، أما الأول فليس من السهل أن أتحدث عنه دون أن أتوفر على دراسة التأريخ الذي تكونت منه فصول الكتاب ، وكنت أود أن يكون غيري هو الذي يكتب عنه ، لذلك سأتناول الكتاب الثاني بشيء من العرض والتعريف وتسجيل بعض الملاحظات بقدر ما تسمح به صفحات الرسالة

(شاعر العقيدة) — كما أراد أن يسميه الكاتب — هو السيد إسماعيل بن محمد الحميري وقد أدرك أواخر العصر الأموي وعاش بقية حياته في ظلال العصر العباسي حيث تتصارع الأفكار السياسية والعقائد الدينية وتتشعب الدروب بسالكيها شعبا متعددة ، فهناك بقايا الخوارج الذائبين ، وشيعة تجمعهم هذه الكلمة في معناها المادي وتفترق بهم مناحي التشيع في مسالك شتى . وهناك طائفة السنة التي كانت تسيطر على السياسة والحكم ، وفي هذا المضطرب الواسع كان السيد الحميري يصطرع مع السياسة والعقائد حتى استقر به المطاف على مذهب التشيع السائد الآن في العراق . وكان تأثير السياسة والعقائد واضحا في شعره وبخاصة الظاهرة الأساسية من ظواهر التشيع وهي (الإمامة) فقد كان يلح بشعره على حديث البيعة وقصة (غدير خم) التي كانت بعد حجة الوداع كم ترويها الكتب التي أوصلها المؤلف إلى ثلثمائة ، ومعظمها — كما يقرر — مروي عن طرق السنة

وقد أراد المؤلف الفاضل أن يلم بدراسة هذا الشاعر ويستخرج من المصادر المتفرقة صورة تطمئن إليها النفس عن نسبه وحياته العقلية والمادية والأدبية والدينية ، وقسم الكتاب إلى قسمين : أولهما : في نشأة الشاعر وتقلبه في مراحل العقيدة وشعره الذي يصور هذه العقيدة ، وثانيهما : دراسة هذا الشعر على ضوء النقد والتحليل . وقد وفق الكاتب في القسم الأول حين عرض لنشأة الشاعر في البصرة وتطوره من خارجي — ورث ذلك عن أبويه — إلى شيعي كيساني فجعفري . وصراعه مع أبويه اللذين ينكر عليهما بغضهما الإمام عليا وينكران عليه تشيعه ، كما أن وصف البصرة وما فيها من حلقات علمية ودينية واختلاف السيد الحميري إلى هذه الحلقات التي انتهى منها بالتشيع ، وتحدث عن صلته ببقايا الأمويين ثم العباسيين. وقد كان في كل ذلك يقارن ويوازن ويدرس الروايات المتناثرة ثم ينتهي منها إلى رأي أو حكم لا يخلوان من أصالة في معظم الأحيان . ولكن الذي يؤاخذ عليه الكاتب الفاضل أنه وزع البحث توزيعا يكاد يضطرب على القارئ فهو لم يعقد فصلا خاصا عن أثر العقيدة في شعر الحميري بل نثر هذه الظاهرة البارزة في أماكن مختلفة لو أتيح لها أن تلتقي في مكان واحد لكانت فصلا قيما . ولعل هذا العنوان الذي اختاره الكاتب يكاد يتضاءل عند التطبيق على فصول الكتاب . فقد كان الأجدر به أن يعقد فصلا خاصا بالبيئة المصرية في مختلف نواحيها ، وفصلا عن نشأة الشاعر والنقلات المذهبية التي رافقت حياته ، ثم فصلا عن أثر هذه العقائد في شعره إلى جانب الأثر القبلي ، وأن يكون البحث في صلة برجال الحكم والسياسة مستقلا إلا بمقدار ما يتصل بالعقيدة . على أنني لا أنكر — كما قلت — أن الكاتب قد تعرض لذلك بإسهاب ولكن منهج البحث قد اضطرب عليه . أو أنه اختار لنفسه منهجا أدى به إلى هذا التقسيم المشوش . وإذا كان الكاتب قد استعان — كما يقول — بعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرهما فإن استعانته تكاد تتضاءل في المواطن المهمة ومنها تصوير المجتمع تصويرا واضحا ليصل منه إلى دراسة الشاعر دراسة واضحة ، ثم دراسة العقيدة الدينية من حيث هي بوصفها ظاهرة اجتماعية وبوصفها عاملا قويا في تكوين حياة المرء وسلوكه الخارجي وما ينتجه هذا السلوك من صور أدبية ، ثم تطبيق هذا الإنتاج على مظاهر تلك العقيدة ، لاشك أن اضطراب المنهج أضاع على الكاتب أن يجعل من تلك الدراسة المتينة فصولا

يستقل أحدهما عن الآخر ليصح معها التدرج المنهجي ، وهذا الاضطراب هو الذي أوقع الكاتب في زاوية ضيقة المنافذ حين تحدث عن صلة الشاعر بالعصر الأموي المحتضر وموقفه من ذلك العصر فقد قال :

(.. وقد كان لها — أي الدولة الأموية — من سياستها « المكيافيلية » الوصولية التي كانت تبرر في سبيل السلوك إلى غايتها أية وسيلة دنيئة ما يحسس الرأي العام ويحفزه إلى نقد أعمالها والنقمة عليها .. وهذا ما يعلل كثرة الناهضين عليهم من القادة والعاملين على تقليص نفوذهم . على أن كثيرا من الناس — ومنهم صاحبنا — كانوا لا يقرون لها خلافة ولا يرونهم أهلا لها مع وجود أربابها الشرعيين من أهل البيت .)

أليست هذه العبارة مضطربة لا تلتقي عند النقطة التي يجب أن تلتقي عندها في حياة الشاعر وعقيدته؛ فلو أن الكاتب الفاضل أشار إلى العقيدة الإسلامية من حيث هي وتعرض للنص الصريح في الصفات التي يجب أن تتوفر في الخليفة واعتقاد الشاعر هذا النص لانتهى إلى تحديد الثورة عند الشاعر ولا كتفى بالفقرة الأخيرة ولم يتعرض إلى سياسة الأمويين (الميكيافيلية) فالثورة هنا هي ثورة عقيدة دينية هاشميـــة علوية لا ثورة على السياسة (المكيافيلية) لأن العباسيين لم يكونوا بأقل (مكيافيلية) من الأمويين؛ ومع ذلك فإن الشاعر وقف يمدحهم ويؤيدهم . وقد أشار الكاتب الفاضل إلى هذه النقطة الأخيرة متفقا مع الدكتور طه حسين في حديث الأربعاء على مدح السيد الحميري للعباسيين وأنه لم يكن عن تقية : (لأنهم من بني هاشم وبنو هاشم بالنسبة إليه على حد سواء)

أما دراسة هذا الشعر من حيث قيمته الفنية ومقدار استجابته للصدق في التعبير والشعور فقد كان الكاتب موفقا إلى حد كبير فيها ، وقد تعرض لمقدار الثروة الشعرية التي خلفها ، واضطراب الرواة في تقدير هذه الثروة ، وأشار إلى آراء النقاد الأقدمين في قيمة هذا الشعر ، وأضاف إليها شيئا من آراء المحدثين — وقد أعجبتني من الكاتب لفتته البارعة إلى شعر الحميري بقوله :

« فبعضه يرتفع بصاحبه إلى القمة وبعضه الآخر يهبط به إلى الحضيض ، ووسط بين هذا وذاك . » كما أنه أشار إلى أن بعض هذا الشعر يكاد يدس على الشاعر وينسب إليه نسبة لا تليق بذلك العصر . هذه لفتة بارعة — كما قلت — وقد عرض عليها بعض القصائد المدسوسة ، أو التي انحط بها الشاعر ، ولكنه نسي أن يعرض عليها قصيدته المشهورة التي شغلت شيئا من جهد الكاتب في معرض الحديث وهي :

لأم عمرو باللوى مربع طامسة أعلامها بلقع

إني أشك في كثير من أبيات هذه القصيدة لا في فكرتها وموضوعها ولكن لموسيقاها اللفظية وانسجامها مع ذلك العصر الذي اشتهر بجودة الاختيار وحسن الإيقاع ، فقوله :

فعندها قام النبي الذي كان بما يؤمر به يصدع

يخطب مأمورا وفي كفه كف على ظاهرا تلمع

رافعها ، أكرم بكف الذي يرفع والكف (الذي) يرفع

إنها فكرة السيد الحميري التي يرددها في معظم قصائده ولكنها ليست موسيقاه ولا ألفاظه بغض النظر عما في بعض أبياتها من اضطراب في النحو واللغة

وقد كنت أود ألا يقتحم الكاتب باب الغزل والنسيب وما يتصل بالمرأة في هذا الكتاب لأن العنوان لا يتحمل أن يندرج فيه ما ليس منه

أما أسلوب الكتاب فيبدو قصصيا في بعض الصفحات وبخاصة في حديثه عن نشأة الشاعر الأولى ، وخطابيا في بعضها الآخر ، وهو في الأول متأثر بأسلوب الدكتور طه حسين

ومهما يكن من شيء فإن في الكتاب ذخيرة من بحث واطلاع لا يتوفران إلا للقليل من الشباب الباحثين ، ولعله من خير ما كتب عن السيد الحميري في الأيام الأخيرة . وإذا كانت هناك ملاحظة أخرى فهي ملاحظة شكلية تتعلق بطبع الكتاب فقد كنت أود أن يطبع طبعا ممتنى به ، ولقد نسيت أن أقول إنه الحلقة الحادية عشرة من سلسلة (حديث الشهر) التي يصدرها في بغداد السيد عبد الأمير السبيتي وهذا جهد يشكر عليه

القاهرة ابراهيم الوائلي



لكل جواد كبوة

أخى فى العروبة والإسلام الأستاذ أنور المداوى

سلام الله ورحمته وبركاته عليك . وبعد فهل لهذه الكلمة الوجيزة مدخل فى باب تعقيباتك كما كان للكلمة التى دعت إلى كتابتها ؟ ؟ أجل إن فى رحابة صدرك وكرمك مالا يضيق بها ولا يضن عليها بالنشر

فى الصفحة التاسعة عشرة بعد المائة من العدد السادس عشر بعد التسعمائة من مجلة الرسالة كلمة كنا — وكان كل عربى صادق العروبة وكل مسلم صحيح الإسلام — نربأ بمجلة الرسالة — وهى مجلة العروبة جمعاء — أن تدنس إحدى صفحاتها بها — وكنا — كما كان غيرنا — نجل تلك الصحيفة الكريمة أن تكون فيها كالقذاة فى العين النجلاء

هى (فهناك طائفة الوهابية وطائفة الإسماعيلية وطوائف أخر تتحدى وتتذر وتبذر بذور الشك فى عقيدة المسلمين على مرأى ومسمع من علماء الإسلام الذين أطالبهم ويطالبهم معى آلاف الشباب الأزهريين أن يضعوا حدا لهذه المهزلة العلمية وأن ينتجوا إنتاجا يتحصن به أبناؤهم ضد هذه التيارات المتباينة والآراء الخطيرة . ولست أول من جهر بهذا الرأى فقد سبقنى إليه أساتذة أجلاء أذكر من بينهم أستاذى الدكتور محمد يوسف موسى . (محمد إبراهيم الخطيب — كلية أصول الدين)

يا سيدى الأستاذ إذا كان هذا مبلغ طلبة كلية أصول الدين من العلم عن دينهم، وهذا غاية ما وصلوا إليه من معرفة آراء الفرق الإسلامية واختلاف مذاهبها ومعتقداتها — أيصح أن يتقبله أستاذ مثقف واسع الاطلاع حر الفكر صافى العقيدة على علاته تقبل المطمئن إليه ، الواثق به ، المقتنع بصحته ، العارف بما يرمى إليه ، تقبلا ووثوقا واقتناعا ومعرفة برز أثرها فى (التعقيبة) التى اختتمها الأستاذ المداوى بقوله (حسبنا هذا وحسب الأديب الفاضل أن يكتفى منا بهذا التعقيب، وحسب القراء أنهم استمعوا لهذه المشكلة من هذا الطالب الحزين) ؟

طائفة الوهابية فى أول (قائمة) الطوائف التى تتذر وتبذر بذور الشك فى عقائد المسلمين ؟ «ما يكون لنا أن نتكلم بهذا — سبحانك هذا بهتان عظيم»

ليس الأستاذ المداوى وليس أستاذنا الكبير الزيات وليس قراء مجلة الرسالة — وهم الصفوة المختارة من أبناء يعرب وعدنان — فى حاجة إلى التدليل على أن أولئك القوم الذين ينبزهم الشعوبيون المغرضون بلقب (الوهابية) لا يميزهم عن غيرهم من المسلمين ميزة فى معتقداتهم — ولا ينفردون عنهم برأى دينى ولا يذهبون إلى قول من الأقوال التى تخالف ما عليه الصدر الأول من المسلمين — النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعيهم باحسان وأنهم يستقون التعاليم الدينية من معينها الصافى من الشوائب والكدر — القرآن الكريم والصحيح من سنن المصطفى عليه صلوات الله وسلامه

للطالب فى كلية أصول الدين واسع العذر بجهله حقيقة الإسلام إذا كان — كما يقول فى كلمته — يدرس فى كليته العقيدة دراسة أشد تعقدا من ذنب الضب ... لا يكاد يصل إلى نتيجة فى بحث إلا وجدها مهددة باعتراضات بيزنطية أشد فتكا بالعقول من القنابل الذرية ... وله أن يجهل أنه يسيء بكلمته إلى قسم عظيم من إخوانه المسلمين فى الوقت — بل فى اليوم — الذى يقوم فيه فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بتكريم رئيس علماء ذلك القسم

إى أخى أنور — إذا كان مبلغ الدكتور محمد يوسف موسى من العلم — ونعوذ بالله أن يكون ذلك مبلغه — وإذا كانت غاية ما وصل إليه فى دراساته — ونجله قدرا من أن تكون تلك غايته — إذا كان مبلغه من العلم وغايته هو أن يجهل من حقائق الإسلام الصحيحة ومن مذاهب أهلها ما علمه المستشرق اليهودى (جولد زيهر) الذى اشترك الدكتور فى ترجمة كتابه

(تاريخ العقيدة والشريعة فى الإسلام) فعلى الغرب وجامعاته وشهاداتها العالية — العفاء —

وبعد فهل تقبل أيها الأستاذ هذه التحية المشوبة بشئ من العتب

إذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقى العتاب

(الرياض) حمد الجاسر

شيخ الناشرين :

قال لى صاحب من أهل الأدب إن آل المرحوم مصطفى محمد شيخ الناشرين احتفلوا بمرور أربعين ليلة على وفاة عميدهم ، وإن أحدا من الأدباء لم يذكر هـــذا الجندى المجهول فى مقالة أو بعض مقالة

والحق أن مصطفى محمد خدم الأدب وأنشأ أدباء ، ولم يكن هو أديبا ولا شبه أديب وإنما كان من أولئك الوراقين الذين يعرضون بضاعتهم المزجاة للقارئين — وما أقلهم — ثم سما به الجد فجعل من نفسه « حاميا » للمؤلفين كما كان يحلو له أن ينعت نفسه فى بعض الأحيان

ولقد عرف المستشرقون قدر مصطفى محمد فنوه كثير منهم بالمؤلفات التى نشرها وأذاعها ، وبصرنا باسمه فى أكثر من ثبت ، وفى غير فهرس

ولم يكن — رحمه الله — يؤمن بالإعلان عن المؤلفات فعنده أن القارئ يطلب الكتاب واقعا حيث وقع فلا جدوى — فى رأيه — من الإعلان والبروباجندا !

وكان مصطفى محمد يفخر بأن بعض الشباب الناشئين الذين قدمهم إلى جمهور القارئين بلغوا على يديه من المجد والشهرة حتى وصلوا إلى أعلى المناصب

وكان — رحمه الله — عيوفا إلى حد التكبر ، فما عرفنا أنه طلب إلى ذى منصب حاجة إلا فى إباء وكبرياء وكان لا يقبل الدنية فى دينه ولا فى دنياه ، ومن هنا كان الدين الذى له فى أعناق عارفيه كبيراً . ومع هذا لم يؤد أحد منهم بضعة من هذا الدين . وإذا استثنينا رصفاءه من أصحاب المكتبات والمطابع فان أحداً من المؤلفين والأدباء لم يذكره بكلمة خير يوم منعاه !

إن مصطفى محمد من أولئك الجنود المجهولين الذين وقفوا حياتهم لخدمة العلم ، وماتوا ولا وهن ولا هان . ولئن عاش مجهولا ومات مجهولا ، فحسبه أن يذكر فضله فى ذمة الله . عليه رضوان الله

منصور جاب الله

تحقيق وفاة البرعى

ردا على سؤال الأستاذ عبد السلام النجار بالعدد (٩٢٠) من الرسالة أشكر الأستاذ الزيات على تصويب التصحيف الذى فرط منا أثناء النقل من كتابنا « تاريخ البديع »

وأضيف إلى ذلك أنى لم أخالف الأستاذ النجار فى مصدره إذ أن السخاوى وابن عبد السلام وابن العماد والشوكانى لم يذكروا شـــيئاً عن الشيخ عبد الرحيم البرعى فى وفيات القرن التاسع . ولم أخالف السيد محمد زبارة إلا لقصد التوفيق بين الروايات فقد ورد فى فهرس الأدب رقم (٣) بدار الكتب المصرية ما نصه : « .. العارف بالله الشيخ عبد الرحيم بن أحمد البرعى اليمنى كان موجوداً فى القرن الخامس ... » ، وذلك ما جعلنى أرجح — أول الأمر — أن وفاة البرعى كانت سنة ٨٠٤ هـ وأحسب أن الناقلين تصحفوا عليه فوضعوا الرقم (٤) مكان الرقم (٨) فحدث الخطأ وحسبوه من رجال القرن الخامس

وقد خاطبت هذا الأسبوع فضيلتى الأستاذين الشيخ زاهد الكوثرى وأحمد خيرى بك عسى أن يكون عندهما بعض المصادر التى تؤيد إحدى الروايتين . وقد أكد ما ذكره السيد فى ملحقه (٦) من أن وفاة البرعى كانت سنة ٨٠٣ هـ . وصحح الأستاذ أحمد خيرى بك هذه الرواية فى صفحة « ٧٢ » من كتابه « إزالة الشبهات » وكتب إلينا بذلك والكتاب على وشك الطبع

وأخيراً أشكر الأستاذ النجار حيث أتاح لنا فرصة تحقيق وفاة الشيخ البرعى بعد أن اضطررنا إلى التوفيق بين الروايات المضطربة

حامد حفنى داود



السر..

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

الأستاذ حسين أحمد أمين

تسألينني أيتها الصديقة أن أسرد عليك أكبر الحوادث أثرا في حياتي وأعلقها بذاكرتي .. وبما أني قد خلفت ورائي الشباب بمراحل طويلة ولم يعد لي من الأقارب من أهتم له، لذلك لا أجد غضاضة في أن أسر إليك بما تبتغين على ألا تعيديه لأحد، فإن لم تجدي القدرة على الكتمان فلا بأس برده إذا لم تذكري اسمي

تعلمين أني قد اتخذت لي في حياتي عشاقا من الكثرة بحيث لا أذكر عددهم . وأنني بادلت بعضهم حبا بحب، فقد كنت جميلة فاتنة وكان الحب بالنسبة إلى دعامة الروح لا تستغني عنه كما لا يستغني الجسد عن التنفس . كنت أفضل الموت على الحياة دون حب ودون أن أشعر بأن هناك من يفكر في طوال الوقت ويرغب في رضاي . وقد تفخر الكثيرات من النساء بعجزهن عن الحب سوى مرة واحدة وبأنهن إن وهبن قلوبهن إلى رجل فإلى الأبد لا يتحولن عنه . أما أنا فقد أحببت رجالا كثيرين معتقدة في كل مرة أني سأحبه إلى الأبد وأن عاطفتي نحوه لن تتضاءل . لكنها كانت دائما تتضاءل كالنار التي لا تزودها بالوقود .. وينتهي بها التضاؤل إلى الموت ..

واليوم أذكر لك مغامرتي الأولى . . ورغم أنها بريئة تماماً إلا أن في تربتها تكونت البذرة التي تفرع عنها سائر المغامرات

كان زوجي كونت هيرفيه دو — رجلا واسع الثروة من عائلة عريقة ولم أكن أحمل في قلبي له ذرة من الحب .. فالحب في رأيي يتطلب لوجوده الحرية والصعاب . أما الحب الذي ينظمه القانون ويحميه، وتباركه الكنيسة فسرعان ما تخمد جذوته ..

وما قيمة القبلة المشروعة إذا قيست بالقبلة المغتصبة ؟

كان زوجي طويلا ضخم الجسم نبيل الطلعة . غير أنه كان غبيا إلى أقصى حد، فالمناقشات معه مملة وملاحظاته تافهة وعقله جامد لا يتطور ولا يسمح بدخول أفكار جديدة إليه

كنا نعيش في منزل كبير بالريف وقد مضى على زواجنا عام واحد . . وكانت تحوطه الأشجار من كل جانب . وفي نهاية الحديقة تجد بحيرتين واسعتين مليئتين بالأعشاب المائية وبينهما كوخ صغير بناه زوجي لاستعماله عند صيد البط

وبالإضافة إلى خدم المنزل، كان يعيش معنا حارس مخلص لزوجي كل الإخلاص تابع له في غدواته وروحاته، ووصيفة لي تحبني وأحبها كالأصدقاء، كنت قد أحضرتها معي من إسبانيا ورغم أنها كانت في السادسة عشرة من عمرها إلا أن الناظر إليها يحسبها في العشرين ...

وبدأ في الخريف موسم الصيد . فكنا أحيانا نصطاد في ضيعتنا وأحيانا في ضيعة جيراننا . . وكان البارون دو — على الأخص موضع اهتمامي . . فلما انقطعت زياراته لنا فجأة انقطعت عن التفكير فيه . . غير أني بدأت ألاحظ منذ ذلك الحين تغيرا طرأ على علاقة زوجي بي . فقد بدأ لي غامضا تنتابه الهواجس ولم يقبلني . . ورغم أنه لم يعد يدخل إلى في حجرتي الخاصة إلا أنني كنت أسمع أثناء الليل خطوات مسترقة تقف عند باب الحجرة بضع دقائق ثم تعود أدراجها .. وكنت أسمع وقع أقدام في الحديقة ليلا تذهب وتجيء تحت نافذة حجرتي فلما سألت زوجي عنها نظر إلى نظرة طويلة ثم قال : لاشيء .. لاشيء .. لابد أنه الحارس

* * *

وفي إحدى الأمسيات — بعد أن انتهينا من العشاء — بدأ زوجي في اضطراب نفسي شديد . . وإذا به يسألني بغتة : هلا خرجت معي إلى الضيعة نصطاد ثعلبا اعتاد غشيانها كل ليلة ؟

ودهشت لسؤاله وترددت، غير أنه كان ينظر إلى في إلحاح شديد فأجبته أخيرا . بالطبع يا عزيزي . .

وأرى لزاما على أن أخبرك أنني كنت أصطاد الثعالب كالرجال . . فلم يكن هناك ما هو غير عادي في سؤاله . لكنه ظل طيلة المساء يقطع الردهة في خطوات قلقة وقد بدا على وجهه الهم . .

وفى العاشرة سألنى فجأة : هل أنت مستعدة ؟ فأجبته بالإيجاب وخرجت معه .

وسألته . أأضع فى بندقيتى الرصاص أم (الخراطيش) ؟ فحملق فى دهشا بعض الوقت ثم قال : فلتستعملى (الخراطيش) ففيها الكفاية . .

ثم أضاف فى لهجة غريبة . ما أبردك !

فضحكت قائلة : ما أبردنى ! ؟ وما حاجتى إلى البرودة فى صيد ثعلب ؟ ما هذا الذى يشغل فكرك ياعزيزى ؟

واخترقنا الحديقة فى سكون حتى وصلنا إلى حافة البحيرتين فوقفنا أمام الكوخ الذى علينا أن ننتظر فيه قدوم الثعلب . .

وسألنى زوجى أن أدخل أولا ... ثم أحدث فجأة صوتاً ببندقيته أرعبنى ... ورآنى أرتعش ...

وسمعته يقول : يكفى هذا الاختبار ... باستطاعتك الرجوع ... فدهشت كل الدهشة وقلت له : إننى لم أحضر هنا كى أرجع ثانية ما أغربك الليلة !

قال : كما تشائين ...

وانتظرنا نصف ساعة دون حراك ولم نسمع للثعلب صوتا فسألت زوجى هامسة : أمتأكد أنت أنه يأتى من هذا الطريق؟ فبدا عليه الرعب من قولى هذا واجاب : أجل ... متأكد تماما

وحفنا السكون ثانية مدة طويلة ... وإذا بزوجى يمسك بذراعى فجأة ويقول : أترينه ؟ إنه هناك ... تحت الأشجار

ونظرت جاهدة فلم أتبين شيئا ... وجعل زوجى يراقبنى وأنا أنظر ... ثم بدأ يمد بندقيته وبدأت أحذو حذوه ..وفجأة ، وعلى بعد ثلاثين خطوة رأيت رجلا يبرز فى ضوء القمر متسللا وقد حنى جسمه كأنما يفر من شئ ...

وأصابنى الفزع فصدرت عنى صرخة عالية ... وقبل أن أستطيع حرا كا سمعت صوتاً مدويا ورأيت الرجل يسقط على الأرض كالذئب وقد اخترقته الرصاصة

وجن جنونى فبدأت أصرخ ... وأمسكنى زوجى بقسوة من رقبتى ورمانى على الأرض ثم جرى نحو الجثة الراقدة على الحشائش والقانى عليها بقوة كأنما يريد أن يكسر رأسى ... لقد كان ينتوى قتلى ... لكنه ما إن رفع حذاءه كى يحطم به وجهى حتى رأيت ذراعين يحوطانه ويلقيان به على الأرض

ووقفت بسرعة ... وإذا بى أرى وصيفتى وهى تنهش زوجى بأسنانها كالهرة وتمزق وجهه ولحيته بأظافرها ... ثم رأيتها تتحول عنه فجأة إلى الرجل القتيل وبدأت تقبل عينيه وشفتيه وهى تستخرط فى البكاء ...

وقام زوجى ورأى وصيفتى تبكى حبيبها فعرف الحقيقة ورمى بنفسه عند قدمى قائلا :

— سامحينى يا حبيبتى . . لقد شككت فيك وقتلت عشيق الفتاة . . لقد ضللنى الحارس . .

أما أنا فبقيت أنظر إلى عناق الحى الميت وأستمع إلى بكاء المرأة على حبها . .

. . فى هذه اللحظة تبينت أنه من المستحيل أن أظل مخلصة لزوجى . .

حسين أحمد أمين

اعــــلان

عن الدفعة الخامسة للمبيعات

يتشرف مدير عام مصلحة الأملاك الأميرية ... باحاطة الجمهور علما بأن المصلحة ستعرض بيع الاراضي الآتي بيانها :

أولا : بتفتيشي دسوق وبيلا ومديرية البحيرة بالممارسة لمن ينطبق عليهم شروطها أو بالمزاد المحلي لاهالي الجهات السكانية بها هذه الاطيان بشروط سهلة وبيانها كالآتى :

اسم المنطقة	التفتيش أو المديرية	عدد القطع بالتقريب	المسطح بالتقريب فدن	تاريخ جلسة المزاد	مكان انعقاد الجلسة
زبيده البحرية	دسوق	١٠٠	٣٩٤	١٠ إبريل سنة ١٩٥١	ديوان التفتيش
أبطووسدخميس	دسوق	٤٦٠	١٠٥٠	من ١٥ إلى ١٩ إبريل سنة ١٩٥١	ديوان التفتيش
حوش عيسى (النوباريه)	البحيرة	١٥٠	١٠٠٠	من ١٧ إلى ١٩ ابريل سنة ١٩٥١	نقطة بوليس حوش عيسى
الحامول	بيلا	٢٥٠	١٢٠٠	من ٢٠ إلى ٢٤ مايو سنة ١٩٥١	ديوان زراعة الحامول
حوش عيسى (النوباريه)	البحيرة	٢٠٠	١١٩٠	من ٢١ إلى ٢٣ مايو سنة ١٩٥١	نقطة بوليس حوش عيسى

فعلى من تنطبق عليهم قواعد البيع بالممارسة للمساحات المبينة أعلاه أن يتقدموا فورا لسداد معجل الثمن للجان البيع حسب الشروط الموضوعة لذلك بحيث إذا حل موعد الجلسات المحددة ولم يدفعوا المطلوب منهم فالمصلحة في حل من بيع الاطيان بالمزاد

ثانيا : بمديرية جرجا والجيزة بالمزاد العام بالتقسيط بشروط سهلة مناسبة وبيانها كالآتى :

اسم المنطقة	المديرية	عدد القطع بالتقريب	المسطح بالتقريب فدن	تاريخ جلسة المزاد	مكان انعقاد الجلسة
بنى سلامه ووردان (امبابه) وكفر الجبل (الجيزة)	الجيزة	٢	١٧٨	١٥ ابريل سنة ١٩٥١	ديوان المصلحة

ويمكن الحصول على كافة المعلومات من ديوان المصلحه بشارع منصور رقم ١٥ أو من ديوان التفاتيش والمديريات التابعه لها هذه الاطيان .

٧٨٥٢

صدر اليوم

مواكب الذكريات

للشاعر الحجازى الموهوب الأستاذ

حسن عبد الله القرشي

آفاق جديدة من الشعر الحي الجديد

يطلب من مكتبة النهضة ٩ شارع عدلى ومن ادارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة — الثمن ٣٠ قرشاً



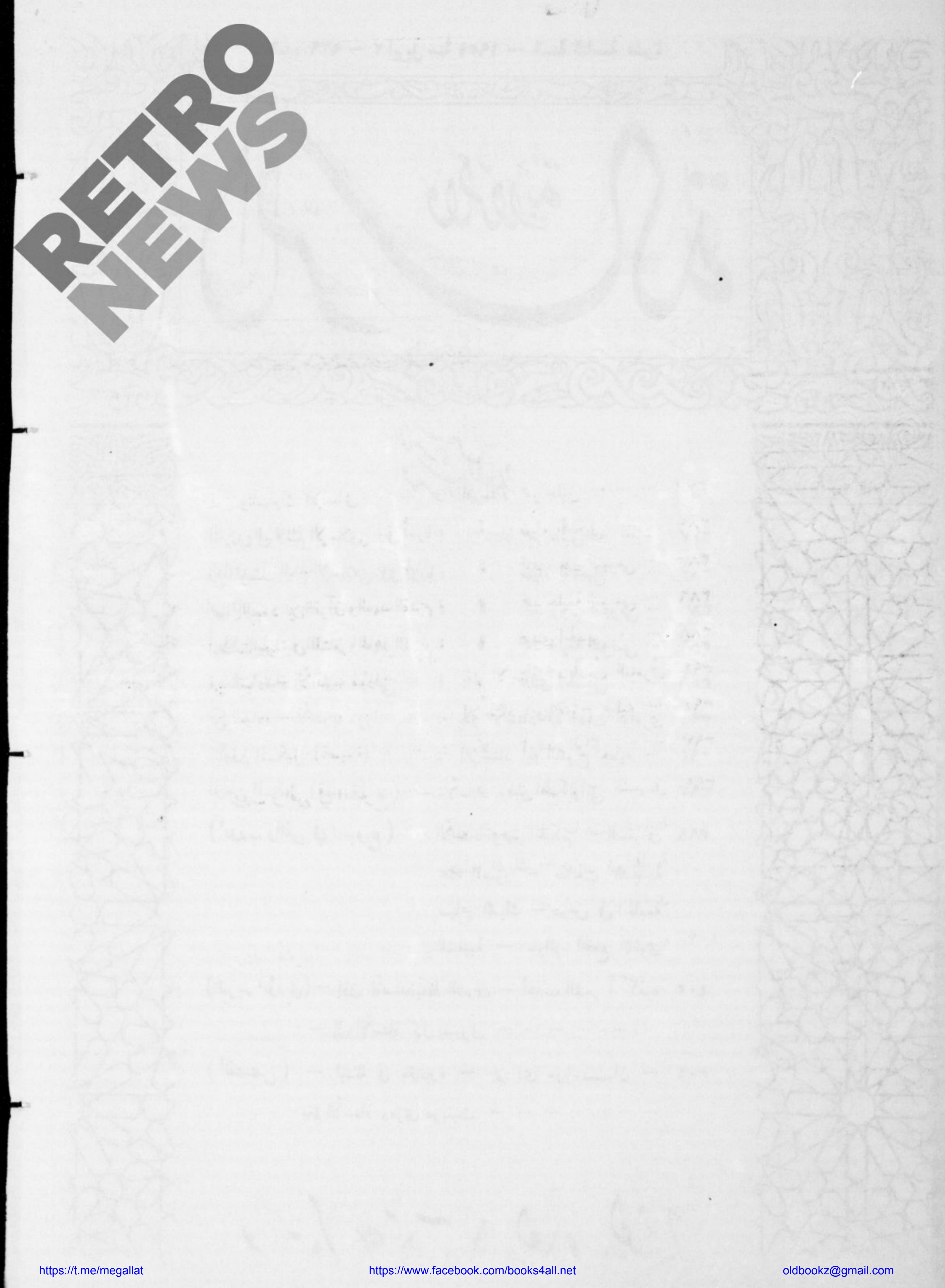
مطبعة الرسالة

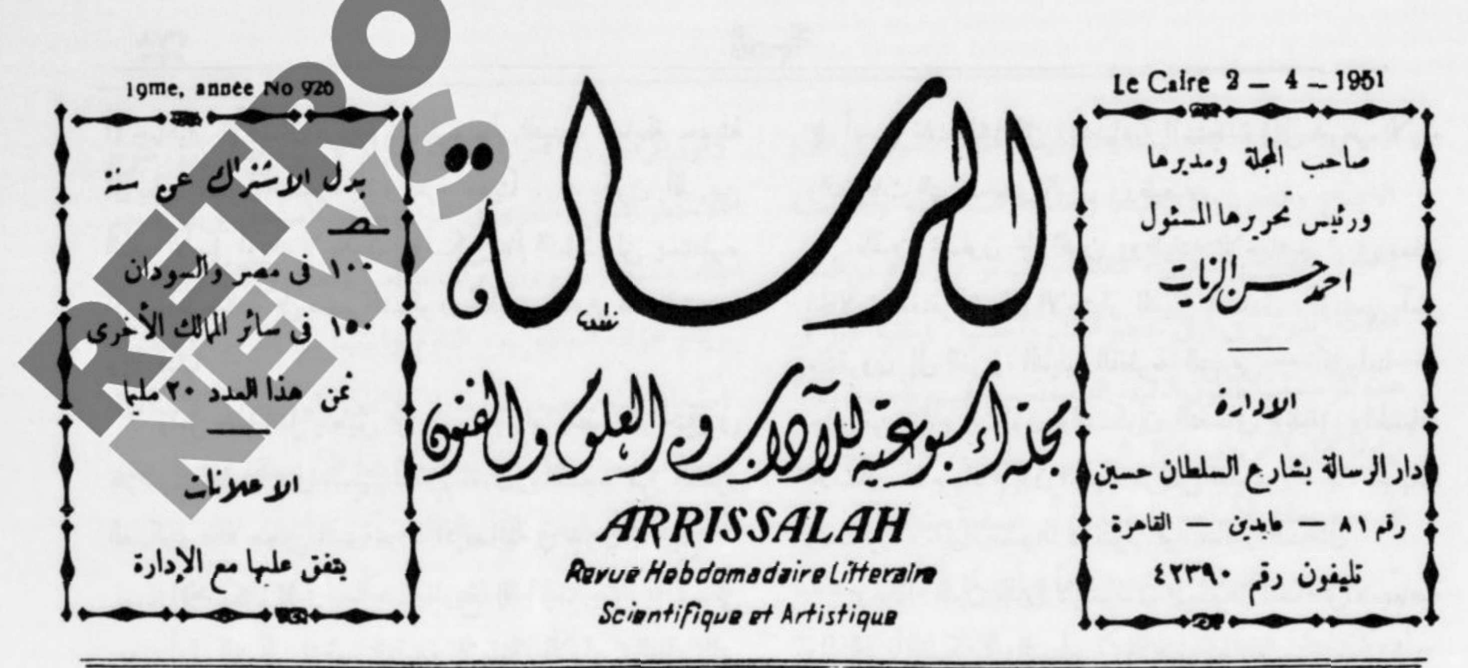


العدد ٩٢٦ — ٢ ابريل سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد





العدد ٩٢٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠ — ٢ إبريل سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

٨- الدين والسلوك الانسانى

للاستاذ عمر حليق

الجماعة الدينية :

توصلنا فى الفصل السابق من هذه الدراسة إلى القول بأن وظيفة الدين لتحقيق التكافل الاجتماعى فى الجماعة الإنسانية تتوقف على صدق الإيمان والاختبار الدينى لدى أعضاء تلك الجماعة وعلى مدى تحديد العقيدة الدينية التى تدين بها الجماعة لأسس ذلك التكافل

ورأينا أن سلامة العقيدة الدينية وصيانتها من التحوير والتبديل شرط أساسى لحفظ ذلك التكافل الاجتماعى (١) وهذا لا يعنى الجحود والتعصب وإقفال باب الاجتهاد

فالمشكلة فى صيانة العقيدة وسلامتها ووصف المدافعين عنها بالجحود والرجعية والمعتدين عليها بالإلحاد والزندقة ترجع إلى الخطأ فى تفهم معنى السلامة ومغزى الصيانة

فإذا كان للدين أن يكون وسيلة جوهرية فعالة لحفظ التكافل الاجتماعى وتنميته يجب أن تحدد وظائفه ومعانيه. وهذا التحديد لا يمكن أن يمس العقيدة لأن العقيدة فطرة وغريزة كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم (٣٠ ، ٣٠) « فأقم وجهك للدين حنيفا. فطرة الله التى فطر الناس عليها . لا تبديل لخلق الله. ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون» . وقد استعرضنا فى مكان آخر من هذا البحث رأى بعض علماء الاجتماع والأنترولوجيا فى صدق هذا القول

فالاجتهاد إذن فى بحث الفلسفة الدينية لا يخضع لأصول المنطق العلمى إذا توخى التعرض للدين من حيث أنه عقيدة . فالعقيدة الدينية قديمة فى السلوك الإنسانى قدم الأزل لم يطاوح بها تطور الفكر الإنسانى فى العلوم والفنون

ولئن سعى بعض الناس إلى تحديد معنى الدين ووظائفه فإن سعيهم هذا كثيراً ما يعد من قبيل سوء الاجتهاد إذ اتعمد مس العقيدة مسا رقيقا أو غير رقيق

والاجتهاد الذى من هذا القبيل يبدأ فى هدم الأساس الذى يحاول واعيا أو غير واع أن يبنى عليه تكافلا اجتماعيا جديداً

فالعقيدة فطرة غريزية وظيفتها محددة معينة أصولها فى النظام الكونى والتكوين النفسانى والجسمانى للانسان . ولقد أصاب الغزالى حين شبه العقيدة الدينية بجذع الشجرة ووظائف الدين

---

(١) تأخذ الكنيسة الكاثوليكية بهذا الرأى وقد شرح هذه الحقيقة بإسهاب قداسة البابا بيوس الثانى عشر (عاهل الفاتيكان والكنيسة الكاثوليكية حاليا) فى منشوره البابوى عن العقيدة الصادر عن روما فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٥٠

الاجتماعية بالأغصان . وقد يستطيع عالم النبات بمعادلة حديثة أن يطعم غصون الشجرة لتؤتى ثمراً حديثاً . قد يكون ألذ من الثمر الأصلى أو قد لا يكون ولكن عالم النبات لن يستطيع أن يساط معادلة على صميم التكوين الطبيعى لجذع تلك الشجرة وإلا قتلها

ولعل هذا المثل ينطبق على سوء اجتهاد بعض الباحثين فى تعرضهم للعقيدة وفى سعيهم لتطعيم الدين بالمستجد من التطور الفكرى والاجتماعى الذى عمر به الإنسانية فى مجرى التاريخ

والإشكال الذى صاحب تاريخ الديانات يعود إلى سعى بعض أولى الفكر لتطعيم العقيدة الدينية بالآراء والنظم التى استمدوها ، من بيئتهم الاجتماعية والفكرية. وهذا خطأ وصوابه أن توجه تلك النظم والآراء الفكرية والاجتماعية بحيث تلازم جوهر العقيدة الدينية . وذلك لسبب بسيط وهو أن العقيدة فطرة فريزية هى من صميم الوجود ؛ بينما النظم والآراء المستجدة متقلبة تبعاً لتطور الفكر والبيئة والأوضاع السياسية والاقتصادية

فالصراع يصبح إذن بين الفريزة الفطرية السليمة وبين البيئة والتطور الفكرى . فالأولى أبدية راسخة والثانية متقلبة بتقلب الظروف والملابسات

والاجتهاد عادة ضرورية للنمو العقلى . فإنك لن تستطيع أن توقف عقرب الساعة وتؤجل استمرار الزمن . والمشاكل الاجتماعية تختلف باختلاف المجتمعات والأزمنة، ولابد للدين أن يؤدى وظيفته الاجتماعية إلى جانب وظيفته الروحانية الفطرية الغريزية . ولن يكون ذلك بإقفال باب الاجتهاد على النحو الذى يدعو إليه بعض حفظة الدين فى إخلاص وصدق لامراء فيهما. فمثل هذه الدعوة هى أيضاً من قبيل سوء الاجتهاد . فهى تنكر على الزمن تطوره وعلى الفكر نموه وعلى المجتمع اضطراد مسيره وميلاد مشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية جديدة فيه

والإخلاص والصدق فى الدفاع عن العقيدة الدينية وجوهرها وأصولها اجتهاد حميد ولكنه لا يكفى لمواجهة التحدى الذى يواجهه الدين فى عالم يزخر بالمستجد من المشاكل والآراء والنظريات التى لم يعالجها الدين فى القرون الغابرة

وهذا التحدى للعقيدة الدينية وحفظها يستوجب التعرف على أسس تلك المشاكل الاجتماعية المستجدة وعلى جوهر الآراء والنظريات التى تتحدى الدين ووظيفته

فالذين يحملون على الدين ووظيفته الاجتماعية هم فى معظم الحالات مفتقرون إلى الاختبار الدينى الصادق ، أو بمعنى آخر مفتقرون إلى الغريزة الدينية الفطرية التى هى — كما رأينا — جزء من نظام الكون والتكوين النفسانى والعقلى والجسمانى للانسان . فاجتهادهم إذن اجتهاد مريض فقد غريزته فجاء اجتهاده وتفكيره وتحليله مشوها لا تتوفر فيه عناصر الكمال

وحفظاء الدين الذين لا يتعرفون على جوهر المشاكل الاجتماعية والمذاهب الفكرية والسياسية والاقتصادية المعاصرة عاجزون — سواء اعترفوا بذلك أم لم يعترفوا — عن صياغة اجتهادهم فى قالب يحقق النفع الجزيل . فهم والحالة هذه يقفلون باب الاجتهاد ويحولون بين الدين وتأدية وظيفته الاجتماعية — سواء أدركوا ذلك أم لم يدركوه

فلو طبقت هذا الوضع على حاضر العالم العربى لوجدت كلا النقيضين ولوجدت تحديا للدين من جماعة فقدوا غريزتهم الدينية الفطرية — أو طمروها تحت ركام من التعليل المنطقى السيء — ولوجدت كذلك إجابة على هذا التحدى من بعض حفظة الدين الذين يفتقرون إلى سلاح المعرفة الحديثة وهى معرفة شاسعة معقدة لا يكفى للتعرف عليها دروس من الجغرافيا والحساب والطبيعة والكيمياء

فالمكتبة العربية فقيرة فقراً مدقعاً فى أكثر ما تطفح به الثقافات المعاصرة من فلسفة ودراسات اجتماعية بنيت عليها المذاهب الفكرية المعاصرة — اجتماعية كانت أم فلسفية أم سياسية أم اقتصادية — التى تتحدى الدين ووظيفته الاجتماعية

ولقد واجهت العقيدة المسيحية فى أوروبا وأمريكا مثل هذا التحدى فى الأزمنة الحديثة فسمت معاقل الديانات المسيحيه لمواجهته بالتسلح بالعلم الحديث

وقد تسنى لكاتب هذا السطور أن يلمس عن كثب ثروة مناهج العلم والتدريس فى بعض المعاقل الرئيسية المسيحية فى أمريكا؛ وبرامج التدريس العالى فى هذه المؤسسات لا تترك شاردة ولا واردة من العلم الحديث إلا خصصت لها حصصاً تتكافأ وأهميتها

ومبلغ تحديها للعقيدة المسيحية الدينية . فهناك فصول فى علوم الاجتماع والنفس والاقتصاد والفلسفة السياسية والهندسية والفيزياء العالية والكيمياء المتقدمة وألف نوع ونوع من العلوم الحديثة تدرس فى أرقى مناهج التعليم وأحدثها . وطلبة العلم فى هذه المؤسسات يلقنون العقيدة الدينية فترسخ فيهم ويؤمنون إيماناً صادقاً مخلصاً ثم يدفعون إلى التحصن ضد أسلحة الإلحاد بالتعرف على جوهر تلك الأسلحة علمية مادية أو فلسفية منطقية

فليس من الغرابة أن تجد قسيساً فى أمريكا الآن بروتستانتيا أو كاثوليكيا يحمل شهادة الدكتوراه فى الاقتصاد أو الهندسة أو العلوم الطبيعية بالإضافة إلى شهادة اللاهوت . بل الواقع ان هذا الاتجاه أخذ ينتشر الآن انتشاراً واسعاً فى معظم المعاهد الدينية فى بريطانيا وأمريكا على وجه الخصوص

وقد لخص أحد أقطاب الفكر المعاصر فى أمريكا[1] هذا الاتجاه فقال : —

« المرء عدو لما يجهل ولكن عداءه يزداد قوة إذا تعرف على ما يجهله واكتشف فيه مواطن الضعف والقوة . فانى أهيب بحفظة الدين وخصومه على السواء أن يحاولوا — قبل أن يتخطوا المنطقة الحرام — التعرف تعرفا إيجابيا صادقا على مواطن الضعف والقوة فى جوهر تلك الخصومة . فهم لابد مدركون بالعلم والدين أنهما متممان بعضهما لبعض وكل ما يستجلب السماحة والحالة هذه ملاقاة بعضهما لبعض على صعيد من المعرفة الحقة لجوهر الأشياء لا لظواهرها . وبهذا تزداد عداوتهما قساوة لا لبعضهما بعضا ولكن للجهل الذى ولد بينهما الخصومة »

ولعل أبرز مزايا حركة الإحياء الدينى للاسلام فى الباكستان تعود إلى تسلح قادتها بهذا السلاح المزدوج الذى قوامه صدق الاختبار الدينى والإلمام بالعلوم الدينية فى أعلى مراقيها

فأنت حين تطالع آثار هؤلاء القادة تلمس اتساع الأفق وقوة الإقناع والاعتزاز بالعقيدة اعتزازاً لا يعود فقط إلى رسوخ الاختبار الدينى والتقوى فى نفوس هؤلاء المصلحين بل إلى إلمامهم إلماماً واسعاً بالعلوم وعلى تراثها المعاصر والقديم فى الشرق والغرب وإلمام هؤلاء السادة بهذه العلوم واستيعابهم للتعاليم الإسلامية استيعابا شاملا مهد لهم سبل الإيمان بقوة الدين الاندفاعية وصلاحها لبناء مجتمع صحيح لا يتعارض مطلقا مع المستجد المفيد فى الحضارات الغربية المعاصرة . وأبحاث هذه المدرسة الفكرية الإسلامية فى الهند والباكستان لا تعتمد على اللفظ والإنشاء والتبرير أو الاعتذار والوقوف موقف المدافع عن الدين وتعاليمه ، وإنما تتوخى تطعيم النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية المعاصرة التى وجدت سبيلها إلى حاضر المسلمين بجوهر العقيدة المحمدية وتعاليمها . وحركة الإحياء الدينى على هذا الأسلوب تترك العقيدة الدينية وشأنها فهى أجل من أن تجادل وتزج فى معترك الجدل البيزنطى ولأنها — وهى غريزة فطرية — لا تستدعى النكران والشك فهى قسم من الوجود الإنسانى وجزء من فلسفته وحقيقته . إنما الاتجاه الرئيسى فى حركة الإحياء الدينى هذه تتوخى صياغة النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى قالب إسلامى . وتراث الإسلام — وهو دين عملى ودنيوى — زاخر بالأسباب التى تسهل هذه الصياغة وتجعل منها أسلوبا جديداً من أساليب الحياة ، حياة الروح والمادة ، وبذلك تحقق للدين تأدية وظيفته الاجتماعية — وهى وظيفة رئيسية على وجه لا يثير الاعتراض ولا يستدعى الثورة الجامحة العاصفة وإنما يستهوى الأفئدة والعقول . فإذا تسلح المصلح بالوجدانيات ، المستمدة من الاختبار الدينى وواجه بها مشاكل المجتمع ، وبالعلم الحديث ثم صاغ الحلول فى قالب منطقى مقبول استطاع أن يوجه الحياة العملية فى نشاط فريد وفى روحانية تجند لنصرتها العقول الدنيوية «العلمانية» التى لا تؤمن إلا بالمنطق المادى والقلوب المؤمنة التى تبحث عن المجتمع الصالح فى إطار الشريعة والحياة الدينية

نيويورك « أبحث صلة » عمر حليق

---

(١) جيمز كانون رئيس جامعة هارفرد فى خطاب له أمام المحفل الأمريكى للكنائس المسيحية عام ١٩٤٩ . أنظر كذلك كتابه : —

J. Cannon Edncation in a Divided world, ٢٨ ، ٣٦

١ – الفـــارابى

فى العالم الاسلامى وفي أوربا

بمناسبة مرور ألف عام على وفاته

للأستاذ ضياء الدخيلى

يقول الأستاذ (كارادفو) فى ترجمته للفارابى بدائرة المعارف الإسلامية: (ومذهب الفـارابى هو مذهب الفلاسفة أعنى الأفلاطونية الجديدة الإسلامية الذى بدأه من قبله الكندى ووجد فى كتب ابن سينا من بعده أكمل عبارة عنه، وقد يكون من الراجح أن الفارابى يخالف الكندى وابن سينا فى بعض المواضع ولكن من العسير تعيين هـذه المواضع، ومن المناسب التحفظ بل الشك فى تفسير ما يتعلق بتفصيل مذهبه. والواقع أنا لا نعرف من آثاره إلا قليلا. ثم إن أسلوبه لا يخلو من غموض وفيما عرفنا من رسائله ما هو مصوغ بصورة حكم فى نهاية الإيجاز من غير نظام فى ترتيبها ثم إنه لا يمكن البت عن يقين بأن مؤلفات كثيرة كمؤلفات الفارابى يتداولها تأثير أرسطو وأفلاطون وأفلاطين تتجرد من التناقض. على أن الفكرة التى تعتبر قاعدة لهذا المذهب وهى التوفيق بين أرسطو وأفلاطون من ناحية، وبين هـذه الفلسفة الملفقة والعقيدة الإسلامية من ناحية أخرى ليست فى نفسها سليمة من التضارب) (١)

ويرى الأستاذ مصطفى عبد الرازق (٢) أن الفارابى من خير المفسرين لكتب أرسطو خصوصا فى المنطق وأثره فى هذا الباب هو الذى جعله يستحق التلقيب بالمعلم الثانى إذ كان أرسطو هو الأول. هذا هو رأى بعض المؤرخين ومنهم (كارادفو)

إن فضل الفارابى لا ينتهى عند تفسير كتب أرسطو وتصحيح تراجمها والتمهيد بذلك للنهضة الفلسفية فى الإسلام التى تكاملت من بعده بل إن له أيضا أنظاراً مبتدعة وأبحاثا فى الحكمة العملية والعلمية عميقة سامية لم تتهيأ بعد للباحثين كل الوسائل لتفصيلها تفصيلا وافيا. وللفارابى كتاب فى المدينة الفاضلة كما أن لأفلاطون كتابا فى الجمهورية الفاضلة. والفارابى هو أول من عنى بإحصاء العلوم وترتيبها فى كتابه (إحصاء العلوم) الذى نشره سنة ١٩٣١م الدكتور عثمان أمين مدرس الفلسفة بكلية الآداب ووضع له مقدمة طيبة وعنى بنشره المستشرق الإسبانى (بلانسيا) فى سنة ١٩٣٤ ومن أجل ذلك يعتبر بعض الباحثين أبا نصر أول واضع فى العالم لنواة دوائر المعارف. ولئن كانت الأجيال تهتف باسم الفارابى منذ ألف عام فى الشرق والغرب فإنه قد استحق ذلك بما وهب حياته لخدمة العلم والحكمة وبما ترك من أثر فى تاريخ التفكير البشرى وفى تاريخ المثل العليا للحياة الفاضلة.

ويرى الأستاذ جرجى زيدان معنا أن الفارابى كان أصلا للموسوعات العربية فقد قال فى كتابه (تاريخ الآداب العربية) عندما عد كتب الفارابى (وكتاب (٣) إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها وهو من قبيل موسوعات العلم لأنه يشتمل على عدة علوم، منه نسخة خطية فى الأسكوريال؛ وله ترجمة عبرانية وأخرى لاتينية. وبهذا الكتاب عد الفارابى من مؤسسى الموسوعات العربية وسنعود إلى ذلك) وفى عودته إلى الموضوع قال (إنه (٤) فى العصر العباسى الثالث أخذت الموسوعات (دوائر المعارف) فى الظهور بعد أن وضع أساسها الفارابى. وإن كتاب الفارابى القيم (إحصاء العلوم) قد ترجمه (جرادو د كريمونا Gerado de Cremona) إلى اللاتينية، وهو عالم إيطالى ولد فى (كريمونا) من مدن إيطاليا الشمالية سنة ١١١٤ م ومات بها سنة ١١٨٧ م؛ وبمدينة طليطلة من أعمال الأندلس عنى بنقل أهم كتب العرب العلمية إلى اللغة اللاتينية ونال بذلك شهرة عظيمة وترجم أكثر من سبعين كتابا من كتب الهيئة وأحكام النجوم والهندسة والطب والطبيعة والكيمياء والفلسفة)

وقد كان كتاب إحصاء العلوم مفقودا كما ذكر المستشرق الإيطالى الشهير (السنيور كرلو نلينو) الأستاذ بالجامعة المصرية

(١) دائرة المعارف الإسلامية (٢) رسالته عن الفارابى

(٣) ص٢١٣ ج ٢ (٤) ص ٢٣٢ ج ٢ من تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان.

سابقا وبجامعة بلرم بإيطالية حيث أفاد فى كتابه (علم الفلك وتاريخه فى القرون الوسطى) إنه عندما أراد الرجوع إلى كتاب الفارابى (إحصاء العلوم) للتعرف إلى ما كان يقصد كتاب العرب بعلم الهيئة قال [1] (أبتدئ بما قاله الفيلسوف الكبير أبو نصر الفارابى (المتوفى سنة ٣٣٩ هـ ٩٥٠ م) فى كتاب له فى إحصاء العلوم فقد أصله العربى فلم أقف على ما فيه إلا بواسطة ترجمته اللاتينية لجرادو دكريمونا الخ) ثم يقول (نلينو) زهت بمدينة البصرة فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى أى بعد وفاة الفارابى بسنين قليلة جمعية فلسفية سمت أعضاءها (إخوان الصفاء) ومن أعمالها وضع مجموع اثنتين وخمسين رسالة (٥٢) مشهورة برسائل (إخوان الصفاء وخلان الوفاء) وكل رسالة تتبين فيها مبادئ فن من فنون العلم . وأقول معلقا على ما نقله هـذا المستشرق الإيطالى وإذن فإن عهد الفارابى كان من عهود ازدهار الفلسفة الإسلامية . ولعل تلك الجمعية الفلسفية هى قبس من الروح الفلسفية التى أشاعها المعلم الثانى فى بلاد الإسلام ؛ ولعل موسوعتها (رسائل إخوان الصفاء) تقليد ومحاكاة لموسوعته (إحصاء العلوم) فقد تقدم أن بعض مؤرخى آداب اللغة العربية يعتبرونه من مؤسسى الموسوعات أو هو المؤسس الأول الوحيد لها ، ولم أنفرد برأيى هذا فقد اطلعت بعد سنوحه لى على ما كتبه مدرسان فى كلية الآداب بمصرهما الدكتور إبراهيم بيومى مدكور ويوسف افندى كرم إذ قالا فى كتابهما اللطيف (دروس فى تاريخ الفلسفة) :

(تتلمذ [2] للفارابى كثيرون ممن بهرهم بسيرته الصالحة وأخلاقه الوديعة واستولى عليهم بآرائه الناضجة وأبحاثه الدقيقة وقد تأثر به بوجه خاص طائفة من الباحثين هم أشبه بالجماعات السرية منهم بالمدارس العلمية المنظمة ونعنى بهم (إخوان الصفاء) الذين لا زلنا نجهل الشيء الكثير عن تاريخ نشأتهم وتكونهم ؛ والذين كانوا يمتون فى أغلب الظن بصلة إلى الباطنية والإسماعيلية . ومهما يكن من أمرهم فمن المحقق أنهم نشأوا فى القرن الرابع للهجرة فعاصروا الفارابى وأخذوا عنه ، وإن تكن فكرتهم فى الفلسفة أوسع مجالا من فكرته فما كانوا يقفون عند أفلاطون وأرسطوطاليس بل جاوزوهما إلى المدارس اليونانية (الأخرى) وهذا يبين لنا عمق تأثير الفارابى فى العقلية الإسلامية وحسبك أنه سحر ابن سينا على جلاله وكبريائه فأخذ يشدو بحمده ويعلن عن فضله عليه فى تفهيمه علم ما بعد الطبيعة

وقد تعددت نواحى عظمة الفارابى واختلفت وجوه عبقريته وكثرت أفانين معرفته فهو مرجع فى كثير من العلوم غير الفلسفية فهذا نلينو المستشرق الإيطالى يرشد فى كتابه (علم الفلك وتاريخه عند العرب فى القرون الوسطى) - من أراد أن يعرف آراء العرب فى علم الفلك والهيئة إلى جملة كتب كان أولها كتاب (عيون المسائل) لأبى نصر الفارابى وهو مجموعة رسائل الفارابى المطبوعة بليدن سنة ١٨٩٠ م ثم بمصر سنة ١٣٢٥ هـ ثم إن الفارابى عرف بعلم الموسيقى وغيره مما سنعود إليه

ولقد كانت شهرة الفارابى فى أوربا ضاربة أطنابهـا على جامعاتها وساح ذكره فى أقطارها . ويقص علينا الأستاذ فرح أنطون فى كتابه (ابن رشد وفلسفته) عن مبدإ دخول الفارابى إلى أوروبا أن الفضل فى الشروع فى ترجمة كتب الفلسفة العربيـة فى أوربا إلى اللغة اللاتينية كان لرئيس أساقفة طليطلة (مونسنيور دريموند) فإن هـذا الأسقف أنشأ فى طليطلة من سنة ١١٣٠ م إلى سنة ١١٥٠ م دائرة لترجمة الكتب العربية الفلسفية أخصها كتب ابن سينا إذ لم تكن كتب ابن رشد اشتهرت بعد . أما الكتب العربية الطبية والفلكية والرياضية وقد كان سبقه إليها كثيرون مثل قسطنطين الأفريقى وجربرت وأفلاطون دى تريفولى وقد جعل هـذا الأسقف (الأرشيد يا كردومينيك كوند بسالى) رئيسا لدائرة الترجمة وكانت هـذه الدائرة مؤلفة [3] من مترجمين من اليهود أشهرهم يوحنا الإشبيلى فأخرجت إلى اللغة اللاتينية كثيرا من مؤلفات ابن سينا ؛ وبعد بضع سنوات ترجم (جرار دى كريمونا) و (الفريد دى مولاى) بعض كتب لأبى نصر الفارابى والكندى وبذلك كانت أوربا

(١) ص ٢٣ علم الفلك وتاريخه عند العرب فى القرون الوسطى

(٢) دروس فى تاريخ الفلسفة للدكتور إبراهيم بيومي مدكور ويوسف افندى كرم الأستاذين فى كلية الآداب بمصر ص ١٠٧ منه

(٣) كتاب ابن رشد وفلسفته ص ٦٦ وهو لفرح أنطون هاجم به الإسلام فرده الشيخ محمد عبده

مدينة لأسقف طليطلة بإدخال فلسفة العرب إليها على يد واحد من كبار الدين) ويحدثنا الدكتور توفيق الطويل مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق بمصر فيقول (١) إن العالم الأوربي جهل تراث أرسطو منذ بداية المسيحية بل انصرف عن دراسته باعتباره طبيعيا ملحدا وإن سلم بما عرف من مباحثه في المنطق منذ القرن الخامس والسادس للميلاد ، ولبث العالم الأوربي على هذا حتى أقبل القرن الثاني عشر وانتقل إليه تراث أرسطو في الطبيعة والأخلاق والميتافيزيقا (ما وراء الطبيعة) وعلم النفس وذلك حين اجتاحت قوات ألفونس السادس — أمبرفشتالة — مدينة طليطلة عام ١٠٨٥ م وسرعان ما اصطبغ بلاطه المسيحي اسما بالثقافة الإسلامية فأعلن نفسه إمبراطور العقيدتين وحج إلى طليطلة طلاب العلم من كل أنحاء أوربا وأضحت طليطلة مدرسة للترجمة من اللغات الشرقية كما يقول (J B Trand تراند) في مقاله عن إسبانيا والبرتغال في كتاب (تراث الإسلام) وراحت مكتبة مسجد طليطلة مثابة للعلماء فيما يقول (E. Barker إرنست باركر) في مقاله عن الحروب الصليبية في كتاب (تراث الإسلام) ولقد أنشأ (ريموند Raymund) كبير أساقفة المدينة بين سنتي (١١٣٠ — ١١٥٠ م) ديوانا لترجمة الكتب العربية الفلسفية على يد مترجمين من اليهود وأمر رئيس الشمامسة (دومنيك جنديزالفس D Gundisalvus) أرشيدوق سيجوفيا و (يوحنا أفنديث الإشبيلي Juan Averdeath) بترجمة التراث الفلسفي الإسلامي ولا سيما ما خلفه ابن سينا ثم تكفل الديوان بعد هذا بترجمة الفارابي والكندي. وفي النصف الأول من القرن الثالث عشر تولى (ميخائيل الإيقوصي Micheal the Scot) ومن حذا حذوه ترجمة تراث الشارح الأعظم ابن رشد تحت رعاية الإمبراطور فردريك الثاني الذي اتصل بالعالم الإسلامي في حروبه الصليبية ومهر في اللغة العربية واستخفه الإعجاب بفلاسفتها فتاق لنقل تراثهم إلى اللاتينية والعبرية وعلى هذا النحو عرفت أوربا فلسفة أرسطو منقولة إلى اللاتينية عن كتب شراحه ومفسريه من المسلمين وفي مقدمتهم أستاذهم الفارابي. وهكذا نجد أبا نصر يدخل أوربا في فجر يقظتها فما أن فتحت عينيها إلى فلسفة العرب وحضارة الإسلام وما أن مدت يديها لتقتبس من أنوار الشرق إلا وجدت الفارابي أبا الفلاسفة الإسلاميين يشق طريقه إلى بلادها يحيط به تلامذته الذين أتوا بعده فساروا على هداه وفهموا الفلسفة كما فهمهم إياها المعلم الثاني مقتبسا وجها عن المعلم الأول أرسطو. وقد قال الأستاذ مصطفى عبد الرازق (٢) والفارابي من خير المفسرين لكتب أرسطو خصوصا المنطق وأثره في هذا الباب هو الذي جعله يستحق التلقيب بالمعلم الثاني إذ كان أرسطو هو الأول هذا هو رأي بعض المؤرخين في الفارابي ومنهم (كارادفو) فترى كل من ذكر الفارابي عرف له فضله في شرحه لفلسفة أرسطو. قال الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه (تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي) وترجع شهرة الفارابي إلى شروحه الكثيرة على مؤلفات أرسطو حيث لقب بالمعلم الثاني تمييزا له عن أرسطو الذي لقب المعلم الأول(٣) وقال(كارادفو B Crra de vaux)في دائرة المعارف الإسلامية وقد اشتهر الفارابي كشارح لفلسفة أرسطو وقد شرح كتبا لليونان في ما وراء الطبيعة والفلسفة والعلم ولم يقتصر على شرح كتب اليونانيين بل ألف كتبا كثيرة مستقلة (٤)

للكلام صلة

ضياء الدخيلي

(١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة للدكتور توفيق الطويل مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول ص ٩٠

(٢) الأستاذ مصطفى عبد الرازق (فيلسوف العرب والمعلم الثاني) وقد تحدث أيضا عنه في تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية (٣) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي للدكتور حسن ابراهيم حسن (٤) دائرة المعارف الاسلامية في مادة الفارابي

في آفاق مجهولة

عن المـــوت..

للأستاذ محمد رجب البيومي

يقسو الموت على الإنسان فيخطفه من بين أهله وذويه، ويحمله إلى حفرة دامسة حالكة، لا يسطع فيها نجم ولا يهب بها نسيم، ووراءه أكباد تتقطع حسرة على فراقه، ودموع تتساقط حزناً على غربته، وأجسام ترتدى السواد، فتثير كامن اللوعة ودفين الوجد

وقد يحاول كثير من المرزوئين في أحبائهم وأعزائهم التجلد والتماسك فيظهرون الرضا والاستسلام بضع ساعات، ثم تهب عليهم الذكريات الموجعة فتطير الأمن وتمزق الصبر، ويصبح الصابر القانع، كالهالع الجازع، فريسة في أيدى الحزن يمزق أحشاءه، ويريق دموعه، حتى يمن الله عليه بالسلو مرة ثانية فيتماسك ويتجلد، إلى حين محدود ... !

وكنت أسائل نفسي حين أقف موقف الملتاع بين الكارثة والكارثة، أأنا محق في هذه اللوعة التي أكابد غصصها، وأعانى برحها، أم أن الداء يخوننى في موقفى فأظل كاسف البال شارد اللب. ومهما تذرعت بالمنطق والحكمة، فلن أجد الجواب الحاسم لهذا السؤال المعجز. ومن لى به، والموت في حقيقة أمره باب موصد محكم تملوه أقفال غلاظ شداد فلا يمكن لإنسان أن يعرف ما وراءه مهما أجهد الفكر وواصل التنقيب

ولعل غموض الموت سبب أصيل للحيرة التي يعانيها الإنسان من جرائه، فلو أدرك المرء أمره، وما يعقبه من خطوات مستترة خافية، لا تنتهى إلى نتيجة معينة، ووقف عند حد لا يقبل التجاوز ووطد العزم على قبوله راضياً أو كارهاً، وهنا تتبدد الحيرة وينتهى التساؤل، ولكن ذلك لن يكون، فالباب موصد، تملوه الأقفال، ولن يزال ما وراءه خافياً عن الأفهام ...

وهذه الحيرة التي تكتنف كل مفكر في مصيره، متأمل في عقباه، لن يخلو منها إنسان رزق نصيباً من المعرفة. سواء أكان مؤمناً عميق اليقين بما لديه من نصوص، أم شاكا يتقلب على جمر الريب والظن. فالإيمان بالله واليوم الآخر لا يحل المشكلة بحال، لأن الذى يعتقد البعث والنشور، يتساءل عما قبل البعث من خطوات فلا يظفر بجواب. وقد يجد أقوالا متفرقة هنا وهناك فلا يلمس فيها النجاة والراحة، بل ربما ضاعفت شكوكه، وأثارت كوامنه. ولقد كان مالك بن دينار رضى الله عنه راسخ اليقين قوى الإيمان، ومات له أخ شقيق فجزع عليه جزعا شديداً، وقال لمن واساه: «والله لن أرتاح حتى أعلم ما هو عليه بعد الموت، ولن أعلم ما هو عليه حتى أصير إليه» فكأنه لا راحة له طيلة الحياة!

والإنسان إذا استبدت به الحيرة، ودفعته إلى التفكير في أمر مبهم غامض، لا يزال ينتقل من رأى إلى رأى ومن مذهب إلى مذهب، حتى إذا اطمأن إلى معتقد راسخ عاودته الشكوك فتركه إلى سواه. وهذا سر التشعب فيما قيل عن حقيقة الموت وما يليه من خطوات. ومن المسلم به أن كثيراً من الناس قد فكروا في مصايرهم، وخرجوا بنتائج تقترب وتبتعد، وتتفرق وتتجمع، ومنها ما يقف من الآخر موقف المناقض المباين، وأنت تجد بين هؤلاء من يحذر الموت ويخشاه وينظر إلى يومه المحتوم خائفاً مذعورا، كما تجد بينهم من ينشد الموت ويطلبه، بل ربما ركض إليه واثبا، فأشاح عنه وتمذر عليه، ولكل من الفريقين دليله المستمد من ظروف معيشته، وواقع حياته — في الغالب — وقد يكون من الأوفق أن نسأل من يحذرون الموت لم يحذرون؟ كما نسأل من ينشدون الموت لم ينشدون؟ ولكل وجهة هو موليها، فبأى منطق يجيب

لقد كان للفكرة القاتمة التي يأخذها الطفل عن الموت منذ نشأته أثر بغيض ينعكس على نفسه شتى الصور الرهيبة، ويزيل من مشاعره معانى الاطمئنان والأمن، فهو في — سنيه الأولى — يسمع الصراخ الفاجع، ويرى الدموع المتقاطرة من أقاربه وذويه، فيسأل عن سر هذا الفزع، فتطرق سمعه لأول مرة كلمة الموت ممزوجة بالنشيج والبكاء، فيبكى هو الآخر متأثراً بما يرى ويسمع، ويتوالى الحمام كعادته بين الناس، فيميد إلى الطفل

ما عرفه من البكاء والنحيب ، فيعلم أن الموت كارثة فادحة ، ومصيبة حارة ، ويتغلغل هذا الأمر في إدراكه ووجدانه ، فيشب كارهاً للموت قبل أن يدرك حقيقته ، وقد دأبنا أن نلقن الطفل في مختلف أدواره التعليمية أنباء قاسية عن ملك الموت وما تعانيه الروح لدى انفصالها النهائي من هم وتبريح ، فيتعاظمه الأمر ، ويتخيل نفسه وقد أحيط بهذه الكوارث فلا يجد مفرجا من ضيق . هذا إلى الأساطير الخيالية التي تتحول في بعض الأذهان عقائد ثابتة ، فترسم للذهن الزبانية والمقامع النارية في صورة رهيبة حالكة ، فلا يسعه إلا الفزع من الموت ، ذلك الغول الرهيب الذي ينقل الناس فجأة من الجنة إلى النار . ولو أننا أعطينا للطفل صورة مقبولة عن الموت ، وباعدنا بينه وبين من يحتضرون ، فلا يشاهد ما يعانيه المريض في مرحلته الأخيرة من ألم وتبريح ، لهان الأمر عليه بعض الشيء ، ونظر إلى الموت — فيما بعد — كأمر طبيعي تنتهي إليه الكائنات ، ولكن متى يكون ذلك !

وليست ملابسات الموت وحدها السبب في خوف الإنسان وفزعه من القدر المحتوم ، بل يضاف إليها أشياء وأشياء ، فكل إنسان مهما تجنب الرذيلة ، وآثر الفضيلة ، لابد متعرض في بعض مراحل حياته إلى ما يغضب ربه من الآثام ، والضمير رقيب يقظ غير نائم فيظل يذكر المرء بما اقترفه ، وإن كرت الأيام عليه ، فإذا تصور الإنسان نفسه وقد حان حينه ، ودقت ساعته الآزفة مع أنه قد أسلف ما أسلف من ذنوب سيحاسب عليها حساباً منصفاً تأكد من العقاب العادل ، وعجز عن حمل التبعة الثقيلة ، ومن ثم فهو يبغض الباب القاتم الذي يدفعه إلى الجزاء والحساب ، وينظر إلى موعده المحتم نظرة الخائف المتفزع . ونحن وإن كنا نطمع في عفو الله ، ونأمل في الصفح والغفران ، لابد لنا من صورة معقولة لهذا اليوم تصد النفس الأمارة بالسوء ، على أن نتخيل بجانبها صورة بهيجة ذات مفاتن وأضواء لمن يعتصم بالأدب والأخلاق ، وهنا يكون الموت غير مخوف إن ألم بذوي المروءة والدين ، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه كما قيل

ولن ننسى في هذا المقام ما يبعثه القبر المظلم الضيق في النفوس من رهبة وإيحاش ، فكثير من الناس تتفتت أكبادهم حسرة حين يتصورون أجسامهم في حفرة دامسة خانقة لا يقربها النور والهواء ، وكأني بهؤلاء الجازعين وقد توهموا أن إحساسهم سيصحبهم في هذه الغياهب الحالكة ، فيشعرون بما يشعر به الحي حين يوضع في صندوق مقفل خانق ، ولو كان الأمر كذلك حقيقة ، لجل الصبر ، وعظم الخطب ، ولكن أما يتناقص الجسم يوماً بعد يوم؟ أما ترتع فيه الديدان والهوام أسوأ مرتع في محبسه الرهيب ؟ أما يمر عليه يوم ينعدم فيه ويتلاشى وتتحول بقاياه إلى ذرات ؟ أين إذن يكون الألم والإحساس؟ وإذا سلمنا منطقيا أن الجسم لا يألم بعد وفاته وانعدامه ، فلم لا يندرج عليه هذا الحكم حين ترتع به الديدان والهوام وهو سجين حبيس ! ولم نخاف الظلمة والضيق والهامد الراقد لا يشعر بهما بحال ؛ ذلك نوع من الخبال !؟

لقد سطر كثير من الكتاب صحائف مفزعة عن القبر وما يتراكم فيه من ظلمات وأهوال ، فتركوا أسوأ الأثر في النفوس ونغصوا على الناس حياتهم ومعاشهم شر تنغيص . وهل كان الحمام محتاجاً إلى ما يريدونه من الإرهاب والتخويف ، فجاءوا يضيفون إلى أهواله الحقيقية والمتوهمة أكداساً فوق أكداس!

هذه بعض الهواجس التي يرددها الخائفون الوجلون ، وقد حاولنا أن ننقذها بعض الشيء مما يغمرها من المبالغة والتهويل ، ولن نتمادى معهم في مخاوفهم المتشعبة ، فلدينا الفريق الآخر الذي يرحب بالموت ويرسل في تمجيده الشوارد السائرة ، وأنت تجيل طرفك فيما سطره هؤلاء فتجد سيلا جارفا من الحكم والأمثال قد سيق سوقا في هذا المضمار ، فمن قائل « مقابر من ماتوا منازل راحة » . « إن سئمت الحياة فارجع إلى الأرض . . » ومن قائل «ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها» . . «فيا موت زر إن الحياة ذميمة » ومن قائل : «وقفت حين تركت الأم دار» ، « خضم الحياة بعيد النجاة » وقد فاقهم جميعاً من يقول في رثاء صديق :

كذبتك لم أجزع عليك وقد رمى فؤادك من نبل الحمام ظلوم

تمر الليالي لا تحس صروفها فيا ليتني في الهالكين مقيم

نجوت من الدنيا نجـاة نفسها
عليك ولو أن الفراق أليم

ولم أر مثل العيش أزهاره الردى
ولا عاصفاً كالموت وهو نسيم

فهل عان على هؤلاء طعم الحياة كما يقولون ، وهل يحنون إلى التراب حنينا خالصا بريئا ؟ وماذا أعجبهم فى المستقبل المجهول وهو ملئ بالغرائب والشكوك ؟

وجه هذه الأسئلة إلى من يصبون اللعنات على الحياة، ووجه هذه الأسئلة إلى من يرحبون بالانتحار ؟ فلن تظفر من هؤلاء بكلمة صادقة فى حب الموت ، فهم غارقون إلى آذانهم فى مخاوفه ومآسيه، ولكنهم يلمسون القسوة الصارمة من الحياة، فيتعرضون إلى الفشل المخجل والخسارة الفادحة ، والناس لا يرحمونهم فى شيء ، بل يلوكون أحاديثهم ، ويمضغون مآسيهم شامتين فرحين، ويدور الفاشل بعينه فلا يرى من يرمقه بالعطف ، أو يلتمس له العذر فى ذلة ، وقد يتضاعف وهمه فيظن أن الناس جميعا يتندرون به فى كل مجتمع وناد، فيضيق فى وجهه العيش، وتسود فى عينيه آفاق الحياة ، ويفزع إلى مصرعه البغيض كارها مرغما ، وهو يوطن نفسه على ما ينتظره من شدائد وأهوال

أعرف ثريا موسرا رتع فى بحبوحة النعمة والترف أمداً غير قصير ثم ضربه المرض بذات الجنب فكان يتقلب على سريره متأوهاً صارخاً وقد حاول الأطباء أن يهدئوا من لوعته فما رجعوا عليه بطائل . وفى غفلة من أهله ألقى بنفسه من شرف عال ، فلفظ بقية أنفاسه . وأعرف عشرات غيره من المعدمين البائسين بهظتهم الحياة بتكاليفها الضرورية ، وتضورت بطون أطفالهم جوعا وحرمانا ، فهالهم أن يقعد بهم العدم عن إسعاد أولادهم فخفوا إلى الموت مرغمين ، وفى صدورهم مراجل من اللوعة تغلى وتحتدم حتى تنفجر انفجاراً ، يراه الناس انتحاراً فجائيا ، وهو فى الواقع بعيد الأمد عميق الجذور ! فيا هؤلاء لا تقولوا إنكم تحبون الموت . ولكن قولوا إنكم لم تجدوا مفرا من الموت فسعيتم إليه فزعين غير مختارين !

ولكن مالنا نزيد الأمر هولا فوق هول ، فنؤكد المخاوف، ونقلق النفوس ، وأولى بنا أن نعمد إلى شيء من التهدئة والتلطيف ! الحق أن الفناء رهيب مهول ، وأن من دافعوا عنه يلجأون إلى العقل وحده فيقنعونه تارة ويدفعهم تارات ، أما العاطفة فقد أوصدت منافذها دونهم أى إيصاد ، فما وصلوا إليها فى قليل أو كثير ، وأنت تقرأ لهؤلاء فى تمجيد الموت والترحيب به أقوالا أخذت سمت المنطق فى القياس والاستدلال ، فلا تجد شيئاً من قبولك الصريح وهيهات أن يكون ذلك ،واسمع ما يقوله أحد فلاسفة الإسلام على سبيل المثال :

قال ابن مسكويه — ما فحواه — « والإنسان فى أصح تعاريفه حيوان ناطق ميت ، فبالموت يبلغ كماله ويصل إلى نضجه فلم يخاف إذن من الكمال ؟ وكل ينشده ويبتغيه » فهل راقك هذا الكلام ؟ قد يتحير عقلك بين الرفض والقبول ، إن لم يرفضه بادئ ذى بدء دون نقاش ، أما العاطفة فتأباه وتتحاشاه، والإنسان ليس عقلا فقط ، ولكنه عقل ووجدان !

لقد مات سقراط وهو يتحدث عن الخلود مرحبا ،وجاء بعده مئات من الفلاسفة والحكماء فشغلوا أنفسهم بما شغل به سقراط، فهل اقتنع بمنطقهم إنسان ، وهل رغب أحد فى الموت ليصل إلى الخلود والبقاء ؟ لقد ذهب كلام الفلاسفة أدراج الرياح ، وجاءت الأديان فأنقذت الملايين من البشر ومالت بهم إلى عقيدة ثابتة بددت شكوكهم ، وأغاثتهم من الحيرة والارتياب ، حتى إن جاهليا بدائيا تقلقه وساوسه فيسعى إلى الجمع الحاشد بعكاظ فيوجه إليه هذا السؤال « ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا هناك فناموا ؟ » وتمضى الأيام مديدة طويلة فلا يرجع من الراحلين عائد ينبئ بما شاهد ، وأنى لغائب أن يعود ، وقد قامت دونه الصفائح ، وسجنته الأجداث!

ربى حولها أمثالها إن أتيتها
قرينك أشجانا وهن سكون

كفى الهجر أنا لم يضح لك أمرنا
ولم يأتنا عما لديك يقين (١)

« المنصورة » **محمد رجب البيومي**

---

(١) كتبت هذا المقال إثر وفاة قريب عزيز على

أبطال اليهود

بين القرآن والعهد القديم

للأستاذ محمد خليفه التونسي

قبل عامين كتبت مقالا فى هذه المجلة مقدما به إلى قرائها كتابا كان ظهوره فى تلك الأيام عجيبا مريبا، وكان موضوعه « موسى » ومؤلفه عالما مصريا، وكان مما لاحظته وسجلته فى مقالى عنه يومئذ ما نصه : « والمؤلف يسوق قصة موسى كما وردت فى القرآن وقصته كما وردت فى التوراة على أنهما متكاملتان، وهذا السياق يوقعنا فى خطأ كبير . وها أنذا أقرر — ولا أدرى أحداً سبقنى إلى قرارى هذا — أن الصورة التى يتبينها القارئ فى نصوص القرآن لموسى تختلف اختلافا كبيرا عن الصورة التى يتبينها له من تأمل نصوص التوراة، وأن الله فى نظر موسى كما ذكر القرآن يختلف اختلافا كبيرا عن « يهوه » فى نظر موسى كما ذكرت التوراة، فإن موسى المؤمن بالله الواحد غير موسى الذى اختص هو وقومه بعبادتهم « يهوه » مرة، و « إلوهيم » — ومعناها الآلهة — مرة أخرى » [1]، ثم بينت هناك بالإجمال صورة «يهوه» إله موسى كما تستخلص من نصوص التوراة .

وهذه الملاحظة لا تصدق على موسى والإله فى نظره فحسب، بل تصدق على كل أبطال اليهود قبله وبعده ممن رسمت صورهم أو جوانب بارزة منها فى القرآن والعهد القديم معا، ولو كانت الوقائع فى كلا الكتابين متفقة أو كالمتفقة

ولا خلل فى هذه القاعدة إذا طبقت على أكبر هؤلاء الأبطال وهو إلههم أو على أصغرهم، ولا حاجة بنا إلى تغيير كثير أو قليل فيها إذا قارنا بين صورتى الإله أو صورتى أى بطل عداه من الأنبياء والملوك والزعماء والعامة سواء أكانوا فى الصالحين أم فى الطالحين ومجمل النتيجة التى تنتهى إليها بعد عقد كل المقارنات يمكن حصره فى هذه العبارة الوجيزة : صور هؤلاء الأبطال فى القرآن « صور إسلامية » وصورهم فى العهد القديم « صور يهودية »

وقد يشتد الخلاف بين صورة البطل هنا وصورته هناك حتى يبلغ حد التناكر . وتبرؤ كل صورة من الأخرى، كاختلاف الضدين أو النقيضين . وقد يدهشنا بقاء هذه الحقيقة خافية — مع قربها ويسرها — حتى الآن

فالكتابان كلاهما معروفان حق المعرفة للملايين منذ عهود سحيقة؛ ودرس الأديان وكتبها دراسة مقارنة علم « قائم يدرسه علماء مشهود لهم بالتضلع والأستاذية » فى كل جامعات العالم، وعلماء أمثالهم فى غير الجامعات، ولكن دهشتنا عند النظرة الأولى خليقة أن تزول عند النظرة الثانية، إذ تتكشف لنا أسباب خفاء هذه الحقيقة القريبة اليسيرة . فمن أسبابه أن القائمين بدراسة هذا العلم علماء غير أدباء، وهم ينظرون إلى موضوعاته نظرة علمية لا فنية . ومن أسبابه أن أكثرهم من صغار العلماء، والعالم الصغير فى يده منهج، وفى وجهه عينان ينظران فى اتجاه واحد، وليس يلزم نفسه ولا يلزمه أكثر الناس — حتى المثقفين — أن يكون له فى رأسه عقل واسع يعى ما يرى، ولا أن يكون بين جوانحه قلب كبير يحس به، فهو إذا أحسن الفهرسة والتعداد والتنسيق — Symmetry وهذا غاية وسمه — كان هذا حسبه فى نظر نفسه وفى أنظار الناس، لأن المسألة عنده عملية حسابية تجمع فيها أجزاء إلى أخرى، أو تطرح منها، وليست بنية حية تعاشر وتؤالف كالأزواج والأقرباء والأصدقاء . ومن أسبابه أن أكثر القائمين به من اليهود وتلاميذهم الذين يسيرون على نهجهم المغرض العقيم

فأما العلماء اليهود، فمغرضون لأن همهم تبيين فضل الديانة اليهودية وأسفارها على ما تلاها من الديانات والفلسفات الدينية وكتبها وما إلى ذلك، أو ما تأثر الناس به منها، أو ما كان لهامن آراء كالآراء التى كانت للنابغين قبلها وبعدها عند الأمم الأخرى . ومعلوم أن العهد القديم أقدم أسفار الديانات الكتابية وحصر البحث فى الحيز الضيق، وتناول النظم بعد تفتيتها على النهج العلمى الجاف هما الكفيلان ببيان فضل اليهود ونبوغهم . وهذا على فرض أمانة

[1] الرسالة : العدد ٨٠٥ ص ١٣٩٠ — ٦ ديسمبر سنة ١٩٤٨

هؤلاء العلماء فى البحث ، وهذا غرض قد يعذر اليهود بشأنه على ما فيه من مآخذ

ولكن لهم غاية شرا من هذه الغاية وهم يسيرون على هذا النحو المضلل ، هى تشكيك المسيحيين والمسلمين – وهم أقوى مزاحمى اليهود – فى الديانتين ، فالعالم إذا تمكن من تفتيت الدين ، وأعاد كل فتات إلى مصدر قبله ولو لم يكن المصدر يهوديا – استطاع أن يمحق قداسة الدين فى القلوب والعقول ، وبخاصة عند المسلمين الذين يعتقدون أن القرآن وحى من الله أنزله على محمد فبلغه من غير أن تكون له مشاركة فيه ، وهذا يخالف ما يعتقد المسيحيون فى الوحى ، إذ يرون أن كتاب الأناجيل هم كاتبوها بإلهام من الله وإشراق عليهم منه

ونحن إذ نلاحظ ذلك غير غافلين عن أن هذا المنهج قد طبق فى مجال أوسع مما أراد اليهود ، فقد قام علماء من غير اليهود ومن اليهود أيضا بعقد مقارنات بين كثير مما جاء فى العهد القديم ولا سيما التوراة وما جاء فى الشرائع والعقائد السابقة له عند الأمم القديمة كالمصريين والبابليين والهنود وغيرهم فزعزعوا من مكانة العهد القديم ما زعزعوا ، ولكن فى أنظار غير اليهود ، فأما اليهود فهم متمسكون بنصوص كتبهم المقدسة وحروفها ونقطها برغم كل نقد وهدم سواء فى ذلك أحبارهم والملحدون الذين ينكرون الله والأديان فيهم . فحتى السلع التى يصنعها اليهود فى نقد كتبهم إنما هى سلع للتصدير إلى غير اليهود لا للاستهلاك المحلى بينهم كما يقال بلغة التجارة ، وهم يروجونها بكل ما لهم من حول وحيلة ، لأن ضررها واقع على غيرهم لا عليهم ، وإنما مثلهم فى ذلك مثل صناع المسكرات والمخدرات وتجارها الذين لا يعاقرونها

وأما تلاميذهم من غير اليهود فمعظمهم ببغاوات « تبغبغ » بما تلقن دون فهم أو تصور ، أو هم مورطون بأهواء تحول بينهم وبين الخروج على أساتذتهم ، وأكرم هذه الأهواء أنهم أمام أساتذتهم كهان أوثان فى عالم وثنى أو شبه وثنى يعترف لأوثانهم بالتقدير والإجلال عن جدارة أو عن غيرها . وليس مما يليق فى « صناعة » الكهانة ، ولا مما يغتفر أن يهون الكاهن من شأن وثنه أمام الناس صراحة أو رمزا ، على حين أنه لا ينتظر منهم أن يحترموه إلا لسبب واحد هو أنه كاهن ذلك الوثن .

فتقديره لوثنه تقدير لكهانته هو ، ودفاعه عنه دفاع عن نفسه ، فهو ملتزم شريعته أمام الناس ؛ ولو كان هو به فى أعماق سريرته أكفر الكافرين

وهؤلاء التلاميذ على خير الوجوه علماء لا أدباء ، وهمهم التحليل والتركيب ، والمنهج التحليلى وحده لا يمكن أن يتأدى بنا إلا إلى ضلال

ومن أسبابه أن من وراء هؤلاء وهؤلاء مستهلكين أو مروجين لا ناقدين ولا صناعا ، وهذا على فرض أن هذه الموضوعات من هومهم ، فكيف وليست هى كذلك ولو كانوا من الثقافة فى أرفع مكان

ومن أسبابه أن هذه الموضوعات تتناول مسائل الدين ، وهى دقيقة شائكة ، والتورط فيها غير مأمون العواقب ، وأكثر الناس – ولا جناح عليهم – يؤثرون لأنفسهم السلامة والعافية ، فلو فهم المهتمون بها شيئا منها ، لآثروا – حبا للسلامة والعافية – أن يقتصروا منها على الفهم لأنفسهم أو مع خلصائهم غير ملومين ، ويتوجسون خيفة أن يظهروها ، وحسبهم بعد كل أنهم « فاهمون »

ومن أسبابه أن هذا العلم – أو هذا النمط من المعرفة الموكل بدراسة الموضوعات – علم حديث أوضيق على رغم ذيوعه ، والدراسة لم تتسع حتى تشمل كل موضوعاته ولا سيما على النهج الفنى الذى نريده ، وهو لم يظفر حتى اليوم بالأدباء ، والأكفاء الذين يستطيع الواحد منهم أن يحيط فيها علما وشعورا بموضوعه الذى يتصدى له ، ويفقهه حق الفقه ، ونحن مفرطون فى الشطط والوهم إذا انتظرنا من أديب واحد أن يستوعب كل موضوعاته ، فبحسب الأديب إتقان ما يتعرض له منها

ولو أهم موضوعنا هذا أحدا من المسلمين قبل اليوم ، وكان له أهلا لما عز عليه أن يناله لأنه قريب يسير ، ولأتحفنا بكتاب ذى أجزاء عدة فى هذا الموضوع الطريف

وهذه هى أهم الأسباب التى يمكن أن تقال – إزالة لدهشة الجهل ، وتعليلا لخفاء هذه الحقيقة – وهى أن صور أبطال اليهود فى القرآن « صور إسلامية » وصورهم فى العهد القديم « صور

يهودية » والخلاف بين صورتى كل بطل منهم خلاف واسع ، قد يصل إلى حد التناكر والتبرؤ ، كما يختلف العدوان اللدودان . وأهم ظاهرة فى هذا الخلاف هو عصمة هؤلاء الأبطال فى القرآن عما لا يليق بهم ، وعدم عصمتهم فى العهد القديم عن ذلك ، وهذا باب واسع ، والطريق من ورائه طويل كثير العقبات ، والسير فيه محفوف بالأخطار ، ومجمل ما يقال إتماما للبيان أن الديانتين الإسلام واليهودية - مع اتفاقهما فى النظر إلى كثير من الأعمال والحكم عليها حكما واحدا - تختلفان أبعد الاختلاف فى النظر إلى أعمال أكثر منها ؛ وفى الحكم عليها ، فمن الأعمال ما تعده اليهودية فرضا لازما ، ويعده الإسلام محرما كل التحريم، فتحديد ما يليق وما لا يليق عمل شاق كل المشقة وإن يكن ممكنا يسيرا . ومرجع ذلك إلى أن اليهود فوجئوا بديانتهم قبل أن يتمدنوا ويأتلفوا مع غيرهم ، ويحسوا بالإخاء لهم، وتمت ديانتهم وهم قبيلة بدوية تضرب فى آفاق البلاد شرقا وغربا ، فتداس من القبائل التى هى أقوى منها ، وتستعبد من الأمم التى تتصل بها ، وبقيت هذه الديانة راسخة متماسكة حتى الآن فى القبيلة لأسباب يطول شرحها ، فهى لا تحس بواجب عليها نحو غيرها من البشر ، لأنها عندما تكونت ديانتها كانت فى حالة حرب مع كل الناس ومع الطبيعة نفسها وإلههم نفسه لم يسلم من هذه العداوة رغم حرصهم على عبادته وحده ، فهم لا يتفوهون باسمه مثلا ، وهم يقسمون البشر إلى يهود وهم الشعب المختار ، وجوييم وهم من عداهم من البشر ، ومعنى جوييم الكفرة والوثنيون والأنجاس والحيوانات ، وتترجم أحيانا فى العربية بكلمة الأميين ، وقد عثرت لها على لفظ قرآنى ليته يشتهر ليغنينا فى ترجمة Gentiles ، إذ جاء فى سورة آل عمران فى بيان عدم اعتراف اليهود لغيرهم من الناس بأى حرمة « ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا فى الأميين سبيل » أى أنهم غير ملتزمين بأى شريعة فى معاملة غيرهم ، فلهم قتل غير اليهودى وسرقة ماله وانتهاك عرضه ، ولا جناح عليهم فى ذلك عند إلههم « يهوه » كما كانوا يعتقدون ، وكما لا يزالون يعتقدون إلى اليوم[1]

فالأمر إنكار كل حرمة ، لا الاعتراف بها والتعدى عليها

وأعتذر عن سلسلة هذه الحقائق الكثيرة كلها فى هذا الإيجاز الذى قد يجعل بعضها غامضا ، فأكثر هذه الحقائق رءوس موضوعات ، أو قواعد فى حاجة إلى مثال بل أمثلة ، وكل واحدة منها لا يجليها إلا مقال كامل ، وقد أشرت إشارة قصيرة إلى المنهج الأدبى الذى أراه أنسب المناهج لدراسة هؤلاء الأبطال وعقد المقارنات بين صورة كل بطل فى القرآن وصورته فى العهد القديم وأعنى به فن التراجم ، فالمنهج الذى يغنى هنا هو المنهج البيوجرافى الذى يهتم برسم الصور لا سرد السير ، وإبراز « التركيبة » حية كاملة كما فعل بلوتارك فى كتابه « العظماء » والعقاد فى « عبقرياته » دون الاستغراق فى الأجزاء التى تتركب منها « التركيبة » على طريقة العلماء المحققين من المؤرخين ، ولو استوعبت كل جزء

ولن يفوتنى أن أهدى هذا المفتاح المتواضع لمن يتقدم إلى فتح باب هذا الموضوع الطريف ، ولن أعفى نفسى من استعماله مرات فى مقالات ستأتى إن شاء الله وعذرى فى إيجاز المقال ضيق المجال

محمد خليفة التونسى

---

(١) بسطت الكلام فى ذلك وبينت أسبابه فى ثلاث مقالات منشورة فى صحيفة « منبر الشرق » فى الأعداد ٦١٦ ، ٦١٨ ، ٦١٩ الصادرة فى نهاية نوفبر وأوائل ديسمبر سنه ١٩٥٠

نبضات الحياة فى الشعر الجاهلى

للأستاذ حمدى الحسينى

كان للعرب فى جاهليتهم حصن من جزيرتهم حفظها الله وحماها ، وسور من حدود هذه الجزيرة المباركة . عاشوا فى هذا الحصن المنيع كراماً أعزاء ، أحراراً مستقلين . لا يعلوهم سلطان ولا يخضعون لمن يحاول الاستبداد بهم ، فظلت نفوسهم مطلقة على طبيعتها ، وغرائزهم مرسلة على فطرتها . فجاء أدبهم مرآة لهذه النفوس وصورة لهذه السجايا . قوة فى المعنى مع سذاجة ، ورصانة فى اللفظ مع بساطة . يقذف إليك العربى الحر المستقل العزيز الكريم بالقطعة من الشعر فتجد نفسه مجلوة فى هذه القطعة، كما يجلى وجه الحسناء فى المرآة المصقولة ، فتشرق عليك بقوتها وبساطتها إشراقة الشمس ، لا يشوبها ضعف ولا يشوهها استسلام

وهل يمكن أن ترى للضعف ظلا فيما يصوره ذلك العربى من صورة نفسه فى أدبه وهو لم يضعف أمام ظالم ولم يخضع لطاغية غاشم

* * *

هذا امرؤ القيس الأمير الشاب الذى كان منغموساً فى ملذات الشباب مدفوعاً فى تيار الملاهى والمسرات، يقتل أبوه الملك، فينماه إليه الناعى فلا تضطرب نفسه ولا يجيش فؤاده ، بل ينهض للأمر العظيم وقد نسى ملذات الشباب وملاهيه ، ليأخذ بثأر الملك القتيل ويسترجع صولجان الملك الضائع . هدف عظيم يثير فى هذه النفس العظيمة قوة العراك والمغالبة ، فيندفع هـذا المغيظ الحنق ، المفجوع بأبيه وملكه ، بكل مافى نفسه من شدة وعنف وصرامة ، يكافح الصعوبات التى كانت تقف فى سبيله شامخة مستعلية ، ويقاوم العقبات التى كانت تعترض طريقه متجبرة متكبرة

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة
كفانى ولم أطلب ، قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل
وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

ظل يحاول تذليل الصعوبات وهدفه العظيم يثير فى نفسه القوة والثقة بالنفس ، ويحاول إخضاع العقبات وغايته السامية تبعث فى روحه الأمل فى النصر

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما
نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

ظل يحاول حتى خر صريعاً فمات معذوراً مشكوراً

* * *

إذا القوم قالوا من فتى خلت أننى
عنيت ، فلم أكسل ولم أتبلد

ألا ترى هـذا البيت الذى يكاد يقفز عن صفحة الكتاب ، فتى مملوء النفس بالقوة وحماسة الفتوة ، ويده على مقبض سيفه يلتفت يمنة ويسرة ليرى القوم الذين كربهم الكرب ودهمهم الخطب ، ليدعوه فيأخذ بناصرهم ويرد عنهم الكرب الذى دهم ، والخطب الذى اقتحم. وأية فضيلة فى قائمة فضائل البشر أعلى قيمة فى التلبية التى لباها طرفة؟ وأى خلق إنسانى أمتن من هذه السرعة فى المبادرة لنصرة المستنصر وغياث المستغيث ؟

وإن أدع للجلى أكن من حماتها
وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد
وإن يقذفوا بالقذع عرضك أسقهم
بكأس حياض الموت قبل التهدد

ثم ألا تنظر إلى هذين البيتين اللذين يصوران لك نفساً قوية

ولكنها متسامحة ، والتسامح ضرب من القوة أيضاً . هذه نفس طرفة الذى خاصمه ابن عمه وعاداه ولم يترك فى معاداته طريقاً إلا سلكها ، ولكن طرفة ينسى كل هذه المعاداة ويتسامح مع ابن عمه ، ولا يقف عند حد التسامح السلبى بل يعدوه إلى المناصرة بالسيف إذا اعتدى على ابن عمه المعتدون . والويل كل الويل لهؤلاء المعتدين إذا قذفوا عرض ابن عمه الذى يعتبره عرضه ، وهو فى الحقيقة كذلك . وتراه يسوق كل هذه الفضائل نحو ابن عمه على متن هذه الكاف الخطابية التى جملها بهذه العواطف النبيلة تشع نوراً وجمالا

. . .

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه

يهدم ، ومن لا يظلم الناس يظلم

ألست ترى الحياة كلها محمولة على يدى هذا البيت من الشعر الذى تركه زهير ميراثاً للعلم والأدب والفلسفة والاجتماع والسياسة . وهل الحياة غير هذا القتال المسلح ذوداً عن موارد الحياة ومناهلها ؟ وإذا أنت لم تحمل السلاح ولم تقاتل ولم تدفع هذه الأيدى المتطاولة إلى وطنك فماذا يكون المصير ؟ أليس مصيرك أن تقع فى أيدى الظلم والاستعباد ؟ وهل تستقر نفسك على هذا المصير ؟ إذا كان لا بد من الظلم فى هذه الحياة فكن أنت الظالم لا المظلوم

. . .

إنا إذا التقت المجامع لم يزل

فينا لزاز عظيمة جشامها

خذ الثقة بالنفس والشعور بالقوة رغم كل ما يوهم بالضعف والخور . فلبيد ، يؤكد للناس أجمعين أن قومه لم يفقدوا قوتهم ولم يزايلوا قدرتهم على القتال ولا يزال فيهم من يتجشم المظائم فى الأيام التى تفوح فيها رائحة الموت شهية فى سبيل المجد والفخار

. . .

إذا ما الملك سام الناس خسفاً

أبينا أن نقر الذل فينا

إذا اطمأن الناس للظلم حرصاً على طعامهم وشرابهم وراحة أجسامهم رأيت بين هؤلاء الناس أفراداً وجماعات تتلظى نفوسهم ألماً من وقع الخسف ، وتتحول هممهم قذائف من نار وحديد لدفع هذا الخسف الذى رضى به غيرهم من عبيد الشهوات . وهل هذا البيت الذى قذف به عمرو بن كلثوم إلا القاعدة المثلى للتمرد على الظلم ؟ وهل هو إلا الطريق الواضح للانقلابات السياسية والاجتماعية فى تاريخ البشر

. . .

اثنى على بما علمت فإننى

سهل مخالقتى إذا لم أظلم

فإذا ظلمت فإن ظلمى باسل

مر مذاقته كطعم العلقم

هذه القطعة من معلقة فارس بنى عبس ، تعطينا صورة جميلة لما انطوت عليه نفس الشاعر البطل من رقة مؤنسة ، ولطف مغر بالمعاشرة يستوجب ثناء المحبين والعشراء ، حتى يظلم . فإذا ظلم فهناك تنقلب الحال وتتبدل الأرض غير الأرض والسماء غير السماء . تنقلب الرجل الرقيق الهادى أسداً مزمجراً يقاتل دفاعاً عن نفسه وذياداً عن حريته وكرامته . ويظل يقاتل حتى يدفع الظلم ويرد الأذى

. . .

ما جزعنا عند المجاجة إذ ولوا

شلالا وإذ تلظى الصلاء

فريقان من الأبطال يتساقيان كؤوس الموت شهية فى سبيل النصر العزيز ، حتى لاح جبين النصر مشرقاً لقوم اليشكرى إذ ولى خصومهم فراراً من لظى الحرب المتقدة . وإنك لترى ابتسامة الإيمان بالنصر تلمع فى صدر هذا البيت من الشعر كما كان الإيمان بالنصر يشرق فى صدور أولئك الأبطال الذين فازوا بالنصر على أقرانهم فى ذلك الموقف الذى ما كان فيه للشجاع غير النصر أو الموت

حمدى الحسينى

٢ - فن القيـــادة

للكاتب الفرنسي أندريه موروا

بقلم الأستاذ محمد أديب العامرى

أما رسالة الزعيم فهى أن يوجه أعمال الآخرين . ومن المحتوم عليه أن يعلم إلى أى هدف يتجه بهم . وأعظم صفات الزعيم أهمية أن يكون ذا إرادة قوية . يجب أن يعرف كيف يقر المبادئ ويتخذ القررات وكيف يضطلع بمسئوليتها . ومن الطبيعى أن يحيط علما بالظروف وأن يزنها حق الوزن قبل أن يصل إلى أى رأى . فاذا أصدر أمره وجب أن يلتزم ذلك لا يحيد عنه إلا إذا قامت فى وجهه عقبة لم ينتظرها أو لا يستطيع التغلب عليها . وليس يذهب بشجاعة الناس وإقدامهم شئ كالزعيم المتردد . وقد قال نابوليون « إن الحزم سيد الأعمال »

ولكى يقر الزعيم رأيه يجب أن يكون ذا شجاعة أدبية عظيمة . وقد تكون قرارات الزعيم أحياناً شديدة الأذى له . فى بداية الحرب العالمية الأولى اضطر « جوفر » أن يعزل عدداً كبيراً من قواد الحرب الذين كانوا جميعاً أصدقاءه . ويقع أحياناً أن تكون التضحية بالعدد القليل من الرجال سبيلا إلى انجاء العدد الكبير . هذا ويستطيع الزعيم أن يكون شديدا بل من الواجب عليه أن يكون كذلك . على أنه ليس من حقه أن يكون سئ النية أو فظا أو منتقما ، كما أن من واجبه أن يعرض عن القيل والقال بل أن يمنع القيل والقال ما استطاع

ومن الضرورى أن يكون حوله عدد من المساعدين المخلصين الذين يستطيعون أن يعرفوا المسائل الثانوية . ويجب أن يعلو على الصغائر فلا يغرق فى التفاصيل . ولكى ينفذ أوامره يضطلع بالعمل مساعدوه الذين اختارهم والذين يثق بهم كل الثقة . فهو يأذن لهم بالعمل بحرية ويكتفى بالإشراف ، عن طريق التدقيق بين آونة وأخرى فى صحة البيانات التى يدلون له بها . قيل للجنرال ليوتى : ما الذى تقوم به أنت ؟ فقال « إنى مهندس الأفكار العامة » . إن القائد الخبير يعرف أنه لا يستطيع أن يدخل فى تفاصيل ما يقوم به كل واحد من أعوانه . ويصح هذا بصورة خاصة فى المسائل الاقتصادية ، فهنا يجب أن يحصر نفسه فى بيان الخطط العامة وفى التشديد فى أن المصلحة الخاصة يجب أن تخضع للمصلحة العامة . وهو لا يعمد إلى خطة تصدم الملايين فتؤول إلى مقاومة الأكثرية المطلقة منها . إن ضابط حركة السير ينظم هذه الحركة ولكن لا يعين لكل سيارة الطريق الذى يجب أن تنساب فيها

إن رئيس عمل من الأعمال يجب أن يبعث الاحترام فى نفوس الذين يعملون معه ، فإذا عجز عن ذلك تسربت إليهم الشكوك وأخذوا يتآمرون . وليس هنالك إلا طريق واحد لكسب الاحترام ، وهو أن يكون المرء جديرا به . والقائد العظيم شخصية عظيمة كذلك ، فانه غير متحيز وغير ذى مصلحة خاصة . ولعل (بلدوين) و (بوانكريه) كانا قليلى الذكاء ، بل كان بلدوين يعترف بذلك . ولكن كلا منهما كان رجل مبادئ وأمانة مالية لا يتطرق إليها شك . وقد أوصى بلدوين بجزء من ثروته للأمة ، وما كان بوانكريه يستفيد قط من موظفى الحكومة لقضاء حاجاته الخاصة . وكان كلاهما يتمتع بصفات الاستقامة التى يحتاج إليها مدير المصنع أو يتطلبها أب فى ابنته . وأضفت هذه الخصال البسيطة عليهما قوة عظيمة . ولقد تختلف معهما فى السياسة أو تتفق ، ولكن خصومهما لم يجدوا غضاضة فى أن يتبوآ الحكم . ومما يزيد الحاكم المطلق قوة هو اقتصاده فى النفقات وعدم انصياعه للفساد فى عمله

ويجب أن لا تكون للقائد إلا عاطفة واحدة هى عاطفته نحو عمله ومهنته . كما يجب أن يكون متحفظا ، حتى إلى درجة إضفاء غلالة من الشك حول نفسه . إن الرجل فى رواية (كبلنغ) التى عنوانها (الإنسان الذى يكون ملكا) كان مغامرا استطاع بقوة أخلاقه وحدها أن يسود عدة قبائل جبلية وأن يصبح زعيمها . ولكنه خسر مركزه وعرشه عندما ضعف إلى حد الوقوع فى شرك فتاة من شعبه ، فأذن لها أن ترى أنه كان رجلا عاديا وحسب . ولقد قال نابليون « ما أكثر الرجال الذين يقعون فريسة المشاكل من جراء ضعفهم أمام امرأة »

وهنا يجب أن نتحدث عن زوجة الزعيم ، فإن عليها وظيفة صعبة تؤديها . إنها يجب أن تدافع عنه تجاه العالم كله وأن تحميه من التعب الذي يرهقه دون جدوى . وأن تتحاشى ما يؤذيه ، وأن تجعل من بيتها مستقرا هادئا ، لا أن تخلق له إمبراطورية أخرى يحكمها ، فهذه إمبراطورية يصعب عليه حكمها أكثر من أى شىء آخر

وقد وقع أثناء مناقشة فى الصفات الضرورية للرجل السياسى بمحضر من « وليم بت » أن ذكر أحد الحاضرين الجد ، وذكر آخر النشاط ، وذكر غيره الفصاحة . أما « بت » فقد قال إن الصفة الضرورية لرئيس وزارة هى الصبر ، ولقد أصاب . فإن الصبر ضرورى لا لرئيس وزارة فقط ، ولكن لجميع الذين تلقى إليهم مقاليد قيادة جماعة من البشر . إن الغباء عنصر يحسب الزعيم حسابه دائما فى التعامل مع الناس . والقائد الحقيق يتوقع أن يصادف هذا دائما ، ويتهيأ للصبر عليه ما دام نوعا عاديا من الغباء ، وهو يعلم أن أفكاره ستفسر، وأن أوامره ستنفذ فى غير عناية ، كما يعلم أن الحسد يقع بين مساعديه . إنه يدخل هذه الظاهرات كلها فى حسابه ، وبدلا أن يحاول إيجاد رجال لا يخطئون (وهؤلاء غير موجودين) فإنه يجهد نفسه فى الاستفادة من أحسن الرجال الذين يحيطون به ليستفيد منهم على علاتهم ، لا كما يجب أن يكونوا

وهناك نوع آخر من الصبر ، وهو المثابرة . فإذا انتهى الزعيم إلى غرض وحققه فإنه لا يتصور أن أمور بلاده قد استقامت إلى الأبد ، لأنه لا يستقيم شىء فى هذا العالم استقامة لا مغير لها . ولقد قال نابليون « إن أشد اللحظات خطرا هى لحظات النصر » فالحديقة المنسقة تنمو فيها الأعشاب إذا ما أهملت بعض الوقت ، والبلاد الغنية القوية لا تتعرض بضع سنوات لسوء النظام إلا سقطت فى أيدى شر أبنائها وعداءليها جيرانها. والزعيم يعرف أن جهوده لا تؤتى ثمرات باقية ، وأن هذه الجهود يجب أن تتجدد كل صباح

والحزم فضيلة أخرى لها ذات القيمة . ولقد قال (ريشليو) « إن الكتمان روح الأعمال الوطنية » وأضاع شارل الأول ملك إنكلترا عرشه لأنه أضاع الحزم . فسوء التدبير أوقعه فى أن يطلع زوجته الفاتنة على خطة ينتويها إزاء عدد من نواب البرلمان ، فأطلعت إحدى وصيفاتها الموثوقات على ما سيقع فلم تضع الوصيفة وقتا فى ايصال هذا إلى بعض أصدقائها الذين سارعوا فأوصلوا الخبر إلى النواب المهددين . فلما حان الوقت لتنفيذ الخطة الواسعة ، وجد الملك أن فريسته قد ولت وأن الناس يحملون السلاح ضده . والمغزى من ذلك أن لا تعلن شيئاً إلا إذا كان ضروريا ، وللرجل الذى يجب أن تعلن إليه الخبر ، وفى الوقت المناسب لذلك فقط

كتب (ديجول) « لا شئ يمكن للسلطة كالصمت » فالكلام يغمر الفكر ويفقد المرء شجاعته . إنه بالاختصار يضيع التركيز اللازم . ولم يكن إنسان فى هدوء (بونابرت) ولقد اتبع الجيش الكبير خطواته . وكتب (فيني) « عرفت ضباطا اشتملوا على الصمت ، فلم يقولوا كلمة إلا إذا أصدروا أمراً » . ولقد عرف (الرئيس كولدج) حق المعرفة أن الصمت ينفعه ، فاتخذ هذه الصنعة مبدأ له فى الوصول إلى أهدافه وفى تكوين فكرة خرافية عن نفسه . وكان (لويس الرابع عشر) ذا خلق رصين يبعث الخوف والاحترام فى الناس ، ويمنع حتى القريبين إليه ممن أعجب بهم من أن يتصرفوا معه بحرية حتى فى الأمور الخاصة . ولا ريب أنه من الصعب جدا على زعيم أن يجد التوازن بين التحفظ والهدوء اللازمين له فى عمله والحب المطلوب منه ازاء الذين يعملون معه ، ولكن مما لا ريب فيه أن هذه العقبة تزول بسهولة عندما يعمل الزعيم الحذر اللازم واللباقة المطلوبة من رجل خلق للقيام بأعباء الأعمال العظيمة

يضاف إلى هذه الصفات شجاعة القائد وصحته ؛ فإن الصحة الجيدة تزيد الزعيم قوة ، وهذه تمكنه من الصبر والجد والإرادة الماضية . ومن الصفات التى كان يتمتع بها (المارشال جوفر) شهيته للطعام وقوته على النوم . وإلى هاتين الصفتين نعزو كسبنا لمعركة (المارن) لأن التوازن الصحى المضوى يشحذ قوى الدماغ « إن الهدوء هو أعظم الصفات التى يجب أن يتصف بها الرجل الذى قدر له أن يحكم » ويذكرنا هذا بما كان يصنعه (جاليني)

بعد أن يصدر الأوامر فى ساحة القتال ، فإنه كان يتناول كتابا فيقرأ وكان (ليونى) وهو ضابط صغير دهشا من هذا السلوك ولكن (جالينى) كان يجيبه « لقد قمت بكل ما أستطيع ، والآن أنتظر ما يحدث ، وفيما أنا أنتظر أستطيع التفكير فى شئ آخر » . ولقد كانت هذه طريقة حسنة لتهدئة خواطره ، والتمكن من موقفه. إن الذين تثقلهم أعباء أعمالهم فلا يستطيعون أن ينحوا وساوسهم جانبا ليفكروا فيها فيما بعد ، إنما هم أناس لا قيمة لهم

إن الأخلاق فى الدرجة الأولى من الأهمية ، لكن الذكاء لا بد منه على كل حال . ومن المستحسن أن يكون القائد واسع الاطلاع . وتزيد دراسة التاريخ والشعر من علمه بعواطف الناس . وإن الثقافة لترد المرء بين آونة وأخرى إلى الرصانة اللازمة ، وهى تتيح له فرصا تطلعه على نماذج من النظام والوضوح فى الأشياء . وإن قيادة جيش والنهوض بأمة لعمل فيه ولا ريب معنى فنى . فالرجل الذى يكتسب حس الجمال مما يقرأ ويطالع يكون أكثر نجاحا فى المهمة التى ينهض لها

ولقد كتب (المارشال فوش) فقال إذا كانت قيمة الدراسات العلمية هى تدريب العقل على ادراك القوانين والأبعاد المادية فإن الأدب والفلسفة والتاريخ تولد الفكر القادر على فهم العالم الحى . وبهذا يشحذ الذكاء ويتسع أفقه ويظل دائم الحيوية والإنتاج عند التفكير فى آفاق اللانهاية . وستزيد أحداث المستقبل حاجة الضابط فى الحرب إلى استيعاب الثقافة العامة إضافة إلى اختصاصه الفنى

ومما لا جدال فيه أن المعرفة الفنية شئ ضرورى . وعندما نشرت منذ زمن كتابى « حوار فى القيادة » كتب إلى (المارشال فيول) كتابا جاء فيه :

إن الرجل يكون ضابطا قديرا إذا كان ذا أخلاق وكان مرهف الذوق ، ذا اطلاع واسع عام ، ولا يكون ذلك إلا بعد دراسة طويلة . ولا يعلم الناس إلى الآن علما كافيا أن كثيرين من القادة فى الحرب الماضية كانوا أساتذة فى الكلية العسكرية، فإنى أنا و (فوش) و (بيتان) وكثير غيرنا كنا أساتذة قبل أن نصير جنرالات ، وكانت خبرتنا ناجحة عن التدريب العلمى الذى جرى فى الكلية ، وكان هذا التدريب قائما على دراسة التاريخ والتدريبات العلمية . وقد كنا ندرس الكتب المدرسية والتمرينات التحريرية فى الشتاء ، ونقوم بدراسة تطبيقية ومناورات عملية فى الميادين فى الصيف . ولك أن تتصور أن الرجل الذى حل مدة سنوات مشا كل مختلفة فى الأساليب العسكرية لا يضطرب أى اضطراب فى ساحة القتال . وإنك لن تعجز عن ابتداع حلول المشاكل إذا كان التدريب واضحا وقائما على أصول منطقيه فيجمع النواحى المادية والعقلية والأخلاقية لتؤدى جميعا غرضها بنسب صحيحة . ومما تجب العناية به أن لا تهمل صفة على حساب أختها فانها جميعا ضرورية

إن تفكير الزعيم يجب أن يكون بسيطا واضحا فان العدل يصبح صميا عندما يكون الدماغ محشوا بالخطط والنظريات المعقدة . والصناعة المنظمة تنظيما بالغا تفقد من المواد اللازمة لها بمقدار ما تستهلك صناعة لا نظام لها . (ولذلك كانت الصناعة القائمة على مشاريع صغيرة يدبرها رجل واحد أحسن إنتاجا من الشركات الضخمة لأن تكاليفها أقل ، وإنتاجها أعلى قيمة) فالزعيم يجب أن تكون آراؤه قليلة وبسيطة جدا، قائمة على الاختبار مؤيدة بالتجربة . وهذا البناء القائم على الخبرة سيكون ذا غناء كبير فيما ينفذ من أعمال لما ينطوى عليه من المعرفة الوثوقة .

ومن المحتم على الزعيم أن يستطيع الاستفادة من عقول الآخرين . قال (ريشليو) « يجب أن يتحدث المرء قليلا ويصغى كثيرا إذا أراد أن يحكم أمة حكما صحيحا » ولكن الإصغاء إنما يكون لرجال محدودين ذوى معارف صحيحة . ولا ريب أن الصمت صفة ممتازة ، ولكن من الممتاز كذلك أن نحمل ذوى الكلام الفارغ على الصمت

ومما يجب أن يتمتع به الزعيم أو القائد بديهة حاضرة . فان الوقت عامل كبير فى جميع المهات ، والخطة غير الكاملة يطبقها صاحبها فى الوقت المناسب أفضل من خطة كاملة تنفذ متأخرة عن موعدها . وتشتد أهمية الوقت أحيانا إلى حد يصبح له المقام

كوريا

للأستاذ أبو الفتوح عطية

قبلة الطامعين وموطن الصراع بين المتنازعين ومقبرة المحاربين من كلا الفريقين . معركة بدأت ولكن لا تبدو لها نهاية . كلما آذنت شمسها بالأفول عادت إلى التجدد والاشتعال ، وكلما صرع قوم من البشر جيء بآخرين فأكلتهم المدافع ولم تبق منهم ولم تذر ! !

هنا في كوريا التقى الدب الروسي بالحمل التركي . لقد كان الدب شديد الهجوم على الحمل في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وكان الناس مايكادون ينتهون من سماع أنباء حرب بين الدب والحمل إلا عادوا إلى قصة أخرى وغارة أخرى فكان النزاع والصراع دائمين يتجددان في كل لحظة ويبدآن بين فترة وفترة . ثم خفت النزاع وخاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وعاد الشوق إلى الدب الروسي فأراد أن يرتشف من دم الحمل التركي وعز عليه اصطياده في الشرق الأوسط ؛ ولكن الحمل ألقى بنفسه بين يدى الدب الروسي في كوريا فتلقاه الدب فرحا متهللا وهنالك شرب الدب من دم الحمل وارتوى بعد أن طال به الظمأ !

قبلة الطامعين :

ولعلك تسألني ماقصة هذه الحرب وكيف بدأت ؟ لقد تنفس الناس الصعداء منذ سنين خمس حين أفلت شمس الحرب العالمية الثانية وظنوا أنهم سينعمون بالسلام طويلا وبأن الرخاء سيعود إلى العالم من جديد بعد أن مزقته سيوف الحرب وقنابلها الذرية . ولكن هذا الحلم الجميل لم يتحقق ، فما يدرى الناس أهم في حرب أم في سلم أم أنهم في هدنة قد تؤدى إلى الحرب ، ذلك أنه للآن لم تعقد معاهدة للصلح كما جرى العرف عقب انتهاء كل حرب ، وزاد الطين بلة أن حلفاء الأمس أصبحوا اليوم أعداء ، بعضهم لبعض . فقد وقف الروس بجانب الإنجليز والأمريكان للقضاء على طاغية القرن العشرين هتلر ، فلما فرغوا من عدوهم تنازعوا أمرهم بينهم وانقسم العالم إلى كتلتين إحداهما شرقية والأخرى غربية لكل منهما مطامعها وأمانيها ، واستيقظ الناس على دوى المدافع تؤذن بحرب جديدة وكان الميدان كوريا أين تقع :

هنالك في أقصى شرق القارة الآسيوية تقع الجزائر اليابانية أو أرض الشمس المشرقة وفى مواجهة هذه الجزائر تقع شبه جزيرة كوريا وهي مفتاح القارة الآسيوية ولا تستطيع أية حكومة يابانية أن تطمئن على نفسها إلا إذا كان هذا المفتاح في يدها أو في جيبها فإن من يملك كوريا يهدد اليابان .

وفضلا عن هذا الموقع الحربي الهام فإن كوريا تتمتع بثروة اقتصادية : زراعية ومعدنية عظيمة كانت اليابان في أشد الحاجة إليها ، فهي تنتج كميات وافرة من الأرز والشعير وفول الصويا والتبغ والقطن كما تزرع أشجار التوت وتربى الماشية ، وثروتها المعدنية عظيمة ففيها مناجم الذهب والحديد والفحم والجرافيت

ومن أجل هذه العوامل مجتمعة تطلعت اليابان إلى الاستيلاء عليها مما أدى إلى قيام حروب أهمها : الحرب الصينية اليابانية والحرب الروسية اليابانية .

الحرب الصينية ـ اليابانية ١٨٩٤

ظلت اليابان دولة متأخرة ، حتى إذا كان منتصف القرن التاسع عشر استيقظت من نومها فزعة على أصوات المدافع الأمريكية

الأول . فليس لوزير الطيران مثلا أن يقول : « ما هو الوقت الذى أستطيع أن أبنى فيه خمسة آلاف طيارة بما عندى من الرجال والميزانية وبما سيصادفني من المشاكل الإدارية » ولكنه يقول : « إذا كان على أن أبنى خمسة آلاف طيارة قبل حلول الربيع فما هي الميزانية التى يجب أن ألح في طلبها ؟ وما هو المجهود الذى يجب أن يقوم به الموظفون لإنهاء المشروع في الوقت المعين» ؟ والبطء يمكن أحيانا أن يكون قتالا في جميع الأعمال . فالسرعة لازمة في عمل الملابس كما هي لازمة في الحرب وكما هي لازمة في إدارة بنك أو جريدة . والرئيس هنا يفكر بسرعة ويحيط نفسه برجال ينفذون بسرعة كذلك

للكلام بقية — محمد أديب العامرى

والإنجليزية لترى مدى تأخرها وضعفها ، فهبت من رقادها وقامت تعمل على إدخال المدنية الحديثة فى بلادها ولم تمض سنون طويلة حتى كانت اليابان دولة متحضرة قوية تقاتل بأسلحة الغرب وتنافسهم فى ميدانى العلم والصناعة

هنا وجدت اليابان نفسها فى حاجة إلى توسيع تجارتها وإيجاد أسواق لها ونافست سفنها وتجارتها الأوربيين فى الأصقاع المجاورة لها ؛ بل إن تجارتها لاقت رواجاً أكثر من التجارة الأوربية والأمريكية

على الشاطئ الآسيوى المقابل وجدت كوريا . كانت كوريا دولة مستقلة وقد سبق أن غزتها اليابان فى القرن السادس عشر ولكن تمكن الكوريون بمساعدة الصينيين من طرد اليابانيين واستردت كوريا استقلالها وقد اتفقت الدولتان على تقسيمها إلى منطقتى نفوذ فظلت موضوع تنافس بين الدولتين

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر احتلت التجارة اليا نية فى كوريا مكانة أثارت الحقد فى نفس الصين مما أدى إلى قيام الحرب بينهما ١٨٩٤ . وفى هذه الحرب انتصرت اليابان لأنها كانت تقاتل بالأسلحة الحديثة بينما كان الصينيون من أشد أعداء المدنية الحديثة وأدواتها وآلاتها ، وطرد الصينيون من كوريا وانتقل ميدان القتال إلى منشوريا واستولت اليابان على ميناء بورت آرثر .

استنجدت الصين بالدول ولكن هذه لم تنجدها فاضطرت الصين إلى عقد معاهدة شيمونسكى وفيها اعترفت الصين باستقلال كوريا ولكن هذا كان معناه انتقال كوريا إلى اليابان وسلمت الصين ميناء بورت آرثر وجزيرة فرموزا لليابان .

على أن الدول وخاصة روسيا لم تلبث أن تدخلت لمنع اليابان من وضع قدمها فى القارة الآسيوية وكانت روسيا تطمع فى هذه المنطقة فأنذرت اليابان بإخلائها . ولما كانت اليابان قد أرهقتها الحرب مع الصين فقد اضطرت إلى قبول مطالب الدول وأخلت منشوريا وميناء بورت آرثر .

وهكذا انتهت هذه الحرب وحكم على الصين بغرامة مالية تدفعها لليابان . وقد احتاجت الصين إلى المال للوفاء بدينها فلم تجده إلا لدى روسيا .

الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤

كان من نتائج مساعدة روسيا للصين أن ارتمت الصين فى أحضانها وانتهزت الفرصة روسيا فعملت على نشر نفوذها فى منشوريا وكوريا ، ففى ١٨٩٥ أنشئ بنك روسى صينى وسمح لقيصر روسيا بمد خط حديدى عبر أراضى الصين فى منشوريا إلى فيلاديفوستك وسمح له أيضا بوضع جنود فى منشوريا لحماية السكة الحديدية .

وفى ١٨٩٨ استأجرت روسيا ميناء بورت آرثر لمدة ٢٥ سنة وبدأ الروس يعملون على تحصينه وأنشأوا خطا حديديا إلى خربين ليتصل بسكة حديد سيبريا وهكذا تحقق حلم روسيا فأصبح لها على المحيط الهادى ميناء لا تتجمد مياهها شتاء .

استاءت اليابان من احتلال روسيا لمنشوريا وبورت آرثر وهى مناطق كانت تطمع فيها ثم زاد الطين بلة أن روسيا أخذت تعمل على نشر نفوذها فى كوريا فاحتجت اليابان .

أعلنت الروسيا أكثر من مرة عزمها على إخلاء منشوريا ولكنها لم تفعل وأعلنت روسيا احترامها لاستقلال كوريا ومع ذلك بدأت تعتدى عليها .

فى صيف ١٩٠٣ ضاق صدر اليابان فطلبت من روسيا إيضاح نواياها فى منشوريا وكوريا فلجأت هذه إلى المماطلة والتسويف فاضطرت اليابان إلى إعلان الحرب فى ٥ فبراير ١٩٠٤

كانت اليابان قد أعدت عدتها وهى قريبة من الميدان فحطم الأسطول اليابانى الأسطول الروسى فى بورت آرثر وكذلك هزم الأسطول الروسى فى فلاديفوستك وأصبحت لليابان السيطرة البحرية فى الشرق الأقصى .

ثم نزل اليابانيون إلى البر وتمكنوا من حصار بورت آرثر وطاردوا الروس إلى مكدن وفى أول يناير ١٩٠٥ اضطرت بورت

آرثر إلى التسليم .

وأقبل الشتاء فتحمل الروس خسائر فادحة ، وفى ٩ مارس ١٩٠٥ سلمت مكدن وخسرت روسيا ٤٠ ألف قتيل و ١٠٠ ألف جريح .

وقد أبدى اليابانيون فى هذه الحرب بسالة نادرة ودقة فى النظام كانت مضرب الأمثال وأثارت إعجاب العالم عامة والشرقيين خاصة لأنهم كانوا يرون فى انتصار اليابان انتصارا لهم . وقد خلد شاعر النيل هذه الحرب فى قصيدته التى مطلعها :

أساحة للحرب أم محشر ؟ ... ومورد الموت أم الكوثر ؟
وهذه جند أطاعوا هوى ... أربابهم أم نعم تنحر ؟
قد أقسم البيض بصلبانهم ... لا يهجرون الموت أو ينصروا
وأقسم الصفر بأوثانهم ... لا يغمدون السيف أو يظفروا
فادت الأرض بأوتادها ... حين التقى الأبيض والأصفر
وأثملها خمرة من دم ... يلهو بها الميكاد والقيصر
والبيض لا ترضى بخذلانها ... والصفر بعد اليوم لا تكسر
فا لتلك الحرب قد شمرت ... عن ساقها حتى قضى العسكر

ويختتمها قائلا :

تسوءنا الحرب وإن أصبحت ... تدعو رجال الشرق أن يفخروا
أنى على المشرق حين إذا ... ما ذكر الأحياء لا يذكر
ومر بالشرق زمان وما ... يمر بالبال ولا يخطر
حتى أعاد الصفر أيامه ... فانتصف الأسود والأسمر
فرحمة الله على أمة ... يروى لها التاريخ ما يؤثر

* * *

وقد حاولت روسيا إنقاذ الموقف فأرسلت أسطولا من بحر البلطيق فوصل فى مايو ١٩٠٥ إلى مياه كوريا حيث حطمه اليابانيون بقيادة الجنرال توجو . وإلى هذا يشير حافظ بك إبراهيم بقوله

وذلك الأسطول ما خطبه ... حتى عراه الفزع الأكبر
ظن به طوجو فأهدى له ... تحية طوجو بها أخبر
تحية من واجد شيق ... أنفاسه من حرها تزفر
فهل درى القيصر فى قصره ... ما تملن الحرب وما تضمر
فكم قتيل بات فوق الثرى ... ينتابه الأظفور والمنسر
وكم جريح باسط كفه ... يدعو أخاه وهو لا يبصر
وكم أسير بات فى أسره ... ونفسه من حسرة تقطر

وأخيرا تدخلت الولايات المتحدة وطلبت فتح باب المفاوضة للصلح وأمضيت معاهدة بورتموث وبها :

(١) اعترفت الروسيا بالنفوذ اليابانى فى كوريا واعترفت اليابان باستقلالها ولكن فى١٩٠٧ أرغم إمبراطورها على اعتزال عرشه وضمت لليابان .

(٢) قرر الفريقان إخلاء منشوريا وبورت آرثر ولكن تقرر أن تنتقل الحقوق التى نالتها الروسيا إلى اليابان .

وهكذا انتهت الحرب

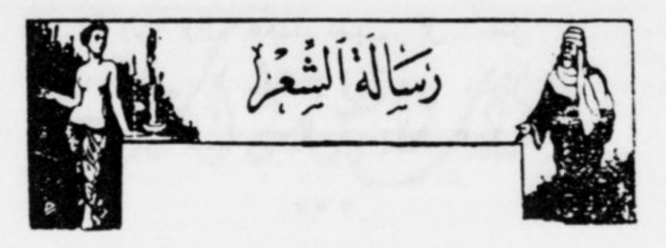
الحرب الحالية :

ظلت اليابان فى تقدمها وأخذ نفوذها يزداد ووقفت بجانب الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى ولكن فى الحرب الثانية غيرت خطتها ودخلت الحرب بجانب ألمانيا وإيطاليا وانتهى الأمر بهزيمتها وباحتلالها إذ احتلها الأمريكان ١٩٤٥

أما كوريا فقد قسمت إلى إقليمين كوريا الشمالية وهذه تدين بالشيوعية وتعتبر منطقةنفوذ روسى ، وكوريا الجنوبية وهى تعتبر منطقة نفوذ أمريكية . حاول الشيوعيون ضم كوريا الجنوبية فلم توافق أمريكا واعتبرت هذا عدوانا عليها وهكذا تجددت المأساة؛ فالأمريكان فى اليابان يرون الآن مارأته اليابانمنذ نصف قرن وأكثر من أن وجود كوريا فى يد دولة معادية خطر عليهم ومن هنا قامت الحرب الحالية وهى ما تزال سجالا بين الفريقين

أبو الفتوح عطيفة

مدرس أول العلوم الاجتماعية
بمدرسة سمنود الثانوية



الوطن المكبل

للاستاذ إبراهيم الوائلي

إلى الشعوب التي تتطلع الى الحريه والاستقرار فيجرها المستعمرون وأذنابهم الى الهاوية وهي لا تستطيع الدفاع

تنقـلى تنقـلى على بساط المخمل
واستقبلى الربيـع فى موكبه المخضـل
فنسمـة عطرية من نسمات الشمأل
ونغمـة حالمـة من نغمات البلبل
وزهرة ناضـرة من زهر القرنفل
تنقـلى على الربى وفى ضفاف الجدول
وانطلقى مع الصباح والضحى والطفل
فى عالم مجنـح يسمو على التخيل
من دوحـة وارفة إلى غـدير سلسل
لك الحقول فامرحى وزهرهـا فقبلى
وكل ينبوع جرى فى السهل أوفى الجبل
لك الفضـاء والمروج والجـال فاحفلى
ولى وهل فى الكون شىء لا أقول: ذاك لى ؟
لى الشعور ثائراً وهو سلاح الأعزل :
ولى كآبة الرجاء وانطفـاء الأمـل

* * *

تنقلى على (الفرات) فهو عذب المنهل
و (دجلة) اصدحى على ضفافهـا وهللى
لك العراق روضة بانعة لم تذبل
فحومى على (الخليج) واخفقى فى (المعقل)
وحلقى فى (بابل) إن شئت أو فى (الموصل)
لك الرحيق فاشربى من صفوه المسلسل
وعلليـنـا بالخيـال من بقايا الوشـل !

* * *

يا ضيفة الحقل الذى حف بمن لم يبخل
تنقـلى ما شئت فى أوطاننا واهتبـلى ..
سوانح اللـذة فى مجالهـا المفضـل
ولا تخـافى حارسـا فكلهم فى شغـل
فى نهـم ليس له من آخر وأول
تقاسموا بقيـة من فضلة لم تؤكل
مما تبقى منك يا (ضيفة) هذا المنزل
فهـذه قصورهم مـع الغيوم تمتلى
حافلة بكل ما نيـل وما لم ينـل
وهـذه بطونهم تشكو من الترهل
مما ارتشوا أو نهبوا من عالم (مغفل)

* * *

يا ضيفة الحقـل وما سواك بالمدلل
ترنحى فى وطن مشتت مضلل
وعششى وأفرخى فيه وما شئت افعـلى
وسخرى أذنابه لسحق رب المنجـل
وغارس متشـح بطمره المهلهـل
وعامل كفنه نسج دخان المعمـل
وخاضعين كم جثوا لصنم أو هيكل
يسوقهم سيدهم سوق النعام الهمل !

* * *

يا ضيفة الحقل اهتفى على الربى ورتلى
أغنيـة ساخرة بالوطن المغلـل
واتخذى من جهله للنهب خير السبل

فإنه فى شغل عنك بداء معضل
بفرقة حزبية قامت على التكتل
و (نزعة) عابثة تسقيه مر الحنظل
ترن فى أوصاله مثل رنين المعول
تثيرها سياسة مملوءة بالدغل
ويعتطيها نفر باسم الكتاب المنزل
من الألى ما احترفوا الدين لحل مشكل
كم حللت أهواؤهم ما ليس بالمحلل
وكم أذاعوا وافتروا على النبى المرسل
واتخذوا من دينه القيم شتى الحيل
لكى تعيش حفنة أكراشها لا تمتلى
من كل من لولا هوى مستعمر لم يصل
ولم ينل غير الذى ترمى ثقوب المنخل
لكنها سياسة ذات رتاج مقفل
إلا لمن يعدها منه بحبل موصل
وينحنى فى بابها انحناءة التسول
ليشترى منصبه بالوطن المكبل
بكل ما يملك من ماض ومن مستقبل
بالشعب. ماالشعب سوى قطيع ضأن مهمل!
ببائس بمعدم بشاكل بمعول
بساعة يصرفها فى حكمه المزلزل

* * *

لله يا شعب الألى مدوا رواق الأزل
فى بابل و (نينوى) وفى عهود الرسل
وفى تراث خالد كان رواء المجتلى
وأمة كم هدرت بصوتها المجلجل
ما للفراتين يسيلان على تمهل ؟
وفى الضفاف (شوكة) تحز كل مفصل
جاء بها فى غفلة عهد الولاة الأول
فأوغلت ممتدة فى القطر شر موغل
ولن تزال هكذا تصيب كل مقتل
ما بقيت (حثالة) فى مأمن وموئل
تسود شعباً جائعاً من الحفاة العزل !

* * *

فيالجرح نافر فى الشرق لم يندمل
وأمة حائرة من عيشها فى مجهل
يحكمها من لم يكن منها ومن لم يسأل
فمن ظلام مدبر إلى ظلام مقبل

* * *

وفترة ضاق بها كل أريب أمثل
ولم تدع من أمل لشاعر مؤمل
أما لفجر باسم من رعشة فى المقل ؟

ابراهيم الوائلى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأستاذ توفيق الحكيم :

صدر مرسوم ملكي بتعيين الأستاذ توفيق الحكيم مديرا لدار الكتب المصرية ، وقد سرني ذلك ، لأمرين :

الأول ما يدل عليه هذا الاختيار من حسن التفات الدولة إلى الكفايات الممتازة والانتفاع بها فيما يناسبها من الأعمال ، فهو اختيار خالص محض لوجهته ، وشخصية توفيق الحكيم إنما تقوم على ساقين متينتين من الأدب والفن ، لم يستند إلى من يقدم ، ولم يسر في ركاب ، ولم يصطنع غير إنتاجه ، فامتداد وعى الدولة إلى خلوته يدعو إلى الارتياح الذي شعر به الجميع إزاء هذا التعيين

الأمر الثاني ما يرجى على يديه في دار الكتب ، وسيرى الأستاذ الحكيم في الدار نوعين من موظفيها جديرين بالالتفات ، النوع الأول جماعة من « الأفندية » يحسنون (المنكرة) ينقلون الكلام ويلفقونه ويوقعون بين الناس ، ويتقربون بذلك إلى من بيده الأمر ، متخذين وسائل الملق وحسن السمت وفرط الأدب ... حتى لا ينقص أحدهم إلا الفرجون يمسح به ... وهذه الفئة تسد الطريق في وجه النوع الثاني ، لأنها تستقبل الفوائد فتلتقفها ، ولا يكاد يصل شئ إلى القابعين في محاريب العلم والعمل ... وأقصد بهؤلاء — وهم النوع الثاني — أولئك العاملين في خدمة العلم والأدب في دار الكتب ، وخاصة بالقسم الأدبي ، وكثير منهم مضت عليه عشرات السنين هناك وخرجت على يديه نفائس الكتب وذخائر الأدب محققة منسقة أدق تحقيق وأجمل تنسيق ، وهم مع ذلك مرزءون في أرزاقهم ، حتى انسدت نفوسهم من الإهمال وسوء التقدير

وليست المسألة كلها متعلقة بأشخاص أولئك العاملين في خدمة العلم والأدب في دار الكتب ، وعن يعولون ، إنما هي — إلى ذلك — مسألة العلم والأدب ، مسألة العمل في إخراج الكتب ، فقد كاد هذا الجهاز النافع الذي كان ناشطا في ذلك المضمار جادا في تنقية موارد الفكر — كاد هذا الجهاز يشل ، لعدم إيلائه ما يستحق من عناية ورعاية . وقد جعل الناس منذ سنين يتساءلون عما جرى لدار الكتب: فأقعدها عن مواصلة إخراج أمهات الكتب ومراجع الأدب . وتبلغ الآذان بعض المعاذير من ظروف الحرب وغلاء الورق ... ولكن ذلك قد طال حتى فقد ما يحمل على تصديقه ... والداء كله في « سد النفس » وها قد صار الأمل كله مناطا بالحكيم ...

الشعر في مجلة المصور :

في عدد الأسبوع الماضي من مجلة « المصور » جاء ذكر قصيدة « عندما يأتي المساء » في موضوع من موضوعاتها ، فنسب المحرر هذه القصيدة إلى الأستاذ أحمد رامى ، وهي من شعر الأستاذ محمود أبو الوفا ، ومن أغاني فلم « يحيا الحب » للأستاذ محمد عبد الوهاب ، وقد قالها أبو الوفا وغناها عبدالوهاب منذ أكثر من خمسة عشر عاماً ، وسجلت في (أسطوانة) وكثيراً ما تذاع ، ولم تتكرم الإذاعة مرة واحدة فتذكر اسم قائلها ولو على أسلوبها المعروف بمثل قولها « من كلمات فلان ! » ثم جاء محرر المصور فرمى الرمية إلى رامى !

وفي عدد هذا الأسبوع من مجلة المصور أيضاً (٢٣ مارس سنة ١٩٥١) نشرت كلمة لسعادة عبد الرحمن حقي باشا وكيل وزارة الخارجية إلى جانب صورته بعنوان « أنا » قال سعادة الباشا في هذه الكلمة :

« وإذا سئلت الآن أن ألخص تجاربي في عبارة قصيرة جامعة لم أجد خيراً من البيتين الاثنين اللذين علقا بذاكرتي من أيام الصغر ، وهما :

أحبب حبيبك هوناً ما ... عسى أن يكون بغيضك يوماً ما

وابغض بغيضك يوماً ما ... عسى أن يكون حبيبك يوماً ما »

وهكذا كتب الكلام في صورة بيتين من الشعر ، ولعل

عذر الباشا أن الكلام علق بذاكرته منذ الصغر ، فلو كان من محصوله في الكبر لتنبه إلى أنه نثر ... أضف إلى ذلك أن « ما » في نهاية الفقرات تشبه القافية !

ذلك عذر الباشا ... فما عذر المجلة ورئيس تحريرها الأستاذ الكبير فكرى أباظة باشا الأديب الذى كان ينظم الشعر في صباه ؟ أو ليس في دار الهلال مراجع أديب يعرف الكلام المنثور من الموزون ، ويضبط الخطأ في ذلك إن جاز على محرر أو سكرتير تحرير ؟

إنها سقطة أرجو أن تنبه عليها مجلة المصور لتلافى ما قد يستقر في أذهان قرائها الكثيرين من أن ذلك الكلام شعر

وبعد فيذكرنى ذلك بالأعرابي الذى قام يخطب الناس، ليحثهم على الجهاد فقال : أيها الناس ، قال الله تعالى :

كتب القتل والقتال علينا
وعلى الغانيات جر الذيول

صاحت الرجاجة صياح الديك

في يوم من الأسبوع الماضى حفلت قاعة فاروق الأول في نادى نقابة الصحفيين بجمهور كبير أكثره من السيدات والآنسات المطالبات بالحقوق السياسية للمرأة ، وذلك لسماع محاضرة الدكتورة درية شفيق في « الثقافة الشعبية كوسيلة للنهضة النسوية » وهى إحدى المحاضرات العامة التى تنظمها الجامعة الشعبية

تحدثت الدكتورة كثيراً جداً عن مساواة المرأة بالرجل وعن المعركة التى تخوضها المرأة لنيل الحقوق السياسية، وتحدثت قليلا جدا عن أثر الثقافة في النهضة النسوية وهو موضوع المحاضرة ... فجاءت المحاضرة فرصة لمظاهرة من هذه المظاهرات التى قامت بها أخيراً الأحزاب النسوية في مصر ، ولم تحقق شيئاً مما يتطلبه الباحث عن ثقافة المرأة المصرية ممثلة في هؤلاء « الزعيمات » وكم أود أن تدلل المرأة المصرية على استحقاقها ما تطالب به بثقافة ممتازة وعمل مجيد

والذى يهمنى الآن من هذه المحاضرة هو ما سادها من اللحن الكثير والخطأ اللغوى الفاحش ، حتى خيل أن « كان وإن » وأخواتهما — مثلا — يكدن هن أيضاً ينهضن المطالبة بحقوقهن في رفع المرفوع ونصب المنصوب ... ويدعونى هذا إلى أن أقترح على الجامعة

كشكول الأسبوع

▫ جرى الانتخاب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الاثنين من الأسبوع الماضى ، بين المرشحين لملء الثلاثة الكراسى الخالية به ، فانتخب الدكتور أحمد عمار وعبد الحميد العبادى بك ، ولم يفز أحد بعدهما بالنصاب القانونى من الأصوات ، فبقي الكرسى الثالث خالياً ، وسيظل كذلك حتى يعلن خلو كرسى آخر بعد الأربعين من وفاة المغفور له عبد العزيز فهمى باشا ، ثم يفتح باب الترشيح ويجري الانتخاب لشغل الكرسيين

▫ تعتزم وزارة المعارف إنشاء مطبعة عربية في مدريد تقوم إلى جانب معهد فاروق الأول للدراسات الاسلامية بالعاصمة الاسبانية ، لطبع المخطوطات العربية التي يعثر عليها في إسبانيا

▫ كلفت لجنة ترقية التمثيل العربي كلا من الأساتذة محمود تيمور بك وأحمد الصاوى محمد وعلى أحمد باكثير ، بكتابة مسرحية لقاء ألف جنيه يوزع بين المؤلفين الثلاثة على أن يحصلوا على نسبة مئوية قدرها ٧ ونصف في المائة من الإيراد بعد أن تغطى الرواية المبلغ الذى حصل عليه كل مؤلف

▫ جاء إلى مصر في أوائل هذا العام الشاب الألمانى « ولفرد مادلنج » يبغى دراسة الأدب العربى والقرآن الكريم ، فلحق بقسم اللغة العربية بكلية الآداب ، وهو الآن في السنة الثانية ، يدفعه إلى ذلك محبته للغة العربية وأدبها

▫ أصدر الأستاذ عبد المتعال الصعيدى كتابا جديدا عنوانه « تاريخ الإصلاح في الأزهر وصفحات من الجهاد في الإصلاح » وهو كتاب واف شامل في موضوعه ، وهو يتضمن إلى الناحية التاريخية آراء المؤلف الخاصة ونقده لنواحي الموضوع المختلفة وخاصة نظم الدراسة والمؤلفات التى تدرس في الأزهر

▫ ظهر أخيراً كتاب « هتلر وموسولينى بين السياسة والدين » للاستاذ عبد الهادى محمد مسعود ، وهو دراسة مستفيضة للنظم الهتلرية والموسولينية ، والعلاقة بين السياسة والدين ، ونظرات في أنظمة الحكم المختلفة

▫ كان الأستاذ كامل السوافيرى قد كتب في « الرسالة » عن محاضرة في القومية العربية للأستاذ ساطع الحصرى بك ، وقد نقلت الزميلة العراقية « لواء الاستقلال » الموضوع بحذافيره ولم تشر إلى مصدره

الشعبية إنشاء قسم خاص بها لتعليم أعضاء الأحزاب النسوية اللغة العربية باعتبارها عنصراً من الثقافة الشعبية

وأريد أن أعدى عن كل ذلك إلى أمر آخر ، أريد أن أغض عن جر المنصوب وفتح المضموم ، وعن مثل قول المحاضرة (مادة فى المادة) لأقف عند ظاهرة أخرى ... كانت الدكتورة درية شفيق تعبر عن نفسها بالمذكر وترجع ضميره إلى النساء ، فقد قالت : « هأنذا » وكانت تعبر عن تعليم الجامعة الشعبية النساء فتقول إنها تعلمهم وتهذبهم بدلا من تعلمهن وتهذبهن ! وفشا ذلك كثيراً فى المحاضرة حتى وصلت عدواه إلى الأستاذ على الجبلاطى المشرف على تنظيم محاضرات الجامعة الشعبية فى تعقيبه على المحاضرة . . وندرك مقدار هذا التأثير إذا علمت أن الأستاذ من رجال الأدب واللغة !

فهل كانت الدكتورة تعمل ذلك قصدا إلى المساواة فى اللغة وإزالة الفوارق بين المذكر والمؤنث ؟ وهل لنا أن نقول: صاحت الدجاجة صياح الديك . ؟

درس في الجامعة الشعبية :

كان منتصف الساعة السابعة من مساء الأربعاء الماضى ، موعدا معينا لندوة المكتبة بالجامعة الشعبية ، وكان المقرر أن يتحدث فى هذه الندوة الأستاذ أحمد الشرباصى عن كتاب « التصوير الفنى فى القرآن » للأستاذ سيد قطب ، ونشر ذلك فى « الأهرام » وتوافد الجمهور لحضور الندوة ، ولكن كان كل من يقبل ويقصد إلى قاعة المحاضرات يفاجأ بمحاضرة أخرى تلق فيها حيث كان الدكتور محمد بلال يتحدث عن « رسالة الدائب فى المجتمع » ووقف الأستاذ الشرباصى ومن معه بالفناء كن حكم عليهم بالإخلاء ولا يجدون مأوى . وأقبل الأستاذ سيد قطب ، فانضم إلى الحائرين . وجاء بعض القائمين بالأمر هناك يعتذرون ويستمهلون . ولكن محاضرة النائب طالت ، فأخرج الأستاذ سيد قطب الدعوة الموجهة إليه ووقع عليها بالأسف لعدم قدرة الجامعة الشعبية على تنظيم أوقات محاضراتها ؛ وأعاد الدعوة - التى ليس لها مكان - إلى أصحابها ، وانصرف ...

وبقى الأستاذ الشرباصى حتى فرغ المحاضر فى منتصف الثامنة ، ودعى إلى القاعة وقدمه أحدهم إلى من تبقى من الجمهور على ظن أنه سيلقى محاضرته ، ولكن الأستاذ وقف فقص على الحاضرين ما حدث ، ثم روى الحديث الشريف « رحم الله امرأ عرف قدر نفسه » وقال : إن الأستاذ سيد قطب عرف قدر نفسه فانصرف ، وأنا أيضا لا أرى من كرامتى أن تكون محاضرتى ذيلا لمحاضرة أخرى ...

وسمعت واحدا من الجمهور يقول لزميله فى منصرفهما : لقد جئنا لسماع المحاضرة ، ولكن سمعنا ما هو أوقع منها . .

— ليت كل من يخطئ فى هذا البلد المسكين يجد من يلقى عليه مثل هذا الدرس !

جوائز المجمع اللغوى :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، فى الأسبوع الماضى بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية ، بإعلان نتيجة المسابقات الأدبية لسنة ١٩٥٠ — ١٩٥١ . وقد بدأ الاحتفال بكلمة الأستاذ أحمد حسن الزيات التى نشرتها « الرسالة » فى الأسبوع الماضى ، وقد تضمنت رأيا فى القديم والجديد وموازنة فى ذلك بين الأدب العربى وغيره ، وقدم الأستاذ الشعراء الجازين فوصف أشعارهم وعرف بهم . ثم تلاه الأستاذ إبراهيم مصطفى بك فألقى كلمته عن البحوث الأدبية ، وقد بدأها بنبذة عن الدراسة اللغوية وتطورها ، ثم عرف بالكتابين الفائزين ، فقال إن كتاب « الفصحى فى ثياب العامية » نظر فيما بين العامية والعربية من صلة وقربى فى الألفاظ وفى وسائل الدلالة؛ وفى الكناية والتشبيه والاستعارة ، وفى أساليب الاستفهام والتأكيد والذكر والحذف ، وفيما يعترى الحروف من إبدال وتسهيل وإسكان وتحريك . وقال إن كتاب « الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلى » يكشف عما يحيط بالعصر الجاهلى من الغموض والجهالة ، وقد جعل المؤلف أساس العمل فيه سلاسل الأنساب المروية التى كان العرب يعتزون بها ولا يعدون العالم عالما حتى يكون بصيرا فيها ، وعاد إلى أخبار الملوك المدونة وإلى الحوادث المؤرخة ليختبر نظريته ويؤيد نتائجها ، وانتهى إلى أصل يعتمد عليه فى تحقيق كل سلسلة من



إذن لقد استيقظ الشرق

دفعني لكتابة هذه الكلمة القصيرة ما نقلته إلينا محطات الإذاعة ووكالات الأنباء حول تأميم صناعة البترول في إيران ... فلقد جمعني مجلس ضم خمسة أشخاص يمثل كل منهم جنسية ما. كان ذلك قبل الميعاد المحـــدد لإحدى المحاضرات في أحد المعاهد ... خمسة أشخاص . سيدة أمريكية تبلغ من العمر الستين عاما وفتاة بولونية وسيدة فرنسية وشاب إيراني وآخر إنجليزي

بدأ الحديث حول إضراب عمال « المترو والأتوبيس » في باريس وما الوسيلة التي حضر بها كل منا إلى المعهد ؛ فمن قائل في إحدى سيارات الجيش التي خصصتها الحكومة لتنقلات السكان، ومن قائل أتيت راكباً قطار رقم ١١ — على حسب تعبير الفرنسيين — وهو يعني بذلك قدميه، وكيف أنه قطع المسافة في ساعة ونصف نظراً لبعد مسكنه ...

ثم انتقل الحديث إلى نظام العمل والتأمين الاجتماعي والصناعات المؤممة فتحدث كل من الحاضرين عن ذلك في بلده. ولما جاء دور الشاب الإيراني وذكر موافقة البرلمان الإيراني على مشروع تأميم صناعة البترول بإيران قالت له السيدة الفرنسية أليس للروس دخل في ذلك؟ فقال إن الحزب الشيوعي ضعيف في إيران وإنما حركة التأميم هي حركة تمثل رغبة الشعب الإيراني ... فقالت السيدة الفرنسية ومصر تريد تأميم شركة قناة السويس؟ ولقد استمعت عن رغبة العراق في تأميم شركة البترول العراقية الإنجليزية ... عند ذلك قالت السيدة الأمريكية « إذن لقد استيقظ الشرق » وهنا تنهد الشاب الإنجليزي — بحرقة أثارت انتباهنا جميعاً والتفاتنا إليه — وقال : « مسكينة إنجلترا ... كل هذا ضدنا ... » فقلت له أرجو أن تسمح لي أن أقول لقد استغلت إنجلترا هذه الثروات وربحت منها كثيراً منذ زمن طويل. وأعتقد أن الوقت قد جاء ليستفيد أصحاب الثروة من ثروتهم ويأخذ أصحاب الحق حقهم .. فتنهد الإنجليزي مرة أخرى وصمت ... وهنا أحسست إحساساً عميقاً بأن سيطرة بريطانيا وجبروتها قد أخذ ينكمش ليتلاشى ...

وعادت السيدة الفرنسية إلى الكلام قائلة لقد حملنا إلى الشرق أشياء كثيرة ، أقول ذلك كأوربية لا كفرنسية فحسب ؛ حملنا الثقافة ومبادئ الحرية وغير ذلك كثير ...

وهنا ثار الشاب الإيراني واحمر وجهه وقال لم تحملوا إلينا شيئاً ... فأسرعت قائلا لأتمم كلام زميلي الإيراني

الحرية !! كلمة ناديتم بها ولكن للأسف لم نحسها نحن معشر الشرقيين إلا عبودية منكم لنا فكانت دعوتكم منطقاً معكوساً ... ولم يسمح لي « الجرس الكهربائي » أن أتم كلامي إيذاناً ببدء المحاضرة وهنا قالت السيدة الفرنسية ونحن نتأهب

عباس خضر

سلاسل النسب وفي تاريخ كل شاعر وزمن حياته

وبعد ذلك أعلن الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي مراقب المجمع ، نتيجة المسابقات مفصلة كما يلي :

١ — الشعر : منح الأستاذ كمال النجمي الجائزة الأولى وقدرها ٢٠٠ جنيه عن ديوانه « الأنداء المحترقة » ومنح الأستاذ محمود محمد صادق ١٠٠ جنيه عن مجموعة شعره المقدمة للمسابقة ، ومنح الأستاذ فريد عين شوكة ١٠٠ جنيه عن ديوانه « وحي الشباب »

٢ — البحوث الأدبية واللغوية : منح الأستاذ سليمان محمد سليمان الجائزة الأولى وقدرها ٢٠٠ جنيه عن بحث « العامية في ثياب الفصحى » ومنح الأستاذ عبد العزيز مزروع الأزهري ١٠٠ جنيه عن كتاب « الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي »

وكان قد قدم لهذه المسابقات عشرة دواوين ، وأربعة بحوث ، وست قصص لم يلف فيها ما هو جدير بالجائزة ، وبحث عن ابن سينا لم يجز

للقيام لقد كانت الحضارة القديمة في مصر وفارس وهي اليوم في أوربا وربما عادت إلى الشرق مرة أخرى فتلك دورة الزمن !

وعندئذ وجدتني أرتل قوله تعالى : وتلك الأيام نداولها بين الناس ...

(باريس) سالم عزام

أعذب الشعر أكذبه !

أورد الأستاذ الأديب عبد القادر رشيد الناصري في مقاله الطريف « الدخان في الشعر » هذه الكلمة الموروثة « أعذب الشعر أكذبه » مستدلا بها على كذب المرحوم الشاعر معروف الرصافي حين يذم الخمر ، وهو الذي كان لا تفارق الكأس شفتيه وكان كما قال أستاذنا الكبير الزيات : همه من الحياة شرب العرق ولعب الورق واستباحة الجمال » !

وإيراد تلك الكلمة الموروثة على هذا الوجه في ذلك المقام تحريف لها عن معناها الأدبي الرفيع ! ولقد أعجبني تحليل أستاذ العربية المرحوم مصطفى صادق الرافعي لها ؛ إذ جاء في كتابه القيم وحي القلم ج ٣ مانصه :

« ولعلماء الأدب للعربي كلمة ما أراهم فهموها على حقها ، ولا نفذوا إلى سرها ! قالوا : أعذب الشعر أكذبه ؛ يعنون لمن تولم الشعر المبالغة والخيال ، ولا ينفذون إلى ما وراء ذلك ؛ وما وراءه إلا الحقيقة رائعة بصدقها وجلالها ! وخلاصة ذلك أن الطبيعة كلها كذب على الحواس الإنسانية ؛ وأن أبصارنا وأسماعنا وحواسنا هي عمل شعري في الحقيقة ، إذ تنقل الشيء على غير ما هو في نفسه ، ليكون شيئاً في نفوسنا ؛ فيؤثر فيها أثره جمالا وقبحاً وما بينهما !

وما هي خمرة الشعر مثلا ؟ هي رضاب الحبيبة ؛ ولكن العاشق لو رأى هذا الرضاب تحت المجهر لرأى ... لرأى مستنقعاً صغيرا ... ولو كان هذا المجهر أضعاف الأضعاف مما يجهر بها لرأيت ذلك الرضاب يمج مجيجاً بالهوام والحشرات التي لا تخفى بنفسها ، ولكن أخفاها التدبير الإلهي بأن جعل رتبتها في الوجود وراء النظر الإنساني رحمة من الله بالناس ! فأعذب الشعر ما عمل في تجميل الطبيعة ، كما تعمل الحواس الحية بسر الحياة ، ولهذا المعنى كان الشعراء النوابغ في كل مجتمع هم الحواس لهذا المجتمع » !

وللأستاذ الناصري أخلص الشكر ، وأطيب التحيات

محمود محمد بكر هلال

المدرس بمدرسة سوهاج الأميرية القديمة للبنين

إلى الأستاذ كمال بسيوني

مقالك أيها الأديب عدوان على الشعر وإجحاف بالشعراء ، فقد جعلت من سمة الذوق الحي ، والفطرة المهذبة ، لغة بدائية ، النطق بها جمود ، والاحتفاء بها تأخر . مع أن العقل المنطيق لا يقول بأسبقية الشعر وهو . مقيد بالوزن ، منغم بالقافية على النثر وهو مطلق حر لا يعقله إسار . ولا شك أن الإنسان إذا أراد له الله أن يعلو على الحيوان باللسان كانت ألفاظه كالحب قبل أن ينتظمه العقد ، وظل كذلك حتى ارتقى وتهذبت أحاسيسه ، ورقت نفسه فزين قوله بالشعر ... وبدهي أن هناك فرقاً واسع الأبعاد بين البدائي وهو يحس بجسمه وأعصابه ، والمتحضر وهو يشعر بقلبه وأعماقه . ولقد صدق شوقي حين قال . « أنتم الناس أيها الشعراء »

القاهرة بركات



ليلة في مقبرة

عن جي دي موباسان

بقلم الأستاذ رمزي مزيغيت

لقد أحببتها حب جنون .. ولا تسلني لماذا يحب المرء ، وهو إذا ما أحب تغيرت حاله وبات لا يرى من الناس إلا شخصا واحدا ، ولا يختلج قلبه إلا برغبة واحدة ، ولا تهمس شفتاه إلا اسما واحدا يتصاعد من أعماق الروح كما تتصاعد المياه من الينابيع .. اسما واحدا يردده العاشق على الدوام ويهمس به حيثما كان كالصلاة .

سأروى لك قصة حبنا ، وما قصتنا إلا قصة الحب الخالدة التي لا تتغير أبدا الدهر ..

لقد قابلتها يوما وأحببتها .. هذا كل ما جرى . . ثم عشت معها حولا كاملا ذقت خلاله صفو الحياة وانطلقت بدنيا الحب الحق بأجواء الغرام ، أغرد في أنس وأسكن في أمن . فكان لي من حبها دنيا جعلتني سعيدا خليا لا أبالي بعقابي أو مآلي ..

ثم ماتت .. كيف ماتت . . لست أدري . . ! ؟ كل ما أعلمه أنها عادت إلى البيت ذات ليلة ماطرة مبللة الثياب . وفي اليوم التالي انتابتها نوبة من السعال أخذت حدتها تشتد يوما بعد يوم . ومضى أسبوع على هذا الحال فلزمت الفراش . . أما ما حدث بعد ذلك فلا أذكر منه إلا أن الأطباء حضروا وشخصوا الداء ووصفوا الدواء ، وجاءت بعض النسوة لرعايتها وتمريضها . . كانت يداها ملتهبتين وجبينها يشتعل نارا وعيناها لامعتين حزينتين ، وكنت أحدثها وتحدثني . . أما ماذا كنت أقول وماذا كانت تجيب فلست أدري . . فقد نسيت كل شيء . . ولست أذكر سوى أنها ماتت ، وسوى تلك الآهة الواهنة التي انفلتت من بين شفتيها ساعة انطلقت روحها إلى بارئها

وحضر الكاهن وسمعته يقول لي . . « أهذه خليلتك ؟ » فخيل إلى أنه يسيء إليها وينتهك حرمة الموت فطردته شر طرد ، وجاء غيره وكان وقورا طيبا ، فراح يحدثني عنها بلطف واحتشام ومقلتاي تهرقان الدمع مدرارا . .

وجاء المشيعون ، وأودعوها نعشها ، وثبتوا غطاءه بالمسامير ثم حملت إلى المقبرة — مثواها الأخير — وواروها في جثوة ضيقة عميقة باردة .. وأذكر أني هربت ، ورحت أعدو من شارع إلى شارع كمن به مس من الجنون ، حتى بلغت البيت .. وفي اليوم التالي رحلت

وقد عدت يوم أمس . . ولما دخلت غرفتها ورأيت أثاثها وكل ما خلفته وراءها مر بخاطري شريط متتابع الصور من الأمس الحبيب ، فعاودتني الأحزان وعصرت قلبي عصرا ، وشعرت برغبة ملحة في أن أقذف بنفسي من النافذة . .

ولم أستطيع البقاء بين تلك الأشياء وبين تلك الجدران التي كانت تحتويها ، فقد كنت أشعر بأنفاسها ما زالت عالقة بجو الغرفة . . فاختطفت قبعتي واندفعت هاربا . . وفي طريقي إلى الباب مررت بالمرآة الكبيرة القائمة في البهو – تلك المرآة التي وضعتها هي هنا لتتأمل فيها نفسها وتصلح من شأنها كلما أزمعت الخروج

واقتربت من تلك المرآة التي طالما انعكست صورتها على صفحتها ، وخيل إلى أنها ما زالت هناك .. فانتابتني الرعدة وجرى في جسدي تيار بارد ، وتعلقت عيناي بالمرآة – ذلك الزجاج المنبسط الفارغ الذي طالما احتواها وملكها بكليتها كما ملكتها يوما وملكتها عيناي .. وشعرت كأني أحب ذلك الزجاج الأملس فمددت يدي إليه فإذا هو بارد لا حياة فيه .. آه منك أيتها المرآة الفارغة الرهيبة ! وآه من تلك الأحزان القاتلة التي تبعثينها في قلوب الرجال !

سعيد ذلك الرجل الذي يستطيع أن ينزع من قلبه كل ما احتواه ويسدل على أمسه سترا ويكفن ماضيه ويواريه حفرة نائية ، يا إلهي لشد ما أتعذب .!

وخرجت من البيت دون ما شعور أو تفكير ورحت أضرب في شوارع المدينة على غير هدى ، حتى وجدتني أتجه إلى المقبرة .. وهناك وجدت قبرها البسيط وعليه صليب أبيض من الرخام حفرت عليه هذه الكلمات –

« أحبت وأحبت ، ثم ماتت » ...

نعم ماتت ، وها هي هنا تحت الثرى وقد تعفنت وحالت إلى تراب .. يا لله .. وبكيت طويلا ورأسي مسند إلى قبرها ..

ثم بدأ الظلام يرخي سدوله. واكتسحتني رغبة جنونية — رغبة العاشق اليائس — في أن أقضي آخر ليلة بجانب قبرها. ولكني خشيت أن يبصر بي أحدهم، فما العمل . ؟ ليس أمامي إلا الحيلة .. فرحت أتجول في مدينة الموتى وأتنقل من هنا إلى هناك .. ولشد ما بدت لي هذه المدينة صغيرة بالنسبة لمدينة الأحياء .. ولكن ساكنيها ولا شك أكثر عددا وعديدا .. ومع ذلك فهم يقنعون بهذه البيوت الوضيعة بينما نحن الأحياء نطلب القصور العالية والشوارع الواسعة والمأكل الشهي والمشرب العذب، لنعود في النهاية إلى التراب وننضم إلى أجيال الموتى التي سبقتنا ؛ ويطوينا المجهول وإياها بردائه

وقادتني قدماي إلى طرف المقبرة حيث تقوم القبور القديمة المتآكلة الصلبان والتي حالت أجساد ساكنيها إلى تراب لا يلبث أن يصبح مهداً للمزيد من الأموات . وكانت الأزهار في هذا الركن تقف على سيقانها سقيمة الحسن ذاوية البهجة . ولا عجب، فانها ترتوي من ماء الأبدان .. ولم يكن في هذا الجزء أحد من الأحياء، فتسلقت شجرة عتيقة واختبأت بين أغصانها، ومكثت هناك طويلا متعلقا بجذع الشجرة كما يتعلق الغريق بحطام السفينة

وأخيرا نفض الليل على المكان حالكات نقابه، فنزلت من مخبأي وأخذت أسير ببطء وحذر فوق تلك الأرض المليئة بالموتى.. وتجولت بين القبور فترة طويلة دون أن أهتدي إلى قبرها .. فسرت باسطا ذراعي أمامي أتحسس طريقي، ولكني لم أعثر على قبرها .. وأعدت الكرة فلم أترك شيئا إلا ولمسته .. الصلبان والأحجار والأسوار الحديدية وأكاليل الزهر الاصطناعية وأكاليل الزهر الذابلة اليابسة، وقرأت أسماء أصحاب القبور بأطراف أصابعي، ولكن دون جدوى .. يا لها من ليلة .. فقد كانت ليلة ضريرة النجم والقمر، ملأت قلبي رعبا وفزعا وأنا أتنقل في الممرات الضيقة بين القبور . ولم يكن هناك سوى قبور . قبور في كل مكان .. ومن ثم جلست على واحد منها بعد أن نال مني التعب وتملكني اليأس . وكنت أسمع دقات قلبي بوضوح وأنا جالس هناك وحيدا مرتعداً .. ثم طرق أذني صوت آخر غامض انبعث من جوف الظلام أو باطن الأرض المزروعة بأجداث الموتى . . فتلفت حولي وأنا أكاد أختنق من الخوف والرعب . وفجأة شعرت أن السطح الرخامي الجالس فوقه قد أخذ يتحرك كأن يدا تدفعه .. فوثبت إلى قبر مجاور

ونظرت إلى القبر الذي كنت جالسا عليه فرأيت الحجر يرتفع ومن تحته هيكل بشري يدفعه بظهر مقوس وبرغم الظلام الحالك فقد كنت أراه بوضوح، وقرأت على صليب قبره هذه الكلمات —

« هنا يرقد جاك أوليفانت الذي توفي عن ٥١ عاما وكان محبا لأسرته لطيفا شريفا، ومات في محبة الله . »

وقرأ الهيكل أيضا ما كان مكتوبا على قبره ثم انحنى والتقط حجرا صغيرا مدببا وراح يمسح ما كتب عنه بكل عناية حتى طمسها جميعا، وأخذ ينظر إلى ما فعل من محجريه الأجوفين .. وبخط أشبه بما يكتبه الأطفال على الجدران بالطباشير راح يكتب بعظمة إصبعه هذه الكلمات «هنا يرقد جاك أوليفانت الذي مات عن ٥١ عاما، ولقد عجل بوفاة والده بسبب معاملته الفظة وطمعه في الحصول على الإرث .. وكان يعذب زوجته وأولاده ويخدع جيرانه ويسرق، وفي النهاية مات تعيسا شقيا »

وبعد أن فرغ الهيكل من كتابته انتصب بعظامه يحدق فيما خطت يده، وعندما تحولت بنظري عنه شاهدت أن جميع القبور قد فتحت وانسلت منها هياكل ساكنيها وراح كل منهم يمسح ما كتبه الأقارب والخلان على صليبه ويكتب مكانها بنفسه مايعرف عن حقيقة نفسه . ولشد ما كانت دهشتي حين تبين لي أنهم كانوا جميعاً كذابين منافقين، حاسدين أفاقين، معذبين لزوجاتهم وخادعين لجيرانهم، سارقين، ارتكبوا كل منكر وشائن ... كانوا جميعا الآباء الطيبون منهم والزوجات الوفيات والأبناء البررة والبنات العفيفات والتجار الأمناء، يكتبون على عتبات مثواهم الأبدي حقيقة أنفسهم المروعة، تلك الحقيقة التي لم يكن أحد غيرهم يعرفها أو كان يعرفها ويتجاهلها عندما كانوا أحياء يرزقون

وخطر لي عندئذ أنها ربما تكون هي الأخرى قد كتبت حقيقة نفسها. فرحت أعدو بين القبور المنشورة وسط الهياكل والأجداث الى حيث يوجد رمسها . ولم اجد صعوبة في الاهتداء اليها هذه المرة، وعرفتها في الحال رغم اختفاء وجهها تحت ملاءة بيضاء .. وعلى الصليب الرخامي حيث قرأت منذ حين أنها أحبت وأحبت ثم ماتت » طالعتني هذه الكلمات — « خرجت ذات يوم غزير المطر لتخون حبيبها فأصيبت بنزلة برد وماتت . . »

ويبدو أنهم عثروا على فجر اليوم التالي ملقى على القبر مغشيا علي..

رمزي مزيغيت


ظهر المجلد الثالث
من كتاب
وحي الرسالة
فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع
والقصص
للاستاذ أحمد حسن الزيات
طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد
سكك حديد الحكومة المصرية
دليل تليفونات القاهرة
طبعة سنة ١٩٥١
يمكنكم أن تحجزوا الاماكن التى تختارونها للاعلان عن أعمالكم فى دليل تليفونات القاهرة طبعة سنة ١٩٥١
والاعلان فى الدليل المذكور له مزايا خاصة اذ يتجدد كل يوم طوال مدة سريان الطبعة ويتداوله آلاف المشتركين وبه أماكن خالية تستطيعون إستئجارها بأسعار زهيدة
ولزيادة الايضاح اتصلوا .—
بقسم النشر والأعلان بالادارة العامة ـ بمحطة مصر
مطبعة الرسالة



العدد ٩٢٦ — ٩ ابريل سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

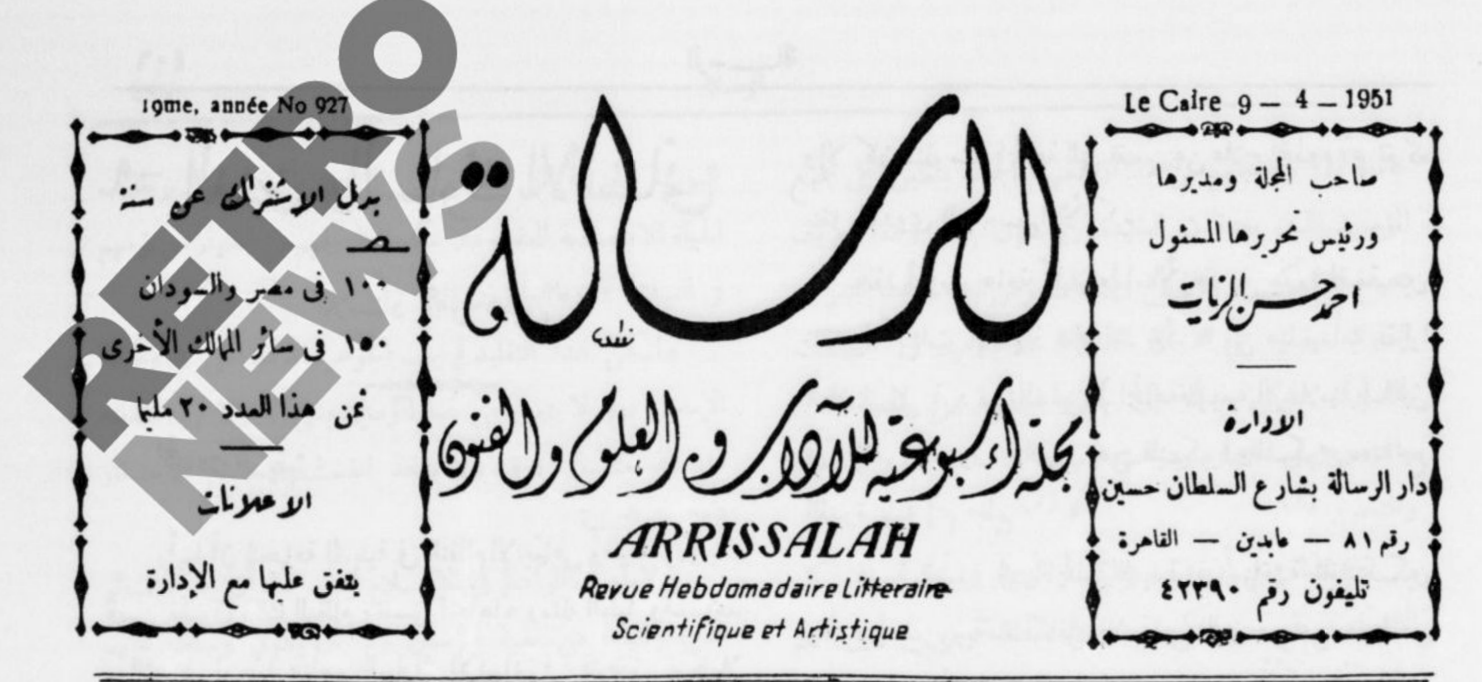


جامعة فؤاد الأول

كلية طب قصر العيني

توجد وظيفة صانع أسنان كل الوقت خالية بمدرسة طب الاسنان بكلية طب قصر العيني ويشترط في طالب التعيين أن يكون سنه أقل من ٣٠ سنة وعنده خبرة تامة في هذه المهنة لا تقل عن عشر سنوات ويقدم الشهادات الدالة على ذلك وأن يكون حاصلا على شهادة الكفاءة على الأقل أو ما يعادلها وسيعمل امتحان لراغبي الالتحاق ويعين من يقع عليه الاختيار في الدرجة الثامنة بمرتب قدره ستة جنيهات مصرية مضاف اليه جنيه علاوة اجتماعية للمتزوج وعلاوة الغلاء المقررة حسب القانون وتقدم الطلبات لمدير فني الكلية في بحر عشرة أيام من تاريخ النشر

٨٠٣٦



العدد ٩٢٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٢ رجب سنة ١٣٧٠ — ٩ إبريل سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

ربيعك في نفسك

كنت كلما أقبل أبريل بالربيع تلقيته وفي نفسي بهجة الطفل، وفي عيني وضاءة الجنة، وفي قلبي صبوة العاشق، وفي حسي نشوة الشاعر، وعلى لساني أغرودة البلبل. ثم أجدني بعد همود الشتاء وعبوسه قد تجاوبت مع الطبيعة؛ فأنضر مع الغصن، وأتفتح مع الزهر، وأنطلق مع النسيم، وأمرح مع الطير، وأزدان مع الروض، وأقضي أواخر النهار على ضفاف النيل، وأوائل الليل في ملاهي القاهرة، فأجد لكل شيء جمالا، وفي كل عمل لذة، وعلى كل منظر فتنة!

أما اليوم فإنه يقبل به على فلا ألقاه، وإذا لقيته لا أراه! ذلك لأن ستاراً من ظلام النفس يفصل بين عيني ونوره، وحجاباً من كآبة العيش يحول بين قلبي وسروره!

فأنا أمشي في شارع فؤاد — إن مشيت — فأرى حياة الربيع من حولي تتدفق باللهو، وتتألق بالجمال، وتتأنق بالزينة، وأنا محمول على عبابها المضطرب ذاهل الوعي بارد الحس خامد الحركة، كأنني جثة قتيل على سطح نهر، تمور الأمواه تحتها بالحياة، وتزدهي الشطئان حولها بالنضارة، وهي تجري إلى مصيرها المجهول لا تحس بالسكون ولا تشعر بالوجود!

وأنا أغشى مسرح اللهو — إن غشيت — فأرى الوجوه تهش، والثغور تبسم، والعيون تقول، والقلوب تصغي، وأنا جالس إلى المنضدة الرخامية لا أجد بيني وبينها فرقاً في الجمود والبرود! فمثلي كمثل الأصم الأصلخ في المرقص الصاخب: يرى أفواهاً تنفخ في مزامير، وعصياً تضرب على طبول، وأجساداً تلتصق بأجساد، وشفاهاً تنفرج عن ثغور، ثم لا يسمع أنغام العازفين فيطرب، ولا يدري كلام الراقصين فينتشي!

لقد خبَت وقدة القلب وعادت جمراته رماداً!

أذلك لتقدم السن، أم ذلك لتأخر الصحة؟ لا يا صديقي! لا تقدم السن يؤخر الربيع، ولا تأخر الصحة يقدم الخريف. ما دامت فيك حياة ففيك شعور. والشعور إن يبلد يدرك الحس في جمال الطبيعة؛ وإن يرهف يدرك الروح في حس الجمال. إنما هي الحياة العفنة التي نحياها اليوم في مصر! مستنقع من الماء الآسن، تنعقد عليه أبخرة خانقة، وتسطع منه روائح خبيثة، وتطن فوقه حشرات سامة. فإذا لم يؤتك الله المشاعر السحرية التي تجعل الظلام نوراً، والبخار بخوراً، والطنين شدواً، والكدر صفواً، عنَّاك أن تجد اللذة، وأعياك أن تسيغ العيش!

لقد كنا من قبل نبصر الحياة بالقلب والقلب فنان، ونحن الآن نبصرها بالعقل والعقل عالم!

احمد حسن الزيات

٩ - الدين والسلوك الانسانى

للاستاذ عمر حليق

الجماعة الدينية :

رأينا أن للجماعة الدينية فى النظام الاجتماعى وظيفة مزدوجة؛ فهى تصون ذلك النظام وتنسق اتجاهاته ومثله العليا وتساعد بذلك على توحيد عناصر السلوك الإنسانى فيه فتحقق تكاملا اجتماعيا سليما . والوجه الثانى لهذه الوظيفة المزدوجة هو فصل تلك الجماعة عن المجتمع الأكبر روحيا واجتماعيا . ولنبدأ بمعالجة الوجه الأول :

للجماعة الدينية دستور مدون يبين وظيفتها الاجتماعية هو كتابها المقدس؛ وعلى مقدار صلاح ذلك الدستور لمواجهة التطور فى الزمان والمكان يتوقف استمرار تلك الوظيفة ومبلغ إتقانها لثورات الفكر أو تقبلها لدعوات الإصلاح

والتكامل الاجتماعى لتلك الجماعة الدينية يتقى كثيراً من الشر إذا فسح المجال لدعوات الإصلاح أو ثورات الفكر أن تجادل وظيفة الدين الاجتماعية على أن يكون سلاح تلك الجماعة مستمدا من روح العصر ولغته وعلومه ومعارفه

ودفاع الجماعة الدينية عن وظيفتها الاجتماعية لايكون بوقف باب الاجتهاد وإنما يكون بتصحيح الأخطاء التى تنتج عن سوء اجتهاد المصلحين أو الملحدين . فالشك سبيل إلى اليقين ، ومعالجة الشك لا تأتى إلا بطريق الإقناع . والشك مرض، وأمراض العالم تعالج بأسلحة حديثة وإلا نفر الناس من الجماعة الدينية نفورهم من الحلاق أو الساحر الذى يعالج المرض بوسائل ما قبل التاريخ . والمتشكك المنكر لوظيفة الدين والثائر على الجماعة الدينية إذا عجز عن الاقتناع مثله مثل المريض الذى يأبى التطبيب فيموت بملته

ولكن من حق الجماعة الدينية إذا عجزت عن إقناع المنكر لها الثائر عليها أن تحاربه بأقصى ما تستطيع من عنف وجهد ، وإلا كان مثله مثل الجماعة التى تقصر عن علاج المجذوم ثم تتركه ينقل العدوى إلى جسمها الأكبر

ولقد أعرب جماعة كبار علماء الأزهر عن هذه الحقيقة حين ناقشوا كتاب الأستاذ خالد محمد خالد « من هنا نبدأ » فقالوا « إن لكل فرد من المسلمين (الجماعة الدينية الإسلامية) الحق فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ والنكوص عنه مع القدرة عليه إثم عظيم (١) »

فسعة الصدر لدى الجماعة الدينية فى مناقشة المتشككين والمدعين ضرورية للتكافل الاجتماعى الذى هو من خصائص وظيفة تلك الجماعة . فتاريخ نمو الوعى الدينى كتاريخ نمو الوعى السياسى والاقتصادى كان وليد النقاش والجدل والشك والإقناع، وإلا فالجمود صفة تلازم الجماعة التى لا تناقش ولا تجادل ولا تقنع المتشكك الثائر

ومناقشة الجماعة الدينية فى وظيفتها الاجتماعية ونهوض تلك الجماعة للدفاع والإقناع وسيلة من وسائل تنشيط الفكر ، وتهيئة تلك الجماعة لمواجهة التيارات المستجدة فى التفكير والسلوك . فالتطور الفكرى غريزة فوق أنه ظاهرة تستمد وجودها من طبيعة الأشياء . فإذا تسلحت تلك الجماعة بسلاح العصر استطاعت أن تكشف فى وظيفتها الاجتماعية نواحى جديدة لم يفطن إليها السلف فتزيد بذلك من مكانتها فى النظام الاجتماعى وتعزز كيانها فتزيد من سلطتها الروحية رسوخاً وقوة

فالمشكلة إذن ليست فى ميلاد الشك والثورة الفكرية وإنما فى مبلغ استعداد الجماعة الدينية للتعرف على حقيقة وظيفتها على ضوء العلم والمعرفة المستمدة من روح العصر

ويجب أن لا يساء الفهم فى تحديد معنى الجماعة الدينية ووظيفتها . فالجماعة الدينية لا تعنى فقط أئمة الرأى وحفظة الدين والنخبة الممتازة التى تتخصص فى تدريس الدعوة ونشرها بين الناس والقيام على إحياء شعائرها

فقد عرف (هوات) الجماعة الدينية بأن يكون لها (تاريخ خاص وكيان اجتماعى خاص وخصائص خاصة وسلوك وأهداف وغايات

---

(١) راجع عددى ٣ و ٤ يونيه سنة ١٩٥٠ من جريدة المصرى

خاصة (١) وقد يفهم من هذا أن مفهوم الجماعة ينطبق على جميع المؤمنين الذين يعتنقون العقيدة ويؤمنون بها. وهذا تعريف صحيح؛ ولكن علم الاجتماع وإن كان يؤمن بصدق هذا التعريف وصوابه يصر على « أن الظاهرة الاجتماعية في العبادات والسلوك الديني مدينة إلى جهود الخاصة من حفظة الدين والمتبحرين في اختباره ودراسته وصيانة تعاليمه من سوء الاجتهاد والتحوير (٢)

وهذا يعني أن عبء وظيفة الدين في تحقيق المشاكل الاجتماعية يقع جزء كبير منه على الخاصة من أهل العلم والاجتهاد والأئمة

فالتحريف في الطقوس والعبادات يعني تحريفاً في أوجه التكامل الاجتماعي الذي يكون للدين ضلع كبير في توطيده وتحقيقه. وكلما تعقدت الطقوس وأنواع العبادات ازدادت مسؤولية الخاصة من حفظة الدين، وبالتالي ازداد أثرهم في توجيه التكامل الاجتماعي خيراً أو شراً تبعاً لاستعدادهم لمواجهة التحدي الفكري (الشك والثورة) الذي يكاد ينحصر في انتقاده للطقوس والعبادات والرمزيات التي تعبر عن العقيدة الدينية لا لجوهرها

وكلما كان الدين وتعاليمه وعباداته وطقوسه في متناول العامة من المؤمنين كان صيانة تلك التعاليم أكثر سهولة

وظيفة الإمام المسلم في المسجد تختلف عن وظيفة الكاهن في معبد بوذي مثلا. فالإمام وظيفته ديمقراطية بمعنى أنه يؤم المؤمنين في إقامة الصلاة، بينما وظيفة الكاهن أو الراهب وظيفة مهنية تنحدر إليه بطريقة معينة سبلها وأسسها وشروطها. ذلك لأن الإسلام وقد خلا من الكهنوت ترك الإمامة لأكثر الحضور أهلا في إقامة شعائر الدين فتجنب بذلك حصر السلطة الدينية في أيدي الخاصة

ولقد اتبع المسلمون في العصور الحديثة تقليداً يدل على مدى مرونة الإسلام في مجاراته التطور. فأصبحت الإمامة في المساجد لجماعة من الذين تفرغوا لرعاية شعائر الدين على نحو يلائم الحياة اليومية الحديثة التي تتطلب من المؤمنين أن يقوموا بوظائف الحياة الاقتصادية المعقدة فلا تمكنهم ظروفهم من اختيار من يؤمهم في الصلاة كلما دعاهم المؤذن إليها

ولكن هذا التقليد لم ينف الجوهر الديمقراطي في وظيفة الإمام. فهو لا يتميز عن بقية المؤمنين بشيء، ولا تزيد حسنته عند الله مثقال ذرة، ولا يتخذ لنفسه صبغة الاحتكار للشؤون الدينية

والامام أو الواعظ في الإسلام ليس عمله أن يقيم شعائر الدين بالنيابة عن بقية المؤمنين ولا أن يكون وساطة بينهم وبين الله. فبدون الإمام تقام تلك الشعائر، وإقامتها واجبة على كل مؤمن، وإنما وظيفته أن يسهل لهم سبلها بالوعظ والإفتاء والإقامة، وأن يشرح لهم ما استعصى عليهم فهمه من أمور الدين؛ فهو إذن لا يتميز عن بقية المؤمنين بمهنة موروثة أو درجة معينة

فإذا كانت وظيفة حفظة الدين في الإسلام ديمقراطية فإن من واجبها أن تجادل الناس وتتفقهم وأن تستمع إليهم وترد على شكوكهم وتوجههم توجيهاً يتفق مع هذه الوظيفة الديمقراطية التي تحفظ التوازن في نطاق المصلحة الجوهرية للأكثرية التي تؤلف الجماعة الدينية

ومما يزيد في أهمية هذه الوظيفة الديمقراطية لحفظة الدين في الإسلام أن ردهم وإقناعهم ومنطقهم وتوجيههم مستمد من المادة الأولى (القرآن والحديث والقياس والإجماع) التي هي في متناول جميع المؤمنين. فإذا تكلم المفتي أو الإمام أو الواعظ فإنما يردد ما يقرأه عامة المؤمنين صباح مساء في صلواتهم وأدعيتهم وكتبهم الدينية. فالدستور الديني في الإسلام ليس رموزاً ولا طقوساً معقدة صعبة الفهم والإدراك

فوظيفة حفظة الدين في الإسلام كوظيفة النائب في البرلمان يتقيد بمواد الدستور وينوب عن الشعب في التعبير عنها. ومهما اختلف الناس في صلاح هذا النائب أو ذاك وفي قدرته ونضاله في معالجة المشاكل فإن الاختلاف لا يمس جوهر الفكرة الديمقراطية التي بعثت به إلى قبة البرلمان

إذن فالعلاقة بين حفظة الدين والقائمين على دراسة تعاليمه وشروحه وتفاسيرها ووظائفها الاجتماعية وشرحها بين الناس

---

(١) A. B. Halt, The Sources and Methods of the Sociology of Religion

(٢) *Malinowaki Magic Science and Religion*

٣٦٠٣٠

وبين المؤمنين من الرعية هي علاقة متممة بعضها لبعض . أسسها ديمقراطي؛ وهي لذلك من أهم الدعائم التي تحفظ التكامل الاجتماعي

ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض نقدة الدين أنهم ينتقدونه ممثلا في بعض حفظته . ومثلهم كمثل من ينتقد النظام البرلماني لفساد بعض النواب وقصورهم . وهذا النقد فوق أنه خاطئ فإنه شر يمس صميم التكامل الاجتماعي الذي هو هدف كل حركة إصلاحية؛ دينية كانت أم سياسية أم اقتصادية

وقد يزداد شر هذا النقد على أسس ذلك التكامل أن يقوم بعض حفظة الدين بتولية أنفسهم سلطة ديكتاتورية لم تعترف بها العقيدة ولم تشرعها السنة أو السلف الصالح

وتفادي هذا الشر لا يكون إلا بترقية أساليب النقد ووسائل الرد عليه . وفي عالم تزداد المعرفة فيه يوما عن يوم فإن على الناقد والمنتقد معاً أن يدركا مقدرة الناس على تمييز المنطق المخطئ أو المصيب حين تكون تعاليم الدين سهلة مبسطة واضحة بينة كما هو الحال في الإسلام

فإذا عجز حفظة الدين عن تسليح أنفسهم بسلاح المنطق العلمي الحديث والمعرفة والعلوم العصرية فإنهم بذلك يسيئون إلى صميم العقيدة الدينية ويبثون في نفوس بعض الناس شكا وارتيابا ما كان ليثار لو أن الإقناع كان باللغة التي يفهمها أهل الجيل؛ وهي لغة تستمد تعابيرها ومنطقها من الحقائق الاجتماعية التي يعيشون فيها ومن مناهج تعليمية، الدروس الدينية فيها قل أن تحظى بانتباه أو أن تعالج بالقدر الذي تستحقه نظراً لأهمية الدور الذي يؤديه الدين في النظام الاجتماعي

نيويورك « ابحث صلة » عمر حليم

مراكش

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

قطر شقيق جريح ؛ وكلنا في الهم شرق !

إيه يا شرق! أما لليلك من آخر؟ وهل لفجرك من شروق؟ إنني حيثما قلبت النظر لم أجد إلا شعبا كليما، وحيثما أدرت البصر لم أر إلا هما مقيما !

يا شرق ! لقد أتى عليك حين من الدهر كنت تدير الدنيا وتتحكم فيها، وكان العالم يحسب لكلمتك ألف حساب وحساب، يتقرب الملوك إلى خلفائك، وتخضع الشعوب طوعا لإرادتك. ثم انقلبت الآية وجاء حين آخر فإذا بك إذا ذكر الأحياء لا تذكر. والأمم لا تعيش في ماضيها وإنما تعيش في حاضرها ومستقبلها، فهل آن لمجدك أن يعود ؟

وأنت أيها الغرب عجبا لك : تؤمن بعبادئك وتكفر بها في وقت واحد ؟ فأنت تؤمن بالحرية في بلادك وتكفر بها في غير بلادك . وأنت تؤمن بالمساواة في ديارك وتنكرها على غيرك من الشعوب والممالك . وأنت تؤمن بالديمقراطية وتطعنها في سائر الأقطار ! أما آن لك أن تفيء إلى رشدك وأن ترتدع عن غيك ! تالله إنك إن لم تثب إلى عقلك فإن أزمة حامية لن تبقي ولن تذر سوف تقتلع مدنيتك وتقضي على حضارتك

وأنت يا فرنسا يامن تقولين إنك مبعث النور والحرية ، وأم الإخاء والمساواة والديمقراطية ! أما تذكرين أنك منذ عشر سنين سقطت تحت أقدام المحتلين من الألمان فداسوا حريتك وبكى رجالك، وشرد نساؤك وأطفالك ، وما زلنا وما زال العالم يذكر ديجول وهو يبكي من دار الإذاعة في لندن على حريتك المسلوبة وعلى شعبك المسكين ! أما آن لك أن ترتدعي عن غيك وأن تحترمي الحرية وأن تقدسيها في غير بلادك ؟ فما يعرف طعم الحرية إلا من ذاق ألم السجن ، وما يقدر الصحة إلا مريض عوفي من مرضه . خبرينا ماذا دهاك وماذا صنعت بمراكش؟ وعلى أي أسس ومبادئ أتحت لقائدك جوان فعاث فيها فسادا وبطشا وإرهابا وطمن شعبا وأذل سلطانا ؟

ثم طلعت جريدة الإيكونومست البريطانية منذ أيام تطلب إلى الحكومة البريطانية بمناسبة الحالة في إيران أن ترسل بوارجها إلى مياه الخليج الفارسي لأن الشعوب الإسلامية لا تخاف إلا بالقوة فكأنما نحن الشرقيين نستهدف لحملة مدبرة من الغربيين. ولعل من الخير لنا إذن أن نعرف بلادنا وأن نعمل على جمع كلمتنا وإني هنا أقصر حديثي الأول عن مراكش

أين تقع مراكش

هنالك فى شمال غرب قارة أفريقيا توجد مراكش وهى تطل على البحر الأبيض وتشرف على المحيط الأطلنطى ، وتتكون من سهول ساحلية خصبة تتدرج فى الارتفاع فى الداخل حتى تنتهى إلى جبال مراكش ، وبها أنهار قصيرة تصب فى البحر الأبيض والمحيط الأطلنطى ، ومناخها صيفاً حار جاف ، وشتاؤها دافئ ممطر ، وتتغذى أنهارها صيفاً على ذوبان الثلوج فوق الجبال

وفى السهول يشتغل السكان بالزراعة فيزرعون القمح والشعير والخضر والزيتون والفاكهة. وعلى الحشائش تربى الأغنام والماعز وعلى الجبال توجد غابات البلوط والفلين . وبها من المعادن الفوسفات والنحاس والرصاص والزنك

ويشتغل كثير من السكان باستخراج الاسفنج وصيد السمك. وأما الصناعة فما زالت متأخرة ؛ ومعظم الصناعات تعتمد على الإنتاج الزراعى والحيواني مثل دبغ الجلود وعمل المصنوعات الجلدية الرقيقة وصناعة البسط والأغطية الصوفية واستخراج الزيت

ولعلك تسألنى متى دخلت مراكش فى الإسلام وما هو الدور الذى لعبته فى تاريخه ؟ وأنا أجيبك بأنها دخلت الإسلام منذ تم فتحها فى عهد الوليد بن عبد الملك ومنها خرج الجيش العربى بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير لفتح بلاد الأندلس

وقد كانت مراكش من بلاد الدولة الفاطمية حين تم تأسيسها ، ومن بلاد المغرب كانت تخرج سفن العرب فتملأ قلوب سكان إيطاليا وفرنسا فزعاً ورعباً ، ثم خضعت للدولة العثمانية واستقلت عنها وقد حافظت على استقلالها حتى أوائل هذا القرن

الحماية :

فى نهاية القرن التاسع عشر انتابت أوربا حمى عنيفة من الاستعمار ووضعت كل من فرنسا وألمانيا عينها على مراكش . وكانت مراكش بلاداً متأخرة وكان سكانها من البربر يتحدون السلطان فى عاصمته فاس . وقد بلغ من سطوتهم أن أحد زعمائهم خطف مندوب بريطانيا ١٩٠٦ مما اتخذته الدول دليلا على عجز السلطان عن حماية الأجانب فى بلاده ؛ وذلك ما اتخذته الدول جميعاً سبباً للقضاء على حرية الشعوب واستعبادها

وقد حاولت الدول أن تنشئ علاقات تجارية معها وكانت أسبقها فرنسا ، فكانت تستورد منها الليمون والصمغ وجلود الماعز المراكشى الشهيرة. ثم أقرضت السلطان ديناً وبدأت القصة التى أدت إلى الاحتلال

فى ١٩٠٤ عقد الاتفاق الودى بين إنجلترا وفرنسا على أن تطلق إنجلترا يد فرنسا فى مراكش ، وتطلق فرنسا يد إنجلترا فى مصر

وفى ١٩٠٥ زار القيصر وليم الثانى إمبراطور ألمانيا ميناء طنجة وألقى خطبة ندد فيها بسياسة فرنسا الاستعمارية وأيد استقلال سلطان مراكش للمحافظة على مصالح ألمانيا الاقتصادية ، ودعا إلى تسوية المسألة فى مؤتمر دولى ، فعارضت فرنسا وكادت المسألة تؤدى إلى حرب

وقد اجتمع المؤتمر الدولى فى الجزيرة ١٩٠٦ ووافقت الدول على استقلال مراكش واتفقت على أن تحافظ على الأمن الداخلى كل من فرنسا وإسبانيا

وفى ١٩١١ عادت ألمانيا فأثارت المشكلة المراكشية من جديد ، ذلك أن فرنسا احتلت فاس عاصمة مراكش بدعوى المحافظة على النظام ، فأعلنت ألمانيا أن ذلك خروج على اتفاقية الجزيرة وأرسلت المدرعة « بانثر » إلى ميناء أغادير . وتوترت العلاقات بين فرنسا وألمانيا وانضمت إنجلترا إلى فرنسا وكادت الحرب تقوم . ولكن ألمانيا قبلت ما عرضته عليها الدول . فقد عوضتها فرنسا عن مطامعها فى مراكش ببعض أراضيها فى وسط أفريقيا ، واعترفت ألمانيا بحماية فرنسا لمراكش

وتنقسم مراكش حاليا إلى الأقسام الآتية :

أولا : مراكش الفرنسية وهى تشمل معظم مراكش ويحكمها سلطان وطنى

ثانياً : مراكش الإسبانية ، وتعرف بالمنطقة الخليفية نسبة إلى خليفة سلطان مراكش ومركزه تطوان ، وتعرف هذه المنطقة ببلاد الريف

ثالثاً : طنجة ، وهى ميناء دولى

السلطان الأسير :

وقد نزعت مراكش أخيراً إلى الاستقلال عن فرنسا وشجع

٢ - الفــــارابى
فى العالم الاسلامى وفي أوربا
بمناسبة مرور ألف عام على وفاته

للأستاذ ضياء الدخيلي

لا ريب أن قيام الفارابى بشرح الكتب اليونانية الطارئة قد أدى خدمة جلى لليقظة العربية ، ولو لم يقم هو ومن حذا حذوه بشرح غوامض الفلسفة التى وفدت على بلاد العرب من دون سابق ألفة لما نهضت صروح تلك الحركة الفكرية ولم تثبت فى هذه البيئة الجديدة روحيا وماديا. وإذن فإن شرحه للتراث اليونانى كان تلبية لنداء الحاجة التى اقتضتها الظروف القاهرة. ولعله شغل بالشرح عن الابتكار والإبداع . على أن الشرح لا ينقص من مكانته ، ولا أجد كبير فرق بين الشارح والمؤلف ، فإن الأول إذا فهم أهدافه الثانى وعرف أفكاره فقد حلق فى نفس الأجواء التى يبسط المبتدع جناحيه فيها وتابعه فى طيرانه وكان معه فى مستوى واحد؛ إلا أن المبتدع يتقدم فيتلوه الشارح . ولقد كانت بركة الفارابى شاملة غير المسلمين والعرب فإن الأمم الأعجمية عندما نهضت واستشرفت معالم الفلسفة اليونانية وجدت فى الفارابى وتلاميذه من يأخذ بيدها إلى الصواب فى متاهة أفكار الفلاسفة، فلذلك عمدت إلى آثاره فترجمتها إلى لغاتها قال (جورج سارتون Sarton) فى كتابه المدخل إلى تاريخ العلم Introduction to the history of scienec ترجم إلى اللغة اللاتينية (جون John) و(جرارد Gerard of Gremood) كتاب إحصاء العلوم للفارابى (وهو من النصف الأول للقرن العاشر الميلادى) [١] وقال (سارتون) إن كتاب (المبادئ) الباحث فى الفلسفة والسياسة الذى ألفه الفارابى فى النصف الأول من القرن العاشر فى دمشق (عام ٩٤٢م) وراجعه وأعاد النظر فيه فى القاهرة بين عامى (٩٤٨ - ٩٤٩ م) قد ترجم إلى العبرية عام ١٣٤٨م تحت عنوان hathalot hs-nimaza ot hatile iyyim وترجمها إلى العبرية (موسى بن تبون Noses I. tibbon) الذى ولد فى مرسيليا وكان قد ترجم إلى العبرية جملة كتب عربية لابن رشد والفارابى وغيرهما وكان من أعظم المترجين فى العصور الوسطى وكان رياضيا وطبيبا وفلكيا [٢] وقال سارتون Sarton إن إسحاق البلاغ اليهودى Isaac albalog كان فيلسوفا ومترجما من العربية إلى العبرية وقد ترعرع فى شمالى إسبانيا فى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى وبداية القرن الرابع عشر، وقد سعى ليوفق بين علم اللاهوت اليهودى والثقافة الأرسطاطاليسية الصافية الأصيلة. وفى خلال دحضه ونقضه وتفنيده آراء الغزالى و(موسى ابن ميمون Naimonides) قدم ملاحظة تقول بأن أغلاطهم أى أغلاط أتباع ابن ميمون نشأت من أخذهم فلسفة أرسطو بصورة غير مباشرة ، ولم يتهيأ لهم أن يقتبسوها من معينها الأصيل ؛ ذلك لأنهم أخذوها من شروح الفارابى وابن سينا والآخرين [٣] . وإذن فإن هذا الفيلسوف اليهودى يرى أن الفارابى وتلميذه ابن سينا لم يفهما أرسطو على حقيقته. وهذه دعوى نظنه انفرد بها ولم يشاركه فيها أحد من البشر، وقد تجشمها لأجل تقريب إمكان التوفيق بين اليهود وتعاليم أرسطو ، ساعيا ليجمل الصعوبة التى وجدها محاولو ذلك التوفيق ويرجعها إلى أن الفلسفة التى بأيديهم المنسوبة لأرسطو مشوهة وممسوخة ، أما فلسفة أرسطو الحقيقية فإنها لا تتعارض مع اليهودية . ليت شعرى ما الذى حمله على كل هذا التمحل والتكلف ؟ ومن قال له إن كل ما قاله

(١) vol.2 Part.1 page.171 introduction to the history of sienc sarton

(٢) « « « 848 « « « « « « « « « «

(٣) vol.2.part.1 page.877 introduction to the history of sience sarton

---

الحركة سلطانها الحالى محمد بن يوسف ، فثارت فرنسا وأرعدت وقام قائدها جوان المقيم العام يثير القبائل على السلطان ويهدده ، وأمام التهديد قبل السلطان ما فرضه جوان !

وقد ذهب صحفى مصرى أخيراً لمقابلة جلالة السلطان وتمت المقابلة، وكان يجلس بجانب الصحفى المصرى أثناء المقابلة المستشار الفرنسى ويقول الفرنسيون بعد هذا إن السلطان ينعم بتمام الحرية

أبو الفتوح عطيفة
المدرس الأول للعلوم الاجتماعية
بسنود الثانويه

أرسطو حق مستقيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وأظن هذا اليهودى التائه لو بعث اليوم من مرقده ورأى كيف أن الفلسفة المصرية هدمت هيا كل فلسفة أرسطو وإخوانه من اليونان لسخر من أتعابه وجهوده فى تقويم المعوج فى العصور الوسطى ، ولا بأس أن نشرح كلمة مرت عليك قبل أسطر هى Naimonides فقد شرحها لنا قاموس Webster إذ قال إن Naimonidean منسوب إلى Naimonides أى موسى بن ميمون الذى عاش (١١٣٥ م — ١٢٠٤ م) وكان من أعظم فلاسفة اليهود فى القرون الوسطى ، وكانت مدرسته تتوخى الجمع والتوفيق بين فلسفة أرسطو والتعاليم اليهودية (١)

أقول وهذا نظير ماسعى إليه (إخوان الصفاء وخلان الوفاء) من الجمع بين الإسلام والفلسفة اليونانية وكل ذلك ناشئ من إكبار فلاسفة العصور الوسطى لفلاسفة اليونان ، فأخذ كل فريق يؤيد دينه بالتوفيق بينه وبين فلسفة اليونان ، ظنا منهم أن الذى يتفق مع آراء أرسطو الذى كان نابغة خالدة يضمن له الرسوخ والثبات ولماذا ؟ وقد جاء وفق ما اهتدت إليه العباقرة من اليونان أوأن هذه المساعى كانت ضرورة ملحة استجابة لتبلبل الأفكار حيث اصطدمت فى نفوسهم عقيدتان فلابد من التأليف بين مااختلف منهما؟ وإلا فإن اصطدامهما يودى بإحداهما. غيرأن طائفة من المتزمتين ثاروا فى وجه الفلسفة وحرموها وقاوموها وأعلنوا بطلانها وسفهوا أحلام الفلاسفة وظنوا أنهم استراحوا فكانت النتيجة أن بقوا سخرية الأجيال المتعاقبة وفى طليعة هؤلاء ابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن الصلاح ، والذى يهم موضوعنا اليوم مما تقدم أن هذا اليهودى المفيد يرى أن الفارابى شارح أرسطو قد خلط وخبط ولم يهتد إلى سواء السبيل ، ولم يفهم حقيقة فلسفة أرسطو. ولنتركه واعتقاده ونعرض لشخصية أوربية أثنى عليها (سارتون) فى كتابه وادعى أنها كانت تضع ثقتها كلها فى صاحبنا الفارابى وتلميذه ابن سينا ، أجل قال (سارتون) فى ترجمة (ألبرت الكبير Albert the great) الذى ولد عام ١١٩٣ م فى (لوينجن Lauingen) وتعلم ودرس فى (بادوا Padova ثم علم ودرس فى مختلف المدارس الربانية المسيحية فى ألمانيا سنة ١٢٢٨ م وما بعدها، ودرس فى باريس من عام ١٢٤٥م إلى عام ١٢٤٨ م وكانت مؤلفاته تقوم على مدرسة أرسطو، وكانت نوعا من التفاسير والشروح لما كتبه أرسطو ، ولكنه أفعم فيها حشوا كثيرا مأخوذا من الفلسفة الإسلامية واليهودية ومصادر أخرى مختلفة ، وزج فيها أيضا ملاحظاته الشخصية

يقول (سارتون) (٢) إن ألبرت الكبير هذا قد اعتمد من بين شراح فلسفة أرسطو واتبع بصورة رئيسية خطوات الفارابى وابن سينا وكان على الأغلب لايرتضى أقوال ابن رشد وابن يهوذا (ابن جبيرول Ibn Oabirol) الذى اعتبره من الفلاسفة المسيحيين الذين قاوموا فلسفة أرسطو، وقد مال (ألبرت الكبير) ميلا قويا إلى فلسفة موسى ابن ميمون واعتمد عليها ولكنه حافظ على استقلاله . وابن ميمون (٣) هذا هو الرئيس الحاخام موسى بن ميمون ولد فى قرطبة من عائلة يهودية معروفة ، وأكره بسبب الاضطهاد الدينى على مغادرة إسبانيا فذهب أولا إلى فاس ثم إلى عكا ثم إلى القاهرة حيث توطن. وكان مشهورا لا فى الطب فحسب، بل فى الفلسفة والدين. ويبالغ اليهود فى احترامهم له. وكان ابن ميمون طبيب صلاح الدين الأيوبى ثم طبيب الملك الأفضل وطبيب أشراف الدولة، وقد تراكمت عليه الأشغال حتى كان أحيانا يأخذه التعب فيعالج بعض المرضى وهو مستلق على الديوان. وكانت معظم تآليفه فى اللغة العربية وقلما كتب فى العبرانية. وقد ترجمت كتبه إلى العبرانية ثم إلى اللاتينية. أما شهرة موسى بن ميمون فلم تأت من الطب ولكن من محاولته التوفيق بين الاعتقاد والبرهان ، وبين الدين والعلم . وأتته أيضا من تعاليمه التى وعاها فى كتابه (دلالة الحائرين) الذى دون فيه نظرياته فى تقريب الفلسفة اليونانية والعربية من التعاليم الدينية فى زمانه ، ولهذا اتهمه المعاصرون من خصومه بالهرطقة وسموا كتابه (ضلالة الحائرين) رغما من أنه كان يشغل أكبر مركز دينى عند اليهود فى القاهرة. وقد ترجم هذا الكتاب إلى العبرانية ثم إلى اللاتينية وكان ذا أثر عظيم على النظريات الفلسفية فى القرون الوسطى وما بعدها حتى

(١) قاموس وبستر (٢) Sarton Page 935

(٣) الطب العربى للدكتور أمين أسعد خير الله الأستاذ فى الجراحة فى الجامعة الأميركية فى بيروت ص ١٥٩

أننا لنجد أثر هـذه التعاليم فى فلسفة (سبينوزا) و(كانت) .
ونعود إلى صاحبنا الفارابى فنلفت نظرك إلى أن من المـأمول والمترقب أن لا ينجو أبو نصر من حملات الغزالى على الفلسفة وأقطابها، وأن المسيحيين الذين خاصموا الفلسفة إجمالا قد استعانوا بخصوم الفلسفة من المسلمين ، فوقف الغزالى العقلى والدينى قد راق علماء المسيحيين منذ اللحظة التى تيسر لهم فيها الاطلاع على كتبه ولا يزالون مهتمين بدراسة أبحاثه والعناية بهـا. والمعروف أن الغزالى قد هاجم الفلسفة وذهب فى هجومه عليها إلى تـكفير أهلها ، من أفلاطون وأرسطو إلى الفارابى وابن سينا ، وقد مهد لدراستها بكتابه (مقاصد الفلاسفة). ثم حمل عليها فى كتابه (تهافت الفلاسفة) وسرعان ما راج كتابه الثانى عنـد خصوم الفلسفة من المسيحيين فنلاحظ أن (ريموند مارتن R. Martin) الذى يحتمل أن لا يكون لعلمه بمؤلفى العرب نظير فى أوربا بأسرها حتى العصور الحديثة — فيما يقول جيوم — قد نهض بعد ممات القديس (توما) بمقابلة فلاسفة الإسلام وعلمائه ، واستجاب لطلب (ريموند بنـافورت Raymund Pinnafort) رئيس هيئة الدومنيكيين فى وضع كتابه (الدفاع عن الإيمان) وأدخل فيه الـكثير من آراء الغزالى ومنذ ذلك الحين أفاد الـكثيرون من علماء المسيحية من آراء الغزالى ، وانتفع القديس (توما) الذى عاصر (مارتن) برسالة الغزالى فى (الاقتصاد فى الاعتقاد) فى وضع كتابه المعروف (الخلاصة الفلسفية فى الرد على الأمم غير المسيحية) الذى وضعه استجابة لطلب رئيس هيئة الدومنيكيين السالف الذكر. وأوجه الشبه بين آراء توما والغزالى كثيرة [1]

ونلاحظ أن الغزالى كان وبلا على الفلسفة عنـد اليهود والمسيحيين على السواء وكان له الأثر الهدام [2] فى فلسفة العالم الإسلامى، وكان أثر كتابه (تهافت الفلاسفة) عند هؤلاء جميعا أعمق — فيما يلوح — من أثر (تهافت التهافت) الذى فند فيه ابن رشد موقف الغزالى من الفلسفة . وقد قسم الغزالى الفلاسفة فى كتابه (المنقذ من الضلال) إلى ثلاثة أصناف : دهريين وهم الزنادقة لأنهم جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا أن العالم لم يزل موجودا بنفسه ... ثم طبيعيين وهم الذين سلموا بوجود قادر حكيم مطلع على غايات الأمور ومقاصدها ولـكنهم أنـكروا معاد النفس وجحدوا الآخرة والحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب ، وهؤلاء زنادقة ... ثم الإلهيين وهم المتأخرون منهم كسقراط وأفلاطون وأرسطو وقد هاجموا الدهرية والطبيعيين ولـكنهم استبقوا من رذائل كفرهم بقايا فوجب تـكفيرهم وتـكفير متبعيهم من متفلسفة الإسلاميين كابن سينا والفارابى وأمثالهما ...

ويرى الغزالى أن مجموع ما صح من فلسفة أرسطو بحسب ما نقله هذان الفيلسوفان (ابن سينا والفارابى) ينحصر فى ثلاثة أقسام قسم يجب التـكفير به وقسم يجب التبديع به (أى اعتباره بدعة) وقسم لا يجب إنـكاره أصلا

للـكلام صلة

ضياء الدخيلى

(١) تراث الإسلام ص ٣٠٠ وما بعدها
(٢) قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص ٩١ ، ٩٩ ، ١١١

المهلب بن أبي صفرة

للأستاذ حمدي الحسيني

ولد المهلب لأبي صفرة سيد الأزد في اليمن قبيل وفاة النبي (ص) ببضع سنين ففتحت عيناه في نور الإسلام وأشرقت نفسه بإشراقة الهدى ودين الحق، فنشأ سيداً ماجداً وحراً مستقلاً في أمة حرة مستقلة. ومؤمناً مجاهداً في صفوف المؤمنين المجاهدين، وبطلاً عظيماً منتصراً في ميادين المجد والشرف

هبط أبو صفرة البصرة على أثر حرب من حروب الردة في اليمن، فعاش المهلب هنالك ولم يلبث حتى أصبح سيد العراق بما آتاه الله من صفات السيادة والتفوق على الأقران بالفضائل

قدم المهلب على عبد الله بن الزبير الخليفة البطل أثناء خلافته في الحجاز والعراق وهو يومئذ في مكة، فخلا به عبد الله يشاوره فدخل عليه عبد الله بن صفوان فقال: من هذا الذي شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا؟ قال. أما تعرفه؟ قال (لا) قال هذا سيد العراق، قال فهو المهلب بن أبي صفرة؟ قال (نعم)

أجل هذا هو سيد الأزد وبطل العراق المهلب بن أبي صفرة يخلو به الخليفة عبد الله بن الزبير ويشاوره في أشد أزماته وأعقد مشكلاته وأدق مواقفه وأخطر حوادثه. أليس الزمن عصيباً والوقف حرجاً؟ أليس صولجان الحكم الإسلامي مضطرباً بين يدي عبد الله بن الزبير في الحجاز وعبد الملك ابن مروان في الشام؟ كل منهما يجذبه من صاحبه بما عنده من قوة. أليس العراق وما يجاور العراق من الأقطار الإسلامية كرة تتقاذفها قوات الحجاز والشام تصبح لهذا وتمسي لذاك؟ أليس هؤلاء الخوارج ينكرون على عبد الله بن الزبير وعبد الملك ابن مروان خلافتهما كما أنكروا على علي بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان خلافتهما من قبل فيتقلبون في أنحاء البلاد من البصرة إلى الموصل إلى الأهواز إلى كرمان يقتلون العباد ويهدمون البلاد ويقيمون على الأشلاء والأطلال ممالك وحكومات

أجل إن الأمر لخطير، ولا بد فيه لعبد الله بن الزبير من المشورة، وهل أرجح من المهلب عقلاً وأعلى همة وأوسع معرفة وأعظم نفوذاً حتى يستشيره عبد الله بن الزبير دون المهلب؟ إذاً لا بد لابن الزبير من استشارة المهلب، ولا بد له من أن يوليه على خراسان. حمل المهلب عهد ابن الزبير له على خراسان وتوجه به نحوها عن طريق العراق ووصل البصرة فرأى البصرة تلتهب بنيران الحرب القائمة بين قوات ابن الزبير والخوارج، ورأى أن الخوارج قد تفوقوا على قوات الخلافة تفوقاً ألقى الرعب في قلوب أهل البلاد

ولكن ما شأن المهلب في هذا الأمر وهو سائر في طريقه إلى خراسان ليكون والياً عليها؟ إذاً عليه أن يترك هذه النار المشتعلة تلتهم أكباد المسلمين ويمضي إلى عمله

هذه خطة صحيحة لو كان صاحب هذه الخطة غير المهلب، أما وهو المهلب صاحب البصرة وسيد العراق فلا بد له من البقاء بجانب بلده وقرب أهله ليحمي حماهم من الخوارج وينقذهم من فتك أولئك الشجعان الذين لعبت العقيدة في نفوسهم فخلقت منهم أبطالاً في الحروب لا يهابون الموت ولا يخشون الردى

أليس البطل في نظر قومه قوة مدخرة يستعينون بها على الشدائد في الأيام الحالكة؟ وأية شدة أدعى لاستنجاد قوات المسلمين بالمهلب من هذه الشدة المدمرة التي تكاد تطبق على المسلمين بسيوف الخوارج؟ إذاً لا والله ما لهذا إلا المهلب فخرج أشراف الناس فكلموه ليتولى قتال الخوارج فقال لا أفعل

هذا عهد أمير المؤمنين معي على خراسان فلم أكن أدع عهده وأمره. رفض المهلب أن يجيب الناس إلى طلبهم في قتال الخوارج لأن المهلب رجل نظام وطاعة، فلم يشأ أن يخرج عن قاعدته في النظام وعن عادته في الطاعة، وهو رجل عسكري والنظام والطاعة قوام الحياة العسكرية. إذاً لا بد من أمر يصدره الخليفة للمهلب يلغي عهد خراسان ويثبت قيادة الجيوش لمحاربة الخوارج، ولكن أين ابن الزبير الآن من المهلب وكيف يحتمل الصبر حتى تدور المخابرات الرسمية دورتها وهؤلاء الخوارج على الأبواب لا يمهلون الناس ريقهم ولا يدعوهم يهدأ روعهم من الفزع. إذاً لا بد من الحيلة والحيلة، في مثل هذه المآزق مستحبة. فرأى قائد قوات ابن الزبير مع أهل البصرة أن يكتبوا على لسان

بطل عرفته

عبد القادر الحسيني

بمناسبة ذكرى استشهاده

الأستاذ كامل السوافيري

يهتف بي الوفاء أن أذكر صديقاً وفيا ، وقائداً عربياً في مناسبة كريمة. أما ذلك الصديق فهو بطل المروءة المجاهد المرحوم عبد القادر الحسيني ، وأما المناسبة فهي ذكرى استشهاده المجيدة إذ سقط في حومة الشرف في الثامن من ابريل سنة ١٩٤٨

وليس البطل بالرجل المجهول الذي يحتاج لتعريف أو المجاهد المغمور الذي يتطلب الشهرة ، فهو النجم المتألق في سماء الجهاد ، والكوكب المشرق في أفق الوطنية ، والسيف البتار في ثورة الحرية

عرفت الشهيد إبان الثورة الوطنية الكبرى في فلسطين سنة ١٩٣٦ وهو يخوض المعارك الدامية ضد الجيش البريطاني المجهز بأحدث الأسلحة مع نفر من المجاهدين الأبرار فيسير النصر في ركابه ، ويعود من المعركة وهو مكلل بأكاليل الفخر. ثم توثقت بيننا أواصر الأخوة والصداقة وكلما امتدت الأيام بصداقتنا زدت إعجابا برجولته وتقديراً لشخصيته

ولعل أعظم نواحي إعجابي بالفقيد أنه قضى طفولته يمرح في

ابن الزبير كتاباً للمهلب يأمره فيه بمقاتلة الخوارج ويعده بعد النصر بالولاية على خراسان، فأخذ المهلب الكتاب بنفس راضية مطمئنة ونهض للأمر العظيم . والغريب في أمر هذا البطل أنه كان فوق الأحزاب في ذلك الزمن القائم على الحزبية المنيفة مما يدل دلالة واضحة على أنه كان جنديا مسلماً قد وقف حياته على المصلحة الإسلامية العامة ورصد بطولته على مجد الإسلام وعزته وكرامته . لا يعنيه من يكون الخليفة ولا أين يكون؟ سواء عنده أ كان الخليفة علي بن أبي طالب أم معاوية بن أبي سفيان أم عبدالله بن الزبير أم عبدالملك بن مروان . وسواء لديه أ كان مقر الخلافة الحجاز أم الشام، ولهذا فقد رأيناه جنديا غازيا لسمرقند في جيش معاوية بن أبي سفيان ثم رأيناه موضع ثقة ابن الزبير يمهد له بالولاية على خراسان ثم يوليه القيادة لحرب الخوارج ثم رأيناه موضع ثقة عبد الملك بن مروان فيمهد له بجباية الأهواز، ثم رأيناه موضع ثقة الحجاج بن يوسف الثقفي فيوليه على خراسان

ونعتقد أن وصيته لأبنائه الغر الميامين قبيل وفاته صورة واضحة لنفسيته الكبيرة النقية وأخلاقه الطاهرة الرضية وعقيدته الإسلامية القوية . لنسمع الآن المهلب يوصي أبناءه وقد جمعهم إليه وهو على فراش الموت يودعهم ويوصيهم ويفرغ نفسه في نفوسهم ويضع عقله في عقولهم ويصب همته في هممهم : دعا المهلب بسهام فحزمت وقال (أفترونكم كاسريها مجتمعة؟ قالوا (لا) قال أفترونكم كاسريها متفرقة؟ قالوا (نعم) قال فهكذا الجماعة

أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم فإن صلة الرحم تنسئ في الأجل وتثرى المال وتكثر العدد . وأنها كم عن القطيعة فإن القطيعة تعقب النار وتورث الذلة والقلة ، فتحابوا وتواصلوا وأجمعوا أمركم ولا تختلفوا وتباروا تجتمع أموركم ، وعليكم بالطاعة والجماعة وليكن فعلكم أفضل من قولكم فإني أحب للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه، واتقوا الجواب وزلة اللسان فإن الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته ويزل لسانه فيهلك

اعرفوا لمن يغشا كم حقه ، فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له . وآثروا الجود على البخل ، وأحبوا العرب واصطنعوا العرب فإن الرجل من العرب تعده العدة فيموت دونك ، فكيف الصنيعة عنده ؟ عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء فإن أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوه قيل أتى الأمر من وجهه ثم ظفر فحمد ، وإن لم يظفر بعد الأناة قيل ما فرط ولا ضيع ، ولكن القضاء غالب . وعليكم بقراءة القرآن وتعليم السنن وأدب الصالحين وإيا كم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم)

حمدي الحسيني

أعطاف البشر ، ويختال فى رياض الأنس ، وترعرع فى أحضان النعيم حيث الثراء الواسع والجاه العريض ، والمحتد الكريم ، والمنبت العريق. وهذه العوامل تدفع الناشئ إلى الجنوح للدعة ، والركون للراحة والاستقرار ، والنزوع نحو الرغبات واللذات ، ولكنها لم تؤثر على عبد القادر ، إذ تمرد على بيئته ، وانتقل من الحياة الناعمة حيث الفراش الوثير والماء النمير والطعام الشهى إلى الحياة القاسية حيث يفترش الصخر ، ويتوسد الحجر ، ويطوى جوفه على الجوع، ويهجر الرقاد ويمتطي الأهوال، سعيداً بذلك، طيب النفس قرير العين

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

ولقد كان البطل كامل الرجولة واضح المعالم فى كل أمر من أموره؛ ينطق بالحق ، ويؤمن بالصدق، ويدين بالعدل ويفى بالوعد ويواجهك بما فيك، ويصارحك بالأمور، وقد جنت عليه صراحته إذ خلقت له الخصوم والأعداء ، ولكنه لم يعبأ بهم ولم يحفل بخصومتهم لأنه كما يعتقد أرضى خالقه ، وأراح ضميره

وقد سطر له التاريخ أنصع صفحات التضحية والبذل ، التضحية بالنفس والمال والراحة . لقد حرمت عليه بريطانيا دخول فلسطين جزاء اشتراكه فى حربها عليها سنة ١٩٣١ وعاش الفقيد بعيداً عن بلاده يطارده الاستعمار الظالم من قطر إلى آخر وتلاحقه جنود الظلم وأعوان المستعمر ، وتضع فى طريقه العراقيل وتحوك المؤامرات مما جعله يقضى فترة من حياته فى غياهب السجون فتعود إليه العلل والآلام التى أصابته فى جسمه خلال جهاده المجيد ضد بريطانيا . ولقد تنقل البطل فى عواصم العروبة كلها من دمشق إلى بغداد ومن الرياض إلى القاهرة وكان فى كل حاضرة من هذه الحواضر يترك أطيب الأثر ، وأجمل الذكر

ولقد أنجب أبناءه الثلاثة موسى وفيصل وغازى فى أقطار مختلفة واحتمل فى سبيل ذلك شداد المحن وعظائم الزمن ، فلم تلن له قناة ، ولم يهن له عزم

ولقد كان عبد القادر يرى أن الدفاع عن الوطن واجب مقدس لا يجوز أن يأخذ عليه العامل أجرا، ولذلك ما كان يستبيح لنفسه أن يتقاضى مرتبا إلا إذا أناخ عليه الفقر ، وقسا عليه الدهر . وقد ضرب فى ذلك أروع الأمثلة فى العفة والنزاهة ، واحتقار المادة ، ونعى على الذين يتخذون الوطنية ستاراً لجمع الأموال طريقهم الملتوى وسبيلهم المعوج

ورغم أن عبد القادر كان قائدا مظفرا لم يعرف عنه أنه هزم فى معركة فقد كانت تشرق فى نفسه جوانب الإنسانية فهو من أشد الناس تأثرا بمظاهر البؤس والحرمان، وأكثر الناس عطفا ومواساة للبائسين والمعوزين . ولست أذيع سرا إذا قلت إن عبد القادر طالما جفف دموعا ومحا آلاما ، وأعاد البهجة والرواء إلى وجوه عابسة ونفوس حزينة

ولم يكن البطل لأسرته فحسب أو لفلسطين وحدها ؛ بل كان سيفاً للعروبة وفارساً للاسلام. سألته يوما قبيل توليته قيادة منطقة القدس عقب قرار التقسيم المشئوم : ماذا تريد أن تعمل بعد تحرير فلسطين من الاستعمار البريطانى والصهيونية ؟ فأجاب على الفور: أترك فلسطين وأسافر إلى شمال أفريقيا لأحارب الاستعمار الفرنسى كما حاربت الاستعمار البريطانى وأرجو أن يحقق الله أمنيتى وهى أن أفوز بنعمة الشهادة

وبعد فقد مضى عبد القادر ومضى قبله وبعده شهداء أبرار، وإن أرواحهم لتطل على العالم العربى اليوم وتدعوه فى حرارة أن يحترم هذه الدماء الزكية وتنشده بيت أمير الشعراء

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

يا أبا موسى ! طيب الله ثراك ، وأحسن مثواك ، فلقد أديت الرسالة ، وبذلت لأمتك وطنك أغلى ما ملكت

عليك سلام الله وقفاً فإننى رأيت الكريم الحر ليس له عمر

كامل السوافيرى

جي دي موبسان

بمناسبة مرور مئة عام على ولادته

للأستاذ إسكندر كرباج

ولد جي دي موبسان في قصر ميرومنسيل في نورمنديا . وهو من جهة أبيه ينتسب إلى أسرة شريفة مفلسة ، ومن جهة أمه إلى عيلة وضيعة من الفنانين . وكان والده رجلا فاسقاً وأمه امرأة فاضلة . وعندما أخذ الابن يلاحظ ما بين أبيه وأمه من التناقض في الأخلاق والنزعات ، أدرك وهن اتحادهما الذي هو إحدى ثمراته ، وراح يرتاد البحر ويود اقتحام غمراته ، لاعتقاده أنه يمثل كل ما في الحياة من خير وشر ، وبؤس ونعيم . فكان يقضي معظم أوقاته متجولا في السواحل برفقة كلبين كبيرين ، وكان من أحب الأشياء إليه الاشتراك مع قرويي نورمنديا في الألعاب الرياضية ، تحت سماء غائمة وفي مهب الرياح الباردة ، والرقص مع الصبايا على نغمات الرباب وفي ظل أشجار التفاح المزهرة . وكان يجلس مع النوتية على صخور الشاطىء ، ويقضي وقتاً طويلا وهو ينظر بمنظاره إلى الأفق البعيد ، متمنياً أن يتجه بزورقه في صباح نير من أيام فصل الربيع ، إلى ماوراء تلك الشواسع المائية من الموانى المجهولة

وأرادت أمه أن يترهب فأدخلته أحد الأديرة ، إلا أن موبسان لم يكن راغباً في الترهب فصرف المدة التي قضاها في الدير ثائراً متمرداً ، لا يخضع لنظام ولا يتقيد بقاعدة وفي ذات يوم كسر غطاء أحد دنان الخمر وراح يكرع منها مع رفاقه التلامذة . وعندئذ عيل صبر رئيس الدير فأمر بطرده

* * *

ثم انصرف موبسان إلى درس الحقوق غير أن نشوب الحرب بين فرنسا وألمانيا عام ١٨٧٠ اضطره إلى هجر المدرسة ودخل في دائرة تموين الجيش . وبينما كان الجيش الفرنسي يتراجع أمام هجوم الألمان المنيف ، كان موبسان يطالع كتب شوبنهور ، وينظم الأشعار في الحب ، ويعلل النفس بالانتقام من العدو الذي اجتاح أرض بلاده ، وداس حرمة أمته . ومن برودة الانتقام وحرارة الحب تكون مزاج هذا الكاتب الفني

ولما انتهت الحرب بانتصار ألمانيا ، قصد موبسان باريس ، على أمل أن يجد عملا يساعده على متابعة دروسه ، فدخل موظفاً في إحدى الدوائر البحرية . ولم يكن بين رؤسائه ورفاقه من يعتقد بأن ذلك الأسد الثائر يتحول إلى حمل وديع

أما باريس وشعبها وأنديتها وكبار شخصياتها فكانوا لا يعرفون عن هذا الفتى شيئاً . وعبثاً كان يقصد ليلا إلى البوليفار ، ويأخذ في التطلع إلى أوجه المارة ، على نور مصابيح الغاز الضئيل لعله يكتشف بينهم روحاً شقيقة لروحه ، فيأنس إليها ويبثها ما في قلبه من حنين وشجن . وأخيراً وجد نهر السين ضالته المنشودة فأحبه وأنس به وركن إليه ، لاعتقاده أنه الصديق الذي لا يخون ، والرفيق الذي لا يراوغ

فكان يقضي أيام الآحاد بكاملها ماخراً بزورقه في مياه نهر السين ، محاولا تبريد ما يستعر في نفسه من ميول وأهواء . وكانت برودة رياح ذلك النهر الذي هو أشبه بقطعة من البحر ، تنسيه غبار المصلحة التي يشتغل فيها ، ورائحة المقاهي التي يرتادها، وضجات الغواني اللواتي يجتمع بهن . وجملة القول أنه اتخذ من ذلك النهر عشيقه ورفيقه ونجيه ومهدهد أحلامه ومن قوله في انصرافه إلى تلك الحياة البوهيمية : « لا عمل لي سوى التجديف والاستحمام ، وقد اعتادت الجرذان والضفادع رؤية نور مصباح زورقي الضئيل كل ساعات الليل ، وعندما أقبل عليها ترفع أصواتها لاستقبالي . أما أصدقائي المجدفون فكانوا يدهشون عندما أطل عليهم في منتصف الليل ، وأشاركهم في احتساء كأس من الشراب »

* * *

ثم تعرف موبسان إلى الكاتب المشهور جوستاف فلوبير ، وكان هذا الأديب العبقري قد حوكم وقوطع بسبب روايته « مدام بوفاري » ، وبات منزلا في بيته كركب فرضت عليه المراقبة الصحية ، لا أحد يجسر على الدنو منه . غير أن هذا الكاتب الكبير لم يحزن لما أصابه أو يهتم ، لأنه أصبح وقتئذ لا

لا يرسم من صور الحيـاة إلا بقايا ما فى شخصيته التعبة من رؤى وأشباح . لقـد كان كالك مخلوع ، قبع فى هيكل للفن لا أحد يعرف مدخله سواه

وكان فلوبير فى ذلك العهد يفتش عن تلميذ نبيه، وموبسان يفتش عن أستاذ خبير يمكنه الاتكال عليه . فتفاهما وتصـادقا ومزجا روحيهما فى روح واحـدة . وظل موبسان خلال سبعة أعوام يرتاد بيت أستاذه فى أيام الآحـاد ، حاملا إليه ما يكون قد حبره فى أيام الأسبوع لـكى يصلحه له . وكان الأستاذ يقلب نظره فى تلك الأوراق المـكتوبة ، وهو يشطب بقلمه الرصاصى الأزرق ما يراه شاذا أو خطأ . ولم يطل أن اكتشف التلميذ سر فن الأستاذ ، وراح ينشب سهام سخريته السامة فى أكاذيب الحياة ورياء المجتمع

وفى خـلال السنوات السبع التى قضاها موبسان صديقـاً لفلوبير ، أرشده هذا إلى طريقة تضمن له الفوز فى حياته الأدبية؛ وهذه الطريقة هى أن يلاحظ ، أولا وثانياً وثالثاً ، كل ما يحيط به ويقع تحت نظره ، من مشاهد الحياة وحوادث المجتمع . ولمـا توفى فلوبير قصد موبسـان إلى بيت صديقه وأستـاذه المتوفى ، وعملا بوصيته له أخذ يلاحظ ، أولا وثانياً وثالثاً ، غسل الجثمان وإعداده للدفن ، وحمـله إلى المقبرة ، وانزال التابوت إلى الحفرة

كان موبسان يقاسى صداعا لا يحتمل ، ولـكى يخفف من هذا الألم كان يلقى بنفسـه فى مياه نهر السين الباردة . ثم كان يقترب من الشاطىء ليسمع الذين تجمعوا هنـاك للتفرج عليه كل كلام بذىء . وكان يروى لرفاقه الموظفين قصصاً يحمر لهـا وجه الفضيلة خجلا ، ويلقى فى مسامع السيدات والأوانس اللواتى يجتمع بهن فى الحفـلات والمراقص كل قول ملتبس . وكانوا يتحدثون عنـه ويقولون إنه أوقح رجل عرفته باريس . نعم لقد كان أوقح رجل عرفته باريس ، ولـكنه كان فى الوقت نفسه من أكثر رجال تلك المدينة ذكاء وعبقرية . ولربما كانت هذه العبقرية نفسـها سبب ما كان يعانيه فى حياته المضطربة من ألم وضيق . وكان الباريسيون يتحاشونه ، ويتخلفون عن مشاهدة ما كان يمثله من الروايات المشبوهة فى مختبر لرسام عرف بتعشقه هذا النوع من التمثيل ، ورجال الأمن يعنفونه بشدة كلما اطلعوا

له على قصيدة مجونية منشورة فى مجلة تعنى بمثل هـذه المواضيع

وكان كلمـا اشتد صداعه ، ولا سيما فى أيام الشتاء الباردة ، يقف أمام المرآة ساعات كاملة ، محدقا إلى عينيه كأنه يريد أن يكتشف فيهما أسباب ذلك الألم. وقد كتب مرة إلى أمه قائلا: « إن شهر ديسمبر يخيفنى ويبعث فى قلبى اليأس . إنه شهر قاتم ومشؤوم ولا سيما فى منتصف ليلة آخر السنة . وعندما أجلس وحيداً إلى منضدتى ، ومصباحى أمامى يلقى على نوره الـكئيب أشعر بانحطاط قواى إلى درجـة لا أعرف معها إلى أين أتجـه » ولـكنه كان يتجه دائماً إلى رواياته وقصصه ، ملتقطاً مواضيعها من أفواه الصيـــادين والقرويين والممثلات والغوانى والموظفين وغيرهم

واجتمع مرة بفئة من رجال الفكر والقلم فى منزل إميل زولا وكانوا يتباحثون فى مبادئ المذهب الأدبى الجديد الذى يريدون اعتناقه والتبشير به . وفى أثناء ذلك اقترح أحدهم وضع كتاب عن الحرب التى نشبت بين فرنسا وألمانيا ، ولـكن ليس كالذى اعتاد المؤرخون والسياسيون وضعه عن الحروب ، بل كالذى يضمه الأبالسـة فى الجحيم ، وينفذه البشر على الأرض ، أى أن يكون خاليا من الأوهام والمزاعم ، لا غرض منـه سوى إظهار البطولة الحقيقية . وكان من نتائج هـذا الاقتراح صدور رواية لموبسان بعنوان « كرة الشحم » وقد جاءت كما أرادها صاحب الاقتراح

لقـد أظهر موبسان فى هذه الرواية احتقاره وبغضه لبلادة الرجل . ولـكن هذا البغض يتحول إلى شفقة فى الروايات الأخرى ، ولا سيما فى روايته « الحلية » التى هى فى نظر أئمة النقد من روائع الفن القصصى الفرنسى (١)

كان موبسان يكثر من تنشق الأثير لـكى ينسى آلامه المبرحة بمـا تحدثه أبخرته فى رأسه من الأحلام . وكان ينفق ما يقتصده لقضاء أيام عطلة الصيف خارج باريس على شراء المسكنات . وقد كان فى لجوئه إلى هـذه الواسطة للتخلص من أوجاعه الدائمة صورة جلية للجمال الوثنى . ومن قوله : « أحب الفضاء كالعصفور ، والغاب كالذئب ، والصخور كالغزال ، والمروج كالجواد ، وأحب المياه الصافية التى تطيب لنا فيهـا السباحة

(١) ترجمها الأستاذ الزيات فى كتابه (من الأدب الفرنسى)

كالسمك ، وأحب العالم كما تحبه هذه كلها ، لا كما تحبونه أنتم أيها البشر . أحبه دون إعجاب ، وأنشده وأنقى به دون شموذة . إنى أحبه حبا عميقا وحيوانيا ، حبا دنيويا ومقدسا فى وقت معا »

وكان يظهر قلة شفقته على البشر مع أن رواياته تكذبه . ومن قوله : « أريد أن أفتح رأس أحد الشعراء لكى أرى ما فيه »

ولكنه كان يبكى لآلام الحيوانات الخرساء ويشقى . فصياح الذئب الجريح يدمى قلبه ، ومشهد جثة البغل مطروحة على بضع خطوات من المرج ، الذى كثيرا ما تمنى أن يرعى فيه ويسرح ، يذيب حشاشته ، ونباح الكلب الجائع يسيل عبراته . وله فى شقاء الكلاب قصة جد مؤثرة

ومن قوله عن مملكة الإنسان ، أو الحيوان الأصغر ، أن القدر يتسلط على الإنسانية بوحشية مماثلة لوحشية الإنسانية فى تسلطها على البغال والكلاب

وقد نفخ فى نفوس قرويى نورمنديا روح الحياة ، وكان يتصل بهذه النفوس البسيطة لا عن طريق الروح ، بل بالشعور والفطرة والشم ، وقد كانت هذه الحاسة الأخيرة قوية فيه كما هى فى بعض الحيوانات البرية . فكان يقف بواسطتها على تأثراتهم وغرائزهم وأفكارهم ونوع معيشتهم . حتى إن الحياة التى تختلج فى صفحات كتبه كانت عابقة بمختلف الروائح ولا سيما المنتنة منها . لأن موبسان لم يكن ينظر إلى الحياة إلا من ناحيتها المنتنة ، فيقبض على هذه الناحية بكلتا يديه ، ويأخذ فى دعكها وعصرها إلى أن يمسخها أو يدميها

وكان يستخدم فى إعداد قصصه ، حتى الشنيع منها ، أسلوبا خاصا ، لأنه لم يكن يرى فيما يريد أن يكتبه سواء أكان عن الأمراء أم عن القرويين ، شيئا من التفكهة أو الزهو ، ومع ذلك فقد ارتفع فى وصفه الألم والبلادة والسخافة إلى أعلى ذرى الفن . وكانت قصصه شبيهة بأمثال لافونتين وروايات بوكاسيو الرائعة

ومن خصائص فنه القصصى تجريد أشخاص رواياته من النفس ومن أية نزعة دينية . ومع ذلك فتشاؤمه وضآلة علمه وأسلوبه المدرسى البسيط ، كل ذلك يدل بأجلى بيان على أنه خير ممثل لجيله الجديد

لم يتقيد موبسان فى حياته بأى مذهب من المذاهب الفلسفية المعروفة . ومن قوله فى هذا الصدد : « فى العالم من الحقائق بقدر ما فيه من البشر فلكل منا فكرة خيالية للعالم . من هذه الفكر ما هو عاطفى ، ومنها ما هو فرح و كئيب ودنس ، أى حسب طبيعة كل واحد . ففكرة الجمال هى اصطلاح إنسانى بسيط ، وفكرة القبح رأى بسيط قابل للتغيير ، وكذلك فكرة الحقارة التى يتعشقها الكثيرون ، وأعاظم الفنانين هم الذين يستطيعون إرغام الإنسانية على اعتناق أفكارهم الخاصة »

* * *

كان موبسان كثير التخوف من الموت . ومن قوله فيه : « أنا لا أعتقد باضمحلال كل كائن يموت »

وكان يخاف من الجنون . وقد قال مرة لمدعويه : « يهمنى كثيرا أمر الجنون ، وسأكتب قصة عن رجل جن تدريجيا » . ولشدة خوفه من هذا المرض كان يقضى لياليه عند عشيقاته كى لا ينام فى غرفته وحيدا . وليس ما نطالعه فى رواياته وقصصه من مواقف شاذة وأشباح مرعبة ، سوى صورة جلية لما كان يقاسيه فى سويعاته السرية من خوف وارتعاب

وعكف على درس كتب الطب . وكان كلما اجتمع بطبيب يرهقه بالأسئلة عن أعراض بعض الأمراض حتى تبادر إلى أذهان الكثيرين من الأطباء أن موبسان يجمع معلوماته عن الطب لكى يضع رواية يحمل فيها عليهم وعلى علومهم

وتسلط عليه أخيرا مرض رؤية نفسه . فكان يرى ذاته أحيانا كما لو كان ينظر فى المرآة ودخل غرفته مرة فأبصر طيفه جالسا على كرسى يطالع كتابا كان قد تركه منذ دقائق قليلة . وألف قصة عن رجل كان طيفه يتعقبه بصورة دائمة . وفيما هو يكتب ذات يوم ، جاء طيفه وجلس أمامه بالذات ، وأخذ يملى عليه ما كان يكتبه . فارتاع من شدة الخوف وصاح رافعا يده يريد طرد تلك الرؤية الغريبة

وكان فى أيام الشتاء يجلس إلى الموقد وهو يرتعش من شدة البرد . حتى إنه فى أيام الحر كان يحتفظ بنار موقده مستمرة . وكان يفكر فى الذباب الذى يعيش بضع ساعات ، وفى الحيوانات التى تعيش بضعة أيام ، وفى البشر الذين يعيشون بضع سنوات ،

٣ فن القيـــادة

للكاتب الفرنسي أندريه موروا

بقلم الأستاذ محمد أديب العامري

وفى الختام لابد للزعيم من أن يجمع فى حسابه بين التقاليد والعادات . أجل إن الحياة عنده والبقاء فضيلة ، ولكنه يبنى بناء المستقبل من مواد الماضى المتينة ، فيسكبها فى قوالب تخضع لحاجات الحاضر ، لكنه لا ينبذها . ولقد أوضح (كبلنغ) فى قصة رائعة، كيف يعاقب آلهة الهربنائى الجسور الذين يخرجون على القوانين القديمة فى الأعمال . إننا نحن رجال القرن العشرين لمسلحون تسليحا عجيبا للتغلب على العالم . لكن للعالم أساليب شنيعة فى الانتقام لنفسه ، ولا يسهل علينا دائماً أن نبصر جرائر أعمالنا . ففى الثورة مثلا يقوض الناس وسائل الدفاع المعهودة فى البلاد . غير أن هذا الرأى لا ينكشف إلا فى النهاية . فالثورة الفرنسية انتهت بعهد الرجعة إلى الماضى . أما الزعيم الحكيم فلا ينسى أن ما ينشره العراف لا تلتئم أطرافه بعد أن يكون السحر قد فعل أفاعيله

ومهما يكن مركز الزعيم ، وزيراً، أو مديراً، أو رئيس مكتب، أو بناء ، فإنه يتصل بتابعيه بطرق ثلاث : بالأوامر التى يصدرها والتقارير التى يتلقاها والتفتيش الذى يجريه . أما الأمر فيجب أن يكون واضحا ، إن التخيل والتفكير يمكن أن يكون غامضا ، والخطة التى لم تنفذ بعد يمكن أن تحمل فى تضاعيفها آثار الرؤيا. أما الأمر فيجب أن يكون واضح المعالم ، وجميع الأوامر يمكن أن يساء فهمها . لكن الأمر الغامض لا سبيل إلى فهمه قط . قال (نابليون) : « إذا أردت أن تقوم بعمل قياما حسنا فأده بنفسك »

وفى العوالم التى تعيش بضعة قرون. ثم كان يتساءل : فما ما الفرق بين الحشرة والكون ؟ بضعة شروق شمس لا أكثر ولا أقل !

وكان لشدة خوفه من الموت يقول : « إن الموت يقترب منى . أريد أن أمد إليه يدى وأبعده عنى . إنى أراه فى كل مكان : فى الحشرات المدوسة على الطريق ، وفى الأوراق المتساقطة على الأرض ، وفى الشيب الذى يجلل رأس هذا الصديق ! إن هذا كله يدمى قلبى ويصيح قائلا لى : أنظر ! إنه يقضى على كل ما تفعله ، وكل ما تنظره وتأكله وتشربه وتحبه ! إنه يحرمنى رؤية شروق الشمس ، وبزوغ البدر ، وتقلب أمواج البحار ، وجريان مياه الأنهر، ونسمات العصر البليلة التى ينعشنا تنشقها ! »

وساءت حالته الروحية بعد فقد أخيه (هرفه) على أثر نوبة جنون انتابته . ولكنه ازداد نشاطا وانعكافا على الكتابة وتأليف القصص والروايات ، حتى إن هذا الدور كان من أكثر أدوار حياته إنتاجا ، كما لو أن السموم التى تفسد دمه ، استخرجت أفضل ما فيه قبل أن تقضى عليه . وكان يتراءى له أن كل ما فى منزله من أثاث وأدوات يتحول إلى حيوانات كانت تدخل غرفته ثم تخرج منها وتنزل الدرج إلى الشارع . ووقف مرة أمام صليب كبير كان قائما فى إحدى الساحات وقال لخادمه : أنظر يافرنسوا ، لقد كان فى الثالثة والثلاثين عندما صلب ، وأنا الآن أقترب من الحادية والأربعين !

لقد كان موبسان رسام النفس البشرية الأكبر . كان يرسم بدون بغض وبدون حب وبدون غضب وبدون شفقة . كان يرينا ما فى هذه النفس من شوائب وعاهات بلباقة وإتقان يحملاننا على الاعتقاد بأنها حقائق ننظرها بأعيننا ونلمسها بأيدينا

وبعد منتصف ليل رأس السنة بساعات قليلة ، تناول مسدسا وأطلقه على رأسه بحركة جنونية . ولما رأى أن المسدس كان فارغا أخذ يطعن عنقه بشفرة للحلاقة إلى أن سالت دماؤه ثم أخذ ينظر إلى فعلته هذه بصورة تدل على قلة الاكتراث . ولما أسرع الخادم إليه صارخا قال له : أتنظر يا فرنسوا ماذا فعلت ؟ إنه الجنون بعينه !

وقدم الأطباء وضمدوا جراحه . وفى اليوم التالى حملوه إلى البحر لعل رؤية يخته تعيد إليه وعيه . فحدق قليلا فى اليخت ، ثم حرك شفتيه كطفل ولم يقل شيئا . وعادوا به إلى البيت حيث توفى ، وقد كان ذلك فى عام ١٨٩٣

(العصبة) اسكندر كرباج

ولكن هذا غير صحيح . أما القائد الحصيف فيعترف بأن الذين يدركون الأمور من الناس قليل ، وأن جميعهم على وجه التقريب ينسون ، فليس من الممكن إذن أن يقنع الآمر بإصدار الأمر ، وإنما يجب أن يراقب تنفيذه وأن يتبصر عند إصدار الأمر بأى سبب يمكن أن يعوق تنفيذه . ولاحد لبلادة الناس ولا لسوء الطالع ، ولذا يتوقع الزعيم دائما حدوث مالا ينتظر . والزعيم الذى يسعى للحيلولة دون عوامل الخطأ ويحتاط لنقاط الضعف فى الخطط؛ أقوى على تنفيذ ما يريد عندما يواجهه الناس بغبائهم أو تعارضه الصدف السيئة ، من زعيم آخر لا يحتاط لهذه الأمور

والحاجة إلى هذه الاحتياطات تكون أقل إذا فاز القائد بجماعة من حوله علمته التجارب أنه يستطيع الاعتماد عليهم . ولكل زعيم وطنى وزارته كما لكل قائد عسكرى أركان حربه . وهؤلاء الساعدون يعرفون خصائص زعيمهم كما يعرفون سبيلهم إلى خدمته ، وهم لذلك يدركون تعلياته فى سرعة متناهية ويراقبون تنفيذها إلى آخر حرف فيها . غير أن عدد الذين يمكن الاعتماد عليهم من الناس فى هذا العالم قليل . وقد روى عن (الرئيس ولسون) قوله : إنه كان يثق بالبشرية، ولكنه كان لا يثق بالرجال جميعاً . أما القائد الصحيح فيشك بالبشرية ويثق بعدد قليل من الرجال

وكيف السبيل إلى اختيار هؤلاء الرجال ؟ إن أول واجبات الزعيم أن يتعرف إلى جماعات منهم يستطيع أن يختار منها أعوانه ، ومن الصفات القوية فى (المارشال بيتان) التى برزت عندما تولى قيادة الجيش الفرنسى كانت أستاذيته السابقة فى الكلية العسكرية التى مر على يديه فيها أجيال من الضباط الأحداث وكان (جامبيتا) يتجول فى كل ناحية من فرنسا ليتعرف إلى القضاة فى دوائره . والرجل الذى يكتسب شرف القيام بحكم بلاد يجب أن يحاول اكتشاف أحسن الرجال لأهم الدوائر الحكومية - وليس عليه أن يستفيد مما يجد بين يديه فحسب ولكن واجبه يقضى عليه كما تقضى عليه مصلحته أن يخلق مواد جديدة . وتقوم الأحزاب السياسية خارج فرنسا بهذه المهمة . فالمحافظون مثلا فى إنجلترا يصنعون هذا . إنهم يرقبون بيقظة الجامعات الكبرى يرجون أن يجدوا فيها شبابا يتحولون فى المستقبل إلى ساسة ، وهنالك كلية خاصة لتدريبهم ، فإذا أثبتوا ذكاءهم فإن الحزب يكسبهم مقاعد فى البرلمان كما يحاول رئيس الوزراء أن يقدم للأحسن منهم الفرص الممكنة ، فيبوئهم مراكز لمساعدة الوزراء كوكلاء فى البرلمان.

ولا بد لزعيم الحزب من أن يجند للحزب من حزبه رجالا يصلحون للحكم . وهذا الواجب يقع كذلك على مديرى الأعمال الكبيرة ولا ريب أن بعض هؤلاء يدركون هذه الناحية ، فدارس (كروسو) مثلا تدار بمهارة تدعو للإعجاب؛ فهى تهيئ لكل طالب الفرصة اللازمة ليتبوأ أعلى المراكز التى تؤهله لها ملكاته

ومن الصعب فى غالب الأحيان إيجاد التفاهم التام بين المساعدين إذ من الضرورى هنا نفى التعصب أو التحزب المحلى فى أية دائرة لتنسجم تلك الدائرة مع المصالح الأخرى ، ففى السكة الحديد مثلا حيث تنشأ الخلافات بين الإدارة والأقسام الفنية، أو فى قيادة الجيش حيث ينشأ التشاحن بين مركز القيادة والضباط فى الميادين، فى هذه الحالات يجب أن يدرك كل إنسان أن الجيش أو العمل أو البلاد تشبه جسما حيا قائما برأسه وأن أى اضطراب يقع بين أعضائه إنما يكون انتحارا محضا

وكثيراً ما يقع أن المساعدين الذين يعجبون برؤسائهم ويخلصون فى العمل لهم يتغلب عليهم الحسد ويتنافس بعضهم مع بعض بشره عنيف فى التماس رضاهم ، فيجب أن يحسب لهذه الحالات المتعبة حسابها وأن يعالجها المعالجة اللازمة لأنها ذات خطر كبير فى نظام العمل ، وكما يستطيع السائق الماهر الخبير أن يعرف بالإصغاء إلى آلة سيارته أن إحدى أسطواناتها لا يقع فيها اشتعال كما يجب ، كذلك الزعيم الموهوب يعرف أن مساعديه لا يؤدون الخدمة اللازمة له ، فيفتش عن السبب ويتوصل إلى معرفته ، وكثيراً ما يكون السبب تافها - قد يكون شيئاً من الاتساخ فى آلة الاشتعال ، وقد يكون هزة للأكتاف لا تزيد عند تحليلها على حركة عصبية تؤول على أنها تحقير مقصود

ويتلقى الرئيس تقارير عن نشاط موظفيه ونتائج التعليمات التى أصدرها إليهم ، وهو يطالع هذه التقارير فى حذر وشك . ولقد أعرف رئيساً لمصنع كان يقول إن جميع التقارير كاذبة . وكان على حق ، لأن كل شىء فيها تقريبا عرضة للمبالغة والتشويه ، والطريقة الوحيدة لتجنب الخطأ فى الحقائق هى أن يجرى المسؤول تفتيشا خاصا بنفسه من آن لآخر ، ويكون لهذا التفتيش نتائج فعالة للغاية كما تكون الفكرة الناتجة عنه صحيحة ومدعاة لتصحيح للتقارير التى ترد فيما بعد ، ويذكر (المارشال بيتان) حكاية وقعت فى

سنة ٩٥١ عندما عين قائدا فى أحد القطاعات التى طالبت فيها القيادة العامة بالهجوم مرات متوالية كانت البلاغات الصادرة تدل على تقدم بطىء وخسارات فادحة، فلما شك (بيتان) فى الأمر شخص إلى الجبهة ومعه المراصد اللازمة فوجد البلاغات قد شوهت لغاية إرضاء القيادة العليا وأن الانتصارات كانت خيالية لا أساس لها من الصحة. والتقارير التى ترفع لأولى الأمر تكون دائما مرضية أو تقدم على شكل يرجح النظريات التى يؤمن بها صاحب التقرير

والقائد الذى يطالب موظفيه عما يريد يستطيع دائما أن يكسب عطفهم أكثر من قائد لا يبالى بالأمور . وأمثل الطرق لفرض الحزم فى العمل هو أن يحيط القائد نفسه بالأشخاص الذين يجد فيهم من الصفات ما يرضيه . ومن العادة أن يتقبل أى إنسان النقد إذا لم يكن هذا النقد موجها إلى خلقه أو إلى ذكائه. والخطة الحكيمة فى هذا الصدد أن يعرب المسؤول فى سرعة وقوة عما يحس به إحساسا قويا. وإذا وجه توبيخ قاس بسرعة فإنه يكون أقل إيلاما من الإبانة عن عدم الرضا المشحون بالكراهية. ويجب أن يدرك المأمورون أنهم يكونون عرضة للعقوبة إذا لم يقوموا بتنفيذ الأوامر الموجهة إليهم ، كما يجب أن يعلموا حق العلم أنهم معفون من جريرة تنفيذ الأوامر التى تؤدى إلى تهلكة . والقائد الحكيم يتحمل دائما المسؤولية الكاملة فيما يقوم به من أعمال

والقائد هو المدافع الطبيعى عن شعبه ضد عدوان المعتدين . ومن اللازم أن يراقب كل قائد عماله أو جنوده أو محاربيه ليستوثق من أن المعاملة التى توجه إليهم من رؤسائهم عادلة محترمة. وهذا أصعب واجبات القائد ، إذ يجب عليه أن لا يضعف من سلطة مساعديه ولا يصبر على التصرفات السيئة التى يقترفها أصحاب السلطة منهم . وليس من قاعدة هنا يمكن سنها ، وإنما يحاول المسؤول أن يرفع كفة ويرجح أخرى حتى يحفظ التوازن المطلوب

ومن واجبات الزعيم أن يتنبأ ما استطاع بالتذمر الذى يمكن أن يقع فيعالجه كما يعالج الظلم قبل تقديم الشكايات . وللوصول إلى ذلك لابد من الاتصال المستمر بالرجال الذين يعملون معه . وهذا يعنى أن ينزل إلى الخنادق إذا كان قائداً عسكريا وأن يراه العمال قائما بينهم زائراً لهم بين آونة وأخرى إذا كان مديراً لعمل.

ولابد للزعيم من خيال يسعفه فالاطلاع على حياة الآخرين شىء ضرورى له لكى يتمكن من حماية الذين يكابدون المتاعب منهم . وسر الوصول إلى محبتهم أن يشعر معهم وأن يستطيع مساعدتهم فى أعمالهم بالقدرة التى يستطيعون القيام بها هم أنفسهم . والناس يصبرون على تلقى الأوامر بل يحبون ذلك إذا كانت هذه الأوامر تلقى صحيحة واضحة

ويختلف الحكم على القيادة فى الفن اللازم لها زمن السلم ، فالقيادة تعنى إيصال جماعة من الناس تحت نظام صارم إلى غاية معلومة . والضابط فى الجيش يعلم أن رجاله يطيعونه إلا فى الحالات النادرة من العصيان الخطير . وهو يحيط إحاطة تامة بالغاية التى يرمى إليها سواء كانت دفاعية أو كانت للاستيلاء على مقاطعة معينة . ورئيس مشروع تجارى كبير مثلا يعلم أنه يجب أن ينتج بضاعة من البضائع بسعر معين ومقادير محددة كما يعلم أن فشله يؤدى إلى دمار المشروع وإلى تعطل موظفيه وعماله. ومن المعتاد أن يكون قادرا على السيطرة على الموقف مادام يتبع الأنظمة إلا فى حالات يضطرب فيها النظام الاجتماعى . والحاكم المطلق كالقائد العسكرى يقود ولا يحكم

أما رئيس الحكومة فى أمة حرة فيوجه البلاد إلى أهداف متغيرة ويدير أعمال جماعات من الناس غير مكلفين بالطاعة إلا بعامل الخوف من الفوضى . وهذا العامل غير موجود فى أيام السلم. ولا يستطيع أن يقوم بأى عمل دون أن يوجه إليه خصومه النقد بقصد إحلال رجل آخر مكانه فى غير لين ولا رحمة . ومساعدوه فى هذه الحالة لا يبدون له الاحترام اللازم فإنهم أكفأ له وإن منهم خلفاءه فى المستقبل

وهنا يرد هذا السؤال : ماهى الصفات التى نتطلبها فى رجل تلقى اليه أعباء أدارة شئوننا ؟ وأول ما فى هذا الباب هو إحساسه بما يمكن وما لا يمكن . وفى الأعمال السياسية يعتبر من العبث أن يخطط القائد مشاريع عالية عظيمة إذا كانت حالة البلاد لا تأذن بتنفيذها. إن دوافع الشعوب الحرة تشبه متوازى القوى، فالسياسى العظيم يدرك كل الإدراك ماهية هذه القوى ويخاطب نفسه دون أن يرتكب خطأ شنيعاً فيقول : « إننى أستطيع أن أمضى إلى هذا الحد لا غير » ولا يسمح لنفسه أن ينحاز إلى طبقة متجاهلا رد الفعل

الذي يحدث عند الجماعات المهملة . والطبيب الحصيف لا يداوي مريضاً من شكوى خفيفة عابرة بعلاج يولد مرضاً في الكبد . والسياسي العادل لا يرضى الطبقة العاملة على حساب الطبقة البورجوازية . ولا يطلق العنان للبورجوازيين على حساب الطبقة العاملة . وهو يجهد في أن ينظر إلى الأمة نظره إلى جسم حي كبير تعتمد أعضاؤه بعضها على بعض . وهو يزن حرارة الرأي العام كل يوم ، فاذا ارتفعت هذه الحرارة أعد العدة لتلافي الأمر وإراحة الأمة

وهو يدرك الإدراك كله قوة الرأي العام ، ولكنه كسياسي ماهر يعرف أنه يستطيع أن يؤثر فيه بسهولة . فإنه يعرف قوة الشعب على عدم الاكتراث بجهوده، وأن للناس ساعات يبدو فيها منهم العنف ، وحق لهم أن يفعلوا إذا كانت الحكومة تجلب لهم الفقر وتحرمهم ما ألفوا من حرية أو تتدخل في حياتهم الخاصة . غير أنهم يرضون أن يسير بهم رجل يعرف إلى أين يتجه ويبدي لهم بوضوح اهتمامه الصميم لمصالح الأمة، وأنهم يمكن أن يركنوا إليه ويعتمدوا عليه

أما القدرة على معرفة ما يمكن وما لا يمكن فليست تعني استحالة بعض الأشياء ، لأن هذه صفة سالبة ، ولكنها تعني وقوع الأحداث التي تظهر عسيرة جدا . إن الرجل السياسي العظيم لا يقول لنفسه « هذه الأمة خفيفة » ولكنه يقول « هذه الأمة نائمة ، وإني سأوقظها » إن القوانين والأنظمة والمؤسسات من صنع الناس ولذلك أستطيع أن أغيرها عند الحاجة

وأهم من ذلك كله أنه يتبع العزيمة والتصميم أعمال لا أقوال فقط . إن صغار الأحلام من السياسيين ينفقون معظم أوقاتهم في رسم الخطط والدعوة إلى المذاهب . إنهم يتحدثون عن الإصلاح والبناء ويخترعون أنظمة اجتماعية معصومة من الخطأ ويسنون خططا لسلم دائم. ولقد قلنا عندما بحثنا في فن التفكير أن المشروع شيء والعمل شيء آخر . إن السياسي الصحيح يعرف عند الحاجة كيف يحترم في خطبه العامة النظريات الحديثة ويصرح بعبارات جذابة بفائدة الرجال الذين يحرسون أبواب المعابد ، ولكنه من حيث الواقع إنما يعمل لسد الحاجات الحقيقية التي تحتاج إليها الأمة . فهو يقول مثلا . إن فرنسا سنة ١٩٣٩ ينبغي أن تؤمن السلام ، قبل أي شيء آخر وأن تنشىء لنفسها دفاعاً جوياً بإنشاء عدد أكبر من الطيارات وأن تزيد إنتاجها من الصناعات الأخرى، وأن تنظم أحوالها المالية تنظيما وطيداً . وهو يعمل على إنجاز هذه الأهداف الواضحة الصحيحة بأحسن الطرق التي يراها ، فاذا صادف عقبات في سبيله فانه يدور حول هذه العقبات. أما الغرور والكبرياء الثقافي والشعور بالحاجة الشديدة إلى نظام شديد زائد فانها موانع خطيرة في وجه السياسي. وبعض زعماء الأحزاب على استعداد لتضحية بلادهم من أجل نظرية أو مجموعة من المبادئ. أما الزعيم الحقيقي فيقول: فلنتنح عن المبادىء ولنخلص البلاد»(١)

هل يكون عمله مبتوراً ؟ هل يعقب ذلك ظلم ؟ إنه يدرك أن هذه ممكنات ، وكل عمل معقد لا يتم بكامله . وفي كتاب (لجورج برنانو) يحاول كاهن مسن أن يعلم كاهنا صغيرا أن القديسين أنفسهم لا يستطيعون أن يحولوا ديرا إلى مجموعة من الأولياء ذوي الاستقامة والصدق التامين . ولكي يدلل على هذا يروي الشيخ حكاية امرأة بلجيكية أرادت أن تحول كنيسة غير نظيفة إلى معبد نظيف مشرق النظافة . فقامت على مهمتها ، وأخذت تزيل الغبار المتراكم . ولكن طبقة من الغبار الجديد كانت تتراكم كل صباح ، كما كان العشب ينبت هنا وهناك وتنسج العناكب خيوطها في الزوايا . غير أن المرأة لم تيأس واستمرت في التنظيف والغسل ، فأخذ الطحلب ينمو على رؤوس الأعمدة ، وتراكم الوسخ في الكنيسة أيام الآحاد . أما أيام الأعياد فقد أرهقتها وذهبت بقوتها واستمر الرجل المسن يقول : « لقد كانت مجاهدة لا شك ، ولكنها كانت مخطئة، وخطؤها لم يكن في حلتها في سبيل النظافة ولكن محاولتها التخلص من الوسخ بتاتا ، كأن شيئا مثل ذلك ممكن . إن الكنيسة مكان لا بد من أن يظل متسخا

والقارة أشد اتساخا من ذلك ، وخاصة إذا كانت قارة عجوزا مثل أوربا ، غزتها طوال أجيال عديدة الأعشاب والنمال بالكراهية والمرارة . وكان (ولسون) أشبه ما يكون بالمرأة البلجيكية فقد أراد أن يحيل هذه الأرض العتيقة المغبرة في سرعة مفاجئة إلى حلف من المحامين . كانت فكرة بديعة ولا ريب ، ولكنها

(١) لا أعلم حالة لا يزول فيها مبدأ صحيح أو نظرية صحيحة إلى خير الأمة ، ولكن طريق التطبيق أو ساعته قد لا تكونان ملائمتين: المعرب

كانت مستحيلة التنفيذ كما يستحيل اليوم أن نحاول تنظيف أوروبا على أساس الواقع فيها مرة واحدة وإلى الأبد . والسياسي العظيم مثل الخادم البارع ، يعلم أن التنظيف عملية يجب أن تتم كل صباح ، وهو يرى أن الشجار شيء طبيعي فيحتمله بصبر ، لأن شجارا آخر سيحدث على أثر ما يهدأ الشجار الأول ، وهو يوافق على إجراء تسوية موقتة وإن كانت لا تكفل له ما يريد ، لأنه يعلم أن لا شيء في الحياة البشرية يكفل لأي إنسان كل ما يريد بصورة دائمة . والسلم عالمية كانت أو اجتماعية لا بد أن تجيء وإن حالت دون ذلك عقبات متكررة . فتمر سنوات عشر أو عشرون يتم خلالها عمل الجيل ثم يتبع ذلك جيل آخر يمارس حياته اليومية من جديد

ومن حق الزعيم الذي ينال لقبه عن جدارة أن يكون مطاعا . فالمجتمع البشري الذي لا يستطيع أن يولي زعماءه الذين اختارهم الاحترام اللازم مجتمع مقضي عليه ، لأنه لا يستطيع العمل . ولا مانع بالطبع من أن يفضل المجتمع نظاما من الحكم على نظام . ففي زمن الحرب مثلا يضطر إلى أن يستبدل بالنظام المدني النظام العسكري ، فاذا تم ذلك وجبت الطاعة للزعماء الجدد . أما عدم النظام فيحتم الهزيمة في الجيش والدمار في الصناعة . وأما المجتمعات التي تقع تحت رحمة الأنظمة المتضاربة فتنظيمها سيء . فمن ذلك أن يتقسم العمال داعيتان مختلفان ، صاحب العمل والنقابة . وهنا يجب أن تعرف حدود صاحب العمل وحدود النقابة معرفة واضحة . فاذا تم ذلك كان لكل منهما السلطان المطلق في الناحية التي يختص بها : وقد دلت التجربة في إنكلترا والبلاد الإسكندنافية على أن ذلك ممكن

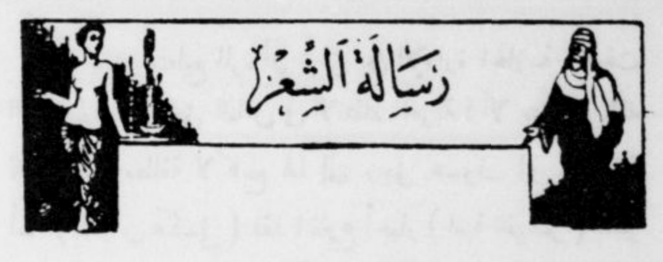
ومن حق الزعيم أيضا أن يحافظ على زعامته ، إذ كيف يستطيع زعيم أن يصل إلى نتائج حسنة دون أن يكون لديه الوقت الكافي . وقبل أن يعهد إلى رجل باعادة تنظيم مستعمرة أو تأسيس مصنع للطيران ، من المحتم أن يجرى بحثا واسعا وأن نثق أن هذا الرجل هو أحسن الناس المركز المطلوب : لكن إذا اختير الرجل كان من الواجب إفساح المجال له وإطلاق يده إلا في الحالات التي يتضح فيها أن خطأ وقع في الاختيار ، وأن الرجل غير جدير بالثقة . إن الوقت يتيح للانسان إنشاء علاقات لا حصر لها ويسهل له الاضطلاع بأعباء السلطة

وكيف يستطيع المرء أن يوفق بين الإدارة الحازمة والوقت اللازم لها وبين حق الناس في الانتقاد بحرية ؟ ألا يتحول قائد له سلطات مطلقة لا كابح لها إلى رجل عسوف أو مجنون ؟ أما (ألدوس هكسلي) فقد اخترع أخبار (لعبة القيصر) فنظر في أصدقائه على أساس ما يصنع منهم كقيصر لو أسندت إليه السلطة العليا . فلم ينجح في الاختبار إلا عدد قليل . ومن الواضح أن النقد ضروري ولكن السؤال هنا هو ماذا يستطيع النقد أن يفعل وإلى أي حد يجب أن يذهب ؟

أما في الجيش وفي جميع الأعمال التي تتطلب اجراء مباشرا فتجب الطاعة العمياء . ويجيء النقد ها هنا من القادة أنفسهم . أما في الحالات العادية من حياة الناس الحرة فان كل إنسان يملك حق النقد في حدود يعينها الاختبار ، فاذا أجمعت الأمة كان من الواجب أن يتغير قادتها من وقت إلى آخر ، لكن يجب أن لا يشهر بهم ولا أن يغيروا مرات عديدة ، أو يسيرهم رجل الشارع . وفي إنشاء الحرية الصحيحة يجب أن يقوم ذلك لا على قوانين عادلة فحسب ولكن على تربية أخلاقية قويمة أيضاً وعلى درجة استحقاقنا للحرية كشعب تقررها قدرتنا على احترام الزعيم النظامي وعلى الموافقة على المعارضة والإصغاء إلى ما تقول به ، وأن نضع صالح الأمة فوق صالح الأحزاب والنفع الخاص . وليست الحرية شيئاً غير قابل للضياع . إنها منحة هامة ولكنها عسيرة المنال ، ويجب أن نتمسك بها دائماً أبداً

هذه التربية الخلقية التي أشرنا إليها أشد ضرورة للذين كتب لهم أن يقودوا الناس . إذ بالإضافة إلى قدرة الزعيم على ضبط رفاقه ، فإنه يجب أن يكون ذا إحساس قوي بالواجب . وهو لا يستطيع الاحتفاظ بمركزه إلا إذا أثبت كل يوم أنه جدير به . وليس زعيما قط من إذا وضع على رأس جماعة أو مشروع حاول أن يجلب النفع لنفسه وليس زعيما من يرضى بقيادة في جيش ويجعل لذاته فوق واجباته . وليس زعيما كذلك من يقع فريسة الغضب أو التحيز ، ولا من يضحى وهو ممثل دبلوماسي بمنفعة بلاده الخارجية في سبيل المؤامرات والمشاحنات الداخلية . إن مجال الطبقة الحاكمة هو الإدارة ، أي توجيه البلاد في سبيل الشرف والعمل . والقيادة ليست ميزة ، ولكنها أمانة وشرف

محمد أديب العامري



فلسطين الضائعة

للأستاذ كمال النجمي

خلت فلسطين من ساداتها النجب
وأقفرت من بنى آبائها الشهب
طارت عن الشاطئ الخالى حمائمه
وأقلعت سفن الإسلام والعرب !
يا أخت أندلس بذلا وتضحية
وطول صبر على الأرزاء والنوب
ذهبت فى لجة الأيام ضائعة
ضياع أندلس من قبل فى الحقب
وطوحت بينك الصيد نازلة
بمثلها أمة القرآن لم تصب
ذادوا عن الدار حتى ذادهم قدر
عدا على الدار والأسوار والرحب
يا أخت غرناطة عزا وقرطبة
فى مونق من شباب الدهر مختلب
سلبت من يد أهل الحق مثلهما
بسيف منتهك للحق مستلب !
أهلوك أين همو ؟ شطت مهاجرهم
وأسلموا كخماص الطير للعطب
ماشوا جياعا فلما حان حينهمو
جادوا بأنفسهم حرى من السغب
باتوا رماماً جفاه الذئب من شفق
ورحمة وعداه الصقر من أدب
تجوزه ساريات الريح معولة
عويل ثاكلة مرت على الترب
اللاجئون بأهليهم وصبيتهم
والتائهون بهم فى كل مضطرب
والنازحون عن الأوطان شتتهم
بطش العدو وبأس الحادث الحزب
نأوا بأطفالهم خوفا كأنهمو
حمائم هاجرت بالأفرخ الزغب
ويقتل النفس من غم ومن كمد
فناؤهم وهمو منا على كثب
ديارهم كيف بانت بعد ما نزحوا
عنها وباتوا على الأحجار والكثب ؟
منازل خفقت أضواؤها ونأت
أطلاؤها وخلت للبوم والغرب !
يحلق الشهداء الأوفياء على
ركامها نحباً فى ربعها الخرب
كم مسجد بعدهم عاث اليهود به
نشوى رءوسهمو من سكرة الطرب
وبيعة سكرت فيها بناتهمو
وما خجلن ، وأخجلن ابنة العنب
معابد لا الدعاء السمح منطلق
منها ولا لغة القرآن والأدب !
آضت طلولا يلم الرسل من جزع
برسمها وينوح الصحب من حرب !
وكم كعاب أذيلت فى طهارتها
وطفلة فجعت فى عرضها وصبى
ورب طفل بكى اهتزت لدمعته
وصائل البيت ذى الأستار والحجب
بكت له الملة الغراء والهة
وأجهشت ملة الرهبان والصلب

* * *

يا آل يعرب في مصر وجيرتها
ملأتمو سمع هذا الكون بالصخب
لما تكلم صهيون بلهذمه
جاوبتم السيف بالأسجاع والخطب
أضعتمو بلداً عاش الخليل به
وأنزل الله فيه أول الكتب
مشى البراق على بطحائه وسرى
بأحمد فوق مسرى الريح والسحب
فليهنأ العرب بالنصر الذي غنموا
وليغمد القضب الأبطال في القرب

* * *

ضحية الغدر ، أسبلنا مدامعنا
بريئة كدموع المزن لم تشب
أجرت عليك مآق غير كاذبة
دمعاً تنزه مسفوحاً عن الكذب
إن لم يمنك على عاد فمعذرة
لإخوة لم يضنوا بالدم السرب
فقد تحكم فيهم أجنب شرس
مسيطر فوقهم بالقهر والغلب
يعينه ساسة عرب أبالسة
أزرى بهم كلف بالحكم واللقب
ما فيهمو غير خوان لأمته
مضيع لحقوق الشعب مغتصب
يسير في خيلة الأبطال منتفخاً
يهز في يده سيفاً من الخشب
يجر أذيال ألقاب منمقة
يختال فيهن كالطاووس ذي الذنب

* * *

أخيذة الغرب هل في الشرق من رجل
مثوب في سبيل الحق محتسب
ذي مرة لم يشب أخلاقه دنس
ولا اطباه هوى اللذات واللعب
يقود يعرب نحو المجد منطلقاً
في مهيع واضح عالي الصوى لحب
لا تيئسي فرحاب الصبر واسعة
والحظ في صعد آناً وفي صبب
ولن تكوني لصهيون ودعوته
إلا جهنم فاضت منه بالحطب
هل بين هارون أو موسى وبينهمو
من واشج يصل الأرحام أو نسب ؟
ما قوم موسى كليم الله شرذمة
تبيع أعراضها للناس بالذهب !

* * *

يا فلذة من فؤاد الحق قد قطعت
بصارم من دم الأعزال مختضب
لم يبق غير رماد منك محترق
مبدد كرماد النار منتهب
هفا إليك صلاح الدين مدكراً
خالي الوقائع من تاريخك العجب
أطل فوقك شوقاً وانثنى ولهاً
بمدمع غارق في الدمع منتحب
يدعو إليك أسود الله ضارية
تعدو على مهج الأبطال والقضب
دعاء ليث له في كل معترك
طعن القنا وزئير الضيغم الغضب
ماض على سنة الآباء مقترب
لله مغترب في الله محترب
بما أدرت لبوءات الفلاة غذا
أعراقه ونما في خيسها وربي

* * *

يا يوم حطين عد للشرق ثانية
واخلع على العرب من أثوابك القشب
أعد إلينا صلاح الدين في أجم
من القنا وخميس زاخر لجب

كأن للجن فى حطين مزدحماً
منه يمس قلوب الجن بالرعب
ساروا كتائب للرحمن داعية
بالبيض تغمر وجه الأرض واليلب
يفرجون عن الإسلام كربته
ويمنمون كريم المجد والحسب
ويقهرون العدا إما التقوا بهم
فى ساحة رحبة أو معقل أشب
القاحمون على الآساد معقلها
والواثبون وثوب الجن فى اللهب
والقارئون كتاب الله فى رهب
والواردون حياض الموت فى رغب
سادوا الدنا فى ظلال الله راضية
وغادروها فنالوا أجر محتسب

* * *

إيه فلسطين والأيام را كضة
بنا تقطع قلب الدهر بالخبب
ماذا سقتك يد الأيام من غصص
أليمة ورماك الدهر من كرب
لما سقطت بكى القرطاس من وله
عليك وانشق صدر السيف من غضب
يبكى عليك بنو الإسلام من عدن
إلى الرياض إلى مصر إلى حلب
قد ذاب كل فؤاد حرقة وجوى
وانشق كل جماد منك لم يذب
بى منك جرح فتى ضيعت عروبته
ومسلم حيز منه عرضه وسبى
ولم أزل كأبى أهفو إليك أسى
وبنفى لاعج الأشواق نحوك بى
قاسمت فيك الأسى شعرى فقاسمنى
حتى وهيت وضج الشعر من لغب

« القاهرة » كمال النجمى

الرجوع إلى النيل

للدكتور زكي المحاسنى

ماذا تركت من الهوى لفؤادى من بعد تسهادى وطول ودادى
خل التواصل للأحبة كلهم كان الهوى أقوى على الإبعاد
خالفت فى أهل الصبابة حكمهم فهمو أرادوا الحب فى الآحاد
لكننى أبغى الغرام شراكة فاحمل معى عبء الهوى المتآد
كل يحب الشمس فاسكب ضوءها فى العين والأضلاع والأكباد

* * *

إنا نزلنا مصر ، لا فى زورة محسوبة الأيام والميعاد
فسل الزمان يجيبك : هذى دا رنا أيام كان الفتح بالأجداد
فإذا عشقنا أرضها وسماءها وهفا النخيل بنا على الآباد
فلقد رأيناها مرايا عزنا عكست دمشق وملتقى بغداد
فاعذر حبيبك إن أتاك مكاثرا يحدوه نحوك باشتياق حادى
خلق الجميل لكى يحب ويشتهى ويقول من يلقاه ذاك مرادى

* * *

يا مصر يا بنت الخلود جديده وقديمه ، يا كعبة القصاد
هذى وفود الشام أقبل جمعها ليراك بين مطارف الأبراد
مهد الكنانة أنت بل دار الندى شهد الوفاء عليك هذا النادى
فاعجب بكل معلم من أهله نذر الحياة لحكمة وسداد
واشرب كؤوسك من رحيق نيله يشفى من الأدواء والأحقاد
وإذا رجعت إليه يوما مثلما رجع الطيور صدى إلى الأوراد
فقل الذى أسكرتموه بنيلكم أنتم كتبتم عوده لمعاد

زكى المحاسنى
الملحق الثقافى السورى بمصر

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

قطع المؤلفات الأدبية :

أصدرت الحكومة قرارا يقضي بحظر تصدير الورق المطبوع وغير المطبوع إلى الخارج ، علاجا لأزمة الورق الحاضرة ، حتى يتوافر في داخل القطر ما يرد منه . ويتضمن ذلك منع إصدار الكتب التي تطبع في مصر إلى سائر البلاد العربية . . وهذا قرار بالغ الخطورة ! أهون منه حل جامعة الدول العربية وكل ما ينشأ بين الحكومات العربية من خلاف وسوء تفاهم . . . فالكتاب هو السفير بين هذه البلاد ، وهو سفير يعمل على توطيد المودة وتعزيز القرابة بين أهلها ، وهو سفير صامت يعمل في غير تظاهر ومآدب وحفلات ، لا يخطب بكلام يرن بين الأركان ثم يذهب في الفضاء ، وإنما يتحدث إلى العقول والقلوب فتستكين إليه وتستكن بها ، فإن ذهب تسرب إلى قرار النفوس وبواطن المشاعر

فالكتاب بين البلاد العربية أساس وحدتها ، وقد سبق « البروتوكلات » بل مهد لها ، وقامت عليه . فليت شعري كيف ينزع الأساس ويظل البناء قائما !

والعجيب أن ذلك القرار يشمل منع الكتب عن جنوب الوادي : السودان ! وهنا معنى سياسي لست أدري كيف خفى على من أعدوا القرار . . وهناك أيضا نواح عملية لست أدري أيضا كيف خفيت عليهم ، فلنا في السودان مدارس تصرف لها الكتب من مصر . . ولدار الكتب المصرية فرع في الخرطوم من الطبيعي أن تمده بما يجد من الكتب ، وكذلك هناك مكتبة النادي المصري بالخرطوم . وإخواننا السودانيون على العموم يحفلون بالمؤلفات المصرية ويستقبلونها من لدنا كما نستقبل من لدنهم ماء النيل

والعجب يبلغ أشده كلما أنعمنا النظر في ذلك القرار . . والظاهر أن الموظفين الذين فكروا فيه وأعدوه إنما نظروا إلى الناحية المادية التجارية المحضة ، نظروا إلى الكتب على أنها بضاعة كالأرز والبصل يمنع إصدارها لتكثر في الأسواق المحلية ، ولم يخطر ببالهم أن قطع الكتب إنما هو قطع للملاقات الأدبية وصد للتيار الفكري بين البلاد العربية . بل أقول إن النظرية المادية التجارية نفسها غير سليمة ، فمستهلكو الكتاب المصري في مصر قليل ، وهو يعتمد على قراء البلاد العربية الأخرى ، فمنعه من التصدير معناه الكساد وما في هذا الكساد من القضاء على الحركة الفكرية في مصر . ولندع الحركة الفكرية ونستمر في المناقشة الاقتصادية . . إن المواد تمنع من التصدير لتقوم بالحاجة المحلية ، فماذا نصنع بالورق الذي يستعمل في طبع الكتب ، والكتب قد حكم عليها بالكساد . . ؟

وهناك — من الناحية الاقتصادية والاجتماعية أيضا — دور النشر والطباعة وعمالها . . أليس في الحسبان ما يصيبهم من أضرار وتعطل ؟ هل من النظر الاقتصادي السليم أن تحل أزمة بأزمة . . فيدبر توافر الأوراق بتوافر البطالة في البلاد .؟

إن ذلك القرار من أين أتيته وجدت فيه الخطل والعجب ، والمخلص الوحيد منه أن يتداركه أولو الأمر ، وفيهم من لا تخفى عليه دقائقه

فلم « ليلة غرام » :

كنت قد أخذت نفسي — في فترة مضت — بتتبع ما يعرض من الأفلام المصرية ، والكتابة عنها ، قاصدا بذلك أن أسلك طريقا أو أساهم في طريق يؤدي إلى حسن استخدام صناعة السينما في نفع المجتمع وخير الناس من حيث معالجة المسائل القومية والاجتماعية ، وتهيئة أسباب المتعة الفنية البعيدة عن التبذل والإسفاف ، وقد رأيت - إذ ذاك إزاء خطر هذا الفن باعتباره أكثر الوسائل اتصالا بالجمهور - أنه ينبغي أن نصبر على ما في البضاعة الحاضرة من تفاهة وغثاثة ، وأن نولي هذه الناحية اهتماما ، لا بالنظر إلى المعروض، بل نظرا إلى المثال المرجو منها . وأيدني في ذلك بعض القراء ، وخالفني آخرون قائلين : ما هذا

الذى نكتبه عن شكوكو وكاربوكا واسماعيل يس ؟ اعدل بنا يارجل عن هذه الأشياء إلى الأمور ذات البال . .

وحين وصل إلى سمعى ذلك القول كان صبرى قد نفد وضقت ذرعا بتلك الأفلام ؛ فعدلت عنها واكتفيت بتتبع الروايات التمثيلية ذات القيمة الأدبية التى تمثل على المسرح ابراق

وأخيرا علمت أن هناك فلما أخرج من قصة « لقيطة » التى ظفر كاتبها الأستاذ محمد عبدالحليم عبد الله ، عنها ، بجائزة مجمع فؤاد الأول للغة العربية منذ سنوات ، وقد سمى الفلم « ليلة غرام » على اعتبار أن اللقيطة كانت ثمرة لتلك الليلة التى التقى فيها أبواها على حرام

شاهدت الفلم لمكانة قصته وصاحبها من الأدب ، ولنلق أولا نظرة على مجمل القصة قبل الكلام عليها : يعرض الفلم حياة إنسان من حقه أن يكون له بذاته اعتبار فى المجتمع ولكن المجتمع يضطهده ويأبى عليه هذا الحق لذنب جناه غيره ؛ ذلك الإنسان هو « اللقيطة » التى قذفت بها الأقدار عقب ولادتها إلى ملجأ اللقطاء حيث نشأت لا تعرف لها أبا ولا أما ، ثم خرجت منه بعد أن شبت ، إلى ميدان الحياة ، وكانت فى الملجأ تعانى شعورها بحرمان الأبوين ، فلما أتيح لها شىء من الاستقرار والنجاح فى معترك الحياة جعلت تصارع لؤم الناس وسوء نظرهم إليها لأنها لقيطة ، فقاست ألوانا من الألم والبؤس ، صبرت عليها فى إيمان ثابت يغذيه ويقويه فى نفسها « السيد الأمير » وهو رجل من علماء الإسلام مستنير العقل واسع الأفق ، كان مبدأ صلتها به فى المستشفى الذى كانت تعمل ممرضة فيه ، وكان هو يعالج هناك . ولما تقدمت هى وخاطبها الطبيب الشاب الذى أحبها وأحبته ، من موافقة أبيه الثرى على زواجهما ، لجأ إلى السيد الأمير الذى استطاع بقوة حجته وشخصيته الدينية أن يقنع الوالد بأن البنت لا ذنب لها فيما جناه أبواها المجهولان ، وكان الحل الأخير أن يتبنى السيد الأمير الفتاة ، ويتم الزواج

ليس الموضوع — وهو الدفاع عن اللقيط البرئ ضد المجتمع الذى يظلمه — ليس هذا الموضوع جديدا ، وليس حتما أن يكون الموضوع جديدا ، فالعبرة بالمعالجة وطريقة التناول ، وقد عالجه المؤلف علاجا حسنا ، وتناوله من نواح واقعية ، وصوره فى صورة حية ، وربط بينها بخيال محبوك الأطراف

كشكول الأسبوع

□ سعدت فى هذا الأسبوع بقراءة « شباب وغانيات » وهى المجموعة الأخيرة للكاتب القصصى الكبير الأستاذ محمود تيمور بك . وأنا أتلقف قصصه حين ظهورها مشتاقا إليها كوجبات مريئة شهية ، وأتناولها بلذة ومتعة ويطربنى منها أنها تصور الحياة بصدق ، وتكشف خبايا النفوس فى دقة ، بأسلوب الكاتب الذى يجمع بين حر البيان ورقة العصر .

□ صدر أخيرا بالقاهرة ديوان « موكب الذكريات » للشاعر الحجازى الشاب الموهوب الإستاذ حسن عبد الله القرشى ، وهو يشدو فيه بأغاريد نفسه الشاعرة ، ويعبر عن ملابسات حياته وبيئته ويؤدى كل ذلك أداء جيلا نابضا بالحياة

□ كان المرحوم محمد بك رمزي قد ألف كتابا أسماه « القاموس الجغرافى » تكلم فيه عن البلاد المصرية مدينة مدينة وقرية قرية من الناحية التاريخية والجغرافية . وقد أعد ذلك فى بطاقات ، لكل بلد بطاقة ، ثم توفى قبل إخراجها فى كتاب . ومن نحو ثلاث سنين تسلمتها دار الكتب المصرية من أخى الفقيد الأستاذ أحمد رمزى بك عضو مجلس الشيوخ ، على أن تطبعها فى مدى عام . ومضت هذه المدة ولا تزال البطاقات فى صناديقها بدار الكتب ، وليتها بقيت كاملة . . فقد تبين أخيرا أن مدينة القاهرة فقدت برمتها من بين البطاقات ، ولم يعلم حتى الآن أين ذهبت . . .

□ أصدرت جامعة فاروق الأول دليلها العام باللغة الإنجليزية فقط ! وقد أصدرته ثلاث مرات بهذه اللغة ولم تصدر حتى صورة منه باللغة العربية ! فهل هى جامعة انجليزية أو جامعة مصرية ؟ وهل هى فى بلاد انجليزية أو فى بلاد مصرية ؟ وهل اسمها جامعة جورج السادس أو جامعة فاروق الأول ؟

□ تحدث مراقب البرامج العربية بالاذاعة ، عن مقترحات السامعين ، فكان منها اقتراح إذاعة « حفلات الزار » وقال المراقب إننا نعتذر عن إجابة هذا الطلب . ويظهر أنه حسب صاحب الاقتراح جادا . وإنما هو يسخر من البرامج كأنه يقول لهم : لم يبق — لاستكمال أنواع السخف — إلا أن تذيعوا حفلات الزار . . .

□ من طرائف الندوة الكيلانية ، أن جاء ذكر الذين يكتبون هذرا فى بعض الصحف مدعين أنه تجديد فى الأدب ، فقال الأستاذ كامل كيلانى : إنهم « مجددونات » ذاهبا إلى أن اللغة فى حاجة إلى استحداث هذا الجمع : جمع المخنث السالم . .

وبذلك خرج هـذا الفلم عن المدارات المتشابهة التي تدور عليها الأفلام المصرية ، وجانب المبالغة التي تعرضها قصداً إلى الإثارة ، وليس بهذا الفلم فراغ كالذي يسد في الأفلام الأخرى بمناظر التهتك وعرض التباذل ، ففيه موضوع يشغله عن ذلك

وقد أخرج الفلم أحمد بدرخان فأحسن إخراجه ؛ بتنسيق المناظر وتوجيه التمثيل ، والمحافظة على ما في القصة من معان أدبية جميلة ، بل بترجمة هذه المعاني إلى لغة السينما ووسائلها ، فجمع مثلا بين مناظر الشروق والغروب وبين خواطر البطلين في الأمل واليأس ، وكانت شخصية السيد الأمير موحية بكثير من المعاني الروحية القوية ، وكانت وسيلة لمعالجة المشكلة من وجهة النظر الإسلامية

وفي القصة كثير من المصادفات التي استعين بها على تسلسل الحوادث وحبكها ، وهي مقبولة لأنها لا تخرج كثيراً عن الواقع ، وأرى لهذه الكثرة أن إظهار الأم مريضة في المستشفى لتتعارف هي وابنتها اللقيطة ، كان صدفة مفتعلة زائدة على ما أشبعت به القصة من مصادفات ، وكان يمكن الاستغناء عن هذا المنظر دون أن يخل ذلك بمجرى الحوادث

التصوير الفني في القرآن

أشرت في الأسبوع الماضي إلى المحاضرة التي كان مقرراً أن يلقيها الأستاذ أحمد الشرباصي في الجامعة الشعبية ، عن كتاب « التصوير الفني في القرآن » للأستاذ سيد قطب ، وحالت بعض الظروف دون إلقائها . وأذكر الآن أن الأستاذ ألقى هذه المحاضرة في جمعية الشبان المسلمين يوم الثلاثاء الماضي . استهل المحاضرة بمقدمة عن سوء التفاهم بين رجال الفن ورجال الدين ، لتمسك الأولين بالتحرر والانطلاق والتزام الآخرين التزمت والتقيد ، وقال إن كلا منهما يغالي في طرفه ، ولو أن الفريقين تركا هـذا التغالي لالتقيا عند هدفهما الواحد وهو طلب الجمال الروحي . وعد المحاضر كتاب « التصوير الفني » أول عمل صريح في سبيل ذلك الهدف ، وقال إن المؤلف هو أول من كشف عن القاعدة التي بنى عليها كتابه ، وهي أن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها ، فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة . ثم أتى المحاضر بأمثلة من الكتاب تطبيقاً لهذه القاعدة ، ومما قاله أن بعض الناس ادعى أنه سبق المؤلف إلى هذا الموضوع وهي دعوى مردودة ، لأن الأستاذ سيد قطب كتب مقالا — قبل إخراج الكتاب — في مجلة المقتطف بعنوان « التصوير الفني في القرآن » سنة ١٩٤٨ أي في وقت لم يكن أحد فيه قد كتب شيئاً متصلا بهذا الموضوع

ثم أبدى المحاضر بضع ملاحظات تتلخص فيما يلي :

١ — تمنى لو أن المؤلف كتب فصلا عن معنى كلمة « التصوير » وكلمة « الفني » بالنسبة للقرآن لأن الاصطلاح جديد

٢ — قال إن المؤلف كان يعيب على الرافعي أسلوبه لأنه يعبر بالصورة الحسية عن المعاني الذهنية ، على حين أنه يثني على هذه الطريقة في تعبير القرآن

٣ — ذكر أن المؤلف استعمل تعبير « سحر القرآن » وتمنى لو أنه استخدم بدلا منه « جاذبية القرآن » أو « روعة القرآن » لأن السحر في الأغلب يدل على معنى الخداع والتغرير ، وهو الذي كان يقصده الكفار حين وصفوا به القرآن الكريم

٤ — لاحظ على فصل « المنطق الوجداني » في القرآن أن المؤلف يقول : إن العقيدة تقوم على الوجدان ، وقال : إن الوجدان يجيء سابقاً حقيقة ولكن العقل يتدخل بعد ذلك ليبرهن على ما تأثر به الوجدان

٥ — اعترض على عبـارة في الكتاب جاء فيها « أدركنا سر الإعجاز في تعبير القرآن » قائلا بأن سر الإعجاز في القرآن لا يدركه فرد ولا يدركه جيل

وختم الأستاذ الشرباصي محاضرته بالإشادة بقيمة الكتاب ومكانة موضوعه الجديد من الدراسات الإسلامية ، مقترحاً أن يدرس هذا الموضوع في كليات الأزهر وكليات الجامعة التي تدرس اللغة العربية

وقد تحدثت بعد ذلك مع الأستاذ سيد قطب وسألته عن



كتاب «من أسرار اللغة»

تأليف الدكتور ابراهيم أنيس

الأستاذ بكلية دار العلوم

للاستاذ عبد الستار أحمد فراج

لو أن كل متخصص فى نوع من العلوم أو لون من الفنون قدر قيمة ما درس وأخلص فى خدمة ما أهلته الحياة أو الدولة له لظفر العلم والأدب بأوفى نصيب من الإنتاج ولجنت الدولة والأمة أينع الثمرات . ولـكن الجهود تختلف والبواعث تتفاوت ، لهذا اختلفت القيم وتباينت الشخصيات

وكم سافر أناس فى بعثات بعد أن اختارتهم الدولة وآثرتهم الأمة، فمنهم من انشغل بمآرب قضاها الشباب هنالك، ومنهم من عاد فأعجب بالمنصب مع زخرف اللقب ولم يفعل غير ذلك ، وقليل منهم من وهب الرشد وقوة الجلد فلم يكن من هؤلاء ولا من أولئك

أقول هذا بمناسبة ما ألفه أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس من كتب متعددة فى موضوعات مختلفة كانت كلها ثمار غرس أحسن القيام عليه والعناية به على ضوء ما درسه وتخصص فيه ، فأمرى وأمثاله نيام ، وأنتج وأشباهه خاملون . وآخر ما جلته قريحته هذا الـكتاب الذى جعل عنوانه « من أسرار اللغة »

عاد أستاذنا من إنجلترا ١٩٤٢ ونحن إذ ذاك طلبة فى السنة الرابعة بدار العلوم فدرس لنا فقه اللغة وكنا على طرفى نقيض ؛ نحن متعصبون للقديم من آراء اللغويين لا نريد منه فكاكا ،

رأيه فى تلك الملاحظات ، فشكر جهد الأستاذ الشرباصى فى المحاضرة وعبر عن أثرها الطيب فى نفسه ، ثم رد على الملاحظات واحدة واحدة ، قال عن الأولى : أحسب أنى شرحت عبارة « التصوير الفنى » ولـكن فى غير صورة التعريف والتبويب ، فالـكتاب كله إنما هو شرح وتمثيل وتطبيق ، وفى مقدمة فصل « التصوير الفنى » ما يغنى ، وقد تتابعت فصول الـكتاب كلها لتشرح هذه القاعدة الـكلية وتمثل لها وتوضحها

وقال عن الملاحظة الثانية : لا أذكر أن هذا كان مأخذى على أسلوب الرافعى ، بل أذكر أنه كان العكس ، فقد كنت آخذ عليه الألاعيب الذهنية فى التعبير ، والجمل التى ينبع ذيلها من رأسها ، والعكس ، والتى يحسبها القارئ ماشية « تتقصع ! » وتضع يديها فى خصرها على الطرس ! وليس شئ من هذا كله بسبيل من ذلك الأسلوب القرآنى الذى أبنت عنه فى الـكتاب

وقال عن الثالثة : رأيى أنه مادام المعنى اللغوى يحتمل هذا ويحتمل المعنى الآخر ، وهو لطف المدخل والجاذبية فإن العرف الأدبى إذن هو الذى يحدد ، وعرفنا الأدبى الحاضر لا يعتبر سحر البيان معناه الخداع والتغرير ، بل يعتبر وصف استحسان

وقال عن الرابعة : أحسب أننى كنت أعنى معنى خاصا حينما قلت « المنطق الوجدانى » فأنا لم أعن مجرد التأثر الوجدانى ، بل « المنطق الوجدانى » فقد أردت أن أفرق بين هذا المنطق وبين « المنطق الذهنى » . والمنطق الوجدانى هو الذى يقوم على الانطباعات الوجدانية والمقدمات الوجدانية والتأثرات الوجدانية ، ولـكنه « منطق » وليس مجرد تأثر ، أى أنه حكم تسبقه مقدمات من نوع معين ، أما المنطق الذهنى فهو الذى يقوم على الأقيسة الذهنية المجردة الخالية من الانطباعات والتأثرات . ثم جعلت للذهن وظيفته المحدودة فى بناء العقيدة ، ولم أنفه من مجالها بتاتا

وقال عن الملاحظة الخامسة : أحسب أن معنى إدراك سر الإعجاز فى التعبير القرآنى لا يعنى الـكشف عن سر إعجاز القرآن، فإعجاز القرآن لم يكن فقط فى تعبيره ، بل فى خصائص أخرى كثيرة ترجع إلى صميم الأفكار والمبادئ التى تضمنها ، أما إعجاز التعبير فـكل جيل يدرك سره كما يراه ، ولا يمنع هذا أن يأتى جيل آخر فيدرك هذا السر من زاوية أخرى

عباس خضر



بين المقابر

للقصصي الروسي تشكوف

بقلم الأستاذ حسين أحمد أمين

— « الريح تعصف ، والظلام يزحف علينا .. أليس من الأفضل أن نعود ؟ »

كانت العاصفة تنساب بين الأشجار الطويلة القديمة عابثة بأوراقها الصفراء المتهالكة ؛ وكان البرد يتساقط بغزارة على جماعتنا .. فإذا بواحد منا ينزلق على الأرض الوحلة فيمسك بصليب كبير يعتصمه من السقوط ..

وبدأ الرجل يقرأ ما كتب على الصليب : « إيجور جريا سنورا كوف .. فارس ومستشار خاص .. إنني أعرف هذا الرجل .. لقد كان يحب زوجته .. ولم يقرأ في حياته كتابا واحدا .. وكان حسن الهضم .. وحياته جديرة بأن تعاش .. إنه لم يكن في حاجة إلى أن يموت .. غير أنه — ويا للأسف — مات ضحية عبقريته وحبه للملاحظة والمراقبة ؛ فبينما كان ينصت من ثقب الباب ذات مرة إذا برأسه يصطدم بالباب صدمة عنيفة مات بسببها .. فتحت هذا الصليب يرقد رجل كان يكره الشعر منذ أن كان في المهد ..

أرى شخصا قادما نحونا .. »

وتقدم منا رجل حليق الوجه في معطف قديم وتحت إبطه زجاجة من الفودكا وفي جيبه ربطة من السجق

وسألنا في صوت أجش: « أين قبر موشكين ، الممثل ؟ »

وقدناه إلى القبر وكان موشكين قد مات منذ عامين ..

وسألناه : هل أنت موظف حكومي ؟ »

— « كلا .. إنني ممثل .. وإنه لمن الصعب في أيامنا هذه أن نميز الممثل من الموظف الحكومي .. هذا شيء غريب وهو بلا شك لا يشرف الموظفين .. »

وهو متشبع بالأبحاث الحديثة لا يؤثر عليها قيوداً ، وما زال يداورنا فتنزمت ونقف في طريقه فينساب ، ولكنه أحدث في جمودنا ثقوبا شعت منها أضواء بعد أن جعلناه يلتفت شيئاً ما إلى الوراء . ثم دارت الأيام ونفذ أستاذنا إلى خفايا الكتب العربية ليعيد فيها النظر على أضواء خبرته ودراسته ، وبدأت جهوده المتوالية المباركة تؤتي ثمارها كتباً قيمة ومحاضرات ناضجة بنيت على أحدث النظريات مدعمة بكثير من أقوال العلماء السابقين

إن فصول الكتاب وأبوابه ، وطريقة عرض الأفكار وتسلسلها ، تعجب القارئ وتمتعه ويلذ له ما فيها حتى لو كان بعض (١) ما فيها من استنتاج مبني على افتراض يخالف بعض ما اطمأن إليه القارئ من الآراء ، وقد يدعوه بقوة حجته إلى التأمل فيما قرأ من كتب أو كون من معلومات . كما تبدو للقارئ ظاهرة أخرى قوية ، تلك هي الاستنتاج المبني على الإحصاء الدقيق الذي يدل على تعمق في البحث واستيعاب لما يريد أن يخوض فيه من حديث ، وكل ذلك في أسلوب خلا من التكلف والغموض ولا يكون هذا الإيضاح وتلك العذوبة إلا بعد هضم للمعلومات ووضوح الغرض في النفس وتميز الغاية التي يهدف إليها الكاتب المبين

وكنت أحب أن أنقل بعض فقرات من الكتاب لولا أنني وجدت كل ما فيه متخير ، وأنه — كما يقولون — آخذ بعضه بحجز بعض ، احتوى على طرائف من دراسة البلاغة التي امتزجت بدراسة مفردات اللغة ولهجاتها ، ونحوها وصرفها ، وأدبها من شعر ونثر مع مقارنة باللغات الأخرى ولهجاتها ، متوجاً ذلك كله باستعراض أساليب القرآن المختلفة التي توضح أفكاره وترجحها

لهذا كان على كل أديب ولغوي وباحث أن يقرأ الكتاب ، وسيجد فيه مصداق ما أقول . ولقد أبدع أستاذنا فيما كتب وأحسن فيما ألف فله تهنئتي وتقديري ، راجياً أن يواصل الجهد ويوالي الإنتاج لينفع إخوانه وتلاميذه ، وليبعث في أولئك القاعدين والخاملين النشاط والحياة . والله يتولى العاملين

عبد الستار أحمد فراج

المحرر بالمجمع اللغوي

(١) أنظر الفصل الخامس « قصة الإعراب »



طرابلس وليست ليبيا

بمناسبة استقلال الشعب الطرابلسي وفوزه بالحرية المنشودة كثر خوض الصحف في ذكر اسم رددته ألسنة العامة والخاصة ولم يقتصر الأمر على هذا وذاك بل وتعداه إلى المحاضر الرسمية باسم ليبيا وتمنى به القطر الطرابلسي بأقاليمه الثلاثة (فزان وبرقة وطرابلس) ومن الغريب أن الرأى السائد عند أهلها يساير هذا الإطلاق أيضا . وهو وإن لم يكن خطأ فى الجملة من ناحية فهو ليس بصحيح على وجه العموم من ناحية أخرى على ما سأبينه . أما ليبيا فقد قال عنها ياقوت فى معجم البلدان ج ٧ ص ٣٤١ (لوبية – ليبيا – مدينة بين برقة والاسكندرية) وأهمل ياقوت ضبط موقعها الجغرافى على غير عادته فى دقة التحديد بالدرجات والدقائق القوسية، وهذه المدينة لم يبق لها أى أثر يذكر الآن ويقول اليوزباشى محمد إبراهيم لطفى المصرى فى كتابه (تاريخ طرابلس الغرب) ص ٨ ما معناه : إن ليبيا هذه هى الصحراء المتاخمة لحدود مصر الغربية وسميت بذلك نسبة للوبى ابن حام بن نوح عليه السلام؛ فقد كانت تسكن هذه الصحراء قبائل من نسله فنسبت إلى جدهم الأكبر ؛ وطلبا للخفة وبحكم التطور عرفت فيما بعد بليبيا . ويلاحظ شيء فارق بين هذا وما ذكره ياقوت

وقال ياقوت ج ٦ ص ٣٤ عن طرابلس – بألف وبدونه – وذكر أن معناها – مركبا – ثلاث مدن عند الإغريق والرومان وهى مساحة تشغل مالا يقل عن ثلاثمائة من الكيلو مترات . ثم

كان قبر موشكين مختلفا عن سائر القبور وكانت الأعشاب تغطيه وعلى سطحه صليب صغير رخيص الثمن قد أتلفه الثلج .. وقرأنا على الصليب : الصديق المنسى .. موشكين .. » وكانت الكتابة غير واضحة لتقادم الزمن عليها

وغمغم الرجل وهو ينحنى على الأرض فتلمس ركبتاه الطين المبلل : « لقد جمع الممثلون والصحفيون مالا لكى يقيموا له نصبا تذكاريا .. فإذا بهم بعد ذلك يبتلعونه »

« ماذا تعنى بقولك ابتلعوه ؟ »

« أعنى أنهم جمعوا المال لإقامة النصب ثم دسوا المال فى جيوبهم. إننى لا أقول ذلك لاعنا لهم بل مقررا لحقيقة واقعة .. والآن .. سأشرب نخب صحتكم أيها السادة ونخب ذكراه الخالدة .. »

« إن الصحة لن تأتينا بشربك نخبها . والذكرى الخالدة أمر محزن .. لتكن الذكرى مؤقتة دائما فهذا خير للبشر .. »

« هذا حق .. لقد كان موشكين رجلا شهيرا .. وقد حمل الناس خلف نعشه عشرات من الأكاليل . ومع ذلك فقد طواه النسيان فى مدى عامين .. لقد نسيه من أحبوه .. أما من أساء إليهم فما زالوا له من الذاكرين .. إننى لن أنساه ما حييت .. أبدا ، أبدا ، لأننى ما تلقيت منه سوى الإساءة.. إننى لا أحبه .. »

« كيف أساء إليك ؟ »

تنهد الممثل وقد بدت على وجهه المرارة والألم : « إساءة كبرى .. لقد كان الرجل – طيب الله ثراه – وغدا واصيا .. فبالنظر إليه والاستماع له أصبحت ممثلا .. وبفنه أغوانى فتركت بيتى إلى الأبد ، وقد غرنى المجد الفنى .. وعدنى بالكثير ولم يمنحنى سوى الحسرة والدموع .. هكذا المصير الكئيب الذى ينتظر الممثل .. لقد فقدت كل شيء .. الشباب والعاطفة وشبهى بالآلهة وليس الآن فى جيبى مليم واحد . وحذائى بال وملابسى ممزقة .. لقد سلبنى الإيمان .. هذا اللص .. ومنحنى التفكير الحر والحماقة دون أن يكون لدى أية موهبة .. إن الجو بارد أيها السادة فهلا شاركتمونى فى الشراب ؟ إن بالزجاجة ما يكفينا جميعا .. فلنشرب نخب رقود روحه فى سلام ، إننى لا أحبه . إنه الآن ميت .. ومع ذلك فلم يكن لى غيره فى هذه الحياة .. وكان لى كأحد أصابعى . هذه هى آخر مرة أراه فيها .. فالأطباء يقولون إنى سأموت قريبا لفرط الشراب .. وقد أتيت هنا لأودعه وأقرئه السلام، والعفو عن أعدائنا واجب علينا

وتركنا الممثل ليتحدث إلى موشكين وسرنا وفى الجو رذاذ منعش ...

وعندما بلغنا الطريق العام لمحنا جنازة تمر بنا وقد حمل النعش أربعة يلبسون أحزمة بيضاء وأحذية قذرة ... وكانوا يسرعون فى الظلام وهم يتعثرون فى مشيتهم ...

« لقد مكثنا هنا ساعتين فقط أدخلوا خلالهما ثلاث جثث إلى المقبرة ..

حسين أحمد أمين

أفاض فى وصف محاسنها وخيراتها بما يشرف هـذا القطر العزيز وانتهى إلى قوله (. وهذا يدل على أنها ليست مدينة بعينها وأنها كورة..) أى أنها قطر. وأنها أعم اسما من ليبيا ، ثم ذكر طائفة من مشاهير أدبائها ومؤرخيها وذكر فى كل نسبة إما الأطرابلسى أو الطرابلسى وأغفل النسبة إلى ليبيا لأى واحد منهم . ومن مؤرخيها العظام (أبو الحسن على بن عبدالله بن مخلوف الطرابلسى — ولم يقل الليبى ـ له اهتمام بالتواريخ ...

وصنف تاريخا لطرابلس الغرب ... وقال أبو الطيب يمدح :

لو كان فيض يديه ماء غادية   عز القطا فى الفيافى موضع اليبس
أكارم حسد الأرض السماء بهم   وقصر كل مصر عن طرابلس

وقال شاعرها المحارب أحمد بن خراسان الطرابلسى

أحبابنا غير زهد فى محبتكم   كونى بمصر وأنتم فى طرابلس
إن زرتكم فالمنايا فى زيارتكم   وإن هجرتكمو فالهجر مفترسى

ومن هذا كله يتبين أن اسم طرابلس أشمل وأعم من ليبيا وفى نفس الوقت له ما يستند إليه من الأسماء الوجودية

وأملنا فى العهد الجديد كبير فى أن يصحح هذه الأوضاع بتعميم اسم طرابلس على جميع القطر رسميا بدلا من ذلك الاسم الحاير — ليبيا —

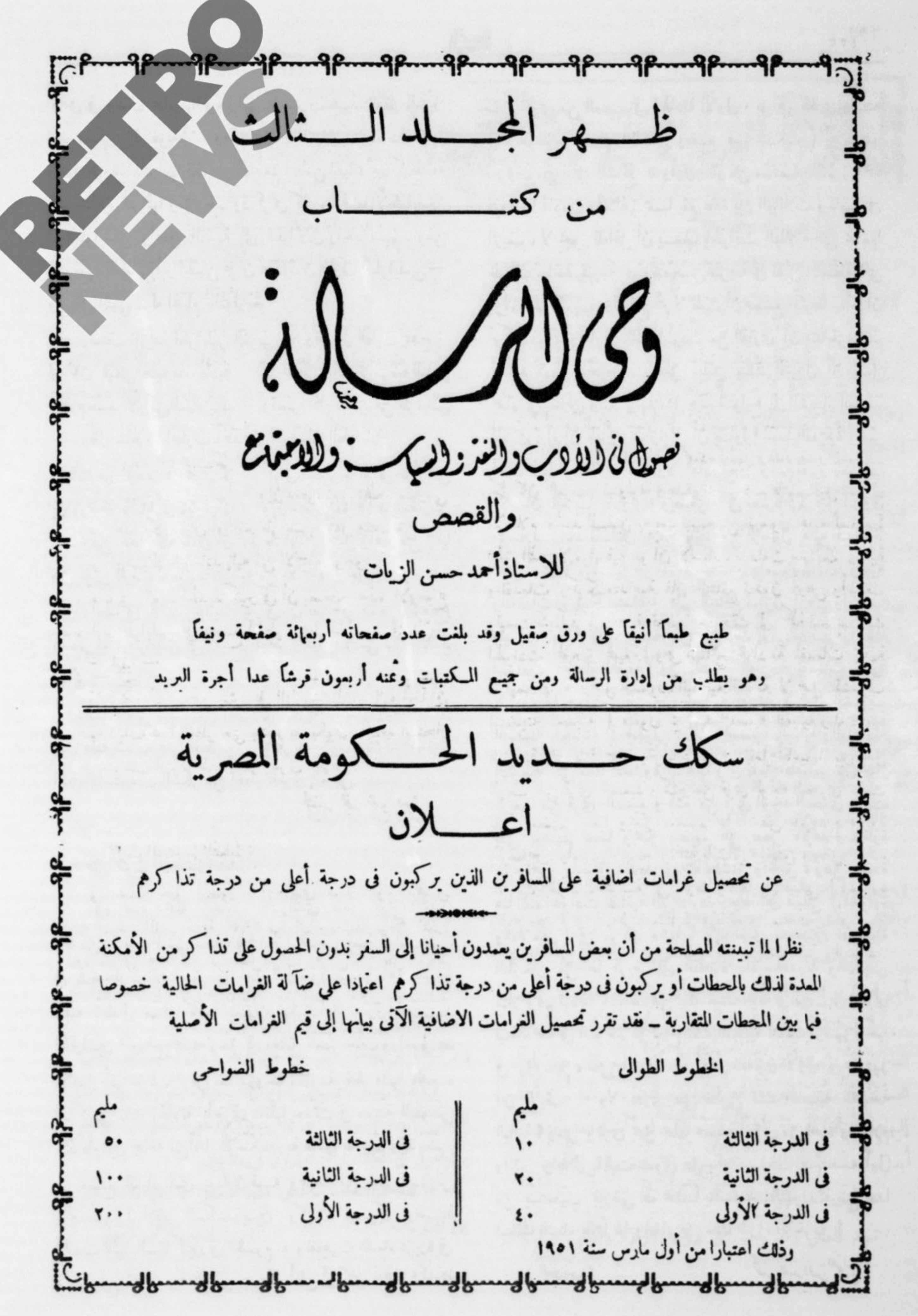
هذا ونحن نهيب بمن يعثر على التاريخ المشار إليه آنفاً أن يدل عليه شباب هذا القطر حتى ينتفع به ويكون بذلك قد استجاز الثناء واستوجب الشكر من القطر العربى العريق

مختار محمد هويسة

متى تموت العصبية القبلية :

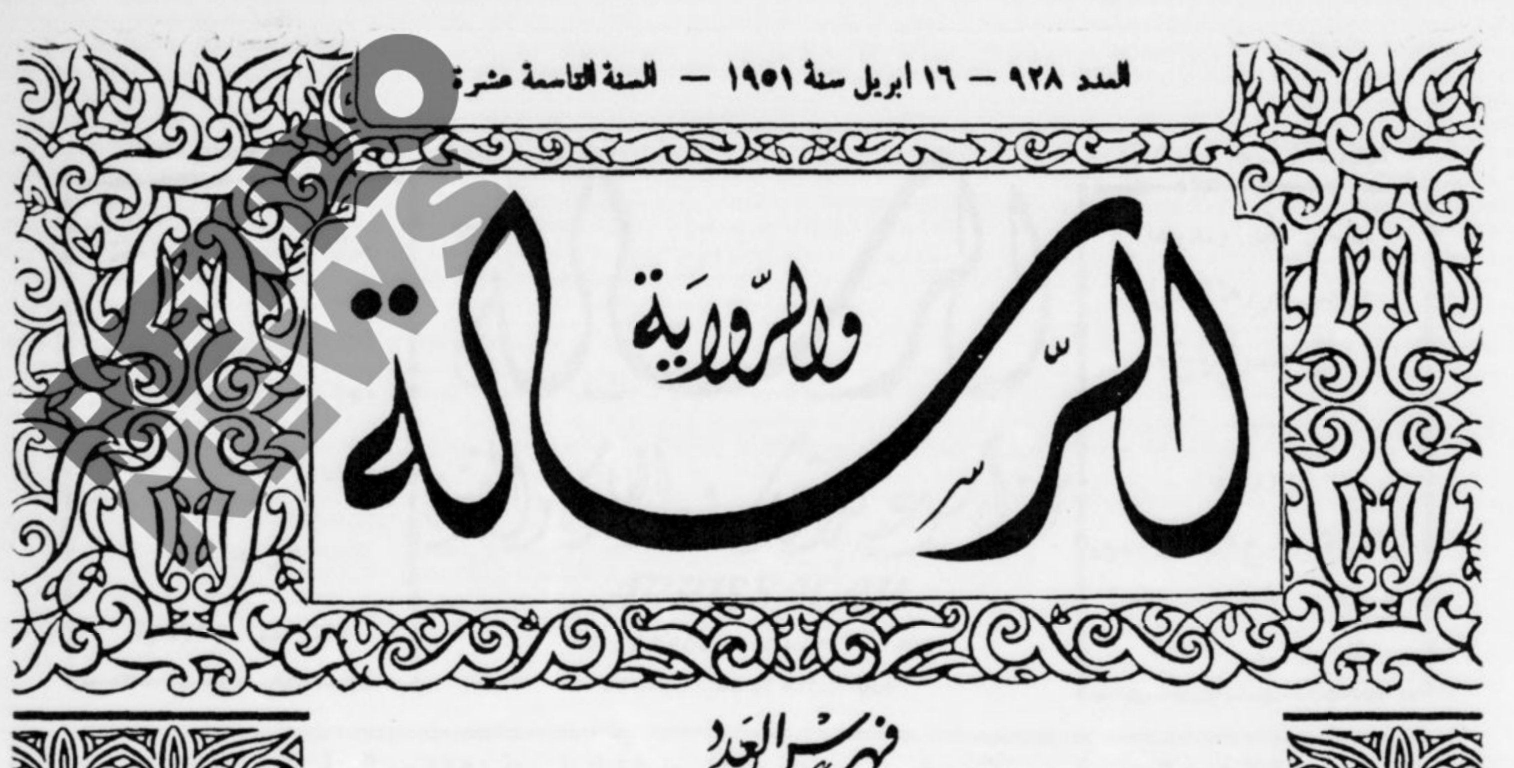
فى عدد مجلة المصور ... الذى صدر يوم الخميس ٢٩ من مارس الماضى سنة ١٩٥١ قرأ الناس قصة عراك نشب فى بلدة حلوان بين فريق من أهل البلدة وفريق من أهل دمياط سببه أطفال صغار كانوا يلعبون بكرة أمام منزل أحمد الحلوانيين ، وراح ضحيته رجل فى مقتبل العمر خلف وراءه فى يد الأقدار أفراخا لما ترش بعد وزوجة مكلومة يقطر قلبها بالدم ، فذكرتنى تلك الحادثة بأخرى مماثلها حدثت فى مدينة السويس منذ عام بين جماعة من أهل الإسكندرية جاءوا بقضهم وقضيضهم من مصنع السماد الذى يعملون فيه وجماعة من أهل السويس وتجمعوا لملاقاة السكندريين وكانت معركة رهيبة أغمدت فيها السكاكين فى الجسوم ، وتفجرت الدماء غزيرة فى منظر بشع تتقزز منه النفس ، ولا أظن أن كان لتلك الحادثة سبب أقوى من السبب فى الحادثة الأولى ، بل هو كالذى وصفته المجلة بقولها (يعملها الصغار ويقع فيها الكبار) أو كما هو معروف من المثل الشائع « وأول النار من مستصغر الشرر » فهذان الحادثان وأمثالهما مما يقع عادة بين العائلات وخاصة فى الريف ، لا يجوز للعاقل أن يسميها بالحوادث الطارئة التى تحتمها ظروف خاصة قهرية ، وتتمخض سريعة فى نفس اللحظة التى يولد فيها السبب والدافع ثم لا تلبث أن يضيع أثرها . أما أن تركت ذيولا وآثاراً فذلك ما أردت من القارئ أن يشاطرنى فهم نتائجه فهماً صحيحاً . وهل خليق بتلك الذيول أن تعمل عملها فى الناس وتثير بينهم مثل هذه النوازع إلى الشجار المنيف المميت ؟ أم أن الناس جبلوا على أن يتناولوا المبدأ القديم « أنصر أخاك ظالما أو مظلوماً » تناولا عماده الجهل وعدم تقدير للعواقب كما كان العرب يتناولونه ويطبقونه فى تصرفاتهم قبل شروق الإسلام وأخذ المسلمين به بعد تبيينه من الرسول عليه السلام ؟ الحق الذى لا مراء فيه هو أن الأسباب ما دامت متهالكة واهية والمقدمات ركيكة متداعية فإن النتائج تكون أوهى وأضعف وليست شيئاً ذا بال ... فنتخلص من ذلك إلى كلمة نسم بها تلك الحوادث المخجلة المخيفة (وهى النتائج الفادحة لمقدمات تافهة لا قيمة لها ، وعمل الشعوب البدائية القديمة لا عمل الشعوب المتمدينة الحديثة) فنقول : إنها العصبية القبلية والمنجهية البغيضة التى طالما سمعنا وقرأنا عنها وهى تفعل أفاعيلها بين أهل الريف من قرى الصعيد وكثير من قرى الوجه البحرى حيث يفنى بعضهم بعضا ويحكم بعضهم على بعض بالإعدام ، تارة بالرصاص وأخرى بالذبح وثالثة بالشنق والخنق ، وهل بعيدة عنا تلك الحوادث الدامية التى دارت رحاها بين قبيلتى (الهوارة والفلاحين) فى مركز دشنا ؟ وإنا لنرى متعجبين أن حياة النازحين من أهل الريف إلى القاهرة والإسكندرية والسويس مثلا برغم تبدلها بانتقالهم من بيئة خشنة جافة فى الريف إلى أخرى لينة ناعمة فى العواصم فلم تبرح تلك العصبية تتملك أزمتهم وتحيا فى رؤوسهم ، حتى بات الأخذ بالثأر القانون الأول فى دستور ابن الريف . ولا ندرى متى تنتهى تلك العصبية القبيحة البالية ؟ ومتى يا ترى تحل محلها عصبية أخرى من المحبة والسلام والخير والجمال ؟ ليت شعرى هل يكون صاحب الدم نفسه أول من يستجيب فيرضى الله مخلصاً بالتسامح والعفو ، فيضع حدا لسفك الدماء حقناً لها وإبقاء على حياة الأبرياء الآخرين ؟

(السويس)   محمد عبد الرحمن

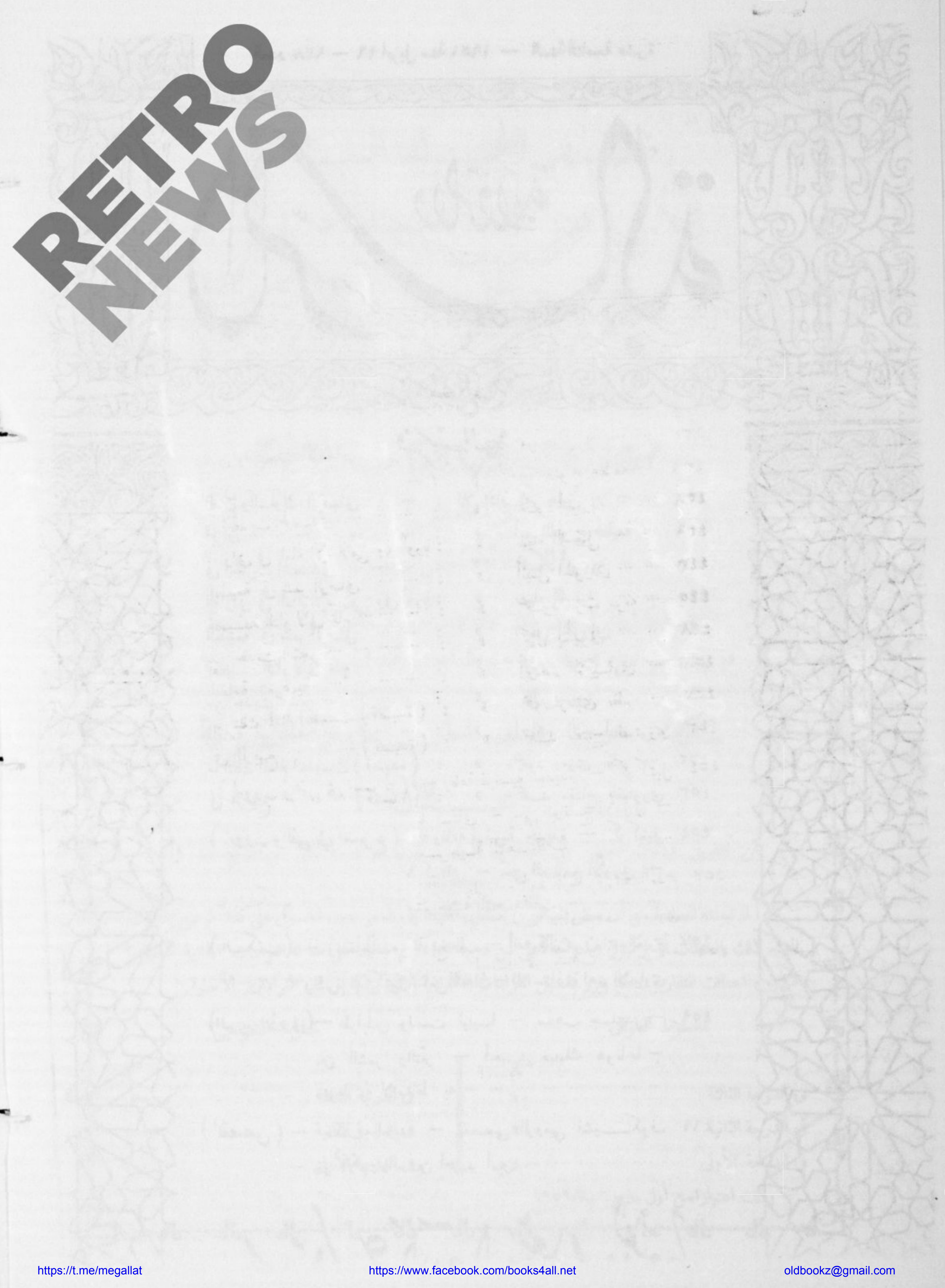


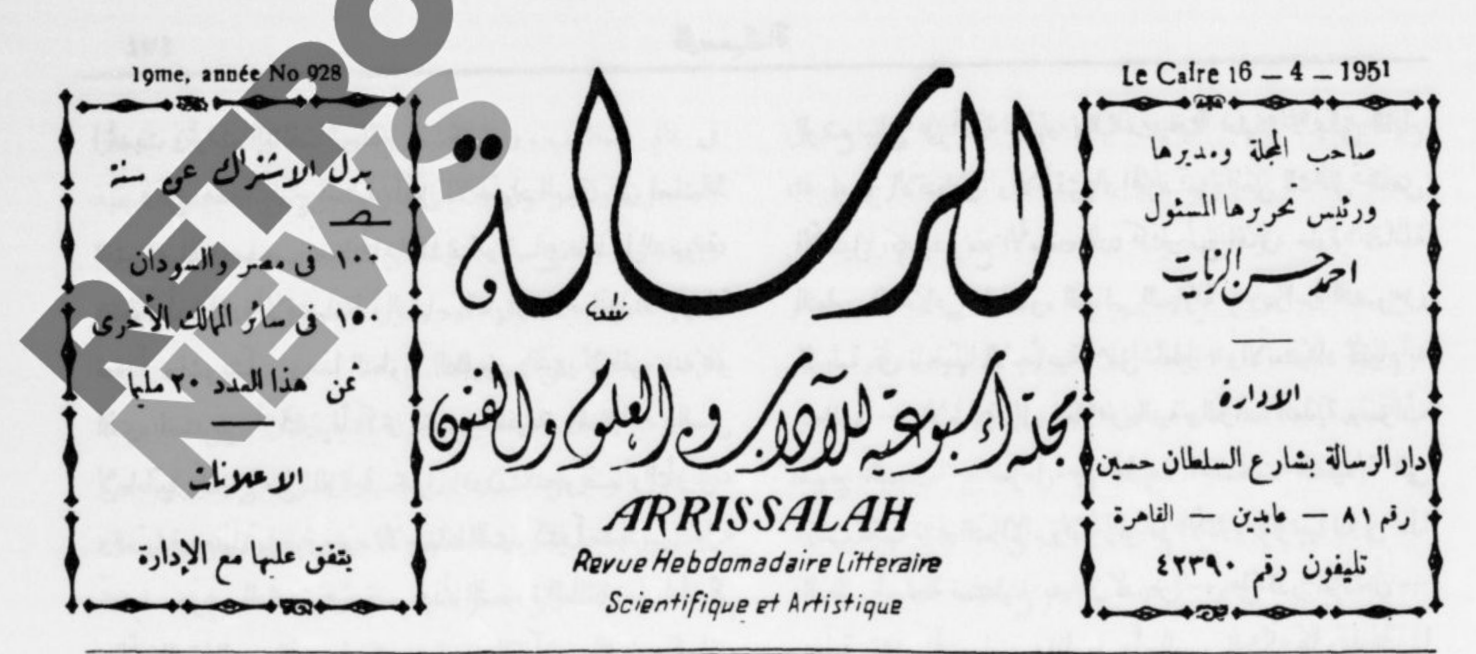


العدد ٩٢٨ — ١٦ ابريل سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد





العدد ٩٢٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ رجب سنة ١٣٧٠ — ١٦ إبريل سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

١٠- الدين والسلوك الانسانى

للاستاذ عمر حليق

التعاليم الدينية والقانون :

القوانين الخلقية للجماعة تؤلف جزءاً أصيلا جوهريا للنظام الاجتماعى الذى تعيش عليه والذى يستوحى الفرد منه سلوكه ويعتمد عليه فى صلاته مع الناس . فالقوانين الخلقية هى أسبق من العادات والتقاليد والنظم والشرائع القانونية (المدنية) فى توجيه السلوك الإنسانى . وقد يأتى حين من الدهر تمتزج فيه هذه العناصر جميعها لتؤلف الأسس الجوهرية للنظام الاجتماعى ، ولكن القوانين الأخلاقية تظل محتفظة بمكانتها الرئيسية ، مهيمنة على بقية العناصر التى يتألف منها النظام الاجتماعى (١)

والدارس للمجتمعات البدائية يدرك كيف أن القوانين الأخلاقية (الدينية) تجد من يعبر عنها فى الحكم والأمثال التى تلعب دوراً كبيراً فى تلوين السلوك الإنسانى بطابع الرشاد والطهارة والعمل الصالح

فالحكم والأمثال والأقوال السائرة نوع من التفلسف يستمد أصوله من القوانين الدينية؛ وهذه كما رأينا فى مقال سابق من هذا البحث تستند إلى الغريزة الروحانية التى تعيش فى كيان الإنسان

فالحكم فى القرآن والحديث مثلا على نوعين : —

(١) نوع يعالج الأخلاق والفلسفة العملية فى السلوك الإنسانى

(٢) نوع يتوسع فى الوعظ والإرشاد ويلجأ إلى الأمثال الشعبية المستمدة من صميم الحياة اليومية وعبر الأيام والحوادث قديمها ومعاصرها ليعزز الحكمة الخلقية والفلسفية القرآنية العملية بشروح ميسرة مبسطة تجد سبيلها إلى قلوب الخاصة وعقول العامة من الناس فى لغة مستمدة من شتى أوجه النشاط الإنسانى الدنيوى

فالنوع الأول إذن يعالج المشاكل الخلقية الروحية على أسس منطقية، العقل والروح من أسلحتها . والنوع الآخر يتمم الاجتهاد فيضرب الأمثال بالحياة العملية وعبر التاريخ ، ويجسمها فى أسلوب محسوس ملموس ، الإقناع فيه يستند إلى اختبار الناس وما يتواردونه من أنباء وحوادث، وما يلاحظونه من خير أو شر فى نشاطهم الدنيوى

وكلا النوعين فى الإسلام متمم للآخر، وكلاهما قوام على نشر رسالة الدين على أوسع ما يكون الانتشار ، وحافظ للأسس الجوهرية والتفصيلية للوظيفة الدينية التى جاء بها القرآن وشرحها

(١) Williams Religion and Social_Organization

الحديث وتراث السلف الصالح

ومن هذا التمازج استمد أهل الاجتهاد العون على استنباط التشريع الذى صاحب نمو الجماعة الدينية واتساع حاجاتها الدنيوية، وتطور أوضاعها الاقتصادية والسياسية، وازدياد حياتها الاجتماعية تعقداً وتشويشاً . وهذا التطور الطبيعى الذى لا مفر منه هو الذى استدعى أكثر فأكثر تحديد العقيدة الدينية ، والسعى لإحاطتها بسياج من الوقاية تحول دون التحريف والتأويل ، وتستهدف صيانتها من سوء الاجتهاد الذى كثيراً ما يلتبس عليه تحديد جوهر العقيدة فى خضم هذه الذخيرة الطائلة من الحكم والأمثال والعبر الذى استشهد بها القرآن والدين والسلف الصالح فى معرض شرحهم لذلك الجوهر

ولعل هذا الالتباس هو السبب فى ضلال بعض الكتاب المعاصرين الذين يحاولون تطبيق النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية المعاصرة على تعاليم الإسلام ، أو تبرير هذه النظم على ضوء الحكمة والفلسفة الإسلامية

فهذا النوع من الاجتهاد يتطلب تحفظاً بالغاً فى البحث والاستقراء . والمنهج العلمى الصادق لا يقتبس الفقرة من سجل مجردة عن المعنى الشامل الذى استعملت فيه تلك الفقرة ، والأمانة فى الاقتباس والاستشهاد تستوجب استعراض المجال الواسع الشامل الذى جاءت منه تلك الآراء أو المعانى أو الحكم التى اقتبست واستشهد بها . فبعض كبار الأئمة مثلا يراعى شرح أسباب نزول الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قبل أن يجيزوا بفتوى أو يدلوا برأى له بالعقيدة الدينية مساس مباشر

ولقد رأينا أن الاجتهاد والتشريع يصاحبان نمو الجماعة وتطورها التاريخى ، فينشأ إلى جانب الفلسفة الدينية بمعناها الشامل فلسفة اجتماعية تستمد عناصرها من التطور الجديد وما يخلقه من محاسن أو مساوئ . وقد تكون التعاليم السماوية قد حددت وظيفة الدين إزاء هذه العناصر المستجدة تحديداً بيناً واضحاً، وفى مثل هذه الحالة لا يمكن للتعاليم السماوية أن تتحمل سوء الاجتهاد . وقد يحدث أن تكون إشارة التعاليم السماوية إلى العناصر المستجدة فى التطور الاجتماعى إشارة مستترة ؛ التعرف عليها يتطلب مزيداً من الاجتهاد والبحث والاستقراء . ومثل هذا الوضع باقى على أمانة المجتهد والباحث عبثاً جليلا لا يكفى للقيام به مجرد الاقتباس والاستشهاد المجرد من المعنى الشامل للنص الأصيل كما يبدو مع الأسف عند كثير من الذين حاولوا معالجة التطور الاجتماعى على ضوء التعاليم السماوية ، ودراسة النصوص الدينية فى ناحيتها الاجتماعية عمل خطير ، والاستعداد للقيام به يتطلب — بالإضافة إلى إخلاص النية والنزاهة العلمية وصواب منهج البحث — تعرفاً على طبيعة المجتمعات التقليدية التى نزلت عليها تلك التعاليم . ولقد وفر علم الأنثروبولوجيا لنا فى هذا العصر أسلحة نستطيع به أن ندرس — على قدر الإمكان — عقلية تلك المجتمعات ونظمها وأساليب تفكيرها ومعيشتها وألف نوع ونوع من هذه المميزات التى تتباين بها المجتمعات الحديثة عن المجتمعات القديمة

والسلوك الإنسانى فى جوهره مماثل فى الجماعات البدائية والجماعات المتقدمة وإن اختلفت أساليب ذلك السلوك بفضل التطور الحضرى . ووظيفة الدين الاجتماعية فى جوهرها لم تتأثر بالتطور الحضرى، إذ أن الدين — كما رأينا فى مقال مضى من هذا البحث — من الخصائص الغريزية التى ولدت فى النفس البشرية كالأكل والشرب والتزاوج . وقد ارتقت أساليب الناس فى إشباع هذه الغرائز الجسمانية بارتقاء الحضارة ، إلا أن جوهر تلك الغرائز لا يزال كما كان عليه منذ طرد آدم وحواء من الجنة . ومثل هذه الحقيقة تنطبق بشكل أدق وأصدق على الحياة الدينية الروحانية والحياة الدينية فى جميع مراحل التاريخ الدينى ، مستندة إلى اتجاهين كلاهما يعزز الآخر

أولهما : — التطلع إلى الخالق الأعظم الذى بيده الحياة والموت وهو على كل شئ قدير

وثانيهما : — الامتثال إلى تعاليم ومثل وقيم أخلاقية توجه السلوك الإنسانى وتعده للحياة الصالحة السعيدة فى الدنيا والآخرة. ومن الصعب جدا كما قال الأستاذ (برات) أن نفرق بين هذين الاتجاهين (١)

فإذا سمحنا لأنفسنا بأن نصف الاتجاه الأول بأنه العقيدة

(١) Pratt Religious Consiousness

الدينية ، والثانى بأنه الوظيفة الاجتماعية للدين، فإن على الباحث فى وظيفة الدين الاجتماعية أن يراعى أشد المراعاة تمازج ذينك الاتجاهين ، وإلا فإن أسلوبه فى البحث لا يحقق النفع ولا يتمشى مع حقائق الوضع الاجتماعى ، ولا يأخذ بعين الاعتبار جوهر السلوك الإنسانى بمعناه الشامل وهو أصدق المعانى وأقربها إلى الحقائق الاجتماعية التى شرحها لنا (دير كهايم)

إذن فاستنباط التشريع الجديد من التعاليم السماوية واجتهاد الباحثين فى علاقة تلك التعاليم بالحقائق الاجتماعية يجب أن يتقيد بهذا التمازج الطبيعى الذى لا مفر منه بين العقيدة الدينية والحقيقة الاجتماعية

وبمثل هذا المنطق يمكننا أن نعالج موقف الجمود الذى يقفه بعض حفظة الدين فى العصر الحاضر إزاء التطور الاجتماعى الذى صاحب نمو الجماعة الدينية . فدراسة الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المعاصرة محاسنها ومساوئها يستوجب على حفظة الدين أمرين : —

أحدهما التسلح بعلوم مستجدة كعلم الأنثروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعى وعلم التاريخ الثقافى وغيرها من ألوان المعرفة الحديثة المتشعبة لزيادة تبحرهم فى العلوم الدينيه وتسلحهم بألسنة العلم الحديث لنشرها بين الناس والدفاع عنها إزاء العبث وسوء الاجتهاد . والآخر يستوجب تفهماً صادقاً للمشاكل الجوهرية فى التطور الذى ألم بحياة الجماعة فى شتى أوجه النشاط الإنسانى . فتحت لواء هذا التطور تنطوى أصناف مع المحاسن والمساوئ خلقتها الفلسفة والثورات الصناعية وتطور الأوضاع السياسية والاقتصادية وماخلفته عن عقد ومشاكل ، وما وفرته من أسباب المتعة والإغراء ومن أسباب التفكير الحديث ، وكل ذلك خصائص لم تختبرها المجتمعات القديمة التى نزلت عليها التعاليم السماوية فى العصور الغابرة . ولما كان الإسلام يصلح لكل زمان فإن وزر القصور فى إعادة فتح باب الاجتهاد بأسلحة العلم الحديث وزر خطير ، والقصور عن القيام به مع القدرة عليه إثم عظيم

وخلاصة القول بصدد هذه النقطة من البحث أن فى علوم العصر معاول جديدة لتفهم الحقيقة الدينية ووظيفتها الاجتماعية فى عالم مضطرب ، ومن العبث الذى لا طائل منه أن ينساق المصلحون والمشرعون الاجتماعيون للنيل من العقيدة الدينية والتصدى لحقائقها . فهذه الحقائق تستمد وجودها من الغريزة الدينية ، والغريزة الدينية تلعب دوراً رئيسياً فى أى لون من ألوان الإصلاح الاجتماعى بمعناه الشامل

ومن العبث أن تحارب الحياة الدينية لأن بعض مظاهرها قد تحمل ألواناً من الشذوذ لا يستسيغه السلوك الإنسانى فى عصر الرادار والطاقة الذرية . فالحقائق الاجتماعية التى تركن وراء تلك المظاهر لم تندثر ولن تندثر لأنها سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنته تبديلا . والإصلاح الصادق النافع لا يستهدف معالجة الظواهر وإنما يدلف إلى الجوهر ؛ عندئذ يسهل التوجيه وتزداد الرغبة فى الإصلاح بين المصلح والذى يرغب فى إصلاحهم

وهذا العبث يصح إطلاقه كذلك على جمود بعض حفظة الدين فى التهيب من الفصل بين سلامة العقيدة الدينية وبين الاجتهاد فى إعادة الدرس فى وظيفة الدين الاجتماعية على ضوء التطور الذى استجد فى حياة الجماعة الدينية المعاصرة . فجوهر العقيدة الدينية لا خوف عليه لأنه من الغرائز التى لا تندثر ، إنما الخوف أن يزداد نفور الناس من الامتثال إلى التعاليم الاجتماعية لتلك العقيدة فيفقد الدين إحدى دعائمه القوية وهى الوظيفة الاجتماعية التى هى جزء من ذلك الاتجاه المزدوج فى الحياة الدينية ؛ ألا وهو التطلع إلى الخالق عز وجل كمصدر للحياة الروحانية ، والسير على الأرض بنور تعاليمه السماوية

نيويورك « البحث صلة » عمر حليق

إيـــران

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

منطقة من مناطق البارود فى العالم ، وميدان من ميادين التنافس الدولى ، وأمة قامت تحاول أن ترد إلى نفسها ما أغدقته عليها الطبيعة من موارد قيمة

نعم ! هنا فى إيران منطقة من مناطق البارود وميدان من ميادين التنافس الدولى ، ذلك أن روسيا وإنجلترا تقفان لبعضهما بالمرصاد فى هذه المنطقة وتحاول كل منهما أن تفوز بالغنيمة . وأى احتكاك بين الدولتين قد يؤدى إلى الحرب العالمية الثالثة التى بات الناس يتوقعون نشوبها بين لحظة وأخرى

وقد روع الناس منذ أيام بنبأ اغتيال رئيس وزراء إيران على يد أحد الإيرانيين من أعضاء جمعية فدائيان إسلام ، وقد كانت التهمة التى وجهت إلى رئيس الوزراء هى تعاونه مع الأجانب وتفريطه فى حقوق الوطن ؛ وقد تتابعت الاغتيالات حتى توقع الناس أن يسمعوا كل يوم نبأ اغتيالات جديدة؛ الأمر الذى يؤسف له أشد الأسف ، فإن الاغتيالات لا يمكن أن تنصر قضية شعب مظلوم أو ترد إلى وطن ضائع حقوقه ، وإنما الطريق إلى تحقيق مطالب الوطن يكون بفهم الشعب كله لقضيته وإيمانه بها وعمل جميع أفراده على تحقيقها واتحاد كلمتهم

وكذلك استرعى انتباه الناس أمر لا يقل خطورة عن الأمر الأول ، وهو أن البرلمان الإيرانى قرر تأميم البترول الإيرانى . وقد ثارت إنجلترا لهذين الأمرين ، ولعل الأمر الثانى كان السبب لثورتها واهتمامها . وقد أمرت ثلاث قطع من بوارجها بدخول الخليج الفارسى للمحافظة على أرواح رعاياها وأموالهم ، وأنذرت حكومة إيران بالويل والثبور وعظائم الأمور إن هى سارعت إلى مشروع التأميم

وطلعت على الناس جريدة الإيكونومست تقول: «على إنجلترا أن تأمر بوارجها بدخول الخليج الفارسى لأن الشعوب الإسلامية لا تخاف إلا بالقوة» كأن المسلمين قوم قد فرض عليهم الذل وفرضت عليهم العبودية، وكأن إنجلترا قد فرضت نفسها سيدة لهم بل وللناس جميعاً ، أو كأن البرلمان الإيرانى قد قرر تأميم البترول فى بريطانيا ذاتها !

هذا من ناحية إنجلترا ؛ أما روسيا فقد حشدت قواتها على الحدود الإيرانية وبذلك أصبح الموقف حرجاً للغاية . فالإمبراطور حائر لا يدرى ماذا يفعل ؟ ولو تقدمت إنجلترا داخل إيران أو أراضيها لتقدمت روسيا بدورها مما قد يؤدى إلى حرب عالمية

ولعلك أيها القارئ تريد أن تسألنى عن أهمية موقع إيران وكيف صارت وطنا إسلاميا ، وعن مقدار ما تنتجه من البترول وغيره . وأنا بدورى أجيبك لأننا قد اتفقنا منذ حين على أنه خير للشرقيين أن يعرفوا أوطانهم وأن يعملوا على توحيد صفوفهم وجمع كلمتهم للوقوف فى وجه الاستعمار

تقع إيران فى منطقة اصطلح الناس على تسميتها بالشرق الأوسط، ويحدها من الشرق باكستان وبلوخستان، ومن الغرب العراق، ومن الشمال الاتحاد السوفيتى، ومن الجنوب البحر العربى والمحيط الهندى . ولعلك تسألنى ما أهمية هـذا الموقع ؟ إن موقع إيران مهم من عدة نواح : أولا : إن روسيا تسعى دائما للوصول إلى البحار الدافئة ولن يتحقق لها ذلك إلا إذا استولت على إيران . وثانيا أن إنجلترا شديدة الحرص على إبقاء روسيا حبيسة فى داخل القارتين أوربا وآسيا. وثالثا لأن روسيا إذا استولت على إيران تصبح خطراً محققا على الهند ، وإنجلترا كانت ومازالت حريصة على الهند وسلامتها ومنع وقوعها فى يد دولة معادية لأن الهند سوق هامة للمصنوعات البريطانية، وهى كذلك مورد هام من موارد الخام اللازمة للصناعات البريطانية. من هنا نشأ حرص بريطانيا على سلامة الهند فعملت على التدخل فى شؤون مصر واحتلتها عام ١٨٨٢ وما تزال إلى اليوم تماطل فى الجلاء عنها حتى أصبح يخيل للناس أن يوم الجلاء يوم الحشر ، يجتمعان متلازمان، وحتى ضاقت بنفوس المصريين الصدور ! ولسلامة الهند نرى إنجلترا كذلك تمنع روسيا من احتلال إيران وأفغانستان

ودولة إيران تشمل الجانب الأكبر من الهضبة المعروفة بهضبة إيران وتعرف حافتها الشمالية بجبال البرز، وتمتد شرقا إلى جبال

هندكوش ، أما الحافة الجنوبية فسلاسل جبلية متوازية تحف بسهول العراق وتقترب من سواحل الخليج الفارسى

والسهول الساحلية ضيقة وأ كثرها خصوبة السهول المجاورة لبحر الخزر. وتجرى فى إيران عدة أنهار قصيرة تنتهى إلى بحيرات داخلية ماعدا نهر قارون الذى يجرى غربا حتى يصب فى نهر شط العرب . وتستمد المجارى المائية مياهها من الجليد المتراكم فوق الجبال

ومناخ إيران قارس البرد شتاء، وتسقط بعض الأمطار شتاء بتأثير أعاصير الرياح العكسية وتشتد الحرارة صيفا وبخاصة فى السهول

ويبلغ عدد سكان إيران ١٥٫٥ مليونا وهم مسلمون . وقد دخل الفرس فى الإسلام عقب الفتح العربى عام ٦٤٢م ثم اعتنقوا المذهب الشيعى وكان لهم أثر كبير فى تاريخ الإسلام فبتأثيرهم سقطت الدولة الأموية وعلى أكتافهم قامت الدولة العباسية

ويشتغل الإيرانيون بالرعى والزراعة فيربون الأغنام والماعز . ومقادير الصوف الناتجة عظيمة ؛ وتصنع منه السجاجيد الفاخرة والبسط والشيلان. ولسجاد إيران (العجمى) شهرة عالية وتصدر منه ما قيمته مليونا جنيه ونصف . ويزرع الإيرانيون كميات وفيرة من القمح والشعير والأرز والخشخاش والقطن وقصب السكر ، ومن الفواكه العنب والبلح ، وتزرع أشجار التوت وتربى دودة القز

البترول : وثروة إيران المعدنية عظيمة ففيها الفحم والحديد : على أن أكثر المعادن أهمية هو البترول وتمتد مواطنه على حدود إيران الغربية وفى منطقة بحر الخزر وتستغل الآن المناطق القريبة من الخليج الفارسى . وتمتد أنابيب البترول مسافة ٢٣٠ ك م إلى معامل تكريره فى عبدان عند مصب شط العرب وفيها منشآت شركة الزيت الإنجليزية الإيرانية

إيران مشكلة دولية

أخذت روسيا منذ عهد بطرس الأكبر تعمل على توسيع رقعتها والوصول إلى البحرين : البحر الأسود وبحر البلطيق ، والاستيلاء على القسطنطينية. وقد نجحت روسيا فى تحقيق بعض مطامعها فاستولت على شواطئ بحر البلطيق الشرقية وشواطئ البحر الأسود الشمالية ولكن أطماعها فى تركيا وفى الاستيلاء على القسطنطينية أثارت عليها الدول وخاصة إنجلترا وفرنسا مما أدى إلى قيام الحرب المعروفة بحرب القرم ١٨٥٣ — ١٨٥٦ وكان السبب الرئيسى فى نشوبها سعى القيصر فى تقسيم تركة «الرجل المحتضر» (تركيا) وقد هزمت روسيا فى هذه الحرب فولت وجهها شطر آسيا ومدت نفوذها حتى وصلت إلى ميناء فلاديفوستك ١٨٥٨

ثم تطلعت إلى إيران؛ وهنا قام نزاع خطير بينها وبين إنجلترا، ولكن الدولتين اتفقتا أخيرا على أن تعملا على فض المشاكل الآسيوية بطريق المفاوضة الودية . وقد كان قيام ألمانيا الحديثة ١٨٧٠ وظهور نواياها الاستعمارية الدافع الأكبر على فض النزاع القائم بين الدولتين

وطبقا للاتفاق سالف الذكر قسمت إيران إلى ثلاث مناطق نفوذ، فأطلقت يد روسيا فى الشمال، وأطلقت يد إنجلترا فى الجنوب، وبقى القسم الأوسط على الحياد يحكمه الإمبراطور. وخول لأصحاب رؤوس الأموال من الروس والإنجليز حق استغلال أموالهم كما يشاءون

وقد حاولت روسيا بعد أن عقدت الاتفاق الودى مع فرنسا ١٨٩٣ أن تستولى على طهران، ولكن إنجلترا عارضت ونصحت فرنسا حليفتها روسيا بالعدول عن رغبتها فعدلت

وفى أوائل القرن العشرين تألفت شركة البترول الإيرانية الإنجليزية لاستخراج البترول وقد أصبحت هذه الشركة أعظم شركات البترول العالمية وأغناها

وقد كان تغلغل النفوذ الإنجليزى والنفوذ الروسى فى إيران سببا فى ثورة الإيرانيين على ملكهم . وكان من أهم نتائج هذا الانقلاب تولى رضا بهلوى عرش إيران وهو والد الإمبراطور الحالى .

وقد هال الإمبراطور الجديد ما حصلت عليه الشركة من امتيازات، فقد كان للشركة حق استغلال آبار البترول فى الجنوب. وتحصل الحكومة على ١٠ ٪ من الأرباح . ومن أجل هذا تقدم الإمبراطور بطلب تعديل الامتياز وفى ١٩٣٣ اتفق الطرفان

١ – فى الحديث المحمدى

للأستاذ محمود أبو رية

نستخير الله اليوم فى أن نفى بما وعدنا به قراء الرسالة الفراء فننشر فصولا مختصرة من بحث مستفيض قصرناه على الكلام (فى الحديث المحمدى) والله نسأل أن يعصمنا من الزلل ويلهمنا التوفيق فى القول والعمل

محمود أبو رية

مما لا يكاد يختلف فيه اثنان، أو يحتاج فى إثباته إلى برهان، أن للحديث المحمدى من جلال الشأن وعلو القدر، ما يدعو إلى العناية به، والبحث عنه، حتى يدرس ما فيه من دين وأدب، ويعلم ما يحمله من أخلاق وحكم

وعلى أنه بهذه المكانة الجليلة، والمنزلة الرفيعة، فإن العلماء والأدباء لم يولوه ما يستحق من العناية والدرس، وتركوا أمره لمن يسمون برجال الحديث يتداولونه بينهم ويدرسونه على طريقتهم. وطريقة هذه الفئة التى اتخذتها قامت على قواعد جامدة لا تتغير ولا تتبدل. فترى المتقدمين منهم وهم الذين وضعوا هذه القواعد قد حصروا عنايتهم فى معرفة رواة الحديث والبحث – على قدر الوسع – فى تاريخهم، ولا عليهم بعد ذلك إن كان مايصدر عن هؤلاء الرواة صحيحا أو غير صحيح، معقولا أو غير معقول، أى أنهم وقفوا عند البحث فيما يتصل بالسند فقط، أما المتن فلا يعنيهم من أمره شئ

ثم جاء المتأخرون فقعدوا وراء الحدود التى أقامها من قبلهم، لا يتجاوزونها ولا يحيدون عنها، وبذلك جمد علم الرواية منذ القرون الأولى لا يتحرك ولا يتغير، ووقف هؤلاء وهؤلاء عند ظواهر الحديث كما أدت إليه الرواية مطمئنين إليها آخذين من غير بحث ولا تمحيص بها (١)

وعلى أنهم قد بذلوا أقصى جهدهم فى دراسة علم الحديث من حيث روايته حتى قيل: (إن علم الحديث قد انطبخ حتى احترق) فإنهم قد أهملوا جميعا أمرا عظيما يجب أن يعرف قبل النظر فى كتب هذا العلم ودرس ما فيها، وذلك هو البحث عن النص الصحيح لما تحدث به النبى (ص)، وهل كتبه عند إلقائه كما فعل بالقرآن؟ أو أهمله ونهى عن كتابته! وهل دونه الصحابة ومن بعدهم أو أمسكوا عن تدوينه؟ وماذا كان أمرهم فى روايته؟ وهل ما روى منه قد جاء مطابقا لحقيقة ما نطق النبى به – لفظا ومعنى – أو كان مخالفا له؟ وما هى العوامل التى تدسست إليه من أعدائه، والمؤثرات التى أصابته من أهواء أوليائه، حتى رشيت بما ليس منه، وتسرب إليه ما هو غريب عنه! ثم فى أى زمن ابتدأ تدوينه؟ وهل اتخذ ما دونوه – فى أول الأمر – طورا واحدا لم يتغير على مر العصور، أو تقلب فى أطوار متعددة! وفى

(١) قال أحد كبار العلماء فى وصف علم الحديث: انه علم اصطلاحى محض يوعى بكد الحافظة، ويستنبط بقوة الذاكرة، فلا يستلذه الفكر الغواص على حقائق المعقولات، ولا الخيال الجوال فى جواء الشعريات

على أن تكون حصة إيران ١٤ ٪ من الأرباح ومد أجل الامتياز إلى ١٩٩١

إن كل قطرة من البترول تعادل قطرة من الدم، وإنجلترا من أجل هذا حريصة على أن تبقى آبار البترول فى إيران تحت يدها ويضاف إلى هذا ما تربحه بريطانيا من أموال طائلة. والإيرانيون الآن يرون أن بلادهم تفيض ذهبا ولكن هذا الذهب لا يذهب إلى جيوبهم وإنما يذهب إلى جيوب غيرهم من الأجانب، ومن ثم قاموا يطالبون حكومتهم بتصحيح الأوضاع ورد بضاعتهم إليهم، ولن يكون ذلك إلا بإلغاء امتياز شركة البترول الإيرانية الإنجليزية التى زاد إنتاجها فى العام الماضى عن ٢٠ مليون طن من البترول وتأميم البترول، أى أن تصبح آباره مرفقا عاما من مرافق الدولة الإيرانية وموردا من مواردها؟ ألست ترى معى أنهم على حق؟

وبدأت الحركة باغتيال رئيس الوزراء وقرر البرلمان الإيرانى موافقته على مشروع التأميم وثارت انجلترا وأرسلت بوارجها إلى الخليج الفارسى وحشدت روسيا قواتها على حدود إيران وما يزال الموقف مضطربا للغاية. وما يعلم إلا ربى وربك كيف تكون النهاية

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بسنود الثانوية

أية صورة خرج أخيرا للناس فى كتبه المعتمدة ، وماذا كان موقف علماء الأمة منه ، وما مبلغ ثقتهم به ، ومدى اختلافهم فيه ! بعد أن عراه ما عراه ، وتأثر بما تأثر به ؟ وما إلى ذلك من الأمور المهمة التى يجب أن يعرفها كل مسلم أو باحث قبل النظر فيه ، والأخذ بما تؤدى إليه ألفاظه ومعانيه

أما هـذا كله وغيره مما يتصل بحياة الحديث وتاريخه فقد انصرف عنه العلماء والباحثون ، وتركوه أخبارا فى بطون الـكتب مبعثرة ، وأقوالا بين ضمائر الأسفار مستنسرة ، لا يضم نشرها كتاب، ولا يعنى بتصنيفها باحث

نهى النبى عن كتابة حديثه وعمل الصحابة بذلك :

كان رسول الله صلوات الله عليه مبينا ومفسرا للقرآن بفعله وقوله، ولـكن أقواله فى هـذا البيان أو فى غيره لم تحفظ بالتدوين كما حفظ القرآن . وقد تضافرت الأدلة النقلية الوثيقة ، وتواتر العمل الصحيح على أن أحاديث الرسول (ص) لم تـكتب فى عهده كما كان يكتب القرآن ، ولا كان لها كتاب يقيدونها عند سماعها والتلفظ بها كما كان للقرآن كتاب معروفون يقيدون آياته عند نزولها ، بل جاءت أحاديث صحيحة وآثار ثابتة تنهى كلها عن كتابة أحاديثه صلوات الله عليـه إذا أوردناها كلها طال بنا القول فلنجتزئ بذكر ذرو قليل منها :

روى مسلم وأحمد وغيرهما عن أبى سعيد الخدرى قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تـكتبوا عنى شيأ سوى القرآن فمن كتب عنى غير القرآن فليمحه »

وأخرج الدارمى عن أبى سعيد كذلك : أنهم استأذنوا النبى (ص) فى أن يكتبوا عنه فلم يأذن لهم

وروى الترمذى عن أبى سعيد قال : استأذنا النبى فى الـكتابة فلم يأذن لنا

وعن أبى وهب قال : سمعت مالـكا يحدث أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب الأحاديث أو كتبها ثم قال : « لا كتاب مع كتاب الله »

وروى حافظ المغرب ابن عبد البر والبيهقى فى المدخل عن عروة : أن عمر أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب رسول الله فى ذلك — ورواية البيهقى — فاستشار فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال : إنى كنت أريد أن أكتب السنن وإنى ذكرت قوما كانوا قبلـكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله — (وإنى والله لا أشوب كتاب الله بشئ أبدا) ورواية البيهقى « لا ألبس كتاب الله بشئ أبدا »

وروى الحاكم عن عائشة قالت : جمع أبى الحديث عن رسول الله فـكانت خمسمئة حديث فبات يتقلب — قالت فغمنى كثيرا فقلت لشكوى أو لشئ بلغه ! فلما أصبح قال : أى بنية ، هلمى الأحاديث التى عندك ، فجئته بها فأحرقها وقال : خشيت أن أموت وهى عندك فيكون فيها حديث عن رجل ائتمنته ووثقت به ، ولم يكن كما حدثنى فأكون قد تقلدت ذلك . زاد الأحوص بن الفضل بن عنان فى رواية : أو يكون قد بقى حديث لم أجده فيقال : لو كان قاله رسول الله

والأخبار فى ذلك كثيرة جدا لا نستزيد بإيرادها كلها رغبة الصحابة عن رواية الحديث ونهيهم عنها :

إذا كانت الآثار الصحيحة قد جاءت فى نهى النبى (ص) عن كتابة حديثه ، والأخبار الوثيقة قد ترادفت بأن صحابته رضوان الله عليهم قد استمعوا إلى نهيه ، ولم يكتبوا حديثه بعد موته ، — كما علمت مما مر بك — فإنا نجد هؤلاء الصحابة كانوا يرغبون عن رواية الحديث بل كانوا ينهون عنها ! وأنهم كانوا يتشددون فى قبول الأخبار تشديدا قويا

روى الحافظ الذهبى فى تذكرة الحفاظ قال ومن مراسيل ابن أبى مليكة أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال : إنـكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافا؛ فلا تحدثوا عن رسول الله شيأ فمن سألـكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه . وروى ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف قال : والله ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق — عبد الله بن حذيفة وأبا الدرداء وأبا ذر وعقبة بن عامر — فقال : ما هذه الأحاديث التى أفشيتم عن رسول الله فى الآفاق ؟ قالوا : تنهانا ؟ قال . أقيموا عندى ، لا والله لا تفارقونى ما عشت فنحن

٣ – الفـــــارابى
فى العالم الاسلامى وفي أوربا

بمناسبة مرور ألف عام على وفاته

للأستاذ ضياء الدخيلي

قال الغزالى (المتوفى سنة ٥٠٥ هـ الموافقة سنــة ١١١١ م) فى كتابه تهافت الفلاسفــة : ثم المترجمون لـكلام أرسطاطاليس لم ينفك كلامهم عن تحريف وتبديل محوج إلى تفسير حتى أثار ذلك أيضا نزاعاً بينهم، وأقومهم بالنقل والتحقيق من المتفلسفــة فى الإسلام الفارابى أبو نصر وابن سينا ، فنقتصر على إبطال ما اختاروه ورأوه الصحيح من مذهب رؤسائهم فى الضلال فإن ما هجروه واستنكفوا من المتابعــة فيه لا يتمارى فى اختلاله ، ولا يفتقر إلى نظر طويل فى إبطاله [1]

وقال الغزالى فى (المنقذ من الضلال) : رد أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط ومن كان قبله من الإلاهيين ردا لم يقصر فيــه حتى تبرأ من جميعهم إلا أنه استبقى أيضا من رذائل كفرهم بقايالم يوفق للنزوع عنها فوجب تـكفيرهم وتـكفير متبعيهم من المتفلسفة الإسلاميين كابن سينــا والفارابى وأمثالهما ... على أنه لم يقم بنقل علم أرسطاطاليس أحد من المتفلسفة الإسلاميين كقيام هذين الرجلين وما نقــله غيرهما لا يخلو من تخبط وتخليط يتشوش فيــه قلب المطامع حتى لا يفهم وما لا يفهم كيف يرد أو يقبل ؟ ومجموع ما صح عندنا من فلسفة أرسطاطاليس بحسب نقل هذين الرجلين ينحصر فى ثلاثة أقسام: قسم يجب التفـكير به، وقسم يجب التبديع به، وقسم لايجب إنكاره أصلا فلنفصله [2]

فترى الغزالى فى التهافت قد أثنى على ما نقله الفارابى من فلسفة أرسطو ووسمه بالاستقامة ، وفى المنقذ كفره مع إطرائه جهوده فى النقل

(١) تهافت الفلاسفة للغزالى ص ٩ من الطبعة الـكاثوليكية

٢) المنقذ من الضلال للغزالى ص ٨٥ – ٨٨ من طبعة دمشق الثانية

أعلم ، نأخذ منكم ونرد عليكم، فما فارقوه حتى مات

وروى السائب بن يزيد قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبى هريرة « لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس أى (إلى بلاده) وقال لـكعب الأحبار : لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة

ونهاهما كذلك عن الرواية عثمان بن عفان

وكان عمر يقول : أقلوا الرواية عن رسول الله إلا فيما يعمل به . ولا غرابة فى أن يفعل عمر ذلك لأنه كان لا يعتمد إلا على القرآن والسنة العملية ، فقد روى البخارى عن ابن عباس أنه لما حضر النبى (أى حضرته الوفاة) وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبى : «هلم أكتب لـكم كتابا لن تضلوا بعده » فقال عمر إن النبى غلبه الوجع وعندكم كتاب الله فحسبنا كتاب الله

وروى ابن سعد فى الطبقات عن السائب بن يزيد أنه صحب سعد بن أبى وقاص من المدينة إلى مكة قال : فما سمعته يحدثنا عن النبى حديثا حتى رجع ، وسئل عن شئ فاستعجم وقال : « إنى أخاف أن أحدثكم واحدا فتزيدوا عليه المئة . وسعد هذا من العشرة المبشرين بالجنة ومن كبار الصحابة

وعن عمرو بن ميمون قال : اختلفت إلى عبد الله بن مسعود سنة فما سمعته فيها يحدث عن رسول الله ، ولا يقول قال رسول الله؛ إلا أنه حدث ذات يوم بحديث فجرى على لسانه ، قال رسول الله ! فعلاه الـكرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبينه ثم قال : إن شاء الله إما فوق ذاك أو قريب من ذاك وإما دون ذاك »

وأخرج أحمد وأبو يعلى عن دجين قال : قدمت المدينة فلقيت أسلم مولى عمر بن الخطاب فقلت حدثنى عن عمر فقال : لاأستطيع ، أخاف أن أزيد أو أنقص ! كنا إذا قلنا لعمر ، حدثنا عن رسول الله قال أخاف أن أزيد أو أنقص

وأخرج الدار قطنى عن عبد الله بن عامر ، قال : سمعت معاوية يخطب على منبر دمشق قال :

« إياكم وأحاديث رسول الله إلا حديثا ذكر على عهد عمر . إن عمر كان يخيف الناس الله -- ورواية الدارى — اتقوا الروايات عن رسول الله إلا ما كان يذكر منها فى زمن عمر ، إن عمر كان يخوف الناس فى الله تعالى »

المنصورة | للـكلام صلة | محمود أبو رية

ومن المنتظر أن لا يعف عن الطعن فى أبى نصر وفلسفته من اتبع خطوات الغزالى وسار فى ركابه كابن العماد الحنبلى الذى حمل عليه فى (شذرات الذهب) مقتطفا كلمات للغزالى دعم بها هجومه على هـذا الفيلسوف الجليل فقال عنه[3] الفارابى ذو المصنفات المشهورة فى الحكمة والمنطق والموسيقى التى من ابتغى الهدى فيها أضله الله . وكان مفرط الذكاء ، وقال ابن الأهدل قيل هو أكبر فلاسفة المسلمين لم يكن فيهم من بلغ رتبته وبه أى بتآليفه تخرج ابن سينا. وكان يحقق كتاب أرسطاطاليس وكتب عنه فى شرحه سبعين سفراً ولم يكن فى وقته مثله ولم يكن فى هذا الفن أبصر من الفارابى. ويقال إن آلة القانون من وضعه . قال الفقيه حسين هؤلاء الثلاثة متهمون فى دينهم يعنى الفارابى والكندى وابن سينـا فلا تغتر بالسكوت عنهم. انتهى ما أورده ابن الأهدل ملخصا. استمر الحنبلى فى حديثه قائلا: وبالجملة فأخباره وعلومه وتصانيفه كثيرة شهيرة؛ ولكن أكثر العلماء على كفره وزندقته حتى قال الإمام الغزالى فى كتابه (المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال) : لا نشك فى كفرهما أى الفارابى وابن سينا . وقال فيـه أيضا وأما الإلاهيات ففيها أكثر أغاليطهم وما قدروا على الوفاء بالبرهان على ما شرطوا فى المنطق ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيـه ولقد قرب مذهب أرسطاطاليس فيها من مذهب الإسلاميين الفارابى وابن سينا ولكن مجموع ما يخالطون فيه يرجع إلى عشرين أصلا يجب تكفيرهم فى ثلاثة منها وتبديعهم فى (١٧) ولإبطال مذهبهم فى هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب التهافت . وقال الغزالى فى (المنقذ من الضلال) القسم الثالث الإلاهيون وهم المتأخرون مثل سقراط وهو أستاذ أفلاطون ، وأفلاطون أستاذ أرسطاطاليس وهو الذى رتب لهم المنطق وهذب العلوم وأوضح لهم ما كان أمحى من علومهم. وهم بجملتهم ردوا على الصنفين الأولين من الدهرية والطبيعية وأوردوا فى الكشف من فضائحهم ما أغنوا به غيرهم. ثم رد أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط ومن كان قبله من الإلاهيين ردا لا يقصر فيه حتى تبرأ من جميعهم إلا أنه استبقى من رذائل كفرهم وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزوع عنها فوجب تكفيرهم وتكفير متبعيهم من الإسلاميين كابن سينا والفارابى وأمثالهما على أنه لم يقم بعلم أرسطاطاليس أحد من المتفلسفة الإسلاميين كقيام هذين الرجلين وما نقله غيرهم ليس يخلو من تخبيط وتخليط يتشوش فيه قلب المطالع حتى لا يفهم؛ ومالا يفهم كيف يرد أو يقبل ... ؟ ومجموع ما صح عندنا من فلسفة أرسطاطاليس بحسب نقل هذين الرجلين ينحصر فى ثلاثة أقسام : قسم يجب التفكير به ، وقسم يجب التبديع به ، وقسم لا يجب إنكاره أصلا) وبعد ما أورد ابن العماد الحنبلى هذا فى كتابه (شذرات الذهب) أردفه بقوله انتهى ما قاله حجة الإسلام الغزالى فرحمه الله تعالى رحمة واسعة. فانظر ما يجر إليه علم المنطق وما يترتب عليه التوغل فيه ولهذا حرمه أعيان الأجلاء كابن الصلاح والنواوى والسيوطى وابن نجيم فى أشباهه وابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم وإن كان أكثر الحنابلة على كراهته . قال الشيخ فى غاية المنتهى مالم يخف فساد عقيدة أى فيحرم ...

وأقول إن ما أورده ابن العماد الحنبلى هذا لا يمثل وجهة نظر عامة المسلمين وإنما هو مما تحجرت عليه أدمغة الحنابلة والرجعيين والجامدين فلا يتخـذن أعداء الإسلام من هـذا الهذيان منفذاً للطعن فيه بأنه دين يكره التفكير الحر والمنطق. ورحم الله الإمام الشيخ محمد عبده فقد كفانا فى جولاته وصولاته مع من حاول ذلك الطعن فى الإسلام من أمثال فرح أنطون صاحب كتاب (ابن رشد وفلسفته) الذى جمع فيـه مقالاته التى طعن فيها الإسلام بضيق صدره بالفلسفة وقد نشرها فى صحيفة (الجامعة) ورد عليه الإمام المذكور فى كتابه (العلم والمدنية فى الإسلام والنصرانية) وحين ذكر الفارابى — ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ فى كتابه (البداية والنهاية) لم ينس أن يطعن فى عقيدته فقال: (١) الفارابى التركى الفيلسوف كان حاذقا فى الفلسفة

(٣) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ص ٣٥٠

(١) البداية والنهاية لابن كثير ص ٢٢٤ ج ١١ فيمن توفى سنة ٣٣٩ هـ من الأعيان

ومن كتبه تفقه ابن سينا. وكان يقول بالمعاد الروحانى لا الجثمانى ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة ، وله مذاهب فى ذلك يخالف بها المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين فعليه إن كان مات على ذلك لعنة رب العالمين . مات بدمشق فيما قاله ابن الأثير فى كامله ولم أر الحافظ ابن عساكر ذكره فى تاريخه لنتنه وقباحته فالله أعلم ...) ويقصد بهذا الشتم القبيح من شاد صرح الفلسفة الإسلامية المعلم الثانى أبا نصر الفارابى فتأمل ...

والحق أن هذه الهجمات العنيفة من خصوم الفلسفة قد آذت الفارابى وشوهت سمعته فى العالم الإسلامى فصارت أبحاثه رمزاً للانحراف عن الإسلام وزيغان العقيدة كما توضح لك ذلك القصة التالية : جاء [1] فى كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) لتقى الدين أحمد بن على المقريزى : أنه فى سنة ٥٩٥ هـ عظمت الفتنة فى عسكر غياث الدين محمد ملك الغورية وكانت بلاد الغور تقع بأفغانستان بين هراة وغزنة وكانت مملكة إسلامية مستقلة بشؤونها منذ أوائل القرن الخامس الهجرى ثم فتحها محمود الغزنوى سنة ٤١١ هـ واستمرت تابعة للدولة الغزنوية وصاهر ملوكها سلاطينهم حتى سنة ٥٣٦ هـ حيث قضى التركمان على الدولتين الغزنوية والغورية معاً ثم جاء غياث الدين بن بسام فأسس ملكا جديداً على أنقاض الدولتين سنة ٥٦٩ هـ ... وكان سبب هذه الفتنة أن الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى الفقيه الشافعى المشهور كان قد بالغ غياث الدين فى إكرامه وبنى له مدرسة بقرب جامع هراة ومعظم أهلها كرامية ، والكرامية إحدى الفرق الإسلامية. ويذكر المقريزى أنها أتباع محمد بن كرام (بتشديد الراء) السجستانى وكلهم مجسمة زعموا أن الله جسم وله نهاية من جهة الأسفل الخ) قال تقى الدين المقريزى وأن أهل هراة أجمعوا على مناظرة الرازى وتجمعوا عند غياث الدين محمد معه وكبيرهم القاضى مجد الدين عبد المجيد بن عمر بن القدوة فتكلم الإمام فخر الدين مع ابن القدوة واستطال عليه وبالغ فى شتمه وهو لا يزيد على أن يقول (لا يفعل مولانا ، لا آخذك الله؛ استغفر الله) فغضب الملك ضياء الدين له وهو ابن عم الملك غياث الدين وكان أشد الناس كراهة للفخر الرازى ونسب الإمام الرازى إلى الزندقة ومذهب الفلاسفة وقام من الغد الخطيب بالجامع وقال فى خطبته (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . أيها الناس إنا لا نقول إلا ما صح عندنا عن رسول الله ، وأما علم أرسطو وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابى فلا نعلمها فلأى شئ يشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام يذب عن دين الله وسنة نبيه ؟ وبكى وأبكى فثار الناس من كل جانب وامتلأت البلد فتنة فسكنهم السلطان غياث الدين وتقدم إلى الإمام فخر الدين بالعود إلى هراة فخرج إليها ثم فارق غياث الدين ملك الغورية مذهب الكرامية وتقلد الشافعي رحمه الله) .

وهذه القصة توضح لنا كيف أن اسم فلسفة الفارابى كان مقرونا بالإلحاد والخروج على قواعد الإسلام فى دنيا المسلمين وهذا من نتائج حملات الرجعيين الشنيعة على الفلسفة وأقطابها ، فهذا طاش كبرى زاده المتوفى عام ٩٦٢ هـ (١٥٥٤) يقول فى مفتاح السعادة ومصباح السيادة (كما نقل عنه صاحب كتاب قصة النزاع بين الدين والفلسفة) : [1] وإياك أن تظن أن الحكمة المموهة التى اخترعها الفارابى وابن سينا ونقحها نصير الدين الطوسى — ممدوحة ، هيهات هيهات، إن ما خالف الشرع فهو مذموم سيما طائفة سموا أنفسهم حكماء الإسلام عكفوا على دراسة ترهات أهل الضلال وسموها الحكمة وربما استهجنوا من عرى منها ... قيل فيهم

وما انتسبوا إلى الإسلام إلا	لصون دمائهم عن أن تسالا
فيأتون المناكر فى نشاط	ويأتون الصلاة وهم كسالى

للكلام صلة — ضياء الدخيلى

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ القسم الأول ص ٤٤ :

(١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص ١٢٢

ذكرى الشاعر الفنان

الطبيعة فى شعر الرصافى

للأستاذ أنيس الحورانى

الطبيعة العراقية لوحة فنية رائعة، رسمتها ريشة مفن أصيل، صورتها فى أحسن تصوير، و كونتها فى أبدع تكوين: زاخرة فى مفاتنها ومباهجها؛ فى أنهارها الجارية وجداولها السارية، فى نخيلها السامق وحقولها الخضراء، فى مروجها الفيح وحدائقها الغناء، فى صحرائها المترامية وهضباتها الرابضة، فى رمالها الحمراء وحصاها المتماوج.. حيثما تولى وجهك ترى الجمال فيها هنا وهناك يتراءى لك فى ألوان شتى وأشكال مختلفة!

تحت هذه الظلال الوارفة، وعلى جنبات هذه الشواطئ المخضلة: ترعرع شاعرنا الرصافى وشب، فترعرع معه حبه للطبيعة وشب وإياه تعشقه لجمالها الساحر الفتان.. فراح يتملى من مفاتنها ويستلهم سرها الدفين، فيستجلى الصور الرائعة الفريدة، ويرسلها شعراً رقيقاً عذباً ينساب كالغدير الصافى فوق أفواف الزهر؛ ثم تراه يطفر هنا وهناك كالبلبل الغريد ينشد ويغرد بحرارة ونشاط!

فالرصافى إذن ابن الطبيعة البار، ابنها الوفى الأمين الذى اعتز بوعده لها، فخلدها فى أسمى المعانى وأرق البيان، وكثيرا ما تراه يفزع اليها بعد إخفاق الأمانى، ليسرى عن نفسه، وينفس عن كربه، فتسعفه بأروع ما عندها من ذخائر ونفائس.. فتراه عند ذاك كالرسام البارع الأصيل الذى يكتفى بألوان قليلة لرسم الصورة التى تمر أمامه، فيخرجها للناس بإطارها الوضاء، حيث يسكب فيها شعوره الفيـــاض ممزوجا بمعانى النور والظلال والتجاوب النفسى فى تذوق الجمال الفنى الذى تأتلف فيه الطبيعة إئتلافاً دقيقاً..

هذه ناحية قيمة من شعر الرصافى تجاهلها النقاد فلم يعطوها حقها، وذلك لابتعادهم عن الاندماج فى نفسية الشاعر وتذوق شعره؛ فهو قبـل كل شئ معبر وجـدانى، وشعره مرآة نفسه المتجاوبة مع عناصر الحيـاة وتكوينها، وأن أدبه أدب القوة والإبداع والخلود!.

وهـذه الطبيعة الراقصة فى شعره، يمكننا أن نتلمسها فى قصائده الـكثيرة منذ صباه حتى شيخوخته، فنجدها ذات روح وثابة قوية، ورائعة الفنية ناطقة فى غير بيان. والذى جعل شاعرنا يبدع فى ذلك هو غرامه الذى لا حد له فى المحسنات اللفظية والجمال البديعى، مما يجعلنا نقرأ قصيدته ونستعيدها مرة إثر مرة حتى نقف على أبعد مراميها فندرك سر بيانها، وإن شعره فى كثير من الأحيان يسيل رقة وعذوبة، ويتفجر عن ينابيع ثرة دافقة..

استمع إليه فى قصيدة «الغروب» يقول فيها:

نزلت تجر إلى الغيوب ذيولا ... صفراء تشبه عاشقاً متبولا
تهتز بين يد المغيب كأنها ... صب تململ فى الفراش عليلا
ضحكت مشارقها بوجهك بكرة، ... وبكت مغاربها الدماء أصيلا

يصف الرصافى الشمس فى هذه القصيدة، وهى تجر مطارفها بخفر وحياء، وقد أضر بها السقم كالعاشق الوانى الذى سئم رقدة الفراش؛ فتراه هنـا وقـد اكتفى بخطوط قليـلة وألوان زاهية لإبداع لوحته الفنية، ثم صورها عند الشروق ضاحكة باسمة، وعند الأصيل مولولة جازعة تتشح بردائها الأحمر القانى الذى خضبته الدماء

وفى قصيدته «وقفة فى الروض» يقول:

ناح الحمـام وغرد الشحرور ... هذا به شجن وذا مسرور
فى روضة يشجى المشوق ترقرق ... الـمـاء فى جنبـاتها وخرير
ماء قد انعكس الصفاء بوجهه ... وصفـاه لاح كأنه بلور

ومنها:

وتمـايلات فى الروض منه جداول ... بين الزهـــور كأنهن سطور
حيث الغصون مع النسيم موائـل ... فكأنهن معـــاطف وخصور

تأملوا بالله! فى خيال الشاعر العبقرى الوصاف تجدوه كمن اطلع على أسرار الطبيعة وما تزخر به من حجب وتكهنات فراح يقتنص الشوارد بأدق المعانى وأرق الأحاسيس، فيشعر بمصاب الحمام وهو ينوح من شجين وعذاب، ويشارك الشحرور

فى تغريده لفرحتـه ومسرته ! ثم يلتفت هنـا وهناك وكأنه يستشف غور الأعماق ، فيبقى سادراً فى صفحة الماء الجلواء، حتى يخيل إليه أنه يرى مدى بعدهـا لصفائها ، وكأنها استطابت مكونه فى هـذا الروض فرقت له واستسلمت إليه ، فكشفت له عن كنهها ومخابئ صدرها من جمال وروعة !.

ومن هذا الوصف المفتن ما جاء فى قصيدة « ذكرى لبنان » إذ يقول فيها :

برزت تميس كخطرة النشوان   هيفـاء مخجلة غصون البان
ومشت فخف بها الصبا فتمايلت   مرحاً فأجهد خصرها الردفان
جال الوشاح على معاطفها التى   قعدت وقام بصدرها النهدان
تستعبد الحـر الأبى بمقـلة   دب الفتور بجفنها الوسنان

ومنها :

لم أنس فى قلبى صعود غرامها   إذ نحن نصعد فى ربى لبنان
حيث الرياض يهز عطف غصونها   شدو الطيور بأطرب الألحان
لبنان تفعل بالحيـاة جنانـه   فعل الزلال بغلة الظمآن

تراه هنا يتمشى مع الطبيعة جنباً إلى جنب ، فيعطيها نصيبها الوافر من الإبداع والتشبيه ، مع خيـال شعرى سليم ، وموسيقى شجية هامسة ، ليس فيها أى تكلف مصطنع ، بل جاءت فريدة من صميم نفسه الشاعرة المرهفة .

وقوله لاستغلال مادة الطبيعة فى بساطة ساحرة :

البحر رهو والسما صـافيه   والفحت فى الليل شبيه السديم
والبـدر فى طلعته الزاهيه   قد ضاحك البحر بثغر بسيم

* * *

والصمت فى الأنحاء قد خيما   فالليل لم يسمع ولم ينطق
والبدر فى مفرق هام السما   تحسبه التـاج على المفرق
أغرق فى أنواره الأنجما   وبعضها عـام فلم يغرق
والبحر فى جبهته الصافيه   قام طريق للسنـا مستقيم
لم تخف فى أثنـاءه خافيه   حتى ترى منه اهتزاز النسيم

تلك هى قصيدته « محاسن الطبيعة » التى أجاد فى صياغتها وتوشيحها ، فكانت طرفة خالدة من طرائفه الفنية النفيسة ! . يصف فيها سكون البحر وهدوءه ، والليل وصمته ، تظللهما سماء جلواء صاحية الأديم ؛ وقد وثب القمر فى طلعة مشرقة وضاءة ، ليداعب البحر فى فرحـة ومسرة ، وكأنه تاج من سنى الضياء ، على مفرق السماء ! .

وقوله :

انظر إلى تلك الملقة التى   سترت ظلام الليل بالأضواء
قطع من البلور محـدقة بها   يحكين شكل أصابع الحسناء
فكأنها بدر تلألأ فى الدجى   وكأنهن كواكب الجوزاء
بل قد يمثلها الخيـال كأنها   قمر أحيط بهـالة بيضاء

قال هذه الأبيات مرتجلا فى « معلقة » وقد برع فى وصفها مجنحاً الى آفاق رحيبة من الخيال المطلق . والذى نتلمسه الآن فى شعره هو أن الطابع الوصفى يغلب على شعره فى الطبيعة والذى يصاحبه الجرس واللون والخيال المجنح ؛ وقد يمتزج أحياناً بفلسفة الحياة والعاطفة والوجدان

ونراه بعد حين يرتد طرفه عن مباهج الحيـاة وزخارفها ، ليرى وطنه وقـد لعبت به أيدى الحدثان ، وارتفعت فى أرجائه سياط الطغيان ، فأنشد يقول ودمعه لا يرقأ :

نظرت إلى عرض البلاد وطولها   فما راقنى عرض هناك ولا طول
ولم يبد لى فيها معاهد عزها   ولـكن رسوم رثة وطلول
أأمنع عينى أن تجود بدمعها   على وطنى إنى إذن لبخيل

لنشاركه فى هذه النظرة التى ألقاها على البلاد ، حيث تتجلى فيها دقة الحس وفيض الشعور ، لنرى وإياه بعين المتـألم الخبير « فماراقنى » بالعجب ! . تلك البـلاد التى استهوته بجمالهـا ، وأسرته بفاتنهـا ، يعود فيراها على صورة غير التى كان يعهدها منذ قبل . . « ولـكن رسـوم رثة وطلول » ، وكأننـا نحس ونشعر بما يرمى إليه الشـاعر ، فيغمرنا الألم ويحز فى نفوسنـا ، فنشاركه دموع الحزن والأسى لمـا أصاب الوطن الجميل . . ثم ماذا ؟ ! « إنى إذن لبخيل » ، وهنا تتم اللوحة التصويرية فى أجل معانيها وأنبل غاياتها ، فتدفع بالروح المتطلعة الى أبعد حدود الذات ، الى الانطلاق الحر ، الى ثورة النفس الصـاخبة التى يرمى اليها الشاعر فى هـذا الهمس البسيط يبغى من وراء ذلك تحطيم القيود وهدم السدود ، ودك صروح الغزاة المعتدين ! !

هذا هو الرصافى فى شعر الطبيعة ، ذلك الشعر الذى يتراءى لنا من خلال سطوره وقدة النفس وطموحها فى سبيل الاعتزاز بهذه الأرض الطيبة الساحرة الجميلة ! .

والرصافى الآن فى مقدمة موكب الخالدين ، وشعره هـذا سيبقى سفراً قيما للتاريخ التصويرى للطبيعة العراقية !

بغـداد   أنيس الحورانى

مع أبي تمام في آفاقه :

قصيدة النار *

للأستاذ محمود عزت عرفة

المعتصم والأفشين :

لم يكن المعتصم رجل علم كأخيه المأمون ، وإنما كان جنديا قديرا يحسن اصطفاء القواد وتخير رجالات الحرب . وقد وصف نفسه في بعض مجالسه بأنه « الخليفة الأمي » فلم يعد وجه الحق في شيء

وكان موقف الدولة العباسية وعوامل تكوينها قد قضت عليها أن تستجلب العناصر الغريبة إلى جيشها ، من فرس وترك وغيرهما ، تستعين بهم على كبح جماح العرب من فلول بني أمية وأشياع بني هاشم

فلما جاء أبو إسحق المعتصم أربى في ذلك على أسلافه ، حتى لأسقط أسماء العرب من ديوان الجيش مكتفيا بالأتراك والأبناء ، وبجند اجتلبهم من فرغانة وأشروسنة (١)

ولما نبت بغداد بأولئك الجند ، وآذوا أهلها وتأذوا بهم ، اختط لهم المعتصم حاضرته الجديدة سامرا (٢) ، وأبانهم بالأزياء الجديدة عن سائر جنده ، ورفع من مراتبهم وأقدارهم ، وجعل بأيديهم مستقبل الخلافة

وكان الأفشين (حيدر بن كاوس) أحد هؤلاء الذين اصطفاهم المعتصم ، وهو فارسي الأصل من أبناء أشروسنة . ولقب الأفشين كان يطلق على كل من ملك في تلك الناحية

والثابت أن الأفشين من أبناء الملوك الذين حكموا هنالك ؛ وقد كانت منزلته رفيعة لدى قومه حتى اليوم الذي قتل فيه ، بل إن إفراطهم في الولاء له كان إحدى التهم التي ووجه بها وأدت إلى أن يسلب نعمته ويصلب

ويرجع اتصال الأفشين بالمعتصم إلى ما قبل توليه الخلافة بسنوات . ففي عام ٢١٣ هـ عقد المأمون لأخيه لواء الولاية على الشام ومصر . وفي نفس السنة اندلع بمصر لهيب الثورة . ووثب عرب القيسية واليمانية بعامل المعتصم فقتلوه ، وهو عميرة بن الوليد الباذغيسي الذي رثاه أبو تمام بإحدى بواكير شعره وهو بمصر فقال :

أعيدي النوح معولة أعيدي	وزيدي من بكائك ثم زيدي
وقومي في نساء حاسرات	خوامش للنحور وللخدود
هو الخطب الذي ابتدع الرزايا	وقال لأعين الثقلين : جودي
ألا رزئت خراسان فتاها	غداة ثوى عمير بن الوليد !

ومرت بمصر أحداث جسام استدعت أن يأتي المعتصم بنفسه فيسكن من ثائرها . ولما غادرها تجددت أسباب الفتنة فلم يجد بدا من أن يبعث إلى مصر بأفضل رجاله عنده وهو الأفشين . فقدمها في ذي الحجة عام ٢١٤ هـ (٣)

ولا تكاد كتب التاريخ تشير إلى الأفشين بشيء قبل أن تجري هذه الحوادث ؛ فما لا شك فيه أن تلك أول مهمة خطيرة يعهد إليه المعتصم بها

وقد استمر بمصر يقاتل القوم في وثبات متتابعة حتى قدم إليها المأمون بنفسه في المحرم من عام ٢١٧ هـ

وتنقطع أخبار الأفشين بعد هذا . ولعله عاد في ركاب المأمون ، ثم التحق بوضعه من حاشية أميره المعتصم . على أن المأمون توفي في رجب سنة ٢١٨ هـ ، وخلفه المعتصم بعهد منه . فخاض غمار حربين كبيرتين استغرقتا أعوام حكمه : أولاهما حرب الخرمية في الشرق ، وقد انتهت بفتح (البذ) معقل بابك الخرمي واعتقاله وقتله والثانية حرب الروم في الغرب — وكانوا قد تحركوا على صدى حوادث الخرمية — وتمت هزيمتهم بفتح (عمورية)

---

* تحليل أدبي لقصيدة أبي تمام في هجاء الأفشين قائد المعتصم وذكر مقتله وصلبه . مع بحث تاريخي يوضح بعض ملابسات هذا الحادث ، وإشارات الشاعر إليه

(١) بلد كبير فيما وراء النهر بين فرغانة وسمرقند ، واسم إقليمها الصغد — أنظر معجم البلدان

(٢) الفخري لابن طباطبا — شرح السبب في بناء سامرا ص ١٧٣

(٣) النجوم الزاهرة : ج ٢ ص ٢١٢

أقوى حصونهم على حدود المملكة الإسلامية فى آسيا الصغرى
وكان الأفشين هو بطل الخلافة المجلى وفارسها المعلم فى هاتين السلسلتين من الحروب

حرب الخرمية :

والخرمية قوم من المجوس كانوا يدينون بمذهب التناسخ ، ويبيحون المحرمات من تناول الخمر وزواج ذوات المحارم وسائر ما تستجيب إليه الأهواء

وكان رئيسهم جاويدان بن سهل صاحب جبال البذ ، الذى خلفه عند موته بابك بن بهرام مدعيا أن روح جاويدان حلت فيه . وقد حدث هذا فى سنة ٢٠١ ﻫ والمأمون لا يزال فى أوائل حكمه مقيما بمدينة مرو لم يبرحها بعد إلى بغداد

ويقول ابن الأثير فى تاريخه (الكامل) إن تفسير جاويدان : الدائم الباقى ، ومعنى (خرم) الفرح . . قال : وهى مقالات المجوس . والرجل منهم يتزوج أمه وأخته وابنته ، ولذا يسمونه دين الفرح ، ويعتقدون بمذهب التناسخ ، وأن الأرواح تنتقل من حيوان إلى غيره (٤)

وقد جد المأمون فى حرب بابك حتى استعصى عليه أمره ؛ وأشخص إليه جندا كثيفا على دفعات ؛ فانهزم أمامه من قواد الخلافة على التوالى ، بين ناج وقتيل وأسير : يحيى بن معاذ ، وعيسى بن محمد بن أبى خالد ، وعلى بن صدقة ، وأحمد بن الجنيد الإسكافى ، وإراهيم بن الليث بن الفضل ، ومحمد بن حميد الطوسى . وكان ذلك فى الفترة ما بين عامى ٢٠٤ ، ٢١٤ ﻫ

ومن هنا نفهم معنى ما سجله المأمون فى وصاته وهو يحتضر ، لأخيه أبى إسحق المعتصم حيث يقول : والخرمية فأغزهم ذا حزامة وصرامة وجلد ، واكنفه بالأموال والسلاح والجنود من الفرسان والرجالة . فإن طالت مدتهم فتجرد لهم بمن معك من أنصارك وأوليائك . واعمل فى ذلك عمل مقدم النية فيه ، راجيا ثواب الله عليه (٥)

ولم يأل المعتصم فى محاربة الخرمية جهدا ، فسير إليهم قائده إسحق بن إبراهيم المصعبى سنة ٢١٨ ﻫ وعقد له الولاية على الجبال ، فأوقع بفريق منهم فى همذان وعاد ومعه منهم أسرى . وأعقبه المعتصم بالأفشين حين تبين له استفحال خطبهم ، وانضواء الكثيرين تحت لواء دعوتهم . فأوقع بهم عند حصن أرشق ، ونجا بابك هاربا إلى « موقان » ثم أرسل إلى البذ فجاءه جند تقوى بهم وعاد إلى حصنه

وما زال الأفشين ينتقل من موضع إلى موضع ، وهو يسد المسالك ، ويستجلب الميرة ، ويرم الحصون ، ويبث الأرصاد والعيون ، حتى أوفى على حصن البذ فحاصره ، واستولى عليه فى رمضان سنة ٢٢٢ ﻫ

وقد كان لهذا النصر أثره الدوى فى نفوس المسلمين ، فشرقت به مدائح الشعراء وغربت تنوه بفضل الأفشين وقواده ممن أعانوه على هذا العمل الجليل

يقول أبو تمام — باقتراح من عبد الله بن طاهر — فى وصف بلاء الأفشين ، وعظم تدبيره فى هذه المواقع :

لقد لبس الأفشين قسطلة الوغى	محشا بنصل السيف غير مواكل
وجرد من آرائه حين أضرمت	له الحرب، حدا مثل حد المناصل
وسارت به بين القنابل والقنا	عزائم كانت كالقنا والقنابل
رأى بابك منه التى لا سوى لها	سوى سلم ضيم أو صفيحة قاتل

ويقول فى مدحه بعد عودته ظافرا ، من نونية مطلعها : بذ الجلاد البذ فهو دفين :

قاد المنايا والجيوش فأصبحت	ولها بأرشق قسطل عثنون
فتركت أرشق وهى برق باسمها	صم الصفا، فتفيض منه عيون
لو تستطيع الحج يوما بلدة	حجت إليها كعبة وحجون
لاقاك بابك وهو يزأر ، وانثنى	وزئيره قد عاد وهو أنين
لاقى شكائم منك (معتصمية)	أهزلن جنب الكفر وهو سمين

ويقول فى مدح أبى سعيد محمد بن يوسف الطائى — أحد قواد الأفشين — وكان قد أنزله بموضع يقال له (خش) :

أبلغ محمدا الملقى كلاكله	بأرض خش أمام القوم قد ابتجا

(٤) الكامل لابن الأثير : ج ٦ ص ١٢١
(٥) تاريخ الطبرى : ج ١٠ ص ٢٩٤

ما سر قومك أن تبق لهم أبدا
وأن غيرك كان استنزل الكذجا (٦)

أضاء سيفك ، لما اجتث أصلهمو
ما كان في جانبي تلك البلاد دجى

ويوم أرشق والآمال مرشقة
إليك ، لا تبتغي عنك منعرجا

أرضعتهم خلف مكروه فطمت به
من كان بالحرب منهم قبله لهجا

ثم يصف مداهمته بابك في موقان حتى تخلى عنها هاربا إلى البذ ، كما ذكرنا قبل :

وفي موقان كنت غداة ماقوا | أشد قوى من الحجر الصلود
مشت خببا سيوفك في طلاهم | ولم يك مشيها مشى الوئيد
سيوف عودت سقيا دماء | بهامة كل جبار عنيد
ويوم البذ لما يبق حقد | على الأعداء ، في قلب حقود
حططت ببابك فانحط لما | رأى أجل الشقي مع السعيد
فما ندري ؛ أحدك كان أمضى | غداة (البذ) أم حد الحديد ؟

ويقول مخاطبا ابن يوسف أيضا من دالية أخرى :

عططت على رغم المداعزم بابك | بعزمك عط الأتحمى المعضد
وموقان كانت دار هجرته فقد | توردتها بالخيل أي تورد
حططت بها يوم العروبة عزه | وكان مقيما بين نسر وفرقد

... ويخاطبه في دالية ثالثة فيقول :

تركت منهم سبيل النار سابلة | في كل يوم إليها عصبة تفد
كأن بابك بالبذين بعدهمو | نؤى أقام خلاف الحي أو وتد
وأهل موقان إذ ماقوا فلا وزر | أنجاهمو منك في الهيجا ولا سند
لم تبق مشركة إلا وقد علمت | إن لم تتب ، أنه للسيف ما تلد

ويقول أبو تمام في مدح أبي دلف — القاسم بن عيسى العجلي — وكان قائد فرقة المطوعة تحت إمرة الأفشين :

إن الخليفة والأفشين قد علما | من اشتفى لهما من بابك وشفى
في يوم أرشق والهيجاء قد رشقت | من المنية رشقا وابلا قصفا

فكان شخصك في أغفالها علما | وكان رأيك في ظلمائها سدفا
نضوته دالفيا من كنانته | فأصبحت فوزة العقبى له هدفا

وكان بابك قد نجا بنفسه بعد سقوط معقله ، ومضى هاربا إلى بلاد الروم عن طريق أرمينية ، فأذكى الأفشين وراءه العيون وبث الأرصاد في كل مكان حتى قبض عليه . وإلى هذا يشير أبو تمام بقوله :

ورجا بلاد الروم فاستعصى به | أجل أصم عن النجاء حرون
هيهات لم يعلم بأنك لو ثوى | بالصين لم تبعد عليك الصين !

وكان الذي قبض على بابك سهل بن سنباط — أحد بطارقة أرمينية — عند اجتيازه بأرضه متخفيا :

وأزمع نية هربا فحامت | حشاشته على أجل بليد
تقنصه بنو سنباط أخذا | بأشراك المواثق والعهود
ولولا أن ريحك ذربتهم | لأحجمت الكلاب عن الأسود

ولكي نعرف حقيقة ذكر الكلاب والأسود هنا نقول إن الأفشين كان قد ألح على ملوك أرمينية وبطارقها بوجوب التحرى عن كل من يجتاز أرضهم وحثهم على القبض على بابك ووعدهم في ذلك ومناهم . . فلما مر بابك بأرض ابن سنباط عرف حقيقته ولكنه جبن عن القبض عليه . فتملقه بالخضوع والطاعة واستضافه في حصنه ، ثم كاتب الأفشين بخبره . فأرسل الأفشين من استوثق له من صحة ذلك ثم بعث بأبي سعيد مع جند فقبضوا عليه . ولما تحقق بابك خيانة ابن سنباط أغلظ في شتمه وقال له : بعتني لليهود بالشيء اليسير . لو أردت المال وطلبته لأعطيتك أكثر مما يعطيك هؤلاء .

ولما مضوا ببابك سير معه ابن سنباط ابنه معاوية « فأمر له الأفشين بمائة ألف درهم ، وأمر لسهل بألف ألف درهم استخرجها له من أمير المؤمنين ، ومنطقة مفرقة بالجوهر ، وتاج البطرقة . فبطرق سهل بهذا السبب (٧) »

وقال صاحب النجوم الزاهرة : كان المعتصم قد جعل لمن جاء به حيا ألفي ألف درهم ، ولمن جاء برأسه ألف ألف درهم . فجاءه

---

(٦) قال ياقوت : الكذج اسم حصن وناحية بأذربيجان من منازل بابك الخرمي

(٧) الطبري : ج ١٠ ص ٣٣٣

به سهل البطريق فأعطاه المعتصم ألفى ألف درهم ، وحط عنه خراج عشرين سنة (٨)

أما بابك — وقد شبهه أبو تمام فى بيته بالأسد — فكان مملوء النفس من كبر ، مأخوذا بداء المظمة التى وصلت به إلى حد التأله . ولما وصل إلى الأفشين كتاب المعتصم بالأمان لبابك ، وهو متوار قبيل القبض عليه ، عرضه على بعض من استأمن إليه من أصحاب بابك — وفيهم ابن له كبير — على أن يستقصوا موضعه ويوصلوه إليه . فلم يجرؤ أحد منهم على ذلك . قال الأفشين لبعضهم : ويحك ، إنه يفرح بهـذا ! فقال : أصلح الله الأمير ، نحن أعرف بهذا منك !

ولما وصل الكتاب إلى بابك على يد اثنين ضمن لهما الأفشين النفقة على عيالهما إن قتلا — ضرب بابك عنق أحدهما وشد على صدره الكتاب مختوما لم يفضه . وفض كتابا آخر كتبه إليه ابنه يحسن له التسليم ثم أطلق الرسول الثانى وحمله إلى ابنه كلاما كله سب وإفحاش ، وفيه قوله : إنك من جنس لا خير فيه ، وأنا أشهد أنك لست بابنى . تعيش يوما واحدا وأنت رئيس خير أو تعيش أربعين سنة وأنت عبد ذليل ؟ ؟ (٩)

وحمل الأفشين بابك إلى سامراء فأمر المعتصم بقتله ، ثم صلب بموضع يقال له العقبة ، فى شهر صفر سنة ٢٢٣ هـ

(يتبع) محمود عزت عرفة

---

(٨) النجوم الزاهرة : ج ٢ ص ٢٣٦

(٩) الطبرى : ج ١٠ ص ٣٢٨

من حديث الشعر

الكتاب الثانى

صديقى العزيز ...

رأيتنى أزدرى الشعر وأصف الشعراء بالجهل والسذاجة . فأحفظك هـذا الوصف ، وغاظك هـذا الازدراء . فهببت تذود عن الشعر والشعراء . ولكنك لم تسلك فى هـذا الدفاع طريقا سواء ، وإنما التوت بك السبل فخلطت وأفسدت الأمر على نفسك وعلى الشعر والشعراء ، ذلك أنك قد زعمت أن الشعر متنوع مختلف . منه ما يعتمد على الواقع ، ومنه ما يعتمد على الخيال ، ومنـه ما يعتمد على الواقع والخيال جميعا ، وأنك أنت لا تؤثر هـذا الشعر الذى يسترسل فيه صاحبه مع الخيال ، ويسرف فى ذلك فيتورط فى المبالغات وألوان الغلو ، وإنما تؤثر هـذا الشعر الذى لا حظ فيه للخيال ولا الاختراع ، وإنما هو وصف صادق مطابق للحق الواقع ، وأن مذهبك فى ذلك مذهب العرب الأوائل الذين قال قائلهم :

وإن أحسن بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

وإذن فأنا مسرف مبالغ حين أزعم أن الشعر جهل وسذاجة لأنه يعتمد على الخيال ولا يعنى بالحقائق ، وأين يقع شعر أبى العلاء من الخيال ؟ بل أين تقع حكم المتنبى وحكم أبى تمام من الخيال ؟ وعلى هذا النحو مضيت فى دفاعك عن الشعر والشعراء ، فأفسدت الأمر — كما قلنا — على نفسك وعلى الشعر والشعراء . ذلك أن ما تسميه شعرا يعتمد على الحق الواقع ليس من الشعر فى شىء ، وإنما هو من النظم فى كل شىء .. وإذن فمن الخير لى ولك أن نتفق على تعريف الشعر حتى لا أسمى نظما ما تسميه شعرا ، ولا تسمى شعرا ما أسميه نظما

وأنا حين أعرض لتعريف الشعر لا أحب أن أتحذلق وأتكلف ، وأضع لك جملا غريبة كأنى أحدد أصلا من أصول الفلسفة العليا ، أو كأنى استنزل وحيا من السماء ، ولست فى الوقت نفسه أريد أن أخترع أو أن أبتكر ، وإنما أريد أن آخذ الأشياء كما هى ، وأتمثلها كما يتمثلها المستنيرون من الناس . وأظنك معى فى أن الشعر والنظم كلاهما كلام موزون مقفى ، ولكن الشعر يمتاز عن النظم بأنه يصدر عن الشاعر كما يصدر التغريد عن الطائر الفرد ، وكما ينبعث العرف من الزهرة الأرجة ، وكما ينبثق الضوء من الشمس المضيئة ، فتأثير الإرادة وتأثير الروية فيه ضئيل جدا ، ولعله أن يكون معدوما . أما النظم فتأثير الإرادة وتأثير الروية فيه واضح جدا ، أوضح من أن نعرفه أو ندل عليه ولعله أن يكون إرادة كله ، وروية كله ، ومن هنا كانت العاطفة

وحرارتها هي كل شيء في الشعر ، وإملي أن أقول إن الشعر عاطفة كله ، ومن هنا أيضا كان العقل ونتاجه خطرا جدا على الشعر يفسده أو يكاد يفسده إفسادا لا حد له . وإذا كان الشعر عاطفة فيجب ألا تنظم هذه العاطفة نظما في الكلام ، وإنما يجب أن تصور تصويرا فنيا جميلا . وكيف أعد شعراً قول القائل : أنا محزون جدا ، أو أنا مسرور جدا ، دون أن يصور لي حزنه أو يصور لي سروره ؟ بل كيف أعد شاعرا من قال لي في كلام موزون مقفى : إنه محزون أو إنه مسرور ؟ يجب إذن أن تكون العاطفة مصورة – ولكن تصوير العاطفة ليس شيئا إذا لم يكن تصويرا فنيا جميلا . وكيف أستطيع أن أطلق على إنسان اسم الشاعر والريشة تضطرب في يده والألوان تختلط في لوحته ؟ والفن والجمال يحتضران بين يديه ؟ يجب إذن أن تكون العاطفة مصورة تصويرا فنيا جميلا – ولكن التصوير الفني لا يعتمد على العقل والملكات الفكرة ، وإنما يعتمد على الخيال والملكات الخالقة المبتكرة . وهل الاستعارة والمجاز والتشبيه إلا مظاهر من مظاهر الخيال ؟ وهل هي في الوقت نفسه إلا ألوان من ألوان التصوير الكلامي الفني الجميل ؟ فكيف تقول لي إذن : إن الشعر بعضه يعتمد على الواقع ، وبعضه يعتمد على الخيال ، وبعضه يعتمد على الواقع والخيال جميعا ؟ وهل من فرق بين أن تقول لي هذا وبين أن تقول لي : إن الشعر بعضه يعتمد على التصوير وبعضه لا يعتمد عليه ؟ وإذا لم يكن الشعر تصويرا فلعمري ماذا يكون ؟ أيكون تحليلا كتحليل العلم أم يكون شرحا كشرح الفلسفة ؟ إن أبا العلاء – يا صديقي – لم يكن شاعرا في كل ما نظم ، ولكنه كان شاعرا حينا وكان ناظما حينا آخر ، وكان يجيد مرة ويتورط في الردئ مرة أخرى . وإن أبا الطيب وأبا تمام لم يكونا يحشران الحكم حشرا بين أبيات القصائد ، وإنما كانت حكمهما في كثير من الأحيان تكملة للصورة الفنية التي يرسمانها ، وأنت إذا فتشت في هذه الحكم رأيتها مبالغات وخيالات دفعت إليها العاطفة المنفعلة دفعا ، فلا بد في الشعر إذن من عاطفة ، ولا بد لهذه العاطفة من تصوير كلامي منظوم ، ولا بد لهذا التصوير من جمال فني ، ولا بد لهذا الجمال من خيال . فنحن الآن نستطيع أن نفهم أن الكلام المنثور وإن احتوى على عاطفة وتصوير وجمال فني وخيال ليس شعرا لأنه فقد النظم ، وأن نفهم أن الكلام العاطفي المنظوم الذي لا تصوير فيه للعاطفة ليس شعرا لأنه لا تصوير ، ومن ثم لا جمال ولا خيال ، وأن نفهم أن الأفكار التي توضع في كلام موزون مقفى ليست شعرا لأن الأفكار لا تحتمل التصوير الشعري الجميل وإنما هي محتاجة إلى الدقة وإلى التشدد في الدقة وإلى أن تسمى الأشياء بأسمائها

وأنا أكتب إليك هذا وبين يدي كتاب في الأدب المقارن لزميل من زملائك أساتذة البلاغة والنقد الأدبي ، وهو يعرف الأدب – ومنه الشعر طبعا – بأنه فكرة مصورة مزجاة بعاطفة . وإذا صح أن نعرف النثر بأنه فكرة فإنه يستحيل علينا أن نعرف الشعر بأنه فكرة . على أن النثر ليس فكرة مصورة مزجاة بعاطفة ، فقد يكون النثر فكرة محضة وقد يكون عاطفة محضة ، وقد يكون فكرة مزجاة بعاطفة ، وقد يكون عاطفة مزجاة بفكرة ، وعلى أن هذه الفكرة ليست مصورة دائما ، وإنما قد تكون مصورة مرة ، وقد تكون محللة مرة أخرى ، وقد تكون مشروحة مرة ثالثة وعلى هذا النحو ، وكلها مع هذا نثر ، ونثر فني . على أننا لا نحب أن نناقش الأستاذ الفاضل في هذا ، وإنما الذي نريد أن نقوله : هو أن الشعر ليس فكرة مصورة مزجاة بعاطفة ، وإنما الشعر عاطفة مصورة ، لأن نتاج العقل لا يحتمل التصوير الشعري ، وإنما هو في حاجة إلى الدقة في التعبير . وماذا يقول الأستاذ الفاضل في هذه العواطف المصورة تصويرا فنيا جميلا ، والتي لا تحمل في طياتها فكرة من الأفكار ؟ أيسقطها من الأدب لأنها ليست فكرة ؟ أم ماذا يصنع بها ؟

على أن من الحق أن نقرر أن زميلك الفاضل قد احتاط لنفسه حين عرف الأدب بأنه فكرة مصورة مزجاة بعاطفة ، احتاط لنفسه احتياطا فهو يفرق بين الفكرة بمعناها العلمي المحض ، والفكرة بمعناها الأدبي ، ويرى أن الفرق بينهما هو الفرق بين « العالمية » و « الفردية » أو بين « الموضوعية » و « الذاتية » فالفكرة العلمية حقيقة واقعة تفرض نفسها على الناس جميعا ، ولا تفقد صحتها إلا إذا قام البرهان العلمي على فسادها . أما الفكرة الأدبية فليست حقيقة واقعة وإنما هي حقيقة في رأي الشاعر . وقد يراها الناس

وهما كاذبا وخيالا باطلا ، فهى فردية ذاتية وليست عالمية ولا موضوعية . هو يريد أن يقول : إن الأدب يصف الخواطر النفسية والعواطف الإنسانية ، ولكنه لم يقل هذا فيريح ويستريح ، وإنما لف ودار فتعب وأتعب الناس معه ولم يصب المرمى بعد هذا التعب وهذا الاتعاب ، لأن الخواطر النفسية ليست أفكارا وإن وصفها بالذاتية ووصفها بالفردية ، وإنما هى خواطر ، وخواطر ليس غير . ماذا أقول ؟ بل إن الأدب ليس أفكارا ذاتية وأفكارا فرديه ليس غير ، وإنما هو ولا سيما إذ كان نثرا فنيا أفكار علمية وحقائق واقعة لم تصغ صياغة علمية جافة ، وإنما صيغت صياغة أدبية جميلة أبعدتها عن جفاف العلم وجفوته . وكيف أقول إن النثر الفنى أفكار ذاتية أو فردية وهو لا يرق إلا فى الأمم التى ارتقت فى الحضارة وتقدمت فى الحياة العقلية ، وأخذت من العلم والفلسفة بنصيب لا بأس به أنا إذن عاجز عن أن أفهم أن الأدب فكرة مصورة مزجاة بعاطفة . وعاجز أيضا عن أن أفهم هذا الفرق بين الفكرة العلمية والفكرة الأدبية . ذلك لأنى إن فهمت أن النثر فكرة فلن أفهم أن الشعر فكرة ، وإن فهمت أن الفكرة الأدبية ذاتية وفردية فلن أفهم أن النثر الفنى أفكار ذاتية فردية ، وإذن فالأستاذ مطالب بأن يوضح لى رأيه فى الأدب عامة وفى النثر خاصة وفى الشعر بنوع أخص .

على أننا قد ابتسمنا حين رأيناه يكلف نفسه شططا ويرهقها عسرا لإثبات أن الأدب ومنه الشعر فكرة مصورة مزجاة بعاطفة ، ولعله كان يلمح أن الشعر ليس فكرة ، وإنما هو عاطفة وشعور . فهو يقول إن العاطفة لا توجد وحدها بل توجد مدفوعة بفكرة ، أو هى بطبيعتها تنتهى متى تملكت صاحبها إلى فكرة من الأفكار . وأنا أحب أن أناقشه فى هذا الكلام ، لأن العاطفة قد لا توجدها فكرة من الأفكار وقد لا تنتهى حين تتملك صاحبها إلى فكرة من الأفكار . ومن المحقق أن المحزون لا يفكر فى الحزن أولا حتى يحزن ، ومن المحقق أيضا أن المحزون إذا تملكه الحزن لا ينتهى حزنه إلى فكرة من الأفكار ، وإنما ينتهى به إلى البكاء ، وقد ينتهى به إلى العويل

وأنا أحب أن أترك زميلك الفاضل ، فأنا لا أكتب إليه هو ، وإنما أكتب إليك أنت . وأكبر ظنى أننا الآن قد اتفقنا على تعريف الشعر ؛ فهو عاطفة مصورة تصويرا فنيا جميلا فى كلام موزون مقفى ، وإذا قلنا مصورة تصويرا فنيا جميلا فقد ذكرنا الخيال القوى المبتكر . فنحن إذن لم نعد الحق حين قلنا إن الشعر لغة الحس والشعور والخيال . وهذه الملكات التى تنشأ مع الفرد والجماعة وتنضج وترتقى قبل أن ينضج العقل ويرتقى التفكير . ولم نعد الحق أيضا حين قلنا إن الشعر أول مظهر من مظاهر الفن فى الكلام لأنه لغة الحس والشعور والخيال ، وأن النثر آخر مظهر من مظاهر الفن فى الكلام لأنه لغة العقل ومظهر التفكير . ولم نعد الحق أيضا حين قلنا إن الشعر جهل وسذاجة لأنه يعتمد على الخيال الذى يمضى حيث يشاء ويصور الأشياء كما يشاء ، لا كما تشاء الأشياء أو كما تشاء الطبيعة . وأنت مخطئ يا صديقى إن ظننت أنى حين أصف الشعر بالجهل والسذاجة أغض من شأنه أو أحط من قدره . فوصف الشعر بالجهل والسذاجة مدح له وثناء عليه . لأن الشعر الذى يوصف بالعلم والعمق نظيم كله لا أثر فيه للشاعرية ولا للخيال . الشعر جهل وخير له أن يظل جهلا ، لأنه يفقد فنيته كلما ترك الخيال المبتكر وجنح إلى الحقائق الواقعة . والشعر سذاجة وخير له أن يظل سذاجة ؛ لأنه يفقد فنيته وجماله كلما ترك هذه السذاجة وجنح إلى التفكير والعمق . على أنى أحب أن تطمئن وبطمئن الشعراء ويطمئن الذين يحبون الشعر ويشفقون عليه ويجدون شيئا من اللذة الفنية فى قراءته وتغنيه ، فلن يستطيع هذا الحديث أن يميت الملكات الشعرية فى نفوس الشعراء . ولن يستطيع هذا الحديث أن يقطع السبيل بين عشاق الشعر وبين قراءة الشعر واستظهاره ، والتماس اللذة الفنية فى قراءته واستظهاره . بل أذهب إلى أبعد من هذا فأزعم لهم أن الشعر إذا اضمحل فى مصر فى هذا العصر الذى ارتقت فيه الحياة العقلية ارتقاء كبيرا ، فإنهم لن يفقدوا اللذة الفنية إذا التمسوها فى النثر الفنى . ففى هذا النثر يجدون حياة أدبية مشرقة ممتعة مخالفة كل المخالفة لهذه الحياة الشعرية الجاهلة الساذجة

وأرانى قد أطلت عليك ، وإن كنت لم أحدثك عن كل ما أريد أن أحدثك عنه فأنا مضطر الآن إلى أن أفرغ من هذا الحديث ، وإلى وقت آخر

كمال بسيوني

المقامة العرفانية

للأستاذ إبراهيم الابياري

مكن الله له ومكن به

أساغ لنا وردا تورد ماءه

مياسير قد أعطوا ورد المحرب

ويابينونة ما بين الشارب والشرب ، ومن يسوى بالبشم السغب . وهل يحمد الرى مثل ظماء ، أو يشكر الشبع إلا على خواء

وقديما نكر الناكر على جساس ألا يغيث كليبا بشربة ، وفيل المفيل أن تمنع عامر الماء معبد بن زرارة ، وأذموا عبسا على غدير قلهى حين ردت عنه ذبيان عطشى ، وأعموا ابن زيادفى صده ابن الزهراء عن الشريعة

وهل عندك أن ثمود ضنت أن تماض بماء لبنا ، وأبت أن تشرك فى بئر الناقة ، وأن فتاة ابن قبيصة لم تذكر إلا ماءة صداء حين سئلت أن تقايس بين لقيط ومن بنى بها بعده ، وأن العرب حين عتلوا الماء جعلوا الزمام إليه فقالوا : الماء ملاك آمر

وأصيخ إليك تشمر منكرا :

فما ظمأ نشكو ولا الماء نفقد :

ثم تنثر مردفا : وكيف يصدى من فى يمينه هذا النهر يجمع ، أو مع المشرين وفى ظل الحاضرية تخوفنا الأعيه ، وأين منا هذا الورد المحلأ ، والحوض غير الموطأ

ويحضرنى فيك :

عدوت مرادى سبط هيمان فاقصد

لقد لغبت عشيرتك والماء تحت أرجلها ، وحيل بينها وبينه وخريره فى آذانها .

وتحجونى أوىء إلى عهد لم يأتك نبؤه فى كتاب ، فما فى المنقول أن قلا مما أقول كان بله كثره

وفى واعيتك أنا ذره الفيض والخصب ، لا القحط والجدب ، والوسيع لا بتضيق

وجازك أن شاهدى حاضر فى زرافات لا تفتأ على الصدى ، تعرفهم فى اللسان المدقول ، والعقل الحرف ، واليد الخرقة وبحلك أن الظمأ يقتل ولا يدى . وتجرى فى إثر من وصفت لك فتحصى منهم فوق ما أحصيت فتهتال ، وتسألنى أى ظمأ هذا ؟

هذا ظمأ القرن الموفى على العشرين لا ظمأ القرون الأولى . أعوزهم الماء فربطوا به حلهم وترحالهم ، حربهم وسلمهم ، ولو عبدوا غير الله لعبدوه ، وهو لا ينقع إلا غلة الأجواف

ويعوزنا للعلم ورد روده

شكت ظمأ منه النفوس اللواغب

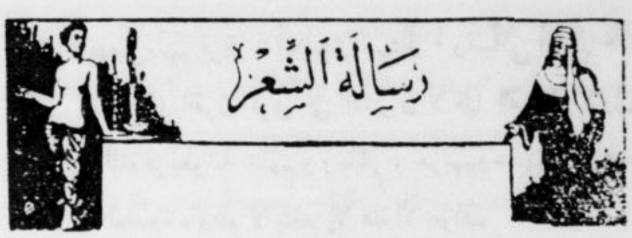
وكيف تقاس بغلة الأنفس غلة ، أو كيف نحرص على أرماق للجهالة وذماء للضلالة ؟ وما للأغمار تسأل الأعمار ، وغيرك من لا يختار زيادة يوم على أثرة من علم

ثم ألا ترى أنى لم أعد الصواب حين حركتك بالماء ، وأنى لم أبعد حين جمعت بين ورد وورد

وأعدك بعد أنى لن أجنح إلى التلميح ، ولن تلقانى إلا على صريح

ابراهيم الابيارى

الرسالة: المقامة رياضة أدبية ، كما أن الأحجية رياضة عقلية ، تلك تمتحن بها فهمك . والصبر فى كلتا الحالتين هو المفتاح



من الموشحات

« ما لتلك المعالم انطمست »

للأستاذ أبي الوفاء محمود رمزي نظيم

أتراه يحنو على الصبِ   أهيف القدِ
أى وجد أثار فى قلبي   آه يا وجدى
من لوعة وجراحْ   لو رآها لرق

* * *

أخذنى بالسحر صورته   فأنا المضنى
لا تقولوا كالغصن قامته   إن مشى غصنا
لا تقولوا كالبدر طلعته   وجهه أسنى
لا تقولوا كالسحر نظرته   زهوا الحسنا
ان حسن اللاح   مبعث للأرق

* * *

وصف من أهواه لا أرضاه   انا صب غيوز
لم يزل حاضراً وعيني تراه   فهو فيها النور
غاية الوهم هجره وجفاه   لست بالمهجور
فى فؤاد مثاله وسناه   بدد الديجور
فخيالى صباح   والظلام انمحق

* * *

كنت ميتاً والحب أحياني   ياله من محياه
هو نور أضاء وجداني   بشعاع سناه
وخلود للنفس روحاني   عند من تهواه
نحن نبقى والهيكل الفاني   فى الثرى مثواه
قد قضى وارتاح   كالهشيم احترق

* * *

لا تظنوا دنياكمو شيئاً   إنها أوهام
حملتني همومها حيا   وعذاب السقام
وكوتني بنارها كيا   دائب الآلام
وطوتني سنيها طيا   يا لها أحلام
تخدع الأشباح   حلمها ما صدق

* * *

والثرى يهضم الجسوم فلا   يبق منها شى
لجنة كل من بها نزلا   يبتلى بالبلى
لا تثر فى مآلنا جدلا   لا يرح الحى
خل من لم يزل يجد أملا   غافلا فى الحى
لاهيا بالراح   بين نفح العبق

* * *

أين أيامنا التى سلفت   فى قديم العصور
ما لتلك المعالم انطمست   ولذاك النور
بالأرض بأهلها شقيت   حكمة المقدور
مالها فى خصبها نكبت   خصبه المشهور
هل طوته الرياح   ثم جف الورق

* * *

وطن قام فيه « رمسيس »   فأذل الأمم
أين « خوفو » وأين « أحميس »   وبناة الهرم
ذهبت بالكرام « منفيس »   وأقام العدم
واستباح النفوس ابليس   فأباد الشمم
وقضى واستباح   وبغى وسرق

* * *

لم يعد من مجدنا باقي   فأزل كربي
واملأ الكأس أيها الساقي   وأرح قلبي
فخمور تذيب أشواقي   بلسم الحب
ساء عيشى ما بين أوراقي   ليس ذا ذنبي
فاملأ الأقداح   من ورود الشفق

* * *

أيها النائمون فى الشرق   فى ظلال الخمول
إن سيل الغرب لا يبقى   وبيبد الأصول

قد خدعتم بلمعة البرق يا لها من عقول
رضيت بالصغار والرق في حياة تزول
كلهـا أتراح كالشراب اندفق

* * *

وافترقتم في أرضكم شيعا سميت أحزاب
وكل قوم لحزبه تبعـا ثم صاح الغراب
وحدة ركنها قد انصدعا فتح الأبواب
شكر الطامعون ما صنعنا وشربنا العذاب
يزهق الأرواح ويزيد القلق

* * *

كل جهاد لنا بروح سدى ونحن في استعباد
وكيف يلقى أخو الجهاد هدى وقومه الحساد
لا تتبعوا غير قائد أبداً لكل قوم هاد
كل افتراق بين الشعوب بدا يمزق الأكباد
وتدوم الجراح ويتم الغرق

«منيل الروضة» محمود رمزي نظيم

في الربيع

للاديب محمد مفتاح الفيتوري

ربوتنا اعشوشبت وكوخنا الممحل
وإبلنـا أنتجت وشاؤنا مطفل
والقمح في حقلنا ... قرطه السنبل
واختال في أرضنا الحرات والمنجل
وكرمة المنحنى ... ناءت بما تحمل
وامتلأت بالندى القناة والجدول
والورد في دربنا عاطفه الصندل
وحام في جونا البازي والأجدل
وعاد شحرورنا الجيل والبلبل ...
ونسمات المسا تحكي وتسترسل
كأنها في الدجى شاعرة تغزل
وجددت ريشها الحمائم الهدل
ولاح وجه الربيع حيث نستقبل
قد كان في فصله ميعادنا الأول
حبيبتي استيقظي فبابه مقبل ...

* * *

لبي نداء الصبا أيتها الراعيه
وكحلي مقلتيك بالرؤى الصاحيه
وجردي عنك ذي الغلالة القاسيه
واستقبلي ركبه فتانة عاريه
فأنت عند الربيع زهرة ساميه
والزهر يهوى الفضا ويكره الآنيه
هيا بنا للمروج والربى الحاليه
نهتز في خفة الـ السخائل اللاهيه
ونهد أشواقنا للسفح والرابيه
ونبن أحلامنا بالرملة الصافيه
مدائنا ... أو قصورا ... أو دمى زاهيه
أو نقطف الزهر كي تلقفه الهاويه
أو نسرق الشهد من خلية الجانيه
أو نختبئ من زوايا المرج في زاويه
أو نجذب الشمس من شعورها الدانيه
أو نحبس الضوء في سلالنا الواعيه
أو نضطجع في ظلال الغيمة الساريه
أو نتأرجح على ضفائر الداليه
أو نستحم بماء البركة الساجيه
أو ننظم الشعر أوزانا ... بلا قافيه

* * *

استيقظي استيقظي يا زهرتي الغافيه
وابتسمي للحياة إنها فانيه ...
وإنما الخالدو ن نحن غانيه
أنت بفصل الربيع زهرة ناميه ...
وكلما استغرقت أبقظها ثانيه ...

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

رقاعة فرنسية جديدة

كان الفرنسيون قد قالوا : إن الأنباء التي نشرتها الصحف المصرية عن حوادث مراكش الأخيرة غير صحيحة ، وإن حملة الصحافة المصرية على فرنسا معتسفة ومتعسفة، وراحوا يلقون علينا دروسا في أصول المهنة التي تتطلب تحرى الحقائق واستقاءها من مصادرها ، واقترحوا على نقابة الصحفيين المصريين أن تبعث وفدا منها إلى مراكش للوقوف على حقيقة الحال هناك . وكان هذا الاقتراح مدهشا ... فليس مثل هذا التسامح معهودا من فرنسا في المغرب ، إذ جرى عمالها هناك على منع أشعة المشرق من النفوذ إليه ، حتى لا تقتل جراثيم الاستعمار ..

ومع ذلك فقد قابلت النقابة الاقتراح بالترحيب ، إما بسلامة نية ، وإما متابعة للكاذب إلى داره ... وسافرت البعثة الصحفية المصرية إلى المغرب ، وبلغت طنجة ، فلما أرادت دخول مراكش تلبية لدعوة الفرنسيين منعها الفرنسيون ! ألغى وزير فرنسا في طنجة إجازة (تأشيرة) وزير فرنسا في مصر ... وهذا يذكرنا بالنادرة التي تروى عن عمدة بخيل يستقبل زواره بالترحيب ثم ينادي الخادم قائلا في صوت جهوري : « قهوة يا ولد » وهو يرفع يده مشيرا بأصبعه إشارة أفقية يفهم منها الخادم أن لا قهوة ... فالوزير الفرنسي في مصر يوافق على دخول الصحفيين المصريين مراكش وكأنه يشير إلى زميله في طنجة أن لا دخول ...

وليس منع الفرنسيين هذه البعثة وأمثالها غريبا ، بل الغريب أن يسمحوا لها بدخول تلك البلاد المنكوبة بهم ، ولا بد أن تسأل بعد ذلك : أين « الرقاعة » في ذلك التصرف مادام طبيعيا لا غرابة فيه ؟ الرقاعة — أولا وكما قلت من قبل — فن يجيده الفرنسيون ، والإبداع الفني أو « الإشراق الرقاعي » في هذا الموضوع ، هو أن الفرنسيين هم الذين طلبوا سفر البعثة وهم الذين منعوها ! وغيرهم يستطيع أن يطلب فقط أو يمنع فقط ، أما عبقرية الرقاعة التي تجمع بين الأمرين فهي مقصورة على الفرنسيين .

(كوكتيل) باكستاني

قدم إلى مصر في الأسبوع الماضي وفد صحفي من الباكستان ، تلك الدولة الحبيبة التي يجمعنا بها الإسلام . وقد لقي الضيوف الكرام ما يليق بهم من الحفاوة والتكريم ، فأضافتهم الحكومة المصرية ، ورحبت بهم الشخصيات والجماعات المختلفة ، واهتمت الصحف بأنباء تنقلاتهم وما يقام لهم من حفلات ، وقد تتبعت ما نشر عنهم باهتمام وسرور ، ولكن شيئا واحدا نغص على هذا الشعور ، إذ قرأت بأهرام الخميس (٥/٤/١٩٥١) في سياق ما أعد لهم من برنامج في ذلك اليوم ، ما يلي : « وفي المساء يقيم لهم السيد معظم على مندوب وكالة أسوشييتدبرس الباكستانية ، حفلة كوكتيل في داره »

وقفت عند حفلة الكوكتيل هذه مندهشا ! فهؤلاء الإخوان من الباكستان التي نتصورها أمة مسلمة محافظة على شعائر الإسلام ، ونغتبط بهذا التصور الذي تكونه في أذهاننا قرائن ومظاهر مختلفة ، منها ما تعلنه حكومة الباكستان من أن دستورها يقوم على تعاليم الإسلام ، وما يبديه ممثلوها في الهيئات العالية من الدفاع عن الإسلام ومناصرة المسلمين ، وما يترامى إلينا من تمسك الشعب الباكستاني بأهداب الدين ، ولعل قراء الرسالة يذكرون ما كتبته منذ أسابيع بعنوان « هل نحن مثقفون بالثقافة الإسلامية » على لسان باكستاني كبير تحدث إلى مقارنا بين الروح الإسلامية في مصر وفي الباكستان

لذلك دهشت إذ رأيت إخواننا من مسلمي الباكستان يتداعون إلى شرب الخمر في برنامج ينشر على الناس ... فتوقعت

وأنا في نايه أنشودة ساريه
فلننس آلامنا الكبيرة الداميه
وأمسيات الشتا وريحه العاتيه
ولننس دنيا الورى الضاحكة الزاريه
وحسبنا ذلك الخلود يا غاليه

محمد مفتاح الفيتوري

بدافع ميل النفس إلى خير الاحتمالات — أن يكون فى ذلك الذى نشر خطأ أو لبس ، وأن لا بد من استدراكه فى اليوم التالى ، ولـكن زادت دهشتى عندما قرأت فى العدد التالى من الأهرام (٦/٤/١٩٥١) ما يلى : « وفى المساء أقام لهم السيد معظم على المراسل الخاص لوكالة الأسوشيتدبرس الباكستانيـة بالقاهرة حفلة كوكتيل »

إذن فقد تحقق الأمر ووقع المحظور .. وأنا حائر فى هـذا الموضوع ... هل هو يستحق التدقيق للاعتبارات التى سلفت ، وأن ذلك يستوجب توجيه العتاب إلى أولئك الإخوان ، أو إلى سفارة الباكستان بالقاهرة التى ينبغى أن يتدخل نفوذها الأدبى فى مثل ذلك ؟ أو أنه يجب أن نـكون « عصريين » فلا ندقق وندع الإخوان يصيبون شيئا من الحظ والمراح .. وخصوصا أننا فى مصر « المسلمة أيضا » نفعل مثل ذلك وإن كنا نتحرج من إعلانه ونشره .. عملا بقول النبى صلى الله عليه وسلم « إذا بليتم فاستتروا » ولـكنى لا أشك فى أن إخواننا الباكستانيين يعرفون هـذا الحديث كما نعرفه . وقد يقال إن الأهرام هى التى نشرت ؛ ولـكنها نشرت فى يومين ، وكان يمكن الاتصال بها وخاصة من جانب السفارة — لنشر عبارة « دبلوماسية » تغطى ما كشف ... وكان يمكن أيضا أن ترى الأهرام من تلقاء نفسها أن نشر ذلك غير لائق ، ويلاحظ أنها فقط التى نشرته !

حتى البرنامج الأوربى

تحدث إلى أستاذ إيطالى زار مصر أخيرا ، وقد جاء ذكر الإذاعة المصرية ، قال إنه استمع فى فترات مختلفة إلى البرنامج الإيطالى من القسم الأوربى فى الإذاعة المصرية ، فلاحظ أن المادة التى تذاع أكثرها اسطوانات وتسجيلات موسيقية يمكن الاستماع إليها من محطة إيطالية ، فليس فيما يذاع للجالية الإيطالية ويبلغ عددها فى مصر ٤٥ ألف نسمة — ما يكون صورة ثقافية لمصر الوطن الذى يقيمون فيه ، فهناك كثير من المسائل المتعلقة بمصر ، مثل السودان ، والمسألة العربيـة ، والحركة الوطنيـة ، والاتجاهات الإنشائية للحكومات المتعاقبة — كل هذه المسائل وأمثالها لا يعرف المثقف الإيطالى المقيم بمصر عنها شيئا ...

هـذا ، ومصر تنفق آلاف الجنيهات للدعاية فى الخارج ، أليست الدعاية لمصر بين جماهير الأجانب المقيمين فيها أولى ؟ وخاصة إذا كانت لا تكلف كثيرا ولا تحتاج إلى جهد كبير ؟

الأجانب واللغة العربية

وقد استطرد ذلك الأستاذ فى الحديث قائلا : لماذا لا تذاع دروس لتعليم اللغة العربية فى البرنامج الأوربى بالإذاعة المصرية ، كى يستطيع المواطن الأجنبى فى خلال شهور التفاهم بها أو قراءة جريدة عربية ؟

والواقع المؤلم أن مصر مقصرة أشد التقصير فى تعليم لغتها للأجانب ، فليس هذا التقصير خاصا بالإذاعة ، فإن الأجنبى لا يجد فى بلادنا معهدا يتعلم فيه اللغة العربية على نفقة الحـكومة ، على حين نرى الدول الأخرى تنشئ المعاهد التى تعـلم الأجنبى لغتها لا فى داخلها فقط ، بل فى البلاد الأخرى ، ولا تدخر وسعا فى نشرها بمختلف الأقطار . وإن المصرى الذى يسافر إلى لندن أو باريس مثلا لا يلبث أن يجيد الحديث بالإنجليزية أو الفرنسية ، على حين نرى الأجنبى يستوطن مصر ويمضى فيها سنوات دون أن يلم بلغتها ، فإن فعل لم يتجاوز العاميـة الجارية على ألسنـة الشعب ، فلا يعرف شيئا عن ثقافة البلاد وآدابها ، بل هو لا يقرأ من الصحف والمجلات إلا ما يصدر باللغات الأجنبية

مسرحية « المتحذلقات »

استأنفت فرقة المسرح المصرى الحديث موسمها الثانى لهذا العام على مسرح الأوبرا الملـكية يوم السبت الماضى ، وقد بدأت بتمثيل مسرحيتى « المتحذلقات » و « مريض الوهم » وأقصر حديثى اليوم على المسرحية الأولى التى تعرضها الفرقة لأول مرة ، أما الثانية فقد كتبت عنها من نحو شهرين عندما مثلتها الفرقة على مسرح حديقة الأزبكية

تعرض المسرحية أربعة متحذلقين : اثنتين وأثنين ، ويمدينى جو هذه الرواية فيحملنى على أن أصطنع شيئا من « الحذلقة النحوية » فأسأل : لماذا غلب جانب التأنيث على جانب التذكير فى العنوان « متحذلقات » على خلاف القاعدة العربيـة المعروفة التى تحتم تغليب المذكر على المؤنث فى الجمع فيكون جمع مذكر إذا كان فيه ولو رجلا واحدا مهما كان عدد النساء ... ؟ ثم أجيب عن هـذا السؤال بأن هناك اعتبارا آخر سوغ تغليب التأنيث ،

وهو أن المتحذلقتين هما الأصل والحذلقة فيهما لازمة ، أما المتحذلقان فقد اصطنعا الحذلقة لتدبير مؤقت يظهر من متابعة المسرحية

ولا تحسبن أنني قدمت هذا التحذلق النحوى عبثاً … فهو يشبه موضوع المسرحية مع فارق واحد ، هو أن هذا النوع النحوى خشن غليظ ، أما الحذلقة التي شهدناها على المسرح ففيها تأنق وتظرف وتنعم وكل « تفعل » من هذه المعانى يرجع فى أصله إلى التكلف ، طلباً للشهرة واسترعاء الأنظار …

« كاتوس » و « مادلون » فتاتان نشأتا فى الريف ثم قدمتا إلى باريس وقد امتلأ خيالهما بما يسمعان عما يجرى فى مدينة الحب من مغامرات وما يسود مجتمعاتها من رشاقة الحركات وحسن اختيار العبارات ، فهما تعترضان على أبيهما «جورجيبوس» إذ يناديهما: كاتوس، مادلون … هذا وتطلبان أن يخاطبهما باسمين من أسماء التدليل الناعمة بدلا من هذين الاسمين القديمين وتوبخان الخادمة لأنها تطلب الإذن لزائر بعبارات عامية وإنما يجب أن تستأذن فى عبارة أدبية عالية ، كأن تقول : هل من المستطاب ياسيدتى فى هذا الوقت أن تستقبلى المركيز …

وعندما تريدان التزين تطلبان من الخادمة « مستشارة المحاسن! » وتحار الخادمة . ولكنها يجب أن تتعلم أن مستشارة المحاسن هى المرآة …

ويتقدم لخطبة الفتاتين شابان طبيعيان : ليسا من أهل الحذلقة ، فتقابلانهما بفتور وإعراض واحتقار . ويضيق بهما أبوهما « جورجيبوس » ويسألهما عن سبب إعراضهما عن الشابين ، وهنا تلقى المتحذلقتان درساً ممتعاً عن الحب والزواج ، إذ يجب أن يبدأ الشاب بالغزل الرقيق وإنشاد الشعر العالى ثم يذهب بفتاته إلى الأركان الهادئة بالحدائق ، ويتخلل ذلك تأوهات وتنهدات … وأخيراً يصارحها برغبته فى الزواج ، أما المصارحة بطلب اليد من أول الأمر — كما صنع الشابان — فلا تليق إلا بالصفقات التجارية التي لا تحسن بأهل الظرف والكياسة …

ويغتاظ الشابان من مسلك الفتاتين تجاههما ، فيدبران أمراً … ثم يظهر على المسرح « المركيز ماسكريل » و « الفيكونت جودليه » فى زيارة الفتاتين المتحذلقتين ، يدخل « المركيز » أولا فى غاية التأنق والتظرف و … التحذلق ، ويعرض على الفتاتين بضاعته « الغالية » من الحذلقة « الرفيعة » ويوهمهما أنه شاعر عظيم من أهل الوجاهة فى البلد وينشدهما شعراً مصحوباً بالتأوهات ذات المدلولات التى يفسرها لهما طبقاً لأصول الحذلقة ، فتعجبان به غاية الإعجاب ؛ ثم يلحق به صديقه « الفيكونت » ويأخذ معه بنصيب من الحذلقة ومن إعجاب الفتاتين

وحين تبلغ الحذلقة تمامها ، تفاجأ الفتاتان بمنظر عجيب ، إذ يدخل الخاطبان اللذان أعرضتا عنهما فيهالان ضرباً على المركيز والفيكونت … ويتبين أن هذين خادما الشابين الخاطبين مثلا دوريهما للعبث بالمتحذلقتين ، ليسخر الشابان الخاطبان بهما وينتقما منهما

المسرحية لموليير ، وهى كسائر مسرحياته تقدم نماذج غريبة من الناس وتصورهم فى سخرية ، وتضحك من تصرفاتهم وما يلابسها من مفارقات . وقد أخرجها الأستاذ زكى طليمات ، وأهم ما يستلفت النظر فى الإخراج هو إتجاه كل شئ على المسرح نحو هدف المسرحية واستخدامه فى تصوير جوها ، من حركات الممثلين ونبرات إلقائهم وترتيب المناظر والإضاءة … الخ، غير أنى الاحظ أن شخصية الأستاذ زكى تنعكس على الممثلين فتفيد فى أكثر الأمور إذ تضفى حيويته الفنية عليهم ، ولكن ظلالا خفيفة جداً من هذه الشخصية تجعل الممثلين يتماثلون فى طابع واحد ، ويتجلى ذلك فى أصواتهم عندما « يزومون »

أما الممثلون والممثلات فقد أجادوا جميعاً ، وكانت البطولة البارزة فى هذه المسرحية لعبد الغنى قمر (ماسكريل) فوفق فى تمثيل الحذلقة توفيقاً يستدعى الإعجاب ، وقد جاراه فى ذلك أحمد الجزيرى (جودليه) ، ومثلت سناء جميل إحدى المتحذلقتين (مادلون) وسناء فتاة قديرة على التعبير البليغ ، وقد برعت فى هذا الدور براعة تشبه ما أبدته فى دورها الخالد بمسرحية مريض الوهم . ومثلت سميحة أيوب المتحذلقة الأخرى (كاتوس) فاستطاعت أن تجارى سناء فى دورها ، وقد لاحظت تقدمها و (لحلحتها) فى هذه المسرحية وأيضاً فى مسرحية « مريض الوهم » أكثر من قبل

عباس خضر



زبدة الحلب من تاريخ حلب

ألفه كمال عمر بن احمد بن العديم

ونشرة الدكتور سامى الدهان

للأستاذ ابراهيم الابيارى

أكاد أعرف التاريخ العربى فى مظهرين عام وخاص ، فهو إلى العموم حين يعرض للحياة بقول فيها لا يحد نفسه بمكان أو زمان ولا يخص بيئة دون بيئة ، ولا يقف عـند أناس دون أناس. بل هو سالك الأزمان كلها فى سلك واحد يبدأ من حيث بدأ الله خلقه ، ثم يجرى فى إثر من نسل أبو البشر يقص مالهم ويروى ماوعى عنهم حتى يدرك شهر زاد الصباح .

وما كان منه إلى الخصوص فهو ذلك الذى فرغ لسير الأفراد يجمعها ويلم نوادها ومتفرقاتها فتجتمع لك حياة الفرد من شبه إلى دبه ناطقة بمـا كان له وما كان عنه تغنى بها عن الرجوع إلى أماكن مختلفة من المظان . ومن هذا الخاص كتب فى التاريخ عقدت لسير البلاد لا الأفراد تقدم على ابن العديم فيها الخطيب البغدادى بكتابه تاريخ بغداد ، وابن عسا كر بكتابه تاريخ دمشق . والتاريخ فى سير الأفراد أقرب إلى التوفيق منه فى سير البلاد . فأنت تقرأ المؤرخين فى سيرة الفرد الحياة الخاصة والعامة ، وفى كلتيهما ما يعوزك لترى رأيك وتحـكم حكمك ، ولـكنك فى سير البلاد واقف فى أولها عند كلمة عن طبيعة البلد وما خصه الله به وما قيل فيه، ثم منتقل إلى الحديث عن الناس الذين تربطهم بهذا البلد صلات . وقد يبدو فى هذا شىء من الخصوص ولـكنه ليس الخصوص كله كما هى الحـال فى سير الأفراد ؛ فالفرد فى الأولى هو الذى يدور حوله الحديث ، والبلد فى الثانية لا يختص من الحديث بغير نزول فلان إليه ونزوحه عنه ، وتولى هذا للحكم وذاك للقضاء دون شىء يكشف لك فى وضوح واتصال عن حياة هذا البلد فى مظاهره مع الأيام وتداولها

هذا شىء فى الحق أعوز هؤلاء المؤرخين الذين عقدوا كتبا فى سير البلدان، لم يخصوا البلد فيها إلا بالمقدمة ثم هم بعد ذلك قائلون فى سير الأفراد الذين تربطهم بالبلد صلات ظانين أن هذا كل ما يعنى القارئ لسيرة البلد ، أما عن خطوات البلد فى الحياة وما أمسى عليه وما أصبح ، وحياته العلمية والسياسة والاجتماعية من تلك الأمور التى بدأ يلتفت اليها المؤرخون المحدثون . فذلك شىء لم يخطر لهم ببال .

من أجل ذلك عددت كتب المؤرخين فى سير البلدان ليست من الخاص إلا فى عنوانها ومقدمتهـا وتلك الصلة التى جوزت سرد تلك الجمل من التراجم

وابن العديم من الذين حاولوا أن يفردوا حلب بسيرة متأثرا فى ذلك بمن ألف فى سير البلدان قبله . فوضع كتابه البغية أو التاريخ الـكبير على نهج من سبق ، خص حلب بشىء قيل مثله فى دمشق وبغداد ، ثم أردف يجمع تراجم من لهم بحلب صلة

ويلتفت ابن العديم فيرى أنه لم يوف سيرة حلب بما فعل وأنه لابد المؤرخ فى سير البلدان من نهج غير هذا ، يخص فيه البلد بحديث موصول الحلقات ، فيقبل على كتاب البغية يحور فيه ويشكل ويخرج على النـاس منه بهذا الـكتاب الذى أسماه زبدة الحلب من تاريخ حلب

وفى الحق لقد قارب ابن العديم أن يكون فى هذا الـكتاب كاتب سيرة حلب . فقد أرخ لهـا فى ظل الملوك والقضاة وعرض لما واجهت من فتوح واستقبلت من غزاة وما عانت من حروب ، كل ذلك خلال سرده لحياة الأفراد الذين حكموا وولوا . ولو أنه التفت قليلا إلى حلب نفسها لحدثنا عن مظاهر الحيـاة فيها فى إفاضة وتوسع لو فى غرضه وأكل نهجه . ولـكن الـكتاب يعرفه كل مفيد أنه مع البغية تاريخ حلب الذى عليه معتمدهم ومنه إفادتهم

هذه موجزة فى التاريخ والمؤرخين ، وأما عن النشر والناشرين فذلك شىء حبيب إلى نفسى الحـــديث عنه ، فالصلة به قديمة ومشاركتى فيه متنوعة

وإذا ذكرنا النشر فإنما نعنى ذلك النهج القـويم الذى طلع به علينا الغربيون على مختلف أممهم فكانوا فيه بحق اساتذة تلك

المدرسة الذين بينوا السبيل وخطوا الخطة

ثم كانت للشرق فى أزمه خطوات موفقة لكنها يعوزها الأناة والصبر ؛ ثم بسطة من المال وشىء من التشجيع وعندى أن هذا العمل الخطير جدير أن يرعاه رجل خطير يدعم أركانه ، فما أحوج الناشر إلى من يمكنه من المخطوطات المبعثرة هنا وهناك فى جهات العالم المختلفة ، وإلى من يرزقه على جهد سنين متصلة ، وإلى من يجزيه جزاء فيه عوض وبه رضى

وتكاد دور النشر لاتتهيأ لهذا ؛ فالناس تجر راغبون فى الغنم والناشر غير راغب فى أن يجوع ويعرى، وفى التوفيق بين الرغبتين ما يسىء إلى تلك الصناعة ويعوقها عن المضى قدماً فى السبيل المستقيم

وبيننا جلة من العلماء مهروا فى النشر وحذقوه يعوزهم التمكين والتشجيع ليرزقوا الصبر والأناة ، وعندنا دار للكتب فى وسعها أن تمكن ، كما عندنا دار لإحياء التراث فى وسعها أن تشجع لو أولى قانونها سعة توفر لها مالا تعوض به هؤلاء العلماء؛ ثم بعد هذا نحن فى حاجة إلى تنظيم تلك الأداة وتوجيهها، فى حاجة إلى أن نلتفت إلى ذلك الماضى بتراثه الذى لا يزال كثيره مخطوطاً لاينتفع إلا بقله، فنرى فى نشره رأياً سليماً مرسوماً، فى حاجة إلى أن نتشئ مع العلماء ناشئة ، فالقدر يختطف منهم ولا نجد من يخلفهم ، فى حاجة إلى هذا وغيره إذا كنا نؤمن أنا مفيدون من هذا التراث وأنا لابد متولون نشره ومشاركون فيه

ذكرت بالأمس القريب شيئاً من هذا الكبير علينا فسبقنى إلى ما أردت أن أنتهى اليه وقال فى عاطفة الوطن الموقن : إن الآمال معقودة بأستاذ الجيل معالى الدكتور طه حسين باشا ، فعلى يديه سيمكن الله للنشر وإليه تتجه كل نهضة علمية داعية راجية

وأعود إلى هذا الجهد المشكور الذى بذله الدكتور سامى الدهان فى زبدة الحلب فإنى أعرفه صبوراً ذا أناة قد خص هذا العمل بالوقت الذى يتسع لمثله ، وأعرف له زوراته المختلفة للمكتبات فى البحث عن النسخ المختلفة المتنوعة ، وأعرف له صلته القديمة بالنشر ؛ ولا زلنا نذكر له أبا فراس ، والوأواء ، والسياسة ، تلك الكتب الثلاثة التى عرفتنا به ناشراً محققا

وما اجتمعت الأشراط على مشروط إلا ضمن السلامة وأمن الزلل . وإنك حين تنظر فى كتابه الجديد « الزبدة » تعجبك الدفتان وما بينهما. فله فى الأول مقدمة الدارس الفيض الوفى ، لم يترك مدونة لم يجمعها ولا شاردة لم يقبض عليها ، فكان فيها مؤرخاً كتب لنا سيرة ابن العديم جامعة شاملة . وله فى الآخر أثبات تشير إلى الأعلام والبلدان والكتب ، وأخير قابل فيه بين السنين الميلادية والهجرية . وله ما بين الأول والآخر من وفق التوفيق كله فى تحريره وتصويبه والتعليق عليه وإكمال نقصه من المظان التى هدته اليها الخبرة الطويلة

وما أحب أن أزيد فقد أعود إليه متحدثاً عن أثر له آخر هو طبقات الحنابلة

رزقه الله جهد الصابرين وكتب له التوفيق فى كل ما يأخذ فيه

ابراهيم الابيارى



طرابلس وليست ليبيا

فى كلمة تحت هـذا العنوان أورد الأستاذ مختار محمد هويسة قول أبي الطيب :

أكارم حسد الأرض السماء بهم
وقصرت كل مصر عن طرابلس

فيما أورده من أدلة على وجوب تسمية ليبيا باسم طرابلس

والمراد بطرابلس هنـا : طرابلس الشام لا طرابلس الغرب — كما ظن الكاتب. والبيت من قصيدة المتنبى يمدح بها عبيد الله خلـكان وآباءه وقد كانوا من أهل المدينـة الشامية ، وهى الآن تابعة للبنان وإليها ينتهى فرع من أنابيب زيت البترول العراق

محمد الفاتح الجندى
مدرس بأشمون الثانوية

مذهب جديد

قرأت فى العدد « ٩٢٣ » من الرسالة الزاهرة مقالا للأستاذ كمال بسيونى يدعو فيه إلى « مذهب جديد » تعرض فيه إلى الشعر والشعراء فكان ساخراً متهكما فى أسلوبه ، قاسياً عنيفاً فى أحكامه ، زاعماً أن الشعر والشعراء لم تعد بهما حاجة فى عصر يزخر بالمعجزات العلمية والنظريات الفلسفية ، وما الشعر على حد قوله إلا حديث خرافة وخيال ، وما كلام الشعراء الا ضرب من « اللهو واللغو » ليس إلا — بل ما هو إلا إسفاف ما دام شعرهم لا يتعرض للحقائق العلمية ويصوغها فى قواف وأوزان.

لقد أنـكر الأستاذ بسيونى وجود الشعراء وأنـكر عليهم تفكيرهم ونعتهم بالجهل والسذاجة وأنهم يكفرون بالحياة العلمية والعقليـة وليس هم من سكان هذا الـكوكب — بل هم يعيشون فى عالم خيالى غير منظور وأنهم بعيدون عن الحياة الواقعية التى يحياها العلماء. إذن فالحياة كما يريدها الأستاذ بسيونى حياة علمية صرف لا تعترف بالفن والحب والجمال . ما قيمة الحياة يا أستاذ بسيونى إذا خلت من هذه الألوان ؟ إنى « أشفق » عليك يا أستاذ بسيونى « وأشفق » على « مذهبك الجديد » « ودعوتك الجريئة » التى لم يسبقك بها أحد حتى من العلماء الذين دافعت عنهم

العراق — الهندية
قاسم غازى الجبالى

بين الشعر والنثر

قرأت فى العدد ٩٢٣ من مجلة (الرسالة) الغراء المقال القيم الذى موضوعه (من حديث الشعر) للأستاذ كمال بسيونى ، والحقيقة أن الأستاذ البسيونى قد أصاب كبد الحقيقة حين قال (الا فليعلم الناس أنى ما سمعت أن فلاناً شاعراً حتى فهمت أنه لم يزل فى الطور الأول من أطوار الأدب وأنه أبعد ما يكون عن هذه الثقافة الواسعة العميقة الخ ...) والشواهد على ذلك كثيرة ؛ فالشاعر العراقى معروف الرصافى لم يكن يملك فى حياته مكتبة تضم شتات الـكتب، ولذلك جاءت مؤلفاته النثرية خاوية الوفاض من كل مادة دون أن تستند إلى دليل، ولذا كانت موضع سخط الطبقات المثقفة المستنيرة . وقد انتقدها كتاب مصر الأفاضل على صفحات الرسالة الزاهرة مبينين خطل رأيه وسوء تفـكيره ، بخلاف شعره الذى لم ينتقد لعدم احتياجه إلى ثقافة واسعة . ومعالى الدكتور طه حسين باشا بدأ حياته شاعراً وبعد أن ارتشف مناهل الأدب الغزير ، وسبر غور العلم الـكثير ، انصرف عن الشعر إلى النثر الفنى الذى جعل منه عالماً فاضلا وأديباً عبقرياً يحلق فى سماء الخلود . والأستاذ عباس محمود العقاد قرض الشعر قبل أن يتمتع بهذه الشهرة الواسعة التى أسبغت عليه ثوب العـــالم بمؤلفاته التى أصدرها فى السنين الأخيرة . إذا فليزدهر العلم وليكثر الـكتاب والعلماء وليلفظ الشعر أنفاسه غير مأسوف عليه

بغداد
عبد الخالق عبد الرحمن

أحبب حبيبك هونا ما . .

جاء فى باب الأدب والفن من عدد الرسالة الفائت تحت عنوان « الشعر فى مجلة المصور » أن سعادة عبد الرحمن حق باشا وكيل وزارة الخارجية قال فى مجلة المصور .

وإذا سئلت الآن أن ألخص تجاربى فى عبارة قصيرة جامعة لا أجد خيرا من البيتين اللذين علقا بذاكرتى من أيام الصغر وهما :

أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما
وابغض بغيضك يوما ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما

وعلق الأديب المتمكن الأستاذ عباس خضر بما نفى الشعر عن هذا النثر — وأود أن أزيد على تعليق الأديب الفاضل بأن هذا الكلام الذى اعتبره الباشا شعرا إن هو إلا حديث شريف رواه الترمذى عن أبى هريرة كما جاء فى إحياء علوم الدين للامام الغزالى الجزء الثانى ، فى كتاب (آداب الألفة والأخوة والصحبة . .) وللأديب الفاضل تقديرى وتحياتى .

محمد عبد الله السمان

مدرس بمدرسة أمير الصعيد الابتدائية بالمنيرة

منوط به لا مناط به

فى مقال الكاتب القدير الأستاذ عباس خضر بالعدد (٩٢٦) من مجلة الرسالة الزهراء وردت عبارة : « وها قد صار الأمل كله مناطا بالحكيم ، بمعنى معلق .. وكلمة مناط لم تصح فى اللغة العربية بالمعنى الذى يقصد إليه ولكنها هكذا « منوط به » لأنها اسم مفعول من الفعل الثلاثى (ناط) لا أناط ، وقد قرأت فى المصباح المنير مانصه : (ناطه نوطا من باب قال — علقه — وفى القاموس المحيط . (وهذا منوط به — معلق) . . . وللأستاذ الكبير وافر الإعجاب ، وعظيم التقدير

محمد محمد الابشيهى



مكتب البريد

للقصصي الروسي تشيكوف

بقلم الأستاذ حسين أحمد أمين

ذهبنا بالأمس نشيع جنازة زوجة وكيل مكتب البريد، سلاد كوبر زوف؛ وبعد أن دفنا المتوفاة قصدنا جميعاً - كما هي عادة آبائنا وأجدادنا من قبل - إلى مكتب البريد، نتذاكر محاسن السيدة

وعندما وضعت الفطيرة أمامنا على المائدة صاح وكيل المكتب العجوز بمرارة: ألا ترون كيف يشبه هذا اللون الأحمر للفطيرة خدي زوجتي الحبيبة؟

وأمنت الجماعة على قوله: «أجل.. هذا حق.. لقد كانت جميلة فاتنة!» قال: «نعم لقد ذهل كل من رآها لجمالها.. ولكن، أيها السادة، لا تحسبوا أنني أحببتها لجمالها أو لرقة شمائلها؛ فهذه الصفات تعلق دائماً بطبيعة المرأة؛ وكثيراً ما نجدها واضحة في أكثر النساء.. إنني أحببتها لصفة أخرى فيها.. أحببتها - رحمها الله - لأنها على رغم حيويتها ومرحها وعبثها - ظلت مخلصة لي.. مخلصة لي وأنا في الستين وكانت هي في العشرين

وتنحنح الحانوتي - وهو جالس إلى الطعام معنا - حين سمع هذا القول.. فاستدار إليه وكيل المكتب العجوز وقال: «إخالك لا تصدق ما أقول..» فأجاب الحانوتي في اضطراب وتلعثم: معاذ الله ياسيدي أن أكذب قولك.. غير أن النساء الصغيرات كما تعلمون - قد أصبحن ولاهم لهن إلا اجتذاب العاشقين إليهن»

قال الأرمل: إنك لا تصدق.. ولكني سأثبت لك صحة قولي.. لقد ضمنت وفاءها لي بطرق استراتيجية مختلفة.. فبسلوكي وحيلي أصبحت زوجتي غير قادرة على خيانتي.. والحيلة هي الوسيلة التي اتبعتها لكي أصون فراش الزوجية من الدنس في جعبتي بضع كلمات إذا تفوهت بها كان لي أن أنام هانئاً مطمئناً إلى أن زوجتي لا تخونني..»

«وما هي هذه الكلمات؟»

في منتهى البساطة.. لقد نشرت بنفسي إشاعة خبيثة في البلد - وأنا موقن أنكم تعلمونها - فكنت كلما قابلت مخلوقاً قلت له: «إن زوجتي أليونا عشيقة إيفان ألكسيفيتش رئيس البوليس.! وكانت هذه الكلمات كافية لأن تبعد الرجال أجمعين عن مغازلة أليونا خوفاً من غضب رئيس البوليس.. وكلما كان يلمحها رجل في الطريق كان يجري خوفاً على حياته كي لا يشك فيه الكسيفيتش.. ها.. ها.. ها.. وأنتم تعرفون ما يحدث لمن يشك فيه الكسيفيتش. إنه إذا ما رأى قطة لكم في الطريق كتب عنها تقريراً للسلطات وكأنما هي قطيع ضال من الغنم..»

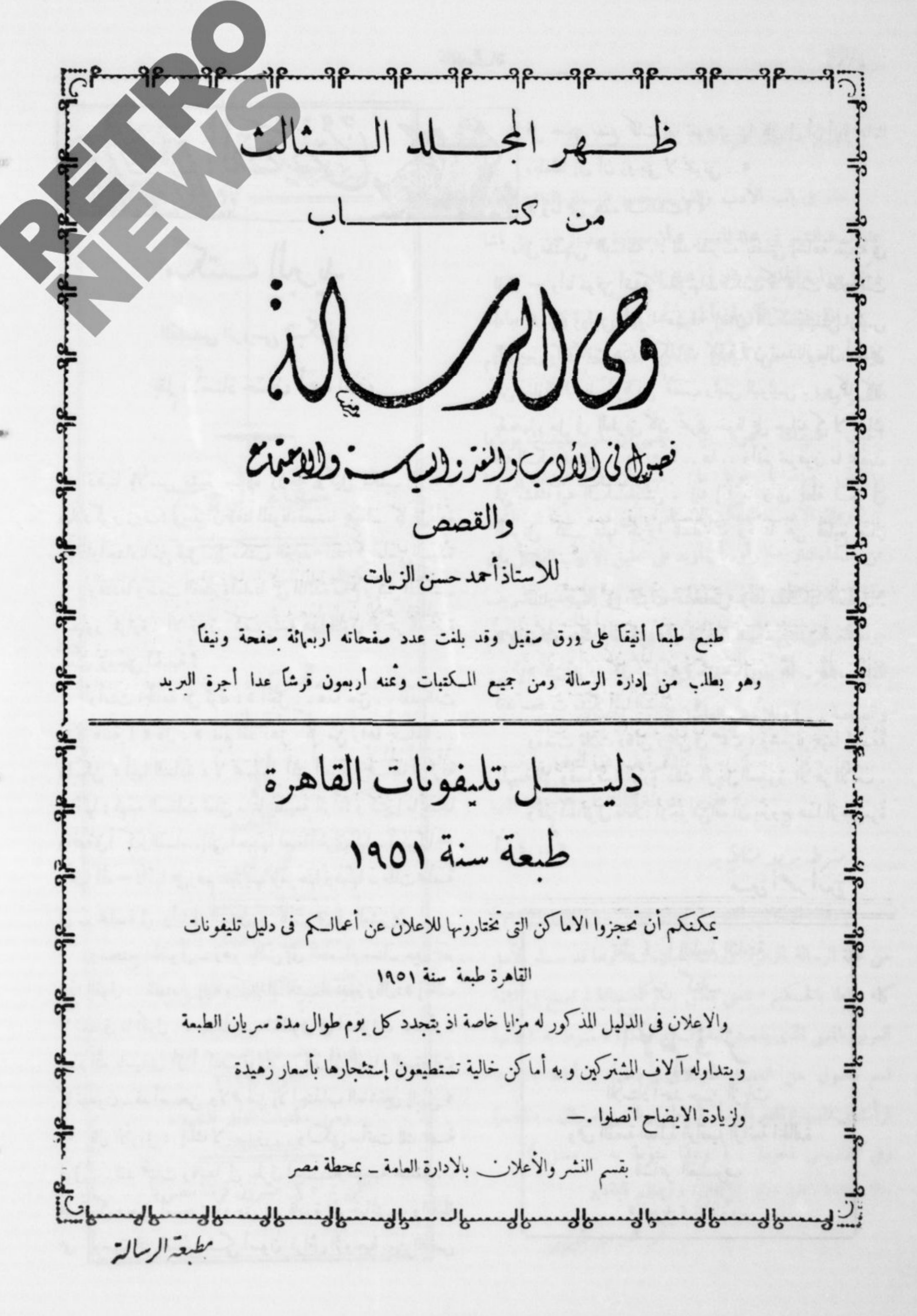
قلنا جميعاً في صوت منخفض وقد ملكنا العجب.

«إذن فزوجتك لم تكن عشيقة إيفان ألكسيفيتش؟.»

«كلا.. لقد كان هذا من وحي خيالي.. ها.. ها.. ها.. لقد سخرت منكم أيها الشبان.»

ومضت ثلاث دقائق ونحن في صمت، وشعرنا جميعاً بالخدعة المهينة التي وقعنا فيها بمهارة ذلك الرجل العجوز الأحمر الأنف. وتمتم الحانوتي قائلاً: أرجو من الله أن يتزوج هذا الرجل مرة أخرى..»

حسين أحمد أمين



ظهر المجلد الثالث

من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص

للاستاذ أحمد حسن الزيات

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

دليل تليفونات القاهرة

طبعة سنة ١٩٥١

يمكنكم أن تحجزوا الاماكن التي تختارونها للاعلان عن أعمالكم في دليل تليفونات

القاهرة طبعة سنة ١٩٥١

والاعلان في الدليل المذكور له مزايا خاصة اذ يتجدد كل يوم طوال مدة سريان الطبعة

ويتداوله آلاف المشتركين وبه أماكن خالية تستطيعون إستئجارها بأسعار زهيدة

ولزيادة الايضاح اتصلوا .—

بقسم النشر والأعلان بالادارة العامة ــ بمحطة مصر

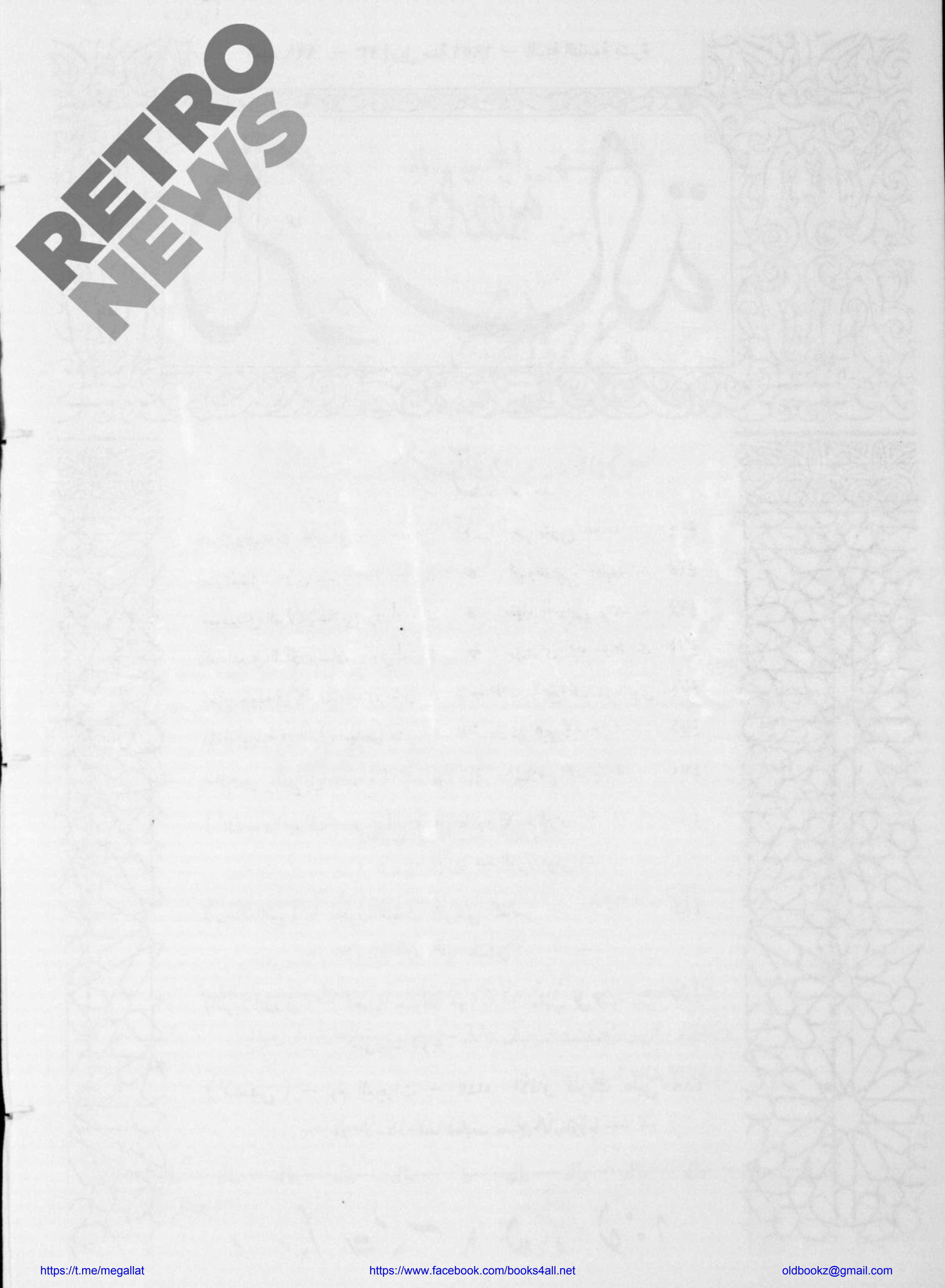
مطبعة الرسالة

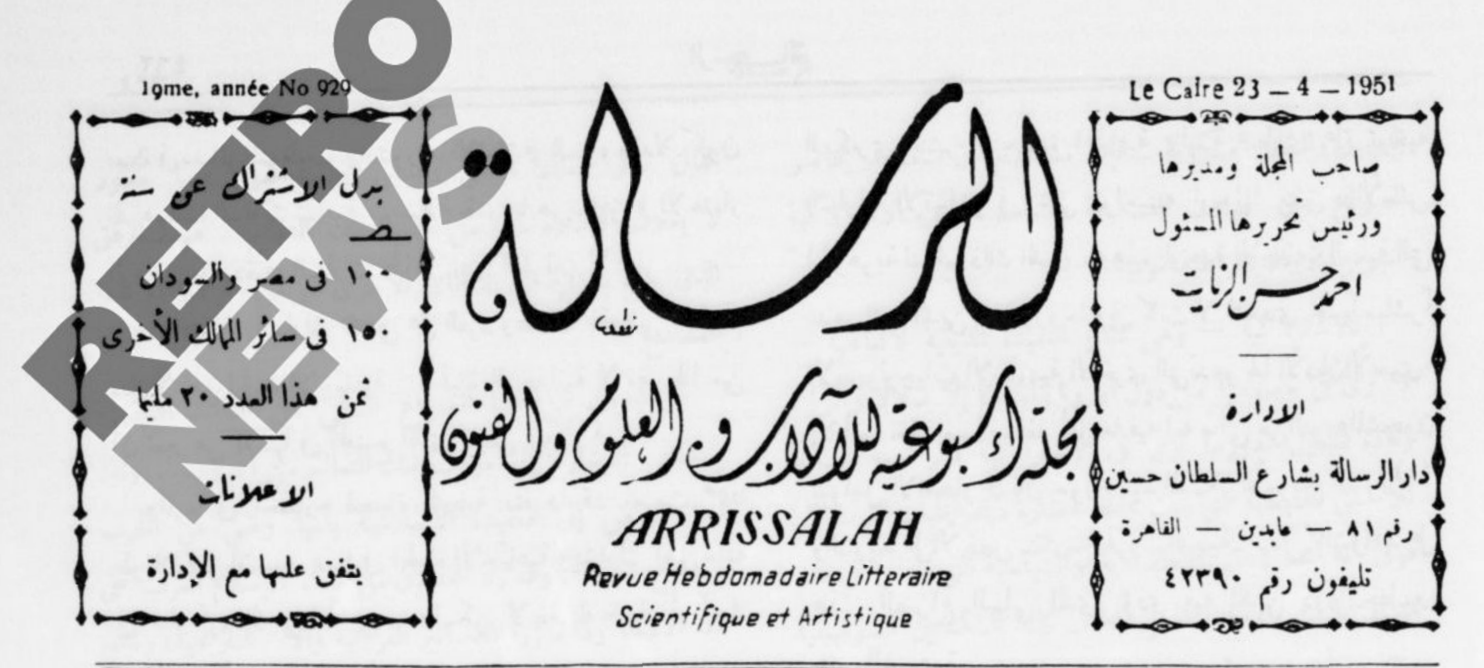


العدد ٩٢٩ — ٢٣ إبريل سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد





العدد ٩٢٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ رجب سنة ١٣٧٠ — ٢٣ إبريل سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

١١- الدين والسلوك الانسانى

للاستاذ عمر حليق

٤ — الجماعة الدينية :

الوجه الثاني لوظيفة الدين المزدوجة أنها وظيفة سلبية . فإذا كان الدستور المدون للجماعة الدينية يسهل تكافلها ويسعى لتحقيقه ويذود عن حماه إزاء المتشكك والثائر فإن طبيعة هذا التكافل فى الجماعة الدينية تفصلها روحيا واجتماعيا عن الجماعات الأخرى التى تعيش فى المجتمع الأكبر (الوطن أو العالم بأسره)

فلقد رأينا فى مقال سابق من هذا البحث أن السلوك الدينى ليس فرديا فحسب ، بل هو جماعى كما شرح ذلك علماء الاجتماع والأنثرولوجيا . وحتى لو اقتصر السلوك الدينى على الفرد واختياره الخاص فإن ذلك لن يحول بينه وبين أن يصبح جزءا من السلوك العام الذى يشوب حياة الجماعة الدينية التى تؤمن بنفس العقيدة التى يؤمن بها ذلك الفرد وتختبر نفس الاختبار الدينى الذى يختبره . بل الواقع أن هذا الاندماج أمر لا مفر منه مهما تعمد الفرد تفاديه (١)

فعناصر السلوك الدينى على نوعين — كما رأينا — روحية واجتماعية . . حتى لو أنكر بعض الناس وظيفة الدين الاجتماعية وقصروها على الاختبار الروحانى (علاقة المرء بربه) فإن المشاركة فى الاختبار الروحانى والوجدانى تستوجب الاندماج فى السلوك الجماعى

فإذا أعجب أديبان أو أكثر بشاعر أو فنان أو فيلسوف وقرأوا له وحفظوا عنه فإنهم يؤلفون مدرسة فكرية تجمع بينهم فى صعيد روحى واحد ، وهم ولا ريب مدافعون عن هذه المدرسة الفكرية، مبشرون بمزاياها إذا حدث أن تصدى لها بعض الناس بالنقد والتجريح

والاختبار الدينى أقوى ألف مرة من الإعجاب بشعر أو فن أو فلسفة . ولعلنا نلمس هذه الحقيقة فى تصدى بعض المسلمين الذين — لأسباب لا يهمنا معرفتها هنا — لا يقيمون شعائر دينهم للدفاع عن الإسلام إذا تصدى له ناقد أو متحامل

وكم من مرة شهدت جامعات أمريكا وبريطانيا ومحافلها الأدبية محاولة الطلبة وغير الطلبة من المسلمين دفاعا عن الإسلام وتعاليمه مع أن المدافعين فى أكثر الحالات لم يؤدوا لله ركعة منذ سنين

وتاريخ الاستعمار الأوربى فى آسيا وأفريقيا شاهد على تفضيل المستعمر للعناصر التى تدين بعقيدته الدينية أو تمت إليها

1 — J. Underwood, Worship.

بصلة فى مسائل التوظيف والشورة والائتمان على السر، وقدلا يكون الدافع لهذا السلوك سياسة مرسومة بقدر ما هو توافق فى الاختبار الروحى وحدة فى السلوك الجماعى بين الطرفين (١)

واقتصار السلوك الدينى على الفرد وعلاقته بالله شىء لن يتم منعزلا عن الحياة الاجتماعية فالحياة الوجدانية لا مفر لها من أن تعبر عن نفسها فى المجتمع الذى تعيش فيه (٢)

والمرء فى اختباره للحياة الدينية منفرداً قد يصمت صمتا طويلا قبل أن يعبر عنها فى الحياة الاجتماعية ويشارك أهل ملته فى سلوكهم الدينى الجماعى . ولكن لا مفر له عاجلا أو آجلا من المشاركة فى هذا السلوك

فطبيعة الاختبار الدينى عند الفرد يستوجب صياغة مقوماته الخلقية والعاطفية صياغة تماشى وتتحد وتتفق مع المقومات الخلقية التى تشوب بقية أعضاء الجماعة الدينية التى تختبر مثل ما يختبر . وهذه الصياغة لا تقتصر على توجيه الفكر والوجدان فحسب، بل تشمل أيضا الحياة العملية والنشاط الاجتماعى

ولقد عالج هيجل أحد دعائم الفكر الغربى الحديث هذه الناحية الدينية فى مقدرة فائقة (٣) فتأثر بأن لكل عقيدة دينية «روحاً» تنفرد بها عن بقية العقائد، ومرجع ذلك إلى أن السلوك الدينى هو عنصر من أهم مقومات الخلق القوى . ولعل رسوخ الإسلام وتعاليمه فى عقليات الشعوب التى دانت به وأثر هذه التعاليم ومبلغ نفاذها إلى صميم الحياة الروحية والاجتماعية لتلك الشعوب على اختلاف حكوماتها الخلقية من عربية وفارسـية وهندية وصينية هو الذى خلق هذه الحضارة الإسلامية التى تعرف إلى الآن بها شعوب الإسلام على اختلاف لغاتها وبيانها وظروفها وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

والقول بأن الاختبار الدينى يمكن أن ينحصر فى السلوك الفردى تنفيه حقيقة أخرى ؛ وهى أن كل دين من الأديان الكبرى يبشر بوحدة اجتماعية عالمية تنطوى على توجيه السلوك الإنسانى فى شتى نواحيه توجيها يتفق والأسس الجوهرية لتعاليم ذلك الدين . وهذه الوحدة الاجتماعية العالمية التى يدعو إليها الدين نصا وروحا وإن كانت لا تتحدى تحدياً مباشراً الإيديولوجيات الاجتماعية الأخرى التى تدعو لها الأديان الأخرى، إلا أنها تقف منها موقفا أقل ما فيه أنه سلبى من النوع المشحون بعوامل الانفجار كما قال جورج ميد المفكر الأمريكى الشهير (١) والتاريخ على الأخص - تاريخ الحروب الدينية - ملىء بالشواهد على هذا الصراع السلبى الذى يؤدى فيه الدين دورا خطيرا عند الضرورة

ومهما أحسن المجتهدون فى تعليل سماحة الأديان التى ينتمون إليها فإن اجتهادهم يكاد ينحصر فيما عبر عنه (ماكس ويبر) تعبيراً جامعاً حين قال : -

«إن اختبار الجماعات الدينية ينظر إلى العالم بمنظارين، وأحدهما يرى فيه الألوهية والقداسة، والآخر يرى فيه الأشياء وطبائعها المادية، ولو توفرت «التقوى» وحدة الاختبار الدينى عند جماعة ما ونظرت إلى العالم - على تنوع أديانه وتشعب جماعاته الدينية - نظرة ملؤها التفاؤل والبشر والسماحة والرضا ، إلا فان مثل هذا التسامح فى رأى الوعى الباطن على الأقل لدى تلك الجماعة محصور ومقيد ومقصور عليها (على تلك الجماعة) وعلى العقيدة والسلوك الدينى الذى تمتثل له (٢)

وهذا التسامح السلبى قد يتخذ فى بعض الأديان لوناً رقيقاً ويأسف لضلال الكافرين ويطلب المغفرة لهم . وقد يتخذ لوناً عنيفاً فلا يرى فى ذلك الضلال إلا كفرا وزندقة رسولها الشيطان ودستورها الإلحاد ودعوتها الفساد

وفى كلتا الحالتين فإن العالم ميدان لهذا الصراع . وسواء كان الصراع لرد الكافرين عن ضلالهم أو للحيلولة بين ذلك الضلال وبين أن يمس كيان الجماعة الدينية « المؤمنة » فإنه صراع على كل حال، ومهما كان سلبيا فإن الاحتكاك المباشر منطو فى ثناياه

وعلى سبيل المثال - ومع مراعاة التفرقة الجوهرية بين العقائد

---

(١) فى كتاب ولبورت أستاذ علم النفس الاجتماعى فى جامعة هارفارد أضواء علمية على هذه الحقيقة السيكولوجية

J. W. Allport, The Individual and his Religion

2, J. Waeh, Sociology of Religion

3, Hegel. philosophy of Religion

1, G. Mead, Mind, Self and Society

2, Max weber, The theory of Social and Economic organization

الدينية والنظم الفكرية ـ فإننا نستطيع أن نستشهد بحاضر الصراع بين المذاهب الفكرية والمعاصرة بين الاشتراكية السوفييتية والديمقراطية الغربية

فالاشتراكية — وهى بمثابة العقيدة الدينية لأتباعها — لا ترى فى خصومها من دول أوروبا وأمريكا إلا ضلالا وشرا . وهذه الدول بدورها ترى فى الاشتراكية الماركسية تحدياً للأسس المسيحية التى بنيت عليها حضارة ديمقراطيات الغرب[1] فوق أنه تحد للنظم الاقتصادية والسياسية التى تعيش فى تلك الديمقراطيات . ولطالما ادعى أقطاب كلتا الكتلتين السوفييتية والغربية أن فى العالم متسعا لكلتيهما ، وقد يكون فى مثل هذا الدعاء صدق وإخلاص إلا أن طبيعة الصراع السلبى بينهما تدفعهما دفعاً إلى الاحتكاك المسلح على النحو الذى نعلمه جميعاً

وقوة هذا الصراع السلبى بين الجماعات الدينية المتباينة عقائدها وضعفه يتوقفان إلى حد كبير على مبلغ ما تعلمه بعض تلك الجماعات عن عقائد بعض . والمرء كما قال الحكماء عدو لما يجهل

فالإسلام وأهله مثلا يفخرون بأنه دين التسامح؟ وفى القرآن والأحاديث نصوص بينة على تأمل هذا التسامح فى التعاليم الإسلامية ، ولكن الميزة الكبرى فى الإسلام أنه يشرح فى صميم القرآن والحديث والاجتهاد بعض الأسس الجوهرية لليهودية والمسيحية ويعترف ببعض مزاياها وفى طليعتها مزية التوحيد . ويعترف الإسلام كذلك بأنه جاء متمماً لا ناسخا لتعاليم إبراهيم وموسى وعيسى والمسلم يقرأ الصلاة والسلام على الأنبياء والرسل الذين سبقوا النبي العربي ويخيل إليك وأنت تقرأ ما جاء به القرآن والحديث فى هذا الصدد وما سجله المجتهدون المسلمون من بحوث فى الإسرائيليات (والنصرانيات) أن هناك رنة أسف يستشعر بها الإسلام نحو الموحدين بالله الذين ضلوا تعاليم موسى وعيسى واستعاضوا عنها بأمور لا يعترف الإسلام بأنها من أصول تلك التعاليم . فهذا الرفق الذى عالج به الإسلام الديانات الأخرى هو من أهم الدوافع لهذا التسامح

والحديث عن هذا الصراع السلبي بين العقائد الدينية يستدعى الإشارة إلى موقف تلك التعاليم من الحروب . ولقد أساء البعض إلى العقيدة الإسلامية بأنها ترضى عن الحرب وتشترع الجهاد . وقد رد المحدثون من علماء الإسلام العرب على هذا الادعاء ردا معززاً بالدساتير القرآنية والأدلة التاريخية، وعالج هذا الموضوع كذلك بعض أئمة المسلمين فى الهند والباكستان والعالم العربى معالجة علمية متينة (١)

ولكن الذى يعنينا من هذه الإشارة أن تشريع الجهاد فى الإسلام مقيد بظروف وملابسات لا تختلف مطلقاً عن تلك التى شرعتها اليهودية والمسيحية نصا وروحا ، وذلك باعتراف التعاليم المسيحية نفسها وعلى ضوء اجتهاد بعض قادة الفكر المسيحى معاصرة وقديمة (٢)

وليس المهم أن نبرر تشريع الجهاد فى الأديان فذلك التبرير يجب ألا يكون على أساس فلسفة الدين فحسب ، بل على أسس من علم النفس الاجتماعى . وتشريع الجهاد ينطبق وروح الجماعات الدينية ويجرى مع سلوكها الجماعى ومع طبيعة العوامل النفسانية (السيكولوجية) التى تصوغ تفكيرها واتجاهاتها وأوضاعها الدنيوية

والجهاد لا يجد سبيله إلى سلوك الجماعة الدينية إلا إذا تعرضت عقيدتها الدينية إلى الخطر الداهم أو إذا تعرض كيانها الاجتماعى (وهو يشمل المصلحة السياسية والقومية والاقتصادية)

---

(١) يكثر استعمال كلمة الحضارة المسيحية فى تصريحات الساسة وقادة الفكر فى أوروبا وأمريكا فى معرض انتقادهم شيوعية السوفييتية ويلاحظ كذلك التبرك بالمسيحية فى الأسماء التى يطلقها بعض الجماعات السياسية فى الغرب على الأحزاب السياسية كحزب الديمقراطيين المسيحيين فى بلجيكا وألمانيا وحزب الاشتراكيين المسيحيين فى إيطاليا وغيرهم

(١) راجع أمثال

Dr, Hamidulla, Muslim Conduct of State
H K, Sherwani Muslim Political Thought
A. Maji The Causes of war aniro Remedi Thought Islam

(٢) راجع

trochIet Social tsachings of Christain Churches
W r Inge Christian Ethics and Modern problems

وقد استشهد ماكس فيبر بطائفة من الدساتير المسيحية واليهودية لإثبات هذه الحقيقة

٣٦٠ ٣٤

إلى الاضطهاد والمذلة . وهذا مثل آخر على تأصل الوظيفة الاجتماعية للدين فى السلوك الإنسانى

فمسلمو شمالى أفريقيا والمغرب العربى فى هذه الأيام فى حالة جهاد وإن عجزوا عن حمل السلاح لأسباب قاهرة . فالخطر هناك لا يقتصر على تعريض الكيان الاجتماعى لمسلمى الجزائر ومراكش وتونس إلى خطر الانهيار والزوال ، وإنما يمس صميم التعاليم الدينية وجوهر العقيدة المحمدية

ولقد أدرك الفرنسيون الوظيفة الاجتماعية للدين الإسلامى فى سعيهم لفرنسة مسلمى شمالى أفريقيا فلم يتقيدوا بأساليب الاستعمار التقليدية التى توجه كفاحها الأكبر ضد الوعى السياسى والنضوج الاقتصادى ، وإنما عملوا على النيل من صميم العقيدة والتعاليم الدينية المسلمين هناك لعلمهم بأن الإسلام وهو دين عملى لا بد وأن يوفر لحركة التحرر الوطنى ذخيرة قوية تحارب بها ذلك الاستعمار . وغزوة الصهيونيين لفلسطين لم تتم لو لم تشترع القيادة الصهيونية العليا « الجهاد » فى أدق وأوسع معانيه (١)

وليس المقام هنا لبحث علاقة الدين بالقوميات والإصلاح السياسى — فكاتب هذه السطور يأمل أن يستطيع التفرغ لدراسته عما قريب — وإنما ضربنا المثل به هنا للدلالة على أن العقائد الدينية فى تشريعها للجهاد والحرب إنما تفعل ذلك دفاعا عن كيانها الدينى ووظيفته الاجتماعية . وهى والحالة هذه لا تحتاج إلى تبرير أو اعتذار وشأنها فى ذلك شأن أى جماعة من الجماعات الإنسانية الأخرى — السياسية والاقتصادية والإيديولوجية أيضا — التى تعلن الجهاد فى أنواعه المتعددة مسلحا وغير مسلح دفاعا عن مصالحها ومبادئها وكيانها

فالحرب من طبائع الحياة سواء أرضينا بها أم كرهنا ، ومهما سعينا إلى إزالتها ومعالجة أسبابها ونتائجها ، إلا أن ذلك لا يحول بيننا وبين إيضاح علاقة الدين بها على أسس لا تستند إلى التزوير بقدر ما تستند إلى طبيعة الحقائق الاجتماعية

وخلاصة القول فى هذه الوظيفة السلبية للجماعة الدينية أنها تؤثر — خيراً أو شرا — فى التكافل الاجتماعى « العالمى » وذلك يتوقف إلى حد كبير على مبلغ ما تستوعبه تلك الجماعة من معرفة منزهة عن الأهواء لتعاليم الديانات الأخرى وبمقدار ما يتضمنه دستورها الدينى من أسانيد فيها دعوة صادقة إلى التسامح كما هو الحال فى عقيدة الإسلام وتعاليمه

* * *

وبعد فهذه الفصول كانت معالجة مشوشة لبعض وظائف الدين الاجتماعية . ويأمل كاتب هذه السطور أن يستعرض فى مناسبات قادمة إن شاء الله ألوانا أخرى من علاقة الدين بالحياة اليومية فى أسلوب أدق ترتيبا وأوسع استيعابا

نيويورك « تم البحث » عمر حليق

(١) لم تكن دعوة « الحرب » التى شنتها اليهودية العالمية على فلسطين فى عام ١٩٤٧ / ٤٨ مجرد نداء وجه ليهود فلسطين الذين هاجروا إليها تحت أسنة الحراب البريطانية منذ أن فتح الجنرال ألنبى بيت المقدس وإنما كانت دعوة « جهاد » تطوع للحرب والقتال فيه ألوف الجنود والطيارين من يهود أمريكا وأوروبا الذين تدربوا فى الحربين العالميتين الأخيرتين ولم تقتصر دعوة الحرب اليهودية هذه على جمع المال وتوجيه الضغط السياسى على واشنطون ولندن وموسكو وإنما شملت نداءات علنية فى المعابد اليهودية وفى الأحياء اليهودية تولى نشرها الحاخاميون من جميع الفرق اليهودية — المجددة والمقلدة ، لأن حرب الصهيونية فى فلسطين فى زعمهم تحقيق لنبوة العهد القديم فى عودة اليهود إلى أرض الميعاد ومن ثم إزالة ما يعترض اليهودية من نظم وعقائد منافسة لها ليتسنى لشعب إسرائيل السيطرة على العالم الذى يحيط به

إسرائيل

للاستاذ أبو الفتوح عطيفة

دولة « لقيطة » ولدت وكان مولدها ثمرة لأكبر جريمة اقترفها الساسة المعاصرون فى التاريخ : قديمه وحديثه ؛ وإنى أعتبرها بحق جريمة القرن العشرين

ووليد يحتضر وهو يحبو . ولولا مسارعة الدول الديمقراطية لإنقاذه لمات قبل أن يولد ، ولكن الدول أرادت له الحياة فكلما دنت ساعته سارعت إلى نجدته فأنقذته من خطر محقق وموت مؤكد

وأفعى ألقى بها بين أحضان الدول العربية لكى تقلق بالها وتهدد سلامتها وأمنها

وكارثة نزلت بقوم آمنين يقيمون فى بلادهم وادعين ، فأخرجوا من ديارهم بغير حق ، وجردوا من أملاكهم وشتت شمل نسائهم وأطفالهم ، وألقى بهم فى البيد والعراء جياعا عراة فأصبحوا لا مأوى لهم ولا ملجأ !! وهكذا تمت الجريمة وقامت الدولة

ولعلك أيها الصديق الكريم تسألنى أكان قيام إسرائيل أمرا طارئا أم كانت مسألة مدبرة ؟ وأنا أجيبك بأن السياسة البريطانية لا تعرف المفاجآت وإنما هى سياسة تقليدية تسير وفق خطة موضوعة لا تتغير مهما كان لون الوزراء ؛ فوزراء خارجية بريطانيا قد يكونون من المحافظين وربما كانوا من العمال وقد تتغير أشخاصهم ولكن السياسة البريطانية هى السياسة البريطانية لا تتغير ولا تتبدل . وإسرائيل هذه إنما هى ثمرة من ثمرات السياسة البريطانية ، وعمل أثيم من تدبير إنجلترا ووزرائها

وعد

فى خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ قام اليهود بخدمات كبيرة لقضية الحلفاء كما زعمت إنجلترا ، ونتيجة لهذه الخدمات وعد اللورد بلفور وزير خارجية إنجلترا اليهود بأن يتيح لهم أن ينشئوا وطنا قوميا فى فلسطين وكان ذلك فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧

ولسنا ندرى كيف أباح بلفور لنفسه أن يصرح هذا التصريح وأن يعد اليهود بفلسطين ، ولعله لو وعد اليهود بإقطاعهم جزءا من قارة أستراليا مثلا لكان موضع ثناء الناس جميعا ، فهناك فى أستراليا جهات واسعة غير مأهولة بالسكان ، بل إن جميع سكان القارة يبلغ تعدادهم ٧ ملايين نسمة ، وهى بهذا فى حاجة إلى أيد كثيرة لتنهض بها ولتعمل على استغلال مرافقها ؛ ولكنه بدلا من ذلك يعد اليهود بالعودة إلى وطنهم فى فلسطين ؟ ذلك الوطن الذى طردوا منه منذ آلاف السنين قبل أن يولد المسيح ومحمد صلوات الله عليهما ؛ وليتحقق ذلك ولو كان على حساب قوم أبرياء قد استوطنوا هذه الديار منذ آلاف السنين

وأعجب ما فى الأمر أن فلسطين كانت حتى قيام الحرب العالمية الأولى تابعة لتركيا ، فلما قامت الحرب وانضمت تركيا إلى جانب الألمان عمدت إنجلترا إلى إثارة العرب ضد تركيا ووعدتهم بتحقيق استقلالهم عقب انتهاء الحرب . وقد شرب العرب من ماء النهر السام دخلت عليهم ألاعيب السياسة البريطانية فعمدوا إلى محاربة الأتراك وتحطمت الإمبراطورية العثمانية وتقاسمت فرنسا وإنجلترا ممتلكاتها ، فوضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى ، ووضعت العراق وشرق الأردن وفلسطين تحت الانتداب الإنجليزى ؛ وأما مصر فكانت الحماية البريطانية قد أعلنت عليها منذ ١٩١٤

ومما يدعو إلى مزيد من الدهشة أن يصدر بلفور وعده حين آذنت شمس الحرب بالنهاية ، وقبل أن يعقد مؤتمر للصلح ليضع الأمور فى نصابها ، وقبل أن يتقرر أن تكون فلسطين تحت الانتداب البريطانى !!

ومن الطريف أن أذكر ما يذاع من أن اللورد ألنبى قال حين دخل بيت المقدس ١٩١٧ « اليوم انتهت الحروب الصليبية » وأما أنا فأرى أن دخول الغربيين بيت المقدس مرة أخرى كان إيذانا ببدء حرب صليبية جديدة !!

مؤامرة

لما عقدت معاهدة الصلح المعروفة بمعاهدة سيفر ١٩٢٠ وانتدبت بريطانيا لتقوم بالأمر فى فلسطين كان المفروض أن تعمل الدولة المنتدبة على تحسين حال الإقليم الذى انتدبت لإدارته حتى

يصبح أهلا لتولى إدارته بنفسه ، وقد قامت بريطانيا بمهمتها ولكن على طريقة يندى لها جبين الإنسانية وبشكل سوف يكون مثالا للنفاق البشرى وللاثم والعدوان ، فبدلا من أن تعمل على إصلاح حال عرب فلسطين عملت على إحلال اليهود فى بلادهم ويسرت لهم الاستيطان بفلسطين وسمحت لهم بالهجرة إليها وبشراء الأراضى فيها ، وأمدتهم بالأموال والآلات اللازمة ، وظاهرها اليهود فى سائر أنحاء العالم ، وقد ثار العرب على بريطانيا واستفحلت ثورتهم فى الفترة من ١٩٣٦ — ١٩٣٩ وهنا وجدت إنجلترا نفسها أمام الحرب العالمية الثانيـة فاضطرت أن تعمل على إرضاء العرب ، ومرة أخرى خدع العرب ووثقوا فى بريطانيا ووعودها وأخلدوا إلى الهدوء والسكينة ؛ وأما الصهيونيون فقد ضايقهم بطء إنجلترا فى تحقيق أمانيهم فلجأوا إلى الغدر والاغتيال واعتدوا على الموظفين الإنجليز فى فلسطين ، بل إنهم قتلوا وزيرا بريطانيا هو اللورد موين فى القاهرة !!

مملكة

وانتهت الحرب وبدأت إنجلترا تقلب للعرب ظهر المجن وتكشر عن أنياب الغدر فرتبت أمورها وأعدت عدتها وعقدت معاهدة مع شرق الأردن ١٩٤٦ وبمقتضاها أصبح الأمير عبد الله ملكا لشرق الأردن ، وقد اشترط فى المعاهدة أن تسمح شرق الأردن لبريطانيا بوضع جنود بريطانيين فى أراضيها على قدر ما ترغب بريطانيا أو تراه ضروريا ، ومن عجب أن شرق الأردن هذه مملكة لا سواحل لها . ولست أدرى كيف تستطيع القوات البريطانية الوصول إلى شرق الأردن ما دامت بريطانيا قد أعلنت أنها ستترك فلسطين ؟! لكن بريطانيا دبرت وقدرت فهى ستخرج من فلسطين لتعود إليها من جديد وفى شكل جديد، ولن يكون ذلك إلا بقيام إسرائيل

بعد عمل الترتيبات السابقة أعلنت بريطانيا أنها قد يئست من إصلاح الأمر فى فلسطين، وأنها تعلن انتهاء الانتداب البريطانى فى ١٥ مايو ١٩٤٨

وما حل هذا اليوم حتى انسحبت بريطانيا من فلسطين وأصبح العرب وجها لوجه أمام الصهيونيين ، وسارعت الدول العربيـة إلى نجدة العرب وأحرزت قواتها انتصارات رائعة ، وفى مدى أيام باتت الجيوش العربية تهدد تل أبيب عاصمة إسرائيل

وفجأة تتدخل إنجلترا وأمريكا وتأمر الدول العربيـة بوقف القتال وإعلان الهدنة ، وترى الدول العربية نفسها فى موقف حرج وتقرر قبول الهدنة . وفى فترة الهدنة تستعد إسرائيل وتنسحب شرق الأردن وتامب بريطانيا فتمنع السلاح عمن تشاء وتعطى من تشاء؛ وبتجدد القتال وقد تآمرت أمريكا وإنجلترا مع إسرائيل على العرب وينتهي الأمر بقيام دولة إسرائيل ! ! ويطرد العرب من أوطانهم وتقوم دولة فى القرن العشرين على أساس دينى فى الوقت الذى ترى فيه الدول الغربية أن مجرد تمسك أمة من الأمم بدينها رجعية لا مبرر لها

التاريخ يعيد نفسه

أيها العرب : ليست هـذه أول مرة تبغى فيها أمم الغرب عليكم وتعتدى على أوطانكم ؛ فأنتم جميعا تعرفون أن فلسطين والأقطار الإسلامية قد استهدفت لعدة حملات معروفة باسم الحروب الصليبية وكانت أولاها فى المدة من ١٠٩٧ إلى ١٠٩٩ وقد نجح الصليبيون فى هـذه الحرب من فتح سواحل الشام ودخول بيت المقدس . وقد كتب قائدهم إلى البابا يبشره بما أحرزه من نصر فقال « إذا أردت أن تعرف مدى انتصارنا فاعلم أن خيولنا كانت تسبح فى بحار من دماء المسلمين ؟ » وقد حق له أن يقول ذلك فقد قتل الصليبيون أكثر من ٧٠ ألفا من المسلمين وتمكنوا من تأسيس ما عرف باسم الإمارات اللاتينية ، وما إسرائيل إلا إمارة لاتينية فى القرن العشرين، وما أشبه الليلة بالبارحة !

وقد دام بقاء الصليبيين فى الشرق قرنين من الزمان ؛ ثم طردوا نهائيا من الشرق ، وعاد بيت المقدس والأماكن المقدسة فيه إلى يد المسلمين

ولكن لا تحسبن أيها القارئ أن هـذا العمل كان سهلا ميسرا بل على العكس كان هذا العمل شاقا عسيرا ، ولكن همم الرجال وعزائم الأبطال هى التى مكنت للعرب من استرداد حقوقهم، ويرجع الفضل فى ذلك إلى بطلين عظيمين .. هما نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبى ، وقد استطاع الأخير أن يعيد فتح بيت المقدس وأن يضيق على الصليبيين حتى أصبحت أملا كهم

لا تتجاوز شريطا ضيقا من صور إلى يافا . وتم طردهم نهائيا فى عصر المماليك

مقارنة

وجدير بنا أن نذكر أن الصليبيين كانوا أكثر إنسانية من الصهيونيين، فبرغم أن الحملات الصليبيـة جاءت إلى الشرق فى العصور الوسطى وهى عصور تعتبر عصورا متأخرة ، إلا أنهم لم يقترفوا من الإثم ما اقترفه الصهيونيون . ذلك أن الصليبيين لم يطردوا العرب من ديارهم وإنما أبقوا عليهم وتركوهم فى ديارهم آمنين مطمئنين ، أما فى القرن العشرين عصر المدنية والتقدم فقد اقترف الصهيونيون أشنع الإثم وأكبر الجرائم ، فطردوا السكان الآمنين من ديارهم وشردوا نساءهم وأطفالهم ، وهكذا تـكون المدنية والإنسانية ؟

المعاملة بالمثل

وقد يطيب لى أن أذكر أن الدول العربية تؤوى فى ديارها أعدادا كبيرة من اليهود وهم أصحاب رءوس الأموال الضخمة ، ولست أدرى ماذا تفعل الدول الغربية لو أن الدول العربية لجأت إلى معاملة اليهود بالمثل فطردتهم من بلادها ؟ ما أحسب إلا أن هـذه الدول سوف تقوم ثائرتها وسوف ترمى المسلمين بأنهم قوم متعصبون متأخرون وربما تدخلت بالقوة لمنع الدول العربيـة من تنفيذ مثل هذه الخطوة ، أما إسرائيل فلها أن تفعل ما تشاء ولها أن تدل كما تشاء فقد اشترت ذمم ساسة الغرب بأموالها وأعراضها

وإذا العناية (١) لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلهن أمان

العدو الصديق

نعم يا أخى إنك لو أنعمت النظر قليلا لرأيت ثم رأيت أمرا عجيبا، فإنجلترا دولة صديقـة للدول العربيـة ما فى ذلك شك وهى كذلك دولة حليفة لهم فبينها وبين مصر والعراق وشرق الأردن وغيرها معاهدات تحالف وصداقة ، ولـكن هذه الدولة الصديقة هى التى أقامت إسرائيل فى ديار العرب لتقلق بالهم وتشغل أذهانهم وقلوبهم ، وهى التى منعت السلاح عن العرب عند انتصارهم على اليهود، وهى التى دفعتهم إلى قبول الهدنة الأولى بعد أن أصبح النصر أمرا محققا وواقعا مؤكدا ، وهى التى تحتل ديارهم وبلادهم ؟؟

ومن نـكد الدنيا على الحر أن يرى
عدوا له ما من صداقته بد

والآن

لا ترع يا صديقى فإن السنين ليس لها حساب فى تاريخ الأمم، وقد رأيت أن الصليبيين أقاموا فى الشرق مائتين من السنين ، ولا ضير إذن من أن تقوم إسرائيل فمصيرها معروف مفهوم ، ولـكن ذلك لن يتم إلا إذا كانت الدول العربية فى منتهى اليقظة تعمل على جمع كلمتها وتوحيد قوتها وإعداد القوات اللازمة لحمايتها إعدادا حربيا حديثا . وأهم من ذلك أن تؤمن بقضيتها وبعدالة مطالبها . إذا أمكن ذلك وهو ممكن إن شاء الله فستقضى هـذه الدول على إسرائيل . أما إن أهملت شؤونها وتفرقت كلمتها فإن إسرائيل ستقضى عليها ، وها هى قد بدأت عدوانها على مصر منذ حين وأخيرا على سوريا ، ولست أدرى كيف ينتهى الخلاف بينهما ، وإنما أرجو ربي أن يهىء لنا من أمرنا رشدا

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بسنود الثانوية

(١) « العناية البريطانية »

مع أبى تمام فى آفاقه :

قصيدة النار

— ٢ —

للأستاذ محمود عزت عرفة

حرب الروم :

لما أنحى الأفشين بقواه على حصون الخرمية بدا لبابك أن يستثير عزيمة الروم على حرب المسلمين ، ليكشف عن نفسه بعض ما هو فيه . فكتب إلى قيصر الروم - توفيل بن ميخائيل - كتاباً يذكر فيه « أن ملك العرب قد وجه عساكره ومقاتلته إليه ، حتى وجه خياطه — يعنى جعفر بن دينار الخياط — وطباخه — يعنى إيتاخ — ولم يبق على بابه أحد . قال : فإن أردت الخروج إليه فاعلم أنه ليس فى وجهك أحد يمنعك » (١)

فاهتبل قيصر الفرصة وانقض على زبطرة من ثغور المسلمين، بجيش تبلغ عدته مائة ألف أو أكثر . فقتل من أهل هذا الثغر وسبى . ثم أغار على ملطية وغيرها من الحصون ومثل بمن وقعوا فى يده . فخرج إليه أهل الثغور من الشام والجزيرة ؛ وبادر المعتصم بتوجيه عجيف بن عنبسة وعمرو الفرغانى ومحمد كوته وجماعة من القواد إلى زبطرة معونة لأهلها ، فبلغوها وقد انصرف عنها ملك الروم . ولما فرغ المعتصم من أمر بابك سأل عن أمنع بلاد الروم وأقوى حصونهم شوكة . فذكرت له عمورية فوطد العزم على قصدها وتأهب لذلك

ثم تحركت جيوش الخلافة وفيها من القواد — ممن صحبوا المعتصم أو تقدموه — أشناس ، وإيتاخ ، ومحمد بن إبراهيم ابن مصعب ، وجعفر بن دينار بن عبد الله ، وعجيف بن عنبسة ، ووصيف ، وحيدر الأفشين . وتفرقت هذه الجيوش فى المسالك ؛ فكان الأفشين أول من أوقع بالروم إذ كان أسبق القوم إلى التوغل فى بلادهم ؛ ذلك أنه هزم جيش القيصر نفسه فى شعبان سنة ٢٢٣ هـ ؛ ثم قدم على المعتصم وهو نازل على أنقرة حيث اتحد القواد على الالتقاء . وتحركت الجيوش من هنالك مجتمعة نحو عمورية لحاصرتها . وراح القواد يتناوبون الهجوم عليها حتى سقطت بعد حصار دام شهرين

وقد كانت الوقعة التى جرت بين الأفشين وملك الروم قبيل ذلك من ألمع الحوادث فى هذه الحرب . وزاد من روعتها ما كان مأثوراً عن الأفشين من البلاء فى حرب بابك وخضد شوكة الخرمية

قال الحسين بن الضحاك الباهلى يمدح الأفشين ويذكر هذه المواقع :

أثبت المعصوم عزاً لأبى	حسن(١) أثبت من ركن إضم
كل مجد دون ما أثله	لبنى كاوس أملاك العجم
إنما (الأفشين) سيف سله	قدر الله بكف (المعتصم)
لم يدع بالبذ من ساكنه	غير أمثال كأمثال إرم
ثم أهدى سلماً بابكه	رهن حجلين نجيا للندم
وقرى (توفيل) طعناً صادقاً	فض جمعيه جميعاً وهزم
قتل الأكثر منهم ، ونجا	من نجا لحماً على ظهر وضم

وبائية أبى تمام فى فتح عمورية أشهر من « قفانبك » ، ولكنا نحلى جيد الكلام بشذور منها . قال يخاطب المعتصم :

لبيت صوتا زبطريا هرقت له
كأس الكرى ورضاب الخرد العرب
عداك حر الثغور المستضامة عن
برد الثغور ، وعن سلسالها الحصب
أجبته معلناً بالسيف منصلتا
ولو أجبت بغير السيف ، لم تجب !
حتى تركت عمود الشرك منقعرا
ولم تعرج على الأوتاد والطنب
لما رأى الحرب رأى العين (توفلس)
والحرب مشتقة المعنى من الحرب

(١) الطبرى ج ١٠ ص ٣٣٤

(١) كنية الأفشين

غدا يصرف بالأموال جريتها
فمزه البحر ذو التيار والعبب

السخط على الأفشين ومحاكمته

أحرز الأفشين هذا المجد كله، وبلغ تلك الذروة الرفيعة من تقدير المعتصم ومحبته؛ مع إعجاب العامة وإجلال الخاصة، وتمكن أسباب الجاه والنعمة، والاتسام بالجد الموفق والنقيبة الميمونة، وأنه سيف الخلافة الذى ذاد عن ركنيها وقصم ظهور أعدائها ـ بلغ هذا كله ليهبط منه فجأة إلى حضيض الذل والمهانة، ثم بقتل قتلة الخائن المارق، والعدو المنابذ

وإذا نحن تجنبنا نسبة القضية كلها إلى عوامل الحسد والغيرة التى أكلت قلوب النظراء - وخاصة العرب ومن يحطب فى حبلهم — ثم إلى تمكن شهوة الانتقام عندهم من الرؤساء الأعاجم جميعا، فى شخص هذا الذى أعيا كل عربى وعجمى أن يشق له غبار - فليس يفوتنا أن ننبه إلى ما تجلى من عوامل الحسد والغيرة ورغبة التشفى والانتقام كدوافع بارزة حركت القضية منذ بدايتها؛ وسارت بها إلى غايتها المرسومة من إهدار دم الأفشين

وكان الذى أجرى محاكمته، بأمر المعتصم أو على الأصح بموافقته، الوزير محمد بن عبدالملك الزيات وشـهدها معه أحمد بن أبى دؤاد وإسحق بن إبراهيم المصعبى وغيرهما من أعيان العرب. وكان المناظر له ابن الزيات

على أن بوادر الانقلاب على الأفشين لم تظهر إلا بعد عودته من حرب الروم. إذ كان إلى ما قبل ذلك يتمتع بثقة الخليفة التامة حتى لقد دفع إليه بالعباس بن المأمون بعد ما ظهر من تدبيره خطة الانقلاب على المعتصم أثناء حصار عمورية. وظل بيده إلى أن قتل خلال العودة، فى مدينة منبج من أعمال الشام

بل لقد شفع الأفشين فى هرثمة بن النضر وكان العباس قد سماه فى عداد من انضموا إليه، فعفا عنه المعتصم وولاه الأفشين حكم الدينور

وعلى كثرة من انغمسوا فى المؤامرة من القواد كان الأفشين بعيداً عنها فلم يعلق به من جانبها شبهة ومع ذلك نجده محاطاً بالأراجيف مأخوذاً بالتهم منذ نجم أمر « مازيار بن قارن » كما سنشير إليه بعد. ثم نرى المعتصم يعزله عن الحرس ويوليه إسحق بن يحيى بن معاذ. وبعد قليل تجرى محاكمة الأفشين على الوجه الذى أشرنا إليه. والتهم التى ووجه بها كثيرة، ونحن نوجزها فيما يلى:

١ — أنه حرض مازيار بن قارن الحاكم بطبرستان على منابذة آل طاهر أصحاب خراسان، ثم الخروج على المعتصم. ولما قبض عليه أقر لدى المعتصم أن الأفشين كاتبه وحسن له الخلاف ووضع معه خطة لإحياء المجوسية. وفى رواية للطبرى وابن الأثير [1] أن المازيار زعم أن أخا الأفشين واسمه « خاش » كتب إلى أخيه « قوهيار » بذلك. وفى رواية ثالثة لأبى الفداء فى البداية والنهاية [2] أن المازيار: لما أوقف بين يدى الخليفة سأله عن كتب الأفشين إليه فأنكرها، فأمر به فضرب بالسياط حتى مات

٢ — ولى منكجور الأشروسنى — أحد أقاربه — على بعض أعماله فى أذربيجان فاغتصب أموالا وجدها هنالك من كنوز بابك، ثم خلع الطاعة وأعلن الثورة على المعتصم، حتى غدر به أصحابه وأسلموه، فحبس واتهم الأفشين فى أمره

٣ — وجه بهدايا وأموال كثيرة إلى مسقط رأسه فى أشروسنة، على أن يلجأ إلى هنالك فيما بعد فيستقل بملك آبائه، وكان الذى كشف أمر ذلك عبدالله بن طاهر، وقد كان يحمل الضغينة للأفشين ويتتبع عوراته: وطاهر بن الحسين أبوه هو ابن عم إسحق بن إبراهيم المصعبى الذى اشترك فى محاكمة الأفشين

٤ — أمر بجلد بعض المسلمين فى أشروسنة ممن حولوا بيتاً للأصنام إلى مسجد للصلاة

٥ — كان يأكل لحم المخنوقة ويحمل على أكلها. شهد عليه بذلك الموبذ، وكان مجوسيا أسلم أيام المتوكل

٦ — قال لهذا الموبذ فى حديث جرى بينهما: قد دخلت

(١) الطبرى: ج ١٠ ص ٣٦٦ — وابن الأثير: ج ٦ ص ١٩٠
(٢) البداية والنهاية: ج ١٠ ص ٢٨٩

لهؤلاء القوم — يعنى المسلمين — فى كل شىء أكرهه ، حتى أكلت الزيت وركبت الجمل والبغل . غير أنى إلى هذه الغاية لم تسقط عنى شعرة ! ولم أختتن !

٧ — وجد فى بيته كتاب قد حلاه بالذهب والجوهر ، فيه كفر بالله تعالى …

٨ — يخاطبه أهل بلده أشروسنة بعبارات التقديس . ويبدءون كتبهم إليه بقولهم : إلى إله الآلهة ، من عبده فلان بن فلان — شهد عليه بهذه التهمة المرزبان بن تركش أحد ملوك السغد . وكيفما كان الأمر فى هذه التهم فقد دفعها الأفشين عن نفسه ، وعلل بعضها بعلل معقولة . فأنكر علاقته بحادثتى منكجور ومازيار . ونفى نية الوثوب بأشروسنة أو إحياء ملك آبائه فيها ؛ وعلل قصة المسجد هناك بأن بينه وبين ملك السغد عهداً بأن يترك كل قوم على دينهم . وقال عن الكتاب المحلى بالجوهر : هو كتاب ورثته عن أبى ، فيه من آداب العجم ، وكفر … فكنت آخذ الآداب وأترك الكفر ، ووجدته محلى فلم أحتج إلى أخذ الحلية منه ، وما ظننت أن هذا يخرج من الإسلام

وقال عن الموبد فى صدد تهمتيه : أخبرونى عن هذا ، أثقة هو فى دينه ؟ قالوا : لا . قال : فما معنى قبولكم شهادة من لا تثقون به ولا تعدلونه ؟

ويروون أنه حين أحرج بقول ابن أبى دؤاد له : قد بلغ أمير المؤمنين أنك يا حيدر أقلف ؛ أجاب : نعم . . ثم قال فيما بعد لحمدون بن إسماعيل وهو يزوره فى سجنه : إنما أراد أن يفضحنى ؛ إن قلت له نعم لم يقبل قولى وقال لى : تكشف فيفضحنى بين الناس . والموت كان أحب إلى من أن أتكشف بين يدى الناس [1]

وأما ما اتهمه به المرزبان من مخاطبة قومه إياه بإله الآلهة فقد قال عن ذلك : هذه كانت عادتهم لأبى وجدى ، ولى قبل أن أدخل فى الإسلام . فكرهت أن أضع نفسى دونهم فتسقط على طاعتهم .

(١) الطبرى : ج ١١ ص ٤

والحق أنه لم يثبت على الأفشين إلا تهمة واحدة هى أنه كان يعد العدة لكى يهرب قبيل القبض عليه ومحاكمته . فقد عثروا فى قصره على أطواف وآلات للركوب كان قد أعدها ليعبر عليها نهر الزاب ثم يصير — كما زعموا — إلى أرمينية فبلاد الخزر ثم إلى بلاد الترك ومنها إلى أشروسنة … قالوا « ثم يستميل الخزر على أهل الإسلام » [1] . ونسكت عن الجملة الأخيرة — وهى لم تثر أثناء محاكمته — لنقول إن نية الهرب أمر طبيعى ، بل تدبير حكيم سديد ، لمن كان فى مثل موقفه

ويجب أن نسجل هنا كلمة للأفشين — دون أن نناقشها أيضاً — وهى قد تعطينا فكرة عن حقيقة شعوره قبيل القبض عليه ، بل قد تبرر فى نظرنا ما شغل به نفسه من نية الهرب …

أرسل الأفشين إلى المعتصم من سجنه ، على لسان بعض زائريه ، يقول فى عقب كلام طويل [2] : إنما مثلى ومثلك يا أمير المؤمنين كرجل ربى عجلا حتى أسمنه وكبر . وكان له أصحاب يشتهون أن يأكلوا من لحمه فعرضوا بذبحه فلم يجبهم . فاتفقوا جميعاً على أن قالوا : لم تربى هذا الأسد ، فإنه إذا كبر رجع إلى جنسه ؟ فقال لهم : إنما هو عجل . فقالوا : هذا أسد . فسل من شئت . وتقدموا إلى جميع من يعرفونه وقالوا لهم : إذا سألكم عن العجل فقولوا له إنه أسد وكلما سأل إنساناً قال : هو سبع . فأمر بالعجل فذبح . وإنى أنا ذلك العجل ، فكيف أقدر أن أكون أسداً ؟ الله الله فى أمرى !

« يتبع » محمود عزت عرفه

(١) الطبرى : ج ١٠ ص ٣٦٤
(٢) الكامل : ج ٦ ص ١٩١

٤ - الفــــارابى
فى العالم الاسلامى وفي أوربا

بمناسبة مرور ألف عام على وفاته

للأستاذ ضياء الدخيلي

هـذا ما نقله فى كتابه الدكتور توفيق الطويل مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول ولـكنى قرأت فى مفتاح السعادة (ج ١ ص ٢٥٩) ثناء عاطرا على الفارابى إذ قال المولى أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده (١) (ومن جملة أساتذة الحكمة الفــــارابى الحكيم المشهور صاحب التصانيف فى المنطق والحكمة وغيرها من العلوم وهو أكبر فلاسفة الإسلاميين لم يكن فيهم من بلغ رتبته فى فنونه، وتخرج ابن سينا بكتبه وبعلومه، وانتفع فى تصانيفه. وعدد مصنفاته من الكتب والرسائل سبعون كلها نافعة ولاسيما كتابان فى العلم الإلهى والمدنى لا نظير لهما، أحدهما المعروف (بالسياسة المدنية) والآخر (بالسيرة الفاضلة) وصنف كتابا شريفا فى إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها لم يسبق إليه أحد، ولا ذهب أحد مذهبه ولا يستغنى عنه أحد من طلاب العلم، وكذا كتابه فى (أغراض أفلاطون وأرسطو) اطلع فيه على أسرار العلوم وثمارها علماً علماً وبين كيف التدرج من بعضها إلى بعض شيئا فشيئا، ثم بدأ بفلسفة أفلاطون يعرف بغرضه منها ثم أتبع ذلك بفلسفة أرسطو ووصف أغراضه فى تواليفه المنطقية والطبيعية فلا أعلم كتابا أجدى على طالب الفلسفة منه) فأين هـذا المديح من ذلك الهجوم القبيح، وكيف اجتمع النقيضان فى صعيد واحد..؟ ولقد أمسى هذا الفيلسوف هدفا للمؤلفين فى كل العصور؛ فإن انتقده القدامى لفساد عقيدته واختلالها (كما يرون) فإن المتأخرين الذين لم يتطبعوا على فهم لغة كتب القدماء الصعبة المسالك الغامضة الأغراض على أبناء العصر الحديث — لم يمنعهم التريث عن التحامل عليه رحمه الله، فقد أخذ المتأخرون يطعنون فى أسلوب الفارابى ويلحقون به مسبة الغموض والاضطراب، وإذا كان بعض هؤلاء النقاد لا يسلم إصابته من وخز البيت القائل:

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

فإن الباقين ممن نجل مكانتهم ونعلى شأنهم. ولـكننى فى الحقيقة حائر كيف يدعى الكتاب المحدثون فهم كتب ابن سينا والفارابى بلغتها واصطلاحاتها المهجورة؟ وقد كنا معذبين من شيوخ أساتذتنا فى النجف الأشرف فكانوا يقفون عند كل كلمة وينشرون لنا ما فيها من بطون وما علق عليها أصحاب الحواشى والشارحون فإذا عثروا بكلمة (فتأمل) وقفوا عندها وأطالوا البحث شارحين وجه التأمل وقد كان له (وإن قلت قلنا) ميدان واسع يجول فى مجاله فرس الشيخ الوقور ويصول، فمن أفهم شباب العصر أسرار (فتأمل) ومن غاص بهم فى أعماق العبارات؟ وهل تقوى عيونهم على قراءة الحواشى الدقيقة الخطوط المتمرجة وحتى على الأخص فى مطبوعات إيران ذات أشكال غريبة؛ فمنها ما نضد ونظم على شكل (الباذنجان) ومنه ما جاء على شكل (أوراق الورد) أما الخطوط فـلـها غرب تعليقات لدارسين فيها فهى تتلوى بين السطور كالأفاعى، فكيف فهم المصريون تلك الكتب الغامضة التى أظن أن المتنبى قصدها بقوله:

ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

فكيف فهم الأستاذ إسماعيل مظهر (أسفارملاصدرا) حتى أخذ يحدثنا فى كتابه (ملقى السبيل) عن أحيلة الملاصدر الدين الشيرازى وأوهامه فى أسفاره ونحن فى النجف الأشرف لا نقرأ كتاب الأسفار إلا بعـد أن يدرس الطالب علم المنطق بكتبه القديمة مثل حاشية الملا عبد الله على منطق التهذيب، وشرح الشمسية، وشرح المطالع، وشرح منظومة الشيخ هادى شليله، وشرح منطق إشارات ابن سينا، ثم يقرأ فى علم الكلام شرح التجريد والأصل لنصير الدين الطوسى والشرح لتلميذه العلامة الحلى أو شرح الملا على القوشجى عليه، ويدرس فى الفلسفة شرح إشارات ابن سينا لنصير الدين الطوسى وردوده على (الفاضل الشارح) فخر الدين الرازى مدافعا عن الشيخ الرئيس و(محاكمات الداماد) الذى أقام نفسه حكما يفصل بين الشارحين، ويدرس

(١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة للمولى أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده ج ١ ص ٢٥٩

شرح منظومة السبزوارى فى الحكمة ، ويدرس الشفاء لابن سينا ثم يدرس بعد كل هذا أسفار الملاصدر الدين الشيرازى ، وشيت عد الشوارق الملا عبد الرزاق اللاهجى فى الكلام. والأغرب من هؤلاء المدعين فهم تلك الكتب الصفراء - ادعاءات المستشرقين الأجانب فهمهم تلك الكتب الوعرة المسالك وكنا لا نتورط فى مجاهلها إلا بدلالة من أساتذة بارعين نشأوا وشبوا وشابوا على خوض غمارها ، فكيف تسنى لأمثال (دى بوير) الهولندى أن يفهم مذاهب فلاسفة الإسلام ؟ وكيف تهيأ ذلك وتيسر لجيوم الإنكليزى ونلينو الإيطالى؟ وكيف ترجم أسلافهم هذه الكتب إلى اللغات الأوربية ؟ إنى أكاد أجزم بفساد تلك التراجم وشيوع الأغلاط فيها . وبعد هذا ألا يحق لنا أن نعذر المرحوم الأستاذ مصطفى عبد الرازق على وصفه الفارابى فى ما كتبه بالغموض والاضطراب إذ قال فى كتابه (تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية) وبعد الكندى أبو نصر الفارابى المعلم الثانى المتوفى سنة ٣٣٥ هـ (والمعروف أن سنة وفاته ٣٣٩ هـ) فعرض لتجديد معنى الفلسفة وعرض للاحاطة بأقسامها وذكر الغاية منها والفرق بين الدين والفلسفة فى بيان أفصح وأبسط لكنه فرق هذه الأبحاث فى مواضع من كتبه لمناسبات ، ولم يعمد إلى جمعها فى نسق ولم تخل أقواله على بسطها من اضطراب وغموض فى بعض الأحايين) (١)

ولكن ابن العبرى المتوفى سنة ٦٨٥ هـ وكان قد عاصر وعاشر نصير الدين الطوسى فى مراغة قال فى تاريخه (٢) (مختصر الدول) يثنى على أسلوب الفارابى ويصفه بلطف الإشارة وصحة العبارة إذ ذكر (أن الفارابى استوطن بغداد وقرأ بها العلم الحكمى على يوحنا بن حيلان المتوفى فى أيام المقتدر واستفاد منه وبرز فى ذلك على أقرانه وأربى عليهم فى التحقيق وأظهر الغوامض المنطقية وكشف سرها وقرب متناولها وجمع ما يحتاج إليه منها فى كتب صحيحة العبارة لطيفة الإشارة منبهة على ما أغفله الكندى وغيره من صناعة التحليل وإنحاء التعاليم لجاءت كتبه المنطقية والطبيعية والإلهية والسياسية — الغاية الكافية والنهاية الفاضلة) فترى ابن العبرى لا يجد الغموض والاضطراب اللذين وصم أقوال الفارابى بهما صاحب كتاب (التمهيد لتاريخ الفلسفة) ولعل العلة من صنع الزمن ؟ فإن ابن العبرى من أبناء القرن السابع الهجرى ولغة كتب الفارابى (المعقدة) لغة عصره العلمية — تقريبا المتشابه المعصرين فى لغة التأليف . والحق أنك لتجد كتب المؤرخين طافحة بالإعجاب بفضل الفارابى والإعلاء من مكانته ولئن كان إطراء بعض هؤلاء عديم القيمة لجهله الفلسفة فهو بلا ريب مرآة لآراء العارفين . قال ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ (وفيها توفى أبو نصر الفارابى الحكيم الفيلسوف صاحب التصانيف فيها(١) وهذا الشيخ زين الدين عمر بن الوردى من القرن الثانى الهجرى يقول فى تاريخه (ج ١ ص ٢٨٤) عن الفارابى وألف فى بغداد معظم تصانيفه ثم دخل مصر ثم دمشق وأقام بها أيام سيف الدولة بن حمدان فأكرمه وكان على زى الأتراك ، وحضر يوما بدمشق عند سيف الدولة وعنده فضلاؤها فما زال كلام الفارابى يعلو وكلامهم يسفل حتى صمتوا ثم أخذوا يكتبون ما يقول (٢) وقد نقل قصة دخوله على سيف الدولة هذه وكيف أن العلماء أخذوا يتلقفون فرائد كلماته ويسجلونها فى دفاترهم (٣) أبو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ (ج٢ ص ٩٩) ولعل هذه الأقصوصة المتواضعة هى أصل تلك القصة الفضفاضة التى تنسب للفارابى البراعة الخارقة فى الموسيقى التى استطاع أن يلعب بهـــا بسيف الدولة وندمائه من إضحاك وإبكاء وترقيد ، كل ذلك بسحر الموسيقى . ولعل تلك القصة تتحدث عن موقعة ثانية فقد جعل القصاص مسرحها حلب وهذه وقعت فى دمشق . ويختصر (٤) ابن تغرى بردى الأتابكى فى النجوم الزاهرة (ج ٣ ص ٣٠٤) ويلخص إجلاله للفارابى بأن يقول.. وأبو نصر الفارابى صاحب الفلسفة ، ويحق لأبى نصر أن تعزى إليه الفلسفة فهو من أول بناتها فى دنيا الإسلام . أما صلاح الدين بن أيبك الصفدى فيقول عنه فى الوافى بالوفيات .. أبو نصر التركى الفارابى الحكيم

---

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية للاستاذ مصطفى عبد الرازق ص ٤٩
(٢) مختصر الدول لابن العبرى الطبعة الشرقية

(١) الكامل لابن الأثير فى حوادث سنة ٣٣٩ هـ
(٢) تاريخ أبى الفداء ج ١ ص ٢٨٤
(٣) تاريخ ابن الوردى ج ١ ص ٩٩
(٤) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى الأتابكى ج ٣ ص ٣٠٤

فيلسوف الإسلام ونلاحظ أن المؤرخين تساهلوا تقريبا على أنه تركى غير عربى وإن كان من تلاميذ المدرسة العربية فى الفلسفة. وقد جرت تركيته الشعوبيين أن يجدوا فجوة وثغرة لغمز القومية العربية، قال الأستاذ العقاد فى كتابه عن (أثر العرب فى الحضارة الأوربية) (وقد اتخذ الشعوبيون من كون الفارابى وابن سينا من غير العرب — ذريعة للطعن فى الذهنية العربية، وإن من ضروب التجنى التى لا تحمد من العلماء أن يقال إن العقل العربى لن يستطيع التفلسف بحال من الأحوال لأن الفارابى وابن سينا كانا من سلالة فارسية (كذا) على أشهر الأقوال ولم يكونا من سلالة عربية أو سامية كما كانت للفرس قبل ذلك فلسفة فارسية أو كان لهم عذر كعذر العرب فى هجر البحوث الفلسفية طوال العهود التى مرت بهم فى الحضارة والعمران؟.. على أن الكندى عربى أصيل وفلاسفة الأندلس كانوا من العرب الخ [٥]. ونؤاخذ الأستاذ العقاد على اعتباره الفارابى فارسيا وهو تركى وكم من البون الشاسع بين القوميتين؟ ويقول [٦] عنه جرجى زيدان فى تاريخ آداب اللغة العربية (ج ٢ ص ٢١٣) وكان فيلسوفا كاملا درس كل ما درسه من العلوم وفاق فى كثير منها وخصوصا فى المنطق وألف كتبا فى مواضيع لم يسبقه أحد إليها ككتابه فى (إحصاء العلوم) وكتاب (السياسة المدنية) وهو من قبيل الاقتصاد السياسى الذى يزعم أهل التمدن الحديث أنه من مخترعاتهم وقد كتب فيه الفارابى منذ ألف سنة. وأصلح ما بقى من الترجمات غير مصلح ولخصها. أوعز إليه بذلك منصور ابن نوح السامانى فأجاب وسمى كتابه (التعليم الثانى) ولذلك سموه المعلم الثانى كما فى كشف الظنون (ج ١ ص ٤٤٨) ومن مؤلفاته الباقية إلى الآن نحو (١٢) كتابا فى المنطق متفرقة فى مكاتب أوربا، بعضها منقول إلى اللاتينية أو العبرانية أكثرها فى الأسكوريال، وبعض الترجمات اللاتينية مطبوع فى البندقية وغيرها الخ. وقد طعن العقاد فيما يدعيه بعض المؤرخين من هذه الصلة بين الفارابى ومنصور بن نوح الذى يرى العقاد أنه صار ملكا بعد موت الفارابى بإحدى عشرة سنة كما تقدم. أما تلقيبه

(٥) أثر العرب فى الحضارة الأوربية للعقاد ص ٩١

(٦) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ج ٢ ص ٢١٣

بالمعلم الثانى فإن دى بوير De Boer فى كتابه فى (تاريخ الفلسفة الإسلامية) يرى له وجها آخر إذ قال [٧] ولم يتعين حتى الآن الترتيب التاريخى لمؤلفات الفارابى، وإذا صح له أن رسائل صغيرة نحى فيها منحى المتكلمين والفلاسفة الطبيعيين، وإذا صح أنها كانت على هذه الصورة التى انتهت إلينا فهى مؤلفات كتبها للجمهور أيام صباه؛ فلما أوغل فى الدرس انتقل إلى دراسة مؤلفات أرسطو ولهذا سماه أهل الشرق المعلم الثانى، فهو إذن قد اكتسب هذا اللقب الجليل بشروحه لمؤلفات المعلم الأول

ويقول [٨] العقاد فى رسالته عن الفارابى.. ومهما يكن من شئ فإن عناية الفارابى بالمنطق واهتمامه بشرح آراء المعلم الأول وبيان فلسفته وتقريب فهمه إلى معاصريه جعل له عند العرب مكانة لا تدانى حتى أنهم لقبوه بالمعلم الثانى. وقد فهم (هامر hammer) خطأ أن الفارابى سمى بالمعلم الثانى لأنه كان ثانى فلاسفة المسلمين المبرزين؛ ونحن نجد هذه التسمية لأول مرة عند البيهقى ثم نجدها بعد ذلك عند الشهرزورى. وقد ذهب طاشكبرى زاده وحاج خليفة إلى أن لهذه التسمية سببا هو أن الفارابى صنف كتابا سماه (التعليم الثانى) هذب فيه وصحح ما ترجمه الأوائل من كتب المعلم الأول الخ.. ومهما تعددت الروايات فى سبب تسمية الفارابى (والأصح تلقيبه) بالمعلم الثانى فإنها جميعا تتلاقى فى الدلالة على ما كان له من عظيم القدر ورفيع المكانة

للبحث صلة

ضياء الدخيلى

(٧) تاريخ الفلسفة الإسلامية لدى بوير من جامعة أمستردام فى هولنده

(٨) رسالة العقاد عن الفارابى من سلسلة أعلام الإسلام

الحاج خواجة كمال الدين

(١٨٧٠ – ١٩٣٢)

للأستاذ أرسلان بوهدانو وكز

بقلم الأستاذ على محمد سرطاوى

« الأستاذ أرسلان بوهدانو وكز كاتب هذا المقال الرائع ، مسلم بولندى ، قد تخصص في التاريخ الإسلامى ، وهو مؤرخ نابه ، وكاتب ذائع الصيت . . . . نشره فى عدد ديسمبر سنة ١٩٤٩ فى مجلة إسلامك ريفيو بمناسبة مرور ١٨ عاما على وفاة خواجا كمال الدين ، ترجمناه لقراء الرسالة الغراء بمناسبة سماح الجمعية الاسلامية فى وكنج – لندن – لنا بترجمة كتاب خواجة كمال الدين « النبي المثالى » إلى اللغة العربيـة ، وكذلك كتابيه الآخرين « مصادر الديانة المسيحية » و « لماذا اختار الإسلام دينا »

وبجلة الرسالة المجاهدة فى خدمة الاسلام أحرى المجلات ، بأن يتلاقى القراء على صفحاتهـا ببطل من أبطال الاسلام الخالدين ، الذين تنحنى أمام بطولتهم وأعمـالهم الخالدة الرؤوس » ع . م . سرطاوى

قال الخواجـة كمال الدين فى تعليقـه على شرح بعض آى الذكر الحكيم :

« الحب الصحيح يبدو فى شعور الإنسان وأعماله التى تنير ما حوله من ظلام ، وتدفعه إلى التحليق فى آفاق الخير بكل ما يستطيع من عزيمة »

وهذا التعليق يصدق إلى حد بعيد على ما قام به من أعمال ، وعلى ما يحمل له الناس فى قلوبهم من إكبار عميق ، فى الحدود الضيقة التى تستطيع لغة الإنسان المحدودة التعبير فيها عن أروع ما فى الحياة الإنسانية من جمال وسمو بعيد . . . ولـكم يجد من المصاعب إنسان ضعيف مثلى ، وهو فى سبيل التحدث عن أعمال وحياة عبقرى ، لم تشابه حياته حياة الآخرين ؛ ولـكننى وأنا أقتحم هذا المسلك الوعر ، لا يدفعنى إلى ذلك واجب الوفاء لذكراه فحسب ، ولـكن لأملأ جوانب نفسى بالإيمان، وأنا أصف حياة إنسان كان المثل الرائع لما يجب أن يكون عليـه كل مسلم .

ولـكننى وأنا أتحدث عن ذكرى المؤمن الذى أسس فى عاصمة الإنجليز مسجد « وكنج » ومجلة « إسلامك ريفيو » ، أتطلع إلى اليوم الذى ينهض لمثل هـذا العمل الجليل من هو خير منى وأقدر على تصوير هـذه الحياة وأعماله الباهرة التى ألقى على أكتافنا عبء الاستمرار فيها ، تلك الأعمال التى نهضت بديننا الحنيف الذى يهدف لخير الإنسانية

حياته :

ولد الحاج خواجة كمال الدين سنة ١٨٧٠ فى البنجاب ، من أسرة كشميرية ذات مكانة فى المجتمع الهندى ؛ اشتهر ماضيها بخدمة الإسلام . كان جده عبد الراشد شاعرا مشهورا ، جلس على منصة القضاء الإسلامى فى مدينة لاهور رئيسا للقضاة أثناء حكم السيخ ، وكان أخوه الأكبر خواجا جمال الدين المسؤول عن نشر التعليم بين المسلمين فى كشمير وإمارة جامو ؛ لذلك نستطيع أن نعزو إلى الوراثة من أسرته ، أقباسا من تلك العزيمة الجبارة التى جعلته داعية لا يشق له غبار فى خدمة الإسلام

وابتدأ تعليمه فى كلية « فورمان » المسيحية فى لاهور ، وإلى هذه الـكلية تعزى معرفته العميقة بأسرار الديانة المسيحية ، وأدق التفاصيل فى الـكتاب المقدس ، وكان لهـذا الاطلاع العميق أثره المباشر فى التغلب على رجال الدين من المسيحيين فى المناظرات العامة التى كانت تقام بينه وبينهم فى لندن . وحصل على درجته الجامعية (ب . ع .) عام ١٨٩٥ ، وتسلم وسام جامعة البنجاب فى العلوم الاقتصادية ، وهذا النجاح مهد إليه الطريق لـكرسى الأستاذية فى التاريخ والاقتصاد فى الـكلية الإسلامية فى لاهور ، وبقى هناك أربع سنوات أصبح فى نهايتها مديرا لهذه الـكلية . وبعد حصوله على بكالوريوس الحقوق عام ١٨٩٨ اشتغل محاميا ناجحا فى بشاور مدة سنوات ست ، وعاد عام ١٩٠٣ إلى لاهور حيث أصبح من المحامين الممتازين فى محكمة البنجاب العليا ، كان فيها موضع احترام القضاة والناس بلا استثناء ، وبقى فى لاهور حتى شد الرحال إلى بلاد الإنجليز عام ١٩١٢

وفى بداية هذه الفترة من حياته الأخيرة فى لاهور ، أخذ يحس إحساساً عميقاً بالهوة التى ينحدر إليها الإسلام تدريجياً من الانحلال والتراخى ، ولهذا السبب راح يستعمل ما عنده من أوقات الفراغ فيطوف فى أرجاء الهند ملقياً المحاضرات عن الإسلام. ولم يمض على عمله هذا غير وقت قصير حتى اعترفت الجامعة الإسلامية فى إليجات Aligat بما أداه للاسلام من خدمات فقررت منحه عضويتها ، وأصبح فى نفس الوقت أحد أمناء مجلسها العلمى

السفر الى لندن :

كان فى قمة النجاح عام ١٩١٢ ، وكان ذلك النجاح يبشر بمستقبل باهر عظيم ، ولكنه وهو فى رأس تلك القمة ، استمع إلى نداء يدوى فى أعماق شعوره ، فلبى النداء ، وأشاح بوجهه عن الذهب الذى كان يتساقط على أقدام مجده فى بلاد الهند ، وأقبل على طريق مملوء بالأشواك وعلى مستقبل غامض ليقصر ما بقى له من تلك الحياة على خدمة الإسلام. ولكى يستطيع القيام بذلك على أحسن وجه اختار طريقاً موحشاً لا أنيس فيه ، فبدلا من البقاء بين مواطنيه ، قرر أن يغترب مدافعاً عن قضية الإسلام فى المكان الذى كان يتلاعب بمقدرات العالم الإسلامى يصرفها كما يريد … قرر أن يذهب إلى أوربا واختار مدينة لندن مركزاً دائماً لذلك النشاط الذى تكاد تطل عليه أطياف عابسة منه من وراء آفاق الغيب

إن المؤرخين الذين كتبوا عنه بعد وفاته عام ١٩٣٢ ، والذين كان ينقصهم التعمق فى الدرس ليصلوا إلى الحقائق المجردة من التاريخ ، لم يعطوا هذا القرار ما يستحقه من تقدير ، ولكننا ونحن فى نهاية سنة ١٩٤٩ ، وقد حصل كل قطر إسلامى تقريباً على استقلاله السياسى ، ولاسيما فى الهند ، نستطيع أن ندرك خطورة ذلك القرار بإعلان الجهاد عن طريق الدعوة إلى مبادئ الاسلام ، وأن نعطيه ما يستحقه من أصالة رأى وعبقرية فذة ، ولعله كان إلهاماً من الله ليتم على يديه المعجزة فى بلاد الإنجليز . ولكى ندرك تمام الإدراك أخطر هذا القرار علينا أن نعرف ماذا كان يعنى عام ١٩١٢ فى تاريخ الإسلام والمسلمين

أفاق العالم الاسلامي مظلم: عام ١٩١٢

تعتبر سنة ١٩١٢ ابتداء ذلك العصر المظلم فى تاريخ الإسلام الذى انتهى عام ١٩١٨ بالقضاء على استقلال آخر دولة إسلامية هى تركيا ؛ فإن هذه الدولة بعد خسارتها طرابلس آخر أملاكها فى أفريقيا سنة ١٩١٠ ، كانت على وشك خسارة مماثلة فى أوربا عام ١٩١٣ نتيجة مباشرة لحرب البلقان الدامية . فإذا أضفنا إلى ذلك قيام حركة وطنية ، فى تلك الآونة ، أخذت تمكن لنفسها فى تركيا ، مندفعة وراء مبادئ مخالفة لتعاليم الإسلام ، استطاعت هذه التعاليم بعد سنوات عشر أن تبعد تركيا من زعامة العالم الإسلامى ، أدركنا تمام الإدراك التيارات العتيقة التى كانت تعبث بفلك العالم الإسلامى والمسلمين فى ذلك الوقت

إن قرار خواجة كمال الدين فى الدعوة إلى الإسلام فى أوربا يبدو محيراً غريباً لأولئك الذين لا تدرك بصائرهم وراء مظاهر الأشياء والحوادث ، ولذلك لا يبدو محيراً ما جره عمله الجرىء هذا عليه من عداء أولئك الذين فى قلوبهم مرض ، وأولئك الذين يريدون خدمة الإسلام بأضعف الإيمان ، وبأقل من ذلك ، بأمور ووسائل لا تتجاوز الصلاة وجلب المنافع لأنفسهم عن طريق هذا الدين

والآن ، وبعد مرور سبعة وثلاثين عاماً ، والإسلام يحتل المركز اللائق به فى شؤون العالم السياسية ، أصبح من اليسير الحكم على صواب ما رأى وما عمل خواجة كمال الدين . ومن المحقق أن عظمته الحقيقية ما كانت لتبدو على فطرتها لو لم يتخذ مثل هذا التصميم فى خدمة الإسلام . ومن حسن الحظ أنه لم يكن من ذلك الطراز الذى يجرى وراء الحوادث ، وإنما كان من ذلك النوع الذى تجرى الحوادث لاهثة متعبة وراء قدميه . لقد استبق معاصريه بخطواته الجبارة ، فكان الفذ الذى لا يجارى ، والسباق الذى لا يشق له غبار ، والبطل الذى تزيل إرادته الجبال ، فاضطلع بتلك الأعمال الخطيرة ورسم المستقبل

واضحا لغاية كريمة واضحة

والواقع أن العالم الإسلامى عام ١٩١٢ كان فى حاجة ماسة إلى تقوية نفوذه فى أوربا مركز الاستعمار ، الذى كان يتوقف عليها مصيره ، وبعبارة أخرى كان هذا العالم فى حاجة إلى سفير فى تلك القارة لا يمثل أمة أو بلدا من بلاد الإسلام ، وإنما يمثل ما فى روح الإسلام من مثل إنسانية رائعة لا يعرفها الناس هناك . ويحسن ونحن نتحدث عن أوربا أن نذكر كيف كان الناس هنـاك ينظرون إلى الإسلام والمسلمين . ولـكي يأخذ الإسلام المكانة اللائقة به ، لم يكن هنالك مناص من إثارة عظمة الإسلام وأمجاده فى نفوس المسلمين أولا ، وأن يؤمن أولئك المسلمون الذين امتلأت ضمائرهم وقلوبهم بمركب النقص ، من جبروت الاستعمار وظلم المستعمرين وفقدان الـكيان السياسى ، بأنفسهم إيمانا صحيحا صادقا . وفى سبيل الوصول إلى هذا الهدف كانت هنالك ضرورة ملحة تتعلق بشباب المسلمين الذين هرعوا فى القرن العشرين إلى جامعات الغرب يتلمذون على الحضارة الغربية ، والذين راحوا تحت تأثير هذه الحضارة يتحللون من كل ما يفرضه عليهم الدين الإسلامى من واجبات وما ينهاهم عنه من محرمات . لذلك كان من الضرورى مقاومة هذه الأمور الخطيرة فى المكان الذى تنتشر منه ، وباللغـة التى تنتشر بها ، وأصبح من الضرورى أيضا أن يفهم الشباب المسلمون الخطر الذى يتوارى وراء مادية الغرب والتطور الصناعى الجارف ، والميل إلى التحلل من كل ما يمت للانسانية بصلة ، ومحاربته فى جهادها الطويل ، والمثل الروحيـة التى أدى الإسلام دورا خطيرا فى بثها وإشاعتها فى الوجود . وأخيرا أصبح من الضرورى أن يقام فى أوروبا الغربية مركز يجتمع فيه المسلمون للصلاة دون أن تحول بينهم الفوارق القومية أو الطائفية

وإذا كان اتخاذ قرار خطير يتطلب شجاعة عظيمة ، فإن تنفيذ مثل هـذا القرار يتطلب صفات أخرى لا تقل أهمية عن اتخاذ القرار نفسه ، قلما وجدت مجتمعة فى شخص واحد ، يجيد الخطابة والـكتابة ، والتنظيم ، والاقتناع ، ذى جلد على العمل الذى يحطم الأعصاب ، وأن تسند كل ذلك ثقافة عميقة شاملة ، واطلاع واسع المدى . ولـكن إرادة الله شاءت أن تجتمع هـذه الصفات فى خواجة كمال الدين . لقد كان ، رحمه الله ، فارسا من فرسان البيان ، ولسانا من ألسنة الحق ، ومنقطع النظير فى البلاغة وقوة الحجة والاقتناع ، ولقد ترك من الآثار الأدبية تراثا رائعا عظيما سيأتى الحديث عن بعضه فى مكانه من هذا المقال

لقد كان الطريق إلى النجاح الذى وصل إليه فى أوربا مملوءا بالأشواك ، ولـكنه لم يبال بكل ذلك ، ولم يكتف بالوصول إلى درجة لا تبلغ فى عمقها وشمولها من الثقافة الإنجليزية ، واللغـة التى تحمل هـذه الثقافة ، وإنما هضم الفلسفة الأوروبيـة هضما لم يتيسر لإنسان قبله ، فكان يحاضر أرقى الطبقات فى أعقد مشاكل الفلسفة الألمـانية فى سهولة ويسر وبراعة لا يشق لها غبار

أما قدرته على العمل فكانت شيئا لا تحتمله الطبيعة البشرية ، وأدى ذلك الإجهاد إلى موته فى غير أوانه . وإذا قيس العمل بالنتائج كان عمله معجزة من أثارة قدرة الله . وعلى الرغم من وصوله القمة فى ذلك النجاح ، لم ينقطع عن مواصلة السعى فى خدمة الإسلام ، حتى فى سنواته الأخيرة التى قضاها محطم الأعصاب ، خائر القوى . ولقد مات ، رحمه الله ، وجزاه عن الإسلام خير الجزاء ، وهو يكتب تعليقا على بعض سور لتنشر فى العدد التالى من المجلة التى أسسها ، مجلة إسلامك ريفيو

أما مقدرته الخطابية فتبدو جليـة فى سيطرته على الجماهير المثقفة من الإنجليز نسوا الساعات الطويلة وهو يتحدث عن الإسلام وكأنها مسحورة ، تحملها نشوة جارفة إلى آفاق من الحق والخير

ولما وصل إلى لندن ، لستقر به المقام ، بادئ ذى بدء ، فى (ريشموند) وبدأ فى الحال يلقى المحاضرات ، والخطب ، ويشترك فى اجتماعات الجمعيات اللاهوتيـة الانجليزية ، وينشر المقالات فى الصحف والمجلات ، وما لبث أن احتل مركزا ممتازا بين رجال اللاهوت فى العاصمة البريطانية . وقبل أن تواتيه الظروف لتحقيق هدفه المظيم فى نشر الاسلام فى بريطانيا ، مدت العناية الالهية يدها إليه فى تلك الوحدة ، فعلم بوجود مسجد فى ضاحية (وكنج) وقد استطاع الاستيلاء عليه فى الحال ، فكانت هذه الحادثة بداية الطريق إلى نجاحه المظيم

للكلام صلة

علي محمد سرطاوي

اللغـــة العامية في القرن الحادى عشر

للاستاذ على العمارى

في مقال قيم نشرته الرسالة بعنوان (الألفاظ الأيوبيـة في كتاب تقويم النديم) جاء ذكر كتاب (هز القحوف) للشربيني ، على أن صاحبه نسج على منوال صاحب تقويم النديم ، فأحببت أن أتحدث عن هذا الـكتاب ، كتاب هز القحوف

مؤلفه : لم أقرأ عن مؤلف هذا الـكتاب قليلا ولا كثيرا ، فليس لدى من المراجع ما يعينني على ذلك ، ولـكنني سأرسم له صورة استقيتها من كتابه هذا

هو الشيخ يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربيني ، أحد علماء الأزهر ، وقد تلمذ للعالم الـكبير الشيخ شهاب الدين القليوبي ، وكان يعظ الناس ، ويعقد لهم مجالس في طريقـه إلى الحج ، وهو من قرية شربين كما تدل عليه نسبته ، ولـكن آباءه لم يزاولوا ما يزاوله رجال القرى من الفلاحة ، وهو شاعر يقول القصيد والرجز والمواليا ، وله شعر لا بأس به ، وبالرغم من أنه أكثر في كتابه من الألفاظ العامية إلا أنه حين يكتب بالعربية يجيد وهو يلتزم السجع على طريقـة أهل عصره ، ومن قوله : وقد ناب مؤلف هذا الـكتاب من كيد الدهر نائب ، ورمته الليالى بسهام المصائب . فأصبح بعد الجمع وحيدا ، وبعد الأنس فريدا . يسامر النجوم ، ويـاور الهموم ، يسكب على فراق الأحبـة الدموع ، ويرجو عود الدهر وهيهات الرجوع

ياليت شعرى والدنيـا مفرقة بين الرفاق وأيام الورى دول
هل ترجع الدار بعد الأنس آنسـة وهل تعود لنا أيامنا الأول

لـكن الصبر على غدرات الأيام ، من شيم السادة الـكرام

والمؤلف تارة يصف نفسه بالفقر والخلاعة ، وتارة يذكر أنه من آباء أمجاد ، يجالسون عظماء الدولة ، وأنه كان يعظ الناس في طريق الحج . وقد ذهب إلى الأرض المقدسة مرتين في سنة ١٠٧٤ ، وسنة ١٠٧٥ ، على ما ذكر في كتابه . وهو كثير التطواف في البلاد ، فمرة في الصعيد ، وأخرى في دمياط ، وثالثة في بلده شربين ، ثم يرحل منها إلى القاهرة ... وهكذا

موضوع الـكتاب : عنوان الـكتاب (هز القحوف في شرح قصيد أبي شادوف) ويقول المؤلف في مقدمته (وبعد فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى يوسف بن محمد ... كان الله له ، ورحم سلفه ، أن مما مر على من نظم شعر الأرياف ، الموصوف بكثافة اللفظ بلا خلاف ، المشابه في رصه لطين الجوالس ، وجرى ذكره في بعض المجالس ، قصيد أبي شادوف ، المحاكي لبعر الحروف أو طين الجروف ، فوجدته قصيدا يا له من قصيد ، كأنه عمل من حديد ، أو رص من قحوف الجريد ، فالتمس مني من لا تسعني مخالفته ، ولا يمكنني إلا طاعته ، أن أضع عليه شرحا كريش الفراخ ، أو غبار المفاش وزوابع السباخ . يحل ألفاظه السخيمة ، ويبين معانيه الذميمة ، ويكشف القناع عن وجه لغاته القشرية ، ومصادره الفشكلية ، ومعانيه الركيكة ، ومبانيه الدكيكة ، وأن أتمه بحكايات غريبة ، ومسائل هبالية عجيبة . وأن أتحفه بشرح لغات الأرياف ، التي هي في معنى ضراط النمل بلا خلاف ، وأشعارهم المنترفة من بحر التخابيط ، واشتقاق بعض كلماتها التي هي في الصفات تشبه الشراميط ، وذكر فقهائهم الجهال ، وعلمهم الذي يشبه ماء النخال ، وفقرائهم الأجلاف ، وأحوال الأوباش منهم والأطراف ... الخ)

ومن هذا التقديم نستطيع أن نفهم مايشتمل عليه الـكتاب ، وقد قسمه مؤلفه إلى جزءين ، جعل أولهما تمهيدا للثاني ، وشرح في الثاني قصيد أبي شادوف ، ولئن كان صاحب كتاب تقويم النديم قد جاء بمقامة (طافحة من أولها إلى آخرها بضروب من الأحماض ، والفحش والمجون الذى لا يستساغ نشره) فإن الشربيني قد أسرف في ذلك ، ولـكن هذا لا يمنعنا أن نشير إلى ما يمكن أن يستفيده الباحثون من هذا الـكتاب

في هذا الـكتاب أمور على جانب كبير من الأهميـة ، فهو قد سجل اللغة العامية في عصره ، وشرح معاني مفرداتها وما تدل عليه شرحا وافيا ، وهو قد تعرض للحالة الاقتصادية بإسهاب ، كما أنه وصف حال الحكام مع الشعب وحال الشعب مع الحكام

أدق وصف ، وفى أثناء الكتاب فوائد أدبية ، قصص ، وأشعار ، وأخبار من الأدب الرفيع ، وفيه شرح لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وهكذا ...

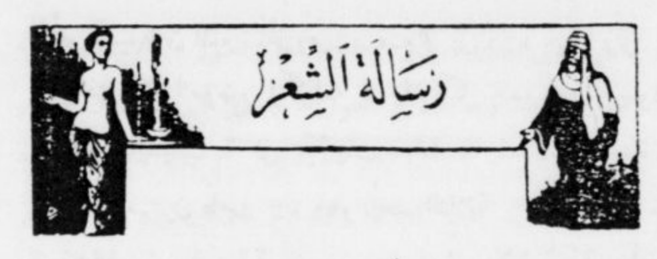
والمؤلف كعلماء عصره ، مغرم بالبديع كل الإغرام ، فهو لا يترك مناسبة تمر دون أن ينبه فيها على نوع من أنواع البديع ، ويظهر أنه كان واسع الاطلاع فهو يذكر كثيرا من الكتب ، وينقل عنها ، ويعنى عناية خاصة بذكر خواص الأطعمة وفوائدها ومضارها ، ولا سيما أطعمة أهل الريف

اللغة العامية : كتب أبو شادوف قصيدته باللغة العامية ، وضمنها شكوى زمانه ، وإخوانه ، وحكامه ، وأمنيات كثيرة فى تشهى بعض الأطعمة ، وتعرض الشارح لكل ذلك بالعامية مرة ، وبالعربية الفصحى أخرى . والذين يعنون بدراسة العامية وتطورها يجدون فى هذا الكتاب غناء لهم أى غناء . ويمتاز هذا المؤلف عن غيره بأنه إذا ذكر كلمة عامية شرح مدلولها شرحا وافيا ، وإذا كان مدلولها فى بلاد مختلفة شرح مدلولها فى كل مكان ، وإذا ذكر نوعا من الطعام الريفى بين طريقة صنعه فى كل إقليم ، وقد يذكر طريقة صنعه فى القاهرة . وهو دائما يذم الريفيين وطعامهم ، ويمتدح طعام القاهريين ، ولا سيما طعام الأتراك ، وتراه يقول فى ص ١٧٩ « أما القطايف فإنها تعمل فى بلاد المدن من الدقيق الأبيض الخاص المقطب ، وتصب على صوانى صغار يقال لها الرقع من حديد أو من نحاس إلا أنها صغيرة مثل القرصة ، وهى ألذ هذه الأنواع وأطيبها خصوصا إذا قليت بالسمن ، وصب عليها عسل النحل ، ولله الحمد أكلنا منها مرارا ، وتلذذنا بها ، ونسأل الله تعالى أن يطعمها لإخواننا الفقراء ، ويعمهم بأكلها »

ويمكن بدراسة الكتاب دراسة دقيقة أن تعرف تطور بعض الكلمات العامية ، فمثلا (الكشك) كان يطلق فى عصر المؤلف على المحل الخارج من البناء المرتفع المركب على الأخشاب يجعله الأكابر للجلوس . والزربون كان يطلق فى عهده على ما يلبسه الفلاح فى رجله ، وهو فى قرانا له إطلاق آخر . وهكذا

الحالة الاقتصادية : يخيل إلى أن المؤلف وضع كتابه لهذا الغرض ، فهو لا يزال يذكر فى كل مناسبة ما يلاقيه الفلاحون من ضيق العيش ، وما يكابدون من الفقر ، ويذكر على ألسنتهم قصصا تصور سوء أحوالهم . وقد اتخذ من الجزء الخاص فى قصيدة الناظم بهذا الأمر ، موضعا للشرح والتطويل ، على أنه من أول الكتاب يضغط على هذه الناحية ، ويوليها عناية خاصة ، فهو يذكر أن بعض الفلاحين شمخ بأنفه وتاه على أخدانه ، ونال السعادة يوما ، وذلك أنه استحضر لزوجه سقطا ، فى يوم عيد ، فطلبت منه رائحة فقال ما معى فلوس، فقالت له زوجه : من خلى شئ لعقب الزمان ينفعه ، أنا خليت فى الصومعة أربع بيضات ، خذهم ولا تقل لحد فإن الناس تحسد الناس وخصوصا اليوم عيد وأنت اليوم فى نعمة كبيرة ، ثم يذكر الرجل أن السعادة تمت لهم حين لقى هو وزوجه فى كرش الجدى شوية فول صحيح ، ولكن الرجل ما يكاد ينتهى من ذكر قصته للناس حتى يقولوا له متعجبين مما ناله من السعادة : زمانك يا أبو عفرة ولى وراح ، ومات الناس ، وجار علينا الظالمون

الحالة السياسية : أو حالة الفلاحين مع حكامهم ، والمؤلف كذلك يولى هذه الحالة عناية فائقة ، ويستطيع من يريد البحث أن يجد صورة وافية لظلم الحكام فى عصر المؤلف ، ومعاملتهم للفلاحين ، بل إن جملة واحدة يذكرها المؤلف تدلنا أبلغ الدلالة على ما كان يعانيه الفلاحون ، فهو يقول : ولكن نحمد الله الذى أراحنا من الفلاحة وهمها ولم تكن لآبائنا ولا أجدادنا ، فالفلاحة على كل حال بلية أعاذنا الله والمحبين منها . ويقول فى موضع آخر : فلا بد على كل حال من تعليق المال ، ولو حصل من ذلك الهم والنكال ، كما فى المثل الذى اشتهر وعم : مال السلطان يخرج من بين الظفر واللحم ، وما دام على الفلاح شئ من المال فهو فى هم شديد ، ويوم السداد عند الفلاح يوم عيد . وهو يصف الكاشف ونزوله بالبلد ، كما يصف الملتزم وأفعاله ، من إلزامه الفلاح ولو كان فقيرا بإطعامه وإطعام أصحابه الذين معه ، وإطعام دوابه . وقد يربى الفلاح الدجاج ولا يأكل منه شيئا — ويحرمه على نفسه وعياله ، وكذلك السمن والدقيق يبقيه لأجل هذه (البلية) على حد قول المؤلف ، وهو وصف مؤلم جدا لا يغنى فيه إلا الاطلاع عليه .



صارحيني !

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

(كتبت تقولين ... فى رسالتك الأخيرة المريرة : « لم أعد أعرف بأى الأسماء أناديك ! فاعذر حيرتي ! » فاليك ... يا أنت ! ... إهداء هذه القصيدة)

الشاعر الحائر !

صارحيني بما لديك من الأسـ ... رار ، أنفض على يديك شجونى

صارحيني بما لديك ، وإن كا ... ن رهيبا ... كالخنجر المسنون

صارحيني ، فذاك أهون عندى ... من شكوكى وحيرتى وظنونى !

حدثيني عما لديك لقلبي ... من شعور مستبهم مكنون

أهو حب كأنه الشفق الملـ ... ـتاع من فرقة الغروب الحزين ؟

أهو حب كأنه الأفق النشـ ... ـوان من خمرة السنا والسكون ؟

أهو عطف ورأفة وانعطاف ... كانعطاف القرين نحو القرين ؟

لست أدرى ! وذاك سر عذابى ... وشقائى وحيرتى وجنونى !

* * *

حدثيني عن الغريب الذى جا ... ءك يسعى فى لهفة وحنين

من وراء الصحراء يقتحم الهو ... ل ، ويرتاد مستراد المنون

حدثيني أكان يبغى دفاعا ... عن حماك المعذب المسكين ؟

أم وصالا فى ظل عشق عنيف ؟ ... أم لقاء فى ظل حب حنون ؟

لست أدرى ! وذاك سر عذابى ... وشقائى وغيـرتى وجنونى !

* * *

حدثيني عن الأمانى التى كا ... نت ... وزالت لما عرفت شؤونى

حدثيني ما سر تلك الأمانى ؟ ... ولماذا تدرينها أنت دونى ؟

حدثيني علام صمتك عنى ؟ ... بعد ما بحت بالذى يضنيني ؟

ولماذا زعمت أنى سعيد ... وشقائى مسطر فى جبينى ؟

أسعيـد من كان يحيا أسيرا ... مثل طير معذب مسجون ؟

أسعيد من كان يحيا بعيدا ... عن ديار الهوى ، ومهد الفتون ؟

أسعيد من كلما رام شدوا ... لم يفض قلبه بغير الأنين ؟

ويح قلبى ! ماذا صنعت بقلبى ... يوم أحرقته بنار الشجون ؟

جئت أبغى الهوى ، وما كنت أدرى ... أننى عائد بقلب طعين !

يا غراما وهبته كل عمرى ... فطواه ، وقال : لا يكفيني !

وفى الكتاب لمحات دقيقة ، ونقدات لاذعة لبعض البدع كبدعة طواف الميت ، وهو يحمل على الدراويش حملة عنيفة ، كما يصف بعض خطباء المسجد وصفا لطيفا مضحكا

وقصارى الأمر أنه لولا ما فى الكتاب من إفحاش لكان من الكتب التى يجب أن تنشر وتذاع ، ومع ما فيه فهو فى النواحى التى ألممنا إليها وثيقة لها قيمتها

علي العماري

٣٦٠٣٥

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

فلم « ظهور الإسلام » :

عرض أخيرا في سينما استديو مصر بالقاهرة ، فلم « ظهور الإسلام » الذي أخذ من كتاب « الوعد الحق » لمعالي الدكتور طه حسين باشا ، وقد أخرجه الأستاذ إبراهيم عز الدين ، وشاركه المؤلف في إعداد « السيناريو » ؛ وانفرد معاليه بكتابة الحوار باللغة الفصيحة ، لغة طه حسين العربية المبينة العذبة الرشيقة

يبدأ الفلم بظهور إخوة ثلاثة يبحثون عن أخ لهم فقدوه ، فلما يئسوا من العثور عليه لم يروا بدا من العودة إلى دارهم بتهامة اليمن ، ومروا بمكة وقد أضناهم الجهد ، فنزلوا بها ؛ فرآهم أبو حذيفة بن المغيرة المخزومي ، فدعاهم إلى داره حيث نزلوا في ضيافته وكانوا موضع إكرامه ؛ وقد وكل بخدمتهم أمة سوداء ناضرة الشباب ، هي سمية بنت خياط ، وقد أقبلت الفتاة على خدمة ياسر بن عامر — وهو أحد الثلاثة — خاصة في خفة ونشاط ، فوقع حبها في نفسه ، وحببت إليه الإقامة بمكة ، فخالف أخويه وتخلف عن الرحيل معهما . وفي مآبه من توديعهما التقى بأبي حذيفة قريبا من المسجد ، فأنهى إليه أنه آثر الإقامة بمكة في أمن الحرم وجوار البيت . وتم الأمر بينهما على الحلف ، إذ يكون ياسر في حماية أبي حذيفة ويكون حربا على من حارب وسلما على من سالم . وعبر خمس وثلاثون سنة ، وإذا نحن نرى مع ياسر وزوجه سمية وولدهما الشاب عمار بن ياسر يحدثهما بحديث وضع الحجر الأسود عندما اختلفت قريش على من ينال شرف وضعه ، فحكموا أول داخل عليهم فكان محمدا الأمين الذي افترش رداءه ووضع الحجر فيه لتأخذ كل قبيلة بطرف منه ... إلى آخر القصة المعروفة . ثم تظهر الدعوة الإسلامية ، فنرى

كم تمنيت لو نسيتك ، لكن
كيف أنسى ، وأنت في تكويني ! ؟
صدقيني يامن صنعت عذابي
ونسيت الهوى ، ولم تذكريني
وزرعت السهاد نارا بقلبي
وظلالا تنام حول جفوني
صدقيني لقد يئست من الحلـ
(م) ومن شجوه الذي يحتويني
صدقيني لقد يئست من الحب
(م) ومن ناره التي تكويني
وتمنيت حين هان على قلـ
بك قلبي وحبه ... أن تهوني !
بل تمنيت حين فاضت بي الأشـ
جان ، أن لم أكن ، وأن لم تكوني !
لا تلومي على الذي كان مني
واعذري ثورة الهوى ، واعذريني
واذكري حين قلت .. يا أنت ! .. يوما
أنني في هواك غير أمين !
قلت هذا حتى يقوم لك العذ
ر إذا شئت في الهوى أن تخوني
تستطيعين أن تخوني ، ولكن
أنت مهما فعلت لن تخدعيني
واسأليني عن النساء ، فعندي
بقلوب النساء علم اليقين
واسألي عني النساء اللواتي
كن يوما ملك ، وطوع يميني
اسأليهن تعرفي من صفاتي
أنني ملهم بكل دفين
واذهبي ! لا أريد منك وداعا
ودعيني فقد يئست .. دعيني
إن يأسا يريحني ... هو خير
من خداع الأوهام لي كل حين
ما غناء السراب عندي إن لم
يك يوما بمائه يرويني ؟

ابراهيم محمد نجا

ياسرا يغشى نادى مخزوم ، فيلقاه القوم بفتور ، ثم يتجه إليه عمر بن هشام ويغلظ له فى القول ، ويتبين أن سبب ذلك الفتور وهذه الغلظة أن عمار بن ياسر قد أسلم . ثم نرى عمارا وقد أخذ والديه اللذين انفتح قلباهما للإسلام قاصدين إلى دار الأرقم ابن أبي الأرقم حيث يجتمع رسول الله (ص) بمن هداهم الله إلى الدين القويم . وما يعودون إلى دارهم حتى يفاجئهم أبو جهل عمر بن هشام فى فتية من أحرار مخزوم ورقيقها فيغلوا أيديهم ويجروهم إلى حيث يحبسون ، ويشعلون النار فى دار ياسر . ثم نرى جمعا من قريش فى المسجد يتحدثون عن هذا الحدث الذى أتاه أبو جهل فى البلد الحرام الذى يأوى إليه الناس فيجدون به الأمن والسلام ، وينكر بعضهم على أبي جهل فعلته ، ويؤيده آخرون فيما ذهب إليه من تعذيب الرقيق والأحلاف الذين اعتنقوا الإسلام ، ليكونوا عبرة لغيرهم من ذوى العشائر التى تقوم دونهم إذا أرادهم أحد بمكروه

ويمعن أبو جهل فى التنكيل بآل ياسر ويذيقهم ألوان العذاب ، ويلح عليهم أن يذكروا محمدا بسوء وآلهة قريش بخير ، فيأبون كل الإباء ، فيقتل أبو جهل سمية ويلحق بها زوجها ياسرا ، ولكنه يبقى على حياة عمار ليذيقه العذاب

وتتسع حركة التعذيب فتشمل آخرين من المسلمين المستضعفين ، أرقاء وأحلافا ، كبلال وصهيب وخباب بن الأرت ، وكلهم يظهر الجلد ويصبر على العذاب

وتتوالى الحوادث فيبايع النبى صلى الله عليه وسلم أهل يثرب ، ويهاجر المسلمون إلى المدينة ، ثم يهاجر الرسول وصاحبه الصديق ، ويتبعهما المشركون ثم يعودون خائبين ، ويبلغ النبى وصاحبه المدينة فيتلقاه الأنصار والمهاجرون بالغبطة والاستبشار ، ثم تقع غزوة بدر ويقتل فيها أبو جهل ، ويعرض بعقب مناظر بدر ، منظر جيش المسلمين فى فتح مكة ودخولهم إليها من شعاب مختلفة وتحطيم الأصنام وصعود بلال إلى ظهر الكعبة يرفع صوته قائلا : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله

والذى ألاحظه — وقد قرأت كتاب الوعد الحق ثم شاهدت فلم ظهور الإسلام — أن الفكرة الأولى فى الكتاب أصابها بعض التحوير فى الفلم ، فقد تناول الكتاب جماعة من الأرقاء والأحلاف الذين يعيشون فى كنف سادة قريش بمكة ، تناولهم تناولا إنسانيا رائعا ، سبق التاريخ إليهم . . فإن التاريخ لم يعرفهم إلا عند بدء الدعوة الإسلامية ، أما مؤلف «الوعد الحق» فقد استمهل هذا التاريخ المعروف ريثما يرسل خياله إلى الوراء عشرات من السنين ، يتقصى الظروف والأحوال التى طرأ فيها أولئك الأخلاط على مكة ، ويعرض علاقاتهم بالبيئة الجديدة ، ويسوق حديث نفوسهم ومشاعرهم نحو السادة الذين يعايشونهم ، وهم أحيانا يرضون بشيم هؤلاء السادة وما يبسطون لهم من ظل فيحرصون على ولائهم والوفاء لهم ، وأحيانا أخرى — وهى كثيرة — يبدون الضجر والسخط على القيود التى يعانونها من الرق الظالم ومن أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية التى يحرمون بمقتضاها ما يستمتع به من لا كفاية لهم غير ما يعتبرونه من شرف المولد والنسب . وهم فى خلال ذلك يتوقعون تحول هذه الأوضاع ، وفيهم من أوتى علم ذلك عن طريق الأحبار فى خارج الجزيرة فهو يلزم هذا الحرم حتى تبزغ منه الشمس المرتقبة ... ثم تبزغ هذه الشمس فيهرع إلى دفئها أولئك الضعفاء ، وهنا يدخلون فى طورهم الثانى الذى عرفهم فيه التاريخ ، وهو طور الإيمان القوى الذى يحتمل عنف الإيذاء ويتقبل الاستشهاد فى غبطة وسرور ، ويأتى هنا التصوير الصادق البارع للعراك بين الأرستقراطية الشامخة الضالة وبين الإنسانية الضعيفة فى أصلها ، القوية بإيمانها المهتدية إلى صراط الحق المستقيم . أما الطور الثالث فهو تحقيق الله وعده للذين استضعفوا أن يمكن لهم فى الأرض ويجعلهم أئمة ، فقد انتصر الإسلام ، وساوى بين الناس ، لا فرق بين عربى وحبشى إلا بالتقوى ، وظفر أولئك المستضعفون بالحرية وبالمنزلة الاجتماعية الرفيعة ، فصاروا من أئمة المسلمين وولاة أمورهم وأهل الرأى فيهم ، بل ظفروا بما هو خير من ذلك كله ، وهو خلود الذكر وحسن الجزاء فى الآخرة

وقد أخذ الفلم من ذلك صوره على أوضاع مختلفة تهتم بإبراز دعوة الإسلام قبيل ظهورها ، وعند ظهورها وانتصارها ، ولم يهتم بالتتبع الإنسانى والاجتماعى لأولئك الأبطال بقدر ما اهتم بالظروف العامة ، فهو مثلا لم يبرز الثورة التى كانت مكبوتة فى نفوسهم تجاه الطبقة التى تسودهم ، ومجىء الإسلام للقضاء على أسباب هذه الثورة وتنظيم المجتمع على أساس جديد ، وقد اعتمد

الفلم فى تصوير الجو الذى قصد إليه على إظهار أولئك الأبطال بالقدر الذى احتاج إليه لا بالقدر الذين يحتاجون هم إليه فى التحقيق والتحليل على نحو ما فى الكتاب ، فلم يظهر غيرهم من أعيان المسلمين أمثال حمزة وأبى بكر وعمر ، فهؤلاء - أولا - لم يكونوا من غرض الكتاب ، ولو كان غرضه « ظهور الإسلام » ما أهملهم . أما ثانيا فلا يخفى أنه من غير السهل إظهارهم على الشاشة لاعتبارات يصفونها بأنها دينية ويمنون بذلك اعتراض « رجال الدين » وهنا مهزلة عقلية عجيبة ! كيف يباح تمثيل بلال وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وأمثالهم ، ثم يحظر إظهار حمزة وأبى بكر وعمر وأمثالهم . . ؟ ألم يسو الإسلام بين الجميع . . ؟ أليس لأولئك اعتبار كهؤلاء إن كان الاعتبار يمنع الظهور فى ثوب التمثيل ؟ إن معنى هذا التفريق أننا نستثمر تلك الجاهلية ونصطنع تلك الأرستقراطية ونعد أولئك الأبطال لا يزالون أرقاء ومستضعفين . . ؟

ومهما يكن من شىء فقد حقق الفلم غايته وصور ذلك الجو الذى قصد إليه أبدع تصوير وأروعه ، وكان جهد المخرج والممثلين فى ذلك ظاهرا رائعاً ، فمناظر الفلم وحركات الممثلين فيه وقوة تعبيرهم تنقل المشاهد إلى زمان الأحداث وأماكنها ، وتشعرهم جلالها وروعتها ، وخاصة مناظر التعذيب التى تبدو فيها الأجسام تعذب والوجوه مطمئنة إلى ما وعد الله ، لا يظهر عليها أى أثر للألم ، وقد مثلت غزوة بدر وصورت فى صدق وروعة من حيث تنظيم الصفوف والمبارزة ثم الاشتباك ورمى السهام الأقواس . . . الخ

ذلك ، ولم يكن من اللائق فى هذا الفلم أن تظهر راقصتان فى بعض أندية قريش ، ترقصان على نحو لا يتفق وجو الفلم والغاية التى يرمى إليها ، وهو فلم نظيف فلا تتفق نظافته مع هذا الرقص . على أن المنظر لم يكن موفقاً أيضا من ناحية الصدق الواقعى التاريخى ، فهو رقص مصرى عصرى ، وزى الراقصتين كذلك مصرى عصرى لا يميزه عن المصرية المصرية إلا السراويل

وثمة ملاحظة أخرى وأخيرة ، وهى أن الممثلين لم تكن تتغير سياهم فى الأعمار المختلفة ، وخاصة كوكا فى دور سمية ، فقد كانت هى إياها تقريبا فى شبابها وشيخوختها ، وكذلك كانت نضارة الشباب على وجه ياسر وهو فى شيخوخته ، حتى لقد كان أنضر من ابنه عمار . .

وبعد فإن هذا الفلم يكفر عن فن السينما ويضع كثيرا من أوزاره ، ونرجو أن يكون ظهوره فارقا بين عهد جاهلى قديم وبين مستقبل جديد قويم

تأبين عبد العزيز فهمى باشا

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية بتأبين المغفور له عبد العزيز فهمى باشا يوم السبت الماضى بدار الجمعية الجغرافية الملكية . وكان خطيبا الحفل معالى الدكتور طه حسين باشا وسعادة الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا

تحدث الدكتور طه حسين باشا عن الفقيد العظيم محللا جوانب شخصيته ونواحى حياته المختلفة ، ومما قاله معاليه : كان تلاميذه وأصدقاؤه يظنون أنه مخلد ، وكانت قوة قلبه وعقله تعينهم على هذا الظن ، فقد شاخ جسمه ولكنه ظل شاب العقل والقلب . كنا نسعى إليه حين عجز هو عن السعى إلينا ، فنسمع منه ما يمنحنا القوة والجلد . كان ذكاؤه لا حد له ، يفطن إلى دقائق الأشياء، ويفهم فى سرعة ، وقلما يخطىء فيما يفهم بسرعة ، وكان إذا اقتنع بشىء مضى إليه كالسهم ، كان لا يعوج فى تفكير أو قول أو عمل . امتاز فى أثناء الطلب وبعد التخرج فى الحقوق وفيما تولى من مناصب ، حتى إذا كانت الحركة الوطنية كان أسرع الناس للاستجابة إلى دعوة الوطن حين دعا أبناءه إلى الجهاد والكفاح ، وكان العقل المدبر فى الحركة الوطنية ، جاهد مع أصحابه ما وسعه أن يجاهد معهم ثم خالف بعض الشىء فلم يداهن ولم يعوج ، وإنما مضى فيما يراه حقا . كان فى خصومته عنيفا أشد العنف لأنه كان فى اقتناعه عنيفا أشد العنف . كان يرى رأيه قطعة من نفسه إذا سلم فيه سلم فى قطعة من نفسه ، ولم يسلم فى رأيه حتى أسلم نفسه للموت ، وكان عنيفاً فى حبه عنيفا فى بغضه ، يحب فيرى أن من يحبه كأنه قطعة من نفسه ، وإذا أبغض لحظ من يبغضه كحظ من يحبه فى العنف والتطرف . كان مثقفا كأوسع ما تكون الثقافة وأعمقها ، كان الناس يرونه إماما فى الفقه والقانون، ولكنه كان كذلك إماما فى اللغة والأدب، لم يكتف هو وصديقه لطفى السيد بما سماه فى المدارس وما سمعاه

من شيوخ الأدب ، بل كانا يقرآن ويدرسان . ولقد كان يدهشنا نحن المعممين — أن نراهما — وهما من الطربشين — يدرسان القرآن والتفسير دراسة تفطن وتعمق . وقد سمعته مرة يفسر سورة الطور لجماعة من أهل بلده ، وينبه إلى أسرار فيها لم يلتفت إليها أحد من المفسرين ، ويقول إن جو السورة يمتاز بالحركة السريعة والصور المتلاحقة ، وكان يمثل فى قراءته آيات السورة هذه الحركة . وأذكر أنى أهديت إليه نسخة من كتابى « جنة الشوك » عند ظهوره ، وفى اليوم التالى اتصل بى وقال إنه فرغ من قراءة الكتاب ويريد أن يلقانى ، فذهبت إليه ، وتحدثنا فعرفت أنه قرأ الكتاب من ألفه إلى يائه ، وأبدى ملاحظاته فيه وهى ملاحظات دقيقة منها ما يختص بإطناب حيث يحسن الإيجاز وإيجاز حيث يستدعى المقام البسط والتطويل ، ومنها ما يختص بوضع كلمة مكان أخرى . . . الخ، ثم دفع إلى النسخة وقد كتب هذه الملاحظات عليها ؛ كى أنظر فيها عند إعادة الطبع ، ولا زلت أحتفظ بهذه النسخة

ثم قال الدكتور طه باشا . إننا يوم شيعنا عبد العزيز فهمى إنما شيعنا الجانب الخير الممتاز من حياتنا ، فقد كان شطرا خطيرا من حياتنا المصرية التى يجب على الأجيال القادمة أن تدرسها لتنهج على منوالها

ثم ألقى سعادة الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا كلمته فى تأبين الفقيد ، فابتدأ بقوله : إن الرجل الذى نؤبنه اليوم كان يمثل جيلا كاملا ، بما ينطوى عليه هذا الجيل من علم ووطنية وأدب وثقافة وتفكير ، وإن جوانبه المتعددة كانت تصدر جميعها عن وحدة تتمثل فى شخصية قوية عنيفة ، إذا هى أحست قوتها امتلأت إباء وأنفة ، وإذا هى واجهت الأحداث التهبت عنفا وثورة . وكان فى الفقيد كبرياء وتواضع ، كلاهما يصدر عن أصل واحد هو هذه الشخصية القوية المنيفة ، ترفع رأسها تيها على الأقوياء ، وتخفض جناحها رحمة بالضعفاء . وبعد أن تحدث عن قوته وعنفه ومكافحته فى حياته القانونية والسياسية ، قال : وهو قوى عنيف مكافح فى حياته الأدبية والفكرية يوم نادى أن تكون الكتابة بالحروف اللاتينية ، ويوم ثار على مبدأ تعدد الزوجات ، ويوم نفر ممن قال إن القانون الرومانى مأخوذ من الفقه الإسلامي ، فعكف فى آخر حياته على الكتابة فى القانون الرومانى وهو أجف مادة فى القانون . وقال : كان الفقيد أديبا من ذلك الطراز الحر القديم ، له أسلوب عربى رصين عريق فى عربيته ، يصمد إلى الأصول الأولى من العربية ، ويحلق فى سماء الأدب كما هو مسطور فى كتبه الأصيلة ، وبقيت ملكة الشعر تختلج فى نفسه فيقرضه حتى فى أواخر أيامه

وأفاض سعادة السنهورى باشا فى الحديث عن حياة الفقيد القانونية وأثره فى المحاماة والقضاء وجهاده فى سبيل إلغاء الامتيازات الأجنبية وما تخلل ذلك من مواقفه المظفرة المشرفة ، ثم اختتم هذه الكلمة الفياضة بقوله : كان الفقيد يؤمن بالله إيمانا عميقا ، ولكنه كان يؤمن بقلبه وبعقله ، وهذا هو إيمان الرجل المفكر القوى ، يتحدى به إيمان الرجل المستسلم العاجز . والآن وقد رحل إلى عالم الخلود ، أتراه كشف عن هذا السر المستور الرهيب ، الذى كان يجيل فيه عقله القوى ، فلا يكاد يهتدى إلى شئ بغير معونة من قلبه ، أم تراه علم أن هذا العقل البشرى لا غناء فيه لدى عالم قيم الأشياء فيه وطبائعها تغاير ما عرفناه بعقولنا من قيم وطبائع . كان الفقيد يمثل جيلا كاملا مباركا على مصر ، باكورته محمد عبده زعيم النهضة الدينية ، وسعد زغلول زعيم النهضة الوطنية ، وقاسم أمين زعيم النهضة الاجتماعية ، وكان هو من خواتيم هذا الجيل ، زعيم النهضة القانونية

منوط به ومناط به :

قرأت ما كتبه فى العدد الماضى من « الرسالة » الأستاذ محمد محمد الأبشيهى ، منكرا على قولى : « وها قد صار الأمل كله مناطا بالحكيم » ذاهبا إلى أن كلمة مناط لم تصح فى اللغة العربية بهذا المعنى وأن الصحيح « منوط به » فقط ، مستندا إلى ما رأى فى المصباح المنير والقاموس المحيط من ورود الفعل « ناط » ومشتقاته دون « أناط »

وإنى أشكر له تحيته وأدبه فى المناقشة ، وأقول : ليس من السهل أن يحكم المرء بأن كلمة ما لم تصح فى العربية ، وليست اللغة كلها فى المصباح المنير والقاموس المحيط . جاء فى أقرب الموارد : « أناط به إناطة : علقه » وجاء فى المنجد : « أناطه إناطة بكذا : علقه » فمناط من الفعل « أناط » الوارد فى هذين النصين ، ولا حرج

عباس خضر



حول النحت الفرنسى المعاصر

للأستاذ أحمد محمد حسنين

منذ أسابيع قليلة أتيح لنا أن نشاهد معرضا للنحت فى قاعة « اللابسيه فرانسيه » تضمن مجموعة غير قليلة من أعمال النحاتين الفرنسيين المحدثين وبعض أعمال طائفة من النحاتين المصريين . والأمر الذى يثير الدهشة حقا هو عدم احتفال معظم نقادنا و كتابنا بالكلام - مجرد الكلام - عن النحت الفرنسى بالرغم من أن فرصة مناسبة قد سنحت للمقارنة بينه وبين النحت المصرى . ونود قبل أن نجرى حديثا عابرا عن النحت الفرنسى المعاصر أن نوجه الشكر إلى معالى الدكتور طه حسين باشا صاحب الفضل الأول فى تهيئة هذا المعرض النادر . ولعلنا فى غير حاجة إلى التكلم عن عراقة فن النحت والتطور الذى أصابه على مر العصور نتيجة للتطور الاقتصادى والاجتماعى الذى عرفته شعوب العالم . ومن المعروف أن المذهب « الكلاسيكى » قد ظل سائدا خلال القرن الثامن عشر ، وأن الثورة الفرنسية قد أثرت فى النحت تأثيرا كبيرا على نحو ما أثرت فى سائر الفنون والآداب وإن المثال الفرنسى « ريد » ليجئ فى مقدمة المثالين الذين استجابوا للأثر العميق الذى أحدثته الثورة فى النفوس . وإنا لنلحظ ذلك - بصفة خاصة - فى تمثاله المعروف « سفر المتطوعين » الذى يجسد بعض شخصيات عصره ويحملها بالرمز لكى يؤكد فكرة مستوحاة من الثورة الفرنسية . ولقد كان القرن التاسع عشر أحفل عصور التاريخ بالنشاط الفنى المتعدد المذاهب والاتجاهات ولئن كانت التماثيل ذات الموضوعات التاريخية قد سيطرت فى ذلك الحين - بدلا من التماثيل ذات المضمون الأسطورى - فليس من شك فى أن حركات التجديد قد ولدت خلال هذه الفترة أيضا . ولقد بذل الكثيرون من النحاتين أمثال « دالو Dalou » و « رودان Auguste Rodin » أعظم مجهود فى سبيل ربط النحت بالحياة ومشاعرها المميقة بدلا من التاريخ وأحداثه العامة ، وإن روح هذا المتجه قد أثرت فى كثير من المثالين وفى مقدمتهم « فريمييه Frémiet » و « بورديل Bourdelle » وأخذ عنصر « الحركة » يظهر فى المنحوتات حيث وصل إلى أقصى غايته فى تماثيل وتصاوير المصور المثال « إدجار ديجا Edgar Dega » . وبالرغم من وجود أنصار للمدرسة الفرنسية التقليدية التى تنشد مثالياتها فى الفن الإغريقى بجماله ورقته واتصاله الشديد بالطبيعة ، أو الفن الرومانى بمظهره القوى المترف، فقد ظلت حركة التجديد مستمرة قوية شديدة الطموح لا تقف عند حد . ومن الصعب أن نحصى أسماء المجددين ونوضح مقومات فنهم ، ولذلك نكتفى الآن بمجرد إشارات سريعة إلى بعض هؤلاء الفنانين .



تمثال من البرنز — دالو

فهناك النحات الرسام فرانسوا إتيان كابتيه (وقد مات حوالى سنة ١٩٠٢) الذى أنتج عدة تماثيل معبرة عن مختلف الأفكار والعواطف والحالات النفسية ونذكر من بينها تماثيل « آدم وحواء ، والطوفان الأخير ، واليأس » . وهناك المثال

« جوست بيكيت » (وقد مات حوالى سنة ١٩٠٧) الذى نبه ذكره منذ عرض بعض تماثيله فى معرض « الصالون الفرنسى » حوالى سنة ١٨٥٧ ، والذى حاول فى عدة تماثيل أن يستلهم الفن الفرعونى ويزاوج بينه وبين الفن الحديث وذلك بإدخال عنصر الحركة . وأما المثال الشهير « أوجست رودان » فمن الأسماء التى أكدت وجودها فى عالم النحت . فمنذ عرض تمثاله « الأنف المكسور » حوالى سنة ١٨٧٠ أثار عاصفة من الجدل لم تلبث أن اشتدت حين عرض تمثالى « القبلة » و « يد الله » . ولقد وجهت إليه أعنف سهام السخرية وأقسى أحكام النقد ولكنه لم يعبأ بشئ ومضى فى عناد يحقق وجهة نظره فى النحت . كان « رودان » مشغوفا بالتعبير لا بالجمال فحسب ولذلك فقد كان يجسم — وقد يبالغ — عواطف البشر ومشاعرهم وأفكارهم العميقة . وهو بعمله ذاك يصنع « الشخصية » فى النحت . وهى شخصية بطولية إن لم تقم بطولتها على العضلات المفتولة والجسد المتين البناء (على نحو ما نجد فى تماثيل ميكل إنجلو) فقد قامت على تعبير نفسى أو فكرى يرهق الكائن البشرى



تمثال من البرنز — أوجست رودان

وأما المثال « أنطوان بورديل » فقد بدأ حياته الفنية متأثرا بنفوذ أستاذه « فالجيير » ثم لم يلبث أن خرج عليه وثار على الفن « الأكاديمى » . وأخذ يعمل مع المثال « رودان » منذ عام ١٨٩٦ ثم مضى فى النهاية يحقق أسلوبه الشخصى الذى يميل إلى البناء « Construction » وفى نفس الوقت يعطى صورة هندسية لما يحتفظ به المثال من ظلال رومانسية . وهو لم يتخل عن عنصر الحركة وعن كل ما هو « درامى » ولكنه يحقق التوازن فيما يختار من العناصر والقيم الفنية



حامل الماء — تمثال من البرنز لبرنار جوزيف

أما « أرستيدل مايول Maillol » أستاذ النحت المعاصر الحقيقى — فهو يركز كل مواهبه فى « البناء » على نحو يؤكد الإحساس بعناصر الحياة الأصيلة فى الكون ، وفضلا عن ذلك فهو يقيت قيم النحت الأساسية التى أدركها الفراعنة والإغريق . لقد استطاع فى براعة أن يضع الحد الفاصل بين القديم والجديد، وأن يمهد السبيل الحقيقى للنحت الحديث وساعده على ذلك ميله الشديد « للفورم » القوى . وإنه ليخضع — كما يقول الأستاذ . أ . هربلان » بتواضع لاحترام قوانين عالم النحت

ونستطيع أن ندرك قيمة التجديد الذى أعلنه القرن العشرون حين نتأمل مجموعة تماثيل الفنانين المعاصرين أمثال جوزيف برنار

و « بومبو Pompon » . والأول قد مارس التشكيل المباشر على نحو جديد شـديد التأثر بالاتجاه المصرى . والثـانى أكثر جرأة وأقل احتفـالا بالقيم الكلاسيكية ، وهو قد ذهب بعيدا منذ أرجع « السلويت » الحيوانى إلى أوضـاعه المبسطة فسـاعـده ذلك على الانتقـام من التجسيم الأولى إلى التجسيد الهندسى وإلى المناظر التخطيطية . والحـــق أنه قد اختار الموضوعات المناسبة تماما لأسلوبه القائم على التبسيط .... اختار بعض الطيور كالدجاجة والوزة ـ فى أكثر وضعاتها ألفة وأقلها « دراماتيكية »

ولئن كان هؤلاء الذين أشرنا إليهم قد وضعوا أسس التجديد فإن أمثـال « زادكين Zakine وليبشيتز Lipchitz ولورا Laurens وجارجالو Gargallo » قـــد حاولوا الوصول إلى أبعد آماد التجديد . فهم قد نفروا من كل ما هو محسوس وأعرضوا تماما عن الحياة الحسية وآثروا مجال الاطلاق « لفن عقلى بحت » . ويرى « هربلان » أن استعمالهم مختلف الخامات (كالحديد والصلب المضروب والخيوط المعدنية) قد سهل عليهم إنتاج ما سماه « بالتركيبات المجانية » (أى التى لا هدف لهـا) . وإنه ليرى ـ أيضا ـ أن تأثيرات التـكعيبية والفن الزنجى مما قد جعلت بعض الفنانين يميلون إلى اعتبـار النحت من مسائل « التشكيل البحت »

ومهما يكن الأمر فإن استعمال هـذه الخامات الجديدة (فى النحت) قد أظهر هذا النوع من النحت الذى لا يشغل مسافة ثابتة فى الفضـاء وإنما يترك الفضاء لينساب من بينه . ويقول هربلان « إن النحت الشفاف الذى نراه عنـد « ليبشيتز » والأشـكال المفرغة عند « زادكين » لا تستبعد الغنـائية ولا الروحية ، بل إن تمثال « النبى » القفصى الصنع (لجارجالو) يعتبر من الروائع . ويضيف « ويبدو أن بيكاسو ـ وهو الرسام العجيب ـ قد اختار أن ينسى عبقريته ليقتصر على استثارة ما هو واقعى وممكن الحدوث ، وذلك فى تركيباته اللغزية وبواسـطة تفصيل واحد موحى كمين أو خـد أو أنف ممسوح أو سـاق تخرج على المعقول فى نسبها ...

ويبقى العقل حائرا أمام هـذه البحوث التى لا تجد فيها الحواس حقهـا المشروع ... وحتى العقل لا يتقبل النتائج إلا فى شكل إحصائى وباعتبارهـا نتائج مرحلية لا آثارا فضلا عن أن تـكون آثارا رائعة » وعلى الجملة فإن النحت الفرنسى قد قفز فيما بين ١٩٠٠ — ١٩٥٠ قفزة غير عادية لعل الأذهان « العامة » لم تتهيأ بعد لفهمها ... لقد انتهى عهد النحت النظرى والمطابق للطبيعة وكذلك النحت التشكيلى البحت ، وجاء عهـد النحت الذى يطلقون عليه اسم النحت « الموسيقى المتحرك .. ؟ » .

ومهما يكن الرأى فى هذا النحت الجـديد فهو قد أعطى للفـكر فرصة لم تتح له من قبل . ونرجو أن نعود فى فرصـة أخرى إلى تفصيل موضح .

أحمد محمد حسنين



أحبب حبيبك هونا ما

كتب الأستاذ محمد عبد الله السمان فى الرسالة يقول ، إن كلمة أحبب حبيبك هونا ما . . هى حديث شريف رواه الترمذى عن أبى هريرة ، وذكر أنه نقل ذلك عن كتاب إحياء علوم الدين للامام الغزالى . ونحن نقول ان هـذا الحديث رواه غير الترمذى عن أبى هريرة وغيره ولـكنهم تكلموا فى كثير من رجاله . ويبدو أنه من قول على رضى الله عنه فقد رواه عنه موقوفا الدارقطنى وابن عدى والبيهقى

وقد جاء عن الحسن : انتقوا الأخوان والاصحاب والمجالس ، وأحبوا هونا ، وأبغضوا هونا فقد أفرط أقوام فى حب أقوام فهلـكوا ، وأفرط أقوام فى بغض أقوام فهلـكوا ، وإن رأيت دون أخيك سترا فلا تكشفه .

وفى كتاب الإحياء كثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة المنصورة

محمود أبو ريۃ

تعقيب على نسبة بيت

عقب الأستاذ محمد الجندى على الـكلمة « طرابلس وليست ليبيا » المنشورة بعدد الرسالة الغراء السالف بشأن نسبة بيت المتنبى الذى ورد بها ، وأن المراد بطرابلس المذكورة فيه إنما هى طرابلس الشـام الخ ، وكنا نود من الأستاذ الـكاتب أن يذكر لنا المصدر التاريخى فى تصحيح هذه النسبة حتى نطمئن إلى ما يقول . وإذا كان قد عثر على هذا النص فعليه أن يقوم بمقارنة بينه وبين ما ورد فى معجم البلدان ليخرج منها بمقدمات تنتج هذا الرد أو العدول عنه . فياقوت أورد هذه الأبيات وهو بصدد ذكر طرابلس الغرب . وذكر أنها مقولة فى الممدوح المذكور المغربى ، لا أبماهى آل خلـكان الشامى . وكنت أحب للمدرس الفاضل — وهو بسبيل الرد على النصوص التاريخية — ألا يبنى تمايفه على مجرد الحدس والتخمين . وأخيرا تحياتى إليه

مختار محمد هوابسه

تصويبات لغوية

١ — يقف بعضهما لبعضه بالمرصاد

.. هذا تصويب عبارة للأستاذ الـكبير أبى الفتوح عطية فى مقاله عن « إيران » بالعدد (٩٢٨) ، وقد أوردها هكذا : « ذلك أن روسيا وانجلترا اتفقان لبعضها بالمرصاد » . . وأحب أن ألفت النظر إلى أن هذه غلطة شائعة تصدر كثيرا عن أقلام الـكاتبين ، فلا معنى لأن يقال : إن روسيا وانجلترا ـ مجتمعين تقفان لروسيا وحدها ، أو لانجلترا وحدها ، وإنما يقف بعضها لبعض) . .

٢ — حيثما تول وجهك تر الجمال

. . هكذا توجب قواعد اللغة بحذف الياء من (تولى) وحذف الألف من (تر) لأنهما فعلا الشرط وهما مجزومان بحذف حرفى العله ، وبهذا يتضح أن تعبير الأستاذ أنيس الحورانى فى مقاله عن « الطبيعة » فى هذا العدد المذكور خطأ إذ قال « حيثما تولى وجهك ترى الجمال » وصوابه ما قدرأيت . .

٣ — وإنما الخالدون نحن يا غانية

.. هذا بيت من الشعر ورد فى قصيدة الأستاذ محمد الفيتورى بالعدد المذكور وقد سقطت منه (يا) النـداء ، ووزن البيت يقتضيها كما رأيت ، لأن القصيدة من بحر (المنسرح) المجزوء العروض والضرب فوزن البيت (متفعلن مفعلا) فى كل من الشطرين ، وإسقاط (يا) يكسره كما يفقه ذلك من له دراية بعلم العروض . .

محمد محمد الأبشيهى



يوم المعجزات

للشاعر الألمانى : هنريك هاينى

بقلم الأستاذ عبد اللطيف حسين الأرناؤوط

... أطلت الأم من النافذة ، ومدت طرفها إلى الطبيعة الهادئة الساكنة وتمنت لنفسها الطمأنينة والسكينة . وكادت أن تتمتع بهما لولا ابنها الوحيد الذى أخذ يتقلب على سرير الحسرة والألم بعد ما فقد الأمل والرجاء من مليكة قلبه ومسرة روحه التى كانت هدفه فى هذه الحياة ...

إنه شاب فى مقتبل العمر ... دغدغ الحب بأنامله الناعمة أوتار قلبه لأول مرة ، شأن كل شاب عندما يفتح عينيه لحياة جديدة ... حياة الحب ... فيلمس أن قوته تنهار ويشعر أن عزيمته تهن أمام هذا الهيكل الجبار الذى لم يدع قلبا من الجنسين إلا توغل فيه واستقر فى إحدى زواياه هادئا ... مستكينا . فلا يشعر المصاب به إلا بعد ما يفارق حبيبه ... عندئذ يحس كأن كابوسا جثم فوقه فملك عليه حواسه . .

ولم يطل مكوث الأم أمام النافذة حتى أحست أن ابنها الوحيد « ولهلم » قد استيقظ من سباته العميق ... وابتعد عنه ذلك الكابوس الذى استولى عليه سواد الليل ... ولم يفارقه بالرغم من المحاولات التى بذلتها نحوه . .

وسارت إليه بخطى وئيدة واقتربت منه واقتعدت كرسيا بجانب السرير وسألته بصوت ملؤه الحنان والرأفة بعد ما أوشك الدمع أن يطفر من عينيها الذابلتين :

أى بنى .. ألا يمكنك أن تنهض ؟ ها هو الصباح قد تغلب على ظلام الليل بجيوشه البيضاء . .

ماهو قد أخذ يلوح لنا بشعاعه الرقيق . لنا نحن التعيسات حيث نشارك الليل مخاضه ... وقلوبنا تقف حائرة بين أضلعنا . . لا ندرى ما يخبىء لنا الدهر . وما يضمره الغد

هاهى تباشيره تبدو على الأفق البعيد ... ألا يمكنك أن تخرج معى « ياولهلم » ألا تستطيع أن تشارك الطبيعة بهذا اليوم . . ؟ إنه يوم مفعم بالمسرات والمعجزات ... فهو عيد الاله العظيم ، عيد الجمال . عيد الحسان . عيد المعجزات والخوارق . .

لا يخفى عليك يا بنى أنه سيمر موكب الكهنة من الشارع القريب منا ... وستشاركه فرق الموسيقى ... وستصدح بموسيقاها العذبة وألحانها الندية حتى تحيي فى قلوب العذارى الطاهرات أملا وعزيمة لاستقبال الحياة الباسمة ... ولتبعث فى نفوسهم رجاء للمضى فى سبيل العيش الهنىء . .

هؤلاء العذارى اللواتى حباهن الله بالطهر ، وألبسهن رداء العفة ، سيمررن اليوم وعلى يد كل واحدة منهن سلة ملئت بالورد والزهر ... كى تنثره على الجماهير التى ستحتشد على جانبى الشارع إكراما لهذا اليوم . . وتبجيلا للعيد العظيم . .

حاول يابنى . . حاول أن تنهض . حاول أن تقف على قدميك ، حتى يبسم قلب أمك ويضحك فؤادها المكلوم . . فأنت قرة عينها الوحيد بعدما ترملت بعد أبيك . . أنت البلسم الشافى لجرح أمك العميق الذى لن يندمل من حزنها وألمها على أبيك . . فلا تدع الحسرة تستقر فى قلبك . هذه الحسرة التى جعلتك طريح الفراش ، حسرة الحب والهيام . .

فأجابها « ولهلم » بصوت تكاد الزفرات تخنقه : بالله عليك . . يا أماه دعينى . . دعينى وشأنى . . فليس فى مقدورى أن أنهض . . ولا أريد أن أسمع شيئا ، لأننى أكاد لا أفهم ولا أميز أى شىء . . كأننى يا أماه أرى النور ظلاما . . وأشعر السرور عذابا . . إذ أحس بنار تتأجج فى صميم قلبى . نار خفية لا أدرى ما كنهها . . ولا أعلم ما سببها إلا أننى أعتقد أن مصدرها موت حبيبتى جريتش . جرية . .

وكاد الصوت يخونه عندما لفظ اسمها ولكنه تمم مردفا : أنا اليوم يا أماه . لا أفكر إلا بها . . فبموتها قد أظلم عالم الحياة الهنيئة عالم الحب البهيج ، وأقفرت وديانه ، وتبددت أخيلته ،

وافتضحت أوهامه . فاستحال مقبرة موحشة لا حياة فيها . . وذلك بعد ما غادرتني حبيبتي إلى دنيا السعادة الهانئة ، وتركتني على فراش الألم والحسرة

وما إن سمعت أمه ذلك حتى تسرب إلى قلبها الخوف والهلع وغمرها الأسى . فصاحت من أعماق فؤادها : ولهلم . . رحمة بقلب أمك ، ورأفة بحياتها . . أنت عزاؤها الوحيد . أنت هناؤها وسعادتها . رفقا بأمك . . انهض . . وتوكأ على ذراعي وجرب أن تخرج معي حاملا مسبحتك البراقة ومرافقا كتاب الصلاة . . انهض كي نذهب ونرتل معا . ونصلي أمام هيكل الله . . فهذا هو الموكب قد حان وقت خروجه، موكب العيد.. عيد الاله العظيم . . الذي لا ريب أن يرحمك اليوم . . ويعطف عليك . . ويشفيك من مصابك الأليم . .

هيا انهض ياولهلم .. ها هي الموسيقى قد ارتفعت في الأجواء . وأخذت تشنف الآذان .. ها هو ذا الموكب يقترب من الشارع ..

وشعر ولهم كأن قوة خفية توغلت بنفسه بعد ما أنصت لحديث أمه فتحامل على نفسه وجمع فلول قوته .. وأستند إلى ذراع أمه .. وخرج برفقتها من البيت . بينما كانت الشمس تتهادى في صفحة السماء وهي تلقى على الطبيعة أشعتها الناعمة كأنها توقظ السكون وتبعث فيه الحياة من جديد .

كانت الأعلام المقدسة تتراءى من بعيد وهي تخفق وتترنح في الفضاء كأنها تحيي الجماهير المحتشدة المتحمسة لهذا اليوم العظيم . . فقد غادرت منازلها وخرجت إلى الشارع زرافات ووحدانا وأخذت ترتل الأناشيد بينما كانت الموسيقى تصدح مرافقة أصواتهم فتمتزج بها في الفضاء وتسير مع الأثير إلى أن تستقر أخيراً في آذان الجماهير فتبعث فيهم روحاً فياضة بالنضال والكفاح والأمل . وأبت أفواج العذارى الطاهرات الا ان تشارك الموكب كعادتها لتنثر الورود والزهر على الناس وتوزع الابتسامات العذبة عليهم ..

انه يوم العيد . . يوم فريد في حياة الأمة .. بل في حياة ولهلم المسكين . وفي حياة هؤلاء العجزة والمرضى الذين ابتاع كل فرد منهم شمعة من كاهن ثم أوقدها وتأهب لغرسها في الحوض الرملي الواسع الذي أقيم في الساحة الكبرى تجاه هيكل الاله العظيم . .

كانت الأم تشق طريقها بين الجموع الزاخرة بعدما ابتاعت شمعة ناصعة البياض وقدمتها إلى وحيدها وقالت له :

خذ ياولهلم هذه الشمعة . . وأوقدها ثم اغرسها في الحوض الرملي تجاه الهيكل العظيم . . ثم صل هناك ، وابتهل إلى الله واجث أمامه فلا بد من أن يستجيب لك فيشفيك من سقمك . لابد يابني في هذا اليوم الأغر . . في هذا اليوم المقدس من أن تظهر المعجزة . . معجزة من معجزات الاله الرائعة . . فيريحك من عذابك وينقذك من مرضك . . وتناول ولهلم الشمعة من يد أمه شاكراً لها صنيعها وارشادها وانطلق بها صوب الهيكل . . فأوقدها وغرسها في الحوض الرملي الواسع كما أشارت عليه أمه.. وجثا على الروض المشوشب . . وأخذ يبتهل إلى ربه ويناجيه بقلب محطم .. بينما كانت الدموع قد أخذت سبيلها إلى الانطلاق.

الهي ... لقد ماتت حبيبتي .. وغادرتني بعد ما سلبت مني السعادة والهناء .. فتركتني في دنيا مظلمة ..

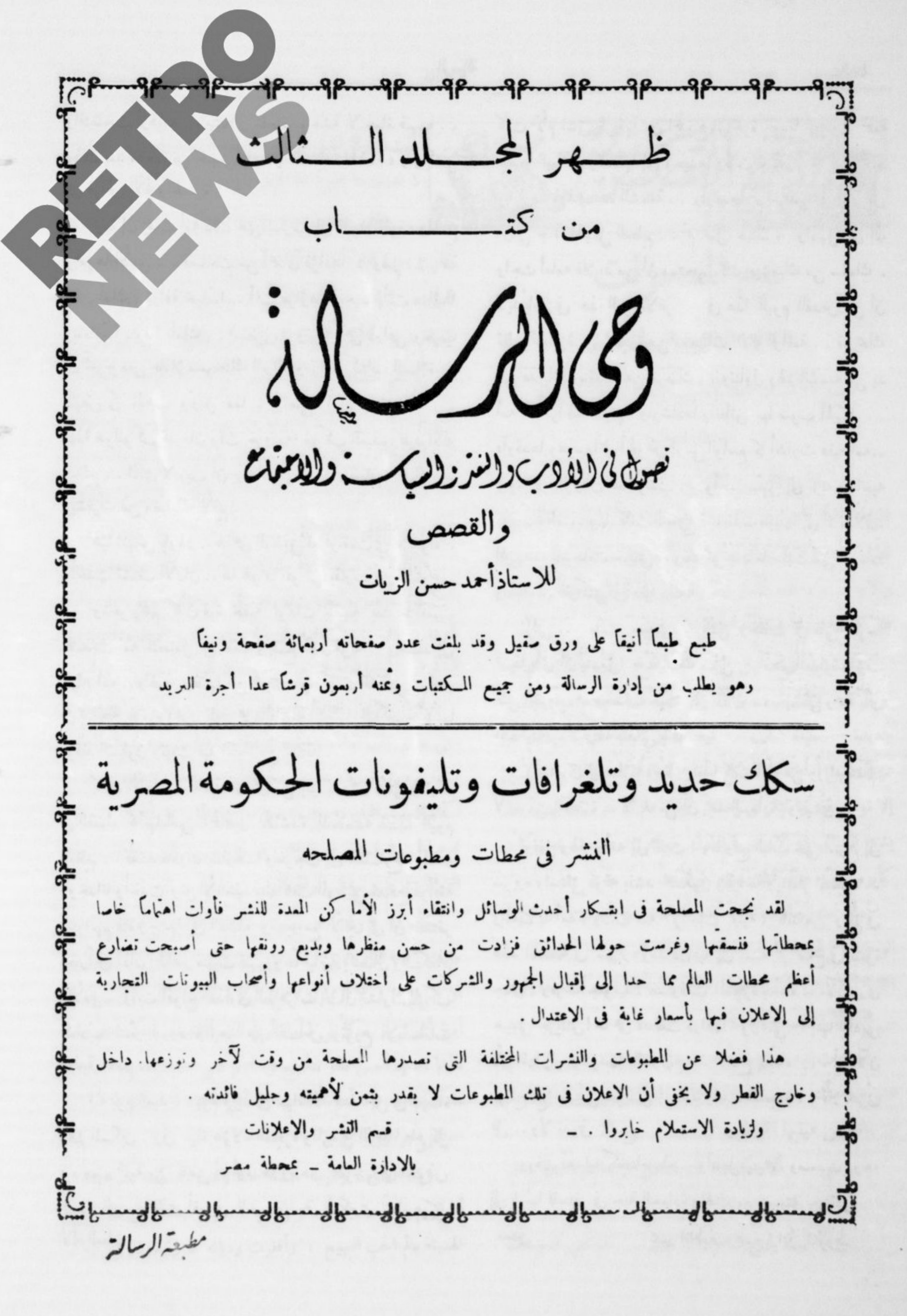
إلهي ... ماتت حبيبتي جريتش وخلفت في قلبي جرحاً عميقا يأبى أن يندمل .. فباسمك يا الهي ... اصنع المعجزة واشف قلبي الجريح . وخذني حيث هي الآن ... إشفني رحمة بأمي المسكينة .. لا رحمة بنفسي يا الله ...

واستغرق في صلاته فترة ... بينما كانت الأم من ورائه تتمتم: لا بد من المعجزة .. لا بد من أن تجد السعادة ياوحيدي ..

وقفل ولهلم وأمه إلى البيت ؛ وما ولج الباب حتى أسرع إلى سريره واستلقى فوقه ينشد السكون والراحة وينتظر المعجزة . . ولحقت به أمه ، ودنت منه ، وانحنت عليه ، فانتفض ولهلم في هذه اللحظة في سريره ومد ذراعيه إلى أمه ثم صاح في نشوة جذلى . وفرحة جنونية : لقد وقعت المعجزة يا أماه .. الآن أرى حبيبتي جريتش! ها هي قد لفت ذراعها حول عنقي ... إنها تناديني لأرافقها إلى فردوسها العلوي . . . الوداع يا أماه . . . أنا الآن مرتاح مع حبيبتي جريتش : . لقد وقعت المعجزة . . فلا تحزني علي .. ولا تذرفي الدمع . .

ورفت أهدابه كجناح طير .. وأسبل عينيه .. وصعدت روحه إلى بارئها لتستقر في جنة السعادة والهناء مع حبيبته جريتش ...

دمشق — عبد اللطيف حسين الأرناؤوط



مطبعة الرسالة

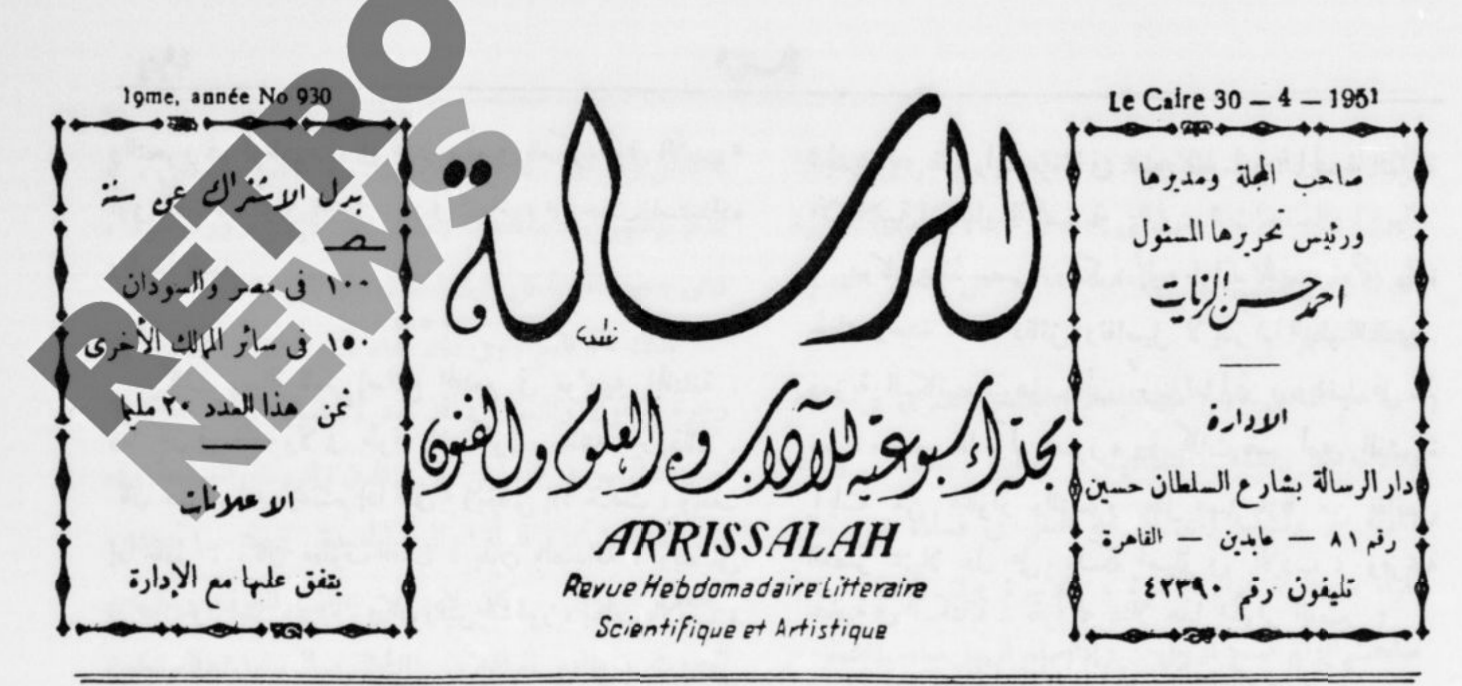


العدد ٩٣٠ — ٣٠ إبريل سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد


RETRO
NEWS



العدد ٩٣٠ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ رجب سنة ١٣٧٠ — ٣٠ إبريل سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة»

قاسم أمين*

أول ديسمبر سنة ١٨٦٣ — ٢٣ ابريل سنة ١٩٠٨

بمناسبة ذكراه المئوية

في مثل هذا اليوم من عام ثمانية وتسعمائة وألف انتقل إلى دار البقاء المصلح العظيم قاسم أمين بعد أن قضى في هذه الحياة أربعا وأربعين سنة يستعد للكمال النفسي الذي تهيأ له بفطرته، ويدعو إلى الكمال الإنساني الذي اتجه إليه بفكرته. وكانت الفترة التي نشأ فيها بعد هزيمة المصريين وانتصار المحتلين أشبه شيء بالفترة التي تأخذ من أواخر الشتاء وأوائل الربيع، فيها الخدر والبرد والجدب، ولكن فيها أطرافا من الحس والدفء والخصوبة؛ فالشعب كان يعاني من عواقب الأزمان السود التي أتت عليه، ومن رواسب الأجناس السوء التي عاثت فيه، ألوانا من الجهل والذل والفوضى جعلته يستكين لعوامل الفساد في الخلق والعقيدة والثقافة والمجتمع. فالحكم أهواء وشيع، والدين أوهام وبدع، والعلم قشور ومسخ، والأدب تقليد وزخرف، والرجال آلات للعمل والانتاج، والنساء إماء للخدمة والمتاع، والسلطان المحتل يصرّف أمورنا على مشيئته، والمال الأجنبي يستغل مواردنا لمنفعته. وكانت البراعم التي بكرت إليها حياة الربيع فتفتحت عن الشعور والوعي تتمثل في الرواد الأولين: جمال الدين، ومحمد عبده، ومصطفى كامل، وسعد زغلول، وقاسم أمين، ولطفي السيد، وعبد العزيز فهمي، فشعروا أول الناس بالأدواء التي قعدت بالأمة عن النهوض، فجاهد كل منهم وقاد في الميدان الذي خلق له وظهر فيه.

ومما عمّق فيهم هذا الشعور وقواه، نبوغ أكثرهم في القانون والأدب، وتفوق بعضهم في الدين والفلسفة، وأخذهم بنصيب من ثقافة الغرب، واتصالهم بأقطاب الفكر في فرنسا وإنجلترا، ووقوفهم على تلك الحملة المنكرة التي شنها أبالسة الاستعمار على مصر والعرب والإسلام، فنهض جمال الدين لإرنست رينان، ومحمد عبده لهانوتو، وقاسم أمين لدوق داركور، فدافعوا بالحجج الملزمة ما لفقوا من أباطيل وأنكروا من حقائق. فلما بلغوا المآخذ التي أخذها الخصوم علينا بالحق، حملهم الإباء القوي على أن يأخذوا عليهم أشباهها في مجتمعاتهم ومعتقداتهم، كالمقابلة بين تعدد الزوجات هنا، وتعدد الخليلات هناك. ولكن هذا الإباء القوي نفسه حملهم كذلك على النظر في تطهير الشرق من هذه المآخذ، بتصحيح الزائف، وتقويم المعوج، وتقييد المطلق، فمضى كل زعيم يتحرى وجوه الإصلاح

* الكلمة التي ألقيت في احتفال الاتحاد النسائي بذكرى قاسم امين

والتحرير فى الوطن ، أو فى الدين ، أو فى الفكر ، أوفى الأدب ، أوفى القضاء ، أو فى الرجل ، أو فى المرأة ، على حسب استعداده وطبيعة نفسه

* * *

كانت رسالة قاسم إصلاح المجتمع فى نواحيه المختلفة . وما كان فى خلقه ولا فى طوقه أن تكون رسالته غير ذلك . كان حيي الوجه ، يحتشم إذا لاقى ، ويغضى إذا حدَّث ، ويعف إذا جادل . وكان عطوف القلب ، يدين بالصداقة ، ويتخلق بالرحمة ، ويواصل بالمودة . وكان رقيق الشعور ، يكلف بالأدب ، ويطرب للغناء ، ويعجب بالجمال . وكان عصبي المزاج ، ينفعل انفعال الفنان ، وينبسط انبساط المؤمن ، وينقبض انقباض الناسك . وكان محببا إليه العشرة ، يخالط كل طبقة ، ويسبر كل حالة ، ويرقب كل حادث . وكان واسع المعرفة والخبرة ؛ يتقصى طبائع الشعوب ، ويدرس أحوال الأمم ، ويتعرف دخائل النفوس . وهذه هى جل الصفات التى يجب أن تكون فى المصلح الاجتماعى ليكون بينه وبين مجتمعه تجاوب فى الشعور والفكر

عُنى قاسم رضوان الله عليه بإصلاح المجتمع المصرى وهو فى سن العشرين منذ قرأ كتاب داركور ورد عليه فى عام ١٨٩٤ ، فكتب فى جريدة المؤيد تسع عشرة مقالة أكثرها بعنوان (أسباب ونتائج) وبعضها بعنوان (حكم ومواعظ) عالج فيها أدواء المصريين فى الاقتصاد والوقف والتربية والتعليم والأسرة والوظيفة علاجا لا يزال المصلحون يصفونه ويكررونه ، لأنه جمع أكثر العناصر الفعالة فى حسم الداء وبرء المريض . وقلما نجد كاتبا يعرض اليوم لهذه المسائل ولا يقع على خطاه ، أو يوافق على ما ارتآه

كان هذا المفكر العظيم يكتب عن إيمان وصدق . لا يكتب رغبة فى الكتابة ، ولا ينشر طمعا فى الشهرة ؛ إنما كان ينشر مقالته فى الصحف من غير إمضاء ، ويرسل فكرته فى الناس من غير ضوضاء ، ثم لا [illegible] إنما تصيب الغرض الذى قصده ، وتحد[illegible] الذى أراده

وكان صاحب رأى وعزيمة ، يقول ويفعل ، ويفكر [illegible] . فإذا قرأنا رأيه فى كتابين قيمين : تحرير المرأة والمرأة الجديدة ، فقد رأينا عزمه فى عملين عظيمين : الجمعية الخيرية الإسلامية ، والجامعة المصرية

وكان ينفذ ببصره وفكره إلى طوايا المجتمع فيرى بقوة لحظه وحدة ذهنه دقائق وتفاصيل لا يدركها النظر العادى . ومزية الكاتب الموهوب أن يُرينا ما لم نر ، ويقفنا على ما لم نعلم ، ويصور لنا ما لم نتصور ، وفى كلمات قاسم أمين المنشورة آيات من الحوار والتصوير مثل بها طرفا من نقائص المصر تمثيلا دل على ملكة أصيلة فى الأدب ، وقريحة سخية فى الكتابة . نقرأ له مثلا هذا الحوار القصير :

سئل ح . بك : ما رأيك فى كتاب تحرير المرأة ؟

فأجاب : ردىء !

— هل قرأته ؟

— لا !

— أما يجب أن تقرأه قبل أن تحكم عليه ؟

— ما قرأت ولا أقرأ كتابا يخالف رأيى !

ونقرأ له هذه الصورة الناطقة لجنازة من جنائز العامة :

« هؤلاء الفقهاء الذين يجر بعضهم بعضا ، وليس فيهم إلا الأعمى والأعرج والأعور ، يمشون بسرعة غير منتظمة ، لابسين ثيابا قذرة ، صائحين بأصوات مزعجة ، كلمات تخرج من حناجر مختلفة بنغمات شنيعة ؛ وهذا النعش المحمول الذى يتخبط فيه الميت ، ويلتفت تارة إلى جهة اليمين ، وتارة إلى جهة الشمال ؛ وهؤلاء النسوة اللاتى صبغن أيديهن ووجوههن ، وعفرن بالتراب رؤوسهن ، يمشين وراء النعش مشيرات بالمناديل إليه إشارات مروعة مصحوبة بألفاظ مرتلة ! ما هذا كله ؟ أجمع مجانين ، أم نفر بهم مس من الشياطين ؟ ألعوبة أطفال ، أم معرض كرنفال ؟ »

نقرأ ذلك الحوار ، ثم نقرأ هذه الصورة ، فنعتقد أن لو مد الله فى أجل قاسم لعالج عيوب المجتمع بالرواية كما فعل (موليير) ، أو بالصورة كما صنع (لابروبير) . والأدب العالى والأسلوب البليغ أخص صفات المصلح وأقوى أدوات الإصلاح ؛ وحظ قاسم منهما كان موفوراً . وكما يتعهد الجندى سلاحه ، كان قاسم يتعهد اللغة والأدب ، فرأى فى أصالة الأسلوب ، واستعمال المترادف ، ومعضلة الكتابة العربية ، ومشكلة اللغة العامية ، وصعوبة

الإعراب ، وفتح باب الاجتهاد فى اللغة ، آراء لم تجر على بالنا إلا اليوم ! والصفحات الستون التى جمعت (كلمات قاسم أمين) الموجزة فى الأدب والاجتماع ، أمثلة خالدة من عمق التصور ودقة التصوير

نعم ! عنى قاسم أمين بإصلاح المجتمع المصرى فى خلقه وعاداته ، ونظمه واقتصادياته ، وتربيته وتعليمه ، ولغته وأدبه ، ولكنه رأى أن علة العلل فى فساده هى حال المرأة . والمرأة قوام الأسرة ، والأسرة نواة الأمة ؛ فإذا صلحت المرأة صلح الرجل ، وإذا صلح الرجل صلح المجتمع . والنساء نصف الشعب الذى يربى نصفه الآخر ؛ فإذا ظللن محجوبات جاهلات متعطلات ، ظل المجتمع رَيِضا (١) لفقدانه تثقيف الأمومة ، غليظا لحرمانه تلطيف الأنوثة . يعمل بيد واحدة لأن الأخرى شلاء ، ويمشى على قدم واحدة لأن الأخرى عرجاء . وكانت المرأة فى عهد قاسم شيئا لا يذكر ، وإذا ذكر لا ينظر ؛ إنما كانت حبيسة المنزل ، تضرب عليها الحجب ، وتبث حولها العيون ، وتُقضى من دونها الأمور ، وينظر إليها الزوج نظره إلى الفراش الملق ، فلا يؤاكلها على مائدة ، ولا يجالسها فى بهو ، ولا يماشيها فى شارع ، ولا يشاورها فى شأن ، ولا يذكر اسمها إلا مكنيا عنه بالبيت أو الأولاد أو الجماعة . وكان من جريرة ذلك عليها أن وهن جسمها لقلة العمل ، وساء خلقها لفقد الحرية ، وضعف تفكيرها لترك التدبير ، وغفل ضميرها لعدم المسئولية ، فلم تفكر إلا فى حللها وحليها ، ومدافعة الضرائر والجوارى عن نصيبها من زوجها . لقد كانت خارجة عن دنيا الناس ، « فلم يبق لها من الكون — كما قال قاسم فى كتابه (تحرير المرأة) — إلا ما استتر من زوايا المنازل . واختصت بالجهل والتحجب بأستار الظلمات ، واستعملها الرجل متاعا للذة ، يلهو بها متى أراد ، ويقذف بها فى الطريق متى شاء . له الحرية ولها الرق . له العلم ولها الجهل . له العقل ولها البله . له الضياء والفضاء ولها الظلمة والسجن . له الأمر والنهى وعليها الطاعة والصبر . له كل شىء فى الوجود ، وهى بعض ذلك الكل الذى استولى عليه »

بذلك ثأر قاسم ، وفى ذلك جاهد قاسم . فعرض القضية على وجوه المعقول والمنقول ، فلم يجد لاستعباد المرأة حجة إلا استبداد الرجل ، فجاءه من طريق الدين والمروءة والمصلحة وفى يديه كتاباه : تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة ، يزيف بهما حجته ، ويخفف غروره . وكان لابد لمن يخالف المألوف ويعارض الموروث ويصادم الواقع أن يلقى مالقيه المرسلون والمصلحون من عنت الجدل ولدد الخصومة . ولكن محرر المرأة كان قوى الإيمان برأيه ، شديد الإخلاص فى سعيه ، فلم يهن لما أصابه فى سبيل الحق ولم يستكن . وإنما بذر البزرة فى وسط العواصف الهوج والسحب المرعدة ، ثم تركها فى ذمة الطبيعة والزمن . وضن الرجل العنيد على هذه البزرة بالغذاء والرى ، حتى أدركها غوث الله ، فانتشر التعليم ، وانتعشت الحرية ، واتصل الجيل الجديد بالمدنية الغربية ، فرأى فيما رأى أن المرأة فى المجتمع الأوربى هى روحه ونشاطه وجماله وصقاله ووحيه ، فاستشعر للمصرية الاحترام ، عن تقليد فى الأكثر ، وعن اعتقاد فى الأقل ؛ ولكنه وقف من قضيتها موقف الشاهد المحايد لا يمر ولا يحلى . وكانت صفوة من كرائم السيدات قد تحررن ، بكرم النسب ، أو بسلطان المال ، أو بقوة العلم ، فأقبلن على بزرة قاسم يتعهدنها بالسقى حتى أزهرت ، وعلى شعلته يمددنها بالزيت حتى أسفرت . وفى ظل هذه الشجرة ، وعلى ضوء هذه الشعلة ، تألف (الاتحاد النسائى) ، فكان فى النهضة الحديثة قوة عاملة ظهر أثرها فى التشريع والتعليم والمواساة

وقويت المرأة المصرية بتقدم المدنية وشيوع الثقافة ، فحلت قضيتها بنفسها على الرغم من معارضة الرجل

كان الرجل يأنف أن يشرك امرأته أو يشاورها فى شأن من شؤون عمله أو منزله ؛ فأصبحت اليوم ولها من القوة ماتسيطر به عليه : فهى تدبر له العيش ، وتحدد له السلوك ، وتختار له

---

(١) الريض على وزن سيد : المهر قبل أن يذلل ويعلم السير . يستعار للشاب المرسل على غرائزه قبل أن يهذب

الصديق ، وتنتقى له الثوب ، وهو لا يسمه إلا أن يلازم ويتابع ، فلا ينفرد إلا بإذنها ، ولا يغيب إلا بعلمها ، ولا يتقدم عليها فى ترتيب ، ولا يفصل من دونها فى خلاف ، ولا يتعدى فى مناقشة الميزانية المنزلية حدود الإيراد

وكان الرجل يمنع امرأته من أن تخرج ، فأصبحت اليوم ولها من السلطان ما تمنعه به إذا شاءت من أن يدخل .

وكان الرجل يرفض أن تتعلم المرأة الكتابة مخافة أن تتصل عن طريقها بالخارج ، فأصبحت اليوم ولها من الثقافة ما تنافس به الرجل فى المحاماة والطب والأدب والصحافة

وكان الرجل يأبى على زوجته أن تسفر عن وجهها فى الطريق ، فأصبحت اليوم ولها من الحرية ما تسفر به عن جسمها على الشاطئ

وكان الرجل يكره أن تقرع المرأة باب الصالون على ضيوفه ، فأصبحت اليوم ولها من الجرأة ما تقتحم به سور البرلمان على نوابه !

وهكذا ترعرع غرس قاسم ، وأضاءت شعلة قاسم . ولكن دعوته أسرعت فى طريق وأبطأت فى طريق : أسرعت فى الحرية والسفور حتى كادت تخرج عن الحد ، وأبطأت فى تضييق الزواج وتقييد الطلاق حتى كادت تنقطع عن السير . والعجيب أن المطلبين اللذين نجحا كانا مثار الخلاف والسخط ، والمطلبين اللذين فشلا كانا موضع الوفاق والرضا . والعلة فى السرعة أو النجاح هنا ، وفى البطء أو الفشل هناك ، أن الحرية والسفور أمرها بيد المرأة ، وأن تضييق الزواج وتقييد الطلاق أمرهما بيد الرجل !

سيداتى أعضاء الاتحاد النسائى !

إنكن تحتفلن اليوم بذكرى وفاة قاسم أمين ، وإنه لوفاء منكن أن تمجدن ذكرى رجل قضى خمسا وعشرين سنة من عمره القصير ، يسعى لكن ، ويدافع عنكن ، ويحتمل الأذى فى سبيل أن يعترف الرجال بحقكن فى الحياة ومكانكن من الوجود . ولم ينصرف إلى جوار الله إلا بعد أن رسم لكن خطة الجهاد ، ووضع لكن دستور هذا الاتحاد . ولكن أجمل الوفاء أن تتبعن الطريق الذى نهجه ، وتنفذن الدستور الذى وضعه . كان قاسم يطالب لكن الحرية من غير شطط ، والسفور من غير تبرج ، والاختلاط من غير ريبة ، وممارسة الحقوق فى نطاق الواجب ، ومزاولة الأعمال فى حدود التخصص . وإن كتبه لتشهد على أنه لم يطالب لكن شيئا يناقض الدين ، أو يعارض الخلق ، أو يجافى التقاليد . والسيدة زوجه ، وهى من أفهم الناس لدعوته ، وأعلمهم بنيته ، تقول فى حديث لها : إن فتيات هذا الجيل قد أسأن فهم هذه الدعوة وتجاوزن مداها ؛ فإن قاسما لم يدع إلا إلى السفور الشرعى والاختلاط المقيد . وإنه ليحزننى أن يحمّله الناس أوزار هذه الحال . وأعتقد أنه لو كان حيا لرأى فى تبرج الفتاة فسوقا عن دعوته وزيغا عن سبيله

فأنتن ياسيداتى خليقات أن تنقين مبادئ قاسم من شوائب الهوى والغي . وإنكن لتعلمن أن جوهر هذه المبادئ قيام الأمر بين الزوجين على المودة والرحمة ، وبين المتعاملين على الصداقة والتعاون ، وبين المواطنين على الدين والخلق ؛ وأن التربية والتعليم والسياسة والحكم يجب أن تصدر عن هذا المبدأ وتتوافى عند هذه الغاية . والناس يقولون إن المرأة وهى معنى الوئام والحب فى الأمة ، أصبحت عاملا من عوامل التنافر والفرقة فى الأسرة ؛ وإن أسباب الطلاق بعد أن كانت تعزى إلى استبداد الزوج ، أصبحت تعزى فى الغالب إلى استهتار الزوجة . وقد زعم المحصون أن عدد المطلقات بلغ فى بعض السنين الأخيرة خمسة وسبعين ألفا خرجن من دار الزوجية لأسباب يسأل الرجل عن أكثرها فى بيئة العامة ، وتسأل المرأة عنها كلها فى بيئة الأوساط والخاصة . فعالجن ياسيداتى الزعيمات جموح الفتاة كما عالج زعيمكن المظيم عناد الفتى . واحملن المرأة الجديدة على أن تذكر الواجب حين تذكر الحق ، وأن تفكر فى الكون العام حين تفكر فى الكون الخاص . سدد الله خطاكن فى الطريق القويم ، وأكرم مثوى المصلح العظيم فى دار النعيم !

احمد حسن الزيات

٢ – فى الحديث المحمدى

للأستاذ محمود أبو رية

تشديد الصحابة فى قبول الأخبار :

كان الخلفاء الراشدون و كبار الصحابة وأهل الفتيا منهم يتقون – كما علمت – كثرة الحديث عن النبى (ص) بل كانوا يرغبون عن روايةأحاديثه ، إذ كانوا يعلمون أن النبى (ص) قد نهى عن كتابة حديثه وأنهم لايستطيعون أن يؤدوا كل ما سمعوه عن النبي على وجهه الصحيح، لأن الذا كرة لا يمكن أن تضبط كل ما تسمع، ولا تستطيع أن تحافظ على ما يبقى منه فيها على أصله ، – مهما تحرى الإنسان الضبط – وأنهم إذا حدثوا بما سمعوا على وجهه ، وكانت الذا كرة قد أمسكته وحافظت عليه كما هو ، لم يأمنوا من يسمع منهم أن يغير فيما سمعه بالزيادة أو النقص ، أو الغلط أو التبديل أو التحريف، إما لعدم ضبط الذا كرة أو لسوء الفهم أو لغير ذلك، وهم بما حملوا من أصول الدين وفروعه كاملا عن رسول الله ما كانوا ليرضوا بما رضى به بعضهم ومن جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم من(رواية الحديث بالمعنى) لأنهم كانوا يعلمون أن تغييراللفظ قد يغيرالمعنى، وأحاديث الرسول ليست كأحاديث غيره ، وإنما هى أحكام أو بيان للأحكام . والحكم – وبخاصة فى الحلال والحرام إنما يكون بنص قاطع وخبر متوارد قد جاء على حقيقته بلفظه ومعناه

وقد بلغ من تحرجهم فى رواية الحديث أنهم كانوا يتشددون فى قبول الرواية من إخوانهم فى الصحبة مهما بلغت درجاتهم ، ويحتاطون فى ذلك أشد الاحتياط ، حتى كان أبو بكر لا يقبل من أحد حديثاً إلا بشهادة على أنه قد سمعه من الرسول (ص) وقد وضع بعمله هذا – أول شروط علم الرواية – وهو شرط الإسناد الصحيح ، قال الذهبى فى ترجمته « إنه أول من احتاط فى قبول الأخبار »

روى ابن شهاب عن قبيصة أن الجدة جاءت أبا بكر تلتمس أن تورَّث فقال : ما أجد لك فى كتاب الله شيئاً ، وما علمت أن رسول الله ذكر لك شيئاً ؛ ثم سأل الناس . فقام المغيرة فقال : كان رسول الله يعطيها السدس . فقال : هل معك أحد ! فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر. هذا هو عمل أبى بكر، أما عمر فقد كان أشد من ذلك احتياطاً وتثبتا

قال ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث « وكان عمر شديداً على من أكثر الرواية أو أتى بخبر فى الحكم لا شاهد له عليه ، وكان يأمرهم بأن يقلوا الرواية يريد بذلك أن لا يتسع الناس فيها ويدخلها الشوب ويقع التدليس والكذب فى المنافق والفاجر والأعرابى » (١)

وقال الذهبى فى طبقات الحفاظ فى ترجمته :

وهو الذى سن المحدثين التثبت فى النقل وربما كان يتوقف فى خبر الواحد إذا ارتاب»

وروى البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال : كنت فى مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور ! فقال استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت ! قال (عمر) ما منعك ؟ قلت استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت ! وقال رسول الله « إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع . فقال : والله لتقيمن عليه بينة – زاد مسلم – وإلا أرجعتك – وفى رواية ثالثة فوالله لأوجعن ظهرك وبطنك أو لتأتينى بمن يشهد لك على هذا ! أمنكم أحد سمعه من النبى ؟ فقال أبى ابن كعب والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم. فقمت معه فأخبرت عمر أن النبى قال ذلك » فانظر كيف تشدد عمر فى أمر ليس فيه حلال ولا حرام ، وقدر ماذا يكون الأمر لو كان الحديث فى حلال أو فى حرام ! أو فى أى شئ من أصول الدين أو فروعه

وقد استند إلى هذه القضية من يقولون : إن عمر كان لا يقبل خبر الواحد ، واستدل بها من قال : إن خبر العدل بمفرده لا يقبل حتى ينضم إليه غيره – كما فى الشهادة

---

(١) ص ٤٨ وقد وقع ما خشيه عمر بعد أن اتسع الناس فى الرواية فقد دخلها الشوب ووقع فيها التدليس والكذب . ولا حول ولا قوة إلا بالله

مصر واليونان

« مهداة الى معالى الدكتور طه حسين باشا »

للأستاذ إبراهيم الترزى

كان لتلك الدعوة الكريمة التى وجهتها اليونان إلى معالى الدكتور طه حسين باشا لمنحه الدكتوراه الفخرية من جامعة « أثينا » ، وكان للحفاوة البالغة التى استقبلته بها ملكا وحكومة وشعبا ، أرجميل خفق له قلب مصر ، وجدد لها ذكرى صلتها الثقافية القديمة باليونان …

وكان ذلك التكريم الرائع الذى أحاط بمعالى الدكتور المظيم ، شعورا نبيلا بجميل مصر على اليونان ، وحنينا إلى تلك الصلة القوية التى ربطت هاتين الأمتين العظيمتين فى غابر الأزمان !

ويحسن بنا — فى هذه المناسبة — أن نذكر شيئا عن هذه الصلة الثقافية العريقة ، وأن نشير إلى آثار مصر فى نهضة اليونان الفكرية قديما … فقد تمخضت هـذه الصلة عن مدنية عظيمة أيقظت الفكر الإنسانى ، ومنحته تراثا لا يزال حيا زاهرا إلى اليوم

مما لا شك فيه أن صلة مصر باليونان قديمة ترجع تقريبا إلى الألف الثالث قبل الميلاد ، فقد كانت مصر على أوثق اتصال بجزيرة « كريت » فى ذلك العهد القديم ، وقد تأثرت هـذه بحضارة مصر وأخذت عنها الكثير من فنونها التى انتقلت فيما بعد إلى داخل بلاد اليونان . والتاريخ يذكر لنا أن الكريتيين خضعوا قديما للسيادة المصرية ، وقد تأيد هذا بالعثور على طبق من الذهب محلى بالنقوش كان « تحتمس الثالث » قد أهداه إلى قائد من قواده عينه حاكما على « كريت » وغيرها من الجزر المجاورة لها

وها هو ذا الأستاذ « ماسون أورسيل » يقرر تلك الصلة القديمة قائلا : « عندما انتقل أثر كريت إلى بلاد اليونان الداخلية فى خلال النصف الأول من الألف الثانى ق . م أدخل معه ثمرات دلتا النيل ، إذ كانت جزيرة كريت متصلة اتصالا وثيقا بمصر منذ الألف الثالث ق. م … ولقد اشترك الكريتيون فى الثقافة المصرية كما يستدل من خطهم المؤلف إلى حد كبير من حروف هيروغليفية ، وهذا جعلهم يصطبغون بصبغة الثقافة المصرية سواء فى ميسين أم فى أيونيا » (١)

وإن التاريخ يذكر لنا أنه كانت لليونانيين بمصر — فى الزمن

(١) الفلسفة فى الشرق : الأستاذ ماسون أورسيل : ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى . ص ٥٠

وقال ابن بطال : يؤخذ منه التثبت فى خبر الواحد لما يجوز عليه فى السهو وغيره

وقد رأيت من قبل ما فعله عمر مع أبى هريرة وغيره . ولم تكثر أحاديث أبى هريرة إلا بعد وفاة عمر ، فقد روى عن أبى سلمة عن أبى هريرة — وقلت له — أ كنت تحدث — فى زمان عمر هكذا ؟ قال :

لو كنت أحدث فى زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربنى بمخفقته ، وفى رواية : إنى لأحدث أحاديث لو تكلمت بها فى زمان عمر — أو عند عمر — لشج رأسى !

وعن أبى سلمة سمعت أبا هريرة يقول : ما كنا نستطيع أن نقول قال رسول الله ، حتى قبض عمر

وعن الزهرى : أن أبا هريرة كان يقول : أفكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حى ! أما والله إذاً لأيقنت أن المخفقة ستباشر ظهرى ، فإن عمر كان يقول : اشتغلوا بالقرآن فإن القرآن كلام الله ولهذا لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له :

إنك تأتى قوما لهم فى مساجدهم دوى بالقرآن كدوى النحل فدعهم على ما هم عليه ولا تشغلهم بالأحاديث وأنا شريكك فى ذلك

ولم يتمكن أبو هريرة من الاتساع فى الرواية إلا لأن الخلفاء الذين جاءوا بعد عمر لم يتشددوا كما تشدد عمر ، ومن ثم استفاضت الرواية وتوسع الناس فيها ، ودخلها ما دخلها مما لا تزال — ولن تزال — باقية باستمساك الحشوية بها

المنصورة «للكلام صلة» محمود أبو رية

القديم - منطقة خاصة بهم فى شمال الدلتا ، وكانوا يتمتعون بامتيازات كثيرة تحبب لهم البقاء فى مصر

ومما لاشك فيه أيضا أن اليونان قد استفادت أجل الفوائد من هـذه الصلة التى أحيت فـكرها ، وغذته بلبان المعرفة ، وربته حتى شب ، وتحرر وانطلق إلى سماء المعرفة يحلق فى آفاقها الفسيحة الممتدة ، ويتجاوب مع أسرار الـكون ، ويفيض بنوره على العالمين

والواقع أن اليونان قد حملت من مصر اللبنات التى أسست بها صرح مدنيتها الشاهقة ، وإن الآثار التى يكتشفها الباحثون فى أرض مصر الخصبة بالأفـكار والحضارة تؤكد هذا ... فليس خافيا أن مصر أعرق حضارة ، وأقدم مدنية من اليونان ... وقد اكتشف عالم فرنسى خلف الهرم الغربى جثة موظف من عهد الدولة الأولى وجدت على تابوته تلك العبارة « هذه جثة الحارس الأكبر لدار الـكتب الملكية » وقد علق الأستاذ « ماسبيرو » على هذا بقوله : إن هذه المـكتبة التى كان هذا الموظف الـكبير مديرها أو حارسها كانت تحوى بين جدرانها كثيرا من الـكتب فى الأدب والفلسفة والأخلاق والتاريخ والاجتماع والقانون والسياسة والطب والحساب والهندسة والفلك والسحر والتنجيم.(٢) وإن هذا يؤكد لنا أنه قد سبقت هذه الدولة الفرعونية الأولى بأمد طويل حياة حافلة بشتى المعارف والعلوم ... وإن هذا أيضا يجعلنا نستحث علماء الآثار والباحثين لـكى يستجيبوا للنداء الحار المنبعث من أوراق البردى وغيرها من الآثار الراقدة فى المتاحف وفى جوف الثرى .. ذلك النداء الملح الذى يدعوهم لبعثها وإحياء ما فيهـا من أفكار ومعارف وليس أدل على قوة الروح العلمية التى كانت سائدة فى مصر من هذه المدارس التى كانت منتشرة فى أنحائها ، تحفل بشتى المعارف والعلوم » فقـد كان المصريون يحبون العلم ، ويحضون أبناءهم عليه ، ويرونه أشرف مطلب للانسان فى الحياة ... وكانت لهم مدارس تعلم القراءة والـكتابة والحساب والهندسة والطب والفلك والنحت والتصوير والموسيقى وغير ذلك من العلوم والفنون ، وكانت مدارسهم هـذه منتشرة فى كل إقليم ، وكانت فى الغالب ملحقة بالمعابد . ومن مدارسهم الـكبيرة التى اشتهر ذكرها ، والتى يمكن أن تسمى فى التعبير الحديث جامعات ، مدرسة هليوبوليس (أون) ، ومدرسة سايس (صا الحجر) ومدرسة هرموبوليس (خمينو أو أشمون) ومدرسة طيبة ، ومدرسة أبيدوس (العرابة المدفونة) ومدارس أخرى مختلفة (٣)

ولاشك أن كثيرا من مفكرى اليونان قد تتلمذ فى هـذه المدارس على أساتذة مصريين ونهل من معارفهم مما كان له أكبر الأثر فى علومهم وفلسفاتهم التى غزت العالم أجمع . يؤكد هذا المؤلفون اليونانيون أنفسهم إذ يقولون : « إن العلوم كانت مجهولة كل الجهل لدى اليونانيين حتى ملك أبسمانيك عرش مصر وفتح أبواب بلاده للأجانب بعد طول إقفالها ، فتقاطر إلى وادى النيل اللاحون والتجار والسياح من اليونان ، فبهرتهم المدنية المصرية ، وكانوا على كثير من البربرية فاعتزم أولو الفهم منهم تعلم ما ينقصهم فى مدارس الـكهنة بمصر ... وكذلك جاء طاليس وسولون وأفلاطون وفيثاغورس فحصلوا ماخلد أسماءهم فى بطون التواريخ ، ومعروف أن فيثاغورس وحده قضى بمدارس ممفيس وطيبة عشرين سنة » (٤)

إن أول فيلسوف يونانى — وهو طاليس — قد حج إلى مصر وبهرته حضارتها ومعارفها لدرجة أنه أوصى « فيثاغورس » بزيارتها ! وأثر مصر فى « طاليس » واضح بين يظهر فى مذهبه القائل بأن أصل الـكون هو الماء ، فقد تأثر فيه بأسطورة مصرية قديمة تقول إن الماء قد وجد قبل أن يوجد شئ فى الـكون لأنه العنصر الأول المشتمل على جميع عناصر الموجودات

وفيثاغورس صاحب الفلسفة العريضة العميقة قد تأثر أيضا بمصر فقد قضى فيهـا — كما يذكر المؤرخون — عشرين عاما ينهل من معارفها وعلومها ، وأخذ عنها نظريتى خلود الروح وتناسخ الأرواح كما يشير إلى ذلك الأستاذ « ليجران » فى تعليقه على « هيرودوت » حينما ذكر الأخير فى الفقرة رقم ١٢٣ أن

---

(٢) الفلسفة الشرقية : الدكتور محمد غلاب . ص ٦١

(٣) على هامش التاريخ المصرى القديم : عبد القادر حمزة باشا . المجلد الأول ص ١٣٥

(٤) الحضارة المصرية : الدكتور غوستاف لوبون : ترجمة الأستاذ محمد صادق رستم ص ٩٠

المصريين أول من قالوا بخلود الروح ، ثم أشار إلى قولهم بتناسخ الأرواح وقال : « ومن اليونانيين من نقلوا هذه النظرية بعضهم قديما وبعضهم حديثا وظهروا بها فى اليونان كأنها نظريتهم وكأنهم هم الذين وضعوها ، وأنا أعرف أسماء هؤلاء الذين فعلوا هذا ولكننى لا أذكرها » . يعلق « ليجران » مترجم هيرودوت على هذا بقوله : وهؤلاء الذين أبى هيرودوت أن يذكر أسماءهم هم الأورفيون وفيريسيد وفيثاغورس وأمبيدوكل » . ويطيب لى هنا أن أذكر تعليق المرحوم عبد القادر حمزة باشا على قول هيرودوت هذا إذ يقول : وهذا هو الذى يفسر لنا هذه الظاهرة الغريبة ... وهى أن كثيرا من العلماء اليونانيين الذين أقاموا فى مصر واتصلوا بمدارسها ثم عادوا إلى بلادهم وكتبوا مؤلفاتهم لم يقل واحد منهم إنه اقتبس منها علما أو فنا » (٥) . والواقع أن قول هيرودوت قد كشف لنا عن حقيقة هامة يجب أن يوليها الباحثون عناية فائقة ، فإنه من الجائز أن يفعل مفكرون يونانيون غير من عرفهم هيرودوت هذه الفعلة إزاء نظريات أخرى ، فعليهم أن يعنوا بالكشف عن الآثار ودراستها ، فلعلهم واصلون إلى أدلة أقوى من التى بأيدينا الآن مما يزيدنا يقينا بقوة الصلة بين مصر واليونان ، فإن المؤلفين الغربيين والشرقيين لم يتأكدوا من آثار مصر فى اليونان ، بل إن بعضهم لم يذكرها ولم يشر إليها إلا بعد أن ظهرت هذه المكتشفات العظيمة التى أكدت قوة هذه الصلة وعمقها

نعود إلى فيثاغورس وجماعته فنقول إن الفيثاغوريين قد تأثروا أيضا بكتاب الموتى فقد اكتشف الباحثون أنهم كانوا يضعون فى قبور موتاهم صفائح ذهبية رسمت عليها الطرق التى يجب على الروح أن تسلكها بعد الموت وكتبت عليها الصلوات التى تتلوها . . مما يشبه ما جاء فى كتاب الموتى !

أما « ديموكريت » فيلسوف الذرة « فقد كان من أهم الأسفار التى أثرت فى حياته العلمية إقامته بمصر التى يحدثنا هو أنها استغرقت خمسة أعوام كاملة قضاها كلها فى تلقى علم الهندسة على علماء وادى النيل » كما يصرح بذلك الأستاذ « جانيه » (٦)

« وأفلاطون » أيضا قد زار مصر ، واتصل بعلمائها ، وتأثر بهم ، فقد قال العالم شمبوليون : « تعلم فيثاغورس بمصر كل ما استطاع معرفته ، وتعلم بها أيضا سولون وطاليس كل ما علماء لليونانيين ، ومعروفة لدينا أسماء الأساتذة الذين تلقى عنهم أفلاطون علمه بمصر فى مدرسة هليوبوليس » (٧)

أما الأستاذ « جول بابى » فإنه بعد أن يذكر أن فيثاغورس قد وضع نظريته فى تناسخ الأرواح اقتباسا من مصر ، يحدثنا بأن أفلاطون أيضا قد أخذ كثيرا من مصر ، ثم بعد أن يعدد ما أخذه ذلك الفيلسوف العظيم عنها ويبين أثر ذلك فى فلسفته يختتم كلمته قائلا : « وهذا كله مأخوذ من مصر ، وكان من الضرورى أن تجد الفلسفة الأفلاطونية - والأفلاطونية الحديثة - تربة صالحة لها فى مصر لأن جذورهما مصرية » . ويذكر أيضا « جول بابى » أن كثيرا من مفكرى اليونان قد زار مصر وتأثر بمعارفها ، فإنه بعد أن يشير إلى ما اقتبسه اليونانيون من المصريين فى مصير الإنسان بعد موته ، وبعد أن يقرر أن المصريين هم أساتذة العالم فى هذا الموضوع يقول : « وكان كثير من اليونانيين المشهورين يفتخرون بأنهم ساحوا فى مصر ، وكان تلاميذ هؤلاء العلماء والمعجبون بهم يرون شرفا لهم أن يكونوا قد تنقلوا فى مصر ، فمن الشعراء مثلا هومير وأورفى وموزى وميلامب ، ومن المشرعين ليكورج وصولون ، ومن المؤرخين هيكاتى وهيرودوت وهيلانيكوس ، ومن الفلاسفة والعلماء طاليس وفيثاغورس وكزينفون وديموقريت وإبدوكس وإينوبيد وأفلاطون » (٨)

وإن الأستاذ « ماسون أورسيل » قد قرر بعض آثار مصر فى اليونان حين عرض للصلة التى كانت قائمة بينهما بقوله : « وأهم ما أخذته العقلية الإغريقية عن مصر هو الهندسة التى تمد النموذج الأصيل للمعرفة حسب مذهب أفلاطون » ثم يذكر أن مقاييس

---

(٥) على هامش التاريخ المصرى القديم : عبد القادر حمزة باشا . المجلد الثانى ص ١٨ ، ١٩

(٦) fantet et seailles Ouvtage cie P 925
عن كتاب : الفلسفة الإغريقية للدكتور محمد غلاب

(٧) الحضارة المصرية : الدكتور غوستاف لوبون : ترجمة الأستاذ محمد صادق رستم . ص ٨٠

(٨) على هامش التاريخ المصرى القديم : عبد القادر حمزة باشا . المجلد الثانى ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦

المسطحات والمكعبات كانت دقيقة إلى أقصى حد عند قدماء المصريين ، ويشير إلى نضوج علم الحساب لديهم ذاكرا أن حساب الكسور كان يعد أهم شيء في هذا العلم ، ويذكر أيضا أن حل المعادلات الرياضية كان من الأمور اليسيرة عندهم إلى أن يقول : « وكل هـذه المعارف والعلوم قد أخذها اليونانيون عن قدماء المصريين بما في ذلك خيط البناء والساعة الشمسية وساعة الماء ثم يستطرد قائلا : « وكان علم الفلك موضع ملاحظات منظمة ومتوالية فقد جعلت السنة ٣٦٥ يوما وربع يوم مقسمة إلى اثنى عشر شهرا ، وكان الأسبوع سبعة أيام مسماة بأسماء الكواكب السيارة السبعة ، واليوم مكونا من اثنتى عشرة ساعة نهارية ومثلها ليلية .. وفكرة البروج وشكل الكون الكروى ، وكروية الشمس والقمر لا الأرض التي كانت تعد حلقة مستوية ممنطقة بالمحيط ، وطبيعة النجوم النارية ، وشرح الخسوف والكسوف ... » الخ « وكل هذه المعارف والأفكار قد أخذه اليونانيون — إما قضية مسلمة وإما موضعا للنظر والبحث — عن قدماء المصريين . . . وإليهم أيضا يمكن أن تنسب نظرية العناصر الأربعة في الطبيعة مع فكرة أن الماء هو العامل الأساسى » (٩)

ولقد تأثرت اليونان أيضا بالديانة المصرية القديمة التي يجمع الباحثون على أنها أول ديانة بشرية في الوجود ، وأكبر مثل على هـذا التأثير انتشار عبادة « إيزيس » في اليونان ، وتشييد معابدها على الطراز المصرى ، والتعبد فيها بطقوس شبيهة بالطقوس المصرية ، حتى أن بلوطرك اليونانى ألف كتابا عن « إيزيس وأوزريس » ، ومما جاء فيه قوله : إن « هذا الشعب (يريد الشعب المصرى) لم يكن كما يتوهمه بعضهم يدخل في حفلاته الدينية أى مبدأ غير معقول ولا أى عنصر يوعز به الوهم أو توعز به الوسوسة ، وإنما كانت عاداته تقوم على ما في اتباع هذه العادات نفسها من الفوائد أو على الافتتان في تسجيل ذكريات تاريخية قديمة أو على إيضاح نواميس طبيعية » (١٠)

(٩) الفلسفة في الشرق : الأستاذ ماسون أورسيل : ترجمة محمد يوسف موسى : ص ٥٥ ، ٥٦

(١٠)،(١١) على هامش التاريخ المصرى القديم : عبد القادر حمزة باشا المجلد الثانى ص ٤٤ ، ٤٥

(الفقرة ٨ من كتاب « Isis et Osiris » من الترجمة الفرنسية المطبوعة سنة ١٩٢٤) ثم يستطرد بلوطرك بعد ذلك إلى أسطورة « إيزيس وأوزريس » فيقول : « إنها إحدى العقائد المستورة تحت ستار قصص وكتابات لا يظهر من خلالها إلا أثر ضئيل من الحقيقة المقصودة » (١١)

ومما لاشك فيه أن القوانين المصرية قد أثرت في القوانين اليونانية ، بل امتدت آثارها إلى القوانين الرومانية وبخاصة قانونها المسمى « قانون الألواح الإثنى عشر » « والقانون الرومانى » الذى اقتبست منه أوربا قوانينها الحديثة

ومن الواضح الجلى أيضاً أن اليونان قد تأثرت في فنونها إلى حد كبير بالفنون المصرية ، فإن الباحث يرى كثيرا من الملامح المصرية فيما خلفته اليونان من تراث فنى خالد !

وجميع ما تقدم يكشف لنا عن الجذور المتأصلة القوية التى ربطت الثقافة اليونانيه بالثقافة المصرية في الزمن القديم ، ويبين مدى عمق هـذه الصلة العريقة التي تفاعلت فيها الثقافتان إلى حد جعل الدكتور « غوستاف لوبون » يقول : « ولا نعلم تفصيلات ما تلقاه الإغريق عن المصريين ولكننا ندرك أنها معظم المعارف التي تضمنتها كتبهم، إذ لم يكن لهم من قبل كتب ولاعلوم ذات شأن . . وما تقدم يدلنا أيضا على أن أصول العلم نهاية في القدم ، فليس الإغريق هم الأصل ما داموا قد تلقوا العلم عن المصريين وتقدمهم هؤلاء بآلاف السنين ، وعلى هذا يصح لنا القول بأن العلم كالدنية صرح واحد تعمل في بنائه الأمم على التوالى ، واحدة وراء أخرى ، فإذا تقرر هذا صح أيضا أن نبحث عن مبلغ علوم المصريين في تآليف الإغريق الذين عاصروهم مثل فيثاغورسُ وأفلاطون » (١٢)

حقيقة أن الفكر اليونانى قد تتلمذ على الفكر المصرى ، ولكن من الواضح البين أنه بعد ذلك فاق أستاذه كثيرا وبزه في كل مجال ، وتسلم منه مقاليد الفن والفكر ، واستوى على عرشه المقدس ، ومنح العالم تراثا حيا ناضجا من الفلسفات والعلوم والفنون ، وحرك عجلة الإنسانية فقطعت أشواطا جبارة

(١٢) الحضارة المصرية : الدكتور غوستاف لوبون : ترجمة الأستاذ محمد صادق رستم . ص ٩١

مع أبي تمام في آفاقه :

قصيدة النار

— ٣ —

للأستاذ محمود عزت عرفة

قصيدة النار

.. وقصيدة النار التي عقدنا لها هذا الحديث هي ما أنشده أبو تمام في حادث مقتل الأفشين وصلبه ؛ وقد كان معبراً فيها ولا شك عن الشعور الذي ساد عاصمة الخلافة وقتذاك . ولعل القارئ فهم مما قدمناه عن محاكمة الأفشين أننا أميل إلى الانتصار له -- ولكن الواقع أن تحقيق تلك القضية والبت فيها برأي حاسم يحتاج إلى أن يفرد له كتاب ممدود الصفحات لا مقال محدود السطور . والذي يعنينا أن نذكره في هذا المقام هو أن أبا تمام كان صدى في قصيدته هذه للشعور العام ، وخاصة الشعور العربي الذي ضاق ذرعاً بنفوذ الموالي من العجم ، وأرمضه ما تمكن لهم من النفوذ في مناصب السياسة والجيش . ندرك هذه الحقيقة من أشخاص الذين اختيروا لمحاكمة الأفشين ، ومن الطريقة التي أعدوا بها الشهود ورتبوا مواقفهم ... وندركه من بعض التهم نفسها في تلونها بروح الشماتة ومحامل العصبية ، مع شيء غير قليل من التكلف والإسفاف ... وندرك أكثر من ذلك ، في هذه القصة التي يحكيها إسحق بن إبراهيم المصعبي — أحد أعضاء هيئة المحاكمة — عن حديث جرى بينه وبين المعتصم بعد مقتل الأفشين قال له فيه [١] : نظرت إلى أخي المأمون وقد اصطنع أربعة فأفلحوا ، واصطنعت أربعة فلم يفلح أحد منهم . قال إسحق : ومن الذين اصطنعهم أخوك المأمون ؟ قال : طاهر ابن الحسين فقد رأيت وسمعت ، وابنه عبد الله بن طاهر فهو الرجل الذي لم ير مثله ، وأنت فأنت والله الرجل الذي لا يعتاض السلطان منك أبداً ، وأخوك محمد بن إبراهيم وأين مثل محمد ؟ وأنا فاصطنعت الأفشين فقد رأيت إلى ما صار أمره ، وأشناس

(١) ابن الأثير : ج ٦ ص ١٩٢ ؛ والطبري ج ١١ ص ٨

في طريق المدنية والحضارة

ثم بعد أن دب الوهن والضعف في حضارة اليونان الفكرية جاءت إلى مصر فبعثتها ، وجددت فلسفاتها وتشربتها ، وتأثرت بها ، ونشرت أضواءها الوهاجة على العالمين . فقد استقبلت مصر كثيراً من المفكرين اليونانيين واحتضنتهم ، ونشأت فيها « الأفلاطونية الحديثة » وترعرعت ، وحلت الإسكندرية محل « أثينا » في زعامة العالم الفكرية ، وكانت مكتبتها الضخمة المشهورة متخمة بالمؤلفات الإغريقية وغيرها . .

هكذا كانت صلة مصر باليونان في الزمن القديم حية زاهرة جنى العالم منها أطيب الثمرات . .

وهكذا حافظت مصر على تراث اليونان الفكري ورعت صلتها الثقافية بها . .

وهكذا تعود هذه الصلة الآن بينهما بعد أن لوعهما الحنين ، واستفاض بهما الشوق ! ! . وقد تجلت هذه العودة المباركة في تلك الدعوة الكريمة التي وجهتها اليونان إلى معالي وزيرنا العالم الأديب الدكتور طه حسين باشا لمنحه الدكتوراه الفخرية من جامعة أثينا المتيدة . . . وكم أسعدنا ذلك الحديث التي طلعت علينا به « الأهرام » إذ يقول معاليه بعد عودته «وقد أنشأت مصر في جامعة أثينا كرسي فاروق الأول للغة العربية وآدابها ، وأنشأت اليونان في جامعة فاروق بالإسكندرية كرسياً للغة اليونانية الحديثة وآدابها ، وستنشئ معهداً للدراسات اليونانية القديمة في الإسكندرية . . وقد كانت الحكومة اليونانية رقيقة إلى أقصى حدود الرقة حين قررت أن ترد إلى الإسلام «مسجد أثينا» الذي كان معطلاً منذ استقلال اليونان سنة ١٨٢١ »

وأخيراً فإننا نرجو أن تتوطد هذه الصلة الثقافية من جديد ، وتتسع وتعمق ، فلعلها تكون بعثاً فكرياً جديداً للأمتين العريقتين ، فتستعيدا مكانتهما القديمة السامية بين أمم العالم الحديث

ابراهيم الترزي

ففشل أبه (٢) ، وإيتاخ فلا شيء ، ووصيف فلا مغنى فيه . فقلت : أجيب على أمان من غضبك ؟ قال : نعم . قلت له : يا أمير المؤمنين ، نظر أخوك إلى الأصول فاستعملها فأنجبت فروعها ؛ واستعمل أمير المؤمنين فروعاً لم تنجب إذ لا أصول لها . فقال : يا إسحق ، لمقاساة ما مر بى فى طول هذه المدة أيسر على من هذا الجواب . هـ

لقد كان يتجاذب النفوذ فى بلاط المعتصم حزبان كبيران : العرب ومن يتعصب لهم ، والأعاجم ومن ينتمون إليهم . وكان رأس الحزب العربى القاضى أحمد بن أبى دؤاد ، وهو أحد من حاكوا الأفشين . وقد عاش فى كنف المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل على التوالى فلقى منهم الإكرام والتبجيل جميعا . وكان ركن العرب عندهم وملاذهم الحصين ، يشفع فى مسيئهم فيشفع ، ويلتمس الثواب لمحسنهم فيثاب

وهو الذى استخلص أبا دلف العجلى من براثن الأفشين حين اعتل عليه ورام قتله ، وكشف النقمة عن خالد بن يزيد الشيبانى حين علقت به حبائل الدسائس وأمر المعتصم بنفيه إلى الحجاز (٣) وقد انضوى أبو تمام تحت راية هذا الحزب العربى بحكم طبيعته ونشأته وبتأثير من أدبه وثقافته .. وحسبك للتحقق من ذلك أن تسمع قوله لابن أبى دؤاد فى بعض مدائحه :

أخذت بأعضاد العريب وقد خوت
عيون كليلات وذات جماجم
فأضحوا لو اسطاعوا لفرط محبة
لقد علقت خوفاً عليك التمائم
ولو علم الشيخان : أد ويعرب
لسرت إذاً تلك العظام الرمائم
تلاقى بك الحيان فى كل محفل
جليل ، وعاشت فى ذراك العمائم !

والعمائم تيجان العرب كما قالوا ، والشاعر هنا يكنى بها عنهم .. وندع الآن البحث فى موقف الأفشين ، مبقيا عليه أو باقيا ، لنتحدث عن قصيدة أبى تمام التى نكرر أنه إنما أنشأها معبراً فيها عن شعوره وشعور عامة المسلمين فى وقته ؛ فهى من هذه الوجهة كلمة صادقة تفيض بالأحاسيس القوية ، وآية من آيات الطائى لها على الأدب حق التسجيل

الحق أبلج والسيوف عوار
فحذار من أسد العرين حذار
ملك غدا جار الخلافة منكمو
والله قد أوصى بحفظ الجار
يا رب فتنة أمة قد بزها
جبارها ، فى طاعة الجبار

بمثل هذا الإنذار القوى المنيف يبدأ أبو تمام قصيدته . وكأنما هو يحاول أن يصك به آذان هؤلاء الموالى جميعا ممن ركبوا رءوسهم فتطاولوا إلى الانتقاص من كرامة العرب ، بل حاولوا أن ينالوا بالأذى ولى نعمتهم المعتصم وهو الكفيل أن يهلك كل متجبر فيهم ، امتثالا لأمر الجبار سبحانه فى أمثالهم من أهل البغى

ثم ما أسرع ما ينفذ أبو تمام إلى أول المعانى الخطيرة التى أعدها لهذا المقام ، فالأفشين قد أوتى نعمة لم يرعها ولم يحسن القيام عليها لأنه غير كفء لها . فهو حرى إذاً أن يسلب هذه النعمة ولا كرامة ، وأن يلقى بعدها الخسران والبوار جزاء وفاقا :

جالت بخيدر جولة المقدار فأحله الطغيان دار بوار
كم نعمة لله كانت عنده فكأنها فى غربة وإسار !
كسيت سبائب لومه فتضاءلت كتضاؤل الحسناء فى الأطمار

وتكرير التصريع فى البيت الرابع من القصيدة « جالت بخيدر جولة المقدار » ينم على تدفق القريحة بالشعر ، وانطلاق السجية فيه إلى مداها . فالمعانى تترافد على نفس الشاعر ، والقوافى تقتتل فى سبيل احتلال مواضعها من أبيات القصيد .. وما بقى على السامع إلا أن ينتظر الروعة والجمال ، والإبداع والافتنان

° ° °

وبعد أن يسجل أبو تمام مخادعة الأفشين لأمير المؤمنين ،

(٢) كذا فى الطبري : ولعله أنه « بالنون على وزن خجل أى حاسد (انظر القاموس)

(٣) هبة الأيام فيما يتعلق بأبى تمام ص ٩٢

وكيده الذى ارتد إليه فأوبقه ، وما كان يبيته لهذا الدين من شر ألبسه الله خزيه وعاره — يعود فيسجل العذر البين للمعتصم فى اصطناع هـذا الخائن ، وفى غفلته سنين عما يبطن من النفاق ، ويعتقد من الكفر والخلاف . فمثل هـذا أمر قد تعرض له الرسول عليه الصلوات من قبل ، وهو المعان من ربه ومن رأيه ومن مشورة صحبه بأعظم العون . وتعرض له أيضا الكرام الخيرة من آل هاشم :

هذا النبى وكان صفوة ربه ... من بين باد فى الأنام وقار
قد خص من أهل النفاق عصابة ... وهمو أشد أذى من الكفار
واختار من سعد لعين بنى أبى ... سرح ، لوحى الله ، غير خيار
حتى استضاء بشعلة السور التى ... رفعت له سجفاً عن الأسرار
والهاشميون استقلت عيرهم ... من كربلاء بأوثق الأوتار
فشفاهم (المختار) منه ولم يكن ... فى دينه المختـــار ، بالمختار
حتى إذا انكشفت سرائره اغتدوا ... منه براء السمع والأبصار

وهذا توجيه بارع لموقف المعتصم ، وتعزية جميلة له فى خطبه . فالأفشين صنيعته ، وبجده صنع يديه . وهذه الخيانة إن دلت على شيء فإنما تدل على سوء الاختيار وخطأ التقدير ، وعلى أن المعتصم لغفلته « قد استعمل فروعاً لم تنجب إذ لا أصول لها » كما قال إسحق بن إبراهيم . وأبو تمام حين يتلمس الأعذار اللطيفـة ، أو ينتقر البراهين القوية ، لا يجد أرحب من التاريخ سجلا للحوادث ، ولا مورداً للأسى والعبر .. فليكن للمعتصم فى انخداعه أسوة بالرسول وآل بيته ، خدعوا فى اختيارهم ، ولم يصيبوا فى بعض تقديرهم ، فما نقصهم ذلك فضلا ، ولا أعلق بهم مذمة

والمشار إليه فى قصـة الرسول عليه الصلوات هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح . صحابى أسلم قبل الفتح واستكتبه النبى عليه السلام ، فكان يكتب موضع الغفور الرحيم ، العزيز الحكيم .. وأشباه ذلك . فأطلع الله عليـه النبى عليه السلام فهرب إلى مكة مرتدا ، وفيه نزل قوله تعالى : « ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » (١) . وقد أهدر النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دمه ، ثم استأمن له عثمان ، فأمنه الرسول (٢)

وفى أخبار أبى العيناء (٣) أنه دخل على عبيد الله بن سليمان فشكا إليه حاله فقال : أليس قد كتبنا لك إلى إبراهيم بن المدبر ؟ فقال : كتبت إلى رجل قد قصر من همته طول الفقر ، وذل الأسر ، ومعاناة محن الدهر ، فأخفقتـه فى طلبتى . قال : أنت اخترته . قال : وما على أعز الله الوزير فى ذلك ؟ قد اختار موسى قومه سبعين رجلاً فما كان منهم رشيد ؛ واختار النبى صلى الله عليه وسلم ابن أبى سرح كاتباً فرجع إلى المشركين مرتدا ؛ واختار على بن طالب أبا موسى حاكماً له فحكم عليه !

وأما « مختار » بنى هاشم الذى يشير إليه أبو تمام فهو المختار ابن أبى عبيد بن مسعود الثقفى . كانت لأبيه فى الإسلام آثار جميلة . والمختار هو كذاب ثقيف الذى جاء فيه الحديث . وكان يزعم أنه يوحى إليه فى قتـلة الحسين فقتلهم بكل موضع ، وقتل عبيد الله ابن زياد . وله أسجاع يصنعها والفاظ يبتدعها ، ويزعم أنها تنزل عليه وتوحى إليه (٤)

وإشارة أبى تمام إلى المختار الثقفى تنطوى على معنى دقيق ، فهو رجل على خبث طويته وانحراف مذهبه قد خدم آل البيت ، بما أبلى فى الدفاع عنهم ، وبما أراق من دم أعدائهم . ثم تمادى به طغيانه فزايل الحق وتنكب عن نهج الدين ، فكان أن قاتله مصعب بن الزبير حتى قتله (فى رمضان سنة ٦٧ هـ) . وهكذا عفى بما أحدث من شر على كل ما سلف له من خير . ومثل هذا صنع الأفشين حين أبلى فى الجهاد السنين ذوات العدد ، ونصر الدين بسيفه كما لم ينصره قائد ؛ ثم محا ذلك كله بما تكشف من غدره واستبان من كفره

* * *

ويخلص أبو تمام من احتجاجه للمعتصم ، هـذا الاحتجاج الذى حشد له عقله وعلمه ليعود إلى ذكر غدرة الأفشين فيقول :

ما كان لولا فحش غدرة حيدر ... ليكون فى الإسلام عام فجار

(١) سورة الأنعام : الآية ٩٣

(٢) زهر الآداب : ج ٢ ص ٥٠

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد ، صاحب النوادر والشعر والأدب ، وكان ضريرا . توفى بالبصرة سنة ٢٨٣ هـ

(٤) زهر الآداب : ج ٢ ص ٥١

ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سر الزناد الوارى

قال أبو العيناء: انصرفت (٥) يوماً من عند ابن أبي دؤاد، فدخلت إلى محمد بن منصور، فوجدت عنده عمارة بن عقيل، وكان خلا له، وهو ينشده قصيدة له في الواثق، أولها:

عفت الديار رسومها قفر لعبت بها الأرواح والقطر

فلما فرغ منها قلنا له: ما سمعنا أحسن من هذه الرائية، أحسن الله إليك يا أبا عقيل. فقال: والله لقد عصفت رائية طائيكم هذا بكل شعر في لحنها. قلنا له: وما هي؟ قال: كلمته التي هجا بها الأفشين. فقال محمد بن يحيى بن الجهم: أنا أحفظها! فقال: هاتها. فأنشده:

الحق أبلج والسيوف عوار فحذار من أسد العرين حذار

فقال له عمارة: أنشدنا ذكر النار، فأنشد:

ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سر الزناد الوارى

ناراً يساور جسمه من حرها لهب، كما عصفرت نصف إزار (٦)

طارت لها شعل يهدم لفحها أركانه هدماً بغير غبار

ففصلن منه كل مجمع مفصل وفعلن فاقرة بكل فقار (٧)

... قال راوى الحديث: ثم ذكر المصلبين (٨) فقال:

سود اللباس كأنما نسجت لهم أيدى السموم مدرعاً من قار

بكروا وأسروا في متون ضوامر قيدت لهم من مربط النجار

لا يبرحون، ومن رآهم خالهم أبداً على سفر من الأسفار

فقال عمارة: لله دره! لقد وجد ما أضلته الشعراء، حتى كأنه كان مخبوءاً له. قال أبو العيناء: فاعتقدت في أبي تمام من ذلك اليوم أنه أشعر الناس، وما كان ذا رأيي من قبل! اهـ

لقد نالت هذه القصيدة إذاً غاية الإعجاب منذ إنشادها، وبلغت من ذلك حظا لم تنافسها فيه إلا قصائد لأبي تمام معدودة. منها — فيما نرى — قصيدتاه اللامية والنونية في الأفشين أيضا. وهما مدح له وتنويه في إبان تألق مجده. وهكذا يتفوق أبو تمام في الحديث عن الأفشين مادحاً له في حياته أو قادحاً فيه بعد موته

ويبدو لنا أنه كان صادق التأثر مطبوع المعاني في كلتا الحالتين.

أما اللامية فقد اقترح عليه إنشاءها عبد الله بن طاهر والى خراسان وهو على بابه بنيسابور، وقت أن كان الأفشين يصف بقوى البابكية في أرشق. ومطلع هذه القصيدة:

(غدا الملك معمور الحرى والمنازل)

روى أبو بكر الصولى قال (٩): استنشد خالد بن يزيد (١٠) أبا تمام قصيدته في الأفشين التي ذكر فيها المعتصم، وأولها:

غدا الملك معمور الحرى والمنازل منور وحف الروض عذب المناهل

فلما بلغ إلى قوله:

تسربل سربالاً من الصبر وارتدى عليه بعضب في الكريهة قاصل

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى بعقبان طير في الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقاتل

قال له خالد: كم أخذت بهذه القصيدة؟ قال: ما لم يرو الغلة، ولم يسد الخلة. قال: فإني أثيبك عنها. قال: ولم ذاك، وأنا أبلغ الأمل بمدحك؟ قال: لأني آليت لا أسمع شعرا حسنا مدح به رجل فقصر عن الحق فيه، إلا نبت عنه. قال: فإن كان شعراً قبيحا؟ قال: أنظر فإن كان أخذ شيئا استرجعته منه!

فهذا نصيب اللامية وحظها من التقدير، أما النونية التي مطلعها (بذ الجلاد (البذ) فهو دفين) فقد مدح بها أبو تمام الأفشين عندما قدم ببابك إلى سر من رأى، فأمر الخليفة باستقباله وأفاض من نعمته عليه. يقول الطبرى (١١): توج المعتصم الأفشين وألبسه وشاحين بالجوهر، ووصله بعشرين ألف ألف درهم، منها عشرة آلاف ألف صلة، وعشرة آلاف ألف يفرقها في أهل عسكره، وعقد له على السند، وأدخل عليه الشعراء يمدحونه، وأمر للشعراء بصلات، وذلك يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر (٢٢٣ هـ). وكان مما قيل فيه قول أبي تمام الطائي:

---

(٥) أخبار أبي تمام للصولى ص ٩٣

(٦) في رواية الديوان: شق إزار

(٧) في الديوان: فصلن منه، بتشديد الصاد

(٨) هم بابك الخرمي والمازيار بن قارن وناطس الرومي نائب عمورية وحيدر الأفشين، صلبوا جميعاً في موضع واحد

(٩) أخبار أبو تمام ص ١٦٣

(١٠) خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني. كان واليا على أرمينية في أيام الواثق وتوفى سنة ٢٣٠ هـ

(١١) الطبرى: ج ١٠ ص ٣٣٤

٢ - الحاج خواجة كمال الدين

(١٨٧٠ – ١٩٣٢)

للأستاذ أرسلان بوهدانو وكز

بقلم الأستاذ على محمد سرطاوى

مسجد وكنج :

لقد اتصل به وبصديقه ورفيقه الشيخ نور أحمد ، أن فى ضاحية وكنج التى تبعد خمسين ميلا عن لندن ، مسجداً لا يشغله أحد ، ويكاد يصبح أنقاضاً لقلة العناية به . وقد بنت هذا المسجد صاحبة العظمة أميرة بيهوبال بناء على رغبة المرحوم الطيب الذكر الدكتور هنرى ليبر ، المستشرق الذى شغل فى بعض أوقاته فى فى الهند منصب المسجل فى جامعة البنجاب ، وبعد موته لم يعن أحد من ورثته بالمسجد فآل إلى الخراب عام ١٩١٢ ، فاغتنم الشيخ أحمد نور وخواجة كمال الدين الفرصة واحتلا المسجد . ولكن ورثة الدكتور ليبر طلبا إليهما إخلاءه ، فاستجار المسلمان المجاهدان بالسير عباس الذى كان فى ذلك الوقت يشغل منصب العضو المسلم فى مجلس سكرتيرية حكومة الهند ، فأوجد لهما التبرعات والمساعدات التى أرضت ورثة الدكتور ليبر ، ولما أقبلت سنة ١٩١٣ كان خواجة كمال الدين إمام المسجد المسؤول عن إدارته ، واستقر على مقربة منه فى سكينة وسلام بقية الأيام التى عاشها فى بريطانيا ، ونقل مركز نشاطه إليه ، وسماه مسجد الشاه نسبة إلى جده حاكم بيهوبال الحالى ، وافتتح للمرة الأولى منذ تشييده للمصلين

مجلة اسلامك ريفيو :

إبتدأ منذ سنة ١٩١٢ ينشر على نفقته الخاصة مجلة شهرية سماها « إسلامك ريفيو » ، ما لبثت أن لاقت انتشارا واسعا فى جميع بلاد المسلمين ، حتى فى النائية جدا منها . ولقد بلغنا أن هذه المجلة الإسلامية واسعة الانتشار فى الشمال الشرقى من التركستان الصينية . وفى السنة التالية أصدر مجلة باللغة الأردية . ليقرأها المسلمون فى الهند سماها (رسالة لإشاعة الإسلام) وظل يشرف على تحريرها حتى لبى نداء ربه عام ١٩٣٢

نشاطه

قال الدكتور يمينى رئيس الجمعية الإسلامية فى رانغون فى بورما من خطاب ألقاه فى مسجد وكنج أثناء حياة خواجة كمال الدين « لقد جذبت محاضراته المتعددة ، ومواعظه التى تحرك العواطف ، قلوبا مستعصية ، وراحت تلك الخطب والمواعظ تصل إلى كل جزء من الجزيرة البريطانية ، فى صور متنوعة من الكتب الصغيرة »

ولم يمض وقت طويل على نشاطه الجبار ، حتى اعتنق الإسلام أكثر من ألف رجل وامرأة من الإنجليز ، ومن بين هؤلاء المسلمين شخصيات مشهورة كاللورد هدلى ، بدأ حملته التى كانت تهدف إلى بناء مسجد (نيزاميا) فى لندن ؛ فتألفت لجنة برآسة اللورد هدلى كانت سببا مباشرا فى تأسيس الجمعية الإسلامية فى بريطانيا العظمى فى لندن ، وافتتحت أبوابها للمسلمين من أنحاء الأرض ، وبقى اللورد هدلى رئيسا لها حتى توفاه الله إلى رحمته عام ١٩٣٥

بذ الجلاد البذ فهو دفين ما إن به إلا الوحوش قطين

ثم أورد من القصيدة أبياتاً . ويبدو أن أبا تمام لم ينصف فى هذه القصيدة أيضا ، فقد ذكر صاحب معاهد التنصيص (١٢) أن المعتصم « أمر للشعراء الذين مدحوا الأفشين بثلثمائة ألف درهم ، جرت تفرقتها على يد ابن أبى دؤاد . فأعطى منها محمد بن وهيب ثلاثين ألفا ، وأعطى أبا تمام عشرة آلاف » . وقصيدة محمد بن وهيب مطلعها :

طلول ومغانيها تناجيها وتبكيها

ومنها قوله :

بعثت الخيل ، والخير عقيد بنواصيها

قال أحمد بن أبى كامل : قلت لعلى بن يحيى بن المنجم : أولا تعجب من هذا الحظ ، يعطى أبو تمام عشرة آلاف درهم وابن وهيب ثلاثين ألفا ، و بينهما كما بين السماء والأرض ؟ فقال : لذلك علة لا تعرفها ؛ كان ابن وهيب مؤدب الفتح بن خاقان ، فلذلك وصل إلى هذه الحال

(١٢) معاهد التنصيص للعباسى : ج ١ ص ٧٨

(للكلام بقية) محمود عزت عرفة

إن مجاهده العظيم فى مثل هذا الوقت القصير ليدعو إلى الدهشة والإعجاب . فى عام ١٩٢٥ رافقه اللورد هدلى فى حجه الثانى إلى مكة . والآن وبعد سبعة وثلاثين عاما من هذا الجهاد المقدس ، قد لا نستطيع أيضا إدراك المتاعب التى كان يلاقيها من يدعو للاسلام فى إنجلترا قبل الحرب العالمية الأولى . ولعل مولانا محمد على — مترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية ورئيس الجمعية الإسلامية فى لاهور بالباكستان — استطاع فى ذلك الوقت وصف هذه المصاعب حين قال : « هنا كان إنسان من شعب محكوم فى طريقه إلى الأمة التى حكمت بلاده ، يتجه من بلاد مازالت تمد فى أسفل درجات سلم الحضارة إلى بلاد تقف على قمة ذلك السلم ، ليحول سكان هذه البلاد الراقية ، إلى دين قومه ؛ يحول الناس عن الديانة التى تعتبر عاملا أساسيا فى تقدم أوروبا فى الناحية العلمية والمادية والسيطرة على الدنيا ، إلى ديانة أصبحت لديهم مرادفة للانحطاط والجهل والذل » .

نشاطه الأدبى :

لقد كان بعيد النظر جدا حين بقى بعيداً عن السياسة ، ولم يرفع عقيرته حتى رأى الخطر يقترب من الإسلام ، ولكنه كان لا يسكت إذا مس إنسان الإسلام من قريب أومن بعيد . ولذلك ألف كتابين فى الرد على بعض الجماعات الإنجليزية حين تعرضت للاسلام وهما : (الهند فى الميزان) و (البيت المقسم)

وفى سنة ١٩١٧ اتخذ العدة لطبع ترجمة محمد على للقرآن ـ فى وكنج ، وهو عمل له خطورته البالغة فى ذلك الوقت . أما آثاره الأدبية فتزيد على مائة كتاب معظمها عن الإسلام والأمور الدينية الأخرى ومن خير مؤلفاته :

(١) مصادر الديانة المسيحية (٢) النبى المثالى (٣) نحو الإسلام (٤) إنجيل العمل

تعمقه فى دراسة القرآن الكريم :

وزيادة على ما ألف ، فقد كان يعد كتابا ضخما سماه « تعليقات على القرآن الكريم » الذى لم يتمه ، وكانت سعة اطلاعه على القرآن موضع إعجاب معاصريه وتقديرهم . فلقد قال عنه الشيخ حسن مشير كدواى : « إن قوة خواجة كمال الدين كانت تنبعث من الكتاب المعجز ـ القرآن الكريم ، لقد درس القرآن دراسة عميقة على الرغم من أنه من غير العرب ، وكل أحاديثه كانت مستمدة منه » وقال عنه اللورد هدلى : « لم يسبق لى أن رأيت إنسانا قبله ، فى مقدوره التعبير عن آيات الله المعجزات فى سهولة لم يتحها إلا للأنبياء والمرسلين »

محاربة الطائفية

وميزة كبرى من ميزات خواجة كمال الدين هى أنه — وهو يدعو لنشر الإسلام — قد نجح إلى حد بعيد فى إزالة النعرات الطائفية من نفوس المسلمين الذين كان يتصل بهم ، وقد وصف هذا العمل تلميذه ومساعده المستر يعقوب خان ، رئيس تحرير صحيفة (ليت) التى تصدر الآن فى الباكستان باللغة الإنجليزية بقوله : « لا طائفية فى الإسلام » ، كانت هذه الجملة شعاره فى الحملة التى قام بها خواجة كمال الدين ، فأصبحت وكنج ملتقى الطوائف من المسلمين من السنيين ، والشيعة ، والوهابيين ، والأحمديين ؛ يجتمع كل أولئك إخوانا على سرر متقابلين ، فكان منظر هذه الوحدة موضع إعجاب الإنجليز ، وهو بعمله هذا قد ضرب مثلا رائعا للمسلمين ، فمهد بذلك الطريق إلى نهضة الإسلام التى تأخذ طريقها إلى عالم الوجود . »

نشاطه فى أوربا :

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، أخذ تأثيره يمتد إلى ما وراء الجزيرة البريطانية ؛ حتى عم جميع أوربا ، فكان معروفا فى فرنسا ، وألمانيا ، وبلجيكا التى زارها عدة مرات . وكان من أثر الدعوة إلى الإسلام باللغة الإنجليزية فى بريطانيا أن تأسيس مركز فى برلين للجمعية الإسلامية الباكستانية ، ولم تمض نهاية سنة ١٩٦٠ حتى شيد مسجد فى عاصمة الألمان على نفقة تلك

الجمعيـــة ، وتأسس فى باريس مسجد آخر من تأثير خواجة كمال الدين ، لأن فرنسا — وهى دولة استعمارية تحكم عددا من المسلمين — لاتحب أن تسبقها بريطانيا وألمانيا فى هذا المضمار . أما أقطار أوربا الأخرى ، فنعرف أن تأثيره امتد حتى شمل بولندا ، فترجم أحد مؤلفاته عن الإسلام إلى اللغة البولندية فى نهاية عام ١٩٣٠

نشاطه فى بلاد الإسلام

لقد امتدت جذور نشاطه فى بلاد الإسلام أكثر من امتدادها فى أوروبا ، وخاصة فى أفريقيا وآسيا، القارتين اللتين تعرضتا لتيار عنيف من الثقافة البريطانية ، فكانت مجلتـه إسلامك ريفيو تلاقى انتشارا واسعا بين المسلمين . وقد زار عـدة مرات بلاد الإسلام وخاصة فى مواسم الحج حيث زار الأماكن المقدسة حاجا مرتين ، عام ١٩١٠ ، و١٩٢٣ . ثم قام برحلة طويلة وصل بها إلى سنغافورا وجاوا ، وكان يقابل بالترحاب فى كل دولة وخاصة فى مصر المضيـافة العظيمة ، إذ استقبل فيها استقبـالا حارا ، واستمعت إلى فصاحته جماهير غفيرة من المسلمين وهو يتدفق كالسيل عن الدين الحنيف

أيامه الأخيرة

أخذت صحته تنهار حوالى سنـة ١٩٢٧ من جراء نشـاطه الجبار ، وعمله المضنى ، فترك إنجلترا راجعـا إلى مسقط رأسه فى بلاد الهند . وقبل أن يغادر بريطانيا ألف مجلس أمنـاء لرعاية المسجد ، ووقف جميع ما يملك ، وتقدر قيمته بمائة وخمسين ألف روبية ، على الجمعية الإسلامية فى وكنج ، وحول إلى هذه الجمعية كافة الحقوق المتعلقة بطبع مؤلفـاته أو ترجمتهـا ، وكذلك مجلة إسلامك ريفيو

وزاد عليه المرض وألح ، فانحطت قواه ، وراح يعانى آلاما مبرحة من أمراض صدرية احتملها بصبر عجيب وجـلد نادر ، مدة خمس سنوات . وعلى الرغم من تعاليم الأطباء المشددة بوجوب الإخلاد إلى السكينة ، فإنه لم يرح دقيقة واحدة ، وعلى الرغم من عدم استطاعته حمل اليراع ، فقد كان يملى البحوث الضافية ، والمقـالات الرائعة ، حتى الـكتب ، عن الإسلام . وقبل موته بساعات فى مدينة لاهور بالباكستان فى الثامن والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٣٢ الموافق أول رمضان عام ١٣٥١ هجرية أملى آخر فقرة من تعليقه على القرآن الـكريم ، وقد نشر ذلك التعليق فى عدد إسلامك ريفيو الصادر — فى إبريل — عام ١٩٣٣ .

وحتى النفس الأخيرة من تلك الحياة المجيدة ، عمل جاهدا فى سبيل الإسلام ومات وكانت آخر الـكلمات التى ودع به الدنيـا تدور حول الجهاد العظيم فى مسجد وكنج تحت راية الإسلام . رحمه الله رحمة واسعة

الـكلام صلة — على محمد سرطاوى

رسالة الشعر

شيخ القضاة

للأستاذ محمود غنيم

نضو السهاد أطال من إغفائه   وشفاه شافى الموت من برحائه

ألقى عصاه واستراح بعرفاً   يلقى المجاهد فيه حسن جزائه

مات الذى لم ينس مصراً والردى   يمشي ببطىء الخطو فى أعضائه

ما زال فى الميدان يحمل سيفه   ويصول حتى خر من إعيائه

كان الهتاف لمصر كل أنينه   فوق الفراش وكان بعض دوائه

* * *

عبد العزيز خلا بمصر مكانه   فى طول ساحته وعرض فضائه

كون برمته خلا من أهله   يامن لهذا الكون بعد خلائه

هبة الهبات سخا الزمان بها على   هذا الوجود وضن بعد سخائه

لهفى عليه وألف لهفى ما خبت   شمس الضحى وخبا شعاع ذكائه

الموت أطفأ ذلك الذهن الذى   عجز الضنا والشيب عن إطفائه

جسم نحيل غير أن وراءه   أفقاً يتيه الظن فى أرجائه

وقريحة نفاذة لو وكلت   بالغيب ما عيت بكشف غطائه

قالوا السياسة قلت كان إمامها   أما القضاء فكان بدر سمائه

كم جولة فى مجمع الفصحى له   بين النجوم الزهر من علمائه

والعبقرية أينما وجهتها   تسمو بصاحبها على نظرائه

* * *

لما نعى شيخ القضاة نعاته   قلنا قضاء الله فوق قضائه

حكم مضى كالسهم فيمن حكمه   قد كان مثل السهم عند مضائه

بكت المدالة يوم مات كأنه   صخر بكته مقلتا خنسائه

عرفته يفنى فى سبيل حياتها   ويقيم حائطها على أشلائه

دستورها ما خط من أحكامه   وتناقل الفقهاء من آرائه

* * *

مات الذى اشترك الأحبة والعدا   بقلوبهم فى نعيه وبكائه

لا تنثروا الأزهار حول ضريحه   فخلاله ينفحن فى أنحائه

هتفت شمائله بملء لهاتها   ترثيه قبل هتافنا برثائه

والله ما نظم الرثاء لراحل   كالـان ما أسداه من آلائه

ومن الثناء ممحض ومموه   لكن صدق القول غير ريائه

هذا الذى ولى نقى الثوب ما   من شبهة علقت بذيل ردائه

قد كان أرفع قيمة من دهره   وأجل من حرمانه وعطائه

النفى لم يقدر على إخضاعه   والحكم لم يقدر على إغرائه

من أجل مصر ما يجيش بصدره   من حبه للناس أو بغضائه

وإذا أحب فلن تراه محابيا   شتان بين حبيبه وحبائه

يهوى ويقلى وهو فى كلتيهما   بالعقل مغلوب على أهوائه

وينال بالإسفاف منه غريمه   وبغير ذاك ينال من غرمائه

خصم شريف إذ يصول وربما   أغضى فكان القتل فى إغضائه

حر حمى الأنف إن سيم الأذى   فالموت كل الموت دون رضائه

أنف لو ان الخلد شيب هواؤه   بغبار ضيم عاف شم هوائه

وصراحة فى الرأى يبديه وإن   لم يرض ذو الجبروت عن إبدائه

عجبى له كيف استطاع الصدق فى   لغة السياسة وهى من أعدائه

قد كان فى هذا الزمان وأهله   معنى جميلا فى كتاب شائه

لو كان صادف مثله (دوجين) لم   يبحث عن الرجل الشريف التائه

* * *

هذا الرفات مسجل أكبر ثورة   بالله لا تطووه من قرائه

خطوا على مرآى العيون ضريحه   ثم اكتبوا التاريخ من إملائه

القصيدة التى ألقاها الأستاذ محمود غنيم فى الحفلة الكبرى التى أقيمت بدار حزب الأحرار الدستوريين لتأبين المغفور له عبد العزيز فهمى باشا

وخذوا الحقائق عنه بعد مماته والميت مؤتمن على أنبائه
هذا بقية معشر قد خط فى صحف الجهاد كتابه بدمائه
اليوم نفقد صاحبيه بفقده فنى الثلاثة جملة بفنائه
لما أهاب النيل فى الجلى بهم لبوه أطهر أنفسا من مائه
فتحوا على المحتل باب عرينه ولقوه وهو يتيه فى غلوائه
وسلاحه بدم العدو مخضب والنصر معقود بظل لوائه
كى ينزعوا من بين فكيه لهم حقا صراحا حان يوم قضائه
ما كافأوه قوة لكنهم بالحق والإيمان من أكفائه
رحماك يا عبد العزيز أفلت فى ليل يضل النجم فى ظلمائه
رحماك مازال الدخيل يجوس فى أرض الحمى ويطير فى أجوائه
ليت المنية أمهلتك هنيهة حتى ترى عيناك يوم جلائه
هيهات لا طاحت به حرب ولا نجحت عهود السلم فى إقصائه
فى كل يوم علة لبقائهم تبدو بوجه غاض ماء حيائه
أديت للأوطان كامل حقها لكن حقك لم تقم بادائه
لو كان أنصفك الحمى حيا لما قاسيت ما قاسيت من إيذائه
أو كان أنصفك الحمى ميتا غدا مثواك فيه يطاف حول بنائه
لكنه وطن يحط الشوك فى طرقات من يسعى إلى إعلائه
يارب دستور نظمت بنوده نظم الجمان وكنت كبش فدائه
يا كابر الأحرار حزبك ربع فى حر أبى النفس من خلفائه
جددت أحزان الحمى فى معشر إن يشك داء كان بلسم دائه
عدلى ومن عدلى وثروت وهو من هو فى أصالة رأيه ودهائه
« ومحمد » ولى ومن كمحمد من مثله فى نبله وآبائه
نفر إذا الدستور فى مصر انتمى فهم الكرام الصيد من إبائه
حكموا فما عبثوا بأموال الحمى وشروا سعادتهم بطول شقائه
أو خاصموا المحتل خارج حكمهم فاذا تولوا بادروا بولائه

***

يا وافيا بعهوده لبلاده ولكل من عرفوه من خلطائه
ولوردة عاشت حياة الورد ما راع ابنها أو راعها ببنائه
لله درك تتصف الأموات فى زمن تفشى الجور فى أحيائه
أقسمت أنك فى وفاتك منة لرجال عصرك فى رقاب نسائه
قالوا السموءل قلت لو أدركته لم يضربوا أمثالهم بوفائه
عبد العزيز ولا أزيدك خبرة بالموت كل شارب باإنائه
قد كنت نبقى لو تكفلت العلا والمكرمات لربها ببقائه
لكن عدوى الموت عدوى لم تزل من آدم تسرى إلى أبنائه
يهنى سماء الله أنك جارها والخلد أنك نازل بفنائه
أقسمت لو جزع الصباح على امرىء ما لاح بعدك مشرقا بضيائه

غنيم محمود

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

نحن المساكين من سامعي الإذاعة

كنا نسكن في إحدى ضواحي القاهرة، ونعمنا فيها زمانا بالهدوء والجمال، ثم أغارت علينا أسراب البعوض فنغصتنا وكدرت صفونا، وأخرجتنا من ذلك العش الهادئ، كما أخرج الشيطان أبوينا آدم وحواء من الجنة ... ولجأنا إلى شقة بحي من أحياء القاهرة الزاخرة العامرة. وتنفسنا الصعداء، إذ صرنا بنجوة من ذلك الذي كان يلدغ أجسادنا فيعكر دماءنا، ولكن سرعان ما تبين لنا أن صروف الدهر لا تزال تترصدنا، فقد أبدلتنا بالبعوض الإذاعة.. ورأينا برامج الثانية أشد تبريحا من زبانى الأول، هذا ينال من الجسد، وتلك تنكل بالذوق السليم. وقد كنا نحاول أن نتقي البعوض بغلق النوافذ ورش السوائل المبيدة، ولكن لا بد لنا من الهواء، فإذا فتحنا له دخل العدو المهاجم معه. ولم يكن البعوض بمنزلنا فقط حتى نستطيع حصاره فيه وإبادته، وإنما هو يأتينا من كل مكان في الضاحية، فإن قتلنا منه رسلا أقبلت أرسال. وكذلك صار حالنا مع الإذاعة، نقفل مذياعنا، فتهاجمنا أصواتها من مذياع الجيران، وبكل شقة مذياع، ولكن هذه الشقة التي تقع تحتنا يسكنها «فسخاني» الحي، وهو رجل عريض القدر كبير المقام، لأنه «فسخاني» الحي كله.. ومذياعه على قدر مقامه وعلو قدره، فلا بد أن يعلو صوته حتى يسمع من لا يحب أن يسمع.. والرجل يحب ألوان الغناء التي لا أسيغها بل لا أطيقها، وخاصة «التواشيح» التي يتغنى بها «الفقها» في الموالد، التي تنقلها الإذاعة المصرية بعجرها وبجرها، فتصك الأسماع وتؤذي الأذواق السليمة بما تجلجل أصوات المنشدين وما تطلقه حناجر المستمعين.

وما زلت أعاني عقابيل «السهرة» الأخيرة التي احتفل فيها بمولد سيدي مرزوق الأحمدي في مسجده بالجمالية، ولم تفت الفرصة إذاعتنا الهمامة، فشمرت عن ساعد «المكرفون» وراحت تبحث في تلك الأزقة حتى بلغت ضريح «سيدي مرزوق الأحمدي» ومن الإنصاف أن نسجل لها ذلك الجهد الكبير الذي كشفت به ذاك الضريح فبزت بهذا الكشف «كولمبس» وغيره من كبار المستكشفين.. فما كنا نعرف «سيدي مرزوق الأحمدي» قبل اليوم وما كنا نسمع له ذكرا..

في تلك «السهرة» سمعنا عجبا.. بدأ المذيع يقول نحن الآن في مسجد سيدي مرزوق الأحمدي — ووصف موقعه بالضبط لنذيع عليكم الاحتفال بمولده... يالها من همة.. يزيدها شأنا علو مذياع جارنا «الفسخاني» المفروض علينا سماعه فرضاً! ثم غنى «الفقي» ومعه «تخته» يردد ما ينشده ويحكي عبثه وتكسره.. وكلما ارتفعت أصوات الاستحسان تمادى في تقطيع أوصال الكلمات وتشويه نطقها بمختلف الأفانين، كأن يقول:

«نابي (نبي) ألبس الدنيا جمالا» ويمد الرجل نون «نبي» ما ساعده نفسه وهو طويل... وهو يخلط ما ينشد، يأتي ببيت من منظومة وآخر من أخرى، ثم يسترسل في نثر مسجوع، ويتضمن كل ذلك معاني سخيفة وخيالا سقيما، ومما علق بالذاكرة

يا آل بيت النبي عبيدكم غلبت عليه شقوته والساعة اقتربت

منوا على من به أيدي النوى لعبت

ومنه:

«في يوم مولده اهتز العرش طربا، ومال الكرسي عجبا» ويستمر في كلام غث يتحدث به عما يزعم أنه وقع يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذا الكلام أن الحيتان في قعر البحار.. لست أدري ماذا فعلت!

ويدرك كل ذي ثقافة إسلامية صحيحة ما في ذلك الكلام كله من انحراف عن جادة الفكر الإسلامي السليم. ولكن الإذاعة المصرية لا تدرك ذلك، لأنها جاهلة، وجهلها مركب، إذ تضيف إلى جهلها أن تذيع هذه الحفلات على أنها حفلات دينية وتجترم تشويه الدين بإذاعة هذا السخف باعتباره من مظاهر الدين!

ذلك قليل من كثير، مما تصيبنا به الإذاعة التي نسمعها على كره. وهو مثل من المهزلة الإذاعية التي تمثل في هذه البلاد المسكينة

إلى معالى وزير المعارف

مسكينة بنيتى الصغيرة ! كانت ناعمة بطفولتها ، تغدو إلى « الروضة » فى شوق وإقبال ، وتروح إلى البيت فى مراح ونشاط ، تحصل ما يلقى إليها فى أثناء المرح واللعب ، بل تلتقطه كما يلتقط الطير الحب ، شهيا مريئا . ثم تبدل الحال ، إذ أصبحت تنوء بالواجب المدرسى ولما تزل فى الروضة ! هذه عمليات حسابية ، وتلك قطع إملائية ، وغير ذلك ، مما لا يناسب عقلها الصغير ، ولا يلائم طورها فى التعليم

ومسكين أنا ! لقد كنت سعيداً مغتبطا بما كنت ألحظه فى بنيتى من شدة الرغبة فى التعليم ، وهأنذا أرى الجذوة المتقدة فى قلبها تكاد تخبو ! وقد علمنا أن لا شئ أخطر على مستقبل الناشئ من إرهاقه وتبغيض التعليم إليه ، ولهذا لم يكن يهمنى مقدار ما تحصله ابنتى بقدر ما يهمنى أن تظل جذوة الرغبة فى العلم متقدة بقلبها

لذلك رحت أتقصى الأمر ، وقد تبادر إلى ذهنى أولا أن هذه الروضة التى انتقلت إليها الطفلة هذا العام تسير فى نهج غير الروضة التى قضت فيها العامين الماضيين ، ولكن علمت بعد ، أن أطفال الرياض سيمتحنون آخر العام امتحانا عاما ! وعلى ذلك راحت المدرسة التى كانت روضة ، ترسل إلى كل شهر تقريرات عن الطفلة تثير العجب ، فليس بها أية ملاحظات تربوية ، بل تكاد كلها تكون صورة واحدة مضمونها أن الطفلة فى حاجة إلى عناية ! أية عناية بالله ؟! هل أستأجر لها معلما خصوصيا ؟ وهل أنا أرسل ابنتى إلى روضة أطفال تعالج فيها بوسائل التربية الحديثة التى تقوم على التشويق والمرح ، أو أبعث بها إلى مدرسة تلقنها المعلومات وتحشو ذهنها بما لا يقوى على هضمه ، وتريد المدرسة أن أعينها على هذا الحشو والتلقين ، بل أقول الإفساد والتشويه !

كنت أسمع شكوى بعض من يلى أمر التعليم فى المدارس الابتدائية ، من ضعف التلاميذ الذين تخرجوا فى الرياض بالقياس إلى من تسلموا فى المدارس الأولية ، وهى شكوى تدل على ضيق الأفق ، لأن المعلومات والمهارة التعليمية التى اكتسبها الفريق الثانى إعاجات على حساب الإهمال فى التربية الفكرية والذوقية والجسمية التى يهتم بها فى الرياض ، أو المفروض أن يهتم بها فيها ، إلى ماق التبكير والإسراع فى التزويد بالمعلومات من القسر والإرهاق اللذين لا يتحقق معهما شعور المتعلم بفائدة ما يتعلمه واقتناعه بحاجته إليه

فهل ذاك الامتحان المزمع ، انتصار لشكوى الآلات التى لا تحسن إلا الحشو والضغط كما تحشى عياب القطن وتضغط لتحتوى على أكبر كمية ممكنة .. ؟

وأكبر العجب أن يكون ذلك ؛

كشكول الأسبوع

□ كانت لجنة جوائز فؤاد الأول للادب ، قد قررت أن تمنح جائزة هذا العام وجائزة العام الماضى (المؤجلة) للاقاصيص والمسرحيات النثرية الصغيرة وقدر كل من الجائزتين ألف جنيه . وقد احتفل بتوزيع هاتين الجائزتين والجوائز الأخرى للعلوم والفانون ، يوم السبت ٢٨ أبريل فى ذكرى المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول ، فنال جائزتى الأدب الأستاذان محمود تيمور بك وتوفيق الحكيم ، الأول عن مجموعتى « كل عام وأنتم بخير » و « إحسان الله » ، والثانى عن مجموعة « مسرح المجتمع » والأستاذان الكبيران جديران بهذا التتويج الأدبى ، وهو أقل ما يكافآن به لقاء ما يقدمان فى عالم الأدب والفن من إنتاج حى رفيع

□ تلقى معالى الدكتور طه حسين باشا دعوة من اليونسكو وحكومة الهند ، لحضور مؤتمر الفلسفة الذى سيعقد فى دلهى الجديدة من ١٣ إلى ٢٠ ديسمبر القادم ، ليبحث فى المثل الأعلى للانسان وفى التربية فى العالمين الشرقى والغربى . وقد دعى إلى هذا المؤتمر عشرة فقط من أعلام المفكرين فى العالم

□ احتفلت السفارة الباكستانية بذكرى الشاعر والفيلسوف الإسلامى الكبير المغفور له محمد إقبال ، يوم السبت الماضى بنقابة الصحفيين ، وقد افتتح الحفل بكلمة مناسبة الأستاذ شريف الحسن الملحق الصحفى بالسفارة ، وقد سرنا أن هذه الكلمة كانت باللغة العربية . وخير ما ألقى فى الحفلة كلمة الأستاذ عباس محمود العقاد وقصيدة الأستاذ عزيز أباظة

□ حاولت أن أقرأ « المقامة العرفانية » التى نشرت فى العدد الأسبق من « الرسالة » للاستاذ ابرهيم الابيارى ، فلم أستطع . وقد فهمت من تعليق الرسالة عليها أن مفتاح فهم المقامة هو أمير . . فبحثت عن هذا المفتاح فلم أهتد إليه إلا فى شخص الصديق الكريم الأستاذ الابيارى نفسه .. فهل لى أن أستدرك على تعليق الرسالة بأن الكاتب هو المفتاح .. ولعلى أذيع سرا .. إذ قلت إن الخطاب فى المقامة موجه إلى معالى الدكتور طه حسين باشا ، والمقصود

وعلى رأس وزارة المعارف الدكتور طه حسين باشا ، وفى الوقت الذى يعلن فيه الحرب على الامتحانات .. فى الوقت الذى قرأنا فيه كلمة معاليه فى اجتماع مجلس التعليم الأعلى ، التى يقول فيها :

« أما البرامج فإنها مثقلة إلى حد لا يطاق ، وهى على إثقالها لا تثقف كما ينبغى أن يثقف الطالب ، والخير كل الخير أن نلقى إلى التلاميذ ما يقبلونه وما ينتفعون به دون إرهاق . أما الامتحانات عندنا فهى كارثة الكوارث . لا يكاد الطفل يدخل المدرسة حتى يمتحن من سنة إلى سنة ، ونحن فى هذا نكاد ننفرد بهذه العلة دون كثير من الأمم المتحضرة »

أكبر الظن أن معاليه لا يعلم بهذه الكارثة التى توشك أن تنقض على هذه القطع الغضة الصغيرة من أكبادنا التى تتناثر فى رياض الأطفال . إن هذا السخف لا يمكن أن يتم برضاء ذلك الفكر الكبير الذى يحارب - فيما يحارب - هذا السخف .. ويعمل على إبعاده عن الكبار ، فما بالك بالصغار ! يا معالى الباشا ، أدرك تلك الزهرات قبل أن تدعكها أيدى الجفاة ..

ذكرى قاسم أمين

احتفل الاتحاد النسائى يوم الاثنين الماضى ، بذكرى وفاة نصير المرأة والداعى الأول إلى تحريرها قاسم أمين . وقد ألقت كلمة الاتحاد النسائى السيدة إحسان القوصى فتحدثت عن قاسم أمين من حيث دعوته إلى تحرير المرأة ، وأفاضت فى الحديث عن النهضة النسوية ، وقد أحسنت بقولها إن المرأة ليست زينة المجالس بحليها وزيها ، وإنما هى كذلك بما تشعر الرجل به من احترامها واعتبارها ، إذ تناقشه فى مختلف الشئون الفكرية والعلمية والأدبية

وتحدث الشيخ المحترم محمد خطاب بك عن صاحب الذكرى ، فنبه إلى أمرين : الأول أن تحرير المرأة فى رأى قاسم أمين لم يكن أمراً قائماً بذاته ، وإنما كان ينظر إليه على أنه الركن الأساسى فى نهضة البلاد ؛ والأمر الثانى أنه كان يصدر فى دعوته عن إيمان بمطابقتها للدين الإسلامى ، فاهتم بتفنيد الطعن الذى وجه إليه من حيث نظره إلى المرأة ، ورفض أن يقصر دعوته على الناحية الاجتماعية . وكان خطاب بك يبدو ملما بالنواحى المختلفة لقاسم أمين وهو من قرابته وصحابته - ولكنه كان يرتجل فلم يسعفه الارتجال على إيفاء الموضوع حقه ، وكان يقرأ أحيانا من ورقة مكتوبة بالعربية ولكن القراءة غير عربية . . ولجأ كثيرا إلى العامية ، فاضطرب بين هذه وتلك ، ولم تستقم له إحداها ! وقد قال فى أول كلمته إن وفاءه للراحلين أكثر منه للأحياء ، وإنه وفى خاصة لقاسم أمين لمكانه منه ، وحث فى آخر الكلمة على الاهتمام بدراسته . ولو أنه أعد موضوعه كتابة لكان أدنى

بـ « العرفانية » نشره العلم والعرفان ، فهل يعلم معاليه بهذا السر ؟ وما إخاله فى حاجة إلى أن أدله على المفتاح

◘ لحن المذيعين والمذيعات فى محطة الإذاعة ، ظاهرة معروفة ، وهو فيها من الأمراض المتوطنة ، وقد لوحظ أخيرا أن هذا اللحن قد تفشى وكثر حتى صار الناس يسمعون منه ألوانا تدل على جهل فاضح . وقد سمعت مذيعة تقول : استقبل رفعة رئيس الوزراء فلانا وفلانا ... وغيرهم من علية القوم ونطقت « علية » بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء .. وسمعت أيضا مذيعة تقول فى تقديم قصيدة غنتها شهر زاد لأبى فراس الحمدانى ، فنطقت اسم الشاعر هكذا « أبو فراس الهمذانى » وشددت راء « فراس » فهل أصبحت الإذاعة مباءة لأهل اللحن (بمعنييه) المزعج !!

◘ نقلت الإذاعة يوم الخميس الماضى ، حفلة أقامتها إدارة النشاط الاجتماعى والرياضى فى وزارة المعارف ، لفرق مدرسية جاءت إلى مصر من الأقطار الشقيقة ، وخطب الأستاذ محمد فتحى بك مراقب الادارة قائلا : ياشباب العرب ، فى هذه الحفلة التى تذاع بالخارج يسمعكم ذويكم ! فسمعه ذووهم وغير ذويهم .. فهل انتقل اللحن من الإذاعة إلى وزارة المعارف ؟

◘ تتجه النية فى وزارة المعارف إلى إنشاء معهد لإحياء ودراسة الآثار الإسلامية باسطنبول على غرار معهد فاروق الأول بمدريد

◘ أعلنت المراقبة العامة للتصدير ، أنه تقرر استثناء الكتب الدينية والكتب الخاصة بنشر ثمرة الفكر المصرى من قرار حظر تصدير المطبوعات . ويقول « خبيث » من الموظفين المتصلين بهذا الموضوع إنه صاحب تعبير « ثمرة الفكر المصرى » وإنه يقصد بذلك ألا يدخل فى إباحة التصدير الكتب التى تطبع فى مصر لمؤلفين من الخارج !

◘ خطب فضيلة الأستاذ محمد عبد اللطيف دراز فى وفد الصحافة الباكستانى عند زيارته للأزهر ، فقال : اعملوا على تأسيس الكتلة الإسلامية لتقف فى العالم إلى جانب الكتلة الشرقية والكتلة الغربية ، فرد عليه أحد الصحفيين : ولم لا يسعى الأزهر لإنشاء هذه الكتلة . ؟



تصحيح واجب

لفت نظرى أخيرا بعض الإخوان الأفاضل إلى وجوب تصحيح كلمة ورد فيها اسمى ، وأثارت تعليقا طويلا من الحجاز ، ذلك بأن الشاب النابه محمد إبراهيم الخطيب شكا فى الرسالة من بعض ما يلقى فى الأزهر من علم لا يساير العصر ، ولا يرد كيد بعض الطوائف التى تبذر الشك فى عقيدة المسلمين كالوهابية والإسماعيلية . ثم قال ولست بأول من جهر بهذا ، فقد سبقنى إليه أساتذة أجلاء ، منهم أستاذى الدكتور محمد يوسف موسى .. إلى آخر ما قال .

وقد رد على هذا فى كلمة طويلة الأستاذ الشيخ محمد الجاسر من الحجاز ، يستعظم ويعجب أن يكون هذا الرأى لى قد ألقيته على تلاميذى بالكلية مع ما يعرف من دراساتى وتخصصى فى الشؤون الإسلامية

والواقع أن الباحث المنصف مهما رأى ما يصح بل ما يجب نقده فى الحالة التى عليها الحجاز أو البلاد العربية أو بلاد جزيرة العرب من ناحية العدل الاجتماعى وما يتصل بذلك ، فإنه لا يمكن أن يزعم أن العقيدة السلفية التى تقوم عليها الدولة العربية السعودية هى عقيدة طائفة من طوائف المسلمين، بله طائفة تنخر فى عظام الإسلام كما يقول تلميذنا الخطيب !

لذلك ، أرى من موقف بعض دعاة هذه العقيدة هنا من المصريين ، وما هم عليه من الغلو الذى ينفر كثيرا من الناس ويجعلهم حقا يشكون فى عقيدتهم ، سندا للرأى الذى أشار إليه هذا ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

محمد يوسف موسى

أستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر

نسبة كتاب الى غير صاحبه

جاء فى مقال الأستاذ ضياء الدخيلى عن الفارابى بالعدد ٩٢٩ من الرسالة الزهراء أن للاستاذ العقاد كتابا عن الفارابى من سلسلة أعلام الإسلام. والحق أن الكتاب المشار إليه وهو الحلقة التاسعة من تلك السلسلة التى انقطعت ، إنما هو للأستاذ عباس محمود المتخرج فى قسم الفلسفة من كلية الآداب بجامعة فؤاد . وإن أستاذنا العقاد غنى بنتاجه الأدبى وبكتبه الفلسفية، ولا يعلى من مكانته أن أن ينسب إليه كتاب لم يكن له

عبد الرازق عبد ربه

أحبب حبيبك هونا ما

عقب أستاذنا الكبير محمود أبو رية على تعقيبى بشأن حديث

إلى الوفاء والدراسة ..

ثم تحدث الأستاذ أحمد حسن الزيات حديثا أشعر أن الصفة المطابقة له هى أنه ممتع . لأنه يمد كلا من العقل والشعور بحاجته من الفائدة والإمتاع . وترى كلمة الأستاذ فى صدر هذا العدد من « الرسالة »

وألقت الآنسة منيرة عبد الرازق كلمة المرأة العراقية فى هذه الذكرى ، فتحدثت عن صدى دعوة قاسم أمين فى العراق ، وخصت بالحديث الشاعرين العراقيين الزهاوى والرصافى من حيث تأثرهما بآراء قاسم أمين

وقد تعاقب خطيبات أخريات ، وكانت كلماتهن ــ كما كان جل ما قيل فى الحفل ــ يدور حول النهضة النسائية وحقوق المرأة . ولم يكن للمحتفل بذكراه من الاهتمام إلا بما يتعلق بهذه الحقوق وتلك النهضة ، فلم نسمع حديثا عن الجوانب الأخرى لقاسم أمين ، فيما عدا ما قاله الأستاذ الزيات عن أدبه وعن مكانه من النهضة ، وفيما عدا الإلماع الخاطف إلى بعض النقط العامة للبلاد ، فى كلمة خطاب بك . ولعل فى هذا فكرة مصغرة للنهضة النسائية فى بلادنا ، فالمرأة تبدئ وتعيد فى المساواة والحقوق ، وتخصص تسعة وتسعين من المائة من جهدها لهذا الميدان ، أما الواحد الباقى من المائة فهو للأعمال المنتجة فى خدمة المجتمع

عباس خضر

أحبب حبيبك هونا ما ، وذكر أن الحديث رواه الترمذى وغيره ولكنهم تكلموا فى كثير من رجاله ، ويبدو أنه من قول على..

وأقول : إن الحافظ العراقى مخرج الأحاديث فى كتاب إحياء علوم الدين ذكر ما نصه :

« حديث أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوماما الحديث، رواه الترمذى عن حديث أبى هريرة وقال غريب: قلت رجاله ثقات رجال مسلم لكن ا لراوى تردد فى رفعه » انتهى

وقد ورد هذا الحديث فى كتاب التاج الجامع للاصول فى أحاديث الرسول تأليف الشيخ منصور على ناصف ، وعقب عليه المؤلف بأنه رواه عن أبى هريرة الترمذى والبيهقى والطبرانى دون أن يشير إلى ضعفه

وقد ورد الحديث أيضا فى كتاب مصباح الظلام .. لمؤلفه الجردانى وعقب عليه المؤلف بأنه رواه الترمذى والبيهقى فى شعب الإيمان والطبرانى فى الكبير ، وغيرهم كالدارقطنى فى الإفراد وابن عدى فى الكامل والبخارى فى الأدب وهو حديث حسن كما فى شرح العزيزى

محمد عبد الله السمان

الأدب العربى بين الجاهلية والإسلام

كتاب جديد فى الأدب العربى فى العصر الجاهلى والعصر الإسلامى يقع فى نحو ثلاثمائة صفحة من الحجم الكبير — طبعة المطبعة الفاروقية الحديثة بالناصرية

من تأليف الأساتذة : حسن جاد ، ومحمد عبد المنعم خفاجى ، وعبدالحميد المسلوت، المدرسين بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف

ودراسات الكتاب جديدة ومنظمة بأسلوب طريف ومناهج مستحدثة فى البحث الأدبى ويطلب من المؤلفين

تحقيق مسألة

بمناسبة التعريف بكتاب (الأدب العربى بين الجاهلية والاسلام) نلاحظ أن مؤلفيه الأفاضل لم يحسنوا النقل فيما نسبوه إلى كتابى (فى أصول الأدب) كالعلاقة بين أدب وآدم فى اللغة الشومرية مثلا، وأنهم ذكروا فى الحاشية من صفحة ٣٦ أن من مصادر بحثهم فى (العوامل المؤثرة فى الأدب) أربعة مصادر ذكروا من بينها (فى أصول الأدب). والحق أن الفصل بمنوانه تلخيص لمحاضرة ألقيتها ببغداد فى ٢٤ يناير سنة ١٩٣٠ ثم نشرتها هى وغيرها بعد ذلك فى كتابى (فى أصول الأدب) ، ولا أعلم كاتبا طرق هذا الموضوع ولا ذكر هذا العنوان قبل هذا التاريخ . وقد استأذننى صديق الدكتور عبد الوهاب عزام بك فى أن يعتمد على هذه المحاضرة فى نصيبه الذى كتبه من كتاب (التوجيه الأدبى) وكان من الإنصاف أن يشار إلى ذلك فى هذا الكتاب وفى غيره

الزيات

مذهب قديم

وردت فى بريد الرسالة كلمة من العراق تحمل إشفاق صاحبها على مذهب جديد ، هو ما يقول به الآن الأديب (كمال بسيونى) وكنت أحب أن يعلم المشفق النجيب أنه ليس هناك ابتكار ولا تجديد ، وإنما هو رأى أعلنه على الناس عميدنا الوزير ـ طه حسين باشا ـ محاضرا فى قاعة الجمعية الجغرافية منذ عشرين عاما . وهذا نصه :

« فالشعر ضرورة من ضرورات الحياة فى كل طور من أطوارها ، فإذا انقضى هذا الطور أصبح الشعر عاجزا عن أن يقوم بشىء من ذلك ، وأصبح النثر خليفته يصور هذه الأشياء الجديدة . والشعر الذى كان ضرورة أولا يصبح فى الطور الثانى ضربا من الترف والزينة . والحياة لا تستطيع أن تستغنى عن كليهما . وكذلك عندما نلاحظ تاريخ الأمم التى كانت لها حياة أدبية ، وكان لها شعر ونثر ، نلاحظ أن حياتها قد بدأت شعرا ، وأن الشعر وجد فيها قبل أن يوجد النثر بزمن طويل » ويمضى أعزه الله فى الحديث إلى أن يقول : « فالأمم التى لها أدب ، قبل أن تعبر عن عواطفها وميولها بالنثر ، عبرت عن لذاتها وآلامها بالشعر ، وكان الشعر هو لسانها الأدبى، فلما تطورت هذه الأمم وارتقى عقلها ، نشأ عن ذلك أن وجدت فيها أفكار وآراء عجز

الشعر عن أن يعبر عنها.(١)» وذلك قول يشق عن وجه الحقيقة النقاب .

وليس من معنى هذا القول أن نهمل متحدث اليوم فهو كاتب قدير ؛ إنما الواجب أن نناقشه على أساس أن للفرع أصلا

برکات

(١) القول بأسبقية الشعر على النثر – رأى يقول به الدكتور طه حسين باشا فى هذه الفقرات من كتابه (من حديث الشعر والنثر) والأستاذ الزيات فى كتابه القيم (تاريخ الأدب العربى) ويقول بعكسه الشيخ الإسكندرى والشيخ عنانى بك فى كتابهما (الوسيط)

ضر وضرر

رفع عالم جليل بحثا قيما طريفا إلى المجمع اللغوى الموقر فرق فيه بين الضر والضرر، ذاهبا إلى أن لفظ « الضرر » يستعمل فى أحوال العاهات فقط ، وشكك حضرته فى الاستشهاد بالحديث الشريف : « لاضرر ولا ضرار » مؤيدا رأيه بقوله تعالى :

« لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله »

ولكن فات حضرته أن التنزيل الحكيم قد ورد به أيضا :

« وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا مابه من ضر » . وقد استعمل كلمة « الضر » و « الضرر » بمعنى واحد فإن هذا يدل على أنهما لفظان مترادفان . ولا محل بعد ذلك للتشكيك فى الحديث الشريف ، ولا للتضييق حيث أراد الله ورسوله التوسيع

عبد الحميد عمر

الرسالة

الأستاذ صاحب المقال المعقب عليه يقرر أن فعل ضر إذا كان لازما كان معناه صار ضريرا أى أعمى ، ومصدره وهو الضرر لا يستعمل إلا فى العاهات كالعمى والزمانة . وقول الله تعالى «غير أولى الضرر» إنما يريد به ابن أم مكتوم وكان أعمى . أما الضر بالفم فهو ما يصيب النفس من مرض أو هزال كالذى أصاب أيوب وكشفه الله عنه ، وهو غير العاهة فتعقيب الأستاذ لا وجه له

رأى الرصافى فى مطران

كتب الأستاذ الفاضل منصور جاب الله فى العدد ٩٢٣ من مجلة الرسالة الزاهرة كلمة حول رأيه فى شعر خليل مطران ، ولم يكن رأى الأستاذ جاب الله بكراً فى هذا الموضوع ، إذ سبقه الشاعر معروف فى ذلك عندما سئل فى دمشق هل يضع الأستاذ المطران فى مصاف حافظ وشوقى؟ فأجاب (وضع المطران فى مصاف حافظ وشوق ، كوضع البحترى فى مصاف المتنبى وابى تمام ، أى نوع من ضعف الحكم ، هذا ما يلى به القارئون فى عصرنا هذا ، ولا نسبة أبداً بين طبقة حافظ وشوق وطبقة مطران ، كما لا نسبة بين المتنبى وأبى تمام وبين البحترى ، لأن هذا الأخير ليس أ كثر من منمق ألفاظ)

بغداد عبد الخالق عبد الرحمن



قانصوه الغورى

سلطان مصر الشهيد

للأستاذ محمود رزق سليم

مهداة إلى حضرة صاحب العزة الدكتور عبد الوهاب بك عزام

قانصوه الغورى أحد سلاطين مصر فى العصر المملوكى ، ولى عرشها زهاء ستة عشر عاما بين سنتى ٩٠٦ هـ ، ٩٢٢ هـ . وكان يوم ولايته كبير السن متأبيا على السلطنة . وامتلأت أيامه بالحوادث الكبرى فى داخل البلاد وخارجها . وفى أثنائها بلغ نشاط العثمانيين مبلغا عظيما ، واتسعت أطماعهم حتى تطلعوا إلى امتلاك البلاد الشامية والمصرية . وقد خرج هـذا السلطان الكبير لقائهم بنفسه ، ومعه حملة عظيمة الشأن . فاستشهد فى سبيل بلاده

ويرى القراء الكرام فيما يلى ، وتحت العنوان المتقدم ، تاريخ هذا السلطان الشهيد ، وتاريخ مصر فى أيام حكمه . نقدمه إليهم فى أسلوب قصصى فيه تمثيل وحوار يلطفان من خشونة العرض العلمى السافر . وقد جهدنا ما استطعنا فى تصوير نزعات عصره من دينية أو سياسية أو اجتماعية أو أدبية أو علمية ، على مقدار ما تحتمله قصة صغيرة . ولم يلهنا خيال القصة عن تحرى وجه الصواب فى حقائق التاريخ . ولعلنا بذلك نقدم عملا متواضعا ، يسفر منه تاريخ بلادنا العزيزة فى حقبة من أهم حقبه

يوم التولية :

ثار العسكر فى وجه سلطان البلاد الملك العادل فى آخر يوم من أيام رمضان عام ٩٠٦ هـ ، حتى اضطر إلى الاختفاء . فسرى الخبر همسا بين القاهريين ، أن بيعة سلطان جديد ستتم الليلة ، إذ يجتمع الأمراء للمشاورة والاختيار . ومن ثم يقومون برسوم التولية فى صباح الغد ، أول يوم من أيام عيد الفطر

وما كان أحب مجالس البيعة وأخبارها عند القاهريين ، وما كان أبهج حفلات التولية ومواكبها لديهم

لذلك ، ما بزغت شمس الاثنين مستهل شوال ، حتى بكر كثير من أهل القاهرة فى اليقظة ، وأخذوا يصعدون المدقا ييمموا شطر القلعة ، حيث تجرى البيعة ويسير موكب السلطان ليمتعوا العين بمرأى هـذا السلطان الجديد ، وليتبينوه من هو ؟ ومن يكون ... ذلك لأنهم لم يكن لهم من أمر اختيار سلطانهم شئ .. واستبد بالأمر دونهم أمراء السلطنة الجراكسة ، واستأثروا بالحكم فيهم ، وقصروا على أنفسهم مسئولية اختيار السلطان . درج الشعب على هذا النظام ، واستنام إليه ، إن طوعا وإن كرها ، تلك الحقبة الطويلة من الزمان

وما هو إلا قليل ، حتى امتلأت الطرقات بالوافدين عليها من كل حدب وصوب . واكتظت الميادين بقصادها ، واختلطت الجموع بالجموع ، وتراصت الصفوف خلف الصفوف ، فى أزياء فضفاضة ، ذات أشكال متعددة ، وألوان متباينة

وأخذ النسوة والعذارى يطرقن الطرق ، أو يذرعن المسالك فى حللهن البهية ، وأثوابهن الطلية . وتوارى بعضهن خلف الكوى والشرفات ، يشرفن على الجمع من كثب ، ويسترقن السمع والنظر ، وتتنقل عيونهن بين الفرج ، ليتمتعن كما يتمتع سائر الناس ، بما ضرب من زينة عاجلة ، وما أشيع من حفاوة مرتجلة ، أمر بإقامتها التجار والصناع وأصحاب الحوانيت وملاك المنازل وسكانها ، هنا وهناك

وبالقاهريين ومن حولهم من سكان الضواحى ، شعور خفى يحفزهم إلى تعجل المسرة ، واستدرار اللهو ، واقتناص المتعة كلما سنحت فرصة لذلك ، أو وجدوا إليه سبيلا . ولهـذا عجلوا إلى تلك الزينات السريعة ، ريثما يتم أمر التولية ، استعدادا للقاء موكب السلطان . لعلهم بتلك المسرة المقتنصة يأسون جراح دهرهم العاسف ، أو يطبون حظهم السقيم

ومهما يكن من شئ فهم على الأقل يودعون سلطانا بادت دولته وذهبت صولته ، ويستقبلون آخر أشرقت أيامه وأهلت لياليه . لعل لهم فى ظله ما يحقق لهم آمالا جميلة ، طالما غمرتهم أطيافها الحسناء فى أحلام يقظتهم ، ولم يتحقق منها أمل فى

العصر البائد

على أنك ترى مرارة الحياة بادية على أحاديثهم ، واضحة فى محياهم ، يغشيها ستار رقيق من الأمل الحالى ، والرجاء المعسول . وهم ينفثونها أحيانا فى نقدة لاذعة ، أو يضمنونها فكاهة مرة ، أو تورية بارعة

لهذا يهرعون إلى الزينات – فى مثل هـذه المناسبة – فيضربونها ، وإلى الرايات فينصبونها

أنظر إذاً إلى الحوانيت ووجوهها ، والمنازل وجهاتها ، والمسالك وجوانبها ، فى أحياء القلعة وما حولها ، تر قطع الأقمشة من كل لون زاه ، قد تألفت طوائفها ، وتألقت طرائفها ، والثريات الزيتية منثورة ، زينة للنهار الحاشد المنتظر ، وعدة لليل الحافل المرتقب . والشعب مجتمع شمله ، ملتئمة صفوفه ، يسود بين أفراده لغط وضجيج ، وهمس وعجيج . بين أقاويل متشعبة ، فيها الصدق والكذب ، وفيها الحق والباطل ، وفيها العدل والجور . وهم ما بين لهج لاه بما هو فيه من نشوة وسرور ، سباق إلى اقتناص فرصته وبلوغ غايته ، ومتحدث رزين يرسل الحديث فى روية وبطء ، كأنما يقرأ فى سطور الحاضر مخبآت المستقبل ، وناقد يمتزج فى نفسه وحديثه ، النقد السطحى العابر ، بالرغبة الواهمة فى أن يأخذ من البهجة الماثلة بنصيب ؛ وناقد آخر لاذع فى نقده ، جرىء فى لفتاته ، شجاع فى ملاحظاته

وبين هذه الجموع الضاجة وقف صديقان يسترقان النقاش ، وقد علا وجهيهما الجد ، واختلفا طربا وصخبا ، وخفة ولجاجة . وتقانلا شعورا ورأيا ؛ واستطردا إلى أشياء فى الماضى ، وأمور فى الحاضر ، وآمال فى المستقبل

قال أحدهما لزميله :

– لله ما أبهى اليوم ، وما أجمل الساعة ! ها هم أولاء المماليك السلطانية قد انتشروا فى الطريق وهم شاكو السلاح ، ليعصموا اليوم من الفوضى ، ويشيعوا فى الموكب النظام

– أعلمت لهؤلاء نظاما ؟ أو نسيت عبث الجلبان والقرانصة ، وما بين الفريقين من عداوة وشحناء . إن هؤلاء وهم جنود الدولة ، مبعث الفوضى ، ومصدر السوء ، ومثار الفساد ... هم عبـاد المـال والشهوات . يبذلون للسلطان الطاعة والولاء ، ما دامت يداه تفيضان عليهم تبرا وذهبا وهاجا . ويفرق فوقهم شتى منحه وعطاياه ، ويفرق عليهم ما لذ من الطعام ، وما ثمن من الثياب ، وما فره من الخيل ، مزودة بما تحتاج إليـه من أغذية وأردية . ثم يتنكرون له ، ويلبسون جلد النمر ، إذا تراخى فى عطائه ، أو ازورت عنهم دراهمه ودنانيره ، أو بدا لهم فى أفق السلطنة مانح جديد

ألم تشهد كيف غدروا بالملك العادل أمس ؟ وكيف خاسوا بعهده؟ وكيف كادوا يبطشون به لولا فراره واختفاؤه ! إنهم بذلك يمهدون السبيل لأمير آخر من أمرائهم ، يسلمونه زمام السلطنة ، لقاء ما ينالونه على يديه من حظ جديد ! ثم ليتهم يستقيمون فى تأييدهم حتى تتم بيعة السلطان المختار بغير شغب أو نزاع ... لقد بلغنى أمس أن الأمراء اجتمعوا للتشاور فى منزل الأتابكى قانصوه خمسمائة ، الذى لم يظهر من يوم اختفائه . وهذا المنزل فى قناطر السباع . وفى مقدمة الأمراء المتشاورين ، الأمير قيت الرجبى ، وقانصوه الغورى ، وطراباى ، ومصرباى . ثم انضم إليهم أخيرا الأتابكي تانى بك الجمالى الذى اختفى من وجه الملك العادل ، خوفا من أن يفتك به . فظهر أخيرا عندما سنحت له فرصة الظهور ، وانضم إلى الأمراء المتشاورين

واعتقادى أنه ما من أمير من هؤلاء إلا وهو يخطب السلطنة لنفسه ، ومن ورائه فئة من الجنود يؤيدونه ... ومع ذلك قيل إنه تم اختيار تانى بك الجمالى للسلطنة ، ثم سرعان ما غدر به الجند ، ولم يرضوا بسلطنته ، فرجع الأمراء عن ترشيحه لها . وهكذا أفلت من يديه زمامها ، قبل أن تتم رسومها

واليوم تتردد الإشاعات أنهـا ستكون من نصيب الأمير قانصوه الغورى .. وهو على كل حال ، أمير طيب القلب بلغ من العمر ستين عاما . ومع ذلك لا يزال فتى النفس ، لم يبد فى شعر لحيته بياض مشيب

لـكن ! أرأيت إلى أى حد يعبث هؤلاء المماليك بمصير مصر وشعبها ، بينما الشعب يغط فى نوم عميق ؟ لقد بلغنى منذ قليل أن عددا من أشرار المماليك الجلبان انتهز فرصة عيد الفطر

اليوم ، وانصراف الناس إلى الراحة والاستجمام ، أو التفرج بالزينة والموكب ، وعاثوا فى أسواق القاهرة فسادا ، وأحرقوا بعض الدور ، ونهبوا ما فيها . فهل ترجو من أمثال هؤلاء نظاما أو إصلاحا ؟

— صدقت فى حديثك ... ولكنهم — على أية حال — دعامة الدولة وسند السلطان . وهم حقا ضريبة من ضرائب الإهمال يفرضها الزمان علينا . غير أننا لا ننسى أنهم دفعوا العدو عن بلادنا زمنا طويلا . وحسبك ما مر من عشرات السنين كان للفرنجة فى بلادنا مآرب لا تنقضى ، وكان للتتار مآرب أخرى . فوقف لهم هؤلاء الأبطال ، وأوقعوا بهم فى مواقع عدة . ففروا إلى حيث أتوا ، مزودين بالهزيمة والاندحار

— نعم ! ولكن لنا القشر ولهم اللباب . لعلك نسيت مسلكهم الشائن معنا نحن أهل القاهرة . إنهم كانوا — وما زالوا — يهتكون فينا ويسلبون منا . ثم هم إنما يمثلون الفتن والقلاقل والدماء المسفوكة ، والأشلاء المتطايرة والسجن والتشريد ...

إن حياتهم ملأى بكل هذا العذاب ، ما بين سيد فيهم ومسود ، وظالم منهم ومظلوم ، وحاقد بينهم ومحقود عليه ... هذه هى سياستهم وسياسة أمرائهم وكبرائهم ... ألا تمسا الحياة عتلىَّ بكل هذا الشقاء .. !

— ليست هذه الحالة دائمة بينهم ، وكأننى أراك تقرأ تاريخهم من حاضرهم فحسب .. لعلك من أولئك الذين وهب لهم حس مرهف ونفس مستوفزة ، تطن فيها الأحداث الحاضرة ، حتى تملأ أذنيها . فلا تسمع بعد أى صوت من أصوات الماضى ...

لقد كان الجنود المماليك فى عصر المنصور قلاوون يعيشون على خير نظام وفى أجمل هندام . فقد وضع لهم هذا السلطان المظيم قواعد للتربية قويمة ، وأخذهم بها دون لين أو هوادة أو مهادنة . فرباهم فى طباق القلعة وأبراجها . ووكل أمرهم إلى الحذاق من الزمامين . وفرض عليهم التمرينات العسكرية والرياضية القاسية ، وعنى بطعامهم وشرابهم ولباسهم . وكان يشرف على كل أولئك بنفسه ، فشبوا رجال خلق كريم ، ونفس قويمة ، ودين سليم . ولم يكن يسمح لهم بالاختلاط بغيرهم من الطوائف حفظا لهم من عدوى الأخلاق

— حقا لقد رباهم المنصور تربية محمودة ، ونشأهم تنشئة حسنة ، ولكن سرعان ما عدل السلاطين من بعده عن نهجه ، واتباع سبيله ، ففتر هذا النظام وقلت تلك العناية ، وفرط السلاطين فى إعدادهم ، حتى أصبحوا من بعد ، وليس لهم نظام متسق ، ولا تربية محمودة ، ولا خلق كريم ، ولا نفس طيبة ، حتى صاروا : « أرذل الناس وأدناهم ، وأخسهم قدرا ، وأشحهم نفسا ، وأجهلهم بأمر الدنيا ، وأكثرهم إعراضا عن الدين . ما فيهم إلا من هو أزنى من قرد ، والص من فأرة ، وأفسد من ذئب . »

— إنك متجن عليهم أيها الصديق ! ألا تدرى أنهم لنا حمى ، ولحياتنا مجن ؟ إننا ننعم بسلام فى بيوتنا ، وأمن فى سربنا ، على حساب ما يبذله هؤلاء الشجعان من أرواح . حقا يسرف أمراؤهم وسلاطينهم فى فرض الضرائب على الشعب ، ويثقلون كاهله بالنفقات إزاء خدماتهم . ولكنهم إزاء ذلك أراحونا من شر القتال ، وأخذوا على عاتقهم حمايتنا من شرور الأعداء .

ثم ما بالك تذكر سيئات أشرارهم وهنات صغارهم ، وتنسى حسنات أخيارهم ، ومحامد كبارهم ؟ إن كثيرا من سلاطينهم وأمرائهم ينقادون للدين ، وينطوون تحت أحكامه ، ويعظمون أهله ، وينشئون المساجد للعبادة ، والمدارس للتعليم ، ويدرون أخلاف الخير وضروع البر على المحتاجين من طلاب العلم وغيرهم . وذلك كله جدير بأن يطلق الألسنة لهم بالدعاء والثناء

— إنك يا صاح انحدرت من حديث الرجال إلى أسلوب النساء ... ! ففى معانيك الضعف والضعة ، وفى أفكارك الخور والجبن ! حسبك عارا أنك تذكر حمايتهم لك من الأعداء ... وفى الحق أنهم يحمون أنفسهم لا يحمونك أنت ، ويدفعون عن ملكهم لا يدفعون عنك أنت . ولنتنزل على منطقك ونقول إنهم يحمونك ... ولكن أتدرى كيف ذلك ، ولماذا ؟ . إنهم يحمونك كما يحمى الراعى بقرته خوفا على لبنها أن ينضب ، وحرصا على جسدها أن يخور ويبلى . وهم قبل ذلك وبعد ذلك ، سادتك ! لا تقعد منهم إلا مقعد العبد .. فهل بعد ذلك ذلة للرجال ؟ اطلب

إليهم أن يتركوا لك حماية نفسك بنفسك . فهل تراهم يجيبونك إلى سؤلك ؟ ويجيزون لك أن تحمل السلاح وأن تنخرط فى الجيش ؟ . كلا ! وكأنما الجندية هبة اختصهم الله بها دون سائر أفراد الشعب وكأنما الروح العسكرية والحمية الوطنية وقف عليهم ، وصفة ما خلقت إلا فيهم ، ونزعة ما عرفت إلا لهم .

أما أنت وأمثالك فلا تصلحون — فى نظرهم — للكر ، وإنما تصلحون للحلاب والصر ... لقد حرمونا دخول الجيش ، وحرموه علينا ، ولم يتصلوا بنا إلا اتصال السيد بالمسود . وكفى بذلك هوانا ... فأية عزة ترقبها لبلادك على يد هؤلاء الغرباء الفاليك المستبدين الذين لم تجمعهم بالبلاد جامعة جنس ولا نسب ولا لغة ولا ألفة ولا عطف .. ثم هم لا يجمع بعضهم ببعض إلا أخوة فى رق ، أو اتفاق فى ضغينة ، أو ائتلاف فى فتنة ، أو التماس لمكيدة ، أو ائتمار على غدر ... أغلب ظنى أن ما بناه أسلافهم من عز وسؤدد ، سيهدمه هؤلاء الجلبان وهؤلاء القرانصة ، ومن لف لفهم من هذا الخليط الدنس من أوشاب الأمم الذى تمج به بلادنا المنكودة . ألا تبالهم وقبحا وسحقاء !

أما ما تتشدق به من مساجد ودور تعليم فحسبى أن أقول لك إنهم يبذلون فى سبيل ذلك ، على أنه منحة منهم للشعب وصدقة عليه ، لا على أنه حق للشعب قبلهم يؤدونه إليه ...

ألا دعنا من هرائك وسفسطتك ! وقل لى كم رجلا فى بلادنا يغار عليها غيرتك ، ويخلص لها مثل إخلاصك ؟ وكم فتى من فتيانها يحدب عليها كل هذا الحدب ، وتتقطع نفسه عليها أسى ، وتذهب حسرات ، كما تتقطع نفسك وتذهب ؟ وكم قلب بين قلوب بنيها يفيض عليها إشفاقا كما يفيض قلبك ؟

لشد ما أتألم لأجلك . . لما لك من إحساس مرهف ونفس شاعرة !

اترك المستقبل لأهله ، فليس علينا حمل أعبائه وهمومه . وحسبنا ما نحن فيه من حاضر خمم بحوادثه وآلامه ... ولنخفف عن النفس أحزانها بما تراه من بهجة وزينة ... لننس ما فى طواياك من هم . ولمسرح ببصرك فى محاسن هذا اليوم ، واقبس ما تشاء وتشتهى من مفاتنه . ثم إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ..

انظر إلى أثواب الجند الزاهية الألاقة ، وإلى وجوه الناس الباسمة المشرقة ، وإلى الحسان الفاتنات يرحن ويغدون فى حللهن الأنيقة البراقة ، وإلى الأطفال الذاهلين عن عيد الفطر ، فقد غمرهم عيد التولية بموجة من موجات فرحه ، ألا تخبرنى من سيكون السلطان ؟ ومن سينال شرف السلطنة اليوم ؟.

واألماه ! تدعونى إلى أن أنسى المستقبل ، ولا أفكر فيه .. ألا تعلم أن الدعوة إلى إهمال المستقبل وترك الاهتمام بمصير البلاد هى الأنشودة اليائسة الحزينة ، التى ترتلها الأمة المنكوبة الخائرة كلما أحست بضعفها .. وأرادت أن تتلهى عنه وتخدع نفسها . . لو اهتم بأمرنا من سبقنا من الآباء والأجداد لاعتدلت لنا ريح حاضرنا ونعمنا فيه بشئ من صفو الحياة . وما دام كل جيل يسلم إلى الأقدار مستقبل بلاده ، ويهمله ، فستتلقفه الأحداث والغير ، وتتلقيه بين يدى مستبد ، وإلى كف طاغية ، وتتنقل به من بؤس ، إلى بؤس ، حتى تتقلب أجيالا فى شقاء الحرمان أمدا طويلا ....

أما سلطان اليوم فأظنه قانصوه الغورى — كما تردد الألسنة — لقد رشحه للسلطنة ، كما ذكرت لك ، كبر سنه ، وطيب نفسه وعيوفه عن السلطنة . . . وهذه وسيلة بارعة من وسائل اقتناصها . . . لقد قيل إنه رفضها وأباها . ولو ظهر امس الأتابكى قانصوه خمسمائة ، من اختفائه ؛ لكانت السلطنة من نصيبه ولولا فساد قلوب الجند على الأتابكى تانى بك الجمالى ، لظفر بها أمس وتمت بيعته ....

ألا قبح الله الملك العادل السفاك ! من غريب ما يروى عنه أن المنجمين أخبروه أن السلطنة يسلبها منه أمير يبدأ اسمه بحرف « ق » فظنه صديقه « قصروه » فبطش به وقتله ظلما ، بعد أن أبلى قصروه البلاء الحسن فى معاونته على الوصول إلى السلطنة .. ولم يحسب العادل حسابا لقاف أخرى تبدو فى الأفق . والله ! ما أكثر القافات فى بلدنا .. !

* * *

انقطع الجدل بين الصديقين على إثر موجة جارفة من الضجيج تنتشر باقتراب موكب السلطان .

بدت طلائع الموكب . وكان الأمراء منذ قليل يشتورون في الحراقة بباب السلسلة بالقلعة . فتم رأيهم على اختيار الأمير قانصوه الغوري سلطانا على البلاد بعد فرار الملك العادل وإعلان خلعه

ولقد تعصب للغوري الأميران : قيت الرجبي ، ومصرباى . فبكى الغوري وأبى قبول السلطنة معتذرا بكبر سنه . فاستلانوه إليها بشتى وسائل خداعهم ، حتى رضى بها مشفقا منها . وقد أعدوا له البيعة ، فبايعه الخليفة ووكل إليه ـ كالمعتاد ـ أمور السلطنة ثم بايعه القضاة . ولقب بالملك الأشرف . فذاع لقبه بين الجموع الحاشدة ، وهيأوا ركبه ليسير من الحراقة إلى باب السر بالقصر الكبير ، حيث يقدم له الأمراء واجب الطاعة والولاء

لبس الغوري شعار السلطنة ـ ملابسها الرسمية ـ وهي جبة وعمامة سوداء . وامتطى صهوة فرس مسرج بالذهب . وأخذ في المسير تتقدمه شراذم من الجند في أزيائهم الرسمية وأسلحتهم المجلوة . وتقدم الأمير قيت الرجبي ، وحمل بنفسه شعاراً آخر للسلطنة ، تبجيلا للسلطان وتعظيما لشأنه . ويتألف هذا الشعار من قبة من حرير ثمين تنتشر فوق رأس السلطان وقت المسير ، كأنها مظلة . وفوقها طائر من الذهب . وركب إلى يمين السلطان، خليفة العصر ، وهو المستمسك بالله يعقوب العباسي، وبين يديهم الأمراء يسيرون بشاشهم وقماشهم ـ أزيائهم الرسمية ـ في ألوان زاهية وفوق جياد محلاة

وبدت طلعة السلطان لشعبه ، فدوى صوته هاتفا « نصر الله السلطان الأشرف » ، « أعز الله الإسلام » وانطلقت من خلف الكوى وصوب الطيقان زغاريد النسوة تشق أطباق الفضاء، فرحة مستبشرة تؤذن بطلوع عهد جديد...

وكان الشعب يلمح بفراسته الساذجة الصادقة على محيا السلطان الجديد ، جملة من المعاني المتشادة المتمازجة ، فيها الشعور بالألم للماضي ، وما كان فيه من مشاحنات ، وما أبقى من تراث، وفيها الإشفاق من المستقبل وما يخبئ من مفاجآت في طياته . وفيها عزيمة حادة جادة وتصميم على المجاهدة والمجالدة ، والعمل على رفاهة مصر وشعبها ، وإعلاء شأنها عند غيرها من الأمم ، والمحافظة على نفوذها الأدبي والسياسي ، كل ذلك تغشيه موجة من الفرح العابر ، لا تكاد تستتر من معالمه شيئا ، ولا تخفي من آياته قليلا .

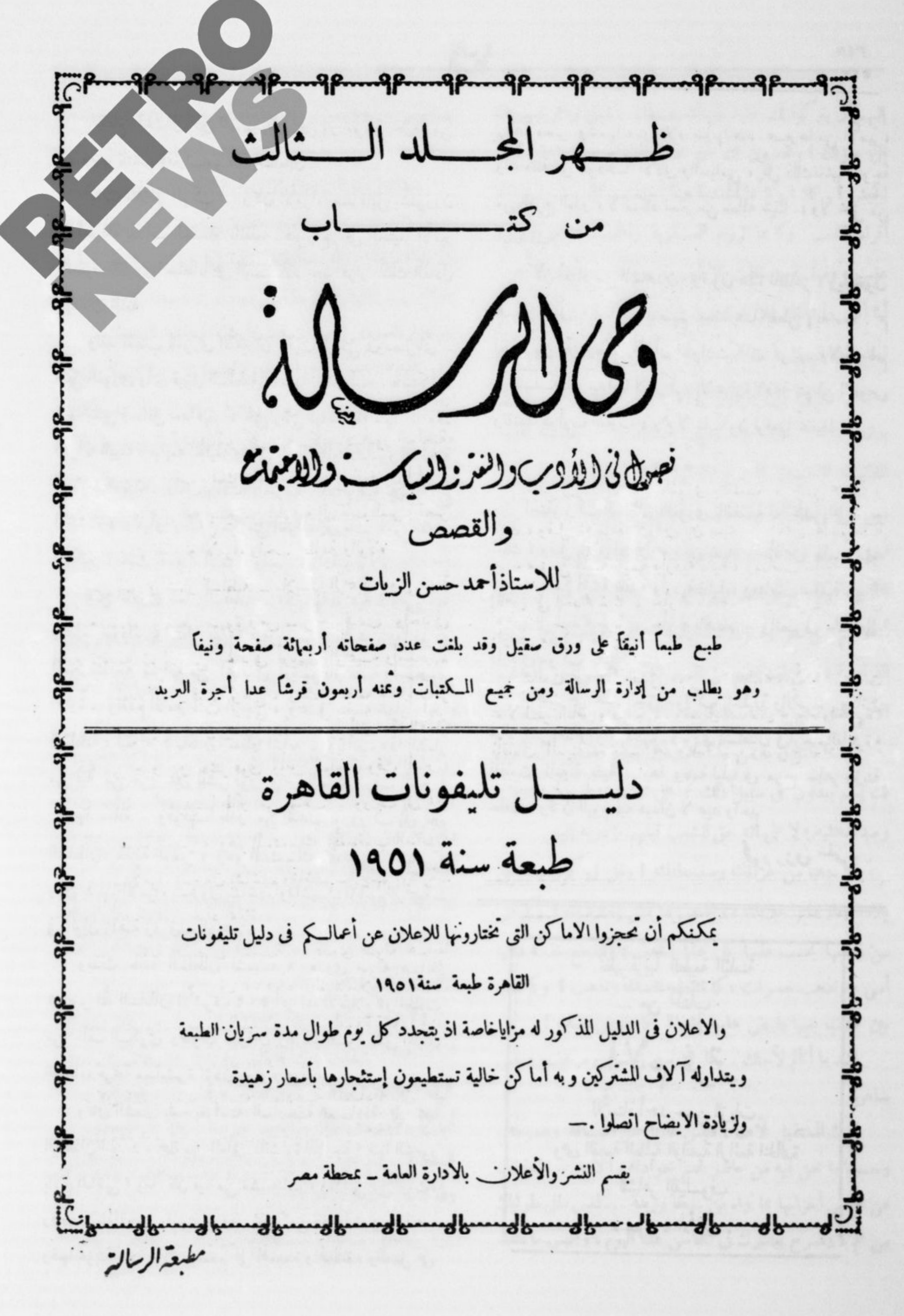
كان أفراد من الشاهدين يرقبون هذه المظاهر ، ويلمحون هذه المعاني ، فيفاجئ بعضهم بعضا بما يفطن إليه منها . ثم انثنوا بين مثن وناقد . على أن الحوادث كانت تمر بهم ولا أثر لهم في مسلكها ، بيدأنها لا تتركهم إلا بمرارة لاذعة تتوطن النفوس وتقتعد غوارب القلوب ، وهم لا يملكون لوقعها تخفيفا

* * *

استقر ركب السلطان الغوري بالقلعة ، فجلس على سرير الملك ، وقبل الأمراء الأرض بين يديه . فأفاض عليهم خلعه ومنحه ، من أقمشة نفيسة وأردية غالية ، ومناصب سامية . وكلما أفاض على أحدهم شيئا ، جأر له بالدعاء . وانصرف حامدا إلى داره في موكب حافل

تتابعت على هذا النسق مواكب الخليفة والأمراء . وكانت مجالا لمسرة الناس وابتهاجهم . ونودي للسلطان في أرجاء القاهرة ، فأقامت المدينة بقية نهارها وعامة ليلها في مرح ساهر وزينة حافلة . وكأن اليوم فيه عيدان لا عيد واحد

محمود رزق سليم


ظهر المجلد الثالث
من كتاب
وحي الرسالة
فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع
والقصص
للاستاذ أحمد حسن الزيات
طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد
دليل تليفونات القاهرة
طبعة سنة ١٩٥١
يمكنكم أن تحجزوا الاماكن التى تختارونها للاعلان عن أعمالكم فى دليل تليفونات
القاهرة طبعة سنة ١٩٥١
والاعلان فى الدليل المذكور له مزايا خاصة اذ يتجدد كل يوم طوال مدة سريان الطبعة
ويتداوله آلاف المشتركين و به أماكن خالية تستطيعون إستئجارها بأسعار زهيدة
ولزيادة الايضاح اتصلوا :ــ
بقسم النشر والأعلان بالادارة العامة ـ بمحطة مصر
مطبعة الرسالة

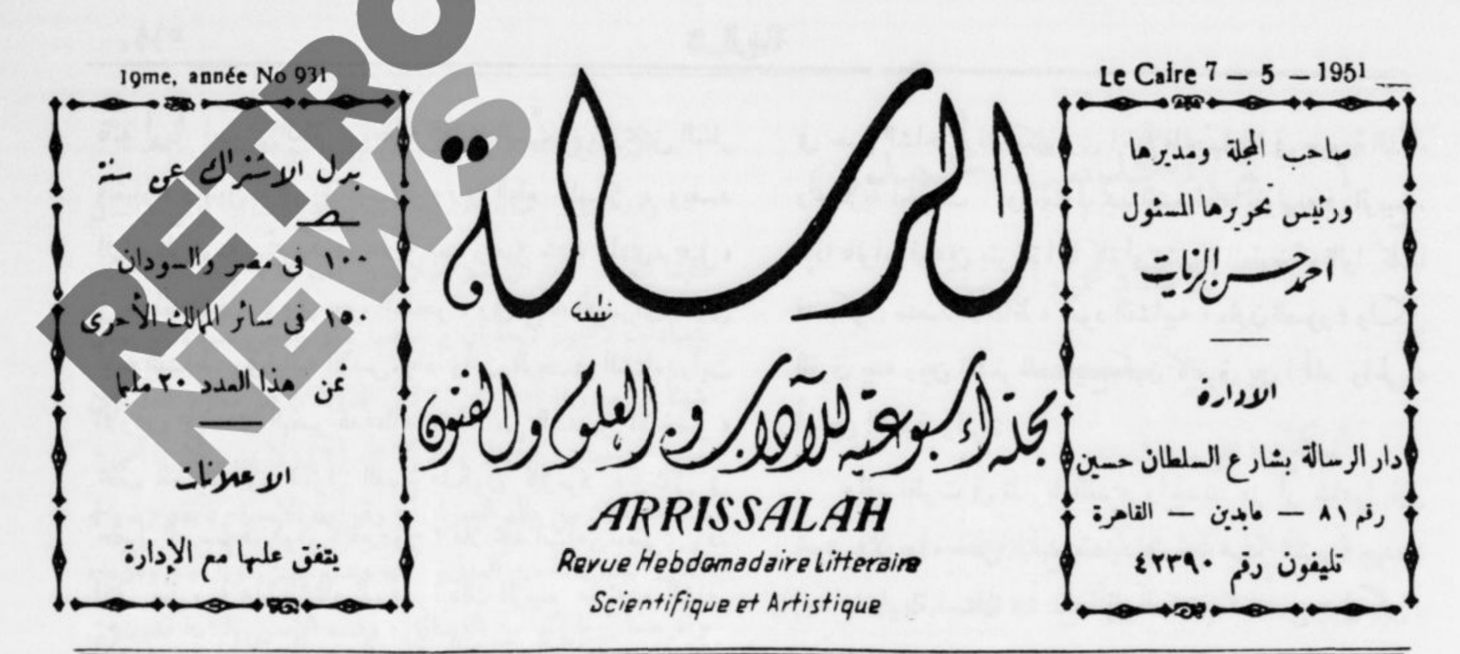


العدد ٩٣١ — ٧ مايو سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد


RETRO
NEWS


19me, année No 931

Le Caire 7 — 5 — 1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٣١ « القاهرة في يوم الاثنين ٣٠ رجب سنة ١٣٧٠ — ٧ مايو سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

الربيع في الشعر المصري *

اقترحت عليّ الإذاعة أن أتحدث الليلة عن الربيع في الشعر المصري ؛ وفي هذا الاقتراح وئام وانسجام مع (شم النسيم) ؛ فإن الذين قضوا يومه البهيج المرح على بساط الربيع ، يجتلون جمال الطبيعة المتبرجة في الزهر والنهر ، ويستوعبون أسرار الحياة المنبثة في السماء والأرض ، يسرهم أن يسمعوا تعبير الشعر عما شهدوه من جمال النيل ، وأحسوه من فتنة واديه ، ولم يستطيعوا الهتاف به ولا التعبير عنه . وما كان أحب إلى نفسي أن أهيء لهم هذا السرور لو وجدت السبيل إليه ؛ فإني قرأت ما نظم الشعراء المصريون قدماؤهم ومحدثوهم في الربيع المصري ، فلم أجد فيه على قلته وتبعيته صدقاً في الشعور ولا مطابقة للواقع . قرأت ما قال ابن وكيع التنيسي ، وابن سناء الملك ، وابن الساعاتي ، وابن نباتة ، والشاب الظريف ، وابن مطروح ، والبهاء زهير ، من نوابغ المتقدمين ؛ ثم قرأت ما قال شيوخ الشعر وشبابه من صفوة المتأخرين ، فلم أجد إلا كلاماً عاماً يقال في كل ربيع ، ووصفاً مجملاً يصدق على كل روضة ! تعبيرات محفوظة من لغة الشعر ، وتشبيهات منقولة من موروث البيان ، صاغها كل شاعر على حسب طاقته وآلته ، فجاءت وصفاً لربيع مجهول لا حقيقة له في الخارج ، ولا أثر له في الذهن . أما الشعور النفسي الذي يدرك الشاعرَ الأصيلَ في جو معين ومنظر محدود وزهرة خاصة ، فيصل به بين النفس والطبيعة ، وبين الفكر والصورة ، وبين الفن والواقع فذلك ما لا أثر له فيه . ولعلك إذا استثنيت من أشعار العرب في الربيع ، شعر ابن الرومي في العراق ، وشعر البحتري في الشام ، وشعر ابن خفاجة في الأندلس ، وجدت سائرها من هذا النمط المصري الذي تجد فيه الألفاظ المبهمة ، ولا تجد فيه المعاني الملهمة . فأشعارهم في الربيع أشبه بأشعارهم في الغزل ، أقلها نفسي صادق يصدر عن القلب وينقل عن الوجدان ؛ وأكثرها حسي كاذب يصدر عن الحافظة وينقل عن الكتاب . والمصريون أولى من غيرهم بالعذر إذا خلا شعرهم من وحي الربيع ؛ لأن الربيع الذي يزور الأرض في أبريل ومايو ، لا يزور مصر إلا في أكتوبر ونوفمبر . فالخريف في مصر هو الربيع الحق في نضرته وزينته وعطره . فأينما تدر بصرك في حقول الذرة وقصب السكر والبرسيم ، لا تجد إلا رياضاً شجراء من شراب وحَب ، ومروجاً فيحاء من زهور وكلأ . ثم ترى النيل في أعقاب فيضانه كذوب التبر ينساب هادراً في الترع والقنوات ، فيجعل من ضفاف الجداول ، وحفاف الطرق ، وحواشي الغيطان ، سلاسل زبرجدية من الريحان والعشب . لذلك افتن شعراء الريف في وصف الخريف وأبدعوا . وأما ذلك الربيع الجغرافي الذي يقبل على مصر مع الرياح الخمسينية والعواصف الرملية والتقلبات الجوية

(*) أذيعت في مساء شم النسيم ٣٠ ابريل سنة ١٩٥١

فانه أردأ فصول العام . يطرد النسيم بالسَّموم، ويخنق العطر بالغبار، ويذبل الزهر باللهيب، ويرمى الطير بالبكم، ويفسد المزاج بالوخومة . ثم يكون حلوله بعد رحيل شتاء هادىء جميل، فى هوائه الدفء، وفى جوه الصحو، وفى سمائه الإشراق، وفى أيامه النشاط، وفى لياليه الأنس. فاذا رأيت الريف فى الشتاء، رأيت الأرض على مدى البصر قدغطاها بساط من السندس الأخضر، تخف خضرته فى حقول القمح فتكون كالزمرد، وتثقل فى حقول البرسيم فتكون كالفيروزج؛ فلا يجد الشاعر المصرى وقد انتقل من رقة هذا الشتاء إلى قسوة ذلك الربيع ما يجده الشاعر الأوربى من الحياة والمرح والبهجة والنشوة والطلاقة حين ينتقل من شتائه المكفن بالثلوج إلى ربيعه المكسو بالورود

للربيع فى الشعر الأوربى أرخم الأوتار وأعذب الألحان من موسيقى الشاعر؛ لأن الشتاء فى أوربا عناء طويل وهم ثقيل: ظلام متكاثف يحجب السماء، ومطر واكف يغمر الأرض، وبرد قارس يهرأ الأجساد، وغمام متراكم يسد الأفق فلا ترى شعاعة شمس ولا خفقة طائر؛ وثلج متراكب يطمر الثرى فلا تجد عشبة فى مرج ولا زهرة فى حديقة . والناس هناك فى حنين دائم إلى الربيع، لأنه فى دنياهم حياة بعد موت، وابتهاج بعد كآبة . ولشعرائهم فيما يبشرهم بمقدمه رقائق من الشعر الشاعر، تقرأها فى البشريات الأولى، كشيوع الدفء فى النسيم، ودبيب الحياة فى الشجر، وعودة العصفور المهاجر إلى عشه، وخرير الجدول الجامد بعد صمته . فإذا أقبل الربيع متعهم بما حرموه طويلا من جلوة الطبيعة فى الأفق المشرق، والروض البهيج، والجو المعطر، والطير الصادحة، والضواحى الأنيقة، والغابات الوريفة، والمتنزهات اللاعبة . والربيع الأوربى على الجملة تغيير فى النفس وتجديد فى الحياة . والتغير والتجدد يلهمان القرائح الخلاقة شعرا يمتزج فيه الوجدان بالوجود، ويتصل به الخيال بالحقيقة .

أما شعراءنا المصريون فأى جديد يأتيهم به الربيع فى آفاقهم وفى أنفسهم؟ إن الشمس والدفء والصحو والطير والزهر والزرع والماء من خصائص مصر الطبيعية، لا تنفك عنها طيلة العام، حتى ألفتها المشاعر والنفوس، فلا تشتاقها لأنها لا تغيب، ولا تحتاجها لأنها لا تنقطع . ومن هنا تشابهت الفصول الأربعة فى حس الشاعر، فلا يكاد يرى اختلافا بينها إلا فى حيوية الشتاء وشاعرية الخريف . ولذلك لم يجد الشعراء ما يقولونه فى الربيع . فإذا قالوا مدفوعين بغريزة المحاكاة أو بشهوة المعارضة، قالوا كلاما قد يكون منضد الألفاظ، مجود التشابيه، ملون الصور؛ ولكن الفرق بينه وبين الشعر الصحيح يكون كالفرق بين الجماد والحى، أو بين الدمية والمرأة

ولقد نظرت فى شعرنا القديم والجديد فلم أر شاعرا قبل شوقى ولا بعده خص الربيع بقصيدتين من محكم الشعر وجيده، إحداهما طويلة مستقلة، أهداها إلى الكاتب القصصى هول كين، والأخرى قصيدة تابعة جعلها صدرا لقصيدته التى نظمها فى المهرجان الذى أقيم لتكريمه، يقول فى الأولى :

آذار أقبل قم بنا يا صاح   حى الربيع حديقة الأرواح
واجمع ندامى الظرف تحت لوائه   وانشر بساحته بساط الراح
صفو أتيح فخذ لنفسك قسطها   فالصفو ليس على المدى بمتاح
واجلس بضاحكة الرياض مصفقا   لتجاوب الأوتار والأقداح

إلى أن يقول :

ملك النبات فكل أرض داره   تلقاه بالأعراس والأفراح
منشورة أعلامه من أحمر   قان وأبيض فى الربى لماح
لبست لمقدمه الخمائل وشيها   ومرحن فى كنف له وجناح
الورد فى سرر الغصون مفتح   متقابل يثنى على الفتاح
ضاحى المواكب فى الرياض مميز   دون الزهور بشوكة وسلاح
مر النسيم بصفحتيه مقبِّلا   مر الشفاه على خدود ملاح
هتك الردى من حسنه وبهائه   بالليل ما نسجت يد الاصباح
ينبيك مصرعه وكل زائل   أن الحياة كغدوة ورواح
وشقائق النسرين فى أغصانها   كالدر ركب فى صدور رماح
والياسمين لطيفه ونقيه   كسريرة المتنزه السمّاح
متألق خلل الغصون كأنه   فى بلجة الاصباح ضوء صباح

ثم يقول فى الأخرى :

مرحباً بالربيع فى ريعانه   وبأنواره، وطيب زمانه
زفت الأرض فى مواكب آزا   ر، وشب الزمان فى مهرجانه
نزل السهل ضاحك البشر يمشى   فيه مشى الأمير فى بستانه
عاد حليا براحتيه ووشياً   طول أنهاره، وعرض جنانه

٣ - فى الحديث المحمدى

للأستاذ محمود أبو رية

الكذب على رسول الله :

شر الرذائل كلها الكذب ، لا يختلف فى ذلك أحد ، وليس فى خلال الإنسان أسوأ من خلة الافتراء ، ولا فى أدواء الجماعات أعضل من داء البهتان

ولئن كان الكذب بين الأفراد والجماعات مما يمكن تداركه والقضاء عليه ، فإن بلاءه ولا ريب يكون عميما وضرره يكون عظيما إذا كان على مثل رسول الله (ص) فإن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، إذ هو رسول دين عام، وصاحب شريعة للناس كافة. وقد أخرج البزار وأبو يعلى والدارقطنى والحاكم فى المدخل عن سعيد بن عمرو بن نفيل قال : قال رسول الله « إن كذبا على ليس ككذب على أحد »

وقد أتت الرسالة المحمدية بأصول فى العقائد ليس لإنسان مهما بلغ من العلم أن يغير أصلا من أصولها ، وجاءت بأحكام للعبادات لا يجوز لأحد أن يزيد فيها ، أو ينقص منها ، أو يبدل شيئاً من صورها أو أزمانها ؛ لأن الدين كما هو معلوم للدارسين مبنى على أصلين (١) لا يعبد إلا الله (٢) ولا يعبد إلا بما أمر . وما عدا ذلك من نظم العمران ، وقواعد الاجتماع ، فقد وضع له الدين أسساً عامة من العدل والرحمة وعدم الضرر والصدق والأمانة والإحسان وما إليها من الفضائل ، وهذه الأسس العامة قد وضعت ليهتدى بها الناس فى كل زمان، وتشرق بضيائها على كل مكان

فهذا الذى جاءت به الرسالة المحمدية وبخاصة ما نطق به الرسول ، لا يصح أن يشوبه ما ليس منه ، ولا يخالطه ما يغايره، ومن أجل ذلك كان أشد ما يخشاه صلوات الله عليه أن يكذب أحد عليه، وقد شدد فى هذا الأمر تشديداً عظيما حتى جعل جزاءه القتل فى الدنيا ، وعذاب النار فى الآخرة

روى البخارى وغيره عن ربعى بن خراش قال : سمعت عليا

اف فى طيلسانه طرر الأر ض فطاب الأديم من طيلسانه
ساحر ، فتنة العيون ، مبين فصّل الماء فى الربا بجمانه
عبقرى الخيال ، زاد على الطيف ، وأربى عليه فى ألوانه
صبغة الله ؛ أين منها رفائيل ، ومنقاشه وسحر بنانه ؟
رنّم الروض جدولا ونسيما وتلا طيرَ أيكه غصن بانه
وشدت فى الربا الرياحين همساً كتغنى الطروب فى وجدانه
كل ريحانة بلحن ؛ كعرس ألفت للغناء شتى قيانه
نغم فى السماء والأرض شتى من معانى الربيع ، أو ألحانه

هذه وتلك أيها السادة أبيات من قصيدتى شوقى فى الربيع ؛ وهما كما علمتم مما سمعتم مثالان من الشعر العالى الطبقة الرفيع النسق إذا وازناهما بالمأثور من الشعر المصرى فى هذا الباب ، وربما انقطع نظيرهما أو ندر فى الشعر العربى كله ! ولكننا إذا وازناهما بما قرأنا فى موضوعهما من الشعر الأوربى شالت كفتهما فى هذه الموازنة . فإن شوقى رحمه الله جرى على مذهب من سبقوه، فلم يصف فيهما ربيعا بعينه ، فى إقليم بعينه ، يصح أن يخلط به نفسه ، ويضيف إليه شعوره ، ويعرض ما يرى فيه من شجر وطير وعطر وفتون ، على ما يجد فى نفسه من حب وذكرى ونشوة وصبابة ، فيأتلف المنظر والناظر ، ويتحد الشعور والشاعر ؛ إنما وصف شوقى ربيعا عاما كما تخيله لا كما رآه ، وكما تمثله لا كما أحسه ، فجاء الوصف ممعجا مبهما قد يعجب ويطرب بألفاظه ، ولكنه لا يؤثر ولا يعرب بمعانيه . والقصيدتان على أى اعتبار مشاركة جميلة من الشعر المصرى للشعر العالمى فى تمجيد ذلك السر الذى يبثه الله كل سنة فى الربيع ، فيعيد الحياة ، ويرجع الشباب ، ويجدد الأمل ، وينشر الجمال ، وينشأ عنه فى الدنيا هذا البعث العجيب !

احمد حسن الزيات

٣٦ ٠ ٣٨

يقول ، قال النبي : « لا تكذبوا على فإن من كذب على فليلج النار »

قال الحافظ ابن حجر فى شرح هذا الحديث : يؤيده رواية مسلم من طريق غندر عن شعبة بلفظ (يلج النار) وفى رواية بولج. وروى البخارى عن أنس وأبى هريرة وفيهما زيادة لفظ (متعمداً) ورويت كذلك أحاديث فى غير البخارى بهذه الزيادة ، ولكن من حقق النظر وأبعد النجعة فى مطارح البحث يجد أن الروايات الصحيحة التى جاءت عن كبار الصحابة — ومنهم ثلاثة من الخلفاء الراشدين — تدل على أن هذا الحديث لم تكن فيه تلك الزيادة ، وكل ذى لب يستبعد أن يكون النبي (ص) قد نطق بها لمنافاة ذلك للعقل والخلق اللذين كان الرسول متصفاً بالكمال فيهما

وأقطع دليل فى هذا الأمر الحديث الذى رواه البخارى عن عبدالله بن الزبير الذى جاء فيه ، قلت للزبير : إنى لا أسمعك تحدث عن رسول الله كما يحدث فلان وفلان ؟ قال : أما أنى لم أفارقه ولكنى سمعته يقول : من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » ورواه الدارقطنى بهذه الزيادة « والله ما قال متعمداً وأنتم تقولون متعمداً ! »

ورواية ابن قتيبة فى كتابه تأويل مختلف الحديث « من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » — وقال — أراهم يزيدون فيه متعمداً ، والله ما سمعته قال متعمدا . وفى نسخة (انهم) يزيدون (١)

وقال الحافظ ابن حجر فى شرح هذا الحديث « وفى تمسك الزبير بهذا الحديث على ما ذهب إليه فى اختيار قلة التحديث دليل للأصح فى أن الكذب هو الإخبار بالشئ على خلاف ما هو عليه سواء أكان عمدا أم خطأ … إذ الإكثار مظنة الخطأ . . »(٢)

وقال الحاكم فى المدخل « إن موعد الكاذب عليه فى النار » وقد شدد (ص) فى ذلك وبين أن الكاذب عليه فى النار ؛ تعمد الكذب أم لم يتعمد ، فى قوله (ص) فيما رواه ابن عمر « إن الذى يكذب على يبنى له بيت فى النار » وقد زاد تشددا بقوله فيما رواه عثمان بن عفان « من قال على مالم أقل » فإنه إذا نقله غير متعمد للكذب استوجب هذا الوعيد من المصاق (٣)

(١) ص ٤٩ (١) ص ١٦٢ ج ١ فتح البارى
(٣) ص ٤٦ من رسالة تحذير الخواص للسيوطى

ومن روايات هذا الحديث « من نقل عنى مالم أقله فليتبوأ مقعده من النار » قالوا وهذا أصعب ألفاظه وأشقها لشموله للمصحف واللحان والمحرف

الكذب على النبي قبل وفاته :

لقد كذب على النبي صلوات الله عليه وهو حى ، فقد جاء فى كتاب أصول الأحكام لابن حزم الظاهرى (١) أنه كان حى من بنى ليث على ميلين من المدينة ، فجاءهم رجل وعليه حلة ! فقال إن رسول الله كسانى هذه الحلة وأمرنى أن أحكم فى دمائكم وأموالكم بما أرى . وكان قد خطب منهم امرأة فلم يزوجوه . فانطلق على تلك المرأة ، فأرسلوا إلى رسول الله فقال : « كذب عدو الله » ثم أرسل رجلا فقال : « إن وجدته حيا فاضرب عنقه وإن وجدته ميتاً فحرقه بالنار »

وأخرج ابن سعد فى الطبقات والطبرانى عن المقنع التميمى قال : « أتيت النبى بصدقة إبلنا فأمر بها فقبضت . فقلت إن فيها ناقتين هدية لك ، فأمر بعزل الهدية عن الصدقة ، فمكث أياماً وخاض الناس أن رسول الله باعث خالد بن الوليد إلى رفيق مضر فمصدقهم ، فقلت والله ما عند أهلنا من مال ! فأتيت النبى (ص) فقلت له : إن الناس خاضوا فى كذا وكذا ! ! فرفع النبى يديه حتى نظرت إلى بياض ابطه وقال . « اللهم لا أحل لهم أن يكذبوا على » قال المقنع : فلم أحدث بحديث عن النبى إلا حديثاً نطق به كتاب أوجرت به سنة (٢) يكذب عليه فى حياته فكيف بعد موته ؟ »

وفى هذا الكلام فوائد كثيرة لا نطل ببيانها

الكذب على النبي بعد وفاته

وإذا كان قد كذب عليه فى حياته ، فإن الكذب قد كثر عليه بعد وفاته صلوات الله عليه وكبار الصحابة متوافرون . وقد استفاض هذا الكذب بعد وفاة عمر لأنه كان — كما علمت — يخيف الناس حتى أفزعت كثرة الأحاديث على رسول الله كبار

(١) ص ٥٨٢ ج ٢
(٢) أى سنة عملية ، إذ لم تكن تعرف السنة حينئذ الابذلك

بريطانيا العظمى

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

سودي يا بريطانيا واحكمى

هذا هو نشيد القوم وحداؤهم ، ولـكنه ليس هتافا تردده الألسنة والحناجر ، وتقعد عن تحقيقه الهمم والعزائم ، وإنما هو دينهم الذى ارتضوه ، ومذهبهم الذى اعتنقوه، يقدمون أرواحهم فداءله ، ويستعذبون الردى فى سبيله ، ولاعجب فإنهم يقولون «إذا ذهبنا فإنجلترا باقية

وبريطانيا التى أحدثك اليوم عنها أيها الصديق الكريم هى سيدة البحار ، وحاملة لواء الاستعمار ، زعيمة الديمقراطية، و«دينامو» السياسة الدولية ، وهى تجثم على صدر العالم وتتحكم فيه ، ولعلك تلمس فى جميع المشاكل القائمة الأصابع البريطانية

ومن واجبنا نحن الشرقيين أن نعرف مواطن الضعف فى أنفسنا فنعمل على إزالتها ، يدفعنا إلى ذلك عاملان : أولهما حبنا لأوطاننا ولحرياتنا ، ونحن إذ نفعل ذلك لا نبغى إثما ولا عدوانا ؛ وإنما نريد أن نعيش أحرارا كراما.. وثانيهما أن ديننا يأمرنا بذلك ، فهو يطلب إلينا أن نكون أعزة فى بلادنا ، وقد وعد الله المجاهدين منا إحدى الحسنيين ، فإما نصر فى الدنيا وعزة وكرامة ، وإما استشهاد وقد كرم الله الشهداء حيث قال (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) ووعدهم جنات تجرى من تحتها الأنهار.. لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما

وعندى أنه لكى تحقق الأمة آمالها وأهدافها لابد لها من أمرين : أولهما إيمانها بقضيتها ، ذلك أنه لا انتصار لأمة لا تؤمن بحقوقها ويختلف أفرادها فى حقيقة مطالبها ، فإن هـذا الخلاف يستغله الغاصب الأجنبى لإيقاع الفرقة فى صفوف أبنائها مما يؤدى إلى انحلالها ، وهـذه السياسة هى ما اتفق على تسميته بسياسة « فرق تسد »

الصحابة وأمضتهم

فقد روى مسلم فى مقدمة صحيحه بسنده عن طاووس قال : جاء هذا إلى ابن عباس (يعنى بشر بن كعب) فجعل يحدثه فقال له ابن عباس : عد لحديث كذا وكذا ، فعاد له . فقال : ما أدرى أعرفت حديثى كله وأنكرت هذا ؟ أم أنكرت حديثى كله وعرفت هذا ؟

فقال ابن عباس : « إنا كنا نحدث عن رسول الله إذ لم يكن يكذب عليه ! فلما ركب الناس الصعبة والذلول تركت الحديث عنه » (1)

وجاء بشر العدوى إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول ، قال رسول الله ! قال رسول الله ! قال . فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ، ولا ينظر إليه ! فقال . يا ابن عباس ، مالى أراك لا تسمع لحديثى ؟ أحدثك عن رسول الله ولا تسمع ؟ قال ابن عباس إنا كنا مدة إذا سمعنا رجلا يقول ، قال رسول الله ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعبة والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف

وأخرج مسلم عن ابن سيرين قال : لقد أتى على الناس زمان وما يسأل عن إسناد حديث، فلما وقعت الفتنة[2] سئل عن إسناد الحديث ؛ فنظر من كان من أهل السنة أخذ من حديثه ، ومن كان من أهل البدع ترك حديثه

نجتزئ بهذه النصوص التى تدل على أن الرسول (ص) قد كذب عليه فى حياته وبعد مماته ، ولم يكن ذلك من أصحاب البدع والأهواء فحسب ، ولكن كان من الصالحين — كما سنبين ذلك فى فصل (الوضاع الصالحون) إن شاء الله

المنصورة . محمود أبو رية

(1) إذا كان الناس قد ركبوا الصعبة والذلول فى عهد ابن عباس ، فما ظنك بمن جاء بعدهم ؟ (2) حقا أن وقوع الفتنة بين الصحابة كان سبب كل بلاء دخل على الإسلام، ولقد كان من أشد أضرار هذه الفتنة الكذب على رسول الله ، فكان كل فريق يؤيد رأيه بحديث ينسبه الى الرسول ليكون ذلك أشد تأثيراً فى النفوس

والأمر الثاني أن تعمل الأمة على إعداد أفراد شعبها من الناحيتين الروحية والعسكرية : فالجندي الذي لا يؤمن بالقضية التي يحارب من أجلها يكون قلبه هواء ؛ وسرعان ما يولي الأدبار حين ينزل في ساحة الوغى والقتال . وكذلك ليس من العدل أن يُرسل الأفراد العزل ، إلى ميادين النزال حيث تلتهمهم المدافع والقنابل

إذا تحقق هذان الأمران ، وعرف كل فرد من أفراد الأمة قضية بلاده وحقوقه المهضومة ، وعمل على استخلاصها من بد المثل الأجنبي ، فتأكد يا صديقي أن أمة هذا شأنها لابد واصلة إلى تحقيق أهدافها وغاياتها

واجب علينا إذن أن نعرف مواطن الضعف في أنفسنا فنقومها ؛ وواجب علينا أيضا أن نعرف مواطن القوة في غيرنا فنعمل على الأخذ بأسبابها في بلادنا ؛ وبريطانيا هي المحرك الأول لسياسة الدنيا في هذا العصر ، ولعل من الخير لنا أن نحاول فهم الأسباب الرئيسية لقوتها وعظمتها

الأسد البريطاني :

حاول أيها الصديق الكريم أن تنظر إلى خريطة سياسية للدنيا ، وسيسترعى انتباهك حتما سعة أملاك بريطانيا مما جعل البريطانيين على حق فيما يذهبون إليه من « أن أملاكهم لا تغرب الشمس عنها أبدا» . ويذكرنا ذلك باتساع الإمبراطورية الإسلامية في عصرها الزاهر مما دفع الخليفة هرون الرشيد أن يخاطب سحابة كانت تمر به قائلا : « أمطرى حيث شئت يأتني خراجك »

تمتاز الأملاك البريطانية باتساعها ، ولاعجب ، فإن بريطانيا تحكم ثلث اليابس ، إذ تملك أستراليا وتجثم على صدر معظم أفريقيا ، وتتحكم في معظم آسيا ، ولها ممتلكات واسعة في أمريكا

ولعل مما يثير اهتمامك وانتباهك أيضا أن بريطانيا شديدة أشد الحرص على أن تكون مفاتيح البحار في يدها ، فلها في كل بحر من البحار ، ومحيط من المحيطات ، جزائر متناثرة ، ولكن أهميتها عظيمة لأنها مأوى الأسطول البريطاني الذي تسود به بريطانيا على الدنيا

الأسطول البريطاني :

بريطانيا سيدة البحار ، هـذا هو ما تزعمه وهو صحيح من غير شك ، فما يزال الأسطول البريطاني « الدرع الواقي » لإنجلترا حتى أيامنا هذه ؛ بل إنني أعتقد بحق أن الجندي المجهول الذي كسب لبريطانيا الحرب الأخيرة ، مع أن الناس لم يشعروا بقيمة الحرب البحرية في الحرب الأخيرة ولم يقدروها حق قدرها

ولعلنا نذكر أن ألمانيا قد استطاعت أن تكتسح أوربا في فترة وجيزة حتى بلغ بها الأمر أن استولت في ليلة واحدة على دولتين : هما النرويج والدانمرك ، وفي مدى أسبوع سقطت فرنسا تحت أقدامها ، وأصبحت ألمانيا سيدة أوربا ولم يبق أمامها سوى إنجلترا

وقد وجهت ألمانيا إلى بريطانيا طائراتها فأخذت تقذف عاصمتها بوابل من قنابلها ليلا ونهارا ، وكانت تبغى من غير شك إضعاف نفسية الشعب الإنجليزي حتى تضطر حكومته إلى طلب الصلح . ولكن الخلق الإنجليزي لا يبدو واضحا جليا إلا في أوقات الأزمات ؛ فقد صمد الشعب الإنجليزي وخاب فأل الألمان

ولعلك تسألني لم ترسل ألمانيا قواتها فتحتل أرض بريطانيا كما فعلت مع فرنسا ، وأنا أجيبك بأن ألمانيا قد فكرت في ذلك من غير شك ، فلما تحققت أن الأسطول البريطاني واقف لها بالمرصاد نكصت على عقبيها وارتدت عن فكرتها ولجأت إلى الحرب الجوية وانتهى الأمر بفشلها ، وظلت ألمانيا حبيسة في داخل القارة . ولما تمكنت انجلترا من جمع حلفاء حولها نظمت قواتها وقوات حلفائها وعمدت إلى إثارة الشعوب الأوربية ضد ألمانيا ثم نزلت قواتها إلى البر في أرض حليفتها بالأمس فرنسا ، وظلت تحارب حتى تم لها النصر ، وكان الأسطول يحاصر ألمانيا وأملاكها وينقل العتاد والذخائر والمؤن إلى بريطانيا وحلفائها

لعلك قد تبينت أيها القارئ الكريم أهمية الدور الذي لعبه الأسطول البريطاني في الحرب الأخيرة ، وأنا الآن أنتقل بك إلى موضوع آخر هو : كيف أصبحت بريطانيا أمة بحرية ، وكيف تمكنت من إحراز السيادة العالمية البحرية ؟

وأحب أن أحدثك قليلا عن بريطانيا قبل أن أجيبك عن هذا السؤال . إن تلك الدولة العتيدة تتكون من عدة جزائر أهمها جزيرتان : الجزيرة الكبرى وهي تضم إنجلترا وويلز وإسكتلندا ، والجزيرة الثانية وتشمل إيرلندا ، وهناك عدة جزائر أخرى متناثرة حول هاتين الجزيرتين

وتقع الجزائر البريطانية في شمال غرب أوربا ، ويفصلها عن القارة بحر المانش وبحر الشمال وقد كان لهذا الموقع أهمية كبرى في تاريخ بريطانيا ، ذلك أنه جعلها بعيدة عن التأثر بالتيارات السياسية ، والانقلابات التي تتعرض لها القارة الأوربية ، وجعلها بمنجاة من الغزو الأوربي

كيف أصبحت بريطانيا أمة بحرية وكيف أصبحت سيدة البحار ؟ لقد رأينا فيما سبق أن بريطانيا تتكون من عدة جزائر تحيط بها البحار والمحيطات ، ومن طبيعة أهل السواحل أن يلجأوا إلى البحر المجاور التماسا للرزق وسعيا وراء السمك ، وقد ساعد الإنجليز على ركوب البحر توفر الغابات والأخشاب اللازمة لصناعة السفن في بلادهم ، ثم إن الإنتاج الزراعي لا يكفي حاجة السكان مما جعلهم يلجأون إلى البحر . هكذا تعلم البريطانيون الملاحة

وفي عصر النهضة والاستكشافات راع الإنجليز ما أحرزته إسبانيا من ممتلكات في أمريكا ، وما استولت عليه من ثروات ضخمة ، فبدأ ملاحوها المعروفون باسم قراصنة البحر بزعامة سير فرنسيس دريك يهاجمون السفن الإسبانية ، وانضمت إنجلترا إلى جانب هولندا التي ثارت ضد إسبانيا وقدمت لها مساعدات قيمة . الأمر الذي أثار ثائرة فيليب الثاني ملك إسبانيا وبلغ النزاع أشده بين دولتين : إحداهما تتزعم المذهب البروتستانتي وهي إنجلترا ، والثانية تتزعم المذهب الكاثوليكي وهي إسبانيا ، فأعد فيليب أسطولا عظيما عرف باسم « الأرمادا » ليغزو به بريطانيا في بلادها ، وهنا واجهت إنجلترا أزمة خانقة ولكنها وقفت ملكة (اليصابات) وشعبا في وجه الإسبان ، وحطم البحارة الإنجليز الأسطول الإسباني الكبير في يولية ١٥٨٨ وهكذا بدأت بريطانيا زعامتها البحرية

على أن بريطانيا لم تلبث أن وجدت نفسها أمام دولة أخرى تنافسها في ميدان الاستعمار والسيادة على البحار وهي فرنسا ، ولكن بريطانيا أخذت تنازل عدوتها ، وفي خلال حرب السنين السبع ١٧٥٦ — ١٧٦٣ تمكنت من الاستيلاء على ممتلكات فرنسا في أمريكا والهند

وجاء عصر الثورة ونابليون ، واستطاع نابليون أن يفرض — كما فعل هتلر — سلطانه على أوربا ، وبقيت إنجلترا وفكر في غزوها ، ولكن قوتها البحرية ردته إلى صوابه ففكر في طريقة أخرى ليضرب بها إنجلترا ، ورأى أن خير طريقة ، لتحقيق ذلك تكون بالقضاء عليها في مستعمراتها ، ومن هنا جاء نابليون في حملته المشهورة إلى مصر ١٧٩٨

وعرفت بريطانيا أن نابليون قد جاء إلى مصر ليقضي على إمبراطوريتها في الهند فوقفت له بالمرصاد ، وحطم بطلها العظيم نلسن الأسطول الفرنسي في موقعة أبي قير البحرية في أول أغسطس ١٧٩٨ وكذلك وقف السير سدني سمث يساعد الجزار باشا في عكا مما اضطر نابليون أن يعود أدراجه من حملته على الشام إلى مصر ومنها إلى أوربا

واستمر العداء مستحكما بين فرنسا زعيمة أوربا وبين إنجلترا سيدة البحار ، وجدت انجلترا في القضاء على البحرية الفرنسية قضاء تاما ، وقد استطاع نلسن أن يحقق لها ذلك في موقعة الطرف الأغر في أكتوبر ١٨٠٥ إذ حطم قوات فرنسا البحرية وكذلك قوات حليفتها إسبانيا ، وكتب للبحرية الإنجليزية نصرا رائعا دفع لها ثمنا حياته ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت انجلترا زعيمة البحار غير منازعة . وما يزال الإنجليز إذا ذكروا نلسن ذكروا بطلا ضحى بحياته في سبيل مجد إنجلترا . وإن أنس لا أنس منظرا شهدته بعيني : فقد كان المرحوم المستر جريفث يقوم بتدريس الأدب الإنجليزي لنا وكان يقرأ « حياة نلسن » فلما وصل إلى نهاية الرواية وفيها وصف مؤثر لسقوط نلسن في ساحة الشرف وميدان القتال ؛ بكى الرجل ودمعت عيناه رغم أن نلسن كان قد مات منذ أكثر من قرن وربع من الزمان

وما تزال كلمات نلسن التي وجهها إلى بحارة الأسطول قبيل المعركة دستورا للانجليز : « إن انجلترا تتوقع أن يقوم كل فرد بواجبه » England Expects that every man will do his duty

مع أبي تمام في آفاقه :

قصيدة النار

— ٤ —

للأستاذ محمود عزت عرفة

تتمة

... وثالثة القصائد التي أنشأها أبو تمام في الأفشين هي هذه الرائية الهاجية الشامتة التي لا تزال موضوع حديثنا. ولقد كانت أبياتها في وصف النار والمصلبين موضع العجب والإعجاب — كما رأينا — لدى القدماء والمحدثين جميعاً. ذلك أنها تصوير مبتكر دقيق، لمنظر لنا أن نعده مبتكراً دقيقاً أيضاً، بما لابسه من هول المشهد وروعته، مشوباً بفرحة النفوس لهذا النصر المتتابع يمثله الخليفة لأبناء سامرا في جثث أربع، لأربعة من رءوس الكفر والخلاف وأهل العداوة للاسلام هم: بابك الخرمي، والمازيار بن قارن، وناطس الرومي نائب عمورية، وحيدر الأفشين.

إنه المشهد الذي قرت العيون بما تنظر منه، وهشت الأسماع لما تسمع عنه، وتلقت القلوب منه البشرى تبهجها فتطمئنها، وأعلنت له الشماتة التي كانت في شرعة الفضيلة عاراً، فأصبحت بعد مما يرحض به العار ...

يا مشهدا صدرت بفرحته إلى ... أمصارها القصوى بنو الأمصار
رمقوا أعالي جذعه فكأنما ... وجدوا الهلال عشية الإفطار
واستنشقوا منه قتاراً نشره ... من عنبر ذفر ومسك (داري)
وتحدثوا عن هلكه كحديث من ... بالبـدو عن متتابع الأمطار
وتباشروا كتباشر الحرمين في ... قحم السنين بأرخص الأسعار
كانت شماتة شامت عاراً فقد ... صارت به تنضو ثياب العار

ثم يعود أبو تمام فيستعرض وجوه النعم التي حظي بها الأفشين في ظل المعتصم، فهو قد أحله من قلبه مكانة لا تنفذ إليها مؤثرات الأحداث، وأرتعه من العيش الهنيُ في أطيب مرتع، وبوأه جانب الأمن والسلامة من أن يتقلب عليه قلبه، أو تأخذه بوقيمة يده؛ لأنه كان يطمئن إليه أكثر مما يطمئن الأب الكريم إلى ابنه البار. ثم ماذا؟ ثم تنكشف الأفشين فجأة عن طوية خبيثة، فإذا هو يسر الكفر إسرارا، ويصر على اعتقاده إصرارا؛ بل هو يحن إلى سالف عهده فيه حنيناً لا يخرجه منه إلا أن يرتد إليه، ويبكي مجد مجوسيته الذاهب بكاء من فقد آثر الأشياء عنده وأعزها لديه:

قد كان بوأه الخليفة جانباً ... من قلبه حرماً على الأقدار
فسقاه ماء الخفض غير مصرد ... وأنامـه في الأمن غير غرار
ورأى به مالم يكن يوما رأى ... عمرو بن شأس قبله بعرار
فإذا ابن كافرة، يسر بكفره ... وجـداً كوجد فرزدق بنوار
وإذا تذكره بكاه كما بكى ... كعب زمان رثى أبا المغوار

وحديث عمرو بن شأس الأسدي مع زوجه وولده مشهور (١) كانت له امرأة من رهطه يقال لها أم حسان بنت الحارث، وكان له ابن يقال له عرار (٢) من أمة له سوداء. فكانت تعيره به

وقد قام كل فرد بواجبه فتحقق النصر لبريطانيا، وقام نلسن بواجبه واستشهد في المعركة، وكان آخر عبارة فاه بها: «حمداً لله وشكرا، لقد أديت واجبي» «Thank god I have done my duty»

وقد كان من نتائج هذه المعركة أن ظل نابليون محبوسا في أوربا لا يستطيع عنها حولا، وظلت إنجلترا تقاومه حتى سلم نفسه إليها فنفته إلى جزيرة سانت هيلانة حيث قضى بقية حياته

وجدير بي أن أذكر قبل اختتام حديثي أنه في ١٩١٢ قرر قيصر ألمانيا إنشاء ست بوارج حربية، فقررت انجلترا إنشاء ١٢ بارجة واحتج القيصر، ولكن بريطانيا ردت عليه قائلة، إن الأسطول البريطاني يجب أن يكون في تعداده وقوته مماثلا لأساطيل الدول مجتمعة

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بسمنود الثانوية

---

(١) الأمالي للقالي: ج ٢ ص ١٨٨

(٢) قال الشيخ حمزة فتح الله في المواهب الفتحية ج ٢ ص ٤٠): وعرار بكسر العين كما ضبطناه، وان كرر ضبطه في اللسان بفتحها، وكأنه اعتمد على شارح القاموس إذ ضبطه كذلك بالعبارة حيث قال: وعرار كسحاب ابن عمرو الخ، وهو خطأ فليتنبه له. هـ قلت: وفي ديوان الحماسة بكسر العين (٣) الأمالي: ج ٢ ص ١٤٧

وتؤذى عراراً ويؤذيهـا ، وتشتمه ويشتمها . فلما أعيت عمراً بالأذى والمكروه فى ابنه ، قال الكلمة التى فيها هذه الأبيات :

ألم يأتيها أنى صحوت وأننى تحلمت حتى ما أعارم من عرم
وأطرقت إطراق الشجاع ولو رأى مساغا لنابيه الشجاع لقد أزم
فإن عراراً إن يكن غير واضح فإنى أحب الجون ذا المنكب العمم
وإن عراراً إن يكن ذا شكيمة تقاسينها منه ، فما أملك الشيم
أردت عراراً بالهوان ومن يرد عراراً لعمرى بالهوان فقد ظلم !

أما وجد الفرزدق بزوجه (نوار) وندمه على تطليقها ، فليس بعدلها وجد ولا ندم . وهو القائل فى ذلك

ندمت ندامة الكسعى لما غدت منى مطلقة نوار

والذى يشير إليه أبو تمام من رثاء كعب لأبى المغوار ، هو البائية التى أنشدها كعب بن سعد الغنوى فى رثاء أبى المغوار ، واسمه هرم أو شبيب (٣) ، وفيها يقول :

وداع دعا : يامن يجيب إلى الندى
فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فقلت ادع أخرى وارفع الصوت دعوة
لعل أبا المغوار منك قريب
يجبك كما قد كان يفعل ، إنه
مجيب لأبواب العلاء طلوب
فإنى لباكيه ، وإنى لصادق
عليه ، وبعض القائلين كذوب

* * *

وكان فى آل كاوس جماعة من ذوى النفوذ والجاه كالفضل ابن كاوس أخى الأفشين الذى أبلى معه فى حرب الخرمية بلاء عظيما . والحسن بن الأفشين زوج أترنجة ابنة القائد أشناس وكان يطمع فى بعض مناصب الولاية فى خراسان . فكان مقتل الأفشين مما يستوجب الضرب على أيدى أمثال هؤلاء ممن لا تؤمن بادرتهم ، وقد نجحت خطة المعتصم فى ذلك بمعونة عبد الله بن طاهر ولم يكن ليغيب عن أبى تمام لزوم هذا الإجراء الحاسم ، فهو يذكره للمعتصم ويشير به عليه ؛ ويذكر ألا حرج فى إلحاق أعيان آل كاوس بمصير سيدهم ، لأنهم جميعا أهل فتنة وخلاف . ولئن كان الأفشين قد لقى من بينهم جزاء ما أظهر من خيانة ، فكل

منهم فى خبيئة نفسه وباطن أمره « أفشين » . فحقهم أن يلقوا مالقى ، وأن يذوقوا الكأس التى ذاق

ولا يفوت أبا تمام كعادته أن يستشهد على هذه الحقيقة بحوادث الغابرين ، وأن يستنبط لها الأمثال من سير الماضين . فهو يذكر لنا السامرى صاحب موسى ، وقداراً أشأم ثمود . وعنده أنهما لم يركبا من الشر ما ركبا إلا وكل منهما مؤيد من قومه بما طبعت عليه نفوسهم من الشر . وكأنما كان الله — سبحانه — ينظر إليهم بهذه العين حين شملهم بسخطه وعذابه جميعا . وإذاً فليس أمام المعتصم إن تحرى الحزم والسداد إلا أن يأخذ جميع آل كاوس بجريرة صاحبهم الأفشين :

يا قابضا يد آل كاوس عادلا أتبع يمينا منهمو يسار
الحق جبينا دامياً رملته بقفا ، وصدرا خائنا بصدار
واعلم بأنك إنما تلقيهمو فى بعض ما حفروا من الآبار
لو لم يكد للسامرى قبيله ما خار عجلهمو بغير خوار
وثمود لولم يوغلوا فى ربهم لم ترم ناقته بسهم قدار

ثم يختم الشاعر الموضوع الأصيل من قصيدته بإعادة ذكر المصلبين وقد لبست أجسادهم من لفح النار سوادا كالقار . ثم عبثت بها أيدى النسائم فانعطف بعضها إلى بعض كأنها فى سرار ومناجاة .

ويذكر بعد ذلك أنهم ركبوا مطايا ضوامر ليست كالجياد من لحم وعصب ، ولكنها من حديد وخشب ، وأنهم فى امتطائهم إياها كانوا أشبه شئ بالسفر المغذين وهم مع ذلك لا ينقلون قدما أو يبرحون موضعا . وقد ذكرنا ثلاثا من هذه الأبيات أنشدت فى مجلس محمد بن منصور ، ونحن نعيد الأبيات هنا بجملتها ، وهى ستة :

ولقد شفى الأحشاء من برحائها أن صار بابك جار مازيار
ثانيه فى كبد السماء ، ولم يكن لاثنين ثانيا اذ هما فى الغار
وكأنما ابتدرا لكيما يطويا عن ناطس خبرا من الأخبار
سود اللباس كأنما نسجت لهم أيدى السموم مدارعا من قار
بكروا وأسروا فى متون ضوامر قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم أبدا على سفر من الأسفار

وفى البيت الأول « ولقد شفى الأحشاء — الخ » اشارة إلى

أولى التهم التى أخذ بها الأفشين ، وهى حضه مازيار بن قارن على الخلاف فى طبرستان . وفى الحق إنها كانت أخطر هذه التهم كذلك ، ومن أجلها وحدها تقرر مصير الأفشين وصحت نية الخليفة على الإيقاع به ...

ويكفى للتدليل على ذلك أن نقول إن القبض على الأفشين وقع قبل الدخول بمازيار إلى سر من رأى بيوم واحد . حكى ذلك الطبرى فقال : « جلس المعتصم فى دار العامة لخمس ليال خلون من ذى القعدة (٢٢٥ هـ) وأمر لجمع بينه - يعنى مازيار - وبين الأفشين . وقد كان حبس قبل ذلك بيوم . . » (٤) وإذاً فلم يكن سائر ما ألصق بالأفشين من تهم - إلى جانب تحريضه مازيار - إلا نوعا من الاستقصاء ، وتلمسا لما يبرر الانقلاب عليه ، وإخلاء موضعه منه . أو قل إن ضعف هذه التهمة - وقد أشرنا قبل إلى اضطراب الروايات حولها (٥) - استدعى أن يضاف إليها ما يعززها ، ويضاعف من نسجها

أما البيت الذى قال فيه :

وكأنما ابتدرا لكيما يطويا عن ناطس خبراً من الأخبار

وقد كان يند عنى فهم المراد منه ، حتى وقعت على تفسير له فى تاريخ المسعودى . قال (٦) : ومالت خشبة مازيار إلى خشبة بابك فتدانت أجسامهما ، وكان قد صلب فى ذلك الموضع ناطس بطريق عمورية ، وقد انحنت نحوهما خشبته ، ففى ذلك يقول أبو تمام : ولقد شفى الأحشاء ... الأبيات

ولقد نجنى صاحب « الموازنة » على اثنين من هذه الأبيات ، أولها قوله :

ثانيه فى كبد السماء ولم يكن لاثنين ثانياً اذهما فى الغار

أورده « ولم يكن لاثنين ثان » ثم قال : (٧) كان يجب أن يقول « ثانيا » لأنه خبر يكن ، واسمها هو اسم بابك مضمر فيها . فليس إلى غير النصب سبيل فى البيت وإلا بطل المعنى وفسد .

(٤) الطبرى : ج ١٠ ص ٣٦٣

(٥) الطبرى : ج ١٠ ص ٣٦٣ ، ٣٦٦ - والكامل : ج ٦ ص ١٨٢ ، ١٩٠ - والبداية والنهاية : ج ١٠ ص ٢٨٩ - والنجوم الزاهرة : ج ٢ ص ٢٤٢

(٦) مروج الذهب للمسعودى : ج ٢ ص ٣٥٤

ونقول : إن المعنى يبطل حقا بالرفع ويفسد ؛ ولكن رواية النصب هى المأثورة ، وقد وردت فى الديوان . ويستلزم ذلك وصل الهمزة المنقطعة فى (إذ) وتلك ضرورة شعرية يبررها استقامة البيت معها إعرابا ومعنى

أما البيت الثانى فقوله :

لا يبرحون ومن رآهم خالهم أبداً على سفر من الأسفار

يقول الآمدى : (٨) قال بعض الأعراب يصف المصلوب ، وأنشد ثعلب :

قام ولما يستعن بساقه آلف مثواه على فراقه
كأنما يضحك فى إشراقه

أخذ أبو تمام قوله : آلف مثواه على فراقه فقال : لا يبرحون .. البيت . وهكذا يعتد الآمدى هذا البيت من سرقات أبى تمام على وجه من التكلف بغيض ، يكاد يطالعنا فى كل ما عقده القدماء تحت عنوان (السرقات الشعرية)

وإلى هنا يفرغ أبو تمام من المعانى التى حشد لها فكره مما يتصل بحياة الأفشين وموته ؛ وهو كما يرى القارئ ، وكما شهد له معاصروه ، كان كثير الاتكاء على نفسه ، حفيا بكل معنى مبتكر ، يعنى باستنباطه نفسه ، ويشحذ له جد ذهنه ، لا يحس فى ذلك كلالا ولا يستشعر وهنا ؛ حتى لكأنه يأخذ نفسه دائما بما وصف به بعض شعره حين قال :

أما المعانى فهى أبكار إذا نصت ، ولكن القوافى عون

ولا يختم أبو تمام قصيدته قبل أن يشيد باستحسان ما أقره المعتصم من ولاية العهد لابنه هرون (الواثق بالله) ففى ذلك جمع لشمل المسلمين ، ونحر لمصلحتهم . مع قمع شياطين الفتنة ، وتوطيد دعائم الحكم العادل ، وضمان صيانة هذا الملك العريض أن ينفرط عقد أقطاره ، أو يتعطل معصمه من سواره ، وفى ذلك يقول أبو تمام :

فاشدد بهرون الخلافة إنه سكن لوحشتها ودار قرار
بفتى بنى العباس والقمر الذى حفته أنجم يعرب ونزار

ثم يقول :

فاقمع شياطين النفاق بمهتد ترضى البرية هديه ، والبارى

(٧) ، (٨) الموازنة بين الطائيين للآمدى ص ١٢ ، ٣٥

صحبة العبقرية

للأستاذ خليفة التونسى

مجال العبقرية « الخالقة » هى السريرة الإنسانية

فالعبقرية إنما تتوجه برسالتها واعية وغير واعية إلى هذه السريرة التى لا مجال لها تعمل فيه عملها سواها ، وهى تعدى بإيمانها من يقدر له الاتصال بها « شخصيا » « من المستعدين » لتقبل فيوضها ، والتشبع بها إلى درجة الامتلاء

ويبلغ من تأثير هذه « العدوى » أن تستجيش فى سريرة المستعد لها كل بواعث الحياة والوعى والشعور بالواجب حتى ليبدو بعدئذ كأنه قد خلق فى « صحبتها » خلقا جديدا ، ويبلغ من تأثيرها أن ترفعه حتى يبلغ مرتبة « الاجتهاد » فى رسالة العبقرى ، بل فى غيرها من وجوه النشاط البشرى ، حتى يظهر كأنه هو أيضا « ملهم » كالعبقرى ، وذو رسالة كرسالته

وهذه ظاهرة تلازم كل عبقرية « خالقة » فى الوجود ، من خلال صلاتها بأتباعها الذين « صحبوها »

وقد أشرنا إلى هذه الملاحظة فى مقال سابق نشر بهذه المجلة « الرسالة ٨٨٣ » عنوانه « مجال العبقرية » ، وضربنا هناك مثلا لهذه الظاهرة حواريى السيد المسيح الذين « صحبوه » فى حياته التبشيرية القصيرة ثم استطاعوا أن ينهضوا بحمل رسالته من بعده ، وما كانوا أولا غير طائفة من صيادى السمك وأشباههم سذاجة وعامية ، ومع ذلك استطاعوا أن يثبتوا فى الجدل والكفاح لأساطين كهنة اليهود وأحبارهم « الذين كانوا قد فقهوا حق الفقه صفوة الثقافات الدينية والعلمية والفلسفية التى كانت معروفة فى عهدهم ، وانتصروا عليهم حتى فى تفسير الشريعة الموسوية التى هم كهنتها وأحبارها ، وكانوا إذا خطبوا أو تحدثوا — وهم العوام — نطقوا بالبيان الساحر الذى زلزل القلوب ويهز العقول ، فلا علاك حيال بلاغته الصارمة ما يدفعها ، فإما أن تؤمن بها ، وإما أن تنحرف عن طريق سيلها الغامر » كما مثلنا لهذه الظاهرة أيضا ببعض صحابة النبى الأقربين ، وفيهم بارى النبال والجزار والحداد

ليسير فى الآفاق سيرة رأفة ... ويسوسها بسكينة ووقار

فالصين منظوم بأندلس إلى ... حيطان رومية فملك ذمار

ولقد علمت بأن ذلك معصم ... ما كنت تتركه بغير سوار !

ويختم أبو تمام قصيدته بهذا المقطع الذى يرتقى به إلى أعلى ذروة المديح ، ويسجل لبنى العباس — بل لآل هاشم جميعا — مجدى الدين والدنيا ، وعزى النبوة والخلافة ، وليس فوق هذين غاية تطلب ولا مقصد يرام :

فالأرض دار « أقفرت مالم يكن ... من هاشم رب لتلك الدار

سور القران الغر فيكم أنزلت ... ولكم تصاغ محاسن الأشعار

* * *

وبعد ، فهذا أبو تمام (الشاعر) عرضناه فى قصيدة واحدة من قصائده . ونحن نرجو أن نكون قد جلونا للقارئ صفحة من روعة فنه ، وعبقرية شعره ، وتجنيح خياله ، وتألق ديباجته ، وأريناه إياه محلقا فى سماء القريض الفذ إلى الغاية التى يقصر دونها كل شاعر .

أما أبو تمام (الحكيم) ، أبو تمام المفكر الفيلسوف ، فذلك إنسان تسامع به أهل الأدب جميعا — وإن كنا نشك فى أنهم عرفوه حق معرفته — منذ ما أومأ إلى هذه الحقيقة أبو العلاء فى عبارته المقتضبة العابرة : المتنبى وأبو تمام حكيمان ، وإنما الشاعر البحترى !

(تم البحث)

محمود عزت عرفة

المدرس بمعلمات شبرا

مصادر البحث وفق أقدميتها : —

١ — ديوان أبى تمام
٢ — تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى
٣ — أخبار أبى تمام لأبى بكر الصولى
٤ — مروج الذهب للمسعودى
٥ — الأمالى لأبى على القالى
٦ — الموازنة بين الطائيين للآمدى
٧ — زهر الآداب للحصرى القيروانى
٧ — معجم البلدان لياقوت الحموى
٩ — الكامل لابن الأثير الجزرى
١٠ — الفخرى لابن طباطبا
١١ — البداية والنهاية لأبى الفداء
١٢ — النجوم الزاهرة لأبى المحاسن
١٣ — معاهد التنصيص للعباسى
١٤ — هبة الأيام فيما يتعلق بأبى تمام للبديعى الموصلى
١٥ — المواهب الفتحية للشيخ حمزة فتح الله

وراعى الغنم والعبد المسخر المستضعف ، وقد بلغوا ما بلغوا من الاقتدار والأستاذية فى التشريع ، والحكم ، والنصح للخلفاء وعامة المسلمين ، وتسكين الهزاهز التى نجمت أمامهم من كل أفق ، فأبلوا فيها كأعظم ما ينبغى البلاء ، مع أنهم كانوا « رواد » مجاهل لا عهد لهم بمثلها ، ولم تكن لديهم سوابق كافية يستأنسون بها فى توسم تلك المشكلات الضخمة الكثيرة ، وفى الطب لها

وإذا صحت هذه الملاحظة تكشف لنا مدى ما تنفقه العبقرية الهادية على « صحابتها » المستمدين لها من فضل فى تصفية سرائرهم ، وتصحيح ضمائرهم وأذواقهم وعقولهم ، كى يتوجه كل منهم الاتجاه الذى ينبغى له فى الحياة حينما يتيسر له ، وحيثما يتيسر ، وهذا الاتجاه لا يظهر إلا متى نضجت ملكات « الصاحب » وتهيأ لها المجال الذى يناسبها ، فتتمرس فيه بالتجارب التى تثير دفائنها ، وتشحذها وتصقلها ، وقد يتأخر ظهور اتجاه « الصاحب » إما لعدم تمام نضوج ملكاته ، وإما لأن المجال المناسب لها لم يتهيأ لها

والمجالات الكثيرة المتنوعة التى تناسب كل « أصحاب » العبقرى قد لا تتهيأ له ولهم غالبا فى حياته ، كى يوجه فيها أصحابه ، بل تتهيأ بعد ذهابه على يد « أصحابه » أنفسهم إذا كتب لمبدإه الاستمرار بعده ، وظلوا معتصمين به

والعبقرية تستعمل أصحابها على طريقتين نستطيع أن نصطلح على تسميتهما بالطريقة « الكمية » أو « الجمية » أو « الكتلية » والطريقة « الكيفية » أو « الفردية » أو « الذرية »

ونعنى بالأولى الطريقة العادية التى تسخر بها الجماعات العامية فى الحياة اليومية ، فترى الفرد فى الجماعة العامة — مهما يكن ممتازا — لا يعدو أن يكون « رقما » صغيرا ضمن عملية جمع حسابية كبيرة أو صغيرة ، وهذه الطريقة لا يمكن أن تظهر « كل امتياز » الفرد إذا كان ممتازا

وإنما يلجأ العبقرى إلى استعمال أصحابه على هذه الطريقة إذا ضاق أمامه أو توحد المجال الذى يوجههم فيه ، ولم تتح له المجالات المتعددة المتنوعة ليختار لكل صاحب منهم المجال الذى يناسب كفايته . فاستعمالهم على هذه الطريقة المسرفة التى يبتذلون فيها

آية فقر من المجالات ، ولا مسوغ لهذا الإسراف وهذا الابتذال إلا الضرورة ، و « من اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » .

وموقف العبقرى فى هذا الحرج يذكرنى بالقصة الآتية :

أرسلنى أبى — وأنا غلام — إلى حقل لنا ، لأشرف على أجراء يعملون لنا فيه ، ولمحت هناك فلاحا كنت أعرفه ميسور الحال ، وكان هو صاحب الحقل المجاور لحقلنا ، وعجبت له إذ كان يلبس جبة وقباء أثناء عمله فى حقله ، والمقام مقام ابتذال لا تناسبه هذه البزة القيمة ، بل يناسبه لبس جلباب أو نحوه ، فملت إلى شيخ كان يقوم بخدمتنا خاصة — وكنت أعجب بعقله ودعته — وهمست فى أذنه : « ألا ترى ياعم جارنا فلانا وما يلبس ، بالإسرافه وكبريائه ! » وما أسرع أن همس الشيخ الأريب فى أذنى : « لا إسراف يابنى ولا كبرياء ، بل هو الفقر » فكان عجبى لقوله أشد من عجبى لما يلبس جارنا ، فسألته دهشا : « وكيف ياعم » فأجابنى مبادرا : « لو كان فلان — يعنى جارنا — يملك جلبابا صالحا يبتذله فى الحقل للبسه ، أفكان يظل قعيد بيته ويترك العمل فى حقله ، أم يخرج إليه عريان ، أم يلبس ثوبا ممزقا قد يجده ولكنه يفضحه ، إن هذا كله غير ممكن ، فلم يبق أمامه صالحا له إلا جبته وقباؤه فابتذلهما توقيا للزوم البيت وإهمال الحقل والفضيحة أمام الناس فى الخروج ، ولكنه مع هذا الزى واقع فى فضيحة لا يفهمها إلا قليل ، وشر أهون من شر » وأبى الشيخ — رحمه الله وغفر له — إلا أن يدل بمعرفته على الغلام المعتز بما وعى على أيدى معلميه وأبيه ، وبما درس من كتب كان يعكف على قراءتها عكوف الوثنى المخلص على وثنه ، وأبى إلا أن يصدم غروره وما كان بالغرور ، فعقب على ذلك بقوله : « أفهمت أيها التلميذ النجيب ؟ هذا علم ليس من الكتب يابنى » فأجاب الغلام « فهمت ياعم ، وصدقت فما تغنى الكتب عن تجارب مثلك » وشغلته فراسة الشيخ عن الوقوف عند تبكيته وإدلاله ، وكانت هذه الملاحظة من أول ما شكك الوثنى فى وثنه ، وزعزع إيمانه به

والحق أنها ملاحظة صادقة تنطبق على جارنا الفلاح كما تنطبق على كل عبقرى صاحب مذهب إصلاحى جديد حين يبتذل أصحابه فيستعملهم فيما هو دون كفايتهم وفضلهم مضطرا ، إذ لا تتوفر الأعمال المناسبة لكل كفاية وفضل

ونحن نشير إلى هذا السبب لأنه أكثر شيوعا فى حداثة الدعوة عند الضرورة ، ولسنا غافلين عن غيره من الأسباب ، فمثلا قد يحول العبقرى مختاراً كمكره بين ممتاز من أصحابه والعمل الذى يناسبه ، لأن إسناده إليه غير مأمون العواقب عليه وعلى العمل معا ، إذ لا يزال العبقرى غير واثق كل الثقة من القوى الكابحة فى نفس صاحبه ، ولا أمان لامتياز الممتاز إلا بهذه الكوابح الذاتية التى تحول بينه وبين الطغيان . فلو ضعف وطغى الممتاز لأفسده طغيانه وقد يفسد معه غيره ، ولا احتمال لذلك والمذهب لم يستقر فى السرائر كل الاستقرار ، وهناك أسباب غير ذلك سنشير إلى بعضها بعد حين

والطريقة الثانية هى الطريقة التى يرعى فيها امتياز كل ممتاز أو خصائص كل ذى اختصاص ، وتوجيه الوجهة التى تلائم اختصاصه ، فيسند إليه العمل الذى يستجيش ملكاته ويجليها ويصقلها ، ويحفظ عليه ثقته بمبداه حتى تبدو شخصيته على أوضح ما يمكن أن تكون . فما من قوة ولا استعداد فى الإنسان قد خلقه الله عبثا ، بل خلقه لوظيفة فى الكون ، فكل مواهبه إنسانية لها مجال نشاط فى الحياة يقابلها ، فإذا أطلقت فيه وتمرست بتجاربه تفتحت ونضجت وازدهرت

ومجالات النشاط فى الحياة متعددة ، والمهم أنها ــ مع تعددها ــ متنوعة ، فكل مجال منها يختلف قليلا أو كثيرا عن المجالات الأخرى ، فالكفاية التى يحتاج إليها تختلف قليلا أو كثيرا عن الكفاية التى يحتاج إليها غيره من المجالات

والسير على هذه الطريقة هو السير العادل الذى يعطى فيه كل ذى حق حقه ، ويضعه حيث تضعه كفايته ، فيتاح لكل « ممتاز » المجال الذى يزدهر فيه « امتيازه » ويترك غير الممتاز فى دركه الخامل حيث يمسكه قصوره الذاتى متخلفا عن الممتازين دون خطأ أو إجحاف

غير أن السير على هذه الطريقة ــ مع عدله ــ ليس ميسورا للعبقرى فى كل أحواله ولا سيما فى أول ظهوره ، وقد ألممنا منذ سطور إلى أهم الأسباب وهو ضيق المجالات وقلبناها أمامه ، كما ألممنا إلى سبب آخر هو تخوفه من طغيان الممتاز إذا أعجبته نفسه وأخرجه الغرور عن حده ، وهناك أسباب غير ذلك ، على أن كل الأسباب التى تحمل العبقرى على تجنب الاستقامة على هذه الطريقة العادلة ، منها الضرورية الخارجة عن إرادة العبقرى فلا اختيار له فيها ، ومنها الاختيارية التى تستلزمها السياسة العليا للمبدإ ، وفى هذه الأحوال لا يبدو العبقرى فى حيفه مختارا كل الاختيار ، بل مختارا كمضطر أشد الاضطرار

فالعبقرى — وهو يعرف لكل ذى فضل فضله — قد يلجأ مثلا إلى تأخير الفاضل وتقديم المفضول اعتمادا على الثقة بالفاضل دون المفضول ، استرضاء لغرور المفضول أو ضعفه ، أو لأن الفاضل لا يضيره تقديم المفضول عليه ، أو لأن تقديم المفضول على الفاضل هو الذى يكفل للعمل الجمع بين كفايتيهما معا ، أو لأنه يقى الناس الأخطار التى تتهددهم من تقديم الفاضل ، إذ يحمل عليهم فيض امتيازه دون ضابط يكبحه عن الطغيان إذا حاوله ، أو يقى الناس الفتنة به ، فمن وراء فتنة الناس « بالصاحب » الفاضل دون المبدإ نسيانهم المبدأ الذى فتح إيمانهم به سبل النمو والازدهار لمواهبهم ، وبلغهم ما بلغوا من الفضل والكفاية ، وفى ذلك ما فيه من خسران كل جهاد فى سبيل استقرار المبدأ وانتشاره ، فإن الناس إذا تحولوا عن الإيمان بالمبدإ إلى الإيمان بتابعه الذى لم يكن فاضلا إلا به خسروا كل قوى الإيمان الدافعة التى استجاشها المبدأ فى سرائرهم ، وفقدوا الإحساس بكل الصلات التى تربطهم بالوجود ، وما كانوا ليحسوا بها دون الإيمان بهذا المبدإ ، وبذلك يفسد إيمانهم ذاته وتفسد معه كل آثاره ، وفى ذلك فساد الفاضل الذى هو مناط فتنتهم ، وفسادهم هم لكل أسباب الفساد التى ذكرنا . وقد لا تفسد فتنة الناس بالفاضل فضله ، فلا يفسدون طول حياته مع فساد إيمانهم بالمبدإ ، ولكنهم خليقون بعد موته أن يخسروا أنفسهم بذهابه بعد أن خسروا فى حياته إيمانهم بالمبدإ ، وخسروا كل قوى الدفع والتماسك التى ابتعثها الإيمان بالمبدإ فى نفوسهم ، على أن خسران الإيمان بالمبدإ وخسران آثاره لا بد أن تظهر بعض عواقبه الوخيمة فى حياة الفاضل ، ولا بد أن تظهر كلها بعد موته . هذا إلى أن عمر الفاضل — مهما يطل — قصير ، أو هو على الأقل غير قابل للامتداد كعمر المبدإ . ومن أجل ذلك كان هم المصلحين فى كل زمان ومكان أن يثبتوا فى نفوس الناس الإيمان بالمبادئ دون الأشخاص ولو كانوا هم عباقرتها ، لأن أعمار الأشخاص قصيرة ، وأعمار المبادئ قابلة للامتداد ، ولقد أصاب أبو بكر إذ قال بعد موت النبى (ص) وهو يخطب الصحابة « من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن

٣ - الحاج خواجة كمال الدين

(١٨٧٠ - ١٩٣٢)

للأستاذ أرسلان بوهدانووكز

بقلم الأستاذ على محمد سرطاوى

ذكريات حزينة

شاع الحزن فى البلاد الإسلامية عندما وصل النبأ المفزع - مات خواجة كمال الدين - والحملة العنيفة المركزة التى كانت عليه فى إنجلترا قد هدأت، وأخذ الناس فى جميع بلاد الإسلام. ينظرون إليه نظرة الإكبار والإجلال ، وكان الشعور بالحزن بالغا عليه أقصى مداه فى تلك البلاد . . فتلقت أسرته وإمامة المسجد فى وكنج سيلا من الرسائل التى تفيض بالحزن العميق ، وتعبر عن الخسارة الفادحة التى أصابت المسلمين

أما فى لاهور ، فقد احتشد جم غفير من المسلمين فى قاعة الـكلية الإسلامية فى الثامن من كانون الثانى ١٩٣٣ ، ورأس ذلك الاجتماع السر شهاب الدين صاحب ، رئيس الجمعية التشريعية فى البنجاب . وقد أجمع الخطباء فى ثنائهم على السياسة الحكيمة التى سار عليها فى وكنج ، وأشادوا بالأعمال التى أداها فى ديار الغرب للإسلام، وأهابوا بالناس أن يثابروا على العمل العظيم الذى بدأه فى بلاد الانجليز

وفى اليوم السابع عشر من آذار ١٩٣٣ جرى احتفال رائع بافتتاح المكتبة التذكارية وقاعة المطالعة الملحقة بها ، وقد أطلق عليها اسمه، وقد أقيم لهما بناء ضخم ، آية فى الجمال ، وألحقتا بمسجد بيجام شاند بور تيرا فى البنغال . وقد كانت هذه المؤسسة الأولى من نوعها فى ذلك الوقت ، وسن لهـا نظام يشابه نظام وكنج للسير بموجبه فى أعمالها ومناهجها

وعقدت عشرات من الاجتماعات فى البلاد الإسلامية بعد عام ١٩٣٤ للاحتفال بذكرى وفاته ، ونشرت الصحف عشرات المقالات فى هذه الذكرى ، وقد جمع عدد كبير من هذه المقالات، ووصفت تلك الاحتفالات فى عدد تذكارى من إسلامك ريفيو صدر

الله حى لا يموت »

وإذا كنا قد أشرنا قبل إلى أن الممتاز فى استعمال العبقرى على الطريقة الأولى لا يبدو أن يكون « رقما » فى عملية جمع حسابية كبيرة أو صغيرة ، فأحرانا أن نشير إلى أنه يبدو فى استعماله على الطريقة الثانية «رقما» فى عملية ضرب حسابية سواء أكان المضروب فيه كبيراً أم صغيراً ، فكل رقم فى المضروب فيه الرقم الممتاز يبدو أعظم من حقيقته ، وحسبنا لفهم ذلك أن نقارن بين حالين لجماعة من الجماعات سواء كانت أمة أم قبيلة أم حزبا أم نقابة أم جيشاً : حالها وقد ولى أمرها رئيس عاجز ، وحالها والمدبر لأمرها رئيس كفء ، إن الجماعة فى حالها الأولى تبدو مختلفة اختلافا كثيراً عنها فى الحالة الثانية ، وقد تبدو فى الحالتين وكأنها جماعتان مختلفتان كل الاختلاف ، لا جماعة واحدة فى حالين لا اختلاف فيهما عليها إلا استبدال رئيس فرد برئيس فرد . والبينات من التاريخ على ذلك ولاسيما تاريخ الحروب ، فكثيراً ما فشل جيش فى مهمته بعد أن حاول النجاح فيها طويلا، فلم يكن من الحاكم إلا أن استبدل قائداً بغيره ، فنجح هذا الجيش فى مهمته ، كأنما أمده الحاكم بالألوف من الجنود والمعدات ولم يمده بقائد فرد . إذ يبدو كل مقاتل تحت لواء القائد الممتاز وكأنه شريك قائده فى امتيازه ، وله منه مثل ماله . فالقائد هنا ليس رقماً جمع إلى أرقام، بل رقما يضاعف الأرقام التى تسند به أضعافاً بمقدار امتيازه . ولا تقل البينات على ذلك فى تاريخ الإدارة عنهـا فى تاريخ الحروب .

وما أشبه استعمال العبقرى أصحابه على الطريقة الأولى بإحراقنا عدة أرطال من الفحم تحت قدر لإنضاج ما فيها من الطبيخ واستعمالنا المراد بكميات كبيرة فى أغراض كثيرة كهذا الغرض ، بينما هباءات من الفحم تغنى فى إنضاج ملء مئات من القدور لو فجرت قواها تفجيراً ذريا ، وكذلك لو استعملنا تفجير الذرات فى نحو هذا الغرض كتسيير القطر والسفن وإدارة الآلات المختلفة لأغنى عن الكميات الكبيرة التى نستعملها من المواد فى هذه الأغراض، معشارها أو أقل منه ، واستعمال العبقرى صحابته على الطريقة الثانية يشبه استعمالا ذريا كما أشرنا هنا ، فقد يغنى الممتاز وحده فى موضع امتيازه ما لا تغنى أمة كاملة من غير الممتازين .

للكلام بقية

محمد خليفة التونسى

فى أبريل - أيار ١٩٣٣ ، ومما ورد فى ذلك العدد ملخص لمقال نشرته مجلة (ليث) قالت فيه :

لقد عودنا القراء فى مطلع كل سنة جديدة أن نقدم لهم رسالة ترفع أعينهم إلى النور ، ونحسب أننا فى هذه السنة لا نجد رسالة أروع من قصة موت جندى الإسلام الشهيد العظيم خواجة كمال الدين . إن قصة حياته لأبناء وبنات المسلمين أروع أمثلة البطولة ، ولكم نرجو لو أن كل نقطة من دم الراحل الذى سقط شهيداً تحت راية الجهاد ، تتحول إلى ينبوع فى القلوب يملؤها بحب الإسلام وإعلاء كلمته ، والتفانى فى خدمته

سجاياه العالية

كل ما ذكرناه عن شخصية خواجة كمال الدين لم يكن غير المظهر الخارجى الذى نستطيع أن نلمحه من وراء آثاره المكتوبة ومن النتائج الخطيرة التى انتهت إليها تلك الأعمال . وهذه الشخصية الجبارة لم يستطع النفوذ إلى بعض أسرار العظمة فيها غير أولئك الذين كانت لهم صلات مباشرة معه فى حياته وأعماله ولكى نفتح الباب الذى يؤدى إلى هذه الشخصية نقبس بعض الفقرات التى كتبها عنه أصدقاؤه المقربون . كتب المحامى الإنجليزى الشهير المستر بكتال فى سبيل التحدث عن رقته ، وجلده ، وحنانه ، وإنسانيته، يقول : « لقد ولد بالفطرة محاربا من الطراز النادر فى سبيل القضية التى وقف عليها حياته ، ولم يعترف بالهزيمة أبدا ، وكانت الابتسامة لا تفارق شفتيه ، وكان لا يرى غير الناحية المشرقة من الأشياء والناس ، سائرا فى طريقه قدما لا يلتفت وراءه ، يقابل كل خيبة أو فشل بإعادة آية من كلام الله .. لقد كان وفيا فى صداقته إلى أبعد حدود الوفاء ، لبقا ، كريم السجايا ، وفوق كل شىء كان متزنا جدا . »

وكتب عنه زميله فى العمل الدكتور جيلان محمد من لاهور بالبا كستان يقول : « وحتى وهو تحت وطأة المرض الشديد ، لا يستطيع الحراك من فراشه ، لم يتحلل من العمل المضنى الذى فرضه على نفسه . لقد كان صورة رائعة للجلد والاحتمال والصبر - وكأنه عمود من القوة والجبروت ، أو برج شاهق من النور يشع على ماحوله ... كان وديعا ، رائعا ، يفيض قلبه بالحب، وكان الإحساس يتدفق من طبيعة عميقة .... »

ولعل اللورد هدلى قد وفق فى التعبير عن عواطف الحزن العميقة حين فجعه الموت فى صديقه الحميم؛ فعبر عن كل ذلك الحزن أو بعضه بكلمات تنفذ إلى مواطن الشعور من النفس الإنسانية، فيها بساطة التعبير وعمق الإحساس . « نحن نبكى اليوم لفقد مسلم لا مثيل له فى العصر الذى نعيش فيه ... فلقد ترك أخونا العزيز وراءه مثلا جميلا لحياة طاهرة ، قضاها فى منفعة الآخرين فإن روح الإسلام قد أشرقت على جوانب تلك الشخصية العظيمة فغدت فوق الأرض نموذجا رائعا فى حياتها اليومية، فى خشوعها نحو الخالق ... لقد تلاقى فى تلك الشخصية النادرة ، قلب رحيم وعقل عبقرى ... لا أذكر أننى سمعته مرة يتفوه بكلمة تمس شعور أى إنسان ... وأولئك الذين كانت الظروف تسمح بتقديمه إليهم ؛ لم يلمسوا فى حديثه أو سلوكه أى شىء من التعب » ... وبعد أن يحدث اللورد هدلى عن المجهود الجبار الذى بذله فى التعليق على آى الكتاب الكريم ؛ ختم ذلك الحديث الرائع بهذه الكلمات ... « لقد وانتنى الظروف فاطلعت على طريقته فى تفسير كلام الله ، وكيف كانت حياته صورة حية لتلك المعانى الألمية »

جهاده فى سبيل الإسلام

إن ما تركه اللورد هدلى فى آخر حديثه لينطبق تمام الانطباق على الطريقة التى سار عليها خواجة كمال الدين فى الخدمات الجلى التى قام بها لرفع لواء الإسلام . لقد أدرك جيدا أن نجاح أجدادنا فى صدر الإسلام لم ينبعث إلا من السير وراء تعاليم الدين ، وإن الأحفاد حينما استظلوا بغير لواء هذا الدين انقلبوا من غزاة تهتز الدنيا رعبا وهلعا من سيوفهم ، إلى جيل من العبيد ، لا يقام لهم وزن فى حساب الكرامة بين البشر ، وغدوا مجموعة من الجهلة المتأخرين ؛ بعد أن كانوا ينيرون ظلام العالم بمشعل العلم والعرفان ...

ولكن الخدمة التى أداها خواجة كمال الدين للإسلام لم تقتصر على فتحه الطريق المغلق إلى مرضاة الله فى وجوهنا ، وإنما دفعنا بسرعة فوق هذا الطريق بما بذل من جهود جبارة مستمرة جعلت هذا الطريق صالحا للسير ، وبما وضع فى بصائرنا من زاد التقوى . والوسائل التى مهد بها ذلك الطريق الوعر لم تكن غير آثاره الفكرية الرائعة التى لم نعرف عنها حتى

الآن إلا القليل ، ومن أبرز تلك الآثار الحية مجلة إسلامك ريفيو ، والجمعية الإسلامية لإشاعة الإسلام فى وكنج

لقد حاول آخرون قبله نشر الإسلام فى أوروبا ، ولكن الله أراد أن لا يتم النجاح إلا على يدى خواجة كمال الدين . وعلى الرغم من مرور سبعة عشر عاما على وفاته فإن ثمرة ذلك العمل ما تزال فى جدتها ، وكأنها من عمل الحاضر تتجدد على مرور الزمان ماثلة أمام أعيننا

لقد ذكر المستر مارما دوك بكتال مترجم القرآن إلى الإنجليزية وهو يتحدث عن هذا الأمر فيما يتصل ببلاد الهند ... « أن أعماله فى إنجلترا ليست غير جزء من عمله العظيم ، ولم أستطع إدراك ذلك حتى أتيت إلى الهند فلمست الأثر المباشر لكتاباته عن مبادئ الدين ، وعملها فى بعث الحياة فى العالم الإسلامى الذى يغط فى سبات الغفلة ، ليس فى الهند فحسب وإنما فى كل جزء من أجزاء العالم الإسلامى ، حيث أخذت الحمية والحماسة والوعى تأخذ طريقها إلى قلوب الأجيال الجديدة من المسلمين ... »

وقال المستر يعقوب خان « إن الأجيال الجديدة من المسلمين الذين تتلمذوا على الحضارة الغربية ، وقفوا مندهشين وهم يرون مبادئ الإسلام تنحنى لها رقاب الطبقات التى تحكمهم خشوعا وإكبارا ، وتدخل فى دين الله أفواجا ، فراحت تذوب من نفوسها رذائل الشعور بالنقص ، وأخذت تدرك أن الإسلام ليس الدين الذى يخجل الإنسان من اعتناقه . هذا هو العامل الأساسى الذى حفظ للاسلام شبابه من التدهور فى مادية الغرب الإلحادية ، وأعادهم إلى حظيرة الدين الحنيف ... »

أما فى بلاد الإنجليز . فقد أتم الله على يدى خواجة كمال الدين نصر الإسلام ، وأضحى دين الإنسانية الذى يعتز الناس بالانتساب إليه ، وجمل الإنجليز يدركون فى سهولة ويسر المشاكل التى يتعرض لها العالم الإسلامى فى علاقاته معهم

والباكستان — مسقط رأس خواجة كمال الدين — الدولة الإسلامية الفتية التى تسير فى الطليعة رافعة علم الإسلام عاليا أمام العالم الإسلامى ، ليس لأنها أكبر دولة إسلامية ، بل لأن المسلمين فيها تدفعهم جميعا رغبة عنيفة ملحة لخدمة مبادئ الدين بأوسع ما فى الخدمة من معنى ، والباكستان نفسها مدينة بما يضطرم فى نفوس أبنائها المسلمين من الحماس الدينى — إلى حد بعيد — إلى خواجة كمال الدين

لقد قدر لبعض الناس فى سير الحياة أن يؤسسوا الممالك ويشيدوا أمجادا طواها التاريخ وألقاها فى نهر الحياة المتدفق ليحملها إلى ما وراء الحياة مع أصحابها، ولكن الله أراد أن يكون خواجة كمال الدين الدعامة التى قامت عليها نهضة الدين الحنيف ، ذلك الدين الذى يدعونا إلى محبة الذين حولنا ، وهذا الشعور هو أثمن ما ربحته الإنسانية فى مسيرها الطويل من تراث خالد عظيم ..

رحم الله خواجة كمال الدين رحمة واسعة . بما قدم للاسلام من خدمات ستبقى ما بقى الدين مشرقة مع الشمس والقمر . ذلك المجاهد الذى كان يقنع من دنياه بمائدة يستعملها فى النهار للكتابة والطعام ، وينام عليها إذا أقبل الليل فى وكنج

وحيا الله الأمة الباكستانية العظيمة التى أنجبت خواجة كمال الدين، ومكن لها فى دنياها ودينها، ونصر بها الحق، وأمدها بروح من عنده

بغداد — أعظمية

على محمد سرطاوى

---

٥ – الفـــــارابى

فى العالم الاسلامى وفي أوربا

بمناسبة مرور ألف عام على وفاته

للأستاذ ضياء الدخيلى

ويحدثنا ابن خلكان عن أسلوب الفارابى فى التأليف فيقول[١] «وكان أكثر تصنيفه فى الرقاع ولم يصنف فى الكراريس إلا القليل؛ فلذلك جاءت أكثر تصانيفه فصولا وتعاليق، ويوجد بعضها ناقصا منثورا» ولعل هذا الذى ذكره ابن خلكان هو علة ما وجده صاحب (التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية) من غموض واضطراب فى بعض الأحايين

وهذا أندلسى من القرن السادس الهجرى يثنى على الفارابى ويفضله على ابن سينا والغزالى، فقد جاء فى عيون الأنباء فى ترجمة ابن باجة أن أبا الحسن عليا بن عبد العزيز بن الإمام من غرناطة وكان كاتبا فاضلا متميزا فى العلوم وصحب ابن باجة مدة واشتغل عليه – إن أبا الحسن هذا قال فى صدر المجموع الذى نقله من أقوال ابن باجة الفيلسوف الأندلسى – فى العلوم الفلسفية – قال ويشبه أنه لم يكن بعد أبى نصر الفارابى مثله فى الفنون التى تكلم عليها من تلك العلوم، فإنه إذا قرنت أقاويله بأقاويل ابن سينا والغزالى وهما اللذان فتح عليهما بعد أبى نصر بالمشرق فى فهم تلك العلوم ودونا فيها – بان لك الرجحان فى أقاويله وفى حسن فهمه لأقاويل أرسطو، والثلاثة أئمة بلا ريب

وكان ابن باجة السرقسطي من رجال القرن السادس الهجرى وقد توفى شابا بمدينة فاس ودفن بهـا، وكان من جملة تلاميذه ابن رشد. وذكروا فى مؤلفات محمد بن باجة تعاليق على كتاب أبى نصر فى الصناعة الذهنية (أى علم المنطق)

فها أنت ترى كيف أن شهرة الفارابى كانت قد طبقت العالم الإسلامى وعبرت البحر إلى الأندلس. وقد ذكر ابن أبى أصيبعة فى عيون الأنباء فى جملة مؤلفات أبى الوليد بن رشد كتابا فيما خالف فيه أبو نصر الفارابى أرسطوطاليس فى كتاب البرهان من ترتيبه وقوانين البراهين والحدود

ومن مصر الطبيب ابن رضوان عام ٤٥٩ هـ وكان فى عهد الحاكم – تحدث عن كتب العارفين التى يشهد بفضلها ويعتز بها، فذكر كتب أفلاطون وأرسطوطاليس والإسكندر وثامطيوس ومحمد الفارابى، قال وما انتفع موجود به فيها وما سوى ذلك إما أبيعه بأى ثمن اتفق، وإما أن أخزنه فى صناديق، وبيعه أجود من خزنه[٢]

وهذا الشيخ موفق الدين عدنان بن العين زربى كان من أهل عين زربة وأقام ببغداد مدة، واشتغل بصناعة الطب والعلوم الحكمية ومهر فيها وخصوصا فى علم النجوم، ثم بعد ذلك انتقل من بغداد إلى الديار المصرية وتميز فى دولتهم، وكان من أجل المشايخ وأكثرهم علما فى صناعة الطب فيما يقوله ابن أبى أصيبعة فى طبقات الأطباء – ولقد ذكر له الرسالة المقنعة فى المنطق وبين أنه ألفها من كلام أبى نصر الفارابى والرئيس ابن سينا، وقد توفى ابن العين زربى سنة ٥٤٨ هـ بالقاهرة، فهو من القرن السادس الهجرى[٣]

ولنقفز الآن قفزة عريضة إلى أوربا فنسمع دى بور De Boer فى جامعة أمستردام فى هولنده يقول فى كتابه (تاريخ الفلسفة فى الإسلام) كان الفارابى رجلا ممن يخلدون إلى السكينة والهدوء وقد وقف حياته على التأمل الفلسفى يظله الملوك بسلطانهم، ولد فى (وسيج) وهى قرية صغيرة حصينة تقع فى ولاية فاراب من بلاد الترك فيما وراء النهر، وقد حصل على علومه فى بغداد وقرأ بعضها على معلم مسيحى وهو يوحنا بن جيلان الذى توفى بمدينة السلام فى أيام المقتدر، وقد ألم الفارابى فى دراسته بالأدب والرياضيات، ويدلنا بعض مؤلفاته ولا سيما فى الموسيقى على أنه درس الرياضيات، وتقول الأساطير إنه كان يتكلم بلغات العالم كلها (سبعين لغة) وقالوا أنه من براعته فى الموسيقى أضحك الجالسين ثم أبكاهم ثم أنامهم وانصرف. ويرى (دى بور) أن

---

(١) تاريخ ابن خلكان

(٢) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة

(٣) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة

الفلسفة التى تدرب عليها الفارابى يرجع أصلها إلى مدرسة مرو ، والظاهر أن أعضاء هذه المدرسة كانوا يعنون بمسائل الإلاهيات أكثر مما عنى بها أهل حران والبصرة ، فقد كان ميل هؤلاء متجها إلى الفلسفة الطبيعية (٤)

وكل حديثنا السابق أو جله كان يدور حول فلسفة الفارابى، ولكن كم لهذا الرجل الفاضل من مزايا أخرى يجدر بنا الوقوف عندها، فمنها عبقريته فى الموسيقى التى أشار إليها (دى بور) وقد قال ابن أبى أصيبعة فى عيون الأنباء إن الفارابى كان فى علم صناعة الموسيقى وعملها قد وصل إلى غاياتها وأتقنها إتقانا لا مزيد عليه، ويذكر أنه صنع آلة غريبة يسمع منها ألحانا بديعة يحرك بها الانفعالات . وقال (كارادفو B.Carra De vaux) فى دائرة المعارف الإسلامية: وكان الفارابى موسيقارا معروفا ونحن مدينون لقلمه فى تدبيجه رسالة ذات أهمية بالغة فى الناحية النظرية من الموسيقى الشرقية ، وكان هو بنفسه موسيقارا فنانا هاويا وفنانا مؤلفا ، وأن نبوغه أثار إعجاب سيف الدولة الحمدانى ، وأن الدراويش المولوية لا يزالون يرتلون الأغانى القديمة المنسوبة إلى الفارابى (راجع مادة Farabi — Al من دائرة المعارف الإسلامية) ويقول زكى على تحت عنوان (أوربا مدينة للحضارة الإسلامية) من رسالة نشرتها دار المكشوف فى بيروت باسم (أوربا والإسلام) — وساهم المطربون والموسيقيون العرب فى تقدم الفن الغنائى وتحسين آلة الطرب . ويعود الفضل إلى الفارابى (من القرن العاشر الميلادى) فى القضاء على النظريات الموسيقية القديمة ، وفى تفسير الإيقاع وكيفية حصول الأنغام . وقد اخترع الموسيقيون العرب الموسيقى الموقعة . وعنهم أخذت شبه الجزيرة الأيبرية وبالتالى أوربا كلها آلات الطرب ؛ ومنها العود والرباب والقيثارة والطبل . ويظهر أن بعض فلاسفة العرب كان يملك اطلاعا واسعا وغريبا على الموسيقى وأثرها فى الإنسان . وقد كانوا يستخدمونها فى الطب وننقل عنهم فى هذا الباب قصص نقف بين يديها حائرين ، فقد نقل القفطى فى أخبار الحكماء فى ترجمة يعقوب بن إسحق الكندى الفيلسوف العربى الشهير أنه استدعاه جاره للنظر فى ابنه الذى اعترته سكتة فجأة فأجاب وصار إلى منزل التاجر ، فلما رأى ابنه وأخذ مجسه أمر بأن يحضر إليه من تلامذته فى علم الموسيقى من قد أنعم الحذق بضرب العود ، وعرف الطرائق المحزنة والمزعجة والمقوية للقلوب والنفوس ، فحضر إليه منهم أربعة فأمرهم أن يديموا الضرب عند رأسه وأن يأخذوا فى طريقة أوقفهم عليها ، وأراهم مواقع النغم بها من أصابعهم على الدساتين ونقلها ، فلم يزالوا يضربون فى تلك الطريقة والكندى آخذ مجس (نبض) الغلام ، وهو فى خلال ذلك يمتد نفسه ويقوى نبضه ، ويراجع إليه نفسه شيئا بعد شئ إلى أن تحرك ثم جلس وتكلم ، وأولئك يضربون فى تلك الطريقة دائما لا يفترون ، فقال الكندى لأبى الولد: سل ابنك عن علم ما تحتاج إلى علمه، فجعل الرجل يسأل وهو يخبره ، ويكتب شيئا بعد شئ فلما أتى على جميع ما يحتاج إليه غفل الضاربون عن تلك الطريقة التى كانوا يضربونها وفتروا ، فعاد الصبى إلى الحالة الأولى وغشيه السكوت فسأله أبوه أن يأمرهم بمعاودة ما كانوا يضربون به، فقال هيهات، إنما كانت صبابة قد بقيت من حياته ، ولا سبيل لى ولا لأحد من البشر إلى الزيادة فى مدة من قد انقطعت مدته ، وقد كان ذلك التاجر من كبار التجار موسما عليه فى تجارته وكان ابنه هذا قد كفاه أمر بيعه وشرائه ، وضبط دخله وخرجه، فمرضت لابنه السكتة فجأة فورد عليه من ذلك ما أدهله وبقى لايدرى ما الذى فى أيدى الناس وما لهم عليه ، مع ما دخله من الجزع على ابنه فلم يدع بمدينة السلام طبيبا إلا ركب إليه واستركبه لينظر ابنه ويشير عليه من أمره بعلاج ، فلم يجبه كثير من الأطباء — لكبر العلة وخطرها — إلى الحضور معه، ومن أجابه منهم فلم يجد عنده كبير غناء، فقيل له أنت فى جوار فيلسوف زمانه ، وأعلم الناس بعلاج هذه العلة فلو قصدته لوجدت عنده ما تحب ، فدعته الضرورة إلى أن تحمل على الكندى بأحد إخوانه ، فأجاب وصار إلى منزل التاجر بالرغم من أنه كان كثير الازدراء بالكندى والطعن عليه : مدمنا

(٤) تاريخ الفلسفة فى الاسلام لدى بور

(٥) دائرة المعارف الاسلامية فى مادة الفارابى

(٦) أوربا والاسلام فى سلسلة الثقافة السياسية من منشورات دار المكشوف ببيروت ص ٣١

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

براعم الفصحى :

ذهبت إلى مدرسة محمود فهمى النقراشى باشا النموذجية الابتدائية بحدائق القبة ، وبى شوق إلى رؤية تلاميذها وسماعهم يتحدثون باللغة العربية الفصحى ؛ وكان هذا هو الداعى إلى زيارتى للمدرسة ، وكأنى يئست أن أسمع العربية فى التخاطب بين الكبار وفيهم من تلقى من خواص المتعلمين والمثقفين ، فشاقنى أن أجد طلبتى لدى أولئك الصغار الفصحاء ...

كنت على موعد مع ناظر المدرسة الأستاذ عبدالفتاح المنياوى الذى تفضل فرحب بهذه الزيارة ، وأخذت مكانى فى حجرة الناظر ، وكان هناك الأستاذ عبد الحميد السيد المفتش العام للغة العربية بالمدارس الابتدائية ، وبعد قليل دخل الحجرة تلميذ صغير لا يبلغ العاشرة من عمره — دخل هذا التلميذ يقول :

أين حضرة المفتش ؟

قالها بنبر عربى جميل ، فشغلت بتأمله فى إعجاب ، وكأنى ألقف أول ثمرة من هذه الدوحة ، وهش له المفتش وأجابه :

— أنا ...

— كلفنى الأستاذ ... أن أحضر لك هذه الكراسات

ودلفت فى صحبة الأستاذ أحمد عبيد إلى إحدى حجرات الدراسة ، وكان التلاميذ فى زئاط ، فقال الأستاذ رافعاً صوته فى لهجة المعلم الحازم الحانى :

ما هذا ؟ إنى أسمع لغطا يا شريف

قال شريف — وهو « بوليس الفصل » — إن هذا التلميذ يزعق ... فنهض تلميذ آخر ليضبط الشرطى متلبساً بالخطأ ... قال : إنه أخطأ إذ قال : « يزعق » ويجب أن يقول « يصيح »

والمدرسون يجتهدون فى تعريب ما يرد على ألسنة التلاميذ من الكلمات العامية ، أو بعبارة أخرى يردونها إلى أصلها العربى فيسيرون على النهج التربوى فى الانتقال من المعلوم إلى المجهول ، فهذا التلميذ يعمل « غلبة » وبنقاش قليل نقاب التلميذ جيا فتصير « جلبة » وذاك التلميذ يصر على دعواه قائلا : هذا القلم « بتاعى » ولا بأس أن يكون القلم متاعه ...

ومهد الأستاذ لأن يتحدث التلاميذ ، فوصف أحدهم الاحتفال بـ « سبوع » أخيه المولود ، فكان مما قاله : وأمسك أحد المدعوين بالهاون وجعل يدقه ويخاطب الطفل : اسمع كلام أبيك ... اسمع كلام أمك ... قال التلميذ : فضحكت لأن هذا كلام ليس له معنى !

وحدثنا آخر عن قضية مراكش حديث الفاهم الواعى ، ولحظت حماسة فى الكلام فقلت له : وماذا يسيئك من الاعتداء على مراكش ؟ أجاب : لأنها بلاد عربية إسلامية مثل بلادنا يؤلمنا ما يؤلمها ...

وتحدث تلميذ عن المجتمع المصرى وسوء حاله ، فحميت أفكار التلاميذ واشتدت المناقشة بينهم ... سأل أحدهم : أليس الشعب يحكم نفسه ؟ قال المتحدث : بلى ، ولكن البرلمان يتكون من الأغنياء الذين يشترون أصوات الناخبين ... وسأل آخر : مادام الأمر بيد الأغنياء الذين لا تهمهم مصالح الناخبين فما العمل ؟

لتمكيره والإغراء به (٧) وقد أسعف الكندى طلبه وقام بما تقدم ذكره استجابة لداعى الإنسانية ، وما تحتمه آداب مهنة الطب المقدسة . وتنقل عن الفارابى قصص مماثلة فى الموسيقى معروفة

وبعد فقد أطلنا الحديث عن أبى الفلسفة الإسلامية ومؤسسها ومشيد مدرستها الأول (المعلم الثانى) وأرى أن نقطع الحديث مؤقتا ، وإن بقيت لدى صبابة فى الكأس وغالة نرجى عرضها إلى عودة ثانية للموضوع فإلى الملتقى

بغداد تم البحث ضياء الدخيلى

---

(٧) أخبار الحكماء للقفطى المتوفى سنة ٦٤٦ هـ فى ترجمة الكندى ص ٢٤٦ وقد ذكر له من كتبه فى الموسيقى رسالته الكبرى فى التأليف ، كتاب ترتيب النغم ، كتاب المدخل إلى الموسيقى ، رسالته فى الإيقاع ، رسالته فى الأخبار عن صناعة الموسيقى ، كتاب فى خبر صناعة الشعراء ، وقد عد القفطى كل هذه الكتب فى كتبه الموسيقيات ، ولعله درس الشعر فى الكتاب الأخير من الناحية الموسيقية

٣٦٠٣٩

قال التلميذ المتحدث: العمل أن يتعلم الشعب ويفهم حقوقه وواجباته، ويستطيع أن يختار من يمثله ويعمل من أجله ، ولا شك أن مجانية التعليم تحقق هذا الغرض ...

دارت هذه الأحاديث بين تلاميذ تقع أعمارهم بين العاشرة والثانية عشرة ... وأكثر تلك العبارات من نص كلامهم ، والعجيب المعجب أن ألسنتهم تنطق بالعربية في يسر وانطلاق وبعضهم رقباء على بعض ، فإذا أخطأ أحدهم أسرع أحد زملائه إلى تصويبه ، والعناية بصحة اللغة تصحبها قوة الفكر وانتباه الذهن ، يتمثل ذلك في الأسئلة والأجوبة التي يتبادلون في موضوع الحديث ...

وتسير التربية والدراسة في هذه المدرسة النموذجية على طريقة « المشروع » الأمريكية التي تقوم على تهيئة مجتمع كامل داخل المدرسة ، يكون صورة مصغرة للحياة خارجها، وأساس الدراسة في هذه الطريقة أن يشعر التلاميذ بالحاجة إلى دراسة موضوع ما ، وليس المعلم إلا انتهاز الفرصة والإشراف ، أي يحس التلاميذ أن الموضوع موضوعهم ، وما المعلمون إلا معاونون ومرشدون لهم .

مثال ذلك أن تلميذاً بدت عليه أعراض الألم فجعل عسك بطنه ويتلوى ويتأوه ، فأسرع إليه زملاؤه التلاميذ وأسعفوه بما استطاعوا من العلاج . وسأله المعلم عما ! كله في هذا اليوم ، فقال : لقد أتت سيارة المدرسة إلى منزلنا في الصباح ولم أكن تناولت الطعام بعد ، فأسرعت وركبت السيارة ،وعند ما نزلت منها قرب باب المدرسة رأيت بائع شطائر ، فاشتريت منه شطيرة وأكلتها ... هنا عرف الجميع أن الشطيرة هي سبب الألم ، وهنا انتهز المعلم الفرصة وناقش التلاميذ فيما يجب عمله حتى لا يتكرر هذا الحادث ، ثم اتفق الرأي على القيام بـ « مشروع المقصف » ثم أخذوا في إقامة مقصف بالمدرسة يشتمل على كل ما يحتاجون إليه من حلوى وشطائر وما إليها . وراحوا يقيسون الأبعاد ويحسبون النفقات ، ويرجعون في ذلك إلى مدرس الهندسة والحساب . . . وأخذ المشروع يتفتق عن حاجة التلاميذ إلى سائر مواد الدراسة ، ففرصة اللغة — مثلا — كتابة التقريرات عن نواحي المشروع كتابة عربية سليمة ، حتى تحسين الخط وجد فرصته ، فقد

كشكول الأسبوع

□ شعر معالى عميد الأدباء الدكتور طه حسين باشا ، بوعكة خفيفة ، فلزم داره وقد تحسنت صحته ، ولكنه لم يبرح الدار عملا بنصح الأطباء . ونرجو ألا تظهر « الرسالة » إلا وقد استرد معاليه تمام صحته واستأنف نشاطه فيما ينفع الناس

□ ذكرنا في الأسبوع الماضي أن الأستاذين تيمور والحكيم فازا بجائزتي الآداب من جوائز فؤاد الأول . ونضيف الآن إلى ذلك أنه قد فاز بجائزة العلوم الدكتور أمين يس فوازوالدكتور رءوف دوس ، والجائزة مناصفة بينهما ، أما فيما يختص بجائزة القانون فقد أوصت اللجنة بإيفاد الدكاترة عبد الحي حجازى وعبد المنعم البدراوى وسليمان محمد سليمان الطحاوي في بعثة إلى الخارج تشجيعا لهم على الاستمرار في البحث

□ كتبت الإدارة الثقافية بالجامعة العربية إلى وزارة المعارف أنها ترى عقد المؤتمر الثقافى العربى الثالث بلبنان في صيف سنة ١٩٥٢ . فردت عليها الوزارة بأن المؤتمر الثانى الذى انعقد بالاسكندرية في العام الماضى قرر أن يكون اجتماع المؤتمر سنويا ، وأن معالى رئيس المؤتمر الدكتور طه حسين باشا وعد في خطبته الختامية بعقد المؤتمر الثالث بمصر في سنة ١٩٥١

□ ألف معالى الدكتور محمد صلاح بك وزير الخارجية مسرحية عنوانها « بيت الطاعة » ويعمل الآن في إخراجها الأستاذ ذكى طليمات ، لتمثلها فرقة المسرح المصرى الحديث في الموسم الصيفى القادم . وبالنظر إلى هذه التمثيلية وإلى التمثيلية السينمائية « ظهور الإسلام » لمعالى الدكتور طه حسين باشا ، نرى وزيرين عاملين يلبيان حاجة التاليف التمثيلى ، مما يدعو إلى الاستبشار بتمام هذا النقص في إنتاجنا الأدبى الفنى

□ وبهذه المناسبة أذكر أن صديقنا الأستاذ ثروت أباظه أوشك أن ينتهى من تاليف مسرحية ، سيخرجها الأستاذ فتوح نشاطى وتمثلها الفرقة المصرية والأستاذ ثروت ابن وزير سابق هو سعادة الأستاذ الأديب ابراهيم دسوقى أباظة باشا

□ أصدر الأستاذ محمد عبد الله السمان ، الطبعة الثانية من كتابه « الإسلام حائر بين أهله » وهو كتاب يصور الحاضر السيئ للعالم الإسلامى ، ويهدف إلى مستقبل أحسن أو بعبارة أرق ، إلى مستقبل إسلامى صحيح

□ ينعقد موتمر المستشرقين باستانبول في شهر سبتمبر القادم . وقد دعى لحضوره من مصر الأستاذ أمين الخولى بك

شعر التلاميذ بالحاجة إلى الإعلان عن المشروع فى بيئة المدرسة ، فكان الحل أن يكتب مدرس الخط الإعلان بخط نموذجى هكذا « ساهموا فى مشروع القصف » وجمل التلاميذ يحاكون هذا النموذج ، حتى كتبوا عشرات منه ، ثم قاموا بتوزيعها ... وهكذا يختارون سائر المشروعات ويفتنون فى دراستها

ومجتمع المدرسة — كما سبق — صورة للمجتمع الخارجى ، والتلاميذ هم وحدهم أفراد هذا المجتمع ، تحت إشراف المشرفين ، فهناك فرقة للإسعاف سرعان ما ينشط أفرادها إلى العلاج اليسير بما يستطيعون من وسائل الإسعاف ، وهناك شرط يقومون بحفظ النظام ويعملون على استتباب الأمن ويقومون بضبط الحالات التى يخالف فيها المخالفون ، ويكتبون تقريرات عنها ترفع إلى « الأسرة » التى تتولى عقاب المخالف . وبالمدرسة أربع أسرات ، هى : أسرة أحمس ، وأسرة المعز ، وأسرة صلاح الدين ، وأسرة محمد على وكلها مكونة من التلاميذ بطبيعة الحال . ويشرف على هذه الحركة مشرف المدرسة وهو الأستاذ محمود رضوان شرف وقد جلست معه فى فناء المدرسة نشاهد التلاميذ من بعيد ، وقد استرعت نظرى حركة « رجال الشرطة » إذ رأيتهم يسرعون إلى كل حالة تستدعى عملهم ، وقد رغبت إلى الأستاذ رضوان أن يطلعنى على التقريرات التى كتبوها عن هذه الحالات ، فرأيت فيها ما يستدعى الإعجاب . كتب أحـــدهم : « تكرر من التلميذ ... شراء بعض المأكولات من خارج المدرسة وقد عملنا مرارا على منعه ولكنه أبى ، وقد بينا له أضرار هذه المأكولات فلم يستمع إلى كلامنا فاضطررنا إلى تسجيل هذا » وكتب آخر: « بينما كنت أسير فى فناء المدرسة بجانب المطعم وجدت التلاميذ . . . و . . . و . . . يلعبون بالكرات الزجاجية (البلى) فأخذتها منهم ثم سألتهم عن أسمائهم ولكنهم أخذوا يقولون أسماء مستعارة ، وبعد قليل وجدت تلميذاً يعرفهم فكتبت أسماءهم » وكتب ثالث : « أثناء مرورى فى فسحة الصباح رأيت أحـــد التلاميذ قد دخل حديقة المدرسة وقطف وردة فأمسكته وأخذت اسمه وهو . . . »

ولا شك أن رجال الشرطة الكبار فى حاجة إلى أن يطلعوا على هذه « المحاضر » ويحاكوها ..

وللمدرسة مجلة يحررها كلها التلاميذ ، وهى سجل شامل لنواحى النشاط فى المدرسة ، على ما فى هذه النواحى من تنوع واتساع ، وهى تدلنا على جانب ثقافى عام تهتم به المدرسة أو يهتم به تلاميذها . . ذلك غير المحاضرات والمناظرات التى تتناول مختلف الشؤون العامة . ويدعى إليها ويحضرها أقرباء التلاميذ وغيرهم ، ولا أقول أولياء أمورهم . فما يليق بهؤلاء « الرجال الصغار » الا أن يكونوا أولياء أنفسهم : يكتب التلاميذ عن هذه المحاضرات والمناظرات فى مجلتهم كما أصنع فى هذا الباب من « الرسالة » ولا فخر ! هذا زميل صغير يكتب عن مناظرة أقيمت بين السنة الرابعة الابتدائية وبين السنة الأولى من المدرسة الثانوية بحدائق القبة ، وهى نموذجية أيضا ، وكان موضوع المناظرة « هل الأصلح لمصر أن تكون بلدا زراعيا أو صناعيا ؟ » يعلق التلميذ الكاتب « اسماعيل زكى » على المناظرة فيقول : (وكانت كل الكلمات محل اعجاب المدرسين وناظرى المدرستين وخصوصاً إيهاب كمال الذى أثر على التلاميذ بإنشائه لا بحججه وهو من مؤيدى رأى الصناعة . وفى النهاية أخذت الأصوات ، وفاز فريق مؤيدى الصناعة لإنشاء الطالب إيهاب كمال فقط لاغير .. وانتهت المناظرة)

ويحدثنا (عادل امام) فى المجلة فيذكر كيف اختاروا (مشروع الحشرات) للدراسة ، وذلك أن المدرس سأل تلميذا عن حرفة والده ، فقال : دكتور فى الحشرات ، فضحك عادل من هذا الذى ظنه يعالج النمل والصرصور ، ولكن المدرس قال له : ليس الأمر كما تظن ، فإنه نال الدكتوراه فى علم الحشرات فيقترح عادل أن يدرسوا مشروع الحشرات

وما أجمل هذا المقال الصغير لكاتبه الصغير (شريف عمر) وهو كما يلى . (فى يوم من الأيام قال لنا الأستاذ عبيد نريد أن نعين أميناً للمكتبة ، فأجرينا انتخابا ففزت أنا . وبعد ذلك علمنى الأستاذ عبيد كيفية الاستعارة ، وسرنا بنظام جيد ، ثم انتهت كراسة الاستعارة فسطرت غيرها ، وخصصت لكل واحد من التلاميذ صحيفة تحمل اسمه ورقمه ، وطلبت من المدرس أن يختار أميناً غيرى فقال : إن الشخص الذى يحبه الناس يجب أن يدفع ثمن هذا الحب من راحته . فقلت له : إنى تعبت جدا فقال لى : لا تتعجل وتحدث فى هذا مع زملائك أولا . ولكنى ما زلت مصرا

على الاستقالة) وعنوان الوضوح (هذا ذنبي) وهو ذنب نرجو أن يكثر الله منه بين كبار الرجال ...

وقال لي تلميذ إنه كتب في المجلة (العدد الذي تحت الطبع) (مناظر مؤذية) منها (بوليس المدرسة الذي يأتي مثل ما ينهى عنه) وقد داخلني الإشفاق على المدرسين من عيون هؤلاء التلاميذ . . أخشى أن تقع أنظار هؤلاء على أساتذتهم وهم يتخاطبون بالعامية ، فلا يكون هناك منظر أشد إيذاء من هذا المنظر !

ولا يخفى على أن بنفسك سؤالا هو : هل كل المدرسين في المدرسة يتحدثون الى التلاميذ باللغة العربية ؟ الواقع أن مدرسي اللغة العربية يحرصون على ذلك كل الحرص ، ويجتهد باقي المدرسين أن يسايروا هذا الجو ، ولكن بعضهم — مع الأسف لايحسن التكلم بالعربية ، فقد حدث مرة أن أراد أحدهم أن يبدي للتلميذ استحسانه فقال « لم بطال ! » فياليت الوزارة تتنبه إلى هذه النقطة عند اختيار المدرسين لمثل هذه المدرسة .

وبعد فمن الواضح أن أول مايلاحظه المرء على أولئك التلاميذ الصفر الواعد..والرجولة المبكرة .وأرى أن هذا يرجع إلى الطريقة التربوية وهي « طريقة المشروع »التي يسيرون عليها ، والى اللغة الفصيحة التي تحملهم على التفكير ، وكأنها حين تجري على ألسنتهم تستحث القوى المفكرة ، ثم هي تكسبهم سمتا يدعو الى الاحترام والإعجاب .

وياليت لمصر جيلا من هذا الطراز ! لقد اتفقوا على أن خير طريقة لترقية المجتمع المصري أن يتعلم الشعب ويعرف حقوقه وواجباته ، فهل يتاح للشعب أن يتعلم مثل مايتعلمون؟ ويستنير كما يستنيرون ؟

إن لهذه المدرسة أختاواحدة فقطهي مدرسة الأورمان بالجيزة وليس في البلاد كلها من هذا النوع غيرهما، وهما تسيران على تلك الطريقة في السنوات الاولى والثانية والثالثة ، فاذا وصل التلاميذ الى السنة الرابعة ساروا على المنهج العام ليدخلوا امتحان الشهادة الابتدائية ، وقد دلت التجربة على تفوقهم وعلى أنهم يحصلون في دراساتهم للمشروعات معلومات أوفى مما يحصله التلاميذ في المدارس العادية؛ الى مافي الطريقة نفسها من حسن الهضم والتمثيل

وأستطيع أن اقول ان المسألة بهذا الوضع لا تخرج عن أن المدرستين حقل للتجربة التربوية أكثر منهاقصدا الى اعداد جيل وذلك لضيق الحدود وانحصار الفائدة ، حتى التلاميذ الذين تضمهم المدرستان ليس مستقبلهم مضمونا ، من حيث السير على هذه الخطة في مراحل تعليمهم المختلفة ،ومن حيث ظروف المكان، فقد ينتقل أهل أحدهم الى بلد آخر فتضيع عليه الفرصة .

وأعتقد أننا الآن في الطور الذي يقصد فيه الى تعميم الفائدة في تكوين المواطنين، وقد نجحت تلك التجربة فلم يبق الا الأمل في اتاحة الفرصة للجميع كي ينتفعوا بها. وأعتقد أيضا أن الجهود التي تبذل في التعليم الآلي المجهد العقيم يمكن توجيهها الى تلك الوجهة النافعة .

عباس خضر



ديوان الأعشى الكبير

شرح الدكتور محمد حسين

للاستاذ أحمد بك رمزى

أهدى إلى الدكتور محمد حسين ، أستاذ الأدب العربى بجامعة فاروق نسخة من ديوان الأعشى ميمون بن قيس ، الذى قام بشرحه والتعليق عليه ، وقد وجدت نفسى إزاء هذه اللفتة الكريمة ، وأمامى مجلد ضخم من الشعر الجاهلى ، تأنق الأستاذ الكريم فى إخراجه للناس ، بعد أن بذل الجهد فى تحقيقه . فهو يقول إن صلته بالأعشى بدأت عام ١٩٣٤ حينما كان طالبا بقسم اللغة العربية بجامعة فؤاد ، فاتخذ العصر الجاهلى ميدانا لدراساته وأبحاثه ، وجاء ديوان الأعشى باكورة لعمله العلمى ، أرجو أن يتبعها الكثير من تحقيقه ، وقد أكبرت فيه همة إخراج هذا العمل العظيم ، أقول ذلك وليس الأدب صناعتى ، لأنى أقر بأن بضاعتى قليلة فيه ، أقول هذا من غير تواضع وإنما لأقرر حقيقة واقعة ، فأنا أتذوق الأدب العربى وغيره من آداب اللغات الأجنبية ، أتذوقه كما أتذوق الموسيقى الحية ، ولست من أهل الموسيقى ، لأن الأدب فى نظرى فن رفيع ، ولا يمكن للانسان أن يحيا ويعيش من غير أن يتذوقه ، بل أذهب إلى أكثر من هذا فأقول إننى أحب معاشرة الأدباء ، وأهرع لمجالستهم وترتاح نفسى إليهم ، بل أعد كل لحظة أقضيها معهم متعة لى ، ويرجع هذا إلى ما ألمسه فى الأديب من رقة الإحساس وجمال الطوية ، بل اننى أراهم من خيرة الأنام وسط هذا العالم الذى وجدنا أنفسنا ونحن نعيش فيه ، فدخلنا فى أوساطه وولجنا غمراته ، وفيه الحسن والسيء من الناس والأشياء . فهل غريب علينا أن ننعم بما فيه من أطيب الأشياء ، والأدب والأدباء هم فى الحقيقة من أطيب النعم التى جاء بها هذا الكون على الناس ، ولذلك فإنى أشكر الأستاذ الدكتور محمد حسين إذ أتاح لى أن أعيش فى جو شاعرية الأعشى فترة من الزمن ، وسط مشاغل الدنيا ومتاعب الناس . . .

أذكر أننى قرأت فى كتب الأدب أن الأعشى كان أول من سأل بشعره وانتجع أقاصى البلاد وكان يغنى به فسموه «صناجة العرب»

ولست أشك فى شاعرية الأعشى ، ولا أقلل من قوة ومتانة الشعر الجاهلى وأثره فى حياة العرب ، بل ان الأمة التى أخرجت هذه الثروة الأدبية وقامت عليها دعامة الإسلام ، لابد أن أراضيها وبقاعها كانت أكثر جمالا وعمرانا مما هى عليه الآن ، ولى فى هذا الرأى ما يمكن أن يقنعنى ويقنع الناس بصحة ما أقول

ومع هذا فإنى قد أنست بقراءة جزء كبير من شعر الأعشى وسأعود إلى شعره من آن لآخر ، لأنه مورد لا ينضب ، فيه كل الدوافع التى تحتاج إليها النفس ، لكى تتريض على مواجهة حوادث هذه الحياة المرة

لقد قرأت له قصيدته التى مطلعها :

ذريني لك الويلات آتي الغوانيا متى كنت زراعا أسوق السوانيا

فما وصلت إلى البيت السابع الذى يقول فيه :

وان بشر يوما أحال بوجهه عليك فحل عنه وإن كان دانيا

حتى وقفت أمام هذه الفلسفة التى تتمثل فى حياتى التى أحياها اليوم ، فكأن الأعشى يعبر عن كل ما خالج نفسى وملأ ضميرى ، وكأننى لم أفقد شيئا من محاسن الدنيا حينما أخذت بهذا الرأى

ويفسر الأستاذ الدكتور هذا البيت بقوله :

«وإن صد عنك رجل من الناس ، فاصدد عنه كائنة ما كانت قرابته» كما فسر مطلع القصيدة . يقول :

«ذريني - لك الويل - أمتع نفسى من النساء : فما أنا بصاحب زرع ؛ ولا أنا ممن يسوق الجمال»

وأختلف معه فى تفسير كلمة زرع هذا التفسير ، فأقول انه يقصد الذرع من باب ذرع ، وهو مما يذرع به . أى أنه يسوق الإبل فيقطع بها المسافات البعيدة فيسلمها لأصحابها ويعود ليسوق غيرها ، فكأنه ذراع يقيس المسافات ويتقاضى أجره عليها ، ولا يستقر به مكان ، فهو لا يقصد هنا صاحب زرع [1] وقوله « ولعله من

---

(١) **الرسالة** : نخالف الأستاذين الفاضلين فيما اتفقا فيه واختلفا من تفسير الشطر الثانى من بيت الأعشى ، فإن الشاعر يريد بقوله : «متى كنت زراعا أسوق السوانيا» : متى كنت فلاحا أسوق السواقى ؟

والسانية الدابة التى تجر الدلو من البئر . وتطلق كذلك على مجموعة من الدلاء يشد بعضها الى بعض كالساقية (الفواخير) فى بعض قرى مصر . والسانية بهذا المعنى لا تزال تستعمل فى العراق لسقى الأرض . والدابة فى اخراجها الدلاء من الماء لا تدور ، وإنما تدبر فتنزل الدلو وتقبل فتخرج . وفى المثل : « سفر السوانى سفر لا ينقطع » لأن ما تتقدمه تتأخره

ساس الدواب يسوسها سياسة إذا قام عليها وراضها » ويظهر من شعر الأعشى أن المكلفين بإيصال الإبل وقطع الفيافي كانوا يتقاضون أجورا باهظة : ولقد عشت في وقت كانت قطعان الإبل تمر على بلادنا بأقاليم الشرقية جماعات طويلة يقودها رجال من نجد يلهجون بلغة بدوية ، ولهم مصطلحات في أنواع الإبل وجماعاتها وسيرها وركبها ، ولا يزال تجار الجمال في فاقوس وبلبيس يستوردونها من الشام رغم قيام إسرائيل بين مصر وجزيرة العرب ، وهم يجمعون الثروات من ذلك

وأقول انني معجب بطريقة الدكتور محمد حسين في الشرح والتعليق ، وأكثر من ذلك أعجب بحله لأشعار الأعشى نثرا وأمام كل بيت ، ان هذا المنهج إذا اتبع مع دواوين الشعر لجمل الأدب العربي تحت متناول الناس جميعا : ولذا فمنهج الأستاذ فتح كبير للأدب العربي ، ويذكرني هذا بما قرأته في كتاب المثل السائر حين يقول صاحبه : « ولقد مارست الكتابة ممارسة كشفت لي عن أسرارها ... فما وجدت أعون الأشياء عليها إلا حل آيات القرآن الكريم والأخبار النبوية وحل الأبيات الشعرية »

ثم ذكر أن حل الأبيات الشعرية ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول — أن يأخذ الناثر بيتا من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة

الثاني — وسط بين الأول والثالث

الثالث — أن يؤخذ المعنى فيصاغ بألفاظ غير ألفاظه ، ثم يتبين حذق الصائغ في صياغته ، ويعلم مقدار تصرفه في صناعته

ثم ساق أمثلة كثيرة على ما يقول . .

وأكرر قولي بأني أعجبت أيما إعجاب بما قام به الأستاذ الدكتور محمد حسين من حل أبيات ديوان الأعشى . فأي طريقة من الطرق الثلاث اتبع ؟ أغلب الظن أنه أخذ بالثلاثة مناهج

ولا أخفي على القارئ أنني بدأت القراءة في شعر الأعشى بنثر الأستاذ الدكتور محمد حسين ، ولا أبالغ إذا قلت ان محاسن شعر الأعشى قد بدت في نثر الأستاذ قبل أن أقرأ النظم ، بل ان شاعرية الأعشى تضاعفت في ذهني لدى قراءة شعره بعد أن استحضرت المعاني في نثر الأستاذ الشارح ، وهذا ما أقول عنه انه فتح جديد ، وتمهيد لدراسة الأدب العربي ، وجعله تحت متناول شعوب العرب ، وهم ملايين الناس قد انقطعت الصلة بينهم وبين ماضيهم وتراث أسلافهم ، فعمل الدكتور إذا سار فيه ، وقدر لغيره أن يسير على منهاجه ، وأن تطبع دواوين الشعر وما جاء في كتب السلف على هذا النحو ، سيهز العربية هزا ، وسيجعل الآلاف من أبنائها يرتشفون محاسنها ، ويعودون إلى جمالها ، ويحنون إلى أيامها ، ويعرفون من ماضي لغتهم ما يجعلهم يعتزون بها ويغارون عليها ، ويتفننون بها ويتمثلون بشعرها

انظر إلى نثره . .

«قالت سمية ، إذ لاح لها البرق من فوق الجبال :

ياحبذا وادي النجير ، وحبذا قيس ، رجل الخير والإفضال . .

القائد الخيل الجياد الضوامر ، تمضي في عدوها كالسهام . .

والمتعفف عن الكسب الخبيث إذا تهيأ للقتال »

يبدو الكلام لي هنا ، وقد أخذ الشارح بالطريقة الأولى أي أخذ الناثر بيتا من الشعر فنثره بلفظه . وقد جاء الحل هنا من غير زيادة ، ولكنه نثر شعري يحمل قوة الأصل ومتانة لفظه واسترساله ، ولا عيب بتاتا فيه

والأمثلة على ذلك كثيرة ، وقد تكون هذه الفقرة أسهلها ، ولذا أجزم بوجود فقرات وجمل كثيرة تزيد عليها فصاحة وجمالا ،

فلله دره ، وألف شكر على هديته ، وعلى ما بذل من جهد في إخراج شعر الأعشى إلى النور

أحمد رمزي

المدير العام لمصلحة الاقتصاد الدولي

طبقات الحنابلة

لابن رجب عبد الرحمن بن أحمد
المتوفى سنة ٧٩٥ هـ

نشره الدكتور سامي الدهان

الأستاذ ابراهيم الابياري

الطبقات — ولا ضير أن أميل بك نحو اللغة ميلة — جمع طبقة بفتح فسكون، ومعناها ما تعرف: القوم المتشابهون. ويكاد يكون الناظر في هذا التصنيف بادئ ذي بدء رجال الحديث ومن لف لفهم. فمن هذه الطبقات المحدثة الراوية نقل إلى المسلمين تراثهم الديني الخالد. ولهذا الأمر خطر. فلا غرو أن تسبق العناية به غيرها في نواحي أخرى، ويسبق المحدثون إلى الرواة يميزونهم على الأسنان واللقيا والسبق إلى الإسلام، أمناً للشبهات وتخلصاً من التدليس

ونعرف في الطليعة ابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ بكتابه الطبقات الكبرى، أو طبقات الرواة كما يقول حاجي خليفة. ثم حذا حذوه ابن عبد البر وابن منده وأبو نعيم وابن الأثير وابن حجر

ونرى الأدب يجري مع الحديث في هذا الميدان. فإن ابن سلام صاحب طبقات الشعراء مات سنة ٢٣٢ أي بعد ابن سعد بعامين والرجلان بصريا النشأة، جاران في الحياة، وكلاهما له كتاب في الطبقات، هذا في الحديث وذاك في الشعر، وسبق عامين يكاد لا يرجح، ولكن طبيعة الفكرة وما توحي به وتدعو إليه يحملنا مع ماسبقنا بظن، وهو أن السبق في هذا للمحدثين، وأن هذا العمل بتلك البابة أدنى وأشبه، ومع غيرها محاولة التقليد، وأن ابن سلام مشاكل لا مبدع وأنه التقط الفكرة التقاطاً ثم أخضع لها ما يملك من تراث الشعراء فصنفهم طبقات

ثم شاع هذا النوع من التأليف فلم يقف عند رجال دون رجال، ولا عصر دون عصر؛ وخرج عن غرضه الأول إلى منهج المؤرخين لولا ما يزيده من ضم المترجم لهم إلى فئات

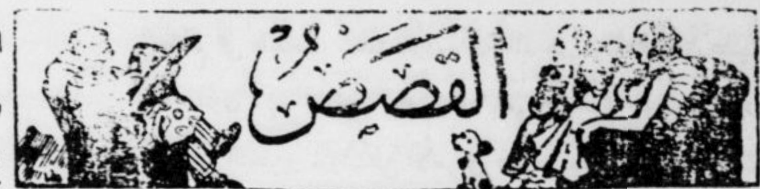
وتكاد تكون طبقات المذاهب الأربعة من هذا، وإن حملت في سنيها الأولى ظلا من ذلك المعنى الذي حدا المحدثين إلى وضع رجالهم على طبقات. فالمتصلون بأئمة المذاهب والمتتلمذون عليهم والآخذون عنهم محدثون واعون قد ينقولون شيئاً يفوت التدوين ويعز على التحرير. ولكن الأمر في غير هذا وبعد أن قيدت الأقلام ما تنطق به الألسنة، وبعد أن أملى الأشياخ وكتبوا، هو من التاريخ لا يقوم إلا على تلك الفكرة الأولى التي عنت المحدثين والتي أسسوا عليها طبقاتهم. وحسبك أن الأمر انقضى عند المحدثين وبقي موصولا عند غيرهم. ولو شاء مؤرخو اليوم أن يصلوه لوصلوه. وما لي أنسى أن الغزي الحنبلي انتهى في طبقاته إلى ١٢٠٧ هـ وأن الشطي وصلها إلى سنة ١٣٢٥هـ

والحنابلة والشافعية أسبق من الحنفية والمالكية في جميع طبقاتهم. ويكاد يكون الحنابلة أسبق من الشافعية. فالخلال المتوفى سنة ٣١١ أول جولة في هذا الميدان؛ وأن وفاة ابن حنبل — كما تعلم — سنة ٢٤١ هـ. ولعل سبب ذلك هو الصراع الذي قام بين المذهب في نشأته، وبين الرأي المحيط به، وأنه لم يحظ برعاية ذوي الجاه، بل أوذي وأوذي أصحابه، وحورب وحورب رجاله، فكان هذا داعياً لأن يلتفت أصحابه إلى مذهبهم يحفظونه، وإلى رجالهم يترجمون لهم. وقد عرفنا الشدائد مع الأيام حافزة

وتلا الشافعية الحنابلة، فكان أول من صنف في الطبقات منهم محمد بن سليمان المتوفى سنة ٤٠٤. وبعد الشافعية المالكية، وأحسب ترتيب المدارك لعياض باكورتهم في هذا. ثم جاء الحنفية بأخرة، فكان القرشي عبد القادر بن محمد المتوفى سنة ٧٧٥ أول من صنف لهم الجواهر المضيئة

وابن رجب ذيل لطبقات الحنابلة لأبي يعلى الفراء المتوفى سنة ٥٢٦ هـ. الذي جمع رجال المذهب من لدن عصر الإمام إلى سنة ٥١٢، وابتدأ ابن رجب بأصحاب أبي يعلى حتى سنة ٧٥١. وقد جمع ابن رجب في ذيله تراجم لنحو قرنين ونصف من الزمان على نحو فيه إفاضة وفيه سعة، فقد ذكر كثرة من الأحاديث بأسانيدها، كما عرض لكثير من المسائل الفقهية وغيرها من الفتاوي. بث ذلك كله خلال التراجم لم يتخفف منه حرصاً على أن يفيد وينفع، كما لم يفته أن يروح بما أثر للفقهاء من شعر

والرجل ذو أسلوب متميز فيه وضوح وفيه سلاسة، هذا هو الكتاب الذي شمر له الأستاذان الجليلان هنري لاووست وسامي



إلياس القنوع

عن ليو تولستوي

بقلم الأستاذ رمزي مزيغيت

أفاق إلياس يوماً ليجد أن والده وسنده الأوحد قد ارتحل عنه إلى الدنيا الثانية، تاركاً إياه وزوجه الفتية وحيدين معدمين، لا يملكان من حطام الدنيا إلا رقعة أرض صغيرة لا تكاد تأتيهما بما يسد الرمق

ولكنه تشدد وصبر على الخطب وقابله رابط الجأش . ثم انكأ على عصا نفسه وسل صارم عزيمته وامتطى جواد الشبيبة ودفع به إلى حلبة الكد والجد . وانقلب إلى أرضه الصغيرة يحرثها وينقي تربتها ويسوق غرسها ويتعهد نبتها . وقضى في ذلك سنوات عدة لم يستبطئ خلالها النتائج أو يستكبر أن تكون . بل ثابر على العمل وواظب على مصادمة الأيام ومغالبة الحوادث، وثبت أمام العقبات يذللها بجد جاد وعزم وقاد حتى أتته منقادة إليه ونال من نتائجها ما يروم . فأصبحت الرقعة الصغيرة سهولا شاسعة تؤتيه ثمراً شهياً وأكلا موفوراً، وانقلب البيت الصغير الحقير قصراً منيفاً يغص بالخدم والحشم . وتحدث الناس وتهامسوا — انظروا، لقد أصبح إلياس من كبار الأغنياء، وغدت الحياة عنده جنة من جنان الله

وذاع اسم إلياس في كافة الأنحاء وعلت منزلته بين الناس، وتسابق كبار القوم وأشرافهم إلى كسب وده ومرضاته . فكان يرحب بهم ويحسن وفادتهم، فينصرفون وألسنتهم تلهج بشكره وحمده

ولم يمنعه علو منزلته وعظيم نعمته عن مواصلة الجد والاجتهاد ورعاية أملاكه ومواشيه بنفسه دون أن يعتمد على من كان يعمل في خدمته من عمال وأجراء

وكان لإلياس صبيان وصبية، وكان ثلاثتهم يأخذون بيده ويساعدونه في عمله يوم كان فلاحاً بسيطاً فقيراً . فلما اتسع رزقه زوجهم جميعاً وأجرى عليهم من نعمه نصيباً كبيراً . ولكن الترف والبحبوحة أفسدا الولدين، فارتديا رداء الرذيلة وأعطيا النفس الصامتة هواها . ولم يلبث الأكبر أن قتل في مشادة، واختلف الأصغر مع والده بتأثير من زوجه الخبيثة وطلب الانفصال عنه . فأعطاه الوالد بيتاً وقسما من ماشيته، فقلت بذلك ثروته . ولم تلبث النكبات بعد ذلك أن أخذت تتوالى عليه متعاقبة . فتفشى المرض بين الماشية وقضى على معظمها، وتلا ذلك سنوات عجاف أجدبت فيها مواسم الحصاد، ومات ما تبقى لديه من ماشية . وهكذا أخذت ثروته تذوب شيئاً فشيئاً بعد أن طوى عهد الشباب والقوة وأعجزه الكبر وجاء يوم وهو على أبواب السبعين من عمره، باع فيه كل ما يملك، ووجد نفسه وجهاً لوجه أمام الفقر والعوز . وكانت ابنته قد ماتت وابنه الذي

الدهان . أما أولهما فنعرف له صلته القديمة بالحنابلة ورسالته القيمة في ابن تيمية التي تعد مرجعاً في هذا الباب، وأما ثانيهما فقد عددنا له جولات في النشر موفقة، وكاد اسمه يحفظه كل متصل بالحركة الأدبية . وفي الأمس القريب عرفت بكتابه « زبدة الحلب » . وأكاد أمضي أشكر لا حقاً بعد سابق فأجدني غير موف، وتسرع إلى ذاكرتي تلك الأحدوثة التي لقفناها صغاراً عن عجوز كان يغرس نخلة ورآه الخليفة، وحين أخذ يحاوره راقته إجابته فكافأه على الأولى ثم على الثانية، وما أن أمر وزيره بمنحه الثالثة حتى هم بالانصراف وهو يقول لوزيره سوف تفرغ خزائننا ولا تفرغ أجوبته الحلوة

ألا رفقاً بنا أيها الزميل الكريم، فسوف نعيا بوفائك عن الخليفة بمكافأة ذلك العجوز الغارس، فلك الله عنا يرزقك العون والصبر لنرى لك مع كل عام جديداً في النشر

وإنا لنرجو للأستاذين الجليلين توفيقاً متصلا في هذا العمل الجليل الذي بدآ به، سائلين الله لهما المديد من العمر، والمزيد من العافية؛ لنرى لهما الجهود الموفقة في هذا الميدان

ابراهيم الابياري

انفصل عنه قدار تحل إلى بلاد نائية ، فلم يكن هناك من يحتضنهما ويدفع عنهما غائلة الجوع ، ولم يجدا لكسب معيشتهما سبيلا إلا أن يطرقا باب الخدمة والعمل

وكان لهما جار يدعى محمد شاه ، فأخذته الشفقة عليهما وتذكر سابق نعمتهما ، فدعاهما إليه وعرض عليهما الخدمة عنده قائلا : تعاليا واسكنا فى بيتى ، وإن شئتما عملا يمكنكما أن تعملا فى حقل البطيخ صيفا ، وفى الشتاء ترعيان ماشيتى . وسأقدم لكما مقابل ذلك الغذاء والكساء والمأوى ، ولن أمنع عنكما أية حاجة تسألانهــا

وقبل إلياس وزوجه عرض جارهما الطيب والتحقا بخدمته كاملين . وشق الأمر عليهما بادئ ذى بدء ، ولكنهما تذرعا بالصبر وانصرفا الى العمل بإخلاص قانعين راضيين . ووجد محمد شاه فيهما خير عاملين إذ كانا يعرفان ما ينتظره السيد من مخدومه من نشاط وإخلاص ، فكانا يعملان ما تسمح به قوتهما دون تذمر أو تأفف . ولكن محمد شاه كان يحزنه فى الوقت نفسه أن يرى كيف ذل إلياس ، بعد عز ،وافتقر بعد بحبوحة ، واتضع بعد رفعة

وحدث يوما أن هبط على محمد شاه بعض الأقارب قادمين من بلاد بعيدة لزيارته . فرحب بهم وأحسن وفادتهم . وبعد أن أكلوا وشربوا جلسوا يتحدثون ويتسامرون. وبينما هم فى حديثهم إذ مر إلياس أمام الباب فى طريقه الى غرفته . ووقعت عينا محمد شاه عليه فالتفت الى ضيوفه وقال لهم — هل رأيتم ذلك الكهل الذى مر الآن من هنا؟ فرد عليه أحدهم بقوله — نعم ، وماذا فى ذلك؟ قال لا شىء سوى أنه كان أغنى رجل فى الجوار وهو يدعى إلياس ، ولا بد أنكم سمعتم باسمه . فصاح الضيف : طبعا ، ومن لم يسمع باسمه وقد طبقت شهرته الآفاق ؟ فقال محمد شاه — هذا صحيح ، ولكنه اليوم لا يملك ثاغية ولا راغية ،وهاهو ذايعيش وزوجه فى بيتى عاملين أجيرين . ودهش الضيف لهذا الخبر وهز رأسه قائلا — حقا إن الدهر دولاب يدور ، فتارة يرفع هذا الى أعلى عليين، وتارة يخفض ذاك الى أسفل سافلين. ولكن قل لى ألا يندب هـذا الكهل سالف مجده ، ويبكى سابق عزه؟ فقال محمد شاه — علم ذلك عند ربى ، ولكن مظهره ومنظره يؤكدان عكس ذلك ، فهو إنما يشدو بذكر خالقه ، ويترنم بفضل رازقه ، فقال الضيف — هل أستطيع أن أتحدث اليه — بودى أن أسأله سؤالا أو سؤالين ...

فنهض محمد شاه ونادى إلياس ودعا زوجه للانضمام الى المجلس فدخل إلياس وحيا وجلس بقرب الباب وهو يتمتم بالصلاة. وتبعته الزوجة وجلست وراء الستار مع سيدتها . وبعد أن استتب بهم المقام نظر الضيف الى إلياس متأملا ثم سأله قائلا — قل لى ياعماه ألا يبعث فيك مرآنا شعوراً بالأسى واللوعة ؟ لا شك أن هـذا المجلس يعيد الى ذهنك أيامك الخوالى ويذكرك بحالتك الراهنة، وتبسم إلياس ثم قال — لو شئت أن أخبرك ما هى السعادة الحقة وما هى التعاسة المرة لما آمنت بصدق قولى وحسبتنى كاذبا مماريا وأرى من الخير أن تسأل عن ذلك زوجتى فهى امرأة وما فى قلبها يفضحه لسانها.. اسألها ما شئت وستخبرك بالحقيقة غير منقوصة

والتفت الضيف الى ناحية الستار وقال — حسنا يا أختاه،هلا أخبرتنا عن حقيقة شعورك ؟فردت عليه الزوجة من وراء الستار حبـا وكرامة ، فاصغ جيدا إلى ما أقوله — « خمسون عاما عشتها وزوجى نبحث عن السعادة ونفتش عنها ، ولكننا لم نجدها أو نذق لها طعما إلا فى هاتين السنتين بعد أن فقدنا كل ماملكنا، وزالت عنا أسباب النعمة وبتنا أجيرين فقيرين ؛ وهى والله حال لا نبغى أفضل منها ولا أحسن ».

ودهش الجميع لهـذا القول ومن جملتهم محمد شاه . بل لقد بلغت منه الدهشة أنه تقدم من الستار وأزاحه ليرى وجه الزوجة، فاذا بها منتصبة وقد طوت يدها على صدرها، وتعلقت عيناها بعينى زوجها ، وعلت شفتيها ابتسامة رضية . وتابعت الزوجة قولها « نعم أيها السادة ، نصف قرن قضيته أنا وزوجى بحثا عن السعادة، ولكنها تنكبت طريقنا طيلة أيام عزنا وغنانا . فلما أن دالت دولتنا وذابت ثروتنا وشمرنا عن ساعد الجد والعمل، إذا بها تنقاد إلينا وتعمر قلبينا ، ولسنا نرضى عنها اليوم بديلا».

فسألها الضيف مستغربا — ولكن كيف تفسرين هذه السعادة وأنت على هذه الحال من العوز والإملاق ؟؟ فردت عليه قائلة — من الناس من يعتقد أن السعادة فى المال والجاه ،ولقد دلت التجارب على عكس ذلك، فعندما كنا من الأغنياء والوجهاء كانت



انها طرابلس الشام :

حينما قلت : إن المتنبي يعني طرابلس الشام لا الغرب في بيته :

أكارم حسد الأرض السماء بهم وقصرت كل مصر عن طرابلس

لم ابن رأيي على الحدس والتخمين ولكن بنيته على حقائق لا يتطارق إليها الشك ، وإليه البيان :

١ — منذ خروج المتنبي ببادية السماوة إلى اتصاله بسيف الدولة سنة ٣٣٧ هـ لم يمدح غير رجالات الديار الشامية

٢ — بعد انفصاله عن سيف الدولة انحصرت جولانه بين الفسطاط غربا ، وشيراز شرقا ، ولم يعرف عنه أنه زار طرابلس الغرب أو مدح أحدا من أهلها ولو بطريق المراسلة ، بل لم يعرف عنه أنه مدح أحدا من المغاربة ، وهذا ديوانه — وكل قطعة منه جزء من حياته — شاهد بذلك

٣ — حينما مدح المتنبي عبيد الله بن خلكان الأمير الطرابلسي الشامي كان في سن صغيرة ، فلم يكن هناك مجال لشاعر ناشئ مغمور أن يتصل بغير الأقربين من أمراء بلاده ومسروائهم .

جاء في الديوان : « وقال في صباه ارتجالا وقد أهدى إليه عبيد الله بن خلكان هدية فيها سمك من سكر ولوز في عسل »

ومن هذه المقطوعة قوله :

هدية ما رأيت مهديها إلا رأيت العباد في رجل

أقل ما في أقلها سمك يسبح في بركة من العسل

وجاء في الديوان « وقال أيضا يمدحه »

وأورد القصيدة السينية التي منها البيت موضوع الخلاف

ومعنى هذا كله : أن المتنبي عرف آل خلكان صبيا ، وأنه زارهم في طرابلس الشام ومدحهم ورآهم رأى عين ووصلته هداياهم ، وهذه الهدايا — كما يؤخذ من وصفها — مما يحمله الخدم ، إذ غير معقول أن هذه الإلطافات الصغيرة الرقيقة الرشيقة التي تؤكل لوقتها وتفسد بعد زمن قصير ، ترسل من طرابلس الغرب على متون السفن إلى بحر المشرق

لي وزوجي من المشكلات والتبعات ما لا نجد معها وقتا للتحدث أو التفكير في نفسينا والصلاة لخالقنا. فيوما يزورنا زائر ، وعلينا أن نفتن في مرضاته كي نسكت لسانه عن الطعن في كرامتنا والحط من قدرنا . ونحن دوما في خصام مع الأجراء والعمال . . هم يتبادلون في عملهم ويطلبون أحسن الطعام ، ونحن ننقص من أجرهم ونستغلهم إلى أبعد ما يمكن ، وفي هذا خطيئة أية خطيئة . . هذا عدا تخوفنا الدائم من أن تفترس الذئاب ماشيتنا أو يسرق اللصوص خيلنا أو أن ترقد الأغنام على صغارها فتقتلها . . كنا في خوف دائم وقلق مستمر ، لا نسوى مشكلة حتى تبرز لنا مشكلة أخرى . وفوق هذا وذاك فقد كنت أنا وزوجي في خلاف مستحكم . . له رأيه ولي رأيي نتمسك به ولا نحيد عنه ، فنتخاصم ونتباعد ، ونتردى في مهاوي الخطيئة من حين لحين . . أما الآن فإنا نستهل يومنا بكلمة حب ووفاء ، ونقضي نهارنا في وئام وصفاء . . وليس هناك ما يشغل بالنا سوى مرضاة سيدنا على أحسن وجه ، فنعمل قدر طاقتنا بعزيمة وإخلاص ، وهدفنا أن نعود على سيدنا بالخير والفائدة . . وإذا ما عدنا من عمل يومنا وجدنا شرابا سائغا وطعاما شهيا ، وإذا ما أوينا إلى فراشنا تحدثنا قليلا وصلينا طويلا . .

خمسون عاما قضيناها نبحث عن السعادة وقد وجدناها اليوم في حالتنا الراهنة . إن راحة النفس في قلة الآثام ، وراحة القلب في قلة الاهتمام . .

وضحك الضيوف وقهقهوا . . فالتفت إلياس إليهم وقال — لا تضحكوا أيها السادة ، إذ ليس هناك ما يدعو إلى الضحك ، لقد كنت أنا وزوجي أحمقين غبيين ، فبكينا ضياع ثروتنا وندبنا ذهاب عزنا . أما الآن فقد فتح الله أعيننا على الحقيقة الوضاءة ، فحبسنا الزفرات وكفكفنا الدمع هذه هي حقيقة الحياة ، وقد سقناها إليكم لا عزاء لنفسينا ، وإنما عظة لكم إن كنتم تتعظون

فقال أحد الضيوف — هذا لعمري هو الصدق مجردا ، ولقد ورد مثل هذا القول الحكيم في الكتب السماوية المنزلة . فأمسك الجميع عن الضحك . وغرقوا في لجة من التفكير العميق

رمزي مزيغيث

٥ — لم يقل أحد من شراح الديوان بغير هـذا القول :
فالعكبرى يقول : طرابلس : بلدة الممدوح من بلاد الشام
واليازجى : يقول : وطرابلس : بلدة الممدوح ، والمراد بها طرابلس الشام

الحق أن ياقوت أورد الأبيات حينما تـكلم عن طرابلس الغرب ، ولـكنه لم يشر إلى الممدوح من قرب أو بعد ، بل قال فقط : « وقال أبو الطيب يمدح »

فالممدوح فى رأى ياقوت مجهول لاندرى أشامى هو أم مغربى ؟

ولـكنا إذا سلمنا بعصمة ياقوت من الخطأ — يمكن أن نرجع هذا إلى سهو الناشر أو الطابع ، فهذه الأبيات كان من حقها أن تذكر بسبيل طرابلس الشام ، ولـكن لأمر ما ذكرت فى طرابلس الغرب !

هـذا وإنى أعلن للأستاذ الفاضل أنى لم أقصد التعالم فالأمر هين ، ولـكن أردت بيان الحقيقة التى هى رائده أيضا . والسلام عليه ورحمة الله

محمد الفاتح الجندى

تصحيح يحتاج الى تصحيح :

طالما غمطت مجلات المطبعة وهى تنفذ السير حقوقا للـكاتبين ، وطالما أوجدت فى الطريق ثغرات ، ومن هذا القبيل ما حملته الرسالة الغراء من بيان وجيز لى حول رأى تقوله على أحد طلابى فيما يتعلق بالدعوة الوهابية ، ويهمنى أن أؤكد هنا أن الرأى المنسوب إلى كما جاء فى كلمة الطالب وفى بيان الناقد بعده لم يصدر عنى ، ولست أدرى من أين تطرق إلى قلم الطالب المتوثب . والذى أستطيع تقريره فى مثل هذا المجال المحدود أن مبادئ الدعوة الوهابية القائمة على الاهتداء بالـكتاب والسنة ، الداعية إلى سواء السبيل والتمسك بقواعد الإسلام وأهداب التوحيد الصحيح لا يمكن أن تـكون إلا من صميم الإصلاح الذى نرجو أن يأخذ طريقه القويم فى ميدان الإصلاح المنزه عن الغلو والانحراف

وإذا كان بعض أتباع هـذه الدعوة أو أدعيائها يشوهون جمالها السلفى النقى بما ينزلقون إليه من غلو أو تحريف أو مبالغة أو إسراف ، فلن يضير ذلك أبدا صميم المبدإ النابع من منهل الإسلام الطهور ؛ ولعل الذين تسبق ألسنتهم أو أقلامهم بالحملة المشبوبة على هذه الدعوة يتمثلون أمامهم حين يكتبون أو ينطقون صورا من شطط هؤلاء الغلاة هنا أو هناك

وكم يتمنى المصلح الغيور لو تجتمع كلمة المسلمين فى سائر الأقطار على كلمة الله وهدى كتابه وسنة رسوله الكريم

الدكتور محمد يوسف موسى

مذهب قديم :

جاء فى « الرسالة » الـكريمة « عدد ٩٣٠ » تحت العنوان السابق ، أصلا وتعقيبا :

أن القول بأسبقيه الشعر على النثر ، رأى يقول به الدكتور طه حسين ، والأستاذ الزيات ؛ وأن المرحومين : السكندرى ، والعنانى ، يقولان بعكسه

والخلاف فى أسبقية أحد الفنين على الآخر ، خلاف قديم ؛ وممن ذكره أبو حيان التوحيدى ؛ فإنه فى « المقالة الخامسة والعشرون » قرر أن النثر أقدم من الشعر ؛ وعلل ذلك بقوله .

« لأن الشعر صناعى محصور بالأوزان والعروض والقوافى ؛ والإنسان لا ينطق فى أول حاله ، منذ طفولته ، إلى أمد مديد ، إلا بالنثر . فإن قيل : إن النظم قد سبق العروض بالذوق ، والذوق طباعى ؛ قيل فى الجواب : الذوق ، وإن كان طباعيا ، فإنه مخدوم الفكر ، والفكر مفتاح الصنائع البشرية ؛ كما أن الإلهام مستخدم للفكر ، والإلهام مفتاح الأمور الإلهية . الخ . راجع ص ١٣٠ ج ٢ . من « الإمتاع والمؤانسة »

وقد عرفنا « الرسالة » بأنها خير من يحمل رسالة الحق ، فى مذاهب الأدب العربى الـكريم

أستاذ فى الأزهر الشريف

(الرسالة) إن الذين يقولون بأسبقية الشعر للنثر إنما يريدون النثر الفنى وهو لا ينشأ الا اذا نضج العقل وتقدم العلم واتسعت الحضارة . والذين يقولون بأسبقية النثر للشعر انما يريدون اللغة الأمية أو لغة التخاطب كما يفهم من كلام أبى حيان ، وما يعلم من رأى القائلين به . ولغة التخاطب ليست موضوع الأدب ولا مقصود الفن


ظهر المجلد الثالث
من كتاب
وحي الرسالة
فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع
والقصص
للأستاذ أحمد حسن الزيات
طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد
سكك حديد الحكومة المصرية
جداول مواعيد القطارات
يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور بأن جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف قد أعدت للتوزيع ويعمل بها من
أول مايو سنة ١٩٥١ وقد راعت المصلحة عند إعدادها تحقيق رغبات الجمهور كما يتبين من التحسينات المبينة بعد :—
١) التبكير في مواعيد قيام ووصول بعض القطارات الصباحية
٢) التأخير في مواعيد قيام ووصول بعض القطارات المسائية
٣) زيادة عدد القطارات ببعض المناطق
٤) تشتمل الجداول الجديدة على خريطة إيضاحية تبين خطوط السكك الحديدية ومحطاتها
وتطلب هذه الجداول من شبابيك تذاكر المحطات وكذا من الباعة المرخص لهم ببيعها مقابل عشرين مليما
للنسخة الواحدة .
مطبعة الرسالة

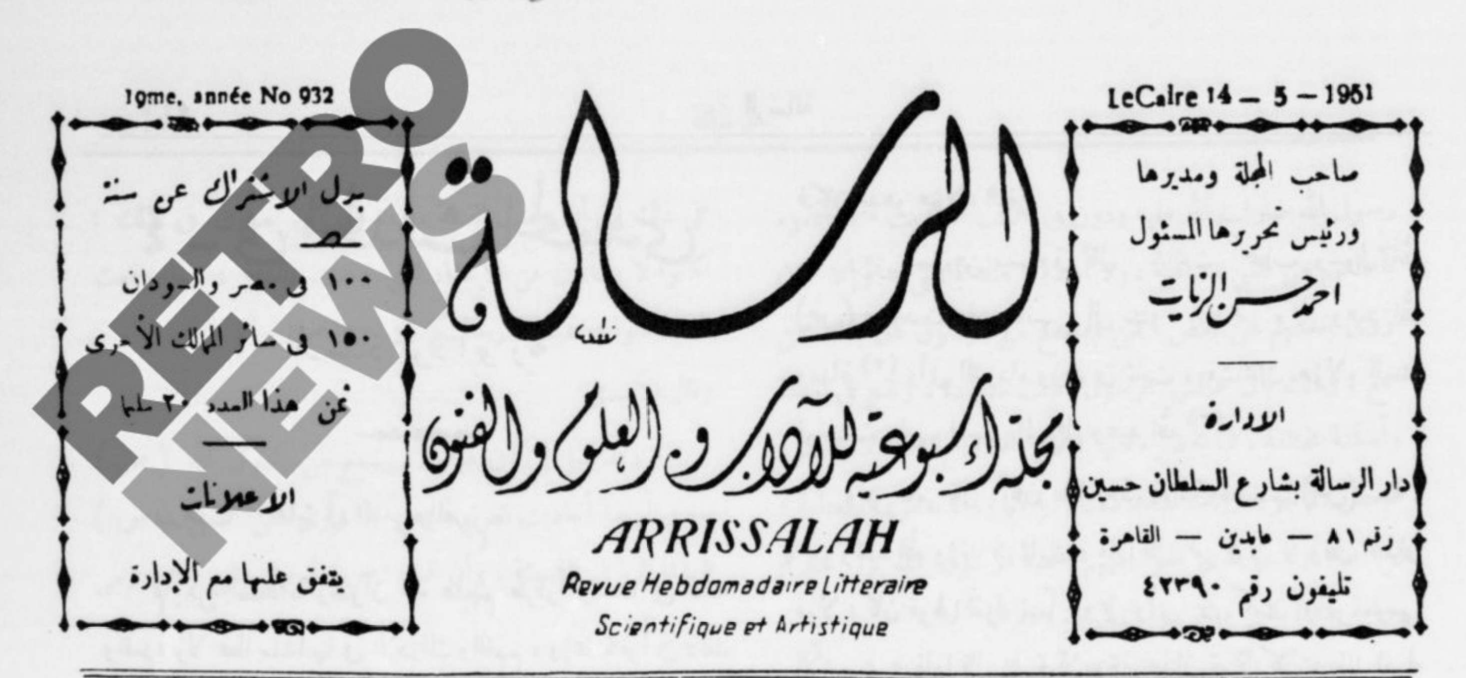


العدد ٩٣٢ — ١٤ مايو سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد





19me. année No 932

LeCaire 14 – 5 – 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٣٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٧ شعبان سنة ١٣٧٠ — ١٤ مايو سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

رحلات عزام

الرحلة سبيل من سبل المعرفة . وفي الأمثال : من يمش ير كثيرا ، ومن يعش ير أكثر . وفي الزمن القديم كانت الرحلة وحدها متصل الفكر بالفكر، وملتقى المتعلم بالعلم . ولا يزال لها في الزمن الحديث على سرعة الاتصال بين أجناس الناس في بقاع الأرض، بالإذاعة والصحافة والنشر، أثر ظاهر في اكتساب العلوم وتقدم الثقافة . وهي في تاريخ الإسلام بوجه أعم ، وفي تاريخ الأدب بوجه أخص ، عظيمة الخطر في جمع اللغة ورواية الحديث ، قوية الأثر في نشر الأدب وتوسيع الفقه . وكانت الرحلات الذاهبة الآئبة من العراق إلى مصر ، ومن مصر إلى الأندلس ، ومن هذه الأقطار جميعا إلى الحجاز ، موردا ثرًّا لعلوم الدين وفنون الأدب ، جنينا من ثماره طائفة كثيرة من عيون الكتب في وصف البلاد ، وطبائع الشعوب ، وتراجم الرجال ، وغرائب العادات ، وعجائب الكائنات ، وطرائف الملح.

على أن الله لم يؤت الرحالين أجمعين مثل ما آتى البيروني ، والبغدادي ، وابن جبير ، وابن بطوطة ، وأضرابهم ، من قوة الملاحظة ، وشهوة التطلع ، وحب التحدث ، ورغبة الإفادة . ولم يؤت الله هؤلاء جميعا ما آتاه صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام بك ، من صحة العلم ، وسلامة الحكم ، ودقة الفهم ، وخفة الروح ، وعذوبة الفكاهة ، ولطف النادرة ، وجمال الأسلوب

رحل الأستاذ إلى أكثر البلاد العربية والإسلامية في عهدين مختلفين : عهد غلب فيه التأثر الأول والشعور البادر والنظر العجلان ، وقد وعته (الرحلات الأولى) ؛ وعهد غلب فيه الإدراك الكامل والاستيعاب الشامل والتحقيق الدقيق ، وقد ضمته (الرحلات الثانية)، وهي التي نقدمها اليوم إلى القارىء بهذه الكلمة الوجيزة . وغاية الرحالة في العهدين ومن الرحلتين هي التعريف بأمصار العروبة وبلاد الإسلام ، ليكون التعريف سبيلا إلى التعارف ، وعونا على التآلف ، وتمهيدا للوحدة

وهذه الرحلات التي رحلها البحاثة الوصافة عزام إلى فلسطين ، ثم إلى الشام ، ثم إلى الهند ، ثم إلى الحجاز ونجد ، صور من البيان ، وطرف من الأدب ، ودقائق من العلم ، ورقائق من الفن ، ينقلك سحرها بحواسك وخيالك إلى تلك الأماكن الموصوفة ، فتشاهد المناظر ، وترى الأشياء ، وتسمع الأشخاص ، كأنك رحلت وحللت ، وصاحبت في التنقل ، وساهمت في المآدب ، وشاركت في الحديث . وإن الإشعاع الذي ينبثق من روح الكاتب على سطور الكتاب ليهدي روحك إلى روحه ، ويدل شعورك على شعوره ، فتتحد أنت وهو في الزهو بماض موموق كله ذكريات مجد وبطولة ؛ وتتجه أنت وهو إلى مستقبل مرموق كله آمال بعث ونهضة

فما أجدر كل عربي أن يحج في هذا الكتاب الأماكن التي أشرق منها نور الله ، والمواطن التي استقرت بها خلافة الأرض ، والمعاهد التي زكت فيها ثقافة الإنسان ! إنها مهبط دينه ومصعد دنياه ، وإنها متجه خاطره ومنتجع هواه !

احمد حسن الزيات

٤ ـ فى الحديث المحمدى

للاستاذ محمود أبو رية

درجات الصحابة في العلم والفهم :

لم يكن الصحابة رضوان الله عليهم طرازاً واحدا فى الفقه والعلم، ولا عطا متشابها فى الإدراك والفهم ، وإنما كانوا فى ذلك على طبقات متفاوتة ودرجات متباينة بعضهم أعلم من بعض، شأن الناس جميعا فى هذه الحياة على مر الدهور وتوالى العصور ، سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

قال ابن خلدون فى مقدمته « إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، وإنما كان ذلك مختصا بالحاملين للقرآن ، والعارفين بناسخه ومنسوخه ، ومتشابهه ومحكمه ، وسائر دلالته ، بما تلقوه من النبى (ص) أو ممن سمعه منهم ومن عليتهم ، وكانوا يسمون لذلك (القراء) ، أى الذين يقرأون القرآن ، لأن العرب كانوا أمة أمية فاختص من كان منهم قارئا للكتاب بهذا الاسم لغرابته يومئذ ، وبقى الأمر كذلك صدر الملة » (١)

وقال ابن سعد فى طبقاته عن أبى خيثمة عن أبيه قال : كان الذين يفتون على عهد رسول الله (ص) ثلاثة نفر من المهاجرين ، وثلاثة من الأنصار ، عمر وعثمان وعلى ، وأبى بن كعب ومعاذ ابن جبل وزيد بن ثابت

وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه : أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأى وأهل الفقه دعا رجالا من المهاجرين والأنصار : دعا عمر وعثمان وعليا وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد ابن ثابت . وكل هؤلاء كان يفتى فى خلافة أبى بكر ، وإنما تصير فتوى الناس إلى هؤلاء ، فمضى أبو بكر على ذلك ، ثم ولى عمر

(١) ص ٣٤٦

فكان يدعو هؤلاء النفر

وعن مسلم عن مسروق قال : شاممت أصحاب رسول الله (ص) فوجدت علمهم انتهى إلى ستة ، إلى عمر وعلى وعبد الله ومعاذ (٢) وأبى الدرداء وزيد بن ثابت ، فشاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى على وعبد الله (٣)

وعن عامر قال : كان علماء هذه الأمة بعد نبيها (ص) ستة : عمر وعبد الله وزيد بن ثابت ، فإذا قال عمر قولا ، وقال هذان قولا ، كان قولهما لقوله تبعاً . وعلى وأبى بن كعب وأبو موسى الأشعرى ، فإذا قال على قولا وقال هذان قولا كان قولهما لقوله تبعاً

وعن عامر قال : قضاة هذه الأمة أربعة ، عمر وعلى وزيد وأبو موسى الأشعرى، ودهاة هذه الأمة أربعة : عمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان والمغيرة بن شعبة وزياد (٤)

وذكر ابن القيم فى أعلام الموقعين عن مسروق قال :

« جالست أصحاب محمد (صلوات الله عليه) فكانوا كالأخاذ ، الأخاذة تروى الراكب ، والأخاذة تروى الراكبين ، والأخاذة تروى العشرة ، والأخاذة لو نزل بها أهل الأرض لأصدرتهم ، وأن عبد الله (ابن مسعود) فى تلك الأخاذة » (٥)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل ما بعثنى الله من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية (٦) قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب (٧) أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا (٨) وأصابت منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله..رواه الشيخان وغيرهما

رواية الصحابة بعضهم عن بعض وروايتهم عن التابعين

ليس كل ما جاء من الأحاديث عن الصحابة مما رووه عن

(٢) رواية ابن القيم فى أعلام الموقعين (وأبى بن كعب) بدل معاذ
(٣) هو عبد الله بن مسعود
(٤) ص ١٦٦ — ١٦٨ ج ٤ (٥) ص ١٣ ج ١ (٦) فى رواية (ثنبة) وفى رواية (بقعة) وفى رواية (طائفة طيبة) وفى رواية (بقية)
(٧) فى رواية (أخاذات) وفى رواية (أجاذب) وفى رواية (أحارب) وفى رواية (أجادر) (٨) فى رواية (ورعوا) وفى رواية (ودعوا)

رسول الله صلوات الله عليه ودون فى كتب الحديث ، قد سمعوه بآذانهم من النبى مشافهة ، ولا أخذوه عنه بالتلقى ، وإنما كان يروى بعضهم عن بعض ، فمن لم يسمع من الرسول كان يأخذ ممن سمع ، وذلك بأن مجالس الرسول كانت متعددة ، وتقع فى أزمنة وأمكنة مختلفة ، فما يحضره منها بعض الصحابة قد لا يحضره البعض الآخر ، وإنك لتجد ذلك باديا فيما رواه بعض الصحابة ، وبخاصة أولئكم الذين كانوا أقلهم صحبة لرسول الله وأكثرهم رواية عنه ، كابن عباس وأبى هريرة وغيرهما

فقد ذكر الآمدى فى الأحكام أن ابن عباس لم يسمع من النبى إلا أربعة أحاديث . وقال ابن القيم فى الوابل الصيب : إن ما سمعه ابن عباس من النبى لم يبلغ العشرين حديثا ، وعن ابن معين والقطان وأبى داود صاحب السنن أنه روى النبى تسعة أحاديث

وأبو هريرة أسلم فى العام السابع من الهجرة ، فهو بذلك لم يصاحب النبى إلا ثلاث سنين ، وهو زمن قليل جدا ليس من المعقول أن يكون قد سمع فيه من النبى كل هذه الآلاف من الأحاديث التى رواها (٩)

قال البراء بن عازب (١٠) : «ما كل ما نحدثكموه قد سمعناه من رسول الله ! ولكن حدثنا أصحابنا وكانت تشغلنا رعية الإبل »

ورواية البيهقى : ليس كلنا كان يسمع حديث النبى . . وفيه والناس لم يكونوا يكذبون فيحدث الشاهد عن الغائب ، أى بغير أن يذكر من روى عنه

وفى كلام ابن الصلاح وغيره فى رواية الأكابر عن الأصاغر أن ابن عباس والعبادلة الثلاثة وأبا هريرة وغيرهم قد رووا عن كعب الأحبار الذى أسلم فى عهد عمر

على أن الصحابة فى روايتهم عن إخوانهم أو عن التابعين لم يكونوا يذكرون عندما يتحدثون — كما ذكرنا — أن أحاديثهم قد جاءتهم عن سبيل الرواية عن غيرهم ، ذلك بأنهم كانوا يروون ما يروون فى المناسبات التى تستدعى ذلك مهما طال الزمن من غير عزو لمن سمعوا منهم ثقة بهم وقد جرت الرواية على ذلك إلى أن وقعت الفتنة ، وقد قال ابن سيرين فى ذلك : كانوا لا يسألون عن الإسناد حتى وقعت الفتنة ، ولما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم

وقال الآمدى

« وقد قيل إن ابن عباس لم يسمع من رسول الله (ص) سوى أربعة أحاديث لصغر سنه . ولما روى عن النبى (ص) « إنما الربا فى النسيئة . وأن النبى (ص) لم يزل يلبى حتى رمى حجر العقبة

قال فى الخبر الأول لما روجع فيه : أخبرنى به أسامة بن زيد . وفى الخبر الثانى : أخبرنى به أخى الفضل بن عباس » وأيضا ما روى عن ابن عمر عن النبى (ص) أنه قال «من صلى على جنازة فله قراط . وأسنده بعد ذلك إلى أبى هريرة . وأيضا ما روى أبو هريرة عن النبى (ص) أنه قال : من أصبح جنبا فى رمضان فلا صوم له . وقال ما أنا قلته ورب الكعبة ولكن محمد قاله (١١) فلما روجع فيه ، قال : حدثنى به الفضل بن عباس

وروى عن البراء بن عازب أنه قال : ما كل ما نحدثكم به سمعناه عن رسول الله (ص) ولكن سمعنا بعضه وحدثنا أصحابنا ببعضه

وأما التابعون فقد كان من عادتهم إرسال (١٢) الأخبار ، ويدل على ذلك ما روى عن الأعمش أنه قال : قلت لإبراهيم النخعى : إذا حدثتنى فأسند ، فقال : إذا قلت لك حدثنى فلان عن عبد الله فهو الذى حدثنى ، وإذا قلت لك حدثنى عبد الله فقد حدثنى جماعة عنه . . ولم يزل ذلك مشهورا فيما بين الصحابة والتابعين من غير نكير فكان إجماعا » (١٣)

ولم تقف رواية الصحابة بعضهم عن بعض بل رووا كذلك عن التابعين ، وروى التابعون عن تابعى التابعين

ومن رواية التابعين عن — تابعى التابعين — رواية الزهرى ويحيى بن سعيد الأنصارى عن مالك وهو تلميذهما

---

(٩) ص ١٠٣ ج ٢ الأحكام لابن حزم وكلمة البراء هذه قد جاءت برواية أخرى فى الأحكام للآمدى جئنا بها فى هذه الكلمة (١٠) ذكروا أن جملة ما رواه أبو هريرة ٣٧٤

(١١) لهذا الحديث قصة طريفة سنوردها فى تاريخ أبى هريرة إن شاء الله

(١٢) الرواية المرسلة للحديث هى التى لم يذكر فيها الصحابى الذى رفعه الى النبى (ص) (١٣) ص ١٧٨ — ١٨٠ ج ٢

٣٦٠٤٠

بريطانيا العظمى

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

سيدة البحار، وزعيمة الدول الديمقراطية، وأولى الدول الصناعية، وأكبر الدول الاستعمارية، وديناموا السياسة الدولية. بهذه الكلمات وصفنا بريطانيا في مقالنا السابق

ولعل القارئ الكريم يسألني كيف استطاعت بريطانيا أن تكون لنفسها هذه المكانة الممتازة، وأنا أجيبه بأن ذلك يرجع أولا وقبل كل شيء إلى الخلق البريطاني

الخلق البريطاني

يمتاز الشعب البريطاني بمتانة أخلاقه، وبثباته واستقراره، ويحب أفراده لوطنهم حبا لامزيد عليه، ومسارعتهم للتضحية في سبيله؛ ولعل ذلك راجع إلى تأثير المناخ، فإن بريطانيا تمتاز بأن شتاءها بارد نوعا، تكتنفه الغيوم ويغشاه السحاب، وقد دفع ذلك الشعب إلى النشاط لمكافحته والتغلب على متاعبه، وهذا بدوره قد عود الشعب على الكفاح والجلاد والجهاد

ولا تبدو حقيقة الخلق البريطاني واضحة جلية إلا في أثناء الأزمات التي تتعرض لها بريطانيا؛ فإن الشعب يتكتل في أثناء تلك الأزمات، ويقف صفا واحدا للدفاع عن الوطن وعن تراثه. وقد كانت أخطر الأزمات التي تعرضت لها بريطانيا كثيرة، ولكن أهمها كانت أربعا:

أما الأزمة الأولى فقد كانت تلك التي تعرضت لها أثناء صراعها مع أسبانيا في أواخر القرن السادس عشر الميلادي، وقد كان صراعا عنيفا بين دولتين: إحداهما تتزعم الدول الكاثوليكية وهي إسبانيا، والثانية تتزعم الدول البروتستانتية وهي إنجلترا. ويقول أحد المؤرخين مارجته: «ومن حسن الحظ أنه عند اقتراب الأزمة الكبيرة كان الخلق البريطاني يكتسب أخص مميزاته وهي الصلابة وشدة المقاومة». وقد عرف البريطانيون قوتهم فرحبوا بالنزال المقبل، وفعلا أرسل فيليب الثاني ملك أسبانيا أسطوله المعروف بالأرمادا؛ والمؤلف من ١٣٢ سفينة» وفي وجه الخطر المقبل تنوسيت الخلافات القديمة وحل محلها نشاط قوي أدى إلى وحدة جميع الأحزاب» ووقف الشعب الإنجليزي برياسة مليكته إليصابات في وجه الخطر الإسباني، وكون أسطولا من ١٩٧ سفينة، واستطاع أن يحطم الأرمادا، وبذلك نجت بريطانيا من الخطر المحدق بها، وبدأت سيادتها البحرية

وأما الأزمة الثانية فكانت تلك التي تعرضت لها بريطانيا في أثناء صراعها مع فرنسا في عصر الثورة ونابليون (١٧٩٣ - ١٨١٤) وقد انتهى الأمر بانتصارها وسقوط نابليون

وكانت الأزمة الثالثة التي انتابتها هي الحروب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ ونضالها مع ألمانيا، وقد خرجت منها ظافرة

وأما الأزمه الأخيرة فكانت الحرب العالمية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ وقد انتصرت فيها على ألمانيا وحطمت هتلر طاغية القرن العشرين

ولعلنا نذكر تشرشل رئيس وزرائها ١٩٤٢ بعد سقوط فرنسا تحت أقدام الألمان، ولعلنا نذكر كلماته التي واجه بها الشعب في ذلك الوقت الحرج: «إني أقدم لكم الدم والدموع» فهو لم يخدع الشعب ولم ينافق، بل تكلم في صراحة وعرض الموقف على حقيقته، فهو يعلم أن خداع الشعب ليس من المصلحة في شيء، وأنه إذ يصارح الشعب بحقيقة الموقف إنما يدفعه إلى الجلاد والكفاح، وهو واثق من أن الشعب سيقبل على التضحية في سبيل الوطن. وقد كان إذ ثبتت بريطانيا وانتصرت

ومن (الظريف اللطيف) كما قال السيوطي أن يروي الصحابي عن تابعي عن صحابي آخر حديثا

ومن ذلك حديث السائب بن يزيد الصحابي عن عبد الرحمن ابن عبد القاري التابعي عن عمر بن الخطاب عن النبي (ص) «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه في الليل» رواه مسلم في صحيحه ومن ذلك حديث لا يستوي القاعدون

وقد جمع الحافظ العراقي من ذلك عشرين حديثا

المنصورة — للكلام صلة — محمود أبو رية

وتروعك الأمثلة الكثيرة التي تقدم لك عن مدى تضحية الإنجليز في سبيل وطنهم ، فالتجنيد هناك ليس إجباريا ولكن القوم يسارعون إلى التطوع من تلقاء أنفسهم خدمة لوطنهم ، وقد قرأت ذات مرة أن أربعة إخوة كانوا يقيمون معا أثناء الحرب العالمية الأولى، فلما قامت الحرب حاول كل منهم أن يقنع الآخرين بأن يتركوا له فرصة التطوع ، وأن يبقوا هم آمنين في دارهم ، وتظاهروا بالاقتناع ، فلما كان الغد أقبل كل منهم يسعى إلى مكتب التطوع لتسجيل اسمه، وهناك التقى الإخوة الأربعة ورفض كل منهم أن يتنزل عن شرف المساهمة في الدفاع عن الوطن . وتطوعوا جميعا !!

ويذكرني هذا بما كان من أمر الخنساء ومن أمر بنيها الذين استشهدوا في فتح فارس ، وجاء رسول الجيش إلى المدينة ليبلغ الخليفة عمر نبأ انتصار المسلمين؛ ولقيته الخنساء فسألته عن الأمر فأجابها : « لقد قتل بنوك » . فقالت له « ما سألتك عن أبنائي ولكني أسألك عما كان من أمر الجيش » فأجابها : « لقد انتصرنا » فرفعت يديها إلى السماء قائلة « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم » . لكني أوازن بين ما كان وبين ماهو كائن فأرى فرقا شاسعا . فهل يعود إلينا الإيمان ؟؟

وقد كنت على سفر سنة ١٩٤٢ وكان معي أحد أطفالي وجلس معنا أحد أفراد القوات الحربية البريطانية ؛ فوجدته يحاول إخفاء شعور قوي جارف بتماسكه، ثم رأيته يداعب طفلي فبدأت أحدثه: « لست أدري أيها الصديق ما سر شغفك بطفلي هذا » فأجابني « إن لي طفلا في مثل سنه » فقلت له « وأين هو ؟ » قال : « في لندن » قلت « ومع من يقيم » قال « مع والدته » فقلت « وأين كنت تعمل قبل خدمتك بالجيش » قال « كنت موظفا في لندن » قلت له « فمن الذي ينفق الآن على زوجك وطفلك » قال « إن زوجي قد شغلت مركزي وإن الحكومة تدفع لها نفس المرتب الذي كنت أتقاضاه » قلت له « وكيف تنفق أنت » قال « إن الحكومة تدفع لي مرتبا بوصفي أحد رجالها المحاربين » قلت له « وإذا قتلت ؟ » قال « تدفع الدولة معاشا لعائلتي يكفل لها الحياة الكريمة » . وأنا أسوق هذه القصة لأثبت بها مدى تعاون الشعب في خدمة الدولة، ومدى رعاية الدولة لأفراد الشعب

ولعل مما يدل على حب الشعب البريطاني للاستقرار دراسة لأحزاب السياسية في إنجلترا ، إذ أنها تحوي بريطانيا حزبين كبيرين هما حزب العمال، وحزب المحافظين ، وحزبا ثالثا لا خطر له هو حزب الأحرار . ولا تختلف الأحزاب السياسية في بريطانيا في سياستها الخارجية ، فالسياسة الخارجية مرسومة موضوعة ، ولكنهم يختلفون في السياسة الداخلية ، فحزب العمال يؤمن بأن « المرض الحق من المجتمع هو أن يرفع ويحفظ كرامة ورفاهية الفرد » ويؤمن بأن من حق العمال على الدولة أن يعيشوا كراما وأما حزب المحافظين فهو يتكون من الرأسماليين وكبار الملاك ، وهم حريصون أشد الحرص على تدعيم كيان الإمبراطورية البريطانية

استقالة :

ان الشعب البريطاني يمتاز بتقديسه لحريته ، وهو لا يقبل أن تقيد أبدا، وقد يختلف أفراده رأيا ولكنهم يجتمعون في النهاية على هدف واحد هو خدمة بريطانيا

ولعل من أروع الأمثلة التي أستطيع أن أقدمها للقارئ الكريم مما يدل على مدى حب الإنجليزي لحرية رأيه وحرصه على تحقيق المبادئ التي يؤمن بها ؛ ما كان من أمر استقالة مستر بيفان وزير العمل منذ أيام . فهذا الرجل كان وزيرا في وزارة العمال منذ سنة ١٩٤٥ — وقد كان في بدء حياته أحد عمال المناجم وكذلك كان أبوه — يتمتع بجاه المنصب وسطوته ، ولكنا نراه يترك هذا المنصب الخطير من تلقاء نفسه حين يرى أنه لا يستطيع تحقيق المبادئ التي يعتنقها، وهي العمل على أن تيسر الدولة للعمال الحياة الكريمة السعيدة. ويقول في كتاب استقالته ما ترجمته « إنه يستقيل لأنه لا يوافق على مشروع الميزانية الجديدة إذ أنه مشروع خاطئ إذ يرصد أموالا طائلة لبرنامج التسلح مما يرهق الميزانية . ولأنه يتخذ من رفع الأسعار وسيلة من وسائل الحد من الاستهلاك المحلي ، ولأنه بدء لتحطيم الخدمات الاجتماعية التي كان يفخر بها حزب العمال ؛ إذ قررت زيادة الضرائب على الأسنان الصناعية والنظارات »

ويقول « إنه ليس مما يشرفني أن أقرن اسمي بتنفيذ سياسة

المعرفة الصوفية

أداتها ومنهجها وموضوعها وغايتها عند صوفية المسلمين

للأستاذ أبو الوفا الغنيمي التفتازاني

(١) المقامات والأحوال طريق موصل إلى المعرفة
(٢) علم الظاهر وعلم الباطن
(٣) أداة المعرفة عند الصوفية
(٤) منهج الكشف عند الصوفية وطبيعة هذا المنهج
(٥) موضوع المعرفة الصوفية
(٦) غاية التحقق بالمعرفة عند الصوفية

١ – اتفق الصوفية على أن غاية المتصوف السالك إلى الله أن يتحقق بمعرفة الله سبحانه وتعالى معرفة يقينية لا يأتيها الشك من بين يديها ولا من خلفها

ويأخذ المريد نفسه فى أول عهده بالطريق بالمجاهدة النفسية فيتخلى عن الأخلاق الرديئة ويحاسب نفسه ويراقبها حتى تنقطع عنها الهواجس. فتصبح طوع إرادته، ويتخلص من عوائق البدن وسطوة الشهوات التى من شأنها أن تحجب عنه الحقيقة العليا التى يصبو إليها

هـذا وتنشأ عن المجاهدة والرياضة الروحية، حالات نفسية معينة تعرف عند الصوفية بالأحوال والمقامات، ولا يزال الصوفى يترق (١) فى أحواله ومقاماته من حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام، حتى يصل إلى معرفة الله تعالى معرفة يقينية لا مدخل للحواس أو العقل فيها، فيستمتع بمطالعة وجه الله سبحانه وتعالى ومشاهدة جماله وجلاله جلت قدرته

والأحوال والمقامات هى طريق موصل إلى المعرفة. إلا أن الصوفية اختلفوا فى عدد هذه الأحوال والمقامات وترتيبها، فما يراه البعض حالا لا يراه البعض الآخر مقاما، وفى حقيقة الأمر كل يصف لنا منازل سيره وحال سلوكه. وعلى الرغم من هـذا

(١) فى اصطلاحات الشيخ محيي الدين بن عربى أن الترق هو التنقل فى الأحوال والمقامات والمعارف

لا يقرها ضميرى ولا يرضاها عقلى، وإنى آسف إذ أشعر أنى مضطر إلى اتخاذ هذه الخطوة بعد هذه السنين المديدة التى تعاونا فيها فى حكومة واحدة قامت بكثير من الخدمات لقضية العمال ولتقدم الجنس البشرى ».

ويقول « إن الوظائف العامة يجب أن يعهد بها إلى من يؤمنون بأنهم قادرون على النهوض بها » ويختتم استقالته متمنيا لرئيس الوزراء الصحة والعافية

ويقبل رئيس الوزراء الاستقالة آسفا وشاكرا له ما قدم من خدمات وعمليات. ومع هذا فلم يفصل حزب العمال المستر بيفان من عضويته، وكذلك أعلن بيفان أنه لن يهاجم الحكومة لما يرجوه على يدها من خير للعمال. وهكذا تكون الشجاعة وحرية الرأى

ويحرص أفراد الشعب البريطانى على أداء الواجب المطلوب منهم حرصا تاما، ويهتمون بالرياضة والألعاب الرياضية اهتماما كبيرا. ومن كلمات ولنجتون المأثورة قوله « لقد كسبنا معركة واترلو فوق أرض ملاعبنا ». ويمتاز البريطانيون بصبرهم وبرودهم وسعة حيلتهم ودهائهم، ولعل موقف إنجلترا من روسيـــا فى الحرب الأخيرة يظهر لنا ذلك واضحا جليا

ففى سنة ١٩٣٩ أرسلت إنجلترا وفرنسا بعثة لمفاوضة روسيا لعقد اتفاق لإتمام حركة تطويق ألمانيا، وبدأت المفاوضات ولكن ألمانيا أرسلت بعثة أيضا لمفاوضة روسيا، فتوقفت مفاوضات روسيا مع مندوبى فرنسا وإنجلترا وبقوا بدون عمل، وانتهت المفاوضات بين روسيا وألمانيا بعقد ميثاق عدم اعتداء بين الدولتين. وبعد ذلك طرد المندوبون الإنجليز والفرنسيون، ولكن إنجلترا لم تغضب ولاذت بالصمت وتذرعت بالصبر. وقد كان من نتائج ميثاق عدم الاعتداء الألمانى الروسى قيام الحرب الأخيرة؛ فإن ألمانيا وقد اطمأنت إلى سلامة حدودها الشرقية أشعلت نار الحرب وتقدم الألمان يفتحون البلاد غربا وشمالا وجنوبا حتى احتلوا شبه جزيرة البلقان، وبدأت روسيا تسعى لتحقيق حلمها القديم وهو الوصول إلى البحر الأبيض المتوسط، فطالبت ألمانيا بأن تعطيها ميناء عليه، ولكن ألمانيا رفضت واضطرت إلى إعلان الحرب على روسيا. وسارعت إنجلترا إلى روسيا تمد لها يد المساعدة، وبواسطة الدم الروسى والعتاد الأمريكى كسبت بريطانيا الحرب العالمية الثانية

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بسنود الثانوية

الاختلاف فيما بينهم فإنهم يقررون أن الأحوال مواهب، والمقامات مكاسب ، وأن الحال معنى يرد على القلب من غير اكتساب ، بل عن طريق الجود ، وأن المقام يحصل ببذل المجهود . أضف إلى ذلك أن صاحب الحال مترق عن حاله ، وصاحب المقام ممكن في مقامه ، وأن الحال سمى حالا لتحوله ، والمقام مقاما لثبوته

ومن أمثلة الأحوال التي تحل بقلب الصوفي ، الطرب والحزن والبسط والقبض والانزعاج والهيبة ، ومن أمثلة المقامات التي تصير كسبا له؛ التوبة والورع والزهد والصبر والشكر والمعرفة والمحبة (٢)

٣ — والكلام فيما يعرض للنفس من هواجس وخواطر ، وبيان طرائق المجاهدة وما يعرض للقلوب من أحوال وما تكتسبه من مقامات ، كل أولئك مباحث ذوقية سماها المتصوفة بعلم الباطن أو علم الوراثة أو الحقيقة أو الدراية، وفرقوا بينها وبين علم الظاهر أو علم النقل أو علم الرواية

يقول السراج الطوسي في اللمع عن علم الباطن وعلم الظاهر والفرق بينهما « إن علم الشريعة علم واحد ، وهو اسم واحد يجمع معنيين : الرواية والدراية ، فإذا جمعتهما فهو علم الشريعة الداعية إلى الأعمال الظاهرة والباطنة ... والأعمال الظاهرة كأعمال الجوارح الظاهرة ، وهي العبادات والأحكام مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وغير ذلك فهذه العبادات ، وأما الأحكام فالحدود والطلاق والعتاق والبيوع والفرائض والقصاص وغيرها فهذا كله على الجوارح الظاهرة ... وأما الأعمال الباطنة فكأعمال القلوب، وهي المقامات والأحوال مثل التصديق والإيمان واليقين والصدق والإخلاص والمعرفة والمحبة والرضا والذكر والشكر ... فإذا قلنا علم الباطن أردنا بذلك علم أعمال الباطن التي هي على الجارحة الباطنة وهي القلب، كما أنا إذا قلنا علم الظاهر أشرنا إلى علم الأعمال الظاهرة التي هي على الجوارح الظاهرة » (٣)

وعلم الباطن عند الصوفية مستمد من الشريعة فلا خلاف بينهما ، وغاية ما في الأمر أن علم الباطن علم ذوقي تنطوي عليه الشريعة ، ومتى تحقق العبد بأحكام الشريعة ، وعمل بالكتاب والسنة ، واتجه بقلبه نحو الله وسلك طريق الذوق ، فقد حصل على ذلك العلم ، فالحقيقة ثمرة الشريعة ، وإلى ذلك أشار الشعراني بقوله عن علم الباطن « هو علم انقدح في قلوب الأولياء حين استنارت بالكتاب والسنة ... والتصوف هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة » (٤)

وصور القشيري في الرسالة العلاقة بين الشريعة والحقيقة تصويرا رائعا فقال « الشريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية، فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول ، فالشريعة جاءت بتكاليف الخلق، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق ، فالشريعة أن تعبده ، والحقيقة أن تشهده ، والشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر » (٥)

وعلوم الحقيقة هي العلوم الحائزة على جميع مراتب اليقين . ورد في التعريفات للجرجاني « علم اليقين ظاهر الشريعة ، وعين اليقين ظاهر الإخلاص فيها ، وحق اليقين المشاهدة فيها » (٦)

ويقول القشيري في الرسالة «علم اليقين على موجب اصطلاحهم (أي الصوفية) ما كان بشرط البرهان ، وعين اليقين ما كان بحكم البيان ، وحق اليقين ما كان بنعت العيان » (٧)

ومن هذا يتضح لنا أن الصوفية يعتبرون علومهم علوما يقينية حائزة لجميع مراتب اليقين، وهي أسمى مرتبة من حيث يقينها عن سائر العلوم التي تعتمد على العقل وبراهينه واستدلالاته ، وهذا اليقين الذي تتميز به علوم الحقيقة عن سائر العلوم هو يقين كشفي ذوقي يتحقق به العبد متى سلك طريق الصوفية

---

(٢) اختلف الصوفية بشأن المحبة هل هي حال أو مقام، ويرى السهروردي في عوارف المعارف أنها حال ومقام في آن واحد . والمهم هو أن نلاحظ أن بعض الصوفية يعتبرون الحب الإلهي موصلا الى المعرفة ، والبعض الآخر يرى أن الحب الإلهي هو نتيجة للمعرفة ، والحق أن يقال ان الحب والشوق إلى الله يدفعان بالمتصوف الى التعرف على الله ، كما أن المعرفة بالله عز وجل تزيد من شدة الحب وقوته ، فالحب سابق ولاحق بالنسبة الى المعرفة

(٣) كتاب اللمع طبعة ليدن عام ٩١٤ م ص ٢٣

(٤) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤ طبعة عام ١٣٤٣ هـ

(٥) الرسالة القشيرية طبعة عام ١٣٣٠ هـ ص ٤٣

(٦) التعريفات مادة « حق اليقين »

(٧) الرسالة القشيرية ص ٤٤

ولهذا قد اتضح لنا الآن من خلال تقسيم الصوفية للعلوم إلى علوم ظاهرة وعلوم باطنة أن المعرفة على نوعين : النوع الأول معرفة عقلية ظاهرة تعتمد على العقل وأنظاره واستدلالاته ، ومعرفة باطنة ذوقية لا مدخل للعقل أو الحس فيها ، وإنما هي من قبيل المكاشفات، وهذه المعرفة الذوقية الباطنة التي لا تعتمد على العقل أو الحس تتخذ من القلب أداة لها. وفيما يلي توضيح ذلك :

٣ — إن الصوفية لا يعتمدون على العقل ، ولا سيما إذا كان موضوع معرفتهم هو الله سبحانه وتعالى ؛ إذ أن العقل عاجز عن إدراك حقيقة الذات الإلهية ، ولا يستطيع أن يتوصل إلى إدراك كنهها بضرب من القياس أو الاستدلال النظري . ويصور فريد الدين العطار — وهو من كبار شعراء الصوفية من الفرس — عجز العقل عن إدراك الله تصويرا بالغ الروعة فيقول « ذهبنا وراء عالم العقل والفهم ، العقل لا يجدي عليك ، إنما يأتي إليك بما يأتي به غربال من بئر . إنما يحاول العقل أن يدرك في هذا العالم ، ولكن هذا العقل الذي يفقد نفسه بجرعة من الخمر لا يقوى على المعرفة الإلهية ، العقل أجبن من أن يرفع الحجاب ويسير قدما إلى الحبيب (٨)

وحقيقة الأمر عند الصوفية أن الذات الإلهية تدرك إدراكا مباشرا ، لا مدخل للعقل فيه ، وذلك بواسطة أداة أخرى في الإنسان يسمونها عادة بالقلب(٩). فالقلب هو مركز المعرفة، والله سبحانه و تعالى هو الذي يقذف بالمعرفة في هذا القلب ، فيصبح صاحبه عارفا محيطا بكل شيء ، فالمعرفة لدنية بهذا المعنى ؛ أي أنها من لدن الله عز وجل

ويسوق الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين مثالا محسوسا رائعا يبين فيه كيف يكون القلب أداة للمعرفة الصوفية فيقول « لو فرضنا حوضا محفورا في الأرض احتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه، ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم ، وقد يكون أغزر وأكثر ، فذلك القلب مثل الحوض، والعلم مثل الماء، وتكون الحواس الخمس مثل الأنهار ، وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس، والاعتبار بالمشاهدات، حتى يمتلىء علما . ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ، ويعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تتفجر ينابيع العلم داخله » (١٠)

ومن هذا النص يتبين لنا أن الصوفية لا يعتمدون على الحواس الظاهرة في تحصيل علومهم ، وإنما يعتمدون على القلب فيأخذون أنفسهم بتطهيره من شوائب الحس وأدران المادة حتى تنكشف عنه الحجب ، ويصبح قادرا على إدراك الحقائق ، وقد أشار إلى هذا المعنى الأستاذ زينون نيكولسون بقوله « إن الصوفية لا يستعملون اسم القلب للدلالة على تلك المضغة الجاثمة في الصدر ، بل يعنون به جوهرا لطيفا غير مادي تدرك به حقائق الأشياء وتنعكس عليه كما تنعكس الصور على المرآة . . . ولكن مقدرة القلب على إدراك الحقائق وقبول صورها رهن بصفائه؛ لأن حجبه تختلف لطافة وكثافة بحسب ما يؤثر فيه من الحواس والشهوات والمعاصي وحب الذات ... ولكن بمقدار ما ينكشف عن القلب من هذه الحجب تكون قدرته على المشاهدة وإدراك الحقائق » (١١)

ومن كل ما سبق نستطيع أن نقرر أن الصوفية اتخذوا من القلب أداة لمعرفتهم، فهم لا يعتمدون على الحس وما يصطنعه أصحاب الحس من مناهج ، ولا يعتمدون على العقل وما يصطنعه أهله من بحث نظري واستدلال منطقي، وإنما هم يعمدون إلى الذوق، ومعنى هذا بعبارة أخرى أنهم يصطنعون منهجاً خاصا بهم في المعرفة . فما هو هذا المنهج وما هي خصائصه المميزة له ؟ وفيما يلي الجواب على ذلك :

(٨) الدكتور عبد الوهاب عزام بك: التصوف وفريد الدين العطار ص ٧١

(٩) قد يطلق الصوفية على القلب أحيانا اسم الروح أو العقل أو النور أو البصيرة أو غير ذلك من الأسماء التي وإن اختلفت في ظاهرها تدل على معنى واحد ، وهو أن المعرفة الصوفية تحصل بواسطة ملكة باطنة غير الحواس الظاهرة ، وغير العقل الذي يعتمد على الاستدلال المنطقي

(١٠) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٧

(١١) راجع كتاب في التصوف الإسلامي وتاريخه وهو طائفة من الدراسات التي قام بها نيكولسون ، نقلها إلى العربية وعلق عليها الدكتور أبو العلا عفيفي ص ٨٠

٤ – يصطنع الصوفية منهجا ذوقيا خاصا بهم ليس من السهل إخضاعه للدراسة العلمية ، فهو منهج خاص بأصحابه قاصر عليهم دون غيرهم . وإذا أردنا أن نعبر عنه تعبيراً سيكولوجيا قلنا إنه نوع من الاستبطان الذاتى، كما أن الإدراكات المباشرة التى يتوصل إليها الصوفى بهذا المنهج إدراكات خاصة لا يمكن إخضاعها للملاحظة الخارجية

هذا والصوفية يدركون الله سبحانه وتعالى إدراكا مباشراً مصحوبا بحالة وجدانية يصعب التعبير عنها بالألفاظ، وهذا الإدراك المباشر يسمى عندهم بالكشف

والكشف كما يعرفه الجرجانى « فى اللغة رفع الحجاب وفى الاصطلاح هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعانى الغيبية والأمور الحقيقية ، وجوداً وشهوداً »

ويقول الطوسى فى اللمع « الكشف بيان مايستتر على الفهم فيكشف عنه للعبد كأنه رأى عين » (١٢)

ويحدثنا ابن خلدون فى مقدمته عن الكشف فيقول : إنه يعرض لأصحاب المجاهدة وقد صفت نفوسهم من شوائب الحس فيدركون به من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم ، وبانكشاف حجاب الحس يتلقى الصوفى المواهب الربانية والعلوم اللدنية . ويحدثنا أيضا عن الكشف بما يفيد أنه من قبيل الوجدان ، ومن ثم قصرت مدارك من لم يشارك القوم ما هم بسبيله من أذواق ومواجيد عن فهم حقيقته .

وأورد الشعرانى فى الميزان عن محيى الدين بن عربى فى الفتوحات ما نصه « من علامة العلوم اللدنية أن عجها العقول من حيث إنكارها، ولا يكاد أحد من غير أهلها يقبلها إلا بالتسليم لأهلها من غير ذوق ، وذلك لأنها تأتى من طريق الكشف لا الفكر » (١٣)

ويقول الشعرانى أيضا « وكان الشيخ محيى الدين بن عربى يقول: أصل منازعة الناس فى المعارف الإلهية والإشارات الربانية كونها خارجة عن طور العقول، ومجيئها بغتة من غير نقل ونظر، ومن غير طريق العقل، فتنكرت على الناس من حيث طريقها فأنكروها وجهلوها » (١٤)

وفى رسالة أرسلها الشيخ محيى الدين بن عربى إلى الإمام فخر الدين الرازى (١٥) « أن الرجل لا يكمل فى مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عز وجل بلا واسطة من نقل أو شيخ . . فلا علم إلا ما كان عن كشف وشهود لا عن نظر وفكر وظن »

كذلك يرى الغزالى فى كيمياء السعادة أن اكتساب العلم اللدنى بارتفاع حجاب الحس المرسل بين القلب واللوح (١٦) .

ويحدثنا الغزالى فى كتابه إحياء علوم الدين (١٧) عن اكتساب العلم اللدنى فيظهرنا من خلال كلامه عن أن العلم الإنسانى يكتسب بطريقين: التعلم والاستدلال، ويسمى اعتباراً أو استبصاراً ويختص به العلماء والحكماء، وأما أن يهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدرى فهو نفث فى الروع ، ويسميه الغزالى فى رسالته اللدنية بالتعلم الربانى (١٨) .

ويعبر لنا الغزالى أيضا فى كتابه المنقذ من الضلال عن كيفية وصوله إلى اليقين بطريق الكشف والإلهام فيقول « ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى فى الصدر، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف ، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة فقد ضيق رحمة الله الواسعة » (١٩)

وكذلك يحدثنا السهروردى المقتول فى مقدمة كتابه حكمة الإشراق أن ما توصل إليه من العلوم فى منازلاته وخلواته لم يكن بطريق الفكر، بل كان حصوله بأمر آخر ، يقصد به الذوق أو الكشف ، وهو يقول «ولم يحصل لى أولا بالفكر بل كان حصوله بأمر آخر؛ ثم طلبت الحجة عليه حتى لو قطعت النظر عن الحجة مثلا ما كان يشككنى فيه مشكك »

كذلك يرى الجيلانى فى كتابه الإنسان الكامل فى معرفة

---

(١٢) اللمع ص ٣٤٦ .

(١٣) الميزان للشعرانى ص ٢٨ — ٢٩ .

(١٤) الطبقات الكبرى للشعرانى ج١ ص ٩ .

(١٥) ورد ذكر هذه الرسالة فى الطبقات الكبرى للشعرانى ج١ ص ٥ ، ونشرها عبد العزيز الميمنى الراجكوتى عن نسخة مخطوطة بحيدر آباد وهى طبعة المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٤ هـ .

(١٦) كيمياء السعادة للغزالى ص ١٥ :

(١٧) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٦ .

(١٨) الرسالة اللدنية للغزالى طبعة عام ١٣٤٣ هـ ص ٣٩ — ٤٣

(١٩) المنقذ من الضلال للغزالى بهامش الإنسان الكامل طبعة عام ١٣١٦ هـ ص ٧ .

الأوائل والأواخر (٢٠) أن إدراك الذات العلية هو بطريق الكشف الذي هو فوق العلم ومن قبيل الذوق

وإلى مثل ذلك ذهب الشيخ حسن رضوان وهو صوفي مصري توفي عام ١٣١٠ هـ في كتابه روض القلوب المستطاب (٢١) فهو يرى أن علم الحقيقة لم يتوصل اليه الصوفية عن طريق التفكير أو العقل ، وإنما عن طريق الكشف والإلهام

ويقول الأستاذ رينولد نيكولسون « فإن ما يسميه الصوفية المعرفة بالله ويعتبرونه من أخص صفاتهم يرادف في اللغة اليونانية كلمة gnosis التي معناها العلم بلا واسطة ، الناشئ عن الكشف والشهود (٢٢) .

ومن كل ما سبق نستخلص أن الكشف الصوفي يعرض لأصحاب المجاهدة وقد صفت نفوسهم من شوائب الحس، فيدركون به من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية ما لا يدرك سواهم من أرباب العقول ، وأن الكشف يتم بلا واسطة من نقل أو شيخ أو غير ذلك ، وإنما هو إدراك ذوقي مباشر تنكشف فيه حقائق الأمور ، وهو على حد تعبير الغزالي نور يقذفه الله في القلب

هذا ولكي نبين طبيعة الكشف باعتباره منهجا من مناهج المعرفة نفرق هنا بين نوعين من المعرفة : النوع الأول معرفة استدلالية Connaissance discursive والنوع الثاني معرفة مباشرة حدسية Connaissance intuitive فالمعرفة الاستدلالية ينتقل فيها الفكر من معنى إلى معنى، كأن ينتقل من المقدمات إلى النتائج، أما المعرفة الحدسية المباشرة فتختلف باختلاف موضوع الإدراك . فهناك إدراك مباشر يتناول الأمور المحسوسة ويسمى intuition sensible ويسميه ابن سينا بالمشاهدة ، وهو معرفة مباشرة للشيء الخارجي المحسوس، وهناك إدراك عقلي مباشر intuition rationnelle وهو إما أن يكون منطقيا كأن تدرك العلاقة بين معنيين إدراكا مباشراً بنظرة واحدة فهو بهذا المعنى سرعة الانتقال من مجهول إلى معلوم، أو يكون إدراكا عقليا ميتافزيقيا مباشراً Intuition métaphysique ويتناول موضوعات غير معطاة في عالم الحس ، وهذا النوع نجده مثلا عند ديكارت وسبنيوزا ، فديكارت يدرك نفسه إدراكا عقليا مباشراً باعتباره جوهراً مفكراً وذلك حين يقول Je pense, done je suis

وهذا الإدراك العقلي المباشر لا مدخل لعامل الزمن فيه فهو برهي أو آني إن صح هذا التعبير

وكذلك يرى سبنيوزا أن معرفة الله هي معرفة حدسية كلية شاملة يسميها Connaissance adéquate ويتولد عنها الحب الإلهي العقلي Amour intellectualis Die وهي تحمل في ثناياها يقينها ووضوحها

ومن الواضح كل الوضوح أن المعرفة الصوفية ليست من قبيل المعرفة الاستدلالية ، أو المعرفة الحسية المباشرة ، أو المعرفة العقلية المباشرة المنطقية ، أو المعرفة الميتافزيقية المباشرة العقلية ، إذ أنها لا تعتمد على العقل واستدلالاته ، ولا على المشاهدة الحسية وتجاربها، وإنما هي من قبيل العرفان المباشر Gnosis ويمكن تسميتها بلغة علم النفس الحديث ، بالمعرفة الوجدانية الصوفية المباشرة ، ووسيلتها هي الإدراك الصوفي الوجداني المباشر Intuition mystique

وهذا المعنى ينطبق تماما على مايطلق عليه الصوفية كلمة « كشف »

والآن ما هو موضوع المعرفة الصوفية التي تتخذ الكشف منهجاً لها ؟ وفيما يلي الجواب على ذلك :

للكلام بقية — أبو الوفا الغنيمي التفتازاني

(٢٠) الإنسان الكامل طبعة عام ١٣١٦ هـ ص ٢١ .
(٢١) روض القلوب المستطاب، القاهرة ١٣٢٢ هـ ص ٤٧٤ـ٤٧٥ .
(٢٢) في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ٧٤ .

لوامع النجوم

مختصر شمس العلوم

للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار

نشرت في عدد مضى [1] من هـذه المجلة الكريمة وصفا للمعجم المسمى « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم » لنشوان بن سعيد الحميري ، وقدمت صورة تقرب إلى الذهن هذا المعجم العظيم الذي لا يعرف ، مع أنه معجم رحب دقيق صحيح ، وذكرت في ذلك المقال : أن لهـذا المعجم مختصرا اسمه « ضياء الحلوم » وهو بمكتبة شيخ الإسلام الإمام عارف حكمة الله الحسيني بالمدينة المنورة ، وأن من الأصل نسخة بهـذه المكتبة

وعلمت بعد نشر مقالي الأول في الرسالة أن لهذا المعجم مختصرا آخر اسمه « لوامع النجوم » فبحثت عنه حتى وجدته ، ويستطيع قارئ هذه المجلة أن يدرك حقيقة شمس العلوم الموضوعية وطريقة تأليفه إذا ما وصفت له هـذا المختصر الذي يسير في الطريق الذي سار فيه « الشمس »

وقبل أن نبدأ وصف الموضوع والطريقة ، ننتهي من وصف النسخة وشكلها وما يتعلق بنعوتها المادية ، حتى إذا أنجزنا ذلك انتقلنا إلى صلب الكتاب

هذا المختصر الجديد اسمه — كما قلت — «لوامع النجوم» وعدد أوراقه ٣٥٨ ، وكل ورقة مكتوبة صفحتاها إلا الأولى والأخيرة فإنهما من وجه واحد ، وطول الورقة ٣٠ س وعرضها ١٦ س ، وفي كل صفحة ٢٨ سطرا ، وفي السطر ١٨ كلمة إلى ٢٠ ، والورق جيد إلا بعضه فقد انتكثت أطرافه ، ومن جراء ذلك نقصت كلمات كثيرة في بعض الصفحات ، إلا أنهـا تعرف من السياق

أما الخط فعربي ، ولكنه غير جميل ، وإن كان مقروءا بتعب ، والناسخ أهمل نقط كثير من الكلمات ، كما أغفل بعض الحروف كحذف همزة الوصل وحذف الألف في مواضع كثيرة

والخط بقلم الناسخ لا المؤلف ، لأن في آخر الكتاب سطرا مكتوبا بالقلم الذي خط به الكتاب كله وهو هـذا : (تم الثلاث عشر الخمس والثلاثين من ماه مبارك رمضان سنة خمس وثلاثين وثمانمائة) وهو يدل على أن كاتبه أعجمي ، وأغلب الظن أنه تركي الأصل ، لأن تركيب الجملة يدل على ذلك

والنسخة وقف ، وقد كتب في أول صفحة منه « وقف لله تعالى » كما كتبت الجملة نفسها في صفحة ٣٤٨ أول باب الصاد — وهو القسم الثاني من هـذا المختصر — وكتبت كلمة « وقف » في رأس صفحة ٧١٤ وصفحة ٧١٥

ولم يذكر الناسخ اسمه ، وإن كان قد ذكر تاريخ الفراغ من النسخ ، وهو التاريخ الذي ذكرناه للاستدلال بصيغته على أعجمية الناسخ

أما مؤلف « لوامع النجوم » فلم يكتب اسمه ، وبحثت فيما لدي من مراجع فلم أجد اسمه ولا سنة تأليفه أو الفراغ منه ، وسألت كثيرا من أصدقائي العلماء فلم يعرفوا الكتاب ولا اسم مؤلفه ، ولعل لدى المشتغلين باللغة والعلماء علما به فيكتب في الرسالة ما يظهره ويكشف حقيقته

وعكفت على الكتاب أقرؤه فلم أجد ما يشير إلى زمن المؤلف ، ولم أجد ما يشير إلى شيوخه أو تلامذته أو أنداده فأهتدي بهم إليه . والمقدمة نفسها خالية من اسم المؤلف وهي في سبعة سطور ، ولكن بعض كلماتها غير موجود ، لأن موضعه من الصفحة قد انتكل ، وهأنذا أنقلها بعد وضع النقط على الكلمات التي أهمل إعجامها ، ووضع الكلمات المأكولة اجتهادا مني وجعلها بين أقواس للدلالة عليها

وها هي ذي المقدمة : « الحمد لله الذي فضل الإنسان على سائر الحيوان ومن (عليه بالبيان) والسلام على رسوله أفصح من نطق بالضاد ، وأفضل من أوتي الشفاعة (يوم التناد) وعلى عترته وأحبابه . أما بعد فلما كان كتاب شمس العلوم مفيدا في علم اللغة غاية الإفادة ، شكر الله سعيه في كل الإجادة ، لم يوضع

---

(١) راجع الرسالة عدد ٩١٨ ربيع الأول سنة ١٣٧٠

فيه كتاب على هـــذا الترحيف (٢) يأمن كاتبـه وقارئه (من التصحيف) بحرس كل كلمة بنقطها وشكلها ، ويجعلها مع جنسها وشكلها . لـكن كان محتويا على (كلام العرب) ومشتملا على بعض قواعد من علم الأدب ، وعلى شىء من منافع الأشجار (وعلى) بعض ما يتعلق بالأحاديث والأخبار ، وعلى تفسير بعض الآيات ، وتبيين ألفاظ مما لا تعلق (له) باللغة كل التعلق ، ولا يدركه من لم يتعمق فى اللغة كل التعمق ، أردت أن (أختصر) اللغات فيه ، ليسهل تحصيله على طالبيه، فجاء بحمد الله مشتملا على جميع (الأبواب) هنالك مع ذكر بعض مايتعلق به من الأمثلة أو غير ذلك وسميته بلوامع النجوم »

وهو كشمس العلوم يسير على حروف المعجم ، وبدأ بحرف الهمزة ويسمى « كل حرف من حروف المعجم كتابا ، ثم جعل لـكل حرف من حروف المعجم بابا ، ثم جعل كل باب من تلك الأبواب شطرين : أسماء وأفعالا . ثم جعل لـكل كلمة من تلك الأسماء والأفعال وزنا ومثـالا . فحروف المعجم تحرس النقط وتحفظ الخط ، والأمثلة حارسة الحركات والشكل ، ورادة كل كلمة من بنائها إلى الأصل » (٣)

إنه سار على حروف المعجم ، وسمى — مثل شمس العلوم — كل حرف منها كتابا ، فيقول مثلا : كتاب الهمزة وكتاب الباء وهكذا حتى الياء ، ويذكر تحت عنوان كتاب الهمزة كل حرف مبدوء بها مقسما إلى أبواب ، فالهمزة مع غيرها من الحروف باب ، وهكذا الباء والتاء والثاء الخ

وطريقته فى مختصره أن يبدأ كل باب بحروف المضاعف مبتدئا بالمجرد من الأسماء وزن فعل (بفتح الفاء وسكون العين) فيذكر فى كتاب الهمزة باب الهمزة وحروف المضاعف، ويقول .

« فعل بفتح الفاء وسكون العين الأب المرعى . الأد القوة وهو الآد والأيد أيضا الأس كان ذلك على أس الدهر أى قدمه الخ »

ثم يذكر « فعل بضم الفاء أو من أسماء الرجال وأد أبو قبيلة س الأس الجمع آساس كأخفاف وكان ذلك على أس الدهر أى قدمه الخ »

ثم : « فعل بكسر الفاء د الإد الشىء المنكر س كان ذلك على إس الدهر أى قدمه ص لإص الأصل ل الإل الله عز وجل والإل العهد واليمين والإل القرابة »

ثم : « فعل بفتحتين الأمم القريب المقابل . داره أمم دارى أى مقابلتها . وبضم الفاء : دأدد أبو قبيلة من الجن »

وإذا انتهى من المجرد بدأ بالمزيد ويفصل بينهما بكلمة « زيادات » فيقول : « فاعل جئت بشىء أد وآد بمعنى وبالهاء (أى آدة) الآمة الشجة تبلغ أم الدماغ »

ثم يذكر « فعال بالفتح ث الأثاث متاع البيت واحدته أثاثة ، الفراء لا واحد له من لفظه ، والأثاث كثرة المال الخ »

ثم « وبالضم ج الماء الأجاج الملح ويقال الحادح الإحاح العطش والأحاح الغيظ ، فى صدره أحاح ن الأنان الأنين وبالهاء الخ »

ثم « فعال بالكسر ب هو فى إبابه فى جهازه ج الاجاج شدة الحر »

ثم يذكر « فعول بفتح الفاء وضم العين وكذا جميع مافى هذا الـكتاب من فعول غير محروس فإن أتى خلافه حرس بوزنه ص الأصوص الناقة الشديدة »

ثم « فعيل » وهكذا حتى ينتهى من الأسماء ليبدأ الأفعال فيذكر أبواب الثلاثى الستة فالرباعى المجرد ثم مزيد الثلاثى بحرف فحرفين فثلاثة ثم مزيد الرباعى وهكذا تحت عنوان « زيادات » يجعله بين السطور

وفى الـكتاب لونان : أسود وأحمر ، أما الأسود فالـكتاب كله إلا بعض هذه الإشارات ، مثل هذه العناوين الداخلة بين السطور : « الزيادة ، والأسماء ، والأفعال » وبعض العلامات فبالقلم الأحمر ، ومن هذه العلامات أنه إذا أراد أن يذكر فعالا ، فى باب الهمزة كتب « ب » بقلم دقيق يرمز به إلى أن الـكلمة الآتية من باب الهمزة أى مبدوءة بالهمزة يعقبها حرف الباء

---

(٢) لم أجد الترحيف فى المعاجم التى بين يدى ولم أجده فى لوامع النجوم نفسه ولعله « الترصيف »

(٣) راجع مقدمة شمس العلوم مخطوط مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الله الحسينى بالمدينة المنورة

مباشرة مثل إ ب ، وإذا انتهى من الباء وضع ت أو ث صغيرة الحجم جدا وهكذا ، وإذا لم يرد من وزن فعال ما فيه حرف التاء بعد الهمزة انتقل إلى الحرف الذى ورد من هذه الصيغة مثل : إجاج . ويضع الرمز بحرف جد صغير ودقيق هكذا ج الإجاج شدة الحر

والكتاب جزءان في مجلد واحد ، وإن لم يذكر المؤلف أو الناسخ ذلك . إلا أننا زعمنا هذا من مظاهر الكتاب ، فهو يضع كل « كتاب » عندما ينتهى من سابقه فى الوضع الذى ينتهى إليه بدون أن يجعله مستقلا من أول الصفحة أو أول السطر ، إلا أنه عندما انتهى من حرف الشين بق ثلثا الصفحة فارغين أبيضين ، وترك الصفحة على حالها من البياض وانتقل إلى صفحة جديدة كتب فى وسطها « كتاب الصاد » وهى توافق صفحة ٣٤٨ أو ظهر الورقة الرابعة والسبعين بعد المائة ؛ ثم ينتهى الكتاب بحرف الياء مع الألف فى الورقة الأخيرة التى يوافقها فى الترتيب رقم ٣٦٨ أو الصفحة ٧١٥

وفى الكتاب اخطاء جد كثيرة من الناسخ لا تخلو منها صفحة من صفحاته ؛ حتى أن غير المتمكن فى اللغة لا يستطيع معرفة كثير منها ، مثال ذلك فى الصفحة الثانية : « هو فى إبانه فى جهاده » وصوابها : « هو فى إبابه فى جهازه » « والأحاج النيظ فى صدره أحاج » والصواب : « الأحاح الغيظ . فى صدره أحاح » وفى صفحة ٢٠٧ « الدرك بالقاف الجندفوق » وصوابها : « الدوق بالقاف الجندقوق » والجندقوق بفتح الجاء وكسرها بقلة كالقث الرطب نبطية معربة

ويغلب على الناسخ قلب الهمزة فى اسم الفاعل كطائر وقائم وصائم ونائم وبائع ياء فتصير : طايرا وقايما وصايما ونايما وبايعا ، مثال ذلك ما ورد فى صفحة ٣٢ (الباسوس طاير) وجاء فى هذه الصفحة نفسها ما خطه الناسخ هكذا : (أبلح النحل صار فيه البحل) وصحته : « أبلح النخل صار فيه البلح »

ويسقط قلم الناسخ فى كثير من المواضع كلمات لا تدرك إلا بعد جهد ممن رسخ فى اللغة علمه ، وقل من أخطائه ما يدرك من السياق لغير المتمكن الضليع ، ومن أخطائه التى تعد أقرب إلى البيان والظهور ما أنقله كما كتب للدلالة على جناية الناسخ على المؤلف – رحمهما الله –

جاء فى صفحة ١٠ : (البلاط الحجارة المفروشة وكل شىء فرشت به الدارين حجره وغيره فهو بلاط ع اسم من التبليغ والبلاع الكماية)

فالناسخ أهمل نقط كثير من الحروف وسقطت منه كلة وصحف أخرى ، وزاد حرفا وغير ذلك ، وصواب تلك الجلة خطا وكتابة وتركيبا كهذا « البلاط الحجارة المفروشة وكل شىء فرشت به الدار من حجر وغيره فهو بلاط غ البلاغ اسم من التبليغ والبلاغ الكفاية »

* * *

وبعد هذا أتجه إلى الحكومة اليمنية التى تتولى طبع معجم شمس العلوم من جديد لأطلب إليها ما طلبته فى كلمى السابقة ، لا وهو العناية كل العناية بترتيب هذا المعجم العظيم وتنسيقه وتبويبه وإتقان طبعه وتأليف فهرس لألفاظه يكون مفتاحا بيد المراجع ومرشدا إياه إلى ما يريد ، وذلك مثل فهرس الجمهرة لابن دريد المطبوع فى الهند ، ثم أطلب إلى العلامة الشيخ عبد الله ابن عبد الكريم الجرافى الذى انتدب من حكومة اليمن لنشر شمس العلوم أن يطلع على هذه النسخة الخطية من « لوامع النجوم » إذا لم تكن فى مكتبات اليمن القيمة نسخة منه

وإننى سأبعث إليه مخطوطة هذا المختصر إذا رغب ، وهى بمكتبة الأستاذ السيد عبيد مدنى عضو مجلس الشورى بمكة والأستاذ السيد أمين مدنى رئيس بلدية المدينة المنورة الذين استعدا بتقديم هذه النسخة إلى الشيخ الجرافى عارية مستردة للاطلاع عليها . وفى وسع الشيخ الجرافى أن يطلبها من أحد مالكى النسخة لأنهما مقيمان بالحجاز ، أما أنا فسافر بعد أسبوعين إلى أسبانيا للاطلاع على مكتبة الأسكوريال ، ثم إلى باريس وبرلين ولندن والفاتيكان للاطلاع على مكتباتها التى تحوى نفائس التراث العربى الغالى الثمين ، وأرجو الله أن يوفقنا جميعا إلى خدمة لغة القرآن

مكة — أحمد عبد الغفور عطار

على هامش مشكلة اللاجئين

صوت مصر...

الآنسة فائزة عبد المجيد

(... وقال الكاتب العربى أ . م فى
الرسالة قولا كريماً حول مشكلة اللاجئين
كان له فى النفس هـذا الصدى ...)
ف ...

« قطرات من الدموع ، نداً من الرحمة ، وقليل مما يسد الرمق، ذلك ما يطلبه البائسون من المترفين، وحسبهم منه القليل » كما يقول لا مارتين ، ترى ، أكان من ذلك وحيك ، لتمسح جراحا وتهز قلوبا ، وتحيى ضمائر ، وحولك مأساة تكاد لها الجبال الصم تميد ؟ ..

قلت فى صرختك : « إننى كفرت بالضمير الإنسانى ، كفرت به حين كفر هو بكل وشيجة من وشائج الإنسانية ! وكل خليقة من خلائق الأحياء ، حين تكون هـذه الخلائق مجموعة من المشاعر والأحاسيس . . . مشاعر الدم الواحد واللغة الواحدة والتقاليد الواحدة وأحاسيس الأخوة والعروبة والجوار! » وإنه لحق ، لولا نفوس ترسل النداء — كما أرسلتموه — جهيراً قويا : ألا رفقاً أيتها الحادثات ، غفرانا أيها الإخاء المعذب ، فما نسينا لك — على الشدائد — عهداً ، وإن هادن الدهر ، وضلت عن السبيل القوافل :

قد هادن الدهر حتى لا قراع له وأطرق الخطب حتى ما به حرك

• • •

أو كفرت بالعروبة حين عادت لا تجمعها — عند النوازل — جامعة من دين ولغة وتاريخ ، حين دخلت معركتها الأولى بلا إيمان ، لتفضحها مشكلة اللاجئين ويصمها حكم التاريخ ، والدليل الحق لا يدفعه دافع ؟ أو راعك صوت التاريخ يقول لفلسطين ماقاله شاعر أثينا يوم هوت : « لقد اختفت أثينا من صفحة الوجود، ليختفى الربيع من فصولك أيها الزمن ! » .

أو أبكاك النشيد يهز بشجوه الحضر والبيد : « يا أخت أندلس عليك سلام .. »

وهل كانت محنة فلسطين إلا محنة العروبة فى شرفها تصاب ، وللعروبة أبناء فى فلسطين يردون موارد الهلاك أدلاء ، فما تقض مضاجعهم توجعاً من موت يسرى فى جموعهم ، ومن شقاء يبيدهم :

« سرى الموت فى الظلماء والقوم فى السكرى
وقام على ســـاق ونحن قعود »

وهل محنة فلسطين إلا محنة العروبة فى افتضاح قوتها ، فى عطلها من الرأى العام الذى يوجه السياسة العليا حين يقول كلمته وعلى إرادته ؟

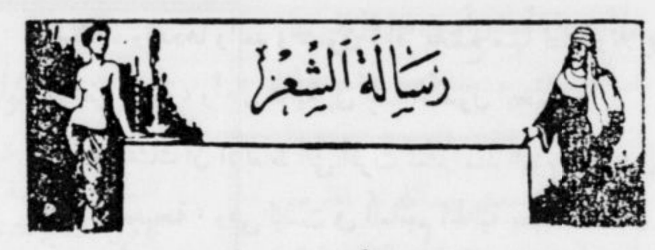
ألا تعال معى ، وطف فى تلك الكهوف واشهد : هنا الإنسانية تتعذب ، تلك الطفولة تذوى . تتطلع إلى النور فتحجبه عن نواظرها الدموع ، تشقى ، قبل أن يشقيها الكفاح . أو سمعتها وهى تقول : رب إنى مسنى الضر ؟ أو رأيت كيف غضنت الهموم جباه الصغار قبل السنين ، كيف غرقوا فى لجج اليأس ، أضحوا عبيداً قبل أن تظللهم راية الحرية ، تخلت عنهم محبة الأرض والسماء ، سقطوا ، وما من ضماد

ألا ، دع الصغار يبكون ، ثم ماذا ترى ؟ خياماً ممزقة ، أشباحاً فى أسمال ، نظرات جازعة ، وأكفاً ضارعة ،

ألا لا تسألن : دع الجراح فى الحنايا وفى الضلوع ، فأشدها حين تنكأ . دع لها الذكريات ، فما أمر تذكرها ! دع لها الدمع ينبئك ، ففيه بلاغ :

لم يبق شئ من الدنيا بأيدينا إلا بقية دمع فى مآقينا

نابلس — فلسطين فائزة عبد المجيد



لا يا أخي ..

للشاعر محمد مفتاح الفيتوري

الآن وجهي أسود .. ولأن وجـ   ـهك أبيض . سميتني عبدا
ووطئت إنسانيتي .. وحقرت رو   حانيتي .. فصنعت لي قيـدا
وشربت كرمي ظالما .. وأكلت بقلي   ناقما .. وتركت لي الحقدا
ولبست ما نسجت خيوط مغازلي   وتركت لي التنهيد والكمدا
وسكنت أبهاء القصاصير التي   بيدي نحت صخورها الصلدا
وأنا كم استلقيت في كوخ الدجى   ألتفح الظلمات والبردا
كالشاة ... أجتر الكآبة عاقداً   حولي دخان تفاهتي عقدا
حتى إذا انطفأت مصابيح السما   وانساب نهر الفجر ممتدا ..
أيقظت ماشيتي الهزيلة وانطلقـ   ـت أقودها لمراحها قودا
فإذا سمن نعمت أنت بلحمها   ونبذت لي الأمعاء والجلدا

* * *

لا يا أخي .. إن التهاب مشاعري   هيهات بعد اليوم أن يهدا
هيهات .. لم أخلق عليها بومة   تقتات بالديدان .. أو قردا
أنا كائن أمي وأمك طينة   والنور ليس لأبينا جدا
فإلام تحرمني حقوق بينما   تلق الرغادة أنت والمجدا
وإلام تستعلي بأنفك سيدا   وأنا أطأطئ هامتي عبدا

* * *

إني صحوت .. صحوت من أمسي وذي   فأمسي تهـد قبوره هدا
سأكون نارا فالحيـاة تريدني   ناراً .. وأرقص فوقها رعدا
فاخلع براقع كبريائك إنني   أسكنت جيفة ذاتي لحدا
واضمم يديك إلى يدي نشـد مما   صرح المحبة بيننا شيدا

* * *

إني أخوك فلا تعق أخوتي   فتزيد بركانيتي وقدا ...
إياك لا تبذر بذور عداوتي   فتروح تحصد شوكها حصدا
إياك لا تزرع حقولك موسجا   إني زرعت حقولي الوردا

محمد مفتاح الفيتوري

نار ورماد

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

عشقتك يافتنة الملهمين   كما يعشق الوردة البلبل
عشقتك والحب أشهى جنون   لدى شـاعر ليله أليل
تدله فهو نبي الفتون   وآياته شعره المرسـل
وغنيت شعراً وعته السنون   وردده الروض والجدول
وتنقله الريح للياسمين
فالدنى غزل
والهوى قبل
وأنت ارتعاشات عطر سجين

* * *

أيا كرمة الحب أين الرحيق ؟   وأين لياليك يا غانيـه ؟
وأين القلوب التي لا تفيق   وأين الصبابات يا ساليه ؟
أضلل روحك ومض البريق   تلألأ في ليـلة داجيه
أما كنت لي بسمات الشروق   وكنت بشائره الزاهيـه
تحت مواعيد واه خفوق
دهره ينوح
عمره جريح
فلا تسألي كيف ضل الطريق

* * *

حنانيك ياجنة الأمنيات   إلام الطواف وراء المحـال
وفيم التمامل بالذكريات   وكل الذي نرتجيه خيال
أتنسين أنا بتيه الحياة   زوال يخب وراء الزوال
وأنا سراب بدا في فلاة   تقمص تيهاً رداء الجمال
وصال وما هو إلا رفات
تعـالى كما
تسامى السما
ويلبس زوراً رداء التقـاة

* * *

عشقنا دروب الأسى والسقم   فأيان نسر فدنيا عذاب
لقـد جمعتنا طيوف الألم   ووحـدنا حبنا للسراب
سئمنا، هل العمر إلا سأم   وشبنا ونحن بفجر الشباب

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

إقرار كلمات محدثة :

يذكر قراء « الرسالة » البحث القيم الذى ألقاه الأستاذ أحمد حسن الزيات فى العام الماضى بمؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وكان موضوعه « حق المحدثين فى الوضع اللغوى » ونشرته الرسالة إذ ذاك ، وقد عقبت عليه وأوردت أهم ما دار فى مؤتمر المجمع .

وكان ذلك البحث تمهيدا وأساسا للنتيجة العملية التى ظفرت بها اللغة فى الأسبوع الماضى ، إذ عرض الأستاذ على مجلس المجمع فى جلسة يوم ٢ مايو سنة ١٩٥١ طائفة من الألفاظ المسموعة عن المحدثين على خلاف ما سمع عن العرب الأولين فى الأصيغة أو فى الدلالة ، وعددها واحد وخمسون ، أقر المجمع منها تسعة وثلاثين ورفض أربعة ، وأحال ثمانية إلى لجنة الأصول لبحثها

ولا شك أن الألفاظ التى أقرت تعتبر منذ اليوم مضافة إلى اللغة الصحيحة ، وهى ليست فى المعاجم الحالية بطبيعة الحال ، ولا بد أن يشتمل عليها ما يوضع بعد من المعاجم ، ولهذا الموضوع أهمية كبيرة ، ليست مقصورة على إضافة هذه المجموعة من الألفاظ بمعانيها الجديدة إلى اللغة ، وإنما هى إلى ذلك فى إقرار قبول الوضع والسماع من المحدثين ، فلم تعد اللغة وقفاً على ما سمع من العرب الأولين ، بل صار للأحياء الذين يستعملونها حق التصرف فيها على حسب حاجاتهم ، على أن يشرف المجمع على استعمال هذا الحق ، باعتباره المختص باللغة القيم عليها

وفيما يلى طائفة من الألفاظ التى وافق عليها المجمع مع بيان الأستاذ الزيات ما يسوغ إقرارها ، والبقية فى الأسبوع القادم :

١ — ساهم : يستعمل المحدثون ساهم بمعنى شارك وقاسم ، والعرب لم يستعملوه إلا فى القارعة وهى الغلبة فى القرعة .

فديتك هل نحن إلا حلم ... تجسد مستكبراً بالتراب
وعربد وهو ربيب العدم
عمرنا لهب
حبنا عجب
فلا تندمى ليس يجدى الندم

* * *

رمادى تأوه منذ الأزل ... وما زال ظمآن دامى الجراح
أيبقى على ناره يبتهل ... سجين الخطايا كسير الجناح
فيا باري أين نور الأمل ... ويا باري أين درب الصلاح ؟!
أليس لكل كتاب أجل ... أليس لكل مساء صباح
لقد ضاق صدرى ومل الملل
ودارت كؤوس
وغابت شموس
وما زال جرحى لم يندمل

* * *

أدلمت روحى وأنت الأمان ... وأظلمت قلبى وأنت القمر
فأرسلتنى فى ركاب الزمان ... حداء تفجع منه القدر
ومنيتنى والأمانى دخان ... كفرت بها اليوم فيمن كفر
أأحيا بأحلام دنيا الجنان ... وترقص حولى جنوناً سقر
ويلثم جرحى ثغر السنان
وجودى عدم
شرودى ألم
وبوى دموع وعمرى هوان

* * *

أيا مانح الروح هذا الجسد ... علام كتبت عليه الشقاء ؟!
أتوعده بنعيم الرغد ... وتحرمه من طيوف الهناء ؟!
أتغريه بالحسن نهداً وخد ... وتصليه بالنار بعد الفناء ؟!
أتقذفه فى خضم النكد ... وتتركه بين ناب القضاء
لينهشه أفعوان الحسد
حياتى سقر
وذاتى ضجر
فهات جحيمك صبرى نفد

* * *

عبد القادر رشيد الناصرى

ولاستعمال المحدثين أصل ، فقد قال العرب : تساهموا الشيء : تقاسموه . واستعملوا السهم بمعنى المقاسم لغيره بالسهم ، قال البديع فى إحدى رسائله « افترضى أن تكون سهيم حمزة فى الشهادة » .

٢ — هدف واستهدف : صاغ المحدثون من الهدف بمعنى الغرض ، هدف إلى الشيء قصد إليه ، واستهدف الشيء جعله هدفاً له . والعرب لا يستعملون هدف إليه إلا بمعنى دخل وقارب ، ولا استهدف الشيء إلا لازماً بمعنى انتصب وارتفع ودنا منك .

٣ — المظاهرة : يستعمل المحدثون المظاهرة بمعنى إعلان رأى أو إظهار عاطفة فى صورة جماعية ، وهى تقابل فى هذه الدلالة لفظ Manifestation فى الفرنسية والإنجليزية . والعرب يستعملونها بمعنى العون من الظهر ، كالمساعدة من الساعد ، والمعاضدة من العضد ، والمكاتفة من الكتف . والأقرب إلى المعنى الحديث تظاهروا تظاهراً ، فقد قالوا تظاهر فلان بالشيء أظهره ، ولكن المظاهرة شاعت حتى ليصعب على الناس العدول عنها .

٤ — تجمهر : يقول المحدثون : تجمهر الناس : اجتمعوا . والعرب يقولون : تجمهر علينا : تطاول . ولاستعمال المحدثين أصل من قولهم : جمهر التراب : جمع بعضه فوق بعض

٥ — الكتلة والتكتل : يقول المحدثون : تكتل الناس : صاروا كتلة ، أى جماعة متفقة على رأى واحد . والعرب لا يعرفون تكتل إلا بمعنى تجمع الشيء وتدور ، ولا من الكتلة إلا بمعنى ما جمع من التمر والطين ونحوهما ، والكتلة فى لغة العلوم والحضارة تقابل لفظ Masse فى الفرنسية والإنجليزية

٦ — الجلطة وتجلط الدم : الجلطة بالضم هى الجزءة الخاثرة من اللبن الرائب ، وقد توسع فيها المحدثون فأطلقوها من باب التشبيه على الجزءة من الدم إذا تخثر ، وقد اشتقوا منها تجلط الدم إذا تخثر

٧ — الدخان ودخن : يطلق المحدثون الدخان على التبغ ، ودخن بالتشديد على إحراقه ، وهو من قبيل المجاز المرسل

٨ — الحشيش والحشاش : يريد العرب بالحشيش ما يبس من الكلأ ، وبالحشاش من يقطع الحشيش على المبالغة . والمحدثون يريدون بهما فوق ذلك المادة المخدرة المعروفة ، ومن يتعاطاها

٩ — القنبلة : القنبلة فى اللغة : الطائفة من الناس أو من الخيل ، ومصيدة يصاد بها أبو براقش ، وفى استعمال المحدثين القذيفة المتفجرة ، يقذف بها مدفع أو طائرة أو يد . (وافق المجمع على هذه الكلمة على أن ينص على أن أصلها الفتح ثم ضمت وعلى أنها أقرت لأنها عرفت وشاعت)

١٠ — الفشل — فشل الرجل : كسل وضعف وتراخى وجبن عند حرب أو شدة . والمحدثون يستعملون

كشكول الأسبوع

□ نال رتبة البكوية فى الإنعامات الملكية الأخيرة ، صاحب العزة حسين توفيق الحكيم بك مدير دار الكتب المصرية وهو الأديب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم

ونال هذه الرتبة أيضاً الدكتور ابراهيم ناجي بك مدير القسم الطبي بوزارة الأوقاف وهو شاعرنا الكبير المعروف

ونال رتبة البكوية أيضاً صاحب العزة احمد بك رمزى مدير عام مصلحة الاقتصاد الدولى وأحد كتاب الرسالة تهنئنا لهم جميعاً

□ أصدرت لجنة التأليف والترجمة والنشر الجزء الأول من ديوان بشار بن برد ، نقلا عن نسخة خطية فريدة فى العالم كله ، وقد عنى بإخراج هذه النسخة الأستاذ العلامة السيد الطاهر بن عاشور شيخ جامع الزيتونة فى تونس ، مع إضافة شروح وتعليقات ، وقد تولى الوقوف على طبع هذا الديوان وتصحيحه ومراجعة ما فيه من الشروح والتعليقات الأستاذان رفعت فتح الله المدرس فى كلية اللغة العربية ومحمد شوقي أمين المحرر بالمجمع اللغوى . وقد خرج هذا الجزء مثالاً حسناً لنشر الذخائر العربية نشراً علمياً دقيقاً يرضى نزعة البحث والتحقيق

□ احتفلت جامعة أدباء العروبة بذكرى تأسيسها ، فى نادى الصحفيين ، فافتتح الاحتفال سعادة رئيسها ابراهيم دسوقى أباظة باشا بكلمة وجه فيها عتاباً إلى الصحافة لإهمالها الأدب بعد أن كانت تهتم به وتخصص له صفحات كاملة فى الجرائد اليومية

□ وفى هذا الاحتفال ألقى الدكتور ابراهيم سلامة كلمة دافع بها دفاعاً حاراً عن الشعراء الذين يعكفون على خواطرهم الذاتية فى أبراجهم العاجية ، فلما جاء دور الأستاذ احمد مخيمر نهض فألقى قصيدة قوية عاكس بها الدكتور سلامة .. إذ نعى على الشعراء عزلتهم وبعدهم عن حياة الناس ، ودعا إلى الإحساس بما فى الحياة الواقعة والشعور بالتبعة الاجتماعية

□ فى الندوة الكيلانية جاء ذكر ما قاله شكسبير على لسان « مكبث » بعد أن قتل الملك « دانكان » وهو : إن بحار الدنيا لا تستطيع أن تمحو نقط الدم من يدى . فقال الأستاذ كامل كيلانى : لقد أتى المعري بشبيه هذا المعنى على سبيل الحقيقة ، إذ قال فى رسالته إلى أبى القاسم المغربى « يجمع بين

فشل بمعنى خاب ، كأنهم يطلقون السبب ويريدون المسبب ، فهو من قبيل المجاز المرسل

١١ — الجيل : الجيل : الصنف من الناس ، وقد توسع فيه المولدون ، فاستعملوه على أهل الزمان الواحد ، ويظهر أن هذا الاستعمال قديم ، فقد قال المتنبي « وإنما نحن في جيل سواسية شر على الحر من سقم على بدن »

١٢ — القاع : القاع أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . والمحدثون يستعملونه في أقصى الشيء وعمقه ونهاية أسفله ، فيقولون قاع البئر وقاع النهر تفاديا من ذكر القعر .

١٣ — القهوة : يستعمل المحدثون القهوة في المكان الذي تشرب فيه ، وهو مجاز مرسل علاقته الحالية ، كقولهم نزلنا على ماء بني فلان ، أي على بئرهم ، والمؤمنون في رحمة الله ، أي في جنته . وهذا الاستعمال صحيح يغنينا عن كلمة المقهى الثقيلة

١٤ — غير : يدخل المحدثون عليه أداة التعريف ، ويجمعونه على أغيار ، ولم يسمع ذلك عن الأولين . والتعريف والجمع أمران تقتضيهما الحال ؛ وعلى الأخص في لغة القانون

١٥ — الغيرية : عرف المتقدمون الغيرية مقابلا للعينية ، وهي أن يكون كل من الشيئين خلاف الآخر . ويستعملها المحدثون اليوم مقابلا للأنانية فتكون معنى من معاني الإيثار .

١٦ — الشقي : ضد السعيد . والمحدثون يطلقونه أيضا على اللص وقاطع الطريق (وافق المجمع على هذه الكلمة على أن يزاد في شرحها أن تدل على الأطفال « المفاريت ») .

١٧ — التأميم : أمم الرجل المكان قصده . والمسموع اليوم من المحدثين أنهم يقولون : أمم الشيء : جعله ملكا للأمة

١٨ — التدويل : اشتق المحدثون من لفظ الدولة — دول المكان وغيره جعله دوليا

١٩ — التصنيع : قال العرب : صنع الجارية : أحسن إليها وسمنها ، وتصنيع الشيء : تحسينه وتزيينه بالصناعة . والمحدثون يريدون بالتصنيع معنى جديدا وهو جعل الأمة صناعية بالوسائل العلمية

٢٠ — التركيز : ركز الرمح ونحوه : غرزه في الأرض . والمحدثون يطلقون التركيز على التكثيف والتجميع والحصر ، فيقولون : ركز اللبن ونحوه : كثفه ، وركز فكره في كذا : حصره

٢١ — أعدم المجرم : يقول المحدثون : أعدم الجلاد المجرم . شنقه . والمسموع عن العرب : أعدم الرجل : افتقر ، وأعدم فلانا : منعه ، وأعدم الله فلانا الشيء . جعله عادما له

٢٢ — التقاليد : جمع تقليد . ويريد بها المحدثون السنن الموروثة والعرف المتناقل . وهي من قول العرب

اللفظ القليل والمعنى الجليل جم الأفعوان بين القلة وفقد البلة ، والبلة : الشفاء

□ وقال دولة احمد حلمى باشا في البيت المشهور :

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها
عند التقلب في أنيابها العطب

قال : إن الأفعى لا تقذف السم إلا إذا انقلبت على ظهرها ، وهذا هو معنى التقلب في البيت ، وفيه إيماء لطيف إلى تقلب المنافق

□ نشرت « المصري » بعض مواد قانون التعليم الجديد ، وقد جاء فيها هذا النص « ويجوز إبدال ورقة امتحان اللغة الأوربية بورقة إضافية في اللغة العربية أو في أخرى لمن لم يتقنوا لغة أوربية » والذي نعرفه أن الباء في مثل هذا التعبير تدخل على المتروك ، ولكنا نراها هنا تدخل على مقابله وهو خطأ شائع ، ولكن اللائق بوزارة العلم والتعليم أن تتحرز منه وخاصة في قانون يعد للصدور باسم الدولة

□ كتب إلى زميل صديق من خريجي دار العلوم ، يشكو من القيود التي تفرضها الكلية للتقييد بقسم « الماجستير » فهي تفرض امتحانا في مادتين من المواد المقررة ، وتحتم حضور محاضرات ، مما لا نظير له في الكليات الأخرى . وهذه قيود لا تتفق وظروف المتخرجين المفروض فيهم أنهم يزاولون الحياة العملية ويقدمون بهذه الدراسات في أوقات الفراغ ويكتفى من مثلهم بما يقدمون من بحوث

□ أوشك الأستاذان حامد عبد المجيد وأحمد بدوى ، أن يفرغا من تحقيق كتاب البديع في نقد الشعر ، تأليف أسامة بن منقذ ويمتاز هذا الكتاب بكثرة الإستشهاد ودقة النقد والموازنات ، وهو مرجع هام في البلاغة وتاريخ النقد ، يصحح كثيرا من القضايا المتداولة ولم يقطع الأستاذان المحققان بعد برأى في طريقة نشر الكتاب وجدير بإدارة الثقافة بوزارة المعارف أن تتولى طبعه ونشره ، لأنه أليق بمهمتها في نشر التراث الثقافي

□ ظفر الأستاذ محمود أحمد بالجائزة الأولى في مسابقة وزارة الشئون الاجتماعية للتأليف المسرحي ، بروايته « بائعة الكستناء » وهي تمثيلية تصور حياة فريق من الطلبة الغرباء بمصر وآراءهم وأفكارهم فيما يحيط بهم ، وكانت البطلة تبيعهم الكستناء (أبو فرودة)

قلده فى كذا . تبعه من غير نظر ولا تأمل .

٢٣ ــ القيم : يقول المحدثون كتاب قيم ومقالة قيمة، أى له ولها قيمة . ولم يسمع عن العرب هذا المعنى ، وإنما يطلقون القيم على زوج المرأة وعلى متولى الأمر . والقيمة الديانة المستقيمة

٢٤ ــ أثث البيت . اشتق المحدثون من الأثاث وهو متاع البيت : أثث المسكن جمل فيه أثاثا . والمتقدمون لا يقولون إلا أثث الفراش أو البساط إذا وطأه ووثره

الأدب فى تاريخ « الأهرام » :

أصدرت صحيفة « الأهرام » فى الأسبوع الماضى ، عددا ممتازا لمناسبة مرور خمس وسبعين سنة على إنشائها ، وقد عنيت بإبراز تاريخ مصر فى هذه الفترة (١٨٧٦ـ١٩٥٠) ذلك التاريخ المنعكس على صفحاتها ، فهى سجل حافل ومرجع شامل لما مر بالبلاد فى تلك الحقبة من أحداث وما قام فيها من مسائل ومشكلات ، وكانت مجال الأقلام فى كل ما يهم الناس ويشغل الأذهان ، من شؤون السياسة والاجتماع والاقتصاد ... الخ

وقد حفل العدد الممتاز ببيان النواحى المختلفة للحياة المصرية من حيث انعكاسها على صفحات الجريدة ، ونال كل شىء من عنايتها عدا الأدب ... اشتمل العدد على مختلف الشؤون ، حتى الرياضة وأبطالها ، والسباق وأسماء الخيل ، أما الحركة الأدبية وأعلامها فلم تظفر بكلمة واحدة !

ولم ذلك ؟ ألأن « الأهرام » لم تكن فى حياتها الماضية مجالا للأدب ، ولم تمكس صفحاتها شمسه ، أم أنها أصبحت الآن لا تعنى بالأدب ولا تحسب له حسابا ؟

أما الأول فلا ... فحياة صحيفتنا العريقة زاخرة بآثار الأدباء وقصائد الشعراء ، وقد ولى التحرير ورياسة التحرير فيها أدباء كبار ، ولا أظن أديبا من الأدباء المعروفين إلا كتب فيها . وقد خصصت فى كثير من الأحيان صفحة للأدب صالت فيها الأقلام وجالت ، وإن اختلط الحابل بها والنابل ...

ومن الطريف فى هذا الصدد ، بل من التليد ، أن الترخيص الذى صدر بإنشاء « الأهرام » سنة ١٨٩٥ تضمن ما يدل على أن الشؤون الأدبية كانت من أغراض إنشائها ، وهذا هو نص الترخيص .

« رخصت الخارجية لحضرة سليم تقلا باشا بإنشاء مطبعة تسمى الأهرام ، كائنة بجهة المنشية بالإسكندرية ، يطبع فيها جريدة تسمى الأهرام تشتمل على التلغرافات والمواد التجارية والعلمية والزراعية والمحلية ، وكذا بعض كتب كمقامات الحريرى وبعض ما يتعلق بالصرف والنحو واللغة والطب والرياضيات والأشياء التاريخية والحكمة والنوادر وما يماثل ذلك وقد أمرت الخارجية محافظ الإسكندرية بعدم المعارضة للمذكور فى إنشاء المطبعة المحكى عنها »

ولا شك أن الكاتب النحرير الذى كتب ذلك الترخيص كان يريد أن يذكر الأدب فى جملة ما ستعنى به الأهرام ، فعبر عن ذلك بمقامات الحريرى والصرف والنحو واللغة والحكمة والنوادر ...

هذه لمحة خاطفة عن ماضى « الأهرام » بالنسبة للحركة الأدبية التى أهملتها فى عددها الممتاز الأخير ، وهو ماض ينطق بأن الأدب كان من أهم نواحى حياتها ، لا فى الموضوعات الأدبية وحدها ، بل الأدب يتمثل كذلك أحيانا فى الأسلوب الذى تصاغ به المواد الأخرى ؛ فقد كان محرروها يتعمدون الجزالة والإتيان بالعبارات التى يعدونها من بليغ القول على حسب المفهوم العام للأدب فى عصرهم ، وكثيرا ما كانوا يأتون بالأسجاع فى العناوين مثل « أنباء الحرب والقتال فى بلاد الترنسفال » وذلك إظهارا للمقدرة الأدبية على ما كانوا يفهمونها ...

فلم يبق إذن إلا أن « الأهرام » الآن لا تعنى بالأدب ولا تحسب له حسابا ... ولكن إذا حق لها أن تتجرد منه فى الحاضر ، فهل يجوز لها أن تمحه من التاريخ . . ؟

عباس خضر



الفتوة عند العرب

تأليف الأستاذ عمر الدسوقي

للأستاذ إبراهيم الوائلي

الأدب ومضة من ومضات الحياة تلألأ خلال الظلام وتبعث أضواءها في طريق الركب ليسير على هدى ووعى . والأديب هو ابن بيئته وأمته ومجتمعه، ورسالته في الحياة رسالة عامة لا تقف عند حدود المسارب الضيقة ، وليست رسالة الأديب هي التي تنبع من نفسه وتعيش في نفسه فقط ، سواء أكان شاعرا أم كاتبا قصاصا أم مؤلفا ، وسواء أكان يستوحي الماضي البعيد أم الحاضر المشاهد ، وإذا كان الإنتاج الفكري هو ما يتصل بالحياة العامة ويواكب المجتمع فإن ما عدا ذلك إنتاج عائم يطفو كما يطفو الطحلب على سطح الماء ؛ حتى إذا مرت به العاصفة ذاب وتلاشى . لماذا يجب أن يكون الأديب والمفكر كذلك ؟ لأننا الآن عبيد أرقاء لا نملك من أمرنا شيئا ، ويجب أن نعيش أحرارا نتصرف في حياتنا وشؤوننا كما يتصرف البشر في حياتهم وشؤونهم ، وعلى كل أديب عربي ومفكر عربي أن يكون في رأس القافلة ليشارك في معالجة أوضاعنا معالجة واقعية، وإلا كان أديبا تافها ومؤلفا سطحيا لا يفكر ولا يحس ، أو يفكر ويحس ولكنه ضعيف الاندفاع مشلول الحركة . وكلتا الحالتين لا تؤدي إلى غاية ولا تصل إلى هدف

وإذا كان الشأن كذلك فما هي قيمة كتاب « الفتوة عند العرب » ؟ وفي أي اتجاه يسير ؟

قبل أن أتحدث عن الكتاب أحب أن أشير إلى صاحبه . وصاحبه هو أستاذنا عمر الدسوقي أستاذ الأدب العربي في كلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول . لقد اتصلت بالأستاذ الدسوقي عن كثب ، وتحدثت إليه كثيرا وتحدث إلي كثيرا ، فلمست فيه ما لم ألمسه إلا في القليل ممن عرفتهم . لمست فيه روح القومية العربية ، والاعتزاز بالعرب اعتزازا يكاد يصل إلى درجة الغلو ، وأحسبه على حق فيما يعتقد، فما كان العرب في ماضيهم وتاريخهم العربي أمة تافهة لا شأن لها ، وإنما كانوا سادة أنفسهم ، وأسياد غيرهم، ولكنهم فقدوا أهم مميزاتهم يوم أتيح للعناصر التي اندست في صفوفهم أن تتحكم وتسود ، فرقدوا شر رقدة تحت مطارق العبيد والمماليك والأفاقين . حتى إذا أريد لهم التخلص من هؤلاء كانت يد أخرى تستقبل الكرة لتلقفها فإذا بالعرب يخضعون خضوع العبيد لمستعمر آخر وسادة جدد وبقايا من أولئك العبيد والمماليك والأفاقين ، حتى كاد يكفر المتعلمون من العرب ـ الآن ـ بعروبتهم وتاريخهم ، وحتى أشاح بعض هؤلاء المتعلمين بوجهه عن تاريخ العرب وتراثهم ، مندفعا وراء الغرب في كل شيء ؛ وحتى أصبحنا الآن في بلبلة فكرية وقومية نتيجة للاضطراب السياسي والشعور بالخيبة من يقظتنا الأخيرة ، وليس لذلك من سبب إلا لأن الدم العربي قد كدر وتجمد ، والنفس العربية الأصيلة قد خثرت وضعفت ، فلم يعد ذلك الدم الفوار ، ولا تلك النفس الثائرة الجامحة

بمثل هذا الشعور والإحساس يندفع الأستاذ الدسوقي إلى استيحاء الماضي البعيد ويضع كتابه « الفتوة عند العرب » فيقص علينا من جديد تاريخ ذلك العنصر العريق من زاوية واحدة لعلها أهم الزوايا لمن يريد أن يتحدث عن العرب ، وهي زاوية الفتوة وما يتصل بها من مظاهر متشعبة تلتقي عند نقطة واحدة وإن تعددت من الأشكال والألوان

يقص علينا تاريخ العرب في فروسيتهم وشجاعتهم ونخوتهم وكرمهم ، ويعرض علينا ألوانا من الأشخاص الذين كان لهم شأن في الحياة العربية، الجاهلية والإسلامية، وألوانا من الشعر الذي يمثل تلك الحياة في أنبل مظاهرها

ويتحدث -- بعد المقدمة التي تشير إلى الحافز على تأليف الكتاب -- عن الفتوة في معناها اللغوي، وعن الفتوة في العصر

الجاهلى ، ومظاهر هذه الفتوة فى الشجاعة والكرم : كرم اليد التى لا تعرف البخل وإن لم تجد شيئا ، وكرم القلب الذى يتسع للكبير والصغير ، وكرم العقل الذى لا يعرف البلادة والتقليد . بل العقل الذى يزن ويحكم ويفكر ، ويرى العقل الذى عبد الأصنام ثم حطمها حين رأى أنها حجر لا يضر ولا ينفع . وفى حماية الضعيف : الجار والمستغيث والأسير ، والمرأة قربت أم بعدت

وحين ينتهى من العصر الجاهلى يتحدث عن العصر الإسلامى والدعوة الإسلامية ، والكفاح فى سبيل هذه الدعوة ، والرجال الذين ضحوا من أجلها وزعيمهم فيها (سيد الفتيان) محمد (ص) ولا ينسى أن يتحدث عن المرأة العربية فى عنايتها بولدها وتنشئته على الفروسية والشجاعة والخلال التى يتصف بها أبوه أو خاله ، ويضرب لذلك أمثلة كثيرة وشواهد من الرجز النسائى فى ترقيص الفتيان

وعندما ينتهى من هذا العرض التاريخى الذى يغلب عليه طابع الحماسة والإعجاب ؛ ينتقل بنا إلى فصل آخر يكاد يكون من التاريخ المجرد وإن تخللته أحيانا لمحات من التحليل والموازنة ، ينتقل بنا إلى الصوفية ، فهو يمجدها حينا لأنها كانت رد فعل لحياة الترف والمجون التى انغمس فيها المسلمون أيام الدولة العباسية ، ويهاجمها حينا آخر لأنها آثرت الزهد فى الحياة على الكفاح والنضال ، ثم يستعرض الفتوة عند بعض المتصوفين وشيئا من تاريخهم ، وكنت أود ألا يشير إلى بعض أعمال الصوفية ، أو بالأحرى أعمال بعض الصوفية ، فإن الكتاب دروس أمليت لتمس حياة العرب فى عصرهم الحاضر وتذكرهم بماضيهم المجيد . ولم يكن من الهين علينا أن نعيد ما سجله بعض المؤرخين من فتن ومشاحنات استغلها وأثارها رجال السياسة الذين يريدون أن يحكموا بأية وسيلة من وسائل التفريق ، معتمدين على فتاوى المعممين وأصحاب الربط والتكايا من الدراويش المتنطعين

ولنتجاوز هذا الفصل إلى فصل آخر وهو فتوة « المترفين » وتتجلى هذه الفتوة فى الصيد والرماية ، وأصحاب هذه الفتوة من أرباب الثراء والجاه ، وأبرز مظاهر هذه الفتوة فى عهد زعيمها الناصر لدين الله المتوفى سنة ٦٢٢ هـ وكان لابد من أن يتسلل الحديث فى هذا الفصل إلى الأيوبيين الذين طلب منهم الناصر أن ينتظموا فى سلك فتيانه ، ثم المماليك الذين جاءوا بعدهم وما كان من شأن هؤلاء فى محاربة الصليبيين نتيجة لتعلمهم الرماية والصيد ، وكأنه أراد بهذا الفصل أن يجعل من فتوة الناصر لدين الله مدرسة تخرج فيها من جاء بعده من هؤلاء ، كما كانت مدرسة النبى الكريم ، إذا كان لابد من التشبيه

وينتقل بعد هذا إلى الفروسية عند الغربيين ، ويوازن بينها وبين فتوة العرب ، ويعزو أكثر مظاهرها الجيدة إلى الاقتباس من العرب أيام الحروب الصليبية وفى عهد الأندلس ، ويدعم رأيه بالأدلة المادية الكثيرة

ثم يختم الكتاب بطائفة من الصور لفتوة العرب ، وهنا ينتقل بنا من الاستعراض التاريخى إلى الأسلوب القصصى ، فيعرض لنا هذه الصور فى إطار جذاب وخيال مبدع ، ينقلنا إلى آفاق تمتد بامتداد الصحراء العربية وما فيها من خصائص ومميزات طبعت العربى على تلك المزايا التى تحدث عنها الكتاب فى بدايته . ولا يعنى أن أتحدث عن هذه الصور فى كلمة قصيرة مثل هذه ، بل أدعها لمن يريد أن يستمتع بها ويتملاها كما أتيح لى ذلك

هذا هو الكتاب بوصفه الموجز ، وهو وصف لا أظنه يستطيع أن يتحدث كما يجب عن (٤٧٢) صفحة دعمت بالمصادر الكثيرة من عربى وأجنبى ومجلات ، فيها وفرة الاطلاع فجاءت تشق طريقها من أعماق التاريخ إلى حيث تقف القافلة الآن

فهل نستطيع بعد هذا أن نقول : إن الكتاب من العرب فى أقدم عصورهم وإلى العرب فى عصرهم الحاضر ؟ وهل نستطيع بعد هذا أن نقول : إن الكتاب درس من دروس القومية العربية لمن يهتمون بالقومية ؟ أظننا نستطيع أن نقول ذلك عندما نتجاوز تلك الهوة التى فصلت بين قمتين من قمم الكتاب ، وهى هوة الصوفية ، وقد اندست هذه الهوة تفرض نفسها بين القمتين بإيحاء من النهج التاريخى حسب ، كما اندست فى حياة العرب فكانت أكبر مخدر تسمم به ذلك الجسم الفارغ السليم

ابراهيم الوائلى

ديوان على بن الجهم

جمع وتحقيق العلامة خليل مردم بك

للاستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

تفضل صاحب المعالى شاعر الشام الأستاذ الجليل خليل مردم بك سكرتير المجمع اللغوى بدمشق فأهدى إلى نسخة من ديوان على بن الجهم الذى بذل جهداً مشكورا فى جمعه وشرحه وتحقيقه، ونسخة أخرى من ديوان الشاعر السورى الرقيق الملقب « بالوأواء الدمشقى » الذى قام بتحقيقه والتعليق عليه الدكتور الفاضل سامى الدهان. وكلا الديوانين كان آية فى إناقة الطبع. ودقة الشرح.. وقد صرفت — رغم مشاكلى — وقتاً غير قصير حتى قتلتهما دراسة وتمحيصاً، ويسرنى أن أقدم فى هذه الكلمة المتواضعة رأيى فى الديوان الأول لقراء الرسالة الغراء هنا وهناك، على أن أعود إلى الديوان الآخر فى فرصة أخرى

يقع ديوان على بن الجهم فى ٢٢٣ صفحة من القطع الكبير وتقع الدراسة التى كتبها الأستاذ مردم بك عن الشاعر فى ٤٧ صفحة. وهى دراسة شاملة جامعة، تطرق فيها الشارح إلى عصر الشاعر ونشأته وشعره، ودراسته والظروف التى أحاطت به حتى مقتله ووفاته. وليس لى اعتراض على كل ما قاله الأستاذ مردم بك، إلا إن الذى لفت نظرى فى هذه الدراسة الرواية التالية..

قال الشارح فى الصفحة « ٥ » من المقدمة « ولما بلغ السن التى يذهب بها الصغار إلى الكتاب، بدأ يذهب كل يوم من داره فى شارع « دجيل » ببغداد إلى كتاب فى الحى يجمع بين صغار الصبيان والبنات. وكان على حسن الوجه ذكى الفؤاد كثير النشاط. ظهرت عليه مخايل النجابة منذ طفولته، فكان يسمر البيت وثبا وقفزا ولعبا وضجيجا، حتى أقلق والده بضوضائه وجلبته، فسأل أبوه معلم الكتاب يوما أن يحبسه فى الكتاب، فلما رأى على رفاقه ينصرفون إلى دورهم؛ وهو محبوس، ضاق صدره فأخذ لوحته وكتب فيها إلى أمه

يا أمتا أفديك من أم ... أشكو إليك فظاظة « الجهم »

قد سرح الصبيان كلهمو ... وبقيت محصورا بلا جرم

وبعث باللوح إليها مع رفيق له من الصبيان. قال على « وهو أول شعر قلته وبعثت به إلى أمى، فأرسلت إلى أبي: والله لئن لم تطلقه لأخرجن حاسرة حتى أطلقه »

ومن حوادثه فى الكتاب أن أخذ لوحه يوما وكتب فيه إلى بنت صغيرة كانت معه

ماذا تقولين فيمن شفه سهر ... من جهد حبك حتى صار حيرانا

وأن البنت الصغيرة أخذت وكتبت تجيبه.

إذا رأينا محبا قد أضر به ... جهد الصبابة أوليناه إحسانا

وهكذا بدأ يقول الشعر وهو صغير جدا، ولعله كان دون عشر سنوات من عمره

فهذه الرواية التى يوردها الأستاذ مردم بك نقلا عن طبقات الشعراء لابن المعتز والأغانى ومختصر طبقات الحنابلة أشك فى صحتها بالرغم من المصادر التاريخية التى اعتمد عليها الشارح، وشكى يقع على سن الشاعر حين نظمه الأبيات المتقدمة، وهى العشر سنوات. إذ أن من المحال أن يستطيع طفل دون البلوغ أن يقول شعرا منظوما موزونا فيه معنى بصياغة عالية.. ومهما يكن ذلك الطفل ذكيا فلا يتسنى له الإجادة فى تلك السن المبكرة، لأن الشعر موهبة وصنعة تحتاج إلى حذق ومران. ولدى شواهد كثيرة من أن فحول الشعراء ما نظموا الشعر الجيد قبل العشرين أبدا.. وقبل الاطلاع على نفائس الشعر القديم وحفظه. لأن حفظ الشعر الجيد يربى الملكة ويقوى القابلية ويعصم الناظم من الاختلاف فى وزن الشعر، وقد كنت أود لو أن معالى الأستاذ حين إيراده هذه الرواية أن يعلق عليها بالشك، رغم ورودها فى المصادر الآنفة الذكر.

ولا أظن أن هذا الاعتراض البسيط، يحط من قيمة الديوان

أو من الجهد الجبار الذي بذله الشارح حين مراجعته لعشرات الكتب لتحقيق بيت أو إثبات كلمة . فهو جهد يستحق عليه كل تقدير وإجلال . كما أنني معه عند شكه في نسبة القصيدة المنشورة في صفحة ٤٨ من الديوان والتي مطلعها .

سل الدمع عن عيني وعن جسدي المضنى

وهل لقيت عيناى بعدكمو غمضا

إلى علي بن الجهم لاختلافها عن أسلوبه ونفسه ، وخصوصاً لما فيها من ذكر القيروان كما جاء

وإني أرى بالقيروان أحبتي

وأعتاض من ضنك منيت به خفضا

ومدحه لأبي مروان

بحبل أبي مروان أعلقت عروتي

وحسبي إعلاق صريح الملا محضا

ولا أشك مثله أنها موضوعة عن لسانه، لأن القارئ لا يشعر فيها بالعاطفة الجياشة التي يشعر بها عادة عند قراءته شعر ابن الجهم وخصوصاً قوله فيها

أقول وقد عيل اصطباري من النوى

وأصبح دمع العين للشوق مرفضا

كما قال قيس حين ضاق من الهوى

فلم يستطع في الحب بسطا ولا قبضا

« كأن بلاد الله حلقة خاتم

على فما تزداد طولا ولا عرضا »

فهذا شعر صناعة ، وهو أشبه ما يكون بشعر شعراء الفترة المظلمة ؛ كما أنني مثله في أن القطعة الأخيرة المنشورة في صفحة (١٩٦) للجاحظ لا لعلي بن الجهم وها هي

يا نورة الهجر جلوت الصفا لما بدت لي ليفة الصد

يا مئزر الأسقام حتى متى تنقع في حوض من الجهد

أوقد أتون الوصل لي مرة منك بز نبيل من الود

فالبين قد أرقد حمامه قد هاج قلبي مسلخ الوجد

أفسدخطمى الصفا والهوى نخالة الناقض للعهد

وهو أشبه ما يكون بشعر أصحاب الحمامات منه بشعر شاعر له منزلة عالية لدى الملوك كعلي بن الجهم .

هذه كلمة بسيطة أكتبها عن هذا الديوان الذي لولا جهود مردم بك لم يحظ قراء العربية به . إذ أن شعر ابن الجهم لم يجمع قبل الآن؛ ولولا الأستاذ خليل ما أتيح له أن يكون بين أيدينا، وخصوصاً وأن أكثر قراء العربية لم يقرأوا من شعره إلا بعض الأبيات منثورة في بطون الكتب، منها القصيدة المشهورة الملحقة بآخر الديوان والتي مطلعها

عيون المها بين الرصافة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

أعدن لي الشوق القديم ولم أكن

سلوت ولكن زدن جمرا على جمر

وهي قصيدة عامرة يذكرني أسلوبها القصصي الممتع بأسلوب عمر بن أبي ربيعة في أقاصيصه الشعرية، ولعله نظمها تأثراً به حيث يقول

وما أنس م الأشياء لا أنس قولها

لجارتها : ما أولع الحب بالحر

فقالت لها الأخرى فما لصديقنا

معنى وهل في قتله لك من عذر

الخ الحديث بينه وبين صاحبته وجارتها حتى يتخلص منها إلى مدح المتوكل

ولكن إحسان الخليفة جعفر

دعاني إلى ما قلت فيه من الشعر

هذا ما عناني كتابته عن هذا الديوان، شاكراً للعلامة مردم بك هديته الغالية، ومقدراً الجهود التي يبذلها أعضاء المجمع العلمي العربي في سبيل إحياء التراث العربي ، وعاتباً أشد العتب على صديقي الأستاذ الكبير محمد بهجت الأثري سكرتير المجمع العلمي العراقي على الكسل الذي لازمه ولازم أعضاءه ، فالمجمع وقد مرت على تأسيسه سنوات لم يحقق ولم يطبع كتاباً يستحق الذكر، مع أن ميزانيته لا تقل من أي مجمع عربي آخر . والذنب في كل ذلك يعود إلى الانتخاب الخاطئ الذي جرى بين أعضائه

بغداد عبد القادر رشيد الناصري



حول تحقيق مسألة

تفضل أستاذنا الكبير الزيات فنوه - مشكورا - بكتابنا (الأدب العربى بين الجاهلية والإسلام) فى عدد سابق من الرسالة الغراء. ولكنه لاحظ بعض الملاحظات فيما رجعنا إليه من كتابه (فى أصول الأدب). والحق أننا لا نجحد فضله فى هذا الكتاب وفى كتابه الآخر (تاريخ الأدب العربى)، وليس أدل على هذا من أننا أشرنا إليها فى كل مناسبة من كتابنا، كما لا ننكر أثره فى الأدب العربى بوجه عام. وإنما كان المنهج الدراسى الذى لاحظناه فى تأليفنا يقتضينا الاقتصار فى بعض الموضوعات على التلخيص أو الإشارة، دون تغلغل فى التفصيل أو تعمق فى التحليل، وخاصة بعض الآراء الفرضية كالملاقة بين أدب وآدم. أما موضوع (العوامل المؤثرة فى الأدب) فقد كان هدفنا أن نرشد الطلاب الناشئين إلى كل مصدر، وندلهم على كل مرجع، متقدم أو متأخر. وقد كتب فى هذا الموضوع الأستاذ أحمد الشايب، وإن كنا نعلم أنه رجع فى هذا الموضوع - كما رجع فى غيره - إلى كاتبه الأول (الزيات)، كما كتب فيه الدكتور أحمد ضيف فى مجلة دار العلوم ابريل سنة ١٩٣٧؛ أما كتاب (التوجيه الأدبى) فعذرنا فى الإشارة إليه كمصدر آخر، هو أننا لم نكن نعلم ماذكره أستاذنا الكبير الزيات بك من اعتماد الدكتور عبد الوهاب عزام على محاضرته فيه

فالمسألة إذن مسألة عرض مصادر، وعلى الباحث المستقصى أن يعرف الفضل لصاحبه؛ فليس فى ذكر هذه المصادر بجانب كتاب الأستاذ (الزيات) بك مجافاة لإنصافه، أو إنكار لسبقه، أو جحود لفضله. فحسبنا دليلا على حسن النية أننا لم نغفل التنويه بصاحب رأى، ولم نهمل الإشارة إلى مرجع، ولم نجحد مصدرا رجعنا إليه

أما أستاذنا وأستاذ الأدباء (الزيات)، فإنا نكن له من الإجلال، ونعرف له من الفضل على الأدب ما يسمو على كل شبهة، ويقره كل أديب

حسين جاد - عبد المنعم خفاجى

عبد الحميد المسلوت

حول النثر والشعر

أود أن أشير إشارة عابرة إلى تعليق الرسالة الزاهرة فى تخريج أسبقية النثر على ما رأته الآراء

فقد قرأت «لابن رشيق» فى العمدة كلاما لا يخلو من جمال وتحقيق حول نشأة الشعر من حيث يقول:

«وكان الكلام كله منثورا؛ فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأنجاد، وسمحائها الأجواد؛ لتهز أنفسها إلى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم؛ فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام؛ فلما تم لهم وزنه سموه شعراً لأنهم شعروا به أى فطنوا...»

ووجه الجمال فى هذا القول: أنه قال «الكلام» على وجه الإطلاق؛ فلم يصرف القصد إلى «النثر الفنى» لأن العرب لم تكن أمة كتابة، ولغة التخاطب كانت موحدة الأداء مع اختلاف اللهجات، والمنثور المعتمد على التأنى والابتداع لايتم إلا إذا تمت الملكة التعبيرية التى تجمع بين طرفى الإيجاز والإطناب ومراعاة مقتضى الحال، واختيار الألفاظ، والبراعة فى التصوير والتحليل، فالتعليق الحكيم الوجز من الرسالة إنما هو تنصيص على حقيقة «الأسلوب الفنى» الذى يطلق عليه «النثر» القسيم للشعر.

أما أسبقية النثر على اعتبار إرساله من دون الاعتبارات الفنية فأمر مفروغ من اعتباره؛ لأن النثر مطلق، والشعر مقيد، والمطلق فى كل شىء مقدم على المقيد. على أن «ابن رشيق» يقول: «ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون؛ فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره». والتعبير بقوله: «تكلمت» يؤيد ما ذهبت



٢ - قانصوه الغوري

سلطان مصر الشهيد

للأستاذ محمود رزق سليم

مهداة إلى حضرة صاحب العزة الدكتور عبد الوهاب بك عزام

الفصل الثاني

خاتمة سلطان

لله ما أروع الدهر ، وما أكثر عجائبه ، وما أقسى ما تقدم الأيام من عظات وعبر ، وما تحتوى عليه من صروف وغير

والدهر آونة يصفو لصاحبه حتى يعود فيحسو ماءه كدرا

يعطى ويمنح ما شاءت عوارفه ويسلب المرء كرها كل ما ادخرا

إليه الرسالة من أن القصد لغة التخاطب باللسان، لا لغة الإبداع بالقلم ، أما اعتبار الحفظ ، فإن موسيقى الشعر تنغم الإحساس فتستقر الألفاظ فى واعية الشعور ولا ينالها النسيان كالنثر !

(بور سعيد) أحمد عبد اللطيف بدر

المدرس بالمدرسة الثانوية

حول طبقات الحنابلة والمستشرق لاووست

تفضلت الرسالة فنشرت لى كلمة حول هذا الكتاب سقط منها فى العنوان اسم المستشرق لاووست ، زميل الدكتور الدهان فى تحقيق هذا الكتاب

وإنى إذ أسمى لا ستدراك هذا فى هذه الوجزة انتهزها فرصة سانحة لأكرر الشكر للمستشرق لا ووست مثنياً ، الثناء كله على هذا الجهد الخالد القيم

ابراهيم الابيارى

العادل الملك المزهى بدولته كما به الملك حتى عاد فانحدرا

سمى إليه ولكن سمى مؤتمن ولم يقدر لمقى دهره الحذرا

أيها الملك العادل طومان باى! ها هى ذى دولتك تولى ، وها هى ذى دولة أخرى تقبل ، وها هو ذا سلطان جديد يحتل عرشك ، ويجلس فوق كرسيك . فيبذل ويهب ، ويرق ويؤمر ، وينهى ويأمر ، وينفى ويعفو ، ويوطد دعائم سلطنته بالحزم والعزم، وبالبر والوعد الحسن . يعاونه فى ذلك كثير من الناقمين منك ، الحاسدين لك ، الحاقدين عليك ، الذين ناصبتهم وقت زهوك ، عداء استحكمت حلقاته ، وجفاء زاد أمره واستشرى خطره

ولقد أملى لك جهلك ، وضعف بصرك بالأمور ، أن تبطش بهم رجلا فى إثر رجل ، وتقتلهم أميرا بعد أمير ، وتفتك بهم صديقا فى أعقاب صديق ، مع أنهم جنود عرشك ، وحاملو كرسيك ، ومؤسسو سلطانك ، ومدعمو دولتك . ولكنك جعلت مسرح سلطنتك مذبحا تنحر فيه فحول رجالك ، بدل أن تلتمس منهم العون ، وتسترق قلوبهم بالود

هالهم الأمر ، ورأوا بأعينهم قرب مصارعهم . وأنهم على وشك أن يلقوا منيتهم بين يديك، فجمعهم الخطر المشترك؛ وآثروا اطراح أطماعهم ودخلهم ، والضغائن الفاشية بينهم ، لكى يقفوا أمامك صفا واحدا شديد المرة ، حصين الثغرة. وقاوموك فهزموك وأسلمت نفسك للفرار ...

فإذا أفادك بطشك وصلفك ، وأجداك جورك وعسفك ، لكن تمكن منك الداء ، حتى نكلت بالأصفياء

وظننت دهرك لا يجيئك غدره والصفو من كلتا يديه متاح

فمضى وخلفك المعذب قلبه ولكل ليل بكرة وصباح

نصرك الأتابكى « قصروه » ، وأصفى لك وده ، ووهب لك مكنون حبه ، ونخل لك مخزون رأيه ، وتقدم أمام جنودك إلى باب السلسلة وسلم المدرج بالقلعة ، إبان نزاعك مع سلطانك وسلطان البلاد من قبلك الأشرف جانبلاط ، وقتما نقضت عهده، وشققت عصا طاعته ، وطمعت فى الملك دونه ، فتقدم صديقك قصروه يعاونك وأنت فى شدتك ، ويؤازرك وأنت فى ضيقك ، ودلف إلى القلعة وكان بها جانبلاط معتصما ، فحطم بابها وسلمها ،

واقتحم رحابها ، وهيأ لك بذلك أسباب النصر ، ومهدلك السبيل إلى الملك . وكان وقت جهادك إلى جانبك ، شديد التواضع جم المروءة ، نزل به حب الجميل وإسداء المعروف ، إلى مالم ينزل إليه أمير . فكان ينفق على حفر الخنادق من ماله ، ويعاون على إنجاز حفرها بيده ، ويحمل الأتربة على كتفه ورأسه ، حفزاً لهمم العمال ، وحثا لحماسة الجنود ، وضربا للأمثال …

فماذا كان نصيبه منك ؟ حقا لقد خلعت عليه الأتابكية — قيادة الجند — أرفع مناصب الدولة بعد السلطنة ، وعظمته ، ولكن تعظيم الخادع الماكر . حتى إذا اطمأننت إلى نفسك ، ووثقت بحولك وطولك ، بطشت به بطشة الجبار الفاجر . وهو أكثر ما يكون ثقة بك ، واطمئنانا إليك ، واعتمادا عليك ، وبعداً عن التفكير في خيانتك . فوكلت به من قتله

وكذلك فعلت بالسلطان جانبلاط ، بعد ما أمنته واستسلم إليك ، ووعدته بأن تضفي عليه أسباب الأمن والحرية . فماذا كانت عاقبته وعاقبة وثوقه بك ؟ نفيته إلى الأسكندرية ، ووصيت به من خنقه في سجونها ، دون جريرة إلا ضعفه عن مناوأتك ، وانفضاض الطامعين من حوله إليك

ومن قبل هذا بطشت بالظاهر قونصوه ، وغدرت بالناصر محمد بن عثمان ، ونكلت بأرملة السلطان المستسلم جانبلاط ، ولم ترع لأنوثتها حرمة ، ولا لكبير سنها مكانة . مع أنها صربية ملك وزوجة ملك ، وأم ملك ، وأخت ملك … فأرهقتها بما طلبت منها ، وأنقذت نفسها من كيدك ، بآلاف من الدنانير قدمتها إليك . . .

ألا فارقب الدهر وهو يدبر للقصاص … وستلقى جزاءك .. لا مناص …

* * *

قبيل عيد الفطر عام ٩٠٦ هـ ، وفي إحدى الدور النائية في أطراف القاهرة ، اجتمع عددمن أمراء السلطنة ، يتزعمهم الأميران: قيت الرجبي ، ومصرباي . وكان من بينهم طقطباي ، وتمرباي ، وكرتباي ، وخشكلدي البيسقي ، وغيرهم وغيرهم ، ممن ينقمون على الملك العادل ، وممن هددهم بالقبض عليهم ونفيهم …

قعدوا يتذاكرون بينهم فيما صارت إليه أحوال هذا السلطان ، ويقلبون وجوه الرأي في تصرفاته ومواقفه إزاءهم ، واشتطاطه في معاملتهم ، واجترائه في العدوان عليهم …

قال أحدهم : لقد تفاقم شرهذا الطاغية ، وأغرم بسفك الدماء وإهدار الأبرياء ، حرصا على دولته ، وزعما منه أننا خطر عليها . وقد أصبح بطشه قريبا منا … نحن الأحياء …

قال آخر : وإن لنا فيما اجترمه في جانب الأتابكي قصروه صديقه لعبرة … والعاقل من اعتبر بغيره ، وإننا إذا أرخينا له في الزمام ، ولم نهنه من غربه ، ونحد من غضبه ، تطاير شرره حتى نحترق به …

قال آخر : ألا تقدمون له النصيحة خالصة ، وتطلبون إليه في صراحة وحزم أن يكف عن سيئاته ، ويقلع عن خطيئاته … أو لكم مقترح آخر ؟

قال آخر : إن مثله لا ينقاد للنصيحة . ولا يأمن ناصحه من مغبة غدره . فقد الثائت نفسه ، واختلط حب الفتك بدمه ولحمه ، وبلغ به سوء الظن مبلغا وخيما … ومثله مثل الظامئ الصادي ، إذا شرب من ماء البحر ، فلا نقع غلة ، ولاروى ظمأ ، بل ازداد أوامه ، واشتدهيامه …

قال آخر : إذاً . لا بد من تدبير أمر حربه . . ولا بد من إزالته من الطريق ! فهل لدينا من القوة ما يكفي لنجاح هذه التجربة … ؟ وأنتم تعلمون أنه نفى جماعة منا إلى قوص ، منهم جان بردي الغزالي ، وقرقماس قرا ، وقايتباي . وهم من القوة والشجاعة والدربة ، والرأي ، بالمكان الذي تعلمون … لقد قيل إن بعضهم فقد في الطريق إلى منفاه … ولم نظفر بعد بخبر عنهم ، لذلك ترون أننا في حاجة قصوى إلى إعداد العدة ولم الشمل وجمع العدد الكبير المستطاع إلى جانبنا … ثم … ثم علينا أن نغرى المترددين والوجلين حتى ينحازوا إلى صفوفنا …

إن العادل لا يزال لديه جمع كبير من المماليك السلطانية ، ومن المماليك « العادلية » وهم مماليكه الأخصاء ، وحوله عدد آخر من الأمراء الذين اصطنعهم بالمنصب والمال والهدية ، ومنهم الأمير طراباي الشريفي رأس النوبة . إني أعتقد أن طراباي يبصبص بذنبه لمنصب الأتابكية . . وقد وكل السلطان إليه أن يقوم

بمهامها ريثما يعين لها أميرا . ولعله يكون طراباى نفسه ...

قال آخر : لقد بلغنى أن الأتابكية ستكون من نصيب الأمير قانى بردى الدوادار الثانى ... فهو المنافس الوحيد الخطر لطراباى .. فهو من عصبة العادل وخواصه ؛ وأشعر أن طراباى بدأ يتململ من العادل بسبب إيثاره لقانى بردى عليه . . ومن هنا يمكن اصطناعه ؛ وتستطاع استمالته إلى صفوفنا

قال آخر : لو كان أمر طراباى كما تقول ، لما جمع جنده وأعوانه أمس ، واصطحب عددا من الأمراء الطامعين أمثال : أنس باى ، وبيبرس البهلوان ؛ ومعهم الوالى والشرطة . لقد طاف هؤلاء جميعا بعد عشاء أمس ، يفتشون المنازل ؛ ويفجعون سكانها ، ويغلظون القول للناس ، بحثا عنا وطمعا فى كشفنا والقبض علينا وتسليمنا لهذا السفاح . . ولو تم الأمر على ما يهوى طراباى لتم هلاكنا ...

قال آخر : إن طراباى فى موقفه هذا ، يمسك العصا من وسطها ، فهو يقوم بمهام منصبه فى ظاهر الأمر ، حتى لا يسرع إليه العادل فيتهمه ويقضى عليه . والعادل يأخذ بالظنة ويستمع للفرية ... وبذلك ينجو طراباى من كيده وغدره ، فى حين أنه حانق عليه لأنه على وشك أن يختص الأمير قانى بردى بمنصب الأتابكية دونه . ومن هنا نستطيع أن ندخل إليه من هذه الثغرة فنوسع فيها ، حتى نحمله إلى الانضمام لجماعتنا . وليس ببعيد أن تثور ظنون العادل ضده بعد فرار الأتابكية من يديه ، فيتهمه ويبطش به ، فإذا لم يسرع طراباى منذ الآن باختيارنا والانحياز إلينا ، فقد تضيع الفرصة منه لدى الطرفين ، ثم لا يجد من ينهض لمعونته حينما يقف وحده فى الميدان . أما الآن فالفرصة موانية له .. اتركونى أتصل به وأدبر لكم أمره

قال آخر : لا تنسوا أيها الرفاق أن تضموا فى حسابكم مماليك جانبلاط ، ومماليك قصروه . فإن سخطهم الشديد على العادل بسبب فتكه بسيديهم ، نستطيع استغلاله لقضيتنا . فاعملوا على ضم صفوفهم إلى صفوفنا . وادعوا إلينا كل نافر من ظلم العادل وجوره . .

قال آخر : إذا انصرفتم أيها الرفاق ، فليكن كل منكم على حذر ، وليكتم الأمر جهده ، حتى يتم تدبير جميع أطرافه . وقد يبعث العادل فى طلب أحدنا - ومناسبات الاستدعاء كثيرة فى هذه الأيام - ثم يقبض عليه ويبطش به . فلنكن إذا على حذر . .

انفض هذا المؤتمر ، وانصرف أعضاؤه إلى تدبير الأمر حسبما اتفقوا . بينما كان السلطان العادل قد أهمه أمر المختفين من الأمراء ، وأثقل على الناس بالبحث عنهم . وحامت ظنونه فى عدد آخر من الأمراء والمماليك . فقعد يدبر وسيلة للبطش بهم والقضاء عليهم

وفى أحد الأيام كان القراء يختمون البخارى فى القلعة ، وبهذه المناسبة أقيم حفل عظيم ازدان بمن فيه من العلية والرؤساء ، ومنهم قضاة الشرع وعدد من الأمراء

حينذاك أرسل الملك العادل فى طلب الأمير قانصوه الغورى والأمير قيت الرجبى ، ليتم بهما عقد الحفل ونظامه . فلم يلبيا الدعوة ، وأحسا بما يكمن فيها من الغدر ، وشعرا أن الفرصة حانت للصراع

أسرع الغورى وقيت إلى الاجتماع بأعوانهما من أمراء وجنود ، وأذيع بينهم جميعا أن السلطان العادل قد اختار فرصة العيد للتنكيل بهم جميعا . فليدافع كل فرد منهم عن حياته ضد المعتدى الأثيم

ثارت ثائرتهم ، وتجمعت أحشادهم ، ووفد كل أمير بخاصته من جنده

وفى يوم الأحد آخر رمضان ؛ شهروا سيوفهم ، وشرعوا رماحهم ؛ ولبسوا دروعهم ؛ وركبوا جيادهم ؛ واستعدوا للنزال وقد انحاز إلى جانبهم جملة من الناقمين ، وعدد غير قليل من الأمراء الهاربين والمختفين . وزحفوا إلى القلعة وفيها العادل . .

وأهاب العادل بأمرائه وجنوده أن يجتمعوا بباب السلسلة ، فاجتمع عدد قليل منهم الأمير طراباى الشريفى ، وأنس باى ، وقرقماس ، ومعهم جملة من المماليك السلطانية . فوقع بين الفريقين صدام يسير ثم انحاز كل عن غريمه . .

فى ذلك الحين كان الأمير طراباى قد استجمع فؤاده ، وعملت الدسيسة فى نفسه عملها . . ففر من لدن العادل ومعه جمع من الأمراء ، فتبعهم عدد من الجنود فارين إليهم ، وذلك عند الغروب

أسقط فى يدى العادل وأيقن أنه مغلوب لا محالة ، وأن مصيره دنا . فرأى أن يودع عرشا لم يجلس عليه إلا قرابة ثلاثة أشهر وعشرة أيام ، وعينه باكية ونفسه والهة . ورأى أن ينجو بجلده فى طى الليل ، وأن يختفى عند بعض خاصته وخلصائه ، حتى

لا يعرفه أعداؤه إربا إربا . . فنزل من القلعة والظلام يستره ، يتحسس طريقه متنكرا كأوضع نكرة فى رعيته ، وأصبح حسبه من الملك أن يملك إهابه

أما قيت الرجبى ومن معه فقدهموا القلعة بعد قليل ، وملكوا زمام الأمر فيها ، ولما علم الجند فرار العادل استباحوا لأنفسهم الهجوم على مخازن الميرة والسلاح والاصطبلات السلطانية، فنهبوا منها الشىء الكثير

أخذوا الأمراء يتشاورون توا فى تعيين سلطان جديد . وبعد لأى تم اختيار الأمير قانصوه الغورى — على نحو ما وصفنا — وتمت بيعته فى صبيحة عيد الفطر ، ومن ثم سار موكبه ، ونثم القاهريون بمرآه . .

استوى الغورى على عرش البلاد ، وتسلم مقاليد السلطنة ، وشغل زمنا بمواكبه ، وبالخلع والمناصب التى أخذ يوزعها على أنصاره ، تهدئة للخواطر ، وتسكينا للفتن

غير أنه وأعوانه من الأمراء ، كانوا ينامون على جمر الغضا ، ويتقلبون على فراش القلق والحيرة والحذر . ويعتقدون أن العادل مادام على قيد الحياة ، فهو خطر دائم جاثم يهدد سلطتهم وحياتهم

وفى يوم ، التأم شمل الأمراء عند سلطانهم الغورى ، وفيهم قتيت الرجبى ، وقد صار أتابكيا ، ومصرباى الدوادار ، وطراباى رأس النوبة ، وجان برى الغزالى المحتسب ، ومعهم والى القاهرة وآخرون

فوجه السلطان الغورى حديثه إلى أتابكية قيت ، وقال :

— السلطان : أيها الأمير الكبير ! ألم يأن بعد للجند الثائرين أن يثوبوا إلى رشدهم ، ويكفوا عن غلوائهم ، ويرجحوا جانب العقل والحزم على الطمع والفتنة ؟ إن الخزانة والحواصل السلطانية لا تستطيع الآن أن تفى بجميع ما يطلبون . ألا ينتظرون حتى تستقر الأمور ، وتهدأ الأحوال ... وحتى نشحذ الهمة ونعيد النظر فى وسائل تدبير المال ؟ ثم نجيبهم إلى ما يطلبون

وإننى فى الوقت الذى يجتمع فيه المال والطعام والكسى لدى لن أدخر وسعا فى الإغداق والبر ، ولن أقصر فى الوفاء بالرواتب ، ولن أتقاعد عن التعويض عما فات

— الأتابكى قيت : إذا بذل لهم مولانا السلطان وعده الكريم وضغطنا نحن الأمراء عليهم باللين والقول الحسن فسيكفون حتما عن ثورتهم . وأعتقد أنهم يدينون المقام الشريف بالطاعة والولاء ، أما نحن فنبذل قصارى جهدنا فى سبيل تهدئة الفتنة محافظة على الخواطر السلطانية الشريفة

السلطان : أنت تعلم أيها الأمير — أن أمامنا مشكلة كبرى لم تحل إلى اليوم . وقد انصرم شهر شوال ولم نضع لها حلا . تلك هى مشكلة اختفاء العادل ... ينبغى أن يؤتى به إلى هنا حيا كان أو ميتا . ولعل الماكر الخبيث له ضلع فى ثورة الجنود وفتنهم وتحريضهم على طلب المتأخر من أعطياتهم ورواتبهم

— الأمير مصرباى : أجل يا مولانا ! إن للعادل أعوانا وأنصارا يعمل معهم فى الخفاء ، ويدبر الأمر للعودة إلى السلطنة بعد أن انتزعت منه انتزاعا . ولكن هيهات ...

إنه يجتمع بهؤلاء الأعوان والأنصار فى ظلام الليل الدامس ويسودون سطورا حاضة على الثورة ، ويبذلون فيها الوعود السخية للجند ، وينثر عليهم دراهمه ودنانيره شفاها ، ربما يعود ... ويهب لكل واحد منهم مائتى دينار ، وفرسا مطهمة . ويتوب إليهم مما جنته يداه . ويعدهم بأنه لن يعود فيهم إلى سيرته الأولى ، وسيرعى العدالة حق الرعاية ، ويدفع الرواتب ، ويجزل العطاء . ويفصل فى الأمور برأيهم ...

— السلطان : أمر مدهش ، وأخبار عجيبة ... من أنى لك هذه المعلومات أيها الأمير مصرباى ؟ وكيف يصمت والى القاهرة على هذه الفتن ، ولا يبحث عن مصدرها ويبطش به بطشة نكراء . . ؟

الوالى : إن ما يقوله الأمير مصرباى صحيح يا مولانا — فقد عثرنا بالقبو عند سوق السلاح على أوراق مكتوبة بهذا المعنى ، معلقة على الجدران ، رجاء أن يقرأها المارة من الجند ، فيكون لها أثرها فى نفوسهم ... ولكنا نزعناها سراعا ، وأخذنا طريقنا إلى البحث عن مصدرها

— السلطان : مصدرها ؟ عجبا ! إن مصدرها معروف لا حاجة إلى تبيينه ... إنه العادل المخلوع بلا شك . فلماذا نقصر فى البحث عنه إلى اليوم ؟ ومن العار أيها الوالى أن تتهاون فى القبض عليه إلى الآن . فلا بد من الوصول إليه بأى ثمن . .

طراباى : الواقع يا مولانا أننا لم نقصر فى البحث عن العادل، طفت القاهرة مع الوالى وشرطته ، ودهمنا منازل كثيرين من

أصدقائه ، وهجم الوالى على بيت قاضى قضاة الحنفية برهان الدين الكركى ، وهو من خاصة العادل وخلصائه . ثم آل أمره إلى القبض عليه ، فحبس فى دار الأتابكى قيت ، وقد سمعنا أن العادل أودع لدى هذا القاضى مالا ، غير أن مولانا السلطان قد أمر بالإفراج عنه . ثم دهمنا أمس منزل سيدى على بن السلطان المؤيد أحمد ، وقد قيل لنا إن العادل يختبئ عنده ، ولكننا لم نعثر له على أثر ، وفتشنا جملة من المنازل وعدداً من الزوايا والأماكن ولا نزال نجد فى البحث عنه فى كل مكان ، وسنعثر عليه بعون الله ، وبفضل رضا مولانا السلطان

السلطان : بارك الله فيك أيها الأمير طراباى ، لا ننسى لك أنك كنت فى مقدمة الأسباب التى أدت إلى هزيمة العادل ، ولنا الأمل فى أن يتم مصرعه على يديك ، أو على يدى الأمير مصرباى

مصرباى : إذا أذن مولانا السلطان فأطلق لى عنان العمل كما أشتهى ، فقد أوفق فى العثور على الضالة ، وأنهى إلى مقره الشريف خاتمة هذا الطاغية

السلطان : إنك مطلق الحرية، تصرف فى أمره، وافعل ما تشاء

انفض الجمع . وكان اختفاء العادل حديث أهل القاهرة طول شهر شوال ، لم يهدأ لهم فيه لسان ولا سكن خاطر . ومما أثار ثائرة الحديث ، ما كان يقوم به الوالى وشرطته ، وغيره من الأمراء والجند، من دهم البيوت ومفاجأة أهلها بحثا عنه ، والأمراء فيما بين ذلك لا يأمنون السير إلا بين رجال من حرسهم يحيطون بهم، ولا يطيب لهم رقاد إلا على ريبة وخوف وهكذا عاش الجميع عيش قلق وهم ، شهرا وبعض شهر

وأطلق الأمير مصرباى عيونه وأرصاده يتسقطون أخبار العادل . فترامى إليه أن العادل يجتمع مع خاصته ليلا ، ويتوارى عنهم نهارا ، ولا يعرف مقره أحد من أعوانه . وأن ممن يجتمع به جانى بك شاد الشراب خاناه ، وجانى بك الشامى

وكان جانى بك الشامى يسكن على مقربة من دار الأمير مصرباى . فبعث الأمير إليه وإلى رفيقه ، وسألهما عن العادل ومكانه ، فأنكروا معرفة مكانه والاتصال به . فشدد الأمير عليهما النكير ، وتهددهما بالعذاب الأليم حتى أيقنا بالهلاك . فلما رأى الخوف قد استقر فى نفسيهما ، ونطقت بالهلع عيونهما لان لهما فى القول ، وبذل لهما الوعد باللقب والمال والجاه . ولمح لهما أن السلطان سيعرف لهما يدهما فيرقيهما إلى الصف الأول من صفوف أمرائه . وهكذا جعلهما بين خوف ورجاء؛ خوف لا يستطيعان دفع شره ، ورجاء هما أحوج إلى خيره وبره

حينئذ اعترفا لمصرباى بأنهما يجتمعان بالعادل بين الفينة والفينة . فقال لهما مصرباى : إنى أعتبركما صديقين مخلصين ، وعونا للسلطان على عدوه . فلنضع معا خطة حكيمة ، ولنحكم الشباك حتى لا يفلت منها الصيد

فقالا له : اقترح ونحن نطيع وننفذ

فقال مصرباى : زينا للعادل أنكما وأعوانكما تدبرون له أمر العودة إلى السلطنة ، وأن كثيراً من الجند قد انضم إليكم، وأن الفتنة ضد السلطان الغورى قد زاد ضرامها ، وأن المنشورات الثورية التى تذيعونها آتت أكلها ، وأن الجنود على وشك إعلان السلطان بالعصيان والقتال ، وهم فى حاجة إلى قيادته ...

ثم ليأت العادل إلى دار جانى بك الشامى عشاء فى ليلة نتفق عليها ... ثم خذوا فى الطعام والشراب إلى هدأة من الليل، وألقوا فى روعه أن ينتقل إلى دار الأتابكى جرباش كرت ، المجاورة لدار جانى بك ، وبها سرداب سرى ينفذ إلى دارى ... فيزحف مع خاصته من هذا السرداب حتى يصل إلى ، فيقتلنى ... ومن ثم يطيب له الزحف بجموعه المنتظرة على القلعة فيملكها . . . ثم اتركانى أدبر بقية أمره . .

انصرف الرجلان . وفى عشاء الإثنين ١٣ من ذى القعدة ، وفد العادل على منزل جانى بك الشامى مسرفا فى الأمل ، بهجا بدنو عودته إلى عرشه . فتبسط له صديقاه فى الحديث . ومدا له الموائد الحافلة ، وضربا له نصف الليل موعدا للهجوم على منزل مصرباى . وبينما هم فى لهوهم وترقبهم إذ دهم المنزل الأمير مصرباى بجنوده . . فأحس العادل بالخيانة وأيقن بالتلف ، ولم يجد حوله من يدفع عنه . فوقف وحده فى الميدان يذود عن نفسه ... ولم يجد بدا من الفرار ، فركن إليه جاهدا إلى أعلى حائط فى المنزل ، وقذف بنفسه إلى خارجه نحو الأرض ، فكسر فخذه . وهناك تلقاه أحد مماليك جانبلاط ، فهوى على رأسه بسيفه فاجتزه . . . وعدا عليه جملة من المماليك فأثخنوا فيه بسيوفهم انتقاما منه وشفاء لما فى صدورهم . .

ثم حمل رأس العادل إلى الأمير مصرباى ، فوضعه فى طبق من النحاس ، وسيره إلى الأبواب السلطانية ، وحاملوا المشاعل من حوله ينادون :

« هذا جزاء من يسفك الدماء ويقتل الأبرياء » .

للقصة بقية

محمود رزق سليم



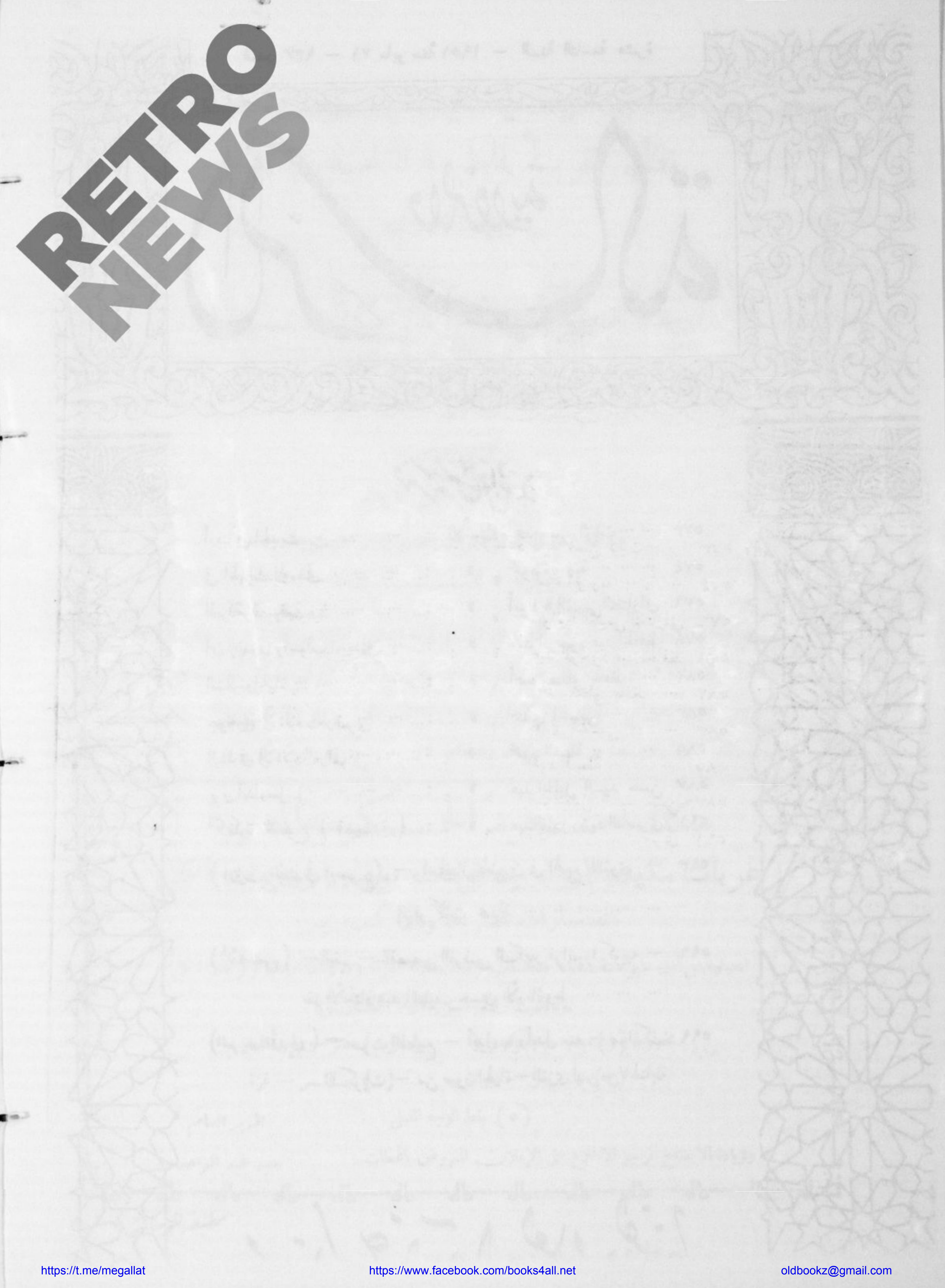
تظهر قريباً الطبعة الثامنة منقحة
من كتـاب
آلام فرتر
للاستاذ أحمد حسن الزيات
هى القصة العالمية الواقعية الرائعة الخالدة للشاعر الفيلسوف
« جوته » الألمـــــانى
صور فيها : عواطف الشاب فى وقت نزوعه إلى الحب وولوعه بالجمال واتحاده مع الطبيعة . . . وقد قال عنها
لصديقه (أكيرمان) « كل امرىء يأتى عليه حين من دهره يظن فيه أن (آلام فرتر) إنما كتبت له خاصة »
وترجمتها العربية تتفق مع أصلها فى قوة الأسلوب ودقته وأناقته وجماله ... وهى مثال للترجمة الأمينة التى تنقل
الصورة والفكرة وما يقوم بهما من الروح والخيال والعاطفة ..
سكك حـــديد الحـــكومة المصرية
عربات مكيفة الهواء وصالونات بولمان وعربات أكل
بالقطـارات السريعة والاكسـبريس
اعتبارا من أول مايو سنة ١٩٥١ قد أعدت عربات مكيفة الهواء وصالونات بولمان وعربات أكل
بالقطـــارات السريعة والاكسبريس
بخطوط (١) مصر — اسكندرية
(٢) مصر — بور سعيد
(٣) مصـــر — دمياط
(٤) مصـــر — غزة
(٥) خط الوجه القبلى
وزيادة الايضاح المرجو الاطلاع على الإعلان المعروض بالمحطات .
المدير العام
سيد عبد الواحد
مطبعة الرسالة

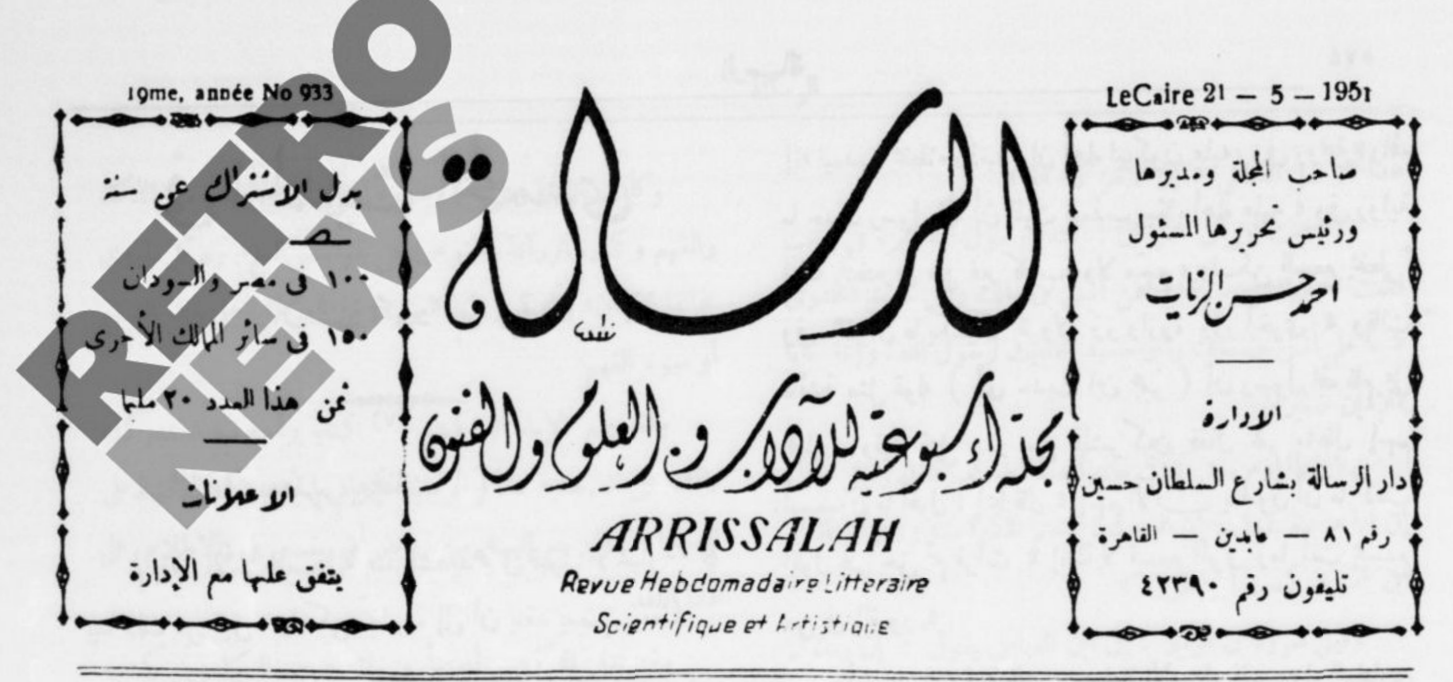


العدد ٩٣٣ — ٢١ مايو سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد





العدد ٩٣٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ شعبان سنة ١٣٧٠ — ٢١ مايو سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

أدبنا فى الحديث

من الصفات المميزة للمصريين فى المجتمع الحديث ، أنهم إذا اجتمعوا قاعدين فى قهوة ، أو ماشين فى شارع ، لفتوا إليهم أنظار الناس بما يأتون من حركات ، وبما يحدثون من ضجيج . إذا تحدثوا ضرضأوا فى الحديث ، وإذا ضحكوا قهقهوا فى الضحك ، وإذا أشاروا أغلظوا فى الإشارة ! لا ينتظر السامع المتكلم حتى يفرغ من كلامه ، ولا يمهل المعارض المؤيد حتى يدلى بحجته . إنما هى الحنجرة الصلبة ، والنكتة المكشوفة ، والسخرية اللاذعة ، والمقاطعة المهينة . والأمر كله للصوت الجهير النكير ، والضحكة المتفجرة المكركرة .

والجهر بالقول أخص خصائص العامية ؛ لأن المتحدث لا يرفع صوته فوق الأصوات إلا فى ضوضى أو فوضى . وضوضى الحياة وفوضاها لا تكون إلا فى المجتمع البدائى أو العامى ، حيث تغلظ العبارة ، وتخشن الإشارة ، ويختلط الحديث . والجاحظ يقول فى الأعراب : « إنما خشنت أصواتهم لمخاطبتهم الإبل » وأنت كذلك حرى أن تقول فى الرجل الذى يفتح حلقه كله عند الكلام ، إنما تعود ذلك لأنه لا يخاطب فى أسرته وبيئته إلا الذين يتكلمون ولا يسمعون ، أو الذين يسمعون ولا يصمتون ، أو الذين تبلدت فيهم حاسة السمع ، فلا يدركون جمال الصوت الرخيم ، ولا يتذوقون لذة الحديث العذب . ولقد كان من تأديب الله للعرب الذين كانوا يفدون إلى الرسول فيؤذونه بما جبلوا عليه من رفع الصوت ، وجهر القول ، إذ قال لهم : « يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ... » ثم قال عز قوله حكاية عن لقمان إذ قال لابنه : « واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير . » وإذا عذرنا من يرفع صوته مضطرا بحكم عمله كالسماسرة الذين يشتغلون فى بورصة العقود ، والصناع الذين يعملون فى مطارق النحاس ، والتجار الذين يتصافقون فى سوق البهائم ، فكيف نعذر ذلك المطربش الجسيم الوسيم الرافه الذى تكلمه رأسا إلى رأس ، وفما إلى فم ، فيأبى إلا أن يمزق طبلتى أذنيك بصوته المجلجل الراعد !

الحق الذى يؤيده الحس أن الرجل كلما اكتمل عقله ، وتهذب طبعه ، ولطف شعوره ، كان أرغب عن الجلبة وأزهد فى العنف . فتراه إذا تكلم كسر من صوته ، وإذا ضحك افتر عن ثغره ، وإذا استمع أرهف من سمعه ، وإذا قاول ألان من قوله ، وإذا مزح عف فى مزحه . وإن اليوم الذى نرى فيه المصرى يحضر المجلس ولا يصخب ، ويناقل الحديث ولا يزبط ، ويسمع الغناء ولا يعربد ، ويجتاز الشارع ولا يهرج ، لهو اليوم الذى تكتمل فيه إنسانيته الحرة ، ويبدأ به تمدنه الصحيح !

احمد حسن الزيات

فى الحديث المحمدى

للاستاذ محمود أبو رية

نقد الصحابة بعضهم بعضاً :

لم يقف الأمر بالصحابة عند تشديدهم فى قبول الأخبار -- كما بينا ذلك من قبل ، ولكن تجاوزه إلى أن ينقد بعضهم بعضا

وقد كان عمر وعثمان وعلى وعائشة وابن عباس وغيرهم من الصحابة يتصفحون على إخوانهم فى الصحبة ، ويشكون فى بعض ما يروون عن النبى ، ويردونه على أصحابه ، وإليك بعض أمثلة من ذلك نجتزئ بها خشية التطويل

عن محمود بن الربيع — وكان ممن عقل عن رسول الله وهو صغير أنه سمع عتبان بن مالك الأنصارى ، وكان ممن شهد بدرا ، أن رسول الله قال : إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبغى بها وجه الله — وكان رسول الله فى دار عتبان فحدثها قوماً فيهم أبو أيوب صاحب رسول الله فى غزوته التى توفى فيها بأرض الروم ، فأنكرها على أبو أيوب وقال : والله ما أظن رسول الله قد قال ما قلت !

وقد استدلت المرجئة (١) بهذا الحديث ونحوه على مذهبهم

وقال الشاطبى فى الموافقات : إن عائشة ردت حديث « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه ، وحديث رؤية النبى لربه ليلة الإسراء.. وردت هى وابن عباس حديث أبى هريرة؛ إنما الشؤم فى ثلاث » (٢)

أما حديث عذاب الميت فقد رواه الشيخان وغيرهما وفيه أنه ذكر عند عائشة (٣) أن ابن عمر رفع إلى النبى أنه قال « إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه » فقالت : وهل إنما قال رسول الله إنه ليعذب بخطئه وذنبه وإن أهله ليبكون عليه، وفى رواية «والله ما حدث رسول الله أن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » وفى رواية إنك لتخبرنى عن غير كاذب ولا متهم ، ولكن السمع يخطئ وفى القرآن ما يكفيكم « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقالت عائشة مثل قوله (أى حديث ابن عمر) أن رسول الله قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال إنهم ليسمعون ما أقول ! إنما قال » إنهم الآن يعلمون أن ما كنت أقول لهم حق ثم قرأت « إنك لا تسمع الموتى وما أنت بمسمع من فى القبور »

وأما حديث رؤية النبى ربه ليلة الإسراء فقد رواه البخارى ومسلم عن عامر بن مسروق . قلت لعائشة رضى الله عنها يا أمتاه : هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : لقد قف شعرى مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب ؛ من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب. ثم قرأت « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير — وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب ؛ ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب، ثم قرأت «وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً»؛ ومن حدثك أنه قد كتم شيأ فقد كذب، ثم قرأت «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك »

وفى رواية مسلم قال مسروق وكنت متكئا فجلست فقلت ألم يقل الله ، ولقد رآه نزلة أخرى ؟ فقالت أنا أول من سأل رسول الله عن هذا ، فقلت يا رسول الله : هل رأيت ربك ؟ فقال . « لا . إنما رأيت جبريل منهبطا » وفى رواية أخرى عن مسلم قال : نور أنى أراه ! ولأحمد : رأيت نورا (٤)

وقد رجح القرطبى فى المفهم — قول الوقف فى هذه المسألة ! وعزاه لجماعة من المحققين . وقال ابن حجر فى فتح البارى : وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية، وإنما هى من المعتقدات فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعى »

ومما ردته عائشة خبر ابن عمر وأبى هريرة « إنما الشؤم فى ثلاث » فقالت : إنما كان يحدث عن أحوال الجاهلية، وذلك لمعارضة

---

(١) المرجئة فرقة من كبار الفرق الإسلامية : تقول لا يضر مع الإيمان معصية ، ولا ينفع مع الكفر طاعة (٢) ص ١٩ ج ٣

(٣) قال الاسماعيلى : كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه

(٤) بلغت أحاديث الرؤية — كما ذكر ابن القيم فى حادى الأرواح ثلاثين حديثا ، والمرفوع منها أكثر من عشرين حديثا ...

هذا للأصل القطعي « إن الأمر كله لله »

ولما سمعت أن ابن عمر قال : اعتمر رسول الله عمرة في رجب قضت عليه بالسهو . وقالت عن أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري « ما علم أنس بن مالك وأبو سعيد بحديث رسول الله . وإنما كانا غلامين صغيرين

وقال طاووس : كنت جالساً عند ابن عمر فأتاه رجل فقال إن أبا هريرة يقول : إن الوتر ليس بحتم فخذوا منه ودعوا . فقال ابن عمر « كذب أبو هريرة »

وقيل لعروة بن الزبير : إن ابن العباس يقول : إن رسول الله لبث بمكة بعد أن بعث ١٣ سنة. فقال كذب ! إنما أخذه من قول الشاعر : (٥)

ثوى في قريش بضع عشرة حجة

يذكر لو يلقى صديقاً مواتيا

وعن الحسن بن علي ، أنه سئل عن قول الله « وشاهد ومشهود » فأجاب فيها فقيل له : إن ابن عمر وابن الزبير قالا كذا وكذا خلاف قوله .. فقال كذبا

وكذب علي بن أبي طالب المغيرة بن شعبة .. وقيل لعائشة إن أبا الدرداء قال : « من أدرك الصبح فلا وتر عليه . قالت لا ، كذب أبو الدرداء .. كان النبي (ص) يصبح فيوتر

وذكر لها أن ابن عمرو بن العاص يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن . فقالت ياعجبا لابن عمرو ! يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن ! أفلا يأمرهن أن يحلقن رءوسهن ! لقد اغتسلت أنا ورسول الله من إناء واحد ما أزيد أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات

وعن عبادة بن الصامت أنه قال : كذب أبو محمد ! يعني في وجوب الوتر . وأبو محمد هذا اسمه مسعود بن أوس الأنصاري ، بدري . وتكذيب عبادة له من رواية مالك وغيره في قصة الوتر ، واستشهد عبادة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « خمس صلوات كتبهن الله على العباد » (٦)

وكانت عائشة وهي كما وصفوها على جانب عظيم من الذكاء والفهم وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ، ترد كل ما روى مخالفا للقرآن ، وتحمل رواية الصادق من الصحابة على خطأ السمع أو سوء الفهم

ولقد جمع الإمام الزركشي (٧) كتابا برأسه فيما استدركته عائشة على الصحابة سماه (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) فليرجع إليه من يريد أن يتسع في الاطلاع على هذا النقد

وقد نقل الدكتور أحمد أمين بك هذه الكلمة في كتابه ضحى الإسلام من رسالة لبعض الزيدية تلاميذ المعتزلة :

« إننا رأينا الصحابة ينقد بعضهم بعضا ، بل ويلعن بعضهم بعضا ، ولو كانت الصحابة عند نفسها بالمنزلة التي لا يصح فيها نقد ولا لعن لعلمت ذلك من حال نفسها ، لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا (٨) ، وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وفي جانبهم لم يروا أن يمسكوا عن علي . وهذا معاوية وعمرو بن العاص لم يقصرا دون ضربه وضرب أصحابه بالسيف ، وكالذي روي عن عمر من أنه طعن في رواية أبي هريرة ، وشتم خالد بن الوليد وحكم بفسقه . وخون عمرو بن العاص ومعاوية ونسبهما إلى سرقة مال الفيء واقتطاعه ، وقل أن يكون في الصحابة من سلم من لسانه أو يده ، إلى كثير من أمثال ذلك مما رواه التاريخ » قالوا : « وكان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك ويقولون في العصاة منهم هذا القول ، وإنما اتخذهم أربابا نمد ذلك . والصحابة قوم من الناس ، لهم ما للناس وعليهم ما عليهم ، من أساء منهم ذممناه ، ومن أحسن منهم حمدناه ، وليس لهم على غيرهم كبير فضل إلا بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير ، بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات، فمعاصينا أخف لأننا أعذر» (٩)

وسننكسر فصلا على عدالة الصحابة إن شاء الله

المنصورة — للبحث صلة — محمود أبو رية

(٥) هو أبو قيس صرمة بن أنس الأنصاري ويقال ابن أبي أنس

(٦) ص ١٥ ج ٢ جامع بيان العلم وفضله. وفي هذا الجزء أخبار غير ذلك

(٧) هو بدر الدين الزركشي الشافعي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ (٨) وفي كل دهر عوام ! (٩) ص ٧٥ و ٧٦ ج ٣

المعرفة الصوفية

أداتها ومنهجها وموضوعها وغايتها عند صوفية المسلمين

للأستاذ أبو الوفا الغنيمى التفتازانى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

للمعرفة الصوفية موضوعها الخاص بها ، ولـكنه فى حقيقة الأمر أشد ما يكون غموضا ، ومن العسير على من لم يسلك طريق الصوفية أن يعرف شيئا مفصلا عن هذا الموضوع ، فالحقائق التى تتكشف للصوفى فى خلواته ومنازلاته هى حقائق فردية ذاتية لا يمكن أن تتصف بصفة العمومية ، ومن ثم يأتى إنـكار الناس لها باعتبارها من قبيل الوجدان الخاص، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الصوفية يعمدون إلى الرمز والإشارة فتغلب على عباراتهم صبغة الإبهام والتعقيد ، فيصبح من العسير على الباحث أن يشاركهم — ولو إلى حد ما — ماهم بسبيله من أذواق ومواجيد ومعارف . ونستطيع أن نقول إنه لا يمكن أن تستند معارف الصوفية وعلومهم إلى براهين وأدلة نظرية ، فهى علوم ذوقية تحمل يقينها فى ثناياها ، ولا تحتاج فى إثبات وجودها إلى برهان . وقد أشار ابن عربى إشارة لطيفة إلى هذا المعنى فى كتابه التدبيرات الإلهية فقال « فإن يعرض لك أيها الأخ المسترشد من ينفرك عن الطريق فيقول لك طالبهم بالدليل والبرهان يعنى أهل هذه الطريقة فيما يتكلمون به من الأسرار الإلهية ، فأعرض عنه وقل له مجاوبا : ما الدليل على حلاوة العسل ؟ فلا بد أن يقول لك هذا علم لا يحصل إلا بالذوق فلا يدخل تحت حد ولا يقوم عليه دليل، فقل له هذا مثل ذاك . . » (١)

والواقع أيضا أن الصوفية يعتبرون علوم الحقيقة وما تتضمنه من الأسرار والمعارف من الأمور التى لا يصح أن يتحدث عنها الصوفى صراحة ، ولا رخصة فى إيداعها الـكتب ، وإنما هم يتكلمون عنها بطريق الرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال

ونستطيع أن نقرر بوجه عام أن موضوع العلوم اللدنية هو الذات الإلهية وصفاتها وأسماؤها وأفعالها ، وهى أمور لا قبل للعقل بإدراكها . يقول الشيخ حسن رضوان فى روض القلوب المستطاب (٢)

أسماؤه وسائر الصفات مجهولة لغيره كالذات
وليس للعقول فيها مدرك بل من وراء العقل كشفا تدرك

والعارف بحسب ما يرى الشيخ عبد الرازق القاشانى فى اصطلاحاته « هو من أشهده الله ذاته وأسماءه وأفعاله ، فالمعرفة حال تحدث من شهوده »

ويقول القاشانى فى كتابه كشف الوجوه الغر لمعانى نظم الدر وهو شرح لتائية ابن الفارض الـكبرى عن معرفة الله سبحانه وتعالى من حيث أسمائه وصفاته « فمن العارفين من ليس له طريق إلى معرفة الله إلا الاستدلال بفعله على صفته، وبصفته على اسمه ، وباسمه على ذاته . . . ومنهم من تحمله العناية الأزلية فيشهد المعروف (أى الله سبحانه وتعالى) تعالى جده بعد المشاهدة السابقة فى معهد ألست بربكم ، ويعرف به أسماءه وصفاته عكس ما يعرف العارف الأول ، وبين العارفين فرق؛ إذ أن الأول لقيه معروفه ، كنائم يرى خيالا غير مطابق ، للواقع والثانى لشهود معروفه كمتيقظ يرى مشهودا حقيقيا» (٣)

ومن هـذا نتبين أن معرفة الله على نوعين : النوع الأول يستدل منه العارف على الذات، بظاهر الأفعال والصفات ، والنوع الثانى يقبل فيه العارف على ما وراء هـذا الظاهر بعد أن تصفو نفسه ، فتحمله عناية الله عز وجل من عالم الظاهر إلى عالم الباطن ، وهناك يدرك الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته ، وهو بهـذا يشاهد الصفات والأسماء عن طريق الذات ، ولا يشاهد الذات بطريق الصفات . وفى الحقيقة يعرف العارف الثانى الذات الإلهية معرفة يقينية حقيقية إيجابية ، فى حين يعرفها العارف الأول معرفة خيالية سلبية لا حظ لها من الحقيقة

وثمة ملاحظة على جانب كبير من الأهمية فى هذا الصدد، وهى أن موضوع المعرفة الصوفية موجود فى النفس بالفطرة ، إذ أن

---

(١) التدبيرات الإلهية طبعة نيبرغ ص ١١٤ — ١١٥

(٢) روض القلوب المستطاب ص ١

(٣) كشف الوجوه الغر بهامش شرح الديوان المطبعة الخيرية بمصر ١٣١٠ هـ « قسم العارف » ص ١٠

النفس تعرف الله سبحانه وتعالى بالفطرة قبل أن تحل بالبدن ، وأن اتصالها بالبدن هو الذى أفسد عليها معرفتها السابقة . ويرى الغزالى فى رسالته اللدنية أن المعرفة مركوزة فى النفوس بالقوة كالبذر فى الأرض أو الجوهر فى مقر البحر أو فى قلب المعدن.(٤) ويقول القاشانى فى مقدمة شرحه لكتاب فصوص الحكم لابن عربى ما نصه « فإن ترقى الإنسان بالعلم والعمل، وسلك حتى انتهى إلى الأفق الأعلى ورجع إلى البرزخ الجامع كما نزل منه، بلغ الحضرة الإلهية ، واتصف بصفات الله بحسب ما قدر له من الإمكان وسبق العلم به عند تعين عينه . »(٥) ومعنى هذا الكلام أن المعرفة بالله فطرية فى النفس قبل التعين، فإذا خلص المتصوف من عوائق بدنه وسلك طريق المجاهدة والتصرف ، وصل إلى الأفق الأعلى، وبلغ الحضرة الإلهية التى سبق له العلم بها ، فاتصف بصفاتها على قدر طاقته

ومما سبق نستخلص أن موضوع المعرفة الصوفية يدور حول الذات الإلهية وتعرف أسمائها وصفاتها وأفعالها، وهذه المعرفة متوقفة على الذات الإلهية وإرادتها

ولكن لا يفوتنا أن نشير بهذا الصدد إلى ملاحظة هامة وهى أن المعرفة الصوفية لم تخل من الآثار الفلسفية، فمالاشك فيه أن الصوفية من أمثال ابن عربى والسهروردى المقتول ومن نحا نحوهم ، قد مزجوا المعرفة الصوفية بالأنظار العقلية الخالصة ، فالمعرفة عند هؤلاء ليست ذوقا خالصا ، وإنما هى مزيج من الذوق الخالص والنظر الفلسفى

والآن ؛ وقد تحدثنا عن موضوع المعرفة الصوفية ، بقى علينا أن نعين الغايات التى ترمي إليها هذه المعرفة، وفيما يلى بيان ذلك :

٦ — اتفق السالكون لطريق التصوف على أن غايتهم القصوى هى المعرفة بالله سبحانه وتعالى ، ومتى تحققوا بهذه المعرفة فقد توصلوا إلى السعادة واليقين فى حياتهم الدنيا وفى الآخرة

ولكى يتحقق الصوفى بالمعرفة لابد أن يتصف بصفات نفسية معينة تؤهله لتلقى المعارف اللدنية ، ومن ثم يأخذ المريد نفسه بالمجاهدة الأخلاقية ، فيتنقى عن الأخلاق المذمومة ، وتنتفى عنه الصفات القبيحة، وتسكن نفسه وتطمئن وتزول عنها دواعى الشهوات، وتصفو وتشرق فتدرك حقائق الأمور إدراكا يقينيا

والمعرفة الصوفية كما رأينا ، متوقفة على طهارة النفس ونقائها وإشراقها ، ونستطيع أن نقول إن المعرفة الصوفية بهذا المعنى ترمى إلى غاية أخلاقية ، ولقد عرف القشيرى المعرفة فى الرسالة بقوله « هى صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ، ثم صدق الله تعالى فى معاملاته ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته ، ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه ، فحظى من الله تعالى بجميل إقباله وصدق لله تعالى فى جميع أحواله ، وانقطع عنه هواجس نفسه ، ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره ، فإذا صار من الخلق أجنبيا ، ومن آفات نفسه بريا ، ومن المساكنات والملاحظات نقيا، ودام فى السر مع الله تعالى مناجاته، وحق فى كل لحظة إليه رجوعه وصار محدثا من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره، يسمى عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة ، وفى الجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه عز وجل (٦)»

من هذا النص يتبين لنا أن المعرفة لا تكون إلا بصدق المعاملة والتنقى من الأخلاق الرديئة والآفات السيئة والاتجاه بالقلب نحو الله ،ولا تتم كذلك إلا بانقطاع هواجس النفس وخواطرها، وهى بهذا المعنى ترمى إلى الاتصاف بالكمال الأخلاقى

ولكن مع إدراكنا لأهمية الغاية الأخلاقية فى المعرفة لا نستطيع أن نقرر أن هذه الغاية الأخلاقية هى أسمى غايات المعرفة عندالصوفية ، إذ أن هناك غايات أسمى وأرقى، هى الوصول إلى الله، وبالتالى إلى السعادة الأبدية الخالدة واليقين الذى لا يأتيه الشك من أى جانب . فالمعرفة الصوفية لها غاية عرفانية إلهامية موصلة إلى السعادة واليقين فى الدارين

يقول ابن عربى فى الفتوحات (٧) « ثم إذا وصل العبد إلى معرفة الله تعالى فليس وراء الله مرمى ولا مرقى ، فهناك يطلع كشفا ويقينا على حضرات الأسماء الإلهية . »

(٤) الرسالة اللدنية ص ٢٤
(٥) شرح القاشانى على فصوص الحكم لابن عربى القاهرة ١٣٢١ ص ٤
(٦) الرسالة القشيرية ص ١٤١
(٨) الفتوحات المكية الباب الثالث والسبعين

ابن زيدون وأسباب سجنه

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

ذكر الأستاذ جمال الدين الرمادى فى ثنايا مقاله عن الشاعر الرمادى بمجلة الثقافة العدد ٦٢٨ أن ابن زيدون أحب ولادة وسجن فى سبيلها . والحقيقة غير هذا والتاريخ يخالفه ، فلم يسجن ابن زيدون لأنه أحب ولادة وكان هذا السجن فى سبيلها ، لأن سيرته تبين غير ذلك . لم يكن ابن زيدون واحداً من عامة الناس ولا شاعراً كبقية الشعراء ، بل كان فتى قرطبة المدلل وبطلها المرجى وشاعرها الذى لا يجارى ، ووزيرها المتصرف. ولم يكن كل هذا فحسب، فقد كان سياسيا شارك فى المسائل العامة، وخاض غمار الثورة التى ذهبت بدولة بنى أمية وأتت بغيرهم . وكان من أشياع أبى الحزم ابن جهور بن محمد ، فمازال يعمل على تأييد ملكه حتى ثبتت أركانه وارتفع بنيانه ، فاصطفاه ابن جهور لنفسه وأشاد بفضله ، وأسند إليه الوزارة جزاء خدمته، وأناط به مهام الدولة، وكان لثقته فيه ينفذه إلى ملوك الطوائف سفيرا بينه وبينهم .. وكان أبو الوليد عبقريا سريع حركة الفكر ذرب اللسان جم الفكاهة ، وثاب النفس كثير الفخر بنفسه ، يرى أن الأندلس كلها لم تنجب له ندا ، فكان يتيه عجبا وخيلاء ، إذا تحدث افتخر بفضله، وربأ بنفسه أن يكون ألعوبة فى يد الحوادث، فاسمعه يقول وهو فى سجنه :

لا يهنئ الشامت المرتاح خاطره ... أنى معنى الأمانى ضائع الخطر

هل الرياح بنجم الأرض عاصفة ... أم الكسوف لغير الشمس والقمر

إن طال فى السجن إيداعى فلا عجب ... قد يودع الجفن حد الصارم الذكر

قد كنت أحسبنى والنجم فى قرن ... ففيم أصبحت منحطا إلى القفر

ولقد كانت عبقرية ابن زيدون ومواهبه نقمة عليه ، فقد أورثته الغرور بالنفس والاعتداد بها ، فكان لا يقدر لرجله قبل الخطو موضعها (يرمى الكلمة لا يبالى أين رماها ويصدع بالرأى فى جرأة واغترار) فقد كتب يوما إلى فتاة كان يحبها قبل ولادة وقبل توليه الوزارة (... أما ابن جهور فزق نفخته الكبرياء ، وصورة من نفاق ورياء ، يخدع الناس بلحيته الحمراء، ومسبحته السوداء . إنه رجل يثب عند الطمع ، ويختفى عند الفزع ، لو كان فى الجاهلية لكان هبل ، أو كان كوكبا لكان زحل ...)

وقد أوغر تقريب ابن جهور له ، صدور حساده ، فتربصوا به الدوائر ، وكانوا يعملون دائما على الإيقاع به ، ومن أشد أعدائه

والحق كل الحق أن غاية الإنسان فى حياته هى أن يصل إلى نور اليقين بعد ظلمات الشك ، فيتعرف على كنه الوجود الذى يعيش فيه ، ويتعرف على ماهيته ومصيره ، تعرفا من شأنه أن يلقى السكينة على قلبه . فهل استطاع العلم فى عصرنا هذا أن يفسر لنا ماهية الوجود أو الحياة تفسيرا ترتاح إليه قلوبنا ؟ والجواب على ذلك هو أن العلم وما يصطنعه أصحابه من مناهج تجريبية لم يستطع أن يكشف لنا إلى الآن عن حقيقة ما من هذه الحقائق التى لا سبيل إلى كشفها بطريق عقلى أو تجريبى ، ولا يزال عالم الروح بالنسبة إلينا مجهولا . ثم هناك أمر آخر أشد ما يكون غرابة ، وهو إنكار المنكرين على الصوفية لأذواقهم ومواجيدهم ومكاشفاتهم ، فهذا الإنكار لا يقوم على أساس ولا يستند على منطق سليم ، فقد رد الصوفية على منكريهم أن اسلكوا سبيلنا وانهجوا نهجنا ولكم بعد ذلك أن تحكموا علينا ، ولكن الحقيقة أن المنكرين أنكروا عليهم علومهم ، وقد غرقوا فى بحار المادة ، وكبلوا بقيود الحسرة

وجماع القول فيما سبق هو أن اليقين كل اليقين فى الاتصال المباشر بالله عز وجل اتصالا من شأنه أن يبدد لنا ظلمات الشك بمعرفة كنه الوجود ، وما وراء هذا العالم المحسوس من عوالم أخرى هى من أمر الله سبحانه وتعالى ، وهذا لا يتم إلا إذا خلصت النفس من شوائب الحس ، وصفت وأشرقت فارتقت إلى عالم الروح ، وهناك تفيض عليها المعارف الإلهية والعلوم اللدنية ، فتنعم بحضرة الجمال . وتتمتع بلذة الوصال

أبو الوفا الغنيمى التفتازانى

الوزير ابن عبدوس الذي كان ينافسه في حب ولادة ويخشى مزاحمته في مهام الوزارة ، وكان ابن زيدون يعرف هذا ولكن غروره جعله يستهين بعدوه . أخبرته ولادة يوما بعد أن خطبها ، أن ابن عبدوس يطاردها كما يطارد الصائد فريسته، وأنها تريد أن ينقذها من ذلك الفدم (١) فاغتاظ ابن زيدون وكتب له : (... أما بعد أيها المصاب بعقله ، المورط بجهله ، البين سقطه ، الفاحش غلطه ، العاثر في ذيل اغتراره . الأعمى عن شمس نهاره ، الساقط سقوط الذباب، على الشراب ، فوجودك عدم، والاغتباط بك ندم، والخيبة منك ظفر ، والجنة معك سقر ، كيف رأيت لؤمك لكرمي كفاء ؟ وضعتك لشرفي وفاء ، وأنى جهلت أن الأشياء إنما تنجذب إلى أشكالها ، والطير إنما تقع على إلفها ، وهلا علمت أن الشرق والغرب لا يجتمعان ، وشعرت أن المؤمن والكافر لا يتقاربان) ثم قال :

أثرت هزبر الشرى إذ ربض   ونبهته إذ هدا فاغتمض
حذار حذار فإن الكريم   إذا سيم خسفا أبى فامتعض
فإن سكوت الشجاع النهو   س (٢) ليس بمانعه أن يمض
وأن الكواكب لا تستزل   وأن القادير لا تعترض
أبا عامر أين ذاك الوفاء   إذا الدهر وسنان والعيش غض؟
أبن لي ؛ ألم أضطلع ناهضا   بأعباء برك فيمن نهض ؟
لعمري لفوقت سهم النضال   وأرسلته لو أصبت الغرض
وغرك من عهد ولادة   سراب تراءى وبرق ومض
هي الماء يأبى على قابض   ويمنع زبدته من مخض

فأثارت هذه الأشياء ابن عبدوس فكان له بالمرصاد ، يرقب حركاته ويتتبع تنقلاته ، ولا يكتفي بنقل ما يقع تحت يده ، بل يضيف الشيء الكثير من عنده

حدث أن أرسله ابن جهور إلى المظفر صاحب بطليوس في شأن من شؤون الدولة ، فوجدها ابن عبدوس فرصة نادرة فبعث وراءه جاسوسا ، يرقب حركاته ويحصي عليه أعماله

وأكرمه المظفر وأحسن استقباله . ولما رأى ما يتمتع به من ذكاء وفطنة رغب أن يكون وزيره ؛ فعرض عليه الوزارة وألح عليه في ذلك وأخذ يغريه بالجاه والمال . ولما كان ابن زيدون لا يقدر العواقب ، فقد خاض في أشياء تمس ابن جهور ، وكثيراً ما كان يسخر منه ، ولم يكن يعلم أن هناك من يحصي عليه القول ويرقبه عن كثب . قال مرة يمدح المظفر .

مليك إذا سابقته الملوك   حوى الخصل أوساهمته سهم
فأطولهم بالأيادي يدا   وأثبتهم في المعالي قدم
وأروع لا معتفي رفده   يخيب ، ولا جاره يهتضم
ذلول الدماثة صعب الإباء   ثقيف العزيم إذا ما اعتزم

وقال مرة أخرى :

أشف الورى في النهى رتبة   وأشهرهم في المعالي مثل
وأحرى الأنام بأمر ونهي   وأدرى الملوك بعقد وحل
غمام يظل وشمس تنير   وبحر يفيض ، وسيف يسل
قسيم المحيا ضحوك السماح   لطيف الحوار أريب الجدل
سواك إذا قلد الأمر جار   وغيرك إن ملك الفيء غل

إلى آخر ما قال في مدح أسبغ فيه على الرجل صفات المعظمة ، بل وحصرها فيه ، ولم يكتف بذلك بل عرض بغيره من الأمراء الآخرين ومنهم سيد نعمته ابن جهور . وكان جاسوس ابن عبدوس لا يترك شاردة ولا واردة إلا قيدها ، فكان يكتب كل ما يتفوه به ابن زيدون في مجلس المظفر وكل ما يقوله من الشعر ثم يلونه بما يشاء ويضيف إليه ما يعرف أنه يزيد من عظم الأمر الذي جاء من أجله . ويجزل له العطاء (أي الجاسوس)

وما أن وصلت هذه الأشياء إلى يد ابن عبدوس حتى تهلل وجهه بشرا ، ثم أضاف إليها ما شاء من أشياء يعرف أنها تزيد في إيغار صدر ابن جهور على وزيره ، وقام بتبليغه بما حصل عليه من أخبار على خيروجه ، وكان ابن جهور (رجلا أذنا ، ينصت لكل نمام ويلقي السمع لكل واش) فامتلأ صدره حقدا وغلى مرجل غضبه ، وقال ويل له مني ! ماذا ترك لي إذا كان المظفر أشف الناس رأيا وأحراهم بالنهي ، ومن سواه الذي إذا قلد الأمر جار والذي إذا ملك الفيء غل ، إن كان يقصدني فلأمه الهبل

فلما عاد ابن زيدون من سفارته لحظ تغيرا كبيرا في معاملة ابن جهور له وانصرافه عنه ، ورأى أن الابتسام الذي كان يلقاه

---

(١) رجل (فدم) أي غبي ثقيل
(٢) نهس ، بمعنى نهش، ونهشته الحية أي لسعته

به تبدل عبوساً، وأن الثقة أصبحت شكا، وأن الأمر صار على خلاف ما كان، ولم يشك أن الوشاة وعلى رأسهم ابن عبدوس قد نفثوا سمومهم فى صدر ابن جهور، وقد فعلت هذه السموم فعلها فكتب إليه قصيدة يستعطفه فيها ويستخبره جلية الأمر، ولكنه لم يستطع أن يغالب نفسه الكبيرة وغروره القتال فأظهر فيها إباؤه وشممه واستعلاء نفسه. ومنها:

مالى وللدنيا؟ غررت من المنى ... فيها ببارقة السراب الخادع

ما إن أزال أروم شهدة عاسل ... حميت مجاجتها بإبرة لاسع

من مبلغ عنى البلاد إذا نبت ... أن لست للنفس الألوف بباخع

فليرغم الحظ المـولى أنه ... ولى فلم أتبعه خطوة تابع

إن الغنى لهو القناعة لا الذى ... يشتف قطرة ماء وجه القانع

* * *

وكان ابن زيدون وثيق الصلة بأبى الوليـد بن أبى الحزم ابن جهور، وكان هذا يحبه ويصطفيه، ويدافع عنه بما أوتى من جهد وقوة، ولكن تصرفات ابن زيدون، وفلتات لسانه كانت تذهب بكل ما يبذله أبو الوليد وتحطم كل ما يشيده. فبعد عودة ابن زيدون من مهمته استمر ابن عبدوس يرصد حركاته ويحصى أعماله، وكانت عيونه لا تغفل عن ابن زيدون لحظة؛ وكلما وقع شىء فى يد ابن عبدوس بعث به إلى ابن جهور، ومن ذلك ما كتبه له:

(... أما بعد فقد أبلغنى الرجل الذى وكلت إليه مرافقة ابن زيدون ومراقبته عن بعد: أنه منذ حضر من بطليوس، يتنقل من دار إلى دار والحيرة لا تفارقه، ويزور أناسا لم يكن يزورهم من قبل، وقد تردد فى الأسبوع المنصرم على دار راجح الصنهاجى وكان يودعه عند الباب كل مرة، وسمعته فى إحدى المرات يقول له: (سيكون الأمر هينا والجو ملائما)، وزاره منذ يومين ثابت النافق، وخرج من عنده متجهم الوجه يبدو عليه القلق والتفكير، وكان بالأمس مع ابن زكوان عند ولادة وخرجا قبيل الفجر، وكانا يتهامسان فى الطريق ويبدو عليهما الجد والاهتمام ...)

وردت هذه الرسالة بينما كان ابن جهور وابنه أبو الوليد فى مجلس لهما، فلما قرأها ابن جهور دفع بها إلى ابنه وقال أسمعنى ما فيها. فلما انتهى أبو الوليـد من قراءتها سكت ولم يتكلم، فصاح أبوه قائلا

«أرأيت أبا الوليد كيف أن الرجل لا يخالط إلا المترددين المزعزعين الذين لا يحجبهم عن الفتنة إلا العجز أو الخوف من أن يكونوا حطبا لنارها» فدافع أبو الوليد عن صاحبه دفاعا حارا، حتى استطاع أن يغير رأى أبيه فيه، وأن ابن زيدون إنما يعمل لصالح الدولة وتثبيت الأمر له (أى لابن جهور)

ولكن ماذا يجدى مثل هذا الدفاع وابن زيدون يندفع بغير حذر ويتكلم بلا احتراس، بل ويتصل بأعداء عميد الجماعة ليل نهار ويجتمع بهم حتى مطلع الفجر

وكان أعداء ابن زيدون مردة شياطين لا تعوزهم الحيـلة ولا يصرفهم عدم تأثر ابن جهور بأقوالهم... فلما وجدوا أن هذه الوشايات لا تأتى بفائدة، وأن أبا الوليد يفسد عليهم كل شىء؛ أجمعوا أمرهم على شىء، بأن اتفقوا على إيقاع ابن زيدون فى الشرك حتى لا يستطيع الخلاص بعد ذلك ويكون لهم ما يريدون

* * *

كان أحد أبناء الناصر لدين الله ويسمى (ابن المرتضى)، يختفى بعيدا عن قرطبة خوف بطش ابن جهور به، وكان الناس إذا أصابتهم شدة من ابن جهور تهامسوا باسم ابن المرتضى كمنقذ لهم مما هم فيه، ولماذا لا يكون هو صاحب الأمر وهو من سلالة الخلفاء... وقد استطاع ابن المرتضى أن يتخذ أنصارا من أعداء ابن جهور ثم يدخل قرطبة خفية ويختفى عند أحد أتباعه وكان ابن زيدون من هؤلاء الأتباع وقد مال إليه عندما لقى من إعراض ابن جهور عنه وتجهمه له بل وكان يعرف أين يختفى. علم بذلك ابن عبدوس وأنصاره المبغضون لابن زيدون فاتفقوا على أن يخبروا بذلك ابن جهور ولكن الدليل المادى يعوزهم، وابن جهور لا يأخذ بأقوالهم ما دام أبو الوليد راضيا عن ابن زيدون

فاجتمعوا وتبادلوا الرأى. فقال أحدهم إن ابن زيدون يعرف أن ابن المرتضى يقيم بقرطبة، بل وهو على صلة به ويلتقى به كل ليلة، ثم اقترحوا أن يدعو أحدهم ابن زيدون إلى داره، وأن يكون

هناك ابن جهور مستخفيا ليسمع ويرى . . .

ودعا الرجل ابن زيدون إلى ليلة فى داره ، وكان ابن جهور وأعوانه مستخفين متنكرين ، وبينما القـــوم يسمرون إذا جلبة وضوضاء فى خارج القاعة ، فنادى الرجل كبير خدمه وسأله فى استنـكار عن هذا اللغط والضجيج ، فظهر التردد والخوف على وجه الخادم بادئ الأمر . ثم قال :

« لقد علمنا الآن يا سيدى من أحد أعوان صاحب الشرطة أن مولانا عميـد الجماعة قد ألقى القبض على سيدتى ولادة ، وهم الآن يسيمونها أشـد أنواع العذاب » فقال الرجل فى استنـكار وصوته يـكاد يخنقه الغضب :

« وأى ذنب جنته حتى يقبض عليها الشرطة ويعذبونها ؟ » فقال الخادم :

« قيل يا سيدى إنهم وجدوا مولانا ابن المرتضى مختفيا بقصرها »

فما أن سمع ابن زيدون هذا حتى ذهب صوابه وهب مذعورا والغضب يملأ نفسه ، وصاح بصوت مرتعش : هذا بهتان وزور . إن ولادة لاتخفى ابن المرتضى بقصرها وهى بريئة من هذا براءة الذئب من دم ابن يعقوب . وأنا الذى يعرف أين يختفى ابن المرتضى ، بل إنه فى دارى ، وها أنا ذاهب إلى ابن جهور لأخبره بذلك ليـكف زبانيته عن أطهر امرأة فى قرطبة

وهم بمغادرة المكان ولـكنه وجد أن ابن جهور يعترض طريقه كأنما انشقت عنه الأرض أو نزل من السماء ، وفى وجهه صرامة وفى عينيه لهب ، وصاح فى وجه ابن زيدون بصوت كأنه هزيم الرعد

لقد تحققت خيانتك أيها الخائن . ثم أمر صاحب شرطته بالقبض عليه وإيداعه السجن حتى يرى رأيه فيه ، وأمر آخر بتفتيش داره علّه يجد ابن المرتضى هناك ، ولـكنه لم يجد له أثر . . .

وهكذا ذهب ابن زيدون إلى السجن لأنه لم يستطع أن يملك زمام نفسه فى مثل هذا الأمر الخطير ، ولم يقدر على كبح جماح كبريائه ، برغم عبقريته ونبوغه ، بل ذهب إلى السجن ضحية عبقريته ونبوغه وطموح نفسه . وقد قيل :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

وقبله فر المتنبى من معية سيف الدولة بسبب قوله :

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم

فالخيل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال خصوم أبى الطيب ، لسيف الدولة ، ما الذى أبقى لك بعد هذا ، فتغير عليه وأغضى حتى فر إلى مصر ، ثم لقى حتفه آخر الأمر ، لطموحه و كبريائه

و كثيرون هم أولئك الذين ذهبوا ضحية عبقريتهم ونبوغهم و كبر نفوسهم . ولعلنا نستطيع أن نقدم لقراء الرسالة صورا عن هؤلاء إن شاء الله .

(أسيوط) عبد الموجود عبد الحافظ

الشعر والحياة

« مهداة إلى صديقنا الشاعر الكبير الأستاذ محمود غنيم . »

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

يقول الرافعي الخالد : « لو سئلت أزمان الدنيا كيف فهم أهلها معاني الحياة السامية ، وكيف رأوها في آثار الألوهية عليها ، لقدم كل جيل في الجواب على ذلك معاني الدين ومعاني الشعر . وليست الفكرة شعراً إذا جاءت كما هي في العلم والمعرفة ، فهي في ذلك علم وفلسفة . . وإنما الشعر في تصوير خصائص الجمال ، الكامنة في هذه الفكرة ، على دقة ولطافة . . كما تتحول في ذهن الشاعر الذي يلونها بعمل نفسه فيها ، ويتناولها من ناحية أسرارها

فالأفكار مما تعانيه الأذهان كلها ، ويتواطأ فيه قلب كل إنسان ولسانه . . بيد أن فن الشاعر هو فن خصائصها الجميلة المؤثرة ، وكأن الخيال الشعري نحلة من النحل ، تلم بالأشياء لتبدع فيها المادة الحلوة للذوق والشعور . . والأشياء باقية بعد كما هي ، لم يغيرها الخيال ، وجاء منها بمالا تحسبه منها ، وهذه وحدها هي الشاعرية . . »

ويقول الزيات الفنان : « الفكر والخيال والعاطفة من ملكات النفس الأدبية الثلاث ، يصدر عنهن فيض القريحة ، ويرد إليهن إلهام العبقرية ؛ ولكن الشعر لا يهيمن عليه إلا الخيال والعاطفة ؛ أما حاجته إلى الفكر فمحدودة بمقدار ما يضيء لهما الطريق حتى يأمنا الضلالة

فالفكر للعبقرية بمثابة العين ، والخيال والعاطفة لها بمثابة الجناحين ، فإذا تغلبا عليه كان الشرود والزيغ ، وإن تغلب عليهما كان الجفاف والعقم . ومن هنا جردوا أ كثر ما قال أبو العلاء وأقل ما نظم أبو الطيب من الشاعرية »

وآراء أستاذي الجليلين المتقدمة هي لب ما أهدف إلى التعبير عنه في هذا الموضوع الذي لا أحسب أن أحداً غير ابني يجدنها (١) — الرافعي والزيات — قد استطاع أن يشبع نهمي ويحرقني إلى قراءة قول شاف واف فيه

فالشعر تعبير ذاتي ممتاز ، مثل شاذة القاعدة والقانون تعبير غير مطرد ، عارض غير مستديم

وقد يعترض معترض على ذاتية الشعر ، فنقول إن ذاتية الشعر ليست ذاتية خالصة ، فإن فيها طرفاً من الموضوعية . . فكون الشعر خاصا لا يمنعه أن يأخذ صفة العموم بوصفه تعبيراً ، والتعبير خروج من الذاتية إلى الموضوعية ؛ وعلى قدر اقتدار الفنان على أن يضمن شعره جانبي الذاتية والموضوعية تكون عبقريته

فطبيعة الشعر — حسب هذا التحليل — لا تسمح بأن يكون لغة حياة، أو لغة حوادث ومادة حوار . . فالمسرحية الشعرية مثلا كائن فني ، يرتدي في ثوب ممتاز ، ثوب غريب على الواقعية ، إلا أنه على قدر نجاح هذا الكائن الفني الغريب في تمثيل الحياة ، يكون نجاح الفنان وتوفيقه

إن الشعر ليحمل في طبيعته الذاتية قوى تأثيرية ، يحتاج إليها تصوير الحياة من وجهة نظر الفنان . . فوزن القصيدة — وهو في صميمه مدى الجو النفسي لأعماق الفنان حين الخلق الفني — لم تسلك فيه الألفاظ عبثا

ليس البحر الشعري مجرد تقسيم مقطعي للجملة الشعرية ، ولكنه زمن نفسي للتعبير الذي تحمله العبارة

ليست القافية مجرد لفظة . . ولكنها لمحة تركز على وحدة الموضوع . . وفي ذلك منتهى الشعور العميق بتكامل النفسية ، أداها الشاعر الفنان على غير وعي منه ؛ ولم يكن الشاعر الفنان قد قرأ تكامل منازعه النفسية في كتب (أدلر) (٢) أو غيره بل إن علم النفس هو الذي استقصى قوانينه من عمق الفناء ،

---

(١) أي اللغة العربية ، ورحم الله الأول ونفع بالثاني وبارك للعربية في عمره

(٢) يعد « أدلر » زعيم مدرسة التحليل النفسي بعد « فرويد » ، وتقوم نظريته على أساس اتجاه النوازع النفسية للتكامل في سبيل السيطرة

وارجع .. إن شئت — إلى كتاب « علم النفس الفردي » تأليف الأستاذ إسحق رمزي

والذى أراه سليما أن الفنان الحق تعبير صاف، خالص من الشوائب، عن أعمق، وأصرح، وأصدق المشاعر الإنسانية

هو الشخص الذى إذا أتيح لسائر أعضاء المجتمع الذى يعيش فيه منظار عادى، كان هو وحـــده الذى يملك « الميكرسكوب » . . وما أصدق وأدق المثل الإنجليزى القديم الذى يقول: A Poet is born and not made

أحمد مصطفى حافظ

جولة فى الأدب العربى

الأستاذ حمدى الحسينى

أدب الجـاهلية أدب شخصى وجـدانى يمثل غرائز الفرد ومشاعره ووجدانه . ولا يمتد هـذا التمثيل لأكثر من القبيلة التى ينتسب إليها الشاعر ويرتبط بها ارتباطاً وثيقاً بحكم النظام القبلى القائم على التعاون للدفاع عن النفس وحفظ الحياة .

والأدب الجاهلى يتميز عن الأدب العربى فى العصور الأخرى التى تلته بالصدق والصراحة وهما الفضيلتان اللتان كان يتحلى بهما العربى فى ذلك العهد، فإذا وصف الشاعر شجاعته أو شجاعة فارس من قبيلته كان صـادقاً لأنه إنما يصف شعوره الخـاص بشجاعته أو ما وقع تحت حسه وإدراكه من شجاعة ممدوحة . وإذا وصف نفسه أو قبيلته بالـكرم فهو صادق كل الصدق فى الوصف لأنه يصف حقيقة واقعة لا يعتريها شئ من التدليس أو الادعاء الكاذب . وإذا وصف نوعا من الجمال فإنما يصف ما يحس به من شعوره بهذا الجمـال، وإذا باح بعواطفه فى حبـه فلا يخالجنا شك فى أنه محب حقا بالقدر الذى وصفه وباح به

وإنك لترى فى الأدب الجاهلى هذا النزوع القوى للمقاتلة وهى الغريزة التى أثارها فى نفس العربى النظام القبلى وما يقتضيه هذا النظام من المزاحمة على اللقمة والجرعـة وما إليهما من أهداف الرغبات الغريزية التى لا غنى عنها فى هذه الحياة . وقد كانت هذه الغريزة وما يتفرع عنها من الانفعـالات والعواطف والنوازع المنبع القوى للفضائل والأخـلاق العربية التى مثلها الأدب فى ذلك العهد

وقد ظل هـذا الأدب ممثلا للنفسية العربية الخالصة ومرآة تنعكس عليها هـذه النفسية بقوتها وحرارتها وبساطتها فتبدو فضائلها ومساوئها ظاهرة واضحـــة، فترى الصدق والإخلاص والصراحة والعفة والشجاعة والمروءة والـكرم، وترى الأنانية وسرعة الغضب وحدة المزاج والقسوة والانتقام

ظل العرب فى جاهليتهم كما ذكرنا، وظل أدبهم كذلك حتى أشرق عليهم وعلى العالم نور الإسلام القوى فانبهرت عيونهم من قوة النور، وازعجت نفوسهم من شدة المفاجأة، فأغمضوا عيونهم فى أول الأمر لأنها أضعف من أن تحتمل هـذا النور القوى، وانكمشوا عن الإسـلام لأنه فوق ما تحتمل النفوس البسيطة الوادعة على رمال الصحراء، وفوق ما تستوعبه عقولهم الساذجة المحدودة بحدود تلك الحياة الضيقة، ولـكن نور الإسـلام قد غمرهم غمراً ونفذ إلى عيونهم ونفوسهم وعقولهم، وحولهم فى بوتقته العظيمة المقدسة إلى مؤمنين بالله ورسوله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . فاطمأنت نفوسهم بالإيمـان وامتلأت بالفضائل الإسـلامية، فدفعهم الإيمان من جزيرتهم القاحلة الضيقة إلى العالم الواسع الزاهر هداة مبشرين وقادة فاتحين فتحولت من قول الشعر إلى تلاوة القرآن، ومن الفرقة الجاهلية إلى الوحدة الإسلامية، ومن المفاخرة بالأحساب والأنساب إلى المفاخرة بالسبق فى دخول الإسـلام . وما زال العرب كذلك حتى بردت حرارة الإيمان فى نفوسهم فبدت ميولهم الكامنـة ورغبـاتهم المستورة تطل من عقولهم الباطنة حتى أصبحت الخلافة الإسلامية ملـكا عضوضاً، وانقسموا على أنفسهم ورجعوا إلى عصبيـاتهم الناعمة فبعثوها بمفاخراتهم بالأحساب والأنسـاب وبالسبق للاسلام أيضاً ليتخذوا من هـذا وسائل لتمضيد الملك وتعزيز السلطان، فنشأ من هذا أدب سياسى ولـكنه حزبى، فهناك على بن أبى طالب وهناك معاوية بن أبى سفيان، يعزز كل منهما نظريته بالسيف والقلم واللسان، فكان النضـال المنيف الذى أنتج هـذا الأدب

السياسي الحزبي، وأنتج هؤلاء الخوارج الذين تركوا هم الآخرون ظلهم واضحا على صفحة الأدب العربي، كما تركوا أثرهم قويا على صفحة التاريخ الإسلامي، فأخذ الأدب العربي في عهد بني أمية هـذا الاتجاه الذي عيناه ولـكنه على كل حال كان أدباً قويا، يصور العزة العربية لابسة ثوب الإسلام ناعمة ببلاغة القرآن، ولم يستتب الأمر لبني أميـة حتى انقسموا في أمورهم الدنيوية وأصبح الأدب أداة لتسليتهم وتبرير سياستهم وتصرفاتهم الحزبية، ولـكن كان في هذا الوقت للخوارج أدب يمثل قوة عقيدتهم وقوة دفاعهم عن هذه العقيدة رغم انصباب بني أمية عليهم ورغم القسوة التي عاملهم بها قواد بني أمية ولاسيما الحجاج بن يوسف الثقفي وقد ستر أدب الخوارج القوى ضعف أدب الأمويين. فقد كنت تسمع لشاعر الخوارج أو قائدهم القطعة من الشعر التي تحمل من قوة الإيمان وقوة النزوع في سبيل هـذا الإيمان ما يجملك تحس بسر البطولة والعبقرية وهاك هذه القطعة من هذا الأدب الخارجي

أقول لها وقد طارت شعاعاً ... من الأبطال ويحك لن تراعى
فإنك لو ســألت بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لن تطاعى
فصبراً في مجال الموت صبراً ... فـما نيل الخـلود بمستطاع

وما حل العهد العباسي الفخم بسمة الملك وامتداد السلطان ووفرة الغنى وتلون الملاهي وتعدد اللذات حتى أصبح الأدب العربي أدب ضعف وخنوع، وانقيـاد وخضوع، أدب خلاعة وتهتك وفجور، واستهتار وزندقة وإلحاد، فأصبحت ترى قصائد المدح الذليل تساق للأمراء والعظماء، ووصف النساء والغلمان والخمر يملأ مجالس الأدب، والمفاخرة بالزندقة والإلحاد والشعوبية تدور على الألسنة في كل مكان.

بينما كان المجتمع العباسي حافلا بكل هـذا كانت الحوادث تنخر لأركان هـذا الملك الضخم فدبت فيه الفساد وامتدت أيدي النســاء والماليك والعبيد إلى صولجان الحـكم فأخـذوا يستعملونه أداة لإشباع شهواتهم، وإرضاء رعاتهم، فتزلزل الملك ثم انهدم. وأما الأدب في هـذه الأيام الضاحكة الباكية الحافلة بالملذات والملاهي الاجتماعية، المترعة بالآلام والمصائب السياسية والحربية، فقد كان صورة قائمة لحياة هـذا المجتمع القائم يورث النظر إليه الهم والألم لولا ومضات من نور القوة كانت تلمع في سماء ذلك الأدب الحزين الباكي ثم تنطفئ، وكان مصـدر هذه الومضات نفوس متألمة مما حل بالعرب والإسلام من النكبات كنفس المتنبي الـكبيرة الثائرة التي انفجرت بالشعر القوي المدوي المجلجل في سماء الأدب، ونفس أبي فراس الشاعر البطل الذي أبلى في ميدان الشعر بلاءه في ميدان الحرب. بينما هـذا كان يقع في الشرق كان ملك بني أمية في الغرب قويا قاهراً، والأدب في ظله زاهياً زاهراً، حتى عصف الدهر على الملك العربي الإسلامي في الشرق والغرب، فانقرض ولم يبق للسلطنة العربية صولة، ولا للأدب العربي دولة وأصبح العرب أشتاتاً في كل أرض وأوزاعاً تحت كل سلطان، وأما الأدب فانمسخ انمساخاً حتى أصبح معه غلالات النفوس الضعيفة والعقول الفارغة من الجـدل اللغوي العقيم، والنقاش البياني الفارغ، حتى جاء القرن التاسع عشر بما فيه من أحـداث فبدأ الأدب العربي يتململ في مرقـده ويتمائل للنهوض من كبوته

حمدي الحسيني

البند فى الأدب العراقى

للأستاذ محمود العبطة

طالعت (الرسالة) الزاهرة فى عددها (رقم : ٩٢٤) بمقالة الأديب الصديق الأستاذ عبد اللطيف الشهابى عن الشاعر العراقى (ابن خلفة الحلى) وقد استطرد الأستاذ الشهابى فى ذكر حياة ابن الخلفة ، وأدبه وشعره حتى وصل إلى ذكر (بنده) المشهور ، وهنا قال (وأول من اخترع هذا النوع هم أهالى (الحويزة) وهو منوال غريب قد يخرج على أوزان الشعر وقد يخالفها .) وقد رأيت فى هذا القول بعض الشطط ، فجئت فى مقالى هذا لتصحيح أخطائها وإبانة حقيقتها . . . فما هو البند ؟ ومن أول من اخترعه ، ومن برع وأجاد فيه ؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة ، يحسن بنا الإشارة إلى خصائص ومميزات الشعر العربى عموماً ، والشعر العراقى منه على وجه الخصوص ، لأن (البند) نوع من الشعر العربى ، وإن امتاز بميزات، واتصف بصفات، لا يشبهها الشعر العربى على وجه العموم ، ثم إن هذا النوع من الشعر لم ينشأ إلا فى العراق ، ولم يبرع فيه إلا العراقيون — عرف نقاد الأدب من العرب الشعر بأنه (الكلام الموزون المقفى) وهذا التعريف البسيط يميز الشعر عن النثر ، وهو تعريف شكلى ، لأنه لم يذكر الميزات الرئيسية التى تخالف الشعر عن النثر ، وهى ميزات الموسيقى والنغم وسحر العبارة ، وهى بالاضافة إلى اتقاد الشعور وشبوب المخيلة . وقد استمسك الشعراء العرب بهذا التعريف ، فنسجوا على منوال الشعراء القدماء بالأخذ بالوزن الواحد والقافية الواحدة على طريقة العمود الشعرى ، ولكن هذا الاستمساك ، وهذا النسج، يحولان دون بلوغ الغاية والوصول إلى الهدف ، من حيث تصوير لواعج القلب ، وخطرات الروح ، لأنه يجعل قصارى الشاعر النظم على وزن واحد وقافية واحدة ، دون تصوير شعوره الذى هو الهدف الأسمى من نظم الشعر ، ثم لا ننسى التحشيات والجوازات والضرورات ، التى تفسد الشعر ، والتى جعلها الشاعر العربى وسيلة للتغلب على الوزن الواحد والقافية الواحدة ، هذا بالرغم من مرونة الشعر العربى ، واتساع بحوره ، وغزارة مفرداته وغنى ألفاظه ، وبالرغم أيضاً من وجود (المجزوءات) التى هى اختصار البحور الشعرية ، ووجود (الأبحر الممتزجة) التى تتركب من الأجزاء الخماسية والسباعية ومنها (بحر الطويل) و (بحر البسيط) كل هذه العوامل والأسباب من جهتيها الموجبة والسالبة دفعت الموهوبين من شعراء (الأندلس) إلى اختراع (الموشحات) التى انتشرت من (الأندلس) فى الخافقين ، والتى أصبحت وسيلة جديدة للتعبير الشعرى ، ولكنه التعبير الحر المنطلق الذى لا يتقيد بوزن واحد ولا قافية واحدة ، وإن اتصف بالوزن والقافية أيضاً ! والذى فعله الأندلسيون قديماً فعله العراقيون فى القرون المتأخرة ، فأخذوا (البند) عن الشعر الفارسى وجعلوه وسيلة طريفة وطريقة جديدة للتعبير الشعرى . والذى دفع الشعراء العراقيين إلى هذا الصنيع ، فسبقوا إخوانهم فى الأقطار العربية الأخرى، هو مجاورتهم لفارس ثم دراستهم لعيون الأدب الفارسى وروائعه الشعرية ، إذ نبغ كثير من الشعراء العراقيين بنظم الشعر الفارسى إضافة إلى نبوغهم بنظمه بلغتهم القومية . ولا ننس فى هذا المجال ميزة أخرى لا تقل أهمية عما ذكرنا، وهى ميزة الغناء، إذ (البند) يغنى فى مجالس الأنس والطرب، وصفة الغناء هذه كما دفعت العراقيين إلى اقتباس البند من الفرس، دفعت الأندلسيين إلى اختراع (الموشحات). والغناء هو السبب الأول فى اختراع (الكان ما كان) و (القوما) و (الزجل) الخ.. وهذه كلها أفانين رائعة فى الشعر العربى الشعبى. فما هو البند إذاً فى اللغة والشعر ؟

جاء فى (القاموس) البند : العلم الكبير . وقال (الجوهرى) (: البند العلم الكبير فارسى معرب .) وقال الشاعر القديم :

« وأسيافنا تحت البنود الصواعق »

وقال الشاعر العراقى المرحوم جميل صدقى الزهاوى [1] (إن كلمة البند فارسية الأصل وهى بمعنى العقد والربط) وذكر الزهاوى أيضاً (والبند هو الحلقة الوسطى بين النظم والنثر وهو مستعمل عند الفرس والترك .) وجاء [2] فى كتاب (للحق

---

(١) مجلة (اليقين) البغدادية . ع ا. س ا (الصادرة فى ١٩٢٢ م)

(٢) ترجمة اللغوى المرحوم الأب أنستاس مارى الكرملى

بالمعاجم العربية) لدوزى (البند مشتق من بنود الرمح وهى ألاعيب تكون بواسطة الرمح ومنها البنود الفكرية وتكون ملاعب بالبديع والفكر .) وجاء [٣] فى المعجم الفارسى اللاتينى ا (فولبرز) (البند مشتق من (بتستند) ويراد به الرباط وكل ما يوصل به ، ويطلق مجازاً على الخيال والفكر والملاحظة والتوقع .) . وقال اللغوى الأب الكرملى (ومن معانى (البند) الحيلة والفن والتوصل إلى شئ باحتيال .) ومن معانيه أيضاً (البيت ينظم بعد عدة أبيات ويعاد وله قافية تختلف عن قوافى سائر البيوت وله رديف يسمى (بند ترجيم) و (تركيب) كما جاء فى (البرهان القاطع [٤]) . وجاء عن (الليث [٥]) (فلان كثير البنود أى كثير الحيل) وجاء فى كتاب (حاشية التحفة) للشيخ عمر البصرى أن البند (يطلق على المحابس التى تجعل بين حبات السبحة ليعلم بها على المحل الذى يقف عنده المسبح .) وقال القاضى الأديب محمد [٦] الهاشمى البغدادى (البند ضرب من الكلام المسجع الموزون أشبه بما نسميه فى هذه الأيام بالشعر النثرى ، وبعض أساجيعه آتية على وزن بحر (الهزج)

يتلخص لنا من كل هذه التعاريف التى أوردها أهل اللغة والأدب من عرب ومستشرقين ، ومن قدماء ومعاصرين ، أن لفظة (البند) فارسية معربة ، وأن من معانيها العلم ، والعقد والربط ، ونوع من الألاعيب ، وحيل الفكر ... وكل هذه المعانى المختلفة المنطبقة على هذه اللفظة لا تهمنا فى هذا الموضوع ، ولكن الذى يهمنا معنى الكلمة المجازى وهو هذا النوع الطريف من الشعر العربى ، المأخوذ من الشعر الفارسى ، والذى يأتى (كله) على بحر الهزج ، وهو :

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

ولا يأتى بعضه [٧] فحسب ، على ما يقول الأستاذ الهاشمى ، ولكن ضرب البيت الثانى منه يأتى مطرداً ... وهنا بعد أن

(٣) ترجته أيضاً

(٤) قاموس فارسى وتركى وتركى وفارسى

(٥) مجلة اليقين

(٦) مجلة اليقين

(٧) هذا رأى الأستاذ خضر الطائى من شعراء العراق المشهورين

ذكرنا لك هذه النبذة عن منشأ البند وسبب وجوده وانفراد العراقيين به ، لا بد وأن نذكر لك نموذجاً لتتذوق هذا النوع الشعرى الطريف ، وهذا النموذج هو وصف حصان عربى أصيل لأحد شعراء (الحلة) المجهولين ، قال :

أيا مرتقياً سرج جواد من جياد الخيل جماح

رباعيا من الصخر فى غرته النجم إذا لاح

طويل العنق والساق سريع الخطو سباق

قصير الأذن والظهر وسيع العين والجبهة والصدر

فلا الريح يباريه ، إذا غار

ولا السهم يجاريه ، إذا سار

ولا الطير يحاذيه ، وإن طار

ولا يسبق إن مر ولا يلحق إن فر

ولا يصميه الحر ولا يتعبه الكر

والشاعر يمضى فى بنده هذا واصفاً حصانه هذا الوصف الفنى البليغ ، حتى يصل (بغداد) من (الحلة) ، فيمدح واليها سعيد باشا وكانت ولايته فى بغداد [٨] سنة ١٢٢٨ هـ وهو كما مدح الوالى فقد مدح أدباء بغداد كالألوسى الكبير والأخرس والعمرى ... والبند العراقى ، قد نبغ فى نظمه شعراء كبار كثر ؛ أشهرهم — عدا ابن الخلفة — عبد الغفار الأخرس وحسين المشارى ومحمد سعيد الحلى وأحمد الجصانى وعباس المبدلى ومير على أبو طبيخ ؛ وللأخير بند بديع يصف فيه (طائرة) حملت بعض أقاربه إلى (لبنان) ، وصفها وصفاً خياليا وهو فى بلدته (النجف) قعيد السقم والمرض ، ولعله فى حياته لم يركب الطيارة ، كشاعرنا الذى وصف الحصان بعد أن قطع به طريقه ، بل ولعله لم ير فى حياته الطيارة أيضاً ! قال [٩] .

أيها الراكب فى طائرة تحتمل السفر

وتطوى سبل الجو فما قادمة الصقر !

(٨ ذكر الأستاذ الشهابى فى مقاله الذى أشرنا إليه أن لابن الخلفة الحلى (١٢٤٧ — ١٢٩٧) ثلاثة بنود هى بنده فى وصف (الحصان) والثانى فى وصف الطريق إلى بغداد . والثالث بنده فى (الغزل) — والذى نعلمه أنه لا يوجد بنداً فى وصف الحصان إلا ما ذكرناه وهو لشاعر مجهول ، وهو نفسه يصف الطريق ، وهذا البند قد نظم قبل ولادة ابن الخلفة بأكثر من عشرين سنة

(٩) ديوان (الأنواء) للسيد المرحوم مير على طبيخ ص (: ١٦٤ — ١٦٦) مطبعة الراعى فى النجف

مفرده الكتابة « هنبرلى » :

برتراند رسل

الفيلسوف الإنجليزى المعاصر

للأديب عبد الجليل السيد حسن

ذهن عجيب جبار ، ينشد الوضوح فى كل شئ ، لا يقبل إلا ما يرضاه عقله ويهديه إليه فكره . وتفكير حر إلى أبعد حدود الحرية . طالما أفزع الدولة بل العالم . وجرئ غاية الجرأة يقول ما يعتقده حقا وما يراه صوابا ، وإن أحفظ عليه نفوسا كثيرة وأثار على شخصه عاصفة هوجاء ، أدت به إلى السجن ، وأفقدته كرسيه فى الجامعة . . ولكنه لم يبال . وعاطفة زاخرة جياشة بجانب هذا التفكير العقلى البحت ؛ فهو لا يعيش فى برجه العاجى لا صلة له بالواقع ، فحينما يرى شباب أوربا يساق إلى الحرب استجابة لرغبة حفنة تنتفع من الحرب وتعيش على « الموت » ، يلقى عن نفسه رداء الفكر المجرد ، لينزل بعاطفة قوية عنيفة ، يحارب الحرب ويصرخ أن قفوا هذه المجزرة . وإنسان صبور جلد ، لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار ، لا يمل العمل ، ولا ينقطع عن الترحال ؛ جاب البلاد خابرا دارسا من أوربا إلى أقصى الشرق إلى الصين ، وجرب كل شئ ، جرب السجن ، بل جرب الموت !

* * *

هو الإيرل برتراند أرثر وليم رسل . ينحدر من عائلة من أشرف العائلات الإنجليزية وأشهرها وأوفرها حظا من المشاركة فى أمور الدولة السياسية . وهو ليس كريم النسب من جهة أبيه فقط ؛ بل من جهة أمه كذلك ، فأبوه ابن اللورد جون رسل الوزير البريطانى المشهور ، وأمه بنت اللورد ستانلى أف الدرلى ؛ فهو أرستقراطى النشأة طيب الأرومة

وقد ولد فى ١٨ مايو سنة ١٨٧٢؛ وحينما بلغ من العمر سنتين ماتت أمه ولحق بها أبوه فى العام التالى فترك يتيما وهو ابن ثلاث سنوات ، ولم يتمكن أبوه ولا أمه من تلقينه عقيدتيهما فى الدين والحياة . وكانا أبوين عجيبين — وعلى قرارهما سينشأ الابن — من أحرار المفكرين ؛ فأبوه كان يميل إلى المذهب « اللاأدرى » وكان صاحب مزاج عجيب ورأى غريب نأى به عن الحياة السياسية التى أرادها ، فقد رشح نفسه للبرلمان ودخله ، ولكن لما عرف عنه من آرائه الحرة كما فى تحديد النسل وحقوق المرأة والمسيحية ، ولاستغلال خصومه ذلك فى التشنيع عليه لم يدخل البرلمان ثانية ، ولم ينل من الحياة السياسية ما يبتغى من أمل . أضف إلى ذلك أنه كان خجولا ، ليس له من صفات السياسى شئ كثير ، بل كانت صفاته أقرب إلى الدرس والعلم منها إلى السياسة ، فكان تلميذا ثم صديقا « لجون استوارت مل » الفيلسوف الإنجليزى المنطقى الاقتصادى المعروف ، يؤمن بآرائه ويتعصب لها ، وقد تخلى عن عقيدته المسيحية فى سن الحادية والعشرين ورفض الذهاب إلى الكنيسة فى يوم عيد الميلاد . وحينما مل السياسة أو بالأحرى ملته هى خصص نفسه لتأليف كتاب فى « تحليل العقيدة الدينية » نشر بعد وفاته ؛ وقد كانت زوجه تشاركه هذه الآراء ، وقبل أن يموت أوصى بتربية برتراند رسل وأخيه تربية حرة ، لا تقيد فيها بدين معين ، ولا

بخفاق جناح ذات تصويب وتصعيد ... والحان ... وتغريد
كأن البرق فى حيزومها حل ... فلا وعر يفاديها ولا سهل
ولا غرق ، إذا تسترق السمع ... فتأتى بنبأ قاطنة السبع
فسبحان الذى أنشأ منشيها فسواه ... وأسنى سبل العلم لذى الجهل فأغناه
أرح نفسك إن أصبحت فى ضفة (لبنان)
وروحها برشف من لمى حور وولدان
ففيها صفوة العيش ... ولا منكر للطيش ... الخ

وبعد ، فلعلنى أفصحت فى مقالى هذا عن معنى (البند) وعمن اقتبس ، ومن أجال فيه ، وأن مقتبسيه هم العراقيون لا أهل (الحويزة) على ما يقول الأستاذ الشهابى ، وأنه نوع من الشعر ، ومن بحر (الهزج) وليس هو من النثر الشعرى ، أو من السجع على ما يقول الكثيرون

بغداد ... محمود العبطة

عقيدة من العقائد ، فقد أرادهما أن يكونا اثنين من أحرار المفكرين مثل أبويهما ؛ ولكن المحكمة أبطلت هذه الوصية استجابة لرجاء الجد ، وأخذ برتراند رسل إلى أبيت أجداده سنة ١٨٧٦

لم يعرف رسل شيئا عن عقيدة أبويه بالطبع ، إلا حينما بلغ الحادية والعشرين ، وحينذاك وجد أن وصية أبويه قد طبقت على رغم جهود الجدين ، وأنه قد سار نفس المسار الذي سار فيه أبواه ، بل وخيرا مما سارا ، وأثر فيه « مل » كما أثر فيهما تماما . ولنتابعه الآن في تطور حياته وعقيدته

... أما جده فكان في الثالثة والثمانين ضعيفا ، لا يذكر الطفل إلا أنه كان يراه في محفته محمولا أو في كتاب يقرأ ، ومات بعد مجيء رسل إلى بيته بسنتين ؛ ولذا لم يؤثر فيه جده تأثيرا يذكر . أما جدته فهي صاحبة الدور الأول في حياته وتربيته ، وكانت سيدة غريبة ؛ فقد كانت من أتباع المذهب « البرسبيتاري » الإسكتلندي (Scotch Presbyterian) وكان في طبعها صرامة ؛ تأخذ أبناءها وحفدتها بالتربية الدينية ، وتكره النبيذ ، وتنظر إلى الدخان على أنه خطيئة وفي السبعين من عمرها تحولت إلى مذهب « الوحدين » « Unitarian » .

وكانت تأخذ رسل كل أسبوع إلى الكنيسة وتلقنه أصول مذهب « الوحدين » في البيت . وكانت تنزع إلى كره الاستعمار — الذي سيمقته رسل فيما بعد أشد المقت — فكانت تؤيد الاستقلال الذاتي والحكم الداخلي لإرلندا . وعلمت رسل أن يرى في الحرب بين الأفغان والزولو « Zulu » - التي حدثت حينما كان رسل في سن السابعة - شرا أي شر . وهناك واقعة يجدر بنا أن نشير إليها كمصريين ؛ فإن هذه الجدة لم تملق كثيرا على احتلال مصر ، لا لشيء إلا لأن احتلالها كان راجعا إلى « جلادستون » وكانت هي معجبة به . ويقول رسل « إنه يذكر نقاشا دار بينه وبين مربيته الألمانية ، فقد قالت له : إن الإنجليز إذا دخلوا مصر ، فلن يخرجوا منها أبدا مهما أعطوا من وعود . ولكنه أصر عن عاطفة وطنية جياشة ، على أن الإنجليز لا يخلفون وعودهم قط . ثم يقول : وكان ذلك منذ سبعين سنة ، وما زالوا فيها لم يبرحوها » وهذا قول نرويه دون تعليق ، ولتضع أنت النقط فوق الحروف كما يقولون

لم يتلق رسل تربيته الأولى في المدارس ، فلم يبعث به إلى المدرسة ، بل أحضر إليه المدرسون والمربيات . وقد أجاد على أيدي هؤلاء المدرسين ، اللغة الفرنسية والألمانية إجادة تامة ، وكثيرا ما كان يقلب وينقب في مكتبة جده التي كانت حجرة دراسته كما يقول

وفي سن الحادية عشرة حدث له حادث أثر في حياته كل التأثير ، أو هو الحادث الذي وجه حياته كلها ، والذي اكتشف فيه رسل ما يوافق هواه ؛ وهذا الحادث : هو أن أخاه الأكبر — وكان يكبر رسل بسبع سنين — أخذ يعلمه هندسة « إقليدس » — وكتاب إقليدس كان أفضل كتاب في الهندسة — وقد سر رسل بذلك سرورا عظيما ؛ لأنهم قالوا له : إن إقليدس يبرهن على كل مايقول ؛ ولكن حينما بدأ في تعلمه ، وجده يبدأ بالبديهيات التي يسلم بها بدون برهان ، فما كان من هذا الذهن الذي ركب تركيبا ، لا نقول رياضيا ، بل تركيبا يكاد يعلو على المستوى الرياضي ، إلا أن يشك في هذه البديهيات ، ولا يقتنع بها ؛ ولكن أخاه أخبره أن لا فائدة إذن من تعلم الرياضة إذا لم يسلم بهذه البديهيات ، فسلم بها مكرها . ومع ذلك فقد وجد في الرياضة لذة لأنها أقرب الحقائق إلى الثبات ؛ ولكنها ليست مع ذلك ثابتة ، ومن هذا الحين أخذ يتعمق في درس الرياضيات التي ستؤديه إلى منطقه التحليلي الذي سيفتح به المشاكل الفلسفية .

فها هو ذا عقل يشك في كل شيء حتى في الرياضيات . ويطلب لكل شيء برهانا حتى البديهيات !

واستمر الصبي الصغير يتربى على أيدي المربيات الألمانيات والسويسريات ، وأخيرا ، على أيدي المدرسين الإنجليز . وحينما بلغ الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمره ، أخذ يديم النظر والتفكير في أمر الدين ، ويتساءل لماذا هو مسيحي ؟ بل لماذا يؤمن بالدين ؟ وأين البرهان الذي يجعلني أؤمن به ؟ وأخذ يطيل التفكير في أمر الإرادة الحرة « Free Will » والخلود ، والله . أما الإرادة الحرة فرفضها لأنه اعتقد أن حركات الأحياء كلها تسير تماما بنفس القوانين الديناميكية التي تسير بها المادة ، وحينئذ فلا وجه هناك للإرادة الحرة ؛ ثم نبذ الاعتقاد في الخلود ،

ولكنه ظل مستمرا في الإيمان بالله ، لأن دليل العلة الأولى ظل حافظا مركزه أمامه

وفي هذه الأثناء لم يكن في طوقه أن يحدث أحدا من أقاربه بآرائه هذه ، وكان يكتبها في يوميات بالحروف اليونانية حتى لا يستطيع أحد أن يقرأها ولم يستطع أن يتحدث مع أحد في مشاكله هذه إلا مع مدرس « لا أدري » كان يعلمه ، ولكنه سرعان ما طرد خوفا من أن يؤثر فيه ، وظل يافعنا هذا يتألم أشد الألم ، ويعاني أقسى صنوف القلق والشقاء ، وهو يرى عقيدته الدينية تنهار لبنة إثر لبنة ، وقد عزا في هذه الأثناء شقاءه إلى فقده العقيدة الدينية ، وظل ثلاث سنوات يفكر في أمر الدين ، وقد تخلى عن عقيدته في الخلود ، ولكنه ما زال مؤمنا بالله إلى أن كان ووقعت يده — وهو يومئذ في الثامنة عشرة وقبل أن يلحق بكمبردج بقليل — على الترجمة الذاتية التي كتبها « جون استوارت مل » وقرأ فيها هذه الجملة « لقد علمني أبي أن السؤال : من خلقني ؟ لا يمكن الإجابة عنه لأنه يوحي في الحال بسؤال آخر وهو : من خلق الله ؟ » ومنذ هذه اللحظة تخلى رسل عن إيمانه بالعلة الأولى ؛ ولم يكن له حق في ذلك ، إذ أنه قاس الحاضر على الغائب، والمخلوق بالخالق ؛ إذ أن الله الذي خلق لاينطبق عليه ما ينطبق على ماخلق ؛ لأنه هو الذي رسم المخلوق خلقته ، وأجرى عليه قوانينه ، فلا وجه لقرن المخلوق بخالقه ، ولكنه نوع من تداعي المعاني الساذج الذي لا محل له في هذا المكان ، هو الذي يوحي بسؤال : من خلق الله ؟

وظل رسل يقرأ بشغف ونهم ، يقرأ الشعر والتاريخ ، يقرأ « لتنسون » و « بيرون » و « شلي » و « كارليل » ولكن الذي أغرم وأعجب به هو جون استوارت مل الذي وافق هواه ، والذي يعتبره رسل أباه الروحي وقد قرأ كل مؤلفاته وعلق عليها

وفي أكتوبر سنة ١٨٩٠ دخل رسل كلية « ترنتي » « Trinity College » بجامعة كمبردج وهناك وجد عالما رحبا ، وقوما يحدثهم فيما يهمه من مشاكل فيستجيبون له ويستمعون اقوله ، وتعرف على نخبة من الزملاء ، من بينهم الذي يهتم علاوة على دراسته المدرسية بالشعر أو الفلسفة أو السياسة أو الأخلاق ، وكثيرا ما كانوا يقضون الأمسيات أيام السبت ، يتناقشون إلى الهزيع الأخير من الليل ، ثم يجتمعون لتناول طعام الإفطار يوم الأحد ، ويقضون بقية اليوم سائرين يتناقشون ويتحاورون . ولقد كان من بين هؤلاء الأصدقاء فيما بعد أعلاما يعرفهم العالم الإنجليزي ؛ إلا أن أشهر هؤلاء الصحاب هو الفيلسوف الرياضي الإنجليزي « هوايتهد » الذي كان يومئذ زميلا بالكلية ثم محاضرا ، ولم تتوطد الصداقة بينه وبين رسل إلا فيما بعد حيث سيشتركان في إخراج كتاب في فلسفة الرياضة ، يعد في طليعة الكتب الهامة التي خرجت في القرن العشرين ، وكان في هذه الأثناء مهتما بدراسة الرياضة ، ثم قرأ « هجل » وآمن به

وكان رسل خجولا أول أمره ، منطويا على نفسه ، ولكنه ما لبث أن تفوق على أقرانه وعرف بذكائه وحصل على درجته في الفلسفة بامتياز وانتخب « زميلا » في كليته في خريف سنة ١٨٩٥ ؛ إلا أنه كان قد ترك كامبردج ولحق بالسفارة البريطانية في باريس سنة ١٨٩٤ ومكث هناك بضعة شهور . وفي ديسمبر سنة ١٨٩٤ تزوج رسل زوجته الأولى وذهب هو وزوجته إلى برلين ، وقضيا هناك عدة شهور درس خلالها رسل الديمقراطية الاجتماعية الألمانية ، ثم قفل إلى إنجلترا حيث سكن هو وزوجه منزلا صغيرا في الريف ، واعتكف في صومعته هذه على دراسة الفلسفة . وفي سنة ١٩٠٠ زار مع صديقه « الفرد هوايت هد » المجمع الرياضي بباريس ، وقابل هناك تلاميذ الرياضي الإيطالي المشهور « بيانو » « Peano » (١) وكان لذلك أكبر الأثر على رسل ، إذ أنه أخذ من فوره يدرس مؤلفات بيانو ، ولم يمض كثير وقت حتى أخرج أول كتاب مهم له وهو « مبادئ الرياضيات » سنة ١٩٠٣ ، وشرع هو وهوايتهد في تأليف كتابهما المشترك المشهور « مبادئ الرياضة » وظهر الجزء الأول منه في سنة ١٩١٠

وفي تلك الأثناء كان يعيش عيشة غاية في البساطة ، ويعمل عملا دائبا ويرهق نفسه بكثرة الدراسة ، وقد انتقل هو وزوجته

---

(١) من المعروف أن رسل قد تأثر في دراسته الرياضية ببيانو الإيطالي والرياضي الألماني فرج « Ferge » ، وقد أثر فيه الأخير أكثر من سابقه ، وقد سبق فرج رسل بالتحليل المنطقي ويقول رسل نفسه : إن منطق فرج الرياضي مبني على تحليل للأفكار المنطقية

إلى منزل صغير بجوار أكسفورد ، وكان بين الحين والحين يذهب إلى الخارج ، وبدأ يشارك رسل فى الشؤون العامة ويتخلى بعض الشئ عن دراسته الفلسفية ، ليلقى بنفسه فى أتون السياسة ، وينزل من برجه العاجى ليخوض غمار الحياة

وفى سنة ١٩١٠ اختير محاضرا فى كليته فى جامعة كامبردج

وما أن تلبد الجو بالغيوم ، وترقب الناس هبوب عاصفة حرب عالمية ، حتى عاودت رسل روح أجداده فاندفع إلى المشاركة فى شؤون السياسة ، ولم يستطع أن يستمر هادئا فى برجه العاجى بعد الآن وهو يرى بعينى رأسه شباب أوروبا يجمع ليساق إلى المجزرة فرى بنفسه بين عجاج المعركة ، ووقف وحده فى الميدان — إلا من عدة أنصار قليلين — ينادى بكل قوته أن قفوا هذه الوحشية والبربرية ، ولا تشعلوا نار الحرب ، وحمل رسل لواء الحرب ضد الحرب

وفى تلك الأثناء ضاقت به الحكومة وغرمته مائة جنيه لأنه كان قد كتب كتيبا يصف فيه المسيحى الأول ذا الضمير الحى الذى يعارض المسيحية ، ولم يكن رسل يملك ما يؤدى به هذه الغرامة ، فبيعت مكتبته وفاء لهذا الدين ، واشتراها أحد الأصدقاء ، ولكن قد فقدت كتب قيمة من بين ما كانت تحويه مكتبته من رائع المؤلفات . وكانت الطامة الكبرى حين منعته كليته من أن يحاضر بها . ولكن جامعة هارفارد بعثت إليه تطلبه ، بيد أن الحكومة البريطانية رفضت أن تعطيه تصريحا بالسفر ، فما كان منه إلا أن عزم على أن يلقى سلسلة من المحاضرات العامة وقد نشرت بعد ذلك تحت عنوات مثل سياسية سنة ١٩١٨ ولكن السلطات الحربية منعته من إلقاء محاضراته . وفى سنة ١٩١٨ حكم عليه بالسجن ستة أشهر لأنه كان قد كتب مقالة فى السياسة ، وفى السجن كتب كتابه القيم « مقدمة إلى الفلسفة الرياضية »

وقد نظم له بعض الأصدقاء اكتتابا لإلقاء محاضرات فى لندن ، وكان نتيجة لهذه المحاضرات كتابه « تحليل العقل » سنة ١٩٢١ . وفى سنة ١٩٢٠ كتب كتابه عن البلشفية بعد أن زار روسيا زيارة قصيرة لكى يدرسها عن قرب (٢)

وفى خريف سنة ١٩٢٠ ذهب رسل إلى الصين محاضرا فى جامعة بكين فى الفلسفة . وفى الربيع أصيب بذات الرئة ، واستمر ثلاثة أسابيع فى سياق الموت ، حتى أن جرائد يابانية متسرعة أعلنت نبأ وفاته ، ولكن عناية الأطباء الألمان المتصلة أنقذت حياته من بعد موت محقق . وحينما عاد فى سنة ١٩٢١ تزوج زوجته الثانية « دور بلاك » وظلا يعيشان معا ست سنوات فى منزل صغير فى أشهر الشتاء فى « Chelsea » ولم تكن هناك من سبيل إلى كسب عيشه إلا الصحافة وإلقاء المحاضرات ، و كتابة الكتب الشعبية مثل « ألف باء الذرة » ١٩٢٣ و « ألف باء النسبية » ١٩٢٥ وفى « التربية » ١٩٢٦ .

أما أشهر الصيف التى كان يقضيها قريبا من « Lands Eed » فقد قصرها على العمل الجدى والدراسات الشاقة مثل الطبعة الثانية من « مبادئ الرياضة » و كتابه « تحليل المادة » ١٩٢٧ وكتابه « على هامش الفلسفة » ١٩٢٨ و « التصوف والمنطق » ١٩٢٩ و « الزواج والأخلاق » ١٩٢٩ وقد ذهب إلى الولايات المتحدة ليحاضر هناك فى سنة ١٩٢٤ وسنة ١٩٢٧ . وفى سنة ١٩٢٧ أنشأ هو وزوجته مدرسة لتربية الأطفال

وفى سنة ١٩٤٠ (٣) قوبل منحه كرسيا فى سيتى كولج « City college » بنيويورك بعاصفة قوية من المعارضة لما عرف عنه من آراء أخلاقية متطرفة ، وقد أبطل تقليده هذا المنصب بواسطة المحكمة

وقد يعزى أسلوب رسل المشرق المعجب ، إلى أنه لم يقاس ولم يخضع فى تعليمه لأسلوب التعليم « الكلاسيكى » فى المدارس العامة ، ولكن ذكاءه ولقانته وحبه للحقيقة وقدرته على العمل الشاق يبدو أنها فطرية فى بعضها ، ووراثية فى كثير منها

القاهرة

عبد الجليل السيد حسن

---

(٢) يقول رسل « قد وضع كثير من أصدقائى الأمل فى روسيا، ولكنى حينما ذهبت إلى روسيا السوفيتية فى سنة ١٩٢٠ لم أجد شيئا أرضى به أو أعجب له

(٣) وكان قبل ذلك بعام فى سنة ١٩٣٩ أستاذا للفلسفة فى جامعة كاليفورنيا

رسالة الشعر

كفارة الدموع

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

الإهداء ...

« زينب » يا تسبيحة الطيوب   يا همسة الحبيب للحبيب
ويا خشوع الحب في القلوب
هواك لي ، كفارة الذنوب   عطر أوتاري ، وندى كوبي

* * *

« زينب » يا عطر الهوى الحبيب
يا فرحة في قلبي الكئيب
وواحة في عالمي الجديب
رحماك ، هل تضفين للوجيب   من شعري المخنوق بالنحيب

* * *

كفاك ما نكأت من ندوبي   وما جنى الجمال من تعذيبي
فنضري الحياة للغريب
ونوري ما اظلم من دروبي
يا فجر حب ليس بالكذوب

* * *

النداء ...

هي الخمر ضاحكة تسكب   تلألأ كما لألأ الكوكب
ينور في الكأس ياقوتها   فينداح من نورها الغيهب
وتعبق في الحان أنفاسها   كما يعبق النرجس الطيب
إذا شعشعت أطلعت أنجما   من الدر أضواؤه تخلب
وحف بها حبب راقص   شبيه من الماس أو يقرب
يطوق من جيدها عاطلا   تزان به كلما تسكب
كعقد من الدرر الغاليات   تحلت به كاعب ربرب

* * *

نكأت شبابي العاري الإهاب   إذا أنا للكأس لا أطرب
ولم تنتفض في عروق الدماء   ولم يرتعش جسدي المتعب
ولم أحتفل بالكؤوس الدهاق   كما يحتفي بالصغار الأب
نكأت شبابي ، أأستافها   عبيراً يفوح ولا أشرب
وأبصرها فوق ثغر النديم   شهاباً ومرجان ما يقرب
يقبلها - يا لبؤس الجمال -   قبيح ، ويحضنها أشيب
تطوف ويتعب عشاقها   من السهد ليلا ولا تتعب
عروس تتيه على الخاطبين   وتأبى ، ومن عجب ، ثيب
تقهقه إما تميل الرءوس   وتسخر من عاشق ينحب
تدور على فتية مترفين   صباح ، يزان بهم ملعب
كما دار في أفقه مشرق   من النجم أطلعه المغرب

* * *

أأندب عمراً كنبع يفيض   بأفراحه وهو لا ينضب ؟ !
أأندب ؟ يا شؤم هذي الحياة   إذا كان مثلي من يندب
وأي صداح هذي الرياض   وغريدها الباسم المطرب
سأضحك عمري لا أنحب   وللموت ، للقبر من ينحب
على أي شيء أذيل الدموع   وأعصر جفني أو أحلب
وفيم البكاء على مقفر   من الحلم هل يمرع السبسب ؟!
أأبكي على مأمل ضائع   تولى وقد لفه غيهب ؟!
وأنسى غداً وهو فجر يلوح   لمن بات في ليله يرقب
سأغلي دموعي وإن ضامني   زمان بأصحابه قلب

* * *

أجوع وهذي ثمار الفتون   تصيح على الجائعين انهبوا ؟
وأظما وسلسال نبع الجمال   يغص به كل من يشرب ؟
عرائس من ناضجات الجنى   ينوء بها الثمر الطيب
تدلت عناقيدها واستوت   على سوقها فتنة تخلب
يجن بيهجتها الناظرون   ويبهرهم حسنها المغرب
تمنيت لو كنت ناطورها   وهيهات هيهات ما أطلب
دمي وشعوري وزهو الصبا   إلى قدسها بعض ما أوهب
أطوف بمحرابها خاشعا   وأهفو إليها ولا أقرب
لمن خلق الله هذي العيون   إذا أنا عن وردها أنكب
مآرب كم حققت في الخيال   وفي الصحو ما حقق المأرب
ولو وهب الحسن لي قلبه   لأفنيت عمري له أدأب

* * *

تباركت يارب ، هذا الجمال   صداك ، إليك به ، أقرب

عبدتك فيه ولكنه جفانى ، وخلفنى أندب
وأوصد دونى بستانه كأنى فى ساحه مذنب
أأطرد عن هيكل لم يزل فؤادى على بابه يشعب ؟!
أحبى جرم ... وحبى أسأت أما آن أن يصفح المعتب ؟
رضيت هوانى فى عزه وكل عذابى به يعذب
وإنى فراشة نور الجمال وهيهات عن ناره أهرب

* * *

أأهوى الجمال وأشقى به ولم أحظ يوما بما أطلب
كأن لم أذوب على جمره فؤاداً بأشواقه يلهب
ولم أنفث الشعر ملء الحياة أغاريد أصداؤها تطرب
ولم أرسل الرقصات الحسان سواحر حسادها تتعب
علام أذاد ، ويحظى به سواى وقد ضاق بى المذهب
وأنى هزار الهوى والشباب وقيثاره المبدع المطرب
وقد فجر الحسن فى مهجتى معيناً من اللحن لا ينضب

* * *

سألتك بالسحر فى الفاترات عيون الظباء لها تنسب
وبالجسد الرخص إما انثنى وماد على وقعه المنكب
وبالنافحات عبير الصبا نواهد قد زفها الموكب
وبالمرسلات نجاوى القلوب أحاديث يشتاقها المعجب
ألا واحة فى هجير الحياة يموت بها الظمأ الملهب
أفيء إلى ظلها والهاً فأنسى خطوباً بها أنصب
وأخلع عن عاتق الهموم وما ينشر الدهر أو يسحب
خلى الفؤاد من المؤلمات فلا ما يسيء وما يتعب
كطفل سعيد بأعوامه وآماله أبداً تلعب
وقد واكبته طيوف المنا وهش له الزمن الطيب
ولا كدرت صفو أحلامه ليال ولا رنق المشرب

* * *

حياتى ، بعد جفاف الفؤاد فراغ يشابهه السبسب
يموت به المرح المستطاب ويحيا به الندم المرعب
ويستيقظ اليأس من جوعه ويصرخ جرح الظما الملهب
فلا اللهو رف على روضه ولا طاف فى أفقه كوكب
ولا غازلته طيوف المنى ولامسه الأمل الصيب
لقد فاض فيه معين الشباب وجف به روضه المعشب
يمر عليه الربيع الضحوك فيفزع منه ولا يقرب
كمقبرة ... ، مالأصدائها مجيب ، ولا يومها ينعب
جفتها الظنون فلا هاجس يمر ، ولا شبح يسرب
سوى الدود . جال بأنحائها ونام على بابها العقرب

* * *

فؤادى بعد جفاء الحبيب يباب .. وهل يمرع المجدب ؟!
وكيف ستزكو الرياض التى جفاها غمام الهوى الصيب
عزاءك ياقلب بالذكريات فهن قوتك والمشرب
وصبراً إذا ملك الأقربون وخان هواك الذى يحدب
وداو جراحات حب عفا وأقفر روض له مخصب
وكن حذراً من هواك الجديد فبرق سماء الهوى خلب
ألم تبله فى قلوب الحسان يطوف وسرعان ما يذهب
فلا تخدعنك الوعود العذاب فكم مدمع بالهوى يكذب

* * *

شبابى ، يحن إلى روضة ممطرة طيرها يصخب
أجوس بأرباضها حالماً وتحت أماليدهـا ألعب
أودع فيها لغوب الحياة ومن فيض ينبوعها أشرب
مللت طوافى وراء السراب وخلفى وهمى لا يتعب
أروح وأغدو بلا مأمل ويا ويح من ليله يحطب
فأين « هنائى » أين التى على جمر أشواقهـا ألهب
فياعدمى أنت أنت المنى ويا عدمى أنت لى مأرب
ويا أيها المترفون اللطاف إلى .. إلى ولا ترهبوا
فلست أهاب انتشار الحديث وإن أولوه وإن أطنبوا
أسيان من خاض هوج الخطوب شجاعاً إلى موته يركب
ومن عاش فى رفرف حالماً يخاف ، ومن ظله يهرب

* * *

«أزينب» ياسحر هذى الحروف إذا ينطق القلب يازينب
أيا كوكباً فى سماء الخيال ينير وسرعان ما يغرب
أإشراقة الله فى أرضه وكوثره الحلو بل أعذب
مررت بقلبى مرور النسيم تخلفت فيه هوى ينحب
تملكنى اليأس هيا أشرقى على فقد إلفى الغيهب
أناديك .. هل تسمعين النداء وقد بح صوتى يازينب

« بغداد ـ أمانة العاصمة » عبد القادر رشيد الناصرى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

استقبال عضوين فى المجمع :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الاثنين الماضى باستقبال عضوين جديدين ، هما الأستاذ عبد الحميد العبادى بك والدكتور أحمد عمار . فألقى الأستاذ إبراهيم مصطفى بك كلمة المجمع فى استقبال العبادى بك ، فبدأ بالحديث عن الشاب عبد الحميد العبادى الذى كان يلقاه فى الجامعة الأهلية القديمة ، وقال إن الشباب الذين كانوا يلتقون فى الدراسة بتلك الجامعة ، إما ممن تلقوا ثقافة إسلامية عربية بحتة ، وهؤلاء كانوا يدلون بمعرفتهم للغة العربية وقواعدها وأدبها ، أوممن تعلموا فى المدارس المدنية ، وهؤلاء كانوا يزهون بتعلمهم اللغات الأجنبية ، وكان كل من الفريقين يسعى إلى التكمل بالثقافة التى تنقصه . وكان عبد الحميد العبادى من الفريق الثانى ، وقد جد فى تحصيل اللغة العربية ، وحفظ الأشعار ، وبلغ جده فى هذا السبيل أن حفظ القرآن الكريم . ثم تحدث الأستاذ إبراهيم مصطفى بك عن العبادى فى حياته العملية منذ أن بدأها مدرسا بمدرسة ثانوية حتى صار عميدا لكلية الآداب بجامعة فاروق الأول وأستاذا للتاريخ الإسلامى بها، وكان فيما بين ذلك أستاذا للتاريخ الإسلامى بدار العلوم ، وكانت دراسة التاريخ فى هذه المدرسة تتصل باللغة العربية وأدبها وبالشريعة الإسلامية ، وتعنى بالموجات الاجتماعية فى العصور الإسلامية ، فاهتم العبادى بك بكل ذلك ودرسه وأداه أحسن أداء.

ثم قال إن العبادى مدرسة وحده فى التاريخ ؛ يتخذ المنهج الحديث ، ويعتمد على النص القديم . وهو ضنين بالنشر وقليل التأليف على شدة الحاجة إلى رأيه وانتظار الباحثين كلمته . على أن الأستاذ إبراهيم بك لم يطل فى الحديث عن العبادى بك من ناحية اختصاصه بالتاريخ وجهوده فيه ، وعلل ذلك بأن المجمع اختار لاستقباله نحويا (يعنى نفسه) لا مؤرخا ، واستطرد من هذا إلى قدرة العبادى بك وبراعته فى النحو ، مستدلا على ذلك بما جاء فى تحقيقه كتاب « نقد النثر » لقدامة ، إذ يناقش كثيرا من المسائل على أساس الإعراب

ثم أعقب ذلك الأستاذ عبد الحميد العبادى ، فعبر عن شكره أعضاء المجمع وحياهم تحية طيبة ، ثم قال إن حلوله محل المرحوم الدكتور محمد شرف بك فى عضوية المجمع يعد فرصة للحديث عن الطب عند العرب ، وبدأ هذا البحث بقوله إن العرب عرفوا الطب علما إنسانيا بعيدا عن الهوى والغرض من أى نوع ، خالصا من الاعتبارات الدينية والجنسية وما إليها ، يدل على ذلك اتخاذ الخلفاء أطباء ومترجمين لعلوم الطب من مختلف الديانات والأجناس . وتحدث عن طائفة من الأطباء والمؤلفين فى الطب ، وبين اتساع اللغة العربية لمصطلحات الطب فى القديم ، وتحدث عن الجهود الموفقة التى بذلت ، أوائل عصر النهضة العلمية المصرية ، فى وضع المصطلحات الطبية ، وتأليف معاجم فى ذلك باللغة العربية ، حتى بلغ الحديث عن معجم الدكتور شرف فبين خصائصه وأغراضه ، وأوجز تاريخ حياة سلفه وإبراز جهوده العلمية

وكانت كلمة المجمع فى استقبال الدكتور أحمد عمار ، للدكتور منصور فهمى باشا . فاعتذر فى أول كلمته عما عساه يقع فى كلامه من أخطاء نحوية لأنه سيرتجل . على أن الكلام استقام له فلم أسمع منه خطأ إلا مرة واحدة عندما قال « لست لغوى » وما كنت أعنى بهذا لولا اعتذاره . . قال الدكتور منصور باشا : لست طبيبا ولست لغويا حتى أستطيع أن أبرز مكانة الدكتور عمار فى الطب واللغة . والدكتور منصور فهمى باشا من أساتذة الفلسفة فلا بد أن يجنح إليها فى حديثه عن الدكتور عمار ، قال : فلا أقل من التحدث عن ناحية أحسها فى الدكتور عمار ، وهى العصبية فى اللغة التى تعتمد على نوع من الحب هو فى نظرى ضرب من ضروب القومية الوطنية . وأفاض متفلسفا فى ماهية هذه العصبية وكيف نشأت ، حتى وصل إلى أنها هبة من الله

وأوجز الدكتور منصور باشا تاريخ حياة الدكتور عمار

منذ حفظ القرآن الكريم فى المكتب بالقرية ، ذاهبا إلى أن هذا اليوم الذى يستقبل فيه المجمع عضوين حفظا القرآن الكريم هو يوم البركة التى حلت به . .

ومما قاله أن الدكتور عمار وجه إلى الدراسة العلمية الطبية على رغم شغفه باللغة والأدب ، فبرع فيهما براعته فى اللغة والأدب ، وهذا يجعلنا نعود إلى تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، إذ كان يقال إن العالم أو الطبيب فلان ثبت فى اللغة ، فالعضو الجديد يذكرنا بذلك الماضى ويحملنا على الأمل فى أن يستفيد المجمع من هؤلاء العلماء الذين يتذوقون اللغة العربية

وبعد ذلك وقف الدكتور أحمد عمار فألقى كلمته ، وكان يعنى فيها بالإعراب وصحة النطق عناية ظاهرة ، إلى ما فى أسلوبه من قوة وجزالة . شكر المجمع على اختياره واستقباله ، وأعرب عن شعوره المتواضع إزاء اختياره خلفا للمغفور له الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ، وتحدث عن سلفه بما هو أهله من الإكبار ، وخص فنه فى كتابة المقالة قائلا إن مقالات المازنى مجد أدبى عريق . واقترح

كشكول الأسبوع

◘ رفض أغنياء أسيوط التبرع ببعض قصورهم أو تأجيرها لجامعة محمد على المقرر إنشاؤها فى مدينتهم ، زاعمين أنها تمثل مجد الأسرات وتاريخها ! ! فإذا كان المجد الغابر من نوع الحاضر فهو مجد مزعوم . . وإن كان مجدا حقيقيا فلماذا لا يضيفون إليه طارفا . . ؟

◘ كان عميد كلية الحقوق بجامعة إبراهيم كتب مذكرة بإنشاء ركن أدبى فى مكتبة الطالب بالكلية ، يطلق عليه اسم وزير المعارف ، وعند ما عرضت هذه المذكرة على معالى الوزير بوصفه الرئيس الأعلى للجامعة ، قرر أن يطلق على هذا الركن اسم الإمام محمد عبده

◘ جرى حديث فى أحد المجالس الأدبية ، عمن هم جديرون بالترشيح لملء الكراسى الخالية بالمجمع اللغوى ، فتناول الحديث الأستاذ كامل كيلانى على أنه جدير بعضوية المجمع ، لأنه من القلة المعاصرة التى تفهم دقائق اللغة وتفقه أسرار البيان ، وتجمع إلى ذلك الطبع الأدبى الأصيل

◘ ١ — دعى الدكتور محمد يوسف موسى الأستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر لمؤتمر المستشرقين الذى سيعقد فى الآستانة فى سبتمبر الآتى . وفى نيته أن يلقى فى هذا المؤتمر بحثا عن « التفسير المجازى فى القرآن » : نشأته ، أسبابه ، وقيمته

٢ — والدكتور موسى كان عضوا بالمؤتمر فى دورته التى عقدها بباريس سنة ١٩٤٨ ، وتقدم باقتراح نجح فى أن قبله المؤتمر ، وهو يقضي بجعل اللغة العربية لغة من اللغات الرسمية بالمؤتمر

◘ قال لى قائل : وصفت الإذاعة بأن جهلها مركب ، لأنها تذيع « التواشيح » من الأضرحة على أنها حفلات دينية ؟ وفاتك أن هذا الجهل ليس مركبا فقط ، وإنما هو أيضا فاضح . . لأن الإذاعة تفضحنا حينما تنقل إلى أسماع الناس فى الخارج ، ذلك السخف بتلك الأصوات المنكرة

◘ تطلق الإذاعة على بعض الناس ألقابا ليست لهم ، تسكبها فى البرامج وتقدمهم بها ، ومن ذلك « الدكتور أحمد عبد المنعم البهى » فالشيخ أحمد عبد المنعم البهى رجل فاضل ، ولكنه ليس دكتورا . فهل تجامله الاذاعة بما ليس له ، أو هو لون من جهلها . . ؟

◘ صدر أخيرا كتاب «صفوة التصوف» تأليف محمد ابن طاهر بن على المقدسى، وقد شرحه وعلق عليه الأستاذ أحمد الشرباصى . والكتاب شرح للتصوف ودفاع عن الصوفية وهو يسلك طريقة التدليل والبسط بإيراد الأحاديث النبوية الشريفة

الدكتور عمار — فى ختام كلمته — على المجمع أن يتسمح فى ترجمة المصطلحات الطبية المنحوتة على نفس المنوال ، أى يترجمها إلى كلمة منحوتة من كلمات غريبة ذات دلالة كدلالة الكلمات التى نحت منها الأصل . ووعد بأن يبسط هذا المقترح فى بحث جديد

اقرار كلمات محدثة :

أتينا فى الأسبوع الماضى بأربعة وعشرين لفظا من الألفاظ التى استعملها المحدثون فى معان لم تسمع عن العرب الأولين ، وأقرها أخيرا مجمع فؤاد الأول للغة العربية بعد أن عرضها عليه الأستاذ أحمد حسن الزيات طبقا لما ارتآه من حق المحدثين فى الوضع اللغوى وقبول السماع منهم وهو حق بعد إقراره ، كما تعد الألفاظ التى أقرت ، حدثا فى تاريخ اللغة العربية . وطالما اشتجرت الأقلام فى هذه الألفاظ ، وطالما حمى الوطيس بين الناقدين والمنقودين بشأنها . وقد هدأت تلك الحرب ، ثم جاء إقرار المجمع بمثابة عقد الصلح ، فوضحت الحدود اللغوية ، وصار لكل كلمة اعتبارها الذى لا يجوز الطعن فيه

وهاك بقية تلك الكلمات :

٢٥ ـ الثقافة : مصدر ثقف صار حاذقا . والمحدثون يستعملونها اسما من التثقيف وهو التعليم والتهذيب ، ومنه قول القائل « ولولا تثقيفك وتوفيقك لما كنت شيئا » فهي عندهم تقابل لفظ cuiture عند الفرنج

٢٦ ـ ينقصه كذا — يستعمل المحدثون « ينقصه » بمعنى يعوزه ، فيقولون هو عالم ولكن تنقصه التجارب ، والعرب يقولون : نقصت الشيء أذهبت منه شيئا بعد تمامه

٢٧ ـ المقاولة والمقاول : قاوله في أمره مقاولة : فاوضه وجادله : ومن المفاوضة والمجادلة أطلق المحدثون المقاولة على عملية يتعهد فيها طرف بتنفيذ مشروع لقاء أجر معين يؤديه الطرف الآخر ، والمتعهد بالتنفيذ مقاول

٢٨ ـ الإخراج والمخرج : يقولون أخرج الرواية : أظهرها بالوسائل الفنية على المسرح أو الشاشة ، فهو مخرج

٢٩ ـ الحاس : سمع من المحدثين استعمال الحاس بدون تاء . والمسموع عن العرب الحاسة

٣٠ المران : كذلك يقول المحدثون « مران » بدون تاء . والمسموع عن العرب مرانة

٣١ ـ الرصيف : يستعمل المحدثون الرصيف بمعنى الإفريز ، فيقولون رصيف المحطة الثانى مثلا . والرصيف فى اللغة ضم الحجارة بعضها إلى بعض فى ثبات ونظام وإحكام ، وعمل رصيف : محكم رصين ، ومن المادة أن يكون رصف الشارع أو المحطة كذلك

٣٢ ـ الجرد : بالفتح بقية المال . والمولدون يستعملونه فى إحصاء ما فى المخزن أو الحانوت من البضائع وقيمها

٣٣ ـ التصفية : صفى الماء نقاه . وقد استعار المحدثون التصفية لتنقيح الحساب وتحرير الدين وحل الشركة وتأدية ديونها وتفريق ما بقى من أموالها على أصحابها ، وهى ترجمة الكلمة Liquidation فى الفرنسية والإنجليزية

٣٤ ـ السباكة والسباك : سبك الفضة ونحوها أذابها وأفرغها فى قالب . وقد توسع المحدثون فى هذا المعنى فأطلقوا السبك على معالجة المعادن المختلفة بقطعها ووصلها وإصلاحها ، واشتقوا منها السباكة للحرفة والسباك للصانع

٣٥ ـ الجو : العرب يجمعون الجو على جواء ، والمحدثون يجمعونه على أجواء

٣٦ ـ بائس : يجمعه العرب على بائسين ، ويجمعه المحدثون على بؤساء

٣٧ ـ : زهر يجمعه العرب على أزهار ، ويجمعه المولدون كذلك على زهور

٣٨ ـ الكوز : يطلقه المحدثون على مطر الذرة . ولم يسمع عن العرب

٣٩ ـ الجسر : ما يعبر عليه كالقنطرة ونحوها . وقد توسع فيه المحدثون فأطلقوه على ضفة الترعة وعلى الحد الفاصل بين أرضين

وإتماما للفائدة نورد فيما يلى ما أحيل إلى لجنة الأصول لبحثه ثم تتبعه بذكر مارفض

١ ـ السمك والسميك : السمك بالفتح الارتفاع ، ومن أعلى البيت إلى أسفله ، والثخن الصاعد كسمك المنارة ونحوها ، والمحدثون يستعملونه بمعنى الثخين مطلقا ، ويشتقون منه السميك بمعنى الثخين

٢ ـ المتحف : القياس فى « متحف » ضم الميم . والمحدثون يؤثرون الفتح للتخفيف

٣ ـ الشهية : الشهية مؤنث الشهى . والشهي : المشتهى والشهوان ، يقال رجل شهى أى شهوان ، وشيء شهى أى لذيذ ، والمحدثون يستعملون الشهية بمعنى الشهوة ، ويخصصونها للرغبة فى الطعام ، فيقولون : أصبح موعوكا لا يجد الشهية للطعام ، أما الشهوة ـ وهى حركة النفس طالبا للملائم ـ فقلما تستعمل فى هذا المعنى

٤ ـ الصدفة : يستعملها المحدثون اسم مصدر بمعنى المصادفة ولم تسمع عن العرب

٥ ـ التقاوى : يستعملها المحدثون فى الحبوب التى تبذر



اليتيم

للقصصي الفرنسي الكبير فرانسوا كوبيه

بقلم الأستاذ عبد اللطيف حسين الأرناؤوط

... غامت الدنيا في عينيه .. واكتنفت سحب الشقاء حياته .. وضاقت دائرة عيشه حتى كاد أن يهجر حياته .. وينتقل إلى حياة ثانية سعيدة هانئة أبدية .. شأن كل شخص يكرس وقته ويضحي بهجة عمره .. في سبيل وضع قصص وتأليف روايات .. حيث يعصر كل ما لديه من موهبة وعزيمة يقدمه إلى الجمهور كي يرضيهم .. ومن وراء هذه المهنة .. كان يرتزق ما يسد رمقه ويسكن جوع أمه وذلك مدة خمسة وعشرين عاماً . وهو لا يفتأ يكتب للصحف دون أن يبتسم له السعد . ودون أن يحالفه الحظ ليدفعه في عداد الكتاب المرموقين والمؤلفين المعدودين.

ولكنه كان يرضى بهذا اليسير ويحمد الله على نعمائه .. ويشكره على ما أسبغ عليه ..

ولم يتركه الفقر بما هو عليه .. بل نشر سحابة على منزله الذي اختاره في أحد أحياء الفقراء المعوزين .. ولم يجد في حياته أحداً ليزيل عنه شبح الحاجة .. ويشاركه في حرمانه وشقائه سوى والدته العجوز التي أضناها الداء .. وأقعدها العجز

... هذه هي حياة « جان فينول » الكاتب الروائي الذي كان ينشر رواياته . لكنها لم تلق قبولا حسنا بين الجمهور .: إذ أنهم كانوا يجدونها فارغة جوفاء .. لا أثر للحياة فيها .. صامتة خرساء .. لا سبيل للعاطفة إليها .. خالية من الإبداع حتى أن رئيس تحرير أحد الصحف قال له ذات يوم : إن القراء ينكرون صدق عاطفتك .. وقوة وحيك .. وخصب خيالك .. فأرجو أن تمد قصصك ورواياتك من خيالك الواسع حتى تلبسها ثوباً

للنبات . والعرب لا يفهمون منها إلا تفاوى الشركاء في المتاع : تزايدهم فيه

٦ ـ موس وجمعه أمواس : يطلقه المحدثون ـ من باب التخفيف ـ على الموسى وجمعه مواسى

٧ ـ قراءة الأعداد المركبة مع المائة فما فوق : يقرأ العرب الأعداد المركبة مع المائة فما فوق من اليمين إلى الشمال ، فيقولون نحن في سنة إحدى وخمسين وتسعمائة وألف . والمحدثون يقرأونها من الشمال إلى اليمين تأثرا بلغات الغرب ، فيقولون : نحن في سنة ألف وتسعمائة وإحدى وخمسين

٨ ـ غيور : العرب يجمعون غيورا على غير . والمحدثون يجمعونه على غيورين

أما الأربعة الألفاظ التي رفضت ، فهي :

١ ـ أمجاد الأمة : يريد المحدثون بأمجاد الرجل والأمة مناقبه ومفاخره ومآثره . والعرب يريدون أشراف الناس وكرامهم

قال معالي الرئيس الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا : هذا التعبير لا ضرورة له

وقال الدكتور إبراهيم مدكور : إن اللغة العربية غنية بالكلمات التي تؤدي هذا المعنى

٢ ـ المقهى : القياس في « مقهى » ضم الميم . ولكن المحدثين يفتحونها من باب التخفيف ، وخير منها لفظ « القهوة » رأى الرئيس أن تحذف هذه الكلمة لثقلها ، والاكتفاء بكلمة القهوة التي أقرت

٣ ـ العضو : سمع من المحدثين إدخال التاء على العضو ، فيقولون : فلانة عضوة في الاتحاد النسائي . قال الأستاذ أحمد العوامري بك : لا أرى إدخال تاء التأنيث على كلمة (عضو) فلماذا لا نقول : هي عضو في الاتحاد النسائي مثلا ؟

٤ ـ حفيد : يجمعه العرب على حفدة ، ويجمعه المحدثون على أحفاد

عباس خضر

قشيبا من البهجة والروعة . .

وسكت جان على مضض . . وقد تحير فيما يجيب . . إلا أنه أرسل زفرة حرى انبعثت من صميم فؤاده المكلوم . . وأخذ يحدث نفسه : إنني أعتقد بموهبتي أنها أرفع شأنا . . وأعظم قدراً من أن أكون واضع روايات ومؤلف قصص لإحدى الصحف . »

وخرج من عند رئيس التحرير مهيض الجناح . . منكسر الخاطر . . منطوياً على نفسه . . تاركا عنان حياته للقضاء والقدر . . فلا يدرى ما يخبئ له الزمان . . ولا يعلم ما يضمر عنه الغد . وظل صابراً على الأذى . مقيما على الضيم والحرمان . . حتى امتدت يد المنون إلى منزله . . وسلبت والدته من حياته فتركته وحيداً مفرداً . . لا أنيس له . . ولا رفيق يشاركه لوعة حرمانه . . وعذابه . . وشقائه . .

ولم تمض مدة على وفاة والدته حتى تسرب الملل إلى نفسه . . وسرى السأم فى حياته . . فأحاطت عيشه هالة دكناء . . وغمرت بيته . . فإذا بالوحشة تتمثل أمام عينيه وتتراءى له عن كثب كأنها أشباح تتراقص وتزغرد لتسلب منه كسرة الخبز التى يتناولها كل يوم مرة …

فقد الأمل … وضاع الرجاء … دون أن يهتدى إلى شعاع يستمد منه السعادة المسلوبة … وكان بين حين وآخر يستلقى على مقعده ويحدث نفسه : يا إلهى . . ما هذا الشقاء البرم . . وما هذه التعاسة المدلهمة … وما هذه الحياة الدكناء … ألا تعساً لها . وسحقا لمن يرضخ إليها …

وذات ليلة دخل غرفته كعادته . . متهالكا على نفسه . . يجر خطاه جرا . . وألقى نظرة على أثاثه الذى أكل الدهر عليه وشرب . وجلس وراء مقعده ليشرع فى كتابة قصة للجريدة . . والتفت إلى نار المدفأة . . فرآها خامدة كحياته … لا أثر لها وأراد أن يوقدها . . دفعاً للبرد القارس . . ووقاء من الزمهرير العاتى … وفتش عن عود ثقاب . . فلم يجد . . وهم بالنزول لشراء علبة جديدة ولكنه تريث قليلا . . إذ طرأ على فكره أن يقترض واحدة من جارته العجوز « أم مانيو » التى فقدت ابنتها الوحيدة بعد ما ترملت . . وخلفت طفلا لترعاه جدته العجوز

طرق جان الباب على الأم مانيو … ليسأل حاجته منها . .

ففتحت له . . وألقى نظرة عليها فرآها وقد أضناها التعب وأنهكتها الفاقة . . ومد بصره إلى الداخل . . فشاهدها وقد جمعت فراشها . . وحزمته على ضوء شمعة ذاوية . . فبادرها : ماذا تفعلين . . وأى شئ تصنعين . . ؟؟ وما السبب الذى دعاك لأن تربطى الفراش . . فأجابته بعد ما طفرت الدموع من عينيها : إنك كما ترى . . لقد صممت أن أذهب . . وأرهن فراشى مقابل مبلغ . . لأنى فى حاجة قصوى إليه

فقال : ولكن . . ترهنين فراشك لحاجتك ؟

قالت : نعم . . إننى مرغمة على ذلك . . فقد بلغنى اليوم أن شقيقتى أقعدها المرض وقد رفض قبولها فى المستشفى . . لأنها لا تملك ثمن دواء . . ورأيت أن واجبي نحوها يدعونى أن أقدم إليها يد المساعدة . . فلم أجد سوى أن أرهن فراشى راضية أن أفترش الأرض . . حتى يتسنى لى أن أجمع هذا المال فأرد به فراشى . . على أن أذهب الآن . . قبل فوات الأوان . . أما الطفل فلا أدرى أين أودعه ريثما أعود . . فهزت الشفقة والرحمة نفس جان فترقرقت دموعه فى عينيه وقال : دعى فراشك هنا . . وإنه ليسوءنى أن أراك على هذه الحال . . ها هى عشرة فرنكات أقدمها إليك لتستعينى بها على شراء الدواء لشقيقتك المريضة . . اذهبى حالا الآن . . واتركى الطفل هنا . . أقوم على حراسته حتى تعودى . .

وحاولت أن تشكره على شهامته . . ولكن الكلمات ارتبكت على لسانها . . واستعصت فى فمها فانفجر الدمع من عينيها . . وغادرته بعد ما عهدت إليه بطفلها . .

واستلقى جان فوق الفرش المحزومة . . وأخذ يتأمل أثاث الغرفة تارة والطفل أخرى ويناجيه بقلبه : أيها الطفل المسكين . . هذه هى جناية آبائنا . . وأمهاتنا . . يرموننا فى هذه الحياة بالرغم عنا . . دون أن يأخذوا رأينا . . ولو سئلنا . لا ريب كان جوابنا . . لا . . لا نريد أن نحيا . .

ثم يعود إلى نفسه ويتساءل : ما أكثر أمثال هذا المسكين . . حيث ينتظرهم المستقبل المبهم . . ليقذفهم فى مضمار شقائه . . فأى مستقبل ينتظرهم . . وأى صباح يبتسم لهم . . وأى مساء يقطب أمامهم . .

مسكين هذا الطفل . . فها هى جدته قد أنهكها طول المهد . . وقد أصبحت على حافة القبر . تنتظر موافاة المنية بين يوم وآخر . فأى مصير سيكون لهذا المسكين . . وأى سبيل سينتظره . . علم الله . . عله يكون من هؤلاء المنبوذين . . المشردين فى أرض الله . . يتخبطون فى خضم من الجنايات . . وينساقون فى سيل من الجرائم . . هؤلاء اللصوص الذين يودعون حياتهم بين جدران السجن فى عذاب . . وألم . . وحرمان ...

وهكذا تسلطت هذه الأفكار ... واستولت رأس جان ... فانطلقت الدموع إلى سبيلها ... وهو مطرق ساهم ... يتأمل الطفل حينا . . ويسبح فى خياله وقد خيم عليه الهدوء والسكون . . إلى أن دخلت عليه الأم « ماتيو » فوجدته على حاله يبكي ... فاستخبرته عن سبب بكائه فأجابها : لا شئ ... فكرة ألمت بى ولكننى أريد أن أقترح عليك ... عملا نقوم به سوية ... فما رأيك ...

فأجابته : حسنا تفعل ... وما هو . . ؟ ؟

قال : ماذا تقولين . . فإن ما أحصله من المال . . يكفينى . . ويكفى والدة لى — لو كان لى والدة — فهل ترضين ... أن تشاركينى العيش مع طفلك الصغير ... وبذلك نضع جل اهتمامنا فى تربية هذا الطفل ...

فصاحت الأم من أعماق فؤادها بعد ما سمعت ذلك ... وهمت أن تركع أمامه لتشكر رجولته ... وتحيى شهامته ... لكنها عتمت بعد ما غلبها الدمع:

يالك من رجل ... تريد أن تنقذ حياة طفل برئ ...

وبعد مضى مدة من قيام هذه الأسرة على قدم من الفقر ... وساق من الفاقة ... كان خلالها جان قد أنهى روايته الجديدة التى أطلق عليها اسم « اليتيم » وما أن انتشرت بين الناس حتى نالت رواجا لا مثيل له ... وأحرزت تقديرا من جميع القراء على اختلاف ميولهم وأهوائهم ... فقد أحس كل فرد منهم بالروح الحية التى تنبض فيها ...

وفى أحد الأيام . . التقى جان برئيس تحرير الجريدة . . فبادره قائلا : إننى أرحب بك اليوم ... وأقدم لك أجل التهانى ... وأعظم التمنيات على روايتك « اليتيم » وإننى أصبحت أحد المعجبين بها ... فقد لاقت ... رواجا كبيرا فى أكثر المدن ... فإذا كتبت بعد اليوم ... قصة أو رواية ... فابعثها إلى كى أنشرها لك بكل سرور وامتنان مقابل ثمن ترضى عنه . .

ومنذ ذلك الحين حالفه الحظ . . وأقبل النجاح عليه . . فأصبح من الكتاب المرموقين فى المدينة . . بينما لم يغير منهاج حياته . . وظل يعيش مع الطفل وجدته عيشة . . راضية . . هنيئة . . ترفرف عليهم السعادة والوئام . . .

دمشق **عبد اللطيف حسين الأرناؤوط**



صوت القطيع

لم ترهبين السير أيتها الحائرة البلهاء وتهربين ، وتصمين أذنيك عن أغنيات الحادي المسحور عندما يبتغي إدخال بعض النور وقت اشتداد الكروب ، ليسهل السير ويمضي القطيع ؟

لم تهربين من الجمع الصاخب وسط الطريق ، وتترفعين عن اللغو والصخب المحبوب عند الجموع ، أو تمضين في القفر المجدب وسط الهجير ، بلا غاية ترجين أو ترقبين ؟

ويدمي خطاك الشوك عند المسير ، وتكتوي بالهجير منك الضلوع ، وترهبك الأشباح عند اشتداد الظلام ، وتفزعك الأصوات وقت هبوب الرياح ، ويوحي لك الليل بشتى الهموم

سيري مع الجمع الراكض خلف (الحداء) واستقبلي الأضواء في فرح الكاسب بمحض العطاء؛ وصفقي للنور مهما بدا خافتا . وانسي شقاء السير واستبشري ، وتوهمي الراحة بعد العناء !

هيا مع الجمع لا تعبئي بالشوك بين الخطى ، فلن تشعري بالوخز بين القطيع ، ولن تفزعي من الليل بين القفار ، ولن تهلعي للريح بين الصخور . ولن تصل الشمس وحر اللظى ، إلى مستظل بظلال الجموع ...

هيا ولا تأسي لغبن مضى أو شقاء مرير ، ولا تغبطي السائر تحت الظلال ، ولا تحسدي اللاهين قرب الغدير ، فالكل مرفوع وراء (الحداء) إلى عالم المجهول لا يعرف سر المسير ؟

هيا فلن يبق شقي هنا أو سعيد ، ولن يأخذ المغبون معه الشقاء . وسوف يلقي الكل أعباءهم بعد حين ، ويلتقي الباكي مع السعدين ، ويملأ الصمت مكان الضجيج ، وتطمس الريح خطى الذاهبين ! ؟

آنسة أمينة قطب

أبدل به وأبدل منه

... « ويجوز إبدال ورقة امتحان اللغة الأوربية بورقة إضافية في اللغة العربية »

هذه العبارة التي نشرتها جريدة (المصري) في قانون التعليم الجديد لم يرض بها كاتبنا الكبير الأستاذ عباس خضر ، فخطأها في (كشكول) الرسالة في العدد (٩٣٢) .. والذي أفهمه أن (أبدله من كذا) غير (أبدله بكذا) . فالحرف (من) يدخل على المتروك و (الباء) تدخل على مقابله . . قال ابن مالك : « فأبدل الهمزة من واو وياء » وجاء في المصباح : « أبدلته بكذا إبدالا : نحيت الأول وجعلت الثاني مكانه » .. وعلى هذا فعبارة (المصري) صحيحة لأنها تريد تنحية الأولى وجعل الثانية مكانها . . وباستعراض المادة في القاموس المحيط نرى : تبدله وبه، واستبدله وبه، وأبدله منه، وبدله منه، اتخذه منه بدلا » ولم يورد (أبدل به) بمعنى (أبدل منه) .. ولست بحاجة إلى مثل أقرب الموارد أو غيره من كتب اللغة، حيث ورد في أحدها وهو (المصباح) ما ينفي الخطأ عن عبارة (وزارة العلم) في جريدة المصري . .

.. هذا رأيي .. تطيب نفسي بأن يبدل بغيره ما وجد الأستاذ الكبير له معتمداً من التخريج والبيان ، وإليه مني تحية خالصة

محمد محمد الأبشيهي

مواكب الذكريات :

الشعر اليوم في ركود ، ودولته الآن غير مرفوعة اللواء ، وسوقه كاسدة ، قلت بضاعتها وقل المتارون منها لأنفسهم ؛ وأصبحنا نتلمس مواكب الشعراء التي كانت فنجدها قد توارت ، أو اكتفت بجنبات غير مرئيات ؛ وغدا المرء إذا رأى ديوان شعر يبدو في عالم الأدب أقبل عليه وفرح به وذهب ينشد ما كان يلقاه بالأمس من روعة الشاعر وفتنة الشعر ...

وهذا ديوان جديد ، هو « مواكب الذكريات » للشاعر الماجد الأستاذ حسن عبد الله القرشي كبير المذيعين بمحطة الإذاعة العربية السعودية ... تناولته فإذا المظهر الرشيق والفن الدقيق والحلة الفاتنة والطبع الأنيق ، ولكن ذلك لم يستمهلني طويلا ، فأنا طلاب مخبر لا مظهر . . ووجدت الزيات العظيم — وهو ضنين بالثناء على غير أهله — يطوق جيد الديوان بعبارته الموجزة

البليغة : « فى (مواكب الذكريات) نفحات من الحجاز ، ولمحات من قريش ، ونغمات من ابن أبى ربيعة ، وإن فى أولئك كله الدليل على أن مشارق النور لا تزال تهدى ، ومنازل الوحى لا تزال تلهم » ! . .

ثم وجدت الشاعر الفرد يعرف طريقه حين يقول فى مقدمته :

« وليس من ريب فى أن الشعر القمين بالخلود هو ما كان مرآة لنفسية قائله ، هـذه المرآة تريك صورة من تجارب الشاعر ، وملابسات بيئته وعصره ، وظلال الأجواء التى يستوحى منهـا شعره ، ولا بد أن تـكون صادقة فى التعبير عن ملامح فنه ، وأن تستمد صدقها الفنى من حرارة العاطفة وتوهج الشعور ، ووضوح التجربة وتفاعل الثقافة »

وذهبت أتلمس الشواهد على ذلك الذى قال فإذا هى ماثلة فى الديوان ، وإذا هى كثيرة ، وإذا هى تدل على عراقة فى الشعر برغم قصر العهد ، وشاعرنا فى نضرة الشباب الآن ، وإذا هى تنبئ عن مستقبل يفيض بالخير العميم فى ميدان الإنتاج الشعرى ، فلو تضافرت جهود لشباب الشعراء من طراز ذلك الجهد ، مع التجويد والتعبيد ، لانتظرنا للشعر دولة تقوم فتعيد الإيمان به كركن من أركان الأدب الرفيع

على أنى كنت أطمع أن أجد فى الديوان السيل الغـامر من « الإسلاميات » و « الدينيات » ، ولا عجب فى هـذا الطمع ، فالشاعر حجازى قرشى ، وهو نفسه يقول فى الديوان : « من روابينا هفا نور النبوة » ؛ ولقد وجدت قطرات مما أريد متناثرة خـلال الديوان ، وكنت أطمع فى المزيد ، ولـكن يظهر أن شبيبة الشاعر هى التى أوحت إليه أن يهيم فى أودية الجمال والخيال ، وأن يستجيب لهواتف الجلوات والصبوات ، وما فى ذلك من عاب ، فالعندليب الصداح اليوم بالهوى والشباب ، سيكون له فى العروبة والإسلامية غدا كتاب وأى كتاب

للشاعر الفرد كريم التحيات ، ولديوانه الجديد صادق التقدير ! . .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

من صور الحياة !

لى صديق عرف بالتقوى ، جاءنى مرة عابس الوجه قائلا : إن أشد ما يؤلم النفس ويضعف الهمة أن يهدر الحق وتنطمس معالمه ، وقد يزول أثره ثم يقام على أنقاضه الباطل على هوانه ليصبح على ضعفه مدويا !

قلت وما ذاك ؟ فقال : ذلك أن من يمتز بشخصيته ويتفانى فى أداء واجبه غير حاسب لأحد حسابا سوى ضميره والخوف من الله تعالى ؛ غير مرضى عنه لأنه غير سائر فى ركب الحياة الدارجة غير ماهر فى الزلف والنفاق ، بل لم تطبعه الأيام بطابعها الذى يتسم بالرياء والمداهنة ...

تلك هى جنايتى ! ولا يكون من ورائها إلا أننى — على اجتهادى — أقل من غيرى نجاحا فى عملى ، وفى هذا قلب للحقائق وعوبه شنيع مما يجعلنى أسائل نفسى : أليس هناك تقدير ، أليس هناك ضمير ؟ ثم حيرنى بل حزنى بين ضميرى وواجبى !

عند ذلك أسفت واعترتنى دهشة بل حسرة ثم نظرت إليه بهدوء وقلت : استعن بالله ولا ضير عليك ما دمت تعمل ما يرضى الله وضميرك ، ولا يحزنك ما تراه من غمط الحق فالحياة هكذا وتصاريف الأقدار على الرقاب ؛ كل يوم ذات لون جديد يحير العقول والأفهام !

ثم تدور الأيام ويذهب ذلك العهد إلى غير رجعة ويأتى عهد جديد تقدر فيه القيم ، ولا ينظر فيها غير العمل المنتج والشخصية التى تعمل بهدوء وبدون ضوضاء

وهكذا يقابلنى صديقى منبسط الأسارير منشرح الصدر قائلا من فوره : قد انقشعت الغمة وزال الهم والغم ، ومضى ذلك العهد البائد ، عهد الزلف والنفاق ، وفتح عهد جديد يشيد بالحق نوعا ما

فقلت له : على رسلك ! لا تفرح الفرح كله ، فسترى بعد ذلك ما يسرك أكثر مما ترى ثم ما يغضك ثم ما يرضيك ، وهكذا دواليك ، وفى ذلك المعنى الحقيقى للحياة فى تناحرها الدائم !

ثم نظر إلى بعد أن لاذ بالصمت برهة قائلا : أصحيح ما تقول أيها الصديق ؟

فقلت له : لعلك — يا أخى — لم تجرب الحيـاة بعد ، وقد يكون ذلك لقرب عهدك بهـا أو لقرب عهدها بك ، فستراها

أمامك واسعة رحيبة مرة ثم تراها أضيق من سم الخياط ! فلا تحزن الحزن كله ؛ بل لا تفرح الفرح كله ! !

شطانوف **محمد منصور خضر**

الغزى ليس من الحنابلة :

قرأت ما كتبه الأستاذ الجليل إبراهيم الابيـاري فى مجلة الرسالة الغراء عدد ٩٣١ عن طبقات الحنابلة لابن رجب؛ وقد قال ومالى أنسى أن الغزى الحنبلى انتهى فى طبقاته إلى سنة ١٠٢٧ وأن الشطى وصلها إلى سنة ١٣٢٥؛ أقول وهل يسمح لى أستاذنا الجليل أن أذكر ملاحظـة صغيرة عن الغزى — الآنف الذكر — إذ أنه قد جعله حنبليا وهو ليس كذلك، بل هو شافعى وكان مفتى الشافعية فى زمانه . وقد ذكر الشطى فى مختصره ص ١٤٥ قوله (ولنذكر قبل الشروع فى ذيلنا نبذة من ترجمة سلفنا الغزى المشار إليه كما فعل هو سلفه عند استفتاح ذيله ، وذلك تنويها بفضله وشكرا على صنعه ، وإن يكن غير حنبلى فإنه أخذ عن الحنابلة وخدمهم جزاه الله خيرا بما لم يخدموا به أنفسهم فنقول ملخصين ترجمته عن تاريخنا روض البشر فى أعيان القرن الثالث عشر الذى عنينا بجمعه منـذ سنة ١٣٢٣ (هو أبو الفضل كمال الدين محمد بن محمد شريف بن شمس الدين محمد بن عبد الرحمن زين العابدين بن زكريا بن بدر بن محمد بن رضى الدين بن محمد رضى الدين أيضا بن شهاب الدين أحمد الغزى العامرى والدمشقى، وأحمد هذا هو جد بنى الغزى الأعلى الذى جاء من غزة هاشم إلى دمشق سنة ٧٧٠ وتوفى سنة ٨٢٢ الشيخ العالم الفاضل الفقيه الفرضى الأديب مفتى الشافعية بدمشق وابن مفتيها صاحب التصانيف الفائقة ، والمجاميع الرائقة ، ولد بدمشق فى تاسع عشر جمادى الثانية سنة ١١٧٣ وولى إفتاء الشافعية بدمشق بعـد وفاة والده فى محرم سنة ١٢٠٣ وألف مؤلفات لطيفة أغلبها فى التاريخ والأدب ، فمنها هـذه الطبقات التى سماها « النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل » ورتبها على ثلاثة عشر طبقة ، كل طبقة لخمس وعشرين سنة من أول القرن العاشر ، مصدرة بمقدمة ذكر فيها سبب التأليف وشيوخه من الحنابلة) الخ وتحقيق للأستاذ الجليل

عبد العزيز المانع



تظهر قريباً الطبعة الثامنة منقحة
من كتـــاب
آلام فرتر
للاستاذ أحمد حسن الزيات
هى القصة العالمية الواقعية الرائعة الخالدة للشاعر الفيلسوف
« جوته » الألمـــــــانى
صور فيها : عواطف الشاب فى وقت نزوعه إلى الحب وولوعه بالجمال واتحاده مع الطبيعة . . . وقد قال عنها لصديقه (أكيرمان) « كل امرىء يأتى عليه حين من دهره يظن فيه أن (آلام فرتر) إنما كتبت له خاصة »
ترجمتها العربية تتفق مع أصلها فى قوة الأسلوب ودقته وأناقته وجماله ... وهى مثال للترجمة الأمينة التى تنقل الصورة والفكرة وما يقوم بهما من الروح والخيال والعاطفة ..
سكك حـــديد الحـــكومة المصرية
عربات مكيفة الهواء وصالونات بولمان وعربات أكل
بالقطـارات السريعة والاكسبريس
اعتبارا من أول مايو سنة ١٩٥١ قد أعدت عربات مكيفة الهواء وصالونات بولمان وعربات أكل
بالقطـــارات السريعة والاكسبريس
بخطوط (١) مصر — اسكندرية (٢) مصر — بور سعيد
(٣) مصـــر — دمياط (٤) مصـــر — غزة
(٥) خط الوجه القبلى
المدير العام
ولزيادة الايضاح المرجو الاطلاع على الإعلان المعروض بالمحطات .
سيد عبد الواحد
مطبعة الرسالة

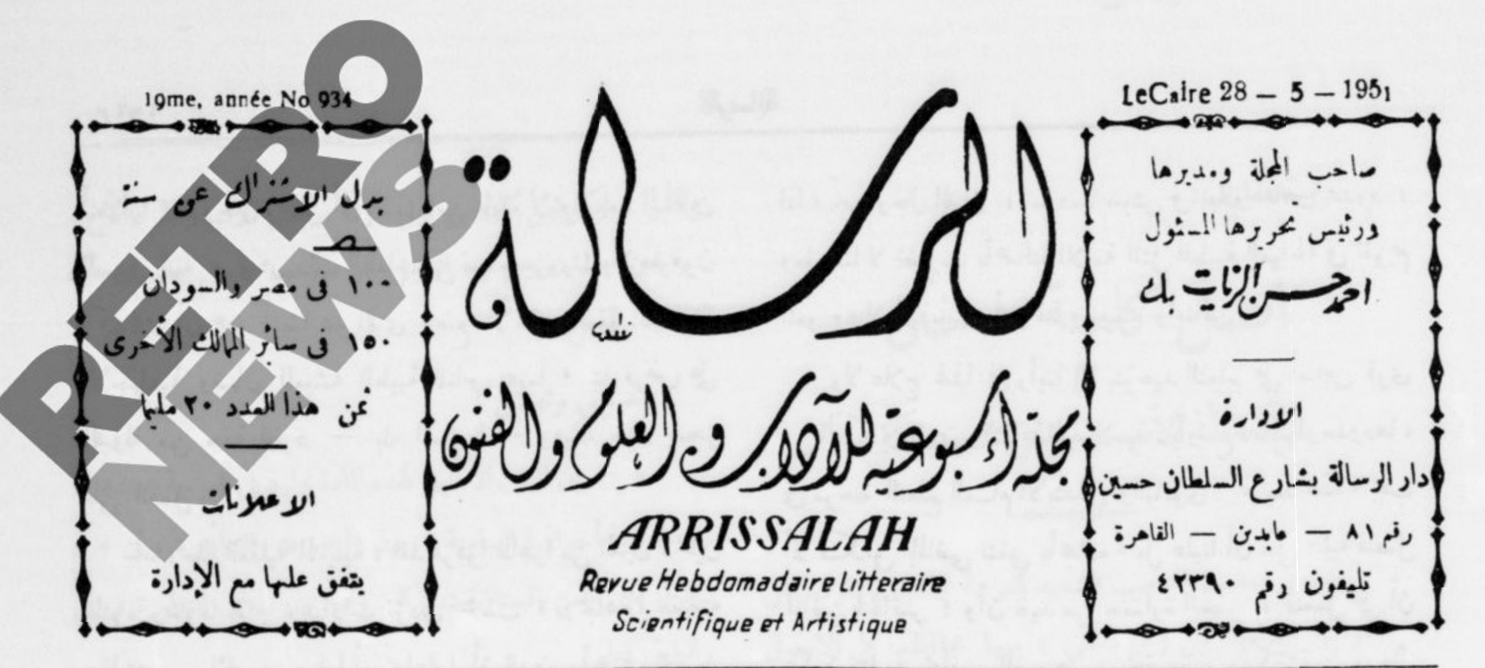


العدد ٩٣٤ — ٢٨ مايو سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد


RETRO
NEWS



العدد ٩٣٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ شعبان سنة ١٣٧٠ — ٢٨ مايو سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

عقبات تعترض النهضة

فى البلاد العربية

للدكتور محمد يوسف موسى

نعم، كلنا نحس إحساسا شديدا هذه الأيام بأن هناك عقبات تقف فى سبيل النهضة فى البلاد الشرقية أو العربية أو الإسلامية، وكل هذه التعابير تؤدى فى رأينا مدلولا واحدا. عقبات يرجع بعضها إلى سوء توزيع موارد الثروة الطبيعية إلى حد شنيع يثور من أجله الضمير والدين، فكان من ذلك الفقر والحرمان والجوع، وهذا ثالوث بغيض ولاسيما وهو لم يدع لنا لحظة نفكر فيها فى الغد، بله نهضة الوطن الأكبر! ويرجع بعضها، فى رأى غير قليل من الكتاب، إلى أننا لم ننطلق الانطلاق كله فى اصطناع مظاهر الحضارة والحياة الغربية، متناسين أن لكل أمة مقوماتها التى بها يكون لها كيان خاص ووجود محترم. كما يرجع بعضها الآخر إلى أن الزعماء والساسة لا يريدون حقا هذه النهضة، ما داموا لا يتخذون الطرق المؤدية لها

على أن هناك عقبة أخرى لها فى رأيى الخطورة البالغة، ومن ثم يجب أن نعمل — ولكن فى تؤدة وتبصر — على إزالتها من الطريق، نعنى بها افتراق عقلية الأمة العربية افتراقا كبيرا إلى عقليتين مختلفتين، كل واحدة منهما لها فهمها للحياة وأهدافها ووسائلها التى تتعارض وما للعقلية الأخرى من هذا كله، وبذلك يشق العالم العربى بين هاتين العقليتين المتباعدتين:

١ — عقلية مدنية تعرف الغرب وتأخذ عنه وعن نظامه وتقاليده وحضارته، أكثر بكثير مما تعرف العروبة والإسلام وحضارته

٢ — عقلية دينية تجهل علوم « العصر » وحضارته، ونشأت على الدين دون أن تفهمه فهما صحيحا أو تعنى بتطبيق مبادئه وأصوله، والحكم هنا طبعا على المجموع لا على الجميع

ورجال العقلية الأولى بيدهم أمر الحكم وسياسة البلاد، وقد فتنهم الغرب بمظاهره الخادعة، وجهلوا الدين جهلا يكاد يكون تاما فاحتقروا ممثليه، وظنوا من الخير التخفف منه ومن تقاليده، لأنه - كما زعموا - لا يساعد على النهوض، وتناسوا لجهلهم بالتاريخ مقدار ما أفاد الغرب والإنسانية عامة مما فى الإسلام وحضارته من حيوية ومبادئ صالحة للحياة القوية العزيزة الكريمة

إن هؤلاء الناس لا يعرفون - حين يشيدون بما قررت الثورة الفرنسية من حرية وإخاء ومساواة، أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه هو الذى وضع أساس ذلك كله مستوحيا روح الإسلام — حين قال: «لم تستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم

أحرارا » ! وحين رفض أن يصيب من طعام لايجد عامة المسلمين السبيل إليه ، وكان ذلك الطعام من سنام جزور ! ولا يعرفون كذلك أن عمر أيضا هو الذى وضع الأساس العملى للعدالة الاجتماعية وضمان المعيشة الطيبة للناس جميعا ، بما فرض على الدولة من نفقة للفرد — بله المسلم ! — وعياله حين يعجز عن العمل

أما رجال العقلية الدينية ، فقد عرفوا ظاهرا من الدين ، حين ظنوه رسوما تقام وعبادات تؤدى فحسب ، وتجاهلوا حقيقته وغايته ووسائله ، جهلوا أو تجاهلوا أن للدين رأيه فى تحصيل القوة ، ورأيه فى الحرية والمساواة بين الكبير والصغير؛ فلا سادة ولا مسودين إلا بالعمل الخير يقوم للوطن والأمة . جهلوا أو تجاهلوا أن الدين ، فضلا عن أنه صلة بين العبد وربه تقوم على ما نعرف من شعائر وعبادات مقدسة ، يدعو فى إلحاح إلى أن تقوم العلاقة بين الانسان وأخيه الانسان ، أو بين الحاكم والمحكوم ، على أساس العدل والتسوية ؛ كما يدعو فى إلحاح كذلك إلى عدم الخوف إلا من الله وحده ، وإلى أنه لا طاعة لمخلوق ، مهما علا شأنه ، فى معصية الخالق . أليس رسول هذا الدين ، صلوات الله وسلامه عليه ، يقول : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ، أو كما قال !

ولو عرفوا ذلك معرفة عملية حقة لجاهدوا مع المجاهدين فى بعث الأمة من نومها ، ولأعدوا الشعوب للمطالبة الجادة القوية بحقوقهم ، ولجعلوا بهذا ولاة الأمر فى الشرق من عوامل نهضته بدلا من أن يكونوا حجر عثرة فى طريق هذا النهوض

لقد عكفنا على الماضى وحده ، وتجاهلنا العصر ومعارفه وعلومه التى لابد منها للنجاح فى الحياة ؛ ولتسخير الكون لنا كما أمر الله ، واكتفينا بترديد أن الاسلام صالح لكل زمان ومكان . دون أن نكلف أنفسنا محاولة تبيين أن له حقا هذه المزية والفضيلة ، وهذا لا يكون إلا بالبحث والمقارنات بين النظم القائمة وبين نظم الإسلام وتقاليده

كان من هذا ، كما نرى ونلمس ، أن زادت الهوة بين فريق الأمة اتساعا . وكان من هذا أيضا ، أن صارت الأمة لا تسمع لنا ، نحن رجال الدين ، ما دمنا نعيش فى نطاق خاص محدود ، وما دمنا لا نضرب بأعمالنا للأمة المثل الطيبة الصالحة فى تقويم المعوج وإن أوذينا فى أرزاقنا وأنفسنا وأبنائنا !

ولا علاج لهذا فى رأينا إلا بتوحيد التعليم على أساس قوى من التمكين للدين والثقافة الإسلامية ، بأوسع معانيها وحدودها ، فى مرحلة التعليم العام الابتدائى والثانوى ثم بعد هذا ، يجب ألا نكتفى بالماضى نتغنى بأمجاده ، بل علينا أن نبنى عليه فنصل الماضى بالحاضر ؛ وأن نفيد من حضارة العصر ، فنعمل على أن يكون منا ، بجانب الغربيين ، مخترعون ومكتشفون ورجال صناعة . ولن يكون لنا هذا كله أو بعضه ، ما لم نقض على هذه الثنوية فى التعليم على الأساس الذى بيناه ، وحينئذ يتعاون أفراد الأمة جميعا ، سواء من آثر بعد المرحلة العامة فى التعليم التخصص فى العلوم الدينية ، ومن آثر التخصص فى العلوم والثقافة الدينية الإسلامية

هذا ، والله يهدينا جميعا سواء السبيل

محمد يوسف موسى

بحث مقارن :

أصل كلمة « ختن »

للأستاذ الأب مرمرجي الدومينيكي

يهمني بعضهم بالتعصب الشديد للعربية لجاهرتي بتفوقها على أخواتها السامية من وجوه شتى ، منها محافظتها على الأصول البدائية العريقة في القدم . ويرشقني غيرهم بسهام الملام ناسبين إلى « الابتداع في عالم اللغويات » ، لقولي بأن « الثنائية والألسنية السامية » من أنجع الوسائل للتحقيقات المعجمية ، ومن أمكن الأسس للاشتقاقات اللفظية ، والتطورات المعنوية

على أن أفضل السبل في نظري وحسب خبرتي للرد على هذه الدعيات هي اللامبالاة مع المثابرة على اتباع خطتي المختطة من أمد بعيد ، وترك الخيار لأهل الذوق والعلم في قبول النظرية أو رفضها

في هذه الفرصة أتخذ موضوعا للبحث كلمة « ختن » الزاعم بعضهم بأنها سريانية دخيلة في العربية . وقبل إنعام النظر في الموضوع أسرد مواد البحث كما هي واردة في الألسنة السامية

السريانية : خالية من المجرد . وفيها « حتنا » : ختن ، صهر ، عريس . « حتين » خاتن ، ساهر . « إتحتين » : صاهر ، تزوج

العبرية : « ختن » : ختن ، حمو . « خوتين » : زوج ابنته ، تصاهر . « هتختين » : تصاهر . « خوتن » : صهر ، ختن ، زوج البنت ، عريس ، ذو قربى

الأكدية : « ختانو » : قطع ، حمى . « خثنو » سكين ، موسى ، حماية . « ختانو » : صهر ، ختن ، حمو

الحبشية : لا وجود فيها لهذه المادة

العربية : ختن الشيء : قطعه . ختن الغلام : قطع قلفته . اسم الفاعل : خاتن . اسم المفعول : مختون وختين . المصدر . ختن وختان ، ودعوة الختان . حرفة الخاتن : الختانة . الختن : الحمو ، وكل من كان من قبل المرأة ، مثل الأب والعم والأخ . والختن أيضا : زوج ابنة الرجل ، أو صهره . وأصل المعنى في هذه المادة : القطع

تفسير وتعليل :

١ — إن الرس الأصيل لهذه المادة وارد في العربية وحدها ، دون بقية أخواتها السامية . وهذا الرس هو الثنائي « خت » ، المراد به : طعن بالسنان متداركا . وهو بدء المعاني المتطورة ، وفي الطعن قطع

٢ — توسع الثنائي « خت » بزيادة النون تذييلا ، فنجم عنه الثلاثي « ختن » . ومعناه الأول : قطع ، من باب الإطلاق . وهذا مدلول القطع وارد أيضا في الأكدية ، في لفظة « ختانو » . ومنه « خثنو » : سكين ، موسى ، أي آلة القطع . ثم دل في الأكدية أيضا على « الحماية » . لأنها متوقفة على منع أو قطع الأذى من أن ينزل بالشخص المحمى

٣ — لكن في العربية وحدها جاء ، من باب التقييد ، الفعل « ختن » ، بمعنى قطع القلفة . والفاعل أو المحترف « خاتن » ؛ والمفعول أو المتحمل العملية « مختون وختين » ؛ واسم العمل « الختن والختان » ثم الدعوة أو الوليمة بمناسبة الختان . و « الختانة » حرفة الخاتن . وورد في السبئية « مختن » : دار الختان

٤ — كل هذه الفحاوى المتضمنة في فعل « ختن » ومشتقاته لا وجود لها في العبرية ، ولا في السريانية ، ولا في الحبشية . لأن الفعل المستعمل في العبرية للدلالة على الختان هو « مول » ، والختانة « ميله » ، والخاتن « موهيل » . وفي السريانية ينظر إلى فعل « ختن » « جزر » ، والختانة « جزرتا » ، والخاتن « جازورا » . كذلك الحبشية لا أثر فيها لفعل « ختن » . فإن الوارد فيها هو فعل « كسب » (مقابله في العربية : كسف) و « جزر » (ينظر إليه في العربية : جزر) وكلاهما بمدلول : ختن

٥ — في العربية ، يطلق اسم « الختن » على أبي الزوجة ، وعلى كل من كان من قبل المرأة ، مثل العم والأخ . ويراد به

أيضا : زوج ابنة الرجل ، أو صهره . ومنه صدر فعل ختن : صاهر

٦ — في العبرية ، وردت لفظة « ختن » دالة ، كما في العربية ، على الحمى أو أبي المرأة . و « خوتن » بمعنى الصهر ، أو زوج بنت الرجل ، والعريس ، والمختون أما السريانية فلا يوجد فيها إلا كلة « حتنا » بمدلول الختن والصهر . ومن « حتنا » اشتق ارجالا المزيدان « حتين » و« إيحتين » . صاهر، تزوج . أما أبو المرأة فيقال له : « حيم أو حما »

٧ — في الأكدية ، يطلق « ختانو » على الحمى والصهر معا . أما الحبشية فلم يرد فيها أدنى صيغة من هذه المادة بمعنى الحمى والصهر ؛ لأن المستعمل فيها هو « مرعاوى » : صهر عريس . ومؤنثه « مرعات » : عروس. و « حم » بفحوى الحمى

٨ — كل ذلك يدلك على أن هذه المادة قد بدأت في العربية وحدها . وتوسمت بطريق التطور الطبيعي والمنطق العام ، من الثنائي « خت » إلى آخر المداليل لفعل « ختن » ومشتقاته . وعاثلها الأكدية في ذلك بعض المماثلة . أما العبرية ولاسيما السريانية — فالتطور فيها ناقص . إذ لا فعل مجرد فيهما يدل على الختان

٩ — ولمعترض أن يقول : أية مناسبة بين « الختان » ورابطة القرابة الأهلية بين الأسر ؟ الجواب على هذا هو أن التاريخ يعيدنا كثيرا في شأنه لأنه يعلمنا أن (الختان) كان عند أغلب قدماء الشعوب ، من الشروط الضرورية لدخول المرء في الحياة الاجتماعية ، ومن الأمور الممهدة للحياة الزوجية ، فكان يجرى قبل الزواج . وكان الأب ، أو رب البيت يقوم بهذا العمل . وشاهد ذلك عمل إبراهيم الذى ختن هو ذاته ابنه إسماعيل ومن كان في بيته

١٠ — وكان من حقوق الأب أن يشترط على من يخطب ابنته ، أن يختتن قبل زواجه ، ولما كان الأب هو الخاتن ، أو الملزم بختان صهره ، دعى في العبرية والعربية (ختنا) أو قل (خاتناً)

١١ — وإذ كان خاطب بنت الرجل أو صهره ملتزما بأن يكون مختوناً قبل زواجه ، سمى هو أيضاً في العربية والعبرية (وفى هذا وافقتهما السريانية) ، وفى الأكدية باسم « الختن » بمعنى المختون أو الختين

١٢ — ومن يعرف العبرية وبطالع العهد القديم من الكتاب المقدس يجد التأييد لما بسطناه في كثير من المواطن . من ذلك ورد « ختن » في النص العبرى بدلالة الحمى ، في الآيات التاليـة : خروج ٣ : ١ ؛ ٤ : ١٨ ؛ ١٨ : ١ ـ ١٥ . قضاة ١ : ١٦ ؛ ٤ : ١١ . وجاءت لفظة « خوتن » بدلالة الصهر ، في هـذه الآيات الأخر : سفر الخلق ١٩ : ١٢ ؛ خروج ٤ : ٢٥ . قضاة ١٥ : ٦ ١٩ : ٥ ـ ١ صموئيل ١٨ : ١٨ ؛ ١٢ : ١٤ .

١٣ — ومن باب التوسع ، شمل اسم « الختن » غير أفراد من العائلة ، كالعم والأخ ؛ لا ؛ بل ن جميع أقارب المرأة يدعون « أختانا » بالنسبة إلى الصهر ، أو زوج بنت الرجل

فأين من كل هذه الحقائق الجلية زعم القائل « ختن حرف سرياني . » ومراده بذلك أنه دخيل في العربية من السريانية . ومن هذا البحث يظهر بوضوح تفوق العربية على أخواتها السـامية ، لصيانتها الأصول القديمة ، والرساس البدائية . وتتجلى أيضا فائدة « الثنائية والألسنية السامية » للأبحاث المعجمية ، وبهذا تسقط الدعيات الاعتباطية ، والسلام

الأب مرمرجى الدومنكى

بريطانيا العظمى

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

لعلك أيها القارئ الكريم توافقني فيما أذهب إليه من أن عظمة الأمم ترجع أولا وقبل كل شئ إلى عاملين هامين : أولهما قوة روحية تدفع أبناءها إلى تضحية أرواحهم من أجلها وإلى استعذاب الردى في سبيلها وهو ما يمكن أن يسمى بالإيمان الوطني — وثانيهما قوة مادية تحقق لهم ما يبغون لوطنهم من نصر ومجد

وقد قصصنا عليك فيما سبق مدى قوة الشعب البريطاني الروحية وعظم ثروته الخلقية ؛ ووصفنا لك إيمان البريطانيين بوطنهم وحبهم له وإقبالهم على التضحية في سبيله

وعندي أن القوة الروحية هي العامل الرئيسي ؛ ولكن ذلك لايمنع من خطر القوة الثانية وهي القوة المادية ، فإن الجندي الذي ينزل إلى ميدان القتال وهو أعزل من السلاح مصيره حتما إلى الدمار . وقد كفلت بريطانيا لنفسها القوة الثانية ويرجع الفضل في ذلك إلى أنها أولا وقبل كل شئ دولة صناعية ؛ بل إنها أولى دول العالم الصناعية

ويحسن بي قبل أن أحدثك عن الصناعة في بريطانيا أن أحدثك عن أمر له خطره وله شأنه . ذلك أن العلماء يقسمون حياة الأمم والأطوار التي تمر بها إلى أربعة أدوار :

الدور الأول : وهو المرحلة التي يحترف فيها الإنسان القنص والرعي . وأظنك توافقني على أن هذه المرحلة مرحلة بدائية لا يتقدم فيها الإنسان ولا يرق ولا يتحضر . وإن نظرة واحدة إلى حالة الزنوج في أواسط أفريقيا وإلى حالة البدو في الصحراء ستجعلك من غير شك تؤمن بصدق هذه النظرية ، فإن الزنوج والبدو يعيشون هذه المعيشة منذ خلقوا ، وسيبقون كذلك مالم يضطروا اضطرارا إلى تغيير أساليب حياتهم

الدور الثاني : وهو المرحلة التي احترف فيها الإنسان الزراعة وقد كانت الزراعة أول خطوة في سبيل التقدم والتمدن ، ذلك أن الإنسان عند ما اشتغل بالزراعة استقر في مكان وبدأ يعمل على تحسين حالته والنهوض بها، ومن هنا كانت الحضارة الأولى التي ظهرت في التاريخ حضارات زراعية قامت في مصر وفي العراق وفي الصين منذ آلاف السنين

الدور الثالث : وفي هذا الدور اشتغل الإنسان بالتجارة وتعتبر هذه المرحلة أرقى من المرحلة السابقة

وقد بدأ سكان بريطانيا حياتهم باحتراف الرعي والقنص ثم اشتغلوا بالزراعة ، ولكن الزراعة لا تجود في بريطانيا ومن ثم اشتغل سكانها بالتجارة ، وقد رأينا فيما سبق كيف أدى هذا إلى قيام الصراع بين إنجلترا وأسبانيا أولا ثم بين إنجلترا وفرنسا ثانيا ، وكيف انتهى الأمر بانتصار إنجلترا وتكوينها الإمبراطورية عظيمة هي أعظم الإمبراطوريات التي شهدها التاريخ ، ورأينا كذلك كيف أصبحت بريطانيا سيدة البحار وهي الآن تملك أقوى أسطول تجاري وحربي في العالم

ويطيب لي أن أذكر كذلك أن أهم عامل في قيام النزاع بين ألمانيا وإنجلترا منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى أيامنا هذه كان سيطرة بريطانيا التجارية على أسواق العالم

الدور الرابع : وهو أعظم الأدوار شأنا وأبعدها شأوا وأكبرها أثرا وهو الدور الذي تشتغل فيه الأمة بالصناعة ؛ وتعتبر الأمم الصناعية أرقى الدول وأعظمها شأنا

وبريطانيا هي أولى دول العالم الصناعية ومن ثم كانت أعظم الدول شأنا وأكبرها أثرا في توجيه السياسة العالمية . ويطيب لي أن أنوه بأن التقدم الصناعي ثمرة من ثمار التقدم العلمي ومن ثم كان اهتمام بريطانيا بالبحث العلمي عظيما؛ فهي تتيح لصفوة علمائها كافة الوسائل لينقطعوا للبحث العلمي

ولعلك أيها الصديق الكريم تسألني عن العوامل التي أدت إلى قيام الصناعة في بريطانيا وكيف وصلت بريطانيا إلى مكانتها الصناعية الحالية . وأنا أجيبك بأن الصناعة الحديثة تحتاج إلى الآلات أولا، وإلى قوة تحركها ثانيا، وإلى المادة الخام ثالثا، وإلى اليد العاملة رابعا . وقد توفرت هذه العوامل جميعا لدى البريطانيين .

فبلادهم غنية بالحديد ومنه تصنع الآلات ، وهى كذلك غنية بالفحم والكهرباء وبهما تسير الآلات . أما المواد الخام والأيدى العاملة فهى موفورة ميسورة

ويجدر بى أن أذكر أن الحديد دائما ينتقل إلى مناطق الفحم ومن ثم تركزت الصناعة حول مناطق الفحم ، ذلك أن الآلات تستهلك الفحم دائما ، ومن ثم فلتوفير نفقات نقله تركزت الصناعة فى مناطق تعدينه ومنذ أكثر من نصف قرن استخدمت الكهرباء فى إدارة المصانع والآلات فاستغلت بريطانيا مساقط المياه بها فى توليدها، وبالتالى فى إدارة آلات مصانعها بها. أما عن المواد الخام فإنها موفورة ميسورة لبريطانيا ، ذلك أن بريطانيا علمك كما رأينا أكثر من ثلث اليابس فى الكرة الأرضية ولها بهذا أراضى شاسعة فى مختلف أنحاء العالم ، وهذه الممتلكات تمتاز بكثرة إنتاجها للمواد الخام للصناعة، فمثلا تستورد القطن من الهند ومصر والسودان وكنيا وغيرها ؛ والصوف من أستراليا ، والمطاط من المناطق الاستوائية بأفريقيا ومن جزر الهند الشرقية الخ

ومما يساعد بريطانيا سهولة اتصالها بمختلف أنحاء العالم ، فلها أ. طول بحارى كبير هو أكبر أساطيل العالم طرا ، بل أكثر من هذا أن بريطانيا قد عنيت تمام العناية بالمواصلات فى داخلها ، فاستغلت أنهارها وقنواتها للملاحة، وعبدت الطرق الزراعية، ومدت السكك الحديدية مما جعل المواصلات بها سهلة ميسورة مريحة : مائية وبرية وجوية

هذه العوامل مجتمعة هى التى أدت إلى قيام الصناعة فى بريطانيا ، وأنا أحب أن أضرب للقارئ مثلا يبين فوائد الصناعة من الجهة المادية : فقنطار القطن يباع فى مصر بعشرين جنيها ثم ينتقل إلى إنجلترا حيث يغزل وينسج ويرد ثانية إلى مصر ليباع بها ، ووزن القنطار مائة رطل ، ووزن المتر من النسيج أوقيتان تقريبا، فيكون وزن الرطل يعادل خمسة أمتار تقريبا، وإذا افترضنا للمتر ثمنا ٢٠ قرشا يكون ثمن الرطل من النسيج مائة قرش ويكون ثمن القنطار مائة جنيه ، وبذا يكون الربح فى قنطار واحد ثمانين جنيها

وتمتاز الصناعة فى بريطانيا بتخصص كل منطقة صناعية فى صناعات معينة : فتقوم صناعة القطن فى منطقة لنكشير وأعظم مراكز غزله ونسجه مدينة مانشستر ، وأكبر موانى تصديره ليفربول . وتقوم صناعة الصوف فى يوركشير وأعظم مراكز غزله ونسجه مدينة ليدز . وتقوم صناعة الأسلحة والآلات القاطعة فى وسط إنجلترا وأهم مراكزها شفلد وبرمنجهام . أما صناعة بناء السفن فأهم مراكزها جلاسجو ونيوكاسل وبورتسموث وبليموث وبلفاست

وأما لندن فهى عاصمة بريطانيا العظمى والإمبراطورية البريطانية . وقديما كان الرومان يقولون « كل الطرق تؤدى إلى روما » لأنها كانت العاصمة للامبراطورية الرومانية ، وفى العصور الوسطى كانت بغداد أكبر مدن العالم لأنها كانت عاصمة الإمبراطورية الإسلامية ، وأما فى عصرنا الحاضر فإن لندن هى أكبر مدن العالم، ونظرة واحدة إلى خريطة تبين الخطوط الملاحية للأساطيل التجارية تريك أنها جميعا تتجه إلى لندن ! !

وأخيرا :

إن بريطانيا تتحكم فى العالم بقوة إنتاجها الصناعى . ومن المفارقات أن مصر قد عقدت معها معاهدة ١٩٣١ ، وفى هذه المعاهدة تعهدت بريطانيا بإمداد مصر بما يحتاج إليه جيشها من أسلحة وذخائر . ولكن كلما طلبت مصر من بريطانيا أن تفى بوعدها راوغت ، وثار نوابها فى مجلس العموم لأنهم يزعمون أن مصر قد تستخدم هذه الأسلحة ضد بريطانيا ذاتها. وها نحن أولاء فى مركز لا نحسد عليه فقد قيدتنا بريطانيا بالمعاهدة ثم تركتنا لا نستطيع حراكا ، بل إنها أثناء حرب فلسطين ١٩٤٩ منعت عنا السلاح مما كان له أسوأ الأثر ، وما أصدق قول شاعر النيل حافظ بك إبراهيم :

لا تقرب التامز واحذر ورده مهما بدا لك أنه معسول

أبو الفتوح عطيفة

مدرس أول العلوم الاجتماعية بسمنود الثانوية

١ — من أدباء الحجاز

عبد العزيز الزمزمي

٩٠٠ — ٩٧٦ هـ

للأستاذ عبد الله عبد الجبار

إن كنت ؛ أيها القارئ الكريم – من أهل مكة المكرمة ، أو لم تسكن من أهلها وقد أتيح لك أن تستمتع بتلك اللحظة الروحية ؛ لحظة الغروب بالمسجد الحرام وقد أخذت مكانك خلف بئر زمزم انتظارا لأداء فريضة المغرب ، فلا ريب أنك قد شهدت فى (منظرة) مقام الشافعى رجلا مرتديا جبة بيضاء أو سوداء أو بين هذين من الألوان قد لاث عمامته على رأسه فى رفق ، وأخرج من جيبه ساعته العتيقة مدلاة من شريط أسود ثم نظر فيها ثم رفع رأسه إلى أعلى قليلا ، بعد أن وضع يده اليمنى على خده وصدغه ، وإبهامه على صماخ أذنه ، ثم ارتفع صوته بالأذان صوب السماء بتلك النغمة التقليدية: الله أكبر الله أكبر — وهو يميل لفظ الجلالة إمالة طويلة ويخطف لفظ أكبر خطفة سريعة : يكررها هكذا أربع مرات، ولا يكاد صوته ينطلق حتى تتجاوب المآذن بنداء السماء ، وحتى تنطلق أفواه المصلين وقلوبهم وأرواحهم بترجيع النداء

هـذا الرجل — أيها القارئ الكريم — هو أحد أفراد أسرة (الريس) التى اختصت بأن يكون لها شرف (رئاسة المؤذنين) فى المسجد الحرام . ومن هنا كانت تسميتها (بالريس) بعـد أن كانت تسمى فى التاريخ بأسرة (الزمزمى) نسبة إلى بئر زمزم

وعن شخصية من شخصيات هذه الأسرة سيكون بحثنا هذا ، فتعال معى إذن نعبر جسر الزمن لنطل على تاريخ هـذه الأسرة بمكة فى القرن الثامن الهجرى :

هذه الأسرة تنتمى إلى على بن محمد بن داود البيضاوى الشيرازى الأصل : وقد قدم على بن محمد هذا إلى مكة فى سنة ثلاثين وسبعمائة هجرية عام قدمها الفيل من العراق فباشر عن الشيخ سالم بن ياقوت المؤذن فى خدمة بئر زمزم . ولما آنس فيه الرشد والخير والكفاية آثره بخدمة هذه البئر متنازلا له عنها ، وزوجه بابنته.فولد له منها ولده أحمد وغيره من إخوته ، وأصبح فى عقبه أمر البئر ومعها سقاية العباس رضى الله عنه . بعد ذلك تعال معى ننحدر مع الزمن لنشرف على القرن التاسع الهجرى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة حيث نشهد ميلاد عبد العزيز الزمزمى وهو موضوع هذا البحث ؛ ففى سنة تسعمائة هجرية كان ميلاد هذا العالم الأديب بمكة ، وكانت بواكير طفولته فى بواكير القرن العاشر الهجرى ، وغير حياته الطويلة الحافلة بالتدريس والإفتاء والصلاح والتقوى والرحلات المختلفة إلى مصر والشام والمدينة واليمن وبلاد الروم حتى وافاه الأجل المحتوم وهو فى السادسة والسبعين من عمره ، وتوفى بأم القرى . ويمضى نسبه على النحو الآتى :

عبد العزيز عز الدين بن على بن عبـد العزيز بن عبد السلام ابن موسى بن أبى بكر بن أكبر بن أحمد بن على بن محمد بن داود البيضاوى

ثقافته و كتبه : وقد أخذ العلم عن كبار المحققين وجد واجتهد حتى ذاع صيته وبز أقرانه ، وأفاد كثيرا من العلم والتجارب من أسفاره المتعددة ، وكان شافعى المذهب ، وقد ارتحل إلى مصر فى ريعان شبابه يطلب العـلم على أيدى علمائها الأجلاء .. ومن مشايخه أحمد بن موسى بن عبد الغفار المالـكى الذى مدحه بقصيدة مطلعها :

أريج مسك الأسحار فاح خلال الأزهار

وقد تفتقت عقلية الزمزمى حسب إمكانيات عصره وكما سمحت له ظروف حياته عن مؤلفات شعرية نثرية منها

١ — الفتح المبين فى مدح شفيع المذنبين

٢ — فيض الوجود فى شيبتى هود

٣ — شرح على مقامات الحريرى

٤ — (نظم علم التفسير) وهو منظومة لطيفة كان الطلاب ولا يزالون يحفظونها بمدرسة الفلاح بمكة ، ولها شرح للشيخ منصور سبط الطبلاوى سماه : (منهج التيسير إلى علم التفسير)

وللسيد محسن بن السيد على المساوى المكى شرح لها سماه (نهج التيسير على نظم أصول التفسير) طبع فى سنة ١٣٥٢ !) وللسيد علوى مالكى العالم المكى المشهور فى العصر الحاضر حاشية على الشرح المذكور سماها (فيض القدير) وللشيخ يحيى أمان العالم المدقق والأصولى البارع بمكة شرح سماه (التيسير على منظومة علم التفسير). وما زال الزمزمى يترقى فى مناصب العلم حتى أصبح عميدا لعلماء مكة فى ذلك الزمان. وقد ذكر القطبى فى تاريخه المرتب على السنين : « أنه فى السادس عشر من المحرم سنة ٩٧٦ قد وجه إلى الشيخ عبد العزيز الزمزمى تدريس المدرسة السليمانية بخمسين عثمانيا ، وكان رئيس علماء مكة يومئذ . » وقد مدحه منوها بعلمه أبو الفيض الصديقى من قصيدة جاء فيها :

أجل جيران بيت الله قاطبة   علما إذا وصفوا فى مكة العلما

شعره : وللزمزمى ديوان شعر منه نسخة خطية بالمكتبة التيمورية ، وقد كانت من نسخها لى . وتقع نسخته فى ست وسبعين ومائة صفحة من الحجم المتوسط . ويشتمل هذا الديوان على ثلاثة أبواب وخاتمة

الباب الأول : (النبويات) وهى القصائد التى مدح بها النبى (ص) وقد رتبها حسب الحروف الهجائية ونظم مدائحه النبوية من أغلب حروف المعجم ، وترك الحروف الآتية : الثاء . والخاء . والذال . والشين . والصاد . والضاد . والطاء . والظاء . والعين . والغين . والواو : وقد استغرقت النبويات (١٠١) صفحة من نسختى . وربما أدخل فى هذا الباب قصائد ليست منه كقصيدته فى مدح ابن عباس ؛ وقصيدته حين زار مدينة عدن :

وقد عارض الهمزية والبردة وجعل قافية الأخيرة مفتوحة ، ويمضى مطالعها على هذا النحو :

أمن تذكر جرم جرمه عظما   أرقت فى الخد دمعا أم هرقت دما
أم البكاء لما أهملت جانبه   من طاعة قد بكت أرض لها وسما
فوت خطة رشد كنت مدركها   فصرت تقرع سنا بعدها ندما

الباب الثانى : مدح العلماء والصالحين وممن مدحهم الإمام الشافعى والشيخ ابن عربى ومحمد بن عراق

الباب الثالث : فى ذكر الكعبة المشرفة ومكة والحرم والحجاز والمشاعر المنيفة ، ويبدأ فى نسختى من ص (١٦٥)

ولا نجد فى هذا الباب إلا قصيدة واحدة طويلة نسبيا ذكر فيها المنازل من نخا إلى زبيد إلى مكة ، وذكر فيها الكعبة المشرفة ، وقد نظمها فى سيره من اليمن مع ركب الحج اليمانى :

الخاتمة : وفيها نظم خمسة أحاديث نبوية وإليك مثالا منها :

وصالك جنتى ونعيم جسمى   وقربك صحتى وجفاك سقمى
علام هجرتنى هجرا عنيفا   بليغا زائدا من غير جرم
فلا وصل ولا مكذوب وعد   ولا رؤياك فى طيف ملم
لقد أفرطت فى ظلمى فهلا   حفظت حديث ظلم دون ظلم

وقيمة هذا الديوان الصوفية أكبر من قيمته الفنية ، وهذه النزعة الروحية كثيرا ما كانت سمة من السمات التى طبعت الحياة العقلية لكثير من المفكرين والمنتجين فى هذه البلاد فى كثير من العصور

ويخيل إلى أن الزمزمى كان مشدودا برباط وثيق إلى عالم ما وراء الحياة . ففي رحلاته الكثيرة المتعددة لا يكاد يهبط بلدا من البلدان حتى يكون من أول ما يقوم به زيارة هذا الضريح أو ذاك لالتماس البركة من هذا الولى أو ذاك ، ونظم ذلك كله شعرا صوفيا يرتاح له ضميره

وكان لا تلم به كارثة من الكوارث أو تحدق به أزمة من الأزمات حتى يشد رحاله إلى المسجد النبوى ينشد الفرجة من مقام النبوة المعظم

وربما كانت فرقته للحجاز على كره منه ، فهو يصرح بذلك فى شعره ، ويشكو إلى الله حالته الكئيبة الحزينة ، وبعده عن عياله وأوطانه وعن المشاعر المقدسة ومعاهد الطهر والإيمان ، ويستعرض أمام عينيه أيامه التى سلفت . فما أكثر ما ظل عاكفا بالمسجد الحرام يصلى حينا ويدرس حينا ويقرأ القرآن حينا ، وما أكثر ما وقف بعرفات ، فلقد حج أكثر من خمسين حجة فهل يتاح له الوقوف بها مرة أخرى ، وهل تناخ له بمنى ، المنى وهل يبصر نفسه بين أهله وذويه ، ورهطه وصحبه ، وقومه وإخوانه ؟ إنه يسجل كل ذلك فى شعره إذ يقول :

إلى الله أشكو من تباريح أحزانى   وبنى وبعدى عن عيالى وأوطانى
بحكم زمان ظالم جار واعتدى   على وعن قصدى عدانى وعادانى
ترى هل ترى أم القرى عين نازح   بجثمانه والقلب منه لها دانى

أعد لى حديثاً عن مشاعر هاوعن ... معاهدها دامت معاهد إيمان
وعن حرم الله الأمين ومسجد ... حرام وبيت ضم أشرف أركان
فياطالما فى ظله ظلت عاكفا ... لتدريس علم أو صلاة وقرآن
ومن عرفات لست أنكر موقفا ... تمرفته من قبل إبان عرفان
وقفت به نيفا وخمسين حجة ... فكيف فى يجرى له ذكر نسيان
ألا ليت شعرى بعد فرقة جمعنا ... بليلة جمع عائد عيشنا الهانى
وهل يمنى يوما نتاح لنا منى ... إليها جار الشوق أضرم نيرانى
وأبصر نفسى بين أهلى وأسرتى
ورهطى وأصحابى وقومى وإخوانى

وللزمزمى قصيدة نظمها فى سيره من اليمن إلى الحجاز مع ركب الحج اليمنى ذكر فيها المنازل من المخا إلى زبيد إلى مكة المكرمة . وقد بدأ نظمها (بدوقة) يوم الخميس ١٨ من ذى القعدة وأتمها بالليث يوم الأحد غرة ذى الحجة الحرام سنة ٩٥٨ هـ ، وهذه القصيدة تعتبر (خريطة شعرية) تبين لنا خط سير قاصد الحج من اليمن إلى مكة فى القرن العاشر الهجرى ، وفى مطلعها يقول :

ظعنا فنودينا عن الشر غبتموا ... وجئنا فقال الخير جئتم وجيتمو
وما كان ذاك البعد إلا دجنة ... جلاها اقتراب صبحه متبسم
نعمنا به من بعد بؤس أصابنا ... فأذهب ذاك البؤس هذا التنعم
وأن الثوى فى أرض مكة جنة ... وكل دنو من سناها جهنم
فوالله ما فارقتها عن كراهة ... ولا لأمور جمة نتوهم
ولكن مقادير بها حكم القضا ... وليس على حكم القضاء تحكم
رحلنا مطايانا إليها نؤمها ... فياحبذا منها إليها التيم

وبعد أن يذكر كيف مضت بهم المطايا من المخا إلى الزهارى و كيف أقاموا بزبيد ليالى ، و كيف راحت العيس وحاديها شوق ملح لقرية المنصور والقائية يقول :

ومرت إلى(مور)ومنها تشاءمت ... إلى (قطبة) والأفق بالليل مظلم
ومذ قصدت (جازان) جاز اقتصارها
فأضحت وحاديها عليها مخيم

وبعد أن يذكر عالية وأبا عريش التى كان مقامهم بها ثلاثة أيام يقول :

ومنها إلى صبيا بنا العزم قد صبا ... وكان لنا فى (بيش) شأن ملثم

وبعد أن يذكر وادى بيش وعتود يسجل كيف بدت لهم فى الشقيق وجوه توسموا فيها عصيان السلاطين :

ولما دخلنا فى(الشقيق) بدت لنا ... وجوه بعصيان السلاطين توسم
ومنها انصرفنا للغدير الذى حى ... (عريب) بواديه الزبائع أقدموا
ومنه مسير الركب نحو مفنزل ... عادى به والعيس للورد حوم
فرت إلى (ذهبان) ذاهبة وقد ... حلا عندها الماء الذى منه ينجم

وبعد أن يمضى قليلا يأسى للعيس كيف كانت تئن من العجز وكيف دقت بكلكلها الثرى فى (دوقة) وكيف أثابت بعد أن أقامت بها يومين، وكيف جازت مسيل الواديين ولم تقف به والليل أسود حالك ؛ وإعامضت فى سراها سواد الليل وطرفا من النهار. حتى إذا اعتلت الشمس صاروا إلى (ذ كوان) وكان لهم فيه مقيل غير محمود ؛ فقد بلغ الإعياء بهم مبلغا عظيما . وكانت الشقة بعيدة ، وكان الماء علقا والتمسوا (المجور) فلم يجدوه . . ثم ساروا حتى إذا وصلوا (الليث) لم يطيلوا المكث به ، بل راحوا (للهضب) حتى إذا صاحت حداة الركب : (هذى يلملم) ألمت بهم الأفراح واهتزت نفوسهم طربا وأناخوا ركابهم ونزلوا واغتسلوا وصلوا ولبوا وأحرموا وكان للركب ضجيج ، وكانت عيونهم تذرى الدمع فرحا ، ولم يمكثوا هناك إلا بمقدار ما أدوا به شعار النسك ، واستهلوا بلبيك اللهم لبيك ، ومن ثم يمموا نحو البيت الحرام وهم يجهشون بالبكاء :

وفى(دوقة)دقت بكلكلها الثرى ... وقامت على عجز تئن وترزم
ولكنها من بعد يومى إقامة ... أثابت فسارت وهى للركب تقدم
وجازت مسيل الواديين ولم تقف ... به والدجى بين المسيلين مقتم
وصارت إلى (ذكوان) حين ذكا اعتلت
وكان لها فيه مقيل مذمم
هزال وإعياء إلى بعد شقة ... وقد عدم المجور والماء علقم
وما طوات مذ جاءت (الليث) لبثها
(وللهضب) راحت والحداة تترجم
ألمت بنا الأفراح لما تباشرت
وصاحت حداة الركب هذى (يلملم)
أنيخوا المطايا وانزلوا وتغسلوا ... وصلوا ولبوا خاضعين وأحرموا
فكم ضجة للركب ثم وجولة ... وكم مقلة تذرى الدموع وتسجم

القوة المادية والإيمان بالمثل العليا

للدكتور محمد يوسف الهندى

لئن سجل تاريخ القرن الماضى انقضاضا من الأمم الغربية المتفوقة فى العدة على الشعوب الشرقية الكثيرة العدد؛ فقد شاهد الجيل الحاضر تنافسا بين الدول الغربية — تنافسا قد أدى إلى صراعين عالميين. وها هو ذا شبح الحرب الثالثة يلوح فى الأفق، ويقض مضاجع الإنسانية جمعاء، لا فرق فى ذلك بين الذين « لم يريقوا ملء محجم » وبين الذين « دقوا بينهم عطر منشم »

وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى اتجهت نيـة الأقوياء المنتصرين إلى إنشاء نظام يكفل للعالم السلام والهدوء على ما قالوا، ولكن هذا النظام لم يكن فى الواقع يكفل شيئا غير الأوضاع القائمة إذ ذاك لصالح الذين كانوا يرون من حقهم احتكار السيادة على العالم، ولذلك انهار ذلك النظام على أيدى من رأى أن ينازعهم هذا الحق بالقوة (وقد أعيدت التجربة نفسها مع إدخال بعض التحسينات بعد الحرب الأخيرة)

وقد صادف هذا الاتجاه — أعنى اتجاه الأقوياء إلى إبعاد إمكان الحرب فيما بينهم — نضج الوعى القومى فى الشعوب الأسيوية والأفريقية المستعمرة، فبدأ مفكروها وقادتها يبحثون عن الوسائل التى يمكن بها لتلك الشعوب التخلص من نير الاستعمار واسترداد السيادة لأنفسهم على بلادهم، وقد واجه جميعهم مشكلة قهر القوة الغاشمة لتحقيق الحق الأعزل، وإنها لدراسة ممتعة جدا أن يعقد الواحد مقارنة بين الأجوبة التى أتى بها زعماء الشرق الحديث فى الأقطار المختلفة على هذا السؤال، وخلاصة القول أن عددا غير قليل من الذين كانت زعامتهم ترتكز على مقدرتهم لاستثارة الجمهور فقط تجنبوا رسم خطة محدودة فى هذا الصدد؛ بل إنما استتروا بخطب بلاغية وتصريحات جدلية هى عبارة عن التمسك بالحق والعدالة والتهديد بالإضرار ببعض مصالح المستعمر هنا وهناك. أما الذين سما فكرهم إلى درجة الفلسفة وتنظيم خطة عامة بعيدة المدى فانقسموا قسمين: بعضهم انتهج نهج الاستهانة بقوة السلاح وتعيير القوى باستعمال القوة والعنف، حينما ذهب البعض الآخر إلى مقاومة القوة بالقوة آملين بأن كثرة العدد ربما تفوق وفرة العدة. وقد جرب كثير من الشعوب الشرقية الخطة الأخيرة ولا سيما فى بداية عهد الاستعمار فرأت عواقبها وخيمة، ولذلك أقبلت على الخطة الأولى فدرستها بإعجاب وإن لم تقبلها كبديل للحياة القومية

ولنستعرض الآن آراء إقبال، الفيلسوف الشاعر الذى احتفـل منذ قريب بالذكرى الثالثة عشرة لوفاته، فى المسائل التى قدمناها آنفاً. لايفوت إقبالا أبدا أن يحذر من الاستخفاف بالقوة أو إهمال أية وسيلة من وسائل الحصول عليها، فهو لا يتأثر مطلقاً مما يوجهه بعض الناس إلى الإسلام من نقد بناء على روح الجهاد فيه. بل يقول:

« إن الذى يرتجف العالم من بطشه وسفكه هو أولى بأن يلقن مبدأ ترك الجهاد . . . لقد تدججت أوربا بالسلاح للدفاع عن أبهة الباطل . . . إذا كانت الحرب شرا فى الشرق فهى لا بد وأن تكون شرا فى الغرب أيضاً . . . أما محاسبة الإسلام والصفح عن أوربا فذلك ليس من الحق فى شىء »

وكذلك يسخر إقبال من خطة تعيير القوة بالقوة حينما يقص علينا قصة قطيع من الغنم وقع فيه الأسد؛ فتقدمت شاة كانت قد أوتيت دهاء لتتزعم القطيع، فاقتنعت فى نفسها بأنه من المستحيل أن تتحول الأغنام أسودا إلا أنه يمكن أن ينحط الأسد إلى درجة الأغنام، وذلك بحمله على الاستحياء من نفسه وقوته، فبدأت تلك

وما مكثوا إلا بمقدار ما أتوا	به من شعار النسك ثمت أحرموا
بلبيك لبيك استهلوا وأجهشوا	ومن ثم للبيت الحرام تيمموا

ثم بدت لهم معالم مكة:

وصرح بالأمر الحداة وبشروا	وغنوهمو هذا المقام وزمزم
وذا بيت رب العرش مادونه سوى	ستور عليه بالجلالة ترقم
فألقت عصاها واستقربها النوى	وقر عيونا باللقاء المتيم

للبحث بقية

عبد الله عبد الجبار
مدير البعثة السعودية بمصر

الشاة تلقن الأسد مبدأ الاعتزاز بقوة الروح وترك اللحوم وأكل العشب والإيمان بأن الجنة قد خصصت للضعفاء، وأن القوة فى الحقيقة نقصان. وهكذا إلى أن وجد الأسد فى هذه المواعظ انعكاساً لميله هو إلى الراحة والدعة، فانحط إلى درجة الأغنام وهو يحسب أن ذلك الانحطاط إن هو إلا مدنية وحضارة!

فهذه الخطة فى رأى إقبال ليست إلا رياء ودهاء - الدهاء الذى «يزداد وينمو بطبيعة الحال فى العبودية والاضطهاد» — ولا يستعمل هذه الخطة إلا الضعيف الذى يئس من كسب القوة؛ وهو إنما يغرر ويضلل بها قويا قد مال إلى الاستكانة

ولكن دعوة إقبال لا تقتصر على «إعداد القوة» — ولا أقول «تمجيد القوة» كما فعل بعض الفلاسفة الألمان — بل، وهذه هى النقطة المهمة، هو يدعو أيضا إلى البحث عن القيم الأخلاقية والمثل العليا فى الحياة الإنسانية والإيمان بها والعمل لها، حتى لا يكون استعمال القوة إلا لحفظ ونشر تلك القيم والمثل التى تكفل الخير للعالم! أما إذا وجدت القوة منفصلة عن القيم الأخلاقية والمثل العليا فلا شك أنها تعود شرا لا شر بعده كما يتمثل ذلك الشر فى أعمال الإسكندر وجنكيز. إذن فالقوة فى حد ذاتها ليست شرا ولا خيرا، بل إنما يحكم عليها بهذا أو بذاك بالنسبة إلى وجود الغايات النبيلة أو انعدامها فيمن يملكها. ومن الضرورى فى هذا المقام أن نوضح أن إقبالا لا يدعو إلى التهور أو الثورة المرتجلة التى لا تتعدى الإضراب عن العمل وتحطيم عربات الترام وما إلى ذلك من أعمال الهدم والتخريب، لا؛ بل هو يدعو إلى إعداد القوة بالطرق العلمية والفنية — «بالتسلط على قوى الفطرة» بعبارته هو — أى بنفس الطرق التى هى الميزة الكبرى للحياة الغربية والتى هى أوثق صلة بنبوغ الغربيين من الزى الغربى والحروف اللاطينية واستباحة الرقص والخمر. ولا يخفى أن هذا الطريق الذى يدعو إليه إقبال إنما هو طريق شاق طويل يحتاج إلى التأنى والصبر والجلد، ولذلك نراه ينبرى فى أشد الأوقات حرجا فلا يبالى بأن يتهمه أحد بممالأة المستعمر وينصح مواطنيه «بإبقاء الطرب على فم الدن حتى يدرك الخمر النضج» أى بالتريث ومواصلة العمل إلى أن يستكملوا العدة. وخلاصة القول أنه كان يدعو إلى إعداد القوة التى تكفل الإنشاء والتعمير وخلق الأوضاع الجديدة، لا إلى مظاهرة قوة التخريب وإلحاق بعض المتاعب بالمستعمر التى هى بمثابة ما تلجأ إليه المرأة الناشز من زوجها فى بعض الأحيان ليس إلا

ولا يصعب أن نستنتج مما سبق نظرة إقبال إلى المحاولات التى بذلت ولا تزال تبذل لتنظيم الأمن الدولى، فهو الذى قال عن عصبة الأمم البائدة إنها «منظمة أقامها بعض لصوص الأكفان لتقسيم القبور فيما بينهم» وقال عنها أيضا إنها «حظية الأفرنج العجوز تعتمد على تمائم إبليس لبقائها لبعض الوقت» — ونظرة إقبال هذه مبنية على أنه لا يرتاح أبدا إلى القوة، سواء أكانت تلك القوة قائمة على السيف والرمح أم القنبلة الذرية، فى يد من ليس عنده رادع من الإيمان بالقيم الأخلاقية والمثل العليا. وهو أيضا يرى أن لا خير يرجى للانسانية من أية محاولة للتحديد والإشراف على وسائل القوة، لأن الذى يضمر الخبث يعكر صفو الأمن ولو بدون أى سلاح، بل الخير كل الخير فى أن تجتمع القوة المادية والإيمان بالمثل العليا فى أمة أو أمم من العالم حتى تنزجر القوة من تلقاء نفسها عن التمادى فى الطغيان، وفى الوقت نفسه تكون تلك القوة ضمانا لنشر وتقوية المثل العليا فى العالم، وحفظها من أن تنتهك على يد أى طاغية أثيم

ثم يعبر إقبال عن رأيه الذى وصل إليه لا عن طريق التعصب للعقيدة التى ورثها عن أبيه؛ بل عن طريق البحث العلمى والفكر الفلسفى، من أن الأمة الإسلامية هى التى تمتاز من بين جميع الأمم بالقيم الأخلاقية والمثل العليا التى تجعلها جديرة بأن تتزعم قضية الأمن والسلام فى العالم. إلا أنها فى الوقت الحاضر تفتقر إلى القوة وذلك نتيجة لإهمالها الوسائل العلمية والفنية التى توجد القوة. وكم يتمنى إقبال لو اجتمع للأمة الإسلامية، إلى جانب المثل العليا، القوة التى تسندها وتؤازرها حتى تتمكن هذه الأمة من أن تلعب دورا فعالا لرخاء الإنسانية ورفاهيتها. وكثيرا ما يردد إقبال وقعة إسلام التتار، فإن التتار، قبل أن يسلموا، كانوا يمثلون القوة المحضة، أما المسلمون فقد ظلوا إبان انهزامهم حفظة للقيم الأخلاقية العزلاء من القوة حتى أسلم التتار، فكان ذلك بمثابة قران سعيد بين القوة والمثل العليا، كأن الإسلام استبدل سيفا جديدا صارما بسيف مفلول، وهكذا ا تمرت عظمته بضمة

عاصمة السودان الوطنية

أم درمان

للأستاذ على العمارى

لعل الشرقيين أزهد الشعوب فى معرفة بلادهم ، فالحديث عنها ليس بالمذب المستساغ عند أكثرهم ، وربما بقى الواحد من مثقفيهم الدهر الطويل فى مدينة من المدن دون أن يعرف كثيرا أو قليلا عن تاريخها ومعالمها . وقد يقرأ فى كل كتاب إلا الكتاب الذى يتحدث عن البلدان وتاريخها ، وعما فيها من آثار قديمة أو منشآت حديثة . ولا أنس أبداً أنى كنت مسافرا مرة فى القطار الذى يبرح القاهرة إلى أسوان ، وكان بجانبى رجل فى نحو الخامسة والثلاثين من عمره ، ويبدو من هيئة حديثه أنه من ذوى الثراء ، وتشعب بنا الحديث فنونا حتى وصل القطار إلى مدينة المنيا عروس الصعيد ، فأطل الرجل من النافذة ثم عاد وفى وجهه آثار الدهشة والاستغراب وقال بلهجة المأخوذ : غريبة ! إن فى هذا البلد شوارع منظمة وأبنية جميلة ! قلت له : أمصرى أنت ؟ قال : نعم . قلت أين تعيش ؟ قال : فى الإسكندرية ، قلت : أظنك تعرف روما وباريس ولندن معرفة دقيقة . قال نعم ، قلت : أما سافرت أبدا إلى الصعيد ؟ قال : لا ، والفكرة التى فى ذهنى عنها تختلف كل الاختلاف عما أراه الآن . قلت : ماهذا ، لست مصريا وإن كان اسمك رمسيس الأول !!

كما لا أنس أنى لقيت رجلا مثقفا قضى فى مدينة أم درمان أكثر من أربع سنوات ، وهو يسكن فى الجانب الغربى منها جد قريب من دار المعهد العلمى ، وقد جرى مرة بيننا حديث فى شؤون المعهد فسألنى أين تقع دار هذا المعهد ؟

وفى يقينى أن هذا الجهل يرجع إلى ضعف الشعور القوى فى النفوس ، فإنه كلما قوى هـذا الشعور أحس صاحبه أن كل شبر من أرض الوطن إنما هو ملـكه ، حتم عليه أن يعرفه ، وأن يعرف تاريخه ، وطبيعى أنى لا أقصد أن كل المثقفين يجهلون معالم أوطانهم ، وإنما أعنى أن الجمهرة الغالبة لا تعنى بهذه الناحية العناية الواجبة ، وقد حملنى على كتابة هـذا المقـال ما لمسته فى كثير من المتعلمين عندنا من جهل بشؤون المدن السودانية ،

* * *

ينساب النيل الأبيض منحـدرا من المنطقة الاستوائية ، ويجرى النيل الأزرق هابطا من مرتفعـات الحبشة ، ويمران بمدينة الخرطوم ، أحدهما على جانبها الغربى ، والآخر على جانبهـا الشرقى ، وما يكادان يصلان إلى نهايتها الغربيـة البحرية حتى يلتقيا ، ثم يسيران متنا كرين مسافة قصـيرة ، ويستطيع النظر

قرون أخرى

ولـكن على الأمة الإسلامية واجبا آخر وهو التعمق فى دراسة المبادئ الإسلامية و التشبث بها والإخلاص لها ربما تتقدم بخطى ثابتة لاستكمال القوة ، وذلك لأن الضعيف ربما يفقد الثقة فى نفسه وفى مبادئه. وهل من شك فى أن الأمة الإسلامية إن هى تخلت عن مبادئها لحصولها على القوة سوف لا يكون ذا مغزى كبير . ولعل من مظاهر هذا التخلى عن المبادئ السامية تخاذل الشعوب الإسلامية لأعراض تافهة خسيسة ، واعتبارات دبلوماسية مغرضة . ألا فلتسترد هـذه الأمة الثقة بنفسها والإيمان بمبادئها حتى تشت جدارتها لمزاولة القوة فى سبيل خير الإنسانية

وأخيرا نتلخص مأساة « إنسان العصر الحاضر » عند إقبال فى قوله :

العشق ينقصـه والعقل ينهشه
لا يستطيع قيـاد العقل بالنظر
دور الـكواكب لايخفى على دركه
لا يستطيع هدى فى عالم الفـكر

العشق هو الإيمان بالمبادئ العليا . والعقل هو التقدم فى العلوم والفنون . والنظر هو الشعور بالمسئولية أمام الله

محمد يوسف

السطحى أن يميز بينهما حيث يفصلها خيط دقيق ؛ ولكن هذا التناكر لا يستمر طويلا فيختلطان ، ويسيران ممتزجين ، وتقع الخرطوم بينهما ، وتقع الخرطوم بحرى على جانب النيل الأزرق الشرق ، أما أم درمان فتقع على الضفة الغربية للنيل الكبير . وقبيل التقاء النيلين تقوم حدائق جميلة تسمى حدائق « المقرن » وهى من أحسن الأمكنة وأطيبها هـــواء ، وفيها يقول الأستاذ العقاد :

تفسير حلمى بالجزيـــرة وقفتى بالمقرن
حلمان حظهما خيالا دون حظ الأعين
ما دمت بينهما فما أنا ســـائل عن مسكنى

ويعجبنى قول أحد الكتاب السودانيين يصف التقاء النيلين عند المقرن ، إذ يقول : (هل استمتعت بذياك المرأى الطبيعى البديع الساحر ؟ مرأى ملتقى النيلين الحبيبين ، لقد أتى أحدهما ينساب من أقصى الجنوب ، والآخر ينحدر من أقصى الشرق ، فالتقيا منذ الأزل فى هذا المكان ، بعد هاتيك الرحلة الطويلة ، فأصبح هذا المكان مكان التقائهما علما مقرونا باسميهما ، أنهما قد التقيا عند هذا المكان ، واقترنا فى شوق ، بل تصافحا بجسميهما ، أنهما لم يفكرا فى الفكاك من هذا الاقتران ولم يفكرا

ولما التقينا قرب الشوق جهده حبيبين فاضا لوعة وعتابا
كأن حبيبا فى خلال حبيبه تسرب أثناء العناق وغابا

ولشد ما أعجبنى تمثل الكاتب بهذين البيتين فى هذا الموضع

ويصل بين الخرطوم وأم درمان جسر جميل ، أقيم سنة ١٩٢٨ .
أما مدينة أم درمان فهى مدينة كبيرة مبانيها فسيحة ، وشوارعها متسعة . وأول من عمر أم درمان الشمالية حكومة المهدية ، أما جنوبها فكان حلة صغيرة قائمة فى سهل فسيح رملى لا شجر فيه ، وكان يسكن هذه الحلة الأهلون من (الفتيحاب) وهم سكان الخرطوم الأصليون كذلك ، وكانت لهم منازل متفرقة على شاطئ النيل الأبيض الغربى ، والفتيحاب من قبائل الجموعيـة ، وهم وإخوانهم من الجيماب ، والسروراب ، والجمليين والميرفاب ، والرباطاب ، والشايقية ، ينتسبون إلى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه . وقد استولى المهدى على أم درمان سنة ١٨٨٥ م ولما جاء الخليفة التعايشى حبب الى الناس السكنى فيها ، فبنيت الدور ، واتسع عمرانها . وكل منازلها طبقة واحدة إلا النادر القليل ، وفيها مبان كثيرة بالحجر على النظام الحديث ، وقد كان سكان المدينة قبل المهدية ٤٠٠ ألف نسمة ، ثم تناقص هذا العدد إلى ٢٥ ألف فى سنة ١٩٠٣ ، أما عدد السكان - الآن حسب آخر إحصاء - فهو نحو ١٣٧ ألف نسمة

ويخترق أم درمان شارع طويل يسير فيه الترام يبتدئ من الجسر الفاصل بينها وبين الخرطوم ، وينتهى فى الجانب الشرقى منها حيث يسير قليلا على النيل . أما غربها وشمالها فصحراء لا نبت فيها ولا ماء . ويقع جبل كررى المشهور فى التاريخ شماليها ، والهابط منه إلى المدينة يأخذ فى شارع يسمى بهذا الاسم أيضاً

وفى أم درمان مدارس حكومية وأهلية ، وسطى ، وثانوية ، وأولية ، فيها مدارس الأحفاد ، وهى مدارس ذات فضل لا ينكر على السودان ، والمدرسة الأهلية ، وفيها مدارس الراهبات للبنات وهى روضة وابتدائى وثانوى . وبهذه المناسبة أذكر أن السودانيين غير متحمسين كثيرا لتعليم البنت . وفى ظاهر أم درمان من الناحية الغربية يقوم بناء المعهد العلمى ، وهو معهد قام منذ أربعين سنة تقريباً ، وكانت الدراسة فى مسجد أم درمان الكبير وانتقلت قريبا إلى هذه الدار الجديدة ، وفى المعهد الآن نظامان : نظام قديم ، ونظام جديد تشرف عليه الحكومة إشرافا كليا ، تضع له المناهج ، وتعين المدرسين ، والمعهد ابتدائى وثانوى وعالى ، ومنه يتخرج حاملو الشهادة العالية على نظام الأزهر القديم ، وهم يؤدون الآن مهمتهم فى السودان بجدارة وإخلاص ، ويراد أن يكون فى المعهد - بعد الثانوى - كليات ، على نظام كليات الأزهر ، ولا تزال المعاهد فى الأقاليم ترتبط بهذا المعهد ارتباطا ما ، وفى هذا المعهد يقول الشاعر التيجانى يوسف بشير :

السحر فيك وفيك من أسبابه دعة المدل بعبقرى شبابه
قسم البقاء إليك فى أقداره من شاد مجدك فى قديم كتابه
وأفاض فيك من الهدى آيانه ومن الهوى والسحر ملء نصابه
اليوم يدفعنى الحنين فأنثنى ولهان مضطربا إلى أعتابه
سبق الهوى عينى فى مضماره وجرى وأجفل خاطرى من بابه
ودفنت فض صباى تحت ظلاله ودفنت بيض سنى فى محرابه

ولقيت من عنت (الزبود) مشاكلا
وبكيت من (عمرو) ومن إعرابه

وطلاب المعهد يبلغون – الآن – نحو الستمائة طالب، أما مدرسوه فنحو الأربعين، منهم منتدبون من الأزهر الشريف وهم خمسة، ومنهم سودانيون متخرجون فى الأزهر، وبعضهم من خريجى كلية غردون أو المدارس الثانوية، وأكثرهم متخرجون فى المعهد ذاته، وشيخ المعهد الآن مفتى السودان السابق الشيخ أبو شامة عبد المحمود، وهو سودانى، وكل من سبقه فى مشيخة المعهد كان من السودانيين أيضا

وفى أم درمان أكثر دور الأحزاب السياسية، وهى من وهى من هذه الناحية تمتاز عن الخرطوم. كما تفد إليها السلع من كل أنحاء السودان، وفيها يمنيون كثيرون، وهنود، وشوام، ويونان، ومصريون، وكثير من التجارات فى أيدى هؤلاء.

وأهل أم درمان، كأهل السودان جميعا، متدينون، يؤدون الصلوات فى أوقاتها، ويخرجون الزكاة، والأمن والأمانة متوفران عندهم

وفى أم درمان تقوم قبة المهدى، وفيها بعض آثاره ومخلفاته، وأمامها ساحة كبيرة محوطة بسور مرتفع مستطيل طوله ٤٦٠ ياردة، وعرضه ٣٥٠ ياردة، وفيها محطة الإذاعة السودانية، ومحطة الأرسال

وقد لفت نظرى وأنا أطالع فى دواوين الشعراء السودانيين أنى لم أجد لأم درمان موضعا فى أشعارهم، مع أنى وجدت قصائد فى مدن كثيرة من مدن السودان، فى الأبيض عروس الرمال، وفى النهود، وفى كسلا، وفى سنار حيث يقول شاعرهم:

زرت سنار والجوانح أسرى	زفرات هدت قوى الصبر هدا
أسعدتنا فيها الغداة دموع	لم تخنا بالأمس فى دار سعدى
إن محا الدهر حسنها فلقد كا	نت مراداً للمتقين وخلدا
كم لها فى الرقاب منا ديون	وعزيز على ألا تؤدى
وجميل لأهلها عند أهلى	ويد بالصنائع الغر تندى

وهى قصيدة تذكرنى بقصيدة البحترى فى إيوان كسرى، وسنار كانت عاصمة مملكة الفونج، وهى مملكة شهيرة فى التاريخ، وبعضهم ينسب هؤلاء إلى الغمر بن يزيد بن عبد الملك، هربوا إلى السودان حين أساء العباسيون معاملة الأمويين

والوقت الذى لا نجد فيه قصيدة واحدة فى دواوين الشعراء عن أم درمان؛ نجد قصيدة لأحد شعرائهم المشهورين فى باريس مع أنه لم يبرح السودان!

وقد أهدى إلى بعض الأصدقاء قصيدة فى أم درمان مخطوطة لأحد الشعراء، كما قرأت أغنية تذاع من محطة الإذاعة عن أم درمان وهى أغنية جميلة

(وبعد) فهذه لمحة تعرف، وفيها بعض الغناء

على العمارى

شوقية لم تنشر فى الديوان ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

يسرنى أن أقدم لقراء الرسالة الغراء فى كافة أقطار العروبة هذه الخريدة العصماء لخالد الذكر المرحوم أحمد شوقى بك أمير شعراء الضاد بمناسبة قضايا مصر الأخيرة المتعلقة ببريطانيا، والتى نسج بردتها الشاعر فى ذكرى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ وعنونها بـ « جهاد مصر الوطنى » وقد عثرت عليها وأنا أنقب فى أوراق قديمة لى كنت أحتفظ بها ضمن مجموعة من المجلات العربية . وكانت هذه الرائعة منطوية بين دفتى مجلة « الزهراء » التى كان يصدرها فى القاهرة آنذاك الأستاذ محب الدين الخطيب، ويرجع تاريخ العدد من المجلة نفسها إلى سنة ١٩٢٦ م أو ١٣٤٥ هـ وقد راجعت الشوقيات بأجزائها الأربعة فلم أعثر عليها فعجبت كيف غفل أميرنا عن درجها فى الجزء الأول والثانى من شوقياته وقد طبعهما فى حياته . وإذا كان المرحوم قد سها عنها فكيف غربت عن بال أنجاله عندما أعدوا الجزء الرابع من شوقياته للطبع ؟ هذا سؤال أود أن أوجهه إلى الأستاذ على شوقى وزير مصر المفوض فى فرنسا حاليا لعل هناك سببا أجهله أنا

أما من ناحية القصيدة فهى له بلا ريب لأنها لا تختلف عن شعره من ناحية إشراق الديباجة ومتانة السبك وفخامة المعنى، وسلاسة الطبع . . وخصوصا استشهاده بوقائع من التاريخ الإسلامى وإشارته إلى حالات خاصة به . وسيطلع عليها القراء ضمن القصيدة ... هذا إلى أننى أود أن أنبه الكرام من قراء الرسالة الزاهرة إلى أن بعض الأدباء وأنصاف المتأدبين من العراقيين ينحرفون فى كثير من الأحيان وراء عواطفهم وعصبيتهم الإقليمية ؛ فيدعون بأفضلية شعر المرحوم معروف الرصافى على شوقى ، متأثرين بما يلقنهم الجهلة من أساتذة الأدب العربى فى مدارس العراق الرسمية . وأنا لا أعرف كيف يسوغ لهؤلاء الأساتذة الذين يفخرون بأنهم من حملة الشهادات العالية أن يقارنوا الرصافى بشوقى، وفى أى الحدود والموازين . وما هو وجه التفاضل بينهما، فإلى هؤلاء جميعا أقول إن شوقى قمة شامخة من قمم الشعر العربى الأصيل ، لا يرقى إليها حتى أبو الطيب المتنبى . أما الرصافى كما قال المعرى عندما قرئ عليه شعر ابن هانئ الأندلسى « رحى تطحن قرونا » إذ أن أكثر شعره رحمه الله خطابى يعتمد على فخامة اللفظ وإيقاع الجرس حتى لترى فى كثير من شعره الخلو من المعنى ، وخصوصا فى قصائده التى كان يلقيها فى الحفلات التى يدعى إليها ، لأنه كان يعتمد على التأثير على السامعين بالألفاظ لا بالمعانى ، وبعبارة أخرى خلو شعره من الفن الصادق الذى يتسم به شعر شوقى . وقد يقول قائل إننى بهذه الكلمة أتجنى على المرحوم الرصافى وأنا عراقى؛ ولكنى أقول إن هذا هو الحقيقة ، لأننى لا زلت من أشد المعجبين حماسة بوطنيته وإبائه ، وقد نوهت عن ذلك فى سلسلة مقالات نشرتها فى مجلة الحديث الحلبية قبل سنتين ، كما قلت فى رثائه من قصيدة طويلة :

فدعوا القريض لأهله فعميده   معروف غادر عرشه محزونا
الشاعر الحر الذى بيراعه   راع « الملوك » وروع « الطاغينا »

فأنا الآن إذن لا أتحامل ولكنى أقرر الواقع، وهاهى قصيدة شوقى الخالدة، وبرغم أنها نظمت سنة ١٩١٨ م فهل يستطيع أن ينظم شاعر مهما دان له البيان مثلها ؟!

خطونا فى الجهاد خطى فساحا   وهادنا ولم نلق السلاحا
رضينا فى هوى الوطن المفدى   دم الشهداء والمال المطاحا
ولما سلت البيض المواضى   تقلدنا لها الحق الصراحا
فحطمنا الشكيم سوى بقايا   إذا عضت أريناها الجماحا (١)
وقمنا فى شراع الحق نلقى   وندفع عن جوانبه الرياحا
نعالج شدة ونروض أخرى   ونسعى السعى مشروعاً مباحا
ونستولى على العقبات إلا   كمين الغيب والقدر المتاحا
ومن يصبر يجد طول التمنى   على الأيام قد صار اقتراحا

* * *

وأيام كأجواف الليالى   فقدن النجم والقمر اللياحا (٢)
قضيناها حيال الحرب نخشى   بقاء الرق أو نرجو السراحا
تركن الناس بالوادى قعوداً   من الإعياء كالإبل الرزاحى

(١) جمع شكيمة حديدة اللجام

(٢) المضىء

جنود السلم لا ظفر جزاهم … بما صبروا ولا موت أراحا
فلا تلق سوى حى كميت … ومنزوف(٣) وإن لم يسق راحا
ترى أسرى وما شهدوا قتالا … ولا اعتقلوا الأسنة والصفاحا
وجرحى السوط لاجرحى المواضى … بما عمل الجواسيس اجتراحا(٤)

* * *

صباحك كان إقبالا وسعداً … فيا يوم الرسالة عم صباحا
وما نألو نهارك ذكريات … ولا برهان غرتك الّتماحا
تكاد حلاك فى صفحات مصر … بها التاريخ يفتتح افتتاحا
جلالك عن سنى الأضحى تجلى … ونورك عن هلال الفطر لاحا
هما حق وأنت ملئت حقا … ومثلت الضحية والسماحا
بعثنا فيك « هاروناً » وموسى … إلى فرعون فابتدرا الكفاحا
وكان أعز من روما سيوفاً … وأطغى من قياصرها رماحا
يكاد من الفتوح وما سقته … يخال وراء هيكله (فتاحا)
ورد المرسلون فقيل خابوا … فيالك خيبة عادت نجاحا
أثارت وادياً من غابتيه … ولامت فرقة وأست جراحا
وشدت من قوى قوم مراض … عزائمهم فردتها صحاحا
كأن ، بلال نودى : قم فأذن … فرج شعاب مكة والبطاحا
كأن الناس فى دين جديد … على جنباته استبقوا الصلاحا
وقد هانت حياتهم عليهم … وكانوا بالحياة هم الشحاحا
فتسمع فى مآتمهم غناء … وتسمع فى ولائمهم نواحا

* * *

حواريين أوفدنا ثقاة … إذا ترك البلاغ لهم فصاحا
فكانوا الحق منقبضا حييا … تحدى السيف منصلتا وقاحا
لهم منا براءة أهل بدر … فلا إثماً تعد ولا جناحا
ترى الشحناء بينهم عتاباً … وتحسب جدهم فيها مزاحا
جعلنا الخلد منزلهم ، وزدنا … على الخلد الثناء والامتداحا

* * *

يميناً بالتى يسمى إليها … غدوا بالندامة أو رواحا
وتمبق فى أنوف الحج ركناً … وتحت جباههم رحباً وساحا
وبالدستور وهو لنا حياة … نرى فيه السلامة والفلاحا
أخذناه على المهج الغوالى … ولم نأخذه نيلا مستماحا
بنينا فيه من دمع رواقا … ومن دم كل نابتة جناحا
لما ملأ الشباب كروح سعد … ولا جعل الحياة لهم طماحا
سلوا عنه القضية هل حماها … وكان حمى القضية مستباحا
وهل نظم الكهول الصيد صفا … وألف من تجاربهم رداحا
هو الشيخ الفتى لو استراحت … من الدأب الكواكب ما استراحا
وليس بذائق النوم اغتباقاً … إذا دار الرقاد ولا اصطباحا
فيالك ضيغما سهر الليالى … وناضل دون غايته ولا حى
ولا حطمت لك الأيام نابا … ولا غضت لك الدنيا صباحا

* * *

وبعد فهذه عصماء شوقى سقتها لتكون شاهداً على عبقريته ولتضم إلى مجموعة شوقياته ، وخصوصاً إلى عشاق شعره الذين لا يحتفظون بنسخة منها

وفى الختام أود أن أنبه أساتذة الأدب العربى فى العراق وفى مدارسها التى تشرف عليها وزارة المعارف إلى أن لا يهرفوا مرة أخرى أمام طلابهم بأن الرصافى أشعر من شوقى ، خوف أن يأتى زمن نكون فيه معرة المثقفين العرب . اللهم اشهد لقد بلغت

بغداد — أمانة العاصمة … عبد القادر رشيد الناصرى

(٣) — المنزوف : المخمور
(٤) — الاجتراح : الرمى بالفعل

مقدمة لكتابه « عقيدتى »

برتراند رسل

الفيلسوف الإنجليزى المعاصر

للأستاذ عبد الجليل السيد حسن

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

فلسفته :

لا نظلنك ظانا أننا آخذون فى تفصيل فلسفة برتراند رسل ، فى هذا المكان ، بل حتى ننأى بك عن أن تظن أننا آخذون فى إجمالها لك الآن ، وأنت تعرف من دون شك أن هذا الفيلسوف قد جال فى ميادين عدة ، كل ميدان منها يحتاج إلى غزو وتذليل؛ فأنت تعرف أنه فيلسوف قبل كل شىء ومنطقى ، بل إمام فى المنطق، وصاحب مذهب جديد فيه، ثم هو عالم رياضى من الرعيل الأول وكاتب اجتماعى وأخلاقى وصاحب آراء فى التربية ، وهو فى كل ذلك نسيج وحده ، يتناول كل شىء بعقله الخاص وذهنه العجيب . فهو حر إلى أبعد حدود الحرية ، يمقت الاستعمار ويزدريه ، ويرى أن بريطانيا بدون مستعمرات وإمبراطورية ، تكون أسعد مما هى عليه الآن ، ولمل فى ذلك أثراً من جدته ، ثم هو يبغض الألقاب والمزايا الوراثية ويسخط عليها مع أنه سليل اللوردات أرستقراطى الأصل

وإن مفتاح فلسفة رسل هو الفكر الحر والنظر العقلى البحت والاطمئنان إلى ما يطمئن إليه العقل ، والنفور مما لا يتفق معه ، ولاشك أن عقلا هذه طبيعته وذهنا هذه خصائصه ، لا بد أن يتجه إلى الرياضة ، فهو مثال العلم العقلى الدقيق ولكن عقلا جبل على النظر الحر لا بد أن يستقرى ويتعمق حقائق الرياضة . فقاده ذلك إلى القضايا الأولية التى تتركب منها الرياضة ، ولكن هل الرياضة هى الوحيدة التى لها هذه الميزة وهذه القضايا . ؟ لا ، إن هناك علماً آخر هو المنطق ، علم النظر العقلى الدقيق أيضاً ؛ فليدرس المنطق ، ولكنه يجد أن المنطق يتكون من بديهيات عقلية هى أساس للحقائق الرياضية ، إذن فالرياضة والمنطق أساسهما واحد ؛ بل إن الرياضيات والمنطق الصورى شىء واحد، وفى مقدور العقل أن يستنتج كل حقائق الرياضيات من عدد صغير من البديهيات المنطقية ؛ إذن فلا بد للعقل أن يسير بهدى هذا المنطق ، ولكن ليس هو المنطق القديم العقيم . وقد اتخذ رسل طريقة قويمة هى طريقة التحليل المنطقى ، وكان أعظم ما عمله رسل هو تخليص التحليل المنطقى من سيطرة النحو التقليدى ، فإن المعنى النحوى لجملة من الجمل لا يؤدى المعنى المنطقى لهذه الجملة، فحينما نقول : « إن وحيد القرن [1] غير موجود حقيقة » فهذه الجملة ليست من نوع الجملة التى تماثلها من الناحية النحوية وهى « إن الأسود غير وديعة » فالجملة الأخيرة تعنى أن هناك حيوانات معينة اسمها الأسود تنقصها صفة معينة وهى الوداعة، ولكن الجملة « وحيد القرن غير موجود » لا تعنى أن هناك حيوانات اسمها وحيد القرن وتنقصها صفة الواقعية ، لأنه ليس هناك مثل هذه الحيوانات حتى تكون هناك مثل هذه الصفة

إن أهم شىء فى فلسفة رسل هو منطقه وآراؤه فيما بعد الطبيعة والأخلاق والطبيعة ، والعلاقة بين المادة والعقل ، ويمتاز رسل بتحليله المنطقى العميق وهو يحب أن لا توضع فلسفة فى صف الفلسفة المثالية أو الواقعية، بل يفضل أن توصف بأنها « منطقية ذرية » (Logical Atomism) لأن الشىء الذى يميز كل دراساته هو استخدامه للتحليل المنطقى كطريقة ومنهاج ، واعتقاده أنه، بهذه الطريقة يستطيع أن يصل إلى رأى مقبول فى طبيعة المادة فالمادة مكونة من ذرات وبتحليله المادة تحليلا منطقيا يستطيع الوصول إلى حقائق ووقائع ذرية

---

(١) هو الحيوان الخرافى الذى يسمى (Unicorn) ويقال إن له جسم الحصان ورأس الغزال وقدم الفيل وذيل الأسد ويخرج من وسط جبهته قرن أسود ذو شعبتين وهو غير وحيد القرن المعروف بالخرتيت

والذى يجدر بنا الإشارة إليه الآن هو رأى رسل فى المعرفة لأنه بمثابة العمود الفقرى من فلسفته فيقول رسل (٢) « إن كل حقائق معرفتى عن العالم الخارجى هى حوادث (events) فى عقلى » (ص ١٧١) ويوضح ذلك فيقول « إن ما أعرفه بدون استنتاج حينما أكون فى حالة ، ولتكن « رؤية الشمس » ليس هو الشمس بل حادثة عقلية فى نفسى ، وأنا لا أشعر بالموائد والكراسى الموجودة الآن ، بل إن ما أحس به هو تأثيراتها المعينة فى ، وإن موضوعات الإدراك الحسى التى أعتبرها « خارجية » بالنسبة إلى مثل السطوح الملونة التى أراها ليست خارجية إلا فى فراغى الخاص الذى يتوقف عن الوجود حينما أموت » (ص ٢٢٥)

« وحينما يقال إنى أرى المائدة فإن الذى يحصل حقيقة هو أنى أحس بإحساس مركب يشابه — باعتبارات معينة — فى بنائه المائدة الطبيعية » فالإنسان حينما يرى المائدة لا يرى المائدة، بل إنما يرى منها لونها وشكلها، وإذا لمسها أحس بها ، ولكنه لا يرى اللون أو الشكل حقيقة بل كل ما يحدث أن يؤثر الإشعاع اللونى على بصره وأنه لا يرى الشكل كاملا مستطيلا أو مستديراً مثلا بل يراه من جهة واحدة، ثم هو الذى يعطى له الشكل المستطيل أو المستدير، وحينما يلمسها فكل ما يحدث أن يتأثر احساسه تأثيرات خاصة « فلسنا نرى حقيقة الموضوعات الطبيعية بشئ أكثر من سماعنا للموجات الكهرطيسية حين سماعنا للراديو » (ص٣١١)

والأمر الرئيسى فى هذا القول هو أننى حينما أرى شيئا وليكن مائدة مثلا فإن إدراكى الحسى هذا هو حادثة فى عقلى أنا ، ولكن ما هو الإدراك الحسى ؟

يجيب رسل عن ذلك بأنه — كما يستعمل اللفظة — ما يحدث، حينما يرى شيئا أو يسمع شيئا أو حينما يعتقد فى نفسه أنه أصبح يشعر بشئ خلال حواسه

وأما آراؤه فى التربية فهو يرى أنه ينبغى أن تعالج التربية فى السنوات الأولى من الطفولة لأنه بعد سن السادسة تقريباً يكون قد تكون لدى الطفل عادات وميول بها يسهل قياده فى الطريق الصحيح المراد أن يسلكه ، فنحن نستطيع أن نشكل ونوجه غرائز الطفل وقواه فى سنواته الأولى إلى ما نريده من تربية . والطفل ليس شريراً أو خيراً بفطرته؛ بل إن الذى يحوله إلى الخير أو الشر هو التوجيه التربوى القويم أو المعوج فى السنوات الأولى، ويهدف من التربية إلى خلق أناس يتوفر لديهم من النشاط والحيوية والشجاعة وعدم الخوف والذكاء وسعة الأفق واتساع العقلية الشئ الكثير . ولا بد من الحرية والفكرية وتشجيع العزيمة – لدى الشباب – إلى مناقشة كل أمر ، والإيمان بأن المعرفة يمكن تحصيلها ، وأنها ليست مستحيلة وإن كانت صعبة فى بعض الأحيان

ومن المفيد أن يربط بين العلم النظرى والحياة العملية وتبين فائدة العلم النظرى فى الحياة للأطفال ، وليس معنى ذلك إهمال العلم المحض ، فهناك علوم لها قيمة كبرى بغض النظر عن تطبيقاتها العملية

ولنستحضر أمام أعيننا أن الحياة السعيدة هى تلك الحياة التى يعمم جوانبها الحب ، ولكنه ليس حبا تقوده أمور اعتباطية، بل هو الحب الذى تقوده وتدير رحاه المعرفة والعلم ، فمعرفة بدون حب تؤدى إلى هلا كنا؛ وحب بدون معرفة يؤدى إلى هلا كنا أيضا

* * *

وهل هناك من إله ؟ يقول رسل أن لا ! وإن كان هناك إله فهو إله محدود ، وليس ببعيد أن يقول ذلك فهو الذى يقول إن الإنسان وحش وإله . وليس هناك من إله مطلق القوة والقدرة بالصفات التى يعتقدها المسيحيون فى الله، لأن الله لو كان مطلق القدرة ما خلق هذا العالم الناقص . وقد برهن ليبنتز على أن الشر من الضرورى أن يوجد فى العالم لكى يكون من الممكن إظهار خير أعظم منه ولكن ليبنتز لم يلاحظ أن نفس الدليل يثبت أيضا وبنفس القوة أنه من الضرورى وجود الخير لكى

---

(٢) رأى رسل فى المعرفة معروض فى كتابه الذى ظهر سنة ١٩٤٨ وعنوانه « المعرفة الإنسانية ، مداها وحدودها »

يكون من الممكن إظهار شر أعظم منه ، ولو أن عالما سيئا بمض السوء قد خلقه إله مطلق الإحسان، فإن عالما خيراً بمض الخيرقد يكون الذى خلقه شيطان مطلق الشر، وكلا الدليلين يبدوان أنهما محتملان عند رسل ، ويكفى أنهما محتملان وليسا بيقينيين فى الرد عليهما

* * *

ونختتم الآن هذا العرض الموجز لحياة رسل ، وطرفا من فلسفته بنقل تجربة عاناها برتراند رسل نفسه وسجلها فى أحد كتبه (٣) قال « إنى لم أولد سعيدا ... وفى سن الخامسة تفكرت فى أننى لو عشت إلى السبعين أكون فقط قد تحملت إلى الآن جزءا من أربعة عشر جزءا من حياتى وشعرت أن الشقاء الطويل المدى الذى أمامى مما لا يمكن تحمله ، وفى المراهقة عفت الحياة وكنت على شفا الانتحار الذى لم يمنعنى منه إلا رغبتى فى أن أتزود أكثر من الرياضيات . والآن فإنى على العكس أتمتع بالحياة ، وبالأحرى يجب أن أقول إننى أتمتع بها أكثر بمرور الأعوام ، وهذا راجع نوعا ما إلى توفيق فى اكتشاف الأشياء التى أرغب فيها أكثر ، وقد حصلت على كثير منها تدريجيا ، وهذا راجع إلى نجاحى فى طرد أشياء - كانت موضع الرغبة - مثل الحصول على معرفة حقيقية لا تقبل شكا عن شئ أو غيره - لأنها من المحال إدراكها ، ولكن هذا يرجع فى الغالب إلى التقليل من محاسبة نفسى، فقد كنت كالآخرين الذين تلقوا تربية جافة (حنبلية) كثير التأمل فى خطاياى وحماقاتى وتقصيرى وبدوت لنفسى - ومن دون شك كان ذلك صادقا - مثلا تعسا ، وبالتدريج تعلمت أن أكون قليل الاهتمام بنفسى وبتقصيرى، وأخذت أركز انتباهى بازدياد نحو الموضوعات الخارجية : حالة العالم ، الفروع المختلفة للمعرفة ، والأشخاص الذين أشعر نحوهم بحب . وحقا إن الاهتمام بالأشياء الخارجية له ألمه المحتمل : فقد يشتبك العالم فى حرب ، وقد تكون المعرفة من الصعب الحصول عليها فى بعض النواحى ، وقد يموت الأصدقاء ، ولكن الآلام من هذا النوع لا تقضى على القيمة الجوهرية للحياة كهذه الآلام التى تصدر عن النفور مع النفس ، وكل اهتمام خارجى يوحى - مادام الاهتمام فعالا قويا - بشئ من النشاط الذى يعتبر وقاية تامة من السآمة والضجر ، وعلى العكس من ذلك لا يؤدى الاهتمام بذات الشخص إلى نشاط من النوع المتزايد »

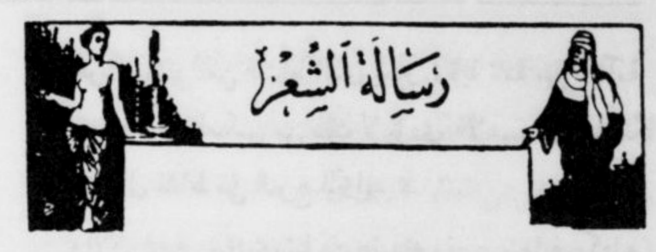
والآن لندع رسل يحدثنا عن عقيدته وقد عرضها فى كتابه هذا الصغير (٤)، وهو على رغم صغره أحد المراجع الهامة فى فلسفة رسل، وميزة الكتب الصغيرة أنها تعرض المؤلف وعقيدته الخاصة لأنه ليس هناك من مجال لعرض آراء غيره وللمناقشات الطويلة التى لا يعرف منها رأى الكاتب إلا بعد طول عناء

للكلام بقية

عبد الجليل السيد حسن

(٣) 11, 18 19 The Conquest of Happiness

(٤) - ظهرت الطبعة الأولى فى مارس سنة ١٩٢٥ وظهرت الطبعة الثامنة فى يناير ١٩٣٣ وعنها الترجمة ، وقد ظهرت هذه الطبعات فى سلسلة « اليوم والغد » ، وعنوان الكتاب الأصلى (What I Believe)



حياتي ظلال !

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

حياتي ظلال وعيشي ملال ونفسي مقلقة بالعذاب !
وعمري قيود لروح شرود تفرد . . . لا موطن أو صحاب !

* * *

وحي سراب طواه اليباب وقد كان يسعد قلبي الحزين
وقلبي غريب جفاه الحبيب وأودع فيه لهيب الحنين

* * *

وسمعي أنين خفي الرنين يناجي عهوداً طواها الخفاء
وتلك العهود تراها تعود وتسقي حياتي رحيق الصفاء ؟

* * *

وشعري نواح كشجو الرياح إذا مزقتها شعاب الجبال !
ومن ذا يلوم ؟ وعمري غيوم تمزقها فيها رياح الزوال !

* * *

عبرت الوجود بناي وعود وغنيت ما هز قلب الجماد
فضاع الغناء ومات الرجاء وصارت حياتي . . . بقايا رماد !

* * *

ومجدي هباء كنجم أضاء لعابر ليل شريد غريب
فلما أتاه تواري سناه وخلفه للظلام الرهيب

* * *

وحظي ضياع وحق مضاع أحارب من أجله الغاصبين
وكم ذا أثور كنار تفور فيستنصر الظلم بالظالمين

* * *

وكم ذا بليت وكم ذا اشتكيت فضاعت شكاتي ، وضاع البكاء
وما لي معين من البائسين فنأخذ ما نبتغي . . . بالدماء

* * *

وبعض الأنام عبيد طغام يسخرهم سادة أدعياء !
أذاعوا الشقاء بأرض الثراء لتسعدهم شقوة الأشقياء !

* * *

فقدت العزاء وعفت البقاء بأرض سقتني نقيع الشجون
أريد الرحيل كشمس الأصيل إلى عالم لا تراه العيون

* * *

وكيف الذهاب ؟ وجسمي تراب
تقيده الأرض . . . رمز القيود
فيا للمصير ؟ تراب يسير
ليفني كما كان قبل الوجود

* * *

أمامي ظلام وخلفي قتام وتحتي ركام كجون السحاب
وفوق الركام يسير الحطام وما هو إلا حطام الشباب

* * *

بعيد الديار وكيف المزار وما من دليل ، ولا من طريق
شربت الهوان بكف الزمان فأصبحت من سكرتي لا أفيق

* * *

بمن أستجير ؟ وما لي من نصير
كأني أقيم بأرض الذئاب !
وكم لي نداء يهز الفضاء وما من مجيب ، وما من جواب !

* * *

علام الشكاة لصم عتاة بكاء الحيارى لديهم . . غناء ؟
ويا قلب . . . آه ! سئمنا الحياة فهيا نمر في طريق الفناء !

ابراهيم محمد نجا

اللب والقشور

للشاعر محمد مفتاح الفيتوري

لا تحسبي سخرك من شعوري
يطفئ بين اللهبين نوري . . !
يا أرض . . . يا خانقة الزهور
يا عبدة الأصداف والقشور



مواطنون ... لا رعايا

تأليف الشيخ خالد محمد خالد
للأستاذ على العمارى

هذا كتاب يجئ في أوانه ، وبقدر ما أخفق المؤلف في كتابه (من هنا نبدأ) بقدر ما أصاب من نجاح في كتابه هذا ،

ومقياس الإخفاق والنجاح عندي هو سلامة الفكرة ، وأصالة الرأى ، والقرب من الصواب ، والبعد عن المغالطة والتعثر والإضطراب

ولعل كتاب (مواطنون لا رعايا) من أجدر الكتب بأن يطلع عليه كل من يستطيع أن يقرأ في مصر ، بل في الشرق ، فهو جدير بأن يطالعه الزعماء وقادة الرأى في البلد إن كان عند هؤلاء رغبة في مطالعة كتاب شعبي ألفه رجل ليس من كبار المؤلفين ، ولكن قوله من أحسن وأجمل وأصدق ما يجب أن يقال ، وهو جدير بأن يطالعه شباب مصر المثقفون لأنه يعبر عما يجول في النفوس من آلام وآمال ، وهو جدير بأن يطالعه رجل الشارع لأنه يبصره بمواضع قدميه ، ويقول الكلمة التي لا يستطيع أن يقولها وإن كانت تحوم على لسانه ، وتستقر في نفسه

بدأ المؤلف كتابه في الحديث عن الاستعمار التركى ، وما أصاب مصر من بلاياه ورزاياه ، وما خلف فيها من آثار سيئة في حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ثم قال — وهنا بيت القصيد — : (ونحن ننبش قبر الاستعمار التركى لنكتشف الأوتاد المطمورة تحت ترابه ، والتي لا تزال تصلنا بها سلاسل وأغلال . ومالم ننظف روحنا المسيطر من رواسب الماضي فسنظل دائماً نعيش في ذلك الماضي برجميته وفساده واستبداده ، وسيظل الشعب جاثيا تحت الأثقال التي أنقضت ظهره ، وهدمت قواه . إننا — الدولة والشعب — لانزال نعيش في ذلك الماضي السحيق ، فالعجز السياسي ، والرجمية الاقتصادية ، والانهيار الخلق ، والشعب المستذل ، والحكم الأتقراطى ، والفساد الإدارى ، والحريات المصادرة ، واستغلال الدين . كل هذه الخطايا تقترف اليوم بنفس الهمة العالية التي كانت تجترح بها في تلك القرون . إن الاستعمار التركى قد اختفى حكامه ، وبقيت تقاليده وشعائره وأحكامه)

ثم تحدث عن الاستعمار الإنجليزى ، مبينا مثالبه وأخطاره ، وشارحا دخول الإنجليز مصر ، والمظاهر المختلفة التي ظهر فيها الاستعمار ، وأطال جدا في هذه الناحية ، وانتهى إلى أن شيئاً مما تفعله الحكومة لن يخرج الانجليز من مصر ، فالمفاوضات لا ثمرة

يا مقلة شائهة التصوير ...
يا كعبة ملعونة النذور ...
يا جثة منتنة البخور ...
لسوف يوماً تبصرين نورى
نور الفتى المحتقر الفقير
فتسجدين سجدة المقهور
خاشعة ... هنا على حصيرى
باسطة كفيك كالضرير
صارخة من وطأة الضمير
فمزبدى راقصة وثورى
وأحتقرى واستهزئى وجورى
وأغرق ما شئت في الفجور
واستغرق في وهمك النضير
فوق فراش الشهوة الوثير
وزهر القطيفة المنثور ...
وتحت ضوء المرقص البللورى
ورنة الأرغن والطنبور
ورعدة الأكؤس في الثغور
وجيشان الرغبة المثير ...
فغداً تحيين ساعة النشور ويعرف اللب من القشور

محمد مفتاح الفيتورى

لها ، والمنظمات الدولية خداع ونفاق وأداة طيعة فى يد القوة ، وإنما يخرج الإنجليز من مصر شئ واحد ، هو القوة ، ولا شئ غير القوة

ولتحقيق هذه الغاية يتعرض المؤلف للأوضاع القائمة فى مصر ، وينقدها نقداً عنيفا صريحا لا مواربة فيه ولا التواء ، ثم يوضح الطريق للاصلاح المنشود (ولقد حاولنا جهد هذا البحث المقتصد الموجز ، أن ننفض عن أمتنا طفاوة البغى ، ورهج الانكسار ، ونعاونها فى فض قيودها وأغلالها ، وسنرى خلال سيرنا مع هذه السطور ما يجعلنا نرتد عاجزين عن الاقتناع بأن لنا حقوقا ترعى وحرمات تصان) فينقد الحياة النيابية ، ويرسم الخطة لإصلاحها ، وينقد الصحافة التى تجعل (الأخلاق التجارية تسيطر عليها أكثر ممـــا يسيطر عليها الواجب الأدبى) وينقد الأحزاب ومناهجها وسلوكها فى حـكم الأمة (فالحزب الذى لا يستأثر بالحـكم يستأثر بـكل شىء ممه . لقد آمنت بأن الأحزاب لا تحترم الشعب أبدا . أن الحزب — فيا يبدو — لا يريد نائبا يشرفه بعقله ومواهبه ، ولـكنه يريد — بوليصة تأمين — تؤمن خزينته من الإعواز ، ونفوذه من الخذلان . وبعد : فإن مجالسنا النيابية حتى اليوم لم تمثل الأمة بقدر ما مثلت الحزب . والبرلمان الذى يأتى ثمرة هذه الأوضاع الفاسدة — لا يحكم الحـكومة بل تحكمه) وينقد الحـكومات فى معالجتها كل حركة بقانون ، ويرى أن السلس الذى يصيب الحـكومات فى وضـع القوانين هو أخطر ما تصاب به أمة ، وأن محاولة زجر الشعب بقانون إنما هو كمحاولة إطفاء النار بقاذفات اللهب (ولسنا بذلك ندعو إلى شغب أو فتنة ، بل إلى سكينة وسلام ، وإنما دعاة الفتنة والثـورة ؛ بحق هم أولئك الذين يتحدون طبائع الأشياء ويحاربونها بقانون) ثم يصف حال الشعب فى عبارات صريحة جريئة (إن بلادنا محرومة من أن تفـكر لأنها محرومة من أن تقرأ ، ومحرومة من أن تعبر وتقول ، وهى ممنـوعة من ذلك كله حرصاً على سلامة الدولة ؛ وسلامة الهيئة الاجتماعية . مطلوب من الجماهير أن تبسط يدها إلى اللقمة المعفنة ، أو الحشرة الدسمة ، ثم تدسها فى فمها ، وتستحليها كما تفعل بأى شئ حلو لذيذ . ماذا طرأ علينا من تغيير وتطوير ؟ كنا بالأمس (عبيد الباب العالى) ونحن اليوم عبيد الحزب الحاكم . . أى حزب . كنا بالأمس ضحايا النهب والرشوة والاستغلال ، ونحن اليوم كذلك أيضا . كنا بالأمس مسلوبى الحرية والإرادة . . . وليس لنا دستور ، ونحن اليوم مسلوبو الحرية والإرادة والكرامة ومعنا دستور . كنا بالأمس أمة مستعمرة بإكراه ، ونحن اليوم أمة مستعمرة بمعاهدة) ويدعو فى قوة وحماس إلى تنميـة غرائز الغضب والنفور ، وحب الذات فى الشعب ، وتركها تؤتى ثمارها فى تقدم الأمة وتحريرها ، ويرى أن غريزة حب الذات من أنبل وأنفع السلائق الإنسانية

ولو أن المؤلف أضاف إلى هـــذه المثبطات لتقدم الأمة ، والعوامل فى تأخرها ، لو أنه أضاف الإذاعة المصرية التى قتلت فى الأمة عزتها ، والصحف الماجنة التى جنت على أخلاقنا أشنـع الجنايات وأقتلها ، لأتم بذلك الدائرة الحقيرة التى تضغط الشعب وتحـكم قيوده

ولم أرد بهذا العرض السريـع أن أوصل إلى القارئ كل ما فى الـكتاب من حقائق ، وما يشتمل عليه من توجيهات للحكومات والشعوب ، وإنما أردت — فقط — أن أشير إلى روح الـكتاب ونهجه

على أنى لا أخلى المؤلف من اللوم ، فإن عنده عقدة نفسية من رجال الدين ، فهو يهجم عليهم لغير مناسبة ، ويتجنى عليهم ولا جناية ، وليس أدل على ذلك من ذكره لهم عند حديثه على غريزة الغضب وغريزة حب الذات ، فهو يحاول أن يحملهم وزراً مع أنهم لا يخالفونه فى الرأى ، وهو عند — النظر الفاحص — لم يزد على ما يقولونه شيئاً ، وأنا لا أريد أن أخلى رجال الدين من التبعات ، ولا من اللوم ، ولـكنى أحب أن نلوم عندما نجد موضعاً للوم حتى يكون لومنا مفيداً . كما أن المؤلف لم يوفق فى كلامه على التقاليد وبخاصة حين قال : (والحقيقة التى تغرب عن بالنا هى أن الأديان جميعها لم تأت إلا لتدمدم على التقاليد وتقتلعها ثم تذروها مع الريح . .) هكذا يعمم الـكلام . . . وهو خطأ ذريـع

إن المؤلف أسرف فى إرخاء العـنان للغرائز التى ذكرها ، ولـكنه دون أن يشعر رجع إلى الاعتدال ، فهو مثلا ينقل عن

بعض الكتاب مؤيداً ما يقول الكاتب ، وفى هذه الكلمات التى أشاد بها المؤلف هذه الفقرات عن غريزة الغضب (ولكننا إذا أرخينا الحبل لهذا الحافز الماطق الذى لا غنى عنه كانت النتيجة مدمرة ، فإن البغضاء المزمنة أو إمساك الحقد فى القلب يمزق صاحبه) وهذا هو الاعتدال الذى ينادى به رجال الدين ورجال التربية فى كل الغرائز ولا شئ غير هذا ، فإذا كان المؤلف مؤمناً بهذا الاعتدال فهو - إذن - لم يأت بجديد ، وإذا كان يريد أن تترك الغرائز تجرى غاية حضرها فقد أخطأ الطريق

والمؤلف ينكب الجادة عن قصد أو عن غير قصد حين يدعو إلى التحالف مع روسيا ، وحين يشيد بعبارات جميلة بروسيا وعواقفها مع مصر ، ولو التزم جانب السداد والنظر الفاحص ، لرفض أن يدعو إلى التحالف مع روسيا كما يدعو إلى رفضه مع بريطانيا وأمريكا

بريطانيا وأمريكا دولتان استعماريتان ، تضمران للشرق كل شر . هذا صحيح . ولكن روسيا — أيضاً — كذلك، ولاأدرى كيف نسى المؤلف أو تناسى معاونة روسيا على قيام إسرائيل ! ؟

إن روسيا تحارب الاستعمار فى كل مظاهره — كما يقول المؤلف - ولكنها لا ترى بأساً من أن نساعد على طرد شعب من دياره ليحل محله شعب آخر! الحق يا أستاذ أن - الكفر كله ملة واحدة - كما يجرى على الألسن

وأعود فأقول إن المؤلف كفر بكتابه (مواطنون لا رعايا) من كتابه (من هنا نبدأ) والحسنة كفاء السيئة

ع . ع

كتب جديدة :

حافظ وشوقى

تأليف الأستاذ حسن كامل الصيرفى — ٧٦ صفحة من الحجم الكبير — الطبعة الثانية بالمقتطف عام ١٩٤٩

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

الأستاذ الصيرفى شاعر مجدد ، من المدرسة الحديثة فى الشعر المصرى المعاصر . وديوانه : « الألحان الضائعة » و« الشروق »، وألحانه الجميلة وتأملاته التى تنشر فى الصحف والمجلات ، من الطراز الفنى العالى ، الذى ينم عن شاعرية موهوبة أو نفس شاعرة ، وملكات مطبوعة . . ورمزيته فى ترانيمه الوسيقية الآسرة واضحة كل الوضوح، كما يقول الناقد الحر مصطفى السحرتى فى كتابه « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث »

ونشاط الصيرفى الأدبى نشاط مبكر جدا ، فمنذ الخمسة عشر عاما كان يشرف على تحرير بعض المجلات الأدبية ، ويكتب البحوث فى الأدب والنقد ، وينظم القصائد الجميلة العالية

وآخر ثمراته الأدبية كتابه « حافظ وشوقى » ، الذى يدل على عقلية مؤلفه الخصبة ، وملكاته القوية فى النقد ، ومنهجه الواضح فى الموازنة والتحليل ، والدراسة الأدبية الصحيحة

وصعوبة الكتابة عن شوقى وحافظ من حيث الموازنة المنهجية بينهما ، لا يجهلها أحد ، ولكن الصيرفى نهض بهذا العبء فى قوة واستقامة غرض ودقة تحليل وإصابة هدف

والشاعر لا يستطيع أن ينقد شعره إلا شاعر مثله ، يفهم منهج الشعر ومذاهبه وأدواته ، ويتذوق أسلوبه وعناصره . . . سئل البحترى عن مسلم وأبى نواس أيهما أشعر؟ فقال أبونواس. فقيل له إن أبا العباس ثعلباً (الراوية اللغوى الأديب النحوى المتوفى ٢٩١ هـ) لا يوافقك على هذا ؛ فقال : ليس هذا من شأن ثعلب وذويه المتعاطين لعلم الشعر دون عمله

لذلك كان نقد الصيرفى الشاعر لشوقى وحافظ الشاعرين : وموازناته الأدبية بينهما ، من الدقة والإصابة بمكان بعيد مما تحس به حين يتحدث عن ديباجة الشاعرين وموسيقاهما، أو حين يحلل شعرهما السياسى والتاريخى ، أو شعرهما فى الطبيعة والمرأة، وفى الرثاء ، وفى بعض المواقف التاريخية والوطنية : كحادثة دنشواى ؛ ووداع كرومر ، ووفاة مصطفى كامل ، وإعلان الدستور العثمانى وخلع عبد الحميد ، وحريق ميت غمر ، وزلزال مسينا الذى صوره حافظ ، وزلزال طوكيو الذى صوره شوقى ، ومحاولة اغتيال سعد

وحين يعرض الصيرفى الناقد لفن الشاعرين نلاحظ قوة



تعليق على « الدخان في الشعر »

كتب الأستاذ عبد القادر رشيد الناصري في العدد ٩٢٥ من الرسالة الغراء مقالة بعنوان « الدخان في الشعر » استعرض فيها بعض القصائد في الدخان لبعض الشعراء العراقيين

وأول ما تناول كاتب المقال قصيدة « العادات قاهرات » للمرحوم الرصافي المنشورة في ديوانه الأول المطبوع سنة ١٩١٠ م بالطبعة الأهلية ببيروت

ولقد استوقفتنا بعض العبارات التي دونها الأستاذ بيراعه على صفحات الرسالة . وإظهاراً للحقيقة وددنا التعليق والرد على ما جاء ، بهذه الفقرات التالية لكي يقف على الحقيقة . الفقرة الأولى : —

علق الأستاذ على هذه الأبيات من أنها خير دليل على كذب الرصافي

إن كلفتني السكارى شرب خمرتهم
شربت لكن دخاناً من سيكاراتي

إني لأمتص جمراً لف في ورق
إذ تشربون لهيباً مل كاسات

إن الرصافي نشر هذه القصيدة بديوانه المنشور سنة ١٩١٠ م وربما نظمها قبل هذا التاريخ ببضع سنوات ، وبهذه الفترة الزمنية في حياته كان صادق اللهجة في إنكاره الخمرة بعيداً عما يتصوره الأديب ، حيث أنه لم يتحرر من العامل الدينى آنذاك تحررا كليا ، إذ كان يقتصر على التدخين وحده ، ولا يرى في الكأس إلا سما زعافاً

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنه شاعر ، والشاعر له إحساسات وعواطف يحس فيها بقرارة نفسه ، فيتناول يراعته ليضعها في قوالب موسيقية متناسقة ، ويلبسها حلة زاهية . ولو علم أن ما كتبه مخالف لما هو عليه ، فمراده تدوين ما انبثق من حسه وما يتصوره من شعور

ولو فرضنا جدلا أن الرصافي يحتسى الخمر حقا في تلك الحقبة الزمنية فقصيدته جاء بها عن طريق النصح والارشاد حتى يتعظ القارئ ويقتنع من قول ناصحه

ولقد سلك الرصافي مسلكا تحليليا لإبانة ضررها بصورة يشعر المطالع لها ان ناظمها ممن يجب الاقتفاء بأثره فيتخذ بنصحه فهذا لا يعتبر كذبا

الفقرة الثانية : —

استشهد الأديب بهذه العبارة للأستاذ الكبير « الزيات بك » (همه من الحياة شرب العرق ، ولعب الورق ، واستباحة الجمال)

إنا لا نزعم أن الرصافي لم يحتس الخمرة قط ولا ذاق طعمها ، بل يعود نظم هذه القصيدة في وقت كان أبعد ما يكون فيه عن الخمر

أما عبارة الأستاذ الزيات فكانت صريحة لا غبار عليها — وهذا ما نتفق به مع الأديب الناصري — إذ قدم العراق بين فترة سنة ١٩٣٠ م إلى سنة ١٩٣٣ والرصافي بحد ذاته لا ينكر ذلك بل ينطق بصراحته التي عهدناها فيه . وإليك قصيدته التي نظمها بعد تلك القصيدة أي (العادات قاهرات)

وروعة لا مثيل لهما ، رغم الإيجاز الشديد في حديثه عن ذلك

وهذه الموازنات بين الشاعرين تسير وفق أحدث المناهج الأدبية في النقد ؛ فهي ليست نمطاً من الموازنات القديمة ، التي تنظر إلى الألفاظ والقواعد ، وتحليل بيت ، وتعداد محاسن وعيوب محدودة ؛ وإنما هي موازنات تنظر إلى البواعث النفسية التي أثرت في فن كل من الشاعرين وإنتاجهما

إن هذا الكتاب القيم لجدير بأن يضفي على شخصية الصيرفي الشاعر شخصية الناقد الحر الطليق

محمد عبد المنعم خفاجى
مدرس بكلية اللغة العربية

« شكواى من الدهر »

إذا ما عقدنا مجلس الأنس بالطلا فبينى وبين السكر خمس دقائق
أقوم إلى كبرى الزجاجات مدهقا بمستقطر من خالص التمر رائق
فأقرع بالكأس الروية جبهتى بشرب كما عب القطا متلاحق
أسابق ندمانى إلى السكر طائرا بجنح من الأنس المضاعف خافق
فنادمت أصحابى على غير وحشة وقلت لهم ما قلت غير منافق
وأغنيتهم عن نقلهم فى شرابهم بعز طرى من نقول الحقائق
ولم يبد فى السكر عند اشتداده
سوى شكر خلى أو سوى حمد خالقى
تعودت سبقى فى الفخار فلم أرد
من السكر أن أحظى به غير سابق

هذه هى صراحة الرصافى فى شرب الخمر، ولو كان شاربها فى ذلك الوقت الذى نظم فيها قصيدته « العادات قاهرات » لاعترف بذلك كما هو معترف بهذه القصيدة

أما وصف الأستاذ الزيات بك للرصافى وهى العبارات المتعلقة فى الفقرة الثانية فقد جاءت نتيجة قدومه إلى بغداديين سنة ١٩٣٠ م إلى سنة ١٩٣٣ م فألفاه على ما هو عليه ووصفه بما رآه فى تلك الفترة . فهل يجوز أن تكون عبارة الزيات برهانا قاطعا على جميع الأدوار والفترات التى مر بها الرصافى ؟ بينما القصيدة كانت من إنتاجه أيام شبابه حيث لم يتحرر من التقاليد الدينية آنذاك؛ والتى تلقاها على يد أساتذته أمثال الآلوسى وعباس القصاب

الفقرة الثالثة :

ذكر الأستاذ الناصرى (ولست أدرى ماذا كان الرصافى يقول لو شاهد الآن الفانيات وهن يدخن فى شوارع بغداد) إن القارئ الكريم لو يمعن النظر فى هذه الجملة لفهم أن الرصافى ولد وعاش فى القرن الثامن عشر . فكيف يسوغ للأستاذ أن يكتب مثل هذه الجملة حول الرصافى . وهو الذى توفى سنة ١٩٤٥ م وخالط جميع الطبقات من رفيعة إلى وضيعة ووقف على أسرار كل منهما . وليعلم القارئ أن الرصافى جاب البلدان ورأى بأم عينيه مدناً كالأستانة والقاهرة ودمشق وبيروت والقدس وجالس الكثير من عوائلها المتفرنجة التى لا يشين نساءها شرب الدخان وهن يتجولن فى المجتمعات العامة والحفلات الخاصة وهو صاحب الدعوة إلى السفور

أمثل هذا الرجل لم تنظر عيناه امرأة بفمها سيكارة خلال السنين التى جاب بها تلك الأقطار ؟!

وفى الختام ليعلم الأستاذ الناصرى أننا لم نتطرف فى التعليق على هذا الموضوع لولا ما لحق الرصافى من غبن

بغداد **هاشم الطائى**

١ - نسبة شعر

نسب المقدم السيد نعمان ماهر الكنعانى فى كتابه شاعرية أبى فراس البيتين التاليين إلى أبى فراس

نحن قوم تذيبنا الأعين النجل على أننا نذيب الحديدا

والصحيح أنها لعبد الله بن قيس الرقيات شاعر مصعب ابن الزبير الذى يقول فيه

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
حكمه حكم رحمة ليس فيه جبروت ولا به كبرياء

كما أن البيت الثانى ورد على الصورة الآتية

وترانا يوم الكريهة آساداً وفى السلم للغوانى عبيدا

ولست أدرى كيف غفل عن ذلك الخطأ الدكتور مصطفى جواد كاتب المقدمة وهو الصديق الذى لا تفوته هذه الأخطاء ؟!

٢ - وعس لا دهس

نشر الشاعر العراقى الأستاذ أحمد الصافى النجفى قصيدة فى جريدة « اليقظة » البغدادية بعنوان « إلى ولى المهد الجنين » جاء فيها

كم قضى منهمو بلكم ودهس واختناق كما دخلت الوجودا
امش وادهس فإنهم حشرات ألصقوا بالثرى خدوداً وجيداً

وقد لاحظت أن الشاعر أورد لفظة ادهس بمعنى ادعس وهذا خطأ شائع إذ جاء فى القاموس « دعس » بفتح الأول

والثانى والثالث وطسه وداسه .. أما من ناحية القصيدة فهى ركيكة الأبيات مهلهلة الصياغة لست أدرى كيف نشرها، إذ لا تخرج عن منظومات تلامذة المدارس الثانوية ، فليت شعرى ما أصاب الأستاذ الصافى وهو صاحب « الأمواج » ..

(٣) الشعر لأبى تمام

جاء فى الصفحة (٣٠٢) من كتاب الأوراق فى أخبار الشعراء لأبى بكر الصولى أن المرثية التى مطلعها

كان الذى خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

من شعر أبى محمد « القاسم بن يوسف » ولا شك أن هذه النسبة من سوء تصرف شارح الكتاب لا من الصولى نفسه؛ لأن هذه القصيدة هى من شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى وهى وترانا فى ساحة الحرب أحرا رأ وفى السلم للحسان عبيدا منشورة فى ديوانه فى باب المراثى ص (٣٣٦) حرف النون ومنها هذه الأبيات الرائعة

آخر عهدى به صريعا للموت بالداء مستكينا
اذا شكا غصة وكربا لاحظ أو راجع الأنينا
يدير فى وجهه لسانا عنمه الموت أن يبينا
يشخص طورا بناظريه وتارة يطبق الجفونا
ثم قضى نحبه فأمسى فى جدث للثرى دفينا

فهل لا نسلم بعد كل هذا من زلل فظيع كنسبة شعر لشاعر مشهور إلى غيره من نكرات الشعراء

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

الى الراغبين فى الحج

قيد الله أداء الحج بالاستطاعة ، وقد فصل الفقهاء بإسهاب ما يجب على من يريد الحج فى كتب الفقه تفصيلا دقيقاً ويزاد عليها أن يكون المال الذى يحج به الإنسان من طريق حلال ومن كسب طيب — ولا يقبل الله إلا طيباً — قد أديت زكاته وقت وجوبها خال من ظلم العباد ومن الرياء والسمعة وطلب الشهرة والرفعة بين عباد الله حتى يصير خالصاً لوجهه الكريم « إنما يتقبل الله من المتقين »

على أن للحج من الأدب والمتممات ما يجب أن تؤدى على الوجه الأكمل ليكون مقبولا ، ولذا نجد مع الأسف الشديد أناسا قليلين أتوا أعمال الحج الظاهرة والباطنة فنارت أفئدتهم وظهر على وجوههم وأعمالهم هذا الإشعاع النورانى الذى يضئ لهم طريق النجاح بل طريق الهداية والفلاح ، والبقية الباقية وهى كثيرة لم تستفد من روحانية الحج شيئاً مذكورا خصوصاً فى عصرنا الراهن الذى أصبحت فيه الأوضاع مقلوبة، فترى أغنياء الحرب يتكالبون على طلب الشهرة من طريق الحج لأنه فى نظرهم أقصر طريق لوصفهم بالطائعين وللتشبه بالصادقين

ولكنها الدنيا العابثة تجعلنا ما دمنا بعيدين عن روح الدين وعن جادة الطريق — نحسب الشر خيراً والشبهة حلالاً

ومن آثار الحج المقبول أن يحيى الضمائر التى أماتتها الشهوات النفسية ويجعلها ساهرة على أعمال النفس — وقد خلقها الله أمارة بالسوء إلا ما رحم ربى ، فصار لزاماً على من يحج أن يسأل نفسه : لماذا يحج ، ولمن يحج ، وما فائدة حجه ؟ وأن يبلو نفسه ولا يفتر عن تأديبها بين آن وآخر فإ جهاد النفس شديد — لقول الرسول عليه السلام فى رواحه من غزوة « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » يشير بهذا إلى جهاد النفس ! وأوامر الشرع الحكيم مبنية على المجاهدة

وجماع القول : أن الحج المقبول التام هو تغيير كلى فى الأخلاق والعادات والأفعال ؛ بل هو فى الحقيقة انتقال من حسن إلى أحسن ، ومن كمال إلى أكمل ، والله الموفق للصواب

شطانوف محمد منصور خضر

ولقد عفا عنكم

هكذا ينبغى أن تكون الآية الكريمة ، لا كما جاءت فى السطر السادس والعشرين من الصفحة ٢٩٦ من العدد ٩٢٣ من مجلة الرسالة الغراء الصادر فى ١٢ من مارس سنة ١٩٥١ ، إذ وردت « ولقد عفا الله عنكم » فى صلاة أم عمارة ، وهى من أهل الجنة لا تخطئ فى القرآن ، وهى تصلى به

محمد مختار يونس



الغيب

عن الانجليزية من روائع « وست »

للأستاذ عبد القادر حميدة

« مسرحية فى فصل واحد »

الأشخـاص :

ريتشارد ألين : أستاذ جامعى سابق

إدوارد لين : ضابط متقاعد

المنظر :

(حجرة استقبال بمنزل المستر ريتشارد ألين فى « لوتون » إحدى المدن الصغيرة بانجلترا .. الساعة الخامسة والنصف من أصيل اليوم السادس من يونيو عام ١٩٣٦ — المستر ألين جالس إلى مكتبه يكتب — وعلى مقربة منه قصاصات من أوراق مكتوبة .. وزجاجة من النبيذ وكأسان .. يتناول الكراسة فيمزق آخر ورقة سطرها .. وحين يلقى بها على المقعد .. يصل إلى سمعه دق على الباب فينهض من مكانه .. ويفتحه)

ريتشارد : أدخل يا مستر لين

إدوارد : « فى غرابة » أتعرف اسمى ؟

ريتشارد : كنت أتوقعك

إداورد : أظن أن الدكتور « راودن » تحدث وإياك بشأنى مع رسالة يقدمنى بها إليـك . آمل أن لا تزعجك هذه الزيارة غير الرسمية ..

ريتشارد : « يتناول الرسالة ويلقى بها على المكتب دون أن يفضها » أنا لا أهتم بالرسميات .. إنى أمقتها . أتسمح لى أن أتناول قبعتك ومعطفك .. ؟

« يتناولهما منه ويضعهما على مقعد بجانب المكتب » ...

« إدوارد جالس »

ريتشارد : « يمسك زجاجة النبيذ وينزع سدادها .. ويفرغ منها فى جوف كأسين » .. لعلك تشاركنى الشراب .. إنها مناسبة طيبة لتحتفى بك .. « أثناء الشراب » .. فى أى يوم نحن .. ؟

إدوارد : فى اليوم السادس من يونيو

ريتشارد : لنشرب حتى الساعة السادسة من اليوم السادس من الشهر السادس عام ١٩٣٦

إدوارد : « وهو يتناول الكأس » إنها الآن السادسة تماما ..

ريتشارد : « فى فزع » .. لا .. ليست كذلك .. والآن .. ابسط إلى الأمر الذى من أجله أردت أن ترانى

إدوارد : لقد طالعتنى إحدى الصحف بمقال عنـك نادتك فيه بالرجل الفريد فى « لوتون » والأستاذ الجامعى الذى لا يود مطلقاً أن يتحدث إلى أحد ..

ريتشارد : ترهات . !! أنا لست بمتقشف .. ولست بأستاذ جامعى الآن .. ثم أنى أتحدث إلى كثير من الناس .. بيد أنى لا أحب أن أجادلهم .. إنى أكره مباحثة الأشياء معهم .. لأننى لا أجد أية راحة فى البحث والنقاش

إدوارد : أنا لا أظن أن يوجد فى « لوتون » أناس كثيرون تجد مناقشاتك فى نفوسهم هوى .. فما « لوتون » إلا مدينـة ضئيلة ملأى بشرذمة من أغبياء القوم .. الذين لا يثرثرون إلا فى أمور عادية هى أشد تفاهة من عقولهم الصدأة .. وإذا عن لهم أن يطرقوا باب المناقشة فليـكن فى الخثالات والتفاهات

ريتشارد : قد يـكون هذا هو الصواب .. وقد لا يـكون فأنا لم أقابل إلا أفراداً قلائل منهم .. وإن كانوا قد تحدثوا إلى فى شىء من الذكاء .. إلا أننى لم أجد لذة فى حديثهم !! وأنت .. هل أتيت لتقيم هنا على الدوام .؟

إدوارد : أجل .. أجل ..! ولقد اعتزلت عملى . وسأظل هنا على الدوام .. وانه ليسعدنى أن ألقاك من وقت لآخر .. وستجد فى محدثاً يحسن الجدل فى لباقة .! أنا لا أفخر بذكائى ولست أقصد التواضع .. فهو أغث من الكبرياء .! لقد ارتحلت كثيراً .. واطلعت بتوسع .. وخبرت الحياة .. فوقفت على الكثير من خباياها .! وإنى أعتقد أنك سوف ترتاح إلى عن الآخرين .. هل تجد فى حديثى إليـك أى غضاضة أو عدم

ارتياح ؟

ريتشارد : حقاً .. ! إنك تملك عقلا سليما .. وتستعمله استعمالا طيبا .. ولكنك سوف لا تتمكن من الوصول إلى السر الذى انطوى عليه .. قبل أن أودع الحياة .. وها هو ذا إعترافى ..

إدوارد : يمكنك أن تثق بى .. وإنه ليبدو لى أننى أعرفك من قبل

ريتشارد : « وقد تناول وسادة موضوعة على المكتب » ضع هذه خلف ظهرك لتريحك .. أوه .. ! أجل .. أنت تعرفنى من قبل .. لقد التقينا فى مدرسة القديس أنطونى

إدوارد : « مستذكراً » نعم .. لقد تذكرت الآن .. « ديك ألين » منافسى الخطير الذى فاز بجوائز المدرسة دونى ..

ريتشارد : أجل .. لقد كنا فى المدرسة زميلين .. كنت أنا مثال الطالب الغبى الذى يتخذ مكانه فى مؤخرة الصفوف .. وكنت أنت أنموذجا رائعا للجد .. سواء فى عملك أم فى لهوك . أما أنا فقد كنت أرتبك فى أبسط الحاجات .. كم كنت أنظر إليك بعين الحاسد .. لنجاحك المطرد

إدوارد : إنك لم تكن غبيا كما تعتقد .. ولكنك لم تجد ميلا من نفسك لدراسة الأشياء .. والتغلغل فى أعماقها .. إنك لم تكن عمليا بالمعنى المنشود

ريتشارد : لم أكن أبدا عمليا .. « لحظة صمت وشرود » ... ذات يوم .. حين كنت فى المدرسة .. عثرت — دون قصد — على كتاب غريب اسمه « قوى العقل الغامضة »

إدوارد : أتقصد قراءة الأفكار ؟ أذكر أنى قرأت بعض تجارب لهذا النوع .. كم كانت مسلية للغاية .. فمثلا .. الرجل يفكر فى رقم من الأرقام .. أو اسم من الأسماء ... فتذكره له زوجه ... ولكن التجارب لم تكن دائما موفقة

ريتشارد : لا ... لست أقصد قراءة الأفكار ... إن ما أعنيه هو معرفة « الغيب » . ومعرفة الغيب هى إدراك المستقبل والتنبؤ به .. والإنسان الذى يوهب هذا الشىء الخارق .. تكون له القدرة على لمس الحوادث قبل وقوعها .. قال الكتاب هذا .. وقال أيضا إن هذه القوى نادرة الوجود جدا .. ففى كل مليون آدمى .. واحد فقط هو الذى يملكها .. وغالبا ما يجهل هذا الواحد أنه يملكها ! قال الكتاب إن هذه القوى يمكن تنميتها وفسر كيف يكون ذلك

إدوارد : « فى دهشة » أنا لا أفهم شيئا مما تقول .. زدنى إيضاحا

ريتشارد : « متضايقا » سل نفسك عدة أسئلة عن أشياء تتوقع حدوثها .. دون أن تشغل عقلك بشىء .. وعندئذ تتوارد الإجابات على ذهنك

إدوارد : هراء .. ! إنه غير ممكن .. وليس لمخلوق القدرة على التنبؤ بالغيب

ريتشارد : أرجوك .. لا تقاطعنى .. أنصت الى قصتى العجيبة :

لم أكن سوى طفل صغير غير مصدق ما يضمه هذا الكتاب بين دفتيه .. وهل اكتملت فيه عوامل الصواب .. أم لا .. ؟ . حاولت بادئ ذى بدء .. أن أتنبأ بأشياء صغيرة على سبيل التجربة ، فمثلا كنت أسائل نفسى : من الذى سيقتحم على الغرفة بعد ؟ . وخطت محاولاتى خطوات واسعة .. حتى أقدمت على ذلك الاختبار التاريخى الذى كنت أخشاه لعقيدتى الراسخة بأنه نوع من الخداع وحاولت التنبؤ بالأسئلة التى سوف تلقى على

إدوارد : وماذا كانت النتيجة ؟ أذكر أنك صعدت فجأة إلى القمة .. وصرت تبزنى بعدها فى كل الامتحانات

ريتشارد : نعم لقد كنت دائما أحمل لك فى نفسى الحقد والحسد لتفوقك على .. ولكن بعد ذلك .. بدأ نجمى فى الصعود .. وأخذت أحوز السبق فى المعمعة دونك .. لأننى أصبحت مخادعا عبقريا .. أجل .. إنه اعتراف صارخ منى بأن نجاحى كان خدعة كبيرة .. ثم سارت حياتى فى ركب الحياة على تلك الوتيرة وهذا هو سر فشلى

إدوارد : ولكنك بتلك القوة الخارقة .. تستطيع أن تنال قسطا وافرا من النجاح ..

ريتشارد : انتبه .. لقد كسبت جائزة مدرسية كما تعرف ... ثم حصلت على مجانية التعليم الجامعى .. وكل جائزة جامعية وصرت فى طليعة المتقدمين .. ولم يجرؤ أحد على منافستى ولما نلت إجازة التدريس عينت أستاذا بالجامعة .. وأذكر أنى كنت أحدث أستاذ تولى ذلك المنصب .. وبعدها ...

إدوارد : « فى تحفز » ماذا حدث ؟

ريتشارد : قدمت استقالتى ... لقد كان يجب على أن أستقيل كنت أجهل المادة التى أدرسها ... وهى الأدب الإنجليزى ...

إذ كان عقلي لا يحمل سوى القـــدر اليسير الذي اجتزت به الامتحان ... أعني الأسئلة التي تنبأت بهـا ... ودرست الإجابة عنها

إدوارد : وماذا كان من أمرك بعد ؟ أوفقت في الحصول على عمل آخر ؟

ريتشارد : أرسلت طلبات عدة ... ضاعت معها محاولاتي أدراج الرياح ... بيد أني في النهاية وفقت إلى عمل متواضع ... كمدرس بسيط ... ولـكني استقلت

إدوارد : « في عجب » استقلت ! كيف ذلك ؟ إني أعتقد أنك سوف تـكون مدرسا موفقا ... لاسيما وأنك ستعرف ماستأتي به الامتحانات ... وسينجح تلاميذك بفضل إرشادك إياهم إلى الإجابة الصحيحة

ريتشارد : « في أسف » أجل : كان من السهل أن أفعل ذلك . ولـكن ضميري لم يسمح لي بأن ألقى بتلاميذي في بؤرة الجهل التي تحتويني . فلم أرض أن أخدعهم . وتجنبت مواضع الأسئلة التي سيمتحنون فيها .. وكان أن رسب جميع التلاميـذ فرميت بعـدم الـكفاءة على التدريس . . وأقصيت من عملي وواجهتني عاصفـة هوجاء من الفقر . فقلت لنفسي . . إذا لم يتيسر لي الحصول على المـال الشريف فسأنهج أي طريق آخر للحصول عليه .. « يرمق إدوارد بنظرة طويلة شاردة » ألم تذهب يوما إلى السباق .. ألم تراهن على جواد ما ؟

إدوارد : راهنت أكثر من مرة . . ولا زلت أراهن على الملـكة الفضية

ريتشارد : « وقد أسبل جفنيه وقتا » .. راجا هو الأول .. الملـكة الفضية هو الثاني .. الحظ هو الثالث.. سوف تخسر كل مراهناتك يامستر إدوارد ! لقـد ربحت من وراء المراهنات مالا طائلا .. ولـكني لم أتذوق لذة هذا الربح لأني كنت أعرف أني سأربح دائما.. إن لذة المال ليست في كسبه ... وإنما هي في التنقيب عنه والجري وراءه ! !

إدوارد : إنك مثالي للغاية .. ولم تحـاول مطلقا أن تقنع نفسك بلذة الحصول على هذا المال

ريتشارد : « مستطردا » ولما لم أشعر بلذة هـذا الربح .. عولت على ترك المراهنات .. والتحقت بمكتب للتأمين .. كنت قادرا على أن أدلي بآرائي السديدة إلى الشركة فأشير عليها مثلا بقبول تأمين هـذا . . لأنه سيحيا طويلا . . ورفض ذاك لأنه سيموت غدا ! ولافت توجيهاتي رواجا محمودا .. فتبوأت في الشركة مقعد المجد والشهرة .. وعينت وكيلا لها بإحدى المـدن الضخمة .. ثم مستشارا عاما لجميع شركات التأمين ..

إدوارد : لعله عمل طيب ومدر للربح في وقت واحـد !

ريتشارد : لا بل كان على النقيض . لأنني كنت أدرك خطورة الجرم الذي أقدم عليه .. لقد كانت الشركة دائما تستحوذ على أكبر قدر من المال .. والجمهور هو الذي يخسر .. هل تسول لك نفسك أن تحرم إنسانا حقه .. فتسلب أمواله .. لتقدمها إلى الشركة .. وربما أنت تعرف أن أسرته وأولاده في مسيس الحاجة إلى هذا المال ؟ إن التأمين الوحيد الذي جعلني أشعر بالسرور ذلك الذي أشرت على الشركة أن تعقـده — وكنت أدرك نتيجته — لخسرت الشركة كل أموالها .. ولهذا طردت من عملي

إدوارد : إنك ذو قلب كبير . وضمير مستيقظ . ولـكن لماذا لم تخض ميدان التجارة . أو الصناعة .. وفي مقدورك أن تفلح دون أن تؤذي الآخرين .؟

ريتشارد : حاولت كلتيهما ولـكني لم أستمر ..

إدوارد : كيف ؟ تقصد أنك لم تفلح في تجارتك ؟

ريتشارد : كنت موفقا إلى حد بعيد .. فصار لدى المـال الوفير .. وأصبحت من ذوي الثراء .. ولـكني فقدت لذة العراك في سبيل الـكسب .. وهتفت بالسعادة من ورائه فضلت السبيل إليها .. إن مجرد كسب المال ليس كل ما ينشده إنسان طموح يحـاول جاهدا أن يساير ركب البشرية المواج الذي يتدافع بالمناكب نحو غاية سامية . . إن المنافسة والنضال . . والرغبة في الغلبة .. والأمل في الربح .. هي السعادة المأمولة لرجل الأعمال.. المال يمنح النفوذ والقوة . ولـكن النفوذ والقوة لم يكونا عمادا للسعادة .. إن الأعمال يجب أن تقترن دائما بالمنافسة.. إنها مباراة يكسب فيها كل جدير بالـكسب ! أما أنا فكانت منافستي خالية من حرارة النضال .. لأنني كنت أعرف أن سأظفر لي . . وحينما أظفر .. يتراءى أمام عيني شبح الخداع الذي أتوارى خلفه .. فأتألم

إدوارد : إن قصتك هذه من النوع الشاذ يامستر ريتشارد … وماذا تصنع الآن .؟

ريتشارد: لاشئ سوى اطلاعي على الروايات القصصية والأدب .. فأنت لا تستطيع أن تتنبأ بحوادث القصة لأن الخيال بعيد عن عالم الحقيقة .. وكذلك كتب التاريخ .. فقد مرت حوادثه .. وليس من السهل إرجاعها ..

إدوارد : ولكن .. دعني أعرف .. لماذا تضيق بالمناقشة .؟

ريتشارد : انظر إلى هذه الأوراق التي أمامك ..

إدوارد : « يتناولها ويقلب صفحاتها في دهشة وحيرة .. ثم يقرأ بصوت عال »

أتعرف اسمي ؟ أظن أن الدكتور « راودن » تحدث وإياك بشأني .. لقد طالعتني إحدى الصحف بمقال عنك .. نادتك فيه بالرجل الفريد في « لوتون » .. أنا أفخر بذكائي .. ولست أقصد التواضع فهو أغث من الكبرياء . أتقصد قراءة الأفكار أذكر أني قرأت بعض تجارب لهذا النوع .. كيف لم تصبح أغنى رجل في العالم ؟ الملكة الفضية .· إن قصتك هذه من النوع الشاذ .· وماذا تصنع الآن ؟

ياإلهي .. إنه نفس الحديث الذي ألقيته عليك منذ دخلت الغرفة ..

ريتشارد : لقد كتبت هذا قبل مجيئك هنا … « بصمت بعض الوقت » أنا لا أحب المناقشة … لأني أعرف دائما ماسيقوله المرء الذي سيتحدث إلي … « يشحب لونه وتظهر على محياه بوادر الخوف والفزع ويتمتم » كم تكون الساعة الآن ؟

إدوارد : السادسة إلا أربع دقائق … …

« يزداد لون وجهه امتقاعا … ويلتمع في عينيه شرر مخيف … ويقول إدوارد مضطربا »

لماذا استبقيتني معك حتى الان . . ؟

ريتشارد : إن صحتك دائما تتقهقر خطوات إلى الوراء ..

إدوارد : أعرف ذلك .. وأعرف أني .. في طريق إلى الموت.

ريتشارد : أنت دائم القلق على مصير زوجك وأولادك … إن زوجك ستتزوج بعد واحد وعشرين شهرا … أما أولادك … فسيرعاهم إنسان غيرك

إدوارد : « صارخا » … أرملتي … أرملتي … !! ماذا تقصد بهذا .؟

ريتشارد : ما الوقت الان .؟

إدوارد : السادسة إلا ثلاث دقائق …

ريتشارد : « ينهض متثاقلا » لقد كنت دائما منافسي .. وأردت أن أسرد على سمعك قصتي قبل أن أرحل من دار الحياة « يجلس على المقعد لاهثا » هل تسمح لي بتلك الوسادة ؟

إدوارد : « وهو يناوله الوسادة » أمريض أنت يامستر ريتشارد .؟ هل لك في جرعة من النبيذ ؟

« يضع في يده كأسا من النبيذ . . ولكن ريتشارد لم يقو على ارتشافها » أمريض أنت ..؟

أأدعو لك طبيبا ؟

ريتشارد : « وهو يغالب شفتيه .. في ألم ممض »

الساعة السادسة … من اليوم السادس … من الشهر السادس … من العام السادس والثلاثين … هو التاريخ الذي سأجرع فيه كأس المنون …

أنا … لا … أقدر … أن … أخادع .. في هذا … الامتحان … !!

أ … أ … أعني .. أ .. أل .. ألموت ..!

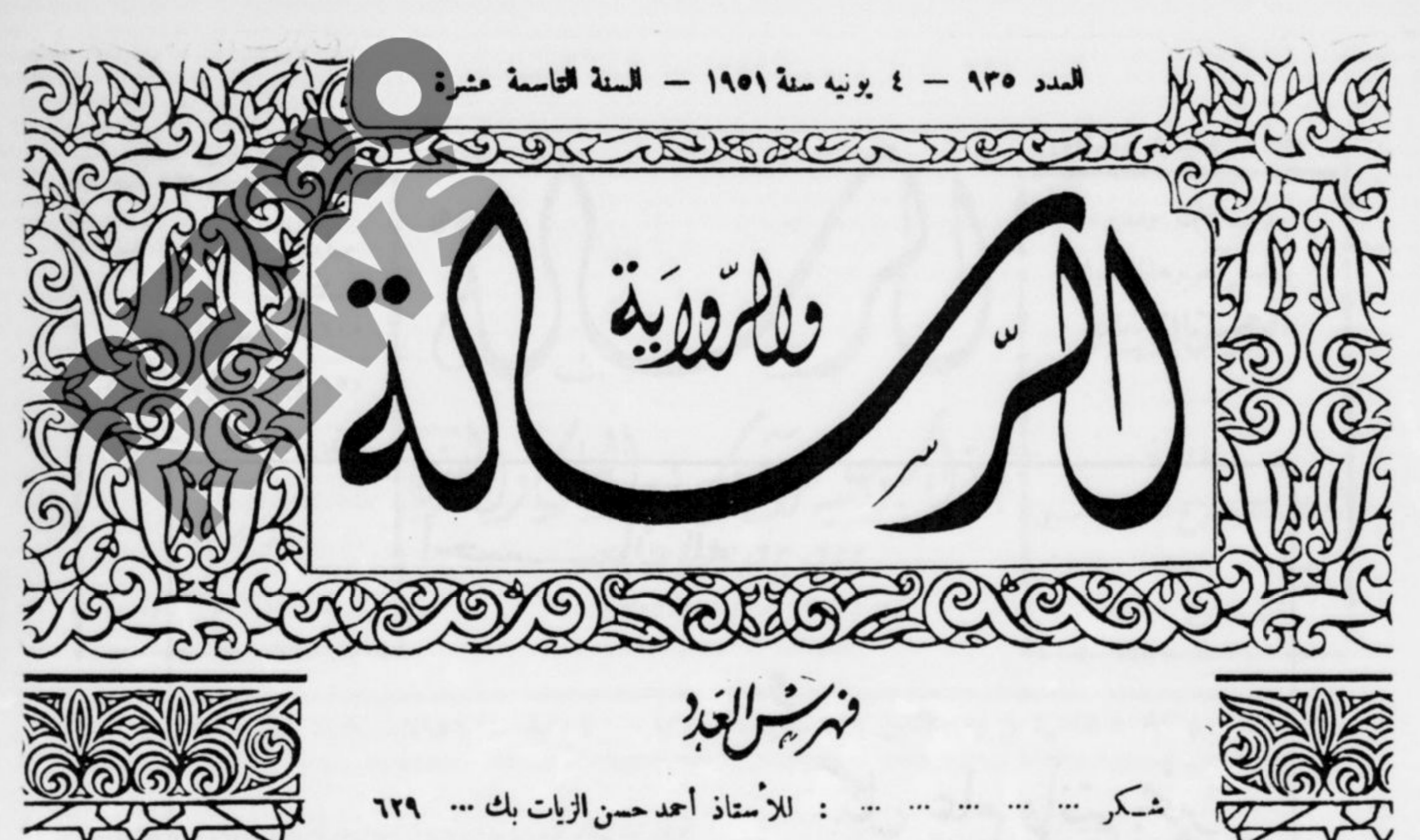
تسقط الكأس من يده .. وتتلاشى الأضواء .. ويبدو المسرح في حلة من الظلام .. بينما تدق الساعة دقتها السادسة تماما

عبد القادر حميدة

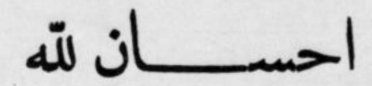
مطبعة الرسالة



العدد ٩٣٥ — ٤ يونيه سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد



و

كل عام وأنتم بخير

تأليف

محمود تيمور

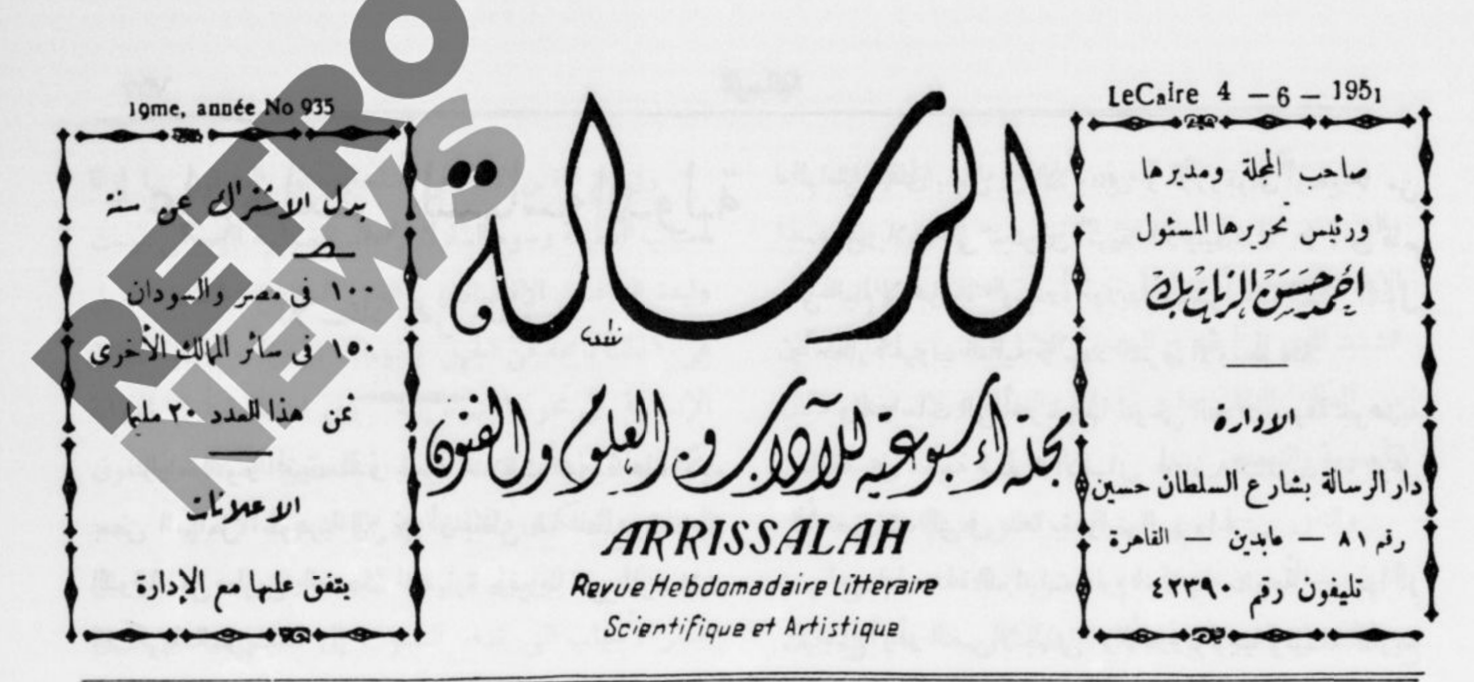
الكتابان الفائزان بجائزة فؤاد الأول للأدب

عن سنة ١٩٥٠ م

الناشر

دار المعارف

٩ شارع كامل صدقي باشا « الفجالة » بالقاهرة



العدد ٩٣٥ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ شعبان سنة ١٣٧٠ — ٤ يونية سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة»

شكر...

إلى صاحب الجلالة الفاروق أعز الله نصره، وجمّل بالآداب والعلوم عصره، أرفع أخلص الولاء، وأصدق الدعاء، وأجزل الشكر، على تعطفه بالإنعام السامى الكريم على جندى من جنود الأدب، لا يتمرز بحزب، ولا يتقوى بمنصب، ولا يتعالى بثراء؛ وإنما هو العمل المتواضع الخالص لوجه الله والوطن، لا يبتغى من ورائه عرضاً من أعراض الدنيا، ولا غرضاً من أغراض الجاه. والعمل الذى لا يُرجى ولا يخشى لا يباليه رجل السياسة لأنه لا يساعد على الظفر بالحكم، ولا يحفله صاحب الحكم لأنه لا يعين على البقاء فيه. إنما يذكره مالك الملك لأنه رب الجميع فيثيب عليه يوم لا أمر إلا أمره؛ ويقدّره صاحب العرش لأنه ملك الجميع فيكافىء عليه حين لا قدْر إلا قدره. والله يحكم على العمل بالنية لأن السرائر لا تخفى على علمه؛ والملك يحكم عليه بالإخلاص لأن الشوائب لا تعلق بحكمه

وإذا كان واجب الولاء يقتضينى أن أسجل بالثناء عطف جلالة المليك على رجال الأدب، فإن واجب الإنصاف يضطرنى أن أبرىء الحكومة القائمة من تهمة الخروج على العصبية الحزبية؛ فربما سبق إلى بعض الظنون أنها التمست هذا الإنعام الملكى على عضو من أعضاء مجمع فؤاد الأول، لأن الوفد مدين للأدب فى دعوته وثورته وقوته وروحيته، منذ استولى سعد زغلول على العقول والميول ببلاغة بياناته وبراعة خطبه، إلى أن أخرج مكرم عبيد، وتوفى صبرى أبو علم. ولكن الحق الذى يحلو حيناً ويمر أحياناً، أنها أسقطت هذا الشاكر فيمن أسقطت من رجال القلم، لأنها لا تزال تعتقد أن من لم يكن لها فهو عليها، وأن من لم يكن وفدياً فليس مصرياً. والمنطق الطبيعى لا ينفى أن يكون فى المصريين قوم يخدمون السياسة العليا، أو يؤيدون القضية الكبرى، دون أن يتجهوا جهة معينة، ويتبعوا خطة مبينة؟ فيهتفون بالرجل من أى حزب إذا أحسن، وينوهون بالعمل من أى عامل إذا صلح. ولكن من يدرى؟ ربما حذف ما حُذف من الأسماء، قبل أن يُعرض الأمر على الوزراء. ومن قبل ذلك قلت: إرادة الصغير إدارة الكبير!

أما بعد فإن الألقاب زوائد فى الأعلام لا تكمل الرجل الناقص، ولا تصحح العمل الخطأ. وآفتها أنها قد تميز بالقانون ما لم يتميز بالطبيعة، وأنها تجعل من الفروق بين الناس فى الدنيا، ما لم يجعله الله بينهم فى الدين. والديمقراطية التى تصوغ شعارها من المؤاخاة والمساواة؛ والديكتاتورية التى تتخذ رمزها من المواطنة والمرافقة، تنظران بعين العجب إلى أمة ناهضة لا تزال تقدس ألقاب التمييز، وهى مسلمة يمحو دينها ما بين الأفراد والجماعات من الفروق، ديمقراطية يسوى دستورها بين المواطنين فى الواجبات والحقوق

احمد حسن الزيات

على هامش السياسة الدولية

للأستاذ عمر حليق

وراء التوتر المخيف الذي يسود العلاقات الدولية هذه الأيام بعض العوامل الجوهرية التي قل أن يفطن لها المتتبع للشؤون الدولية عن طريق الصحف السيارة وغيرها من المواصلات الفكرية السريعة

وهذه العوامل لا تقتصر على التنافس الاقتصادي والسياسي بمعناه الشائع ؛ وإنما تشمل أوجهاً أخرى على غاية من الخطورة، وعلى عوامل بعيدة الأثر راسخة النفوذ في صميم المقومات الخلقية والثقافية والنفسانية لهذه الشعوب التي تنقسم الآن إلى معسكرات متطاحنة، تهدد الإنسانية بويلات الذرة والهيدروجين وشتى أسلحة الحرب الحديثة المروعة

ولقد ظهرت في الآونة الأخيرة — في أمريكا وبريطانيا على وجه الخصوص — دراسات عميقة البحث، علمية المنهج، تحاول أن تلقي أضواء على تباين هذه المقومات الخلقية والثقافية والنفسانية في الشعوب المتخاصمة التي بلغت حدة خصومتها درجة يدركها المتتبع لمجرى الحوادث اليومية في عالم قلق مرهف الأعصاب

وسيحاول كاتب هذه السطور أن يستعرض في فصول قصيرة ألواناً من هذه النتائج التي وصلت إليها تلك الدراسات التي توخى الباحثون فيها أهدافاً إيجابية نزيهة — نظراً لما فيها من نفع يستمتع به رجل العصر على تفهم الأحداث ومكافحة الإرهاق العصبي الذي تخلقه مشاكل السياسة الدولية

والتعرف على حقائق العلاقات الدولية ضرورة حتمية لأهل الشرق العربي، وليست ترفاً ثقافياً يمكن الاستغناء عنه

فالمواطن في مصر أو سوريا أو العراق أو نجد مثلا له مصلحة وصلة مباشرة بالتطورات السريعة المتلاحقة التي توجه العلاقات الدولية هذه الأيام — مصلحة وصلة أكثر وثوقا من مصلحة المواطن الذي يعيش في الارجنتين أو الأوروغواي أو غيرها من هذه الدويلات التي تعيش في أمريكا اللاتينية مثلا — هي تنعم من العالم لا تجاوره، وتهدده تهديداً مباشراً حدة التوتر الدولي وأخطار الحروب العالمية كما تهدد الشرق الأوسط مثلا

والدراسات التي أشرنا إليها تتوخى التعرف معرفة جوهرية صادقة على حقيقة السلوك الإنساني لمختلف الشعوب — وعلى الأخص تلك التي في يدها مقدرات السلم والحرب

ومعادل هذه الدراسات علوم اجتماعية متنوعة — منها علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي، والأنثروبولوجيا وفلسفة التاريخ والاقتصاد بالإضافة إلى العلوم الاقتصادية والسياسية. فالاقتصاد والفلسفة السياسية والتاريخ لا تكفي للتعرف على أسباب التوتر في العلاقات الدولية. فالكثرة من المعلقين السياسيين في الصحف السيارة يقتصرون في تحليلهم للعلاقات الدولية على مطالعاتهم في التاريخ والاقتصاد والسياسة المعاصرة. وقل أن تجد من يزود نفسه بالدراسة العلمية العميقة لتلك العوامل النفسانية والاجتماعية المتباينة التي تؤثر في سلوك الشعوب والجماعات القومية إزاء المشاكل السياسية والعسكرية والاقتصادية التي يواجهها العالم المعاصر

وقد فطنت لهذه الحقيقة مؤسسة اليونسكو التابعة لهيئة الأمم فكلفت جماعة من أهل الاختصاص بالتعرف على دراسة العوامل الخفية الآنفة الذكر وتعميمها بين المثقفين من صناع السياسة وأولئك الذين يوجهون الرأي العام في مختلف الدول والأمصار — من صحفيين وكتاب

وقد صنفت اليونسكو دراساتها في أربعة أبواب : —

الأول : — يبحث في نفسية المواطن في بلد ما وعلاقته بالخلق القومي العام لذلك البلد

وتحت هذا الباب يلمس الباحث ألوانا من الحقائق الجوهرية الخطيرة التي تسير الاتجاهات العاطفية لذلك الشعب في صلاته مع العالم الخارجي، ومبلغ التوتر أو الصفاء الذي ينتج عن سير تلك الاتجاهات العاطفية وما تخلق في المراحل النهائية من عنف أو مسالمة إذا ما اصطدمت بالاتجاهات العاطفية والمقومات النفسانية للشعوب الأخرى

بمعنى آخر — فإن التعرف على المقومات الخلقية لشعب ما والتي يتميز بها عن غيره من الشعوب — التعرف على هذا الاختلاف يساعد كثيراً على تفهم أسس التنافس السياسي الدولي الشديد الذي نقرأ عنه في الصحف السيارة ونتساءل عما إذا كان من الممكن التغلب عليه وإحلال الصفاء والانسجام مكان الخصومة والتحدي

والثاني : — يسعى لفهم الصورة التي يحملها شعب ما عن الشعوب الأخرى ، وهل هذه الصورة صادقة — بمعنى أنها منطبقة على الصورة الحقيقية لتلك الشعوب — أم أنها وليدة الاستنتاج الخاطئ الناتج عن سوء الاجتهاد والانفعال النفساني العليل ، والمعرفة المشوهة التي يحملها ذلك الشعب عن الحقائق التاريخية والاقتصادية والسياسية للشعوب الأخرى ؟

وهذا بمعنى آخر — محاولة للتعرف مثلا على مبلغ الصدق فيما تدعيه دولة أو شعب ما بأن خصمه مجبول على العنف والغطرسة ، وأن الحقد والدسيسة من خصائصه الخلقية الأصيلة ، وأن ذلك الخصم مهما صادقته وحاولت توثيق العلاقات الودية معه فإن أهله مفطورون على التحدي والخسة والغدر . فكثير من الناس مثلا يعتقدون بأن الشعب الألماني « شعب حربي » لا يلتزم السلم ولا يشارك في حفظه حتى لو توفرت له أسباب الطمأنينة السياسية والعسكرية والاقتصادية . فمثل هذا الاعتقاد ظاهرة خطيرة لها أثرها البعيد في سلوك الشعوب تجاه الشعب الألماني من جهة ؛ وفي سلوك الشعب الألماني تجاه الشعوب الأخرى من جهة أخرى . فأنت إذا اقتنعت بأن الناس لا تؤمن بأنك حريص على الوداد والصداقة فإنك ستسلك في المراحل النهائية — سلوك تجد مبعثه يأسك من إزالة هذه الصورة الخاطئة التي يحملها الناس عنك . وللصبر حدوده

والثالث : — يحاول أن يتعرف الأسباب التي دفعت شعبا من الشعوب لأن يحمل صورة خاطئة عن شعوب العالم الذين يعيش فيه . ويحاول كذلك أن يحصر تلك الأسباب في إطار علم النفس الاجتماعي مستندا إلى الحقائق الاقتصادية والعوامل التاريخية والسياسية التي تعيش في الحياة القومية لذلك الشعب

وفي علم النفس الاجتماعي أسلحة يعتقد العارفون بها إزالة أسباب القطيعة وسوء السلوك والعقد النفسانية التي هي ليست وليدة التنافس الاقتصادي والقلق السياسي فحسب ، بل هي كذلك ناتجة عن الجهل بالمقومات الخلقية والثقافية للعائلة الإنسانية على نحو ما أشرنا إليه . وفي استطاعة أولى الدراية كذلك أن يلجأوا لتلك الأسلحة لتحقيق السيطرة والتفوق السياسي والعسكري والاقتصادي على الشعوب الأخرى

والرابع : الوصول من هذا التبويب والدراسة السابقة إلى حصر الأسباب التي تدفع الشعوب إلى الشقاق والعنف وإلى الحرب والقتال

وهذا الحصر لا يكون بدراسة التنافس الاقتصادي وحدة الجدل السياسي — كما أشرنا سابقا — وإنما يكون بتمحيص المؤثرات الثقافية والاجتماعية للشعوب المتخاصمة ، ومن أمثلة هذا التمحيص معرفة الطريقة التي يربي بها ذلك الشعب أطفاله في سن الحداثة

فقد حلل مثلا أحد العلماء في الأنتروبولوجيا البريطانيين من الذين قاموا بدراسة التوتر الدولي على ضوء ذلك العلم — المقدمات الخلقية للشعب العربي ، فوجد العرب — والشعوب الشرقية إجمالا — تزم أطفالها في سن الحداثة زما يقيد اليدين والرجلين تقييداً كليا ، ويمنع الطفل من الحركة ولا يترك له من أعضاء الجسد ما يوفر له الاتصال بالعالم الذي يحيط به سوى فمه وعينيه . واستنتج العالم من ذلك أن الشعب العربي تبهره مظاهر العظمة والقوة المحسوسة (بواسطة العينين) ، وتؤثر فيه البلاغة (بواسطة الفم) . ولذلك فقد أشار على الدول والشعوب التي تتصل بالعرب بأن تبهرهم بألوان العظمة والبأس الجسيم (من طائرات وأساطيل وقوات عسكرية يراها بعينه) وأن يخاطبهم — أي العرب — بالمنطق المعسول والكلمات المنتقاة

هذا مثل واحد من أمثلة عديدة على هذا اللون من الدراسات التي يطمح كاتب هذه السطور أن يلفت إليها النظر في استعراضه لبعض المؤثرات الجوهرية التي لا يفطن إليها كثير من الناس في معرض تفكيرهم وتأثرهم بمجرى العلاقات الدولية

نيو يورك — عمر حليق

الثنائية والألسنية السامية

للأستاذ الأب مرمرجي الدومينيكي

نص البحث القيم الذى ألقاه الأب الفاضل فى الجلسة الأخيرة لمجمع فؤاد الأول بدعوة منه

من المتجلى للعيان ولا يختلف فيه اثنان هو أن مصر المحروسة متبوئة عرش الزعامة والتقدم بين سائر البلاد العربية ، ولا سيما فى ميدان النهضة الثقافية والعلمية واللغوية . ومن ظواهر ذلك الجامعات المتعددة ودور العلوم ودور الكتب الكثيرة ، ولجان التأليف والترجمة والنشر . ومن ذلك خاصة خدمة اللغة العربية والسعى فى إنعاشها لتصبح آلة مرنة فتجارى الحضارة والمعارف العصرية . ومن تلك الوسائل الفعالة هو مجمعكم الموقر المحلى باسم مؤسسه؛ ذلك العاهل الأعظم حامى العلم واللغة ملك مصر «فؤاد الأول» وتحت ظل ورعاية نجله وخلفه الملك المعظم فاروق الأول المالك سعيدا . ولذا أشعر بغبطة وحبور لوجودى بينكم ، أنتم علية أرباب العلم والأدب والحكمة ، وسدنة حرم هذه اللغة العربية الكريمة ، سيدة جميع لغات بنى سام . وقد لبيت بكل افتخار دعوتكم اللطيفة لأبسط لكم كيفية محاولتى المؤازرة فى خدمة المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية ، وهى وسيلة قد بذلت الجهد فى تأليف قصد تبيان فوائدها الجمة ، وإن ظهرت فى أول وهلة غير مألوفة ، فأقول :

من العلوم العصرية التى نشأت على يد أرباب البحث فى البلاد الغربية «علم المقارنة» الذى طبقوا أصوله على مختلف الفروع العلمية ، فنجم عن ذلك حقائق ثمينة ومفيدة ، كانت بقيت مجهولة لولاه . فهناك اليوم علوم مقارنة الفلسفات والشرائع والآداب واللغات وضمن دائرة اللغات تولدت موازنة الصوتيات والصرفيات والنحويات والمعجميات ومن ذلك كله المقارنة الألسنية السامية

ومعلوم أن الساميات الأمهات تنقسم إلى طوائف ، منها الطائفة الشرقية وهى اللغة الأكدية الداخل فيها الأشورية والبابلية ؛ والطائفة الغربية الشمالية الشاملة الكنعانية والأرمية والعمورية . الكنعانية فرعان : هما الفينيقية والعبرية . والأرمية فرعان أيضا : هما الأرمية الغربية ، والأرمية الشرقية . ولهجتها الفصحى هى السريانية . ثم هناك الطائفة الغربية الجنوبية الشاملة اللغات العربية واللغات الحبشية . العربية تتشعب إلى فرعين : العربية الجنوبية ، وفيها السبئية والحميرية ، والعربية الشمالية ، ولهجتها الفصحى هى العربية القرآنية . اللغات الحبشية ثلاثة فروع : الجعزية ، وهى الفصحى القديمة ، ويليها الأمحرية والتكرية

هذا ، ولم يعد يكفى للتقصى عن أصول الألفاظ العربية أو السريانية أو العبرية أن يكون الباحث متضلعا من واحد أو اثنين من هذه الألسن ، بل لابد أن يكون واقفا على قواعد وخواص ومعجميات كل هذه الساميات الأمهات ؛ وما يرجع إلى كل واحدة منها من اللهجات ، فضلا عن معرفة بعض الألسنة غير السامية التى لها علاقة بالعربية أو بغيرها من الأخوات الساميات

ثم إن علم التأصيل فى المعجمية غير متوقف على الإشارة إلى كلمة من الكلمات مستعملة أو واردة فى اللغة الفلانية ، بل الارتقاء إلى اللغة الأم الصادرة عنها اللفظة المذكورة . وغير كاف الوقوف عند اللسان القناة المارة فيه تلك المفردة ، فإن ادعى أحد الباحثين أن هذا الحرف سريانى دخيل فى العربية ، وظهر بالتقصى أنه ليس بسريانى بل مسرين ودخيل من اليونانية أو الفارسية أو الأكدية أو العبرية ، فلا يجوز إذ ذاك القول بسريانيته ، وهو غير سريانى ، إذ قد يكون دخيلا فى كلتا اللغتين من لسان ثالث ، مثال ذلك الألفاظ التالية الواردة فى العربية والسريانية مما : فردوس . . pardeyse ، بستان Bustana بيغا . . . . Babga ، باغ Bag ، باذنجان . . . . Badīogana أسطوانة Estuna أبنوس Abanusa أسفين Esfina كمبة ، كمبنا ، بدوى ، بدوايا

فهل من المعقول الذهاب إلى أن كل هذه الكلمات سريانية دخيلة فى العربية ، فى حين أن التقصى يثبت أن الست الأول منها فارسية ، وأن أبنوس وأسفين من اليونانية ، وأن كمبة وبدوى من العربية ذاتها ؟

ثم إن المقارنة الألسنية السامية غير متوقفة على البحث فى لغة واحدة من الساميات ، بل فى جميعها . ثم يتحتم اعتبار هذا المجموع كافة واحدة قد تفرقت خواصها وأسرارها فى مختلف

للغات الأخوات ، مما يقتضي معه الاستعانة تارة بمميزات الواحدة لفائدة الأخرى ، وطورا السعي في إثارة الغامض في هذه بما هو واضح وصريح في تلك ، فلا يكفي والحالة هذه وضع أصول الساميات الأخر بإزاء المادة العربية ؛ لأن مثل هذا العمل لا يلقي على المواد المبحوثة إلا نورا ضئيلا ، ولا يأتي إلا بفائدة جزئية ، لعجزه عن إيضاح التناسق المعنوي ، وإزالة التضارب والتنافر، ليس بين المفاهيم العربية وحسب، بل بين مداليلها ومداليل أخواتها السامية البواقي

ثم لتأصيل الألفاظ عن طريق الاشتقاق ، هناك قاعدة لازمة الاتباع ، وهي الانتقال من الفحاوى المادية المحسوسة إلى المدلولات المجردة والمجازية ، ومن حياة البداوة إلى حياة الحضارة ، ومن مزاولة الرعاية والزراعة إلى معالجة الصناعات والفنون والعلوم . ومن هذا القبيل نجد العربية آلة من أنفع الآلات تبز سائر أخواتها السامية ، إن لم نقل اللغات البشرية

إن العائشين اليوم في عصر التمدن والرقي على اختلاف ضروبه ، ليكرهون البادية ماقتين حياتها البدائية ، وهذا معقول ، لأن الرقي غير متوقف على الرجوع إلى الوراء ، ولا على النزول إلى أسفل ، بل على التقدم دائما لبلوغ الكمال قدر المستطاع . ويود بعض معاصرينا إخلاء معاجمنا من كل الكلم التي يشتم منها رائحة الحياة البدوية، حتى لا يبقى فيها سوى الألفاظ والتعابير الحضرية ، لابل العصرية الحديثة وما يلزم أن نستحدثه منها اندفاعا مع تيار التقدم المتواصل

هذا من حيث الروح والذوق العصري ، أما نحن ، معشر المتخصصين للمعجمية ، وما تشمله من اشتقاق وتأصيل وثنائية وألسنية ؛ فلا نمالك من الإشادة بفضل أولئك اللغويين القدماء الذين قاموا بالرحلات العلمية ، قاضين السنين الطويلة بين ظهراني أهل الوبر ، فجمعوا لنا كل تلك المفردات البدوية الخالية منها الألسن السامية الأخر التي لم تجمع ولم تدون مفرداتها إلا إبان بلوغ أربابها طور الحضارة . ففقد منها أغلب الأصول والرساس الأولية بمعانيها المادية المحسوسة . وفي هذا يظهر الفضل العميم ، فضل اللغة العربية على شقيقاتها ، والدليل الساطع على قدم ألفاظها ، مع أنها دونت بالكتابة آخر جمعها ، مما تتحقق معه هذه الحقيقة الجليلة ، وهي أن العربية هي المفتاح النفيس لفك مغاليق كثير من ألفاظ المعجمية السامية ، وذلك بالرجوع إلى الرس الثنائي الصائن عادة أقدم المدلولات ؛ أي الفحاوى البدائية الفطرية المحسوسة الملموسة

فإذن ما هي هذه الثنائية

إن طريقة الاشتقاق والتوسع في الساميات قائمة على الارتقاء من الأقل والأنقص ، إلى الأكثر والأكمل ، أي حسب السنة الطبيعية؛ سنة الرقي ، وليس بالعكس إلا من باب الاختزال وهو نادر ، ولا يحدث في طور التكون والنشوء ، بل في عصر الكهولة والهرم . وأنا من القائلين بأن الاشتقاق في العربية يتم بزيادة حروف ، لا بطريقة النحت أو التركيب . لأن اللغات السامية عموما ، والعربية خصوصا ، ليست بنحتية ، والعلاقة الأساسية الثابت وجودها في الغالب بين المشتق والمشتق منه هي اللحمة أو الصلة المعنوية ؛ مع توسع الدلالة وتطورها بالانتقال من حيز المعاني المادية الحسية إلى حيز المداليل المجردة والمجازية ، ثم العقلية الروحية

وفي طور التكون اللغوي تبدأ الزيادة بالحروف عن طريق السماع دون القياس ، فتنشأ بضرب من الفوضى ، ثم تسير رويدا رويدا في سبيل التكامل والاستقرار . فمنها ما يبلغ درجة القاعدة والقياس المطلق أو النسبي ؛ ومنها ما يتخلف فيبقى دون نظام ومما يساعد على استمرار هذه الحالة هو مفاجأة اللغة التكلم بها بتدوينها بالكتابة ، وإنزالها منزلة اللغة الفصحى المتصفة بالميل إلى المحافظة على الحالة الراهنة قدر مستطاعها لمقاومة التطور اللازم طبيعة كل الأشياء

هذا ، وأنا من الذاهبين إلى عدم وجود علاقة طبيعية ضرورية بين الصوت أو الحرف أو الكلمة وبين المعنى المتعلق بها . لأن الأصوات مجردة ؛ وليس في طبيعتها ما يجعلها دالة حتما على الشيء الفلاني أو الفحوى الفلاني ، إنما تنشأ الصلة بين الصوت والمعنى اتفاقا ، أو بإرادة المتكلمين عن طريق السماع أو الاستعمال

أنا غير جاحد أن لبعض الكائنات الطبيعية دويا ، وللحيوانات أصواتا . بيد أن الناس لا يقتبسون القدرة على

التصويت أو التكلم بالتعلم من الطبيعة أو الحيوان . لأن ذلك من خاصية أعضاء النطق فيهم ، وبفضل هـذه الخاصية يتمكنون من محاكاة دوى الطبيعة وأصوات الحيوانات ، لـكن بطريقة متباينة ، إذ أن كل فريق أو قبيلة أو شعب يتوهم فيها سماع نوع من الدوى والصوت ؛ فيحاكيها طبقاً لهذا الوهم

وبعض الأحيان تجرى هذه الزيادة بالحروف لمقـاصد تلوح متضادة . دونكم أحرف المارضة فإنها تستخدم لا لأداء دور واحد خاص بكل منها ، بل للقيام بأدوار عدة متمايزة . فاليـاء تستعمل للغائب والمثنى وللجمع المـذكر والمؤنث ، والنون للمتكلمين لـكنها تأتى أيضاً فى السريانية للغائب المفرد والجمع ، وفى بعض اللهجات العربية للمتكلم . الهمزة تكون للمتكلم بيد أنها ترد للغائب فى طائفة من اللهجات المسفورة : التاء تدل على المخاطب المذكر والمؤنث ، وعلى المثنى والجمع المذكر والمؤنث . وكذا القول فى الميم المتوجة بعض الصيغ . فإنها تدخل على اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر الميمى واسم المـكان والزمان واسم الآلة وفى كل هذه المبانى تختلف الداليل والحرف واحد

زد على ذلك أن الحرف عرضـة للابدال فى العربية كما فى أخواتها السامية . فإن الثاء العربية تبدل تاء فى الأرمية وشيناً فى العبرية والأكدية والحبشية . والذال العربية تبدل زاياً فى العبرية والأكدية والحبشية ودالا فى الأرمية . ثم إننا نجـد فى العربية العين والغين والحاء والخاء ، وفى اللغات الباقية لا يوجد سوى حرف واحد يقابل الاثنين العربيين ، وفى الأكدية لم يبق إلا الخاء ، فضلا عن هـذا ، هناك التغير الطارئ على بعض الحروف بفعل التفخيم ؛ فإن التاء تفخم فتضحى دالا ، ثم طاء ، ثم ظاء ، والسين تفخم فتصبح صاداً ، والضاد العربية تمسى صاداً فى العبرية ، لا ـ بل عيناً فى السريانية ، وهلم جرا

كل هـذا دليل على ما أبديناه من أن الحروف مجردة من ذات طبعها . إنما يخصص لها معان وأدوار بالسماع والاستعمال . ومن باب الإطلاق يمكن القول بأن كل الحروف — ما عدا المتنافرة غير القابلة التجاوز تركيباً ولفظاً — تصلح لأن تكون حرفاً للتوسع ، ولا سيما فى طور التكون ، أى طور الرساس الأولية الثنائية الذى يعقبه طور الثلاثية بزيادة حرف ثالث على الحرفين الرسيين . أما تداول هذه الحروف فتتباين ، إذ منهـا ما يستخدم أكثر ، ومنها ما يبقى نادر الورود

ولنا مثال فى العربية على بقاء حالة الفوضى وعدم الخضوع لقياس فى المصادر الثلاثية المجردة ، وجموع التكسير ، وحركة عين الماضى ، والمضارع ، من المجرد الثلاثى ، وعدم ورود كل المزيدات لـكل واحد من المجردات . فإنها كلها لا ضابط لها ، فتستند على السماع ، وتعرف من المعاجم . وكذا القول فى الحروف التى تزاد على الرساس والأصول . فإن بعضها يستمر دون قيد ولا رابط على الحالة البدائية ، ولا اعتماد فى شأنها إلا على الصلة المعنوية بين المزيد والمزيد فيه ، قدر ما يتوصل إلى تحقيقها بعـد التطورات والتقلبات الـكثيرة التى طرأت على اللغة بكرور الأحقاب إلى أن بلغت طورها الحالى

أجل ، فى المزيدات الثلاثية والرباعيـة تجرى الزيادة غالباً بحروف معينة للدلالة على معان خاصة ، كما هو مفروض فى طور التصرف . إلا أن هذا ذاته لا يتم باطراد مطلق ، إذ لا يخلو من أثر الفوضى القديمة ، لأن كثيراً من هـذه المزيدات المعدودة قياسية تعود إلى الدلالة على المجرد عينه ، زد على ما ذكر أن هذه المزيدات يراد بها مفاهيم مختلفة ومبتعـدة أحيـاناً غاية الابتعاد عن المعنى المقصود من زيادة الحرف المعين لهـذه الغاية ، أعنى أنه لا يزال فيها شئ من الفوضى أو عدم الاستقرار الخاص بالطور القديم

دونكم مثلا ، وزن « أفعل » المزيد فيه همزة ، حسب قول الصرفيين ، للدلالة على التعدية نحو أجلسته ، أكرمته ، أبعدته . فإنه خلافاً للقصـد المتوخى من زيادة الهمزة ، يراد به فحوى الدخول فى الشئ . نحو أصبح : دخـل فى الصباح ، والمبالغة نحو أشغلته : بالغت فى شغله . والصيرورة ، نحو أقفرت الأرض : أضحت قفراً . والسلب ، نحو أشفى المريض : ذهب شفوه . وأخيراً يأتى بمعنى المجرد ذاته ، مما ينـافى المراد من الزيادة نحو أملت البيع ، بمعنى ملته أى فسخته . كذا وزن « فعل » المضاعف ، أى المـكرر العـين للتعدية فإنه يطلق ، فضلا عن هـذه الدلالة الخاصة ، على التكـثير ، نحو قطعت الحبل : جملته قطعاً . وعلى السلب ، نحو قشرت العود : نزعت قشره ، وعلى اتخاذ الفعل

بريطانيا العظمى

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

عتاب :

أخذ على بعض الأصدقاء من القراء الكرام أننى فى هذا الوقت الذى تقف فيه بريطانيا ضد أمانينا القومية وحريتنا قد امتدحت الخلق البريطانى؛ بل إننى أفضت فى الثناء على البريطانيين وكان العكس أوجب . وقد سرنى عتابهم هذا ولكنى وجهت إليهم السؤال التالى : « أتعتقدون أن البريطانى غير مخلص لوطنه ؟ وهل تشكون فى تضحيات البريطانى من أجل وطنه ؟ فكان الجواب بالنفى . قلت « إن بريطانيا عظيمة لأن أبناءها مخلصون لها . » وإذا أردنا نحن أن نسود فى أوطاننا وأن نسترد ماضى مجدنا فعلينا أن نقوى عزائمنا وأن نوحد صفوفنا وأن نقبل على التضحية كما كان يفعل آباؤنا وأجدادنا

وأمر آخر أحب أن ألفت النظر إليه، وهو أنه ليس من الخير لنا أن نتغاضى عن عيوبنا ، وأن نتجاهل أسباب قوة أعدائنا ، فيكون مثلنا كمثل النعامة التى تخفى رأسها وقت الخطر وتعتقد أنها بهذا قد أصبحت آمنة

وأمر ثالث أحب أن أذكره ؛ وهو أن هذه المقالات تتسم بسمة البحث العلمى ، والبحث العلمى يجب أن يكون بعيداً عن الأهواء الوطنية والعواطف السياسية، ومن ثم فإرى لزاما على أن أعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله ؛ وإذن فيجب على أن أمتدح البريطانيين حين يستحقون المدح، وأن أهاجمهم أشد الهجوم حين يستحقون ذلك . ولا يستطيع إنسان كائنا من كان أن يبرر عدوان بريطانيا علينا واحتلالها لأراضينا وعملها على فصل جنوب الوادى عن شماله ، وتشريدها لعرب فلسطين بمؤازرتها لليهود ، ولكنى أحب أن أقول لقومى :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

وأنا أعد حضرات القراء بأننى قبل أن أختتم مقالاتى عن بريطانيا سأعقد فصلا خاصا عن علاقتنا بها وكيف يجب أن تقوم

مشكلات

ولعل حضرات القراء يوافقوننى على أننا متخلفون عن ركب الحضارة قرنا كاملا ، وأننا فى عصرنا الحاضر نواجه مشكلات واجهتها الأمم الأوربية فى القرن التاسع عشر وتغلبت عليها . ولعل من الخير لنا أن نعرف كيف تغلبت أوربا على هذه المشكلات حتى ننتفع بتجاربها ونستفيد منها

تنقسم المشكلات التى نواجهها إلى قسمين : ١ : مشكلات سياسية وقومية وأهمها الوحدة والجلاء ، وسأتناولها بالبحث حين أتحدث عن ألمانيا وإيطاليا

٢ : مشكلات اقتصادية واجتماعية وهى ناشئة عن دخول مصر فى الدور الصناعى ، وسأتناول فيما يلى البحث فى الانقلاب الصناعى فى إنجلترا والمشاكل التى قامت بسببه وكيف عالجتها وتعالجها إنجلترا

الانقلاب الصناعى :

يقول أحد المؤرخين « إن الناس قد ظلوا حتى أواخر القرن الثامن عشر يفلحون أرضهم وينسجون ملابسهم وينشرون أخشابهم ويصنعون قواربهم كما كان يفعل قدماء المصريين . » وهذا القول صحيح من غير شك ؛ ولكن الجزء الأخير من القرن الثامن عشر قد شاهد انقلابين خطيرين وخطرين جداً ؛ وهما فى الواقع أساس الحضارة الحديثة

من الاسم بنحو خيم القوم : ضربوا خيامهم . كذلك وزن « استفعل » الدالة فيه الزيادة على الطلب ، فإنه يستعمل أيضا لوجدان الفعل . نحو استعظم الأمر : وجده عظيما . وللتحول، نحو استحجر، وللتكلف ، نحو استجرأ . وللمطاوعة ، نحو أراحه فاستراح ، وأخيرا يرجع إلى نحوى المجرد عينه كأنه لم تكن زيادة . نحو استقر بمعنى قر ، وقس على ذلك بقية المزيدات ، تلك التى تدعى قياسية بتخصيص دور الحرف المضاف إليها

البقية فى العدد القادم **الأب مرمرجى الدومنيكى**

أما الانقلاب الأول فهو الثورة الفرنسية ، فهذه الثورة هدمت الأنظمة السياسية والاجتماعية التي كانت قائمة في ذلك الوقت ، وأقرت الحرية والإخاء والمساواة في الحقوق والواجبات للناس جميعا ، وكذلك أقامت مبدأ سيادة الشعوب إذ قررت أن الأمة مصدر السلطات . وهكذا بدأ قيام الديمقراطية الحديثة

أما الانقلاب الثاني فهو الانقلاب الصناعي ، وهذا الانقلاب ليس أقل تأثيرا في حياتنا المعاصرة من الانقلاب الأول، بل ربما كان أعظم منه أثرا وأشد خطرا . ذلك أنه في الوقت الذي كان رجال الجمعية الوطنية في فرنسا يثيرون اهتمام الناس بخطبهم ومجادلاتهم الجديدة، وفي الوقت الذي كان نابليون يشغل أذهان الأمم والدول بحروبه ومعاركه ، كان هناك رجال يوجهون اهتمامهم إلى المرأة التي تدير المغزل في منزلها، وإلى النساج الذي يحرك نوله في بطء ، وإلى عمال المناجم وهم يكافحون المياه التي توشك أن تغمر مناجمهم، وقد ظل هؤلاء الأبطال في جهادهم حتى اهتدوا إلى اختراعات غيرت أساليب الصناعة وبالتالي غيرت مجرى حياة الإنسان . وقد كان أهم هذه الاختراعات من غير شك استخدام البخار في إدارة الآلات وفي تسيير القطارات والسفن البخارية

وقد كان من أهم نتائج هذه المخترعات انتقال الصناعة من المنزل إلى المصنع ، وانتقال المصانع إلى المواطن التي يكثر فيها الفحم والحديد ، فإن من الحديد تصنع الآلات ، وبالفحم تسير هذه الآلات

وفيما يلي أهم نتائج الانقلاب الصناعي:

١ : نمو مدن مزدحمة بالسكان : ذلك أن الصناعة وقد انتقلت من المنزل إلى المصنع تركزت في مناطق الفحم مما أدى إلى هجرة كثيرين من العمال الزراعيين إلى المراكز الصناعية ، وقد أغرتهم زيادة الأجور نسبيا في المصنع عنها في المزارع

٢ : أدى هذا إلى نقص كبير في الأيدي الزراعية العاملة ، وقد حلت هذه المشكلة باستخدام الآلات الزراعية الحديثة

٣ : سوء حالة العمال في المناطق الصناعية بسبب قلة أجورهم وسوء مساكنهم وانتشار البطالة بينهم وإرهاقهم بالعمل

٤ : ظهور طبقات رأسمالية كان يملك أربابها المصانع والآلات، وقد عمد هؤلاء الرأسماليون إلى استغلال العمال في تنمية أموالهم وزيادة أرباحهم ، ولم يلبث هؤلاء طويلا حتى نافسوا كبار الزراع والتجار في ميداني الحياة السياسية والاجتماعية

٥ : زيادة الإنتاج مما أدى بدوره إلى نشاط التجارة ، فمثلا كانت تباع منسوجات منشستر في ملبورن وفي الصين وفي غيرها

٦ : تحسن طرق المواصلات والنقل

٧ : تسابق الدول إلى الاستعمار لتضمن موارد المواد الخام والأسواق

٨ : ظهور نهضة فكرية رائعة ، وزيادة الاتصال بين أنحاء العالم ، وظهور آراء اقتصادية حديثة أهمها مبدأ حرية التجارة الذي نادى به آدم سميث في كتابه « ثروة الأمم »

٩ : وجدير بي أن أذكر أن إنجلترا كانت أسبق الأمم إلى الانقلاب الصناعي لأسباب : أهمها زوال النظام الإقطاعي منها قبل غيرها، وثانيا لأنها استطاعت في أثناء عصر الثورة الفرنسية ونابليون أن تسيطر على أسواق العالم التجارية ، ولذلك عملت جاهدة بعد انتهاء هذا العصر على الاحتفاظ بسيطرتها التجارية على هذه الأسواق

١٠ : ازدياد عدد السكان في إنجلترا زيادة خطيرة

الاشتراكية :

على أن أخطر نتائج الانقلاب الصناعي كان ظهور الاشتراكية، فقد قاسى العمال أهوالا كثيرة بسبب قلة أجورهم وازدحامهم في المراكز الصناعية وسكناهم في مساكن غير صحية واضطرارهم إلى العمل ساعات طويلة مضنية داخل المصانع ، مما دفع كثيرا من المفكرين إلى العمل على وضع حد لإرهاق العمال وتحسين حالتهم

وقد نبتت الفكرة الاشتراكية في رأس بعض رجال الثورة الفرنسية ، وأنا أحب أن أنقل هنا ما قاله أحد رجالها واسمه بابيف Baboeuf فقد ذهب إلى أن الطبقات الفقيرة لا يهمها أي تغيير بقدر ما يهمها أن توفر لها أسباب الحياة الكريمة حيث

قال : « عندما أنظر إلى الفقراء فأجدهم محرومين من الكساء والأحذية التي يقومون بصنعها ، وعندما أنظر إلى تلك الفئة القليلة العدد التي لا تعمل، ومع هذا فهي ليست في حاجة إلى شيء لأن كل شيء ميسر ، أومن أن الحكومة إن هي إلا مؤامرة قديمة قامت بها الأقلية ضد الأغلبية . »

واقترح أن تستولى الحكومة على الأراضي وموارد الثروة ، وأن تعمل على استغلالها لمصلحة الشعب وطبقاته جميعا

ورغم إعدام بابيف فقد ظلت مبادئه حية في أذهان الفرنسيين لدرجة أن بعض أتباعه نادوا بها من جديد عند قيام ثورة يولية ١٨٣٠ في فرنسا . وقد أذيعت هذه المبادئ في إعلانات طبعت ١٨٣٢ جاء فيها :

« إننا لا نريد انقلابا سياسيا وإنما نريد انقلابا اجتماعيا . إن التوسع في الحقوق السياسية وفي الحقوق الانتخابية وفي إقامة حق الاقتراح كلها أشياء جميلة ؛ ولكن غايتنا الرئيسية أن يكون هناك توزيع عادل لأعباء ، الدولة ولما يجنيه أبناؤها من فوائد . إننا نبغى إقامة حكم عادل يكفل تحقيق المساواة لجميع أبناء الدولة . »

وقد كان من أبرز زعماء الاشتراكية في النصف الأول من القرن التاسع عشر روبرت أوين الانجليزي ولوى بلان الفرنسي ، ولكن « كارل مركس » الألماني يعتبر واضع الاشتراكية الحديثة

ولد كارل ماركس ١٨١٨ وتربى في جامعتى بون وبرلين ، ولكنه نفى من وطنه بروسيا (ألمانيا) بسبب آرائه الحرة ، وفي منفاه وضع كتابه « رأس المال The Capitale » وأهم الآراء التي جاءت فيه :

١ : إن طبقات الأمة المحظوظة هي التي قبضت على الحكم في الماضي ، وإن طبقة المولين والرأسماليين من أصحاب المصانع هي الطبقة المحظوظة الحديثة ، أما العمال فهم ضحايا الرأسماليين . وتنبأ ماركس بأن طبقة العمال سيقوى نفوذها حتى تصبح الطبقة الحاكمة ، وعندئذ تقوم الدولة الاشتراكية . (لاحظ أن رئيس وزراء بريطانيا الآن هو زعيم حزب العمال)

٢ : كان العمال حينذاك محرومين من حق الانتخاب ، وقد تنبأ ماركس بأن العمال سينالون حقوقهم الانتخابية وسيصبحون نوابا ، وحينئذ يصبح في مكنتهم إصدار التشريعات اللازمة لمصلحتهم ، وأهمها أن تضم الدولة يدها على موارد الثروة ووسائل الإنتاج مثل المناجم والمصانع ووسائل النقل والأراضي الزراعية ، وتستغله لمصلحة الشعب وهو ما يعرف الآن بالتأميم . وجدير بنا أن نلاحظ أن حكومة العمال تعمل على تحقيق ذلك في بريطانيا

٣ : عدم وجود فوارق اقتصادية بين الطبقات ، وقد تساءل ماركس « لم يدخل الحياة طفلان أحدهما له امتياز على الآخر ؟ أحدهما يملك العزب والضياع والمصانع ، والآخر لا يملك شروى نقير ؟ »

٤ : استنكر ماركس أن يعيش بعض الأفراد عالة على الشعب ، وقرر أن جميع الأفراد يجب أن يؤدوا عملا للدولة ، وألا يكونوا عالة على المجتمع

٥ : يجب أن تسيطر الأمة على رءوس الأموال

٦ : يجب أن يكون التعليم بالمجان لجميع أبناء الدولة

وقد انتشرت هذه المبادئ في أنحاء أوربا وكان لها أثر كبير في الحياة الأوربية المعاصرة . فقد آمنت بها إنجلترا فنال العمال حق الانتخاب ، ثم أصبح منهم النواب وتولوا حكم بريطانيا . ومن غير شك تعمل حكومة العمال على تحسين حالة العمال وعلى تقليل الفوارق بين الطبقات ، فنراها تفرض الضرائب التصاعدية التي قد تصل إلى ٩٥ ٪ من دخل بعض الأفراد ، ونراها تعمم نظام التأمين الصحي والاجتماعي ، وتيسر التعليم لجميع أبناء الشعب ، وتعمل على تأميم موارد الثروة والإنتاج ، ولا عجب فإن حزب العمال يؤمن بأن « الغرض الحق من المجتمع هو أن يرفع ويحفظ كرامة ورفاهية الفرد » وبأن من حق العمال على الدولة أن يعيشوا كراما

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بسمنود الثانوية

من أدباء الحجاز

عبد العزيز الزمزمي

— ٢ —

للأستاذ عبد الله عبد الجبار

ولقد كان الأديب الحجازي عبد العزيز الزمزمي ينظم الشعر حتى بعد أن وهى جسده ووهن عظامه ، وضعفت قوته . وكانت قريحته تسعفه وهو في سن السبعين بنظم القريض . ففي عام سبعين وتسعمائة أنشد قصيدة عذبة ، قوية النسج ، جميلة الديباجة ، يقل فيها أثر التعمل والتكلف ، وفي مفتتحها هذه الأبيات :

دعاك إلى زيارته الحبيب ... فهلا إذ دعاك لها تجيب
أياداعي الفلاح وأنت داع ... تلين بما دعوت له القلوب
لقد أسمعت لو ناديت حيا ... ولكن شأن من تدعو غريب
إذا سمع الندا ونوى نهوضا ... تنوء به وتقعده الذنوب
وتظهر فيه عجزا لا يقاوى ... فيوشك جسمه وهنا يذوب
ولكن ربما جذبته قهرا ... عناية من دعاه فيستجيب

ومنها يصف بزوغ فجر الإسلام :

أتيت بملة بزغت كشمس ... ولكن مالها أبدا غروب
لقد نسخت بها ملل فغابت ... طوالعها وحق لها المغيب
به الإسلام حين أتت غريب ... فآنس أهل ملته الغريب
تنادوا كلهم أهلا وسهلا ... هلم فعندنا السوح الرحيب
فكان لهم بنصرته اغتباط ... وكان نصيبهم نعم النصيب

ولقد كان من أهم الأغراض الشعرية التي احتلت مكانا بارزا في شعر الزمزمي ، الحنين إلى الأوطان ، فهو بحكم رحلاته الكثيرة المتعددة ، وما كان يلقى فيها من عنت ومشقة ، وما يحسه من ألم لفراق الأصحاب والأحباب ، والأهل والولد ، يسفح الدم شعرا رقيقا يملأ النفوس أسى ، ففي رحلته الأولى إلى بلاد الروم شخص من مكة مع الركب المصري إلى مصر ثم إلى الروم من البحر ، فلما وصل إلى منهل مشهور كان يرده الركب المصري عادة يسمى (الوجه) وهو واد فسيح به شجر من الأراك ، تذكر مكة وما حولها من الأراك ، واشتد به الشوق والحنين إلى والدته وأخوته وبنيه ، وإذا هو يهتف بهذا القصيد :

حشا فيه من صدع الفراق قروح ... وجفن جفاه النوم فهو قريح
وحسب النوى قلب من الوجد خافق ... ووابل دمع في الخدود سفوح
تضيق بي الدنيا إذا ماذكرتكم ... وتمرض في فكري مهامه فيح
ولا سيما طفلي الذي من صبابتي ... ووجدي به روحي تكاد تروح
ولم أنس إذ فارقته وهو مطرق ... وألفت وجهي عنه وهو ينوح
ترى هل إلى أم القرى لي أوبة ... تزيح همومي والمنا وتريح
ويا حبذا (بالوجه) واد بسفحه ... أراك له طيب يشم وريح
مررنا به والركب وان من السرى ... وشمس الضحى وسط السماء تلوح
وقد أورقت أغصانه وظلاله ... ترف ومرأى العين فيه فسيح
ذكرت به وادي الأراك من الحمى ... وعيشا مضى فيه وظلت أنوح
وبرح بي وجدي إلى أن رأيتني ... أقوم مرارا . ثم ثم أطيح
رعى الله دهرا مر حلوا بمكة ... ليالي عنا النائبات نزوح
إذ العيش غض والربوع منيرة ... ودهري بما رمت منه سموح
عذيري من الأيام يجنين داءا ... على فكم من جورهن أصيح
تبين لي الوجه الذي لا أحبه ... ويخفين وجها لي إليه طموح

وربما لج بنفس الزمزمي لاعج الشوق وألح إلحاحا شديدا فإذا هو يناجي عروس الشعر بالقصيد ارتجالا . ومن ذلك أنه لما كان بمدينة (أدنه) وشاهد قافلة حولها فلفل ، وزنجبيل وقرنفل ، مما يحمل من مكة وجدة برا وبحرا إلى مصر والشام ، هتف به داعي الحنين وتذكر أرض الحجاز فأنشد على البديهة قصيدة خفيفة جاء فيها :

وميض البرق بعد سنه ... نفى عن ناظري وسنه
وذكرني عهود هوى ... بها الأرواح مرتهنه
وهل نسيت فاذكرها ... إذن إني من الخونه
وما بالعهد من قدم ... فما مرت عليه سنه
معاذ الله أن أنسى ... فروض الحب أو سننه
وقلبي كل آونة ... يجدد ذكرها حزنه
وبي شوق لأجياد ... أهاج من الحشا شجنه

ربوع هن لي سكن وهل ينسى الفتى سكنه
سقى الله الحجاز ومن أنى منه ومن سكنه

وإن ديوان الزمزمي الذي اقتطفنا منه النماذج السابقة لا يضم جميع شعره ، لأنه قصره على أبواب خاصة . وإن الباحث ليجد له قصائد ، أو إشارة إلى قصائد، في أعراض متنوعة مبثوثة هنا وهناك في بعض المظان ، فقد ذكروا أنه عارض القصيدة الميمية التي نظمها القاضي أبو السعود الرومي والتي مطلعها :

أبعد سليمى مطلب ومرام وغير هواها لوعة وغرام

كما ذكروا أنه مدح أمير مكة أبا نمي بقصيدة طويلة معارضا بها قصيدة الخطيب (ابن داريا) ويمضي الزمزمي في مطلع هذه القصيدة على النحو الآتي من الغزل التقليدي المعروف :

ليحتس الصهبا من يحتسي حسبي لي مرشفك الألعس
على أطلق منه كأسي ولا توحش بحبس الكاس يا مؤنس
في طرفك الوسنان والخد ما يهزأ بالورد وبالنرجس
وجهك لي روض جديد إذا أخلقت الأرض القبا السندسي

ولما توفى العلامة حامد بن محمود الجبرتي وكان له صديقا حميما عقدت بينهما أواصر الصداقة نحوا من خمسين سنة ، رثاه بقصيدة مطلعها على النحو الآتي :

أيها الغافل الغبي تنبه إن بالنوم يقظة الناس أشبه
وتأمل فإنما الناس سفر دار دنياهمو لهم دار غربه
كل يوم يحل في السرح منها عصبة منهمو وترحل عصبه
كيف يهنا الفتى بها وهو فيها يشتكي دائما فراق الأحبه
واحدا إثر واحد قد تداعوا للفنا يا لكربة إثر كربه

وهذه القصيدة الطويلة تجدها — أيها القارئ — في النور السافر وهي تدل على وفائه لصديقه الذي يقول فيه :

مزجت روحه بروحي فأضحى منطق نطقه وقلبي قلبه

وكان الزمزمي — إلى وفاته — حرا أبيا لا يقيم على ضيم استمع إليه وهو يرد على الذين لاموه في تركه أهل بيته وانتجاعه اليمن دارا ، ذاكرا كيف سامه الولاة الخسف، وكيف تنكرت له الأرض ونبا به المكان وساءه الزمان، وكيف تبدلت الأحوال غير الأحوال، فإذا الذليل عزيز، وإذا العز ذليل، يستفزه الإذلال حتى اضطر إلى أن يخرج من مكة وحيدا في الخفاء يلتمس مضطربا في الخافقين . ولعل خروجه كان في سنة ٩٥٨

رب قوم تفاوضوا في حديثي وأطالوا فيه وخاضوا وجالوا
زعموا أنني أسأت بتركي أهل بيتي والسكل كل عيال
لا تزيدوا نارا على فقلبي فيه نار تأججت واشتعال
إن أرضي تنكرت وزماني ساءني واستحالت الأحوال
فالحقير الذليل صار عزيزا والعزيز استفزه الإذلال
قد رمتني الولاة عن فردقوس أقصدتني سهامها والنبال
كم هموم جرعتها ما عليها لأبي تجلد واحتمال
واحتمال الأذى ورؤية جانيه قذى في الجسوم داء عضال
أكذا دائما أكون مهانا ولداني تقل منه النضال
ومكاني في خدمة العلم سام وبدرسي للطالبين احتفال
غصة لا يسيغها ريق حر وشكاة يضيق عنها المقال
سعة الخافقين فيها اضطراب ولأرض من أختها إبدال

عبد الله عبد الجبار

مدير البعثات العربية السعودية بمصر

قانصوه الغورى

سلطان مصر الشهيد

للأستاذ محمود رزق سليم

الفصل الثالث

جلسة صاخبة

رحم الله مصرباى ! لقد قتلته أطماعه ! وما أكثر ما تقتل الأطماع !

بهذه الكلمة نطق السلطان الغورى فى جمع من الأمراء وأرباب الدولة ، وذلك بعد أكثر من عامين من بدء سلطنته ، وقد اجتمعوا إليه يوما

فقال له الأتابكى قيت الرجبى : يا مولانا ! لقد لقى جزاء غدره . لقد كان معنا أخا كريما وصديقا حميما . ثم غزا الحسد قلبه فاحتله ، فتداعى على أثره وده ، وانهار صرح وفائه . وملكت الأطماع جماع نفسه . وصحبها الزهو والترف ، مع الوثوق والغرور بقوته . فانطمست أمام عينيه معالم الحق ، وانبهمت آيات الصواب ، فأصبح كالناقة العشواء تخبط على غير هدى ، وتسير دون جدوى ، ولم يتخذ لنفسه عبرة ممن سبقه من الأمراء الطامعين الطامحين الذين غامروا بأرواحهم فى ميدان لوثته الحقود والأهواء ، وأثارت حمية فرسانه نيران الحسد والبغضاء . فذهبوا طعاما صالحا لهذه النيران . وبقيت اللوثة تدمغ صفحات حياتهم وتشوهها

فقال طراباى : إنه معذور يا مولانا فى طموحه هذا ، الذى أورده موارد التلف والبوار ... ! فإن مولانا إثر من الله عليه بسلطنته المباركة ، خلع أول ما خلع ، على مصرباى . ورقاه إلى رتبة الدوادارية الكبرى ، ولم يكتف كرم مولانا بذلك ، بل وكل إليه مع الدوادارية ، الوزارة والأستدارية ، ثم مكن له فى شئون الدولة ...

أنسى مولانا أننا حين لجأنا إلى بيع الأوقاف لنستعين بها على ملء الخزائن الشريفة ، لكى نحشو به الأفواه الفاغرة ، ... لم نستطع ... فعدلنا إلى أخذ ربع سنة كاملة منها ، وإلى فرض أجرة عشرة شهور كاملة على أملاك القاهرة وسائر أنحاء البلاد ، ثم خفضت بعد إلى سبعة شهور ، بسبب ثورة المماليك ضدنا ، ولولاى إذ أنهيت إلى أسماع المقام الشريف خبر ثورتهم ، فوافق على مقترحى بتخفيض هذه الضريبة ، لوقع ما لا تحمد عقباه

فى أثناء ذلك يامولانا ! كان مصرباى أثناء ذلك مقيما فيما وكل إليه جمع ماله . فلقد وكل إليه أن يجمع ما فرض من المال على أملاك الصليبة إلى مصر إلى دير الطين إلى غير ذلك

شمر مصرباى عن ساعد الجد ، وكتب القوائم المطلوبة مستعينا بالمباشرين من أولاد ابن الجيعان . وبعث إلى أعيان الناس بتلك النواحى رسلا غلاظا شدادا لا يعصون ما أمرهم ... وأخذوا يثقلون على الناس بكل وسيلة مستطاعة ، وبكل حيلة قدروا عليها ، حتى وفوا بما فرض عليهم ... نحن حقا لا نؤاخذه بهذه الغلظة ولا بهذا الإثقال ، ولا بتلك الجفوة فى معاملة المماليك والأهلين ، لأنه كان يقوم بواجبه فى جمع المال المفروض . . . وإنما ننعى عليه حبه للمال ، وانتهاز هذه الفرصة لملء جعبته منه . . وتدبير جزء منه لنفسه

قال السلطان : الحق أننا اجتزنا هذه المحنة بتوفيق الله ومعونته ، ولولاه سبحانه ، لفوجئنا بما لا نتوقعه . . لقد كان الجند فى ثورة دائمة . . إذا خبت نارها آنا فتحت رمادها وميض النار . وأخذ الدساسون يدسون بينهم ، ويثيرون حميتهم ، ويوقدون نار الثورة بينهم . وكنا نحن من ناحيتهم نلتمس لهم العذر ... فلقد تأخرت رواتبهم جملة شهور ، ولم نقدم إليهم من نفقة البيعة شيئا ... ولكننا كنا مكرهين ، فلقد تسلمنا زمام السلطنة ، والخزائن خاوية على عروشها . تصر فيها الرياح صرير اليائس الحزين . وتسرح فى جنباتها الجرذان مروح الآمن اللاهى . فصابرناهم بالتهديد بترك السلطنة ... وطوراً ببذل الوعود والملاينة ...

ثم أحببنا أن نستولى على بعض أوقاف المساجد ، ونشرع فى

بيهما لسد فراغ الخزائن، ونترك المساجد ما تحتاج إليه منها لتظل مفتوحة للعبادة وذكر الله ، وخير لنا أن تنفق أموال المساجد على الجنود السلطانية وضروريات السلطنة ، من أن تنفق على المتعطلين من خدمتها ، والمتبطلين من شيوخها ، والكسالى الخاملين من مدعى المعرفة والوصول ... لكن وقف فى وجوهنا ثلاثة من قضاة الشرع وبخاصة شهاب الدين أحمد الشيشيني قاضى قضاة الحنابلة ، وجهم لنا فى وجهه ، وقبض لنا فى قسماته ، وعبس فى غضونه ، وأغلظ فى القول . ثم وصمنا بأننا نعبث بأموال الواقفين وأعيان وقفهم على غير ما يرغبون ، وأننا لن ننفقها فى سبيل الخير المرسوم لها . . . . كأن الخزائن الشريفة ليست سبيلا من سبل الخير ، أو ليست مرجعا للبلاد وملاذا لها وذخرا وقت الشدة .. وكأن تهدئة خواطر الجند والقضاة على فتنهم ، ودفع مرتباتهم ، والعمل على استتباب السكينة بينهم وبين أهل البلاد ليست مظاهرا من مظاهر الخير ، ولا معبرا من معابر البر ، يصح أن تحول إليه هذه الأوقاف المباحة المأكولة . . . . وجزى الله خيرا قاضى قضاة الحنفية عبد البر بن الشحنة ، فإنه وحده دون الثلاثة القضاة الآخرين كان مسايرا لنا فيما ذهبنا إليه ...

ومهما يكن من شئ فقد أغضينا عن بيع الأوقاف ، واجتزأنا بما فرضناه عليها وعلى أرباب الأملاك

قيت : الواقع يا مولانا ! أننا وفقنا ، واجتزنا التجربة بثبات وعزيمة ، ولولا قوة إيمان كنا نستمدها من المقام الشريف ، وصبر مكين تحلينا به تحت ظله ، وإخلاص زدنا به تحت لوائه ، لتفاقمت ثورة الجند ، ولوجدنا لدى العامة من الملاك والسكان ما يجهدنا ويضنينا ، وذلك لما أصابهم من المشقة بسبب ما فرض عليهم . وقد وقع منهم قلق واضطراب عدة مرات . حتى أدى ذلك إلى تعطيل البيع والشراء ، وغلقت الحوانيت ، وانفضت الأسواق . واحتجوا مرارا أخرى علينا . وتعرضوا لنا فى الطريق العام مهللين مكبرين تكبير الغاضب المهتاج

وفى أحد أيام الجمعة ، عقب الصلاة ، قوبلت بجمع منهم غفير ، تجاه باب زويلة . لقد رجمونى بالحجارة أنا والأمير طراباى ، حتى اضطررنا إلى أمر الجنود فأعملوا فيهم السيف ، وقتلوا ثلاثة أشخاص ، وجرحوا آخرين ثم تفرق الجمع

وقد انتهز بعض السفلة والأوغاد والقطاع ، هذه الفرصة ، وعاثوا فى أرجاء القاهرة فسادا ، فسلبوا ونهبوا . ولولا همة مشكورة بذلها الأمير علان الوالى ، لما انقمع هذا الشر . لقد قبض على جماعة منهم ، ووسط نحو أربعة عشر . . . خرط أوساطهم بالسيف

ثم .. يامولانا ! هناك الأشعبيون الطامعون الذين لا يحمدون الله على ما أولاهم من فضل ، وحباهم من نعمة . أولئك الذين يفغرون فاهم كجهنم . ويقولون : هل من مزيد ؟ ولا لهم إلا الاستحواذ على المال من الناس ، ولا هم لهم من الخزائن الشريفة إلا أن يستدروا عطاياها ويستمنحوا جداها ، أمثال . . . مصر باى وجان بردى الغزالى . .

لا أدرى لماذا حنق مصرباى — رحمه الله — علىّ ... وعلى أزدمر ... وتربص بنا الدوائر وقعد لنا كل مقعد . . ؟ ألأننا أوعزنا بالإغلاظ عليه فى أداء حساب ماجمعه ..؟ أم حسدا لقربنا من قلب مولانا السلطان . . ؟ أم لأننا كنا نذوده سرا عن الاثتمار بالسلطنة ..؟

السلطان : أما جان بردى الغزالى فقد أعطيته أمانى، فظهر لذلك بعد ما اختفى زمنا، هاربا منى، وقد خلعت عليه ورقيته إلى حجابة حلب ، وأمرته بالشخوص توا إليها تلافيا لشره وحسما لنزواته، أما مصرباى فلقد لاقى حتفه مجاهدا فى سبيل أطماعه الباطلة ، بعد أن أكلت الغيرة قلبه كما تأكل النار الهشيم . . ألا تقص علينا أيها الأمير علان ، قصة مصرباى كاملة . !

علان : أجل يا مولانا ! إن مصرباى لما قبض عليه بأمر المقام الشريف ، وبعد مشورة الأمراء ، وأدخل إلى البحرة وقيد، لبث زمنا ثم سير إلى الإسكندرية ، فظل فى سجونها ردحا من الزمان ، ولكنه استطاع من بعد أن يفلت من سجنه ويهرب

لقد قيل إن مملوكه « إياسا » بعث إليه فى سجنه بهدية فيها شموع ، ودس وسط هذه الشموع مبردا من الفولاذ ! فتناول مصرباى هذا المبرد ، وظل يعالج به قيده من كسر ، فاستطاع بعد ذلك أن يفر ... وقد اختفى بعد فراره ، وبحثنا عنه فى كل مكان فلم نعثر له على أثر . وقد احتلنا فى سبيل الظفر به بجملة حيل .

لقد أوزعنا إلى الجنود السلطانية أن يثوروا ضد المقام الشريف ثورة مكذوبة مفتعلة، لنغرى مصرباى بالانضمام إلى صفوف العصاة الثائرين العصاة، فنستطيع حينذاك القبض عليه. ولكنه لم يظاهر.. وكأنه لدهائه فهم الخدعة فلم تجز عليه...

وقد لبث مصرباى فى خفائه يجمع شمل مماليكه ويلم شعث أتباعه، ويغرى الطامعين ذوى الأغراض بالالتفاف حوله... فالتف من حوله جماعة من الذؤبان والثعالب. فأغراه هذا بالوثوق من نفسه، وظن أن الأمر أصبح له ميسرا

فكمن برجاله فى طريق الأمراء حين نزولهم من القلعة من لدن مولانا السلطان فى تلك الليلة من رمضان التى نعموا فيها بتناول فطورهم على الموائد الشريفة... أراد مصرباى أن يقطع عليهم الطريق، ويفاجئهم بالبطش بهم... ثم يزحف بمن معه إلى القلعة فيملكها...

لكنه قد خاب فأله وكشف رخه وشالت نعامته.. فقد وقف المماليك حول أمرائهم وقفة روعته وزلزلت أقدامه، حتى اضطر إلى الفرار هاربا بمن معه. ولكنه بعد أن جرح الأميران طراباى وعمر الزردكاش

رحل مصرباى بعد ذلك إلى الأزبكية ليجمع شمل أعوانه ويلم شعثهم. مغريا كثيرا من الأمراء والجنود أن ينضموا إليه، ليعاود الزحف والهجوم، ولكن لم يطعه أحد

ثم ذهبت إليه فى جمع حاشد من المماليك السلطانية، فحملنا عليه حملة صادقة، هو ومن معه من الثائرين، حتى قتلناه شر قتلة، وحملت جثته على فرس إلى الأبواب السلطانية الشريفة

طراباى: لو أن مولانا لم يغدق على مصرباى كل هذا الإغداق، ولم يبسط له رداء الأمل إلى آخر مداه، لما تطلع إلى أبعد من منصبه الذى رقى إليه، ولكفكفت أطماعه، وتضاءلت همامة نفسه وعجزت عن أن تطيع هواها، ولما خدعته نفسه الأمارة بالسوء بأنه أهل للسلطنة أو الأتابكية. والنفس كالجواد إذا روخى له فى الخطام شرد وجمح، وإذا جبذ من الزمام تطامن وكبح

السلطان: أيها الأمير طراباى! إن لمصرباى على السلطنة يد لا تنساها، فكان حقا علينا أن نبر له فى الجزاء، ونجزل له فى العطاء.. لقد تعصب مصرباى للسلطنة قبل أن تتعصب أنت لها.. ودعا الأمراء إليها، وأنت لاه عنها بجوار الملك العادل، يغريك من بعيد بالأتابكية، ويضمر لك فى نفسه الغدر والخيانة والحرمان والإقصاء عنها.. حتى فطنت أخيرا إلى مكره، وبدأت تلمس خفى غدره. فانحزت إلى جانبنا، ولكن بعد لأى ومراودة

أما مصر باى فقد دبر أمر القبض على العادل بهمة وعجلة وحزم. وكان أهلا لمنصبه. ذا كفاية مذكورة، ودراية مشكورة؛ وإقدام كان له الأثر فى النصر والظفر.. وما كنا لننمى على أحد كفايته أو نغض من شأنها، أو نسد سبل العمل أمام مواهبه، أو نجفوه... إن السلطنة العادلة هى التى تفسح المجال أمام الكفايات حتى تنتفع بإنتاجها. وإذا هى غضت من شأنها كبتتها، حتى تستحيل بعد حين نارا محرقة يصعب إطفاؤها. ولا يثير حقد الأكفاء مثل الجفاء.. غير أن الرجل الكفء لا يشوهه مثل نكوصه وغدره، وحيرته بين أطماعه وتردده. وإن عدم الولاء أفة الأكفاء. وهو حرى أن يطوح بهم نحو الحضيض، ويسير ويسير بهم إلى الهاوية. وقد قيل: مصارع الرجال تحت بروق الطمع

طراباى: كنت يا مولانا بجوار العادل أؤدى واجبى. وحينما تبين لى وجه الحق، وبدا لى أن مصلحة السلطنة فى أن أنضم إلى صفوف مولانا، انضممت. وقد كنت فى سلطنة العادل أتابكيا بالنيابة. ثم عدت إلى منصبى بعد تمام أن تمت السلطنة لمولانا. ورضيت بأن أستظل بظلها وأنضوى تحت لوائها فى مصاحبة أتابكى السلطنة الأمير قيت. وهأنذا لا أزال — كما كنت — رأس نوبة، راضيا غير طامع. فلم يفتنى مال، ولم يستهونى منصب، ولم أطفر بعينى إلى شىء تأباه مشيئة مولانا السلطان، ووهبت لحياطة سلطنته الشريفة كل ما أدخر من روح وقوة ورأى

قرقماس بن ولى الدين «أمير السلاح»: ما أظن أن مولانا السلطان يشك فى إخلاص الأمير طراباى والله يضرب رجلا برجل آخر... أليس كذلك أيها الأتابكى قيت..؟

قيت: لا أدرى لماذا تغمز هذه الغمزة أيها الأمير قرقماس

بين يدى مولانا السلطان ! وهو أدرى ما تكنه صدورنا لمقامه الشريف ، من حب مكين وإخلاص متين . وكأنى بك تتهمنى بالائتمار على فرار الشريف بركات أخى الجازانى من سجنه ، إن هذه تهمة باطلة ، وحملة ظالمة ، لكنها متداعية واهنة ، تحمل فى أردانها دليل بطلانها

إننى أنا الذى ذهبت بأمر مولانا السلطان إلى الأقطار الحجازية ، أميراً للحاج ، واصطحبت معى عدداً ضخماً من صناديد المماليك السلطانية للقضاء على الجازانى ، ذلك العربى الثائر هناك . فقضيت على ثورته ، وأطفأت نار فتنته . [غير أنه استطاع أن يفر من يدى ، فقبضت توا على أخيه وإخوته جميعا ، وسقتهم أسرى يجرون الحديد إلى الأبواب السلطانية الشريفة، فتأثرت نفس مولانا السلطان حينما رأى الشرفاء فى القيد أذلاء ، فأمر بسجنهم بدارى فى الأزبكية

قرقماس : أنت تعلم أيها الأمير أن مولانا السلطان قد فرض عليهم غرما ماليا ، ولكنهم لم يدفعوا منه شيئا . فوكل إليك أمر رقابتهم ، حتى يؤدوا ما فرض عليهم . فسجنتهم فى دارك، فكيف يفر الصيد من شبا كك أيها الصياد الماهر . . . ؟ وأنت أتابكى السلطنة وقائد جندها . ؟ إن فى هذه الحادثة لخطرا على سمعتنا ، وضياعا لما فرضه السلطان من الغرم ، وتهوينا من شأننا ، أمام الجازانى وعصبته فى بلاد الحجاز، وفى ذلك خطر علينا عظيم . . ثم ... إن الله عليم بذات الصدور ... !

قيت : إذا كان السجين قد فر ، هو وإخوته ، فذاك تراخ وغفلة من الحراس ، وسأقتص منهم . أما أنا فلا أدرى كيف تستسيغ يا قرقماس ، أن ترمينى بأنى هيأت لهم أسباب الفرار . ؟ ألمال أبتغيه ؟ وقد وهب لى الله منه الشئ الكثير ، على يدى مولانا السلطان ... أم لجاه أبتغيه ؟ ومنا تستمد أسباب الجاه ، أم لمنصب أتطلع إليه ؟ وقد بلغت من المناصب الذرى...؟

حقا ! إنها لتهمة غريبة مريبة ، ولعل فى النفوس شيئا ستتكشف عنه الأيام ... !

السلطان : أيها الأمير قيت ! إن المال لا حد لطمع النفس فى جمعه ... ما دامت النفس قد أشربت حبه ... وأما المنصب فلا يزال أمامك فيه جولة ... ! إن هناك منصب السلطنة ... ! وهو منى القلب وقرة العين ومطمح الفؤاد

أيها الأمراء ! أنتم جميعا تعلمون أننى أزهدكم فى السلطنة ، وأشدكم جفاء لها ... فمن شاءها منكم فليتقدم فى غير مواربة ولا خيانة

إننى مستعد للاختفاء من الميدان فى هدوء وطمأنينة ، بقلب راض ونفس مستقرة شاكرة

لقد أقمت فى السلطنة زهاء ثلاثة أعوام ، وأنا أوطد فى دعائمها ، وأثبت من أركانها ، وأعالج من ثغراتها . ثم بدا لى أن أطمئن وأقر بالهدوء فيها عينا ... فاذا أنا حالم واهم ... وإذا الأمانى فى العيون سراب . وحقا يؤتى الحذر من مأمنه

قرقماس : حاشا يا مولانا أن يخيس أحد بعهدك ، أو يشق عصا طاعتك ، أو يخرج عن حظيرة ودك ... إننا لنسيل دماءه على حد ظباتنا ، ونقطع أشلاءه على غرب سيوفنا . وتزهق روحه لتذهب للمعتبرين حديثا

ألا فليحدث نفسه بالسلطنة من شاء ، وليذهب به خيال الأمل إلى أبعد الأنحاء . فنحن من ورائه نقطع جسده بددا ، ونتركه طرائق قددا

ازدمر الدوادار : وأنا معك يا قرقماس . نحمى حوزة السلطنة ، ونبذل الروح رخيصة فى سبيل الذود عنها ، ودفع الكائدين عن مسها بالأذى

ثم لا أدرى أيها الأمير قيت ! لماذا كنا معا يدا واحدة ضد مصر باى ... ذلك الذى كان ينقم منا نحن الاثنين ... أليس ذلك لأننا كنا نحبط ائتماراته بالسلطنة ... وندفع كيده عنها ونكيد له كما كان يريد أن يكيد لها

قيت : مهزلة ! وثورة عابثة ! وفتنة فارغة ! ومجانة جادة ! ومزاح ثقيل الظل ! لا أدرى فيم تتحدثان ، وعن أى شئ تتكلمان ، وبأى امرئ تتهكمان ؟ ألا إن فى ذهنى لحية ، وفى كفى لعصية . وباطل اللائمة ، يشوه الكرامة ... وأرخص ما يبذل للشرف الدماء ، وأهون ما يباع للعزة الدماء

ولكن قبل ذلك ... ! قولا لمن يرفع عقيرته بالدفاع عن السلطنة . . إن السلطنة قد عرفت مبلغ بلائنا وصدق ولائنا وحسن وفائنا . فاحفظوا على أنفسكم الكيد ، واخشوا مغبة

الدسيسة ، وأسفروا بوجوهكم عما تطمعون فيه ، فإن النفاق دليل العجز ، وهو لن يغنيكم فتيلا

السلطان : لا تختصموا لدى . ولا توقروا ملى عثل هذه الشحناء ... إنكم جميعا عمد السلطنة . على سواعدكم تقوم ، وبأيمانكم تقوى وتشتد . وهى فى حاجة إلى كل فرد منكم ، فكونوا لها حراسا ، واشمبها سواسا ، ولتكن صلتكم الحسنى ورابطتكم المودة والإيثار . بكم ينعقد لها لواء العزة والمنعة . وينبسط بساط القبول والرضا

ذروا التغرير بالجنود ، وإغراءهم . وليفض كل منكم إلى بدخيلة نفسه ، ناصحا أمينا . وسيجد منى صدرا رحبا ، وسمعا خصبا ، وقلبا سمحا ، ونفسا طيبة ، ومودة

طراباى : إنها لخطة حكيمة حازمة يا مولانا! وشرعة منصفة، وإنى اعتمادا على مالى فى قلب مولانا من رضا ، ومالى إلى نفسه من قرب ، وما يعرفه فى من إخلاص ، وما تفضل به على من ثقة . ألتمس من مقامه الشريف باسم طائفة منا ، ألا يقبض على أحد من الأمراء بالظنة ، حتى يظاهر له وجه الحق فيه أبلج ، ويتكشف له عنه الصواب وضاحا

السلطان: إذا ! أنتم تخشونى وتأعرون بى؟ كما كنتم تخشون الملك العادل وتأعرون به ... وإن خشيتكم الباطلة لتدفعكم إلى التحريض على الفتنة بين الجنود، ودفعهم إلى الثورة على السلطنة، ألا إن هذه عادة أسلافكم الذين وجدتموهم على أمة ، وأنتم على آثارهم مقتدون

أيها الأتابكى قيت ! لقد أمرت بالقبض على مصرباى ، وجان بردى الغزالى . وغيرهما من الأمراء المتهمين بالدس والائتمار وإضرام الفتن ولكن هل كان هذا الأمر إلا بعد استشارتكم ؟

قيت : أجل يا مولانا !

السلطان : إذا ! مم تخشون ؟ ولم تهابون ؟ مادام الإخلاص رائدكم ، والولاء قائدكم ... ؟ ألا إن هذه حالة لا يستقر معها قيام لسلطنة ، ولا يدوم بها هناء لسلطان

وإذا فصحيح ما علمته من أن بعضكم يأعر بى ؟ ويثير الفتنة فى سبيلى ، ويتطلع إلى السلطنة ليشبع آمال طمعه

قرقماس وأزدمر معا : نحن على استعداد لتصفية هذا الموضوع ... وسيوفنا بين يدى مولانا مرهفة ، ورماحنا مؤتلفة ، وجيادنا معدة مصطفة ، وجنودنا شاكية السلاح واقفة

السلطان : أنا لا أبغى حربا ولا ضربا ، ولا لجاجا ولا خصومة ، إن الأسرة إذا تفككت عراها ، انتكث فتلها ، ووهى غزلها ، وإذا اختلف أفرادها ، خارت أعضاؤها وتجافى حسادها . وإذا تنابذ أعضاؤها اجترأ عليها أعداؤها ، ولم تعد تستطيع أن تجابه أمورها الخارجية بحزم كامل وعزم شامل

وهناك أعداء لنا فى خارج بلادنا ، يتربصون بنا الدوائر ؛ ويقعد منا مقعد الثعلب من الفريسة ، يرقبها فى غفلة مصطنعة حتى إذا أمنت جانبه ، فجأها ودق عنقها . ونحن أحوج إلى توجيه قوانا لكبح هؤلاء الأعداء

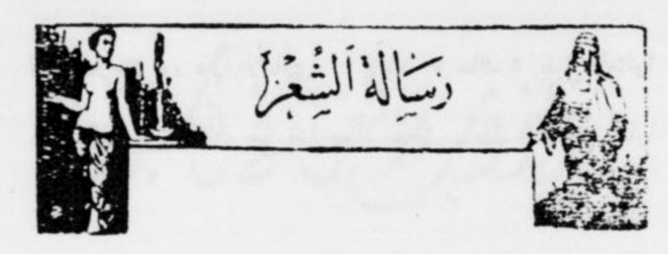
لقد سمعتم منذ حين أن الثائر « إسماعيل الصفوى » أراد الانقضاض على حلب . وكنا على وشك أن نجرد عليه حملة تأديبية

غير أنى لا يهمنى أمر الصفوى بمقدار ما يهمنى أمر الدولة التى كونها بنو عثمان فى بلاد الروم . لقد اتسعت رقعتها ، ونمت ثروتها ، وهيبت سطوتها ، وأصبحت متاخمة لممتلكاتنا ، وبمقدار ما نحيط به ملكنا من اتحاد وقوة وحيلة ، تبقى مهابتنا فى نفوسهم ، وتدوم مكانتنا من قلوبهم

لقد وفد إلينا قاصدهم — رسولهم — منذ حين ، وأقام لدينا ردحا من الزمان . لقد بعثوه إلينا ومعه هدايا ملكهم الثمينة ، رمزا للصداقة وتمكينا للمودة ، وتأكيدا لحسن الجوار . وأغلب ظنى أنه إنما شخص إلينا ، ليسبر مبلغ ما فينا من قوة ، وما لنا من التئام ، وما بيننا من صلة وألفة ، وما فى بلادنا من ثروة ... وكل أولئك سيكون له أثره فى المستقبل المرتقب فى رسم سياستهم قبلنا

على أننا تلقينا هذا القاصد تلقيا حافلا ، ولم ندخر وسعا فى إظهار عظمة مصر وقوة سلطنتها أمام عينيه ، ولم نقصر فى التنويه بفضل أمرائها ونباهة شأنهم ومبلغ شجاعتهم

وأنت أيها الأمير أزدمر ، حينما توجهت إلى قناطر العشرة فى زمن الربيع الزاهر ، اصطحبت معك هذا القاصد واحتفيت به احتفاء كان مضرب المثل ، وفهم عنك مبلغ ما عليه سلطنتنا



يا فلسطين ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

« إلى شباب العرب الأحرار في كافة أقطارهم
لعل فيهم من يرجع مجد فلسطين الذاهب ويؤدب
هؤلاء الصهاينة الذين ما زالوا يكررون اعتداءاتهم
على أبنائها المشردين »

* * *

أنف الحق أن يهان فثارا ... وتحدى الأزمان والأقدارا
صاخباً يلطم الطغاة بكف ... لم تعود حمل الحلى سوارا
خلقت للجهاد والطعن والضر ... ب ، ورد المغير إما أغارا
قاذفاً في مسامع الأمة العز ... لاء ، شكوى تفتت الأحجارا
لاعناً « لجنة » تحاول وأد الحـ ... ـق ، كيما تستعبد الأحرارا (١)
أيهان الأحرار والسيف مصـ ... ـلول يقد الأجساد والأعمارا
صقلته الدماء حمراء سالت ... من نفوس ترى المذلة عارا
هاجها حقدها فضجت شباباً ... عربيا على الصهابين نارا
هم بقايا الليوث من أمة العر ... ب ، وأبطالها الكماة الغيارى
عرب دوخوا الممالك قبلاً ... وأدانوا الشعوب والأمصارا
هم أسود الصحراء لم يألفوا الضـ ... ـيم ، وكم تنجب الليوث الصحارى
شغفوا بالعلى وعاشوا على الد ... هر ، أباة أعزة أبرارا
دوخوا الغرب بالصوارم والسمر ... ، ودكوا الحصون والأسوارا
كلما أركضوا الخيول على اسم الله ... ، حازت من السماء انتصارا
وإذا سار جمعهم للجهاد ... واكب النصر جمعهم حيث سارا
إن نصراً به السماء استطالت ... لجدير أن يملأ الأسفارا

* * *

إيه شعري أثر كوامن حقد ... في الشباب الذي هوى الأخطارا
وتظلم أو أسمع الغرب لحناً ... ثورويا ، وحارب الأشرارا
نحن نأبى أن نستكين إلى الذ ... ل ، ونأبى بأن نعيش أسارى

(١) — إشارة إلى لجنة الهدنة

من جاه وقوة وحول وطول . ورأى ما لبلادنا من جمال وروعة . وعندما أراد العودة إلى بلاده خلعت عليه خلعة ثمينة ، وحملته إلى ملكه هدية نفيسة تليق بمكانتنا ... ثم ... بعثت في أثره الأمير « ثاني بك الخازندار » قاصداً من لدنا إلى ملكهم ، ليقوم بمثل ما قام به قاصدهم

هذه هي دولة بني عثمان ... ثم هناك العربان في بلاد الحجاز بل ومختلف جهات الديار المصرية ، يثورون من آونة لأخرى . حاقدين علينا معشر الجراكسة ناقمين منا ، يدعون أن البلاد بلادهم دوننا ، وأننا عنها جد غرباء ... يا لبلاهتهم ! كأن عشرات السنين التي انصرمت منذ ألف الملك المعز بن أيبك الجاشنكير دولته البحرية ؛ أو منذ ألف الملك الظاهر برقوق بن آنص ، دولته الجركسية ، ليست كافية في نظر هؤلاء الحمقى لتمصير عنصرنا ...! وهؤلاء العربان الذين يدعون حقهم في البلاد ، لم ينهضوا في أغلب الأحوال ، إلى معونتنا إذا دهم البلاد عدو أجنبي ... ! فلله ما أشد حدبهم على بلادهم ، وما أنشطهم للذود عنها ... !

أيها الأمراء ! هكذا ترون أننا في حاجة إلى اتحاد قوي وائتلاف صميم ... أما الخلف الذي أنتم عليه ، والتنابذ الذي يشيع بينكم ، والائتمار الذي تخفون إليه ، فحالة لا تقوم بها سلطنة ، ولا يهنأ بها سلطان — كما ذكرت ... لن ينفض هذا الجمع من هنا اليوم ، حتى تقسموا جميعاً على المصحف العثماني ، أمام قاضي القضاة ، يمين الطاعة والولاء .

فأقسم الأمراء ، ثم أقسم لهم السلطان . وأرسل إلى المماليك بالقلعة فأقسموا يمين الطاعة طبقة بعد طبقة

« للكلام بقية »

محمود رزق سليم
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

نحن من أرخصوا النفوس الغوا لى فى سبيل العلا فنالوا افتخارا
شرف المجد أن نعيش كراما لا أرقاء ، نستكين صغارا (٢)
أو ننسى بالأمس مجداً تليداً قد أضعناه ذلة واحتقارا

* * *

إيه تاريخنا المعطر بالنور أبن ، وارو للعلى الأخبارا
وتكلم بل اصرخ اليوم فالقو م ، سكارى وما همو بسكارى
قل لهم يانيام : قد كان مجد يتخطى الآباد والأعصارا
هل رأيتم آثاره ، هل سمعتم وهو يبكى ، فقلدوا الآثارا
ذبل المجد فى يديكم طريا وشكا من جفافه الاندثارا
تلك أيامكم خوالد يزهو الدهر فيها ويستطيل فخارا
أنسيتم « ذى قار » والليل داج قبل « ذى قار » فازدهى واستنارا ؟
أنسيتم سيفاً من الله قد سـل على الكفر قاطماً بتارا ؟ (٣)
أنسيتم « صلاح » يقتحم الموت ويقتاد جحفلا جرارا ؟ (٤)
فعلام ارتضيتموا الذل قيداً وطليتم وجه الحضارة قارا ؟
أو لستم أبناء من نوروا الد نيا ، وكانوا بأفقها أنوارا ؟
أو لستم فتحتمو « الصين » و « الهند »
قديماً و « والصرب » و « البلغارا »

* * *

أيها الناطقون بالضاد هبوا من سبات طغى عليكم وجارا
ذى « فلسطين » قسمت بين قوم غمطوا حقها الصريح جهارا
عاث فى أرضها اليهود فساداً واستباحوا النساك والأخيارا
كم فتاة تبكي أباها وأم تتمنى لبنها الانتحارا
وفتى كالهزبر سيق إلى الذبح وفى قلبه التمرد مارا
وكعاب كزهرة الروض فى الحسن أزاحوا عن طهرها الأستارا
لهف نفسى « لقدسها » كيف أمسى لأخس الأنام مأوى ودارا

لا « صلاح » يرد عنها الأعادى لا ولا « خالد » يقيل العثارا
شغل العرب بالكلام عن الثأ ر وهل يأخذ الكلام الثارا

* * *

البدار البدار يا أمة العر ب، إلى الحومة البدار البدارا
لا تناموا على المذلة فالأبقا ر ، تأبى واستمو أبقارا
ذل من يحسب القيود سواراً فى يديه ولم يحطم سوارا
فسوار الذليل نير ثقيل ولو ان صاغه الدخيل نضارا
لا تقولوا خان الزمان وقولوا نحن خنا حفاظنا والذمارا
من أراد الخلود جرد سيفاً أو أراد الحياة بالعز ثارا
فزمان الرقيق راح مع الظلم وسوق النخاسة اليوم بارا

* * *

يا فلسطين ، يا أغانى البطولات عذابا على شفاه العذارى
أنت حلم النبى حققه العرب فأرضوا بذلك المختارا
يا منار الهدى لقد أظلم الحـق ، فكونى للحائرين منارا
لا تزالين مثلنا نشتكى القيد ، ونشدوا من وقعه الأشعارا

* * *

يا فلسطين ، ياسماء المروآت ، استفيقى فليل ذلك غارا
واستمدى للانتقام وكونى بركاناً ، إن مسه الضر ثارا
وأرسلى للجحيم كل ظلوم يتمنى لك الفنا والدمارا
واشهرى الحرب لا تهابى الصهاينة ، وصبى على الطواغيت نارا
واسحقى المارقين من نسل « سكسون » فهم قسموا البلاد ديارا
واغضبى وافضحى نوايا طغاة تخذوا الحنث فى الوعود شعارا
ثم ثورى كالعاصفات إذا هبت وكونى على العدى إعصارا (٥)
وإذا لامك الجبان فقولى : صدأ القيد فى أكف الأسارى

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

(٢) ـ الصغار بفتح الصاد ـ الذل
(٣) ـ سيف الله خالد بن الوليد
(٤) ـ إشارة لصلاح الدين الأيوبى
(٥) ـ إعصار مفرد أعاصير

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أثر الدراسات القرآنية في تطور النقد الأدبي

ألقى الأستاذ محمد خلف الله بك محاضرة بنادي دار العلوم يوم الخميس الماضي، موضوعها «أثر الدراسات القرآنية في تطور النقد الأدبي» ويبدو أن الأستاذ تحدث عن هيكل فكرته في هذا الموضوع حديثا مجملا مرتجلا، فقد أعد نقط الموضوع في ورقة كان ينظر فيها عند الحاجة للتذكر، ويخلط في حديثه بين العربية والعامية.

نبه الأستاذ المحاضر أولا، إلى أمرين يتصلان بالقرآن الكريم، الأول أن القرآن اعتبر منذ صدر الإسلام النص الأدبي الأول في اللغة العربية، والأمر الثاني أن الدراسات القرآنية خدمت اللغة العربية وأفادتها فائدة لم يقع مثلها للغة أخرى والأمران تنفرد بهما اللغة العربية دون سائر اللغات

ثم تتبع خطين في حياة النقد الأدبي، منذ ابتدأ عصر التأليف في القرن الثالث الهجري، يتمثل الخط الأول في الكتب التي ألفت خاصة بإعجاز القرآن وطرائق التعبير فيه، ويتمثل الخط الثاني في الدراسات الأدبية المتعلقة بالشعراء والخطباء والكتاب، فلما جاء القرن الرابع الذي ازدهر فيه التأليف وتميز بالتخصص في الموضوع، فألفت كتب في موضوعات خاصة وفي أفراد معينين بعد أن كانت المؤلفات جامعة — جرى ذلك أيضا فيما يختص بالبلاغة القرآنية؛ فألفت كتب في البلاغة كان الغرض الأول منها بيان ما في القرآن من إعجاز؛ وجمال في التعبير، وتعرض بعد ذلك لما ينطبق على النظريات البلاغية من النصوص الأدبية شعرا ونثرا. ثم جاءت بعد ذلك العصور المتأخرة التي تحولت فيها البلاغة إلى قواعد شغلت العلماء بالبحث والجدل فيها دون اهتمام يذكر بالنصوص ذاتها

وعنى الأستاذ في أثناء الحديث، بإبراز نقط، منها:

١ — أن كلمة «النقد» كانت مهجورة في الاستعمال، مع أنها هي التي تنطبق على تلك الدراسات من قرآنية وأدبية. وعلل ذلك بأن المتبادر من هذه الكلمة عادة بيان المحاسن والقبائح في النص المنقود، فتحرز الدارسون منها نظرا إلى القرآن الكريم، ولم يجرؤ على استعمالها إلا مؤلف أعجمي هو قدامة في كتابيه نقد الشعر ونقد النثر

٢ — اختفت الدراسات الأدبية — فيما عدا العمدة لابن رشيق — في العصور المتأخرة، ووجه المؤلفون كل عنايتهم إلى البلاغة باعتبارها أداة لإدراك بعض نواحي الإعجاز في القرآن وفهم أسرار البيان فيه، وكان غرض هؤلاء المؤلفين هو خدمة القرآن الكريم أولا وقبل كل شيء.

٣ — أن تراثنا في النقد الذي يتألف من كل تلك الدراسات يجب أن يكون أساسا أو ينبغي ألا يهمل في النقد الأدبي المعاصر الذي يجب أن يتكون من ذلك التراث ومما نقتبسه من مذهب النقد الغربية الحديثة

وفي نهاية الحديث توجه بالخطاب إلى أساتذة اللغة العربية في المدارس، متسائلا: ماذا ينبغي أن تتضمنه مناهج التعليم في المدارس الثانوية من تلك الدراسات، ولفت النظر إلى وجوب الاستفادة في المدارس الثانوية — وخاصة في السنتين الأخيرتين — من المباحث البلاغية التي تهتم بالنظر في النصوص، مثل دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر، وذلك إلى جانب القواعد البلاغية التي تدرس الآن، ويعنى مع هذا وذلك بأساليب النقد الحديثة

وأنا لا أدرى لماذا نصر على إرهاق التلاميذ في التعليم العام بتعليم البلاغة، وإن كنت أرجع ذلك إلى «القصور الذاتي!» الذي يدفعنا منذ القديم إلى سلوك هذا الطريق ..؟

أسأل أولاً: ما الغاية من تعليم اللغة للتلاميذ في المدارس في المرحلة التي نسميها التعليم العام؟ أليست هي أن يكتب الناشئون ويتحدثوا ويقرأوا كتابة وحديثا وقراءة عربية صحيحة؟ فما

هى الوسيلة إلى هذه الغاية ؟

المشاهد والذى أثبتته التجارب أن دراسة البلاغة بأنواعها لم تعمل غير تنفير التلاميذ من اللغة العربية ... وقد سمعت أحد المدرسين الذين عقبوا على المحاضرة يقول إن التلاميذ يفهمون التشبيه وأقسامه ويجرون الاستعارة ... الخ . وأقول إن التلاميذ المساكين يحفظون ذلك الكلام لأنه مطلوب منهم فى الامتحان فقط . .

ولقد رأينا شيوخاً درسوا البلاغة واستوعبوا ما فى كتبها ، وقضوا حياتهم فى تعلمها وتعليمها ، وهم لا يكادون يحسنون كتابة سطر فصيح أويلقون حديثاً بعبارة سليمة. وعلى عكس هذا الضرب من أساتذة البلاغة ودارسيها ، نجد الأدباء ، من كتاب وخطباء وشعراء ، تجرى أقلامهم وألسنتهم بالفصيح المعجب من الكلام العربى المبين ؛ وما أحسب هؤلاء قد وقفوا طويلا عند مباحث البلاغة وعلومها

فقولوا لنا أيها الأساتذة الأجلاء: أى الطائفتين (علماء البلاغة والأدباء) أجدر أن تكون مثلاق تحصيل اللغة العربية للناشئة من تلاميذ المدارس ؟

الأستاذ عبد الله حبيب :

أصدر معالى وزير المعارف ، فى هذا الأسبوع قرارا بترقية الأستاذ عبد الله حبيب مدير خدمة الشباب بوزارة المعارف إلى درجة مراقب

كشكول الأسبوع

◘ تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فأنعم برتبة البكوية على صاحب العزة و « الرسالة » الأستاذ أحمد حسن الزيات بك ومحرر هذا الباب يتخذ لنفسه صفتين ، فينوب عن قراء الأدب والفن فى تهنئة عميد الرسالة ، وينوب عن عزته فيشكر كل من تفضلوا بالتهنئة

◘ انعقد المكتب الدائم للجنة الثقافية بجامعة الدول العربية ، يوم ١٣ مايو الحالى برياسة الدكتور أحمد أمين بك ، ونظر فى موضوع المؤتمر الثقافى العربى الثالث ، فقرر أن يعهد ذلك إلى اللجنة التى قرر المؤتمر الثانى تأليفها برياسة معالى الدكتور طه حسين باشا وعضوية ممثلى الدول العربية والإدارة الثقافية لتنظيم للمؤتمر الثالث . وعلى ذلك تعتبر هذه اللجنة هى المختصة بتعيين زمان ومكان المؤتمر الثالث . والتمهيد له بما يتطلبه من الإجراءات

◘ فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية كرسيان خلوا بوفاة المرحومين الأستاذ احمد حافظ عوض بك والأستاذ عبد العزيز فهمى باشا وقد فتح باب الترشيح لملء هذين الكرسيين وتقدم بعض أعضاء المجمع بترشيح بعض الأسماء ، ومن المرشحين الأستاذ سلامة موسى الصحفى المعروف والدكتور رمسيس جرجس خبير للمصطلحات الطبية بالمجمع

◘ يعتزم الأستاذ زكى طليمات مدير فرقة المسرح المصري الحديث — تنظيم أسابيع أدبية فنية تربط النشاط المسرحى بالحركة الأدبية العامة. وسيبدأ بأسبوع « شوقى » فى ذكراه القادمة فى اكتوبر المقبل ، فتقدم الفرقة بعض مسرحياته ، ويحاضر بعض الأساتذة عن صاحب الذكرى وآثاره فى عالم الأدب والفن . وبعد ذلك ينظم أسبوع لبرناردشو فى نوفمبر ، وقد وقع اختيار الأستاذ زكى طليمات على مسرحية « رجل القدر » لشو ، لتمثل فى الأسبوع المذكور

◘ تلقيت من الأستاذ محمود أبو رية رسالة يفوح منها الألم . يقول فيها : « إنه خرج فى عهده (عهد الدكتور طه حسين باشا) فى وزارة المعارف ، رجل قضى

مساعد . وهذا التفات كريم من الدكتور طه حسين باشا نحو تقدير الأدباء الذين يعرف معاليه مقدار المعوقات التى تقف فى سبيل الحياة الكريمة اللائقة بهم والمثبطة لما يسكبون من عصارات النفوس وما يذيبون من شحوم الأعصاب إن كان لأعصابهم شحوم

وترقية الأستاذ عبد الله حبيب إلى مراقب مساعد إنما تعتبر أمرا ، بالنظر إلى ما فيها من استدراك لإهمال مضى ؛ وإزالة حواجز من سبيل الإنصاف وإنزال الناس منازلهم . أما المسألة فى ذاتها فليست بذات شأن كبير بالنسبة إلى هذا الرجل الذى توافرت له المنزلة فى عالم الأدب ، والمؤهل الرسمى العالى ، والخدمة الحكومية الطويلة ، ولكن الاعتبارات التى جرت الأمور فى مصر على أن ترفع التافهين والفارغين قضت على مثل عبد الله حبيب أن يظل فى الوظيفة — دون هؤلاء التافهين والفارغين . .

ظهر عبد الله حبيب فى عالم الأدب من نحو ربع قرن ، اشتغل بتحقيق أمهات كتب الأدب بدار الكتب المصرية خمسة عشر عاما ، وشارك فى النهضة القصصية المصرية الحديثة فكان أحد كتابها المبرزين ، وله مجموعات من القصص ظفرت بها المكتبة العربية فيما ظفرت به من القصص الحديث ، هذا إلى جهوده فى

الصحافة وما كتب فى النقد وما نظم من الشعر . وقد دار فى خدمة الحكومة دورة انتهت به إلى خدمة الشباب بوزارة المعارف. وما زلنا نذكر مهرجان الشباب للأدب والفن الذى قامت به الوزارة سنة ١٩٤٨ ، والذى كان عبد الله حبيب عمود النشاط فيه ، فكشف مواهب شباب تجلت فى الشعر والقصص والخطابة

فإن يقدر عبد الله حبيب بهذه الترقية ؟ فليس الأمر أن تزجى إليه التهنئة ، وإنما هو الاغتباط برعاية القيم والأقدار، فى وقت كادت تفقد فيه ما تستحق من اعتبار

مؤتمر اليونسكو :

وافق مجلس الوزراء فى اجتماعه الأخير ، على تأليف وفد مصرى فى مؤتمر اليونسكو برياسة معالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف ، وينتظر أن يبحر معاليه من الإسكندرية فى يوم ٩ يونيه

ويجتمع هذا المؤتمر بباريس ابتداء من يوم ١٨ يونيه ، فى دور انعقاده السادس ، وهو يضم أربعة وخمسين وفداً ، يمثلون الدول الأعضاء فى هيئة اليونسكو ، وكلهم من رجال التربية والعلوم والثقافة ، ولا يحضره أحد من رجال السياسة والحرب ، لأن الغرض من الهيئة العمل على تحقيق السلام عن طريق الرقى بالفكر الإنسانى

حياته كلها فى خدمة العلم والأدب بغير أن يسأل أحدا على ما يقوم به أجرا ــ فى حين كان له الحق فى البقاء بعمله إلى آخر ديسمبر سنة ١٩٥٤ ، ولم يفصح الأستاذ عن هذا الرجل بغير قوله إن الدكتور طه حسين يعرفه .. وقد تضمنت الرسالة عتابا أرجو أن يكون له موقع حسن فى قلب العميد الكبير

◘ قرر مسرح الكوميدى فرانيز بباريس ، تمثيل رواية « بجماليون » للأستاذ توفيق الحكيم بك

◘ جاء من باريس أن جامعة اكس آن بروفانس ، منحت الشاعر المصرى الأستاذ مختار الوكيل درجة الدكتوراه فى الآداب عن رسالته التى قدمها ، وموضوعها « الصحافة المصرية منذ عام ١٩١٩ حتى اليوم » والدكتور مختار من الأدباء الممتازين فى الشعر وفى الكتابة وفى الخلق ، ويسرنا أن نزجى إليه التهنئة

◘ أذاعت وكالة الأنباء العربية من بغداد أن السيد نورى السعيد رئيس وزراء العراق قبل إعادة الجنسية العراقية إلى السيد ساطع الحصرى ، وكانت هذه الجنسية قد سحبت منه لأسباب سياسية

◘ روى الأستاذ سيد إبراهيم ــ فى الندوة الكيلانية ــ ما جاء فى « الرسالة المصرية » لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز المتوفى فى سنة ٥٠٠ هـ ، وكان قد زار مصر ــ قال فى وصفها :

«فإن عيشها الرغد ؟ مقصور على الوغد،
وعقابها للر ، موقوف على الحر
وكم فى الأرض من بلد ولكن
عليك لعقوتى وقع اختيارى »

◘ نشرت « الأهرام » أن المباحثات بين وزارة الخارجية وبين مجلس المراقبة الدولية فى طنجة ، أسفرت عن موافقة هذا المجلس على إنشاء معهد فاروق الأول للثقافة الإسلامية فى طنجة، على غرار المعهد الذى أنشئ فى مدريد

◘ فى أحد الاحتفالات بذكرى « إقبال » فى كراتشى وقف الدكتور عبد الوهاب عزام بك سفير مصر فى الباكستان ، فتكلم باللغة الأوردية فى ذكرى الشاعر

وقد اتجهت اليونسكو أخيرا إلى رفع مستوى الجماهير فى العالم فوضعت مشروع التربية الأساسية الذى يقوم على أن يحصل كل فرد من أفراد العالم على حد أدنى من العلم والمعرفة يمكنه أن يعيش كريماً موفور الحاجات غير غير قابل للاستغلال أو الاستبداد ، فاهما مطالب بيئته وحاجاتها ، مشبعا بروح التعاون على خير المجتمع

وسوف يهتم المؤتمر الحالى بذلك المشروع فينظر نتائج التجارب التى اجتازها ، ويرسم الخطط الكفيلة بتحقيقه على نطاق واسع

ومن المسائل المعروضة على هذا المؤتمر،والتى تتصل بالأغراض المصرية العلمية،موضوع الدراسات الصحراوية، فقد كان لإنشاء معهد فؤاد الأول للصحراء، عصر صدى كبير فى الهيئات العلمية الدولية ، وكانت اليونسكو قد أنشأت مؤسسة لمشاكل المناطق الجرداء ، وسيهتم المؤتمر بدراسة الخطوات العملية التى يجب اتخاذها لتعزيز هذه المؤسسة . والمرجو أن تستفيد مصر من الأبحاث التى تجرى فى هذا الموضوع فهى من أشد البلدان حاجة إلى استغلال الصحارى الواسعة المحيطة بها . ومما يذكر أن أراضى مصر المزروعة لا تزيد على جزء من عشرين جزءا من أراضيها ، والتسعة عشر جزءا الباقية صحارى جرداء

ومن تلك المسائل ، ترجمة روائع

الكتب بين اللغات المختلفة ؛ وقد سبق أن دعا معالى الدكتور طه حسين باشا إلى الاهتمام بهذا الموضوع فى مصر ، وألفت لجنة فى وزارة المعارف لدراسته

وسينظر المؤتمر أيضاً فى انتخاب عضو مصرى فى المجلس التنفيذى لليونسكو ، بعد أن انتهت مدة الأستاذ محمد شفيق غربال بك الذى ظل عضواً فى هذا المجلس منذ إنشاء هذه الهيئة

عباس خضر



شباب وغانيات

تأليف الأستاذ محمود تيمور بك

للدكتور زكى المحاسنى

فى حياة كل أديب تطور . والأديب الذى يجثم على حال لا يريم عنها يكون صخرى السجية ، كأنه قد سمر بمكانه . وليس من صفات الحياة الجمود ، وأفضل ما يميز الأحياء الحركة والتطور . كذلك حقت هذه الحالة على الأديب وعلى أدبه فكان أجل ما يميز واحداً من غيره دراستنا لمراحل هذا التطور فى أدبه وشؤون تفكيره . ولو أتيح لكل أديب أن يسجل آثار العوامل التى غيرت مجراه ؛ كما تغير أحداث الطبيعة مجارى الأنهار ، وكما تبدل المواسم والفصول هبات الرياح ؛ لأتى على ذكر أمور تغرى بالمعرفة ، فيها غرابة وفيها ظرف كثير . لم يتعود ذلك أدباؤنا ليوفروا المؤونة على النقاد والباحثين . وكان خيراً لو فعلوا ذلك ؛ فهم أعلم بمصائر شعورهم وسير نفوسهم بين الأماسى والأصباح وعلى أطراف الشهور والسنين

وصديقنا القاص الكبير الأستاذ محمود تيمور بك قد خضع أدبه لهذا الميزان الاجتماعى والقياس النفسى . وأنا أجد أدبه مواتياً لذلك فى تطوره واتساع آفاقه . لقد بدأ أدبه مرسلا على السجية لا تأخذ لفظه وتعبيره عنجهية ولا كلفة . وكانت قصصه تجتذب قارئها بمعانيها وبساطتها . وكان القارئ يسلك إلى تلك المعانى من طريق قصيرة قريبة ، وإن تكن طريقاً غير ممهدة الجنبات ، ولا مفروشة الثرى ، بالبلاط المنقوش

وحين استوى الأستاذ تيمور بك على أمد من الشهرة فى عالم الأدب المعاصر أخذت قصته بالتطور ، فأطلقت العبارة جناحيها فى قصصه ، وصار قراؤه يضمون إعجابهم بفنه القصصى إلى إعجابهم بأسلوبه وأدائه . وهذه الطريقة من التعبير الحر الذى ينبغى أن يضمن للقصة تخليدها . وقديماً قيل : ما خلد المرء مثل أسلوبه . وكان الجاحظ من هذا الفريق الذى يؤثر جمال اللفظ وحلاوة المعنى ، بل كان يقول أكثر من ذلك فى أن المعانى مطروحة بالطريق

ذلك ما أراه من آثار التطور فى أدب القاص تيمور بك فى مرحلة أولى من مراحل تجديده . ثم حدثت آثار ثانية فى قصصه تدعو إلى أن تمد مذهباً تجديدياً ، أو تطوراً آخر

فلقد عرفناه فى أكثر قصصه ذا سمت ووقور ، غير متخفف فى اللفظ ولا فى المعنى ، يسوق الحوادث فى تجوالها الاجتماعى فيصور الشخوص تصويراً رائعاً ، ويحلل المشاعر تحليلا دقيقاً . آخذاً من البسيكولوجى بنصيب كبير . لكنه لم يكن قبل هذا الكتاب الجديد الذى أخرجه للناس وسماه « شباب وغانيات » قد خاض فى حوادث الغرام المنيف العارم

كنت أقرأ منذ سنين قصة آنا كارينين للشيخ تولستوى فأعجب للعنف فى تصوير الغرام الآثم الذى يهدد الأسرة ويشتت شملها ؛ ويرمى الزوجة فى مطارح الرذيلة ومطاوى الخلاعة والعار ، فلما قرأت قصص شباب وغانيات لتيمور بك قلت الآن أجد فى شخوصه مثل ذلك الصخب النفسى الذى يصرخ فيه الهوى بصوت جاهر صراخ الذئاب النهمة التى يملو عواؤها حين تمس فى سواد الليالى

كان سامى ، وهو بطل القصة الكبيرة من هذه المجموعة القصصية ، صفحة نقية ، لكن القدر شاء أن يسطر فيها بمداد

الهوى سطورا فيها آثام وفيها تحول عنيف . فهو لم يسلم في صغره من المفاسد . فحاضنته أم خضير تعلمه فنون الإغواء والإغراء . ثم نجد بطل القصة وهو سامى قد وقع في حبين .. واحد لفتاة كانت بنت ناظر في المدرسة الابتدائية التي كان يتعلم فيها ، وحب ثان وقع فيه لبنت امرأة سربة كانت تفد عليهم من استانبول بين الحين والحين . وتلتقى الفتاتان في بيته ، وتكيد الغنية منهما للفقيرة

وبعد ذلك تشتبك حوادث القصة اشتباكا فيه تعقيد حينا وفيه إسجاح حينا آخر ؛ حتى يطلع المؤلف على القارئ بفجاءات هن من أجمل الفن القصصي التيمورى ، ما كان أبرعه في أدائها ، فإذا أخو سامى وهو الذى نشأه ورباه يتزوج الفتاة المترفة اللعوب التي كان يعشقها سامى . ويغوص سامى في وحول من المساوئ الخلقية فيكون عشيقا لزوجة أخيه . ثم يموت أخوه ويكر الزمن كرته ويتسفل سامى ويرتاد بيوتاً داعرة ، فإذا هو ذات ليلة يرى في مخدع من مخادع تلك البيوت الدنيئة زوجة أخيه

وههنا وجه التطور الجديد في قصة تيمور ، فإن هذا القاص قد عرف أن الأجيال الآتية والمعاصرة ستحاسبه على قصصه ، وسيقول له قائلوها الناقدون الذين لا يشفقون ، إنه أهمل العنف في الحوادث الاجتماعية والغرامية وهي تقع في الوجود ؛ بل تكاد تكون مسارح زمننا وألاعيبه ، فأراد أن يدخل بقصصه في هذه الزاوية . وهو تطور حديث المرحلة في القصة التيمورية

واستطاع تيمور بك في مجموعة قصصه كلها — منذ كتب القصة ـ أن يصور الطبقة الأرستقراطية لأنه قد عرفها وعاشرها وعايشها ، وهذه الطبقة لا يزال الفن يطالبه في تحليل أغوارها وأسرارها . أما الطبقات التي دون ذلك فلا يخلو أدب القصة عند تيمور بك من تصوير معايشها وما يلقى البؤساء فيها من ضروب الحرمان . ويعوزه ههنا تصوير أعمق وجلاء أكثر . فلقد سألوا الشاعر القاص المعاصر فرنسيس كاركو كيف استطعت أن تصور المباءات الشقية المعوزة التي يصهرها الفقر كما تصهر النار ذوب الحديد ؟ فقال :

ـ إنى عشت فيها طويلا وتمرغت في حمأتها الوبئة

وقد آخذ على عميد القصة المعاصرة أنه ليس ذا نزعة فلسفية خاصة ، أو آراء معروفة بعينها يبثها خلال قصصه فيحملها شخوصه

لقد كان دوستويفسكي يحمل شخوصه آراءه . وفعل ذلك أناطول فرانس ، وبورجيه ، وشارل موراس ، ويفعل هذا كثير من القصصيين المعاصرين . وقد سمعت كثيراً من آراء دوهاميل في كلام شخوص رواياته ، وبدا لي تحليل نفسه خلال أبطاله . وهذا يعود إلى طبيعة المؤلف وحالته من هدوء يلازمه أو إعصار يهيجه

ورائد القصة المعاصرة تيمور بك في قصته الأخيرة شباب وغانيات دخل زاوية جديدة في فنه إذ أدخل لوناً عنيفاً على قصصه. وسيأتى دهر ينظر فيه القارئون أدبنا المعاصر ويؤثرون يوم ذاك التصريح على التلميح ، والنقد على التقريظ . وجدير بنا ألا نترك لهم مجال القول فينا ذا سعة؛ لأن بأيدينا تصور الوجود على ما هو موجود دون غلو وتقصير . ومن حق القراء على الأدباء ألا يقصروا من أجلهم في تعمق الأمور وجلاء الصور . كما يكون من شأنهم أيضاً أن يستخلصوا من أبطال الرواية آراء المؤلفين

هذه كلمة في ثمرة واحدة من شجرة طيبة خيرة . وتيمور بك جواد في التأليف ، خير بالقصص ، يتمنى النقاد والكاتبون أن لو تناولوا آثاره كلها بالدرس والتحليل . فإنه لا تشرق الفليل حسوة من ماء عذب فرات ، ولا إطلالة واحدة على روض جميل. وما كان أدب تيمور إلا النهر العذب والبستان الخير الريان

القاهرة زكى المحاسنى

القسم الاول

من كتاب الملل والنحل

تحقيق وتعليق الأستاذ محمد فتح الله بدران

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

ظهر هذا الكتاب القيم ، أو على الأصح القسم الأول منه في ٦٧٢ صفحة من الحجم الكبير بتحقيق وشرح وتعليق الأستاذ الجليل الشيخ محمد فتح الله بدران الأستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف

وقد عكف الأستاذ بدران نحو عشر سنين على كتاب الملل والنحل للامام الشهرستاني المتوفى عام ٥٤٨ هـ ــ ١١٥٣ م دراسة وبحثاً وتحقيقاً ، وهذا القسم هو أول ثمرة لهذا المجهود العلمي المشرف الطويل ، وسيليه الأقسام الثلاثة الباقية المكملة للكتاب بتعليق الأستاذ بدران ، حيث حقق نصوص الكتاب ، وعرض أصوله وابتكر فهارسه ، وانفرد بتقسيمه ، ومهد لتخريجه ، وعلق عليه ، وحلل الكتاب ، وترجم لمؤلفه

ومما يضاعف من قيمة هذا العمل العلمي القوي المشرف أن الناشر نشر مقالة زردشت في المبادئ التي سقطت من شتى طبعات الكتاب وترجماته ، ومن الكثير من مخطوطاته أيضاً ، وأنه نشر مقدمة الكتاب التي قدم المؤلف بها كتابه للوزير نصير الدين ، وقد سقطت كذلك من طبعات الكتاب المتعددة . . هذا فضلا عن تقسيمه الكتاب تقسيما علميا منظما ، وعنايته الكبيرة به في النشر والإخراج

إن هذه الخدمة الجليلة لكتاب « الملل والنحل » لتدل على مواهب أصيلة ، واطلاع عميق ، ودراسات واسعة ، وفضل كثير ، وهي لون من ألوان كفاح العلماء في سبيل الثقافة الإسلامية وإحياء آثارها ، فحيا الله الأستاذ بدران ، وبارك هذا المجهود الحافل

محمد عبد المنعم خفاجي



تحقيقات جغرافية :

إذا كانت محطة الإذاعة المصرية قد ضربت الرقم القياسي في الأخطاء النحوية واللغوية ، وفي توارد اللحن على ألسنة المذيعين والمحاضرين والمحدثين ، فإنها قد حرفت في أحيان كثيرة أسماء البلاد الجغرافية

وذلك لأن الكثيرين فيها ينسون أو يتناسون عمداً أنهم في بلد عربي إسلامي ، اسمه « مصر » ، وللعرب والمسلمين تاريخ طويل ، مملوء بالحوادث والأمجاد والأيام حلوها ومرها ، وقد تركوا وراءهم دويا في العالم ، وصبغوا أنحاءه بلغتهم وثقافتهم وأفكارهم ، وهذا شيء لا يمكن أن يزول ويفنى بالسهولة التي يتصورها البعض في مصر ، والأسماء التي أطلقها العرب على البلدان في العالم هي التي يجب أن نسميها كما نطقها العرب عندما تذاع نشرة الأخبار من محطة الإذاعة المصرية . فنحن لا ننحت أسماء غريبة عنا ، ولا نقلد الفرنجة في نطقهم ، وإنما نريد أن نسمع الأسماء تذاع كما كان ينطقها العرب

من قبيل ما سمعته ووعته أذني :

توليدو	بدلا من	طليطلة
سفيل	»	إشبيلية
جراندا	»	غرناطة
كازا بلانكا	»	من الدار البيضاء
ألجيه	»	من الجزائر

وقد تعود بعض المذيعين بنطق بيرما - على الطريقة الأميركية بدلا من بورما

فهل نجد من يلفت نظارهم إلى تحقيق الألفاظ الجغرافية التي قد أذاعتها ؟ إننا نؤمل وننتظر !

كنت منذ أيام في زيارة لصديق عزيز وأستاذ كبير ، فوقع في يدي كتاب تحت اسم « أطلس تاريخ القرن التاسع عشر » ، تأليف وجمع الأستاذين أحمد نجيب هاشم ومحمد محمود نجا ، طبعته مكتبة النهضة المصرية في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وبينما أقلب صفحاته وقع نظري على الخريطة (٦) أمام الصفحة (١٦٦) وهي خريطة خاصة بحملة الدردنيل سنة ١٩١٥ ، فرأيت الأسماء منقولة من الأصول الأفرنجية ؛ نقلا حرفها تماما عن أصولها ؛ خذ لذلك مثلا

كوم كيل	بدلا من	قوم قلعة
نشاناق	»	جناق قلعة
اتى بابا	»	عنى بابا

زد على هذا التحريف في كيليد البحر ، وسد البحر ، وغير ذلك من الأسماء التي كان يسهل على المؤلف الجغرافي أن يرجع في تحقيق أسماء البلدان إلى الأصول العربية والتركية وهي معروفة ومتداولة

لقد راجعت قبل كتابة هذه الكلمة الخرائط الواردة في مؤلفات فون ساندرس والقواد الإنجليز عن الحملة وما نشره ضباط البحرية عن العمليات التي قام بها أسطول الحلفاء : وبين يدي مجموعة الجرائد المصرية لذلك العهد وفيها ذكر الدفاع المجيد لهذه الأسماء التي نقلتها صحف مصر وقتئذ بأسمائها الصحيحة كما أوردتها ؛ فهل ننتظر ونؤمل من المشتغلين بأمور الجغرافيا بعض الاهتمام بأمور التاريخ كما يفهمه المسلمون ويعرفه العرب

أحمد رمزي

قطع الحديث

يتصل بقولة « الزيات بك » الرائعة ؛ في أدب الحديث ما تتزاحم به الألسنة من أساليب المقاطعة ، ونقول « الأساليب » لأن أصحابها يفتنون في طرق أدائها ويفتنون بها افتنانا !

وأن لهم تعابير عجيبة في الاعتذار عن المقاطعة ؛ فهم يتظارفون ويتملقون الذوق بقولهم : « ... نقول والكلام لك » أو « ما قطع حديثك إلا كل خير » أو « وأنت الصادق » ...

وعندي أن الاعتذارات ليست سوى دلالات على الاعتزاز بالرأي ولو كان باطلا ، وفيه مغزى من مغازي الغرور الدال على

النقص فى التربية الاجتماعية !

إنى ليقف فى حلق القول حتى أكاد أشرق به بعد أن أسمع مقاطعة ثقيل يريد أن يقول بطريق غير مباشر : « اسكت أنت فأنا أعلم منك بما تقول » ، أما هذه الاعتذارات المفتعلة ، فهى أقنعة تغطى بها شناعة الأكذوبات !

كان الإمام على يسأل عن الشخص ؛ فإذا لم يعلم له حرفة سقط من عينه ؛ فيجب أن يكون هذا شأننا مع متصدرى المجالس ، نستدرجهم إلى الحديث حتى تلوك ألسنتهم أشداقهم ؛ فإذا وقعت السقطات حق لنا أن نمد الأرجل على حد تعبير الأخفش النحوى !

إن كل نقيصة فى هذا المجتمع مردها إلى المجاملة ، وعدم المجاهرة بالرأى ، وإغفال ذى البله والغفلة !

يجب أن نهذب هؤلاء المضايقين ماداموا جاهلين بآداب المجتمع ؛ فليس القصد من العلم حشو الرؤوس؛ بل معرفة تقاليد البيئة ، وأساليب السلوك الصحيح التى تحدد معنى الحياة الكاملة

بور سعيد **احمد عبد اللطيف بدر**

الى الزيات بك

ترددت طويلا قبل أن أكتب إليك على صفحات «الرسالة» فما اعتدت أنت أن تنشر ثناء على نفسك فى صفحات مجلتك ، ولا اعتدت أنا أن أوجه إليك مثل هذا الثناء ، لأن الثناء الحق هو ما احتفظ به الإنسان بينه وبين نفسه كما يقول الدكتور طه حسين باشا

وأحب بعد ذلك أن أقول لك إننى سمعت منذ ثلاثة أعوام أو نحوها أن كلية الآداب فى جامعة فؤاد الأول رشحتك لكرسى الأدب المعاصر ، بيد أنك تنحيت عن هذا المركز الأدبى الممتاز لدواع صحية . وبعد ذلك فكر بعض الزملاء الصحفيين فى ترشيحك عضواً لمجلس النقابة توطئة لانتخابك نقيباً للصحفيين . ولكن قال قائلنا إن « الأستاذ الزيات » عزوف عن مثل هذه المظاهر !

أما انتخابك عضواً فى المجمع اللغوى ، فقد كان – كما علمت – مفاجأة لك ، لأنك لم تسع إلى هذا الشرف وإنما سعى هو إليك سعياً . ولو قد ترك الأمر إليك لآثرت أن تبقى بعيداً عن هذا المنصب الخطير معنيا بأمر مجلتك وأمر « رسالتك » !

وكذلك « الرتبة » ياسيدى ، سمت إليك مختالة تجرر أذيالها ، ما فكرت أنت فيها ولا طلبتها ولا رجوتها ، وكذلك يسعى إليك المجد دون أن تسعى إليه، وتتهالك عليك العظمة دون أن تتهالك عليها !

وأحسب أن هذه الكلمة لا تدخل فى باب الثناء ، ومن هنا فإنى مصر على نشرها ، وهبنى أثنيت عليك ، فهو ثناء التلميذ على الأستاذ ، والصديق على الصديق ، وحسبك هذا التقدير السامى الذى دونه كل تقدير

منصور جاب الله

التهذيب للازهرى والتكملة للصاغانى

كتب إلينا الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار يقول : عثرت بمكتب شيخ الإسلام عارف حكمة الله الحسينى فى صيف العام الماضى على نسخة كاملة صحيحة نظيفة جميلة الخط والشكل من معجمى « التهذيب » للامام الأزهرى و « التكملة » للامام الصاغانى ، وهما بحالة سليمة ، عثرت بهذين المعجمين العظيمين مصادفة بتوفيق من الله وحده بين ثمانية آلاف من المخطوطات، بعضها من فوق بعض ، وقد استخرت الله فى نشرهما فشرح صدرى وأعاننى ، وقد درست كلا المعجمين وقرأتهما قراءة درس وتمحيص فلم أجد بها غلطة واحدة فى الخط أو الشكل ، مما يدل على العناية الكبيرة التى بذلت فى نسخهما نسخا سليما من الخطأ

وقد رأيت أن أقوم برحلة إلى شمال أفريقيا وأوروبا وأطلع على المكتبات التى تحوى ذخائرنا وكنوزنا التى أهملناها وأغفلناها ، وأفاد منها من يريد بنا السوء والشر ؛ رجاء أن أجد بها مايعيننى على نشر ماأردت نشره . »

بمكة المكرمة **أحمد عبد الغفور عطار**



أشــباح

للكاتب النرويجي هنريك أبسن

بقلم الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

تعريف: هذه مسرحية قال عنها النقاد : « إنها عمل أدبي خلق قبل أوانه » فقد أثار ظهورها سنة ١٨٨١ م ، ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية في كثير من أنحاء العالم ، وأبت المسارح تمثيلها في ذلك الوقت ، لأن الناس كانوا لا يدركون ما يرمى إليه المؤلف من آراء جريئة . وقد ظلت مسرحيتنا هذه حبيسة الملفات ، سجينة العادات ، حتى إذا كانت النهضة القومية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين جرؤ بعض أصحاب المسارح فنفض ما تراكم عليها من تراب السنين ، فمثلت ونجحت نجاحا تعدى المسرح النرويجي إلى كثير من المسارح العالمية ، فترجمت إلى كثير من اللغات منها الإنجليزية والفرنسية وغيرها ، ولم يلبث المؤلفون المسرحيون أن حذوا حذوها في مسرحياتهم بل واتخذها كثير من العلماء الباحثين موضوعا لأبحاثهم في الوراثات التي يورثها الآباء أبناءهم. وهذه الوراثات منها الطيب والخبيث . والفكرة الرئيسية في هذه المسرحية أن (الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون) . فالأب في هذه المسرحية خدن للشيطان ، حليف للشر ، عبد للشهوة ، أصيب بالجنون ومات إثر نوبة قلبية متأثراً بما كان يتعاطاه ، وقد ورث عنه ابنه الاستعداد للاصابة بهذا المرض رغم أنه لم يكن يعرف أن له أباً شريداً مصابا بالجنون . .)

ولقد عنى المؤلف بالفكرة أكثر مما عنى بالأشخاص ، فجاءت المسرحية قوية الموضوع ، ضعيفة من ناحية الأبطال ، الذين جعلهم كأنهم قطع شطرنج يتحركون بغير روح

المسرحية: — مستر انجستراند رجل محب للمال يعمل للحصول عليه من أقصر طريق ، ويريد الوصول إليه بغير كد ولاعناء ، ولا يهمه أن يكون الطريق شريفاً أو وضيعا ، فهو لا يحفل بالشرف ، ولا تستهويه الألفاظ الرنانة التي يتشدق بها الآخرون عن الشرف والفضيلة ... الخ

فإذا رفع الستار نراه يتحادث مع ابنته (ريجينا) يحاورها ويراوغها ، ونسمعه يفاوضها في بيع شرفها بالمال لحسابه الخاص ، ويطلب منها أن تقدم جسدها طعمة سائغة لمن يدفع أغلى ثمن ، فإن رأى منها الإعراض والتأبى ، ذكرها بما يجب عليها من طاعته واكتساب رضاه ... ولكن الابنة ترفض طلب أبيها في إباء وشمم ، وتأبى أن تستسلم لإغرائه ، فإذا حاول أن يثنيها عن عزمها ثارت في وجهه ونهرته ثم تطرده من المنزل الذي يقيم فيه ، فهي تقيم في منزل ربيبتها مسز (الفنج) وهي امرأة واسعة الثراء اشتهرت بالغنى واليسار

إن (ريجينا) لا تملك قلبها الذي يريد منها أبوها أن تبيعه لدافع الثمن الأكبر ، فقد وهبته من زمن (لإسوالد) ابن مسز (الفنج) صاحبة البيت الذي تربت فيه ، فقد التقت به كثيراً كلما عاد إلى بيت والدته من غربته ، فأحبته (ريجينا) ووهبته قلبها .

و (إسوالد) هذا وحيد أمه ، ولكنها قد أبعدته منذ صغره عن البيت الذي تعيش فيه مع أبيه ، فأثار هذا زوبعة من اللغط والحديث بين أهل القرية ، وخاض أهلها في كثير من التفسيرات المختلفة عن عدم حبها لابنها الوحيد ، وقسوة قلبها وجمود عاطفتها

وأنه لولا ذلك لما أرسلت ابنها الوحيد إلى إيطاليا ليعيش هناك بعيدا عنها وعن أبيه

والحق أن كل هذه التفسيرات لم يكن شيء منها صحيحا ، فلم تكن مسز (الفنج) قاسية القلب غريبة الأطوار ، بل إنها كانت على عكس ذلك رقيقة القلب جياشة العواطف ، حسنة التصرف ، ولم يكن إبعادها لابنها ليتعلم فن الرسم كما كانت تقول هي لمن يسألها ، ولا كرها له ولا قسوة عليه كما يقول الناس ، وإنما الذي أوحى إليها هذا العمل ، هو حبها لابنها وعطفها عليه ، فقد أشفقت عليه أن يعيش مع أب شريد عربيد كالمستر (الفنج) الذي لا يفيق من سكره ؛ وإن أفاق قائما ليبحث عن امرأة ساقطة يقضي الليل بين أحضانها ، لقد أشفقت على ابنها ولم تشأ أن ينكب

فى أبيه كما نكبت هى ، فعملت على إبعاده عن الجو المشبع برائحة الخمر والدعارة

فكم قاست من شرور زوجها وآثامه وهى صابرة محتملة ، فلم ترد أن يتحمل ابنها شيئاً مما لاقته فعملت على إبعاده ، ونجحت فى إنقاذه من شرور أبيه وتربيته بعيداً عنه؛ ولكنها لم تستطع أن تنقذه من الرذائل والعادات السيئة التى ورثها عن أبيه ، فقد انتقلت الشرور والآثام من الأب إلى الابن فى الدم كأنها أشباح سوداء فى ليلة مظلمة . وكان من أثر هذه الوراثة أن نشأ (إسوالد) معتل الجسم فى عقله استعداد للاعتلال عند الصدمة الأولى . ولقد نصحه طبيبه الإيطالى بأن يريح عقله وجسمه فلا يرهقها بمجهود عنيف، وأنذره إن لم يتبع نصحه فسيلقى حتفه عن هذا الطريق

فلما مات الأب الشريد ، أرسلت مسز (ألفنج) إلى إيطاليا تستدعى ابنها ليعيش فى كنفها ، فلما حضر منحته عطفها وحنانها اللذين حرمته منهما قسوة الأيام وفساد أخلاق الأب

والتقى (إسوالد) و (ريجينا) تخفق قلباهما اللذان أصابهما كيوبيد بسهمه ، وقد مهد لهذا الحب تلاقيهما فى المرات السابقة التى كان يحضر فيها الشاب لزيارة أمه ، على رغم قصرها، فلما عاد هذه المرة التى سيبقى فيها طويلا، أطلقا لنفسيهما العنان، وأصبح كل منهما لا يستطيع فراق الآخر، وكانت الشواهد تدل على أنهما فى طريقهما الطبيعى نحو الاكتمال والسعادة المحققة التى ينشدها كل حبيبين

فلما رأى مستر (انجستراند) والد (ريجينا) هذه البوادر عز عليه أن يفقد ابنته التى يريد أن يستخدمها فى مآربه الدنيئة فعاد يحوم حولها ، ينذرها حيناً ويرغبها حيناً آخر . فلما أبت أن تكون فريسة شهية لرواد منزله ، لجأ إلى القس (ماندرز) يشكو له ابنته العاقة التى تأبى أن تعيش معه ، وتؤثر أن تعيش مع سيدة قاسية غليظة القلب كالمسز (الفنج) التى سبقت أن أبعدت ابنها ليعيش بعيداً عنها محروما من عطف أبيه وحنانه إنه لا يأمن على ابنته فى هذا المنزل وخصوصا بعد عودة (إسوالد) الشاب .

وصدق القس كلامه وخدع بمعسول قوله لأنه كان ينظر إلى مسز (الفنج) نظرته إلى امرأة فظة قاسية ، ولأنه لم يكن يعلم لماذا أبعدت ابنها عن أبيه ، فذهب إليها يأمرها أن ترد البنت إلى كنف أبيها الحنون

وهنا تضطر مسز (الفنج) أن تعترف للقس بالسبب الذى من أجله أبعدت ابنها وما كان من أمر الأب الشرير الساقط ، وتفهمه أن زوجها قد خانها مع خادمة لها . فتقول له :

ـ إن (ريجينا) ليست ابنة مستر (انجستراند) فيسألها القس متعجبا وكيف ذلك ؟ فتقول له :

ـ لقد فاجأت زوجى والخادم بين أحضانه وهما فى وضع مشين والخادم تقول له : أوه ... أوه ... مستر الفنج ... اتركنى .. أرجوك أن تتركنى) فاضطررت إلى طرد الخادم الفاسدة الخلق بعد أن منحتها مالا تعيش منه

وقد تزوج مستر (انجستراند) من تلك الخادم الساقطة من أجل مالها التى أعطيته لها ، وبعد أشهر خمسة من زواجهما أنجبت له (ريجينا)

فدمدم القس قائلا : (إنها خادم فاسدة حقا)

ولكن مسز (ألفنج) لا تلقى بالتبعة كلها على كاهل المرأة الساقطة دون أن تحمل شريكها الذى بذر معها بذور الخطيئة ثم تخلى عنها وقت العقاب ، بعض الذنب ، فتجيب القس قائلة :

(يخيل إلى ياسيدى أحيانا أننا نعيش فى عالم كله رياء ، وأننا جميعا ساقطون وأن أخطاء الأموات حية فى دمائنا ، قد أورثوها إيانا ، وإنى أصارحك أنى أرى هذا العالم يحوى من الخطايا والشرور أكثر مما يحوى من حصى الأرض ورمل الصحراء ، وإننا جميعا نهرب من الضوء ونخشى الظهور فى النور لنعيش فى الظلام الذى يحجب خطايانا عن عيون الغير)

فقال لها القس وقد ظهر الغضب على وجهه حتى ارتعشت لحيته : (كيف تقولين إننا جميعا ساقطون وإننا نهرب من الضوء ؟)

فقالت له : (ألم تزوجنى زواجا فاسدا باطلا ؟) فقال لها (كيف ذلك ، إن زواجك قد تم وفق القانون والواجب ، وهما عمودان شامخان يباركان حياة الزوجية الماضية) فقالت له (إذا كان القانون والواجب ، يرغمان الإنسان على أن يوقف حياته الصالحة على احتمال آثام رجل شرير فاسد لا يرجى منه خير ولا يؤمل فيه صلاح .. فإنهما عمودان شامخان يرمزان إلى مفاسد العالم وآثامه)

ولم تكد مسز الفنج تتم حديثها حتى يدخل مستر (انجستراند) ليسأل القس عما تم ويستشهد به فى طلب ابنته ، ولكن القس

يثور عليه فى وجهه إذ كيف يتزوج امرأة ساقطة نظير مالها

فيجيبه مستر (انجستراند) بهـدوء تام قائلا : « أليست الشرائع السماوية تأمرنا ، أن نمد العون لمن تزل قدمه ؟ (فيؤمن القس على قوله) فيواصل (انجستراند) قائلا فأنا قد سمعت أمر السماء وانتشلت والدة (ريجينا) من الوحل الذى ألقاها فيه مستر (الفنج)

كان ذلك عندما اقتحمت يوما أحد المراقص الأرستقراطية هناك فى المدينة حيث تراق الخمر كالماء ؛ وتبعثر الأموال ذات اليمين وذات الشمال بغير حساب ، والفقراء هنا فى القرية يقتلهم الجوع ويفرى أجسامهم البرد ، وهناك النساء مرتميات كأنهن الوسائد . وقد اقتحمت ذلك المرقص محاولا زجر أولئك القوم عن آثامهم التى يرتكبونها ، ولكنهم لم يسمعوا الى بل ألقوا بى إلى الخارج فكسرت إحدى ساقى، وفى محنتى تقدمت إلى والدة (ريجينا) وساعدتنى على الوصول إلى دارى ، ثم اعترفت لى أن رجلا سلبها عفافها ، فقلت لها لقد ارتكبت جرما وأصبحت امرأة ساقطة تحملين الإثم والفجور ، ولكن ها أنا ذا أقف بجانبك لأنقذك مما أنت فيه حتى لا تضيفى إلى أبيك آثاما أخرى، وقد أنقذت المسكينة حتى لا تكون خطيئتها مضغة الأفواه .

وخدع القس بهذا الكلام الزائف ، فلبث برهة صامتا لا يتكلم . وهو ينظر إلى مسز (الفنج) كأنه يؤنبها على ما قالت فى حق (انجستراند) وفى أثناء ذلك خرج (انجستراند) من الدار ليعود إلى المنزل الذى يديره

وهم القس بالكلام مع مسز (الفنج) ولكنهما سمعا صوت (ريجينا) من الداخل تصيح :

أوه ... أوه ... مستر إسوالد ... اتركنى ، أرجوك أن تتركنى ...)

ويعقب هذا أصوات اصطدام أشياء ، فيلتفت القس إلى مسز (الفنج) ويسألها عن مصدر هذا ، فتجيبه وقد أدركت كل شئ (إنها أشباح مثقلة بالآثام والشرور ورثها الابن عن أبيه) . .

* * *

ثم يخرج القس وتستدعى مسز (الفنج) إليها إسوالد وتسأله عما حدث بينه وبين (ريجينا) فيقسم لها أنه لم يحاول الإساءة إليها ولكنه يحبها ، ويثق أنها تحبه حبا صادقا ، فيقول لها :

إن حبها هو الذى صاننى عن كل عبث وحال بينى وبين ما كنت أهم بارتكابه فى غربتى . ولقد هممت كثيرا أن أفعل ما يفعله الشباب ، ولكن كان مجرد تفكيرى فى أن هذه الفتاة البريئة الطاهرة الذبل تنتظر أوبتى وأنها تمدلى ذراعها لأنلقاها ، كان هذا وحده يبعدنى عن مزالق الشر ويدفعنى إلى الثقة بنفسى فأبتعد عن كل ما يشين

وهنا يظهر الارتباك على مسز الفنج وتستغرق فى سهوم طويل ، لا يخرجها منه إلا صوت ابنها (إسوالد) يسألها أن تبارك حبها ، فتلتفت إليه وهى لا تزال شاردة ، وتقول له فى صوت شارد حزين :

إنها أختك يابنى . فيرد عليها فى صوت مزعج

هذا محال ، كيف ذلك بربك ؟ اصدقينى أهى أختى حقا ؟ هذا محال ...

فتهدئ والدته من روعه ، ثم تخبره بقصة (جوانا) الخادمة التى اعتدى أبوه عليها فأنجبت (ريجينا) ولكن بعد زواجها من انجستراند بمدة قصيرة جدا ... وهنا تزل بالشاب المسكين الصدمة التى حذره الطبيب إياها

وعندما تعرف (ريجينا) أن (إسوالد) أخوها وأن زواجها منه مستحيل تضيق بها الحياة وتصمم على الرحيل ..

فتسألها مسز (الفنج) (إلى أين ياريجينا) فتقول لها

إلى حيث أراد أبى أن أهب جسمى لدافع الثمن الأكبر . فتقول لها

ولكنك يا ريجينا تلقين بنفسك فى الهاوية

ليكن هذا مادام مستر إسوالد سر أبيه ، فلأكن أنا الأخرى سر أمى . ثم تخرج هائمة على وجهها

وتظهر دلائل الاختلال على إسوالد ، فيستولى الرعب على الأم وتلقى بنفسها تحت قدميه وتصيح ؛

إسوالد ابنى ارحم أمك التى منحتك الحياة والحب والحنان ولكنها لا تسمع إلا صوت سقوط إسوالد على الأرض ميتا ، فقد انفجر شريان فى فمه فخر صريعا

أسيوط عبد الموجود عبد الحافظ



ظهرت اليوم الطبعة الثامنة منقحة
من كتـــاب
آلام فرتر
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك
هى القصة العالمية الواقعية الرائعة الخالدة للشاعر الفيلسوف
« جوته » الألــــــــمــانى
صور فيها : عواطف الشاب فى وقت نزوعه إلى الحب وولوعه بالجمال واتحاده مع الطبيعة . . . وقد قال عنها لصديقه (أكيرمان) « كل امرىء يأتى عليه حين من دهره يظن فيه أن (آلام فرتر) إنما كتبت له خاصة »
ترجمتها العربية تتفق مع أصلها فى قوة الأسلوب ودقته وأناقته وجماله ... وهى مثال للترجمة الأمينة التى تنقل الصورة والفكرة وما يقوم بهما من الروح والخيال والعاطفة ...
أقصدوا
متحف فؤاد الاول
لسكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية
(أمام مخزن بضائع محطة مصر)
لتشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية والجوية فى مختلف الأزمان ولتروا أكبر وأدق مجموعة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل فى مصر والخارج
المتحف مفتوح للزيارة كل أيام الأسبوع ما عدا أيام الأثنين والعطلات الرسمية كما يأتى : —
فصل الصيف — من أول مايو الى آخر اكتوبر
من الساعة ٨٫٠٠ الى الساعة ١٣٫٣٠
رسم الدخول ٢٠ مليما
تليفون رقم : ٤٩٣ مدينة
مطبعة الرسالة

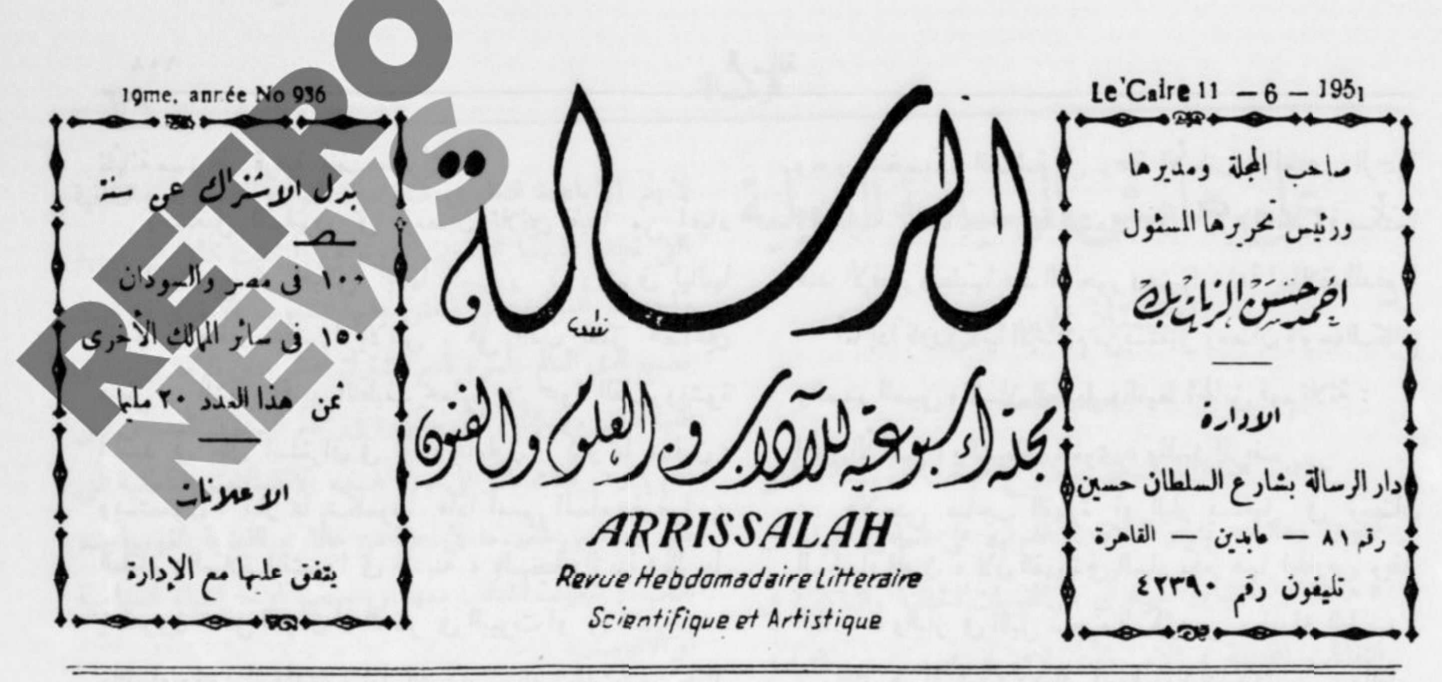




فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





19me. année No 936 — Le Caire 11 – 6 – 1951

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٣٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ رمضان سنة ١٣٧٠ — ١١ يونية سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

استقبال رمضان

أذيعت من القاهرة فى مساء يوم الثلاثاء الماضى أول رمضان

فى هذا اليوم المبارك ، استقبل المسلمون فى أقطار الأرض شهرهم المعظم رمضان . استقبلوه بعد أحد عشر شهراً قضوها فى صراع المادة وجهاد العيش ، تكدر فيها القلب ، وتبلد الحس ، وتلوث الضمير . فهو يجلو صدورهم بالذكر ، ويطهر نفوسهم بالعبادة ، ويزود قلوبهم من قوى الجمال والحق والخير بما يمسكها العام كله على فتنة الدنيا ومحنة الناس . وإذا كان المرهفون قد استقبلوا فى أبريل ربيع الحواس ، والمترفون قد استقبلوا فى يونيو ربيع الغرائز ، فإن المؤمنين استقبلوا فى رمضان ربيع الأرواح . وربيع الحواس فى الرياض زهور وعطور وفتنة ؛ وربيع الغرائز على الشواطىء فجور وغرور ولذة ؛ وربيع الأرواح فى المساجد صيام وقيام ونسك . لذلك كان رمضان فى الشرع الإلهى طهوراً من رجس العام ، وهدنة فى حرب القوت ، وروحا فى مادية الحياة

يستقبل المسلمون فى رمضان ذكريين جليلتين لحادثتين خطيرتين كان لأولاهما أكبر الفضل فى تقدم الإنسانية ، وكان لأخراهما أقوى الأثر فى نجاح الدعوة الإسلامية : ذكرى نزول القرآن الكريم فى ليلة القدر ، وذكرى انتصار المسلمين فى غزوة بدر

كان نزول القرآن فى رمضان فرقانا بين عهدين متغايرين : عهد ذل فيه الإنسان حتى عبد الحجر ، وضل فيه العقل حتى استحب العمى ، وفجر فيه الطغيان حتى أنكر الإنسانية ؛ وعهد تدارك الله فيه عباده بلطفه ، فهدى بنور دينه ضلال الفكر ، وأقام بدستور شرعه ميزان العدل ، ورفع بسلطان خلافته معنى الإحسان

وكانت معركة بدر فى رمضان حكماً قاطماً من أحكام القدر ، غير مجرى التاريخ ، وعدّل وجهة الدنيا ، ومكن للعرب فى دورهم أن يبلغوا رسالة الله ، ويؤدوا أمانة الحضارة ، ويصلوا ما انقطع من سلسلة العلم . كان المسلمون فى بدر على ضرهم وفقرهم ثلث المشركين . وكان المشركون على كثرتهم وعدتهم صفوة قريش . فوقف الإسلام من الشرك كان يومئذ موقف محنة . كان بين العدوتين فى بدر مفرق الطريق ، فإما أن يقود محمد زمام البشرية فى سبيل الله فتنجو ، وإما أن يردها أبو جهل إلى مجاهل التيه والضلال فتهلك . وقفت مدنية الإنسان بأديانها وعلومها وراء محمد على القليب ، ووقفت همجية الحيوان بأصنامها وأوهامها وراء أبى جهل على الكثيب . فكان طريق وعقبة ، ونور وظلمة ، وإله وشيطان ؛ فإما أن يتمزق تراث الإنسانية على هذا الصخر ، ويتبدد نور الله فى هذا القفر ، وإما أن تتم المعجزة فتفيض الحياة على الناس من هذه البئر ، ويتصل الماضى بالمستقبل من هذه السبيل ، ويبدأ التاريخ عهده الجديد بهذه الموقعة . ولقد أراد الله أن تتم للمعجزة فانتصر

ثلثمائة مسلم على قرابة ألف مشرك

ويستقبل المسلمون في رمضان ثلاثين عيداً من أعياد القلب والروح، تفيض أيامها بالسرور، وتشرق لياليها بالنور، وتفتر مجالسها بالأنس. ففي المدن يغمر الصائمين فيض من الشعور الديني اللطيف يحملهم بين صحوة القلب ونشوة الجسد في حال استغراق في الله، يتأملون أكثر مما يعملون، ويستمعون أكثر مما يتكلمون. فإذا أمسى المساء وفرغوا من الطعام والصلاة انتشروا في المدينة، بالبهجة والزينة؛ فالرجال يحضرون محافل القرآن أو السمر في البيوت أو في المنتديات؛ والنساء يوزعن الوداد على منازل القريبات والصديقات؛ والأطفال يفرحون بأناشيدهم ومصابيحهم الميادين والطرقات، والدور الباقية على العهد تتقرب إلى الله بالذكر والصدقات، والمساجد المقفرة طول العام تمج بالوعظ والصلوات، والمآذن الحالية بالمصابيح، الشادية بالتسابيح، ترسل في أعماق الأبد نور الله وكلمته

وفي القرى يرجع الفلاح في رمضان نقيا كقطرة المزن، طاهراً كفطرة الوليد، فلا يقتل ولا يسرق ولا يشهد الزور ولا يقول الهجر ولا يأتي المنكر. ثم تعتريه حال من الصوفية الشاعرة فيعف لسانه ويخشع قلبه وتلين يده، فلا تسمع منه لغوا في حديث، ولا عنفا في جدل، ولا بغيا في خصومة، فإذا أذهله الغضب فرفع صوته ندم عجلان واستغفر وقال: اللهم إني صائم!

وما أجمل أن ترى فاتك الأمس وقد أصبح ناسك اليوم يمشي من البيت إلى المسجد في ثوبه النظيف وئيد الخطو، غضيض الطرف، لا تترك السبحة يده، ولا يفتر عن التسبيح لسانه. حتى إذا قضيت صلاة العصر جلسوا على المصاطب يستمعون القصص أو الوعظ إلى أن تؤذن الشمس بالمغيب، فيمدوا الموائد في الطريق أمام بيوتهم ويدعوا إليها عابري السبيل وطالبي الصدقة؛ ثم لا يلبث الإخاء المحض أن يجعل الموائد المتعددة مائدة واحدة، يصيب منها من يشاء ما يشاء

ويستقبل القاهريون في رمضان مظهراً قوميا رائعا يعيد إلى القاهرة عز القرون المواضي، فيصبغ لونها الأوربي الحائل بصبغة الشرق الجميلة، ويرفع صوتها الخافت بشعائر الصوم الجليلة، ويبرز شخصيتها الضائعة في زحمة الأجانب بالمظاهر الرسمية للحكومة، والتقاليد العرفية للشعب. وما أروع القاهرة في سكتتها عند الإفطار وجلبتها عند السحور وهزتها ساعة انطلاق المدفع!

أما إذا كان في دنيا الإسلام من يستقبل رمضان بالوجه الكالح والصدر الضيق واللسان الطويل والغيظ الخانق فهم ثلاثة: الخمار الأجنبي، والشيطان المغوي، والمسلم المزيف

فالأجنبي صاحب القهوة أو البار يستقبل في رمضان الكساد المحزن، لأن القهوة في النهار يكثر فيها الجلوس ويقل الطلب، والبار في الليل تهجره الكؤوس ويفارقه الطرب. ورمضان هو المسئول، لأن السكير في رمضان لا يشرب، والمقامر في رمضان لا يلعب. وصاحب القهوة مضطر بحكم الصنعة أن يقدم إلى الصائمين أدوات التسلية بالمجان حتى المغرب، وأن يقدم إلى المفطرين أكواب الماء المثلوج طول السهرة حتى السحر!

والشيطان يستقبل في رمضان حصنا من الخير لا يدخله الشر ولا تفتحه الرذيلة. فإذا حاول إبليس أن يدنو منه رده الذكر بالنهار، وصده القرآن بالليل، فيظل كما يعتقد القرويون مصفداً بالأغلال مقيداً بالسلاسل حتى ينطلق من إساره في آخر يوم من أيام رمضان.

والمسلم المزيف يستقبل في رمضان فطاما لشهواته ولجاما لغرائزه وقيدا لحريته؛ فهو يرميه بما يرميه به الأوربيون من قلة الإنتاج وكثرة الإهلاك وشل الحركة وقتل الصحة، فيشيح بوجهه عنه، ويتخذ لنفسه رمضان آخر رقيق الدين خفيف الظل باريسي الشمائل، يبيح النظرة الآثمة والكلمة العارية والأكلة الدسمة والكأس الدهاق والسيجار الغليظ، ولا يكلفه إلا أن يجعل عشاءه من باب المجاملة عند الغروب وبعد طلقة المدفع. وإذا كان في بيوت المحافظين قارئ يقرأ القرآن، وذاكر يذكر الله، وساق يقدم المرطبات، فليكن في بيت هذا الصنف من المسلمين مقصف يجمع ما حل وما حرم من لذائذ الحس، فتجتمع إليه زمر من السيدات والأوانس ومعهن أبناؤهن وإخوتهن من الأيفاع والشباب، فيعزف البيان، ويخفق العود، ويشدو الكواعب، ويهزج الفونغراف، ويدور الرقص على عطيه الشرق والغربي، فتلتف السواعد على الخصور، وتلتصق الصدور

بالصدور ، وتمتزج انفاس البخور بأنفاس المعطور ، ويقف رمضان الأصيل من هذه المناظر المريبة وقفة شيخ من شيوخ الدين دفعت به الأقدار إلى ماخور

وهكذا نجد العالم ونحن نلعب ! كأنما كتب علينا أن نأخذ الحياة من جانبها الفضولى العابث فنتأثر بها ولا نؤثر فيها ! وكأنما قضى الله أن نعيش صعاليك على تقاليد الأمم دون أن تميزنا خصيصة من قومية ولا شعيرة من عقيدة ! وكأنما عاقت شعائر التلمود القاسية وعقائد التوراة الصلبة أشتات اليهود من المغامرة والنبوغ والتقدم وتكوين دولة ما زلنا نقول إنها مزعومة ، ولكنها أخذت تهدد بقوتها سلامة العرب ، وتتحدى بأطماعها سيادة الشرق !

ذلكم أيها السادة موجز مما يقال فى استقبال رمضان ، وجدتموه ولا ريب أقل مما تحسونه فى أنفسكم من الإجلال والإكبار والحب لهذا الشهر العظيم الكريم ؛ ولكنها على كل حال تحية خالصة قالها مؤمن وسمعها مؤمنون . ولا يدرى إلا الله ماذا تدخر مدنية المال ومادية العلم لهذه الروحية التى تتجلى فى الصوم ، ولهذه الخيرية التى تتمثل فى الصائم .

وقى الله رمضاننا الكريم شر العلم الجاهل والدين الكاذب والتقليد الأعمى والتمدن المشوه ! وجدد الله عليكم به الأعوام المقبلة يا سادتى وأنتم ناعمون فى ظلال الأمن ممتعون بنعمة العافية

احمد حسن الزيات

٢ — على هامش السياسة الدولية

للأستاذ عمر حليق

حددت هيئة اليونسكو موضوع البحث فى مسألة الخلق القومى وعلاقته بتوتر العلاقات الدولية على أساس فحواه أن « هناك أوجه تباين جوهرى فى المقومات الخلقية والعاطفية فى الثقافات المختلفة ، الأمر الذى لا يزيله مجرد تنسيق التعامل الاقتصادى والتعاهد والتحالف السياسى » . فزوال هذا التباين لا يتم إلا بإعادة النظر فى كثير من العوامل التربوية والثقافية التى تعيش عليها الشعوب ، وتوجيهها بحيث تتفق على صعيد واحد مع العوامل التى تعيش عليها الشعوب الأخرى ، وبحيث يصبح لدى العالم بأسره قاسم مشترك أعظم متين الأصول صادق النية صلب متماسك (لأن جذوره فى صميم التكوين النفسانى لبنى آدم) وهو لذلك قادر على صهر هـذه الانفعالات العاطفية التى تثور فى نفس شعب ما فى حالة من حالات القضية القومية ضد شعب أو شعوب اختلف معها فى بعض أوجه الحياة السياسية أو الاقتصادية

وأول ما يلاحظ المتابع للدراسات التى عنيت بالخلق القومى وتباينه بين الشعوب أن كثيرا من أهل الخبرة يقولون بأن من الممكن التخفيف — من حدة هـذا التباين بين الشعوب التى يختلف خلقها القومى عن أخلاق الشعوب الأخرى — من الممكن التخفيف من حدة هذا التباين عن طريق برنامج واسع ينفذ على مستوى عالمى ويستهدف تعريف شعوب العالم تعريفا علميا صادقا على طبائع الشعوب الأخرى؛ وعلى المؤثرات والعوامل المحلية البحتة التى تعيش عليها تلك الشعوب . وهذه الوسيلة كما ترى تستند إلى مبدإ أولى فى علم النفس

« والتعريف » وسيلة تختلف اختلافا أساسيا عن « الدعاية » أو « البروباجندة »

فالأولى — تؤمن بأن المرء عدو لما يجهل ، فإذا استطاع التعرف على حقيقة ما يجهله إزاء عداوة حادة لا لذلك العـدو « المزعوم » وإنما للجهل الذى كان سببا للعداوة

أما الثانية « البروبوغاندة » فهمها الترويج لفكرة معينة كجزء من سياسة مرسومة هدفها إزالة غشاوة الجهل الذى يعمى شعبا ما من حقيقة مقاصد شعب آخر . ولكن إزالة هذه الغشاوة بواسطة البروباغاندة تكون فى أغلب الحالات بطرح غشاوة أخرى على أعين النـاس لتعميهم عن حقائق ومقاصد تهم « البروباغاندة » بطمس معالمها تعمدا واقتدارا

وتعريف الشعب بالقومات الخلقية والثقافية الحقيقية للشعوب التى تشارك هـذه المعمورة هدف لا يتم إلا عن طريق التبادل الثقافى الواسع النطاق؛ بحيث لا يقتصر نفوذه على الخاصة ؛ وإنما

يشمل المجالس العامة . كذلك شرط أن يأتى عن يد هيئات ليس لها طابع « قومى » ولا توجه مراميها وأهدافها أوساط ذوات مصالح سافرة أو مستترة

وتطمح مثلا مؤسسة اليونسكو أن تكون النواة لمثل هذه الهيئات « العالمية » التى تستطيع تعريف الناس فى مختلف الأمصار بالثقافات والمقومات الخلقية لمختلف الشعوب فى نزاهة مقصد وتجرد من « البروباغاندة » وما إليها من أوجه الاتصال المغرض

وهنا يتساءل المرء عن اختلاف اللغات وما يخلقه من صعوبات جمة فى سبيل التعرف الجدى على ثقافات الشعوب الأخرى . فلقد باءت بفشل ذريع محاولات البعض لجعل « الاسبرانتو » لغة عالمية

فهناك من أهل الخبرة فى شؤون الواصلات الفكرية من يؤكد بأن اللغة ليست هى العائق الجوهرى الوحيد

فهناك مثلا العادات والسلوك التقليدى والتعبيرات المتباينة التى تعبر بها بعض الشعوب عن انفعالاتها الخاصة ، والتى توارثتها جيلا بعد جيل ، وأصبحت ملازمة لها ملازمة الطبيعة التى توفر لها الغذاء والمأوى فطابع الناس مزيج من الوراثة والبيئة

فالعادة فى اليابان أو الصين مثلا أن يبتسم المرء إذا أصابته ملمة أو أهانه شخص . فالابتسام فى مثل هذه الحالة يفسر على أنه إشارة مهذبة من الشخص الذى أصابته الملمة أو لحقت به الإهانة ، وهذه الإشارة دليل على أنه لا يود أن يزعج الناس بمصائبه وانفعالاته الشخصية الخاصة

فإذا كان ابتسام الصينى أو اليابانى يفسر على هذا النحو فإن كثيرا من سوء الظن والالتباس الضار يحدث فيما لو وجد أمريكى أو أوربى نفسه أمام يابانى أو صينى لحقت به مصيبة أو أصابته إهانة فظل يبتسم ، فأكبر الظن أن الأمريكى أو الأوروبى سيقدر فى نفسه بأن اليابانى أو الصينى يزدرى به فى سخرية قاتلة (فى حالة قبوله الإهانة بالابتسام) أو أنه لا يتأثر بالانفعالات الإنسانية المؤلمة (فى حالة مواجهته المصائب والملمات باسما)

فإذا نقلت هذا الوضع إلى أعلى مراحل الاتصال فى مجال السياسة الدولية بين أمريكا والصين أو اليابان مثلا فإن رد الفعل سيكون ولا شك ذو عواقب وخيمة على تيار العلاقات بين البلدين . وأكبر الظن كذلك بأن مثل هذه الوضعية قد تؤثر تأثيرا سلبيا سيئا على ما يطمح إليه المتفاوضون من تنسيق العلاقات الاقتصادية أو السياسية بين البلدين

وحين يتوفر لأكثرية الشعب الأمريكى مثلا معرفة حقيقة « الابتسام » أو سواه من التقاليد والعادات عن الصين ؛ يسهل على كلا الشعبين أن يتفاهما ويسويا مصالحهما فى جو أكثر ملاءمة وأدعى إلى تبادل حسن الظن والوداد

ومن منا نحن العرب من لا ينفعل حين يقرأ أو يسمع ما يفسر به بعض الغربيين انفعالاتنا وتقاليدنا وعاداتنا وسلوكنا تفسيرا خاطئا وهو لا يستند إلى معرفة حقة بمغازى تلك العادات والتقاليد؛ حتى لو كان التفسير مدفوعا بروح النزاهة ونبل المقصد ؟ الواقع أنك تستطيع أن تفسر كثيرا من أوجه التوتر فى علاقاتنا مع الدول الغربية بسوء الفهم الذى يصدر عن صناع السياسة الغربيين فى معرض تناولهم لقضايا العرب ومشاكلهم ومصالحهم فى شتى أوجه السياسة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية كذلك

ويقترح المعنيون بهذه الناحية من العلاقات الإنسانية بأن من أفضل الوسائل للتغلب على هذا الجهل بالعادات والتقاليد هو أن تقوم جماعة من أهل الاختصاص فى علوم الحياة (الأنتروبولوجيا) وعلم النفس الاجتماعى والتاريخ واللغات وغيرهما بدراسة ثقافة معينة — ولنفرض ثقافة الهند — وأن ينفقوا فى هذه الدراسة سنوات فى صميم القطر الذى ينوون دراسة ثقافته ، على أن يكون هؤلاء العلماء من جنسيات مختلفة يساعدهم عدد من العلماء وأهل الدراية من الهنود أنفسهم

فالثابت أن الأجنبى أكثر ملاحظة للتعبيرات الخاصة والتقاليد والعادات التى تمتاز بها الشعوب . على أن الباحث الأجنبى لا يستطيع استيعاب مغزى تلك العادات والتقاليد دون الاستعانة بأهل الدراية من الذين يمتثلون لتلك

التقاليد ويسيرون على تلك العادات ، عندئذ يتحقق أكبر قسط من الفهم لأوجه الثقافة جميعها

وحين تتم مثل هذه الدراسات على الشعوب الأخرى بصورة واسعة وعلى الأخص بين الدبلوماسيين والصحفيين والتجار والزوار وغيرهم من الأجانب الذين تدفعهم الظروف للاتصال المباشر بالشعب الذي درست ثقافته دراسة علمية مسهبة — حين تتم مثل هذه الدراسات يسهل الاتصال الشخصي ويسهل كذلك تفهم ما يصدر عن أهل تلك الثقافة من إشارات وتعبيرات لا تفسرها الأجانب من أصحاب المصالح تفسيراً خاطئاً قد يخلق — في المجال السياسي مثلا — مشاكل لها ذيولها على صميم العلاقات الجوهرية بين البلدين

والواقع أن وزارات الخارجية في كثير من الدول الكبرى تقوم الآن بالإنفاق في سخاء على مثل هذه البحوث لتوفر لمبعوثيها الدبلوماسيين ورجال السياسة والحرب مثل هذه الدراسات النافعة التي تسهل لها مهمة اتصالها مع ممثلي الشعوب الأخرى ؛ سواء في المجال الرسمي أو شؤون الدعاية أو التبادل التجاري

فقبل خمس سنوات مثلا كلفت وزارة الخارجية والحربية في واشنطون الدكتورة روث بنديكت أستاذة علم الأنتروبولوجيا في جامعة كولومبيا بنيويورك بدراسة الثقافة اليابانية على أساس من علم الأنتروبولوجيا لترى ما إذا كان من المناسب لمصلحة الاستقرار السياسي والعسكري في اليابان — من وجهة النظر الأمريكية طبعا — أن يظل الميكادو عاهلا لليابان أم أن إبعاده عن العرش هو خير أو أبقى ، فأوصت الدكتورة بنديكت بوجوب بقاء الميكادو وبوجوب القيام بإجراءات عديدة كلها تستند إلى الدراسة الاجتماعية . وقد نفذ الجنرال ماك آرثر حاكم اليابان العسكري آنئذ جميع تلك التوصيات فحاز نجاحا حفظ للمصلحة الأمريكية في اليابان معظم نواحيها الهامة

وعلى سبيل المثال أيضا في أهمية هذه الدراسات الأنتروبولوجية في خدمة سياسات الدول ؛ ما حاولت حكومة إسرائيل القيام به منذ بضعة أشهر حين وضعت تحت تصرف أحد كبار أساتذة علم النفس الاجتماعي (وهو يهودي أمريكي) مبلغا كافيا من المال لتأليف بعثة من الباحثين من اليهود الذين يحملون جنسية أمريكية ومن بعض الأتراك لزيارة شتى بلدان الشرق العربي لدراسة عادات أهله وتقاليدهم دراسة مباشرة لمعرفة مدى العوامل النفسانية التي تؤثر في مشاعرهم . وكان هدف تلك البعثة مراقبة الطريقة التي يربي فيها العرب صغارهم ، والوسيلة التي يظهرون بها انفعالاتهم الخاصة إزاء الحوادث المرة أو المحزنة، مع دراسة أمثالهم العامية والطريقة التي يأتون بها ويدفنون بها موتاهم وغير ذلك من أوجه المعيشة التي يمتثل لها الكثرة من سكان الشرق العربي

وكان على أعضاء هذه البعثة اليهودية أن ينفرد كل منهم بدراسة وجه من أوجه هذا النشاط الذي أشرنا إليه ، ويضع فيه تقريرا خاصا في أسلوب ومنهج علمي معين، ثم تجمع هذه التقارير ويشرف على صياغتها العالم الكبير الآنف الذكر ليستخلص منها زبدة تكون بمثابة دليل لصناع السياسة اليهودية (بإسرائيل) يستطيعون بواسطته توجيه سياستهم نحو العرب سواء في شؤون الحرب ، أو في مسألة الإذاعة العربية في راديو إسرائيل ، أو في أعمال الجاسوسية داخل البلاد العربية ، أو في أوجه سياسة اقتصادية أخرى

ومن حسن الحظ أن حكومة عربية بواسطة سفارتها بواشنطون اكتشفت هذه المؤامرة اليهودية في حينها فأوعزت إلى بقية الحكومات العربية عن طريق الجامعة العربية بوجوب منع هذه البعثة اليهودية من الدخول إلى البلدان العربية . وكان ذلك بعد أن كانت حكومة لبنان قد سمحت عن حسن نيه لبعض أفراد هذه البعثة بالدخول إلى أراضيها

هذه بعض ألوان النشاط الذي حاول بعض المعنيين بالناحية النفسانية في العلاقات الدولية القيام به في مجال التعرف على قضية الخلق القومي وتباينه ووسائل التغلب على ما يخلقه من عقبات في حقل التعاون الدولي

نيويورك | لبحث صلة | عمر حليق

٦ - فى الحديث المحمدى

للأستاذ محمود أبو رية

رواية الحديث بالمعنى :

يحسب كثير من الناس أن أحاديث الرسول (ص) التى يقرأونها فى الكتب أو يسمعونها من الذين يتحدثون بهـا قد جاءت صحيحة المعنى مصونة التأليف . وأن ألفاظها قد وصلت إلى الرواة سليمة كما نطق النبى بها بلا تحريف ولا تبديل فيها . وكذلك يحسبون أن الصحابة ومن جاء بعدهم ممن حملوا عنهم إلى زمن التدوين قد نقلوا هذه الأحاديث بنصها كما سمعوها، وأدوها على وجهها كما لقنوها ، فلم ينلها تغيير ولا اعتراها تبديل ، ومما وقر فى أذهان الناس أن هؤلاء الرواة قد كانوا جميعا صنفا خاصا من بنى آدم فى جودة الحفظ وكمال الضبط وسلامة الذاكرة ، وأن أذهانهم قد فطرت على صورة فريدة غير ما فطرت عليه أذهان غيرهم، فلا يصيبهم النسيان ولا يدركهم السهو، وأن كل ما يسمعونه لا تفلت منه كلمة ولا يند حرف

ولقد كان لهـذا الفهم ولا جرم أثر بالغ فى أفكار بعض شيوخ المسلمين جعلهم يعتقدون أن هذه الأحاديث فى منزلة آيات الكتاب المنزل فى وجوب الاعتقاد بهـا ، وفرض الإذعان لأحكامها بحيث يرتد من يخالفها ، ويستتاب من ينكرها

من أجل ذلك رأينا أن نتكلم عن هذه الناحية ليعلم الناس وجه الحق فيها ، ويدركوا أن الأحاديث التى رويت عن الرسول (ص) قد وصلت إلينا بمعناها ، وأن كل راو قد روى ما بقى فى ذهنه منها

الاختلاف فى رواية الحديث بالمعنى :

ولما كانت الآراء فى رواية الحديث بالمعنى قد اختلفت بين العلماء ، وكان هذا الأمر مهما جدا؛ فقد رأينا أن نأتى بأطراف من هذه الآراء المختلفة حتى يكون القارئ على بينة

قال العلامة الجزائرى فى كتابه توجيه النظر (١)

« اختلف العلماء فى رواية الحديث بالمعنى ، فذهب قوم إلى عدم جواز ذلك مطلقا ، منهم ابن سيرين وثعلب وأبو بكر الرازى وغيرهم، وروى ذلك عن ابن عمر. وذهب الأكثرون إلى جواز ذلك إذا كان الراوى عارفا بدقائق الألفاظ، بصيرا بمقدار التفاوت، نبيها خبيرا بما يحيل معناها . . وقد تعرض لهـذه المسألة علماء الأصول . . قال الأستاذ أبو إسحق الشيرازى فى اللمع : والاختيار فى الرواية أن يروى الخبر بلفظه لقوله صلى الله عليه وسلم : « نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها ثم أداها كما سمع ؛ فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » (٢) . . وقد احتج من منع الرواية بالمعنى بالنص والمعقول . أما النص فقوله عليه الصلاة والسلام « رحم الله من سمع مقالتى الخ . . قالوا وأداؤه كما سمع هو أداء اللفظ المسموع، ونقل الفقيه إلى من هو أفقه منه ، معناه والله أعلم : أن الأفطن ربما فطن بفضل فقهه من فوائد اللفظ عما لم يفطن له الراوى لأنه ربما كان دونه فى الفقه

وأما المعقول فمن وجهين : الأول — أنا لما جربنا رأينا أن المتأخر ربما استنبط من فوائد آية أو خبر ما لم يتنبه له أهل الأعصار السالفة من العلماء والمحققين . . فلو جوزنا النقل بالمعنى فربما حصل التفاوت العظيم ، مع أن الراوى يظن أن لا تفاوت (الثانى) - أنه لو جاز للراوى تبديل لفظ الرسول بلفظ نفسه كان للراوى الثانى تبديل اللفظ الذى سمعه بلفظ نفسه؛ بل هذا أولى؛ لأن تبديل لفظ الراوى أولى بالجواز من تبديل لفظ الشارع، وإن كان ذلك فى الطبقة الثالثة والرابعة فذلك يفضى إلى سقوط الكلام الأول، لأن الإنسان وإن اجتهد فى تطبيق الترجمة لكن لا ينفك عن تفاوت وإن قل ، فإذا توالت التفاوتات كان

---

(١) ص ٢٩٨ وما بعدها مختصرا

(٢) من العجيب أن هذا الحديث نفسه قد جاء بروايات مختلفة متعددة أورد منها ابن عبد البر أكثر من عشر روايات (ص ٣٩ — ٤٢) جامع بيان العلم وفضله ج ٢ وقال ابن الجوزى فى تلبيس إبليس عن هـذا الحديث : وتأدية الحديث كما يسمع لا يكاد يحصل إلا من الكتابة، لأن الحفظ خوان. وقد كان أحمد بن حنبل يحدث بالحديث فيقال له : أمله علينا فيقول : لا بل من الكتاب وقد قال على بن المدينى أمرنى أحمد بن حنبل أن لا أحدث إلا من الكتاب ص ٣٢٦

التفاوت الأخير تفاوتا فاحشا ، بحيث لا يبقى بين الكلام الأخير وبين الأول نوع مناسبة (٣) . .

وحجة الجواز أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يسمعون الأحاديث ولا يكتبونها ولا يكررون عليها، ثم يروونها بعد السنين الكثيرة ، ومثل هذا يجزم الإنسان فيه بأن نفس العبارة لا تنضبط ، بل المعنى فقط ، لأن أحاديث كثيرة وقعت بعبارات مختلفة ، وذلك مع اتحاد القصة ، وهو دليل جواز النقل بالمعنى ، ولأن لفظ السنة ليس متعبدا به بخلاف القرآن ، فإذا ضبط المعنى فلا يضر فوات ما ليس بمقصود .

وقال القاسمى فى قواعد التحديث (٤)

رخص فى سوق الحديث بالمعنى دون سياقه جماعة منهم : على وابن عباس وأنس بن مالك وأبو الدرداء وواثلة بن الأسقع وأبو هريرة ثم جماعة من التابعين يكثر عددهم ، منهم إمام الأئمة حسن البصرى ثم الشعبى وعمرو بن دينار وإبراهيم النخعى . . . وكذلك اختلفت ألفاظ الصحابة فى رواية الحديث عن رسول الله ؛ فمنهم من يرويه تاما ، ومنهم من يأتى بالمعنى ، ومنهم من يورده مختصرا ، وبعضهم يغاير بين اللفظين ويراه واسعا إذا لم يخالف المعنى وكلهم لا يتعمد الكذب ، وكانوا يقولون : إنما الكذب على من تعمده

وإذا كانوا قد اختلفوا على هذا الأمر فإن العمل قد جرى على رواية الحديث بالمعنى

قال ابن سيرين : كنت أسمع الحديث من عشرة والمعنى واحد والألفاظ مختلفة . وروى عن عمران بن مسلم قال ، قال رجل للحسن : يا أبا سعيد ، إنما تحدث بالحديث أنت أحسن له سياقا وأجود تحبيرا ، وأفصح به لسانا منه إذا حدثنا به ! فقال : إذا أصبت المعنى فلا بأس بذلك . وقال النضر بن شميل : كان هشيم لحانا فكسوت لكم حديثه كسوة حسنة يعنى بالإعراب وكان سفيان يقول : إذا رأيتم الرجل يشدد فى ألفاظ الحديث فى المجلس فاعلم أنه يقول : اعرفونى ! وجعل رجل يسأل يحيى بن سعيد القطان عن حرف فى الحديث على لفظه ، فقال له يحيى : يا هذا ليس فى الدنيا أجل من كتاب الله تعالى قد رخص للقراءة فيه بالكلمة على سبعة أحرف فلا تشدد (٥)

وقال سفيان الثورى : إن قلت لكم إنى أحدثكم كما سمعت فلا تصدقونى فإنما هو المعنى وقيل له يا أبا عبد الله ، حدثنا كما سمعت ! فقال : والله ما إليه سبيل وما هى إلا المعانى فأخبر بذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال : هو كذلك . وقال النووى جمهور العلماء على جواز رواية الحديث بالمعنى . وقال الآجرى عن أبى داود : كان سليمان بن حرب يحدث بالحديث ثم يحدث به كأنه ليس ذاك ، قال النسائى كان ثقة مأمونا

وقال وكيع : إذا لم يكن المعنى واسعا فقد هلك الناس ! وكان أبو الدرداء إذا حدث عن رسول الله ثم فرغ منه يقول : اللهم إن لم يكن هذا فشكله . وكان أنس بن مالك إذا حدث عن رسول الله حديثا قال : أوكما قال . وعن مسروق عن عبد الله أنه حدث يوما بحديث فقال سمعت رسول الله ! ثم أرعد وأرعدت ثيابه وقال : أو نحو هذا أو شبه هذا . وفى رواية أخرى : أو نحو ذلك أو قريبا من ذلك

وقال العلامة السيد رشيد رضا رحمه الله عند كلامه على أحاديث أشراط الساعة » : لا شك أن أكثر الأحاديث قد روى بالمعنى كما هو معلوم واتفق عليه العلماء ويدل عليه رواة الصحاح فى ألفاظ الحديث الواحد حتى المختصر منها وما دخل على بعضها من المدرجات وهو ما يدرج فى اللفظ المرفوع من كلام الرواة فعلى هذا كان يروى كل أحد ما فهمه ، وربما وقع فى فهمه الخطأ وربما فسر بعض ما فهمه بألفاظ يزيدها . إلى أن قال : فهل من الغرابة أن يقع الخلط والتعارض فيما يروى عنه بالمعنى بقدر فهم الراد . وسئل رحمه الله عن رأيه فيمن قال : إنه لم يثبت عن النبى إلا ١٢ أو ١٤ حديثا فأجاب : « هذا القول غير صحيح بل لم يقل به أحد بهذا اللفظ ؛ وإنما قيل هذا أو ما دونه فى الأحاديث التى تواتر لفظها »

---

(٣) لقد وقع ما كانوا يخشون أن يفضى الأمر إليه ! فقد استمرت الرواية بالمعنى إلى زمن البخارى فى القرن الثالث وما بعده (٤) ص ٢٠٧

(٥) كانت العرب لا ترى بأسا من تغيير كلمة بكلمة . وقد روى عن ذى الرمة أنه قال لعيسى بن عمر : اكتب شعرى فالكتاب أحب إلى من الحفظ لأن الأعرابى ينسى الكلمة قد سهر فى طلبها ليلة فيضع فى موضعها كلمة فى وزنها ثم ينشدها

وإليك أمثلة من رواية الحديث بالمعنى

روى مسلم عن طلحة بن عبيد الله أن رجلا جاء إلى رسول الله ثائر الرأس يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله : خمس صلوات فى اليوم والليلة إلا أن تطوع ، وصيام شهر رمضان إلا أن تطوع، وذكر له رسول الله الزكاة فقال هل على غيرها ؟ فقال لا إلا أن تطوع . فأدبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد عن هذا ولا أنقص منه ، فقال رسول الله : أفلح إن صدق

وروى عن أبى هريرة حديث جبريل : جاء رجل فقال يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال : لا تشرك بالله شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان قال : صدقت ثم سأله عن الإيمان وعن الإحسان (٦)

وعن أبى أيوب قال : جاء رجل إلى النبى فقال : دلنى على عمل أعمله يدنينى من الجنة ويباعدنى من النار ، قال : تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل ذا رحمك . قال رسول الله : إن تمسك بما أمر به دخل الجنة

وعن أبى هريرة أن أعرابيا جاء إلى رسول الله، فقال يارسول الله دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة ، قال تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال : والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا شيئا أبداً ولا أنقص منه. فلما ولى قال النبى من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا

قال الإمام النووى معلقا على هذه الأحاديث ما نصه : «واعلم أنه لم يأت فى حديث طلحة ذكر الحج ولا جاء ذكره فى حديث جبريل من رواية أبى هريرة ، وكذا غير هذه الأحاديث لم يذكر فى بعضها (الصوم) ولم يذكر فى بعضها (الزكاة) وذكرت فى بعضها صلة الرحم وفى بعضها أداء الخمس ، ولم يقع فى بعضها ذكر الإيمان فتفاوتت هذه الأحاديث فى عدد خصال الإيمان زيادة ونقصا وإثباتا وحذفا . وقد أجاب القاضى عياض وغيره رحمهم الله بجواب لخصه الشيخ أبو عمرو بن الصلاح وهذبه فقال : « ليس هذا باختلاف صادر من رسول الله بل هو من تفاوت الرواة فى الحفظ والضبط ، فمنهم من قصر فاقتصر على ما حفظه فأداه ولم يتعرض لما زاده غيره بنفى ولا إثبات ! وإن كان اقتصاره على ذلك يشعر بأنه (الكل) فقد بان بما أتى به غيره من الثقات أن ذلك ليس (بالكل) وأن اقتصاره عليه كان لقصور حفظه عن تمامه. ألا ترى حديث النعمان بن نوفل الذى اختلفت الرواية فى خصاله بالزيادة والنقصان مع أن راوى الجميع واحد !

حديث زوجتها بما معك

جاءت امرأة إلى النبى وأرادت أن تهب نفسها له فتقدم رجل فقال يارسول الله (أنكحنيها) ولم يكن معه من المهر غير القرآن فقال له النبى (أنكحتكها بما معك) وفى رواية قد زوجتكها بما معك من القرآن) وفى رواية (قد زوجتكها بما معك من القرآن) وفى رواية (زوجتكها على ما معك) وفى رواية (قد ملكتكها بما معك) وفى رواية (قد أملكتكها بما معك من القرآن) وفى رواية (انكحتكها على أن تقرئها وتعلمها) وفى رواية (أمكناكها) وفى رواية (خذها بما معك) فهذه ثمانى روايات فى لفظة واحدة !(٧)

قال ابن دقيق العيد : هذه لفظة واحدة فى قصة واحدة واختلف فيها مع اتحاد مخرج الحديث . وقال العلائى : من المعلوم أن النبى لم يقل هذه الألفاظ كلها تلك الساعة ، فلم يبق إلا أن يكون قال لفظة منها وعبر عنه بقية الرواة بالمعنى ، فمن قال بأن النكاح ينعقد بلفظ التمليك ثم احتج بمجيئه فى هذا الحديث إذا عورض ببقية الألفاظ لم ينهض احتجاجه ، فإنه جزم بأن هو الذى تلفظ به النبى وقال غيره ذكره بالمعنى ؛ قلبه على مخالفه وادعى ضد دعواه فلم يبق إلا الترجيح بأمر خارجى

وروى البخارى عن ابن عمر أن النبى قال يوم الأحزاب : لا يصلين أحد (العصر) إلا فى بنى قريظة . فأدرك بعضهم العصر فى الطريق فقال بعضهم لا نصلى حتى نأتيها وقال بعضهم بل نصلى، لم يرد منا ذلك. فذكر ذلك للنبى فلم يعنف أحدا منهم

قال ابن حجر فى شرح هذا الحديث كذا وقع فى جميع النسخ

---

(٦) اختصرنا فى رواية هذا الحديث لكى لا يطول

(٧) لم نعرض لاختلاف الفقهاء فى حكم هذا الحديث لأنه طويل لا يحتمله المقام

الثنائية والألسنية السامية

للأستاذ الأب مرمرجي الدومينيكي

بقية ما نشر في العدد الماضي

هذا ومن المألوف ومن المقرر عند علماء العربية الأقدمين والمعاصرين ، وعند الأجانب من مستشلين ومستعربين ، أن الزيادة تجرى بالتتويج والإقحام والتذييل ، وفى كل حال من هذه الأحوال يتم الأمر على سبيل الأغلبية ، أى بالسماع وليس بقياس محكم . وهذه طائفة من الأمثلة على أنواع الزيادة الثلاثة :

أولا : الزيادة بالتتويج : «يقطين» كل شجرة لا تقوم على ساق . الياء زائدة تتويجا لأن اللفظة صادرة عن قطن أى انحنى ، إذ لا ساق له فينحنى نحو الأرض . « ترفل » تبختر كبرا ، بزيادة التاء تتويجا ، لأن الأصل رفل : أرسل إزاره وتبختر . « نهبل » من هبل بزيادة النون . « هجرع وهبلع » بزيادة الهاء تتويجا ، لأن الأصل جرع وبلع

ثانيا : الزيادة بالإقحام : « زنبيل » من زبيل ، بإقحام النون . « بلطح » من بطح ، بإقحام اللام . « شربك » من شبك ، بإقحام الراء . « جلمح » من جلح ، بإقحام الميم ، « دربل » من دبل ، بإقحام الراء . « طرمح » من طمح ، بإقحام الراء . « عنصل » من عصل بإقحام النون

ثالثا : الزيادة بالتذييل : « بلسن » من بلس ، بإلحاق النون . « حلكم » من حلك ، بإلحاق الميم . « عبدل » من عبد بإلحاق اللام . ومن هذا شىء كثار فى العربية وبقية الساميات

فما قد سلم به وقرره الأقدمون من الزيادة بالحروف وطريقة إجرائها فى الرباعيات والثلاثيات يسوغ بشكل حق وصواب تطبيقه على الثنائيات . وهذا ما قد حاولنا تبيانه فى تآليفنا الثلاثة الموضوعة لهذه الغاية على ضوء الثنائية والألسنية السامية ، مع العلم اليقين بوعورة المسلك

مع ذلك بعد التقصى والاختيار يمكن أن نضيف الحروف القابلة الزيادة على الرساس الثنائية من باب الأغلبية كما يلى :

أولا : كل حرف من الحروف التابعة يصلح أن يكون تارة متوجة Prèfixe ، وتارة مقحمة Infixe ، وأخرى مذيلة Suffixe وهذه هى : أ ت ع ل م ب هـ و ى

ثانياً : الحاء والشين تصلحان للتتويج والتذييل

ثالثاً : هذه الحروف التالية تستخدم للتذييل ، وهى : س ب ك ق

ولمعرفة الأمثلة تفصيلا على طريقة زيادة كل حرف من هذه الحروف ، يمكن الرجوع إلى كتبنا ، ففيها من الشواهد المؤيدة غالب ما أبديناه . فأكتفى بإيراد نماذج على الطريقة المتنوعة الجارية بضرب من الاعتباط ، أى لدواع غير داعى الدلالة على معنى خاص أو على دور معين

فهناك الزيادة من باب الإلحاق ، والإلحاق يحد : بكونه زيادة لا لإضافة معنى جديد ، بل لمحض الموافقة بين وزن ووزن آخر ليعامل معاملته

ولا يكتفى لحروف الإلحاق بأن تكون من حروف سألتمونيها ، بل يستعمل غيرها أيضا . هو ذا الإلحاق من جهة

عند البخارى ووقع فى جميع النسخ عند مسلم (الظهر) مع اتفاق البخارى ومسلم على روايته عن شيخ واحد بإسناد واحد . وقد وافق مسلما أبو يعلى وآخرون و كذلك أخرجه ابن سعد . وأما أصحاب المغازى فقد اتفقوا على أنها العصر ثم قال ابن حجر بعد ذلك إن البخارى كتبه من حفظه ولم يراع اللفظ كما عرف من مذهبه فى تجويز ذلك بخلاف مسلم فإنه يحافظ على اللفظ كثيرا

ولقد بلغ من أمرهم أنهم كانوا يروون الحديث بألفاظهم وأسانيدهم ثم يعزونه إلى كتب السنة

قال العراقى فى شرح الفنية : إن البيهقى فى السنن والمعرفة والبغوى فى شرح السنة وغيرهما يروون الحديث بألفاظهم وأسانيدهم ثم يعزونه إلى البخارى ومسلم مع اختلاف الألفاظ والمعانى ، فهم إنما يريدون أصل الحديث لا عزو ألفاظه

ومن هذا القبيل قول النووى فى حديث (الأئمة من قريش) أخرجه الشيخان مع أن لفظ الصحيح (لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان) ونكتفى بهذه الأمثلة

المنصورة — للبحث صلة — محمود أبو رية

اللام ، نحو « ضربب » من ضرب . « جلبب » من جلب . « قمدد » من قمد . رعدد . رعشن . كرمم . حرجج . دخلل . شملل . صمرر

هناك الإلحاق من غير جهة اللام ، نحو « حنظل » من حظل . « جندل » من جدل . « فلحص » من فحص . « تلمس » من لمس

هناك الزيادة من باب الغنة ، نحو « رنز » من رز ، « حنظ » من حظ ، « أنجار » من أجار ، « انجاص » من أجاص

هناك الزيادة لتقوية الحركة دون قصد معنى معين ، نحو « برا » يقال منه : برع والنسبة برعى ، أن براني . كما يقال توقع من توق . وجزأ وجزع من جزا ، وبدأ وبدع من بدا

هناك الزيادة لعذوبة اللفظ ، نحو « يا أبتى » عوض يا أبي . « عصانى » عوض عصاى . قدنى قطنى بإقحام النون . لعلت ثمت وربت ، بإلحاق التاء

هناك الزيادة لإقامة الوزن ، نحو تبيضضى بدل تبيضى

هذا ، ومن نتائج نظرية الثنائية ، أولاً أن المثال والأجوف والناقص ما هى سوى مزيدات أو توسعات فى الرس الثنائى الذى يجئ فيه التوسع بتكرار الثانى منه ، أو بتشديده ، أى بتكراره لفظاً ووضع الشدة عليه

ثم من جملة أنواع التوسع فى الأصول مثلا : أن الفعل « وثب » مزيد فى الثنائى « ثب » وأن « قام » هو الثنائى « قم » أشبعت حركة حرفه الأول . مما يظهر فى السريانية فى كلمة « قم » إذ لا ألف مقحمة فيها ، ومن الكتابة العربية القديمة المتجلية فى رسم المصحف المحافظ عليه حتى اليوم . إذ لا نجد فيه قام بل « قم » . كذلك الفتحات المشبعة لا يرسم عليها ألف . ويبين ذلك أيضا فى مجرى التصريف الذى إن هو إلا رس الكلمة ملحقا به الضمائر . فيقال : « قم » ت « قم » تم ، « قم » نا . مما جاء دليلا واضحا على أن الأصل هو الثنائى ، وأن هذا الثنائى يدل على معنى تام فى حالته الثنائية ، وكذا الشأن فى الناقص . فإن لامه ليست حرفا ، بل إطالة أو إشباع الفتحة السابقة . مثلا : « رمى » هو الثنائى « رم » حرك حرفه الثانى بفتحة مشبعة علامتها فى الرسم ألف . كذلك « رم » ت

هى « رم » نا هما ، مما يظهر فيه الأصل الثنائى ملحقا به ضمير متصل

أما المضاعف فهو بالحقيقة مركب من حرفين كما يتجلى ذلك فى معاجم الأقدمين « ككتاب المقاييس » لابن فارس ، فإنه يسميه « الثنائى » ويذكر فى المادة حرفين لاغير ، ويرى ذلك فى المضاعف الرباعى أو المطابق كما يدعوه ابن فارس . وما هو سوى ثنائيين مكررين . مثلا : « قرقر » . « خرخر » ، « دبدب » ، « مرمر » ، « لملع » ، « لألأ » ... إلخ »

ومن هذه المادة شيء كثير فى اللغات السامية ولهجاتها ، وقد جمعنا منها ٣٥٠ فى العربية الفصحى ، ويوجد أكثر منها فى اللهجات . وما هذه الأفعال وأسماؤها إلا حكاية أصوات الطبيعة والحيوانات المندفعة إلى تكرار مقاطع لا حروف ، وكل مقطع مركب عادة من حرفين متحرك فساكن ، مما هو وارد على هذا النمط فى اللغات السامية الباقية ، كالسريانية مثلا نجد فيها « بلبل » « زلزل » . وكذا الحال فى اللهجات . أما الفصحى ، فالفتحة الواقعة فى آخر الثنائى ، وفى آخر الأفعال السالمة ، إنما كان داعى وجودها هو الوصل . فعوض القول : خرخر الماء ، قيل فى الوصل : خرخر الماء

وبدل مثل الرجل قيل فى الوصل . قيل الرجل وبعد ذلك بقيت الفتحة فى غير حال الوصل

وأنت ترى أن الطبيعة عينها ميالة إلى الثنائية ، لا إلى الأحادية ، كما يمكن بعضهم التوهم أن الإنسان الأول بدأ يتكلم بحروف منفصلة ، لأن الحروف المنفصلة لا وجود لها إلا فى جدول الأبجدية ، أى فى الكتابة ولا فى اللفظ . والسبب أن أعضاء النطق عينها لا تخرج للتكلم حروفا صامتة متفرقة ، بل مقاطع مركبة من الصامتات تحركها الصائتات

ومن الأدلة على وجود الثنائى فى أصل اللغات ولاسيما السامية منها ، هو أن المضاعف العربى الذى يقال إنه مركب من ثلاثة حروف أصلية لا نجد مقابله فى السريانية إلا بحرفين اثنين لا أكثر . مثلا مقابل « مص » مص ، وبحذاء « حم » حم ، وبإزاء « مس » مس وهكذا كل المضاعفات التى هى بالحقيقة ثنائيات . الثنائى وارد فى كل الساميات متصفاً بمعنى حقيقى وتام

ولنا برهان حسى جلى على وجود الثنائى فى أصل اللغة يستخرج من العناصر الأولية للغة العربية ، وهى أسماء الأصوات ودعاء الحيوانات وزجرها ، وبعض أسماء الأفعال ، فهى ثنائية . ومنها كان بدء صوغ الفعل المضاعف ومكرره . مثلا « أف » كلمة تكره « آه » للتوجع « به » بخ لاستعظام الشئ «غس» لزجر الهر (ضع) اسم صوت يزجر به الجمل عند ترويضه (بس) دعاء ، وزجر للغنم ، (صه) أمر بالسكوت ، (مه) أمر بالكف

فمن هذه الثنائيات صيغ أفعال إما بتحريك الساكن وتشديده؛ وإما بتكرار الثنائى ذاته وتحريك الآخر فى العربية . فقيل : أف ، أه ، به ، بخ ، غس ، ضع ، بس ، صهصه ، مهمه . وكذا القول فى : (ثب) ، فانه مشتق من ثب ، ومنه المكرر (ثب ثب)

أما (وثب) فهو ثب زيدت فيه الواو تتويجا ، فحصل من ذلك ما يدعى فى الصرف مثالاً . وجدير بالملاحظة كيفية وقوع الزيادة فى (ثب) ، (ووثب) أى باضافة حرف مع بقاء اللحمة المنوية بين المجرد والمزيد ، وهى بالحقيقة مستمرة بينهما . إذ أن (ثب) يراد به الجلوس بتمكن ، و (وثب) يعنى القعود فى لغة حمير ، ويدل على النهوض وعلى الظفر ، على أن هذا التضاد يزول إذا عرفنا أن الثنائى (ثب) متضمن معنى عاما ، هو فحوى الحركة التى هى أساس هذه المداليل المختلفة ، لا بل المتنافرة ظاهريا . فعند فريق أو قبيلة من القبائل دل الفعل على القعود ، لأن فى القعود حركة ، وعند قبيلة أخرى أطلق الفعل على القيام والقفز ، لأن فى ذلك كامن المدلول العام ، وهو الحركة

أما القول — وهو قول أحد الغربيين — بأن (من وثب) هو بمنزلة من جلس فى الهواء ، فهو من المعانى التى لم تخطر على بال العرب حين تداولوا كلمة (وثب) لحسبان مثل هذا الحادث عصر ذاك من خوارق الأنبياء ، بيد أنه يفهم فى عصرنا الذى تمكن فيه الإنسان من أن يجلس نوعا من الجلوس فى الهواء أى ركوبه الطائرة

ومما يجدر بالذكر أن مقابل « ثب » العربية وارد فى السريانية Vethel ، ومعناه وثب ، جلس ، قعد . مما ينجم عنه بوضوح أن الرس الثنائى هو « ثب » فتوسع فى الزيادة بطرق مختلفة مع استمرار الصلة المنوية بينه وبين مزايداته ، أى فحوى الحركة أولا فى العربية بتضعيف حرفه الثانى ، فجاء «ثب» ثم باضافة واو تتويجا فى العربية ذاتها ، فصدر عن ذلك فعل « وثب » ، وبزيادة ياء بالتتويج أيضا فى السريانية ، فنشأ Vethal ، وكذلك زيدت الياء بعين الطريقة فى العبرية . . . . Vashal وفى الأرمية Vethel ؛ ونجد فى الحبشية . . . . . Awsaba كما فى العربية ، بالواو أما الأكدية فوارد فيها Anahabu و Mshabu أى باضافة واو كالعربية والحبشية

من مفترضات الثنائية أن أصل المفردات حرفان ، فيجرى التطور بزيادة حرف ثالث عليها إما تتويجا وإما إقحاما ، وإما تذييلا ، مع بقاء اللحمة المنوية بين الثنائى والثلاثى ، كما هى مستمرة بين الثلاثى والرباعى ، وما فوقه من المزيدات

على أنى بفضل تقصيات خاصة توصلت إلى الوقوف على أن الثلاثى غير ناشئ عن ثنائى واحد ليس إلا ، بل عن ثنائيين أو ثلاثة ، حسب اختلاف مداليله . وقد أوردت فى تآليفى شواهد تثبت هذا القول . فأجتزئ هنا بسرد واحد من الأمثلة . هناك فعل (هلب) المختلف ، لا بل المتنافر المفاهيم ، لكن يمكن القول بأن (هلب) مشتق أولا من (لب) بزيادة الهاء تتويجا . ثانيا : من (هب) بإنزال اللام إقحاما . ثالثا : من (هل) باضافة الباء تذييلا

هلب : كثر شعره ، من (لب) ، ومنه اللب أى القلب ، لتراكم الشحم عليه . واللبة : اللحم المجتمع فى أعلى الصدر ، وفيه معنى الوفرة والكثرة

هلب : نتف وجز ، من (هب) المراد به القطع ، والنتف ضرب من القطع

هلب : السماء القوم : بلتهم بالندى ، ومنه ليلة هالبة أى ماطرة . والهلابة : الريح الباردة ، من (هل) الدال على هطول المطر وشدة انصبابه

الأهلب : المنتوف الشعر ، من (هب) ومنه هب السيف : قطعه

الأهلب : كثير الشعر ، من (لب) المراد به : التراكب

والتجمع والتلبد . وبهذا تنسق المعاني وتزول الضدية

أختم بالقول أن الثنائية ليست كما يتبادر إلى الوهم ، هدامة للثلاثية والرباعية ، ولاهي مقوضة أركان المعاجم ، إنما هي وسيلة للتأصيل السابق طور التصريف . فالقائل بالثنائية يدع التصريف على ما هو للثلاثي والرباعي ، ويحصر عمله في المعجمية . وفي هذا الحقل فيته لا يتوخى محق الثلاثية والرباعية ، لكنه يرتئي بأنه كما أن الرباعي يسوغ رده إلى الثلاثي ، وكذلك يمكن رد الثلاثي إلى الثنائي . مما ينجم عنه أن ليس الثلاثي بدء الاشتقاق ، بل الثنائي

ويرى عمليا أن في هذه النظرية فوائد جمة للمعجمية ، منها تجلي الانسجام والتساوق في تشعب الألفاظ بعضها من بعض ، وتوسع المعاني وتطورها مما هو واضح القصدان في الحالة الثلاثية الحاضرة

فمن ثم ، لا خشية على المعاجم من الثنائية ، لأنها بالعكس تتمشى فيها تنظيما معقولا ، كما أن ترتيب المعاجم الحديثة ، مثل محيط المحيط ، وأقرب الموارد، والبستاني لم يضر المعجمية بل نفعها ، وإن خالف في الواقع تنظيم المعاجم القديمة ، أو بالأحرى عدم التنسيق فيها

والآن أكرز للمجمع الموقر آيات الشكران ، متمنيا لجميعكم التوفيق والنجاح في خدمة اللغة العربية الجليلة والسلام

الأب مرمرجي الدومنيكي

صديق رجيم

مهداة إلى صاحب العزة الزيات بك

للأستاذ حبيب الزحلاوي

ما أكثر ما نخدع أنفسنا بأصدقائنا لسلامة في طويتنا ، أو غفلة من النظر إليهم بغير عين الصديق

كثيراً ما سمعت الأستاذ العقاد يقسم الصداقة إلى أنواع ، ويصنف الأصدقاء أصنافا ، هذا نصف صديق من نوع كذا ، وذاك ربع أو ثمن صديق من صنف كيت ، وكانت لائحة الأصدقاء عنده أشبه ما تكون بورقة ذات خطوط وتعاريج في الطول والعرض يثبتها الطبيب فوق سرير المحموم تسجل المواسية فيها درجات الحرارة وتقلباتها . وما كان يضير أستاذي العقاد أن يسقط صديقا من صفوف الأنصاف إلى الأثمان أو يرفع آخر إلى أعلى درجة ، ولا يؤاخذهم على بادرة أو هنة أو هفوة إلا بالحساب القياسي لمنزلتهم من الصداقة

كنت أستغرب تلك التقسيمات ولا ترتاح نفسي إليها ، لأني تدربت منذ الصغر على أن مكان الصداقة هو الذروة إن تزحزحت عنها هبطت إلى الحضيض ، وأن الوسط بين الذروة والحضيض هو النفاق ، وكنت إن منحت صداقتي لإنسان فإني أمنحه إياها بسخاء كامل ، وإن ضننت بها ، فإني أضن ضن الشحيح المتأبي ، وكنت أعتمد في الحالتين على الحدس والجاذبية

لقد قطعت أشواطا من حياتي ، فما أكثر من خاصمت خلالها من أصدقائي ، وما أقل ، بل ما أندر من عاديت منهم لاعتقادي بأن الخصومة من شيم الأصدقاء العقلاء . أما العداوة فهي من أوصاب الجهلاء والأغبياء ، وإني أنزه أصدقائي عن الغباء والجهل لأنهم كلهم بين أديب وعالم ومن خيار المثقفين

* * *

لقد أدهشتني يا صديقي ، يوم عاتبتني بشدة ، وعهدي بك الدمث السلس ، وما عهدت بك الفجاجة والتوعر قط ، لقد أذهلتني ساعة سألتني عن ذلك الإنسان الذي جالسنا فترة بل هنيهة وانصرف . لقد أذهلتني وقد كانت نبرة الكلمة تنطلق من بين شفتيك كالسهم ، تسألني بشدة وصرامة أني وكيف عرفت ذلك الوجه الكالح المكفهر ، والقدم الفظ السمج الغليظ، لقد حيرتني رأنت تنقض كالصاعقة تنزل البلاء بصديقي الذي لم تره إلا في تلك الجلسة العابرة ..ولم تسمع سوى نتف من حديثه الخاطف ، لقد تحيرت لا لأنك استثقلت روح صديقي ومججت كثافة ظله ، بل لأن حكمك الجائر ينصب على ذوقي ، وعلى معرفتي وتقديري فيمن اختار من الأصدقاء

لم أحاول إقناعك بأنك جائر في حكمك على صديقي المسكين

لأنى كنت فى تلك الساعة مشغول الذهن بك وقد جاش صدرك بالغيظ منى. لقد توهمت أنك تنتزع منى كل الصفات والمزايا التى أحببتنى من أجلها، توهمت ذلك، بل دهمنى التوهم فجاءة، أنا الذى طالما اتفقت معك فى الذوق والتقدير، والاختيار والإعجاب، ولم نتخلف فى حكم واحد على أمر واحد إلا فيما قل أوندر. وقد كنا فى هذا الاختلاف النادر نلجأ إلى المنطق، والذوق، والقواعد المقررة والمتعارفة، لنصل إلى الحق والخير فنقف بجانبهما

لقد انطويت على نفسى أستعرض ملامح وجه ذلك الصديق المسكين، أستذكر حكاياته وتصرفاته، أردد أفكاره وأحكامه، أستجلى ماضيه وحاضره، وأستشف غرائزه وملكاته، من جود وبخل، وكرم ولؤم، وأنفةواستكانة، وكبروتواضع، وشجاعة وجبن، إلى آخر ما هنالك من ملكات تحتم الصداقة معرفتها لتقر الصديق بنفس يقظة، وعين لماحة، وذهن يعى ويحصى ويسجل.

فعلت ذلك لا لأجنس خلائق صديقى، بل لأقارن بين حدتك، وبين جاذبية جذبتنى إليه ودفعتك عنه، وبين إئتناسى به ونفورك منه، ولمعرفة الأسباب التى جماعتك ترضى عن أكثر أصحابى، على قلتهم، وتغضب على هذا الفرد الوحيد الذى لم أرفيه وأسمع منه ما يبعدنى عنه كما نفرت أنت منه وأنكرته. لم تعد المسألة وقفا على صديقى ذاك، بل تحولت فصارت مسألتى أنا ومسألتك أنت، وهل هذا الاختلاف الطارئ بيننا سيكون مقدمة لاختلافات تليه، وتباين فى الألفة الروحية والانجذاب إلى الأشخاص والأشياء؟

* * *

من صعاب الأمور تكليف النفس الخروج على سجيتها؛ ومن أشقها عليها تحميلها صعابا تثقل على الولاء بين الأصدقاء، ولكن للظن والفطانة حق علينا، بل لنا عليها حق اللجوء إليها فى كل ما تدعو الحصافة إليه، وقد أظهرا لى فى ذلك الصديق أمورا يحسن السكوت عن أكثرها لبعدها عن الغاية التى كانت موضوعا لكتابة هذه الرسالة

أية فائدة لغير الباحث المحلل فى معرفة ما إذا كان صديقى ذاك شجاعاً أو جباناً، متدينا أو غير متدين، مؤمنا أو ملحدا، متعصباً أو متسامحا، كريما أو لئيما، ولكنى أقول فى مجال العابر بعض ما استنتجت من خلائقه دون البعض الآخر: إنه مخلوق يجمع بين الأضداد التى ذكرتها كلها جميعا مضبوطا على القصد المضبوط، يتقلب فى أمواجها المتدافعة والرهو، وسبب ذلك على ما يبدو لى، المرض والثقافة، فهو مريض حقا، ومثقف متبحر متمكن، وأنت تعلم ياصديقى أن لا محيد للمثقف الحصيف عن تغليب سلطان العقل على الإيمان، كما لامهرب للمريض من اللجوء إلى المجهول والاستغاثة به، وعلى هذا القياس أقول إنه يجمع بين الشئ وضده فى زمن واحد، ولحة واحدة

قد تسألنى عن كنه هذه الصداقة وارتباطى بها ردحاً من الزمن فأجيب: الكمال نسبى. والإنسان الذى تتوفر فيه أكثر صفات الكمال المثالى نادر، والشذوذ عنصر أصيل فى طبيعة الأديب والعالم، وإن رضى الإنسان عن ناحية من الصداقة، لايعنى الرضوان المطلق عن بقية النواحى، والانجذاب إلى الصوب الدانى من النفس هو الأساس الذى يشاد عليه بناء الصداقة، ومن هنا نجد أن قاعدة الأستاذ العقاد فى تقسيم الصداقة إلى أنصاف وأرباع وأثمان إنما هى قاعدة صحيحة

وصديقى ذاك قوال مدره، ذرب اللسان، حاضر البديهة، واضح البيان « يأخذ من كل جانب من جوانب الأدب والعلم بطرف » فياض فى الأحاديث يستقيها من مصادرها، ولست أدرى كيف يتوصل إلى تلك المصادر، وإذا ما بدت لك أطراف من الإفك فى رواياته فإنه من الصعب أن تتبين غير ملامح الجد فى وجهه وتصلب قسماته. وهو كأكثر الناس فى المغالاة والمبالغة وتزويق الكلام، مزاح ضحاك، شديد اللدد، يتقلب فى لحظة واحدة من حالة اللؤم وبوادرها مثلا إلى حالة طفلة ساذجة. وهو بحكم العلة المرضية التى تنخب كبده « يدعى قول ما كان يود أن يقوله لمجادليه ما قاله لهم حين الجدل »، وهو لهزاله وضعفه يتصلف ويتكبر تكبر الأقوياء. فأنت ترى أن لا غيوم فى أفق هذا الصديق، ولا مذاهبه مستعجمة، ولا

مسالكه شائكة ، ولا نزرته رخيصة ، وأن من السهل الهين الأخذ منه ما يعرف والضن عليه بما نعرف ، وهو على كل حال طرفة بالقياس لمن نعرف من الناس ، وعرة ظريفة من نوع من الأنواع

* * *

وحدث مرة أن سألنى ذلك الصديق سؤالا لا يمت إلى حياتنا الأدبية بصلة ، ولا يدنو إلى ما ألفنا من أحاديث الأدب والاجتماع . سألنى أى أنواع المغامرة أحب إلى ؟ قلت : أحبها إلى نفسى هو الجهاد فى كسب الرزق . قال : لم أرم فى سؤالك إلى طرق الكسب بل قل لى ، ألا تميل إلى انتزاع فتاة من عشيقها يستتران فى الظلام ؟ قلت ما قيمة حيازة فتاة دون امتلاك قلبها ؟ قال مالنا وللفلسفة ؟ ونظر إلى وحدق وقال : نحن الآن عند حافة صحراء « الماظة » وأنت ترى على مقربة منا سيارة يملكها أحد الأثرياء من داخلها سيدة يغازلها ذلك الثرى، ألا يخطر ببالك أن نتضافر فننقض على الرجل ننتزع حافظة نقوده وعلى المرأة ننتزع حليها ؟ قلت أعوذ بالله مما تقول ، هل أنت مجنون ؟!!

انقضى وقت طويل على هذا الاستجواب العجيب الذى اختتمه بضحكة عريضة ، ولم أعره اهتماماً لأنى ما حدت فى مغامراتى كلها عن جادة العمل للمجتمع ، ولأن أعمالى الخاصة التى فزت بنصيب منها كانت قرينة الجرأة حليفة الإقدام والمثابرة

وحدث مرة ثانية أنى كنت وذلك الصديق بعينه مع رفيقين آخرين ـ سأحدثك عنهما فيما بعد ـ فى مشرب عند صحراء « الماظة » وأن القدر الذى احتسيناه من الشراب كان كافيا لأن يجعلنا نتحلل من قيود العقل ، وأن ينفلت منا زمام التقدير، وأن نستهين بكل مسؤولية

قال صديقى مخاطبا رفيقنا : ألم تكن هناك على بعد كيلو مترين من هنا ؟ ومد ذراعه يشير إلى قلب الصحراء من جهة الشرق

ضحك الرفاق الثلاثة ضحكة غريبة الجلجلة وقال أحدهم « ملعون أبوها »

قلت : من هى تلك التى استنزلتم اللعنة على أبيها ؟

فتاة اشتهيناها ، إن رأيتها أنت كنت أشدشهوة منا إليها

قلت ما حكايتها ؟

أسرع كل من الرفاق الثلاثة إلى قص القصة ، وأخذوا يتدافعون فى حكايتها تدافعاً ، هذا يمهد ويقدم ، وذاك يشرع فى السرد ، والآخر يصحح الوقائع ويعيدها إلى أصولها . وها أنذا ياصديقى ألخص الواقعة وأجلها بكلمات ، كلمات معدودات وددت لو أختزلها حرصا على الكرامة الإنسانية ، واستحياء من نفسى

رضيت فتاة من سبط لاوى أن تبيح عرضها لهؤلاء الشباب المثقفين المهذبين لقاء أجر اتفقوا عليه

وأبت البيعة إلا أن تقبض الأجر مقدما ، ولما تم الأثم قبض أحدهم على ذراع المرأة وانتزع الثانى حقيبتها من يدها انتزاعاً ، وأسرع الثالث إلى السيارة يهيئها للهرب ، وقد اندفعت السيارة بأقوى سرعتها تحمل الأبطال الثلاثة وبقيت المسكينة فى الصحراء تعوى كالذئبة ولا من مجيب !

أتدرى ياصديقى كم حوت حقيبة العاهرة وماذا كان فيها ؟ كان فيها منديل ، وقرش صاغا واحد ، ومفتاح غرفتها ، والأجر الزهيد الذى قبضته غنا لعرضها

أى صديقى ، لقد كان كشف لدنى فتحه الله على بصيرتك . يوم رأيت ذلك المخلوق التعس فنفرت منه واستثقلت روحه وكثافة ظله ، أما أنا فقد كنت أعشى العين والبصيرة . أنظر إلى ذلك الصديق من خلف غشاء قدمى نسجته بيدى إجلالا للصداقة . لست بأول إنسان خدع نفسه بمثل هذا الصديق ، إن القط الأليف هو من فصيلة النمر المتوحش ، كذلك الإنسان المهذب من فصيلة الشرير الأثيم ، ولكن متى بدرت بادرة الغرائز الكامنة عاد كل إلى أصله

حبيب الزحلاوى

الرعايا غير العبيد

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

كنت أحب للأستاذ الفاضل الشيخ خالد محمد خالد وهو عالم أزهري أن يتأمل قليلا في اسم كتابه الجديد — مواطنون لا رعايا — ولو أنه تأمل قليلا في معنى كلمة رعايا لاختار له هذا الاسم — مواطنون لا عبيد — لأن موضوع كتابه في هذا المعنى . ولو أنه سماه أيضا — رعايا لا عبيد — لما خرج عن معنى كتابه ، ولما خرج عما ينبغي لعالم من علماء الدين ، والأستاذ من أساتذة اللغة ، لأنه أساء إلى كلمة رعايا ، وحملها ما لا تحمله في اللغة والدين

روى مسلم والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال . كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ؛ الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته

وفي هذا الحديث دلالة صريحة على أن الراعي ليس معناه السيد ، حتى تكون الرعية بمعنى العبيد ، لأنه جعل كل واحد من الناس راعيا ، فلو كان الراعي بمعنى السيد والرعية بمعنى العبيد لكان كل واحد من الناس سيدا وعبدا في وقت واحد ، وهذا تناقض . على أن الحديث جعل الخادم راعيا في مال سيده ، وفي هذا دلالة قاطعة على أن الراعي ليس بمعنى السيد ، وإلا انقلب الوضع في هذه الحالة ، لأن الخادم مسود لا سيد

وهذا عثمان بن عفان يكتب إلى عماله في أول خلافته ، فيطلب إليهم أن يكونوا رعاة لا جباة ، فيعطى هذه الكلمة معناها الكريم ، ويقول في ذلك : أما بعد ؛ فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة ، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ، ولم يخلقوا جباة ، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ، ولا يكونوا رعاة ، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء ، والأمانة والوفاء . ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين ، وفيما عليهم ، فتعطوهم الذي لهم ، وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تثنوا بالذمة ، فتعطوهم الذي لهم ، وتأخذوهم بالذي عليهم ، ثم العدو الذي تنتابون ، فاستفتحوا عليهم بالوفاء

فيفرق عثمان في هذا بين الرعاة والجباة ، وهذا الفرق يكاد يحمل الجباة معنى السادة الذين يتمالون على الرعية ، وينظرون إليها من الناحية المالية ، فلا يهمهم إلا أن ينتزعوا منها مالها وهم في عزة السادة ، وإلا أن تقدم إليهم هذا المال في صغار وذلة ، وعلى هذا يكون الرعاة الذين يقابلون الجباة لا يحملون شيئا من معنى السادة ، ولا تكون الرعية لهم عبيدا ، بل يجمعهم جميعا اسم المواطن

فإذا انتقلنا من هذا إلى معنى كلمة رعية في اللغة وجدنا القاموس يقول : الراعي كل من ولى أمر قوم ، والجمع رعاة ورعيان ورعاء وقد يكسر ، والقوم رعية كغنية . ثم يقول : وراعيته لاحظته محسنا إليه ، وراعيت الأمر نظرت إلى م يصير ، وراعى أمره حفظه كرعاه ، واسترعاه إياهم استحفظه

وإذا انتقلنا من القاموس إلى النهاية في غريب الحديث والأثر وجدناها تقول : وفي الحديث « نساء قريش خير نساء ، أحناه على طفل في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده » هو من المراعاة الحفظ والرفق وتخفيف الكلف والأثقال عنه ، ومنه الحديث « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » أي حافظ مؤتمن ، والرعية كل من شمله حفظ الراعي ونظره ، وفي الحديث « إلا إرعاء عليه » أي إبقاء ورفقا ؛ يقال أرعيت عليه ، والمراعاة الملاحظة ، وفي حديث عمر « لا يعطى من الغنائم شئ حتى تقسم إلا لراع أو دليل » الراعي ههنا عين القوم على العدو ، من الرعاية والحفظ ، ومنه حديث لقمان بن عاد « إذا رعى القوم غفل » يريد إذا تحافظ القوم لشئ يخافونه غفل ولم يرعهم

وإذا انتقلنا بعد هذا إلى المصباح المنير في غريب الشرح الكبير وجدناه يقول : وقيل للحاكم والأمير راع لقيامه بتدبير

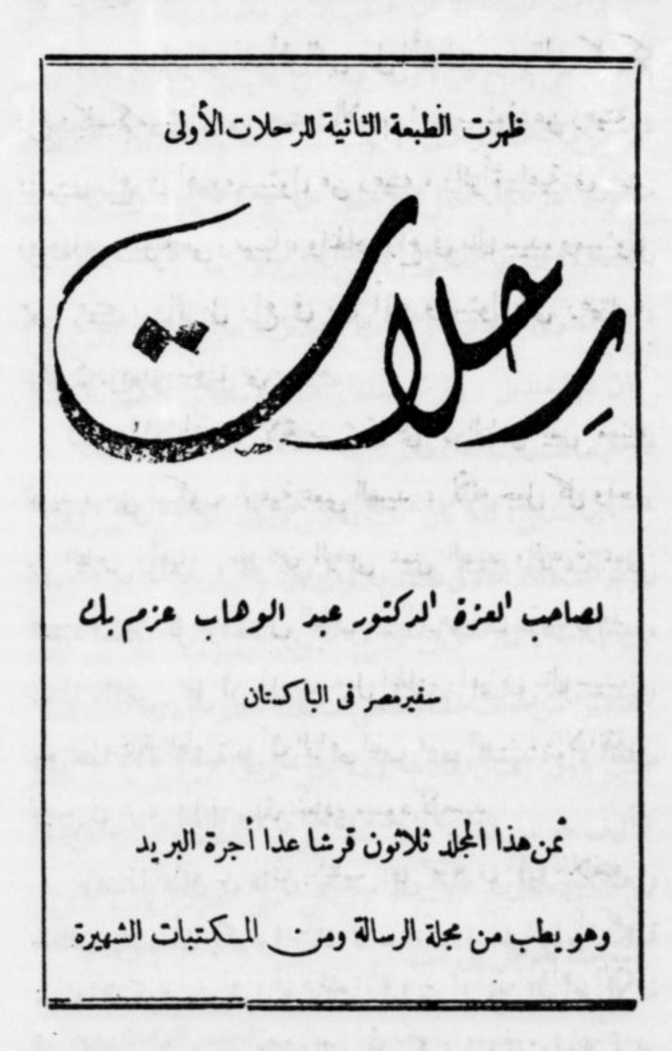
الناس وسياستهم ، والناس رعية ، وراعيت الأمر نظرت فى عاقبته ، وراعيته لاحظته

وفى كل هذه النقول من كتب اللغة لا نجد فى كلمة راع ورعاة معنى السيادة والتسلط والتحكم ، ولا فى كلمة رعية معنى الخدمة والعبودية ، وإنما وظيفة الراعى حفظ الرعية وملاحظتها بالرفق واللطف ، والإبقاء عليها بصيانتها عن موارد الهلكة ، وتدبيرها وسياستها بالعدل ، وهو فى هذا أقرب إلى أن يكون خادما للرعية ، والرعية فيه أقرب إلى أن تكون هى المخدومة

وكذلك الأمر فى الرعية من جهة الدين ، لا شىء فيها من معنى العبودية ، ولا شىء فى الرعاة من معنى السيادة ، وإنما الخليفة وولاته أصحاب وظائف فى الرعية ، يخدمونها بأجر تفرضه لهم على قدر حاجتهم ، وهى التى تختارهم لخدمتها بمحض إرادتها ، وهى التى تعزلهم إذا أساءوا فى خدمتها ، فهى صاحبة السلطة عليهم فى الحقيقة ، وهى الراعية عليهم فى نفس الأمر ، وهم خدامها فى الواقع ، وما الخليفة وولاته إلا وكلاء عنها فى تدبير أمورها العامة ، لأن كل فرد منها تشغله أموره الخاصة فى دنياه ، فلا بد لها من أفراد منها ينوبون عنها فى تدبير أمورها العامة ، ولا يمتازون فى هذا بشىء عليها ، وإنما هم رعية مثلها ، يقومون بأعمالهم كما يقوم كل فرد من الرعية بعمله ، ولا يستحقون ما يأخذونه من المال لذاتهم أو لشرفهم ، وإنما يستحقونه بما يقومون به من عمل ، ولهذا أعطاهم الإسلام اسم العمال ، فقال تعالى فى الآية — ٦٠ — من سورة التوبة (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) فالعاملون عليها هم الولاة ، وهم العمال ، ولا مانع من أن يدخل فيهم الخليفة ، لأنه رئيس هؤلاء العمال ، ولم تكن حكومة الخلفاء الراشدين إلا حكومة عمال ، وهذا قبل أن تعرف أوربا الحديثة هذا النظام فى الحكم ، وقد كانت حكومة عمال صالحة ، ولم تكن حكومة عمال لا تتورع عن السياسة الآثمة ، كما لا تتورع حكومات العمال فى أوربا الحديثة عن هذه السياسة

وقد كان على الأستاذ الشيخ خالد محمد خالد أن يعرف هذا كله ، وأن يدرك أن الناس حينما يطلعون على اسم كتابه — مواطنون لا رعايا — ينتقل نظرهم إلى حديث « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ويفهمون أن الحديث يقر الرعية بالمعنى الذى ينكره اسم كتابه ، وفى هذا ما فيه . وعلى الأزهر أن يتدبر فى أمر أهله بالإصلاح الذى دعونا إليه ، وتوالى علينا الظلم بسببه ، حتى يستقيم تفكيرهم ، ولا تتغلب عليهم مطالعاتهم الخاصة ، وقد أعذر من أنذر

عبد المتعال الصعيدى



عقيـــدتى

للفيلسوف الانجليزى المعاصر برتراندرسل

ترجمة الأديب عبد الجليل السيد حسن

مقدمة المؤلف :

حاولت فى هذا الكتيب أن أقول ما أعتقده عن مكانة الإنسان فى الكون ومدى إمكانياته على بلوغ الحياة السعيدة . ولقد عبرت عن مخاوفى فى « إيكاروس » (١) أما فى الصفحات التالية فإنى قد عبرت عن آمالى (والتناقض واضح بين الموقفين) ولكن الإنسان لم يحذق فن التنبؤ بالمستقبل إلا فى علم الفلك . غير أننا نرى فى الأمور الإنسانية : قوى تعمل على السعادة وقوى أخرى تعمل على الشقاء ، ولا ندرى لأيهما سيكون الظفر والغلبة

فلكى نعمل بحكمة ، علينا أن نكون حذرين من كليهما

أول يناير ١٩٢٥ برتراندرسل

الفصل الاول

الطبيعة والانسان

إن الإنسان جزء من الطبيعة . وليس شيئا يقارن بها ، فأفكاره وحركاته الجسمية تخضع لنفس القانون الذى يفسر حركات النجوم والذرات . وإن العالم الطبيعى لضخم إذا قورن بالإنسان — بل وأضخم مما كان يظن أيام « دانتى » (٢) — ولكنه ليس فى الضخامة التى كان يتصور عليها منذ مائة سنة ، فإن كلا منهما يعلو وينخفض ويكبر ويضؤل . ويبدو أن العلم آخذ فى مشارفة النهاية . فالظنون أن الكون ذو امتداد محدود فى الفضاء ، وأن الضوء يستطيع أن يسير حوله فى بضع مئات من ملايين السنين

والمعروف أيضا . أن المادة تتكون من « الكترونات . وبروتونات » ذات حجم محدود ، ومنهما يوجد عدد محدود فى العالم . ومن المحتمل أن لا تكون تغييراتهما مستمرة كما كان يظن ، بل إنها تتقدم على دفعات ، لا يمكن مطلقا أن تكون أصغر عن حد أدنى من الدفعات . ويمكن إجمال هذه التغييرات بسهولة ، فى عدد صغير من مبادئ عامة ، تحدد ماضى العالم ومستقبله ، حين يعرف أى جزء ضئيل من تاريخه

وهكذا يقترب العلم الطبيعى من المرحلة التى سوف يكمل عندها ، وحينئذ لن يكون ذا أهمية ؛ فحينما تعرف القوانين التى تتحكم فى حركات الإلكترونات والبروتونات سيكون الباقى فقط عبارة عن جغرافيا — مجموعة حقائق معينة ، تظهر توزيعاتها خلال جزء من تاريخ العالم . ومن المحتمل أن يكون العدد الجم من حقائق « الجغرافيا » المحتاج إليه تعيين تاريخ العالم محدوداً ، ومن المستطاع كتابة كل ذلك نظريا فى كتاب ضخم ، ليحفظ فى بيت « سومرست » ويزود بآلة حاسبة ذات يد تدور ، لتمين الطالب على أن يجد الحقائق فى أى وقت آخر ، بأكثر من هذه النصوص المكتوبة

وإن لمن الصعوبة بمكان أن نتخيل شيئاً أقل أهمية أو أكثر اختلافا من الابتهاج الشديد إزاء كشف غير تام ، فذلك مثل الصعود إلى جبل شاهق. ثم لا نعثر فوق قمته إلا على مطعم يباع فيه شراب الزنجبيل ويحوطه الضباب ، ولكنه مزود باللاسلكى . ولربما كان جدول الضرب مثيراً للعجب أيام أحمس !!

---

(١) إيكاروس هو ابن ديدالوس — فى أساطير الإغريق — المهندس الفنان الذى صنع قصر اللابيرنث لمينوس ملك كريت ، ثم إن ديدالوس خان مينوس فاعتقله مينوس هو وابنه ، ولكن ابنه إيكاروس أشار على أبيه بعمل أجنحة ليهربا من كريت ، وتم عمل الأجنحة وقال الأب لابنه يا بنى لا تعل بعيداً حتى لا تذيب الشمس شمع أجنحتك ، ولكن إيكاروس غرته قوته وفتوته وأعجبته حيلته ، فطار عالياً حتى أذابت الشمس أجنحته المثبتة بالشمع ، فوقع فى البحر ، ويرمز بإيكاروس إلى الطموح الذى يزيد عن حده فيورد صاحبه موارد التهلكة . وقد اختار رسل هذا الاسم عنواناً لكتاب له نشر فى نفس السلسلة بعنوان « إيكاروس أو مستقبل العلم » (المترجم)

(٢) دانتى الباجيرى شاعر الطليان العظيم وصاحب الكوميديا الإلهية

والإنسان جزء من هذا العالم الطبيعي — غير الرائع في ذاته وجسمه كأي مادة أخرى يتكون من الكترونات وبروتونات ويخضع تماما لنفس القوانين، كما تخضع سائر الأشياء التي تدخل في عالم الحيوانات أو النباتات

وهناك من يقولون : إن الفسيولوجيا : لا تحتاج إلى الطبيعيات . ولكن أدلتهم على ذلك غير مقنعة ، ومن الحكمة أن نفرض أنهم مخطئون

ويبدو أن ما نسميه أفكارنا ، تعتمد على نظام تلافيف المخ بالطريقة عينها التي تعتمد الأسفار بها على الطرق والسكك الحديدية . ويظهر أيضا : أن الطاقة المستعملة في التفكير ، لها أصل كيميائي — فمثلا نقص اليود، يحول الرجل الذكي ، إلى أبله — والظاهرة العقلية مرتبطة بالبناء المادي للمخ

ولو كان هذا كذلك ، لما استطعنا أن نفرض أن الإلكترون أو البروتون الفرد ، يستطيع التفكير ، كما لا يمكن أن نتوقع كذلك فردا واحدا يلعب كرة القدم . ولا نستطيع أيضا أن نفرض أن تفكير الإنسان يبقى في جسد ميت ؛ لأن الموت عزق نظام المخ ويبدد الطاقة التي عد تلافيف المخ

* * *

ووجود الله وفكرة الخلود وهما المقيدتان الرئيسيتان ، في الديانة المسيحية ، لا يجدان لهما أية دعامة من العلم . ولا يمكن القول أن كلا من المقيدتين ضروري للدين ؛ لأن كليهما لا يوجد في البوذية (أما من ناحية الخلود ، فإن هذه الحالة في إحدى صورها المبهمة ، قد تقود إلى الخطأ ، ولكنها صحيحة في التحليل الأخير) ولكننا في الشرق ، تعودنا أن نفكر فيهما كلازم لوازم اللاهوت

وليس هناك من شك في أن الناس سيستمرون في الاستمتاع بهذه العقائد، لأنها سارة، كما أنه من السار أن نعد أنفسنا فضلاء وأعداءنا أشرارا

أما من جانبي فأنا لا أرى اى أساس لكليهما ، ومع ذلك فأنا لا أدعى أن في طوق أن أثبت أن ليس هناك من إله ؛ أو أن أبرهن على أن الشيطان خرافة . فقد يوجد الإله المسيحي ، وكذلك قد توجد الأولمب ، أو مصر القديمة أو البابليون ؛ ولكن ... ليس هناك واحد من بين هذه الفروض ، بأكثر احتمالا من الآخر ، فهي كلها توجد خارجا، حتى عن دائرة العلم المحتمل ، ومن ثم ... فلا داعى هناك لكي نأخذ بأحدها — ولن أتوسع في هذه المسألة ، فقد عالجتها في مكان آخر (٣)

إن مسألة الخلود الشخصي ، تقوم على أساس مختلف نوعا ما ، فهنا يتضح أن كلا الطريقين ممكن ، فالأشخاص جزء من العالم المادي الذي يتعلق به العلم ، والحالات التي تحدد وجودهم معروفة . فقطرة من الماء ليست خالدة ، فهي قد تتحلل إلى « اكسجين » و « هيدروجين » ولذلك إذا فرضنا : أن أية قطرة من الماء أصرت على أن لها خاصية من المائية ، ستحفظ عليها تحللها فإنا أقرب إلى أن نكون شكا كا مسفسطين

وبمثل هذه الطريقة نعلم أن المخ غير خالد ؛ وأن الطاقة المدبرة للجسم الحي تصبح كما كانت غير موجودة عند الموت ، ومن ثمت . فليست جديرة بعمل جماعي . ولذلك كان من المعقول أن الحياة العقلية تتوقف حينما تتوقف الحياة الجسمية ، وهذا دليل محتمل فقط ، ولكنه في قوة الأدلة التي تبنى عليها معظم النتائج العلمية ، وكل البراهين ترينا أن ما نعده حياتنا العقلية مرتبط ببناء المخ ، وبالطاقة المدبرة للجسم . ومن المحتمل أن تهاجم هذه النتيجة بمقتضى أسس مختلفة ؛ فالبحث الطبيعي يقر أن الحصول على برهان علمي صحيح لا يشك في حيثياته ، عن البقاء أمر صحيح من الوجهة العلمية . وبرهان من هذا القبيل قد يكون من القوة بحيث أن أي إنسان ذي نزعة علمية لا يستطيع رفضه ، ولكن أهمية الارتباط بالبرهان يجب أن تعتمد على السابقة المحتملة لفروض البقاء ؛ فهناك طرق متباينة لتعليل أية مجموعة من الظواهر ، ولكننا نفضل من بينها السالفة الأقل استحالة

وهؤلاء الذين ظنوا احتمال الحياة بعد الموت ، سيكونون متأهبين لقبول هذه النظرية كخير تعليل للظاهرة النفسية . وعلى العكس هؤلاء الذين ينظرون إلى هذه النظرية على أنها شيء غير معقول ، سيبحثون عن تعاليل أخرى ... أما من جانبي فأنا إلى

(٣) انظر كتابي فلسفة ليبنتز . الفصل الخامس عشر «للمؤلف»

الآن ، أعتبر أن الحجة التى يقدمها البحث النفسى فى صالح البقاء أو هى من الحجة الفسيولوجية فى الجانب المقابل ، ولكننى أعترف كل الاعتراف أن تلك الحجة قد تصبح فى أى وقت أقوى منها الآن ، وحينئذ سيكون من غير العلمى ، أن لا يعتقد فى البقاء

ولكن بقاء الجسد بعد الموت أمر مغاير للخلود ، فقد يعنى ذلك تأجيلاً الموت الطبيعى فقط ، ولكنه هو الخلود الذى ينشد الناس الاعتقاد فيه

والمعتقدون فى الخلود ، سوف يرفضون الأدلة الفسيولوجية التى استعملتها بحجة أن الروح والجسد شيئان منفصلان كلية ، وأن الروح شئ مفارق تماما لمظاهرها التجريبية خلال أعضائنا الجسمية . وأنا أعتقد أن هذا خرافة « ميتافزيقية » فإن العقل والمادة ، وهما فى ذلك سواء ، عبارات مناسبة لمآرب معينة ، وليست حقائق نهائية ؛ فالإلكترونات والبروتونات مثل الروح أوهام منطقية ، وكل منهما فى الحقيقة عبارة عن سيرة وسلسلة من الحوادث ، وليس ذات يد واحدة ثابتة . وهذا جلى فى حالة الروح من بين حقائق النمو ؛ فإن كل من أنعم النظر فى الحبل والحل والطفولة ، لا يمكنه أن يعتقد جادا : أن الروح شئ لا يتجزأ ، وأنها كاملة تامة ، خلال كل هذه الأطوار . ومن الجلى أنها تنمو كالجسم ، وأنها تنشأ عن كل من الحيوان المنوى والبويضة ، ولذلك لا يمكن اعتبار الروح غير قابلة للتجزئة ، وليس هذا هو المذهب المادى ، إنه فقط التسليم بأن كل شئ موضوع للتحضر ، وليس لمادة أولية

وقد قدم الميتافيزيقيون حججا لا تحصى ، ليثبتوا أن الروح يجب أن تكون خالدة ، ولكن ها هو ذا اختبار بسيط يمكن هدم هذه الحجج به ؛ فهم يثبتون جميعا أن الروح يجب أن تكتنف وتتخلل كل الفراغ … ولكن بما أننا لسنا متلهفين على أن نعيش طويلا ، فإن أحداً من الميتافيزيقيين فى هذه المسألة لم يلاحظ قط هذا الوضع لأدلتهم ، وهذا مثال من سلطان الرغبة العجيب الذى يغفل حتى الفطنين ويجرهم إلى الأغاليط التى كانت تتضح فى الحال فى أى وقت آخر [1] وإنى أعتقد أنه لو لم نكن وجلين من الموت لما ظهرت فكرة الخلود أبداً

* * *

إن الخوف أساس العقيدة الدينية كما هو أساس الكثير من أمور الحياة الإنسانية . والخوف من الكائنات البشرية ، أفرادا وجماعات ، يسود كثيراً من حياتنا الاجتماعية ، ولكن الخوف من الطبيعة هو الذى جعل مكانا للدين . وتباين العقل والمادة كما قد رأينا ، أمر وهمى تقريبا ، ولكن هناك تباين أكثر أهمية — أعنى بين الأشياء التى تتأثر برغباتنا ، وتلك التى لا تتأثر بمثل ذلك . والحظ بين الاثنين ليس بالنشيط أو الخامد ، فكلما يتقدم العلم ، تدخل تحت يد الإنسان أشياء أكثر وأكثر . ومع ذلك توجد أشياء قطعية فى الجانب الآخر ، وتقع بينهما كل الحقائق الكبرى فى عالمنا ، وهى حقائق من النوع الذى يدرسها علم الفلك . والحقائق التى فوق — أو قريبة — من سطح الأرض هى وحدها التى تستطيع — إلى مدى محدود — تشكيلها بحيث تلائم رغباتنا ، وحتى على سطح الأرض قوانا محدودة جداً ، فقبل كل شئ لا نستطيع أن نمنع الموت ، وإن استطعنا تأخيره غالبا

إن كان الدين لمحاولة التغلب على هذا التناقض . ولو أن العالم يدبره الله ، ويمكن تحريك الله بالصلاة والدعاء ، فإنا بذلك ننال حصة من القدرة المطلقة . وفى الأيام السالفة كانت تحدث المعجزات استجابة للدعاء ، وما زالوا يفعلون ذلك إلى الآن فى الكنيسة الكاثوليكية ، ولكن البروتستانت قد فقدوا هذه القدرة . ومهما يكن من شئ فمن الممكن أن يستغنى عن المعجزات لأن الله قد قضى بأن تنفيذ القوانين الطبيعية سيأتى بخير النتائج الممكنة ، ومثل هذا الاعتقاد فى الله ما زال يصلح لتهذيب عالم الطبيعة . وجعل الناس يشعرون بأن القوى الفسيولوجية هى فى الواقع حليف طيب . وبمثل هذه الطريقة يزيل الخلود الخوف من الموت . فالناس الذين يعتقدون أنهم حين يموتون سيرثون النعيم الأبدى ، ينتظر أن يواجهوا الموت دون ما فزع . ومع أن هذا لا يحدث بلا تغيير لحسن حظ رجال الطب ، ومهما يكن فهو يهدئ من مخاوف الناس بعض الشئ ، حتى حينما لا يلاشيها كلية

---

(١) يريد أن يقول : إننا لتلهفنا أشد تلهف على أن نعيش طويلا جرنا هذا التلهف إلى أن نخلق فكرة الخلود لتشبع هذا التلهف . وفلاسفة ما بعد الطبيعة الذين أيدوا الخلود لم يلاحظوا أنهم كانوا منكبين على تأييد الخلود ، لأن لديهم هذه الرغبة . (المترجم)

إن الدين منذ كان مصدره الرعب ، قد عزز بعض أنواع معينة من الخوف؛ وجعل الناس لايعدونها مخزية ، وهو بذلك قد قدم للانسانية أعظم إساءة ، فكل المخاوف سيئة ، وينبغي التغلب عليها . ولكن ليس بأساطير العفاريت، بل بالشجاعة والتفكير المعقول . وأنا أعتقد أنى حينما أموت سأتعفن ، ولن يبق من ذاتى شئ . ولست حدث السن ، ومع ذلك فأنا أهوى الحياة ولكنى سوف أستخف بالارتعاد فرقاً لفكرة الهلاك . والسعادة لم تبلغ حتى ولا أقل من درجة من السعادة الحقة ؛ لأنها لابد أن تنتهى . ولكن الفكر والحب لا يفقدان قيمتهما لأنهما ليسا بخالدين . وكم من إنسان حمل نفسه إلى المشنقة فخورا ، ومن المؤكد سيعلمنا مثل هذا الفخر أن نفكر بإيمان فى مكانة الإنسان فى العالم؛ حتى ولو جعلتنا أول الأمر نوافذ العلم المفتحة، نرتعد من بعد الدفء المريح داخل الأساطير الإنسانية التقليدية ، وفى النهاية يأتى الهواء العليل بالنشاط ، وللفضاءات العظيمة جلالها الخاص

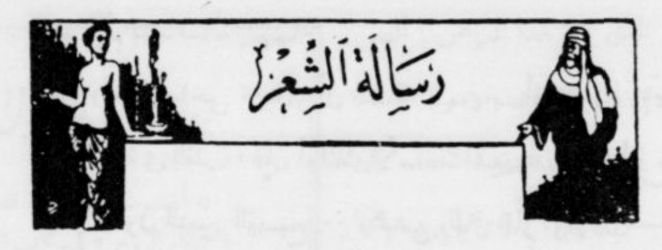
* * *

إن فلسفة الطبيعة شيء وفلسفة القيم شئ آخر . ولن يحدث إلا الضرر نتيجة الخلط بينهما ، فما نعده حسنا وما نبغيه ، لاعلاقة له مطلقا بما وهو ، الذى هو مطلب الفلسفة الطبيعية . وفى الجهة المقابلة لا يستطاع منعنا من تقدير هذا أو ذاك ، على أساس أن العالم غير المتحضر لا يقدره ، ولا يستطاع كذلك إجبارنا على الإعجاب بشئ لأنه قانون الطبيعة . ومن دون شك نحن جزء من الطبيعة التى خلقت رغباتنا وآمالنا ومخاوفنا بناء على القوانين التى يكتشفها العالم الطبيعى .. وبهذا المعنى نحن جزء من الطبيعة ، وفى فلسفة الطبيعة نحن شئ ثانوى بالنسبة للطبيعة ، فنحن النتيجة للقوانين الطبيعية وضحاياها أخيرا

يجب أن لا تكون فلسفة الطبيعة ترابية مهنية ؛ لأن الأرض ليست إلا واحدة من أصغر سيارات أصغر نجوم المجرة ، وإنها لمهزلة أن نطوى فلسفة الطبيعة لكى نأتى بنتائج تسر الطفيليين الصغار فى هذا السيار الذى لايؤبه له . والمذهب الحيوى كفلسفة، والتطورى ، يظهران من هذه الجهة ، الافتقار إلى معنى المطابقة النسبية والمنطقية ؛ لأنهما يعتبران وقائع الحياة ذات الأهمية لنا شخصيا ، كشئ له أهميته الكونية . وليست أهمية مقتصرة على سطح الأرض . ومذهب التفاؤل ومذهب التشاؤم كفلسفات كونية ، يظهر نفس سذاجة المذهب الإنسانى ؛ والعالم العظيم بالقدر الذى نعلم ليس خيرا أو شرا ، وليس حريصا على أن يجعلنا سعداء أو أشقياء . ومثل هذه الفلسفات تبعث عن الاهتمام بالذات، وتقوم خير تقويم بقليل من علم الفلك

ولكن ينعكس الموقف فى فلسفة القيم ، فالطبيعة ليست إلا جزءا مما نقدر على تخيله، وكل شئ سواء كان حقيقيا أومتخيلا نستطيع تقديره ، مع أنه ليس هناك من مقياس خارجى نتبين به الصحة أو الخطأ فى تقديرنا ؛ لأننا أنفسنا الحكم النهائى الذى لا ينقض فى أمر القيم . والطبيعة فى عالم القيم ليست إلا جزءا ، وهكذا نحن أعظم فى هذا العالم من الطبيعة . والطبيعة فى ذاتها محايدة فى عالم القيم ، فليست بالخيرة أو الشريرة ، ولا تستحق الإعجاب أو العذل ، فنحن أنفسنا الذين خلقنا القيمة ، ورغباتنا هى التى منحتها أهمية ، ونحن ملوك فى هذه المملكة ؛ ونحط من قدرنا إذا حنينا الهام للطبيعة ، فمن أجلنا تتحدد الحياة السعيدة ، لا من أجل الطبيعة أو حتى من أجل الطبيعة تتمثله فى الله

للكلام صلة عبد الجليل السيد حسن



حطام ..

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

إلى صديقى الأستاذ الكبير عباس خضر

صاح بى عمرى: لقد ضاعت سدى   زهراتى .. فإلى أين المفر ؟!
وعلى أى ذراع أتكي   وبساق من القيد أثر
وطريقى شائك محلولك   حوم الشؤم عليه والضجر
غاضت الرحمة ؛ لا أذن تعى   صرخة القلب. وهل يصغى الحجر
وأنا أقطع ليلى بالضنى   ونهارى بالمآسى والفكر
عبثاً أقبس من جمر الصبا   لهباً .. وهو رماد يحتضر

* * *

يا جناحاً من حنان ضمنى   قصه بالأمس من كان الأبر
ومعيناً كان يروى ظمئى   طفت البلوى عليه فاندثر
أعوات فوق فمى أنشودة   رقص الدمع عليها فانتثر

* * *

أيها الظالم فى قتلى اتئد   إن تعمدت ؛ فما يجدى الحذر
هو جرحى كلما هدهدته   بالأمانى نكأته فنفر
أمس ولى، وغداً إن عدت لى   لم تجد غير حطام من بشر
كان روضاً عصف الهجر به   فذوى فى أيكه حتى الزهر
وسراجاً خنقت أنفاسه   شهقات من أساه فاحتضر

* * *

قلت ياعمر : كلانا بلبل   أخرست أنغامه كف القدر
صائد فوق يحوى سهمه   فثوى بين ضلوعى واستقر
ليته عاد، أريه سقمى   ودمائى وجراحاتى الأخر

بغداد   عبد القادر رشيد الناصرى

غاية الطموح

للشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتورى

لمن يبذر الحب كان الثمر   ومن يزرع الصبر يجن الظفر
ومن يتحمل وعور الطريق   وخوض الدجى واعتناق الخطر
فذلك من رشحته الحياة   ليصبح سيدها المنتظر ..
إذا لم تكن عبقرى الطموح   مراميك فوق مرامى البشر
فمت وليكفنك ربح الفناء   ويدفنك فى قلبه المكفهر
فمثلك لا يستحق الحياة   وأولى به ظلمات الحفر
وإن شئت موعظة فالطبيعة   أستاذة الحيوات الكبر
فما ولدتك لقطف الزهور   ولا أنجبتك لحلب البقر
ولكن لتحتضن الكائنات   إذا اسطعت .. أو تتحدى القدر
ولولا قصورك يابن الترا   ب عن أن تحس وأن تدكر
وأنك لازلت طفلا كبيرا   عميق السذاجة فج الفكر
لأبصرت ملهمة العبقريات   وهى تسطر أسمى العبر
تأمل بقلبك لا ناظريك   ففى القلب أودع سر النظر
تر الفجر يولد بين حقول   الضباب وغاب الدجى المنتشر
تر الزهر ينبت فوق القبور   ويسخر بالميت المندثر
تر الماء ينبع بين الصخور   ويحفر مجراه بين الحجر
تر اللحن يرقص فوق السحاب   وقد كان منحبسا فى وتر
تر الريح تسجد عند الهضاب   وتمول هازئة بالحفر
تر الموج ما انفك يبنى جبالا   ويهدمها جاهدا مستمر
تر النحل ترشف ريق الورود   وما عاقها شوكها والإبر
تر الطير تجعل أعشاشها   رؤوس الجبال وهام الشجر
تر الجاذبية نحو السماء   تعانق حتى خيال النهر
فكن فيلسوفا كزهر القبور   على جثث الهالكين ازدهر
حكيما كماء الينابيع يمضى   يذيب الصخور ويبلى الحجر
طموحا كطير الربى ليس يرضى   بما دون هاماتها مستقر
قوى الإرادة مثل الفراشة   تغشى اللظى وتدوس الخطر
ولا تك كالدود تهوى الوحول   وكالبوم تخشى ضياء القمر
فخير من الآدمى الخمول   غراب يصيح وكلب يهر

محمد مفتاح الفيتورى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أثر الدراسات البلاغية :

«قال لى صاحبى، وكان فى جملة المستمعين إلى محاضرة الأستاذ محمد خلف الله بك بنادى دار العلوم فى أثر الدراسات القرآنية فى تطور النقد الأدبى » وقرأ ما أشرت إليه فى الأسبوع الماضى من أن الأستاذ كان يخلط فى محاضرته بين العربية والعامية — قال : لقد مررت عابرا بهذه النقطة ، فإن الأستاذ كان يخاطب كبار الأساتذة وصفوة رجال اللغة العربية وهو نفسه منهم ، وكان يتكلم فى بلاغة اللغة العربية ، والمكان نادى القوم الذين قيل إن الفصحى تموت فى كل مكان وتحيا فى دارهم ... أفيليق مع كل هذا أن يخلط فى حديثه بين العربية والعامية . . ؟

سكت قليلا وأنا أقول فى نفسى : عجبا ! إننا نعيب مثل هذا على أناس ليسوا من هذا الطراز ، ويخطبون جمهورا من عامة الناس فى موضوعات عامة وفى أماكن أخرى . . ثم قلت لصاحبى : ترى لماذا لم يكن حديث الأستاذ خلف الله خالصا من العامية ؟ ليس من المقبول أن يقال إنه أراد أن يدنو من أفهام المستمعين ، فهم هم . أتراه لا يقتدر على الاسترسال فى التعبير الفصيح ؟

بدأ على صاحبى الإنكار لهذا التساؤل ، وهو ممن يعرفون الأستاذ خلف الله منذ القديم ، فأسرع يقول : لا . إنى أعرفه خطيبا فصيحا متمكنا منذ كان طالبا فى دار العلوم ، وطالما سمعنا منه آيات بينات ، والعجيب أنه يأتينا اليوم هكذا بعد أن زادت ثقافته وكبر مقامه !

وأنا كنت أسمع عن الأستاذ خلف الله – قبل سفره فى البعثة إلى إنجلترا – أنه شاعر مجيد . فلما رجع من البعثة انقطع صوته فى مضمار الشعر ، فلعله أيضا فقد الحماسة للعربية فلم يعد يهتم بشد لسانه إليها !

وقلت لصاحبى : يظهر أن المسألة ليست مسألة قدرة ، وإنما هى حرارة فى القلب ، فإن أولئك الأساتذة الذين يحدثون الجموع فلا يلتزمون التعبير الفصيح -- وهم من رجال العلم والأدب — إنما يفعلون ذلك استجابة للفتور والتهاون ومطاوعة لاسترخاء اللسان ؛ وعلى عكس ذلك نرى كثيرا من السياسيين والمحامين ورجال النيابة العامة تنطلق ألسنتهم فى المحافل والمحاكم بالكلام العربى المبين ، وليس أولئك بأقل قدرة من هؤلاء ، ولكنها حرارة القلب . . ألم يأتك نبأ أولئك الصغار تلاميذ المدرسة النموذجية الابتدائية الذين تحدثت عن التزامهم الحديث بالعربية فى عدد مضى من الرسالة ؟ ويظهر أن حرارة القلوب الغضة أكثر ارتفاعا من حرارة القلوب الكبيرة

قال صاحبى : لقد وازنت فى تعليقك على المحاضرة بين الأدباء ودارسى البلاغة، أفلا ترى أن الأستاذ خلف الله كان فى العهد الأول من الأدباء ثم صار الآن من دارسى البلاغة ، وأن الذى يتماظمنا وقوعه منه إنما هو من أثر الدراسات البلاغية . ؟

معرض خريجى الفنون :

أقام اتحاد خريجى الفنون الجميلة العليا ، معرضهم الرابع ، بدار نقابة المحامين ، وقد افتتح المعرض في الأسبوع الماضى ، ولايزال قائما . وأول مايلاحظ أنه أقيم فى وقت متأخر من العام ، أى بعد موسم المعارض الذى يكون عادة فى أواخر الشتاء وأوائل الربيع ، وجاء وقته أيضا فى أيام الامتحانات التى يشغل فيها طلبة الجامعات عن شهود مثل هذا المعرض ، ولكن يبدو لى — بعد كتابة الجملة السابقة — أن هؤلاء الطلبة — فى مجموعهم — لايهتمون بالسعى إلى معارض الفن ، بل يبدو لى أيضا أن أكثر المثقفين فى مصر لا يهتمون بذلك ، وفى هؤلاء المثقفين الذين لا ينشطون لمعارض الفنون ، أهل الفنون الأخرى كالأدباء والشعراء والموسيقيين والمسرحيين والسينمائيين ، ولست بحاجة إلى بيان مكانة روائع التصوير والنحت وأثرها فى ثقافة المثقفين وفن الفنانين ، فالخوض فى ذلك من الأوليات . ثم أوجه الكلام إلى الهيئات المشرفة على المعارض وخاصة اتحاد خريجى الفنون

الذى يقيم هذا المعرض : أليس فى الإمكان أن يقوموا بنشاط يجذب الجمهور المثقف إلى معارضهم ؟ أوجه إليهم هذا السؤال وأترك لهم التفكير فى الوسائل التى تؤدى إلى هذا الغرض

قلت إن المعرض أقيم متأخرا ، وقد علمت أن سبب هذا التأخر خارج عن إرادة الاتحاد ، فليس له مكان يصلح للمعرض ، وهو أكبر هيئة فنية فى مصر . . وهو يمثل خريجى كلية الفنون الجميلة ، فهو متصل بجميعها متجدد باستمرارها ، وهو بذلك يجتمع فيه روافد الفن وتتمثل به الاتجاهات الفنية فى مصر ، ومع ذلك لا يملك مكانا لمعارضه ، فليس أمامه إلا دور المعرض الأهلية التى تقتضى العارضين أجورا مرتفعة — من جنيه إلى عشرة جنيهات فى اليوم ! أو رجاء أصحاب النوادى الصالحة للمعرض والتى يستمهل أصحابها حتى يستطاع إعدادها للمعرض ، وهذا ما حدث فى هذا العام . .

وندرك مدى تلك المتاعب عندما نعلم أن المعرض هو الوسيلة الوحيدة للمصور والمثال التى تصله بالجمهور ، فهو بمثابة الكتاب والصحيفة للمؤلف والأديب

ذلك إلى انعدام التشجيع وعدم الإقبال على شراء المنتوجات الفنية ، سواء من الجهات الرسمية والأهلية ، فالأولى تعتذر عادة بأن الاعتماد قد نفد . . وعندنا جمعيات غنية تنتسب إلى الفن ، ولكنها تقصر تشجيعها واحتفالها على الفن الأجنبى ولا تلتفت إلى الفن المصرى .

وقد أدى عدم التشجيع وأزمة المكان إلى اختفاء كثير من الفنانين ، وضيق الدائرة على مجموعة صغيرة ثابتة ، على حين كان المفروض أن تظهر مواهب جديدة من خريجى الكلية كل عام

هذا المعرض القائم ، صورة صادقة للحركة الفنية فى مصر ، ويستطيع الشاهد أن يلمس فيه الصراع بين القديم والحديث ، وإن كانت غلبة الاتجاهات الحديثة ظاهرة ، فقد طغت هذه الاتجاهات حتى على المدرسين « الأكاديميين » وليس أدل على ذلك من تطور حسين بيكار الذى بدأ يخرج عن الاتجاه التقريرى ، أو الحرفية فى النقل ، وهى نقل الواقع المشاهد مع بعض اللمسات الجمالية إلى إدخال الفكر فيما يراه ، فهو يذهب إلى تحليل

كشكول الأسبوع

◘ أصدرت أخيرا لجنة نشر المؤلفات التيمورية ، كتاب « شفاء الروح » للكاتب الكبير محمود تيمور بك . وقد تبين لى من هذا الكتاب أن الإمتاع الذى يشعر به قارئ تيمور ليس مقصورا على الناحية القصصية ، بل هو تيار فى روح الكاتب يسرى فى كل قالب يصنعه وكل موضوع يتناوله

◘ من الكتب القيمة التى ظهرت حديثا ، كتاب « المسيح عيسى ابن مريم » للأستاذ عبد الحميد جودة السحار ، وهو يعرض حياة المسيح فى قالب قصصى جذاب وأسلوب أدبى جميل . وقد قسمه فصولا بنى كلا منها على نص مما جاء فى القرآن الكريم خاصا بالمسيح عيسى ابن مريم

◘ عرضت بعض شركات السينما فى أوربا وأمريكا على معالى الدكتور طه حسين باشا ، فكرة إخراج فلم عن حياته من كتاب « الأيام » وذلك على غرار الأفلام الغربية التى أخرجت عن قادة الفكر العالمى أمثال فولتير وإميل زولا

◘ تقرر أن تسافر إلى الهند بعثة من الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، لتصوير المخطوطات العربية الموجودة بالمكتبات فى مختلف البلاد الهندية

◘ وقع نظرى فى مجلة الثقافة (٢٨ مايو) على موضوع سبق أن كتبته فى باب الأدب والفن من الرسالة (١٢ مارس الماضى) عن ذكرى ابن سينا ، فتأملته ، فوجدت الأستاذ كامل السوافيرى ينقله للثقافة عن جريدة اللايين (٦ مايو) ومعنى هذا أن « اللايين » لم تذكر أنها نقلته عن الرسالة مع أنه منقول بنصه وفصه . .

◘ وافق معالى وزير المعارف على قرارات لجنة جوائز إسماعيل للفنون الجميلة ، وتتضمن هذه القرارات الإعلان عن الموضوعات الفنية التى يتقدم الفنانون لنيل الجوائز فيها

◘ طلبت فرنسا وبلجيكا إلى مؤتمر اليونسكو القادم أن يبحث مسألة توزيع ورق الصحف على مختلف أنحاء العالم

◘ تألفت فى مصر شعبة قومية برياسة معالى وزير المعارف ، لدراسة المسائل المهمة فى ميادين الثقافة والتربية والعلوم ودراسة أحوال البلاد فى هذه الميادين ، وتقديمها إلى الجهات المختصة لتنفيذها أو الاستفادة منها

◘ تلقيت رسالة من الأديب محمود محمد سلطان الطالب بمعهد أسيوط الدينى ، يقول إنه لحق بشعبة الصحافة فى جامعة أسيوط الشعبية ، وأدى الامتحان فيها ، وهنأه الأستاذ بجائزة الصحافة لأنه « الأول » ثم فوجئ بإعلان الجامعة أن الفائز الأول شخص غيره لم يدخل الامتحان . . ويقول إن لديه شهودا وأدلة قاطعة على أن هذا الشخص لم يؤد الامتحان ! فما قول الجامعة الشعبية بأسيوط

الأشكال وإرجاعها إلى النظريات العلمية والفنية التي وصل إليها البحث العلمي الحديث ، ومن هذا أنه يتجه إلى التكعيبيين ليستفيد من مفهومهم العلمي للمسطحات ، وينظر إلى التصوير كأسلوب قائم بذاته في التعبير عن الحياة ودفع المشاهد إلى الإحساس بها دون الاعتماد على تأثير الفكرة الأدبية في موضوعاته ، ومن هنا يبدأ التصوير في الاستقلال بنفسه كوسيلة للتعبير، كما تستقل الموسيقى عن الشعر والأدب بوسيلتها الإحساسية



مريم فخر الدين — للمثال عبد القادر مختار

إن التجريد هو الأسلوب الوحيد لاستقلال فن التصوير ، ولكن المجتمع والجماهير المتذوقة ذات المفهوم العام تحتاج إلى الفكرة فلا تستوقفها التجريدات ، لأن مكانها المتاحف باعتبارها مثابة الخاصة من الفنانين ، وفهمها يحتاج إلى دراسة فنية طويلة ودرجة معينة من التأهيل

وفي الوقت الذي ترك فيه بيكار طريقه الأول بقي أمثال حسني البناني وصلاح طاهر في إصرار على الاتجاه الأكاديمي ، فصلاح طاهر فنان حالم ينظر إلى الأشياء نظرة شاعرية ، يغير في لوحاته في حدود نظرته النفسية « السيكولوجية » الواقعية دون أن تغريه المذاهب الحديثة واتجاهاتها . والبناني الذي جرى على تصوير الحياة المصرية خلال النور والظل ، تحت شمس مصر المحرقة وظلالها القاتمة — هو هو ، لم يتغير ، إلا إذا اعتبرنا زيادة قدرته وتمكنه في أسلوب المدرسة التأثيرية التي تعتمد على تحليل اللون في التصوير



تأمل — للمثال كامل جاويش



باب الوزير — للمصور حسن البنان

والجديد في هذا المعرض ، ظهور الفن الشعبي يبدأه جمال السجيني وعبد الهادي الجزار على اختلافهما في البداية . والاتجاه



شهر المسابح :

التحنث يعطي معنى التجريد ؛ فليست العبادة طقوسا مصورة في السلوك الآلي ، لكنها وصلة بين العبد وربه ، وزلفى يتقرب بها ليكفر عن مساوئ سيئاته !

والإسلام دين يهذب الغريزة ، ويطارد عربدة الشهوة ،

الشعبي لم يطرق في مصر من قبل على أهميته كفن صادق الإحساس تنعكس فيه الفلسفة المصرية الساذجة والذوق الشعبي العام في الأداء . وهذا الاتجاه يفتح مجالا واسعا في اللون والتكوين ، فهو يشمل كل الحياة المصرية ويخرج بالتصوير عن الدائرة الضيقة ، دائرة رسم الوجوه والمناظر الخلوية والأزهار ، التي نرى في كل معرض

وتظل أعمال عبد السلام الشريف وأسعد مظهر ، تسترعي الأنظار في كل معرض ، فهما في الطريق الذي بدآه منذ أكثر من عشر سنوات ، يتوخيان الموضوع الشعبي والأداء الجمالي الذي يقوم على الخطوط الزخرفية والمساحة اللونية في توافق يلائم كل لوحة ؛ فالشريف يستغل ألوان الأقمشة في التعبير عن موضوعه بأسلوب الفن العربي في زخرفة الأقمشة ، وأسعد مظهر يستعمل التطعيم بالخشب في أدائه

وهناك في النحت نرى التطورات في أعمال كامل جاويش الذي بدأ يخرج من المذهب الدرامي البحت إلى الاهتمام بالكتلة والموضوع ، على حين يظل عبد القادر مختار محافظا على القيام بدراسة الرءوس التي تعتبر المجال الوحيد لظهور براعته

وجدير بالذكر ، في الحديث عن معرض اتحاد خريجي الفنون الجميلة العليا ، الجهود الكبيرة الموفقة التي بذلها الأستاذ أبو صالح الألفي رئيس الاتحاد في إقامة هذا المعرض وتنظيمه

عباس خضر

ويكسر الحدود التي يضعها الإثم في طريق انطلاق القلب إلى نور المعرفة !

وإن « رمضان » قد شرف بنزول القرآن ؛ الذي أنزل ليصلح أوضاع البشر ، ووضع الأمعاء في مخمصة الحرمان لإبعاد الاشتهاء ؛ فامتلاء البطن مغر على الاشتهاء المزبد الطاغي المتمرد !

لكن الناس يفهمون العبادة على أنها مظاهر معروفة ؛ وطقوس مألوفة ، فهم يهجرون الهاجرة إلى الفراش اللين ، ويقيلون ليقيلوا أنفسهم من جفاف الحلوق لحرقة الظمأ ؛ ثم يصحون مع شحوب الشمس ، ليؤدوا فريضة العصر على كره واستكراه ! ويؤثرون قضاء الأصيل جالسين على قهوة ، وقد أمسك كل واحد بمسبحته يعد عليها ما يخرجه اللسان من ذم في أعراض الناس غير مراع إلا ولا ذمة !

يا محبي المسابح في رمضان !

عدوا حبات قلوبكم بالآية الكريمة ، ودعوا حبات المسبحة لأن الشيطان يمدها لكم ، فتودعون يومكم وداع الخيبة وسوء المنقلب !

يا محبي المسابح ...

جردوا نفوسكم من أحقادها ، وقيدوا شهواتكم في أصفادها ، وانظروا إلى الإيمان نظرة اليقين ، وإليكم الكتاب الخالد تصفحوه وتفحصوه لتعرفوا معنى حب العابد المعبود

ليكن التسبيح في قلوبكم نجوى روحية ؛ فتشرق عليكم الأنوار ، وبذلك تتكشف لكم الأسرار ؛ وتنكشف عنكم الأوزار !

بورسعيد **أحمد عبد اللطيف بدر**

زواية الشعر !

أعجب الأستاذ علي العماري تمثل كاتب سوداني ، وهو يصف التقاء النيلين الأبيض والأزرق عند المقرن ؛ في نهاية مدينة

الخرطوم الغربية البحرية ، بهذين البيتين :

ولما التقينا قرب الشوق جهده   حبيبين فاضا لوعة وعتابا
كأن حبيبا فى خلال حبيبه   تسرب أثناء المناق وغابا

والبيتان للشاعر المبدع المرحوم إسماعيل صبرى باشا ، وعنوانهما فى ديوانه ص ١١٠ « المناق » وقد وضع الكاتب السودانى كلة حبيبين مكان كلة شجيين كما فى الديوان ! وقد رواهما المرحوم مصطفى صادق الرافعى فى كتابه وحى القلم ج ٣ على هذا النحو :

ولما التقينا قرب الشوق جهده   شجيين فاضا لوعة وعتابا
كأن صديقا فى خلال صديقه   تسرب أثناء المناق وذابا

وعلق عليهما الرافعى بقوله : « على أنى لا أستحسن قوله « كأن صديقا » ؛ فما هذا بمناق الأصدقاء ، ولو كان الصديق راجعا من سفر الآخرة ، وإذا غاب واحد فى الآخر فالآخر حامل به ! وقد أخذت أنا هذا المعنى منه ، ولولاه ما اهتديت إليه فقلت فى ذلك :

ولما التقينا ضمنا الحب ضمة   بها كل ما فى مهجتينا من الحب
«وشد الهوى صدرا لصدر كأنما   يريد الهوى إنفاذ قلب إلى قلب»!

فانظر أيها القارئ الكريم إلى اختلاف الرواية فى الشعر ، وتصحيف الأبيات ، وتحريف الكلمات مع قرب العهد بالشاعر ، وسهولة الاطلاع على ديوانه !

ولولا تحريف الرواية ما غمز الرافعى شاعرية صبرى بتلك النقدة اللاذعة ، وصبرى مما نسب إليه براء !! فكيف بالشعر القديم ؛ وقد تداولته الألسن ، وتناولته الأزمن ، وتناقلته الرواة ؟

محمد محمود بكر هلول

فى المركز الثقافى بالمنصورة :

. . يعيش المركز الثقافى بالمنصورة بمعزل عن الأدباء ، وكان لذلك أثره المباشر فى انصراف هؤلاء عن المركز لهذه الحال

وقد حدث هذا العام أن أهمل المشرف الثقافى شأن المحاضرات ثم شاء آخر الأمر أن يتدارك هذا الإهمال ، فقدم محاضرا فى موضوع « حقوق المرأة السياسية » ولكن لم يحضر لسماع المحاضرة « اليتيمة » سوى ثلاثة أشخاص من بينهم الأستاذ على بك الحاكم مراقب عام المنطقة التعليمية الذى أشار على المسئولين بتأجيل المحاضرة ، وكان هذا هو رأى المحاضر أيضا ، لأنه رأى إهمال المشرف الثقافى فى توجيه الدعوة للجمهور سببا للاعتذار من عدم إلقاء المحاضرة ! .

والعجيب أن المشرف لم يقدم طول العام سوى هذه المحاضرة بينما يقدم على المسرح الثقافى « عوالم الأفراح » يلقين المنلوجات المبتذلة ، ويؤدين الرقصات الخليعة مما كان مثار الانتقاد اللاذع من الأستاذ أحمد الصاوى محمد بك فى الأهرام ! .

لقد انقضى هذا العام كما انقضى العام الماضى دون أن يكون المركز نشاط أدبى . . ويبدو لى أن المشرف الثقافى يظن أن المركز ليس إلا مدرسة ليلية تقتصر على ما تلقنه للطلبة من دروس . .

فلعل الأستاذ الكبير الأنصارى بك مدير عام مؤسسة الثقافة الشعبية بعد هذه الكلمة الموجزة أن يصدر أمره بإجراء تحقيق لمعرفة الدواعى والأسباب التى دفعت بالمركز إلى هذه الحال المحزنة

المنصورة   كمال رستم

١ — سؤال :

قرأت فى سيرة المستشرق السر وليم جونس أنه لما كان فى جامعة أكسفورد سنة ١٧٦٨ استعان بأستاذ سورى على تعلم اللغة العربية فأتقنها وترجم منها المعلقات إلى اللغة الإنكليزية وغيرها من الكتب فى المواريث وفق الشريعة الإسلامية الغراء . . فمن هو هذا الأستاذ السورى الذى كان فى أكسفورد وقتذاك

بغداد   عبد الخالق عبد الرحمن



من الماضى ..!

للكاتب الروسي أنطون تشيخوف

للأستاذ عبد القادر حسن حميدة

كان الجو فى بداية أمره منعشا هادئا . . تنبعث خلال سكونه الحالم أغاريد طير « الأج » العذبة ... والمستنقعات قد حفلت بأجسام ضئيلة حية ترسل أنات متحشرجة محزنة أشبه بفحيح الأفاعى ... وانطلق طائر « البكاسين » فرددت الريح صدى دوى الرصاصة التى صوبت نحوه ... بيد أنه حينما بدأت الظلمة الحالكة تنشر على الكون غلالتها السوداء هبت من ناحية الشرق ريح رطبة نفاذة ... وغاص كل شئ فى بحر من الصمت الرهيب ... وعلت البركة طبقة متماسكة من الثلج ... وإذا بالغابة كلها خالية مقفرة مخيفة ...

لقد بدأت علائم الشتاء تظهر على محيا الزمن . . !!

وكان « إيفان فيلكوبولسكى » عائدا إلى بيته بعد قضاء يوم ملىء بالمغامرات والقنص — وهو ابن أمين مكتبة الكنيسة وطالب بالمجمع الكنائسى — وكانت أنامله قد أصابها شئ من التخدير ووجهه قد اتقد بهبات الريح . . وخيل إليه أن ذلك البرد الذى هبط فجأة . . قد أفسد على الأشياء رونقها . . وران على معالمها . . وأن الطبيعة ذاتها قد خامرها القلق . . وساورها الاضطراب . . وهذا علة ما شاهد من أن الحلكة قد بدأت تخيم على الأرض أسرع مما كانت عليه من قبل . . وكان كل ما يحيط به مهجورا كئيبا . . ولم يكن ثمة بارق من الضوء يومض إلا فى حدائق الأرامل — وكانت القرية . . وهى على بعد ثلاثة أميال — وكل ما يأخذ العين سابحا فى ضباب المساء البللورى . .

وتذكر الطالب أنه حين غادر بيته كانت أمه تفترش الأديم . عارية القدمين . تنظف وعاء الشاى . . وأبوه جالسا على مقربة من الموقد يعانى آلام السعال . . ولما كان اليوم هو الجمعة الحزينة لم يطبخوا شيئا . . فاستشعر لذعات الجوع الهائل . . ثم تقلصت أعضاؤه . . ودار بخلده أن مثل هذه الموجات من البرد كانت قد اجتاحت أيام رادك وبطرس وإيفان الجبار . . وأن فى زمنهم الفقر المدقع قد تفشى . . والجوع المهلك قد انتشر . . وكذلك نفس السقوف التى صنعت من القش التى اتخذت منها الخروق والثقوب العديدة موطنا لها . . كما اتخذ الجهل والبؤس ونفس الحيرة والظلمة والضجر من الأهلين حقلا خصيبا تنمو فيه يوما بعد يوم . . لقد كان ذلك فى عهدهم . . وحدث بلا مراء ولا جدال . . ثم تدور على أسطوانة الدهر ألف عام . . والحياة هى . هى لا يعتريها تقدم . . ولا تحسن ...!!

وكان مقينا إلى نفس الشاب أن يؤوب إلى بيته . .

ويرجع السبب إلى إطلاقهم على الحدائق اسم حدائق الأرامل أن أرملتين — أما وابنتها — كانتا قد آلتا على نفسيهما أن يتعهداها بالرعاية . . ويسهرا للقيام على شؤونها . .

وكانت هناك نار مضيئة ملتهبة . . وأصوات طقطقة صاخبة . . يحملها الأثير إلى مسافات كبيرة فوق الأرض المحروثة . . وكانت الأرمل فازيليا — وهى بدينة الجسم فارعة القامة — ترتدى سترة رجل واقفة إلى جانب النيران تحدق بعينين شاردتين . . تنطويان على التفكير العميق والرحلة إلى عالم غامض مبهم . . وكانت ابنتها ليكريا جالسة على الأرض تنظف الملاعق والصحاف، وهى امرأة ذات نظرة متبلدة فاترة قد انتشرت على وجهها آثار الجدرى . . وكان واضحا لدى أنهما قد فرغتا من تناول عشائهما . . منذ برهة . . وكان صوت العمال يصل إلى آذاننا . . وهم يسقون جيادهم من النهر . .

واتجه الطالب صوب النار . . وقال :

— لقد عاود الشتاء كرته . . مساء الخير ... !!

فارتاعت فازيليا . . غير أنها تبينته لتوها . . فارتسمت على شفتيها ظلال ابتسامة رقيقة وقالت :

— إننى لم أعرفك .. ! لتحرسك عناية الخالق الأكبر سوف تصيب تراه واسما .. !

ثم أخذوا يتجاذبون أطراف الحديث ..

كانت فازيليا .. ذات خبرة كبيرة . قد اختلطت بالطبقات العالية .. إذ كانت تعمل وصيفة . ثم مربية للاطفال .. فراحت تطرق باب الحديث بعصا اللباقة والرقة .. ولم تفارق شفتيها .. ابتسامة ناعمة دسمة .. أما ابنتها ليكريا فكانت ريفية قد ألهبها زوجها بسياط معاملته القاسية .. فسمرت نظراتها على وجه الطالب.. ولم تشرك نفسها فى الحديث ، وكانت تلوح على وجهها سمة كالتى تراها ضافية دائما على الصم والبكم ..

وحرك الطالب يديه حول النار ينشد الدفء وهو يقول :

— لقد كان القديس بطرس يدفئ نفسه على مثل تلك النار .. فلا ريب إذن .. أن الجو كانت تسوده البرودة آنذاك.. آه ... لابد أنها كانت ليلة مروعة ياجدتى .. ! ليلة طويلة مشؤومة لا محالة .! .. ثم ألقى ببصره إلى ماعقد حوله من نطاق الظلمة الدامسة وهز رأسه فى تأثر بالغ وقال :

— لاشك أنك كنت تطالعين فى الأنجيل ثنى عشر ..؟

فأجابت فازيليا : — أجل .. ! لقد كنت أجيل الطرف خلال صفحاته ..

هل يعلق بذكراتك أن بطرس قال فى العشاء الأخير « إننى متأهب تمام الأهبة لأن أخوض برفقتك مممة الظلمة والموت » فأجاب مولانا السيد « إننى أقول لك يابطرس إنك ستشرك بى ثلاثا قبل أن تصيح الديكة وخرج يسوع عقب العشاء إلى الحديقة . يوقد له نيران الموت وكان بطرس المسكين . . خامد النفس . . واهى القلب . . وعيناه مثقلتان .. فلم تصمدا أمام جيوش النعاس فهزمها النوم .. ولقد أدركنى أن يهوذا تقابل ويسوع فى تلك الليلة نفسها » . وأفشى أمره إلى مضطهديه . . وأنهم . . أدوا به إلى الكاهن الأكبر مغلولا .. فضرب كثيرا . . !!

واستيقظ بطرس متثاقلا وهو يتوقع أن الشئ الخطير الفز سيحل بالأرض . . ولقد كان يحمل ليسوع الحب والتقدير الشديدين .. وها هو ذا الآن يضرب على البعد

.. وألقت ليكريا بالملاعق من يدها وأدارت بصرها إلى الطالب الذى استطرد فى القول ..

— فلما انتهوا حيث دار الكاهن الأكبر راحوا يمطرون يسوع بوابل من الأسئلة المتزاحمة بينما أشعل الرجال النار فى الفناء يصطلون . . واندس بطرس بينهم يدفئ نفسه كشأنى الآن هنا . . فرأته إحدى النساء . . فصاحت « لقد كان هذا مع يسوع . . أيسوع أيضا ؟ » ومعنى ذلك أنه ينبغى أن يستجوب أيضا . . ولا بد أن جميع العمال قد نظروا إليه فى ارتياب وحذر . . إذ أن الارتباك استولى عليه فقال « كلا . . إننى لست أعرفه » وما انصرمت فترة قصيرة الأمد حتى عرف شخص آخر أن هذا الرجل من تلاميذ يسوع فقال « إنك كذلك أحدهم » ولكن بطرس آثر الإنكار للمرة الثانية . . غير أن شخصا ثالثا تحول إليه وقال « كيف هذا ؟ ألم أشاهدكما معا فى الحديقة اليوم ؟ » فأصر بطرس على ألا يعترف للمرة الثالثة . . وفى تلك الآونة انبعثت صيحة الديك . . ونظر بطرس إلى يسوع على البعد . . واجتر فى ذاكرته تلك الكلمات التى تفوه بها فى المساء إذ قال له « إنك ستشرك بى ثلاثا قبل أن تصيح الديكة » وعندما استعاد فى ذاكرته هذا . . عرته رجفة من الألم الممض . . وزايل الحديقة . . وأرخى العنان لمقلتيه . . تذرف الدمع الحار . . والإنجيل يقول « لقد انصرف والدمع السخين يهطل من عينيه مدرارا » . . إننى لألمس ذلك الآن واضحا جليا . . فها هى ذى الحديقة يطويها الظلام . . ويخيم على أرجائها السكون ...

وفى ذلك الهدوء الشامل اختنق صوته بالعبرات . . حتى وقف الكلام فى حلقه . .

وتنهد الطالب تنهدة عميقة . . وسرح ببصره فى متاهات التفكير . . وكانت فازيليا لا زالت على شفتيها الابتسامة المشرقة . . بيد أنها غصت بريقها بغتة . . وانحدرت الدموع على وجنتيها المتوردتين وكأنما أخجلها أن تبكى فوارت وجهها بطرف ثوبها . . أما ليكريا فكانت عيناها تحملقان فى الطالب فى تهم وتلهة . فتصاعد الدم إلى وجهها . . وبدت على

سحنتها علائم التبرم . . كأنما تقاسى ضيقا مؤلما ...

وانقلب العمال راجعين من النهر . . بعد أن أطفأوا ظمأ خيلهم . . ومر واحد منهم على الدار ممتطيا صهوة جواده . . بينما الأضواء تترنح متمايلة على جسمه . . فحيا الطالب الأرملتين . . وودعهما . . وطواه الليل برداء الظلام مرة أخرى . . وسرى التخدر فى أنامله . . وكانت الريح تعصف وتهب . . حتى كأن الشتاء قد عاد حقيقة . . ولم يكن هناك من الدلائل ما يوحى بأن شمس العيد ستشرق فى الصباح الباكر !

وفى تلك اللحظة كانت خواطر الطالب منصرفة إلى فازيليا « لا ريب أن نشيجها هذا له صلة بما وقع لبطرس فى الليلة التى طويت قبيل صلب المسيح . وأرسل إشعاعات من بصره على ما حوله وكان الضوء لا يزال يلتمع فى بهمة الليل . . بيد أنه كان وحيدا . . ولم يكن بجانبه آدمى ما . . وأجهد الطالب فكره ثانية . . فى أنه ما دامت فازيليا قد بكت . . وما دامت ابنتها قد اضطربت فلا ريب أن ذلك الذى حدث منذ تسعة عشر قرنا . . والذى أفضى بحديثه الآن . . لا شك . . أن هناك خيوطا قوية . . تربط ذلك الشىء بالحاضر . . بهاتين المرأتين . . بالقرية الرابضة فى الخلاء . . بنفسه . بالعالم كله !

لقد أجهشت تلك المرأة العجوز بالبكاء . . لا لأنه عرف كيف يروى عليها القصة . . بأسلوب له عمل السحر فى النفس . . وإنما لأن بطرس . . متصل بها . . قريب منها . . ولأن ما ساور دخيلته قد هز كيانها . . واستحوذ على مشاعرها ...

وطفت عليه موجة من المرح بغتة . . فوقف . . ليتنفس وفكر هنيهة . . قائلا :

— ألا إن الماضى لمتماسك بالحاضر . . بحلقات من الحوادث تربط بعضها بعضا . ! وخيل إليه أنه أدرك كنه هذه الحلقات . . إنه حين يقبض على حلقة تتحرك الأخرى ...

ثم خاض النهر فى أحد القوارب . . وصعد إلى التل . . ووقف يرنو عبر قريته ثم إلى الغرب حيث يلوح فى الأفق البعيد خيط واه من النور خلفته الشمس الحمراء ..

وظن أن الجمال المبدع . . والحق الخالد . . اللذين قادا ركب البشرية المواج . . هنالك فى الحديقة . . وفى فناء الكاهن الأكبر . . ما زالا على جبروتهما حتى الساعة . . بل إنهما أحوج ما تكون إليه الإنسانية . . وذلك العالم الأرضى !

وبدأ يستشعر شيئا فشيئا . . بالحيوية . . والقوة . . وذلك الانتظار الحلو للسعادة — وهو انتظار لا يمكن الإحاطة بكنهه — ترقب لسعادة مجهولة غريبة . . وانقشعت السحب من أمام عينيه . . فبدت الحياة رائعة . . زاخرة بشتى المعانى النبيلة ...

عبد القادر حسين حميدة



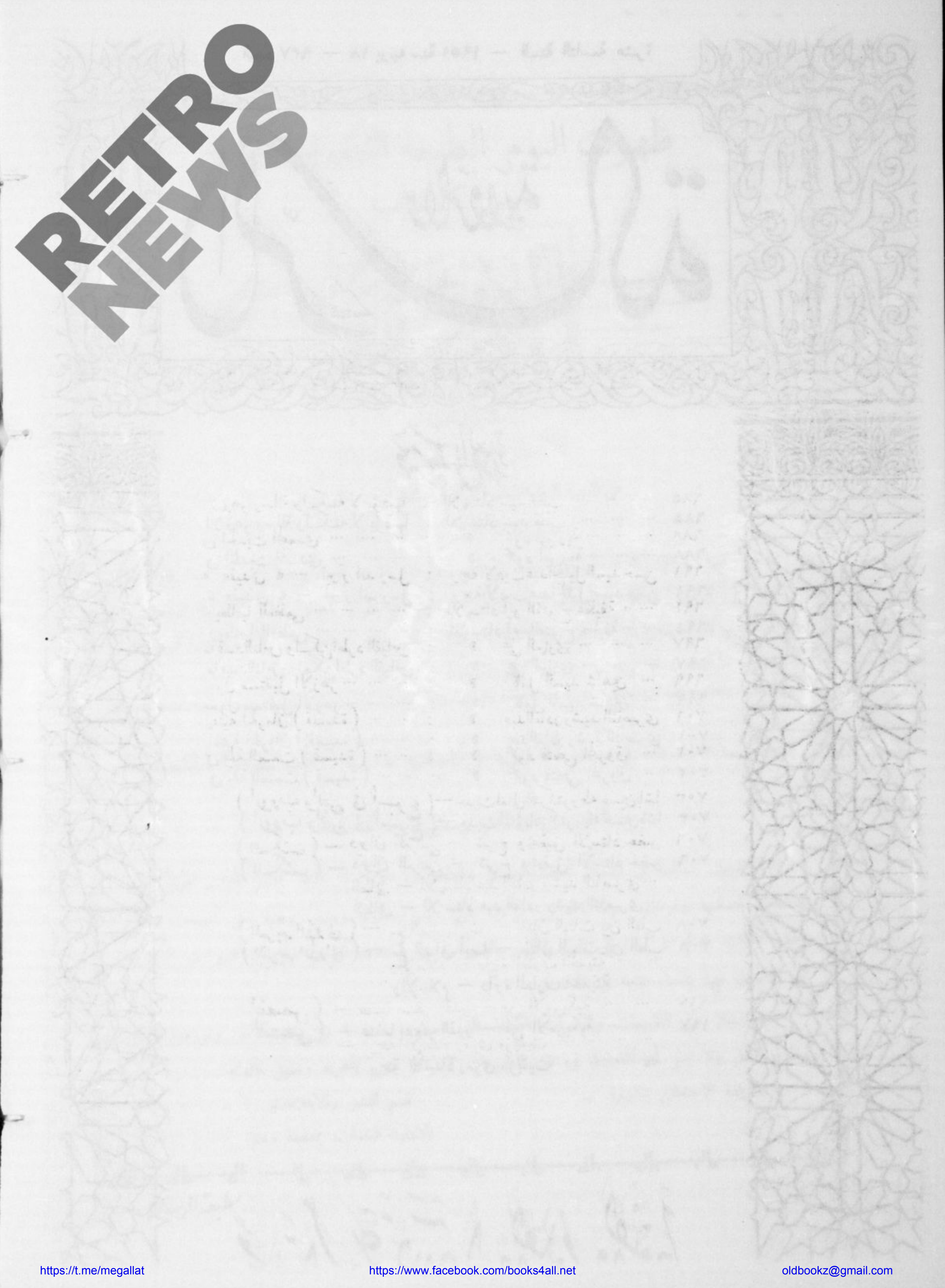
مطبعة الرسالة

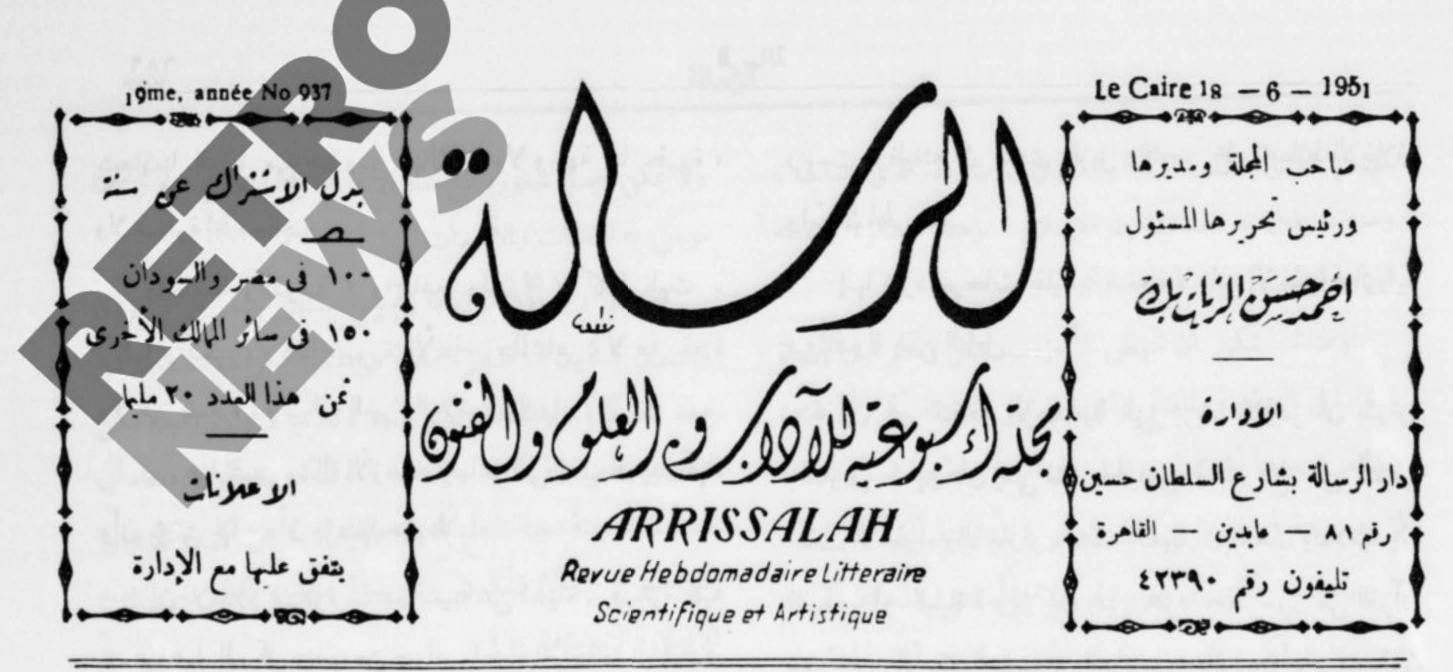


العدد ٩٣٧ — ١٨ يونيه سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد





19me. année No 937

Le Caire 18 — 6 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٣٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ رمضان سنة ١٣٧٠ — ١٨ يونية سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

للأزهر رسالة ... ولكنه لا يؤديها ...

للأستاذ سيد قطب

هذا المعهد العظيم العريق ، الذى قام حارساً على الثقافة العربية ، والثقافة الإسلامية ، زهاء ألف عام . . لم ينته دوره بعد ، ولم تكمل رسالته . ودوره الذى ينتظره كبير ، ورسالته التى تناديه ضخمة

ولكنه لا يؤديها . . . !

لقد أدى الأزهر دوره فى تلك الأجيال المتعاقبة التى انحسر فيها المد الإسلامى ، ووقف جريانه ؛ وانطوى فيها العالم الإسلامى على نفسه وانزوى عن الركب المندفع إلى الأمام ، وراح يجتر ما أنبتته النهضة وما خلفته ، فيستهلكه ولا يزيد عليه

أدى الأزهر دوره فى هذه الحقبة فوقف حارساً على ذلك التراث ، يؤدى وظيفة الحارس ولا يضيف للتراث شيئاً يذكر ، ولم تكن هذه بالمهمة الهينة فى ذلك الأوان ، ولا بالقليلة القيمة فى تاريخ الشعوب

ولكن هذه الحقبة قد انقضى أمرها — والحمد لله — ودبت اليقظة فى العالم الإسلامى من جديد . وتطلع فإذا قرون مضت وقرون ؛ وإذا هو متخلف فى حقول شتى ؛ وإذا هو يريد وصل ما انقطع ، ويعتزم أن يتخذ له مكاناً فى القافلة ، ليس فى ذيلها على وجه اليقين

وتلفت الأزهر فإذا هو حيث هو ، والقافلة كلها تسير . وعز على الأزهر أن يقف وحده ، فإذا هو يهم ، ولكنه فيما يبدو منه حتى اليوم ، لم يدرك أين مكانه ، ولم يعرف لنفسه قدرها .

إنه يحاول أن يتجدد ، ولكن على طريقة التقليد . إنه يريد أن يلحق ، ولكن ليلهث وراء القافلة ، لا ليأخذ بزمامها ويوجهها

وإنى لأعيذ الأزهر العظيم أن يكون فى ذلك الموقف المهين

إن رسالة الأزهر اليوم ليست مجرد العكوف على الحواشى والشروح والتنبيهات والاعتراضات . وليست كذلك المحاكاة لبعض المعاهد والكليات الجامعية باسم التجدد . فكلتاهما هى الدنية بالقياس إلى رسالة الأزهر الحقيقية

إن رسالة الأزهر اليوم رسالة إنشائية إبداعية ، لا تفسيرية ولا تقليدية . رسالة خلق وبناء وكفاح . رسالة بعث للفكرة الإسلامية وللنهضة الإسلامية

* * *

إن العالم اليوم تسيره نظريات فكرية واجتماعية معينة : الاشتراكية تغلب فى الغرب ، والشيوعية تغلب فى الشرق . ونحن فى مصر وفى العالم الإسلامى نلهث فى اللحاق بإحداهما ،

يتجاذبنا البريق من هنا ومن هناك ، ولا وجهة لنا مقررة ، ولا فكرة لنا مستنيرة

والجامعة والمدرسة ، والجماهير والدولة ، كلها تلهث . وكلها تركض ، وكلها مبهورة الأنفاس والمشاعر ، لا عن خبرة ولا عن بصيرة ، ولكنه البهر والتلاشى والدوار !

. . هنا تتعين رسالة الأزهر ، رسالته التى يجب أن يدركها، وأن يؤمن بها ، وأن يؤديها حق الأداء

إن للاسلام فكرة مستقلة معينة عن الحياة . فكرة كلية تمد فروعها إلى كل جانب من جوانب الحياة الإنسانية الكثيرة. وإن للاسلام رأياً فى الشعور والسلوك ، فى العبادة والعمل ، فى الاقتصاد ، والاجتماع ، فى سياسة الحكم وسياسة المال ، فى سياسة الدولة الخارجية والداخلية ... فى كل باب من أبواب النشاط الإنسانى فى كل اتجاه

ورسالة الأزهر الأولى هى أن يعكف على استخلاص هذه الفكرة الكلية ، وعلى تنميتها بالبحوث والدراسات فى كل حقل من حقول المعرفة ، وعلى إعدادها للتطبيق العملى فى واقع الحياة اليومية الحاضرة ، ثم على الدعوة إليها فى النهاية بعد هذه الخطوات

رسالة الأزهر الأولى أن ينشىء ثقافة إسلامية كاملة مستمدة من الأصول الأولى للاسلام ، ومن الحياة النامية المتجددة فى كل آن . . هذه الثقافة لن يجدها الأزهر فى الحواشى والشروح والتنبيهات والاعتراضات ، أو قد يجدها ولكن فى حاجة إلى أن تعرض بأسلوب العصر وطريقته ، وأن تنمى بالدراسات والإضافات ، كى تصبح فى متناول الجماهير كلها ، وفى حقول الثقافة جميعها

* * *

ليست وظيفة الأزهر أن يقف بين الحين والحين لينادى بتدريس الدين فى المدارس على أن يتولى تدريسه والتفتيش عليه رجال الأزهر كما يقول دائما ! وليست وظيفته أن يقف بين الحين والحين ليطالب برد المجالس الحسبية إلى سلطة القضاء الشرعى . وليست وظيفته أن ينادى بالويل والثبور على انحطاط الأخلاق وانتهاك الحرمات

إنها مجرد صيحات تقليدية صغيرة لا تلقى إلا الهزؤ والزراية من الدولة ومن الناس

أين هى الثقافة الإسلامية التى يريد الأزهر أن تدرس بالمدارس ؟ إن كان يعنى تلك الحواشى والشروح التى أثمرتها حقب الانطواء والاجترار ، فتلك كفيلة أن تذهب بالتلاميذ إلى الكفر أو البلبلة ! وإن كان يعنى مجرد حفظ سور من القرآن وشىء من الأحكام الفقهية فى العبادات ، فألوف وألوف يحفظون القرآن كله ويعرفون تلك الأحكام ، والإسلام بعد ذلك مهمل لا يعرفه الأكثرون

إنه ينبغى أن توجد أولا ثقافة إسلامية . ثقافة حقيقية واضحة حية ، مطبقة على واقع الحياة الحاضر ، تتناول مشكلات الحياة الفردية والاجتماعية القائمة بالبحث ، وتوجد لها الحلول ، ويومئذ ستزحف هذه الثقافة بذاتها إلى المدارس وإلى المجتمعات، ستزحف بحكم أنها ثقافة حية ، لا بحكم أن طائفة تنتفع أو لا تنتفع بتقريرها فى المدارس والمحاكم والدواوين ! وتلك هى سنة الحياة

ما رأى الإسلام فى العمل والأجور ؟ ما رأيه فى توزيع الملكيات والثروات ؟ ما رأيه فى علاقة الفرد بالدولة ، وعلاقة الدولة بالفرد ؟ ما رأيه فى سياسة الدولة الخارجية وفى المجتمعات الدولية ؟ ما رأيه فى الجريمة والعقوبة ؟ ما رأيه فى المعاملات المالية والاقتصادية ؟ ما رأيه فى طرق الحكم ونظام الإدارة ؟ ما رأيه فى خلق الكون وناموس الحياة ؟

إن للاسلام رأيا فى كل حقل من هذه الحقول . وحول هذه الآراء يمكن أن تنهض ثقافة متشعبة الفروع ، متشابكة الأصول، تواجه فلسفات الشرق وفلسفات الغرب ، وتعلن عن وجودها العالمى فى هذا المضمار

والأزهر هو الذى يجب أن يمثل هذه الثقافة ، فيكون

مهبطها الذى تطلب فيه ، وتكون موضوعه الذى يعالجه ، وعندئذ يقال : هذه فكرة الإسلام وهذه فكرة الثقافة الغربية

وعندئذ يمكن أن تنهض الأحزاب لتمثل فكرة فى الحياة ونظاما فى المجتمع ، ولتضع براعجها فى ظل هذه الفكرة أوتلك ، وللشعب بعدها أن يختار ، يختار على أسس واضحة معروفة له ، لا مدسوسة فى بطون الكتب الصفر ، نائمة منذ ألف عام !

وعندئذ يمكن أن يقوم الحكم على أساس هذه الفكرة ، فيحققها فى كل حقل من حقول الحياة ، لا فى تلك الجزئيات التى يطالب بها الأزهر فى بعض الأحيان ، فتذهب صيحته فى الهواء !

* * *

وهنالك عمل جبار ينتظر الأزهر . . هنالك تنمية التشريع الإسلامى الذى وقف منذ ألف عام ، ليساير حاجات الحياة فى كافة ميادين الحياة : فى العقوبات والمعاملات ، فى التجارة والملاحة ، فى السياسة والحكم ، فى علاقات الأفراد والجماعات

وهنالك إعادة كتابة التاريخ — التاريخ الذى نتلقفه من أفواه أجنبية ، مصوغا فى ظل فلسفات تناقض فكرة الإسلام عن الحياة — لنكتبه من زاوية النظر الإسلامية إلى الحياة وإلى الحوادث ، وإلى القوى التى تعمل فى ظاهر الكون وباطنه على السواء

وهنالك اللغة العربية وآدابها وتراثها ، مدروسة بعقلية إسلامية ، مسلطا عليها ضوء الفكرة الإسلامية . وما من شك فى أننا نتلقى هذه الدراسات اليوم من أيدى المستشرقين ، متأثرة — لا أقول بكيد المستشرقين للاسلام — ولكن على أقل تقدير بفلسفاتهم الخاصة عن الحياة ، ونظرياتهم الخاصة عن النفس البشرية ، وتأثراتهم الخاصة ببيئات لا يتفق جوها مع جو الإسلام

إن الحياة الإنسانية وحدة ، وإن الإنسان ليعيش بمجموعة نفسه وكيانه ، فلا يمكن فصل فلسفته الفكرية عن مشاعره ، ولا يمكن فصل شعوره عن سلوكه ، ولا يمكن فصل سلوكه عما توحى به الثقافات والأحداث

وحين نريد أن يكون لنا وجود مستقل يشعر به الآخرون يجب أن تكون لنا فكرة خاصة عن الحياة ، ونظم مستمدة من هذه الفكرة ، وثقافات تنبع منها وتنميها . ولن يكون معنى هذا هو العزلة الفكرية والثقافية ؛ ولكن سيكون معناه أن تكون لنا بيئة حية تنتفع بالغذاء والشراب من كل حقل ومن كل ينبوع ، وألا نكون جثة ميتة موشاة بالرقع من جميع الألوان والشيات !

* * *

ترى يعرف الأزهر واجبه ، وينهض برسالته ؟

إن أملى كبير لا فى الجيل الذى شاخ فى الأزهر ، ولكن فى جيل الشباب

سيد قطب

٧ – في الحديث المحمدى

للأستاذ محمود أبو رية

ضرر رواية الحديث بالمعنى للدين :

لما كانت أحاديث النبي (ص) قدجاء نقلها بالمعنى — كما بينامن قبل — وأنهم قد أباحوا لرواتها أن يزيدوا فيها ، ويختصروا منها ، وأن يقدموا ويؤخروا في ألفاظها — بله ما سوغوه من قبول الملحون منها — لما كان الأمر قد جرى على ذلك، فقد نشأ منه ولا جرم – وبخاصة بسبب نقل الحديث بالمعنى — ضرر عظيم قال العلامة الجزائرى في توجيه النظر [١]

« بعد البحث والتتبع تبين أن كثيرا ممن روى بالمعنى قد قصر في الأداء، ولذلك قال بعضهم : ينبغي سد باب الرواية بالمعنى لئلا يتسلط من لا يحسن ، ممن يظن أنه يحسن ، كما وقع لكثير من الرواة قديما وحديثا . وقد نشأ عن الرواية بالمعنى ضرر عظيم حتى عد من جملة أسباب اختلاف الأمة . قال بعض المؤلفين [٢] في ذلك في مقدمة كتابه : إن الخلاف قد عرض للأمة من ثمانية أوجه ، وجميع وجوه الخلاف متولدة منها ومتفرعة عنها (الأول) منها اشتراك الألفاظ واحتمالها للتأويلات الكثيرة (الثانى) الحقيقة والمجاز (الثالث) الإفراد والتركيب (الرابع) الخصوص والعموم (الخامس) الرواية والنقل (السادس) الاجتهاد فيما لا نص فيه (السابع) الناسخ والمنسوخ (الثامن) الإباحة والتوسيع . وقال في باب الخلاف العارض من جهة الرواية والنقل : هذا الباب لا تتم الفائدة التي قصدناها منه إلا بمعرفة العلل التي تعرض للحديث فتحيل معناه ، فربما أوهمت فيه معارضة بعض لبعض وربما ولدت فيه إشكالا يحوج العلماء إلى طلب التأويل البعيد ، فاعلم أن الحديث المأثور عن رسول الله (ص) وعن أصحابه والتابعين لهم ، تعرض له ثماني علل ، أولها فساد الإسناد ، والثانية من جهة نقل الحديث على معناه دون لفظه ، والثالثة من جهة الجهل بالإعراب ، والرابعة من جهة التصحيف ، والخامسة من جهة إسقاط شيء من الحديث لا يتم المعنى إلا به ، والسادسة أن ينقل المحدث الحديث ويغفل السبب الموجب له ، أو بسط الأمر الذى جر ذكره ، والسابعة أن يسمع المحدث بعض الحديث ويفوته سماع بعضه ، والثامنة نقل الحديث من الصحف دون لقاء الشيوخ [٣]

وقد أحببنا أن نقتصر مما ذكر على ما هو أمس مما نحن بصدده (العلة الأولى) وهي فساد الإسناد . وهذه العلة هي أشهر العلل عند الناس حتى أن كثيرا منهم يتوهم أنه إذا صح الإسناد صح الحديث ! وليس كذلك فإنه قد يتفق أن يكون رواة الحديث مشهورين بالعدالة معروفين بصحة الدين والأمانة غير مطعون عليهم ولا مستراب بنقلهم ويعرض مع ذلك لأحاديثهم أعراض على وجوه شتى من غير قصد منهم إلى ذلك . والإسناد يعرض له الفساد من أوجه : منها الإرسال وعدم الاتصال ، ومنها أن يكون بعض رواته صاحب بدعة أو متهما بكذب وقلة ثقة ، أو مشهورا بيله وغفلة ، أو يكون متعصبا لبعض الصحابة منحرفا عن بعضهم ، فإن كان مشهورا بالتعصب ثم روى حديثا في تفضيل من يتعصب له ولم يرد من غير طريقه لزم أن يستراب به ، وذلك أن إفراط عصبية الإنسان لمن يتعصب له وشدة محبته يحمله على افتعال الحديث وإن لم يفتعله بدله وغير بعض حروفه . ومما يبعث على الاسترابة بنقل الناقل أن يعلم منه حرص على الدنيا وتهافت على الاتصال بالملوك ونيل المكانة والحظوة عندهم . فإن من كان بهذه الصفة لم يؤمن عليه التغيير والتبديل والافتعال للحديث والكذب حرصا على مكسب يحصل عليه [٤]

---

(١) ص ٣٣٧ — ٣٤٠ (٢) ظللنا نبحث عن هذا المؤلف حتى وجدنا أنه أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى الأندلسى المتوفى سنة ٥٢١ هـ وهذا الكلام في كتابه (الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين من آرائهم) وقد أتينا بما نقله العلامة الجزائرى لأنه أشبع القول في هذا الأمر بما نقل عن أئمة كبار غير البطليوسى

(٣) لا يصح أن يعد ذلك من علل الحديث . فقد ذهب الفقهاء كافة إلى أنه لا يتوقف العمل بالحديث على سماعه . وقال أبو إسحاق الاسفرائينى الإجماع على جواز النقل من الكتب المعتمدة . وقال الطبرى من وجد حديثا في كتاب صحيح جاز له أن يرويه ويحتج به . وكذلك قال العز بن عبد السلام وغيره (٤) سنبين سائر أسباب الوضع في الكلمة التالية إن شاء الله

وقد روى أن قوما من الفرس واليهود وغيرهم لما رأوا الإسلام قد ظهر وعم ، ودوخ وأذل جميع الأمم ، ورأوا أنه لا سبيل إلى مناصبته رجعوا إلى الحيلة والمكيدة فأظهروا الإسلام (٥) من غير رغبة فيه ، وأخذوا أنفسهم بالتعبد والتقشف. فلما حمد الناس طريقتهم ولدوا الأحاديث والمقالات وفرقوا الناس فرقا . وإذا كان عمر بن الخطاب يتشدد في الحديث ويتوعد عليه (٦) والزمان زمان والصحابة متوافرون ، والبدع لم تظهر والناس في القرن الذي أثنى عليه رسول الله (ص) ، فما ظنك بالحال في الأزمنة التي ذمها وقد كثرت البدع وقلت الأمانة . . .

(العلة الثانية) وهي نقل الحديث على المعنى دون اللفظ بعينه، وهذا باب يعظم الغلط فيه جدا ، وقد نشأت منه بين الناس شغوب شنيعة ، وذلك أن أكثر المحدثين لا يراعون ألفاظ النبي (ص) التي نطق بها ، وإنما ينقلون إلى من بعدهم معنى ما أراده بألفاظ أخرى ، ولذلك الحديث الواحد في المعنى الواحد يرد بألفاظ شتى ولغات مختلفة يزيد بعض ألفاظها على بعض ... ووجه الغلط الواقع من هذه الجهة أن الناس يتفاضلون في صورهم وألوانهم وغير ذلك من أمورهم وأحوالهم فربما اتفق أن يسمع الراوي الحديث من النبي (ص) أو من غيره فيتصور معناه في نفسه على غير الجهة التي أرادها ، وإذا عبر عن ذلك المعنى الذي تصور في نفسه بألفاظ أخر كان قد حدث بخلاف ما سمع من غير قصد منه إلى ذلك ، وذلك أن الكلام الواحد قد يحتمل معنيين وثلاثة ، وقد تكون فيه اللفظة المشتركة التي تقع على الشيء وضده فني مثل هذا يجوز أن يذهب النبي (ص) إلى المعنى الواحد ، ويذهب الراوي عنه إلى المعنى الآخر ، فإذا أدى معنى ما سمع دون لفظه بعينه كان قد روى عنه ضد ما أراده غير عامد، ولو أدى لفظه بعينه لأوشك أن يفهم منه الآخر ما لم يفهم الأول ، وقد علم (ص) أن هذا سيعرض بعده فقال محذرا من ذلك « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع » ه

وإن أحببت أن تعرف مقدار ما قد تؤدي إليه الرواية بالمعنى فسيكفيك أن تنظر في الحديث الذي انفرد بإخراجه مسلم في صحيحه من رواية الوليد بن مسلم قال : حدثنا الأوزاعي عن قتادة أنه كتب إليه يخبره عن أنس بن مالك أنه حدثه فقال : صليت خلف النبي (ص) وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا آخرها . ثم رواه من رواية الوليد عن الأوزاعي أخبرني إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنسا يذكر ذلك. وروى مالك في الموطأ عن حميد عن أنس قال : صليت وراء أبي بكر وعمر وعثمان فكلهم كان لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، وزاد فيه الوليد بن مسلم عن مالك : صليت خلف رسول الله (ص) وقد أعل بعض المحدثين الحديث المذكور وقالوا : إن من رواه باللفظ المذكور قد رواه بالمعنى الذي وقع في نفسه ، فإنه فهم من قول أنس : كانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين ، أنهم كانوا لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم فرواه على ما فهم وأخطأ ، لأن مراد أنس بيان .. أن السورة التي كانوا يفتتحون بها من السور هي الفاتحة ، وليس مراده بذلك أنهم كانوا لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم ! فانظر إلى ما أدت إليه الرواية بالمعنى على قول هؤلاء حتى نشأ بذلك من الاختلاف في هذا الأمر المهم ما لا يخفى على ناظره . وقال ابن الصلاح في الأحاديث الواردة في الصحيح المتعلقة بدخول الجنة بمجرد الشهادة مثل حديث : من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة ، وحديث من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار ، وحديث لا يشهد أحد أنه لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه : يجوز أن يكون ذلك اقتصارا من بعض الرواة نشأ من تقصيره في الحفظ والضبط لا من رسول الله (ص) بدلالة مجيئه تاما في رواية غيره ، ويجوز أن يكون اختصارا من رسول الله فيما خاطب به الكفار عبدة الأوثان الذين كان توحيدهم لله مصحوبا بسائر ما يتوقف عليه الإسلام ومستلزما له

واعلم أن الرواية بالمعنى قد أحس بضررها كثير من العلماء وشكوا منها على اختلاف علومهم ، غير أن معظم ضررها كان في الحديث والفقه لعظيم أمرهما . وقد نسب لكثير من العلماء

(٥) مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما
(٦) ارجع إلى العدد ٩٣٠ من الرسالة

الأعلام أقوال بعيدة عن السداد جداً اتخذها كثير من خصومهم ذريعة للطعن فيهم والإزراء بهم ثم تبين بعد البحث الشديد والتتبع أنهم لم يقولوا بها، وإنما نشأت نسبتها إليهم من أقوال رواها الراوى عنهم بالمعنى فقصر فى التعبير عما قالوه فكان من ذلك ما كان . .

وقد تعرض العلامة النحرير نجم الدين أحمد بن حمدان الحرانى الحنبلى للضرر الذى نشأ من الرواية بالمعنى فى مذهبه فقال فى آخر كتاب صفة المفتى فى باب جعله لبيان عيوب التأليف وغير ذلك ليعرف المفتى كيف يتصرف فى المنقول، ويقف على مراد القائل بما يقول، ليصح نقله المذهب، وعزوه إلى الإمام أو إلى بعض من إليه ينسب « اعلم أن أعظم المحاذير فى التأليف النقلى إهمال نقل الألفاظ بأعيانها والاكتفاء بنقل المعانى مع قصور الناقل عن استيفاء مراد المتكلم الأول بلفظه، وربما كانت بقية الأسباب مفرعة عنه، لأن القطع بحصول مراد المتكلم بكلامه أو الكاتب بكتابته مع ثقة الراوى تتوقف على انتفاء الإضمار والتخصيص والنسخ والتقديم والتأخير والاشتراك والتجوز والتقدير والنقل والمعارض العقلى، فكل نقل لا يؤمن معه حصول بعض الأسباب لانقطع بانتفائها نحن ولا الناقل، ولا نظن عدمها ولا قرينة تنفيها ولا نجزم فيه بمراد المتكلم، بل ربما ظنناه أو توهمناه — ولو نقل لفظه بعينه وقرائنه وتاريخه وأسبابه انتفى هذا المحذور أو أكثره . . » (٧)

ضرر الرواية بالمعنى من الناحية اللغوية والبلاغية :

هذا بعض ما قالوه فى ضرر رواية الحديث بالمعنى فى الأمور الدينية، أما ضررها من ناحية اللغة والبلاغة فقد بينه نابغة الأدب وحجة العرب مصطفى صادق الرافعى بقوله رحمه الله (٨)

«ليس كل ما يروى على أنه حديث يكون من كلام النبى (ص) بألفاظه وعبارته ؛ بل من الأحاديث ما يروى بالمعنى فتكون ألفاظه أو بعضها لمن أسندت إليه فى النقل، ولجواز الرواية بالمعنى لم يستشهد سيبويه وغيره من أئمة المصريين على النحو واللغة بالحديث (٩) واعتمدوا فى ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب . ولو كان التدوين شائعاً فى الصدر الأول وتيسر لهم أن يدونوا كل ما سمعوه من النبى (ص) بألفاظه وصوغه وبيانه لكان لهذه اللغة شأن غير شأنها ؛ (ذلك بأن) ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهى إن لم تكن من الوحى ولكنها جاءت من سبيله، وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هى من دليله»

(٧) هذا الكلام بقية قيمة يرجع إليها فى مظانها

(٨) ص ٣٦٤ و ٤٢٢ إعجاز القرآن

(٩) سنفصل هذا الأمر فى موضعه إن شاء الله

للتصورة للكلام صلة محمود أبو ريه

عقيـــدتى

للفيلسوف الانجليزى المعاصر برترا ندرسل

ترجمة الأديب عبد الجليل السيد حسن

الفصل الثانى

الحياة السعيدة

لقد كان يوجد فى أزمان متباينة وبين شعوب متباينة، تصورات مختلفة عن الحياة السعيدة . وكانت الاختلافات — إلى مدى محدود — تنقاد إلى الحجة ، وذلك حينما يختلف الناس بصدد الوسائل التى يبلغون بها غاية مقصودة ؛ فالبعض يظن أن السجن نهج قويم للقضاء على الجريمة ، وآخرون يعتقدون أن التربية أقوم منه . ومثل هذا الاختلاف يمكن فضه بدليل كاف، ولكن بعض الاختلافات لا يمكن أن تختبر بمثل هذه الطريقة ؛ فإن « تولستوى » يحمل على جميع أنواع الحروب ؛ ويعتقد آخرون أن حياة الجندى الذى يخوض المعارك من أجل الحق فى غاية النبل . ومن الممكن فى هذا المقام وقوع اختلاف جوهرى متشابك بالنسبة للغايات عند كل منهم ، فهؤلاء الذين يثنون عادة على الجندى يعتبرون عقاب الخاطئين خير فى ذاته ، وتولستوى لا يوافق على ذلك . وفى مثل هذا المجال لا يحتمل الجدال. ولذلك فلن أستطيع أن أجزم بأن نظرتى عن الحياة السعيدة هى الصواب ، ولكن أستطيع فقط أن أطرح نظرتى وآمل أن يوافق عليها كثيرون بقدر المستطاع ، أما نظرتى فها هى ذى :

« إن الحياة السعيدة هى الحياة التى يوحيها الحب وتهديها المعرفة »

وكل من المعرفة والحب غير محدود المدى ؛ ولذلك فإن أية حياة سعيدة يمكن أن تتخيل حياة أسعد منها . وليس الحب بدون المعرفة أو المعرفة بدون الحب بجالب الحياة السعيدة ؛ ففى العصور الوسطى كان رجال الدين حينما يظهر وباء فى إحد البلاد ، ينصحون السكان بالتجمع فى الكنائس والدعاء للنجاة؛ وكانت النتيجة أن تنتشر العدوى بسرعة غريبة بين حشود الضارعين ، وكان ذلك مثلا للحب بدون معرفة . أما الحرب الأخيرة (يقصد الحرب العالمية الأولى) فقدقدمت خير مثال للمعرفة بدون حب . وفى كلا الحالين كانت النتيجة انتشار الهلاك على نطاق واسع

ومع أن كلا من المعرفة والحب ضرورى ؛ إلا أن الحب بمعنى من المعانى أكثر أهمية لأنه يدفع بالأذكياء من الناس إلى البحث عن المعرفة ، حتى يعرفوا كيف يفيدون من يحبون ، ولكن إذا لم يكونوا بالأذكياء فإنهم سيقنعون بتصديق ما قيل لهم (منذ الصغر) وقد يرتكبون بذلك ضرراً رغماً عن حبهم الصادق للخير . ولعل الطب هو الذى يقدم خير مثال لما أعنى ؛ فإن الطبيب القدير أنفع للمريض من أعز أصدقائه . والتقدم فى المعرفة الطبية يحسن إلى صحة المجموع أكثر من محب دعا للانسانية ، ومع ذلك فإن عنصر « حب الخير »[1] ضرورى حتى فى حالة الاكتشافات العلمية التى لا يستفيد منها إلا الأغنياء

والحب نقطة تندرج تحتها ضروب من المشاعر ، وقد استعملتها هادفاً إلى ذلك لأنى أقصد شمولها كلها . والحب كعاطفة — وهى تلك التى أتكلم عنها لأن الحب يبدو لى أنه أصلى خالص — تتذبذب بين قطبين : فى أولهما ، السرور المحض فى التأمل ، وفى ثانيهما حب الخير المحض والسرور لا يتدخل قط إلا حينما يتعلق الأمر بالموضوعات الجامدة ، فلا يمكن أن تشعر بحب الخير إزاء منظر طبيعى أو قطعة موسيقية . ومن المحتمل أن يكون هذا النمط من السرور هو مصدر الفن ، وهذا أقوى عند الأطفال منه عند البالغين الذين تعودوا أن يتناولوا الموضوعات بروح المنفعة التى تلعب دوراً هاما فى التأثير على مشاعرنا ، تجاه الكائنات البشرية : فبعضهم ساحر فتان ، وبعضهم على الضد من ذلك ، حينما يعتبرون كموضوعات لتأمل الجمال فقط.

(١) beneyo ponce

والقطب الآخر من الحب هو الخير المحض . فهناك رجال قد وقفوا حياتهم على مساعدة المجذومين ، فالحب الذي يشعرون به في مثل هذه الحالة ليس فيه أي عنصر من السرور الجمالي . والعاطفة الأبوية يصحبها البشر حين يشرق الطفل ، ولكنها تبقى قوية حين يغيب هذا العنصر تماما . ومن الشاذ أن نسمي عناية الأم بالطفل المريض « عاطفة حب الخير » لأننا نكون نسمة أعشار مدعين في تعودنا استعمال هذه اللفظة لنصف بها عاطفة باهتة . ومع ذلك فمن الصعب أن نجد كلمة لتصف بها الرغبة في سعادة شخص آخر . وحقيقة أن رغبة من هذا النوع قد تبلغ أعظم درجة من الشدة في حالة الشعور الأبوي . وفي الحالات الأخرى تكون أقل شدة . وفي الحقيقة يبدو أنه من المحتمل أن كل عاطفة إيثارية (Astwiotic emotion) هي نوع من فيضان (غمرة) الشعور الأبوي ، أو في بعض الأحيان هي إعلاء له . وللافتقار إلى كلمة أصلح سأسمي هذه العاطفة « عاطفة حب الخير » ولكني أريد أن أوضح أني إنما أتحدث عن عاطفة لا عن قاعدة ، وإني لا أدرج تحتها أي شعور بالسمو ، كهذا الذي يقترن بالكلمة أحياناً . وكلمة « المشاركة الوجدانية » (Sympathy) تعبر عن جزء مما أعنيه ، ولكنها تترك عنصر الحيوية الذي أود أن أشمله

والحب في أكمل مظاهره رباط وثيق بين عنصري السرور وعنى الخير . وسرور الأب بالطفل الجميل المفلح ، يتضمن كلا المنصرين . كذلك يفعل الحب الجنسي في أرق صوره ؛ ولكن في حالة الحب الجنسي لن توجد عاطفة حب الخير إلا حيث توجد ملكية مضمونة ، وإلا ستعصف به الغيرة ، في حين أنها ربما تزيد السرور في حالة التأمل ، والسرور بدون عنى الخير قد يكون قاسياً ، وعنى الخير بدون السرور يصبح بارداً وقليل السمو . والشخص الذي يرغب أو يود أن يكون محبوباً ، يرغب كذلك أن يكون موضوعاً لحب يشتمل كلا المنصرين ، ما عدا حالات الضعف القصوى ، كما في الطفولة والمرض الشديد ، ففي هذه الحالات قد يكون « عاطفة حب الخير » هو كل ما يرغب فيه ، وعلى العكس من ذلك في حالات القوة القصوى يستحب الإعجاب أكثر من حب الخير ، وهذه هي حالة الاحتفال بأصحاب الحول والطول ، والغانيات المشهورات ؛ ونحن نرغب فقط في عنيات الغير الطيبة ، حينما نشعر أننا في حاجة إلى مساعدتهم أو في خطر من أذاهم ، وعلى الأقل يبدو أن ذلك هو المنطق البيولوجي الموقف ، ولكنه ليس صادقاً كل الصدق بالنسبة للحياة ، فنحن ننشد الود لكي نهرب من الشعور بالوحدة ، ولنكون — كما نقول — « مفهومين » . وهذا هو أهمية المشاركة الوجدانية ، وليس فقط عاطفة حب الخير ؛ فالشخص الذي يرضينا وده ، لا يجب أن يتمنى لنا الخير فقط ، بل يجب أن يعرف في أي شيء تكمن سعادتنا ، ولكن هذا ينتمي إلى المنصر الآخر من الحياة السعيدة ، وأعني به عنصر المعرفة

في عالم كامل ، سيكون كل كائن حساس ، موضوع حب عميق للآخر متألف من السرور وعاطفة حب الخير والفهم . كل ذلك مختلط بصورة معقدة ، ولا يعني ذلك أنه يجب علينا — في هذا العالم الواقعي — أن نجهد في الحصول على مثل هذه الإحساسات تجاه كل الكائنات الحساسة التي نصطدم بها ؛ فهنا كثيرون لا نستطيع أن نحس نحوهم شيأ من السرور ، إذ يتقزز منهم بطبيعتهم . وإذا أرغمنا أنفسنا بمحاولة رؤية أي جمال ، فإنا نبلد بذلك إحساساتنا نحو ما نجده جميلا حقيقة . وقد لا نعني بذلك الكائنات البشرية فهناك البراغيث والقمل والبق ، فإنه لحتم علينا أن نكره أنفسنا بشدة كالبحارة القدماء قبل أن نشعر بالسرور من تأمل هذه المخلوقات . وبعض القديسين ـ وهذا ثابت فعلا ـ دعاها « لآلئ الله » ولكن ما كان يسر به هؤلاء الرجال هو فرصة إظهار قداستهم فقط

من السهل اتساع دائرة حب الخير ولكن إلى حدود معينة . فإذا أراد رجل أن يتزوج سيدة فلا نظن أن من الخير له أن يتراجع إذا وجد شخصاً آخر يريد زواجها ، بل علينا أن ننظر إلى ذلك كميدان حر للمنافسة ، ومع ذلك فإن مشاعره تجاه أي منافس لا يمكن أن تكون خيرة جميعها . وأحسب أننا هنا على الأرض عند أي وصف للحياة السعيدة يجب أن نضع نصب أعيننا بعض أسس الحياة الحيوانية والغريزة الحيوانية ؛ فبدون هذا تصبح الحياة فاقدة الروح غير ذات أهمية ، ويجب أن تكون

المدنية شيئاً يضاف إلى هذا لا شيئاً يستعاض به عنها ، فالقديس الزاهد والحكيم المتزن يفشلان على هذا الاعتبار في كونهم كائنات بشرية كاملة . وعدد صغير منهم قد يثقف ويزين مجتمعاً ، ولكن عالما مؤلفا منهم قد يموت من الانحلال

وهذه الاعتبارات تؤدى إلى توكيد أن عنصر السرور أحد العناصر الجوهرية في أنواع الحب . والسرور - في هذا العالم الواقعي - أمر اختياري لا مفر منه ، ويمنعنا من أن يكون عندنا نفس المشاعر تجاه الجنس البشرى كله وحينما ينجم التعارض بين السرور وعاطفة حب الخير يجب أن يفضا باتفاق متبادل ، لا بالتسليم التام من كليهما ، فللغريزة حقوقها ؛ وإذا شددنا عليها التنكير أكثر من حد معلوم ، فإنها تثأر لنفسها بطرق ملتوية ، ومن ثم ينبغي أن يكون مدى إمكانيات الإنسان حاضرة في أذهاننا حينما نهدف إلى حياة سعيدة . وها نحن أولاء قد رجعنا ثانية إلى ضرورة المعرفة

وحينما أتكلم عن المعرفة كأحد العناصر الجوهرية في الحياة السعيدة ، لا أفكر مطلقا في المعرفة الأخلاقية ، بل في المعرفة العلمية ، والمعرفة ذات الحقائق الدقيقة . ولست أحسب أنه يوجد - وأنا أتكلم على سبيل الحصر - شيء اسمه المعرفة الأخلاقية. فإذا أردنا أن نصيب هدفا معينا، فإن المعرفة قد ترينا الوسائل . وهذه المعرفة قد تمر مع شيء من التساهل على أنها معرفة أخلاقية ؛ ولكني لا أظن أنا نستطيع أن نقرر أي نوع من السلوك هو حق أو باطل إلا بالإشارة إلى نتائجه المحتملة . وتحديد غاية لبلوغها مسألة ، العلم هو الذى يكتشف لنا كيف نبلغها . وكل الأسس الخلقية يجب أن تختبر بالتحقق من أنها تجنح إلى تحقيق الغايات التي نرغبها . وأقول الغايات التي نرغبها لا الغايات التي « ينبغي » أن نرغبها . لأن « ما ينبغي » أن نرغبه ليس شيئا أكثر مما يريد شخص آخر أن نرغبه . وعادة هو ما ترغب السلطات أن تريده - كالوالدين والأساتذة ورجال البوليس والقضاة - وإذا قلت لى : « يجب أن تفعل كيت وكيت » فإن القوة الباعثة على قولك تكمن في رغبتي في موافقتك لما قد يحتمل من الجزاء أو العقاب المرتبط بموافقتك أو مخالفتك، وما دام كل سلوك يصدر عن الرغبة ، فمن الواضح أن الأفكار الأخلاقية ليست لها من أهمية إلا بمقدار ما تؤثر به على الرغبة . وهم يفعلون ذلك رغبة في الموافقة وخوفا من المخالفة ، لأن هذه قوى اجتماعية شديدة : وسنحاول بالطبع أن نكسبها إلى جانبنا إذا رغبنا أن نحقق أي غرض اجتماعي . وحين أقول إن خلقية السلوك يجب أن يحكم عليها بنتائجها المحتملة ، أعنى أنى أرغب أن أرى الموافقة تطلق على السلوك المحتمل أن يحقق أغراضا اجتماعية، والمخالفة تطلق على السلوك المضاد . وهذا لا يفعل في الوقت الراهن ، لأن هناك سننا تقليدية معينة ، يقاس بمقتضاها الموافق والمخالف والملائم والمنافر ، دون نظر إلى النتائج . ولكن هذا موضوع سنتناوله في الفصل التالي

إن الزيادة في الأخلاق النظرية لواضحة في حالات بسيطة . فلنفرض مثلا أن طفلك مريض، فالحب يجعلك تريد أن تشفيه ، ولكن العلم هو الذى يخبرك كيف تعمل ذلك . وليس هناك من مرحلة وسطى في النظرية الأخلاقية ، حيث يتضح أن طفلك كان يحسن أن يشفى ، وعملك يصدر مباشرة عن الرغبة في الوصول إلى هدف ، وأيضا في نفس الوقت مع معرفة الوسائل إليه . وهذا صادق تماما في كل الأفعال سواء أكانت خيراً أم شرا . والغايات تتباين، والمعرفة أكثر سدادا وصلاحية في بعض الحالات منها في الأخرى ، ولكن ليس هناك من طريق تتصور لجعل الناس يؤدون مالا يرغبون في أدائه ، ولكن الشيء الممكن هو أن نغير رغباتهم عن طريق نظام الجزاء والعقاب اللذين من بينهما الموافقة والمخالفة الاجتماعية ، لا تقل قوة . ومن ثم فإن المسألة للمشرع الأخلاقي هي كيف يعد نظام الجزاء والعقاب هذا حتى يصون أقصى حد رغبة السلطة المشرعة ؟ فإذا قلت أنا : إن السلطة المشرعة نياتها سيئة ، فإني أعني فقط أن رغباتها تتعارض مع رغبات قسم من المجتمع أنتمي إليه ، لأنه ليس هناك من مستوى خلق خارج الرغبات البشرية

وهكذا فإن ما يميز الأخلاق عن العلم ، ليس هو أي نوع خاص من المعرفة ، بل هو الرغبة . والمعرفة المحتاج إليها في الأخلاق ، هي بالضبط. مثل أي معرفة أخرى . والشيء الغريب هو أن هناك غايات يرغب فيها . والسلوك الحق هو الذى يفضى إليها ، وبالطبع إذا كان تعريف السلوك الحق يثير رغبات واسعة

بريطانيا العظمى

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

بحفر الحية :

لعل السؤال التالي يجول بخاطرك أيها القارئ الكريم : من يحكم إنجلترا ؟ أهو مليكها أم رئيس الوزراء أم مجلس العموم أم مجلس اللوردات ؟ وأنا أجيبك عن هذا السؤال فأقول : إن مجلس العموم هو الذي يحكم إنجلترا ؛ ذلك أن مجلس العموم يمثل الشعب البريطاني أصدق تمثيل ، ورئيس وزرائها لا يستطيع أن يبقى في مركزه يوما واحدا إذا قبض هذا المجلس عنه ثقته ،

وإذن فمصدر السلطات جميعا هو الشعب البريطاني ، وأما ملك إنجلترا فإنه حسب التقاليد يملك ولا يحكم ، وأما مجلس اللوردات فهو مجلس تقليدي ليس له من الأمر شيء

وأحب أن أضرب للقارئ مثلا عن الديمقراطية في بريطانيا وهو مثل قريب جدا إلى الأذهان، ولكنه يبين لنا إلى أي حد يعتبر مجلس العموم ممثلا للشعب البريطاني ، ويوضح أيضا مدى الحرية التي يختار بها هذا الشعب نوابه وممثليه . إننا جميعا نذكر أن مستر تشرشل زعيم حزب المحافظين كان رئيسا للوزارة البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية ، وإننا نذكر أيضا ذلك المجهود الجبار الذي قام به حتى أنقذ بريطانيا من أشد أزمة مرت بها في تاريخها ، ومع هذا فعقب انتهاء الحرب ١٩٤٥ أجريت الانتخابات لمجلس العموم وأدار دفتها مستر تشرشل ، وسقط مرشحوه أي مرشحو المحافظين ونجح مرشحو حزب العمال وأحرزوا الأغلبية في مجلس العموم ، فانتقلت الوزارة من يد تشرشل المكافح العظيم والمناضل الكبير إلى يد مستر أتلي زعيم حزب العمال لأن الشعب يرغب في ذلك ، ولم يطعن المستر تشرشل في نزاهة الانتخابات طبعا ، ولم يرم الشعب البريطاني بالجحود ونكران الجميل ، وسلم بالأمر الواقع طائعا مختارا !

ومثال آخر أحب أن أسوقه للقارئ الكريم . دعى مستر تشرشل لحضور مؤتمر بوتسدام في صيف ١٩٤٥ باعتباره مندوبا عن بريطانيا — وكان هذا المؤتمر يضم مندوبي الدول العظمى ، ولكن مستر تشرشل لم يذهب إلى المؤتمر بمفرده، بل اصطحب معه المستر كلمنت أتلي زعيم المعارضة ورئيس حزب العمال . لماذا ؟ لأن إنجلترا كانت مقبلة على انتخابات ، وربما جاءت الانتخابات بما لم يشتهه مستر تشرشل ـ وهذا ما حدث فعلا ـ وانتقلت الوزارة إلى العمال، وإذن فيجب أن يكون زعيم العمال على علم بما يجري في المؤتمرات الدولية

وهكذا نرى أن بريطانيا تعتبر بحق زعيمة الدول الديمقراطية . إن جميع أفراد الشعب البريطاني البالغين رجالا ونساء ينتخبون ممثليهم أو نوابهم إلى مجلس العموم في حرية تامة، وهؤلاء النواب هم الذين يقيمون الوزراء وبدون تأييدهم تسقط الوزارة ، وإذن فالشعب البريطاني ممثلا في نوابه هو الذي

متعددة ، فإن الغايات يجب أن تكون كما يريد أقسام كبيرة من الجنس البشري . فإذا عرفت السلوك الحق بأنه هو الذي يزيد دخلي الخاص ، فإن القراء لن يوافقوا ، وإن القوة كلها في أية حجة أخلاقية لتكمن في جزئها العلمي ، أعني في البرهان على أن نوعا من السلوك أكثر من سلوك آخر وسيلة لغاية نرغب بشدة . ولكني أميز بين الحجة الأخلاقية والتربية الأخلاقية ، فالأخيرة تتوقف على تقوية رغبات معينة وإضعاف أخرى ، وهذه عملية مختلفة تماما ستناقش وحدها في مكان آخر

ونستطيع الآن أن نشرح بدقة أكثر معنى تعريف الحياة الحميدة . الذي بدئ به هذا الفصل فحين قلت إن الحياة الحميدة تتألف من الحب الذي تهدي إليه المعرفة ، كانت الرغبة التي دفعتني هي الرغبة في أن نعيش حياة أطول ما يمكن ، وأن نرى الآخرين يعيشون نفس الحياة . والإقناع المنطقي في هذا القول هو أنه في مجتمع يعيش فيه الناس على هذه الصورة ، سترضى رغبات أكثر من مجتمع آخر ، فيه حب أقل ومعرفة أقل ، وأنا لا أعني أن مثل هذه الحياة « فاضلة » أو عكسها « رذلة » لأن هذه تصورات يبدو لي أن ليس فيها تأييد علمي

عبد الجليل السيد حسن

بحكم بريطانيا

وتعتبر بريطانيا أعرق الأمم الدستورية الحديثة ، ولكنى أحب أن أذكر أيضاً أن الأنظمة الدستورية قامت لأول مرة فى التاريخ فى بلاد اليونان وكان ذلك منذ آلاف السنين ، ومازالت الأنظمة الديمقراطية اليونانية تعتبر خير مثال للديمقراطية . وكذلك أحب أن ألفت النظر إلى أن النظام الحكومى الذى قام فى الإسلام منذ قيام الدولة الإسلامية فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين كان نظاما ديمقراطيا سليما ، فقد كان الخلفاء ينتخبون كما ينتخب رؤساء الجمهوريات فى عصرنا الحالى تقريبا ، وكانت سلطتهم مقيدة يقيدها القرآن الكريم وهو دستور المسلمين وخوف الخلفاء من المولى سبحانه وتعالى . استمع إلى قول عمر بن الخطاب وقد طلب إليه أن يرشح ابنه عبد الله ضمن المرشحين للخلافة بعده « يكفى بنى الخطاب أن يحاسب منهم عمر . » وإلى قوله « والله لو عثرت بغلة بأرض العراق لسئل عمر عنها يوم القيامة . لم لم يعبد لها الطريق ؟ » وهكذا كان الوازع الدينى أكبر مقيد لسلطة الخليفة. كانوا يستشيرون الصحابة فى مهام الأمور بل إن النبى صلوات الله عليه كان يفعل ذلك؛ وقد خاطبه المولى سبحانه وتعالى قائلا « وشاورهم فى الأمر »

ولعل مما يعطينا فكرة عن الديمقراطية الإسلامية أن نقرأ خطبة أبى بكر عقب انتخابه خليفة « أيها الناس إنى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن كنت على حق فأعينونى ، وإن كنت على باطل فقومونى . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم . »

وأحب أن أذكر أيضا أن المبادئ التى تقوم عليها الديمقراطية الحديثة وتفخر بها الحضارة القائمة قد جاء بها الإسلام الحنيف ، فقد قرر الإسلام الحرية والإخاء والمساواة بين الناس جميعا لا فرق فى ذلك بين عربى أو حبشى . « إن أكرمكم عند الله أتقاكم (١) » . لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى. (٢) « إنما المؤمنون إخوة » فهل يعترف علماء الغرب بهذه الحقائق الواضحة وهل يرد الفضل لأهله ؟

على أننا حين نعرض لتاريخ الديمقراطية الحديث لابد من أن نعترف بأن بريطانيا تعتبر أعرق الأمم الديمقراطية الحديثة ، فقد سعى الشعب البريطانى الى تقييد سلطة ملوكه وحكامه منذ بدء العصور الوسطى ، فقد كان الأشراف يحكمون الولايات والمقاطعات وكانت هناك مجالس نيابية بدائية فى القرى (٣) والمقاطعات (٤) وقد تطورت هذه المجالس ونشأ منها مجلس يمثل الشعب البريطانى ويعرف بمجلس العقلاء Witan (٥)

وقد حدث بعد هذا أن دخلت بريطانيا فى الديانة المسيحية الكاثوليكية وسرعان ما قام نضال بين الملوك والكنيسة حول الاستئثار بالسلطة مما اضطر الملوك إلى الاستعانة بالأشراف لمقاومة نفوذ الكنيسة وبدأ بذلك قيام العهد الإقطاعى فى إنجلترا

الفتح النورماندى

فى عام ١٠٦٦ غزا وليم الفاتح دوق نرمنديا فى فرنسا إنجلترا وهزم ملكها « هارولد » فى موقعة « هستنجس » وأصبح ملكا لانجلترا . وقد أراد وليم أن يقضى على سلطة الأشراف فجمع الفلاحين وحلفوا له يمين الولاء والطاعة ولكن الملوك الذين جاءوا بعده كانوا ضعافا . وكان الملك جون (يوحينا) ملكا ضعيفا ميالا إلى الظلم والغدر فقد أملاكه فى فرنسا فثار عليه الشعب وخاصة الأشراف ورجال الدين وأرغموه على أن يوقع « العهد الأعظم » ١٢١٥ The magne Carta وأهم الحقوق التى اكتسبها الشعب بمقتضى هذا العهد :

١ : لايجوز للملك أن يقبض على شخص أو أن يسجنه أو ينفيه أو يصادر أملاكه أو يحرمه من حقوقه إلا إذا حوكم أمام محكمة مؤلفة من نظرائه . وفى هذا تحديد لسلطة الملك وبدء قيام نظام المحلفين

٢ : لا يجوز للملك فرض ضرائب جديدة بدون موافقة البرلمان وفى هذا تحديد لسلطة الملك التشريعية

---

(١) ـ قرآن كريم
(٢) ـ حديث شريف

(٣) ـ Village moot
(٤) ـ Shire moot
(٥) ـ Witan معناها رجل عاقل A Wise man

٣ : ليس للملك أن يعبث بالعدالة فينكر حق فرد أو يؤخره

على أن نصوص العهد الأعظم لم تكن واضحة جلية ولذلك اختلف الملك والشعب فى تفسيرها وحاول كل منهم أن يفسرها لمصلحته ؛ وقد استطاع الشعب أن يتوسع فى هذا التفسير حتى أصبحت هذه الوثيقة تعتبر أساس حرية الشعب البريطانى

وجدير بى أن أذكر بهذه المناسبة أن الدستور البريطانى دستور غير مكتوب، وأنه عبارة عن حقوق اكتسبها الشعب ولا يمكن للملك أن يرجع فيها بتاتا . ومن الطريف أن أذكر أن ملك إنجلترا كان له حق رئاسة مجلس الوزراء ثم حدث أن تولى عرش إنجلترا أمير ألمانى لم يكن يعرف اللغة الإنجليزية فحضر بعض جلسات المجلس ، ولكنه لم يكن يفهم شيئا مما يدور فى المجلس ، وبذلك امتنع عن حضور جلسات المجلس ، ومنذ ذلك التاريخ فقد ملك إنجلترا حقه فى رئاسة جلسات مجلس الوزراء

وأعود إلى مواصلة البحث فأقول إنه منذ عام ١٢١٥ والشعب البريطانى دائب على كسب حقوقه ، وكلما حاول أحد الملوك الخروج على نصوص العهد الأعظم ثار الشعب فى وجهه . وقد أراد هنرى الثالث فرض ضرائب جديدة فثار الشعب. وفى ١٢٦٥ اضطر هذا الملك إلى دعوة برلمان يضم نوابا من الأشراف ورجال الدين وفارسين عن كل مقاطعة، وبذلك أصبح البرلمان ممثلا لجميع عناصر الأمة وقد وافق الملك على أنه لابد من دعوة البرلمان للاجتماع ثلاث مرات كل عام على الأقل

وفى عهد الملك إدوارد الأول انقسم البرلمان إلى مجلسين : مجلس عموم ومجلس لوردات . وفى عام ١٤٥٥ قام نزاع بين أسرة لنكستر وأسرة يورك وقامت الحروب المعروفة باسم حرب اللوردتين وانتهى الأمر بفوز أسرة تيودور (لنكستر) بعرش إنجلترا ١٤٨٥

عهد أسرة تيودور

امتاز عهد هذه الأسرة بتوقف النزاع بين الملوك والبرلمان ، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب؛ أهمها رغبة الشعب فى السلم بعد هذه الحروب الطويلة ، وانصرافه إلى طلب العلم والمال وتكوين مستعمرات فيما وراء البحار ، ولمعرفة ملوك التيودور للخلق البريطانى ولأنهم لم ينكروا حق البرلمان ، فكان البرلمان يعمل وفق رغباتهم وبذلك انقضى عهدهم فى سلام، وأهم تغيير حدث فى عهدهم هو فصل كنيسة إنجلترا عن البابوية فى روما

على أن أعضاء البرلمان فى نهاية عهد هذه الأسرة أخذوا يناقشون الملكة إليصابات ويجادلونها وقد اضطرت الملكة أن ترد على أحدهم قائلة : « إنكم لم تأتوا إلى هنا لتناقشوا ولكن لتوافقوا »

You have not come here to discuss but to agree

على أن هذه الملكة قد ماتت دون وارث ١٦٠٣ وانتقل عرش إنجلترا إلى جيمس السادس ملك اسكتلندا الذى تولى عرش بريطانيا باسم جيمس الأول . وبذلك تم اتحاد إنجلترا واسكتلندا تحت تاج واحد ، وبدأ عهد أسرة استورت الذى امتاز باحتدام النضال بين الملك والبرلمان

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بسنود الثانوية

مافسد الناس ولكن اطرد القياس

للأستاذ علي العماري

« إن واجب الإنصاف يضطرني أن أبرئ الحكومة القائمة من تهمة الخروج على العصبية الحزبية . . . لأنها لا تزال تعتقد أن من لم يكن لها فهو عليها ، وأن من لم يكن وفديا فليس مصريا »

(الزيات بك)

نظرت في أهل دهرنا ، وحال عصرنا ، فوجدت الموازين مختلة ، والمقاييس مضطربة : موازين الرجال والأعمال ، ومقاييس الأخلاق والفضائل . لا تكاد تجد رجلا في موضعه الطبيعي ؛ فكثيراً ما ترى إنسانا في مكانة رفيعة ، ومركز محسود ، فإذا أحببت أن تعرف كيف وصل ، زكت أنفك روائح كريهة من أخلاقه وسلوكه . وكثيرا ما تجد رجلا يشكو زمانه ، ويبكي حظه ، فإذا أحببت أن تعرف السر الذي قعد به ، والسبب الذي من أجله تخلف عن ركب أقرانه ، طالعتك صفحة رائعة من سلوكه وأخلاقه وعلمه وفضله

ولا شك أن قيمة الأدب هانت ، وهانت قيمة العلم ، ونزلت قيم كثير من الأشياء ، حتى الأخلاق لم تعد شيئا مذكورا في موازين كثير من الأفراد والجماعات والأمم ، وبقي شيء واحد له قيمته ، وله خطره ، وله قدره في وزن الرجال والأعمال ، ذلك هو (المنفعة) . المنفعة هي الوسيلة ، وهي الغاية وهي الدافع لكل ذي عمل إلى عمله ، ولكل ذي يد إلى أن يتخذ يده عند من يظن أنه سيردها إليه أضعافا مضاعفة . ولا أقصد - بطبيعة الحال - المنفعة العامة فتلك أسطورة من الأساطير وخرافة من الخرافات ، أشبه بالغول والعنقاء والخل الوفي ، وإنما أقصد المنفعة الشخصية ، تلك التي تطبع الأخلاق والأعمال والسلوك بطابعها ، فلا تكاد العين الفاحصة تخطئ من ذلك شيئا ، فلا بأس أن يبيع الأخ أخاه ، وأن يتنكر الصديق لصديقه ، وأن يطعن البريء ، ويكرم المسيء ، لا بأس بشيء من ذلك مادام قانون المنفعة هو القانون ، ولا بأس أن نجامل في الحق ، وأن ننتصر للباطل ، وأن نرفع الوضيع ، ونضع الرفيع .. لا بأس !

هذا كله ساد ويسود ، والنفوس خاضعة له مستسلمة ، فأينما وجهت نظرك لا تجد برا ولا فاجرا ، عالما ولا جاهلا ، كبيرا ولا صغيرا ، استطاع أن يجعل الأخلاق والكفاءة والإخلاص في العمل هي المقياس

كن أنحى من سيبويه ، وأفقه من الشافعي ، وأنفذ بصرا من ابن سينا ، وأنور بصيرة من الحسن البصري ، وكن بجانب ذلك صريحا في الحق ، لا تخشى في الله لومة لائم ، ولا تداهن ولا تتملق ثم ثق من أنك ستموت جوعا

وكن على ما شئت من خلق سيء ، وخذ حظك وافرا من الجهل ، وقسطك وافيا من الغباء ، ولكن صانع الرؤساء وتملق الكبراء ، وكن أداة طيعة في يد من يريد ، ثم ثق أنك ستحيا حياة طيبة ، وستنعم بموفور النعم ، ورغد العيش ، وسترأس أقرانك ، وتغلب نظراءك ، وتصل إلى أرفع المناصب .

رأيت كل هذا ، وسمعت بكثير مثله ، لا يخلو منه بلد من البلدان ، ولا يتورع عنه رئيس من الرؤساء . ثم رجعت إلى بطون التاريخ أتعرف أحوال تلك الأزمان ، وأبحث في سلوك الماضين ، وحظوظهم ، فرأيت عالم العربية الأكبر الخليل بن أحمد مخترع علم أوزان الشعر ، وواضع أصول فن الموسيقى ، ومبتكر أول طريقة لوضع المعاجم العربية ، وصاحب الفضل الأكبر على النحو العربي ، رأيته يسكن في خص ، ويعيش على كسر الخبز اليابسة الجافة ، لأنه لم يتصل بأمير أو وزير ، ثم رأيت الناس يأكلون بعلمه لباب البر بجنى النحل !

وخطوت إلى الأمام خطوة فإذا أديب العربية الأكبر أبو عثمان الجاحظ يشكو مما نشكو منه ، ويكتب رسالة لأحد أصدقائه ، يتمنى فيها على دهره ، ويألم لقلة من يثق به من الناس لاستحالة الزمان ، وفساد الأيام ، ويبكي على الماضي حين كان الصدق والحياء ، وإيثار الحق مطية السلامة . وسبب النعمة ، ولكن الحال تتحول ، والدولة تتبدل ، فيصبح (الحياء متصلا بالحرمان ، والصدق آفة على المال ، وتصير الحظوة البالغة ، والنعمة السابغة ، في المثالب الفاحشة ، والكذب المبرح ، والجهالة

المفرطة ، واليقين الضعيف) وكل من كانت هذه صفاته يستكمل سروره ، وتعتدل أموره ، ويفوز بالسهم الأغلب ، والحظ الأوفر والقدر الرفيع ، والأمر النافذ ، ثم يقول : « ثم نظرنا في الوفاء والأمانة ، والنبل والبلاغة ، وحسن المذهب ، وكمال المروءة ، وسعة الصدر ، وقلة الغضب ، وكرم النفس ، والفائق في سعة علمه ، والغالب لهواه ، فوجدنا (فلان بن فلان) ثم وجدنا الزمان لم ينصفه من حقه ، ووجدنا فضائله القاعة له قاعدة به ، فهذا دليل أن الفضل قد مضى زمانه ، وعفت آثاره ، ووجدنا العقل يشقى به قرينه ، كما أن الجهل يحظى به خدينه »

فإذا رجعنا إلى الشعر وجدنا عبيد الله بن عبدالله بن طاهر يقول

يا محنة الدهر كفى إن لم تكفى فخفى
ما آن أن ترحمينا من طول هذا التشفى
فلا علومى تجدى ولا صناعة كفى
ثور ينال الثريا وعالم متخفى

ونمضى خطوات في الزمن فنجد الطغرائي يقول

وأعظم ما بي أنني بفضائلي جرمت ومالي غيرهن ذرائع

وخطوة أخرى فإذا القاضي الفاضل يقول

ما ضر جهل الجاهلين ولا انتفعت

وثالثة فإذا ابن دانيال يقول

كل من كان فاضلا كان مثلى فاضلا عند قسمة الأرزاق

فإذا جئنا إلى العصر الحديث وجدنا بعض شعراء الشباب يقول

عبث هذه الحياة وفوضى ما نراه في هذه الأكوان
ولو ان الحياة تنظم شعرا جعلت شعرها بلا أوزان
ولو أن الحياة ترسل نثرا جعلت نثرها بغير [illegible]ان

بعد هذه الرحلة الطويلة ذكرت رسالة بديع الزمان الهمذاني التي يقول فيها : (الشيخ الإمام يقول : فسد الزمان ، أفلا يقول متى كان صالحا ؟ أفي الدولة العباسية وقد رأينا آخرها وسمعنا بأولها ، أم في المدة المروانية وفي أخبارها : لا تكسع الشول بأغبارها ، إنك لا تدرى لمن الناتج ، أم السنين الحربية

والسيف يغمد في الطلى والرمح يركز في الكلى
ومبيت حجر بالفلا والحرتان وكربلا

أم الأيام المدوية ، فتقول . هل بعد النزول إلا النزول ؟ أم الأيام التيمية وتقول : طوبى لمن مات في نأنأة الإسلام ، أم على عهد الرسالة ، وقيل اسكتي يارحالة : فقد ذهبت الأمانة ، أم في الجاهلية ولبيد يقول:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول :

بلاد بها كنا وكنا نحبها إذ الأهل أهل والبلاد بلاد

أم قبل ذلك وقد قال آدم عليه السلام

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

أم قبل ذلك والملائكة تقول (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ؟

هذه هي الحياة

ولكن أليس في الناس من ينظر إلى الأمام البعيد ، أليس فيهم من يثق بنفسه وإيمانه ، ويؤمن أن كل ما في أيدى الناس من مال وجاه إنما هو باطل وزور ، وأنه مهما عظم لا يعدل حبة خردل تنتقص من كرامته ؟

أليس في الناس من إذا أقدم على عمل تلمس فيه حكم الضمير والخلق ، وعرضه على ميزان الفضيلة والحق ؟

أليس في الناس من يقنع بالقليل ، ويرضى بالكفاف ، ويحتفظ بما لنفسه من كرامة ، ويضن بها أن تكون مستعبدة للمنافع ، خاضعة لذل العيش ؟

بلى ؟ إن في الناس من هؤلاء أعزة ، ولكنهم - غالبا - يعيشون على هامش الحياة ، فلا يلبث أحدهم أن ينطق كلمة الحق حتى تمسك الزبانية بتلابيبه ، وتهدد المكايد مركزه ، ويعيش في هم ونكد - على ما يرى الناس - ولكنه يعيش من رضا ضميره ، وصفاء نفسه ، وسمو قلبه ، في جنة وارفة الظلال ، وسعادة لا تعد لها سعادة

علي العماري

(١) معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٠٠ ط . دار المأمون . هذا ومعروف عند الأدباء أن الشعر المنسوب لعاد وآدم لا أصل له

حول مستقبل الأزهر

للأستاذ كامل السيد شاهين

المسئولون فى الأزهر قلما يمدون أبصارهم لترى مستقبله القريب أو البعيد، فلهم الساعة التى هم فيها، فإذا ما عبرت، استقبلوا ما يليها لا ممتدين ولا عابئين، ولكن ممدودى الأيدى مرغمى الصدور. وكأنهم مسئولون — حسب — عن الميزانية زادت أم نقصت، وعن العلاوات أطلقت أم حبست، وعن الترقيات أصيب بها موضعها أم جرت مع أهواء العصبية والحزبية والقرابة. فهذا من حسابهم، يدركونه مرة، ويكبون دونه مرات؛ ويرعون فيه الذمة والأمانة تارة، وينساقون وراء الآراب والشهوات تارات. فيحقرون الذمم ويتخونون الأمانة، ولكنهم يرون هذه الشؤون — على أى حال — مما يدخل فى حسابهم. فأما مستقبل الأزهر فما عليهم من حسابه من شىء!

أقول هذا بمناسبة ما تناوله مجلس التعليم الأعلى الذى مثلت فيه الطوائف ما عدا الأزهر الشريف، وبحث فيه أمر مراحل التعليم، وتوحيد مرحلته الأولى ثم تشعيبها أفنانا وطرائق، والأزهر يغط فى نومته لا يدرى أينبت الطريق إليه أم يتصل، أيعوج أم يستقيم. وليس هذا من عيب الوزارة التى أغفلته، ولكن عيب هؤلاء المسئولين فيه الذين استرسلوا فى غفلتهم فلم تنبهم الجرائد، ولم توقظهم الإذاعات، ولم يفتح أذهانهم هذا اللغط اللاغط الذى يتناثر من أفواه المتكلمين فى الطرق والمقاهى والمجالس العامة أو الخاصة

من المسئول عن هذه الغفلة من رجال الأزهر. شيخه؟ وماذا يمنع أن نقول نعم جريئة قوية. وما نحسب أن المرض الذى غشيه مانع من التفكير والتدبير. أم وكيله؟ وماذا يمنع أن نقول نعم جريئة قوية. وما نحسب أن شؤون الأزهر التى جمعها فى حجره يصرفها فى تؤدة وعناء وولاء، ويقوم عليها فى الإصباح والإمساء مانعته من التفكير فى مستقبله، وتأمين الطريق إليه، فإن كان كذلك فقد استهلك وكيل الأزهر وقته فى الجزئيات التى كان يستطيع أن يملأ بها الأيدى الفارغة التى أصابها أكال من قلة العمل. فهذا مدير الأزهر، وهذا سكرتيره العام، لا يكادان يجدان عملا، وهما من قبل ومن بعد يقضيان صدر نهارهما فى الإدارة العامة، مجالسة ومؤانسة وترحيبا

وكيل الأزهر، يضع عائشة على أم الخير، وقد كان فى أم الخير له شاغل أى شاغل، ولكنه يقاوم ويتقاوى ويعمل على رهق.. ومثل هذا جدير بأن يزل وأن يكثر منه هذا الزلل. وميزان العمل جدير بأن يختل، وأن يطول به هذا الاختلال.. وحقيق بوكيل الأزهر ما دام يدير دولاب العمل وحده أن ينصرف عن النظر فى مستقبل الأزهر، إلى النظر فى التوافه والسفاسف التى تملأ الوقت ولا تؤتى الثمر

نظر مجلس التعليم فى أمر المرحلة الأولى فجعلها نوعا واحدا قائما على دراسة ست سنوات سماها التعليم الابتدائى، منها ثنتان لرياض الأطفال. وأباح — بقرار من الوزير — إنشاء فرق لتحفيظ القرآن الكريم تمهيدا لمن شاء أن يتم دراسته فى المعاهد الدينية، ثم قسم التعليم الثانوى إلى علمى وتجارى وزراعى وصناعى، وجعلها كلها أمدادا للكليات فى الجامعات

فما موقف الأزهر من هذا التنظيم؟ أيبقى على القسم الابتدائى فيه، وكيف ينسق هذا القسم مع الابتدائى العام، أيكون بعده، فيقضى التلميذ ست سنوات فى الابتدائى العام ثم يتقدم للقسم الابتدائى فى الأزهر؟. إننا إذا اتبعنا هذا فسوف نجد ابتدائى الأزهر خاويا لا ينظر إليه أحد، لأن أحدا لا يضيع على نفسه ست سنوات كاملات لا لشئ إلا ليدرس فى الأزهر. وما الدراسة فى الأزهر بممتازة شيئا، ولا بمعادلة فى نظر الكثرة من الأمة للدراسة فى المدارس أيا كان شكلها. إذا فنحن مضطرون إلى إلغاء هذا القسم، ولكن كيف ينظم هذا الإلغاء، وإلى أين يذهب هؤلاء المدرسون؟ هذا يحتاج — من غير شك — إلى مباحثة وزارة المعارف والاتفاق معها على هذه التصفية، ولندع الآن أمر هذه التصفية وطرقها، ونستقيم فى طريقنا الذى نعرض فيه موقف الأزهر من التعليم العام

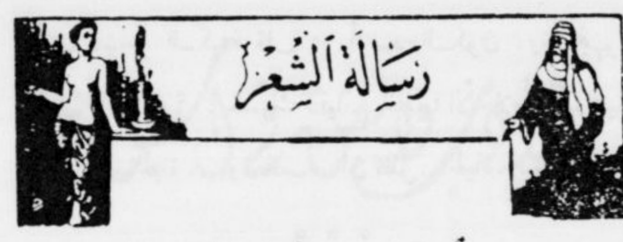
إذا ألغى القسم الابتدائى من الأزهر بقى القسم الثانوى نهرا لا يرفده رافد . فالتلميذ الحاصل على الشهادة الابتدائية لا يستطيع أن يشق طريقه فى القسم الثانوى بالأزهر . ثم هو راغب عن هذا الطريق لأن أمامه طرقا كثيرة أيسر يسرا ، وأوضح قصدا ، وأربح غاية . والنظر اليوم للحياة نظرة تسليح للضراب والغلاب ، ولا شك أن كليات الجامعة فى هذه الناحية تسلح الطالب للحياة أكثر مما تسلحه كليات الأزهر ، وقد كان كيان الأزهر قائما على شيئين : القداسة والفقر . فأما القداسة فقد فقدها الأزهر فى مصر على الأقل ، وما ينبغى أن يقوم معهد كالأزهر على شئ وهمى ، وأن يستمد وجوده منه . وأما الفقر فقد كان عاملا مهما فى انصراف الناس عن المدارس إلى الأزهر . فقد كان للمدرسة منذ عشر سنوات مضت مظاهرها ومصاريفها للكتب وللتعليم وللحفلات . أما اليوم فالكتب بالمجان والتعليم بالمجان ووجبة الغداء بالمجان ، فأى مدعاة بعد انقضاض هاتين الدعامتين تدعو امرأ إلى أن يدفع بابنه إلى التعليم الأزهرى ؟ لقد رأينا الأساتذة من مدرسى الأزهر حينما يوسرون بعض اليسار يعرضون عن الأزهر إعراضا ، ويسلكون أبناءهم فى التعليم المدنى إيثارا له ، وإدرا كا منهم أن الدولة تنظر إلى التعليم فى الجامعة نظرة أعلى من نظرتها للتعليم فى الأزهر . وأن الحياة تطلب النوع الأول ألحف من طلبها للنوع الآخر . . فإذا أنحينا على القسم الثانوى بالإلغاء كذلك بقى الدور الثالث من التعليم الأزهرى بلا سلم ، وهو بعد بعيد كل البعد عن كل نوع من أنواع الإغراء . فالدراسة فيه ليست سهلة ممهدة . ونتيجتها ليست زاهرة باهرة محببة

إذن فكل ظواهر المنطق تؤذن بأن الأزهر مقضى عليه لا محالة . ومخدوع من مخدوعين ذلك الذى يزعم أن النزعة الدينية فى الأمة يمكن الاعتماد عليها فى الإبقاء على الأزهر وحفظ كيانه فإن التيار العام أقوى وأعتى من أن يتصدى له أفراد شذاذ من سوقة الأمة ورعاعها . ومخدوع كذلك من يعتمد على وزارة المعارف فى توجيه طائفة من أبناء الأمة للتعليم فى الأزهر ، فوزارة المعارف لا تملك هذا التوجيه ، ولو ملكته لوجب ألا تلجأ إليه ، فما لم يكن للأزهر فى نفسه من المحببات فيه ما يقيمه ويدفع قلوب الناس إليه راغبين ، فعليه العفاء . ونحن لا نملك أن نوجه لوما إلى وزارة المعارف فيما يسرت من أمور التعليم واحترمت من رغبات المتعلمين ، وإن عاد ذلك على الأزهر بالضمور والاضمحلال ؛ فإن حجتها فى ذلك أبهر وأظهر من أن يدل عليها . وكيف نطالب الحماية للأزهر من التعليم العام إلا إذا كان الأزهر نفسه لم يستطع أن يثبت صلاحيته ويقوم على قدميه ، فإذا كان هذا حاله فلتذهب به الرياح ليبقى الأصلح والأنجع ، وخلا المعارف ذم

ولكن ينبغى أن نضع فى حسابنا أمرين قبل أن نحكم على الأزهر بالإعدام . أول الأمرين أن نتساءل هل الدراسة التى يقوم بها الأزهر يمكن لكليات الجامعة أن تقوم بها ؟ الجواب . لا . ثم نتساءل : هل هذه الدراسة مفيدة فى ذاتها ، مطلوبة لصيانة الأمة الإسلامية. ولو فكرنا من ناحية حفظ تراث إن لم نحتجه اليوم فربما احتجناه غدا ، وإن غطى الزمن على بهارة نوره فترة ، فربما كشف عنها فى مقبل منه قريب أو بعيد ؟ الجواب نعم : وما دام الأمر كذلك فيجب أن يبقى الأزهر . ويجب أن يفهم المسئولون عن التعليم أنه لا بد من بقائه لأداء رسالة حاضرة أو مقبلة ، ولحفظ تراث مجيد من اللغة والفقه ، ولو أنه حفظ يقوم على الترديد أكثر مما يقوم على التجديد حتى يتاح له من يخطو به يوما

وثانى الأمرين : هذه الأشاحة المرضة عن الدراسات الأزهرية هل تنبنى دائما على حسن التقدير أو يداخلها قليل أو كثير من الوراثة لأفكار جاهلة تتبع أكثر مما تتأمل ، وتنخدع أكثر مما تصيب ، ويغرها الزخرف أكثر مما تبهرها الحقيقة. فالحق أن كثيرا ممن يعرضون عن الدراسات الأزهرية ، قد استقر فى أذهانهم أن الأزهر إنما يدرس فيه أبناء الفقراء ، وأن الالتحاق به عبادة أكثر مما هو دراسة ، وأن أبناءه لا تنظر إليهم الحكومات بعين الاعتبار والتقدير ، وإنما تجاملهم مجاملة ، او تطاولهم مطاولة ، أملا فى أن تصل على ظهورهم لغاية، أو تكف بسكوتهم شرا وتتقى قلاقل

وإذن فما عند الناس من أفكار سيئة عن الدراسات الأزهرية لا يمثل الحقيقة ، والدراسات الأزهرية جديرة بالإقبال عليها



أغنية الحرمان

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

إلى صديقى الأستاذ حسين وفيق الجادر

* * *

ياشباباً فى دمائى يتدفق وشهاباً شع فى أفق حياتى
عمرى الأول ولى فترفق بالذى أبقيت لى من سنوات

* * *

سنوات قد تولين سدى مثلما يفنى على الأرض الشعاع
لم أجـد فى ظلها إلا العنا والأسى القاتل والدمع المضاع

* * *

أنا ذوبت شبابى فى هواك وأبحت السهد جفنى ودمى
أترانى لم أنل بعد رضاك ولقد بح من الشكوى فمى

* * *

إن تكن تسخر من دمعى وحبى فلقد صغتك من نسج خيالى
دمية أبصر فيها طيف ربى وأرى فى ظلها سر الجمـال

* * *

أنا كونتك لـكن لا لقتلى ولإلقائى بأحضان الظما
تائهاً أقطع بالآهات ليلى وجراحى تتنزى ألمـا

* * *

مرت والأشواق تستقبل دربى علنى ألقاك فى الوادى القريب
فلماذا عندما أصبحت قربى ملت عنى كعدو أو غريب

* * *

أ كذا سرعان ما تهجرنى مثقل الخطو بأغلال الزمن

لذاتها . والحـكومة والأمة الإسلامية جـديرة أن تحميها وأن تحتفظ بها . ولـكن كيف السبيل اليوم ، وليس لأحد أن يرغم أحداً على اتجاه بعينه فى الدراسات ؟

قلنا إن الأزهر قام على عنصرين : على القداسة ، وعلى الفقر . ونحن لا نحب أن نبقى على العصا الأولى لأنها عصا وهمية سخيفة، ولو أدخلناها فى الأساس اليوم ، فأجدر أن ينهار البناء كله

وأما العصا الأخرى فما زالت باقية برغم مجانية التعليم ووجبة الغداء . ذلك بأن أقواماً ـ وكثير ماهم ـ فى ضر من العيلة . فإن وجدوا مجانية التعليم ووجبة الظهيرة ، فمن لهم بوجبة الصباح ووجبة المساء؟ ومن لهم بمصروف اليد والـكساء ؟ إذن فليحتضن الأزهر الفقراء من هذا الصنف ، وليبق بأقسامه الثلاثة قائماً ، وليقلل من هذه المعاهد المنبثة فى أنحاء القطر ، فليست الدولة بحاجة إلى كثيرين من المتوسمين فى دراسات الأزهر . وأخـيراً فليكن الأزهر جامعة داخلية تضمن الطعام والـكساء والتربية والتعليم على ألا يزيد داخلوه كل عام على مائة . وليضمن لطلابه ومتخرجيه من الميزات ما تضمن الحـكومة لمتخرجى الجامعات الأخرى

وليستصف هذا الوفر الوفير من الأساتذة والـكتاب عاماً فى إثر عام ، وليبق فيه خلاصة مخلصة من الأفذاذ علماً وخلقاً ، وليرب هؤلاء الجدد من الطلاب تربية حرة لا تخضع لمبدأ من مبادئ السياسة ، ولا تنقاد لغرض من أغراض الحـكام . فإذا تخرج فى كل عام من هؤلاء عشرة فلنرين فيهم ما نرجو للأزهر من مكانة علمية وخلقية ، وليقوم من الأزهر بعد على قدميه ، وليثبتن أنه أهل للحياة !

وقد يظن متظننون أن هذا خيال خائل ، ولـكن سوف يشهدون بأعينهم هذا الإعراض الشنيع عن الأزهر ، وعن دار العلوم حين ينقطع سببها من الأزهر ، وسيجدون أنفسهم قد أخلدوا إلى الآمال أكثر مما يصح الإخلاد ، وأن ما يواجههم من الشر أكبر من أن يدفع بالتصايح والبكاء !

كامل السيد شاهين

فكأن لم تك قد حملتني عبء أيام ثقيلات الحن

* * *

سوف تلقاني وألقاك أنا وعلى كفي جراحي ودمى

فإذا رف الهوى ما بيننا أترى بدنيك منى سقمى

* * *

أم ترى أظمأ والنبع غزير وحوالى ظلال وجنى

شاه وجه الحسن إن كان المصير ما ألاقيه وياويح المنى

* * *

بغداد عبد القادر رشيد الناصري

في لجة الصمت ..

للأستاذ محمود فتحي المحروق

أيهذا الغريق .ياشاعر الصمت.. كفاك التحديق خلف الضفاف

قد مضى الزورق الحزين .. ومازلت تغنى للموج سر الطواف

هى ذى ياشق هوج الأعاصير تدوى .. وأنت نهب السوافى

سوف تطويك عاصفات من الصمت . فتغدو ممزق الأعطاف

وستمحو الأمواج بيض أمانيك ... وتنمى جنازة الأطياف

* * *

أيهذا الغريق .. رفقا بدنياك .. تخلف الضفاف صمت عميق

قد تضللت ! ... مانصباك ياشاعر ؟.. عد .. فالحياة بحر سحيق

كلما رمت للحياة وصولا .. سخرت منك موجة وبروق

فيم تقضى الشباب فى غيهب الصمت؟وتطوى المنى. وأنت غريق

وعداً ؟.. لن ترى سوى صرخات .. يتغنى بها الظلام المحيق

* * *

أيها الشاعر الذى يتغنى .. تهت فى الكائنات عرضاً وطولا

إرجع الآن .لن ترى ثم شيئاً..أنت فى الأرض ترتجى المستحيلا

أنت ياشاعر السكينة قلب .. أوصد الكون دونه المجهولا

لم هذا الوجوم ؟ . حسبك دنيا .. خلقتها الأحلام عرساً جميلا

لفظ هذه الحياة ... وسخف أن تظل..الحياة. تبغى الوصولا

* * *

أيها الصمت يا إله المآسى .. أيها الخالد الذى ليس يفنى

أنا ياصمت ـ لو علمت ـ فؤادا .. سادرا فى اللجاج ضيع لحنا

آه .. ياصمت .. قد عييت فمد بى .. نحو دنياى خافقا مطمئنا

موجك الساحر المروع أغرانى .. فما شمت فى ضفافك أمنا

أبداً .. سوف يستبينى سراب.. منك يا صمت.. كاذب.. يتجنى

* * *

أيها الصمت .. أيها العالم الزاخر .. رفقا بجسمى المكدود

أنا ياصمت خافق .. رائع اللحن .. دجى الأسرار .. جم الشرود

سحرتنى إلهة الشعر . فى هيكلك الحالم .. الرهيب .. البعيد

عبثاً . أستبين زورق أحلامى . وقد طوق الضباب وجودى

عبثاً .. لن يعود غير حطام .. يتهادى تحت الظلام المديد

* * *

رحمة منك .. قد سئمت حياتى .. وسئمت الشرود خلف البحور

ها أنا الآن .. بين فكيك ياصمت .. فرفقاً . بخافق المسحور

ها أنا الآن..بين موجك طيف..راعب الظل.. كالشذا المأسور

ليتنى كنت صرخة فى فم الدهر تلاشت..أو كنت بعض سطور

ليتنى مت قبل أن أدفن الأحلام فى بحرك العميق ... الغزير

* * *

آه.. ياصمت..لا تكن مثل دنياى خؤونا.. فخلنى واكتئابى

لا ترعنى..فقد كرهت حياتى. واجتويت السكوت فوق التراب

ليس لى فى الحياة أى آمال .. فواخيبة المنى والرغاب !

منذ أن تاه زورق بين أمواجك.. ياصمت .. ضاع منى شبابى

أسفا .. خابت الظنون وماتت .. أمنياتى فى خاطرى المرتاب

(الموصل ـ العراق) محمود فتحى المحروق

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ويل للأدب إذا احتاج إنتاجه الرفيع إلى التشجيع ، واذكر كبار الأدباء في الشرق والغرب فإنهم قد منحوا الإنسانية هذا التراث الرفيع الضخم دون أن يشجعوا إلا نادرا ، وتستطيع أن تقول إنهم اشتقوه من آلام نفوسهم وقلوبهم ومن استمتاعهم بلذة البؤس والحرمان ، وإنها للذة حلوة لشدة قسوتها !

طه حسين

ساعة مع العميد :

لم يخدعني الحرس الواقف بباب معالي الدكتور طه حسين باشا عما كان يدور بخلدي وأنا في الطريق إليه . كنت ناشطا إلى لقاء معاليه في الموعد المضروب، وأنا أعرف عن نفسي — فيما أعرف عنها — التثاقل بل العزوف عن مقابلة الوزراء وأمثالهم من الكبراء ، ولكني كنت موقنا أني ذاهب إلى رجل ليس من هؤلاء ، أو هو منهم شكلا ورسما، ولكن فيه ما أقصد غير ذلك ، فيه الأديب الأستاذ الذي طالما ألتقي إلى وطالما وعيت عنه ، وطالما تحدث إلي وتحدثت إليه وإن لم ألقه قبل ذلك إلا لقاء عابرا ، طالما أصغيت إليه في السطور وعشت معه فيما بين السطور ، وطالما أنس به خيالي وأنا أسوق إليه الحديث في بعض ما أكتب

كان ذلك ما يدور بخلدي حين أقبلت على دار العميد أستأذن في الدخول . وأذن لي ، واستقبلني معاليه في غرفة المكتبة ، وقد لقيت منه الأنس أول ما لقيت ، وشاء أدبه أن يعتذر لوقوفي دقائق بالباب . وأخذت مجلسي بجواره ، وأنا أشعر — على انقباض في — بأن التعارف بيننا قديم العهد . وأخذنا في الحديث ، ننتقل من خاص إلى عام ، ومن عام إلى خاص ، وكان يجيبني عما وجهت إليه من أسئلة في شؤون الأدب والفن بطلاقته المعروفة، ويمزج ذلك بمرح ودعابة في بعض المواطن ، ويعدل عن الحديث العام حينا فيسبغ على أنسه وإنطاقه . . . فكان يفكر ويعبر ويلطف ويؤنس في آن . قضيت معه ساعة ما أعظمها ! وما أقصرها ! وخرجت من لدنه ، وقد قبست لقراء الرسالة أقباسا من أدب العميد ، وتزودت لنفسي بما لن تنساه نفسي

حديث لمعالي الدكتور طه حسين باشا

كدت أنسى :

كان أول سؤال وجهته إلى معالي الدكتور طه حسين باشا ، ما يلي :

أنت وزير المعارف ، وأنت — قبل هذا ومع هذا وبعد هذا — عميد الأدب والأدباء . وقد رأت البلاد أعمالكم المجيدة في نشر التعليم ، والأمل أن يظفر الأدب والثقافة العامة من الدولة على يديكم بمثل ذلك ، فماذا أعددتم في هذا السبيل ؟

قال معاليه : الواقع أن تيسير التعليم ونشره وما فيهما من مصاعب يجب قهرها ومن عقبات يجب تذليلها — كل ذلك قد استغرق وقتي وجهدي وتفكيري ، حتى نسيت أو كدت أنسى أن بيني وبين الأدب صلة ، ونسيت أو كدت أنسى أن للأدب على حقوقا يجب أن تؤدى . ولا أرى إلا أن سؤالك هذا سيضطرني إلى أن أحاسب نفسي وإلى أن أجمل الحساب عسيرا . وأنا الآن والآن فقط أسأل نفسي ماذا يجب علي أن أفعل للأدب والأدباء ، وأحسبني أؤدي لهم خدمة خطيرة ما دمت أنشر التعليم فأعد للأدب والأدباء قراء قد يكون لهم أثر في نشر الأدب أولا ، وفي توجيهه ثانيا ، وفي إشعار الأدباء بأنهم لا يكتبون لأنفسهم وحدها ولا يكتبون لنظرائهم من الأدباء والمتأدبين فحسب ، وإنما يكتبون لشعب يقرأ قراءة مباشرة ، وأظن أن هذا ليس قليلا . ودعني الآن أسألك أنت : ماذا تحب أن أصنع للأدب والأدباء أثناء نهوضي بأعباء الوزارة ؟

مظاهر النشاط الأدبي :

قلت : يمكن القول — على وجه الإجمال — بأن النشاط

الأدبي الذي تتطلبه البلاد يتمثل في ثلاثة أمور: (١) خدمة التراث بإحيائه وتنميته (٢) والأخذ من الآداب الأجنبية (٣) ثم الإضافة الذاتية . فالأمران الأولان يحتاجان إلى الإدارات الحكومية القادرة على العمل المنتج . ويتطلب الأمر الثالث ، وهو الإضافة الذاتية ، تشجيع الأدباء وإثابة جهودهم إثابة لا يحققها لهم الجمهور الحالي

إحياء التراث :

قال معاليه : أما إحياء التراث القديم فإن جهودا كثيرة تبذل فيه ، فإدارة الثقافة العامة مستعدة لنشر الآثار الأدبية القديمة، وتشجيع الذين يعدونها للنشر ويقومون عليه تشجيعا حسنا . ولست أشكو من تقصير وزارة المعارف ، وإنما أشكو من تقصير المحققين الذين لا أكاد أحس منهم جهدا ، وربما انتهى بي الأمر إلى أن أختار أنا طائفة من الكتب القديمة وأكلف بعض الباحثين بدرسها وتحقيقها ، وأدعو بالقياس إلى بعضها الآخر أدباءنا إلى أن يستبقوا في درسها وتحقيقها ، ولكن كنت أتمنى ألا يحتاج الأدباء إلى هذا التوجيه الإداري . وفي دار الكتب لجنة لإحياء الأدب العربي القديم رأسها الأستاذ أحمد أمين بك وأنا بعض أعضائها ، ولكنها لم تكد تبدأ عملها بعد ، وأرجو أن تكون جهودنا منتجة فيضاف عملها إلى عمل الثقافة العامة وإلى عمل المكتبات الخاصة . وما أظنك تطلب أكثر من هذا

الترجمة :

ثم قال معاليه : وأما النقل عن الآداب الأجنبية فقد ترجم في الأعوام الأخيرة عدد صالح من الكتب ، نشر بعضه وبعضه ينتظر النشر ؛ وإدارة الثقافة هي المشرفة على ذلك ، وربما كان اختيار هذه الكتب موضع شيء من الجدل ، ولكنها حركة على أي حال . وقد قررت في هذا العام نقل آثار شكسبير كلها إلى اللغة العربية ، ونقل آثار راسين إليها كذلك . ولولا الصعوبات التي تثار دائما في وزارة المالية لأخذنا في تنفيذ هذين العملين الخطيرين ، ولكني واثق من أن هذه الصعوبات ستنتهي ، ولن تصدر الميزانية الجديدة إلا وفيها الاعتماد الذي نحتاج إليه . وعسى أن يتصل هذا الجهد فتنقل إلى اللغة العربية آثار

كشكول الأسبوع

▫ أبحر معالي الدكتور طه حسين باشا ظهر يوم السبت الماضي من الاسكندرية إلى باريس، لحضور مؤتمر اليونسكو رئيسا لوفد مصر . وهذه هي المرة الثانية التي يرأس فيها معاليه الوفد المصري في مؤتمر اليونسكو ، وكانت المرة الأولى في العام الماضي ، وقد كان لخطبته في المؤتمر السابق صدى كبير في أنحاء العالم وأبدى كثير من أعضاء المؤتمر إعجابهم بها

▫ مما قاله لي الدكتور طه حسين باشا أكثر من صراحتك ونقدك وخاصة فيما يتعلق بوزارة المعارف ووزير المعارف

▫ زار المليونير المعروف محمد محمود خليل بك رئيس جمعية محبي الفنون الجميلة ــ معرض خريجي الفنون ، وبعد أن أبدى إعجابه ببعض اللوحات المعروضة ، سأله بعضهم أن يشتري شيئا منها ، فرفض قائلا إنه لا يشتري لفنان مصري ! أي أنه من محبي الفنون الجميلة الأجنبية فقط ..

▫ أصدرت دار الكتاب العربي كتاب « العقل المؤمن أو الدين من طريق الفكر » للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف وهو من سلسلة بحوثه التي يطلق عليها : « نحو أساس روحي للحضارة المادية » والكاتب الأديب يمزج في هذه الأبحاث الفكر والدين بخواطر الأديب ، ويقدمها للقارئ في أسلوب حي ونسق جميل ..

▫ سألني بعض الكاتبين إلي من قراء الرسالة ، عن انقطاع الأستاذ أنور المعداوي عن الكتابة في الرسالة . والجواب أن الزميل الصديق يشتغل بإعداد كتاب له للطبع ويستنفد ذلك جهده في الوقت الحاضر

▫ يؤخذ من البيانات التي تجمعها إدارة التسجيل الثقافي بوزارة المعارف عن التأليف في مصر سنة ١٩٥٠ أن عدد المؤلفات في الأدب ١٠١ مقابل ١١٩ في سنة ١٩٤٩ ، وتوزع هذه المؤلفات الأدبية لسنة ١٩٥٠ كما يلي : ٤٦ كتابا في الدراسات والنقد ، و ١٨ ديوانا ، و ٣٧ في القصص

▫ رددت الصحف أنباء عن راقصات مصريات سافرن إلى الخارج وأسأن إلى سمعة البلاد بتصرفات غير لائقة ، والعجيب أن تسميهن الصحف « فنانات » وهن راقصات من النوع الذي تسيء إلى الفن نسبتهن إليه

كبار الكتاب والشعراء فى الغرب شيئا فشيئا

تشجيع الأدباء :

وقال : أما الإضافة الذاتية فلست واثقا بأنها تحتاج إلى التشجيع وحده ، وأخشى أن تكون فى حاجة إلى شئ آخر غير التشجيع ، هو خصب القرائح وإيثار الأناة والتجويد على العجلة وابتغاء الكسب ، وفى كل عام تعطى جائزة فؤاد الأول للآداب ، وتعطى جوائز المجمع اللغوى ، ولعلك توافقنى على أن الذين ظفروا بهذه الجوائز لم يعملوا لها ولم يسموا إليها ، وإنما اضطرهم الأدب إلى أن يكتبوا فكتبوا ، وعرفت لهم الدولة قدرهم فأجازتهم .

وويل للأدب إذا احتاج إنتاجه الرفيع إلى التشجيع ، واذكر كبار الأدباء فى الشرق والغرب ، فإنهم قد منحوا الإنسانية هذا التراث الرفيع الضخم دون أن يشجعوا إلا نادرا ، وتستطيع أن تقول إنهم اشتقوه من آلام نفوسهم وقلوبهم ومن استمتاعهم بلذة البؤس والحرمان ، وإنها للذة حلوة لشدة قسوتها !

جماعة الأدباء :

ثم قلت لمعاليه : كنتم تدعون الأدباء إلى تكوين جماعة تمثلهم وترعى حقوقهم ، ولعل مكانكم الآن فى الوزارة مما يعين على إنشاء هذه الجماعة ورعاية الدولة إياها ، فما رأيكم فى ذلك ؟

قال : لو أنشأ الأدباء جماعتهم هذه إنشاء جد لا عبث فيه لكنت أول من يسعى إلى الاشتراك فيها ولكنت سفيرها فى مجلس الوزراء وفى البرلمان ، ولكن جماعات الأدباء لا تنشأ بالمراسيم ولا بالقرارات الوزارية ، وإنما تنشأ أولا ثم تعترف بها الدولة بعد ذلك . ومع ذلك فبين يدى مشروع قانون أرجو أن أقدمه إلى البرلمان فى أول دورته المقبلة إن شاء الله ، وهو ينشئ معهد فاروق الأول للعلوم والفنون والآداب ، وسيكون هذا المعهد مؤلفا من شعب خمس : شعبة الطب . وشعبة العلوم ، وشعبة العلوم السياسية والاقتصادية ، وشعبة الأدب والحديث ، وشعبة الفنون الجميلة . وليس هذا المشروع جديدا ، وإنما حاولت استصداره مع السنهورى باشا حين كان وكيلا لوزارة المعارف وكنت أنا مراقبا للثقافة العامة ، وحاولت استصداره حين كان نجيب الهلالى باشا وزيرا للمعارف ، ولم أوفق ، وأرجو أن يكتب لى التوفيق فى هذه المحاولة الثالثة . ولن يغنى هذا المعهد عن إنشاء جماعة الأدباء الحرة ، ولن يمنعنى أن أكون من السابقين إلى الاشتراك فيها

المسرح والمجلات الأدبية :

وقلت : الحكومة تمد المسرح بالإعانات المالية ليقوم إلى جانب السينما التى تجتذب إليها الجماهير ، فلماذا لا تعين المجلات الأدبية لتسير إلى جانب المجلات الأخرى ؟

قال : ليست وزارة المعارف هى التى تعين المسرح ، لأنه كما هو الآن لا يكاد يخدم الأدب العربى ، وإنما هو لون من الترفيه وإضاعة الوقت . ولن تقصر وزارة المعارف عن إعانة المجلات الأدبية الخالصة إذا جدت ووقفت نفسها على الأدب الرفيع والثقافة الممتازة ، وسبيلها إلى هذه الإعانة هو الاشتراك فى أعداد ضخمة منها لمدارسها الكثيرة التى تزداد كثرة من يوم إلى يوم

وقلت : بما للمسرح من أثر فى التثقيف وتذوق الأدب المسرحى ، ألا ترون أنه يجدر بوزارة المعارف أن تعين على النهوض بهذا الفن أكثر مما تفعل ؟

قال : جئنى بالأعوان الذين يمكن أن أعتمد عليهم فى ذلك ، ثم لمنى إن قصرت بعد هذا

كتاباه :

قلت : أرانى قد فرغت من معالى الوزير ، وأريد أن أتوجه إلى طه حسين الكاتب الأديب بهذا السؤال : هل فى برنامجه الحالى أن ينتهز بعض الفرص فينتج جديدا فى عالم الأدب والفن ؟

قال : فى رأسى كتابان لن أستريح حتى أكتبهما إن مد لى فى أسباب الحياة ، أحدهما يسير لا أحتاج فيه إلا إلى الوقت لأمليه ، وهو رسائل إسبانية ؛ والآخر يحتاج إلى الوقت والجهد ، وهو تاريخ الشعر العربى إلى عصر أبى العلاء . ولكن الوقت



ديوان العرجى

شرح وتحقيق الأستاذ خضر الطائى

« ليقرأها صديق معالى العلامة خليل مردم بك »

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

العرجى ، عبدالله بن عمر بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان من شعراء قريش الذين شهروا بالغزل والنسيب ، يحافيه نحو عمر بن أبى ربيعة وكان مشغوفاً باللهو والصيد(١). ولقب بالعرجى نسبة إلى « العرج » وهو ماء له بالطائف(٢) ، وكان من أبرز فتيان قريش عاش إلى سنة ١٢٠ هـ وقد اشترك فى الجيش الذى غزا القسطنطينية بقيادة مسلمة بن عبد الملك فى عهد سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموى ، وقد ذكر المؤرخون أنه كان كريما إلى حد الإسراف(٣) ومن صفاته الفتك والنجدة والشجاعة والمجون، وقدقيل إن ميله إلى القصف واللهو ومغازلة النساء الحسناوات كان شديداً . أما شعره فيتسم بالطابع الوجدانى وقد نحافيه كما قلت نحو عمر بن أبى ربيعة حتى أنه اعتزى به عند وفاة عمر لسده مسده فى هذه الطريقة ، وقد ذكر الأصفهانى فى الصفحة ٣٨٧ من الجزء الأول من أغانيه :

أنه لما مات عمر بن أبى ربيعة بكته نساء مكة بكاء شديداً وقالت إحداهن « من لمكة وشعابها ، وأباطحها ، ونزهها ، ووصف نسائها ، وحسنهن وجمالهن ووصف ما فيها ! فقيل لها خفضى عليك ، فقد نشأ فتى من ولد عثمان رضى الله عنه ـ أى العرجى ـ يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه . فقالت أنشدونى من شعره . فأنشدوها فمسحت عينيها وضحكت وقالت ـ الحمد لله الذى لم يضيع حرمه . وديباجة العرجى فى شعره مشرقة صافية عليها مسحة من الجزالة ولون من الرقة، حتى أن المغنين تغنوا بالكثير من شعره، وهو كما قال الأستاذ العقاد فى كتابه «شاعر الغزل ـ عمر بن أبى ربيعة » :

« إحدى هاتين المدرستين هى مدرسة الشعراء الذين اشتهروا بحب امرأة واحدة كما اشتهر قيس بليلى وعروة بعفراء وجميل ببثينة وكثير بعزة وتوبة بليلى . والمدرسة الأخرى هى مدرسة الشعراء الذين تغزلوا بأكثر من امرأة واحدة أو اشتهروا بحب النساء عامة كعمر بن أبى ربيعة والعرجى وابن قيس الرقيات . ومن هنا تتضح لنا صفات شعره

وقد ختمت حياة هذا الشاعر الفذ بمأساة؛ إذ اضطغن عليه أمير مكة محمد بن هشام المخزومى فى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك وهو خال الخليفة فقبض عليه بتهمة أسندها إليه وضربه وسجنه ومكث فى السجن ٩ سنوات حتى توفى ، وله فى السجن جملة قصائد نفيسة منها قوله

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر
وخلونى لمعترك المنايا وقد شرعت أسنتهم لنحرى
كأنى لم أكن فيه وسيطا ولالى نسبة فى آل عمرو

ويذكر المؤرخون أن السبب فى سجنه هو أنه كان قد شبب

---

(١) الأغانى
(٢) معجم البلدان لياقوت مادة « العرج »
(٣) تاريخ الإسلام للذهبى
(٤) شاعر الغزل ص ٤٢ « سلسلة اقرأ »

يمضى والصحة تضعف وأنا أتعزى بمداعبة الأمل ، والله المستعان

روائع واسفاف :

ثم سألت معاليه السؤال الأخير : ما رأيكم فى أدب الجيل الذى يلى طبقتكم ؟

قال : فيه روائع ترتفع عن الشك ، ولكن فيه إسفافا كثيرا . ولا ندخل فى التفصيل فلن تنال منى شيئا

عباس خضر

فى جيداء أم محمد بن هشام المخزومى وكان والياً على مكة هجاء لابنها

وفيها يقول

عوجي علينا ربة الهودج إنك أن لا تفعلى تحرجى
إنى أتيحت لى يمانية إحدى بنى الحارث من مذحج
نلبث حولا كاملا كله ما نلتقى إلا على منهج
فى الحج إن حجت وماذا منى وأهله إن هى لم تحجج
أيسر ما نال محب لدى بين حبيب قوله عرج
نقض إليكم حاجة أو نقل هل لى مما بى من مخرج

ومن رقيق شعره وقد غنى به

أماطت كساء الخز عن حر وجهها وأدنت على الخدين برداً مهلهلا
من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البرئ المغفلا

وليتصور القارئ الذواقة جمال قوله « البرئ المغفلا »

كما شبب العرجي بجبرة وفيها يقول

عوجى على فسلمى جبر فيم الصدود وأنتمو سفر

وتغزل فى أم الأوقص ـ محمد بن عبد الرحمن المخزومى ـ وفى عاتكة زوجة طريح بن إسماعيل الثقفى ، كما تغزل فى كلابة مولاة لثقيف ، كانت عند عبد الله بن قاسم الأموى . وفيها يقول :

قالت كلابة من هذا فقلت لها أنا الذى أنت من أعدائه زعموا
أنا امرؤ جدبى حب فأحرضنى حتى بليت وحتى شفنى سقم
لا تكليني إلى قوم لو انهمو من بغضنا أطعموا الحمى إذاً طعموا
وانعمى نعمة تجزى بأحسنها فطالما مسنى من أهلك النعم
ستر المحبين فى الدنيا لعلهمو أن يحدثوا توبة فيها إذا أثموا
هذى يمينى رهن بالوفاء لكم
فارضى بها ، ولأنف الكاشح الرغم (٥)

وقد حدثنا الأصفهانى فى أغانيه مرة أخرى فقال (٦) :

كان العرجي يحب أم الأوقص ، خرج ذات يوم إلى جنات الطائف متنزها فبصر بها مع نسوة جالسة ، فعرفها وأحب أن يتأملها من قرب ، دفعته الحيلة إلى ما دفعت إليه جيلا إذ رأت أعرابيا ومعه سقاء لبن فرفع إليه العرجي ثيابه وأخذ قعوده وابنه ولبس ثيابه ومر قريباً من النسوة ، فصحن به : أمعك لبن ؟ قال نعم ، ومال إليهن وجعل يتأمل أم الأوقص وينظر حيناً إلى الأرض كأنه يطلب شيئاً وهن يشربن من اللبن ، فقالت امرأة منهن : أى شئ تطلب يا أعرابى فى الأرض ؟ أضاع منك شئ ؟ قال نعم ، قلبى ، فلما سمعت أم الأوقص كلامه نظرت إليه ، وكان أزرق فعرفته .. فقالت العرجي ورب الكعبة ! ووثبت وسترها نساؤها وقلن : انصرف عنا لا حاجة بنا إلى لبنك ، فمضى منصرفا وقال فى ذلك :

أقول لصاحبي ، ومثل مابى شكاه المرء ذو الوجد الأليم
إلى الأخوين مثلهما إذا ما تأوبه مؤرقة الهموم
لحينى والبلاء لقيت ظهراً بأعلى النقع أخت بنى تميم (٧)

فمن هذه الرواية يتضح لنا أنه كان يجارى ابن أبى ربيعة حتى فى مغامراته الغزلية وإن كان لا يجاريه فى الشعر . وإخال أنه كان يتقصد هذه الأعمال طلباً للموضوع الشعرى الذى ينظمه خصوصاً وهو من فتيان قريش المعدودين فى الحسب والجاه والرفعة والوسامة والفروسية والبطولة ومن ذوى اليسار

سقت هذه الكلمة الموجزة عن هذا الشاعر بمناسبة ديوانه الخطى النفيس الذى عثر عليه صديقنا الأستاذ الشاعر خضر الطائى ، والديوان نسخة خطية فريدة وحيدة فى العالم كله بشهادة كبار المستشرقين ، وقد نقلت عن نسخة خطية كان « ابن جنى » استنسخها لنفسه . فقام الأستاذ الطائى بتحقيقها وشرحها والتعليق عليها بعد مقابلة أبيات القصائد بكثير من كتب الأدب . كما كتب لهذه المجموعة مقدمة شائقة ألم فيها بشعر الشاعر وعصره وظروف ذلك العهد من الناحية الأدبية والسياسية وحلل فيها شعره مع مقارنته بشعر ابن أبى ربيعة من الوجهة الفنية ، ووصف المخطوط وكيف عثر عليه ، وقد اطلعت على الديوان قبل أشهر فنصحته أو أشرت عليه أن يقدمه إلى المجمع العلمى العراقى لطبعه ونشره حتى يكون فى متناول أيدى القراء فى كافة البلاد الناطقة بلغة القرآن ، ولكن يظهر أن المجمع العلمى العراقى لا يريد أن ينشر ذخائر الشعر العربى الخطية ، لذلك لم يقم لحد

(٥) رغم مسكنة الغين وقد حركت للضرورة

(٦) الجزء الأول ص ٣٩٦

(٧) الحين . بالفتح الهلاك والنقع موضع فى مكة



مع الصافى أيضا :

قلت فى العدد ٩٣٤ من هذه المجلة إن الشاعر العراقى أحمد الصافى النجفى نزيل دمشق حاليا أنه استعمل كلمة « دهس » بمعنى وطئه وداسه وهو استعمال خاطئ إذ الصواب أن يقول دعس كما هو فى القاموس ، ولكن يظن أن الصافى لا يعترف

الآن بعمل يشم من رائحته أنه سيطبع الديوان أترك هذا الأمر إلى صديقى العلامة الأستاذ محمد بهجت الأثرى وفى الوقت نفسه أهيب بصديقى العلامة معالى شاعر الشام الجليل الأستاذ خليل مردم بك أن يمد يده الكريمة فينشل هذا الديوان من وهدة الانظار ويبعثه من جديد وذلك بطبعه على نفقة المجمع العربى بدمشق كما فعل سابقاً . وبذلك يسدى إلى العربية جميلا لا ينسى وخصوصا وأن نسخة هذه الديوان فريدة من نوعها ، وشعر المرجى يستحق التقدير والاحتفاء، وإن معالى الدكتور طه حسين باشا يوم كتب دراسته عن شعر المرجى تلك التى جمعت مع أخواتها فى كتابه القيم « حديث الأربعاء » لو كان قد اطلع على كل شعره لكانت دراسته غير ما كتبت قبلا . ولعله الآن يتفضل فيسدى هو يداً كريمة أخرى بتنبيه الحكومة العراقية إلى أن المخطوطات العربية إن لم يقم المجمع العلمى العراقى بطبعها فمن الواجب أن تشكل لجنة من كبار الأدباء فى العراق برئاسة وزير معارف العراق غايتها دراسة تلك المخطوطات ونشرها فى حلل قشيبة تناسب مقام أصحابها ومواهبهم، ولعلنا نأمل خيراً على يديه

بغداد – أمانة العاصمة **عبد القادر رشيد الناصرى**

بالخطأ فى استعمال الكلمات التى لا يقرها علماء اللغة . ولست أدرى مرجع ذلك الإصرار! أهو غرور أم اضطراب فى الأعصاب ؟! فقد قرأت له فى العدد ٤١٤٣ من جريدة الزمان البغدادية قصيدة بعنوان « حسناء تسوق حسناء » وجدت فيها كثيرا من الخطأ أحببت أن أنبهه إليها لعله يتداركها فى المستقبل. وقبل أن أدرج هذه الأخطاء أود أن ألفت نظر صاحب الجريدة السيد توفيق السمعانى إلى أن الشاعر الكبير كما وصفت الجريدة الصافى يجب أن يلم على الأقل بأبسط قواعد اللغة وبالمفردات، فهل من الجائز أن يقع الشاعر الكبير الصافى فى هذا الخطأ وهو

قال فى مطلع القصيدة :

غانية فاقت على جيلها وحق قرآنى وإنجيلها

لا يقال فاق عليه بل فاق الشئ وفاقه

ساقت أتومبيلا رقيقا لها يجرى رخاء وفق مأمولها

لست أدرى كيف تكون السيارة رقيقة وكيف تجرى رخاء إذا كانت حسناؤه تسوقها

دقيق سير صوته كالغنا بأعذب النغمة مقبولها

بالرغم عن سخف هذا المعنى ففيه خطأ نحوى وهو أن يأتى اسم التفضيل بعد أعذب أقبلها أو أكثر قبولا فتأمل ؟ !

ثم يقول :

ألطف قد صيغ من جيله فيه التى ألطف من جيلها

أنا أعطى جائزة لمن يحل هذه الأحجية غير اللطيفة

آخر موديل جمال كما موديله حلو كموديلها

إن الروى فى هذه القصيدة الياء والحرف الذى قبله يجب أن يكسر ولكن حرف الدال فى الموديل مفتوحة وكذلك أخطأ فى قوله :

أحببته نهو الروح حلت به يلمس كفيها ومنديلها

حرف اللام فى منديلها بعد الروى مفتوحة لأنها معطوفة على كتفيها وهى مفعول لمس، ثم يقول فى ختام هذه الأبيات الركيكة التى تشبه نظم المبتدئين لا نظم شاعر كالصافى :

أهوى ركوبا لى فى جنبها أولا فدها بأتومبيلها

إن ركوبا لى تركيب أعجمى إذ لا يقال أهوى الركوب لى بل

أهوى ، الركوب لأن كلمة أهوى تغنى عن أنا أو لى . أما كلمة جنبها فهى غير شعرية ، وكلمة دهس خطأ كما بينت سابقا إذ الصحيح أن يقال دعس . فهل يرعوى بعد هذا التحذير أستاذنا الصافى فلا ينشر إلا بعد الروية والتنقيح ؟ ثم هل ألام إذا ما قلت إن جل صحفيي العراق لا يفهمون أبسط قواعد اللغة . اللهم ؟ أشهد أنا براء من أمة لا يعرف أبناؤها تقويم ألسنتهم وهم عرب وليسوا بأعاجم ! .

بغداد **عبد القادر رشيد الناصرى**

ختان البنات بين الطب والإسلام :

نشرت مجلة (الدكتور) ملحقا لعدد مايو سنة ١٩٥١ خاصا بمسألة ختان البنات استفتت فيه بعض الأطباء الذين رأوا أنه لا ضرورة لهذا الختان ؛ بل لعل بعضهم رأى فيه ضررا نفسيا واجتماعيا . وقد تعرض بعض بعضهم للدين قائلا بأنه لا يوجد شرعا ثم لا يوجد طبيا أى مبرر لهذا الختان ، وأنه ليس فى الأحاديث النبوية ولا فى أقوال الأئمة ما يشير إلى الختان عن البنات كما ورد عن الذكور ، لذلك رأيت لزاما أن أبين وجهة الدين ثم أتبعه برأيى الطبى الخاص

يقول الرسول (ص) (الختان سنة للرجال مكرمة للنساء) فهل هناك شئ أفضل من هذه المكرمة التى تضبط اشتهاءهن وتقلل استهتارهن وفى الوقت نفسه لا تحرمهن لذاتهن (كما سأبين بعد)

ثم انظر إلى قول حضرة الرسول (ص) عندما هاجرت النساء وكان فيهن امرأة يقال لها أم حبيبة وكانت تختن الجوارى ، فلما رآها رسول الله (ص) قال لها يا أم حبيبة ، هل الذى كان فى يدك هو فى يدك اليوم ؟ فقالت نعم يا رسول الله إلا أن يكون حراما فتنهانى عنه ، قال بل هو حلال ، فادنى منى حتى أعلمك ، فدنت منه ، فقال يا أم حبيبة: إذا أنت فعلت فلا تنهكى فإنه أشرق للوجه وأحظى عند الزوج

فانظر أيها القارئ الكريم إلى كلمة (لا تنهكى) أى لا تستأصلى ، أليس فى هذا الحديث معجزة تنطق عن نفسها وتدل بوجهها ، فلم يكن الطب قد أظهر شيئا عن هذا العضو الحساس (البظر) ولا التشريح أبان الأعصاب التى فيه ، ولكن الرسول (ص) الذى علمه الخبير العليم عرف ذلك فأمر ألا يستأصل العضو كله

هذا وإن عملية الختان الصحيحة من الوجهة الطبية أن لا يقطع البظر من جذره ، بل يقطع جزء منه فتقطع الحشفة وجزء من العضو ، وهذا الجزء الأعلى هو ذو الحساسية الشديدة ، ثم يبقى جزء منه توجد فيه أيضا الحساسية ولكن بدرجة أقل

ويقول حضرات الأطباء الذين استفتتهم المجلة إن الختان يحرم المرأة الشعور الصحيح باللذة الجنسية ، لكن الحقيقة التى لا مرية فيها أن الفتاة التى استهدفت لعملية الختان قلت فيها حساسية الشهوة نوعا ما ، بخلاف التى لم يعمل لها الختان فإن أى احتكاك بالبظر - حتى بثوبها - يحرك فيها حساسية شديدة ربما لا يؤمن جانبها فى الفتيات . وأما المتزوجة فالشعور لا يزال فيها ولكنه شعور غير فياض ، رزين غير عابث ، مضبوط زمامه غير منفلت . فالتأثير الجنسى لم ينعدم فى المرأة بعد ختانها؛ إنما وجد بمقدار إن زاد أضر بها

هذا وإنى أرى فائدة الختان للبنات تتلخص طبيا فيما يأتى :

(أولا) الإفراز الدهنى المنفرز من (الشفرين الصغيرين) إن لم تقطعا مع جزء من البظر فى الختان ، تتجمع وتتزنخ ويكون لها رائحة غير مقبولة ، وتحدث التهابات قد تمتد إلى المهبل بل إلى قناة مجرى البول ، وقد رأيت حالات كثيرة بهذه الالتهابات فى بعض السيدات سببها عدم الختان

(ثانيا) هذا القطع كما أشرنا يقلل الحساسية للبنت حيث لا شئ لديها ينشأ عنه احتكاك جالب للاشتهاء ؛ وحينئذ لا تصير البنت عصبية من صغرها

وصدق رسول الله (ص) أن الختان مكرمة للنساء ، وهو أشرق للوجه إذا لم يستأصل فى الختان البظر كله ، وإلا كانت المرأة عصبية المزاج صفراء اللون ، ونرى أن الختان يجب أن يقوم به الأطباء والحكيمات المتمرنات، لا أن يترك لهؤلاء النساء الجاهلات

دكتور حامد الغوابى

دائرة المعارف الحديثة

لمواطننا الأستاذ أحمد عطية الله مدير متحف التعليم بوزارة المعارف ولع بكثرة الإنتاج والتأليف، فهو من وقت لآخر يطالع القراء بأبحاثه ومؤلفاته، وآخرها فيما أظن دائرة المعارف الحديثة التي تصدرها تباعا مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة، وقد عنيت بصفة خاصة بقراءة ما ظهر من أجزاء هذه الدائرة قراءة حرفية فلم أجد فيها ما يشعر مطلقا بحرص كاتبها على تهذيب المواد وضبط المعلومات، وهو أشبه بحاطب ليل يختطف من كل كتاب كلمة، وينتزع من كل صحيفة بحثا حسبما يتفق له ويروق في نظره دون أن يكلف نفسه دقة النقل والتأكد من صحة المعلومات التي يملأ بها صفحات دائرة معارفه. ولقد أساء بذلك إلى العلم والمعرفة كما أساء إلى نفسه، وكان خيراً له أن يقرأ ويتثقف حتى ينضج، ثم بعد ذلك يعمد للتأليف ويتصدى لمثل هذه المباحث. وكان خيراً له أن يشرك معه في البحث والمراجعة علماً من أولى الخبرة والدراية ليكون إنتاجه ممحصا مهذبا، وإني أضع بين يدي القارئ الكريم مادة واحدة من بين آلاف المواد التي تحتويها دائرة معارفه الحديثة ليرى ما في هذه المادة وحدها من خلط، تلك مادة - رمضان - ص ٢٤٠ بالجزء الرابع فقد جاء بها ما يلي (ورمضان من الأشهر الحرم نزل القرآن في الرابع منه . وفي الأخير منه ليلة القدر . وفي السابع والعشرين منه حدثت موقعة بدر الكبرى) ومن المجمع عليه لدى أهل العلم أن الأشهر الحرم هي: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم. ولم يقل أحد مطلقا أن رمضان من الأشهر الحرم. وبمراجعة ما كتبه المؤلف نفسه بصفحة ٢٢٧ من هذا الجزء في مادة رجب - نجده يقول عن شهر رجب « وهو أحد الأشهر الحرم وهي المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة » وهذا خلط واضح وتناقض معيب ! ولم يذكر أحد الثقات ولا غيرهم أن القرآن الكريم نزل في الرابع من شهر رمضان كما لم يذكر أحد أن ليلة القدر في الأخير من هذا الشهر كما يقول المؤلف، وكان يكفيه أن يقف حيث وقف القرآن حين قال تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) ولكنه أبى إلا أن يتمالح بذكر المرويات فلم يحسن نقلها ؛ فقد روى العلامة الألوسي في تفسيره للقرآن الكريم عند قوله تعالى - شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن - وخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث واثلة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين والإنجيل لثلاث عشرة والقرآن لأربع وعشرين) ولم يقل أحد مطلقا أن ليلة القدر في الأخير من رمضان ونحن مأمورون بتلمسها في العشر الأواخر منه؛ لقول النبي الكريم تحروها في العشر الأواخر من رمضان. وأكثر العلماء على أنها ليلة السابع والعشرين

أما موقعة بدر الكبرى فكانت في السابع عشر من رمضان لا في السابع والعشرين منه كما قال المؤلف. وكثير من العامة وناشئة المتعلمين يدركون هذه الحقيقة لأنهم يشهدون الاحتفال بذكرى هذه الموقعة في السابع عشر من رمضان . ومؤلفنا الفاضل لا تعنيه دقة النقل وصحة المعلومات، ولكن يعنيه شيء آخر، يعنيه أن يغمر السوق بمؤلفاته العديدة ليربح منها - فيما يزعم - الصيت والمال، وهي مادامت لجة ضعيفة فلن يربح منها غير المذمة والإفلاس

الأقصر

علي ابراهيم القنديلي



عند ما يسخر القدر

للكاتب الأمريكي أو. هنري O. Henry

للأستاذ رمزي مزيغيت

تململ سوبى على مقعده فى متنزه ماديسون بقلق واضطراب ، ولم يلبث أن انتفض من ضجعته فزعا مهموما . فقد اهتزت الشجرة التى تظله وسقطت فى حجره أوراق ذاوية صفراء . وقد دلته التجارب والأيام أن الأوراق الصفراء ما هى إلا نذير الطبيعة الرؤوم لأمثاله من مناكيد الدهر تحذرهم بأن قد آن الأوان ليبحثوا لهم عن مأوى يقيهم قر الشتاء وشآبيب السماء

واعتمد سوبى رأسه بين يديه وغرق فى لجة من التفكير .. إلى أين يذهب ، وأى مأوى يختار لفصل الشتاء ؟ إنه لا يطمع فى القصور المنيفة ، ولا يبغى وثير الفراش .. إن كل ما يطلبه وتهفو إليه نفسه غرفة ضيقة حقيرة فى سجن الجزيرة يقيم فيها وتعصمه من البرد خلال أشهر الشتاء الثلاثة

وقد كان سجن الجزيرة هذا مشتى سوبى المفضل لمدة سنوات خلت .. فكان إذا ما قرعت ريح الشتاء أبواب المتنزه يسارع إلى اتخاذ الترتيبات لهجرته السنوية إلى سجن الجزيرة ، كما يسعى المترفون إلى اتخاذ الترتيبات للاشتاء فى الريفييرا وغيرها .. وها هو ذا الفلك قد أتم دورته وحل الشتاء . وفى الليلة السابقة نخر البرد عظامه رغم ما التف به من صحف وأوراق وهو نائم على المقعد فى المتنزه .. وكان بوسعه أن يلتجئ إلى أحد الملاجئ الخيرية الكثيرة فى المدينة ، حيث يقدم له الطعام والمأوى مجانا .. إلا أنه كان يفضل ضيافة السلطات القانونية على ضيافة الملاجئ الخيرية ، وكانت نفسه الأبية ترى فى الاستجداء ضعة وهوانا ، فهو إن لم يدفع للمأوى فى هذه الملاجئ مالا يدفع له من عزة نفسه ضريبة .. كلا ثم كلا .. إنه لن يستجدى لقمته على حساب كرامته ..

وما كاد يقف عند هذا العزم حتى انقلب يفكر فى الوسيلة التى توصله إلى السجن .. وكانت الوسائل كثيرة سهلة ، ولكن أفضلها أن يدخل مطعما من المطاعم الراقية ويتزود بأكلة شهية لرحلته الطويلة إلى الجزيرة ، وعندما يفرغ من طعامه ويتأكد أن كل زاوية من زوايا معدته الخاوية قد سدت وامتلأت ، يدعو إليه الخادم وينبئه بخلو جيبه ، فيستدعى هذا شرطيا من الخارج دون ما ضجة أو جلبة إلى حيث يمثل أمام القاضى العادل ..

وللحال غادر سوبى مقعده فى المتنزه ، وانطلق فى شارع طويل عريض يغص بالحركة ، حتى وصل إلى مطعم فخم تنبعث منه رائحة تفتح لها شهوة المكظوظين . ووقف سوبى لحظة أمام الواجهة ، وأرسل نظراته إلى الداخل متأملا مفكرا . ها هى ذى مائدة لا تبعد كثيرا عن الباب لا يشغلها أحد . فلو قدر له أن يصلها دون أن ينتبه أحد إلى سرواله المهلهل وحذائه الممزق ، لهان الأمر وتحققت الآمال .. فهو حليق الذقن نظيف المعطف ، ورباط عنقه أنيق جميل أهدته إليه إحدى المبشرات يوم عيد الشكر .. فإذا ما جلس إلى المائدة فلن يظهر منه إلا الجزء الأنيق ، ولن يداخل الخادم أدنى شك فى أنه سيد محترم .. وعندئذ يطلب منه أطيب المأكول ، ولكن باعتدال ، حتى لا يثير غضبة المدير وقت الحساب فينزل به عقابا غير الذى يرغب .. وارتاح سوبى لهذا الخاطر واتجه نحو الباب ، ولكنه لم يكد يتخطى العتبة حتى اتجهت عينا رئيس الخدم إلى سرواله وحذائه . وما هى إلا لحظات حتى تلقفته أيد قوية جبارة أخذت تجره دون ما ضجة إلى أحد الشوارع الجانبية .

وقدر سوبى أن الوصول إلى السجن لن يكون سهلا كما تصور . ثم انطلق فى شارع آخر وهو يعمل الفكر فى وسيلة أضمن . وما كاد يسير بضعة أمتار حتى لفت نظره واجهة متجر كبير تشع منها الأنوار الباهرة ، وقد عرضت فيها شتى الملابس

الثمينة . . وللحال التقط حجرا ، وقذف به زجاج الواجهة فحطمه . . فتراكض السابلة يتساءلون عن الخبر ، وقدم شرطى من رأس الشارع يهرول مسرعا . ولكن سوبى لم يتحرك من مكانه ، بل وقف جامدا ويداه فى جيبه . . وواجه الشرطى بابتسامة عريضة . . وسأله رجل البوليس : من فعل هذا ؟ فرد عليه سوبى برزانة وهدوء : أو لا يخامرك شك بأنى قد أكون أنا من تسأل عنه ؟

ولكن رجل البوليس لم يفكر فى ذلك قط ، بل لم يشأ أن يتخذ من سوبى شاهدا على ما حدث . . فسارق الواجهات لا يقف مكانه هادئا ويداعب رجل القانون . . بل يولى بجلده هاربا . . وتلفت الشرطى حوله ، فرأى رجلا يركض مسرعا للحاق بسيارة ، فقبض على هراوته بشدة وانطلق وراءه مهرولا . . ولوى سوبى شفتيه ازدراء ، وتابع سيره يائسا خائبا

وعلى الرصيف المقابل رأى مطعما من الدرجة المتوسطة ، شهى الطعام معتدل الكلفة . فلم يتردد لحظة واتجه إليه ودخله دون أن يلفت إليه الأنظار . ولما جاءه الخادم طلب من أطايب المآكل أصنافا وألوانا . وعندما انتهى دعا الخادم إليه وقال مبتسما : إن جيبى ياصاحبى خال ، فهيا أسرع واستدع البوليس ، ولا تتركنى أنتظر طويلا . . ولكن الخادم قال مزمجرا — وما حاجتى إلى رجال البوليس ؟ ثم التفت إلى زميل له قريب وأشار إليه بطرف عينه ، فأقبل هذا عليه وأمسك الاثنان بسوبى من كتفيه وجراه حتى الباب ثم قذفا به إلى عرض الرصيف . . ولملم سوبى نفسه ونهض . . وعلى مقربة منه رأى شرطيا فعاوده الأمل . . ولكن الشرطى قهقه عاليا وانثنى فى طريقه يواصل دورته . .

وواصل سوبى سيره وقد تملك اليأس نفسه وقوض صروح أحلامه . . وقطع مسافة طويلة دون أن يبرق فى ذهنه ما يحيى ميت الآمال . . وعلى حين غرة رأى سيدة فتية ممشوقة القد تقف أمام واجهة مخزن كبير تطوف بعينيها فى معروضاته . وعلى مسافة قريبة منها ينتصب شرطى طويل تبدو على محياه علائم القسوة والصرامة . . فخطر ببال سوبى أن يمثل دور أفاق يشاكس السيدات ، وشجعه على ذلك مظهر السيدة الأنيق ووجود رجل البوليس ، وقدر أنه لن يلبث أن يحس بقبضة رجل القانون تهوى على كتفه وتسوقه إلى مشتاه المحبب فى سجن الجزيرة . . وللحال أصلح سوبى رباط عنقه وأمال قبعته فوق أذنه ، واتجه نحو السيدة . . ولما اقترب منها أخذ يحملق فيها ويسعل ويتنحنح ويبتسم . ثم نظر بطرف عينه إلى الشرطى فرأى أنه قد انتبه إليه وراح يصليه بنظراته الحادة . وعلمت السيدة فى وقفتها ولكنها لم تنتقل من مكانها . . فتقدم سوبى منها بجرأة ثم رفع قبعته عن رأسه وقال لها : أهذه أنت يا باديليا ؟ هلا جئت لتلعبى معنا فى ساحتنا ؟ وكان رجل البوليس لا يزال يرقبه ، وما كان على السيدة إلا أن تشير بإصبعها إليه حتى يكون سوبى فى طريقه إلى الجزيرة . ولكن السيدة لم تفعل شيئا من ذلك ، بل ألقت بيدها على كتف سوبى وصاحت جذلة : كم أشتهى ذلك ياعزيزى ما بك . . ثم تأبطت ذراعه وهمست فى أذنه : اعذرنى إذ لم ألتفت إليك قبل الآن ، فقد كان الشرطى يرقبنا عن كثب. وسار سوبى مرغما إلى جانب صديقته المزعومة ومرا من أمام الشرطى وقد خابت الآمال وفاته حلم الاعتقال . وعند ما وصلا إلى منعطف الشارع تملص سوبى من رفيقته وأطلق ساقيه للريح . . ولم يقف إلا عندما وصل ميدانا يغص بالحركة ، فسار فى الزحمة متأملا مفكرا . وما كادت عيناه تقعان على قبعة شرطى ثالث حتى لمعت فى ذهنه حيلة جديدة . . فانطلق فى اتجاهه يترنح فى مشيته كالسكران يضرب بالمارة يمينا وشمالا ويغنى بأعلى صوته أبذأ الأنغام . . وتأمله الشرطى لحظة ثم أدار له ظهره وقال لأحد المارة — هذا أحد المحتفين بحفلة كلية هارتفورد الخيرة ، ولدينا تعليمات بألا نعترض أمثاله ما داموا لا يؤذون. وسمع سوبى ماقال الشرطى وامتعض . حتام يتجاهله رجال البوليس وينصرفون عنه . . ؟! وتابع سيره بعد أن زرر سترته ليدرأ عن نفسه برد

الليل . . وفى أحد حوانيت التبغ رأى سيدا أنيق الثياب يشعل سيجارا وقد ترك مظلته الحريرية الثمينة بالقرب من الباب . . فلم يتردد سوبى ودخل المخزن وأخـذ المظلة وعاد إلى الشارع ببطء وهدوء ، ورآه السيد وتبعه مسرعا وهو يقول ـ هذه مظلتى . . هذه مظلتى . . فرد عليه سوبى بازدراء ـ أحقا ؟ إذا كانت فعلا مظلتك فلم لا تدعو البوليس ؟ لقـد سرقتها . . أليس كذلك ؟ هيا إذن واستدع البوليس . . وها هو أحدهم يقف هناك عند المنعطف .. وخفف صاحب المظلة من سرعته وكذلك فعل سوبى مخافة أن يتراجع السيـد وتفوته الفرصة . وراقب البوليس ما يجرى باهتمام .. وقال السيد ـ عفوا ، عفوا ، فكثيرا ما يحدث هذا الالتباس ، وانى لأعتذر عما بدر منى إذا كانت هذه مظلتك فقد أخذتها اليوم خطأ من أحد المطاعم وأنا أحسبها مظلتى ، فإذا عرفت فيها مظلتك فأرجو . . . فقاطعه سوبى بحدة : طبعاً انها مظلتى .. وعاد صاحب المظلة أدراجه ، وانصرف اهتمام الشرطى إلى مساعدة سيـدة تقطع الشارع من رصيف إلى رصيف واتجه سوبى جهة الشرق وطرق شـارعا خربا . . ثم قذف بالمظلة إلى إحدى الحفر بغضب وثورة وهو ينزل اللعنات على رؤوس رجال البوليس الأغبياء . ووصل أخيرا إلى شارع يخف فيـه الضجيج وتقل الحركة ، واتجه دون ما شعور صوب متنزه ماديسون . وعند منعطف انعدمت فيه الحركة وانقطعت السابلة توقف سوبى عن السير وثبت فى مكانه وقد عقل منه القدم والقلب معـا .. فعلى بعد خطوات قليلة منه رأى كنيسـة عتيقة تآكلت حجارتها وتفتتت ومن زجاج نوافذها الملون ينبعث شبه ضوء أرجوانى يحمل على أمواجه أنغام أرغن ناعمة شجية ، نفذت إلى أعماق روحه وملـكت عليه لبه . . وكان البدر يخطر فى كبد السماء باسطا على الـكون سترا من لجين ، والطير المستجم على الشجر يزقزق فى أمن وهدوء . . فكان لهذا المشهد الطبيعى وذاك النغم الهادىء فى نفس سوبى فعل السحر ، فوقف وقفة المتعبد الضارع فى هيكل الخشوع . وترك رأسه يسقط على صـدره وأرخى لفكره العنـان . . إنه ليذكر هذا اللحن السحرى ويعرفه تماما . لطالما ترنم به ورددده يوم كانت حياته هنيئة رخية يظللها عطف الأب وحنان الأم . ويجملها أنس الصحب والرفاق ولذة الأمل والرجاء . آه ما كان أحلاها من أيام . . لقد صدق من قال : إن الدهر مداج ذميم يستل الشقاء من ضلع الهناء ، ولـكن لم ألوم الدهر وأنا الملوم أولا وآخرا ؟ لقد أبيت الهدى والإرشاد ، وركبت رأسى وسرت وفق هواى تاركا خطاى حرة مسترسلة فى دروب المعاصى والآثام ، حتى استقر بى المطاف على مقعد فى أحد المتنزهات . . ودفن سوبى وجهه بين راحتيه كأنما يحجب عن عينيه صور ماضيه البغيض . . ولم يلبث أن أشرق فى ذهنه خاطر جميل ، وشمت فى ظلمات نفسـه بوادر أمل . . لم لا يصلح حاله ويبدأ حياته من جديد . . إنه ما زال فى ربيع شبابه وكامل قوته . . فليجند قواه الفتية ويشنها حربا عاتية على قوى الشر والخمول . نعم ! سينزل إلى الميدان ، ويزاحم بمنكبيه ، ويقرع أبواب العمل بقبضتيه حتى تستجيب له . إنه يذكر أن مستوردا للفراء كان قد عرض عليه يوما أن يعمل عنده سائقا، فأبى ترفعا.. سيذهب إليه فى الغد ويعمل عنده بأى أجر ، حتى يجعل من نفسه شخصا جديرا بالفخر

وضاء وجه سوبى لهذا الخاطر وافتر ثغره عن ابتسامة مشرقة . . ولـكنه سرعان ما انكمش فى نفسه وغاض البشر من محياه ، عندما هبطت على كتفه قبضة ثقيلة . فالتفت وراءه ليرى شرطيا يتأمله . وسأله الشرطى :

— ماذا تعمل هنا فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟

— فقال سوبى : لا شىء

— إذن فهيا معى إلى قسم البوليس . .

وفى اليوم التالى أصدر القاضى حكمه عليه بالسجن ثلاثة أشهر فى سجن الجزيرة

رمزى مزيغيت



مطبعة الرسالة



العدد ٩٣٨ — ٢٥ يونيه سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة



فهرس العدد

تظهر قريبا الطبعة الخامسة منقحة

من كتاب

رفائيل

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

إحدى روائع القصص العالمي الواقعي لشاعر فرنسا الخالد « لامرتين »

قص فيها بأسلوبه الشعري تاريخ فترة من شبابه تدفق فيها حسه بالجمال وفاض بها شعوره بالحب . . . وهي « كآلام فرتر » في دقة الترجمة وقوة الأسلوب

ظهرت حديثا

الطبعة الثامنة منقحة

من كتـــاب



للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

وهي القصة العالمية الواقعية الرائعة الخالدة للشاعر الفيلسوف

« جوته » الألمـــــــــــاني

صور فيها : عواطف الشاب في وقت نزوعه إلى الحب وولوعه بالجمال واتحاده مع الطبيعة . . . وقد قال عنها لصديقه (أكيرمان) « كل امرىء يأتي عليه حين من دهره يظن فيه أن (آلام فرتر) إنما كتبت له خاصة »

ترجمتها العربية تتفق مع أصلها في قوة الأسلوب ودقته وأناقته وجماله ... وهي مثال للترجمة الأمينة التي تنقل الصورة والفكرة وما يقوم بهما من الروح والخيال والعاطفة ..



العدد ٩٣٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٢١ رمضان سنة ١٣٧٠ — ٢٥ يونية سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

٣ - على هامش السياسة الدولية

للأستاذ عمر حليق

من الأساليب التي تتبعها بعض الحكومات الكبرى التي لها مصالح سياسية واقتصادية وعسكرية واسعة مع شعوب الشرق للتعرف على حقائق الخلق القومي لتلك الشعوب هي جمع كل ما ينشر عن تلك الحكومات الأوروبية والأمريكية في ألسنة الرأي العام في دول الشرق من افتتاحيات صحفية ودراسات علمية وتعليقات سياسية وفصول من كتب التاريخ والآداب التي تدرس في مدارس دولة من دول الشرق، وغير ذلك من مواد الغذاء الفكري التي تتوفر لشعب من الشعوب

ويعرف كاتب هذه السطور أن هناك ثلاث جامعات أمريكية كبرى تقوم الآن بتحليل هذه المواد المجموعة من مختلف بلدان الشرق العربي؛ وهي التي تغذي القارئ العربي بالغذاء الفكري عن أنباء السياسة الأمريكية المعاصرة، وعن التاريخ والأدب الأمريكي، وعن الإنتاج الأدبي الفني الذي يصدر إلى الشرق العربي من هوليوود في شكل أفلام أو قصص أو صور فوتغرافية تعنى بها صحف الناطقين بالضاد

والجامعات الأمريكية المذكورة تقوم بهذا العمل بتكليف من المراجع الأمريكية المسؤولة وعلى نفقتها. ويقوم خبراء علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي وعلم الأنتروبولوجيا الثقافية بتحليل هذه المواد ليتيقنوا من الفكرة التي يحملها الشعب العربي عن أمريكا؛ لا في ناحيـة السياسة والاقتصاد فحسب، بل في شتى أوجه النشاط الفكري التي يلعب فيه الخيال والاستنتاج دورا كبيرا

وهذه الدراسة توفر لصناع السياسة وأرباب الأعمال وقواد الجيش أسلحة علمية على غاية من الدقة والمهارة يستطيعون بواسطتها معالجة مشاكل الشرق والغرب

والناس في أغلب الحالات يعتقدون أن نشاط دولة ما في توثيق علاقاتها مع الدول الأخرى يقتصر فيه على الدعاية «البروبوغاندة» أو المساعدة المالية أو الضغط السياسي أو ما شاكل ذلك من أوجه السياسة الدولية التي تحمل أنباءها كل يوم الصحف السيارة ورسائل المواصلات الفكرية السريعة وقل ما يفطن القارئ إلى أن هناك أساليب أخرى لتوثيق العلاقات — خيرا أم شرا — بين دولة وأخرى سواء أتكافأت مصالحها أم لم تتكافأ

فالشعب العربي وشعوب الشرق إجمالا فقراء في وسائل المواصلات الفكرية السريعة؛ وفقراء في المكتبات العلمية الحديثة، وفقراء في التحليلات والتعليقات السياسية العميقة التي تعالج المشاكل الدولية من وجهة النظر العربية البحتة. فمعظم ألسنة الرأي العام في الشرق عالة في معلوماتها واستنتاجاتها على مجرى

وتطورات السياسة الدولية — عالة على وكالات الأنباء العالمية (روتر والأسوشيتدبرس وغيرهما) وعلى بحوث الإخصائيين الأجانب ، وعلى هذه المجلات العلمية القليلة الانتشار التي لا تصل منها إلى الشرق العربي إلا طائفة ضئيلة. ولذلك فإن تحليل قارئ الصحف السيارة في العالم العربي عن الشؤون السياسية الدولية متأثر حتما بما يتغذى به من أنباء وتعليقات ترد إليه مباشرة عن طريق الاجتهاد الأجنبي في أغلب الحالات ، أو بطريقة غير مباشرة عن طريق المعلقين السياسيين والصحفيين والكتاب الذين يعنون بتوجيه الرأي العام ، والذين يتأثرون بدورهم لذلك الاجتهاد الأجنبي . وقل أن تجد في العالم العربي — وفي أكثر الدول الصغيرة الشرقية والغربية كذلك — مؤسسات أهلية تعيش على دخل ثابت تتوفر على تحليل الاتجاهات الدولية من وجهة النظر القومية البحتة (كما تفعل مثلا مؤسسات كاربنجي وروكوفلر ومعهد العلاقات الخارجية في أمريكا ، وشاتام هاوس في بريطانيا) غير متأثرة بالاعتبارات السياسية الداخلية أو الضغط الحكومي أو المصلحة الاقتصادية الخاصة بطبقة من طبقات المجتمع

وبالإضافة إلى تلك المؤسسات الأهلية فإن الجامعات في أوروبا تتوفر في دوائرها المختلفة على القيام بمثل هذه التحليلات التي همها الدقة العلمية المجردة، والبحث الثقافي الخالص . وتنشر تلك الدراسات في بحوث ، وانتشارها محدود ، ولكن أثرها بعيد، إذ أنها توفر لصناع السياسة الرسميين ولغيرهم من المسؤولين عن توجيه الرأي العام والمثقفين وغيرهم من المواطنين — توفر لكل هؤلاء ذخيرة علمية نافعة

قلنا إن الشرق العربي وغيره من الشعوب التي لم يكتمل بعد نموها على نحو النمو في العالم الغربي — هذا الشرق يستمد استنتاجاته عن مجرى العلاقات الدولية عن طريق غير مباشر — أجنبي في أصوله وهدفه، إذ لا يعالج القضية من وجهة النظر العربية وإنما يعالجها من وجهة النظر الدولية التي صدرت فيها الدراسة

وهذا التأثير غير المباشر يخلق في انطباعات الناس في الشعوب الفقيرة تأثرا لا يمكن أن يكون إيجابيا ؛ بمعنى أنه مجرد من « الدعاية » حتى لو افترضنا بأن هذه الدعاية جاءت عفوا بدون تصميم أو تعمد

وهذا الوضع يوفر للدول ذوات المصالح في علاقتها مع العالم العربي — وغيره من شعوب العالم — وسائل على غاية من الدقة والمهارة لتوجيهه توجيها يتمشى والمصلحة الجوهرية لتلك الدول . أو لا يفطن كثير منا في بعض الحالات إلى هذا النوع من التوجيه فيما تحمله إلينا وكالات الأنباء (الأجنبية) من أنباء أو تعليقات المفروض فيها أن تكون صادقة نزيهة ، ولكنها في الواقع صادرة من « مصدر رسمي » أو « مصدر وثيق » في وزارة الخارجية لدولة من الدول التي لها مصالح مباشرة في ترويج ذلك الخبر في ألسنة الرأي العام العربي ؟ فإذا فطن بعضنا إلى هذا النوع من الغش السياسي في بعض الحالات فإن أكثرنا لا يفطن إليه في جميع الحالات ، إذ أنه يستند إلى أسلوب في التوجيه يستمد أصوله من الدراسات الاجتماعية والنفسانية العاطفية للمقومات الخلقية للشعب العربي على نحو ما أشرنا إليه في مكان آخر من هذا البحث ، ومن التيارات السياسية والاقتصادية العابرة والوسيلة الوحيدة للتغلب على هذا الوضع — وهو وضع خطير إذا دققت فيه — هي أن توفر لصناع السياسة الرسميين في الدول العربية والمعنيين بتوجيه الرأي العام العربي من صحفيين ومعلقين سياسيين وغيرهم من المواطنين الواعين وسائل تكشف لهم عن تلك الأساليب العلمية والبحوث العميقة التي توفرت لدى أهل الحل والربط في الدول الكبرى ذوات المصالح التي لها صلات مباشرة وعلاقات جوهرية مع العالم العربي — تلك الأساليب التي يبدو أنها قد حققت قسطا كبيرا من النجاح لتلك الدول ذوات المصالح في علاقاتها مع العرب — وقد يكون هذا النجاح متمشيا مع المصلحة العربية أو قد لا يكون ، إنما المهم أن يكون أولو الأمر والمسؤولون عن توجيه الرأي العام مدركين لتلك الأساليب عالمين بدقائقها وخفاياها . وفي الحديث الشريف « من تعلم لغة قوم أمن شرهم » . واللغة هنا يجب أن لا تعني فقط الكتابة والمخاطبة ، وإنما يجب أن تشمل الاطلاع على تلك الأساليب العلمية الدقيقة التي ندرس بها وضعية جيراننا في هذا العالم — خصوما وأصدقاء — الفكرية والعاطفية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها على نحو

ما سبق استعراضه

فدوائر الاستخبارات السياسية والحربية للدول الكبرى تعتمد على مصدرين فى دراساتها لوضعيات الشعوب الأخرى :

الأول يزودها به عملاؤها من « الجواسيس » من رعاياها أو من مخدوميها الغرباء . وهذا النوع من الاستخبارات لا تحتاج إليه الدول الصغرى فى علاقاتها مع الدول الكبرى إلا بقدر محدود ، لأنه يركز نشاطه فى الحصول على دقائق الاستعداد العسكرى والتقدم الفنى فى آلة الحرب ، والاتصال بالعناصر من نظم الحكم فى الدول المتخاصمة وغير ذلك من الأمور التى تهم الدول التى تقع على عاتقها مسؤولية الحرب والسلم العالمى

والمصدر الثانى : (وهو الذى يعنينا هنا) استنتاج المعلومات الدقيقة عن الوضعية الحقيقية فى دولة ما عن طريق ما ينشر فيها من صحف ومجلات وإذاعات وكتب وتقارير وما يعكسه الممثلون الدبلوماسيين من ألوان الاتجاهات المستجدة فى الدولة التى انتدبوا لتمثيل حكوماتهم بها .

وتحت هذا النوع من الاستنتاج تأتى دراسات من المستشارين وأهل الاختصاص فى الدوائر الحكومية فى المؤسسات العلمية الأهلية والجامعات وحلقات النقاش الحديث المنتظم على النحو الذى لفتنا إليه النظر فى مكان آخر من هذه الكلمة . وكثير من هذه الدراسات ليس له طابع السرية فى أكثر الأحيان؛ وإنما يباع ويشترى فى مكتبات معينة يعرفها أكثر المعنيين بهذا اللون من ألوان الثقافة

إذن فالحصول على النوع الثانى من الاستنتاجات شرعى لا قيود عليه . ويجب أن لا يقتصر هذا النوع من النشاط على الملحقين الثقافيين فى المفوضيات والسفارات ، وإنما يجب أن يخصص له فرع خاص فى الدوائر المسؤولة فى حكومات الوطن ، وأن تشجع الجامعات على القيام به ، وأن تقوم على الاهتمام به المؤسسات القومية ، وأن ينشر فى الناس أو على الأقل يوزع على المعنيين والمسؤولين عن توجيه الرأى العام العربى من كتاب صحفيين ومعلقين بالإضافة إلى الرجال الرسميين والنواب والشيوخ وغيرهم

وهذا بالفعل ما تقوم به مثلا الحكومتان الأمريكية والبريطانية فى صلاتهما مع نواب الأمة وشيوخها والصحافة المحلية ووكالات الأنباء والمراسلين الأجانب والمدنيين السياسيين وغيرهم ، إذ أنها توفر لهم من حقائق الأوضاع السياسية فى الداخل والخارج ما تسمح المصلحة القومية بنشره ولا يدخل فى عداد ذلك طبعا التقارير السرية وما شابهها من المراسلات الدقيقة الخاصة

ومن أمثلة الحاجة الماسة إلى هذا النوع من توصيات السياسة الخارجية ما اختبره كاتب هذه السطور منذ بضعة أشهر

وقد حدثنى مؤخرا عربى مسئول يقوم بعمل سياسى هام فى منطقة حساسة على حدود إسرائيل بأنه كان منذ عامين أو أكثر يتلهف للحصول على معلومات عن بعض حقائق الوضع السياسى والاقتصادى والعسكرى اليهودى كما يعكسها الرأى العام اليهودى فى إسرائيل والخارج مما ينشر فى عشرات بل مئات النشرات والدراسات التى تصدر بالعبرية واللغات الأجنبية فى إسرائيل وفى أمريكا وبريطانيا . قال لى ذلك وهو عالم بأن اليهود يحصلون على جميع الصحف والمجلات والكتب العربية والإنتاج الفكرى العربى — بوسائلهم الخاصة وهى وسائل هينة — ويستعملونها فى دقة ومهارة لتوجيه مكرهم السياسى فى هيئة الأمم وفى لجان الهدنة العسكرية وفى أعمالهم الجاسوسية فى صميم البلدان العربية ، وفى توجيه إذاعاتهم العربية من راديو تل أبيب وفى بثهم للدعاية فى دخيلة البلدان العربية وفى تشويههم لسمعة العرب فى الصحف الأجنبية سواء عن طريق المراسلين الأجانب الذين يتخذون إسرائيل مركزا لهم ؛ أم عن طريق « مكاتب الدعاية اليهودية » فى نيويورك وواشنطون ولندن ونيودلهى وكثير من عواصم العالم

جرى هذا الحديث بينى وبين ذلك العربى المسؤول فى نيويورك فما كان منا إلا أن اتفقنا بضعة أيام استطعنا خلالها أن نجمع بصورة شرعية لا غبار عليها مئات من النشرات والكتب والصحف والتقارير عن إسرائيل باللغة العبرية والإنجليزية والفرنسية من بعض المكتبات التجارية فى نيويورك وواشنطون ومن مكاتب الدعاية اليهودية نفسها فى هذا القسم من العالم

وبعض هذه المواد يباع علنا وبعضها يمكن الحصول عليه عن

طريق الاشتراك الخاص ، وبعضها يوزع لمن يطلبه إذا اتبع بعض اللباقة وتفادى إثارة شكوك أولى الأمر اليهود ، وهم شعب حذر مرهف الحس فيما يتعلق بمصلحته ومراميه . فإذا توفر على دراسة هذه المادة جماعة من أهل الاختصاص استطاعوا أن يستبينوا كثيرا من تطورات الغش السياسي اليهودي في نطاقه المحلي وفي نطاقه العالمي كذلك ، وأن يتفادوا كثيرا من الأخطاء التي دفعنا إليها في صراعنا مع اليهود في إسرائيل نفسها وفي خارج إسرائيل

هذا مثل أحببت أن أورده في معرض الحديث عن هذا اللون من أساليب الاستنتاج المفيد لمجرى السياسة الدولية وطبيعة العلاقات الدولية ، كما توفرها الدراسات العلمية الحديثة للمقومات الخلقية والثقافية لمختلف الشعوب التي تؤلف هذه العائلة الإنسانية

وهذا اللون كما نرى جزء من حرب الأعصاب التي لا تنقطع حتى في آونة السلم أو في فترة الهدوء التي تسبق العاصفة

نيويورك **عمر حليق**

٨ - في الحديث المحمدي

للأستاذ محمود أبو رية

وضع الحديث وأسبابه :

كان من آثار تأخير تدوين الحديث إلى ما بعد المئة الأولى من الهجرة وصدر من المئة الثانية ، أن اتسعت أبواب الرواية وفاضت أنهار الوضع بغير ما ضابط ولا قيد ، حتى لقد بلغ ماروى من الأحاديث الموضوعة مئات الألوف لا يزال شئ كثير منها منبثا في الكتب المنتشرة بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

والحديث الموضوع هو المختلق المصنوع المنسوب إلى رسول الله (ص) زوراً وبهتانا سواءاً أكان ذلك عمداً أم خطأ ووضع الحديث على رسول الله كان — كما قال أحد الأئمة :— أشد خطراً على الدين وأنكى ضرراً بالمسلمين من تعصب أهل المشرقين والمغربين ، وأن تفرق المسلمين إلى شيعة ورافضة وخوارج ونصيرية الخ لهو أثر من آثار الوضع في الدين

قال المرتضى اليماني في كتابه إيثار الحق : إن معظم ابتداع المبتدعين من أهل الإسلام إنما يرجع إلى هذين الأمرين الواضح بطلانهما وهما الزيادة في الدين ، والنقص منه ، ومن أنواع الزيادة في الدين الكذب عليه

وقال النووي في شرح مسلم نقلا عن القاضي عياض :

الكاذبون حزبان : أحدهما — حزب عرفوا بالكذب في حديث رسول الله وهم أنواع؛ منهم من يضع مالم يقله (ص) أصلا كالزنادقة وأشباههم . . . إما حسبة بزعمهم وتدينا كجهلة المتعبدين الذين وضعوا الأحاديث في الفضائل والرغائب (١) وإما إغرابا وسمعة كفسقة المحدثين ، وإما تعصبا واحتجاجا كدعاة المبتدعة ومتعصبي المذاهب ، وإما إتباعا لهوى أهل الدنيا فيما أرادوه ، وطلب الفوز لهم فيما أتوه . ومنهم من لا يضع متن الحديث ولكن ربما وضع للمتن الضعيف إسناداً صحيحا مشهورا . ومنهم من يقلب الأسانيد أو يزيد فيها ويتعمد ذلك إما للاغراب على غيره ، وإما لدفع الجهالة عن نفسه . ومنهم من يكذب فيدعى سماع مالم يسمع ولقاء مالم يلق . ومنهم من يعمد إلى كلام الصحابة وغيرهم وحكم العرب والحكماء فينسبها إلى النبي (ص)

وقال العلامة السيد رشيد رضا في تفسير المنار (٢)

« إن العابثين بالإسلام ومحاولى إفساد المسلمين وإزالة ملكهم من زنادقة اليهود والفرس وغيرهم من أهل الابتداع وأهل العصبيات العلوية والأموية والعباسية قد وضعوا أحاديث كثيرة افتروها، وزادوا في بعض الآثار المروية دسائس دسوها، وراج كثير منها بإظهار رواتها للصلاح والتقوى، ولم يعرف بعض الأحاديث الموضوعة إلا باعتراف من تاب إلى الله من واضعيها . ولقد كان الأستاذ الإمام محمد عبده يقول: « إن الإسلام الصحيح

(١) سنتكلم في آخر المقال عن الوضاع الصالحين
(٢) ص٥٠٦٠ ج ٩

هو ما كان عليه أهل الصدر الأول قبل ظهور الفتن »

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: إن أصل الكذب في أحاديث الفضائل كلها من جهة الشيعة، فإنهم وضعوا في مبدإ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم (على) حملهم على وضعها عداوة خصومهم . . . فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث

ولوضع الحديث والكذب على رسول الله (ص) أسباب كثيرة ذكرها المحدثون ، جمعها السيد رشيد رضا ونشرها في مجلة المنار [3] وها هي ذي : (أحدها) وهو أهمها ما وصفه الزنادقة اللابسون لباس الإسلام غشا ونفاقا وقصدهم بذلك إفساد الدين [4] وإيقاع الخلاف والافتراق في المسلمين . قال حماد بن زيد ، وضعت الزنادقة أربعة آلاف حديث — وهذا بحسب ما وصل إليه علمه واختباره في كشف كذبها ، وإلا فقد نقلوا أن زنديقا واحدا وضع هذا المقدار . قالوا : لما أخذ ابن أبي العوجاء ليضرب عنقه قال : وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحلل الحرام (ثانيها) الوضع لنصرة المذاهب في أصول الدين وفروعه ، فإن المسلمين لما تفرقوا شيعا ومذاهب جعل كل فريق يستفرغ مافي وسعه لإثبات مذهبه ولاسيما بعد ما فتح عليهم باب المجادلة والمناظرة في المذاهب ، ولم يكن المقصود من ذلك إلا إفحام مناظره والظهور عليه حتى أنهم جعلوا (الخلاف) علما صنفوا فيه المصنفات، مع أن دينهم ما عادى شيئا كما عادى الخلاف . . تاب رجل من المبتدعة فجعل يقول : انظروا عمن تأخذون هذا الحديث ، فإنا كنا إذا هوينا أمرا صيرناه حديثا. وليس الوضع لنصرة المذاهب محصورا في المبتدعة وأهل المذاهب في الأصول ، بل إن من أهل السنة المختلفين في الفروع من وضع أحاديث كثيرة لنصرة مذهبه أو تعظيم إمامه سوف نذكر ونبين الكثير منها في موضعه إن شاء الله . وإليك الآن حديثا واحدا وهو « يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتي من إبليس ويكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي ! وقد رواه الخطيب عن أبي هريرة مرفوعا . قالوا : وهذا الإفك لا يحتاج إلى بيان بطلانه ، ومع هذا نجد الفقهاء المعتبرين يذكرون في كتبهم الفقهية شق الحديث الذي يصف أبا حنيفة بأنه سراج الأمة . . [5] (ثالثها) الغفلة عن الحفظ اشتغالا عنه بالزهد والانقطاع للعبادة ، وهؤلاء العباد والصوفية يحسنون الظن بالناس ويعدون الجرح من الغيبة المحرمة ، ولذلك راجت عليهم الأكاذيب وحدثوا عن غير معرفة ولا بصيرة . . (رابعها) قصد التقرب من الملوك والسلاطين والأمراء . . وكما كذب علماء السوء على الرسول (ص) لأجل السلاطين كذبوا كذلك في وضع الأحكام والفروع الفقهية لأجلهم (خامسها) الخطأ والسهو — وقع هذا لقوم. ومنهم من ظهر له الصواب ولم يرجع إليه أنفة واستنكافا أن ينسب إليهم الغلط . ولم تعرف رقة دين هؤلاء وعدم إخلاصهم في الاشتغال برواية الحديث إلا بعد ما وقع لهم ما وقع (سادسها) التحديث عن الحفظ ممن كانت لهم كتب يعتمد عليها فلم يتقن الحفظ فضاعت الكتب فوقع في الغلط [6] (سابعها) اختلاط العقل في آخر العمر، وقع هذا لجماعة من الثقات فكانوا معذورين دون من سلم بكل ما نسب إليهم من غير تمييز بين ما روى عنهم في طور الكمال والعقل وبين ما روى في طور الاختلاط والهرم (ثامنها) الظهور على الخصم في المناظرة ولاسيما إذا كانت في الملأ . قال ابن الجوزي : ومن أسباب الوضع ما يقع ممن لا دين له عند المناظرة في المجامع من الاستدلال على ما يقوله كما يطابق هواه تنفيقاً لجداله وتقوعا لمقاله واستطالة على خصمه ومحبة للغلب وطلبا للرياسة وفراراً من الفضيحة إذا ظهر عليه من يناظره (تاسعها) إرضاء الناس

---

(٣) ص ٥٤٥ – ٥٤٧ – ٥٦٩ – ٥٧٢ ج ٣

(٤) كان للسيد رشيد أن يضع بين هؤلاء الذين لبسوا لباس الإسلام غشا ونفاقا مسلمة أهل الكتاب مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما

(٥) اضطرت الشافعية إزاء ذلك إلى أن يرووا في إمامهم حديثا يفضلونه على كل إمام وهذا نصه : ان رسول الله قال : اكرموا قريشا فان عالمها يملأ طباق الأرض علماً . ، وانصار الإمام مالك وضعوا له هذا الحديث (يخرج الناس من المشرق إلى المغرب فلا يجدون عالما أعلم من عالم أهل المدينة) وثم حديث آخر عن أبي هريرة بهذا المعنى...راجع كتاب (الانتقاء) لابن عبد البر

(٦) هؤلاء كما قال ابن عساكر في تاريخه : تارة يرفعون المرسل ويسندون الموقوف وتارة يقلبون الإسناد وتارة يدخلون حديثا في حديث ص ١٠ ج ٢

وابتغاء القبول عندهم واستمالتهم لحضور مجالسهم الوعظية وتوسيع دائرة حلقاتهم وقد ألصق المحدثون هذا السبب بالقصاص . . ونقول إن قصاص هذا الزمان قد اتبعوا خطوات أولئك الوضاع وحفظوا أكاذيبهم — فقلما نرى واعظا يحفظ الصحاح وتراهم يكادون يحيطون بالموضوعات . . لأن معظمها خرافات وأوهام وتجرئ على المعاصي بالأماني والتشهي . . (عاشرها) شدة الترهيب وزيادة الترغيب لأجل هداية الناس . ولعل الذي سهل على واضعي هذا النوع من الأحاديث المكذوبة هو قول العلماء : إن الأحاديث الضعيفة يعمل بها في فضائل الأعمال . . وكأنهم رأوا أن الدين ناقص يحتاج إلى إكمال وإتمام (حادي عشرها) إجازة وضع الأسانيد للكلام الحسن ليجعل حديثا ؛ ذكروا هذا سببا مستقلا وهو يدخل فيما سبقه (ثاني عشرها) تنفيق المدعى للعلم لنفسه على من يتكلم عنده إذا عرض البحث عن حديث ووقع السؤال عن كونه صحيحا أو ضعيفا أو موضوعا ، فيقول من في دينه رقة وفي علمه دغل هذا الحديث أخرجه فلان وصححه فلان ، ويسند هذا إلى كتب يندر وجودها ليوهم أنه مطلع على ما لم يطلع عليه غيره ، أو يخلق للحديث إسنادا جديدا قالوا : وربما لم يكن قد قرع سمعه ذلك اللفظ المسئول عنه قبل السؤال . وهذا نوع من أنواع الوضع وشعبة من شعب الكذب على رسول الله (ص) وقد يسمعه من لم يعرف حقيقة حاله فيعتقد صحة ذلك وينسبه إلى رسول الله (ص) . وختم السيد رشيد رحمه الله هذه الأسباب بقوله :

والحاصل أن الثابت من الدين نقلا بطريق القطع هو القرآن والأحاديث المتواترة وقليل ما هي وما كان عليه أهل العصر الأول من العمل الذي يتعلق بالعبادة ، إذ العبادات وأساسها من العقائد وتهذيب الأرواح هو الذي كمل على عهد النبي (ص) جملة وتفصيلا . وأما المعاملات والأمور القضائية فقد جاءت الشريعة بأصولها العامة وقواعدها الكلية . والجزئيات تجرى على ما قال أحد الأئمة : « تحدث للناس أقضية الخ »

الوضع بالإدراج

وقد يأتي الوضع من الراوي للحديث من غير قصد وعدوا ذلك من باب (الإدراج) والحديث المدرج ما كانت فيه زيادة ليست منه ، والأمثلة في ذلك كثيرة نكتفي منها بحديث واحد وهو « أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم — فضيقوا مجاريه بالجوع . ذكره الغزالي في الإحياء . وقد قال العراقي — متفق عليه دون فضيقوا مجاريه بالجوع ؛ فإنه مدرج من بعض الصوفية

وقد ذكروا أن (الإدراج) نوعان : إدراج في المتن وإدراج في الإسناد (ومدرج المتن) ثلاثة أقسام (الأول) في أول الحديث مثل : أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار (والثاني) في أثنائه وهو كثير مثل حديث (مس الذكر) (والثالث) في آخره وهو القلب المشهور كما في حديث الكسوف في الصحيح وهو « أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته . فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة » قال العراقي إن هذه الزيادة لم يصح نقلها فيجب تكذيب قائلها

وأما الإدراج في السند فيرجع إليه في مظانه من كتب القوم لأنه من فنهم

وهناك أسباب أخرى للوضع ذكرها المستشرقون والباحثون في الدين الإسلامي من غير المسلمين أمسكنا عن ذكرها إيثاراً للإيجاز . ومن يرد معرفتها يرجع إليها عندهم

الوضاع الصالحون

تبين مما ذكرناه في أسباب الوضع أن الكذب على رسول الله (ص) لم يكن مقصورا على أعداء الدين وأصحاب الأهواء من المسلمين ؛ بل كان يقع كذلك من العباد الصالحين ويجعلون ذلك حسبة في زعمهم ويحسبون أنهم بعملهم هذا يخدمون رسول الله ودينه ، فكانوا إذا سألهم سائل ، كيف تكذبون على رسول الله ؟ قالوا « إنا نكذب له لا عليه ! وإن الكذب على من تعمده » !

وقد روى مسلم في صحيحه عن يحيى بن سعيد القطان قال : لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث . وفي رواية لم نر أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث . قال مسلم يعني أنه يجرى الكذب على لسانهم ولا يتعمدون الكذب

مولانا محمد على

رئيس الجمعية الأحمدية لنشر الإسلام — لاهور — الباكستان

للاستاذ على محمد سرطاوى

تمهيد :

« قدمنا لقراء الرسالة مولانا محمد على فى مقال ترجمناه له عن مجلة (ليت) الإسلامية التى تشرف عليها الجمعية الأحمدية فى لاهور ، تقدمياً مختصراً ، ووعدنا بكتابة مقال مفصل عن حياته المجيدة المباركة ...

أما وقد بر بوعده صديق الباكستانى السيد حسين تصدق القادرى ، فأمدنى بما وصل إليه من لاهور عن مولانا محمد على ، فإنه ليشرفنى أن أقدم على صفحات مجلة الرسالة الخالدة ، أعظم المعاصرين خدمة للاسلام ، وأقوى مبشر على الاضطلاع بجلائل الأمور

والذين تقع فى أيديهم ترجمة مولانا محمد على لمعانى القرآن إلى الإنجليزية ، وهى تزيد على ألف وثلثمائة صفحة من القطع الكبير قلما خطر لهم أن هذا العمل قد استغرق سنوات عشرا كان يشتغل فى كل يوم منها ساعات تزيد فى عددها على نصف مجموع ساعات الليل والنهار ، وأنه استغرق فى ترجمة معانى القرآن إلى الأردية سنوات سبعا طويلة أخرى ، وكان حفظه الله إذا ما أجهده العمل جالسا ، راح يعمل واقفا وراء منضدة مرتفعة عملت خصيصا لهذه الغاية

إننا ندعو إلى إقامة حفلة تكريمية رائعة لمولانا محمد على لمناسبة مرور نصف قرن على تطوعه مجاهدا بقلمه تحت راية الإسلام ، ونقترح أن تقام فى أرض عربية وأن يدعى عظيم المسلمين إلى ذلك الحفل البهيج ، من لاهور تقديرا لجهاده وإعجابا ببطولته ، وأن يطلق اسمه الكريم على كرسى إحدى الجامعات فى البلاد العربية للدراسات الإسلامية

قال النووى : لكونهم لا يعانون صناعة أهل الحديث فيقع الخطأ فى رواياتهم ولا يعرفون ، ويروون الكذب ولا يعلمون أنه كذب

وروى مسلم عن أبى الزناد : أدركت بالمدينة مئة كلهم مأمون ، ما يؤخذ عنهم الحديث . وقال إسماعيل بن إدريس سمعت خالى مالكا يقول : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ! لقد أدركت سبعين ممن يقول ، قال رسول الله عند هذه الأساطين فما أخذت عنهم شيئا لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن

وقال الحافظ ابن حجر : وقد اغتر قوم من الجهلة فوضعوا أحاديث الترغيب والترهيب وقالوا نحن لم نكذب عليه بل فعلنا ذلك لتأييد شريعته ! وما دروا أن تقويله (ص) مالم يقل يقتضى الكذب على الله تعالى لأنه إثبات حكم من الأحكام الشرعية سواء كان فى الإيجاب أو الندب ، وكذا مقابلهما وهو الحرام المكروه ، ولا يعتد بمن خالف ذلك من الكرامة حيث جوزوا وضع الحديث فى الترغيب والترهيب فى تثبيت ما ورد فى الكتاب والسنة ، واحتجوا بأنه (كذب له لا عليه) وهو جهل باللغة العربية (٧)

وقال عبدالله النهاوندى ، قلت لغلام خليل من أين لك هذه الأحاديث التى تحدث بها فى الرقائق ؟ فقال وضعناها لنرقق بها قلوب العامة. وقد قال ابن الجوزى عن غلام خليل هذا إنه كان يتزهد ويهجر شهوات الدنيا ويتقوت الباقلاء صرفا وغلقت أسواق بغداد يوم موته . وكان أحمد بن محمد الفقيه المروزى من صلب أهل زمانه فى السنة ، وأكثرهم مدافعة عنها ، ويحقر كل من خالفها ، وكان مع ذلك يضع الحديث ويقلبه

والأمثلة كثيرة جدا

وقد قال الملاتى : أشد الأصناف ضررا أهل الزهد كما قال ابن الصلاح كذا المتفقهة . وأما باقى الأصناف كالزنادقة فالأمر فيهم سهل لأن كون تلك الأحاديث كذبا لا يخفى إلا على الأغبياء

المنصورة — للكلام صلة — محمود أبو رية

---

(٧) ص ١٦١ ج ١ فتح البارى

ومولانا محمد على التقى الورع الذى ما انقطع عن اداء صلواته الخمس منذ كان صبيا فى المدرسة ، وعن صلاة التهجد من الساعة الثانية حتى مطلع الفجر منذ كان فى الرابعة والعشرين حتى اليوم ، وعن العمل المتواصل ليـل نهار دون نصب فى نشر مبادئ الإسلام ، مثل من أمثلة القدرة الإلهية حين تشاء أن يتم عن طريق البشر ما ليس فى استطاعتهم من المعجزات

ويشاء الله أن يرى مولانا محمد على الحلم الرائع فى سيطرة الإسلام على المبادئ التى يشقى البشر فى ظلالها فى أوروبا وأمريكا. وسيتم على يد مبادئ الإسلام تحرير الملايين العشرة من العبيد المعذبين فى أمريـكا الذين لم يستطع ابراهيم لنـكولن اليهودى ، تحريرهم فى حركته التى لم ترم إلا لبسط ظل اليهود على المسيحيين هناك ؛ وسيرى تحرير المعذبين من المنبوذين فى الهند ، سوف يرى المبادئ الفاسدة ، والديانات الوثنية فى طقوسها ، والمادية المجرمة التى تطحن كالرحى روحانية النفوس ، تسقط فاقدة الحياة على أقدام المبادئ المثالية الخالدة فى الدين الإسلامى الحنيف

ولعمر الحق أن لجوء ألمانيا الغربية فى حل المعضلة التى خلقتها الحربان العالميتان المتتاليتان فيهامن كثرة النساء وقلة الرجال ، إلى السماح بالزواج بأكثر من واحدة زواجا شرعيـا ، على الطريقة التى حل بها الإسلام المشكلة نفسها فى صدر الجهاد ، لنصر كبير لمبادئ الدين الحنيف الخالد

لقد آن الأوان أن يهب المسلمون فى بقاعهم المختلفة ، يعرضون فى سوق المبادئ ، باللغات البشرية جميعها ، ما عندهم من مثل رائعة ، ومبادئ سامية ، وإنسانية صحيحة ، وديمقراطية نقية ومساواة تامة ، واشتراكية عادلة ، على العالم المهووس الذى يلفظ أنفاسه فى ضجيج الآلات وانفجار القنابل الذرية

ولقد آن للأزهر أن يستيقظ من سبات ألف سنة ، وأن يشمر عن ساعد الجد ويتقدم إلى معركة الجهاد الصحيح ، ويدخل فى مناهجه تدريس عشر لغات على الأقل من لغات البشر المشهورة تدريسا متقنا؛ بحيث يكون فى مقدور خريجى قسم الدعاية الـكتابة والخطابة والتحدث بسهولة عظيمة مع أصحاب هذه اللغات متى جاء دورهم للجهاد

إن البشرية مشرفة على الفناء ، والإنسان الذى يشاهد غريقا ولا يمد له يد المساعدة ، وهو يستطيعها؛ إنما هو إنسان غير كريم، والنبى العربى لم يخلق إلا ليتمم مـكارم الأخلاق ، فأدوا هذه الرسالة الأخلاقية الإنسانية أيها المسلمون

وإذا قدر للصفحات التاليـة التى تفضلت الرسالة الغراء ، بنشرها ، عن حياة مولانا محمد على ، أن تظهر للذين يقاومون المنـكر بأضعف الإيمان ، مايصنع الإيمان الصحيح من المعجزات عن طريق العمل الخالص لوجهه تعالى ، فقد وفقت إلى بعض ما ذهبت إليه فى نشرها على المؤمنين . ومن يدرى ؟ فلعل ما فيها من حقائق تدفع العرب وهم مادة الدين إلى تأسيس الجمعيات التى تبشر بمبادئ الدين فى الأقطار البعيدة ، أسوة بالجمعية الأحمدية فى لاهور

وأتوجه ، وأنا فى نهاية هذا التمهيـد إلى حياة مولانا محمد على ، بالدعاء إلى الله أن يمد الله فى عمره المبارك المجيد ، وأن يجزيه خير الجزاء على ما قدم من خير للاسلام ، وأن يحفظ الله الدولة الإسلامية الجبارة الفتية الباكستانية ، وأن يمـكن لها فى الحياة ويعزها بالنصر ، ويـكلأها بعنايته . كما أتوجه بالشـكر الجزيل للأستاذ محمد طفيل كاتب هذا المقال الرائع عن مولانا محمد على ، الأستاذ العلامة الباكستانى السكرتير المساعد للجمعية الأحمدية فى لاهور الذى نشره فى مجلة (ليت) عدد (أيار ٢٤ عام ١٩٤٩)

لا مشاحة فى أن الحركة الأحمدية فى التاريخ مدينـة إلى مولانا محمد على فى الاتجاه الذى رسمه لها فسارت نحوه فى خطوات وئيدة راسخة . ومن المحقق أنها كانت تكون حركة تختلف عما هى عليه الآن ، لو لم يـكن فجرها الذى أشرق على الظلام الذى اكتنفها فى الوجود ، إذ ورث عن مؤسس القاديانية ميرزا غلام أحمد حلمه الرائع العظيم فى سيطرة الإسلام على جميع بقاع أوربا وأمريـكا

ومن المحتمل أن يـكون قد ولد ، ذلك الغلام الذى قدر له أن يترجم معانى الـكتاب المعجز الخالد إلى الإنجليزية فى قرية مرار الصغيرة التابعة لحـكومة كابور ثالا فى الهند . ويتصل نسبه بأسرة عريقة فى حسبها ونسبها، فهو الابن الخامس لحافظ فاتح الدين

زعيم القرية المذكورة

وحينما بلغ الخامسة من عمره ، أرسله أبوه مع أخيه مولانا عزيز بوخاش إلى المدرسة القريبة فى قرية دباليور المجاورة ، وكان أخوه أكبر منه بأربع سنين أو خمس وبعد مرور سنوات ثلاث عليهما فى هذه المدرسة ، أرسلا إلى المدرسة العليا فى كاربو ثالا وبقيا فيها حتى أتما الدراسة الثانوية عام ١٨٩٠

وامتازت حياته فى المدرسة بالذكاء والجد . وحينما كان يرجع إلى مسقط رأسه فى مرار لقضاء عطلة الصيف كل سنة ، كان يحرص على مشاركة القرويين فى ألعابهم ؛ ولا سيما فى اللعبة التى كان يحب ممارستها كثيراء ألا وهى لعبة « الكبادى » . وكان إذا عاد إلى المدرسة يلعب « الكركيت » وبعض الألعاب الأخرى

وقد امتاز فى هذا الوقت من عمره بالميل الشديد إلى الصدق والاستقامة فى العمل والقول ، والسير فى ركاب الفضيلة والخلق القويم

ولم يتعلم تجويد القرآن وتلاوته قبل الذهاب إلى المدرسة ، ولكنه انصرف إلى إتقان ذلك من تلقاء نفسه ، فعكف على القراءة وصبر على احتمال الصعوبات حتى أصبح يجيد التلاوة والتجويد

ولما أتم دراسته الثانوية ، كانت رغبة أبيه تتركز فى أن يتمم دراسته الجامعية على الرغم من سوء حالته المادية ، ولكنه استعان على كل ذلك بالصبر والجلد والعزيمة وأرسله إلى الجامعة فى لاهور

وقضى هناك خمس سنوات فى الدرس المتواصل والاجتهاد فنال درجة بكالوريوس فى العلوم عام ١٨٩٤ ودرجة أستاذ فى العلوم عام ١٨٩٥

وامتاز فى دراسته الجامعية ، كما امتاز فى دراسته الثانوية ، بالذكاء والنبوغ ، وكان موضع إعجاب الجامعة بأسرها . وقد اختار اللغة العربية وتعمق فى دراستها الجامعية ، دون أن تكون من مواضيع اختصاصه ، إذ كان الأول فى الرياضيات فى جامعة البنجاب وحينما طلب مرة شهادة من أحد أساتذته كتب له فيها :

(أنه أحسن طالب فى الرياضيات فى جامعتنا)

وبعد حصوله على شهادة البكالوريوس فى العلوم ، أخذ يستعد للحصول على شهادة الأستاذية فى العلوم ، فاختار اللغة الإنجليزية وتخصص فيها وعكف على دراسة آدابها فبلغ فى ذلك شأوا بعيدا ، وكان من بين الطلاب الخمسة الذين حصلوا على هذه الشهادة من جامعة البنجاب من مجموع ثلاثة وعشرين طالبا تقدموا للحصول عليها

والغريب فى حياته الجامعية ، أنه لم يشترك فى أى نشاط أدبى مهما كان نوعه ، ولم يكتب فى تلك الجامعة أى موضوع للنشر ، ولم يرتق منصة الخطابة للتحدث عن أى موضوع ، وأكثر من ذلك لم تبدر منه أية بادرة تدل على تلك الثروة الأدبية الرائعة المخزونة فى ذكائه النادر ، والتى قدر لها فى مستقبل حياته أن تصنع المعجزات فى خدمة الدين الحنيف . إنما كان منصرفا إلى الألعاب الرياضية فى أوقات فراغه فى الجامعة ولا سيما لعبتى الكركيت وكرة القدم . وحتى هذا الهدف وهو فى الخامسة والسبعين من عمره السعيد المجيد المبارك ، يخرج فى الصباح مبكرا للسير مسافات لا يستطيعها من كان فى مثل سنه ، وإلى هذا الميل إلى الرياضة ، يعزى السبب الأول فى تمتعه بالصحة الجيدة فى عمر من هذا النوع

وبعد اجتيازه امتحان البكالوريوس فى العلوم اختارته الكلية الإسلامية فى لاهور أستاذا للرياضيات فيها ، وهو لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره ، وهو لا يزال مرتبطا بجامعة البنجاب فى استعداده على فحص الأستاذية فى العلوم . وحينما حصل على الشهادة الأخيرة ، التحق بكلية الحقوق فى الجامعة نفسها وكان الثانى والأول والثالث فى ترتيبه فى امتحانات السنوات الثلاث فى القانون فى تلك الجامعة ، وبذلك حصل على شهادة الحقوق بامتياز

وفى عام ١٨٩٧ ترك التدريس فى الكلية الإسلامية وانضم إلى مدرسة اللغات الشرقية فى لاهور وبقى أستاذا فيها حتى عام ١٩٠٠ وحين ترك عمله فى هذه المدرسة ليتمرن على المحاماة فى جوردا سيور اتجه اتجاها جديدا لم يدر له على خاطر أو يمر له على بال . ذلك أنه أمضى فى تمرينه فى تلك المدينة ثلاثة أشهر ، ولكنه ترك ذلك

العمل استجابة لرغبة ميرزا غلام أحمد القادياني مؤسس الحركة الأحمدية (١) في التاريخ عام ١٨٩٠ ، لرأس تحرير مجلة (ريفيو أف ريلجن) التي أزمع تأسيسها لحمل رسالة الإسلام إلى أوربا وأمريكا

وترجع صلة مولانا محمد على بمؤسس الأحمدية إلى عام ١٨٩٢ حينما زار حضرة مرزا غلام أحمد مدينة لاهور ، فذهب الشقيقان لزيارته ، لكثيرة ما كان يصل إلى مسامعهما في قريتهما من أخبار صلاحه وتقواه ، تلك القرية التي لم تكن لتبعد عن (قاديان) مسقط رأس المجدد غير عشرين ميلا . وقد سمعا من حديثه أن الوقت قد حان لسيطرة الإسلام على بقاع الأرض بأسرها، متأثرا بدعوته تأثرا عميقا

وفتحت هذه الحادثة صفحة جديدة في حياة مولانا محمد على ولو لم يقدر له التاريخ الاتصال بشخصية مؤسس الحركة الأحمدية الجبارة والتأثر بها ، لما كان أعظم شخصية حية الآن في عمق الاطلاع على الدين الإسلامي .

وبعد انضمامه إلى الحركة الأحمدية ، بقى ثلاث سنوات في لاهور ، كان يزور فيها قاديان وينقل إلى اللغة الإنجليزية النشرات والكتب التي كانت تصدر عن مرزا غلام أحمد

وكان الوصول إلى قاديان في تلك الأيام عسيرا جدا ؛ لأنها كانت تبعد اثنى عشر ميلا عن باتالا ، أقرب محطة لسكة الحديد ، ولأن قطع هذه الأميال صعب جدا لوعوثة الطريق ، ولكن مولانا محمد على ، كان على الرغم من ذلك ، يذهب أيام السبت من كل أسبوع في صحبة بعض الأصدقاء سيرا على قدميه ، ويعود صباح الأحد لمواصلة أعماله في الكلية

وحينما أراد العمل في المحاماة ، التمس النصح والإرشاد من المجدد ، فأشار عليه أن يتريث قليلا في الأمر ، لأنه يفكر في إصدار مجلة تحمل رسالة الإسلام إلى أوروبا وأمريكا ، وأنه يرغب في أن يتولى تحرير المجلة والإشراف عليها ، فاستجاب للرغبة الكريمة ، وأقلع عن فكرة الاشتغال بالقانون ، وعكف على عمله الجديد بكل ما أوتى من عزيمة ، كان يغذيها الإيمان العميق بالرسالة السامية التي وقف حياته عليها ، وأخذ الذكاء الجبار الحبيس ، يتحرك في النفس العظيمة المؤمنة ، وراحت العبقرية الفذة تنطلق إلى آفاق العمل بأجنحة من نور ، ومضت المقالات المركزة تتحرك إلى ميادين المعارك في أوروبا وأمريكا ، تحمل في طياتها ، بلغة إنجليزية أنيقة ، يطل من وراء كلماتها خيال شرقي رائع جميل ، لإقناع العالم بما في الإسلام من جمال وروعة وحلول عملية لأعقد مشاكل الحياة ، ولقد مرت عليه خمسون سنة وهو لا يكل ولا يمل في هذا العمل المجيد الذي، كان توفيق الله حليفه فيه

البقية في العدد القادم

علي محمد سرطاوي

(١) سنقدم لقراء الرسالة بحثاً مفصلا عن الحركة الأحمدية في التاريخ ومؤسسيها متى تم إعداده

بريطانيا العظمى

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

(تابع)

تفويضه الهي

فى ١٦٠٣ انتهى عصر أسرة تيودور بموت الملكة العذراء اليصابات وبدأ عصر أسرة استيورت باعتلاء جيمس الأول عرش بريطانيا ، وبدأ كذلك نضال عنيف بين الملك والبرلمان

كان جيمس يؤمن بنظرية التفويض الإلهي ومعناها أن الملك مولى من قبل الله تعالى وليس لأحد من رعاياه محاسبته على أعماله وتصرفاته ، وكان جيمس يستند فى ادعائه على ما جاء فى الكتاب المقدس من قول الله تعالى « بأمرى ونيابة عنى يحكم الملوك ويقوم المستشارون بوضع القوانين العادلة ويحكم الأمراء » . وكذلك جاء فى العهد القديم « شخص الملك مقدس وأى اعتداء عليه إثم عظيم ، إن الملوك يجب أن ينظر إليهم كأشياء مقدسة، ومن يهمل فى المحافظة عليهم يستحق الموت ... إن الملك ظل الله الذى يجلس على عرشه فى السموات ويدير شؤون الكون . أيها الملوك باشروا سلطاتكم بشجاعة لأنها مقدسة وضرورية لحياة الإنسان ، ولكن باشروها فى تواضع ورحمة . »

وهكذا آمن جيمس بسلطانه المطلق ، ولكن البرلمان لم يوافقه فيما ذهب إليه وأصر أعضاؤه على الاحتفاظ بحقوقهم وقدموا إلى الملك عريضة جاء فيها :

« إن حقوقنا وحرياتنا موروثة وهى لا تقل خطرا ولا شأنا عن أملاكنا وأموالنا التى نتوارثها . إن صوت الشعب فى الأمور التى يصل إليها إدراكه من صوت الله . » ، واختتموا عريضتهم قائلين : « إن عنايتنا يجب أن تعمل على تثبيت حب الشعب والتفاف قلوبه حول عرش جلالتكم ، وإن ولاء النواب وحبهم لجلالتكم قوى مكين . »

ولكن جيمس غضب ، وبدأ النضال ، وزاد المسألة سوءا أن ملوك أسرة استيورت كانوا يؤمنون بمذهب كنيسة إنجلترا الأسقفى ظاهرا ، ويبطنون إيمانهم بالمذهب الكاثوليكى الذى كان الشعب يكرهه

وقد كانت الأزمة المالية العامل الأول فى قيام النزاع ، فقد أراد جيمس أن يفرض الضرائب على الشعب ولكن النواب احتجوا وقرروا أن فرض الضرائب حق من حقوقهم وطلبوا أن يناقشوا ميزانية الدولة . وتساءل النواب الساخطون هل للملك حق فرض الضرائب دون موافقتهم ؟ ومن الذى يجب أن يشرف على ميزانية الدولة ؟ أهو الملك أم البرلمان ؟ وكان على الشعب أن يجيب إن عاجلا أو آجلا ، وبطريق السلم أو بطريق الحرب

وقد مات جيمس الأول ١٦٢٥ وأجيب عن الأسئلة السابقة بوضوح وجلاء فى عصر ابنه شارل الأول الذى تولى بعده

وأحب قبل أن أتحدث عن شارل الأول أن أجيب عن السؤال التالى : « لماذا كانت إنجلترا أسبق الأمم الأوربية إلى تقييد سلطة مليكها وإخضاعه لإشراف البرلمان، وإلى منح أفراد شعبها حرياتهم المدنية، وإلى تحرير نفسها من سلطان الكنيسة فى روما ؟ »

يجيب بعض المؤرخين على ذلك بقولهم إن الشعب البريطانى والجنس التيوتونى يمتاز بحبه لحريته المدنية ورغبته فى أن يحكم نفسه بنفسه . ويقول مؤرخون آخرون إن موقع إنجلترا بمنأى عن القارة الأوربية لم يجعلها فى حاجة إلى الاحتفاظ بجيش قوى للدفاع عن نفسها ضد غزو محتمل ، ويؤمن هؤلاء المؤرخون بأن ازدهار التجارة فى عصر اليصابات وجيمس وانتشار الرخاء كانا من أهم العوامل التى ساعدت على قيام النضال البرلمانى فى عصر أسرة استيورت

شارل الاول : ١٦٢٥ - ١٦٤٩

كان شارل كأبيه يؤمن بالحق الملكى المقدس ولذلك كرهه الشعب وساعد على ازدياد كراهيته له زواجه من أميرة فرنسية ، وسرعان ما قام النضال بينه وبين البرلمان وكان محور النزاع « من صاحب السيادة فى إنجلترا ؟ أهو الملك أم البرلمان ؟ » .

وكان سبب قيام النزاع مسألة فرض الضرائب ، فقد قام شارل بعدة حروب جملته فى حاجة إلى المال ، وقد رفض النواب موافقة الملك على فرض ضرائب جديدة فاضطر إلى حل البرلمان مرتين فى ثلاث سنوات واضطر إلى عقد قروض إجبارية ، على أن الأزمة المالية لم تحل واضطر الملك عام ١٦٢٨ إلى دعوة البرلمان،

وأبى النواب الموافقة على الضرائب الجديدة إلا بعد مصادقة الملك على ملتمس الحقوق ١٦٢٨ وفيه اعترف الملك للشعب بالحقوق الآتية :

أولا : لا يجوز للملك فرض ضرائب جديدة على الشعب بدون موافقة البرلمان

ثانيا : ليس للملك حق عقد قروض إجبارية

ثالثا : ليس للملك أن يسجن أى فرد إلا بعد محاكمته أمام محكمة قانونية

رابعا : ليس للملك أن يرغم أحداً على إيواء الجند

ويعتبر ملتمس الحقوق الوثيقة الثانية فى تاريخ الديمقراطية البريطانية

حكم مطلق :

وعلى رغم توقيع شارل الأول لملتمس الحقوق فإنه ظل يجمع الضرائب بطرق غير قانونية ولم يحترم ملتمس الحقوق ، واحتج النواب. ولما رأى شارل إصرارهم فض البرلمان ولمدة إحدى عشرة سنة ظل يحكم بدونه ، وتعرف هذه الفترة بفترة الحكم المطلق . لكن النواب قاوموه وأعلنوا أن من يدفع ضرائب لم يقرها البرلمان يعتبر خائنا لوطنه، فاضطر الملك إلى القبض على زعمائهم وإلقائهم فى غياهب السجون لامتناعهم عن الدفع ، ومع ذلك لم يستسلموا ؛ وكان من أشهرهم جون همبدن

ومن أشهر الضرائب التى لجأ شارل الأول إلى فرضها فى تلك الفترة ضريبة السفن وهى تعطينا فكرة عن مدى حاجة الملك إلى المال وعن مدى مقاومة الشعب له . كانت ضريبة السفن فى أول أمرها عبارة عن بعض السفن تقدمها الموانى للدولة أثناء الحرب . فرض شارل هذه الضريبة على الموانى ولكنه أمر أن تستبدل السفن بالنقود ثم عممها ، فبعد أن كانت قاصرة على الموانى أمر الملك بجمعها من المدن الداخلية ، ولكن النواب (أعضاء البرلمان المنحل) رفضوا الدفع وطلبوا من الناس أن يمتنعوا عن دفعها كذلك ففعلوا وقبض الملك على همبدن وأعوانه وسجنهم ، فلم يلينوا ولم يضعفوا وذهب همبدن مثلا للبطولة البريطانية

وفى ١٦٤٠ اشتدت حاجة الملك إلى المال بسبب حروبه مع اسكتلندا فاضطر إلى دعوة البرلمان للموافقة على الضرائب، ولكن البرلمان ناوأ الملك مما اضطره إلى فضه ، ويعرف هذا البرلمان بالبرلمان القصير

لكن الملك عجز عن تسيير دفة الحكم واضطر إلى دعوة برلمان آخر عرف باسم الطويل ١٦٤١ - ١٦٥٣) . اجتمع هذا البرلمان ووجه كل همه للقضاء على أعوان الملك ، فقبض على لورد سترافورد ولود وأعدمها ثم قبض على السلطة وألغى غرفة النجم وطلب أن يكون هو المتصرف فى كل شىء ؛ يعين الوزراء ويقيلهم وكذلك يعين قواد الجيش ، ولكن الملك رفض قائلا « إنى لو منحتكم (النواب) ما تطلبون فلن أكون إلا ملكا بالاسم . »

حاول الملك التخلص من النواب واسترداد سلطته فانتهز فرصة الخلاف بين أعضاء المجلس وذهب إلى دار البرلمان للقبض على زعماء المعارضة؛ ولكن المحاولة فشلت واندلعت نيران الثورة، وناصرت لندن أعضاء البرلمان ، واضطر الملك إلى أن يهرب إلى شمال إنجلترا

نظم الجمهوريون قواتهم بزعامة أليفر كرمويل وحاربوا الملك شارل الأول وهزموه فى موقعتى ناسبى ومرستن مور ثم سلم نفسه للبرلمان فحاكمه وحكم عليه بالإعدام ١٦٤٩ يقول جرين :

« أثارت أنباء إعدام شارل الأول فزعا ورعبا فى جميع أنحاء أوربا ، فطرد قيصر الروسيا وزير بريطانيا من بلاطه ، وسحبت فرنسا سفيرها من لندن، وكانت هولندا أشد عداء للجمهورية التى قامت فى بريطانيا . »

جمهورية :

بعد إعدام شارل الأول أعلنت الجمهورية فى إنجلترا واختير كرومويل حاميا لها ، وكان من المنتظر أن تتوطد دعائم الديمقراطية فى عهد الجمهورية ، ولكن هذه الآمال تبددت وانتقلت السلطة إلى يد كرمويل وقد عرض عليه عرش إنجلترا فأبى وهكذا ضرب مثلا فى الإخلاص للمبدإ والبعد عن المنفعة الذاتية . وامتاز عهد الجمهورية أيضا بسيادة التقشف والزهد . وظلت الجمهورية قائمة ما بقى كرمويل ، فلما مات انتخب ابنه مكانه ولكنه كان ضعيفا فثار عليه الشعب وطلب إلى شارل الثانى ابن شارل الأول العودة إلى إنجلترا ففعل وتولى العرش ١٦٦٠ وبذلك كانت حياة الجمهورية فى إنجلترا قصيرة ١٦٤٩ - ١٦٦٠ ويرجع ذلك إلى أن الشعب لم يكن ميالا للجمهورية ، وإلى أنه كان قد ألف النظام

الملكى ، وكذلك كانت الجمهورية قائمة على أكتاف كرمويل ورجال الجيش فلما مات كرومويل انهت الجمهورية

الملكية العائدة : ١٦٦٠ – ١٦٨٨

كان شارل الثانى من أحب ملوك إنجلترا إلى الشعب البريطانى ، وهناك قول مشهور « إن شارل الأول كان رجلا طيبا وملكا سيئا ، أما شارل الثانى فقد كان رجلا سيئا وملكا طيبا . »

عاد شارل إلى لندن من منفاه فكان أول أعماله دعوة البرلمان إلى الاجتماع وكان هذا البرلمان ملكيا أكثر من الملك

وامتازت الفترة التى أعقبت عام ١٦٦٠ بانتشار اللهو والمجون والترف كأن القوم كانوا ينتقمون للزهد والتقشف اللذين اضطروا إليهما زمن الجمهورية

ورغم هذا كان شارل الثانى يؤمن بالحق الملكى المقدس ويقول « إن الملكية لا يتفق وجودها مع وجود هيئة سياسية تحاسبها ، لأن الملك الذى تنقض آراؤه ويحاسب وزراؤه ليس له من الملك إلا الاسم . » ولكنه كان بعيد النظر كثيرا التساهل ولذلك لم تقم ثورات دستورية فى عهده

وأحب أن أضرب لك مثلا عن مدى تقيد شارل الثانى برغبات شعبه فأذكر لك أنه كان يدين بالعقيدة الكاثوليكية التى كان الشعب يكرهها ، ومع ذلك ظل شارل يبطن حقيقة عقيدته الدينية حتى إذا جاءه الموت أعلن وهو يودع هذا العالم أنه قد عاش ومات وهو يؤمن بهذه العقيدة ، مع أنه ظل طول حياته يظهر للشعب أنه يؤمن بمذهب كنيسة إنجلترا الأسقفى

وقد امتاز عهد شارل الثانى ببدء ظهور الأحزاب السياسية فى إنجلترا ، إذ ظهر حزب التورى وحزب الهويج وقد تطورا فأصبحا حزبي الأحرار والمحافظين

ثورة ١٦٨٨

مات شارل الثانى وتولى بعده جيمس الثانى وكان كاثوليكيا متعصبا يؤمن بالحق الملكى المقدس ميالا إلى التسامح مع الكاثوليك ولذلك كرهه الشعب والبرلمان ، وقد أصدر لائحة التسامح الدينى وأمر رجال الدين بتلاوتها فى الكنائس ولكنهم امتنعوا فقدمهم إلى المحاكم ولكن حكم ببراءتهم

وأخيرا كان الشعب يمنى نفسه بأنه عند انقضاء أجل جيمس ستعتلى العرش ابنته مارى وكانت بروستانتية ، ولكن فى ١٦٨٨ ولد له ولد من زوجته الكاثوليكية وبذلك صار وارثا للعرش فلم يطق الشعب صبرا ، وثار ضد جيمس واستدعى مارى وزوجها وليم أورنج من هولندا للحضور إلى انجلترا لتولى العرش فقدما

أرسل جيمس جيشا ليحول بينهما وبين النزول فى أرض انجلترا ، ولكن الجيش رفض أن يحارب الشعب وانضم إلى صفوفه فى الترحيب بمارى ووليم وأسقط فى يد جيمس واضطر أن يغادر انجلترا إلى فرنسا . وتعرف هذه الثورة بثورة ١٦٨٨ المجيدة

بعد فرار جيمس اجتمع البرلمان وقرر أن عرش انجلترا خال ودعا مارى ووليم لاعتلائه ، وكان هذا معناه أن الملك مولى من قبل الشعب وبذلك سقطت نظرية التفويض الإلهى . بعد ذلك قدم البرلمان إلى الملكة وثيقة تعرف باسم وثيقة إعلان الحقوق ١٦٨٩ وهى الوثيقة الثالثة فى تاريخ الديمقراطية البريطانية وبمقتضاها تقرر

أولا : لا يعتلى عرش انجلترا إلا من يؤمن بمذهبها الدينى . (حرم العرش على الكاثوليك من أبناء جيمس)

ثانيا : ليس للملك أن يعطل القوانين التى يصدرها البرلمان أو أن يحتفظ بجيش أو أن يفرض ضرائب جديدة بدون موافقة البرلمان

ثالثا : أعضاء البرلمان أحرار فى آرائهم ولا يحاسبون على أقوالهم داخل البرلمان وكذلك تقررت حرية الانتخاب للناخبين

وهكذا نرى أنه بعد نضال دام قرنا تقريبا تقررت المبادئ المعتدلة التى نادى بها أعضاء مجلس العموم فأصبحت الضرائب لا تفرض والقوانين لا توضع والجيش لا يدعى إلا بموافقة أعضاء البرلمان ، كما تقرر أنه لا يجوز سجن فرد بمجرد صدور أمر ملكى ، كما أنه لا يجوز أن تعطل القوانين بأوامر ملكية ، وكذلك كفلت حرية المناقشة فى البرلمان

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بسمنود الثانوية

عقيـــــدتى

للفيلسوف الانكليزى المعاصر برتراندرسل

للأديب عبد الجليل السيد حسن

الفصل الثالث

الســنن الخلقية

إن الحاجة الملحة للأخلاق نجمت من تعارض الرغبات ، سواء بين أناس مختلفين أو فى شخص واحد أو فى أوقات مختلفة أو حتى فى وقت واحد ؛ فالرجل يرغب فى احتساء الخمر ويرغب أيضا أن يتهيأ لعمله فى الصباح التالى ، ونعده فاسداً إذا اختط لنفسه الخطة التى تمكنه أقل تمكين من إشباع رغبته ، ونحن نظن شرا بالمبذرين والطائشين حتى ولو لم يصيبوا أحدا غير أنفسهم بأذى . ويرى « بنتام » (Bentham) : أن كل الأخلاق يستطاع ردها إلى « النفع الذاتى المستنير » (١) وأن كل من يعمل دائما ناظرا على مدى الوقت إلى أقصى ماينيله قدرا من الرضا الخاص ، فانه ينهج النهج القويم دائما . أما أنا فلا أستطيع أن أقبل هذا الرأى ؛ فالطغاة الذين وجدوا سرورا طافحا من مشاهدة إنزال العذاب ، لا أستطيع أن أثنى عليهم حينما أدى بهم الحذر والحكمة إلى أن يبقوا على أرواح ضحاياهم . رغبة منهم فى تعذيبهم فى يوم آخر . ومهما يكن من شئ فإن الحذر مما تتطلبه الحياة السعيدة ؛ وهناك أشياء أخرى مماثلة لذلك ، حتى « روبنسون كروزو » كانت عنده الفرصة لأن يمارس المثابرة ، وضبط النفس ، والتبصر ، التى يجب أن تعد من الصفات الأخلاقية ، لأن هذه الصفات زادت من مجموع رضاه دون إلحاق ضرر بالآخرين . وهذا الجزء من الأخلاق يلعب دورا هاما فى تدريب الأطفال الذين لديهم ميل ضئيل إلى التفكير فى المستقبل ، ولو كان ذلك قد تحقق فى زمن سالف لتحول العالم إلى فردوس ، لأنه سيكون من السهل منع الحروب التى هى من عمل الهوى لا العقل . ومع ذلك فانه رغما عن أهمية الحذر فانه ليس أهم جزء فى الأخلاق . ولا هو بالجزء الذى يثير مشاكل ذهنيه لأنه لا يتطلب اهتماما بشئ خارج المنفعة الذاتية

والجزء من الأخلاق الذى لا يشمله الحذر والحكمة ، هو فى جوهره مماثل للقانون أو لقواعد المجتمع ؛ إذ أن ذلك منهج لتمكين الناس من أن يعيشوا فى مجتمع مع بعضهم بالرغم من احتمال تعارض رغباتهم ، لكن يحتمل هنا منهجان جدمتباينين: فهناك منهج قانون العقوبات الذى يهدف إلى تحقيق التوافق الخارجى فقط ، بربط الأفعال التى تعترض رغبات أناس آخرين فى حالات معينة بنتائج غير مرغوب فيها . وها هو ذا منهج التقريع الاجتماعى : فإذا عد المرء مجتمعه الخاص شريرا فإن ذلك لون من ألوان العقاب ، ولذا يتجنب ما يحذره معظم الناس من أن يعرف عنهم أنهم يخالفون لدستور مجتمعهم . ولكن هناك منهج آخر أمتن أساسا وأشد إقناعا حينما يعمل به ، وهذا المنهج هو أن نغير شخصيات الناس ورغباتهم بأن نضيق فرص التعارض والخلاف ، بجعل نجاح رغبات إنسان واحد تتفق مع رغبات الكثيرين بقدر الإمكان ، وهذا هو السبب فى أن الحب خير من البغض ، لأن الحب يحل الانسجام محل الاختلاف بين الأشخاص المرتبط بهم ، وإن اثنين بينهما آصرة الحب ينجحان معا أو يفشلان معا ، ولكن حينما يكره أحدهما الآخر ، فإن نجاحه هو فشل الآخر

وإذا كنا مصيبين فى قولنا إن الحياة السعيدة التى يلهمها الحب وتهديها المعرفة ، فإن من الواضح أن الدستور الأخلاق لدى أى مجتمع ليس قطعيا ولا مكتفيا بذاته ، بل يجب أن يمتحن بقصد أن يرى : هل الذى أملاه مثلا الحكمة وحب الخير ؟ ولم تكن القوانين الخلقية دائما معصومة من الخطأ ، فإن الآزتك (Aztecs) يعدون من واجباتهم المشددة ، أن يأكلوا اللحم البشرى ، وذلك لئلا يصبح ضوء الشمس معتما . ولقد أخطأوا فى علمهم ، ولعلهم كانوا يدركون وجه الخطأ فيه ، لو كان عندهم شئ من الحب نحو الضحايا المضحى بها . وبعض القبائل يحبسون البنات فى الظلام من سن العاشرة إلى السابعة عشرة ، خوفا من

(١) empightemáb eelf — imerceat

أن تجعلهم أشعة الشمس يحملون . ولكن ... من المؤكد أن قوانيننا الأخلاقية الحديثة لا تحتوى على شيء مماثل لهذه الأعمال الوحشية ! ! ومن المؤكد أيضا أننا لا نحرم من الأشياء إلا تلك التي تضر حقيقة، أو على الأقل تلك التي بلغت حد الفظاعة ، حتى أن أي شخص مهذب لا يستطيع أن يدافع عنها ! ! . . ولكنني لست متأكدا مثل هذا التأكيد . وإن الأخلاق الشائعة لمزيج عجيب من المنفعة والخرافة ، ولكن للجزء الخرافي القدح المعلى ، لأن الخرافة هي أصل السنن الخلقية ، فلقد كان في الأصل يظن أن بعض الأفعال لا ترضى الآلهة ، وقد حرمت بالقانون لأن اللعنة الإلهية كان من المتوقع ألا تحل بالأفراد الآثمين فقط ، بل على المجتمع كله ، ومن ثم فقد ظهر تصور الخطيئة على أنها الشيء الذي لا يرضي الإله . وليس هناك من سبب يمكن إبداؤه عن بعض الأفعال لماذا تكون غير مرضية ؟ كما أنه من الصعوبة مثلا أن يقال : لماذا كان من غير المرضى أن يتحرق الطفل شوقا إلى لبن أمه ؟ ولكن عرف بالوحي أن ذلك هو الواقع . وفي بعض الأحايين كانت الأوامر الإلهية تفسر خطأ في الاستطلاع ؛ فمثلا أمرنا ألا نعمل أيام السبت ؛ وأضاف البروتستانت على ذلك معنى ألا نلعب أيام الآحاد ؛ ولكن نفس السلطة السامية ، تعزى إلى التحريم الجديد ، كما هو للقديم

ومن الجلي أن الإنسان ذا النظرة العلمية إلى الحياة ، لا يدع نفسه ترهب نصوص الكتاب المقدس أو تعاليم الكنيسة ، ولا يسره أن يقول إن هذا أو ذاك من الأفعال إثم ، وبذلك ينتهي الأمر . بل سيتحرى إن كان ذلك يسبب ضررا ؟ وهل العكس الاعتقاد بأنه إثم يسبب ضررا ؟ وسيجد — وخصوصا فيما يتعلق بالأمور الجنسية — أن أخلاقنا الشائعة تحتوى على قسم كبير أصله خرافي محض . وسيجد أن هذه الخرافة — مثل خرافات « الأزتك » — تحتم قسوة لا لزوم لها ، وأنها تزول إذا تأثر الإنسان بالمشاعر الرقيقة تجاه جيرانهم . ولكن المدافعين عن الأخلاق التقليدية ، هم وحدهم أصحاب القلوب المتحمسة ، كما قد يبدو في حب الحرب الذي يبديه رؤساء الكنيسة . وعلى ذلك ، فالإنسان مدفوع إلى أن يظن أنهم يعتبرون الأخلاق كشيء قانوني يمكنهم من إشباع رغبتهم في تعذيب الآخرين : والآثم ليس من العدل خداعه ، ومن ثم فهو بعيد عن التسامح الديني

ودعنا نتابع حياة الإنسان العادي من المهد إلى اللحد . ونلاحظ النقاط الخرافية التي تسبب له آلاما . ونبدأ من الحمل والولادة ، لأن تأثير الخرافة هنا جدير بالعناية ، فإن الوالدين إذا لم يكونا متزوجين فالطفل وصمة لا يستحق إلا اللعنة . وإذا كان أحد الوالدين مصابا بداء الزهري ، فمن المحتمل أن يرثه الطفل . وإذا كانا قد رزقا أطفالا أكثر مما يحتمله دخل الأسرة فستكون الفاقة ونقص التغذية وتضخم السكان ، بل ومن المحتمل جدا الزنا بين الأقارب ؛ ومع ذلك فإن الغالبية العظمى من الأخلاقيين متفقة على أن الأحسن للوالدين ألا يعلما كيف يمنعان هذا البؤس بمنع الحمل . ولكي يسر ويغتبط هؤلاء الأخلاقيون فإن الملايين من الكائنات البشرية الذين لم يكن من الواجب أن توجد ، تقاسي حياة كلها عذاب . وذلك لأنه قد فرض أن الفعل الجنسي شر إذا لم يصحب بالرغبة في النسل . وليس شرا حينما توجد هذه الرغبة ، حتى ولو كان من المؤكد أن هذا النسل سيكون تعيسا . وقتل الإنسان فجأة ثم أكله — كما كان مصير ضحايا قبائل « الأزتك » — أقل درجة بكثير من الألم الصادر عن مولد طفل في محيط تعس وملوث بداء الزهري . ومن ثم فإن العذاب الأعظم هو الذي يسببه الأساقفة والسياسيون عن عمد وسبق إصرار باسم الأخلاق ، فلو كان لديهم حتى أصغر جذوة من الحب أو الشفقة نحو الأطفال ، ما ألصقوا بالقانون الأخلاقي هذه القسوة الشيطانية

إن الطفل المتوسط يقاسي حين الميلاد ؛ وفي أيام طفولته المبكرة ، من الأسباب الاقتصادية أكثر مما يقاسيه من الأسباب الخرافية ؛ فحينما يولد للنسوة الغنيات أطفال فإنهم يجدون خير أطباء ، وخير عناية ، وخير طعام وشراب ، وخير راحة ، وخير لعب ؛ بينما النساء من الطبقة الكادحة لا يتمتعن بهذه المزايا ، وغالبا ما يموت أطفالهن لنقص تلك المزايا . وقد عملت السلطات العامة بعض الشيء في سبيل العناية بالأمهات ، ولكن وهي كارهة ؛ ففي اللحظة التي تمنع فيها كميات اللبن المخصصة للأمهات لتغطية العجز في المصروفات ، تنفق السلطات العامة مبالغ ضخمة في رصف طرق

السكان الأغنياء ، حيث حركة المرور ضئيلة . ويجب أن يعلموا أنهم بمثل هذا القرار يتسببون فى موت عدد من أطفال الطبقة الكادحة، بسبب جريمة الفقر . ومع ذلك، فإن الطبقة الحاكمة ، يشد أزرها الأغلبية الساحقة من رؤساء الدين ، وعلى رأسهم البابا ، قد أرصدوا قوى الخرافة الضخمة فى العالم لتدعيم الظلم الاجتماعى

وتأثير الخرافة فى كل مراحل التربية نكبة . فإن نسبة مئوية من الأطفال لديهم عادة التفكير . ومن أهداف التربية أن تخلصهم من هذه العادة . فالأسئلة المحرجة تقابل بالقول « صه . . صه » أو بالعقاب ، وتستخدم العاطفة الجماعية فى تلقين أنواع معينة من الاعتقاد ، وعلى الأخص الأنواع الوطنية . والرأسماليون والحربيون ورجال الكهنوت، يتعاونون فى التربية ، لأنهم جميعهم يعتمدون فى قوتهم على سيادة مذهب العواطف ، وندرة الحكم النقدى . وبمساعدة الطبيعة البشرية تنجح التربية فى زيادة هذه الميول ، لدى الإنسان المتوسط

وها هى ذى طريقة أخرى تحطم بها الخرافة التربية ، وهى تأثيرها فى اختيار المدرسين ، فلأسباب اقتصادية ينبغى ألا تتزوج المعلمة ، ولأسباب أخلاقية يجب ألا يكون لها صلات جنسية خارج نطاق الزوجية ، مع أن كل من درس علم النفس المختص بالسقم يعلم أن إطالة أمد العذرة ، جد مضر على المرأة، فلا ينبغى ألا تشجع عليه المدرسات فى المجتمع السليم . وهذه القيود المفروضة تؤدى إلى رفض جانب من النسوة القويات الجريئات أن يتعاطين مهنة التدريس . وهذا كله يرجع إلى التأثير المستتر لمذهب الزهد الخرافى

والأمر أسوأ فى مدارس الطبقة المتوسطة والدنيا ، فهناك الصلوات الكنسية والعناية بالأخلاق موكولة إلى رجال الدين ؛ ورجال الدين غالبا ما يقمون فى طريقتين كعلمين للأخلاق ، فهم ينكرون الأفعال التى لا تسبب ضررا ، ويتجاوزون عن الأفعال التى تسبب ضررا عظيما . فهم جميعا يسخطون على الصلات الجنسية بين الشخصين غير المتزوجين اللذين يعشق كلاهما الآخر ، ولكنهما بعد ليسا متأكدين أنهما يرغبان أن يعيشا معا طوال حياتهما ، ومعظمهم يسخطون على تحديد النسل ؛

ولكن أحدا منهم لا يسخط على وحشية الزوج الذى يتسبب فى وفاة زوجته من كثرة الحمل . وقد عرفت قسيسا عصريا كان لزوجته تسعة أطفال فى تسعة أعوام ؛ وقد أخبره الأطباء أنها إذا أتت بالعاشر فقد تموت . وفى العام الثانى حملت به فماتت ، ومع ذلك فلم يسخط عليه أحد منهم ، واستمر فى أبرشيته ، وتزوج مرة أخرى . وما دام رجال الدين مستمرين فى تجاوزهم عن القسوة وفى سخطهم على الاستمتاع البرئ ، فإنهم لا يقدرون إلا على عمل الشر والضر كحراس الأخلاق الصغار

وها هو ذا تأثير آخر سئ للخرافة فى التربية ، وهو عدم تعليم الحقائق الجنسية ، فإن الحقائق الفسيولوجية الأساسية ينبغى أن تعلم فى الجنسين بشكل بساطة ، وبالطبع قبل سن البلوغ أى فى هذا الوقت الذى لا يكونون فيه نشيطين . ففى سن البلوغ ينبغى أن تعلم أصول الأخلاق الجنسية غير الخرافية . ويجب أن يلقن البنون والبنات أنه لا شئ يبرر الاتصال الجنسى إذا لم يكن هناك ميل متبادل . وهذا على العكس من تعاليم الكنيسة التى تعتقد أنه ما دام الزوجان قد تزوجا ، وما دام الرجل يرغب فى طفل آخر فإن العمل الجنسى له ما يبرره أيا ما كان عظم نفور الزوجة . وينبغى أن يعلم البنون والبنات احترام كل منهما لحرية الآخر ، وأن يشعروا أنه لا شئ هناك يمنح كائنا بشريا - أيا كان - حقوقا أكثر من الآخر ، وأن الغيرة وحب التملك والاستئثار تقتل الحب . وينبغى أن يعلموا أيضا طرق التحكم فى النسل[٢] لكى يكونوا على بينة من أن الأطفال يجب أن يأتوا حينما يرغب فيهم . وأخيراً ينبغى أن يعلموا أخطار داء الزهرى وطرق الوقاية والعلاج . وعلينا أن نتوقع من التربية الجنسية على هذه المناهج زيادة فى السعادة البشرية لا تقاس

من الواجب أن يعرف أن الصلات الجنسية — فى حالة عدم وجود الأطفال — أمر خاص محض لا علاقة للدولة أو الجيران به . وفى الوقت الراهن يعاقب قانون العقوبات على بعض صور معينة من الاتصال الجنسى لا تؤدى إلى ذرية ، وهذا خرافة خالصة، لأن الأمر لا تأثير له على أحد إلا على الفردين المتعلق بهما مباشرة،

(٢) أى طرق ضبط النسل وتحديده (blurths control)

ومن الخطأ أن يقال — حين وجود الأطفال — إن من الضروري لصلحتهم جعل الطلاق مستحيلا ، فالعربدة والسكر المعتاد ، والقسوة والجنون ، أمور تحتم ضرورة الطلاق لصالح الأطفال تماما كما هو لصالح الزوجة أو الزوج . والاهتمام الغريب — في الوقت الحاضر — الخاص بالزنا ليس عقليا تماما . فمن الواضح أن أنواعا عدة من سوء السلوك أشد خطرا على السعادة الزوجية من الخيانة المختلسة . وأشد خطرا من كل ذلك ، هو إصرار الذكر على إنجاب طفل كل عام ، هذا الإصرار الذي يبدو أنه من سوء السلوك أو القسوة المقنعين

يجب ألا تكون السنن الأخلاقية شيئا يجعل السعادة الغريزية مستحيلة ، ولكن ذلك أثر من التشدد في الاقتصار على زوجة واحدة ، في مجتمع عدد الجنسين فيه ليس متعادلا . فبالطبع تحت مثل هذه الظروف تنتهك السنن الخلقية ، ولكن حينما تكون السنن كذلك فإنها لا يمكن أن تطاع إلا بانقاص كبير في سعادة المجتمع . ولكن حينما يكون من الخير انها كما (أي هذه السنن) لا مراعاتها ، فمن المؤكد أنه قد حان وقت تغييرها . وإذا لم يفعل ذلك فسيواجه كثير من الناس الذين يسيرون في طريق مضاد للمصلحة العامة ، تغييرا غير مرغوب فيه في النفاق أو الذم . والكنيسة لا تحفل بالنفاق الذي هو جزية متعلقة لسلطاتها . أما في أي مكان آخر فقد عرف النفاق على أنه شر يجب أن لا يحاوب بهوادة

وأشد ضرراً من خرافات اللاهوت خرافات القومية ، وواجب كل فرد نحو دولته الخاصة ، لأية دولة أخرى ، ولكني لا أعرض في هذه المناسبة إلى مناقشة هذا الأمر أكثر من أن أشير إلى أن اقتصار اهتمام كل فرد على أبناء وطنه أمر مضاد لمبدأ الحب الذي عرفناه ، كابنة في بناء الحياة السعيدة . وهو كذلك مضاد للشخصيه المستنيرة ، لأن القومية الضيقة لا تخلق أبدا أمما منتصرة

وناحية أخرى مما يعانيه مجتمعنا من جراء التصور اللاهوتي للخطيئة ، وهي علاج المجرمين . فوجهة النظر القائلة بأن المجرمين « أشرار » ويستحقون « العقاب » ليست بشيء يستطيع أن تؤيده الأخلاق العقلية وليس من شك في أن بعض الناس يرتكبون أشياء يريد المجتمع منعها ، وهو على صواب في منعها ، ولنأخذ جريمة القتل كأوضح مثال ، فمن الجلي أنه إذا أردنا مجتمعا متماسكا نتمتع بمباهجه ومزاياه ، فلن نسمح للناس أن يقتل بعضهم بعضا وقتما يشعرون بميل إلى أن يفعلوا ذلك . ولكن هذه المشكلة يجب أن تعالج بروح علمية محضة ، فنسأل ببساطة : ما هي أنجع طريقة لمنع القتل . ؟ ومن بين طريقتين متعادلتي التأثير في منع القتل نختار تلك التي تسبب ضررا أقل للقاتل ، فإن إيذاء القاتل مما يؤسف له ، مثل الألم في العملية الجراحية ، فقد يكون ضروريا مثله ، ولكنه ليس موضوعا للتفكهة والشعور بأخذ الحق الذي يسمى « الإهانة الخلقية » فليس إلا صورة من القسوة . وإيلام المجرم لا يمكن تبريره أبدا بفكرة العقاب لأخذ الثأر ، وإذا كانت التربية المصحوبة بالشفقة تساويها في التأثير ، فإنها تفضل أكثر إذا كان تأثيرها أكثر . وبالطبع منع الجريمة وعقاب المجرم سؤالان متباينان . وموضوع توقيع الألم بالمجرم من المفروض أنه للارهاب فقط . ومع ذلك فإذا جعلت السجون إنسانية إلى درجة أن السجين ينال فيها قسطا عظيما من التربية بدون مقابل ، فقد يرتكب الناس الجرائم لكي يؤهلوا لدخولها . وليس هناك من شك في أن السجن يجب أن يكون أقل متعة من الحرية . ولكن خير طريق لتجنب هذه النتيجة أن نجعل الحرية أكثر متعة مما هي في بعض الأوقات في الوقت الحاضر . ولكني لا أريد أن أطرق موضوع « الإصلاح الجنائي » ولكني أريد فقط أن أقول : إن من الواجب أن نعامل المجرم كما نعامل إنسانا مصابا بالطاعون ، فكل منهما خطر عام ، وكل منهما يجب أن يحد من حريته ، حتى يتوقف عن كونه خطرا ، ولكن الرجل المصاب بالطاعون موضوع للعطف والمواساة ، بينما المجرم موضوع اللعنة . وهذا وضع غير عقلي ، وبسبب هذا الاختلاف في المعاملة فإن سجوننا أقل نجاحا في شفاء الميول الإجرامية من مستشفياتنا في علاج الأمراض

للكلام بقية

عبد الجليل السيد حسن

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

مناقشة رسالة جامعية :

عاقتني بعض العوائق عن حضور مناقشة الرسالة التي قدمها الأستاذ بدوى طبانة في كلية دار العلوم للحصول على درجة « الماجستير » وموضوعها « أبو هلال العسكرى ومقاييسه البلاغية » ولكن شابا أديبا هو صديق الأستاذ حسن صبرى علوان - جزاه الله صالحة - قد سد الثغرة وهو من أعزائي المدمنين على قراءة « الأدب والفن » وقد تعارفنا أولا عن طريق الرسالة ثم التقينا فظفرت بصداقته . تفقدني صبرى هناك يوم مناقشة تلك الرسالة ، فلما لم يلقني حرص على أن يقوم مقامى ويؤدى مهمتى . وثمة مفارقة لا بأس بذكرها ، وهي أن صبرى طالب بالسنة النهائية بكلية العلوم ، ومع ذلك ستراه ينقد أساتذة الأدب في البلاغة في الجامعة : كلية دار العلوم وكلية الآداب ، نقدا حصيفا يدل على من وراء . . خرج من غازات المعامل وتجاربها وامتحاناتها إلى عالم الأدب الذى يعشقه ، يرتاد آفاقه ويبحث عن مجالاته ، وهو يسمى هذا العالم « العش الكبير » الذى يقابل « العش الصغير » عش دراساته في كلية العلوم . . . وهكذا نرى الأديب هو الأديب في أى مكان

كتب إلى صديقى صبرى يقول ، وقد ذهب لحضور تلك المناقشة : « ... فألقيت بجميعى وراء كل كلمة قالها العارض ، وكل كلمة قالها مناقش ... ثم وجدت في نفسى حنينا أن أكتب إليك ، لأنك ناحية من نواحى العش الكبير الذى أستطيع أن أتنفس في أجوائه » ثم يحدثنا عن مناقشة الرسالة ، فيقول :

« كانت هيئة التحكيم مشتملة على الأساتذة : إبراهيم سلامة رئيسا وعلى الجندى وأمين الخولى بك عضوين .. وبعد أن عرض الأستاذ طبانة رسالته . . أعطيت الكلمة للأستاذ على الجندى الذى كان أكثر الثلاثة كما في المناقشة . . أعقبه الأستاذ أمين الخولى بك الذى كان يهوى بفأسه .. كأنما يريد أن يقتلع الجذور! لا أن يهشم الأغصان ! ثم أعقبه الأستاذ إبراهيم سلامة

ابتدأ الأستاذ الجندى قائلا : نحن وإن كنا سنعصرك .. فلا تخش . فقد يكون كما نعصر عود القصب لنستخرج منه السكر ! .. وقد كان كثير الاستشهاد بالشعر .. وكان يقول : قال أميرنا .. عندما يستشهد لشوقى ! . يريد أنه من الشعراء .. ولا شك أن هذا إعلان طيب على رؤوس الأشهاد ! .. وقد كان الأستاذ طبانة يرد على كل اعتراض في مناقشة الأستاذ الجندى.. وكان رأى الأستاذ الجندى ككرة المطاط إن ضغط عليها تباينت أبعاد حوافيها عن مركزها. ولكن شاعرنا كان يصر في كثير أن يظل المركز على أبعاد متساوية . من ذلك قوله إن الجاحظ وأبا هلال لم يعطيا اللفظ كل شىء ، واستشهد للجاحظ وترك أبا هلال .. فرد الأستاذ طبانة قائلا إن النص لأبى هلال يلزمنا ويقول : « وليس الشأن في إيراد المعانى . فالمعانى يعرفها العربى والعجمى ... وإنما هى جودة اللفظ ... وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صوابا » أى لا يكون خطأ ! .. ولكن الأستاذ الجندى أصر .. !

وقد غمز شاعرنا النقاد غمزة ما كنت لأرضاها له قال : من هو الناقد الأدبى ؟ هو رجل لم يستطع أن يقول أى شىء ! فأراد أن يقول في كل شىء ! . لم يستطع أن يكون قاصا أو شاعرا أو ناثرا .. فالتمس باب المجد من هذا الباب ! وكان متحمسا كأنما يلقى قصيدة ! وهو يعلم أن النقد موهبة لا تتفق لكثيرين في دولة النقد ، كما أن الشعر موهبة لا تتفق لكثيرين في إمارة الشعر !

وقال إنه إن ألف ديوانا فإنه لا يبالى ما يقول فيه النقاد .. ولكن ما يقول الجمهور المثقف. كأن النقاد ليسوا من هؤلاء !

ولفت الأستاذ الجندى نظر صاحب الرسالة إلى أنه كان يمكن أن يفيد من علم النفس الحديث الذى أصبح منهجا من مناهج الدراسات الأدبية

وقد ذكر الأستاذ سيد قطب في المناقشة حين عرض

الأستاذ الجندى لقولة الأستاذ طبانة عن كلمة عمر بن الخطاب فى زهير : إنه كان لا يماظل . . قال : إن التعليق منقول عن كتاب النقد الأدبى (للأستاذ سيد قطب) . . وكلا الرأيين خطأ ! لأن كلمة عمر لم تكن أول عهدنا بالنقد المفصل ! فهناك حكاية النابغة مع الخنساء وحسان . . إن صحت ! وهناك محمد رسول الله . . كان ينهى عن الحوشى . . والتشدق والتقعر! ويقول : إن من البيان لسحرا ! . . وحكاية النابغة إن صحت فإنما هى إعجاب أو حكم غير معلل . . وذيل القصة الذى يفصل ويعلل ظاهر البطلان لأنه لا يتفق مع طبيعة النقد فى هذا العصر كما قال الأستاذ سيد قطب . على أن أبا الفرج لم يذكر الذيل فى الأغانى . .

وأما سيدنا محمد فإنما قال ما قال فى معرض التقوى والصلاح لأن من صفات المؤمن ألا يتشدق أو يتفيهق أو يغرب ، بل أن يكون مستقيما . واضحا . . متواضعا !

وانتهت مناقشة الأستاذ الجندى بقوله : إننى وإن أكن قد قرأت رسالتك بين الصحة والمرض ، فإننى قد تدبرتها جيدا . . وقد لاحظت فيها أثر الجهد والسهر !

ثم تكلم الخولى بك فقال : إننى لن أكثر . . سأضرب لكل نقطة مثلا واحدا . . إننى قرأت رسالتك وحاولت أن أجد فيها صورة قلمية لأبى هلال أو ترجمة علمية له فلم أوفق ! إننى أعرف أن للبحث منهجا يسير عليه الباحث من أول نقطة إلى آخر نقطة ، ثم يخلص إلى ما يريد من نتيجة ! ولكننى وجدتك تناقض نفسك مناقضة لا أدرى كيف وقعت فيها . . اتهمت أبا هلال فى ذمته وفى خلقه وفى ذوقه وفى أدبه . . ثم رجعت تسائل نفسك . . هل وضع أبو هلال مقاييس للبلاغة ؟ ثم تجيب : كلا ! إنه اعتدى على من سبقوه فنقل ما قالوا وحاول جهده أن يخفى ما فعل . . فاتهمته كذلك باللصوصية ! ! وبعد هذا تجعله ومقاييسه البلاغية عنوانا لرسالتك ! . ثم إنك عرفت الأدب بأنه الكلام الجيد . . فما بالك بالمتوسط ؟ وقلت إن موضوع الأدب علوم الأدب وهذه ليست دقة علمية . . فقال الأستاذ طبانة : هذا عند القدامى ! فقال الخولى بك : تأكد أن القدامى أدق من أكبر منك ومنى !

كشكول الأسبوع

▫ اجتمعت لجنة النظر فى تقرير كتب المطالعة الإضافية للسنوات الأولى والثانية والثالثة من المدارس الثانوية برياسة المستشار الفنى لوزارة المعارف . وستجتمع مرة أخرى يوم الأحد ٢٤ يونيو.

▫ أصدرت لجنة النشر للجامعيين مجموعة قصصية عنوانها « عهد جديد » للقصصى العراقى الشاب الأستاذ شاكر خصباك ، وهو ينحو فيها نحو الإنسانية الرفيقة والواقعية الواصفة الهادئة . وتدل قصص هذا الشاب على أن عالم الأدب العربى الحديث يوشك أن يتلقى قصصيا فذا يعتد به

▫ وظهر أخيرا كتاب « سقوط القاهرة » للأستاذ عبد المنعم شميس ، وهو يتحدث فيه عن ظواهر فنية منحرفة ، من غناء وسينما ومسرح وإذاعة وكتابة وصور ورقص ، تنهك هذا الشعب وتبعده عن الفن الصحيح . والكتاب يمتاز بالحيوية الدافقة ، ويهدف إلى خير الشعب وهو من النوع الذى يرجى لتكوين أدب حى طليق

▫ اجتمعت الجمعية العمومية لاتحاد خريجى الكلية الملكية للفنون الجميلة يوم الاثنين الماضى . وقد تم انتخاب أعضاء مجلس الإدارة الجديد من الأساتذة : أبو صالح الألفى (رئيسا) وعبد السلام الشريف (وكيلا) ومحمد محمود الجنايني (سكرتيرا) ومحمد محمود عبد الرحمن (أمينا للصندوق) وحسين بيكار و أسعد مظهر وحسن فؤاد وحسنى البنانى ومصطفى إبراهيم ورشدى اسكندر وعبد القادر مختار ـ أعضاء

▫ كتب إلى الأستاذ عدنان أسعد يقول إنه كان مع جماعة من أصدقائه الأدباء ، وتحدثوا فى « التسعير » واختفاء البطيخ والشمام ، فقال لهم ليخفف عنهم : إن المسؤولين إنما يريدون لكم الخير والمثوبة فى شهر رمضان ، ففى الصبر على فوات المطلوب كسر للشهوة وإيقاظ للفتوة .

ثم قال :

لم نطعم الحلو أياما وأياما ... من يوم سعرت بطيخا وشماما
إن كان هذا هو التسعير فامتدحوا ... للشاعر الصوم « قرفانا » إذا ناما

▫ تلقيت العدد الأخير من مجلة مدارس التوفيق القبطية التى يشرف عليها مدير المدارس والأستاذ عبد الرحمن فهمى وبعض زملائه . وهى مجلة مدرسية حافلة بألوان من الأدب والطرائف وخاصة في تصوير المجتمع المدرسى . ومما أعجبنى فيها حسن تنسيق النوافذ التى يطل منها الجيل الجديد

▫ يشعر محرر هذا الباب بحاجة إلى الراحة والاستجمام ، ويأسف لاحتجابه عن أصدقائه القراء خلال شهر يولية القادم . وإلى اللقاء فى أوائل أغسطس إن شاء الله

كان لك أن تقول إنهما من ثقافة الأديب أو الناقد الأدبي ! .
ثم إني رأيتك تعزو التحول في الظواهر الأدبية إلى الأشخاص وهو كالتحول في الظواهر الاجتماعية يعزى إلى العصور . .

وتكلم الأستاذ إبراهيم سلامة عن الذوق والقاعدة أو عن الفن والعلم فقال، إن أرسطو نفسه كان يحيرنا في خلطه بين الفن والعلم فكان يضع أحدهما مكان الآخر فيقول عن الطب مثلا : إنه فن الطب !

وقال : إن موضوعك كان شائكا لأنه فترة انتقال بين عصرين أو هو عصر التردد ! . . وقد لاحظ قلة المراجع في الرسالة قائلا : لماذا تعتمد على الفرع دون الأصل . . لماذا تنقل عن فلان أو فلان . . إنهم ليسوا أحسن منك . . لماذا تأخذ حكاية عمر عن (مش عارف مين . .) خذها من الأغاني . . خذها من غيره . . ارجع إلى الأصل دون الفرع . . وخلت اللجنة للمداولة . . بعد مناقشة استغرقت ما يقرب من خمس ساعات تخللتها استراحات قصيرة ... وقضت اللجنة للأستاذ بدوي بدرجة الماجستير من رتبة ممتاز . »

وما أحسب الأستاذ على الجندي — بعد قراءة هذا النقد — إلا مسلما بأن في كنانة الأدب نقادا لا يستهان بهم . . وأن الذار في الأدب على الوهبة !

وليت شعري ، هل يرى الأستاذ الجندي رأيه ذاك في أبي هلال العسكري باعتباره — أعني أبا هلال — ناقدا ، وهو موضوع الرسالة التي اجتمعوا هناك من أجلها ؟ وهل يرى رأيه ذاك في الرسالة عينها وما هي إلا نقد ؟ وهل يرى رأيه ذاك في نفسه وفي زميليه وهم يناقشون الرسالة وما هم في هذا إلا نقاد ؟ ثم هل يرى رأيه ذاك في نفسه باعتباره أستاذا في دار العلوم جل عمله إن لم يكن كله الدراسة التي لا تخرج عن النقد ؟

وبعد فلي نظرة في مسألتين : الأولى تعريف الأدب بأنه الكلام الجيد ، من حيث اعتراض الأستاذ الخولي بقوله « فما بالك بالمتوسط ؟ » والذي أراه أن المقصود بالكلام الجيد ما يقابل الكلام العادي غير الأدب ، فالأدب المتوسط متوسط بالإضافة إلى الأدب الجيد ، وهو جيد بالنظر إلى غير الأدب

والمسألة الثانية ما قاله الدكتور إبراهيم سلامة في الفن والعلم وخلط أرسطو بينهما في قولته عن الطب إنه فن الطب . ولست أدري ماذا يعنيه أرسطو فلم أطلع على كلامه هذا . وإنما أقول : إن فن الطب غير علم الطب ، فالأول عمل وتطبيق ، والثاني أبحاث ونظريات

الأهرام ومنصور جاب الله :

لعل قراء الرسالة يذكرون ما حدثتهم به من قبل ، عن النزاع بين صحيفة الأهرام وبين الأستاذ منصور جاب الله ، ذلك النزاع الذي يتلخص في أن الأستاذ كان يعمل محررا بالأهرام وقد استقال من وظيفته بوزارة المعارف ليتفرغ للتحرير بها ، ولا يجهل أحد من القارئين ما كان يكتبه في الأهرام من افتتاحيات ومقالات وتحقيقات صحفية . ثم تقلبت الأحوال في الأهرام ، وجاء ناس بعد ناس ، وإذا الأستاذ منصور يخرج من عمله في الصحيفة دون أي مبرر . . وحاول التفاهم ، ولجأ إلى النقابة ، فلم يجده شيء من ذلك ، فاضطر إلى المقاضاة أمام المحكمة

وقد سرنا أن القضاء أنصفه وحكم له بتعويض ، وكان لهذا الحكم وقع طيب وخاصة لدى أدباء الإسكندرية الذين عبروا عن مشاعرهم بحفلات التكريم التي أقاموها له

ثم حدثت بعد ذلك ملابسات ، أدعه يحدثنا عنها في رسالته التي تلقيتها منه في هذا الأسبوع :

« ... وإذ كان المبلغ الذي قضى لي به لا يتجاوز عشر التعويض المطلوب ، فقد أزمعت استئناف الحكم ، ولكن بعض الأدباء الذين تربطهم بالأهرام صلة سعى إلى بالودة قائلا : إنني طالب مبدإ لا طالب مبلغ ، وأن حسبي هذا الحكم الرائع وعطف الرأي العام . وطلب إلى أن أتنازل عن الاستئناف على أن تدفع لي جريدة الأهرام المبلغ المحكوم به . وأجبت الأديب الفاضل إلى ما طلب . وبعد يومين من هذه « الوساطة » علمت أن الصحيفة المذكورة قدمت استئنافا ، فلم أجد أنا بدا من الاستئناف . ولعلك عاذري يا صديق إذا أنا لجأت إلى الأساليب ذاتها التي تلجأ إليها الأهرام . وأحب أن يعلم المسئولون فيها أنه من الخطأ أن يستضعف الخصم خصمه ، فقد يصيب المستضعف مقاتل القوي ... »



في عالم النقد :

حورية من المريخ

للأستاذ على متولى صلاح

تحية طيبة نبعث بها إلى تلك الفرقة الناشئة الشابة المتوثبة ، من فوق منبر « الرسالة » مجلة الفن والأدب والعلم ، ونعنى بها فرقة « المسرح المصرى الحديث » التى ظهرت خلال هذا الموسم كما تظهر بوا كير الندى ، وكما تتفتح براعم الورود فتجلو كامن الحسن وخفى الجمال

أخذ الناس إشفاق على تلك الفرقة يوم رأوها تنتظم عصافير ناعمة بضة حسبوها تزقزق على خشبة المسرح فلا تبين ، وتهتز الخشبة من تحتها فلا تثبت، وقالوا : من أين لزغب القطا أن تقوى على ما تنبهر أمامه أنفاس النسور ؟ ومن أين للظبى الأغن أن ينهض بما يعيا به الأسد المصور ؟

.. ولكن هؤلاء المشفقين انقلبوا مشدوهين معجبين عند ما رأوا هذه الفرقة تنهض بالروائع والآيات لكبار المؤلفين من أمثال : موليير وتشيخوف وتيمور ، تنهض بها نهضة يرى الناس فيها بحق أن الأمر لو كان بالسن لكان فى الأمة من هو أحق من أمير المؤمنين بمجلسه كما قال الغلام العربى القديم !

وتنهض بها نهضة يبدو فيها — أظهر وأبين ما يبدو — معنى التضامن وفناء الفرد فى سبيل المجموع ، ومعنى نكران الذات ... فما رأينا واحداً منهم حاول فى موقف له أن يسطع على حساب زملائه ، أو أن يسلبه مجداً يراه له حقا . ولعل مرد ذلك فيهم إلى ما لقنوه من ثقافة ومعرفة حرمهما الكثير من رجال المسرح الأقدمين

هؤلاء بحق هم « الأعوان الذين يمكن أن يعتمد عليهم وزير المعارف » كما يقول معالى الوزير الجليل فى حديثه مع صديقنا الأستاذ عباس حسان خضر ، وليس عمل هؤلاء قط هو « الترفيه وإضاعة الوقت » كما يقول معاليه عن المسرح عامة فى مصر ، وإنما عملهم هو « التعليم وإشاعة الجمال والذوق فى نفوس الناس » كما يفعلون بحق ، معرضين إعراضاً ملائكيا عن المادة وسيطرتها على الفن ، والانحدار به إلى مرتبة الوسيلة الرخيصة ، والأداة الذلول !

ولقد كانت آخر مسرحية قامت بها هذه الفرقة هى المسرحية التى جعلناها عنواناً لهذا المقال « حورية من المريخ » ، وهى تدور فى جملتها على فكرة واحدة ، تلك هى أن الإنسان كما يضيق بالمتاعب والمصاعب التى يخلقها له من يخالطونه فى العيش ، فتتكدر صفوه ، وتتشرد أمنه ، فإنه يضيق كذلك بالراحة الكبرى والطاعة الدائمة والصفو المقيم !

فالزوج « رفعت » يضيق بزوجته « إحسان » لما تحدثه له

وإننى الآن لأشعر بالإشفاق على الأهرام نظرا إلى ماضيها وإلى ما نحب لها ، وإلى جانب ما أشعر به من الرغبة فى الانتصاف لأديب وصديق ناله عنت ، وألم به ضيق ، فإنه — وإن كان يعانى هذا الذى ناله — سينصفه القضاء وقد أنصفه فعلا ، والقضاء العادل هو أعز ما نملكه فى هذه البلاد . أما الصحيفة الكبيرة فلا يشرفها ، ولا يتفق مع ماضيها ، ولا يتفق مع روح العصر ، أن يخرج عامل فيها بعد سنين فى خدمتها إلى الطريق صفر اليدين ...

وهنا طرف آخر فى هذا الموضوع ، هو نقابة الصحفيين .. لست أدرى أى شىء هذه النقابة إن لم يكن مثل هذا من صميم عملها ؟ أليست تسعى لتقرير معاشات للصحفيين الذين يعجزون عن العمل ؟ فما بالها تقف عاجزة عن إنصاف محرر عامل من صحيفة ؟ إن النقابة تمثل أصحاب الصحف والمحررين فهى تجمع بين القط والفأر .. ولا بأس بذلك على أن تقلم أظفار الأول ، ولكن البأس كل البأس أن تمكن الأول من التهام الثانى ...

عباس خضر

من متاعب متصلة ، فيهب الله له حورية من المريخ حسناء رائعة الحسن تطيعه طاعة عمياء ، وتوافقه فى كل ما يرى ، وتذهب مع هواه حيثما ذهب ،فلا خلاف ولا شجار ، ولا عصيان ولا شقاق، ولكنها حياة رتيبة هينة لينة ! فيضيق الزوج بهذا الهدوء الشامل ، ويشقى بهذا الأمن الكامل ، وتعلم الحورية بما يعتلج فى صدره من غم ، وما تسببه هذه الحياة الناعمة له من هم ، فتعود أدراجها إلى المريخ بعد أن تعيد ما انقطع بينه وبين زوجه الآدمية من صلة ، وتسترجع ما كان انبت بسببها من علاقة !

هذه المسرحية تلفحنا منها ريح أسطورة يونانية شهيرة ، هى أسطورة « بجماليون » ذلك المثال البارع الذى صنع تمثالا رائع الفتنة لامرأة سماها « جالاتيا » ولكنه أغرم بالتمثال وتمنى على الإلهة « فينوس » أن تمنحها الحياة ليتخذها زوجاً له ، فاستجابت الإلهة لدعائه ومنحتها الحياة ، وما إن دبت فيها الحياة الإنسانية حتى دبت معها غرائز الإنسان ! فكان أن خانته وهربت منه ! فعاد يتمنى على الإله « أبولون » أن يعيدها إليه ثم يسلبها الحياة ويرجعها كما كانت تمثالا من العاج ، فاستجاب له الإله وأعادها كما كانت فهوى عليها بجماليون فحطمها تحطيما !

تلك هى الأسطورة القديمة التى نشم رائحتها قوية فى « حورية من المريخ » فإن صح ما نحدس به فإن المؤلف يكون قد استطاع الانتفاع بالأسطورة القديمة أكبر انتفاع ، ولا لوم عليه فى ذلك ولا تثريب . وليت الكثير من أدبائنا يحسنون الانتفاع بهذه الأساطير إذن لأثرى الأدب العربى إثراء كبيرا

ويأخذ الأستاذ زكى طليمات فى مقدمته التى كتبها للرواية على المؤلف أنه « أجرى الحوار فيها تارة باللهجة العامية وتارة باللغة العربية الفصحى ... وقد كان يفضل أن تشمل المسرحية كلها وحدة فى الأسلوب البيانى حتى تحتفظ بطابع واحد من التعبير اللفظى يسوده الانسجام اللغوى » ولسنا نذهب هذا المذهب حتى ولو استطاع المؤلف أن يستنبط إمكانيات أخرى ينتفى بها استقامة مفاجآت المسرحية ومشوقاتها كما يقول الأستاذ زكى طليمات

فلو أن الحورية تكلمت باللهجة العامية لانتفت عنها من فورها صفة الحورية ولكانت بشرا ممن يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ! فنحن نعلم أن العامية هى لغة السواد من الناس وأين الحورية من هذا السواد ؟

ولنا — بعد — على المسرحية ملاحظات يسيرة نتوجه بها إلى هذه الفرقة المرموقة المأمول منها خير كثير ، نتوجه بها إليها فى رفق ولين ، ولكن هذا الرفق لن يطول أمده ، وسنأخذها فيما بعد بصرامة الحق وصراحة القول فذلك أنفع لها وأجدى عليها ، ونجمل تلك الملاحظات فيما يأتى : —

١ — يتكلف الأستاذ « عدلى كاسب » شخصية الأستاذ « حسن فائق » تكلفا ظاهرا جدا . وأرجو أن يعلم الأستاذ أن فى هذا التكلف إفناء لشخصه وإعلاء لشخص الأستاذ حسن فائق ! فالناس إذ يرونه كذلك لا يذكرونه وإنما يذكرون حسن فائق !

٢ — الأبيات التى يرويها الزوج « الأستاذ نور الدمرداش » لعلقمة الفحل يرويها مكسورة وبها بعض الأخطاء . وليس مما ينهض عذرا له أنها وردت كذلك فى الأصل المطبوع فقد كان عليه بل كان على المخرج أن يتلافى هذا الخطأ وبخاصة الكسر الذى فى البيت الأول والبيت الأخير . . وصحة الأبيات هى كالآتى مأخوذة من الديوان ومن الجزء الثالث من كتاب « نهاية الأرب » وكما ينبغى أن تكون وأرجو أن يرويها كذلك مستقبلا : —

فإن تسألونى بالنساء فإننى ... عليم بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله ... فليس له فى ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه ... وشرخ الشباب عندهن عجيب

٣ — انتقلت ملابس الحورية فجأة من ملابس الحوريات الغريبة ، فصارت بمجرد هبوطها إلى الأرض ومن أول لحظة ملابس « إسبور » وبنصف كم ! وعندى — ولو أن هذا مصدر من مصادر سوء التفاهم لاستحالة فهم الأناسى الذين يباشرون الزوج أنها من حوريات المريخ وهى تلبس ملابسهم - عندى أنه كان الأولى أن تنتقل من ملابس الحوريات إلى ملابس الآدميين المعاصرين الإسبور انتقالا تدريجيا لتبقى لها هالة الحوريات بعض البقاء الخفيف وبحيث لا يحجب ماضيها جبا ، ولم تبق لها لغتها دون ملابسها ؟؟

٤ — شخصية الأستاذ « عزى عثمان » فى دور « صلاح »

صديق الزوج ضعيفة باهتة جدا يمكن وصفها بأنها لا لون لها ولا رائحة ، ولم يستطع أن ينفث الحياة فى شئ مما قال بتاتا ؛ مع أن فى دوره ما كان يمكن أن تدب فيه حياة حارة نابضة

٥ — كان وضع « الميكروفون » غير حكيم ، فالصوت كان يخفت جدا إذا جرى الكلام فى مؤخرة المسرح ، ويقوى ويشتد حتى يعتلئ حشرجة إذا جرى الكلام فى مقدمة المسرح ، وصوت الممثل ينبغى أن يكون نقيا خالصا من هذه الحشرجات والنتوءات الصوتية التى قد نغتفرها فى السينما

هذا — وقد كان الزوج وزوجه والحورية وأعنى بهم : الأستاذ نور الدمرداش والآنستين ملك الجمل وزهرة العلا بكير ، كانوا يقومون بأدوارهم قياما يشكرون عليه . أما الأستاذ أحمد الجزيرى فقد بلغ شأواً بعيداً فى تمثيله حيث كان ينطلق انطلاقاً طبيعيا لا تكلف فيه ولا صنعة مما يستحق عليه أطيب الثناء

وبعد : فتلك كلمة إجمالية لم نذهب فيها مذهب التفصيل والإسهاب ، ولم نعرض فيها إلا القليل من الحسنات والقليل من السيئات ، راجين أن نتتبع الحركة الفنية القائمة بالعرض والنقد والتسجيل ، ولن يحدونا إلا الحق وحده

علي متولي صلاح



درجات الناس

تأليف الأستاذ طه محمد الساكت

للأستاذ منصور جاب الله

كلما هممت بإرسال المقال فى هذا الكتاب ، صرفتنى عنه أشاغيل طرآنية ، أو حجزتنى صوارف الدنيا من هم أو مرض أو عمل ! بيد أنى الساعة حريص على الكتابة فى هذا السفر رغم هذه الشكاة التى تورقنى منذ مطالع شهر رمضان !

* * *

أول ما يطالع القارئ فى هذا الكتاب صورة ضوئية لمسجد يحيى باشا الكبير فى رمل الإسكندرية ، والقارئ العادى لا يعرف المغزى فى نشر هذه الصورة حتى يقرأ ما كتب فى الصفحة المقابلة ؛ إذ يروى المؤلف نص الدعاء الذى حاول « أن يدعو به مرة عقب صلاة الفاروق — أيده الله — بمسجد يحيى باشا ليؤمن المصلون على دعائه ، فحال الحرس بينه وبين بغيته »

وإذن فالكتاب وليد عقدة نفسية عند المؤلف بقيت تحز فى نفسه طوال هذه الحقبة . ومما يؤيد هذا المذهب أن الأستاذ المؤلف ذكر فى الصفحة الأخيرة من مؤلفه أن أصوله عنده منذ أربعة عشر عاما ، أى منذ أن حاول الدعاء للمليك فى مسجد يحيى باشا فحيل بينه وبين ما يريد

على أن نشر هذه الصورة العزيزة فى مقدمة الكتاب قد ردنى إلى الوراء بضعة وعشرين عاما ترادفت ترادف الموج فى محيط الزمان ، فإنى لأذكر هاتيك الحلقات التى كانت تلتئم فى ذلك المسجد المعمور يتوسطها العارف بالله الشيخ محمد البوريني إمام الخديو السابق ، وكيف أعادت إلى تلك الدروس ذكريات مدارسات السلف الصالح من أمثال الحسن البصرى وسفيان الثورى ، وأشهد أنى ما حضرت درسا دينيا كان له الأثر فى نفسى ما كان لشيخنا البوريني رحمه الله

ومتصفح الكتاب إذا شاء عرضه على الناس لابد واجد صعوبة ، فهو من كتب التصوف التى أجهد المؤلف نفسه فى جمع شتاتها ومطامنة ضروبها حتى استوت له جملة صالحة عرضها على القارئين . فهو يبدأ بمناجاة ملك الملوك : « حرمت الظلم على نفسك وجعلته بين الملوك محرماً ، وأرسلت إلينا رسلك فضلا منك وكرماً ، ثم أورثت الكتاب الذين اصطفيت من عبادك ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » .

ويخلص من ذلك إلى مخاطبة « السادة الملوك » فيرفع إليهم الحديث فى أدب المتخضع الخاشع « هل أنتكم سادتى أنباء الأسفلين من الرعايا إذ ركبوا بحور الظلم والظلمات فى سفائن

باسم الشيطان مجراها ومرساها ارتدوا فيه فراعنة، وعردوا فيها على الربابنة، ثم خرقوا أسفلها وأنتم المالون، ووقموا في حدود الله وأنتم عليها قائمون . وقد بلغ من أمرهم أن سخروا من الناصحين حتى استيئسوا، وهزئوا بالراشدين حتى أبلسوا ! فلم يبق في النجاة من أمل إلا أن تأخذوا بسلطان الله على أيديهم قبل أن نهلك جميعا بشؤم معاصيهم »

ولعل في هذه الكلمات القصار التي اقتطفناها ما يوضح مقصد الكتاب وهدفه ، فهو يريد النصح إلى من ملكهم الله الأمر وتبصيرهم مواطن الضعف والقوة في الأمة ، فإن « صلاح كل من الراعي والرعية يؤثر في الآخر تأثيراً بليغـا ، وإن كان صلاح الراعي في رعيته أبلغ أثرا وأهدى سبيلا ، وليس من العدل والإنصاف في شيء أن نتجاهل قوة الرابطة بين الجانبين كليهما فنذكر أثر واحد دون صاحبه »

ويستطرد المؤلف من ذلك إلى تبيان درجات الأفراد ويتحدث عن المثل الكامل ودرجات الأمم ، ويورد بعض الأحاديث في منزلة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا بلغ الحديث درجات الملوك أورد ذلك الدستور الرشيد الذي وضعه الحسن البصري للامام العادل عمر بن عبد العزيز فسار على سننه مدة حكمه القصير ، حتى إذا مات نقضه الأحداث من بني أمية !

وإذ يتكلم المؤلف عن درجات الناس عند الملوك لا تخونه شجاعته وإنما يقول في صراحة مؤدبة « أعظم الناس عندهم - أي عند الملوك - أسرعهم إلى تحقيق رغباتهم وأشدهم ميلا إلى هواهم ، وأقل الناس درجة عندهم ومنزلة أشجعهم على نصيحتهم وأخوفهم عليهم من بطش الله وعقابه »

« من أجل ذلك تحامى الناس نصحهم حتى الدعاة إلى الله عز وجل وكانوا بين خائف منهم ويائس ، وبالغ كثير من الناس في مدحهم والثناء عليهم ابتغاء المال والدنيا »

وكم كان جميلا من المؤلف أن يورد شذوراً عن بعض المؤلفات التي وضعت لخدمة الملوك في عهد السلف الصالح من هذه الأمة مثل سراج الملوك للامام الطرطوشي ؛ وسلوك المالك في تدبير الممالك لابن أبي الربيع

ولقد كان المؤلف بارعاً في استشهاده بنكبة المنصور لأبي مسلم الخراساني والرشيد للبرامكة على أن بطانة السوء لابد أن يفتضح أمرها على الأيام ، وقد قيل لأبي مسلم « لم خرجت الدولة عن بني أمية ؟ » قال « لأنهم أبعدوا أولياءهم ثقة بهم ، وأدنوا أعداءهم تألفا لهم ، فلم يصد العدو صديقا بالدنو ، وصار الصديق عدوا بالإبعاد »

وجهد الكاتب جهده في بيان الدرجات في القرآن الكريم فذهب إلى أنها ذكرت ثماني عشرة مرة في الكتاب المنير في أربع عشرة سورة نصفها مكي ونصفها مدني ، ومضى في تخريجه إلى درجة تشهد له بالبراعة والاجتهاد

وأفرد المؤلف فصلا لحقوق الملك استهله برواية الشعبي عن ابن عباس قال « قال لي أبي : أرى هذا الرجل - يعني عمر بن الخطاب - يستفهمك ويقدمك على الأكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وإني موصيك بخلال أربع : لا تفشين له سرا ، ولا يجربن عليك كذباً ، ولا تطو عنه نصيحة ، ولا تغتابن عنده أحداً . قال الشعبي : فقلت لابن عباس كل واحدة خير من ألف قال : إي والله ومن عشرة آلاف ! »

ولا نستطيع أن نمضي في الاقتباس إلى نهايته ، فحسبنا أن نذكر بالحمد تلك « العقـدة النفسية » التي تخلفت في صـديقنا الأستاذ طه محمد الساكت قبل بضعة عشر عاماً ، فكان نتاجها هذا الكتاب الأول من نوعه بعد عهد السلف الصالح ، وعندنا أنه كتاب وضع للخاصة وإن كان صاحبه نص على غير ذلك في مقدمته . ففيه من المسائل الفلسفية العميقة ما يحمل القارئ على المطاولة والمجاهدة في سبيل تفهمها ، وفيه توريات بعيـدة المرمى لا يتفتق لها إلا الذهن الخصب الطيع

فعلى هذا الأساس نتقبل كتاب الأستاذ الساكت ونعتبره كتاب تصوف وفلسفة ، ونحمد له هـذا الجهد الذي بذل ، ونقدر له هذه الشجاعة في إبداء الرأي بطريقة مؤدبة ملفوفة ، فلو أن كاتبا غيره تنـاول مثل هـذه الدقائق لزل به القـلم ووقع في نزواته وشطحاته !

منصور جاب الله



ختان البنات بين الطب والإسلام :

منذ ثمانية أعوام نشرت الرسالة الزاهرة مقالا لأحد الأطباء (١) محبذا عدم ختان البنات، مبينا ضرر هذه العادة فى نظره نافيا أنها من الإسلام أو أن لها أصلا دينيا

وقد عقب على المقال أحد الفضلاء (٢) مؤيدا تعقيبه بأحاديث نبوية وآراء الأئمة والفقهاء، ولم تنته هذه المشكلة إلى ناحية ترتاح لها النفوس فى ذلك الحين

وقد تجددت هذه المشكلة فى أيامنا هذه، وقامت مجلة « الدكتور » باستطلاع آراء بعض الأطباء وجمعت أقوالهم فى ملحق خاص مع عدد شهر مايو سنة ١٩٥١ وكلهم قد أيد عدم ختان البنات، بل إن بعضهم قد أظهر مدى ضرر هذه العادة فى كثير من الحالات ...

واستكمالا لهذا البحث قامت مجلة « لواء الإسلام » مشكورة باستطلاع آراء كبار العلماء من رجال الأزهر فى هذا الموضوع الخطير وكلهم كان له القدح المعلى فى هذا الشأن بإظهار أن هذه العادة إسلامية بحتة، وقد ظهرت آثارها الحميدة مدى العصور، بل إن بعض هؤلاء الفضلاء قد أتى بحكم نفيسة على مشروعيتها ترتاح لها النفوس وتنشرح لها الصدور !

قال فضيلة المفتى (٣) « إن ختان الأنثى من شعار الإسلام وردت به السنة النبوية واتفقت كلمة فقهاء المسلمين وأئمتهم على مشروعيته، ومع اختلافهم فى كونه واجبا أو سنة فإننا نختار للفتوى القول بسنيته لترجح سنده ووضوح وجهته والحكمة فى مشروعية ما فيه من تلطيف الميل الجنسى فى المرأة والاتجاه به إلى الاعتدال المحمود ... إلى أن قال :

أما آراء الأطباء مما نشر فى مجلة الدكتور وغيرها من مضار ختان الأنثى فإنها آراء فردية لا تستند إلى أساس على متفق عليه، ولم تصبح نظرية علمية مقررة، وهم معترفون بأنه للآن لم يحصل اختبار للنساء المختتنات، وأن نسبة الإصابة بالسرطان فى المختتنين من الرجال أقل منها فى غير المختتنين

وبعض هؤلاء الأطباء يرمى بصراحة إلى أن يعهد بعملية ختان الأنثى إلى الأطباء دون الخاتنات الجاهلات حتى تكون العملية سليمة مأمونة العواقب الصحية ... إلى أن قال فى ختام الفتوى

وقد علمتنا التجارب أن الحوادث على طول الزمن تظهر لنا ما قد يخفى علينا من حكمة الشارع فيما شرعه لنا من أحكام وهدانا إليه من سنن، والله يوفقنا جميعا إلى سبل الرشاد ...

ومما قاله فضيلة (٤) الأستاذ رئيس المحكمة العليا الشرعية :

... « ولا شك فى أن ختان الأنثى على هذا الوجه — أى إزالة الجزء البارز فقط وإبقاء الجزء الكامن — يكسبها صحة فى الجسم وجمالا فى الأنوثة وصيانة فى الخلق ومناعة فى العفة والشرف مع الإبقاء على الحساسية الجنسية بالقدر المناسب الذى لا شطط فيه . أما استئصال البظر من أساسه وإزالة الأغشية الداخلية بأسرها بالطريقة المتبعة عند الجهلة من أهل القرى فإن الشريعة الإسلامية لا تقره وتعتبره بدعة مكروهة لما ينجم عنه من فقدان حساسية الأنوثة فقدانا تاما قد يؤدى إلى الزهـــد فى وسائل التناسل . ويتضح مما تقدم أنه لا وجه لاعتراض بعض الأطباء فى ختان البنات بالطريقة الشرعية، ولا مبرر لاقتراحهم منعه منعا مطلقا : ولعل اعتراضهم منصب على ما تخيلوه من أن ختان البنات يجرى على طريقة الجهلة من أهل الريف ... »

ومما قاله فضيلة (٥) الأستاذ الشيخ محمود شلتوت بعد أن وفى الموضوع حقه كسابقيه :

« هذا والشريعة تقرر مبدأ عاما وهو : أنه متى ثبت بطريق البحث الدقيق ـ لا بطريق الآراء الوقتية التى تلق تلبية لنزعة خاصة أو مجاراة لتقاليد قوم معينة ـ أن فى أمر ما ضررا صحيا أو

(١) أنظر مقال « ختان البنات فى مصر » فى العدد ٥٤٤ من الرسالة الغراء

(٢) أنظر مقال « ختان الأنثى فى الاسلام » » ٥٤٦ » الرسالة الغراء

(٣) ص ٥٠ من مجلة لواء الاسلام — رمضان سنة ١٣٧٠

(٤) أنظر ص ٥١ من مجلة لواء الاسلام

(٥) أنظر ص ٥٦ » » » »

فسادا خلقيا وجب شرعا منع ذلك العمل دفعا للضرر أو الفساد ، وإلى أن يثبت ذلك فى ختان الأنثى فإن الأمر فيه على مادرج عليه الناس وتعودوه فى ظل الشريعة الإسلامية وعلم رجال الشريعة من عهد النبوة إلى يومنا هذا ... »

وبعد فقد كانت أقوال حضرات العلماء الأعلام حاسمة وشافية فى هذه المشكلة حتى لا تثار ثانيا من جديد . وفقنا الله جميعا إلى الصواب

شطانوف **محمد منصور خضر**

الشخصية المفروضة !

إن ما يقلق الوجدان المتحرر فرض بعض النـاس ذواتهم متخذين من السماحة سماجة ، ومن التواضع لجاجة ، ومن الدعة ضعة !

والشخصية المفروضة ليس لها كيان يحدد وجودها ، أو نطاق يرسم حدودها ، فتتخذ من جهلها تجاهل سواها ، وتدل على تفاهتها بسفاهتها !

والمجتمع مرزأ بتلك الشخصية البعيدة عن الصفاء النفسى ، والسمو الشعورى ، فهى قد تعرفك بسمتك ، لكنها تستر المعرفة بتناسى فضلك ، وتحاول أن توقع فى وهمك أنك لست فى حسابها ؛ فتعمد إلى إبهامك ، وتنطق اسمك من العجز إلى الصدر لتشعرك أنك مجهول فى مجهلة صفاقتها ! . والشخصية المفروضة ناقصة ، لأنها تريد السعى إلى إثبات الوجود وإكمال ما حرمته بأساليب السلوك الملتوية ...

وإذا كان النفسيون يقولون : إن الشخصية مجموع ما فى الشخص من صفات جسمية ، وعقلية ، وخلقية ، فيتجه كل « ناقص » إلى اقتناص بعض الصفات على طريقته الخاصة التى يزعج بها شعور الأحرار ! والسبيل إلى مطاردة هذه الشخصية أن يحطم رأس غرورها حتى يستقيم أمرها ؛ وتكون الصراحة الموجهة أداة التحطيم ؛ فالبله ، والغفلة والثقل ، والحمق . صفات هؤلاء المفروضين على الناس ؛ فيجب أن نشعرهم بحقائق أنفسهم ، ونقيدهم فى قيود سخافتهم ؛ ثم نرمى بهم مرمى الاستخفاف !

جاءنى رجل طيب جهير الاسم ذو نشاط ملحوظ ، وشكا إلى جفوة جاف جاهل جلف ، يحاول أن يطامن من قدره ، لأن ظروف الحياة جملته مفروضا عليه ؛ فكان رئيسه !

قلت : يا أخى ! . لا عليك ! دعه وشأنه ... أرفض وجوده من الوجود فتجد شخصيته المفروضة مرفوضة !

بور سعيد : **أحمد عبد اللطيف بدر**

جمع معجم

وردت كلمة - معاجم - فى مقال - اقرار كلمات محدثة - للأستاذ عباس خضر ص ٥٦٠ ع ٩٣٢ الصادر فى ١٤ مايو سنة ١٩٥١ من هذه المجلة . بينما الأستاذ مصطفى جواد فى ص ١٥٥٣ عدد خاص اكتوبر سنة ١٩٤٩ ، من مجلة - الكتاب - ذكر أن جمع معجم معاجيم مثل مرسل ومراسيل ، ومسند ومسانيد ، ومنكر ومنا كير ، ومصعب ومصاعيب ، وكل ما كان على مفعل بضم الميم ، فهذا بابه ، إلا إذا كان فيه لغتان بعد هذا أرجو أن أقف على رأى الأستاذ خضر فيما إذا كان يتلاقى مع الأستاذ جواد أو يفترق عنه فى هذا الرأى

بغداد **أحمد الطاهر**

وكيل وزارة الداخلية

هنات لغوية :

اشتملت قصة (اليتيم) للأستاذ عبد اللطيف الأرناؤوط فى العدد (٩٣٣) على هنات لغوية أوردها فيما يلى :

١ - (حتى كاد أن يهجر حياته) . . الأكثر فى مثل هذا التركيب أن تترك (أن) . . ففى التنزيل (وما كادوا يفعلون) . . سورة البقرة . . وقال ابن مالك :

وكونه بدون أن بعد عسى نزر .. وكاد الأمر فيه عكسا

٢ - (يكرس وقته فى سبيل وضع قصص) . . التكريس تأسيس البناء كما ورد فى القاموس ، وتجميع الشئ كما ورد فى المصباح ، وأكبر الظن أن الأستاذ الكاتب لم يقصد إلى واحد من هذين كما يدل سياق الحديث حيث يرمى إلى بذل الوقت وإنفاقه

٣ - (ويشكره على ما أسبغ عليه) . الأكثر (ويشكر

له) . . قال المصباح : « ويتعدى فى الأكثر باللام » فيقال : (شكرت له) وربما تعدى بنفسه ، فيقال (شكرته) وأنكره الأصمعى فى السعة ، وقول الناس فى القنوت : (نشكرك ولا نكفرك) لم يثبت فى الرواية المنقولة عن عمر ، على أن له وجها هو الازدواج » . . اهـ . . هذا كله ، وقد سوى القاموس بين التعدية باللام وبغيرها . . وللكاتب أن يختار الأكثر أو سواه

٤ — (فأحاطت عيشه هالة دكناء) . . الصواب (أحاطت بعيشه) . . فى التنزيل : (وأحاط بما لديهم) ، (ولا يحيطون به علما) ، (فقال أحطت بما لم تحط به) ، (ولا يحيطون بشئ من علمه) . . وإلى غير هذه الآيات . .

٥ — (وسحقا لمن يرضخ لها) . . أورد الأستاذ كلمة (يرضخ) بمعنى يخضع . . وليس كذلك . . فلها معان منها (يعطيه شيئا ليس بالكثير) ، (ويكسر) ، ورضخ به الأرض جلده بها . .

٦ — (ها هى عشرة فرنكات) الأولى (ها هى ذى) . . بزيادة اسم إشارة

٧ — (واترك الطفل هنا أقوم على حراسته) . . الصواب (أقم) لأنه جواب الأمر فتحذف الواو لالتقائها ساكنة مع الميم الساكنة للجزم

٨ — (اقترح عملا نقوم به سوية) . . (سوية) معناها مستوية قال الله : « فتمثل لها بشرا سويا » أى مستويا قائما ، وإننى لأذكر أن (الرسالة) تناولت هذا البحث فى عدد سابق وفيه أن (سويا وسوية) ليستا بمعنى « معا » كما هو مرمى العبارة

٩ — (بكل سرور وامتنان) . . الامتنان تعداد النعم مثل (المن) وهو عكس ما يقصد إليه تعبير الأستاذ ، والقصة فيما بعد ذلك لايغض منها مثل هذه الهنات الهينات ، وللقصاص الكبير صادق المودة ، وخالص التحية

محمد محمد الأبشيهى
مدرس بيسيون الابتدائية



القرار الأخير

للسيدة ألفت آدلبي

عندما تلقى أحمد أمرا بنقل وظيفته من دمشق إلى ناحية من نواحيها النائية ، تأفف وتذمر ، ولعن الحاجة التي جعلته عبدا ذليلا لوظيفة صغيرة

صعب عليه أن يترك دمشق وفيها ناديه الليلي وقهوته النهارية ، وكان يعرف أن لا فائدة من الاعتراض على هذا النقل فسار إلى مقر عمله الجديد صابرا على مضض . وفي الغد باشر وظيفته . كان زميله الذي يقاسمه مكتبه رجلا ذا فطنة وظرف ، لاحظ أن أحمد رفيقه الجديد أديب مهذب ، وأدرك الخيبة التي تصيب شابا لا زوج له حكم عليه أن يترك دمشق وما فيها من لهو وتسلية إلى هذا البلد الموحش القفر حتى من دار صغيرة للسينما . فأحب أن يخفف عنه بعض الشيء ، فأخذ يحبب إليه الانضمام إلى رحلات يقوم بها بعض الموظفين في نهاية الأسبوع إلى الجبال والأودية القريبة حيث الطبيعة الأخاذة والصيد الوفير ، وسهرات يقضونها في تبادل النكات ولعب الورق ، يشترك فيها أحيانا بعض الموظفين ممن يرغبون في مظاهر المدنية الجديدة ، فيصطحبون أسرهم ويسهرون في دار المدير يسمرون حينا ويستمعون لجهاز الراديو حينا آخر ، حيث المدير هو الموظف الوحيد الذي يملك راديو . وهو رجل مضياف أنيس وديع في بيته بقدر ما هو حازم وجاد في وظيفته . وزوجه شابة أنيقة لبقة تعرف كيف تسلي ضيوفها وتخلع على سهراتها جوا بديعا من المرح والوقار

فإذا أحب أحمد أن يصحبه في سهرة إلى دار المدير فعل لأن لديه من الثقة بالمدير وزوجه والدالة عليهما ما يجيز له أن يصطحب معه صديقا له يقدمه إليهما . رضي أحمد شاكرا لا حبا لمديره المضياف ، ولا رغبة في زوجه الأنيقة اللبقة ، بل أملا في أن تكون السهرة هنالك أحسن حالا من السهرة في غرفته الباردة ، ومصباح الدير أبعث نورا من مصباحه الضئيل

عندما قدمه زميله إلى زوج المدير ذهل أحمد ولم يكد يحبس شهقة كادت تخرج عالية من فمه . . إنها سلمى ! مثله الأعلى يعيدها القدر إليه بعد أن أضاعها عشر سنين كاملة . جلس أحمد في زاوية منفردة وأخذ يرد على الأسئلة والمجاملات التي توجه إلى زائر جديد ردا مقتضبا متظاهرا بالاهتمام بما تذيعه آلة الراديو من أغان وأحاديث

أما عقله فكان قد شرد بعيداً جدا . ارتد عشر سنين إلى الوراء

ترى هل تذكرت سلمى ذلك الشاب النحيل الأسمر الذي كان يتبعها عندما كانت في الثامنة عشرة تسير في الشارع ذهاباً لمدرستها وإياباً منها فيتتبع خطواتها ويبعث إليها بكلمات دعابة رقيقة . وكثيرا ما كانت تبتسم لكلماته ابتسامة مشرقة تسفر عن أسنان تلوح نضيدة كلألاءة خلف نقابها الشفاف فتبعث ابتسامتها فيه أملاً وسحراً . وربما لازمه طيفها بعض الليالي حتى الصباح. كان هذا ديدنه سنة كاملة إلى أن عاد يوماً من رحلته الكشفية فلم يجدها . ولما سأل عنها قيل له : إن رب العائلة غريب من دمشق فلما أحيل على التقاعد آثر العودة إلى بلده . فعرف أنه حرم منها إلى الأبد . ولا يزال يذكر كم كان شاقا عليه ذلك . فأنحى على نفسه يومئذ باللوم ، ولكم وصف نفسه بالجبن والغباوة لأنه لم يكتب إليها ولم يحاول أن يجد السبيل للتعرف عليها . أليست ابتسامتها كانت كافية لتشجيعه على الكتابة إليها ؟ ! تبا لهذا النقاب الشفاف ! إنه حاجز يحول دون التعارف بين الرجل والمرأة مهما شف ورق . لعلها كانت تبادله الشعور . . ولو أنهما استطاعا أن يتفاهما لأخلص كل واحد لصاحبه ولكانا اليوم زوجين سعيدين

عاد أحمد من سهرته . ولو سئل عنها كيف كانت لما استطاع أن يجيب ؛ لأنه ما وعى منها حديثا ، ولم يبق في ذاكرته إلا رسم قد أهيف يصلح نموذجا لفنان ؛ وابتسامة مشرقة لا تزال كعهده بها تسفر عن أسنان نضيدة كلألاءة . غير أنها كانت فيما مضى تبعث فيه أملا وسحرا . . أما الآن فقد بعثت فيه ألما ويأسا وشعورا

قويا بالحرمان !

مضى شهران فإذا أحمد صياد ماهر يجوب الجبال والأودية القريبة ويمتع نفسه بالطبيعة الأخاذة، وإذا هو صديق حميم لبيت المدير يتحفهم من حين لآخر بصيده الوفير ويحظى بالابتسامة المشرقة. ولو سئل عن حاله لأجاب إنه قانع ولعله سعيد . . ولو خيرّ بين العودة إلى دمشق وفيها ناديه الليلي وقهوته النهارية فربما آثر البقاء في الناحية الموحشة التي صارت في نظره عامرة آهلة

ولكن سوء طالعه لم يشأ أن يمتعه طويلا بهذا النزر اليسير من السعادة والرضا، فقد قدم الناحية مفتش كبير، فأثنى على المدير لحسن تصرفه وعظيم كفايته، وأراد أن يكافئه فترك له الخيار في أن يبقى في ناحيته أو ينتخب لنفسه ناحية أخرى

لقد فرح المدير بهذه المنحة وأحال الأمر على زوجه فهي أحرى أن تبت فيه. قلق الموظفون لفراق مديرهم، وكان أحمد أشدهم قلقا.. أتعاوده غباوته وجبنه المهودان ؟ فيحرم من سلمى مرة أخرى !

لا . ليس هو الفتى الغر ، لقد أصبح رجلا كامل الرجولة، له صولات وجولات في ميدان الحب والغرام . ألم تبادله سلمى نظرات بنظرات؟ ألم تجاهر بإعجابها به؟ ألم تثن على آرائه وتستسيغ نكاته؟ ألم يلمح بوارق الحب تلوح في عينيها من حين لآخر مهما حاولت إخفاءها ؟

فماذا عليه إذا كتب إليها يرجوها أن تبقى ، أو حسبه أن تعلم أنه أحبها وظلت مثله الأعلى عشر سنين كاملة وستبقى كذلك دائما أبدا

تلقت سلمى رسالة أحمد وقرأتها مرات كثيرة . وفي كل مرة كان يخفق قلبها بقوة وعنف وحارت ماذا تجيب . وفي المساء أوت إلى السرير الذي كانت تقتسمه هي وزوجها.: وظلت فريسة صراع عنيف قام بين ضميرها وعاطفتها حتى الفجر

كانت العاطفة تطغى فتقرر البقاء لتتمتع بهذا الحب الذي هبط عليها من السماء وسوف لا يجود به الدهر مرة ثانية.. ستبرعاه نقيا طاهرا وستجمله مقتصرا على النظرات المختلسة ودقات القلب المنيفة اللذيذة ، ولكن الضمير كان يغالب العاطفة ويكبتها بآيات بينات. ألم تبتدئ قصص الحب التي قرأتها أو سمعتها بنظرات بريئة وتنتهي بآثام مريعة ؟! أتجيز لنفسها ما آخذت عليه الآخرين ؟

وأخيرا استطاعت أن تخرس الضمير وتصم أذنيها عن آياته البينات وتقرر البقاء . كان الإعياء قد بلغ منها كل مبلغ . فشعرت بالحرارة تتمشى في أطرافها وأحست وهجها في خديها ، وفي حركة عصبية أزاحت الغطاء بعيدا وأخرجت ذراعيها العاريتين على رغم البرد الشديد . فإذا يد تعتقد بعطف وحنان فتعيد الغطاء برفق وأناة وتحكمه حول عنقها وفي منحنى خصرها، وأصابع رفيقة تجس الخد جسا لطيفاً لتطمئن على أن ليس هناك حرارة ! وكأن الأصابع الرفيقة عندما مست الخد مست الضمير أيضاً فتنبه مرة ثانية ، ولكنه كان أكثر نشاطاً وأبلغ حجة فاستطاع أن ينتصر

وإذا زفرة حرى تخرج من أعماق قلبها ودمعتان كبيرتان تجولان في عينيها . . أما شفتاها فقد غمغمتا بكلمتين قاطعتين حازمتين : (سنسافر غدا) وكان هذا هو القرار الأخير

دمشق **ألفت اولبى**


RETRO NEWS
ظهر المجلد الثالث
من كتاب
وحي الرسالة
فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع
والقصص
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك
طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد
سكك حديد الحكومة المصرية
تسيير قطارات ديزل سريعة درجة أولى مكيفة الهواء
ودرجة ثانية ممتازة
إنه ابتداء من ١٤ يونيو سنة ٩٥١ ستسير قطارات الديزل السريعة رقم ٩٢٥ و ٩٢٧ و ٩٢٩ و ٩٢٤ و
٩٢٦ و ٩٢٨ على خط مصر — الاسكندرية ، ورقم ٩٣٣ و ٩٣٠ على خط مصر — بنها — بور سعيد ،
وفقا لمواعيدها المدرجة بالجداول
وتحصل أجور السفر بهذه القطارات بالفئات الآتية :
(١) عربات الدرجة الأولى المزودة بجهاز تكييف الهواء .
ثمن تذكرة درجة أولى مضافا إليها رسم تكييف الهواء
(٢) عربات الدرجة الثانية الممتازة :
ثمن تذكرة درجة ثانية مضافا إليها ٥٠ ٪ من ثمنها
ويكون الفصل بهذه القطارات بطريق حجز المقاعد مقدما لجميع المسافرين بما فيهم حملة الداليات والاشتراكات
بكافة أنواعها ، وبهذه القطارات بوفيهات للمرطبات والأطعمة الباردة ولزيادة الإيضاح يستعلم من المحطات .
مطبعة الرسالة